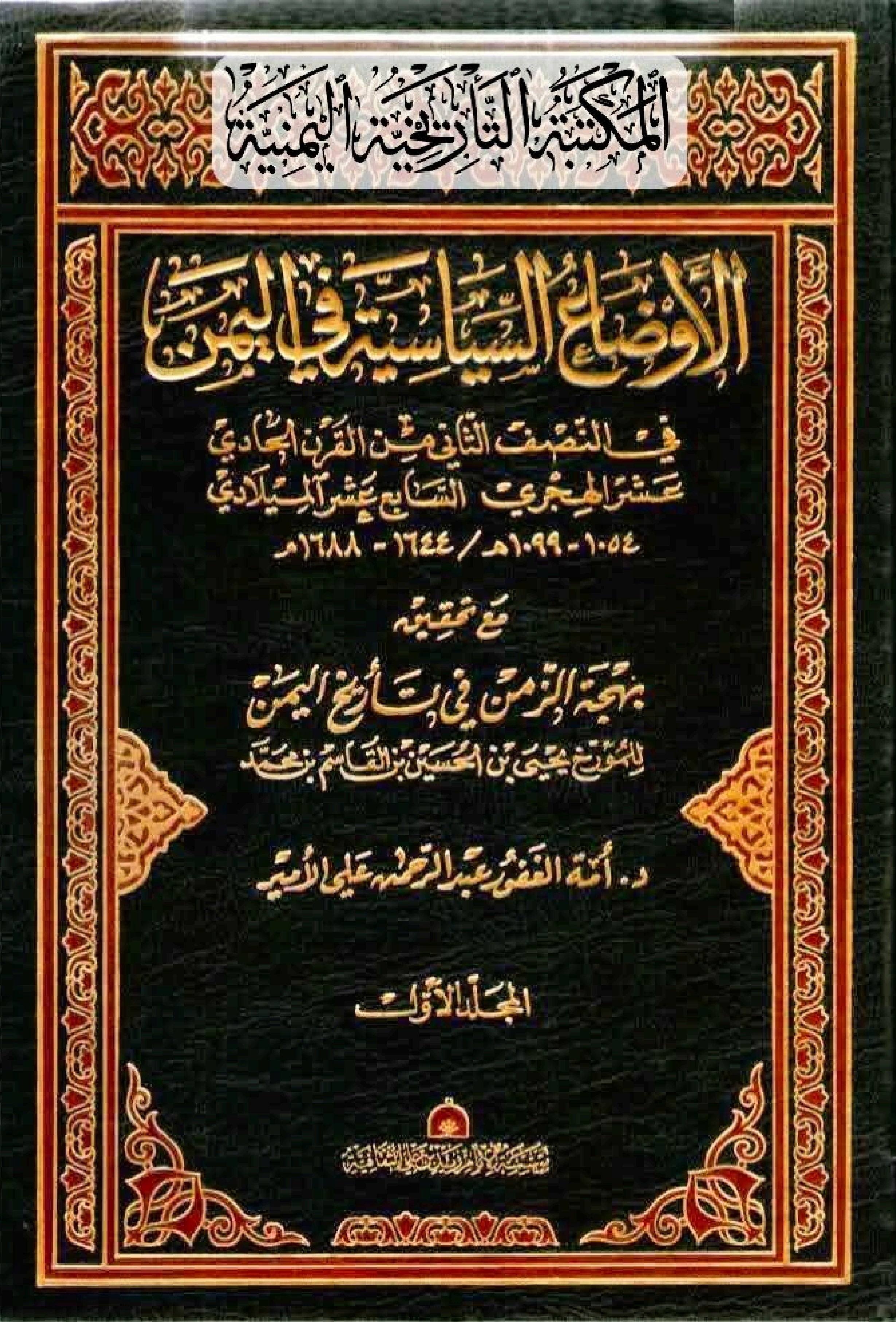

المكتبة التاريخية اليمنية
الأوضاع السياسية في اليمن
في النصف الثاني من القرن الحادي
عشر الهجري السابع عشر الميلادي
١٠٥٤-١٠٩٩هـ / ١٦٤٤-١٦٨٨م
مع تحقيقه
بهجة الزمن في تاريخ اليمن
للمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد
د. أمة الغفور عبد الرحمن علي الأمير
المجلد الأول
مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية



في النصف الثاني من القرن الحادي
عشر الهجري السابع عشر الميلادي

مع تحقيق

بهجة الزمن في تاريخ اليمن

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

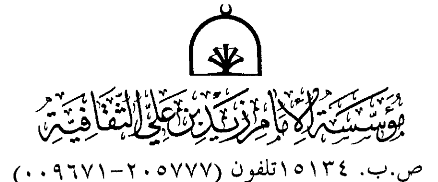
تم الصف والإخراج بمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

إخراج: حفظ الله أحمد أحمد عقيل

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية لعام ٢٠٠٧م

(٥١١)





ص.ب. ١٥١٣٤تلفون (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧٧)

فاكس (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية

Website: www. Izbac f.org ; email :info @izbacf. org

الأوضاع السياسية في اليمن

في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي

١٠٥٤ - ١٠٩٩هـ / ١٦٤٤ - ١٦٨٨م

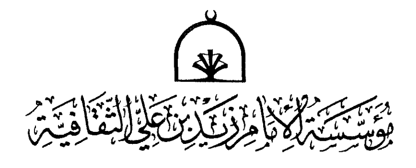
مع تحقيق

بهجة الزمن في تاريخ اليمن

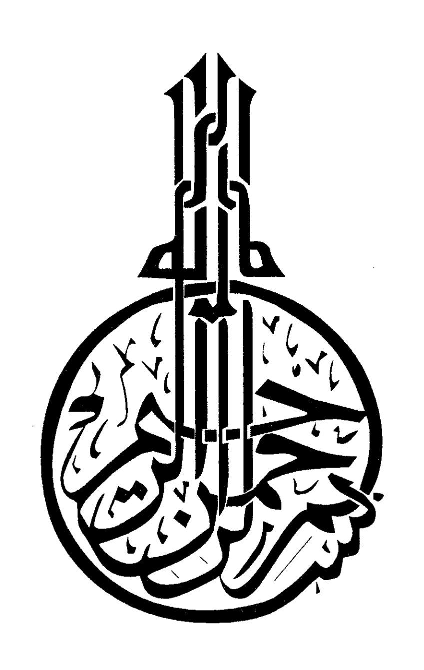
للمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد

د. أمة الغفور عبد الرحمن علي الأمير

المجلد الأول



مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية


بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

إلى: من أحسن تربيتي وتعليمي............

والدي طيب الله ثراه

إلى: من بذلت حياتها من أجل أولادها........

والدتي رحمها الله

إلى: من شاركوني هذا العمل بقلوبهم ومشاعرهم.......

إخوتي وأخواتي الأعزاء

إلى: من عمل على إخراج هذا العمل.......

زوجيَ العزيز الدكتور أحمد المنصور

إلى: زهرات حياتي أبنائي................

عبد الرحمن، وعلي، وعلياء

كلمة الناشر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين

وبعد:

فإن مؤسسة الإمام زيد بن علي (ع) الثقافية التي حملت على عاتقها خدمة الفكر والتراث قد أولت اهتماماً خاصاً بتحقيق ونشر كتب التراث الإسلامي في اليمن، وأفردت للمؤلفات التاريخية التي أُهملت، ولم تجد طريقها إلى النشر جانباً من هذا الاهتمام، وتبنت تحقيق وطباعة مجموعة من أهم المصادر في التاريخ العام وكتب السير والتراجم منها:

- مآثر الأبرار في تفصيل مجملات الأخبار، تأليف المؤرخ محمد بن علي بن يونس الزحيف (صدر في ثلاثة مجلدات).
- طبقات الزيدية الكبرى القسم الثالث، تأليف السيد إبراهيم بن القاسم، (صدر في ثلاثة مجلدات).
- مطلع الأقمار في تراجم علماء ذمار، تأليف الحسن بن الحسين بن حيدره بن إسماعيل القاسمي الحسني الطالبي (صدر في مجلد).
- سلسلة من سير أئمة آل البيت الزيديةتأليف الشهيد يحيى بن محمد بن محمد المؤيدي وصدرت في مجموعة كتيبات.
- موسوعة العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي (اللآلئ

المضيئة في تاريخ أئمة الزيدية ومن عاصرهم من سائر البرية)، التي شارفت على الانتهاء من التحقيق والإعداد للطبع فيما يقارب ثمانية مجلدات.

- مجموعة المؤرخ المطهر الجرموزي (النبذة المشيرة في جمل من عيون السيرة -سيرة الإمام القاسم بن محمد عليه السلام)، والتي تصدر مع هذا الكتاب بتحقيق د/ عبد الحكيم الهجري -قسم التاريخ -جامعة صنعاء ، و(الجوهرة المنيرة في سيرة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم)، كذلك بتحقيق د / أمة الملك الثور -قسم التاريخ -جامعة صنعاء، ثم (تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار) سيرة المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بتحقيق د/ عبدالحكيم الهجري، وقد صدر في مجلدين، وهنالك غيرها من كتب السير والتراجم تحت التحقيق والطبع.

وهذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ الكريم(بهجة الزمن في تاريخ اليمن) للسيد العلامة المؤرخ الكبير يحيى بن الحسين بن القاسم المتوفى سنة١٠٩٩ه/ ١٦٨٨م، وهو من أهم الكتب التي أكملت مجموعة المؤرخ الجرموزي لهذه الفترة، وغطت أحداث النصف الثاني من القرن الحادي عشر (١٠٤٥ – ١٠٩٩هـ)، وقد جعله المؤلف تكملة لكتابه (أنباء الزمن)، وتوسع في هذه التكملة، فسرد الوقائع التفصيلية لأحداث عصره، وسجل في كتابه هذا ما لم يسجله غيره، فأصبح مرجعاً ومصدراً وأساساً لمن أرخ هذا العصر من بعده، فكان السابق المجلي في هذا المضمار، وقد أولته الباحثة القديرة د / أمة الغفور الأمير عنايتها، وحققته على مسودته الوحيدة كمشروع رسالة الماجستير في قسمه الأول، ورسالة الدكتوراه للجزأين الثاني والثالث، وكانت حريصة على إخراج الكتاب كما أراده مؤلفه، وحرصت على الأمانة في النقل والإشارة إلى كل شاردة وواردة طرأت على المسودة الوحيدة.

وقد وجدنا من الأهمية القصوى في هذه العجالة تسجيل بعض الملاحظات التي لا بد منها، ليفهم أو يتفهم القارئ الكريم بعض ما ورد في ثنايا هذا الكتاب من روايات وآراء وأفكار قد تلتبس عليه حول بعض القضايا المتعلقة بالمذهب الزيدي وأصوله، وحول بعض الوقائع التي سردها المؤلف اعتماداً على روايات ربما لم يتأكد من صحتها وسجلها كمسلمات وحقائق، تعبر عن وجهة نظره عن بعض الشخصيات التي عاصرها واختلف معها في الرأي، أو بعض المذاهب التي وقف منها موقف غير راضٍ عنها، ربما اعتمد في أحكامه على ناقل غير أمين أو متحامل غير مستند على علم واطلاع مكين، وقد أشارت الباحثة ونبهت في دراستها إلى بعض ذلك، وأردنا هنا أن ننوه باختصار وإيجاز إلى أمور منها:

أولا: مخطوطة الكتاب هي المخطوطة الوحيدة الموجودة، وهي مسودة المؤلف بقلمه عدا بعض الأوراق في الجزء الثاني والثالث كتبت بخط مختلف تقول الباحثة: (وكان المؤلف قد كلف أحد المعاصرين بكتابتها أو نقلها إلى مخطوطته)، وأن المؤلف كان يشطب بعض ما يكتب من أحداث، وفي حالات نادرة كان الشطب بخط مختلف، وفي أحيان لا يكتفي الفاعل بالشطب أو المحو، بل يضع الحبر أو الماء عليه حتى لا يتضح شيءٌ مما كتب، وذهبت الباحثة إلى أن بعض الشطب متعمد وبعضه كأنه شطب لا معنى له يتعلق بأحداث تاريخيه عادية.

ثانياً: المؤلف هو أحد أعلام المؤرخين في اليمن (انظر مؤلفاته التاريخية في دراسة الباحثة) وأحد أعلام علماء الزيدية المجتهدين، لكنه خالف جمهور علماء الزيدية في بعض الآراء والقضايا والمسائل والاجتهادات.

ورغم إشارة الباحثة إلى موضوعيته ودقته في نقد بعض علماء عصره، إلا أنا نخالفها الرأي في بعض ما استشهدت به على موضوعيته في نقده لمعاصريه، ففي بعض ما أورده الكثير من التحامل والتجني يتضح ذلك في نقده لبعض الشخصيات، كالحافظ أحمد بن سعد الدين المسوري، وعشرات ممن ترجم لهم، وكما تقول الباحثة:

(قد نتفق أو نختلف مع يحيى بن الحسين فيما ينتقده إلا أن ما أعجبنا في انتقاداته وشخصيته أنها تعبر عن وجهة نظره صراحة وتؤكد انه ابن عصره).

فالمؤرخ يحيى بن الحسين الذي سجل سلبيات وإيجابيات معاصريه من وجهة نظره وأورد من النقد لأفراد أسرته وحكام عصره، ما يشهد على عظمة هذا العصر والحرية الواسعة التي كانت سائدة فيه وسعة صدور الحكام الذين نقدهم وراسلهم وراجعهم في كثير من القضايا، وسجل نقده ورسائله وردودهم عليه، وسجل نقده، ورسائله، وردودهم عليه، وهذا ما يجده قارئ الكتاب جلياً، ويطلع عليه المنصف المتجرد لا الباحث عن السلبيات والسلبيات وحدها.

وكما أن المؤلف خالف جمهور علماء الزيدية في كثير المسائل ومال بشكل واضح عن أصول مذهبه فيها، وهاجم بعض من خالفه الرأي، إلا أن ذلك لم يكف البعض ويقنعهم تقول الباحثة في دراستها: (وعلى الرغم أن ثمة من يقول: إن مذهبه الزيدي قد دفعه إلى محاباة الزيدية في كثير من المواضيع)-العبارة للدكتور أيمن فؤاد السيد- تكمل الباحثة قائلة: (غير أنه من خلال ما وقفنا عليه من كتب ليحيى بن الحسين لم نجد ما يؤكد هذا القول فكان كثيراً ما ينتقدهم، ويدعو إلى نبذ التعصب، ويطلق على المتعصبين من الزيدية بـ (رفضة الزيدية)، مشيراً بذلك إلى الفرق المتعصبة، فلم يحاب أحداً من رجال الزيدية وإنما كان أكثر مؤرخي عصره موضوعية)انتهى.

ونقول: لقد كان ميل يحيى بن الحسين عن مذهبه واضحاً وكان سنياً أكثر من كونه زيدياً، وبالتالي لم يهتم علماء الزيدية بمؤلفاته في غير التاريخ والتراجم، وبقيت في معظمها مسودات بقلمه، أما الباحثة فتسرد إهمال المؤرخين لترجمته قائلة: (ولعل ذلك يعود إلى ما ذهب إليه الشوكاني وهو «ميله إلى العمل مما في أمهات الحديث ورده على من خالف النصوص الصريحة».

وفي كلام الشوكاني من التصريح ما فيه وقد أوردناه في هذه العجالة للتنبيه فقط، وكي لا تؤخذ آرائه وأحكامه واجتهاداته في بعض القضايا الأصولية والفروعية ونظرته إلى الزيدية على أنها آراء جماهير علماء الزيدية ومذهبها، مع التأكيد على أن

المؤرخ يحيى بن الحسين اعتمد في بعض ما أورده على أسانيد وروايات ضعيفة لا يغني عن الحق والصواب أوردها كمسلمات وحكم على بعضهم بموجبها .

أما في الشعر فقد حاول نظمه فما أفلح ولا أجاد، يظهر ذلك من بعض أبياته التي أوردها في ترجمة (أحمد الآنسي).

هذا بعض يسير مما أردنا التنبيه عليه وفي دراسة المؤلفة، وفي نص الكتاب ما يغني الباحث المتجرد، ويظهر الحقيقة للدارس المنصف، وفي نشر الكتاب ما يخدم الحقائق ويظهرها ويعرف بالعصر والمؤلف ومنهجه، ويبعد الباحثين عن السلبيات فقط عن التجني والتشويه.

يكفي أن يظهر الكتاب إلى النور ليأخذ مكانه مصدراً هاماً من مصادر التاريخ اليمني، فجزا الله المؤلف عن أمته وتأريخها وتراثها الذي خدمه واهتم به خير الجزاء، وكل التقدير والعرفان للمحققة الأمينة والباحثة القديرة الدكتورة/ أمة الغفور صاحبة الجهد المشكور.

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

تقديم

تمنيت كثيراً أن أزور اليمن للنهل من مخطوطاتها ومن تراثها الضخم، ذلك أثناء إعدادي لرسالة الدكتوراة في مصر، لكن دار الكتب المصرية كانت تشدني إليها شداً لاحتوائها على الكثير من المخطوطات التي تخص تاريخ اليمن، وعندما انتهيت من إعداد هذه الرسالة في عام ١٩٦٨م وشُغلت بالتدريس في كلية الآداب بجامعة عين شمس، فوجئت بإعارتي للتدريس بجامعة صنعاء الفتية، وقد سعدت وفرحت حينئذٍ بهذه الإعارة؛ لأني سأعرف من مخطوطاتها ومن تراثها ما أشتهي.

ولم يكن بين محتويات دار الكتب المصرية سوى مخطوطة أنباء الزمن في تاريخ اليمن لمؤلفها يحيى بن الحسين بن القاسم فأخذت منه ما روى عطشي لإغناء رسالتي للدكتوراة، وعندما وصلت إلى اليمن، وفتحت جامعة صنعاء أبوابها للدراسات العليا، فوجئت بان تلميذتي النجيبة الدكتورة أمة الغفور عبد الرحمن الأمير تتحدث عن مخطوطة أخرى لنفس المؤلف وتخبرني بأنه الكتاب الوافي عن تاريخ اليمن، وأنه يختلف عن (أنباء الزمن) الذي استعرض فيه مؤلفه تاريخ اليمن منذ الهجرة النبوية، وقد سعدت بهذا الخبر، وطلبت منها أن تحدثني عن طبيعة هذه المخطوطة وماهي محتوياتها، والفترة التي تناولتها وهكذا.

وكان في حديثها إعجاب بالمخطوطة وبمؤلفها، لكن في عينيها خوف وجزع لما ستحتاجه هذه المخطوطة من جهد ومشاق عند تحقيقها، وخاصة أنها تقع في ثلاثة أجزاء، وأن قراءتها صعبة لرداءة الخط وقلة تنقيط كلماتها مما يزيد من صعوبة القراءة، وأن بها حواشي كثيرة فضلاً عن التشطيبات المتعددة، مما جعلها ترى أن المخطوطة تكاد تكون مسودة للمؤلف وليست الكتابة الأخيرة لها.

غير أني شعرت بإصرار أمة الغفور الأمير على دخول هذه المعمعة، والقيام بتحقيق هذه المخوطة الضخمة رغم كل الصعاب التي تحيط هذا التحقيق، فالمخطوطة تغطي فترة طويلة من تاريخ اليمن الحديث، تمتد أكثر من نصف قرن بقليل، وهي الفترة التي تلي خروج العثمانيين من اليمن عام ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م، وإزاء هذا الإصرار، وما كنت ألمسه في الطالبة من جدية وتقدم مستمر أثناء تدريسها في مرحلة الليسانس، وافقت على إقدامها على تحقيق مخطوطة: «بهجة الزمن في تاريخ اليمن» لمؤلفها يحيى بن الحسين بن القاسم.

وشدت الباحثة أمة الغفور إعجابي الشديد بدقتها ومثابرتها على العمل، فقد كانت تفاجئني بكثرة المصادر والمراجع التي تسعى وراءها لإعداد التحقيق، وتبهرني بكشفها لأدق التفاصيل التي تحتويها المخطوطة، حتى يسهل على القارئ المعاصر الاطلاع على صفحاتها دون ملل أو ضجر، ولا غرابة في ذلك فهي تعتبر من أحفاد العلامة والشاعر الأديب المعروف والمصلح الاجتماعي محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، وهكذا أكملت الباحثة تحقيقها لتلك المخطوطة الكبيرة التي غطت فترة زمنية طويلة من تاريخ اليمن الحديث، والتي نالت بهذا الجهد الضخم درجتي الماجستير والدكتوراة على التوالي.

ولا شك أن جامعة صنعاء قد ضمت إلى هيئة تدريسها عنصراً ممتازاً جديداً، علماً وخلقاً وإدراكاً لمهمة أعضاء هيئة التدريس الجامعي، ودوره الفعال في خدمة المجتمع اليمني.

والله الموفق

جمادى الثانية ١٤٢٥هـ يوليو ٢٠٠٤م.

أ. د. سيد مصطفى سالم

قسم التاريخ- كلية الآداب

جامعة صنعاء

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد.

بمجرد انتهائي من دراستي الأولى (الماجستير) والذي كان موضوعها دراسة وتحقيق الجزء الأول من مخطوطة بهجة الزمن في تاريخ اليمن ليحيى بن الحسين ابن القاسم، ونظراً للزخم الجم الذي احتواه الجزء الأول لمخطوطة بهجة الزمن وجدت أن من واجبي العلمي استكمال دراسة وتحقيق الجزأين الثاني والثالث من تلك المخطوطة، خاصة أني وجدت أن ما في الجزء الثاني والثالث للمخطوطة من غزارة المعلومات التاريخية بمختلف جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بما في ذلك الظواهر الطبيعية والفلكية عن تلك الفترة التاريخية التي ما زالت مجهولة لندرة المصادر عنها حتى الآن، الأمر الذي دفعني ببذل المزيد من الجهود للتمكن من إخراجها إلى حيز الوجود.

وبعد فإنه من خلال بحثي عن المصادر الخاصة بهذه الفترة وجدت أن المؤرخ الذي كان معاصراً ليحيى بن الحسين وهو المطهر بن محمد الجرموزي والذي أفرد مؤلفاً خاصاً بسيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم قد توقف قلمه عند سنة ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م، أي قبل وفاته بثلاث سنوات، بينما استمر قلم المؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم في تقصي الحقائق التاريخية وتدوينها في مخطوطته بهجة الزمن بأجزائها الثلاثة.

ومنذ وفاة المؤرخ الجرموزي وحتى بداية عهد صاحب المواهب الإمام محمد بن

أحمد بن الحسن كان المؤرخُ يحيى بن الحسين هو المؤرخَ الوحيدَ الذي دوَّنَ أحداثَ تلك الفترة الهامة بكل جوانبها، وبالتالي أصبح مؤلفُهُ (بهجة الزمن) بأجزائه الثلاثةِ مصدراً رئيسياً لمعظم إن لم نقل جميع الأحداث والمعلومات التاريخية التي دونها مؤرخون لاحقون له في مؤلفاتهم.

ولم يترك لمن جاء بعده من هؤلاء المؤرخين سوى الحذف أو الاختصار مما دونه هو. ولعل أهمهم المؤرخُ والأديبُ عبدُ الله بن علي الوزير (١٠٧٤ـــ ١١٤٤هـ) في كتابه طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، والمؤرخ محسن بن الحسن أبو طالب (١١٠٣ــ١١٧٠هـ) في مؤلفاته التاريخية المتعددة والتي منها: طيب أهل الكساء، والشذور العسجدية في الخلافة المهدوية الأحمدية، وغيرهم من المؤرخين.

وقد زاد إدراكي بأهمية مخطوطة (بهجة الزمن) بعد انتهائي من دراسة وتحقيق الجزء الأول.

حيث زاد الطلب على هذا الجزء من قبل العديد من الباحثين وطلاب الدراسات العليا والمهتمين بالتاريخ سواءً في قسم التاريخ أو قسم الآثار في جامعة صنعاء أو جامعات أخرى خارج اليمن.

ولذلك آليت على نفسي تكريس كل جهدي لإخراج الجزأين الثاني والثالث إلى حيز الوجود ليكونا في متناول الباحثين والمهتمين بالتاريخ، متجاوزة في سبيل ذلك مختلف الصعوبات التي واجهتني كباحثة ابتداءً من قراءة نص المخطوطة، الذي هو عبارة عن مسودة بخط المؤلف بما يحمله من شطب وإصلاحات لمعظم أوراق هذه المخطوطة، بالإضافة إلى الحواشي الكثيرة المتعلقة بالنص والتي كان لابد من إدخالها في متن النص حسب إشارات المؤرخ نفسه، وانتهاءً بتنوع وغزارة معلومات المخطوطة، التي جعلتني أكثف البحث والتقصي لاستخراج شروح وتعريفات مختصرة لمختلف تلك المعلومات، والتي اشتملت على أعلام ومناطق جغرافية وألفاظ ومصطلحات،

والكثير من الكتب المتنوعة في مختلف العلوم والفنون، ومذاهب وطوائف دينية، وعلماء من مختلف أقطار العالم الإسلامي.

ومما جعل البحث أكثر صعوبة أن المؤرخ في معظم الأحيان افترض إلمامَ المطلع على مخطوطته بتفاصيل مختلف المعلومات التي دونها، فكان غالباً ما يذكر اسمَ الكتاب مختصراً، وكذلك أسماء العلماء اقتصر على ذكر أسماء شهرة كلٍ منهم، وبالمثل فيما يخص الأعلام والشخصيات حيث اكتفى غالباً بذكر الاسمِ الأول والثاني فقط.

إنَّ الكمَّ الكبيرَ لمختلفِ تلك المعلومات التي تحتاج لشرح وتفسير جعلتني أغوص في بطون العديد من الكتب والمراجع لأتمكن من توضيح وتفسير الكثير من مبهمات عصر تدوين هذه المخطوطة.

وتتألف المخطوطة من ثلاثة أجزاء هي:

الجزء الأول: يتناول أحداث الفترة (١٠٤٦ــ١٠٨٠هـ/ ١٦٣٦-١٦٦٩م).

الجزء الثاني: تناول أحداث الفترة (١٠٨١ــ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٠-١٦٧٩م).

الجزء الثالث: تناول أحداث الفترة (١٠٩١-١٠٩٩هـ/ ١٦٨٠-١٦٨٨م).

وبالإضافة إلى أهمية الفترة الزمنية التي تناولتها هذه المخطوطةُ وما ورد فيها من معلومات هامة في مختلف الجوانب فإن الأهميةَ الأُخرى لها تكمنُ في أنَّ مؤلفَهَا هو العالم المجتهدُ، المتحررُ، الموسوعي، يحيى بن الحسين بن القاسم، الذي صنف في معظم علوم عصره، حيث ربت مؤلفاته على مائة مصنف، أغنى بها المكتبة اليمنية والتراث اليمني، وهو العالم الذي اهتم كثيراً بالتاريخ، وصنف فيه كتباً هامة، كانت من أهم المصادر التاريخية لمن جاء بعده من المؤرخين. فقد وهب نفسه للعلم وتفرغ له، رافضاً العديد من المناصب السياسية التي عُرضت عليه، فتجسدت الموضوعية في كل ما كتب وألف لأحداث عصره، فلم يكن منحازاً أو متحيزاً، ولم يكن من كُتاب أو

مؤرخي السلطة كما هو عليه معظم المؤرخين، الأمر الذي أكسب مؤلفاته التاريخية أهمية كبيرة، خاصة أنه من أبناء الأسرة الحاكمة (آل القاسم) فقد أكد موضوعيته وعدم انحيازه ما أورده من سلبيات وإيجابيات ذلك العصر متحرياً الدقة في ذلك ما استطاع إليه سبيلا.

ونظراً للأهمية البالغة للفترة التي أرخ لها يحيى بن الحسين فلم أكتف بإخراج هذه المخطوطة إلى حيز الوجود وحسب، بل قمت بإجراء دراسة تحليلية لهذه الفترة التي تعتبر من أهم فترات تاريخ اليمن الحديث، والتي تمثل فترة الاستقرار السياسي والازدهار الفكري وتوسع حدود الدولة في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، ثم ما تلاه من أحداث سياسية هامة وسريعة بدءاً بما حدث من صراع على الإمامة بعد وفاته وانتهاءً بفترة صاحب المواهب الإمام محمد بن أحمد بن الحسن، وعلى وجه الخصوص السنوات الثلاث الأولى من إمامته.

كما لوحظ خلال هذه الفترة من تاريخ اليمن الحديث ظهور تطور ملحوظ لمراكز القوى، مما كان له الأثر الكبير في الأوضاع السياسية، خاصة بعد انعدام ما عرف بالاستقرار السياسي الذي كان واضحاً في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم.

ونتيجةً لما سبق ذكره كان لابد من إجراء دراسة تاريخية لكشف واستخلاص حقائقِ هذه الفترة، لما ستقدمه هذه الدراسةُ من موضوع هام يخدمُ الفكرَ اليمنيَّ خاصةً والعربيَّ بشكلٍ عام، إضافة لأنها سوف تزيحُ الغموضَ عن فترة أساسيةٍ من تاريخ اليمن هي فترةُ الاستقلال عن الحكم العثماني الأول، وتلقي الضوءَ على السعي الدائم لتوحيد اليمن أرضاً وشعباً عبر تاريخ اليمن الطويل، الأمر الذي أَكَّدَ لي ضرورةَ دراسة ذلك العصر دراسةً موضوعيةً، بالإضافة إلى إبراز نموذج من أهم مخطوطات ذلك العصر.

ولم أكتف بما ورد في مخطوطة بهجة الزمن من معلومات على الرغم من أهميتها، بل اعتمدت على الكثير من المخطوطات التي تناولت هذه الفترة، سواءً المؤرخ الجرموزي أم غيره من المؤرخين اللاحقين مثل: أبو طالب وابن عامر والمهلا والحبسي، وغيرهم من المؤرخين المذكورين في هوامش موضوع الدراسة.

هذا وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة أن يكون تقسيمها المنهجي قسمين رئيسيين هما:

القسم الأول: يحتوي على التمهيد وثلاثة فصول رئيسية هي:

١- **التمهيد**: وصول الإمام المتوكل إسماعيل إلى الإمامة .

ويتناول الدور السياسي للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم قبل توليه الإمامة ، ثم وصوله إلى الإمامة وتوضيح من دعوا لأنفسهم بالإمامة بعد وفاة الإمام المؤيد محمد بن القاسم وتبيان موقف الإمام المتوكل إسماعيل منهم.

٢- **الفصل الأول**: سياسة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم منذ توليه الإمامة وحتى وفاته (١٠٥٤ــ١٠٨٧هـ/ ١٦٤٤ــ١٦٧٦م) حيث تناول هذا الفصل توسع حدود الدولة القاسمية، والجهود التي بذلتها الدولة في هذه الفترة لبسط سلطتها على اليمن الموحد، وتناول مختلف الجهود التي بذلت ليعم الأمن والاستقرار في ربوع الدولة خلال فترة حكم الإمام المتوكل، ثم تناول الصعوبات التي واجهها الإمام في نهاية حكمه وعلى وجه الخصوص السبع السنوات الأخيرة.

وتم اختتام الفصل الأول بالسياسة الإدارية للإمام المتوكل على الله إسماعيل وبحسب ما أسعفتنا به المصادر المتاحة المعاصرة لفترة الدراسة أو اللاحقة لها والتي كان أهمها جميعاً مخطوطة (بهجة الزمن).

٣- **الفصل الثاني**: يتناول سياسة أبناء الجيل الثاني (أحفاد الإمام القاسم بن محمد (١٠٨٧ - ١٠٩٩هـ/ ١٦٧٦ـ١٦٨٨م) حيث تناول هذا الفصل ثلاثة أئمة تولوا بعد الإمام المتوكل على الله إسماعيل كان أولهم الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم، وتوضيح دوره السياسي قبل توليه الإمامة ثم مرحلة وصوله إلى الإمامة وموقفه من المعارضين له ومن ثم جهوده في محاولة فرض هيبة الدولة حتى وفاته.

أما الثاني فهو الإمام المؤيد محمد بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل، حيث تم توضيح مبايعته بالإمامة، وموقف مراكز القوى منه، وكيف استغلت شخصية الإمام المؤيد المسالمة، وأصبحت أكثر قوة ونفوذاً من الإمام نفسه، ومن ثم توضيح كيف دب الخلل، الأمر الذي أدى إلى تمرد بعض المناطق الشرقية والتي من أهمها يافع، ومحاولة خروجها عن سيطرة الدولة القاسمية، وتوضيح موقف الدولة من ذلك التمرد. وهل كانت الظروف مواتية للقضاء على مثل هذه التمردات أم لا؟

أما الإمام الثالث فهو الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن المعروف ب)صاحب المواهب) حيث تم تناول دوره السياسي البارز قبل توليه الإمامة وكيف تمكن من الوصول إلى الإمامة، ثم تحديد موقف مراكز القوى من أبناء الأسرة القاسمية من إمامته، وتوضيح أسباب وأهم نتائج الصراع الذي دار بينه وبين بقية أبناء الأسرة .

٤- **الفصل الثالث**: اشتمل على قسمين:

القسم الأول: دراسة خاصة بالمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم ومخطوطته بهجة الزمن في تاريخ اليمن، حيث تناول عدداً من العناوين هي:

أ- ترجمة المؤرخ يحيى بن الحسين تناولت نشأتَهُ وشيوخَهُ وتفرغَهُ للعلمِ والتأليف واهتمامَهُ بالتاريخ وموقف المؤرخين منه ووفاته .

ب- وصف المخطوطة، وكل ما يتعلق بالجانب الشكلي فيها.

ج- أهمية المخطوطة من حيث فترتها الزمنية ومعاصرةُ المؤرخ لأحداثها وموضوعيته ودقّتُهُ وأمانتُه.

د- المواضيع التي اهتم بها المؤرخ في المخطوطة سواءً كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو علمية أو أدبية أو ظواهر طبيعية وفلكية، وأخيراً أخبار أقطار العالم العربي والإسلامي.

هـ- المنهج الذي اتبعه المؤرخ خلال تدوينه لمختلف الأحداث فيها.

و- المنهج الذي اتبعته الباحثة خلال التحقيق .

القسم الثاني: التحقيق المنهجي

وهو تحقيق لمخطوطة (بهجة الزمن في تاريخ اليمن) وقد حاولت اتباع المنهج العلمي والقواعد العلمية المتبعة في التحقيق للنصوص من حيث إثبات النص كما أورده مؤلفه، ووضع علامات الترقيم والأقواس اللازمة والهوامش الموضحة لما يلزم توضيحه، وغير ذلك مما سيتضح خلال التحقيق لكي يتم إخراج النص كاملاً وواضحاً قدر المستطاع.

وبعد:

أتمنى أن أكون قد لامست ما تستحقه هذه الفترة من إبراز حقائقها، من خلال الدراسة الموضوعية.

كما أرجو أني قد وفقت في إخراج المخطوطة إخراجاً يوفيها حقها من الأهمية.

وإذا ما كان هناك أي تقصير فلابد أن يكون غير مقصود طالما والإنسان يسعى في البحث والتقصي عن حقائق التاريخ كل السبل. وأظنني قد بذلت من الجهد ما يشفع لي عن أي تقصير .

وفي النهاية أجد أن خير ثناء يمكن أن أسديه لأحد فهو لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور/ سيد مصطفى سالم، والذي أكن له كل تقدير وعرفان، فإليه بعد الله سبحانه وتعالى يعود الفضل في إخراج هذه الرسالة، فقد منحني الكثير من جهده ووقته منذ تسجيل هذه الرسالة، فكان المرشد والموجه فنهلت من فيض علمه الغزير الكثير الكثير، وكانت مكتبته الخاصة مفتوحة على مصراعيها، فكان له أثر عظيم على حياتي العلمية منذ بدأتها في دراستي الأولى، ومهما قدمت له من شكر فلن أستطيع أن أوفيه حقه، فقد كان نعم الأستاذ والأب الحنون، الذي حباني بعطفه وتشجيعه وحسن ملاحظاته، فجزاه الله عني وعن طلاب الدراسات العليا خير الجزاء.

كما أسدي الشكر والعرفان إلى أستاذي الدكتور/ عبد الرحمن شجاع الذي زودني بتوجيهاته العلمية بصدر رحب صبوراً متغاضياً عن أي تقصير، إدراكاً منه بأهمية وحجم العمل الذي أقوم به.

كما أتوجه بعميق الشكر والثناء لأخي وشقيقي موسوعة العلوم يحيى عبد الرحمن الأمير، الذي ساعدني وأمدني بكل ما يستطيع من معلومات ومؤلفات في مختلف المجالات.

وعرفاناً بالجميل فلا بد أن أتوجه بعميق شكري وامتناني لشريك حياتي الدكتور/ أحمد علي المنصور، الذي كان له أيضاً الفضل بعد الله في إكمال هذه الرسالة فكان نعم المعين والمرشد بكل ما يستطيع، وصبر وتحمل وذلل كل الصعاب التي واجهتني خلال عملية البحث.

ولا بد أن أشكر أختي وصديقتي الأستاذة / أمة الملك إسماعيل الثور والتي مهما وصفت نبلها وعطاءها وأخلاقها العالية فلن أتمكن من إيفائها حقها، فقد كانت عوناً وسنداً لي منذ تعييني في جامعة صنعاء وحتى هذه اللحظة فجزاها الله عني خير الجزاء.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر لمؤسسة الإمام زيد بن علي بجميع كوادرها، فقد

قاموا جميعاً ببذل جهود كبيرة في سبيل طباعة وإخراج هذه الرسالة.

وأخيراً لابد أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور صالح باصرة رئيس الجامعة، الذي رغم انشغاله حاول توفير الوقت لقراءة هذه الرسالة لإثرائها، فبذل جهداً وخسر وقتاً، فجزاه الله خير الجزاء.

كما أتوجه بعميق شكري إلى الأستاذ الدكتور عبد الشافي الصديق الذي بذل جهداً وتحمل عناء القراءة، ثم تجشم عناء السفر للمناقشة وإبداء الملاحظات القيمة والتي سيكون لها أثر في إثراء هذه الرسالة، فجزاه الله خير الجزاء.

كما أود في الأخير أن أشكر كل من قدم لي مساعدة أو أبدى لي ملاحظة ما أو أسدى لي نصيحة أو ساندني بكلمة تشجيع.

والله من وراء القصد

تمهيد:

وصول الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم إلى الإمامة

لعلنا نستطيع القول بأن اليمن في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم قد دخلت مرحلة جديدة من مراحل التاريخ، حيث ورث دولة مستقلة بعد أخيه الإمام المؤيد محمد بن القاسم، بلغت قمة قوتها وازدهارها في عهده.

ومما لا شك فيه أن قوة الدولة في عهد الإمام المتوكل، وعدم وجود قوة منافسة قد هيأ الفرصة لإيجاد نوع من الهدوء والاستقرار السياسي، الذي كان عاملاً مساعداً على الازدهار الاقتصادي من جانب، والازدهار الفكري من جانب آخر. كما كان عاملاً مساعداً-كما يرى بعض المؤرخين-على ازدهار الحياة العلمية في اليمن في تلك الفترة[1].

وقبل أن نتناول سياسة الإمام المتوكل على الله إسماعيل والدولة القاسمية في عهده، ودور أبناء الأسرة وغيرهم من مركز القوى في دعم هذه الدولة، لا بد من الإجابة على بعض التساؤلات لعل أهمها:

أولاً: ما هو الدور السياسي الذي لعبه إسماعيل بن القاسم في عهد أخيه الإمام المؤيد؟

ثانياً: هل كان من مراكز القوى الهامة والمؤثرة في دولة أخيه الإمام المؤيد؟

ثالثاً: كيف وصل إلى الإمامة؟ وما هي العوامل التي ساعدته على الوصول إليها؟

وسنحاول أن نجيب على هذه التساؤلات بقدر المستطاع فيما سيأتي:

(١) د. حسين العمري: المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث، ص٤١.

ولـد الإمـام المتوكـل عـلى الله إسـماعيل بـن القاسـم في منتـصف شـهر شـعبان سنة (١٠١٩هـ/ [١] ١٦١٠م)، أي أنه شهد جزءاً من حروب والـده الإمـام القاسـم مـع العثمانيين، على الرغم من صغر سنه، حيث نشأ بشهارة في كنف والده وتحت رعايته في العشر السنوات الأولى من عمره.

وبعد وفاة والده استمر بقاؤه في شهارة، ونشأ بها، وتلقـى العلـم عـلى أيـدي أبـرز علماء عصره من فقه وبلاغة وسائر العلوم الدينية واللغوية، وفاق علماء عصره، خاصة في علم الفقه[٢].

وله مؤلفات عدة، منها: (العقيدة الصحيحة والدين النصيحة) و(البيـان الـصريح والبرهان الصحيح في مسألة التحسين والتقبيح) و(تفتـيح أبـصار القـضاة إلى المـسائل المرتضاة).. وغيرها[٣].

وعلى الرغم من أن عمره عند خروج العثمانيين من اليمن كان حوالي ستاً وعـشرين عاماً، إلاَّ أن المصادر التي بين أيدينا لا تشير إلى أن إسماعيل بن القاسـم قـد شـارك في حروب آل القاسم ضد العثمانيين، بينما نجد إخوته الآخرون شاركوا في ذلك، رغـم أن بعضهم كان أصغر منه سناً، منهم على سبيل المثال يحيى بن القاسم، الذي توفي وهـو لم يتجاوز العشرين عاماً في (١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م)، حيث أصابه مـرض الحمـى في زبيـد، خلال اشتراكه في الحرب ضد العثمانيين، وحصار تلك المدينة[٤]. ولا تفـصح المـصادر التي بين أيدينا عن أسباب عدم المشاركة في تلك الحروب. ولعلـه في هـذه الفـترة كـان متفرغاً للعلم والقراءة في شهارة، التي كانت مقر والده الإمام القاسم.

وقد استقر إسماعيل بـن القاسـم في شـهارة حتـى (١٠٤٧هـ/ ١٦٣٧م)، أي بعـد الاستقلال بحوالي ثلاث سنوات. وفي هذه السنة اتجه إلى أخيه الحسن بن القاسم وهو

(١) يحيى بن علي الحبسي: تتمة الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، مخطوط،ق ١١٦ب، محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جـ١، ص١٤٦.

(٢) الشوكاني: نفس المصدر، جـ١، ص ١٤٧.

(٣) نفس المصدر، نفس الجزء والصفحة.

(٤) عيسى بن لطف الله: روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، مخطوط، جـ٣ق ١٣٢أ، أحمد محمد الشرفي: اللآلئ المضيئة الملتقطة من اللواحق الندية في أخبار الأئمة الزيدية، مخطوط، جـ٣،ق٦٤٠.

بصنعاء يشكو عدم الكفاية له ولمن معه من أصحابه من قبل أخيه الإمام المؤيد، فأعطاه الحسن عطاءً لم يخطر بباله، وزوجه بابنة زوجته في داره، واستمر بقاؤه في صنعاء حتى توفي الحسن بن القاسم، ثم عاد إلى شهارة[(١)]. وفي سنة (١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م)، اتجه إلى مدينة ضوران مركز ولاية أخيه الحسين بن القاسم، بناءً على طلب الأخير، لغرض إنابته في أعمال الولاية، نظراً لانشغاله بمناطق اليمن الأسفل.

وعلى الرغم من أن محمد بن الحسين كان ينوب عن والده الحسين في مدينة ضوران أثناء تنقله في المناطق، إلا أنه عندما انتقل إسماعيل إلى ضوران لحق محمد بن الحسين بوالده في مناطق اليمن الأسفل[(٢)]. وترك الأمر في ضوران لإسماعيل.

أما الإمام المؤيد فلم يكن قد منح أخاه إسماعيل منطقة يتولاها، لكنه كلَّفه بقبض الأموال في ذمار، وعين معه أميناً للمخازن، وكلفه أيضاً بالإشراف على بعض أمور أهل وصاب وذمار[(٣)].

وبقي إسماعيل في ضوران منذ أن كلفه أخوه الحسين بأن ينوب عنه بها، وإليه بلاد آنس وسائر تلك البلاد[(٤)] حتى سنة (١٠٥١هـ/ ١٦٤١م)، وهي السنة التي توفي فيها الحسين بن القاسم، حيث كلفه الإمام المؤيد مع أخيه عبد الله بن القاسم بمحاربة أحمد بن الحسن والقبض عليه[(٥)]. نظراً لتمرده على عمه الإمام المؤيد، كما سنرى في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

ولعلَّ إسماعيل كان يريد أن يثبت للإمام المؤيد قدرته على تنفيذ تلك المهمة بحنكة وسياسة متفوقة، فجدَّ في حرب أحمد بن الحسن أكثر من الآخرين، واتجه بمن معه من رتبة ضوران، وعسكر ببلاد آنس. وتمكن ومن معه من هزيمة أحمد بن الحسن في (نقيل

---

(١) يحيى بن الحسين: بهجة الزمن في تاريخ اليمن، جـ١، رسالة ماجستير، تحقيق: الباحثة، ق٧أ، وسأشير إلى المخطوطة في الهامش بكلمة «النص».

(٢) نفس المصدر، ق٣٠أ.

(٣) مطهر بن محمد الجرموزي: الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة، مخطوط، ق٣٢٦ب.

(٤) النص، ج١، ق٥٩أ، ق٥٩أ.

(٥) مطهر الجرموزي، نفس المصدر، ق٣١١أ.

الشيم) غير أن الأخير تمكن من الخلاص بنفسه حتى وصل إلى القرب من قعطبة.

وعلى ما يبدو أن الإمام المؤيد كان يريد مكافأة أخيه إسماعيل على تلك المهمة التي تكللت بالنجاح نوعاً ما، حيث أن أحمد بن الحسن قد خرج إلى عدن، ثم إلى يافع بعد أن نُهبت منه الأموال والخزينة التي كانت سبب الخلاف مع الإمام المؤيد، فأرسله الإمام متولياً لمدينة تعز في الجنوب، بدلاً من بقائه في ضوران، وهذا الاحتمال الأول.

أما الاحتمال الثاني: فهو أنه يريد أن يتخلص منه في ضوران ليعين عليها متولياً آخراً من قبله بعد وفاة أخيه الحسين.

ومهما يكن الأمر فقد اتجه إسماعيل إلى تعز راضياً أو مكرهاً، ومكث بها عامين، وقد استغل فترة بقائه في تعز، فاهتم بالعلم والقراءة، فقرأ (تيسير الديبع) في الحديث على يد الشيخ العارف محمد بن عبد العزيز الحبيشي المفتي الشافعي، كما قرأ (سنن البيهقي الكبرى)، وأجازه الحبيشي في الحديث[1].

ولعلَّ إسماعيل أثناء توليه لتعز استمر في المكاتبة لأخيه الإمام المؤيد يطلب منه الموافقة على أن يوليه ضوران وما إليها. يؤيد هذا الرأي ما ذكره المؤرخ يحيى بن الحسين، حيث أشار إلى أن الإمام المؤيد قد أذن لإسماعيل بالطلوع إلى ضوران[2]. ويتضح من كلمة (أذن) بأنه سبقها طلب وإلحاح من إسماعيل إلى أخيه الإمام. وقد تولى ضوران وريمة وعتمة سنة(١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م)، بعد موافقة الإمام المؤيد على أن يتولاها، بعد عامين قضاهما في تعز.

وفي ضوران ساعدته ظروف هذه المدينة على البروز والظهور، فقد ورث ما تركه إخوته الحسن ثم الحسين من مباني وقصور، وأصبحت له مكانة هامة في تلك الفترة القصيرة، فنجد يحيى بن الحسين يعلق على ذلك-ربما مستاءً- لأنه ورث ما تركه والده-بقوله: «والسكون في ذلك الإيوان، والدُور[3] التي قد بناها له الماضون من الإخوان. حالة مفرغة، ومائدة موضوعة، بغير تعب ولا نصب، ولا جهد فيها ولا

(١) النص، ج١، ق٦٦أ.

(٢) نفس المصدر: ،ونفس الورقة.

(٣) الدُور: في اللهجة اليمنية تعني القصور.

وصب. فطلع المذكور إلى ذلك المقر، ونهى فيه وأمر»[1].

وقد أصبحت ضوران مركزاً مرموقاً، التف فيه الأمراء من بيت القاسم، وعدد من العلماء والقادة والوجهاء[2].

ويبدو أن إسماعيل قد أدار ولاية ضوران بمقدرة وحنكة سياسية، مستفيداً من توليه لها، وإدارة شؤونها في فترة أخيه الحسين، فهي لم تكن ولاية جديدة بالنسبة له. وكان في تلك الفترة أيضاً قد تعرف على علمائها وفضلائها والبارزين فيها، الذين كان لهم دور في مبايعته عقب وفاة الإمام المؤيد، كما سنرى.

ولعلَّ هذا يؤيد بأن إسماعيل هو الذي ألح في الطلب من أخيه المؤيد على أن يتولى ضوران. وما يجعلنا نرجح ذلك أيضاً هو أنه ما أن استقر إسماعيل في ضوران منفرداً في ولايتها حتى أرسل إليه أخوه الإمام المؤيد قراراً بالعزل عنها وعن ريمة وعتمة[3] بعد حوالي عام من توليه لها.

وعلى الرغم من غضب إسماعيل من قرار العزل هذا، إلاَّ أنه كان أكثر تريثاً وتعقلاً من أحمد بن الحسن، فلم يخرج على الإمام؛ بل صرح بأنه لم يبق له متسع في البقاء في اليمن، وأنه يريد التوجه إلى مكة والسكون بها[4]. غير أن الظروف قد ساعدته مرة أخرى، فبعد قرار العزل هذا، وربما بعد مدة قصيرة من إرساله إلى إسماعيل توفي الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، يؤيد ذلك ما ذكره يحيى بن الحسين، حيث يقول: «فهو في هذا-أي في خلال استعداده للسفر إلى مكة-وجاء خبر وفاة المؤيد بالله»[5].

ولعلَّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا قرر الإمام المؤيد عزل أخيه إسماعيل بعد عام من تعيينه والياً على ضوران؟

---

(١) النص، ج١، ق ٦٦أ-٦٦ب.

(٢) د.حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ٣٨-٣٩.

(٣) النص، ج١، ق٦٧ب.

(٤) نفس المصدر، نفس الجزء، ق ٦٧ب.

(٥) نفس المصدر، نفس الجزء والورقة.

إذا سرنا بالأحداث قليلاً، وبالتحديد عند الخلاف الذي دار بين إسماعيل وأخيه أحمد على الإمامة، سنجد أن إسماعيل هو الذي تمكن من الوصول إلى هذا المنصب بسبب وعده لمن بايعه بالعطاء، وأنه سيمنحهم الولايات التي يريدونها، على العكس من أخيه أحمد الذي رفض أن يقر لأحد بعطاء. هذه النقطة تجعلنا نعتقد بأن إسماعيل ربما كان يصرف في ولايته هذه بنوع من البذخ والتبذير من وجهة نظر الإمام المؤيد، الذي كان حريصاً ودقيقاً على أن تصرف الأموال في مصارفها الصحيحة، وحسب الحاجة فقط. وإذا كان قد غض الطرف قليلاً عن الحسن بن القاسم وما أنفق من أموال في مناطق ولايته، فلأسباب كثيرة، لعل أهمها الدور القيادي البارز الذي لعبه في الاستقلال والبناء، فكان على يده فتح الكثير من المناطق، وسقوطها من أيدي العثمانيين الواحدة تلو الأخرى.

إذاً من أسباب عزل إسماعيل عن ولاية ضوران ربما كان مادياً، وربما كان يعد نفسه بأن تصبح له مكانة هامة، خاصة بعد وفاة إخوته الحسن والحسين، أو أنه يريد أن يصل إلى الإمامة بعد وفاة أخيه المؤيد. وهذا الذي لم يكن الأخير يريده أو يتمناه، فقد كان في سياسته وتصرفاته أقرب إلى أخيه أحمد بن القاسم منه إلى إسماعيل، أعني بذلك سياسة الحرص في صرف الأموال في أماكنها، وإعطاء الولايات لمن يستحقها، فالتقارب بين الإمام المؤيد وأخيه أحمد جعل إسماعيل غير مرغوب لدى المؤيد، لذلك ربما لهذا السبب كان يريد إبعاد إسماعيل عن ولاية ضوران؛ لأنها قد تساعده في الوصول إلى الإمامة أكثر من أي مدينة أخرى.

وبذلك نجد أن شخصية إسماعيل بن القاسم وطموحاته غير المحدودة وتطلعه باستمرار إلى الأفضل جعل الإمام المؤيد يأخذ حذره منه، ويعزله عن ضوران بعد تعيينه فيها بسنة واحدة. وقد نجد في المستقبل مخطوطات تكشف لنا أسباب هذا العزل السريع والمفاجئ لإسماعيل.

المهم في ذلك أن إسماعيل بن القاسم قد ساعدته الظروف بوفاة أخيه الإمام المؤيد، فقد عزُل؛ ولكن القرار لم يُنفذ، بل إنه رأى أنه الأحق بالإمامة بعد وفاة أخيه الإمام

المؤيد. ولعله صدق حدس الإمام، الذي كان قد استشف من شخصية أخيه إسماعيل بأنها شخصية طموحة، وأنه يريد الوصول إلى الإمامة.

وهنا نصل إلى الإجابة على النقطة الثانية من التساؤلات السابقة، وهي:

كيف وصل إسماعيل إلى الإمامة؟ ومن هم الدعاة الذين دعوا لأنفسهم بعد وفاة الإمام المؤيد؟ وما هو موقف الإمام المتوكل إسماعيل منهم؟

لو عدنا-قليلاً-إلى الوراء سنجد أنه بعد وفاة الإمام القاسم بن محمد أجمع الحاضرون على أن يتولى الإمامة بعده ابنه محمد بن القاسم، واتفق الجميع على ذلك[١]. غير أن الأمر اختلف بعد وفاة الإمام المؤيد، فظهر ثلاثة دعاة من آل القاسم، وهم:

١- إسماعيل بن القاسم كان متولياً لضوران وريمة وعتمة.

٢- أحمد بن القاسم كان متولياً لصعدة.

٣- محمد بن الحسن بن القاسم، كان متولياً لمناطق اليمن الأسفل.

لقد كان أحمد بن القاسم أول من أعلن إمامته، وكان والياً على صعدة والمناطق الشمالية. وقبل وفاة أخيه الإمام المؤيد توجه من صعدة إلى شهارة مقر إقامة الإمام المؤيد، ولعله أراد بذلك أن يكون قريباً من أهل الحل والعقد الذين في شهارة، وأن تكون بيعته مثل بيعة أخيه المؤيد، حيث بويع بالإمامة قبل إجراء مراسيم دفن الإمام القاسم. فيذكر المؤرخ يحيى بن الحسين توقيت أحمد بن القاسم لتوجهه إلى شهارة قبيل وفاة الإمام المؤيد، فيقول: «قيل إن وصوله كان بحساب وعِدَّة من ذمي[٢] كان عارفاً بالنجوم (بحَمِدَة) ولم يحصل له ما كان أمله من الخلافة»[٣]. وهو ما حدث، فقد سارت الأمور في البداية كما أرادها أحمد بن القاسم، الذي كان حاضراً وفاة أخيه الإمام المؤيد، وعقب وفاته أجمع الحاضرون على مبايعته، وكانوا جمعاً كبيراً من العلماء

(١) A.S. Tritton: The Rise of The Immams Of Sana' a, P 87 .
(٢) أي من أهل الذمة: وهم المعاهدون من النصارى واليهود المقيمون بدار الإسلام، وهنا يُقصد به من اليهود.
(٣) النص، ج١، ق٦٧أ.

والفضلاء والأعيان ورجال الدولة، منهم: الحسين بن الإمام المؤيد بالله، وإبراهيم بن أحمد بن عامر، وأحمد بن سعد الدين المسوري، والعالم محمد بن الحسن بن شرف الدين الحمزي، والعالم الحسن بن علي العبالي، والعلامة عز الدين بن دُريب، والقاضي العلامة علي بن سعيد الهبل الخولاني، وغيرهم من العلماء. وبايعوا أحمد بن القاسم خفية، ثم أظهروا أمرهم، وبايع الناس عموماً. وامتدت البيعة نحو ثمانية أيام[1].

يتضح مما سبق، أن الإجماع في شهارة كان على إمامة أحمد بن القاسم، إلاّ أن المؤرخ الجرموزي هنا يناقض نفسه، فبعد أن أورد هؤلاء المبايعين لأحمد بن القاسم في شهارة وإجماعهم على ذلك، وهم من العلماء والأعيان -كما رأينا- نجده بعد ذلك يقول: «وكنت حاضراً، ولا رأيت لمبايع أو متابع، أو حاضر أو غائب إلى هذه البيعة اعتقاداً، ولا إلى لزومها استناداً. وكان من أمرها، ما سيأتي إن شاء الله من ظهور حجة مولانا وإمامنا ... المتوكل على الله العزيز الرحيم إسماعيل بن أمير المؤمنين»[2].

ولا عجب من موقف الجرموزي هذا، إذا ما علمنا بأنه كان من المقربين للإمام المتوكل إسماعيل، حيث أبقاه متولياً لبلاد عتمة الخصبة حتى وفاته بها.

ويذكر المؤرخ يحيى بن الحسين بأن القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري، الذي كان من أبرز القضاة، ومن رجال دولة المؤيد قد بيَّن لهم بأن الأمر المهم النظر فيمن يصلح للقيام، والمبادرة به قبل تجهيز الإمام المؤيد للدفن. وأخبرهم أنه يرى العقد لأخيه أحمد بن القاسم، فهو أكبر أولاد الإمام القاسم يؤمئذٍ، فاستحسن أكثر الحاضرين ذلك، وبايعوا أحمد، ثم جهزوا الإمام المؤيد للدفن[3].

أما إسماعيل فكان عند وفاة أخيه الإمام المؤيد في ضوران، مقر ولايته. فلما بلغه ذلك الأمر رأى أنه الأولى بالإمامة من أخيه أحمد. ومن هنا بدأت المنافسة ثم الصراع

(١) الجرموزي: الجوهرة المنيرة، مخطوط، ق ٣٤١أ.
(٢) نفس المصدر، نفس الورقة.
(٣)النص، ج١، ، ق ٦٧ب-٦٨أ.

على الإمامة بين الأخوين. وكانت حجة إسماعيل بأنه أكثر علماً من أخيه أحمد، فقد اهتم بتلقي العلم على يد أبرز المشائخ في شهارة وتفرغ له، ثم أكمل ما فاته من علم الحديث في تعز خلال إمارته لها، كما سبق أن ذكرنا، وكأنه كان يهيء نفسه في المدة السابقة لهذا اليوم؛ لأن من شروط الأمامة الأربعة عشرة في المذهب الزيدي، أن يكون الداعي لنفسه، عالماً، مجتهداً.

وقد أوضح ذلك من خلال رسائله التي بعث بها إلى مختلف الجهات، قائلاً: «أنا الذي في العلم درسته، وفي التحقيق أدرته. وغيري غير صالح لها، بل قاصر عنها»[(١)]. لذلك وبهذه الحجة اتجه إلى المسجد الجامع بالحصين، في مقر إقامته ضوران، وطلب البيعة من الحاضرين، فبايعه القاضي محمد السلامي والقاضي إبراهيم بن الحسن العيزري، وتبعهما بقية العلماء والقادة الحاضرون في ضوران. وبعد مبايعتهم له أرسل الرسائل إلى مختلف الجهات. وطلب من أخيه أحمد المناظرة[(٢)]، ليتم الحكم حول الأكثر علماً واجتهاداً، غير أن أحمد بن القاسم رفض ذلك محتجاً بكبر سنه وسبق دعوته. فقد كان الفارق بين الأخوين حوالي اثني عشر عاماً، وهذا لعله كان مبرراً لأحمد ليرفض مناظرة أخيه الأصغر منه بكثير، وأن هذا الفارق في العمر يؤهله هو للإمامة أكثر من أخيه إسماعيل. كما أنه قد تمت الخطبة له على المنابر جميعها، إلاّ ما كان في المدن الوسطى من اليمن، التي هي مناطق ولاية محمد بن الحسن، وكذلك ضوران[(٣)]، مقر ولاية إسماعيل.

حقيقة إن إسماعيل بن القاسم، كان عالماً، مجتهداً، وله مؤلفات كثيرة، وقرأ على أبرز مشائخ عصره، إلاّ أن أحمد بن القاسم كان أيضاً قد تلقى العلم على أبرز علماء عصره، كما تلقى العلم أيضاً على يد أخيه الإمام المؤيد، ووضع له ثلاث إجازات[(٤)].

---

(١) النص، ج١، ق٦٩ب، ق٦٩ب.

(٢) عامر بن محمد بن عبد الله بن عامر الرشيد: بغية المريد وأنس الفريد في أنساب ذرية السيد علي بن محمد بن الرشيد، مخطوط، ق ٢٥٦أ.

(٣) إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد: طبقات الزيدية الكبرى، جـ١. تحقيق: عبد السلام الوجيه، ص١٧٩.

(٤) نفس المصدر، نفس الجزء والورقة.

فكان أحمد بن القاسم كما وصفه بعض المؤرخين عالماً نبراساً، رئيساً، جليلاً، مهيباً. من أعمدة المسلمين، ومن أهل الحميَّة على الإسلام. يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر[١].

والبعض الآخر من المؤرخين يرى بأن صفاتٍ كانت لدى إسماعيل تؤهله للإمامة، مثل: الحلم، وكظم الغيظ، وسعة الصدر، والكرم، وغير ذلك. وعلى حد تعبير (الحبسي)، بأن هذه من «الخصال الموجبة له استحقاق الإمامة الكبرى، المبطلة لإمامة من عارضه ممن دعا»[٢].

وقد اختلفت آراء الناس حينئذ، فمنهم من قال: الأولى بها إسماعيل، لأجل رسوخ قدمه في العلم، لا سيما الفقه. ومنهم من قال: أحمد؛ لأنه أنهض وأصلح، ولأجل تقدم دعوته. واضطربت الأمور[٣].

إذاً كل من الأخوين كان يرى أن لديه ما يؤهله للوصول إلى الإمامة، إلاّ أن القوة هي التي حسمت الخلاف بينهما، وكانت القوة آخر الحلول التي لجأ إليها إسماعيل، والتي اتبعها من جاء بعده من الأئمة. وإذا كان إسماعيل بن القاسم لديه ما يؤهله للوصول إلى الإمامة، إذ لم تكن القوة فحسب، فإن من جاء بعده من الأئمة لم تكن لديهم إلاّ القوة، كما سنرى في الفصول اللاحقة.

بدأ الإمام المتوكل إسماعيل بالمكاتبة إلى أخيه أحمد يعاتبه على الاستعجال بالدعوة. وكان محمد بن الحسن قد دعا لنفسه بالإمامة باليمن الأسفل- كما ذكرنا- غير أن دعوته تلك كانت مشروطة، أي إذا لم يتقدم إليها من هو أولى منه. وكتب الإمام إسماعيل إلى ابن أخيه محمد بن الحسن يطلب منه الإجابة لدعوته، والتنازل له عن الإمامة، فلم يكن أمامه إلا الموافقة على ذلك. واتفقا على الاجتماع معاً في قفر حاشد، مما يلي عتمة. وجرت المناظرة بينهما، سلَّم بعدها محمد بن الحسن لعمه إسماعيل، وبايعه في مشهد عام، ثم أحمد بن الحسن، ثم من حضر من العلماء والرؤساء والجند

---

(١) إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، ج١، تحقيق: عبد السلام الوجيه، ص١٧٩.

(٢) الحبسي: تتمة الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، مخطوط، ق ١١٧أ.

(٣) النص، ج١، ق ٦٩ب.

والقبائل، ثم عاد الجميع إلى ذمار[1].

ولما استقر الإمام في ذمار ناظر فقهاءها، وطلب منهم البيعة، وكان قد سبق منهم بيعة لأحمد بن القاسم على يد أخيه عبد الله. ولكن إسماعيل تمكن بذكائه أن يجعلهم يعدلوا عن مبايعتهم لأحمد، وبايعوه هو. ربما لأنه ظهرت لهم حجته كما يرى بعض المؤرخين[2]، وربما ما وعدهم به من البذل والإنصاف كما يرى البعض الآخر[3].

وبعد ذلك عاد الإمام إسماعيل إلى ضوران، ومحمد بن الحسن إلى اليمن الأسفل، وأحمد بن الحسن بقي في ذمار. ثم وصل محمد بن الحسين بن القاسم إلى الإمام إسماعيل في ضوران وبايعه، وأرسله الإمام إلى صنعاء[4].

ولعلَّ السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا بايع معظم آل القاسم وغيرهم إسماعيل متخلين أو رافضين مبايعة أخيه أحمد؟

بغض النظر عن حجة كل منهما حول أحقيته بالإمامة، فإن إسماعيل كان أكثر ذكاءً من أخيه أحمد، فمن الملاحظ من خلال ما أوردته كثير من المصادر المعاصرة واللاحقة أن إسماعيل كان أكثر كرماً من أحمد، فنجده يعد كل من يبايعه بالبذل والعطاء، خاصة محمد بن الحسن وأخاه أحمد بن الحسن ، اللذين كانا السند الأول له، فجعل لهما جميع اليمن الأسفل. ولم يقتصر عطاؤه لهما، لكنه أعطى الكثير من أبناء إخوته ما يهواه، فولى الحسين بن الإمام المؤيد على بلاد عفَّار وشهارة والشرف الأسفل، وأعطى محمد بن الحسين حفاش وملحان والشرف الأعلى[5]. وكان توزيعه الولايات لأبناء إخوته قبل أن يُحسم الأمر. وكان يعدهم بالعطاء؛ لأنه كان عند إعلان إمامته يشكو من قلة ذات اليد. ولم يكن أمامه إلاّ الوعود، يؤيد ذلك ما ذكره المؤرخ يحيى بن الحسين

---

(١) النص، ج١، ق ٦٩ب-٧٠أ.

(٢) الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٢٢٩.

(٣) محسن بن الحسن أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط،ق ٤ب-٥أ، الحبسي: تتمة الإفادة، مخطوط، ق ١١٨-١١٩.

(٤) الحبسي: نفس المصدر، ق ١١٩أ.

(٥) النص، نفس الجزء، ق٧٥أ-٧٥ب.

بقوله: «ولقد أخبرني عز الإسلام محمد بن الحسين أنه لما وصل إلى حضرته (أي الإمام) بضوران قال له: لا يجد غير الخمسين الحرف. ولم يجيه[1] يومئذٍ من البلاد شيء، ولا يجد الصرف»[2]. ومحمد بن الحسين هو شقيق المؤرخ يحيى بن الحسين.

وبهذه السياسة التي اتبعها إسماعيل تمكن من كسب أهم أبناء الأسرة إلى جانبه، حيث بايعوه وساندوه في دعوته. وكان أهمهم محمد بن الحسن، الذي بتنازله عن الإمامة لعمه إسماعيل حُسم الأمر لصالح الأخير، فبعد أن بايع محمد بن الحسن عمه، وكان تحت إمرته كبار القادة والأمراء وكثير من الجنود، ولديه كثير من الخيول: «مال جميع اليمن من ضوران إلى عدن بالإجابة والخطابة، وكذا المشرق وذمار والحدا وخولان»[3]، بل إن المؤرخ يحيى بن الحسين يرى بأنه لولا محمد بن الحسن ومساندته لعمه إسماعيل لما تمكن من الوصول إلى الإمامة فيقول: «وهو الذي عضد عمه إسماعيل، وطد هذه (هكذا) بالخيل والرجاجيل، ولولاه لما تم شيء لهذا الإمام من الأقوال والأفاعيل»[4].

أما أحمد بن القاسم فكان على العكس من إسماعيل، حيث يرى كثير من المؤرخين بأنه اشتهر بالبخل[5]. وربما كان هذا سبباً جوهرياً لتخلي الكثير عنه، وعدم مبايعته، بل إن من كان قد بايعه بايع إسماعيل، فها نحن نجد المؤرخ ابن عامر في كتابه (بغية المريد) يذكر بأنه كان مع أحمد بن القاسم بعد خروجه من شهارة كثير من الأعيان والعساكر، مساندين له، لكن أحمد «أمسك يده عن العطاء، فلا زالوا يقلُّوا حتى وصل إلى (ثلا) وهم عدد يسير»[6]. كما أنه عندما أشار عليه البعض بأنه يجب أن يولي أولاده وأولاد إخوته أجاب بأنه «لا يصير إلى أحد منهم غير ما كان في مدة المؤيد بالله ولا شبر»[7].

---

(١) يجيه: بمعنى يأتي إليه، أو يُرسَل إليه.

(٢) النص، ج١، ق ٧٠أ.

(٣) نفس المصدر، نفس الورقة.

(٤) نفس المصدر، نفس الورقة.

(٥) انظر على سبيل المثال: يحيى بن الحسين: نفس المصدر، ق٧٥أ، ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٢٥٦، أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق ٥.

(٦) ابن عامر: نفس المصدر، مخطوط، ق٢٥٦.

(٧) النص، ج١، ق٧٥أ.

لذلك مالوا عنه إلى الإمام إسماعيل. منهم على سبيل المثال الحسين بن الإمام المؤيد بالله، الذي كان قد بايع أحمد بن القاسم، فعدل عن ذلك وبايع إسماعيل، الذي منحه المناطق التي يريدها. ويصف المؤرخ الجرموزي الإمام إسماعيل بالكرم، وبذله لمن حوله حتى إنه لا يُحصى عطاؤه في اليوم الواحد[1].

وقد أوجز المؤرخ يحيى بن الحسين ارتباط السياسة الحكيمة بالعطاء والبذل بقوله: «والدنيا وأحوال الرئاسة فيها من الإمامة وغيرها لا بد فيها من السياسة، والنظر في البذل لمن هو من أهل الحل والعقد والإعانة، كما جرت بذلك العادات المألوفة، والحالات المعروفة، في كل الزمان»[2].

كل ما سبق ساعد إسماعيل بأن تكون لديه القوة أكثر من أخيه أحمد. والقوة هي أهم أسباب الغلبة والتفوق في معظم الأحيان، حيث دخل أتباع إسماعيل في حرب مع أحمد بن القاسم وأتباعه، فكانت الغلبة فيها لإسماعيل.

فنجد هنا أحمد بن الحسن المساند الثاني لعمه إسماعيل يحاصر صنعاء، وكانت في يد أحمد بن القاسم، التي كان فيها ابنه محمد بن أحمد، ويدخلها عنوة، حينئذ دخل جميع من كان قد بايع أحمد بن القاسم في طاعة الإمام إسماعيل[3]. ومنهم من بايع بيعة قهر واضطرار، مثل القاضي إبراهيم السحولي، وحوَّل الخطبة في صنعاء لإسماعيل، بعد أن كان يخطب -متحمساً- لأحمد، وكذلك القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري وغيرهم، دخلوا في طاعة الإمام إسماعيل مكرهين[4].

ولعب آخرون من المناصرين للإمام إسماعيل أيضاً دوراً في هزيمة أحمد بن القاسم، وإجباره على التنازل عن الإمامة لأخيه إسماعيل، فها نحن نجد محمد بن الحسين والأمير ناصر بن عبد الرب، صاحب كوكبان، من آل شرف الدين يصلون بغارة إلى

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ١٢٣-١٢٥.
(٢) النص، ج١، ق ٧٤أ.
(٣) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٢٣٢.
(٤) النص، نفس الجزء، ق ٧٣ب.

(ثلا) لمحاربة أحمد بن القاسم، وكان قد تفرق عنه كثير من الجند. واستمرت الحرب من طلوع الشمس حتى غروبها، وبعد ذلك خاضوا في الصلح بأن ينزل أحمد بن القاسم من حصن (ثلا) وأن يجتمع بإسماعيل، ويُعقد بينهما اتفاق. وتقدم أحمد بن القاسم بعد هزيمته إلى أخيه إسماعيل في ضوران-مكرهاً-فحصل الاتفاق بين الأخوين، وحُسم الأمر لصالح إسماعيل. ولم تُعقد مناظرة علمية كما هو معروف؛ لأن القوة هي التي سادت وسيطرت. وألقى إسماعيل كلمة طَيَّب فيها خاطر أخيه أحمد، وشهد له بالكمال. وتكلم أحمد بما حصل من الالتئام والتمام، وبايع أخاه إسماعيل، كما بايعه من كان قد بايع أحمد من العلماء. ثم خيره الإمام بأي الجهات يحب البقاء فيها، فاختار صعدة، التي كان متولياً لها من أيام والده الإمام القاسم وكذلك أخيه الإمام المؤيد[1].

وعاد أحمد بن القاسم إلى صعدة، وكان قد حصل فيها الخلل الكبير. وعند عودته وصل إليه كثير من أهل المناطق الشمالية، وأحسن إليهم. وكانوا يعرفون عزيمته وهيبته[2].

وبذلك يكون الإمام إسماعيل قد تمكن من التغلب على منافسيه من آل القاسم بالوعود بالبذل والعطاء كما فعل مع محمد بن الحسن وغيره، أو بالحرب والقوة كما فعل مع أخيه أحمد.

وهناك من عارض الإمام المتوكل من خارج الأسرة القاسمية، ودعوا لأنفسهم بالإمامة، فكانت دعوة بعضهم في نفس الفترة التي دعا فيها الإمام المتوكل، والبعض الآخر بعد ذلك بسنوات، ومن هؤلاء:

---

(١) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٢٥٦، أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق٥.
(٢) أبو طالب: نفس المصدر، نفس الورقة.

أ - إبراهيم بن محمد بن عز الدين المؤيدي[1]

ما إن علم إبراهيم بن محمد المؤيدي بوفاة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم حتى أعلن إمامته في (العشة) من جهات صعدة، حيث وجد أنه الأحق بها، ولديه ما يؤهله لذلك. فبالإضافة إلى علمه واجتهاده ومؤلفاته، كانت حجته أنه كان متقدماً في دعوته على دعوة المتوكل إسماعيل بساعة أو ساعتين من ذلك اليوم. وكان والده هو الذي فتح صعدة للإمام القاسم بن محمد. وكان أيضاً من أعيان آل محمد علماً وحلماً وذكاءً[2].

بدأ إبراهيم المؤيدي بإرسال الكتب إلى الجهات اليمنية، إلاّ أن دعوته تلك لم تلق إجابة ولا قبولاً، ولم يجبه سوى جماعة يسيرة من أهل صعدة، ولعلَّ الأستاذ الدكتور حسين العمري كان محقاً عندما ذكر بأنه كان من الواضح منذ البداية للمهتمين بشؤون الحكم والسياسة من رجال الحل والعقد، خاصة بعد تنازل أحمد بن القاسم لأخيه الأصغر المتوكل إسماعيل بأن الأخير هو حاكم البلاد المطلق، والإمام غير مُنازع أو مُنافس[3].

لذلك نجد أن إبراهيم المؤيدي بعد أن رأى أنه لا فائدة من دعوته تلك، وأن رسائله لم تلق قبولاً بدأ يراسل الإمام المتوكل إسماعيل ويوهمه بأنه معترف أنه دخل في أمر يعلم قصوره فيه، وإنما يريد معرفة الوجه الذي يحصل به التسليم له[4]. إلاّ أنه- كما

---

(١) كان إبراهيم بن عز الدين المؤيدي عالماً وشاعراً وأديباً. تولى القضاء في بلاد (فللة) من صعدة. وعُرف بالفضل والاهتمام بتصنيف بعض الحواشي والشروح الفقهية منها: (الروض الحافل شرح الكافل)، و(شرح الهداية)، و(قصص الحق المبين في فضائل أمير المؤمنين)، وغيرها، توفي سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م، انظر ترجمته في: النص، جـ٢، ق ٢٨ب-٢٩أ؛ د.حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ٤٥.

(٢) ابن عامر: نفس المصدر، ق ١٦٢.

(٣) د.حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ٤٥.

(٤) الجرموزي: تحفة الأسماع والأبصار، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٢٦٢؛ أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق ٥-٦.

ذكر كثير من المؤرخين- يقرب تارة ويبعد أخرى. ثم إنه في سنة (١٠٥٦هـ/ ١٦٤٦م)، ادعى أنه الإمام الواجب اتباعه على جميع الأنام، فأرسل إليه المتوكل ابن أخيه محمد بن الحسين على رأس مجموعة من الجنود، فقبض عليه، وأُحضر إلى الإمام وهو بصنعاء، فبايعه أمام أعيان الناس، الذين كان الإمام قد جمعهم ليشهدوا على مبايعته له. لكنه عندما اتجه إلى المناطق الشمالية اتجه إلى برط، فالتقى بالقضاة آل العنسي ومشائخ تلك الجهة، وقال لهم: إنه لم يتخلص من الإمام إلاّ بالبيعة، أي أنه أُكره على مبايعة الإمام. وطلب منهم مساعدته، فرفض الجميع ذلك الطلب، مما اضطره إلى التوجه إلى بلاده.

وفي خولان صعدة دعا لنفسه مرى أخرى. وبدأ يستميل قبائل تلك الجهة[1]، إلاّ أن الإمام المتوكل لم يسكت على ذلك، فقد قام بإرسال ابن أخيه أحمد بن الحسن، الذي وصل إلى بوصان (بلد من أعمال صعدة). ولما علم إبراهيم المؤيد هرب إلى بلاد قُراظ (هجرة في بني جماعة بصعدة)، وطالب بالصلح، وأنه مبايع للإمام. وكتب رسالة وقرأها في باقم من قُراظ على ملأ من الناس، كان من ضمن ما جاء فيها: «سلَّمت ما كنت تحملته من الأعباء الثقيلة تسليم راض، لا شبهة فيه ولاحيلة لوليه وابن وليه الإمام المذكور المتوكل على الله إسماعيل. إلى أن قال فيها: فليعلم من وقف على مكتوبي هذا ما التزمته من إحكام الطاعة للإمام»[2].

ولكنه في سنة (١٠٦١هـ/ ١٦٥١م)، عاد إلى حالته الأولى، حيث رأى أن الفرصة سانحة له بالتضامن مع الشيخ يحيى بن روكان، الذي خرج وتمرد على الإمام إسماعيل أكثر من مرة، كما سنرى لاحقاً. وهنا تعلل إبراهيم المؤيدي بقضية ابن روكان، وأنه صدر إلى جانبه من أصحاب الإمام ظلم وعدوان، كما أضاف إلى ذلك أن الإمام أهمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن دعوته سبقت دعوة المتوكل، وأنه إنما سلم للإمام وبايعه المرة الأولى والمرة الثانية مكرهاً[3]. فأرسل الإمام إليه عدداً من الجنود، فأظهر الندم على مافعل، ووصل بنفسه إلى الإمام يعتذر له، فقبل عذره «وأسعده فيما

(١) النص، ج١، ق ٨٤ب-٨٥أ.

(٢) نفس المصدر، نفس الجزء، ق ٨٦ب-٨٧أ.

(٣) النص، ج١، ق ٨٧أ-٨٧ب.

طلبه من الإقطاع وما رام، وزجله بأحسن زلاج. وأقطعه بلد رُغَافة (قرية مشهورة شمال صعدة) وما حولها، وجميع ما يحتاج»[1].

ولم يترك إبراهيم المؤيدي ادعاء الإمامة، إلاّ بعد أن رأى استحالة منافسة الإمام المتوكل، بسبب قوته وتغلبه عليه أكثر من مرة، وهذا التصرف منه يدل على غفلة كبيرة، فإذا لم ينجح في أول دعوته وبداية أمره مع آل العنسي في برط وأنصاره في صعدة بدعوى الأهلية والكفاءة فأنّى له الأمر بعد ست سنوات أخرى، وقد أصبح الإمام المتوكل إسماعيل أكبر مكانة وأكثر خطراً[2]؟!. إلاّ أن المؤيدي هذا كان يشكل مصدر إزعاج وقلق للإمام المتوكل، خاصة أنه كانت له رسائل كثيرة في الطعن في الإمام المتوكل والاعتراض عليه، مما اضطره إلى الإجابة على أكثرها، وأجاب على الباقي بعض علماء عصره.

ومما يؤكد حب إبراهيم المؤيدي للرئاسة والزعامة والإلحاح على طلبها بأي طريقة كانت ما ذكره يحيى بن الحسين: بأنه لما بلغ السيد إبراهيم المؤيدي وفاة إسماعيل بن محمد بن الحسن بن القاسم، التبس عليه الأمر، بسبب تشابه الأسماء، واعتقد أنه الإمام إسماعيل، فخرج من صعدة في الحال ومعه بعض المناصرين له، حتى استقر ببلد العشة ورغافة. وطلب من أصحابه الحاضرين البيعة، ثم تبين له أن الذي توفي ليس الإمام إسماعيل، فتراجع عما كان قد نوى على فعله[3]. وكان ذلك قبل وفاته بثلاث سنوات فقط، سنة (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م).

ومن الملاحظ أن الإمام المتوكل إسماعيل كان صبوراً في تعامله مع إبراهيم المؤيدي. ربما أراد أن يستميله إلى جانبه، ولا يريد أن يكون في المناطق الشماليه عدو له، خاصة أن أسرة المؤيدي كان لها مكانة كبيرة في صعدة وما حولها. وكان منهم أئمة وعلماء، كما كان والد المؤيدي من أنصار الإمام القاسم وفتح له مدينة صعدة الهامة، كما أسلفنا.

---

(١) النص، ج١، ق١٢٦أ-١٢٦ب.
(٢) د.حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ٤٥-٤٧.
(٣) النص، ج١، ق ٢٨٠أ.

ب – السيد عبد الله بن عامر بن علي الحسني

هذا السيد هو ابن عم الإمام القاسم بن محمد. وقد دعا لنفسه بالإمامة سنة (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م)، أيضاً. وكان في حوث، ثم توجه إلى وادعة الطاهر، وأعلن إمامته هناك، وأخذ منهم بعض الواجبات، ومال إليه بعضهم. إلا أن الإمام المتوكل إسماعيل جهز عليه ابن أخيه محمد بن أحمد بن القاسم، وهو في خمر، فتمكن من القضاء على دعوته تلك. واضطر إلى الهرب ليلاً عائداً إلى بلاده شاطب[١]، ولم يعد إلى ذلك. ولم تكن دعوته ذات أهمية، وقُضي عليها في مهدها.

ج – السيد محمد بن علي الحيداني

كان السيد محمد بن علي الحيداني قد أعلن إمامته في عهد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، في بلاد حيدان، ثم قُضي على دعوته تلك، واستقر في حيدان حتى سنة (١٠٦١هـ/ ١٦٥١م). وفي هذه السنة خرج من بيته إلى بلاد برط، ثم نزل منه إلى بلاد خولان صنعاء، ومنها إلى بلاد قايفة.

وأظهر في تنقله في تلك المناطق بأنه المهدي المنتظر، وأن عنده صحة إمامين في عصر واحد. وقد صرح بذلك عند إعلان إمامته في عهد الإمام المؤيد.

ولما وصل إلى بلاد قايفة طرده أهلها عنها، ووصل أحمد بن الحسن لمحاربته والقضاء على دعوته خوفاً من أن تغتر به القبائل هناك، فُطرد، وانتهبت القبائل حاجاته وكتبه وحصانه، فعاد من حيث أتى هو وأصحابه، واستقر في بلده حيدان، ورجع عما كان يريده مكرهاً[٢].

وهذه الدعوة أيضاً لم تكن ذات أهمية، وقُضي عليها في مهدها. ولم تشكل خطراً على الإمام المتوكل، الذي كان قد توسعت دولته، وازدهرت بشكل ملحوظ.

---

(١) النص، ج١، ق ٧٥ب.

(٢) النص، نفس الجزء، ق١٢٨أ.

د - السيد محمد بن علي الغرباني

لقد جاءت دعوة محمد بن علي الغرباني القاسمي متأخرة، فلم يعلـن إمامتـه إلاَّ في سنة (١٠٧٥هـ/ ١٦٦٥م)، حيث كان ساكناً بـصنعاء، وخـرج منهـا إلى بـلاد بـرط. وطلب من أهلها البيعة، إلاَّ أنهم رفضوا إجابـة دعوتـه، وأرسـلوه إلى الإمـام، فـأعلن توبته وعاد إلى صنعاء[1].

وفي سنة (١٠٧٧هـ/ ، ١٦٦٦م)، اتجـه إلى بـرط مـرة أخـرى، وأرسـل برسـالة إلى الإمام فيها اعتراض عليه، ولم يجب الإمام على تلك الرسالة. وكان الغربـاني هـذا مـن تلامذة الإمام المتوكل[2].

وقد استقر في برط ربما ليكون بعيداً عن مركز الدولة، مثل مـن سـبقه مـن الـدعاة. وعلى الرغم من أن أهل برط قد رفضوا إجابة دعوته، لكـنهم ووفقـاً للقواعـد القبليـة السائدة ما دام قد استجار بهم، فلا بد من إجارته. وتعهدوا لأحمـد بـن الحـسن عنـدما تقدم لمحاربتهم بأنه لن يصدر شيء من جانب محمد الغرباني مـا دام عنـدهم[3]، فأخـذ أحمد بن الحسن ضمانات من مشائخهم على ذلك.

إذاً كان السيد محمد بن علي الغرباني آخر من ادعى الإمامة في عهد الإمـام المتوكـل إسماعيل. وعندما رأى عدم مقدرته على الاستمرار في ذلك نحا منحاً آخر، وهو محاولة إظهار مساوئ دولة المتوكل، وأنه يجب الخروج عليها. وأنه لم يتوقف عن إعلان إمامته إلا لعدم القدرة[4]. وكان يجيد الشعر، فلجأ إلى كتابة القصائد المنـددة بدولـة المتوكـل، مبيناً فيها وجوب الخروج على دولته[5].

---

(١) النص، ج١، ق٢١٤ب.

(٢) نفس المصدر، نفس الجزء، ق ٢٣١ب.

(٣) النص، جـ٢، ق ١٠ب-١١أ.

(٤) النص، نفس الجزء، ق ١٢أ.

(٥) النص، ج٢، ق ١١ب-١٢أ.

ولعله خلال بقائه في برط، وعدم مقدرته على أن يدعو لنفسه بالإمامة، كان منتظراً لخلاف قد يحدث بين برط والدولة القاسمية، فيستغل ذلك لصالحه، ويعلن إمامته، خاصة أن برط كانت دائمة التمرد والخروج على الدولة، وفي عام ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م، عاقبت الدولة آل عمار بسبب قيامهم بالنهب في باب صعدة، فخرج جماعة من دهمة في برط على الدولة وبايعوا محمد الغرباني، ففرح بذلك؛ لأنه كان منتظراً لأي فرصة تلوح له لإعلان إمامته. مع أنه كان قد كتب قصيدة باعتقاده إمامة إسماعيل، وعدم الخروج عليه، إلاَّ أنه كان مضمراً في نفسه استغلال أي فرصة لإعلان إمامته، ولما اعتُرِضَ عليه في ذلك، قال: إن مذهبه هو صحة إمامين في وقت واحد(١).

ومما لا شك فيه أن ذلك يدل على غفلة من السيد محمد بن علي الغرباني كما سبقه إبراهيم المؤيدي، لأن دولة الإمام المتوكل إسماعيل أصبح لها مكانة كبيرة، وازدهرت وتوسعت حدودها، حتى وإن فُرض ضعف الدولة نوعاً ما في أواخر عهده، فإن أولاد أخوته لم يكن ليسمحوا لأحد أن ينتزع منهم الإمامة، خاصة أحمد بن الحسن، الذي أصبحت له مكانة كبيرة، فهو الرجل الثاني في الدولة القاسمية.

وبالإضافة إلى ما سبق فإن علي بن أحمد بن القاسم-والي صعدة-كان قد أعلن إمامته في أواخر عهد الإمام المتوكل إسماعيل محتجاً بمرضه، وأنه لم يعد قادراً على القيام بأعباء ومهام الإمامة. لكنه لم يتمكن من الوصول إلى الإمامة، كما سنرى لاحقاً.

وكان من الطبيعي أن يواجه الإمام المتوكل إسماعيل معارضين لدعوته وحكمه، أو خارجين عن طاعته، فتلك كانت نظرية الحكم للمذهب الزيدي، وطبيعة الحياة السياسية في البلاد في العهود السابقة واللاحقة. وكان الخلاف أو الصراع غالباً ما ينشب أو يتطور بمجرد وفاة إمام وقيام آخر(٢).

(١) النص، ج٢، ق ١٥ب.

(٢) حسين العمري: تايخ اليمن الحديث والمعاصر، ص٤٢.

ولعلَّ (بليفير) كان مخطئاً عندما رأى أن عرش اليمن وراثياً، وأن الإبن البكر للإمام هو الذي يخلفه عند الوفاة، وذلك برضى عام[1]. ومما لا شك فيه أن هذا القول أو الرأي يتنافى مع نظرية الإمامة في المذهب الزيدي، التي لم تكن تجيز الوراثة في الحكم. ولم يكن من حق الإمام أن يوصي بمن يخلفه، ولكن من رأى في نفسه الأهلية فليدعو لنفسه بالإمامة، حتى وإن كان الإمام القائم يعد ابنه الأكبر للإمامة، فإنه لا يستطيع إعلان ذلك صراحة. ولو أن الابن الأكبر هو الذي يخلف الإمام المتوفى لكان الأمر محسوماً، ولم تنشأ تلك الصراعات على الإمامة بين الدعاة، الذين يرى كل منهم أنه الأصلح لها والأحق بها.

وعلى كلٍ فإنه على الرغم من ظهور عدد من المنافسين للإمام المتوكل على الله إسماعيل ادعوا الإمامة، إلاَّ أنهم كانوا أقل خطراً على دولته وتوسعها وازدهارها، مقارنة بالمعارضين الذين ظهروا في عهد من جاء بعده من الأئمة، كما سنرى، ولعلَّ أهم الأسباب هو مساعدة أبناء إخوته له، وإخلاصهم لدولته، والتفافهم حوله. وكان لذلك أثر كبير في ازدهار هذه الدولة وقوتها وتوسعها.

(١) PlayFair: Ahistory OF arabia Felix Or. Yemen, P: 111.

الفصل الأول

سياسة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم

منذ توليه الإمامة حتى وفاته

(١٠٥٤-١٠٨٧هـ)/ ١٦٤٤ - ١٦٧٦م)

أولاً: توسيع حدود الدولة القاسمية

كان الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم قد سبق أخاه الإمام المتوكل إسماعيل في محاولة توسيع حدود الدولة القاسمية بعد استقلال اليمن عن الحكم العثماني سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م).

وقد استخدم الطرق السلمية، فراسل بعض مشائخ وحكام المناطق الجنوبية والشرقية، وأرسل الهدايا لاستمالتهم إليه، وإعلان اعترافهم أو ولائهم لهذه الدولة الجديدة الفتية.

ولعلَّ الإمام المؤيد كان يعتبر هذه المرحلة هي مرحلة بناء وتوطيد سيطرته على المناطق التي دخلت في إطار الدولة القاسمية، وأن التوسع باستخدام القوة لم يحن وقته في هذه الفترة. ومن أمثلة ذلك تعامله مع قبائل يافع، إذ إنه على الرغم من غزوهم لقعطبة التابعة لدولته، ومساندتهم لأحمد بن الحسن، ابن أخي الإمام الذي تمرد عليه، إلاَّ أنه بعد أن هزمهم المؤيد وأخرجهم من يافع راسلهم محاولاً كسبهم إلى جانب الدولة القاسمية. وبذل لهم الأموال والهدايا، ويشير المؤرخ يحيى بن الحسين إلى ذلك بقوله: «وجعل الطريق إلى ذلك المكاتبة ليافع والملاطفة لهم، وبذل لهم المال النافع،

فوصل إليه كثير منهم»[1]. وكان نتيجة ذلك أنهم توقفوا عن الهجوم على حدود الدولة القاسمية.

غير أن سياسة الإمام المؤيد هذه لم تحقق ما كان يطمح إليه من توسيع لحدود الدولة، ودخول المناطق الجنوبية والشرقية تحت نفوذها. واقتصر الأمر على إقامة علاقات ودية بين الدولة القاسمية وبعض الكيانات في تلك المناطق، ومنها الدولة الكثيرية في حضرموت، فقد استمرت العلاقات الودية بين الدولتين، وتم تبادل الرسائل والهدايا بينهما طوال فترة الإمام المؤيد وأوائل فترة الإمام المتوكل على الله إسماعيل، أي حتى سنة (١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م)، كما سنرى.

وقامت علاقات ودية بين الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم وبين الأمير عبد القادر محمد، صاحب عدن وأبين وخنفر. وكان الأخير من المناصرين للإمام المؤيد بالله في خلال حروبه مع العثمانيين في الجنوب.

وفي عهد ابنه الحسين بن عبد القادر بدأت العلاقات تتغير سلباً، لأسباب سنذكرها لاحقاً.

وعندما وصل إسماعيل بن القاسم إلى الإمامة كانت الدولة أكثر استقراراً من ذي قبل، حيث إن اللبنات الأولى والأساسية قد وضعت في عهد أخيه الإمام المؤيد، لذلك لم يحصر الإمام إسماعيل نفسه في النطاق الضيق المحدود، الذي نشأت فيه الدولة القاسمية عند أول تكوينها، بل انتهج سياسة التوسع في المناطق الشرقية والجنوبية، وتوغلت جيوشه حتى وصلت حضرموت. وخاضت حروباً عديدة حتى أخضعت جميع المناطق الشرقية والجنوبية، كما سنرى.

ومما لا شك فيه أن الإمام المتوكل على الله إسماعيل، يعتبر من أهم أئمة اليمن في التاريخ الحديث. وكان منذ توليه الإمامة شديد الطموح إلى توسيع حدود دولته.

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين يذكرون أن من أسباب التوسع وإدخال هذه

---

(١) النص، ج١، ق٦٠أ.

المناطق تحت نفوذ الدولة القاسمية هو وجود منكرات وجهل وعدم تطبيق للشريعة الإسلامية الصحيحة في هذه المناطق، لذلك لم يجد الإمام المتوكل بداً من الدخول إلى مناطقهم، بعد أن أرسل لهم الإنذارات المتكررة، حتى لم يبق لأهل تلك الجهات حجة[1]. إلاَّ أن هناك مؤرخين أكثر إدراكاً لدوافع التوسع هذا، منهم على سبيل المثال ابن عامر، الذي يرى بأن من أهم الأسباب أن السلطان بدر بن عمر الكثيري قد وصل إلى الإمام المتوكل إسماعيل مستنجداً به ضد ابن أخيه بدر بن عبد الله الكثيري، وأنه سيدخل في طاعته، ويخطب له، فأجابه الإمام إلى ذلك.

وكان هناك أيضاً الشيخ الرصاص في البيضاء، أي في المشرق الأوسط.

وكان له شوكة قوية، لذلك كان على إسماعيل أن يخضع جميع بلاد المشرق قبل الوصول إلى حضرموت.[2].

ثم يوضح ابن عامر السبب الآخر -والذي يُعد ذا أهمية كبيرة- خلال حديثه عن أهمية حضرموت وظفار، فيقول: «والشحر بندر عظيم، خراجه في كل عام مائة ألف أوقية»[3]. ولعلَّ هذا من الأسباب الرئيسية للتوسع في هذه المناطق، وهو الوصول إلى الموانئ الجنوبية مثل عدن والشحر، والتي ستشكل رافداً مالياً جديداً للدولة من خلال النشاط التجاري والبحري في هذه الموانئ.

ولأن الدولة القاسمية في هذه الفترة تعتبر القوة الوحيدة في المنطقة، ولا يوجد منافس قوي يقف أمامها بعد إخراج العثمانيين، فقد رأت أن تبسط سيطرتها على كل أجزاء اليمن، ولا بد أن تدخل كل الكيانات المستقلة تحت سلطة هذه الدولة.

ولم يكن ذلك سهلاً على الإمام المتوكل إسماعيل، فإعادة توحيد البلاد كان يتطلب عملاً شاقاً، استغرق الكثير من الجهود السياسية والمادية، وتطلب تفهماً وحنكة

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص٦٧١-٦٧٨؛ أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق ٦؛ الحبسي: تتمة الإفادة مخطوط، ق ١٢٠.

(٢) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٢٣٤.

(٣) نفس المصدر، نفس الورقة.

للظروف السياسية والاجتماعية والقبلية الشائكة. واستخدم وسائل مقنعة وممارسات مسؤولة، لم تكن القوة، إلاَّ آخر وسائلها[1].

لقد حاول الإمام المتوكل لعدة سنوات ربط شمال البلاد بجنوبها ومشرقها بتهائمها، متخذاً من المراسلات والإقناع أقصى ما يستطيع، وكان يخفق ويفلح[2]، كما سنرى.

الاستيلاء على عدن ولحج وأبين

انصب اهتمام الإمام المتوكل على الله إسماعيل على توسيع حدود الدولة القاسمية منذ السنة الأولى من توليه الإمامة. ومن البديهي أن ينصب اهتمام الإمام المتوكل وأبناء إخوته على المناطق الجنوبية والشرقية، التي تعد ذات أهمية كبيرة. وقد بدأ بإمارة عدن، مستغلاً الظروف وما قام به أميرها من أعمال كانت مبرراً ظاهرياً للاستيلاء على عدن، غير أن السبب الرئيسي هو الأهمية الاقتصادية التي تميزت بها عدن منذ القدم.

وقد أوردت المصادر المعاصرة أسباب الزحف تجاه عدن للاستيلاء عليها. من هذه الأسباب ما ذكره يحيى بن الحسين بقوله: «لأجل أمور وقعت منه-أي أمير عَدن الحسين بن عبد القادر- لم يرض بها الإمام»[3].

ويشرح المؤرخ الجرموزي هذه الأمور شرحاً مفصلاً،حيث يذكر بأن أمير عدن ولحج وخنفر، وهو الحسين بن عبد القادر كان في عهد الإمام المؤيد قد استولى على أموال أمير من (ممباسا) بعد وفاته في طريق عودته من الحج سنة (١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م)، وكان الأمير الممباسي قد راسل الأمير عبد القادر، والد الحسين. وكانت أمواله مع ثقاة بنظر الأمير عبد القادر.

وعند وفاة الأخير، وخلفه ابنه الحسين أخذ أموال هذا الأمير وقتل من قتل من

(١) د.حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ٥٠.
(٢) نفس المرجع، ص٥١.
(٣) النص، ج١، ق ٧٩أ.

أتباعه، وحبس من بقي منهم في خنفر[1]. هذا بالإضافة إلى أنه كما أورد الجرموزي: قد هدم قواعد الإسلام، وأظهر المنكرات، وجعل للبغاء جوانب، وللخمور كذلك[2]، وأن الإمام المؤيد كان قد راسله يطلب منه إطلاق أموال الأمير الممباسي وأتباعه، غير أن الإمام انشغل عنه.

ولما وصل إسماعيل إلى الإمامة رأى أنه لا بد من إرسال كتاب إلى أمير عدن بشأن ذلك، إلاَّ أن هذا الأمير لم يعط جواباً وافياً، ولم ينفذ ما طلب منه الإمام المتوكل إسماعيل، لذلك لم يجد الأخير بداً من إرسال أحمد بن الحسن على رأس جيش للاستيلاء على عدن ولحج وأبين[3].

وعلى الرغم من أن ابن عامر يرى بأن أحمد بن الحسن هو الذي ترجح له الغزو إلى عدن[4]، غير أن المؤرخ الجرموزي كان حريصاً على إبراز أن الإمام المتوكل إسماعيل هو الذي أمر بالتوجه إليها، حيث أرسل محطة أخرى نحو الألف، قائلاً: «قد صار مع الولد أحمد -حفظه الله- الكفاية، وإنما نريد قطع إياس هذا الأمير وأصحابه منَّا. ولتعلموا أن ذلك عن أمرنا»[5]. كما أن يحيى بن الحسين يذكر بأن الإمام المتوكل في سنة (١٠٥٥هـ/ ١٦٤٥م)، اتجه من ضوران مقر إمامته إلى صنعاء، وجهز ابن أخيه أحمد بن الحسن إلى بلاد الأمير الحسين بن عبد القادر عدن ولحج وأبين.

ولعلَّ ما سبق دليل على أن الإمام المتوكل هو الذي أمر بالتوجه إلى عدن للاستيلاء عليها. وأن أحمد بن الحسن قد تحمس لذلك، وجمع الجنود من قبله، وكذلك محمد بن الحسن، وآخرين من أبناء الأسرة.

ومهما كان الأمر فإنه تم الاستعداد والتجهيز للجيش المتوجه إلى عدن بقيادة

---

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٢٧٩.
(٢) نفس المصدر، نفس الصفحة.
(٣) نفس المصدر، ص ٢٧٩-٢٨٠.
(٤) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٢٣٤.
(٥) الجرموزي: نفس المصدر، ص ٢٨٠.

أحمد بن الحسن، والذي بلغ حوالي ثلاثة آلاف مقاتل. وشارك في تجهيزه وإعداده الإمام المتوكل وأبناء إخوته، خاصة أحمد بن الحسن الذي كان أكثرهم حماساً لدخول عدن والاستيلاء عليها، وكذلك محمد بن الحسن الذي جمع لأخيه أحمد الكثير من الجنود والأموال.

ومن مدينة إبّ كان المنطلق. وهي منطقة ولاية محمد بن الحسن الذي أُنيطت به مهمة تجهيز الجيش والأموال وأُلحق بهم الجنود الذين جهزهم الإمام المتوكل. وبعد أن اكتمل تجهيز الجيش، وأصبح مستعداً خرج من مدينة إبّ في شهر صفر (١٠٥٥هـ/ إبريل ١٦٤٥م) متجهاً إلى عدن بقيادة أحمد بن الحسن[١].

أما الأمير الحسين بن عبد القادر صاحب عدن فقد استنجد بالمحيطين به، بعد أن علم بتجهيز وخروج جيش الدولة القاسمية إليه. واستعد لمواجهة أحمد بن الحسن وجيشه، فحشد مع جيشه «قوماً من المشرق ومن يافع»[٢]. واتجه بهم إلى منطقة في لحج تسمى (الرعارع). ودارت هنالك معارك عنيفة، قُتل فيها كثير من أصحاب أحمد بن الحسن، كان أكثرهم من الأهنوم، وجُمعوا في مقبرة هناك تُعرف بمقبرة أصحاب أحمد بن الحسن[٣]. إلاَّ أنه في آخر الأمر كانت الهزيمة في الحسين ابن عبد القادر ومن معه من المناصرين، فاضطر إلى الانسحاب إلى خنفر، فلحقه أحمد بن الحسن، لكنه عندما حاذى خنفر تبين له أن الأمير حسين قد هرب منها ليلاً إلى يافع، وأن فيها أتباعه، فدارت معارك بينهما كانت نتيجتها دخول أحمد بن الحسن خنفراً، وهزيمة أصحاب الأمير حسين[٤]. واستولى أحمد بن الحسن على خزائنه وأثاثه وماله[٥].

وبعد ذلك أرسل أحمد بن الحسن الشيخ حسن بن الحاج أحمد الأسدي إلى عدن للاستيلاء عليها، فلم يجد فيها مقاومة تذكر. وكان فيها حامية عسكرية من أهل يافع.

---

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٢٨٠.

(٢) نفس المصدر، ص ٢٨١.

(٣) النص، ج١، ق ٧٨ب.

(٤) الجرموزي: نفس المصدر، ص ٢٨٣.

(٥) النص، نفس الجزء، نفس الورقة.

وبعد حصارهم سلموها للأسدي. وبذلك أصبحت لحج وخنفر وعدن تحت سيطرة أحمد بن الحسن.

أما دور محمد بن الحسن في هذه الحرب، فإنه بعد أن جهز أخاه بالأموال والجيش في إب، اتجه بمن تبقى معه من الجند إلى تعز. وأرسل الإمدادات والحاميات لحفظ الطريق، وبذل الأموال لأهل المشرق ليقطعوا العلاقات أو الإتصال بالأمير الحسين بن عبد القادر، كما راسل الشيخ حسين الرصاص، شيخ بلاد بني أرض وبذل له الأموال، وأحسن إليه حتى لا يستجيب للأمير حسين، الذي استنجد به وبيافع[1]. وبذلك يكون محمد بن الحسن قد قطع الطريق على الأمير حسين بن عبد القادر بحيث لم يجد له مناصراً بعد هزيمته وهروبه إلى يافع.

ولما رأى الأمير حسين بن عبد القادر أنه لا فائدة من موقفه العدائي ضد أحمد بن الحسن اضطر إلى الاستسلام لرأي محمد بن الحسن، الذي كان قد كتب إليه، ووعده بالإنصاف، فعاد الأمير الحسين إلى «خنفر، وجعل له عوائد آبائه من عدن ولحج، وجعل له بلاد أبين أيضاً إقطاعاً. وأقره الإمام على ذلك»[2].

أما أحمد بن الحسن، فإنه أقام في خنفر حوالي عشرة أيام. وأمر أن تُنقل جميع أسرة الأمير الحسين بن عبد القادر مع خدمهم وثقاتهم إلى لحج. كما أخرج أصحاب الأمير المباسي من السجن ونقلهم إلى تعز، حيث تكفل الإمام بالإنفاق عليهم[3].

وبسقوط عدن ولحج وخنفر خضعت هذه المنطقة لسيطرة الدولة القاسمية المباشرة.

وكان أحمد بن الحسن قبيل عودته من عدن قد عين عليها مولاه ياقوت إسماعيل، كما عين في لحج بعض أتباعه، وعاد محملاً بالغنائم، وفيها الكثير من العبيد والإماء[4] ومما لا شك فيه أن النصر الذي أحرزته الدولة القاسمية في عدن ولحج سيزيد من

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٢٨٣.
(٢) نفس المصدر، ص ٢٨٤.
(٣) نفس المصدر، ص ٢٨٣-٢٨٤.
(٤) نفس المصدر، ص ٢٨٤.

هيبتها وقوتها لدى الكيانات المستقلة الأخرى، كما أنه سيزيد من حماس الإمام المتوكل وأبناء إخوته لمزيد من التوسع في المناطق الخارجة عن سيطرة الدولة القاسمية.

إخضاع منطقة الشعيب

منطقة الشعيب تقع إلى الشرق من قعطبة، وهي منطقة قبلية صغيرة، مقارنة بالكيانات القبلية المستقلة الأخرى المجاورة لها من الجهات الشرقية والجنوبية[1].

وكان أهالي منطقة الشعيب يدفعون ضريبة بسيطة للدولة القاسمية في عهد الإمام المؤيد. وكانت تُدفع للحسن بن القاسم. وفي المقابل كان مقرراً لزعمائها رواتب. أي أن منطقة الشعيب كان يحكمها مشائخها، وفي الوقت ذاته كانوا يدينون بالولاء والطاعة للدولة القاسمية. ولما توفي الحسن بن القاسم انقطعت الضريبة التي كانوا يدفعونها، ولم تطالبهم الدولة بشيء من ذلك[2].

ولعلَّ السبب في ذلك أن الإمام المؤيد كان قد انشغل بعد وفاة أخيه الحسن بالقضاء على تمرد ابن أخيه أحمد بن الحسن، وبالتالي لم يطالب منطقة الشعيب بما كان مقرراً عليها أيام الحسن بن القاسم. واستمر الأمر كذلك حتى عام (١٠٦١هـ/ ١٦٥١م). حين رأى محمد بن الحسن أنه لا بد من إرسال تلك المقررات السابقة، وإعلان الولاء للدولة القاسمية، غير أنهم رفضوا ذلك، معلنين عدم انقيادهم لأوامره. وحاول محمد بن الحسن إقناعهم بتسليم ما عليهم سلماً عن طريق المراسلات المتكررة، تجنباً للدخول في حرب معهم، إلاَّ أنه لم يجد منهم استعداداً لتنفيذ ذلك الطلب، فلم يجد بُداً من إرسال حملة عسكرية يصل عددها إلى أكثر من ألفين مقاتل، لإخضاعهم بالقوة.

وطلبت قبائل الشعيب النجدة والمساعدة من يافع والمشرق. ومن البديهي أن يافع وباقي المناطق الشرقية ترفض مساعدة أو نصرة الشعيبيين، حتى لا يعطوا للدولة القاسمية مبرراً لمحاربتهم، والاستيلاء على بلادهم، خاصة بعد أن سمعوا عن

---

(١) محمود علي السالمي: محاولات توحيد اليمن بعد خروج العثمانيين، ص ١٤٣.

(٢) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٦٠٨.

الانتصارات التي حققتها الدولة القاسمية في عدن ولحج وأبين، لذلك نجدهم يجيبون على قبائل الشعيب بقولهم: «لا تفتحوا علينا ما نحن منه خائفون»(١).

وعندما وصلت الحملة العسكرية إلى منطقة الشعيب حاولت قبائل الشعيب مقاومتها والدخول معها في حرب، إلاَّ أنها في نهاية الأمر لم تجد بُداً من إعلان طاعتها وخضوعها للدولة القاسمية. وأنهم سيدفعون ما كان عليهم من المقررات أيام الحسن بن القاسم. غير أن محمد بن الحسن هذه المرة أصر على أنه «لن يقبل إلاَّ الواجبات على تمامها، والائتمام بالإمام، والتحكم للأحكام الشرعية على التمام»(٢).

وبما أن قبائل الشعيب في موقف الضعف، والدولة القاسمية في مركز قوة لم يكن أمامها إلاَّ الموافقة على تلك الشروط مجبرة.

ولم تكن قبائل الشعيب راضية أو مقتنعة بتلك الواجبات التي فُرضت عليها من قبل محمد بن الحسن، لذلك كانت موافقتها عليها آنية، ربما لأنها اعتقدت أنها ستتمكن من التخلص من ذلك بعد خروج الحملة العسكرية من منطقتها، وأن الدولة القاسمية ستنشغل بمهام أخرى، كما حدث سابقاً بعد وفاة الحسن بن القاسم، لذلك نجدها في عام (١٠٦٣هـ/ ١٦٥٣م) تعلن من جديد استقلالها عن الدولة القاسمية، رافضة القيام بما عليها من واجبات إزاءها.

ولنا أن نتساءل ما هو السبب الذي دفع قبائل الشعيب إلى إعلان تمردها على الدولة في هذه الفترة التي كانت فيه الدولة القاسمية في أوج قوتها ومجدها؟ وأنه من البديهي أن الإمام المتوكل ومحمد بن الحسن لن يتركوا قبائل الشعيب ينعموا باستقلالهم، خاصة وأن منطقة الشعيب من المناطق القريبة جداً من حدود الدولة القاسمية، حيث تقع إلى الشرق من قعطبة التابعة للدولة القاسمية كما سبق أن رأينا. لعلَّ السبب في تمردهم ما ذكره المؤرخ الجرموزي، حيث يقول: ثم اختلفوا فيما بينهم(٣)، وربما أن الاختلاف بينهم كان بسبب أن البعض كان يرى خلع الطاعة، وعدم إرسال ما عليهم

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص٦٠٩.
(٢) نفس المصدر، نفس الصفحة.
(٣) نفس المصدر، نفس الصفحة.

من واجبات، والبعض الآخر كان يرى البقاء على ما هم عليه من تبعية للدولة القاسمية، غير أنه على حسب تعبير المؤرخ الجرموزي: «وغلب عليهم رأي الجاهل»[1].

ومهما كان الأمر فإن محمد بن الحسن أرسل إليهم حملة عسكرية مرة أخرى بقيادة علي بن الهادي بن الحسن المحرابي، الذي طلب منهم في البداية إعلان طاعتهم للدولة، إلاَّ أنهم رفضوا ذلك، فرأى المحرابي أنه لا بد من محاربتهم وإخضاعهم بالقوة. فلما رأوا قوة الحملة العسكرية وكثرة الجنود، علموا أنهم لن يتمكنوا من مواجهتهم، فهربوا إلى يافع. وحاولوا مرة أخرى الاستنجاد بيافع، إلاَّ أنهم أجابوهم مثل المرة الأولى، بعدم قدرتهم على نُصرتهم[2].

وكرَّر المحرابي مراسلتهم بالعودة إلى بلادهم وإعلان خضوعهم وطاعتهم للدولة، إلاَّ أنهم اعتقدوا بأن المحرابي إذا بقي طويلاً في بلادهم فلن يجد ما يكفي العسكر ويضطر إلى العودة من حيث أتى، ثم يعودوا هم إلى بلادهم. غير أنه لما طال البقاء بالمحرابي في الشعيب، ولم تجب قبائله لما طلبه منهم، كما أنه لم يجد الزعماء والمشائخ الذين يُعتمد عليهم في أخذ الطاعة، عند ذلك أمر بهدم منازل الهاربين ومعاقلهم، وبالفعل هُدمت كثير من تلك المنازل. فلما علم الهاربون بذلك عادوا إلى بلادهم وأعلنوا الطاعة. واتجهوا إلى محمد بن الحسن لتأكيد طاعتهم، وأنهم سيؤدون ما عليهم من واجبات ومقررات للدولة، فكافأهم محمد بن الحسن على قدومهم إليه، وإعلان طاعتهم، فأمر أن لا يؤخذ منهم شيء من الحقوق التي للدولة حتى تُعمر بلادهم، وتعود كما كانت قبل أن تُهدَم[3].

الاستيلاء على بني أرض

بعد أن حقق الإمام المتوكل جزءاً مما كان يخطط له، وهو توسيع حدود الدولة جنوباً إلى عدن، وإعادة منطقة الشعيب تحت سيطرة الدولة القاسمية، كان لا بد له أن

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص٦٠٩.
(٢) نفس المصدر، نفس الصفحة.
(٣) نفس المصدر، ص ٦١٠،

يواصل ذلك التوسع للسيطرة على بقية المناطق الشرقية والجنوبية.

ومن الملاحظ أن الإمام المتوكل قبل إرسال حملات عسكرية إلى منطقة ما لإخضاعها كان يسبق ذلك بالرسائل المتكررة لمحاولة إدخال هذه المناطق تحت سيطرة الدولة بالطرق السلمية، فكما سبق أن رأينا أولاً في لحج وعدن كيف راسل صاحبها الحسين بن عبد القادر، ولما لم يجد فائدة من المراسلة، وجد المبرر المقنع للاستيلاء عليها، وكذلك منطقة الشعيب. وهنا في بني أرض لا شك أنه لم يجهز الحملات العسكرية لإخضاعها لسيطرة الدولة، إلاَّ بعد أن قام بالعديد من المراسلات لإدخالها تحت سيطرة الدولة سلماً.

وقد ذكرت المصادر التي بين أيدينا أسباباً مختلفة للاستيلاء على بلاد بني أرض، فنجد المؤرخ الجرموزي يسهب في ذكر الجهل، وعدم تطبيق الشريعة الإسلامية الصحيحة في بني أرض ويافع. وأن الإمام المتوكل قد راسل زعماء ومشائخ هذه الجهة، ودعاهم للدخول في الطاعة، وتطبيق الشريعة الإسلامية الصحيحة، والخطبة له.

وكان الشيخ حسين الرصاص أمير بلاد بني أرض، قد رفض الدخول في طاعة الإمام والخطبة له. عندها لم يجد الإمام المتوكل «عذراً عن قتالهم، ولا بقي له ولأهل جهته المذكورة حجة»[1]. وكان الرصاص قد عظم شأنه، وتغلب على خصومه من العوالق ومراد وغيرهم، فهابوا جانبه وأرسلوا له الهدايا.

ويذكر يحيى بن الحسين بأن الإمام إسماعيل أرسل الرسائل إلى الشيخ الحسين بن أحمد الرصاص للدخول في طاعته، إلاَّ أنه أجاب على تلك الرسائل بقوله: «هذا لا يتقدر له الطاعة، ولا الائتمام، بل بيننا وبينه السيف والدفع لمن وصل والإلمام»[2].

وعلى الرغم من أنه قد رفض مساعدة الشعيب خوفاً من الإمام، لكنه هنا رأى أن الأمر متعلق بمنطقته هو.

أما ابن عامر فيذكر بأنه: لما أراد الإمام دخول جيشه إلى حضرموت، كما سبق أن

---

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٦٧٩.
(٢) النص، ج١، ق ١٤٢ب.

ذكرنا، كاتب الشيخ حسين الرصاص للسماح لجيش الإمام بالمرور من بلاده. وكان الرصاص له شوكة قوية، فرفض طلب الإمام، وقال: إذا أراد الإمام التوجه إلى حضرموت فيدخل من بلاد الجوف، ويخرج من بلاد العوالق، وإلا فالحرب بيننا وبينه[1]. ويقول يحيى بن الحسين: «وهو أقرب جهة إلى هذه الجهات، وأول باب تلك المشارق النائيات»[2]. وتعتبر بلاد الرصاص أول تلك المناطق التي كانت تسيطر على البلاد، من بلاد بني أرض إلى مدينة البيضاء.

وكان بجانبه الهيثمي من دثينة، ثم العولقي إلى الشرق، ثم إلى الواحدي. وفي الجنوب الغربي من دثينة كان الفضلي[3].

ومهما كانت الأسباب، فإن الإمام المتوكل قد عقد العزم على إدخال هذه المنطقة تحت سيطرة الدولة. وبما أن الرسائل لم تجد نفعاً، فلا بد من الحرب وإرسال الجيوش لإدخالها بالقوة.

فاستدعى أبناء إخوته في بداية عام (١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤م) وأمرهم بالتوجه إلى المشرق، وإدخاله تحت طاعة الدولة، فاستجاب أولاد إخوته لدعوته، وتوجهوا إليه في ضوران. وكان أولهم محمد بن الحسن وأحمد بن الحسن والحسين بن الحسين، وذلك للتداول حول كيفية الإعداد لمحاربة حسين الرصاص، وإخضاع منطقته لسلطة الدولة[4].

وعلى الرغم من الانتقادات التي وُجهت للإمام المتوكل حول دخول المشرق. وأنه لم يحن وقته بسبب الجفاف الذي أصاب البلاد حينها من جانب، والخوف من عواقب ذلك الدخول من جانب آخر. ربما لقوة الرصاص باعتباره أقوى الزعامات القبلية الموجودة في المشرق. وأن بإمكانه جمع القبائل الأخرى المجاورة لمواجهة الدولة القاسمية. غير أن المتوكل كان ذا نظرة ثاقبة، إذ كان يرى أنه لا بد من القضاء على

---

(١) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٢٣٤-٢٣٥.
(٢) النص، ج١، ق١٤٢ ب.
(٣) Serjeant. R.B.Lewcock.R: Sana'a An Arabian Islamic City, P 80.
(٤) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٦٧٩-٦٨٠.

أقوى الزعامات القبلية في المشرق، والمتمثلة في حسين الرصاص؛ لأنه بعد القضاء عليه أو إخضاعه ستخضع الزعامات القبلية الأخرى لطاعة الإمام، لعدم قدرتها على مواجهة هذه الدولة القوية. وهو ما حدث كما سنرى.

ومن الجانب الآخر كان الإمام المتوكل لديه الثقة الكاملة بأن أبناء إخوته -خاصة محمد بن الحسن وأحمد بن الحسن- كانوا يبذلون أقصى الجهود من أجل تحقيق التوسع الذي كان يطمح إليه، وكانوا يداً واحدة، ويعملون في صف واحد. ولم توجد خلافات أو مشاحنات فيما بينهم، لذلك كله تحقق ما كان يخطط له الإمام المتوكل

ومما لا شك فيه أن التفاف أبناء إخوة الإمام حوله، ينم عن شخصية قوية كان يتمتع بها الإمام، فأعطاهم صلاحيات قد لا تتعارض مع كونه إماماً، له الرأي الأول والأخير، إلاَّ أنه أشبع رغبات كل واحد منهم، مما أوجد الثقة في أنفسهم، وزاد من حماسهم لتحقيق دولة قوية متماسكة، تتوسع حدودها أكثر من ذي قبل كلما سنحت الفرصة لذلك.

ونتيجة لكل ما سبق نجد أن الإمام المتوكل ما إن أمر في شهر صفر سنة (١٠٦٥هـ/ ١٦٥٤م)، بأن يتم إعداد الجيش لدخول المشرق، حتى نهض جميع أبناء إخوته بلا استثناء، وعلى الرغم أن الجهد الأكبر تحمله محمد بن الحسن وأحمد بن الحسن، إلاّ أن الجميع أبلى بلاءً حسناً في ذلك. وكان هذا من أهم أسباب نصر قوات الدولة القاسمية، كما سنرى.

ومهما كان الأمر فإن الإمام المتوكل عندما أخفق في إدخال الرصاص تحت طاعة الدولة بالطرق السلمية، ولما رأى إصراره على الحرب لم يجد بداً من إرسال الحملة العسكرية لمحاربته، وإخضاعه بالقوة. وبعد أن وجه الإمام أوامره إلى أبناء إخوته بذلك اتجه محمد بن الحسن وإخوته أحمد بن الحسن والحسين بن الحسن إلى ذمار، «وجمعوا عساكرهم وخيلهم حتى غصت ذمار بمن فيها، وكذلك الحصين امتلأت

جوانب عرصاته عسكراً وخيلاً»[1].

كما استعد محمد بن الحسين بمن معه من العسكر في جهات حراز، وهي تحت ولايته. وكذلك محمد بن أحمد بن القاسم استعد بمن معه من العسكر، وصاحب كوكبان كذلك استعد بعسكره. «فاجتمع الكل زهاء عشرة آلاف وألف حصان، وهي جملة جنود أهل اليمن هذا الزمان. وأكثر الخيل لمحمد بن الحسن»[2].

ومن البديهي أن يعين الإمام المتوكل ابني أخيه محمد بن الحسن وأحمد بن الحسن لقيادة هذه الحملة، باعتبارهما أكفأ آل القاسم في ذلك. ومنحهم صلاحيات كبيرة. وخرجت الحملة متجهة إلى رداع في بداية شهر ربيع الأول سنة (١٠٦٥هـ[3]/ ١٦٥٥م).

إذاً كان الاستعداد هذه المرة أكثر ضخامة من المرات السابقة وفاقت هذه الحملة الحملات السابقة، بسبب قوة الرصاص، ومقدرته على جمع أكبر عدد من المقاتلين من القبائل المجاورة له.

وقد برهنت الأحداث أن الإمام وأبناء إخوته كانوا مدركين لما سبق ذكره. وأن هذا الإعداد كان لا بد منه، فما أن سمع الرصاص بالإعداد لحملة عسكرية والخروج إلى بلاده حتى استعد لمواجهة تلك الحملة، وجمع من قبائله عدداً كبيراً. واستنجد بالقبائل المجاورة له مثل: العولقي والهيثمي ويافع[4]. وكان لابد لهذه القبائل أن تقف إلى جانب الرصاص وتؤازره؛ لأن هزيمة الرصاص ستكون هزيمة لها. وستتمكن الدولة القاسمية من إخضاع هذه القبائل بسهولة، لأنها لا تتمتع بالقوة التي كان يتمتع بها الرصاص، ومنطقته تعتبر خط الدفاع الأول لبقية المناطق القبلية الأخرى، كما رأينا سابقاً.

---

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٦٨٧.

(٢) النص، ج١، ق ١٤٢ب.

(٣) الجرموزي: نفس المصدر، ص ٦٨٩.

(٤) النص، نفس الجزء، نفس الورقة.

ومهما كان الأمر فقد قامت مجموعة من قوات الدولة القاسمية باحتلال إحدى المدن الهامة التابعة للرصاص، وهي مدينة الزهراء. كان الرصاص قد استولى عليها من قبيلة قايفة، وضمها إليه بالقوة[1]. لذلك استغل الشيخ الزين بن مصعب القايفي، شيخ قايفة هذه الفرصة، ليستعيد هذه المدينة المأخوذ منه عنوة، فأرسل رسالة إلى محمد بن الحسن يطلب مساعدته في الاستيلاء على الزهراء، وأنه يخشى أن يسبقه إليها الرصاص ومن معه من سلاطين المشرق، فوافق محمد بن الحسن على ذلك، وعين لقيادة الجيش صلاح بن محمد الديلمي والشيخ حسين بن صالح الحيمي، فقدموا إلى الزهراء ليلاً، وكان بها حامية عسكرية تابعة للرصاص، لكنها لم تتمكن من الصمود، فهربت وسقطت المدينة تحت سيطرة القوات الإمامية[2]. وكان هذا أول نصر تحققه الدولة ضد الرصاص.

أما الهزيمة الثانية التي مُنيت بها قوات الرصاص فكانت في منطقة تسمى (ذي كريش). وكان الرصاص قد أرسل أخاه الشيخ صالح الرصاص، ومعه خمسمائة لحمايتها، لكنهم هُزموا وهرب صالح الرصاص ومن معه من هذه المدينة، بعد أن احتلتها قوات الإمام[3]. وبذلك أصبحت مدينتان هامتان تحت سيطرة الدولة القاسمية.

وكان الرصاص قد عسكر في منطقة تسمى (نجد السلف)، بمن جمع من قبائله ومن انضم معه من القبائل المجاورة، ووصل عددهم إلى أكثر من ثلاثين ألف[4]. وألزم كل قبيلة بأن تنقل معها إلى هذه المنطقة أُسرها وحيواناتها. وأن تنصب لها الخيام من أجل ذلك، وتكون في شعاب قد أعدها لها بالقرب من مخيمه[5]. وكان هدف الرصاص من ذلك حتى لا تفكر هذه القبائل في الهرب أو الهزيمة.

(١) النص، ج١، ق ١٤٣أ.
(٢) الجرموزي تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٦٨٨-٦٨٩.
(٣) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٢٣٧.
(٤) الجرموزي: نفس المصدر، ص ٦٩٠.
(٥) النص، نفس الجزء، ق ٢٣٥أ.

ومن رداع قام محمد بن الحسن بمحاولة أخيرة للحيلولة دون الحرب مع الرصاص والقبائل الأخرى، ودخولها في الطاعة سلماً، فأرسل إلى الشيخ حسين الرصاص يطلب منه الدخول في طاعة الإمام في مقابل إبقائه على ما تحت يديه من المناطق، غير أن الرصاص كان قد أرسل إلى أحد زعماء الصوفية في حضرموت يُسمى الحبيب سالم بن أحمد من آل باعلوي في منطقة (عينات) يستشيره ماذا يكون الجواب على الإمام، فأجاب عليه بقوله: «سمعنا وعصينا، وأبى سالم وأبينا»[1]. عند ذلك لم يجد محمد بن الحسن وأخوه أحمد بن الحسن بداً من انطلاق الجيش لمحاربة الرصاص ومن معه، بعد فشل جميع المحاولات السلمية.

ولم تكن كل القبائل مع الشيخ حسين الرصاص، فهناك من القبائل من ساعد أحمد بن الحسن وجيشه ضد الرصاص، ولو خفية. ومن المرجح أن مساعدتهم لجيش الدولة القاسمية كان من ضمن العوامل التي ساعدت على النصر الساحق فيما بعد، كما سنرى. من هؤلاء على سبيل المثال شيخ بني غيلان وشيخ الملاجم، الذين كانت منطقتهم تقع حول نجد السلف، حيث تقدموا إلى أحمد بن الحسن خفية ودلوه على مكامن ضعف الشيخ الرصاص. وأنهم متخلون عن نصرته. كما تقدم إلى أحمد بن الحسن حوالي ألف مقاتل من قايفة وبني ضبيان، وانضموا إلى جيش الدولة القاسمية[2].

وكان الطرفان على أهبة الاستعداد للحرب، حيث كانت قوات الإمام في الزهراء وذي كريش، ومن تبقى في رداع. بينما الرصاص ومن معه معسكرين في نجد السلف.

ويبدو أن أحمد بن الحسن قد تعمد تأخير المواجهة مع الرصاص بغرض امتصاص اندفاع وحماس أنصاره للقتال، ونفاد صبرهم وتمويناتهم. وفعلاً سئم الرصاص ومقاتلوه الانتظار في نجد السلف، فاضطر إلى إرسال جزء من قواته إلى ذي كريش لاستفزاز الجيش القاسمي والتأثير على معنوياته[3]. إلاّ أن استعجاله كان من أسباب

(١) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط،ق ٢٣٦ب.
(٢) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم، الهجري، ص ٦٩٢.
(٣) محمود السالمي: محاولات توحيد اليمن، ص ١٥٦.

هزيمته فيما بعد، فيقول يحيى بن الحسين، «فاستعجل في أمر كانت له فيه أناة»[1]. فبعد أن أمر الرصاص بغزو قرية ذي كريش في الليل وقع الحرب بين الطرفين. وكان ذلك سبب تحرك جيش الإمام، حيث توجه على الفور إلى الزهراء، التي كانت قد استولت عليها قوات الدولة القاسمية من قبل، كما أسلفنا، وما زال أحمد بن الحسن يخاطب الرصاص بالدخول في طاعة الإمام، وأن بلاده تبقى تحت يده، لكنه رفض كل العروض والمطالب[2]. وتقدم الجيش القاسمي عند ذلك إلى نجد السلف في ٤ شهر ربيع الآخرة من سنة (١٠٦٥هـ/ ١٠ فبراير ١٦٥٥م). ولن ندخل في تفاصيل دقيقة حول كيف كانت الحرب بين الطرفين، إلاّ أنه دارت هناك معركة حاسمة لصالح قوات الدولة القاسمية بقيادة أحمد بن الحسن، فلما شعرت القبائل المجاورة، التي شاركت في المعركة بتلك الهزيمة هربت متخلية عن نصرة حليفها الرصاص، خوفاً من أن تُحاصر. ولم يثبت في أرض المعركة إلاّ الرصاص وقبائله. وقد قاتل ببسالة، لكنها رجحت كفة جيش الدولة القاسمية بقيادة أحمد بن الحسن. وانتهت المعركة بهزيمة ساحقة للطرف الآخر. وقُتل حسين الرصاص، وأُرسل برأسه إلى الإمام المتوكل في ضوران[3].

وأسفرت المعركة بالطبع عن قتلى من الجهتين، غير أن المصادر التي بين أيدينا تذكر أن عدد القتلى من جيش الدولة القاسمية يقدر بنحو ستين نفراً[4].

ومن البديهي أن ينتهب جيش الدولة بعد انتهاء المعركة ما وجده من الغنائم في معسكر الرصاص، خاصة أنه وقبائله قد أتوا إلى نجد السلف محملين بأمتعتهم وسلاحهم، وحتى نسائهم.

أما صالح الرصاص شقيق الشيخ حسين الرصاص فقد هرب بعد الهزيمة، وأخذ

---

(١) النص، ج١، ق ١٤٣أ.

(٢) النص، نفس الجزء، ق ١٤٢ب-١٤٣أ.

(٣) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٦٩٣.

(٤) النص، نفس الجزء، ق ١٤٤أ.

معه النساء إلى البيضاء [1].

وبعد انتهاء المعركة كان لا بد لأحمد بن الحسن أن يواصل تقدمه إلى البيضاء ويخضعها لسلطة الدولة سلماً أو حرباً.

ولكن مما لا شك فيه أنه بعد الهزيمة الساحقة ومقتل الرصاص، فإن شقيقه صالح لن يفكر في مقاومة أحمد بن الحسن وجيشه، وتقدم أحمد بن الحسن إلى منطقة تسمى (الصلالة)، ما بين نجد السلف والبيضاء. وكان قد استولى عليها شرف الدين، من أتباع أحمد بن الحسن ومعه حوالي مائتان وخمسون، دخلوا الصلالة ليلاً وغنموا منها ما لا يُحصى [2]، لأنه كان بها مخازن الحبوب التابعة للرصاص. ثم تقدم أحمد بن الحسن وجيشه إلى البيضاء يوم الخميس ١١ شهر ربيع الآخر سنة (١٠٦٥هـ/ يناير ١٦٥٥م)، ولما استقر بها كان أول ما قام به أن أرسل من تبقى من النساء والأطفال إلى صالح الرصاص، وهو في منطقته وتسمى (عبرة)، من الجبال المتصلة ببيحان [3].

وبعد مراسلات وشروط وضعها صالح الرصاص للوصول إلى أحمد بن الحسن، الذي أرسل يستشير أخاه محمد بن الحسن، ثم استشار الجميع الإمام المتوكل، فأجاب عليهم بقبوله والإحسان إليه من دون شرط معين. وكان الرصاص يريد أن يكون له ما كان لأخيه حسين من البلاد، غير أن أحمد بن الحسن أجاب عليه بانه لن يأخذ إلا ما أراده الإمام من البلاد وغير ذلك [4].

فتقدم صالح الرصاص إلى أحمد بن الحسن وهو في البيضاء، وأكرمه وأعاد إليه بعضاً من بلاد البيضاء، وقرر له رواتب، وبذلك دخلت بلاد بني أرض والبيضاء جميعها تحت سيطرة الدولة القاسمية.

ومما لا شك فيه أن النصر الذي حققه الجيش القاسمي في هذه المنطقة يعد ذا أهمية كبيرة، إذ أنه من جانب زاد من سمو مكانة الإمام المتوكل وهيبته لدى الخاصة والعامة،

(١) النص، ج١، ق ١٤٣أ.
(٢) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٦٩٧.
(٣) نفس المصدر، ص ٦٩٨.
(٤) نفس المصدر، ص ٦٩٨-٦٩٩.

ودلل على قوة هذه الدولة وهيبتها لدى القبائل التي تقع مناطقها تحت حكم الدولة القاسمية. كما زاد هذا النصر من مكانة محمد بن الحسن وأحمد بن الحسن المادية والمعنوية، إلى جانب بقية أبناء إخوة الإمام، الذين أبلوا بلاءً حسناً في إخضاع هذه المنطقة مثل: محمد بن الحسين، والحسين بن الحسن وأحمد بن محمد بن القاسم، وغيرهم.

أما القبائل التي كانت خارج سلطة الدولة، فقد داخلها الخوف بعد هزيمة الرصاص، الذي كان يعتبر القوة الرئيسية في المنطقة، وتمكنت الدولة من قتله وإخضاع منطقته بالقوة، وبالتالي فمن الطبيعي أن تكون هذه القبائل هي المستهدفة بعده، خاصة أنها كانت لا تتمتع بنفس القوة التي كان يتمتع بها الرصاص، لذلك أحدث هذا الانتصار ردود فعل قوية لدى زعماء ومشائخ المناطق المجاورة للرصاص، فلن تفكر في الدخول في حرب مع الدولة، أو مقاومة جيشها. وأنه لا بد أن تدخل سلماً في طاعتها، فبعد أن استقر أحمد بن الحسن في البيضاء وراسل صالح الرصاص بشأن إعلان طاعته، وصل إليه رسالة من السلطان منصر بن صالح العولقي يعلن فيها طاعته وولاءه للدولة القاسمية، فأجابه أحمد بن الحسن بالقبول. وأمر بالمنادي في المخيم أن العولقي بلاده من جملة بلاد الإمام[1]. كما وصل ابن الفضلي فأمنه أحمد بن الحسن، وجعل له ولاية بلاده. ثم أرسل الرسائل إلى بقية حكام المشرق، فوصل إليه منهم أيضاً وأنهم معلنون الولاء والطاعة[2].

أما سلطان حضرموت بدر بن عبد الله الكثيري، الذي كان قد تغلب على عمه بدر بن عمر وأخذ منه السلطنة وحبسه، فما أن سمع بما حققته الدولة من نصر حتى أرسل الهدايا والرسائل التي تدل على ولائه وطاعته للدولة القاسمية.

---

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٧٠٠.

(٢) نفس المصدر، نفس الصفحة.

الاستيلاء على يافع

كانت يافع قد شاركت في محاربة جيش الدولة القاسمية إلى جانب الشيخ حسين الرصاص، ثم انسحبت خوفاً من الهزيمة. وبعد انتهاء أحمد بن الحسن من إخضاع بني أرض، وإدخالها تحت سلطة الدولة بدأ يراسل يافع، طالباً منها الدخول في طاعة الإمام، وإعلان الولاء، لكنها لا زالت تصر على عدم الاستسلام، والدخول تحت سلطة هذه الدولة[١]، معتقدة بأن جبالها الحصينة ستحميها وتمكنها من هزيمة جيش الدولة القادم إليها. وأن المُدافع في هذه المناطق الحصينة ستكون له الغلبة أكثر من المُهاجم، الذي قد لا يعرف الكثير عن تلك المناطق. وكما يقال: (أهل مكة أدرى بشعابها).

وبعد فشل المراسلات لم يجد أحمد بن الحسن بداً من دخول يافع وإخضاعها بالقوة، فبدأ يهيء الجيش الذي سيتجه إلى يافع، وفي المقابل كانت يافع قد استعدت للمواجهة بكل ما تستطيع من قوة. وتحصنت في الجبال، والذي أهمها جبل (العر) ويعتبر من الجبال المنيعة، فوضعت يافع في هذا الجبل حامية عسكرية كبيرة، وقطعت بعض الطرق حتى لا تستطيع الخيل المرور[٢].

وكان لليافعيين اعتقاد كبير في السيد سالم بن أحمد السابق ذكره، حيث استنجدوا به للدفاع عن بلادهم. أما أحمد بن الحسن فقد أرسل بعض الجند إلى منطقة (الخَلَقَة)، ثم تبعهم محمد بن الحسين بجميع من معه من الجنود، بينما قبائل يافع متحصنة في جبل العر، ثم وصل الخبر إلى أحمد بن الحسن بأن الشريف سالم قادم من حضرموت بغارة إلى يافع، فأرسل بجميع عسكره إلى دثينة ليقطع عليه الطريق. فلما علم سالم بذلك عاد إلى حضرموت[٣].

ولما استقر محمد بن الحسين في (الخلقة) أعلن أهلها الطاعة والولاء. ولم يبق من

---

(١) النص، ج١، ق ١٤٤ب.

(٢) الجرموزي: نفس المصدر، ص ٧٣٦.

(٣) النص، نفس الجزء، ق ١٤٤ب-١٤٥ب.

المقاومين إلا من تحصن في تلك الجبال.

ولن ندخل في تفاصيل تلك الحروب التي دارت بين الطرفين، والتي بدأت في ١٩ جمادى الآخرة سنة (١٠٦٥هـ/ ٢٥ إبريل١٦٥٥م)، غير أنه بعد مواجهات عسكرية هامة وحاسمة تمكن جيش الدولة القاسمية بقيادة محمد بن الحسين من الاستيلاء على جبل العر بأكمله، بينما هرب اليافعيون الذين كانوا متحصنين به، ومدافعين عنه إلى الجنوب. وواصل جيش الدولة تقدمه إلى الجنوب، حتى استولى على منطقة تسمى (مرفد)[١]، بينما تحصن اليافعيون في أماكن حصينة، وحاربوا محمد بن الحسين وجنوده، وكادوا يهزمونهم، فأرسل محمد بن الحسين إلى أحمد بن الحسن يستنجد به قبل أن تحاصره قبائل يافع في مرفد، عند ذلك اضطر أحمد بن الحسن أن يتقدم بنفسه على رأس قوة كبيرة، وكان في البيضاء. ولما سمعت يافع بقدوم أحمد بن الحسن -وكان معروفاً لدى القبائل بقوته وقدرته على هزيمتهم- اضطرت إلى الاستسلام والخضوع له، ومن ثم لسلطة الدولة القاسمية. وقد عبر يحيى بن الحسين عن ذلك بقوله: «فلما سمعوا وصوله، وتحركت طبوله هرب يافع، وولوا الأدبار، ونجوا بالفرار. ثم طلبوا الأمان، فبذل لهم أمانهم»[٢]. وتقدم إليه زعماء يافع، وهو في مرفد لتقديم الولاء والطاعة للدولة القاسمية، وبعد ذلك أرسلهم إلى أخيه محمد بن الحسن في رداع، الذي بدوره أرسلهم إلى الإمام المتوكل في ضوران. ولما وصلوا إلى الإمام عفا عنهم وأكرمهم، وأعطاهم اللباس والنقود والسلاح والخيول[٣].

وبعد أن أصبحت يافع وما حولها تحت سيطرة الدولة القاسمية أمر الإمام المتوكل أن يُعين عليها شرف الدين بن المطهر، وأن يُعين على بلاد الرصاص ودثينة وما يليها محمد بن علي بن جميل[٤].

---

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٧٣٩.
(٢) النص، ج١، ق ١٤٥ب.
(٣) الجرموزي: نفس المصدر، ص ٧٤١.
(٤) نفس المصدر، نفس الصفحة.

وعندما شعر أحمد بن الحسن بأن مهمته قد انتهت في هذه المناطق رأى أن يعود بمن معه إلى رداع، فعاد إليها دون علم الإمام المتوكل، الذي كان يرى أن يبقى في يافع وما إليها مدة أطول خوفاً من تمردهم أو خروجهم على الدولة[1]، فلم يعلم الإمام بخروج أحمد بن الحسن ومن معه إلا وقد أصبحوا في (الزهراء).

ويورد الجرموزي بأن السبب في تحرك أحمد بن الحسن ومن معه إلى رداع ليس لأنه أكمل فرض سلطة الدولة على تلك المناطق فحسب؛ بل إنه أيضاً وصل إليه كتاب من الأمير صالح بن حسين بن الشويع -الذي أرسله على رأس وفد إلى حضرموت- ذكر فيه بأن السلطان بدر بن عبد الله الكثيري قد أعلن الطاعة للدولة وخطب للإمام، وأطلق سراح عمه بدر بن عمر[2]. فرأى أحمد بن الحسن بأنه لم يعد هناك ضرورة للبقاء في يافع أو التوجه إلى حضرموت. وواصل تقدمه إلى رداع قبل أن يعود إليه جواب الإمام بالبقاء في يافع.

ولما وصل جيش الدولة بقيادة أحمد بن الحسن إلى رداع استقبلهم محمد بن الحسن الذي كان بمثابة القائد الأعلى لقوات الدولة. وبعد ذلك تحرك الجميع إلى ضوران، مقر الإمام المتوكل، حيث هنأهم بالنصر، وما حققوه من توسيع لسلطة الدولة[3].

غير أن الأحداث أثبتت فيما بعد أن الإمام المتوكل كان صائباً عندما رأى أنه لا بد للجيش أن يبقى في يافع مدة أطول، حتى يتأكد لأحمد بن الحسن صدق استسلام يافع وخضوعها، لأنه بعد خمسة أشهر من خروج الجيش من يافع أعلن أحد زعماء يافع وهو الشيخ معوضة ابن العفيف تمرده على الدولة.

ولم يكن مع والي يافع حينذاك من الجيش ما يكفي للقضاء على ابن العفيف، فاستسلم ثم طُرد من يافع، وقُتل بعض أصحابه.

ولما علم الإمام بذلك أرسل ابنه محمد بن إسماعيل إلى البيضاء، وتبعه بقية أبناء

(١) النص، ج١، ق١٤٥ب.
(٢) الجرموزي: نفس المصدر، ص ٧٤٢.
(٣) نفس المصدر، ص٧٤٣.

إخوة الإمام، بما فيهم أحمد بن الحسن-الذي كان قد أخضع يافع وعاد إلى ضوران كما أسلفنا-ثم اتجه الجميع إلى الموسطة. وفي بداية سنة (١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م)، تقدموا إلى يافع، ودارت بينهم معركة كبيرة هُزم فيها ابن العفيف والناخبي ولم يتمكنا من الصمود. وطلب ابن العفيف الأمان بعد أن قُتل من أتباعه حوالي ثلاثمائة. وبعد أن مُنح الأمان أُرسل به إلى الإمام المتوكل[١].

وحصل أحمد بن الحسن ومن معه على الكثير من الغنائم. وأمر بالاستيلاء على أموال الزعماء المتمردين، كما أمر بمصادرة أسلحة جميع أهالي بلاد ابن العفيف. واستسلمت جميع يافع لسلطة الدولة.

وقد عبّر المؤرخ يحيى بن الحسين عن ذلك بقوله: «وواجهت يافع أجمع من حد العر إلى عدن، وجميع جباله وحصونه ... وهي بلاد ممتدة واسعة، وأهلها كثيرة»[٢].

وبعد أن تمكن أحمد بن الحسن من بسط سلطة الدولة مرة ثانية. على جميع يافع وما حولها، استدعى جميع مشائخ يافع وشيخ بني أرض صالح بن أحمد الرصاص، وأرسلهم إلى الإمام لتجديد الولاء. وبعد ذلك أمر الإمام المتوكل بأخذ جميع أسلحة يافع، وإيصالها إليه في ضوران، فوصل إليه كثير من بنادقهم محملة على ظهورهم ورقابهم، وأودعها خزانة حصن الدامغ لديه[٣]. ثم عين الإمام المتوكل ابن أخيه الحسين بن الحسن والياً على يافع والبيضاء وما إليهما[٤]، وعين نائباً له في يافع الفقيه الحسين بن يحيى المخلافي، وفي بلاد البيضاء وما إليها الفقيه علي بن صلاح الجملولي[٥]. بينما استقر الحسين بن الحسن في رداع ليدير أمر تلك المناطق من هذه المدينة[٦].

---

(١) أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق ٨-١٠.
(٢) النص، ج١، ق ١٤٨ب-١٤٩أ.
(٣) نفس المصدر، ق ١٤٩أ.
(٤) أبو طالب: نفس المصدر، ق ٩-١٠.
(٥) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٧٦٠.
(٦) النص، نفس الجزء، ق ١٤٩ب.

ولما استتبت الأمور في يافع وما إليها كتب أحمد بن الحسن وأخوه الحسين إلى جميع سلاطين المشرق مثل الرصاص والعولقي والفضلي وغيرهم يطلبون منهم الوصول لتجديد إعلان الولاء والطاعة. وكان من العبارات التي كتبوها: «إما وصلتم إلينا أو وصلنا إليكم»[1]. فلم يتخلف أحد منهم، وسارعوا في الوصول، وأُرسل بهم إلى الإمام المتوكل في ضوران لتجديد الولاء والطاعة. على الرغم من أنهم قد أعلنوا طاعتهم للدولة، غير أن أحمد بن الحسن رأى أنه لا مانع من تجديد الولاء، لتأكيد التبعية لهذه الدولة خاصة بعد تمرد ابن العفيف في يافع، كما أسلفنا.

ومن البديهي أنه بعد تلك الهزيمة التي مُني بها ابن العفيف وغيره من مشائخ يافع أن يكون له بالغ الأثر على خضوع باقي المناطق المجاورة، حيث تأكد لها بأن الدولة القاسمية قوة لا يستهان بها. وأن التمرد أو الخروج عليها سيكون غير ذي جدوى، لذلك نجد مسارعة زعماء هذه المناطق بإعلان أو تجديد الولاء والطاعة لهذه الدولة القوية دون قيد أو شرط.

وبذلك توطدت سلطة الدولة القاسمية في مناطق اليمن الجنوبية والشرقية بشكل فعلي. ولم يبق خارج السلطة الفعلية سوى حضرموت وما إليها، فرأت الدولة متمثلة في الإمام وأبناء إخوته أنه لا بد من إخضاعها لسلطتها بالقوة.

دخول حضرموت والاستيلاء عليها

مما لا شك فيه أن استيلاء الدولة على حضرموت يعد ذا أهمية خاصة، كعملية استراتيجية طويلة المدى على منطقة كانت لها تضاريس صعبة[2].

وكما وجد الإمام مبررات لدخول المناطق الجنوبية والشرقية السابقة، سيجد هنا المبرر الذي يعطية الحق في دخول حضرموت والاستيلاء عليها.

لقد سبق أن ذكرنا بأن سلطان حضرموت بدر بن عمر كانت تربطه بالدولة

---

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٧٦١.

(٢) Serjeant. R.B.Lewcock.R: Sana'a An Arabian Islamic City, P 80.

القاسمية علاقات ودية وثيقة، وتبودلت بين الطرفين الهدايا والرسائل. وعندما وصل إسماعيل بن القاسم إلى الإمامة سنة (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م) تجددت العلاقات وتبودلت الرسائل والهدايا بينهما، كما كانت في عهد الإمام المؤيد. غير أن بدر بن عبد الله وهو ابن أخي السلطان بدر بن عمر كان قد أصبح يشكل خطراً على عمه بدر بن عمر، لمحاولته تحديه، مما دفع الأخير إلى تأكيد ولائه للدولة القاسمية(١)، وذكر اسم الإمام المتوكل في الخطبة(٢).

وكان هذا التصرف من بدر بن عمر ذا مغزى، إذ إنه سيضمن مساعدة الإمام إسماعيل إذا ما ثار أو تمرد عليه ابن أخيه بدر بن عبد الله. ولعلَّ بدر بن عمر كان يدرك ذلك وأن ابن أخيه بدأ يعد العدة لإقصائه من السلطنة، وأخذها لنفسه.

ومهما قيل من أسباب الخلاف بين بدر بن عمر وابن أخيه بدر بن عبد الله، فإن الأخير كان يطمح للوصول إلى السلطنة، لذلك استغل علاقة عمه بدر بن عمر بالإمام المتوكل في إثارة آل كثير ضده. وتمكن من القبض على عمه وعلى أبنائه وأودعهم السجن(٣). وما أن علم الإمام المتوكل بذلك التصرف الذي قام به بدر بن عبد الله حتى اعتبره تحدياً له، وإهانة موجهة إليه، وبادر بإرسال الرسائل إليه يأمره بإطلاق سراح عمه بدر بن عمر، وإعطائه ولاية ظفار، فأجابه برسالة في شهر رمضان سنة (١٠٦٥هـ/ ١٦٥٥م) تتضمن إجابة الإمام، بأنه أطلق سراح عمه وتنازل له عن ولاية ظفار. وأظهر في رسائله الولاء والطاعة للإمام المتوكل.(٤)

ولا شك أن هذا التصرف من بدر بن عبد الله تصرفاً طبيعياً، إذ أنه كان قد شعر بقوة الدولة القاسمية في هذه الفترة، خاصة بعد أن علم بتلك الانتصارات التي أحرزتها في المشرق والجنوب، وأنه لم يبق خارج إطار الدولة القاسمية سوى

(١) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ١٦٠-١٦١.
(٢) النص، ج١، ق ١٤٠أ.
(٣) سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ١٦١.
(٤) نفس المرجع، ص ١٦٢.

حضرموت وظفار، لذلك كان لا بد للسلطان بدر بن عبد الله أن يظهر ولاءه لهذه الدولة القوية، خوفاً من الاستيلاء على بلاده.

وكان الإمام المتوكل من الجانب الآخر يسعى لربط حضرموت بالدولة القاسمية سياسياً وإدارياً، وإخضاعها مباشرة تحت سلطة الدولة، يتضح ذلك من خلال الرسالة التي أرسلها مع القاضي الحسن بن أحمد الحيمي، الذي أرسله الإمام إلى حضرموت سنة (١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧) لإلزام السلطنة الكثيرية على الاعتراف بالسلطة الفعلية للدولة القاسمية على حضرموت وظفار.

وألحق الرسالة بما عُرف (بالعهد)، وتضمن العديد من الأوامر، التي ألزم السلطان بدر بن عبد الله بتنفيذها، والبدء في ذلك قبل مغادرة الحيمي لحضرموت منها: نصب النواب المعتبرين، والحكام المرتضين. وإقامة الحدود الشرعية. ومحو آثار البدع المنكرة، والاعتزاء إلى أهل البيت في العقائد والالتجاء إلى الأحكام الشرعية. وأخذ ما أمر الله بأخذه من واجبات الأموال من الصدقات والأخماس والمظالم[(١)]. «وصرف القدر الذي أمرنا بصرفه في مواضعه، مما لا يتم إلا به صلاح الآمر والمأمور في تلك الجهات»[(٢)].

وبعد إطلاق سراح بدر بن عمر وإعطائه ولاية ظفار، وتعهد السلطان بدر بن عبد الله بالالتزام (بالعهد) الذي أرسله الإمام مع الحيمي تحسنت العلاقة في الظاهر بين الإمام والسلطان بدر بن عبد الله. وعاد القاضي الحيمي محملاً بالهدايا من السلطان بدر بن عبد الله للإمام المتوكل[(٣)]، غير أن الأول لم يكن صادقاً في التزامه بذلك العهد الذي أرسله الإمام. وقد شجعه أخوه جعفر بن عبد الله على الخروج عن طاعة الإمام المتوكل. وجعفر بن عبد الله كانت إليه ولاية ظفار قبل أن تُعطى لبدر بن عمر. ولا بد أن هذا سيجعله يحاول إقناع أخيه السلطان بدر بن عبد الله على أخذ ظفار من عمه بدر بن عمر بالقوة، وطرده منها. ولما حدث هذا الأمر لم يكن أمام بدر بن عمر إلا

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٧٩٣-٧٩٤.

(٢) نفس المصدر، ص ٧٩٤.

(٣) النص، ج١، ق ١٥٥أ.

الهرب والتوجه إلى الإمام المتوكل، لإنصافه من أبناء إخوته[1].

وعلى الرغم من أن السلطان بدر بن عبد الله قد برر للإمام المتوكل بأن ذلك تم دون علمه من خلال رسائل تبودلت بينهما، غير أن الإمام رأى أن تلك المراسلات غير ذات جدوى، وقرر الاستيلاء على حضرموت، وإخضاعها بالقوة. وأناط بتلك المهمة لرجل المهمات الصعبة ابن أخيه أحمد بن الحسن، الذي خرج من الغراس في ٢٠ شوال سنة (١٠٦٩هـ/ ١٠ يوليو ١٦٥٨م)[2].

وكان كلما مر بقبيلة انضم إليه عدد من رجالها، حتى انضم إليه العديد من القبائل التي كانت ترغب في الانضمام إليه، بينما الإمام المتوكل إسماعيل كان يواصل إمداده بالمال والرجال، منهم ابنه محمد بن إسماعيل وغيره، وكانت هذه الإمدادات تصل إلى أحمد بن الحسن وهو يواصل سيره في طريقه إلى حضرموت. وكان آخرها قد وصلته وهو بواسط من بلاد العولقي. ومن هناك استأنف تحرك جيشه إلى حضرموت، بعد أن رأى كثرة هذا الجيش وجاهزيته[3].

غير أن جيش أحمد بن الحسن قد تعرض خلال توجهه إلى حضرموت للكثير من المخاطر والمتاعب، فبمجرد تصور أن أحمد بن الحسن قد قطع بجيشه المسافة ما بين الموضع الأول، الذي تحرك منه إلى أن وصل حضرموت في نحو عشرة أشهر[4]. نعرف مدى المصاعب والمشاق التي تعرض لها جيش كثيف كهذا يمر بمناطق لا يوجد فيها ما يلزم تموين الجيش ودوابه من ماء وغذاء[5]، فقد اضطر الجيش أن يحفر في بعض

(١) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ١٦٤.

(٢) النص، ج١، ق ١٧٠ب. يذكر المؤرخ الجرموزي: أن خروج أحمد بن الحسن كان في ١٨ شهر شوال. الجرموزي: نفس المصدر، ص ٨٣٠.

(٣) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٨٣٤-٨٣٦.

(٤) كان أحمد بن الحسن قد خرج متوجهاً إلى حضرموت في شهر شوال سنة (١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م)، ووصل إلى حضرموت، واستولى على أهم مناطقها في شهر شعبان سنة (١٠٧٠هـ/ إبريل ١٦٦٠م)، انظر: النص، ج١.

(٥) د.حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ٥٢.

الطرق التي مر بها آباراً بلغ عمقها إلى مائتي ذراع،لسد حاجته إلى الماء[1]. كما نفد ما كان مع الجيش من غذاء، خاصة في وادي حَجْر، حتى اضطروا إلى أكل الميتات، وما تعب من الجمال، لانقطاع القوافل[2]. كما تعرقل أحمد ابن الحسن وجيشه في منطقة تسمى (أنصاب)، لعدم توفر الجمال. وكانت معنويات رجاله متدنية، غير أنه استطاع أن يتغلب على ذلك بعد أن أرسل عيوناً للتعرف على البلاد[3]. كما أن الشيخ العمودي، حاكم دوعن زودهم بما يستطيع من الغذاء. وكان موالياً للإمام المتوكل[4].

وفي الوقت الذي كانت فيه جيوش الدولة القاسمية تزحف إلى حضرموت، كانت رُسل الإمام تفاوض السلطان بدر بن عبد الله، وتطالبه بتنفيذ ما تعهد به من إرسال حملة إلى ظفار، لتأديب أخيه جعفر، واسترداد ظفار منه والقبض عليه أو طرده، فاعتذر السلطان بدر بن عبد الله بأنه لن يقبل أحد من آل كثير الاشتراك في هذه الحملة، بحجة أنهم لا يستطيعون أن يغادروا بلادهم لتخلفهم فيها جنود الإمام، لذلك اقترح أولاً إيقاف الزحف، وأن يعودوا من حيث أتوا، على أن يتكفل هو بدفع جميع النفقات، إلاَّ أن الإمام لا بد له أن يرفض مثل هذا العرض. ولذلك فشلت المفاوضات. واستشار السلطان بدر ذوي الرأي، فأشار عليه البعض بالتسليم وعدم المقاومة، بينما حثه الأغلبية على المقاومة، ففضل المقاومة، واستعد للقتال[5].

أما أحمد بن الحسن، فإنه لما وصل إلى منطقة تسمى (ريدة أبا مسدوس)، توجهت إليه معظم القبائل الحضرمية بالطعام والمؤن، معلنة ولاءها وطاعتها للإمام المتوكل[6].

واستمر أحمد بن الحسن في تقدمه حتى وصل إلى القرب من منطقة (هينن)، حيث جرت معركة بين الطرفين هرب على إثرها السلطان بدر بن عبد الله إلى شبام، ودخل أحمد بن الحسن هينن، في يوم الخميس ٥ شعبان (١٠٧٠هـ/ ١٥ إبريل ١٦٦٠م).

---

(١) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص٥٢.
(٢) النص، ج١، ق ١٧٠ب.
(٣) Serjeant. R.B.Lewcock.R: Sana'a An Arabian Islamic City, P 80.
(٤) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ١٦٧.
(٥) باوزير: نفس المرجع، ص ١٦٨؛ د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر،ص٥٣.
(٦) النص، ج١، ق ١٧٤ب.

واستولى هو وجيشه على ما خلّفه السلطان بدر، ثم تقدم إلى شبام، فلما علم السلطان بقدوم أحمد بن الحسن هرب من شبام إلى (وادي شنافر)، بينما دخل أحمد بن الحسن شبام، عند ذلك لم يكن أمام جميع البلاد الحضرمية إلا الاستسلام، وإعلان الولاء والطاعة. وبعد ذلك وصل أحمد بن الحسن إلى مقر السلطان بدر بن عبد الله في سيئون، واستولى على كثير من خزائنه[١].

أما السلطان بدر بن عبد الله فلم يكن أمامه إلا أن أعلن استسلامه وخضوعه، وأرسل إلى أحمد بن الحسن يطلب منه الأمان، فأمنه وأحسن استقباله، ثم أرسله إلى الإمام المتوكل في ضوران، الذي استقبله وأكرمه[٢].

وبذلك يكون أحمد بن الحسن قد أكمل مهمته العسكرية بالاستيلاء على معظم المناطق التي كانت تخضع للسلطان بدر بن عبد الله، ثم قام بتنظيم شؤونها الإدارية، فعين الولاة والعمال على المدن الحضرمية، ونصب القضاة، وجمع الزكاة، وحرَّم الملاهي، ونودي بأن يزاد في الأذان (حي على خير العمل) تطبيقاً للمذهب الزيدي في صيغة الأذان، ومنع الناس في تريم من إقامة الذكر، المعروف، براتب السقاف.[٣]

وبعد أن أكمل مهمته العسكرية والإدارية داخل حضرموت أرسل حملة عسكرية بقيادة بدر بن جميل إلى الشحر، أهم مدن الساحل، وأرسل معه علي بن بدر بن عمر الكثيري ليكون حاكماً عليها من قبل أبيه السلطان بدر بن عمر، فلم تلق الحملة أي مقاومة تذكر، حيث أظهر المتولي للشحر الطاعة، «وسلَّم إليهم الحصن وشؤون المدينة والميناء»[٤].

وأمر الإمام المتوكل بأن تُسلم السلطنة إلى الحليف السابق للدولة القاسمية السلطان بدر بن بن عمر الكثيري، فسلمه أحمد بن الحسن حضرموت بعد أن قام

---

(١) النص، ج١، ق ١٧٥أ.

(٢) النص، نفس الجزء، ق ١٧٦ب.

(٣) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ١٧٠-١٧١؛ د. حسين العمري: نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٤) باوزير: نفس المرجع، ص ١٧٠.

باعتقال جميع أعدائه وخصومه. وبذلك تكون حضرموت قد دخلت تحت السيطرة المباشرة للدولة القاسمية. وأصبح السلطان بدر بن عمر سلطاناً على حضرموت باسم الإمام المتوكل إسماعيل، حيث ولاّه الإمام حضرموت على شروط، ذكرها بن عامر بقوله: «والخطبة والسكة وتوجيه البلاد إليه» أي إلى الإمام، والبندر من الشحر إلى الإمام، بعامل من عنده»[1]. ولأهمية الشحر كميناء رأى الإمام أن يخضع لسيطرة الدولة مباشرة، لذلك نجده في عام (١٠٧٥هـ/ ١٦٦٥م) يعين عليه أمير الدين العلفي، الذي كان متولياً لعدن قبل ذلك.

وعاد أحمد بن الحسن ومن معه من الجند والسادة والأعيان والمشائخ. وكان وصولهم إلى البيضاء ليلة عيد الأضحى في شهر ذي الحجة سنة (١٠٧٠هـ/ أغسطس سنة ١٦٦٠م)[2]، ووصلوا إلى الإمام المتوكل في ضوران محملين بالكثير من الغنائم. واستقبلهم استقبالاً عظيماً. وقد أشار يحيى بن الحسين إلى ذلك بقوله: «ودخلوا في مدخل عظيم، وملقى فخيم، وأبهة ملوكية، وحالة سلطانية»[3].

أما ظفار فلم يتمكن أحمد بن الحسن من التوجه إليها، واستمرت تحت حكم جعفر بن عبد الله الكثيري، حتى سيطر عليها حاكم عمان سلطان بن سيف، وتم تعيين حاكمٍ جديدٍ من قبل السلطان العماني -اسمه خَلَف-[4] غير أن سيطرة العمانيين على ظفار سرعان ما انتهت في سنة (١٠٧٣هـ/ ١٦٦٣م)، حيث استعادها الكثيريون، وأجبروا خَلَف الحاكم العماني على مغادرتها، تاركاً مدفعين في ظفار، لم يتمكن من حملها معه، أثناء خروجه منها[5]. وحكمها محمد بن جعفر الكثيري معلناً ولاءه للدولة القاسمية، وذكر اسم الإمام المتوكل في الخطبة[6]. وبذلك تكون ظفار أيضاً قد

---

(١) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٢٣٩.

(٢) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٨٧٣.

(٣) النص، ج١، ق ١٧٨أ.

(٤) نفس المصدر، ق ٢٠٣أ.

(٥) نفس المصدر، ق ٢٠٣أ-٢٠٣ب.

(٦) نفس المصدر، ق ٢٠٣ب.

دخلت تحت سيطرة الدولة القاسمية.

وعلى الرغم من أن سلطان بن سيف حاكم عمان أراد أن يبرر هزيمة خَلَف الذي عينه على ظفار، وإخراجه منها، بأن قدومه إليها كان باستدعاء جعفر بن عبد الله لمساعدته. وبأنه ليس هناك فائدة من إرسال قوات وأمير يحكم ظفار، حيث يقول في رسالة أرسلها للإمام المتوكل: «ولقد لزمنا لمن فيه نفقاتهم وأزوادهم، وما يحتاجونه مدة بقائهم. ولم يدخل علينا منه شيء، بل مجرد الإنفاق، ولا مصلحة أتتنا من تلك الآفاق. فلا رغبة لنا فيه، ولا غرض ننافس عليه»[1]. إلاَّ أن هذا التبرير الذي ذكره سلطان بن سيف غير صحيح، فإذا لم يكن هناك فائدة أو مصلحة-ولو حتى مستقبلية-في الوصول إلى ظفار، وإدخالها ضمن حدود الدولة اليعربية في عُمان، فلن يكلف سلطان بن سيف نفسه بإرسال من يحكمها، ويُرسل معه العسكر والسلاح، ويتحمل نفقاتهم، وما يحتاجونه مدة بقائهم. ولكن من الطبيعي أنه كان يطمع في الاستيلاء عليها وإدخالها في إطار دولته التي كانت تتمتع بشيء من القوة حينها، خاصة أن ظفار قريبة من عُمان، وأرضها خصبة.

أما السلطان بدر بن عمر فإنه بعد سنتين من عودته إلى السلطنة في حضرموت اتجه إلى الحج سنة (١٠٧٣هـ/ ١٦٦٣م)، فتوفي في المدينة المنورة، عند ذلك أمر الإمام المتوكل أن يخلفه في السلطنة ابنه محمد المردوف، فتولاها إلى أن مات سنة (١٠٨٠هـ[2]/ ١٦٦٩م).

وبذلك يكون الإمام المتوكل قد سعى جاهداً إلى توحيد اليمن، وجعله تحت سيادة الدولة القاسمية. وتمكن بفضل تماسك الأسرة القاسمية والتفاف أبناء إخوته حوله، وإخلاصهم له من إخضاع جميع مناطق اليمن. وكان لهذه السياسة أثرها الواضح في ارتفاع مكانة الدولة القاسمية وخوف القبائل ورهبتها من هذه الدولة التي لم توجد أي قوة منافسة لها تستطيع إيقاف توسعها وبسط سيطرتها، لذلك وجدت بعض هذه

(١) النص، ج١، ق٢٠٣ب.

(٢) باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ١٧١.

المناطق أنه لا بد أن تعلن ولاءها لهذه الدولة سلماً. أما من رفض ذلك ودخل في حرب معها، فقد اضطر أن يعلن ولاءه لها بالقوة، كما سبق أن رأينا.

وكانت سياسة الإمام المتوكل وأبناء إخوته التوسعية سياسة حكيمة، إذ حرصوا على إخضاع كل منطقة على حدة ابتداءً من عدن التي كانت تعد ذات أهمية اقتصادية كبيرة. وبعد ذلك المناطق القريبة من حدود الدولة القاسمية مثل الشعيب وبني أرض، ثم ما تلاها من المناطق والتي أهمها يافع إلى أن وصلت إلى حضرموت. ووصلت سلطتها إلى الشحر، أهم موانئ حضرموت، ثم إلى ظفار التي على حدود عُمان. وبذلك أصبحت الدولة القاسمية في عهد الإمام المتوكل تضم اليمن بكامله.

ولكن الأسئلة التي تطرح نفسها هي: هل استطاعت هذه الدولة أن تحافظ على قوتها وازدهارها؟ هل استطاعت أن تحكم المناطق التي أدخلت تحت سلطتها بنفس القوة التي كانت عليه عند الاستيلاء عليها؟ كيف استطاعت أن تفرض هيبتها على سائر المناطق القريبة والبعيدة؟

ثانياً: الاستقرار ومحاولة فرض سلطة الدولة على اليمن الموحد

لقد عمل الإمام المتوكل إسماعيل جاهداً على فرض هيبة الدولة وسلطتها على كافة المناطق اليمنية سواءً التي كانت تابعة للدولة القاسمية منذ عهد أخيه الإمام المؤيد، أم في المناطق التي أُدخلت في عهده سلماً أو حرباً.

وقد أسهب كثير من المؤرخين المعاصرين له واللاحقين في شرح أوضاع الأمن والاستقرار التي شهدتها البلاد في عهده، وكذلك الازدهار الاقتصادي والثقافي، وانتشار المدارس العلمية والإنفاق عليها من قبل الدولة، خاصة في الفترة الأولى من توليه الإمامة حتى بداية الثمانينات. كما اهتم هؤلاء المؤرخون بذكر صفات الإمام المتوكل وأخلاقه وحلمه، وغزارة علمه. وأن تلك الصفات كانت من العوامل المساعدة في وصول اليمن إلى ما وصلت إليه من الازدهار.

لقد شهدت البلاد في معظم حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل الذي امتد ثلاثاً وثلاثين عاماً حقبة من الاستقرار السياسي والازدهار الثقافي والاقتصادي لا نظير لها في تاريخ اليمن الحديث[1].

فها هو يحيى بن الحسين على الرغم من أنه يعتبر من المؤرخين القلائل الذين انتقدوا جوانباً من سياسة الإمام المتوكل، غير أنه لا يتردد بين الحين والآخر من أن يذكر إيجابياته، وبأن عصره أكثر العصور أمناً واستقراراً فنجده مثلاً يقول: «وكان في مدته أحوال الناس ساكنة في غالب وقته، لم تحصل له معارضة في أمره»[2].

وقد عبَّر ابن عامر عما تتمتع به شخصية الإمام المتوكل من هيبة وقدرة على توحيد اليمن، وإخضاعها بأكملها تحت سيطرته، فيقول: «جمع أكثر البلاد، ودان له المشرق والمغرب. وخطب له في أقصى شرق اليمن حضرموت والشحر وظفار ... وهابته الملوك، واعتقدت به. وعلى الجملة فقطر اليمن من نجد إلى بندر عدن تحت قلمه، ومن ظفار والشحر إلى بندر اللحية كذلك»[3].

أما الحبسي فيذكر كيفية قدرته على نشر الأمن والاستقرار في البلاد فيقول: «الحق والشرع، وانتشار الأمن في جهات لا يقدر عليها في العادة ملوك اليمن والحجاز. وامتداد ذلك في جميع أقطار اليمن»[4].

كذلك بعض المؤرخين المستشرقين وصفوا عصر الإمام المتوكل بأنه أزهى العصور، فها هو (سرجنت) يقول: إن فترة حكم الإمام المتوكل على الله البالغة ٣٣ سنة تعتبر ألمع عصر في فترات حكم الأئمة الزيديين. وأوصلت معالم امتداد لمنطقة سيطرتهم إلى أبعد حدودها[5].

---

(١) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ٦١.

(٢) النص، جـ٢، ق ١١٤أ.

(٣) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٣٩٨.

(٤) الحبسي: تتمة الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، مخطوط، ق ١١٤ب.

(٥) Serjeant. R.B.Lewcock.R: Sana'a An Arabian Islamic City, P 80.

وعقب الانتصارات التي حققتها الدولة في المناطق التي كانت خارجة عن سلطتها أصبحت مهابة الجانب لدى القبائل المختلفة، بفضل سياسة الإمام المتوكل، فيقول الحسين بن ناصر المهلا: «استوثق له اليمن بأسره من البحر إلى مكة. وارتعدت لهيبته الأقطار البعيدة، وكاتبه ملوكها وهادوه»[1].

وبعد أن تمكن الإمام المتوكل من توحيد اليمن، حرص على فرض هيبة الدولة عن طريق تطبيق الشريعة الإسلامية سواء عن طريق الولاة والعمال الذين كان يعينهم الإمام، أو عن طريق القضاة والحكام الذين انتشروا في كل المناطق، وعُينوا من قبل الإمام أيضاً. فنجد يحيى بن الحسين سنة (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م) يهتم بذكر تطبيق الشريعة الإسلامية بدلاً مما عُرف بالطاغوت[2]، فيقول: «وفي هذه المدة ظهرت أحكام الشريعة في أكثر بلاد اليمن، بل في جميعه في السهل والجبل. وعُرضت كتب الطواغيت والمنع في الأسواق. وصلَّب بها المجلدون، فلله الحمد على ذلك»[3].

ومن البديهي أن انتشار الأمن والاستقرار السياسي الذي عاشته الدولة في هذه الفترة قد ساعد على الازدهار الاقتصادي. وقد عبر الإمام الشوكاني عن ذلك بقوله:«ولم ير الناس أحسن من دولته في الأمن والدعة والخصب والبركة. وما زالت الرعايا معه في نعمة، والبلاد جميعها مجبورة كثيرة الخيرات. وكثرت أموال الرعايا. وكل أحد آمن على ما في يده، لعلمه بأن الإمام سيمنعه عدله عن أن يتعرض لشيء من ماله»[4].

وبغض النظر عن بعض سنوات الجفاف التي تعرضت لها البلاد، نجد أن معظم عهد الإمام المتوكل كانت فيه الأوضاع الاقتصادية مزدهرة ومستقرة، إذا ما قورنت

---

(١) الحسين بن ناصر المهلا: حسنة الزمان في ذكر محاسن الأعيان، مخطوط، ق ٩أ.

(٢) الطاغوت والمنع: المقصود بهما الأعراف والتقاليد التي يلجأ إليها أبناء القبائل لحل مشاكلهم، مما كان يخالف أحكام الشريعة الإسلامية مثل المبالغة في تقدير الدية، أو عدم توريث النساء. وقد أطلق على الأعراف هذا التعبير للتمييز بينها وبين الأحكام الشرعية، حيث أن بعضها يتعارض مع هذه الأحكام كما نظر إليها أحياناً من الناحية السياسية بأنها إبعاد للقبائل عن السلطة القائمة التي تتمسك بأحكام الشريعة، د. سيد سالم: وثائق يمنية، ص ٥٤.

(٣) النص، ج١، ق٢١٩أ.

(٤) محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، جـ١، ص ١٤٨-١٤٩.

بمن جاء بعده من الأئمة. وكان ثمة حركة تجارية نشطة ازدهرت وتطورت بشكل ملحوظ. وعلى حد تعبير (سرجنت): كان المتوكل مهتماً كثيراً بشؤون الرعية. وفي أيامه كانت الطرق مؤمنة، والأسعار رخيصة. ولا يقوم أحد بظلم أحد من الآخرين، حتى ولو كان الآخرون من الكفار، فبالتالي أتى التجار من كل البلدان[(١)].

ونتيجة للاستقرار الأمني والازدهار الاقتصادي، فقد ازدهرت الحياة الثقافية والفكرية، حيث تمتع اليمن بنهضة علمية واضحة المعالم. ومما زاد من ازدهار الحياة العلمية أن الإمام المتوكل إسماعيل كان آخر الأئمة المجتهدين، فيصفه ابن عامر بأنه كان شبيهاً بالأئمة السابقين في السبق، حاز العلوم جميعاً، وبلغ رتبة الاجتهاد في أقرب وقت من عمره[(٢)].

وتوفرت العوامل الأساسية لازدهار الحياة العلمية في عهد المتوكل، فزاد عدد المدارس، ومن ثم زاد عدد طلبة العلم والعلماء. وكان الإمام المتوكل يصرف على الطلبة والعلماء ما يحتاجونه من طعام، ويوفر لهم المأوى[(٣)]. كما حرص على عقد العديد من المجالس العلمية، التي كان يجري فيها المناقشات والمناظرات، ليس بين علماء المذهب الزيدي فحسب، بل بينهم وبين علماء الشافعية، أو بينهم ومن كان يفد إلى اليمن من العلماء من الأقطار الإسلامية المختلفة[(٤)].

كما أن ثمة عاملاً مهماً ساعد على ذلك الازدهار وهو تواصل نهج المدرسة الزيدية في الاجتهاد، ورفض مقولة: إقفال باب الاجتهاد. وكان الإمام المتوكل وإخوته كمعاصريهم تلاميذ تلك المدرسة[(٥)].

وتزخر كتب تراجم عصر المتوكل بالكثير من أعلام الفقه والفكر والأدب والتاريخ والسياسة، الذي ترك معظمهم مؤلفات ومصنفات تُذَكِّر بعصر الازدهار للثقافة

---

(١) erjeant. R.B.Lewcock.R: Sana'a An Arabian Islamic City, P 80.

(٢) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٣٩١.

(٣) النص، ج١، ق ٢٦٣ب-٢٦٤أ

(٤) النص، نفس الجزء، ق ١٣٨أ-١٣٩أ.

(٥) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ٦٢.

العربية الإسلامية الكلاسيكية مع جدة في الاجتهاد، وتجديد الفكر. وإذا شارك معظم أولئك في علوم وفنون علمية وأدبية عدة، فقد انخرط بعضهم أيضاً في عمل الإدارة الرسمية للمتوكل من قضاء وكتابة، وقيادة وولاية (عُمال) أو سفارة[1].

ولم يكن يضيق صدر الإمام المتوكل بالمخالفين له في الرأي أو الاجتهاد الفقهي، وحتى السياسي فلم يتخذ موقفاً عدائياً من المعارضين له، فنجد مثلاً العلامة الجلال رغم انتقاده للمتوكل، وبعث له برسالة انتقادية عنيفة لما بلغه مسلك الشدة في قتال بعض قوات جيشه مع قبائل يافع، سماها: (براءة الذمة في نصيحة الأئمة)، إلاّ أن الإمام المتوكل كان يجله غاية الإجلال[2]. وكذلك العالم والمؤرخ يحيى بن الحسين كان في معظم الأحيان ينتقد سياسة عمه المتوكل المالية في مناطق اليمن الأسفل، عن طريق الرسائل التي كان يرسلها إليه، غير أنه كان يحترمه ولم يكن يضيق صدره من تلك الانتقادات، وكان يجيب على رسائل يحيى بن الحسين مبرراً سياسته تلك.

وتتجسد سياسة الإمام المتوكل في العفو والتسامح من خلال إحدى وصاياه لأولاده قبل وفاته، حيث يقول ما لفظه: «وأوصيهم بإصلاح ذات البين، فإنه أفضل من عامة الصلاة والصيام، كما جاء بذلك الأثر. ولا يتم ذلك إلاّ بالاحتمال والصبر، والتغاضي من كثير، والعفو»[3].

كما أنه لم يتعرض للقاضي عبد القادر المحيرسي بأذى، رغم أنه أفتى بأن الاعانة التي فرضها الإمام على الناس غير واجبة عليهم؛ لأن الخزائن فيها ما يغني عنها، ونتيجة لهذه الفتوى امتنع بعض أهالي الشاحذية -التي كان المحيرسي قاضياً عليها- عن تسليم ما فرضه الإمام[4]. ولم يعزله المتوكل عن القضاء في هذه المنطقة.

وعلى إثر ذلك الانتعاش الذي شهدته الدولة القاسمية، وتلك الانتصارات التي حققتها في ضم أجزاء اليمن تحت سيطرتها رأى الإمام المتوكل أن يتوسع في خارج

(١) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ٦٤.
(٢) نفس المرجع، ص ٦٣.
(٣) النص، جـ٢، ق ١١٨أ.
(٤) النص، ج١، ق ١٤٨أ.

اليمن، وعلى وجه التحديد في الحجاز وعُمان والحبشة.

لقد كان المتوكل بين الحين والآخر تراوده أحلام الاستيلاء على بلاد الحجاز، وطرد العثمانيين منه، فما أن يسمع عن وجود خلل فيه حتى يفكر في ذلك، عن طريق الرسائل التي كان يرسلها إلى أشراف الحجاز يدعوهم للاعتزاء إليه، ودفع الزكاة له. أو إرسال الجيوش للاستيلاء عليها من يد العثمانيين(١). غير أن من كان يستشيرهم كانوا ينصحونه بعدم التفكير في ذلك، لقوة الدولة العثمانية، وأنها لن تسمح بخروج الحجاز من يدها لأهميته الدينية، وأيضاً لأسباب خاصة باليمن، منها أنه يتعرض للكثير من التمردات والمعارضات والدعوات. «وأن الكثير من أهله كامنة فيهم طلب الرئاسات»(٢).

ولم تقتصر رغبة الإمام في دخول الحجاز فحسب، بل إنه-كما ذكر يحيى بن الحسين- في سنة (١٠٦٥هـ/ ١٦٥٥م) رأى أن يرسل جنوده وخيوله إلى الحبشة، وتحدث للمقربين إليه بشأن ذلك. ومما دفعه إلى التفكير في ذلك على حد تعبير يحيى بن الحسين القصائد التي نظمها القاضي حسين بن أحمد الحيمي، بعد عودته من الحبشة، إثر الرسالة التي بعثها الإمام المتوكل إليها بقيادته(٣).

كما نجد الإمام يفكر في السيطرة على عُمان، فيذكر يحيى بن الحسين بأن الإمام وابن أخيه أحمد بن الحسن كانوا قد رأوا إرسال جنودهم عن طريق نجران، ثم إلى الحسا والبحرين وبلاد عُمان أو البصرة. كان هذا التفكير إثر رسالة بعث بها الشاه عباس الصفوي، يقترح فيها على الإمام أن يتعاونوا على أهل عُمان، للاستيلاء على بلادهم. غير أن الكثير من خاصته أشاروا عليه بعدم المجازفة، وعدم إجابة الشاه عباس إلى ذلك. فعدل الإمام عن ذلك(٤).

---

(١) النص، جـ٢، ق ٢٣أ-٢٣ب.

(٢) النص، نفس الجزء، ق ١١٢أ-١١٢ب.

(٣) النص، ج١، ق ١٤٩ب-١٥٠أ.

(٤) النص، نفس الجزء، ق ٢٢٥أ.

ومما لا شك فيه أن اطمئنان الإمام المتوكل لقوة دولته، والتفاف رجالها حوله، وإخلاصهم له، والاستقرار السياسي وما تبعه من ازدهار اقتصادي وعلمي، كل ذلك جعل الإمام المتوكل يفكر في التوسع خارج اليمن. فلو أنه كان يعاني من تفكك أو يشعر بضعف هذه الدولة لما راوده التفكير في ذلك البتة.

ولعلّ ما يؤيد ذلك أن من أتى بعده من الأئمة انشغلوا معظم فتراتهم في القضاء على منافسيهم على الإمامة، ومن الأسرة القاسمية نفسها. هذا إلى جانب التمردات وخروج بعض مناطق الأطراف عن سيطرة الدولة، لذلك لم نسمع عن تفكير للتوسع خارج اليمن في عهد من جاء بعده من الأئمة عدا أحمد بن الحسن كما سنرى لاحقاً.

وعلى الرغم من أن الإمام المتوكل لم ينفذ ما كان يطمح إليه من توسع خارج اليمن، غير أنه بين الحين والآخر كان يصل إليه وفود أو رسائل من الخارج يطلبون الدخول تحت سلطة الدولة القاسمية، من ذلك على سبيل المثال وصول رسالة من قبائل في حدود البصرة، وهم من بلاد الجميلي، سنة (١٠٦٧هـ/ ١٦٦٥م) يذكرون فيها أنه بلغهم عدل الإمام المتوكل في اليمن، «وأنهم يودون الدخول في الطاعة في السر والعلن، وتسليم الزكاة إلى رسوله، والاعتزاء إليه في قليله وكثيره»[(١)].

غير أنه لم يتم من ذلك شيء من الجهتين، لخوفهم من السلطان العثماني. «وبعد صاحب اليمن من تلك الأوطان»[(٢)]. وفي منطقة (ينبع)، (تقع إلى الشمال من جدة)، تم في بعض مساجدها سنة (١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م)، الخطبة للإمام المتوكل، غير أنها عدلت عن ذلك خوفاً من العثمانيين، وشريف مكة[(٣)].

وفي حالات أخرى كان يفد إلى الإمام حُكام بعض المناطق المجاورة لليمن، لطلب المساعدة منه بالمال والسلاح، لأسباب كثيرة، لعل أهمها: اضطراب الأوضاع في مناطقهم، فها نحن نجد متولي (عتود). عبد الكريم بن باز. يتجه إلى الإمام المتوكل

(١) النص، ج١، ق ١٥٣ب-١٥٤أ.

(٢) النص ، نفس الجزء والورقة.

(٣) النص ، نفس الجزء، ق ١٦٩أ-١٦٩ب.

ومعه ثلاثين نفراً ليمده الإمام بالسلاح والمال، حتى يستطيع البقاء فيها، وإخضاع قبائلها، وتنفيذ أمر شريف مكة الذي ولاّه عليها، فساعده الإمام، وأعطاه ما طلب، وعاد إلى (عتود)(١).

ليس ذلك فحسب، بل إنه كان يحدث بين الحين والآخر نزوح من المناطق المجاورة لليمن إلى داخلها، لعلمهم بالاستقرار الأمني والازدهار الاقتصادي فيه، فنجد في سنة (١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م) نظراً للصراع بين الباشا حسن والشريف سعد في مكة ارتفعت الأسعار مما أدى إلى نزوح كثير من أهل مكة والمدينة إلى تهامة وزبيد وبيت الفقيه(٢).

ومن التجسيدات الأخرى لطموح الإمام المتوكل بما له من دور كخليفة على المسلمين(٣)، ولكي يؤكد قوة دولته وازدهارها، فإنه في عام (١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م) أصدر قراراً بتعيين أميراً للحجاج اليمنيين برفقة كتيبة من العسكر. وكان يرسل مع الأمير قدراً من النقود، عُرفت باسم (الصرة) لشريف مكة، الذي بدوره كان يوزع جزءاً منها للفقراء والمساكين في مكة(٤). واستمر إرسال أمير الحج مع الصرة حتى سنة (١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م)، ثم طلب الوالي العثماني والشريف بركات من الإمام المتوكل أن يدخل الحجاج من اليمن بدون أمير أو عسكر أو سلاح، فاضطر الإمام إلى إرسال الحجاج برفقة السيد محمد صلاح إلى منطقة (حلي) ويعود، كما كان عليه الوضع في عهد الإمام المؤيد(٥).

وكان في عهد الإمام المؤيد يرافق الحجاج اليمنيين السيد محمد بن صلاح متولي جيزان وأبي عريش بمجوعة من العسكر حتى يصل بهم إلى منطقة (حلي) كي لا يتعرضوا للنهب والسلب، ثم يتركهم ويعود بعسكره ويواصل الحجاج مسيرهم إلى مكة بدون أمير ولا عسكر ولا (صره)(٦). على الرغم من أنه في فترة آل رسول كانت

---

(١) النص، جـ٢، ق ١٦ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق ١٦أ-١٦ب.
(٣) rjeant. R.B.Lewcock.R: Sana'a An Arabian Islamic City, P 80 .
(٤) النص، ج١، ق ١٢١أ.
(٥) النص، ج٢، ق ٣٢أ-٣٢ب.
(٦) النص، نفس الجزء والورقة.

هناك بعثة حج يمنية. وكانت قد تصادمت في إحدى المناسبات مع المماليك، الذين ألقوا القبض على قائد آل رسول، الذي كان مع البعثة[1].

وبعد أن رأينا القوة والازدهار التي عاشتها الدولة القاسمية في عهد الإمام المتوكل، إلا أن هناك عدة أسئلة تطرح نفسها هنا، منها: هل استمرت الدولة بنفس القوة التي كانت عليها حتى توفي المتوكل؟ وإذا كان هناك ثمة تمردات أو محاولة خروج عن سلطة الدولة، فكيف كانت تتعامل مع مثل ذلك؟ وما هي الوسائل التي كانت تستخدمها الدولة لإخضاع هذه المناطق؟

إن الحقيقة التي لا يستطيع أي مؤرخ تجاهلها هي أن الإمام المتوكل لم يعتمد على أبناء إخوته في توسيع حدود الدولة فحسب، بل إنه قد اعتمد عليهم أيضاً في إدارة تلك المناطق.

وإذا ما تطرقنا إلى كيف تمكن الإمام من فرض هيبة الدولة ونشر الأمن والاستقرار، سنجده قد استخدم القوة لتطبيق ذلك، وبوسائل مختلفة منها على سبيل المثال ما ذكره لنا المؤرخ يحيى بن الحسين في سنة (١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م). حيث ذكر بأن محمد بن الإمام المتوكل اتجه إلى بلاد الهيثمي ووصلها فجأة، أو على غفلة، فعاقبهم، وقتل عسكره حوالي ستة منهم، واضطر الهيثمي إلى الهرب إلى بلاد الفضلي. وكان سبب ذلك أن الشيخ المذكور «كان من جملة من قطع الطريق، وأفسد فيها بالتمحيق»[2]. وفي سنة (١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م) استعاد محمد بن أحمد بن القاسم ما تم نهبه في طريق العمشية، واضطرت مشائخ برط إلى دفع تعويضات لما تم نهبه[3].

وكان الإمام في بعض الحالات يضطر إلى حبس بعض المشائخ، بسبب قطع الطريق، والتقطع للقوافل أثناء مرورها من بلادهم[4] حرصاً منه على القضاء على أعمال النهب والتقطع في الطرقات، وفرض هيبة الدولة، خاصة في الفترة الأولى من

(١). erjeant. R.B.Lewcock.R: Sana'a An Arabian Islamic City, P 80
(٢) النص، ج١، ق ١٧٦أ
(٣) النص، جـ٢، ق ٥أ-٥ب.
(٤) النص، ج١، ق ١٨٥أ.

حكمه، وحتى الثمانينات الهجرية.

وكان أحمد بن الحسن-وهو رجل المهمات الصعبة-يضطر أن يتجه بنفسه لتأديب هؤلاء المتقطعين، الذين كانوا يتعرضون للقوافل التجارية بالسلب والنهب.

أما من كانوا يمتنعون عن تسليم الواجبات فقد اهتمت الدولة بإنزال عقوبات صارمة بهم، حتى يكونوا عبرة لغيرهم، وكانت الدولة تستطيع في معظم الأحوال إلزام هؤلاء بدفع ما عليهم من واجبات بالقوة، فكانت ترسل إلى تلك المناطق من يقوم بتأديبها وإخضاعها. فنجد على سبيل المثال كانت بعض المناطق في عهد الإمام المؤيد تسلم الزكاة بالأمانة، من دون تحري من الدولة، وتُسلم إلى فقهاء من جهتهم، غير أن الإمام إسماعيل أصدر أوامره في بداية حكمه بأن تُسلم الزكاة إلى الولاة المعينين من الدولة، وإرسالها إليه مباشرة، وتكون كاملة. ومن هذه المناطق منطقة تسمى (ملاحاً) من أطراف بلاد خولان صنعاء، التي رفضت تنفيذ أوامر الإمام، فلم يتردد في استخدام القوة، حيث أرسل إليهم أحمد بن الحسن، الذي قام بهدم بعض منازلهم وقطع بعض أشجار أعنابهم. «فلما عرفوا صدق الطلب، والقهر بالأمر لهم والغلب أذعنوا بالطاعة، والتسليم إلى من رآه الإمام لتلك البضاعة»[١]. وبذلك أصبحت هذه المنطقة عبرة لغيرها من المناطق، خاصة المناطق الأخرى من خولان، التي ما أن سمعت بما قامت به الدولة في منطقة (ملاحا) حتى انخرط عند ذلك سائر بلاد خولان[٢]. كذلك بلاد الحيمة التي أعانت الإمام القاسم والإمام المؤيد في حروبهم مع العثمانين وكانت تشكل نسبة كبيرة من الجيش القاسمي، فكافأهم الإمام المؤيد. ولم يرسل من قبل الدولة من يطوف أشجار البُن ويقدر ما عليها من ثمرة ليُقدر على ضوئها الزكاة، بل كانوا يدفعون الزكاة بالأمانة، وليس عليهم ضرائب تجبى من أسواقهم[٣]، واعتادوا على ذلك، غير أن الإمام المتوكل بعد أن أصبحت اليمن جميعها تحت سيطرته، وتوسعت حدود دولته، رأى في سنة (١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م) أنه لا بد

(١) النص، ج١، ق ٨٣ب.

(٢) النص، نفس الجزء والورقة.

(٣) النص، نفس الجزء،ق ٢٢٨ب-٢٢٩أ.

للحيمة أن تسلم ما عليها من الزكاة مثل سائر مناطق اليمن، وأمر بالطيافة والخرص مثل غيرهم. وعلى الرغم من أنهم اتجهوا إلى الإمام المتوكل يخبروه بما تعتاد بلادهم، والأمر معهم من الإمام المؤيد واضح، فلم يجبهم الإمام إلى ما طلبوا، وأصر على أن يسلموا ما عليهم من واجبات مثل غيرهم من المناطق[1].

ولما رفض أهالي نجران تسليم ما عليهم من واجبات للدولة، اتجه إليها علي بن أحمد بن القاسم سنة (١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م) -وهو والي صعدة حينذاك. وكانت نجران تابعة لولايته- وأجبرهم على تسليم ما عليهم من حقوق للدولة، فسلموها بالقوة[2].

كما عملت الدولة جاهدة على منع غزو القبائل لبعضها البعض ونهبها، أو قيام نزاع أو خلاف بين قبيلتين، فكانت ترسل ما عُرف (بالأدب) على تلك القبائل. وكان الأدب عبارة عن عسكر يُرسلون إلى هذه القبيلة أو تلك، ويفرض عليهم ما عرف (بالسَبَار) وهو أن تتكفل القبيلة بأكل العسكر وشربهم وسكنهم، قلّوا أم كثروا، حتى تعلن تلك القبائل خضوعها للدولة[3]. فمما لا شك فيه أن توجه جيش الدولة إلى منطقة ما كان يكلف أهالي تلك المنطقة تكاليف باهظة، ويشكل عبأً كبيراً، لتحملهم كل ما يحتاجه هذا الجيش. وقد تكون هذه النفقات أضعاف الواجبات المفروض تسليمها للدولة، لذلك نجد أنه عندما أراد أحمد بن الحسن دخول برط لتأديبهم بسبب رفضهم تسليم الزكاة، يكثر أهالي برط المكاتبة للإمام وإلى محمد بن الحسن يترجونهم بعدم دخول أحمد بن الحسن بلادهم؛ «لأنها لا تحتمل، وهم مطيعون، مسلمون الواجبات إلى قضاتهم، فأمر الإمام أحمد بن الحسن بالعودة، فعاد الغراس»[4].

ولم يقتصر الأمر على إرسال جيش الدولة لمنطقة ما للإنفاق عليه فحسب، بل حرص الإمام على القضاء على الحروب والعصبية بين القبائل مستخدماً القوة في بعض

---

(١) النص، ج١،ق ٢٢٩أ.

(٢) النص، جـ٢، ق ١٠٢ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق ٦٧ب.

(٤) النص، ج١، ق ٢٢٢أ

الأحيان، فنجده في عام (١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م) يجهز ابن أخيه الحسين بن الإمام المؤيد إلى قبة خيار (من بني صريم في حاشد) ويأمره بخراب بيوتها، وإزالة ما فيها، «لأجل ما وقع بينهم من الحرب والفتنة والعصبية القَبْلية، فأخرب منها بيوتاً وعروشاً، وتركها خاوية»[1].

ولم يكن الإمام يتهاون إزاء أي امتناع عن دفع الواجبات المقررة للدولة من زكاة وضرائب وغيرها، فكان يأمر بإنزال عقوبات صارمة، ليكونوا عبرة لغيرهم، فنجد مثلاً الشيخ صالح بن مطهر بن وازع -ولعله من مشائخ الجوف- عندما رفض تسليم ما عليه من واجبات للدولة أرسل له الإمام جنوداً، فاضطر إلى الهرب. فأمر الجنود أن يأخذوا ما في معاقله من الحبوب، وكانت كثيرة، ثم أمر بهدم تلك المعاقل، فكانت عبرة لغيره، حيث وصل إليه الأمراء من أهل الجوف بالزكاة والنذور والهدايا. واضطر بعد ذلك الشيخ صالح بن مطهر إلى الوصول للإمام معلناً توبته[2].

كما حرص الإمام المتوكل على فرض هيبة الدولة على المناطق التي أُدخلت مؤخراً تحت سلطة الدولة، فنجده بين الحين والآخر يوجه ابنه أو أبناء إخوته للاطلاع على الأوضاع فيها، والعمل على استتباب الأمن، وضمان ولائها للدولة، فهو مثلاً في سنة(١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م) يجهز ابنه محمد وابن أخيه محمد بن أحمد بمجموعة من العسكر إلى البيضاء، «لأجل إصلاح الطرق وتسكين القبائل عن المحق فيها، والخلل لا يحصل بجهتها، فنزلوها واستقروا بها»[3].

ولم يكن الإمام المتوكل يكتفي بمعاقبة الخارجين عن سلطة الدولة أو الرافضين دفع ما عليهم من واجبات مرة واحدة، بل كان يستمر في فرض العقوبات أكثر من مرة، حتى تعلن تلك القبيلة وشيخها الخضوع التام لسلطة الدولة. أما إذا عادت إلى شيء من ذلك، فكان الإمام يكرر إرسال الجنود لفرض العقوبات المختلفة عليها.

ولعلَّ الشيخ يحيى بن روكان، أحد مشائخ خولان الشام أبرز مثال على ذلك. فقد

(١) النص، ج١، ق ١٢١أ-١٢١ب.
(٢) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٦١٤-٦١٥.
(٣) النص، نفس الجزء، ق ١٧١ب.

كان أول تمرد له سنة (١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م)، حيث طرد عُمّال الإمام، فأرسل الإمام إليه مجموعة من العسكر، فأصلحوا ذلك الخلل[١]. غير أنه بعد ثلاث سنوات وبالتحديد في سنة (١٠٦١هـ/ ١٦٥١م) عاد إلى التمرد والخروج على الدولة، متفقاً هذه المرة مع محمد بن إبراهيم المؤيدي، الذي عارض الإمام المتوكل كما سبق معنا. «فلما بلغ الإمام ذلك الأمر من الرجلين، بعد أخذ المواثيق، وتأكيد التبعات عليهما المرة بعد المرة، والكرة بعد الكرة»[٢]، أرسل إليهما مجموعة من العسكر. فلما وصلا إلى الإمام أظهرا الندم، وأنهما لن يعودا إلى مثل ذلك[٣]. إلاّ أنه بعد حوالي عامين في سنة (١٠٦٣هـ/ ١٦٥٣م)، عاد ابن روكان إلى التمرد، ورفض تسليم الواجبات للدولة، فأرسل الإمام إليه محمد بن الحسين بن القاسم بمن معه من العسكر، فقبض عليه وأرسله إلى الإمام. ولما وصل إلى الإمام «عزله عن المشيخة، وأمر أن تهدم بيوته، ثم أذن له بالعودة إلى جهته بعد أيام وطلب من الإمام معونة في عمارة بيوته، فأعانه الإمام بعض شيء وسار»[٤]. ورغم كل ذلك يواصل ابن روكان إصراره على التمرد والخروج على الدولة. وكان آخر تمرد منه عام (١٠٦٥هـ/ ١٦٥٥م)، فأرسل إليه الإمام بحوالي ستمائة من العسكر، غير أنه هرب متجهاً إلى الحسين بن المؤيد في شهارة يستجير به، فلما أعرض عنه اتجه إلى الإمام بضوران معتقداً أنه سيسامحه كما حدث في المرات السابقة، إلاّ أنه أمر بسجنه[٥]. وفي العام التالي سنة (١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م) توفي في سجنه في ضوران[٦].

وعلى حد تعبير الأستاذ الدكتور حسين العمري بأنه من الغريب حقاً أن يكرر هذا الشيخ ما سبق مجرباً قوة المتوكل، الذي مضى له في الحكم عشر سنوات، وتمكن من إخضاع ابن العفيف والناخبي في يافع، والرصاص في رداع والبيضاء، وغيرهم في مناطق أخرى، وأنه لا توجد أسباب أو دوافع حقيقية لكل ذلك غير عناد ابن روكان

(١) النص، ج١، ق ١١٦ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق ١٢٦أ.
(٣) النص، نفس الجزء، ق ١٢٦ب.
(٤) النص، نفس الجزء، ق ١٣٤أ
(٥) النص، نفس الجزء، ق ١٤٦أ-١٤٦ب.
(٦) النص، نفس الجزء، ق ١٥١أ.

وحمقه في مقارعة السلطة[1]. ويؤيد هذا الرأي ما ذكره يحيى بن الحسين، حيث يقول: «وهذا الشيخ كثير العناد، يحب المقاتلة والفساد»[2].

ثالثاً: الصعوبات التي واجهها الإمام في نهاية حكمه

من المعروف أن أي عصر لا يخلو من السلبيات، حتى وإن كان في أوج قوته ومجده. فمن الملاحظ أن عصر الإمام المتوكل رغم أنه كان يعتبر أزهى عصور الإمامة القاسمية في اليمن، وأكثر استقراراً سواء من الناحية السياسية أم الاقتصادية، وكذلك الازدهار الثقافي والفكري. غير أنه صاحب ذلك العصر سلبيات ربما كانت سبباً في ازدياد تمرد بعض المناطق على الدولة المركزية، وكذلك محاولة بعض مناطق الأطراف الخروج عن سلطتها.

ويتضح من خلال ما أورده المؤرخ يحيى بن الحسين في مخطوطته (بهجة الزمن) بأن أهم أسباب التمرد أو محاولة الخروج عن سلطة الدولة كانت السياسة المالية التي اتبعها الولاة في كثير من مناطق اليمن، وبعلم الإمام المتوكل، الذي كان يحرص على أن يرفد هؤلاء الولاة خزينة الدولة بما عليهم من مقررات مالية، بغض النظر عن كيفية جمع تلك المقررات، ومقدرة الأهالي على دفعها أم لا! خاصة في مناطق اليمن الأسفل، التي كانت أكثر خصوبة، لذلك زاد الولاة من فرض الضرائب في هذه المناطق، وبمسميات مختلفة، حتى تضرر أهالي هذه المناطق، وكانوا يأتون إلى الإمام المتوكل، ويشكون من تصرفات ولاتهم، غير أنه لم ينصفهم[3].

ولعلَّ أبرز مثال على زيادة الضرائب وبمسميات مختلفة ما ذكره يحيى بن الحسين في أحداث سنة (١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) بأن الضرائب المفروضة على اليمن الأسفل من غير

---

(١) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ٤٥.

(٢) النص، ج١، ق ١١٦ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق ١١٩ب. وقد تبودلت بين المؤرخ يحيى بن الحسين والإمام المتوكل بعضاً من الرسائل أوردها في هذه المخطوطة وانتقد فيها سياسة الإمام المالية وزيادة الضرائب على مناطق اليمن الأسفل.

الزكاة، وزكاة الفطر قد تضاعفت منها: «مطلبة الصلاة لمن صلى أو لم يصل، ومنها مطلبة الرياح، ومنها مطلبة البارود والرصاص، ومنها مطلبة سفرة الوالي، ومنها مطلبة دار الضرب، ومنها ضيفة العيدين والمعونة ... ولم يكن في اليمن الأعلى من هذه المطالب، إلاّ مطلبة ضيفة العيدين والمعونة»[١]. ويرى يحيى بن الحسين بأنه حتى وإن كان اليمن الأسفل كثير الخيرات والمحصولات بالنظر إلى اليمن الأعلى، فإن الواجب الرفق والعدل. ولا نزيد على الطين بله[٢]. فكان على سبيل المثال علي بن الإمام المتوكل قد أرخى العنان لأصحابه، «يفعل كل منهم ما أراد في جهاته، ويحبسون من شاؤوا، ويعملون ما أرادوا»[٣].

وكان هذا التصرف من الولاة والتجاهل من الإمام من أهم أسباب التمرد والعصيان ضد الدولة، فقد وصل إلى الإمام في سنة (١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م) بعض مشائخ جبل صبر يشكون من واليهم راجح الآنسي يطلبون من الإمام عزله وتولية غيره، فرفض طلبهم، عند ذلك امتنع أهل جبل صبر والحجرية عن تسليم ما عليهم من المقررات، وقتلوا ثلاثة من العسكر، وحذف المؤذن في مدينة تعز (حي على خير العمل) من الأذان. فأرسل إليهم المتوكل السيد صالح عقبات بمجموعة من العسكر، وأخضعهم بالقوة. كما استقر محمد بن أحمد بن الحسن في المنصورة، واتخذها مقراً له، وأقام بها التعزيزات العسكرية لردع هذه القبائل[٤].

وقد تكرر وصول مشائخ القبائل إلى الإمام المتوكل يشكون إليه سوء تصرف الولاة في جمع الضرائب وأن الإجحاف في جمع الواجبات سببٌ في إرهاقهم، وبالتالي عصيانهم وتمردهم، غير أن المتوكل في معظم الحالات كان يتجاهلها؛ لأنه ربما كان يرى أنه لا بد أن يصل إلى خزينة الدولة مقررات مالية تستطيع هذه الدولة من خلالها أولا: -كما سبق- التوسع في المناطق الخارجة عن سيطرتها، وثانياً: فرض هيبتها على

(١) النص، جـ٢، ق ٦٩أ.

(٢) النص، نفس الجزء والورقة.

(٣) النص، نفس الجزء، ق ٦٩ب.

(٤) النص،نفس الجزء، ق ٢٦ب-٢٧أ.

مناطق اليمن المختلفة، لذلك يرى يحيى بن الحسين بأن الإمام المتوكل هو السبب في زيادة المقررات، وفرضها على الأهالي، فيقول: «ولما عرف الولاة رضاه وراحته بالتوفير للدفعات جاروا على الرعايا في المطالبات، وفرضوا الزيادات، ولفقوا فيها التلفيقات، وساعدهم فيما يذكرونه من الزيادات، فحصل بسببه الجور»[1].

وفي سنة (١٠٧٤هـ/ ١٦٦٤م)، فرض الإمام المتوكل المزيد من الضرائب على الأسواق المختلفة منها: ضرائب على البائع والمشتري، والمتقبل (هو المتعهد بتوزيع المنتجات المختلفة التي يتقبلها من المنتج) والجزارين، وعلى الباعة الذين يعرضون بضاعتهم على الأرض، وغيرهم. غير أنه اضطر إلى إلغائها لما رأى من كثرة الاعتراض والتذمر من ذلك[2]. وفي سنة (١٠٨٥هـ/ ١٦٧٣م) أعاد تلك الضريبة، فارتفعت الأسعار نتيجة لذلك[3]. ليس ذلك فحسب، بل نجده في سنة (١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣) يحد من صرفه لأصحاب المقررات المعتادة من الفقهاء وبعض السادة، وغيرهم من الفقراء، ومن يعتاد العطاء[4].

ولا نستطيع إزاء كل ما سبق إلا أن نتساءل: هل هذا التصرف من تدبير الأمور؟ أم حاجة الإمام المتوكل للأموال؟ أم أن الأوضاع الاقتصادية ساءت مقارنة بالعهد الأول لهذا الإمام؟

من المرجح أن المتوكل كان يرى أن قوة الدولة يترتب على ما تملكه في خزينتها لمواجهة أي تمرد أو خروج من جانب، والإنفاق على ما يجب الإنفاق عليه من جانب آخر. لذلك عند وفاته كان لديه من الخزائن التي لا تحصر بعدد، ولا يوقف فيها على حد من الذهب والأموال. فعجب يحيى جباري قاضي الإمام من ذلك، وقال: ما كنت أظن أن في خزائن الإمام هذه المهالك، فما الوجه للمطالب والجور في اليمن الأسفل[5].

(١) النص، جـ٢، ق ١١٨ب.
(٢) النص، ج١، ق ٢٠٧أ.
(٣) النص، ج٢، ق ٦٥أ.
(٤) النص، نفس الجزء، ق ٥٧ب.
(٥) النص، نفس الجزء، ق ١٤٣أ.

ولا يُفهم من ذلك بأن تلك الخزائن هي من أملاك الإمام المتوكل الخاصة، بل أنها ملك للدولة، يؤيد ذلك ما جاء في وصية الإمام بأن جميع ما في مخازن بيت المال لبيت المال من النقود والسلاح والخيل والعبيد، إلاَّ ما هو يختص به لنفسه. وقد بينه[1].

وكانت أهم الموارد المالية التي تصل إلى خزينة الدولة هي عائدات الموانئ، والتي كان أهمها في تلك الفترة ميناء المخا وعدن، وما كان يفرض فيه من جمارك تؤخذ على السفن التجارية والتجارة في الميناء[2].

وكان نصف عائدات المخا لمحمد بن الحسن، ونصفه للإمام المتوكل، وعند وفاة الأول أصبحت جميع عائداته للإمام.

وكانت اليمن تتعرض لفترات جفاف تؤثر على عائدات الدولة، وكانت أحياناً تقل مواردها من الموانئ بسبب ركود النشاط التجاري فيها. وكان زيادة التمردات، ومحاولة الخروج عن سلطة الدولة له تأثير سلبي على واردات الدولة، وبالتالي يزيد من نفقاتها لإخماد مثل تلك التمردات.

وقد كان لكل ذلك تأثير على الأوضاع الاقتصادية في البلاد، حيث ازدادت سوءاً، خاصة فترات الجفاف التي عمت اليمن منذ سنة (١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م) حتى وفاته، إذ إنه نتيجة لعدم سقوط الأمطار زاد الجفاف والقحط، وارتفعت الأسعار. «وكثر الموت من الجوع والمرض، فراح عالم لا يحصيهم إلاّ الله تعالى. وبلغ القدح إلى قرشين»[3].

ومن الطبيعي أن تتأثر الأوضاع الاقتصادية بسقوط الأمطار أو عدم سقوطها، إذ أن اليمن منذ القدم بلد زراعي في الدرجة الأولى، ويعتمد على الزراعة اعتماداً كبيراً. وهذه الزراعة تعتمد على مياه الأمطار وعلى ما تختزنه الأرض في جوفها من المياه،لذلك تأرجحت الأوضاع الاقتصادية بين الشدة والرخاء حسب هطول الأمطار أو عدم هطولها.

---

(١) النص، ج٢، ق ١١٨أ.

(٢) النص، نفس الجزء، ق ٧٧ب.

(٣) النص، ج١، ق ٢٥١أ،

ونتيجة لسوء الأوضاع الاقتصادية نجد في سنة (١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣) أن مدارس العلم أُغلق أكثرها في مثل صنعاء وصعدة وغيرهما، لضعف موارد الوقف بها[١].

وبسبب سوء الأوضاع الاقتصادية نجد الإمام في سنة (١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م) يأمر بأن تقوَّم أموال اليهود في جميع أنحاء اليمن، ويؤخذ منهم العشر، فُجمع شيء كثير من ذلك[٢]. كما نجده في السنوات الأخيرة من حكمه يزيد من المقررات المالية المفروضة على الولاة، فها هو الأمير عبد القادر صاحب كوكبان على سبيل المثال يتجه إلى الإمام، ويطلب منه أن يساعده في قضاء دينه، فأجاب عليه بأن البلاد كافية، فقال له الأمير عبد القادر: «لم نقم بذلك لزيادة المقررات في المدة الأخيرة»[٣].

وعلى الرغم من أن الإمام المتوكل قد حاول جاهداً معاقبة المتقطعين للقوافل، وإنزال عقوبات صارمة ضدهم، اضطرهم ذلك إلى التقليل من عملية النهب والسلب، غير أنه في السنوات الأخيرة من حكمه ظهر بشكل واضح الانتهاب للقوافل التجارية وحتى المسافرين، خاصة في طريق (العمشية)، حيث كانت القوافل التجارية والمسافرون في هذه الطريق يتعرضون في أغلب الأحيان للسلب والنهب من سفيان ودهمة وآل عمار، وغيرهم من القبائل.

لقد كان الإمام المتوكل يدفع للقبائل التي في طريق العمشية أموالاً لضمان الأمن في هذا الطريق والحفاظ عليه من الحرامية[٤].

وفي سنة (١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م) حصل انتهاب في طريق العمشية. وكان السبب في ذلك «أن أهل الطريق أهملوا حفظها»[٥]، لأن الدولة لم تعطهم ما يعتادونه فيها[٦]. وربما بسبب مرض الإمام المتوكل أُهمل ذلك، فكان سبباً في زيادة التقطع في الطرقات.

(١) النص، ج٢، ق ٥٨أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق ١٠٦أ-١٠٦ب، وما يُجبى من اليهود يدل على ضخامة عددهم في اليمن حينذاك.
(٣) النص، ج١، ق ٢٢٢ب.
(٤) النص، ج٢، ق ١٠٩أ.
(٥) النص، نفس الجزء والورقة.
(٦) النص، نفس الجزء والورقة.

ومما لا شك فيه أن هذا سيزيد من الاضطرابات والاختلال في الدولة.

ولم يكن نهب القوافل قاصراً على طريق العمشية، بل تعداها إلى مناطق أخرى من اليمن، خاصة البعيدة عن مركز الدولة، فنجد في شهر القعدة سنة (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م) قام الشيخ منصر العولقي في طريق حضرموت بانتهاب قافلة واصلة من الشحر، كان أكثرها للإمام المتوكل وأحمد بن الحسن[١].

ومما لا شك فيه أن انتهاب القوافل التجارية كان له تأثير سلبي على الأوضاع الاقتصادية في اليمن. فقد توقف أغلب التجار من إرسال بضائعهم أو أموالهم خشية انتهاب القبائل لها، وعدم اهتمام الدولة في الفترة الأخيرة باسترجاع ما تم نهبه.

وكانت القبائل تقوم بالنهب في الطرقات بتحريض من مشائخها في بعض الأحيان، فنجد في سنة (١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م) نهبت سحار وآل عمار قافلة كانت خارجة من صعدة «فيها دراهم كثيرة، لأجل الموسم مصدرة إلى المخا وصنعاء»[٢]. وكان سبب ذلك الانتهاب أن شيخ البلاد كان لدى الإمام، ولم يقضِ له غرضه، فعند عودته حرض قبائله على ذلك انتقاماً من الإمام[٣]. ولم يتمكن علي بن أحمد، صاحب صعدة إلامن رد البعض مما تم نهبه، أما البعض الآخر فلم يستطع رده لأصحابه.

كما تكرر غزو قبائل الأطراف لبعضها البعض، فيذكر يحيى بن الحسين مثلاً في سنة (١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م) أن جماعة من بني نوف، من قبائل دهمة غزوا إلى أسفل الجوف. كما حصل غزو إلى أطراف بلاد خولان وبِدْبِدَة. وغزت برط إلى أسفل الجوف بحدود براقش[٤].

وشهدت الدولة القاسمية بعضاً من الاعتداءات الخارجية على الموانئ البحرية، وأهمها مينائي (المخا وعدن) اللذين تعرضا لكثير من الاعتداءات من قبل (الفرنج)

(١) النص، ج١، ق ٢٩٠ب.
(٢) النص، جـ٢، ق ٢٤ب.
(٣) النص، نفس الجزء والورقة.
(٤) النص، نفس الجزء، ق ٣٦ب.

على السفن التجارية القادمة إلى اليمن أو الخارجة منه. وعلى الرغم من وجود اعتداءات من قبل (الفرنج) على السفن الإسلامية من بداية عهد الإمام المتوكل، لكنها كانت قليلة. وكانت تُهزم وتعود من حيث أتت. أما في السنوات الأخيرة فقد زادت أعمال القرصنة في هذه الموانئ.

وكان ثمة صراع بين هؤلاء القراصنة وبين العمانيين. وكان العمانيون يدخلون الموانئ اليمنية بحجة ملاحقة القراصنة (الفرنج) وقد يصيب هذه الموانئ الركود والضرر نتيجة لذلك.

ومما لا شك فيه أن الاضطرابات والاختلالات الأمنية في هذه الموانئ والبحار قد يؤدي إلى ركود النشاط التجاري، وبالتالي يؤثر على الوضع الاقتصادي وتدهوره. فنجد مثلاً في سنة (١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م) يحاصر الفرنج ميناء المخا، ويحرقون مراكب لتجار من الحسا، ويستولون على بعض السفن المحملة بالبضائع، وكان من ضمنها بضائع خاصة بأحمد بن الحسن، مما اضطر الدولة إلى إرسال الكثير من القوات للحفاظ على المخا، والدفاع عنه، وعُقد صلحٌ بين والي المخا حينذاك الحسن بن مطهر الجرموزي وبين الفرنج[(١)].

ويؤكد لنا المؤرخ يحيى بن الحسين بأن الاعتداءات المتكررة على الموانئ اليمنية قد أدى إلى سوء الأوضاع الاقتصادية، حيث يقول عند تناوله لأحداث سنة (١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) «وقد تضررت البنادر هذه السنين، ومحق البيع والشراء للبائعين والمشترين»[(٢)].

وكانت حوادث الحروب والقتلى تتكرر دائماً في مينائي المخا وعدن بين الفرنج واليمنيين، أو بين العمانيين واليمنيين، ثم تضطر الدولة إلى إرسال الغارات مساعدة للولاة هناك، إلاّ أن أكثر اليمنيين لا يستطيعون دخول البحر. وكانوا يضطرون إلى البقاء في البنادر. ويوضح يحيى بن الحسين أن السبب في ذلك: «عدم صنعتهم للأعمال

(١) النص، جـ٢، ق ٥أ.
(٢) النص،نفس الجزء، ق ٧٢أ.

البحرية»[1]، أو عدم اهتمام الأئمة حينذاك بقيام أسطول بحري كما كان لليمن من قبل.

وكان العمانيون يترددون دائماً إلى سواحل اليمن، وكان يقتل منهم الكثير في السواحل اليمنية بسبب مواجهة اليمنيين لهم، خاصة ساحل عدن، فنجدهم مثلاً في سنة (١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) حاولوا الدخول إلى سقطرة، ثم إلى عدن بحجة مقاتلة البانيان، إلاّ أن أهالي عدن تصدوا لهم، وانهزموا هاربين[2]. كما أعد أحمد بن الحسن مجموعة من العسكر لصدهم، مما اضطر العمانيين إلى الهروب إلى خلف باب المندب، لكنهم منعوا جميع المراكب من الدخول إلى الميناء، كما قاموا بنهب بعض المراكب، ثم عادوا بلادهم[3]. وقتل كثير منهم، حتى أن سلطان عمان أرسل برسالة إلى الإمام يعاتبه فيما جرى في أصحابه في ساحل عدن من القتل. وتوعد بإغلاق البحر من جهاته[4].

وأحياناً كانت تلك العلاقات تسير إلى الأحسن، فنجد في سنة(١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م) يرسل سلطان عُمان بما يقدر بألفين رطل من الرصاص معونة لليمنيين لمحاربة الفرنج، باعتبارهم عدواً مشتركاً بين اليمن وعُمان[5]. وبذلك كانت العلاقات اليمنية العمانية بين شد وجذب، على حسب ما كان يقوم به العمانيون في الموانئ اليمنية، وموقف اليمنيين من ذلك.

ورغم عدم مهارة اليمنيين في البحار حينذاك مثلما كان العمانيون، غير أن الدولة القاسمية لا زالت تتمتع بالقوة في هذه الفترة، مقارنة بالفترات اللاحقة، وهذا جعل العمانيين يخشونها. وكانوا في معظم الأحيان يبررون دخولهم السواحل اليمنية لمحاربة الإفرنج وطردهم منها.

ونتيجة لما تعرضت له الدولة من صعوبات سبق ذكرها بدأ الإمام المتوكل يشعر

---

(١) النص، ج٢، ق ٦٠ب.
(٢) النص،نفس الجزء، ق ٦٠أ.
(٣) النص، نفس الجزء والورقة.
(٤) النص، نفس الجزء، ق ٦٨ب.
(٥) النص، نفس الجزء، ق ١٣ب.

بأن امتداد حدود الدولة، وسيطرتها على بعض المناطق، وإرسال ولاة من قبله يشكل عبأً كبيراً عليها، وأن متاعبها أكثر من عائداتها. فاقتنع بذلك معترفاً بالحكام المحليين، واكتفى بهم، بدلاً من الولاة الذين عينهم في بعض المناطق.

ففي سنة (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م) لم يعد في ظفار والٍ من قبل الإمام، فخرج من ظفار، وسكنه بعض آل كثير، «وانتسب في النسبة إلى الإمام، وتصرف آل كثير فيه بما شاؤوا، وخرج في التحقيق عن أمر الإمام»[١].

أما حضرموت فكان متولياً لها عثمان زيد من قبل الإمام، لكنه اعتذر عنه وطلب الإذن في العودة فخرج منها عام (١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م) فأراد الإمام أن يتولاها الحسين بن الحسن، وأن يستقر في حضرموت، لكنه رفض، وأرسل بعض قادته. غير أنهم لم يتمكنوا من إخضاع أهالي حضرموت، وإلزامهم بتنفيذ أوامر الدولة[٢]. ليس ذلك فحسب، بل إنهم طردوا الرسول الذي أرسله الحسين بن الحسن متولياً لها، وردوه راجعاً ومن معه. وقتلوا من أصحابه رجلاً أو رجلين، عند ذلك رأى الإمام أن الحل الوحيد هو أن يولي حضرموت وظفار للشيخ الكثيري. وكان حينذاك لديه، فجهزه إليها[٣]، بعد أن رأى «مشقة أحواله، وقلة محصوله، وبعد دياره»[٤].

أما ميناء الشحر فقد حرص الإمام المتوكل على أن يخضع مباشرة للدولة القاسيمة، واستمر أمير الدين العلفي والياً عليه من قبل الإمام[٥].

وفي عام (١٠٨٥-١٠٨٦هـ/ ١٦٧٤-١٦٧٥م) انقطع ما كان يُرسل به من حضرموت، وهو شيء يسير جداً. ولم يبق منه بعد (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م) إلاَّ الاسم، لعودته لآل كثير[٦].

---

(١) النص، ج١، ق ٢٨٨أ-٢٨٨ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق ٢٨٨ب.
(٣) النص، جـ٢، ق ١٢أ-١٢ب.
(٤) النص، ج١، ق ٢٩١ب.
(٥) النص، نفس الجزء، ق ٢٩١ب.
(٦) النص، ج٢، ق ١٠٣ب.

وفي سنة (١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) سمعت بعض المناطق بمرض الإمام المتوكل، فأعلنت تمردها. ورفضت دفع ما عليها من واجبات للدولة، متحدية لها، ومن هذه المناطق الحجرية، حيث أعلن أهلها تمردهم وخروجهم عن سلطة الإمام. وامتنعوا عن تسليم ما عليهم من المطالب، ولما أرسل إليهم الإمام يتوعدهم بالعقوبات إن خالفوا أوامره، قتلوا رسوله ومن معه. كما رفضوا دخول بعض جنود الدولة إلى بلادهم، وكان الإمام قد أرسلهم إلى هناك[(١)]. وقتلوا عبداً لمحمد بن الحسن، وربطوا بعض غلمان الخيل. وأصبحت الطريق بين عدن ولحج غير آمنة. ولم يجرؤ أحد على المرور فيها، إلاّ مع الجمع الكبير[(٢)].

وفي سنة (١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م) اضطربت الأوضاع، وهرب مجموعة من العسكر من الخدمة لدى بعض الولاة، فسكن بعضهم في بيته، ولم يدخل في الخدمة[(٣)].

كما اضطربت الأوضاع الاقتصادية في صنعاء عندما علمت بمرض الإمام المتوكل، خشيةً من وفاته وما يحدث بعد ذلك من صراع مراكز القوى على الإمامة، فاشتروا ما يحتاجونه من المؤن والطعام، وكان نتيجة ذلك أن ارتفعت الأسعار لكثرة المشترين[(٤)].

لقد كانت السنوات الأخيرة من حكم الإمام المتوكل تعتبر أصعب المراحل، حيث رفضت بعض المناطق تسليم ما عليها من واجبات للدولة كما رأينا. ولم يعد لها إلا السلطة الاسمية، حيث كانت ترى بأن الإمام المتوكل قد أصبح ضعيفاً بسبب مرضه، بينما أحمد بن الحسن كان مشغولاً بالإعداد لتجهيز حملة عسكرية إلى عدن، خوفاً من العمانيين. لذلك قالت بعض القبائل: «هذا الإمام فيه الركة، لما اعتراه من الألم هذه المدة. وأحمد بن الحسن هو الذي نخشى منه قد اشتغل بتجهيزه إلى عدن بعض عساكره»[(٥)].

(١) النص، ج٢، ق ٨٥ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق ٦٩ب.
(٣) النص، نفس الجزء، ق ٨٩أ-٨٩ب.
(٤) النص، نفس الجزء، ق ٦٥ب.
(٥) النص، نفس الجزء، ق٧٥ب.

ولا بد أن نشير هنا إلى أن المشائخ وأصحاب النفوذ في المناطق المختلفة كانت تقوى وتضعف حسب قوة الدولة المركزية أو ضعفها، أو بالأصح حسب قوة الإمام أو ضعفه، فبعد سياسة التوسع التي اتبعها الإمام المتوكل، والحروب التي خاضها رجال دولته من أجل بسط سيطرته على مناطق اليمن، ونتيجة لقوة دولته أعلنت هذه المناطق ولاءها وخضوعها للدولة والإمام، حتى القبائل التي كانت أكثر قوة ومنعة، منها على سبيل المثال أسرة العفيف في يافع، وآل الرصاص في البيضا، وآل كثير في حضرموت، وغيرهم. غير أن مثل هذه الأسر في فترة الضعف، خاصة فترة مرض الإمام المتوكل كانت تحاول البروز أو الاستقلال إن هي استطاعت. لكنها لم تتمكن من ذلك. وقد ترك الإمام بعض هذه الأسر تحكم في مناطقها طالما أنها تؤدي ما عليها من واجبات للدولة.

وفي السنوات الأخيرة لحكم الإمام المتوكل كانت مراكز القوى من آل القاسم قد بدأت تظهر، محاولة أن تلعب دوراً قيادياً حتى قبل وفاة الإمام المتوكل، مستغلة مرضه. منهم على سبيل المثال علي بن أحمد بن الإمام القاسم، الذي كان متولياً لصعدة بعد والده. وقد ساءت علاقته بالإمام المتوكل، وعلى إثر ذلك أرسل الإمام ابنه الحسن إلى صعدة محاولاً القضاء على سلطة علي بن أحمد فيها، غير أن علي بن أحمد تمكن من منع الحسن بن المتوكل من الدخول إلى صعدة، مستغلاً النفوذ الذي كان يتمتع به بين قبائل المناطق الشمالية.

وعلى إثر الخلاف بين الإمام وابن أخيه كتب الأخير إلى أبناء القاسم عموماً بأنه «دعا إلى نفسه بالإمامة، وأن الإمام المتوكل اعتورته الشيخوخة، وظهر ضعفه من السمع والبصر ... وأنه لا مانع لديه من تسليم الأمر إلى من هو أقدر منه»[1].

وأرسل إلى أحمد بن الحسن بأنه قد تم تبادل الرسائل مع بقية أبناء القاسم حول عدم صلاحية الإمام المتوكل للإمامة، بسبب مرضه، وأنه لا يجب عليهم طاعته[2].

---

(1) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٣٧٣.

(2) النص، جـ٢، ق ١١١ب.

وعلى الرغم من أن المؤرخ يحيى بن الحسين يذكر بأن قبائل المناطق الشمالية طلبوا من علي بن أحمد إعلان دعوته، وأن يكون إمامهم[1]، لكن من المرجح أن هذا هو التفسير الشخصي ليحيى بن الحسين.

ولعل السبب غير المباشر هو أن علي بن أحمد شخصياً كان يحاول الوصول إلى الإمامة، مستغلاً مرض الإمام المتوكل، ليكون له السبق في ذلك.

ولما بلغ الإمام المتوكل ذلك، وكانت قد وصلته رسالة من علي بن أحمد، مثل باقي رسائل آل القاسم، جمع كبار رجال دولته وعلماءها يطلعهم على الأمر، فلم يلتفت أحد إلى دعوة علي بن أحمد، وحكموا ببغيه.

أما الحسين بن الحسين بن القاسم فقد ذكر للإمام أن ما قام به علي بن أحمد كان بتحريض من أخيه أحمد بن الحسن، ولكن ما ذكره الحسين كان غير صحيح، إذ إن المتوكل كتب إلى أحمد بن الحسن، يأمره بالتوجه إلى علي بن أحمد ومحاربته، وهو سيمده بكل ما يريد من المال والسلاح، فخرج أحمد بن الحسن من الغراس، لقطع شكوك الإمام إذا كان قد راوده شيء منها، واستعد لملاقات علي بن أحمد. ولما أراد التوجه إلى صعدة وصله الخبر بوفاة الإمام المتوكلذ. عند ذلك عاد أحمد بن الحسن إلى الغراس داعياً إلى نفسه بالإمامة[2].

ولم يكن أحمد بن الحسن هو الوحيد الذي دعا إلى نفسه بالإمامة، بل ظهر خمسة من آل القاسم دعوا إلى أنفسهم بالإمامة، إلى جانب أحمد بن الحسن، وسنتطرق إلى ذلك بالتفصيل في الفصل القادم.

وتوفي الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم في ضوران، مركز دولته، في ٥ جمادى الآخرة سنة (١٠٨٧هـ/ ١٤ أغسطس ١٦٧٦م). وكان عمره حوالي (٦٨ عاماً).

---

(١) النص، ج٢، ق ١١٢ب-١١٣أ.

(٢) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٣٧٣-٣٧٧.

ويشهد المؤرخون للإمام المتوكل بأنه كان أقدر أئمة آل القاسم، الذين حكموا اليمن. وعلى الرغم من بعض الصعوبات والاضطرابات التي شهدتها الدولة القاسمية في عهده، خاصة في السنوات الأخيرة، إلاّ أن هذه الدولة ظلت طوال فترة حكم الإمام المتوكل محتفظة بحيوتها وتفوقها، واستطاعت السيطرة على معظم الاضطرابات والتمرادات. وتمكنت من الإبقاء على جميع الأقاليم اليمنية تحت سلطتها السياسية المباشرة، أو غير المباشرة على أقل تقدير(١).

وقد بذل الإمام المتوكل جهوداً كبيرةً للحفاظ على أمن اليمن واستقراره وازدهاره، فلم يألو جهداً في التنقل بين مختلف المناطق اليمنية، ليتفقد أوضاعها عن قرب.

ولعلَّ ما عُرف بقانون صنعاء شاهداً على اهتمامه بكافة المجالات. فقد استقر في صنعاء ستة أشهر تفقد فيها قانون المدينة. ووضع قانوناً جديداً، زاد فيه على السابق، وأمر بتقسيم مدينة صنعاء، وجعل على كل قسم ثقة من أهلها(٢).

العلاقات الخارجية

أما لو تطرقنا للعلاقات الخارجية فقد توسعت تلك العلاقات بين اليمن ومعظم أقطار العالم العربي والإسلامي، وحتى غير الإسلامي، سواء عن طريق الرسائل أو الهدايا التي كان يتم تبادلها مع ملوك وسلاطين هذه الدول. وغير ذلك من الوفود، والعلاقات التجارية.

فإذا ما بدأنا بالحجاز سنجد أن العلاقات بين الإمام المتوكل وأشراف الحجاز كانت قوية ومتينة، خاصة الشريف زيد بن محسن١٠٧٧-١٠٤١) هـ/ ١٦٣٢-١٦٦٦م)، وقد عمل الإمام المتوكل على تقوية هذه العلاقات مع الأشراف في مكة، يتضح ذلك من الرسائل والهدايا المتبادلة بين الطرفين، واهتمام الإمام بإرسال الصُّرة إلى مكة في كل عام، الذي كان لشريف مكة نصيب منها.

(١) محمود علي السالمي: محاولات توحيد اليمن بعد خروج العثمانيين، ص ٢٤٣.

(٢) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٨٨٧. من المعروف أن القانون التجاري الذي نشره القاضي حسين السياغي، المعروف بـ(قانون صنعاء) يرجع أصله إلى الإمام المتوكل إسماعيل، ثم طوره وزاد عليه الإمام الحسين بن القاسم في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

وكان هناك كذلك تبادل في وجهات النظر حول مسائل شرعية ودينية على نحو متكرر ومتواصل[1].

أمَّا عُمان، فعلى الرغم من الشد والجذب في العلاقات بين البلدين، وعلى الرغم من الاعتداءات المتكررة من العمانيين على السواحل اليمنية، والخلاف بين الطرفين حول البحر والتجارة والسفن، إلاّ أنه كان يوجد بينهما تعاون في بعض الأحيان، خاصة إذا كان الهدف مشتركاً، وهو القضاء على الفرنج واعتداءاتهم المتكررة.

ولعلَّ إرسال سلطان عُمان بألفي رطل من الرصاص سنة (١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م)، كما سبق أن ذكرنا، معونة لليمن لمواجهة الفرنج في السواحل اليمنية دليل على أن العلاقات كان يسودها أحياناً الصفاء والتعاون.

ولم تقتصر علاقات اليمن بدول الجوار، بل نجد أنه على الرغم من إخراج العثمانيين من اليمن كان في عهد الإمام المتوكل يصل إلى اليمن دبلوماسيون-إن صح التعبير- عثمانيون من حين إلى آخر. ومعهم رسائل وهدايا للإمام من السلطان العثماني محمد بن إبراهيم (١٠٥٨-١٠٩٩هـ/ ١٦٤٨-١٦٨٨م)، وفي المقابل كان الإمام يرسل الهدايا للسلطان العثماني[2].

وقامت علاقات ودية أيضاً بين اليمن والدولة المغولية في الهند، حيث كان الإمام المتوكل على اتصال بالسلطان (أورنجزيب)، ففي عام (١٠٧١هـ/ ١٦٦١م) أُهديت للإمام خيول من الهند. وفي السنة التي بعدها قام أحمد بن الحسن بإرسال هدية من الخيول العربية الأصلية إلى ملك الدولة المغولية، الذي بدوره أرسل هدية قيِّمة مضاعفة لها[3]. ومرة أخرى في عام (١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م) وصلت سفينة إلى بندر المخا حاملة هدية من السلطان (أورنجزيب) للإمام المتوكل، وصدقة لأشراف اليمن[4].

ولم يقتصر الأمر بينهما على الرسائل والهدايا، بل تعدى ذلك إلى تبادل الكتب

(١) Serj eant. R.B.Lewcock.R: Sana'a An Arabian Islamic City, P 80.

(٢) النص، ج١، ق ٢٣٣ب-٢٣٥أ.

(٣) النص، نفس الجزء، ق ٢٠٠أ-٢٠٠ب.

(٤) النص، جـ٢، ق ١٠٨ب.

المذهبية، حيث كان كل منهما يحاول إقناع الطرف الآخر بمذهبه.

كما قامت علاقات ودية بين الدولة القاسمية والدولة الصفوية في فارس. حيث تم تبادل الرسائل بين الإمام المتوكل والشاه عباس الصفوي (١٠٥٢-١٠٧٨هـ/ ١٦٤٢-١٦٦٧م). وقد احتوت تلك الرسائل على عبارات تدل على الصداقة والصلات العميقة بينهما.

أما الحبشة فقد ارتبطت معها اليمن بعلاقات منذ القدم. وفي عهد الإمام المتوكل تجددت تلك العلاقات وتم تبادل الهدايا والرسائل بينهما. ولعل البعثة اليمنية التي أرسلها الإمام المتوكل إلى الحبشة برئاسة القاضي الحسن بن أحمد الحيمي[(١)]، ومعها الرسائل والهدايا للإمبراطور الحبشي (فاسيلا داس١٦٦٧-١٦٣٢/١٠٧٨-١٠٤٢) (م) دليل على عمق العلاقات بين البلدين. ومهما كان الهدف من هذه البعثة فهي تنم عن الروابط والعلاقات القوية بينهما[(٢)].

وبذلك يكون الإمام المتوكل قد اهتم بتطوير العلاقات الخارجية بين اليمن وهذه البلدان، بحيث أصبح لها ثقل وأثر كبير في الجزيرة العربية. ونشطت العلاقات التجارية والدبلوماسية وتبادل المراسلات وبعوث الصداقة الرسمية مع تلك البلدان السابق ذكرها جميعاً[(٣)].

رابعاً: سياسة الإمام الإدارية

قبل أن نتناول سياسة الإمام المتوكل إسماعيل الإدارية لا بد أن نتطرق بإيجاز إلى التقسيم الإداري خلال الحكم العثماني الأول لليمن؛ لأن هذا التقسيم-غالباً-هو الذي كان متبعاً في فترة دراستنا هذه.

---

(١) قام القاضي الحسن بن أحمد الحيمي بعد عودته من الحبشة بإفراد مؤلف مستقل لهذه الرحلة أسماه (حديقة النظر وبهجة الفكر في عجائب السفر). للمزيد انظر يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ١، تحقيق: الباحثة، ق ٩٠ب-ق١١٤أ؛ وكذلك أ.د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ٦٦.

(٢) النص، ج١، ق ٨٩أ-٩٠ب،

(٣) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحدث والمعاصر، ص ٦٥-٦٦.

لقد انقسمت الإيالات العثمانية من حيث الوضع القانوني إلى قسمين، فكان هناك إيالات تتبع نظام التيمارات، وأخرى بنظام الساليانات. وما يهمنا هو الأخير، باعتباره كان موجوداً في كافة البلاد العربية. فهناك تسع إيالات على هذا النحو هي: مصر، اليمن، الحبشة، بغداد، البصرة، الإحساء، طرابلس الغرب، تونس، الجزائر[١].

وهذا النظام تُجمع فيه إيرادات الإياله باسم الدولة، ثم يُصرف من هذا المجموع أجور الجند والإداريين، ويُرسل الباقي إلى خزينة الدولة[٢].

وكانت الإيالة التي تشكل أكبر الوحدات الإدارية لدى العثمانيين تتشكل من مجموعة من السناجق، ومع ذلك فإن تقسيمات السناجق العثمانية لم تبق على حالها دائماً، إذ كان يجري تغييرها من حين لآخر بدرجة يصعب متابعتها[٣].

وكان السنجق وحدة تقسيم أساسية، ذات صفة عسكرية وإدارية[٤].

وكان العثمانيون خلال حكمهم الأول لليمن قد أعدوا نظاماً مالياً وإدارياً من خلال ما ظهر في الدفاتر التي كانت تُقيد بها واردات اليمن السنوية، وعلى وجه التحديد عامي (١٥٩٩-١٦٠٠م)؛ إلاَّ أن هذا التنظيم المالي والإداري لم يكن دقيقاً، فقد كان غير مستقر، ويتغير من سنة لأخرى. وغير مرتب ترتيباً مناطقياً دقيقاً، فقد اختلطت قيودات وإيرادات المناطق بين الشرق والغرب والشمال والجنوب[٥]. ولعلَّ السبب في ذلك هو الثورات والاضطرابات التي شهدتها اليمن في هذه الفترة، إذ لم تنعم بالهدوء والاستقرار سوى فترات قصيرة، لذلك كان الهدف من تقسيم إيالة اليمن الإدارية هدفاً عسكرياً، حيث قُسمت إلى ستة سناجق: صنعاء، صعدة، حضرموت، جيزان، زبيد، تعز[٦]. وقد ورد هذا التقسيم لدى عبد الكريم العزير، بينما يذكر ساطع الحصري والأستاذ الدكتور سيد مصطفى سالم بأنه تم تقسيم ولاية اليمن إلى تسعة

---

(١) أكمل الدين إحسان أوغلو: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص ٢٥٠-٢٥١.
(٢) نفس المرجع، نفس الصفحة.
(٣) نفس المرجع، ص ٢٦٠،
(٤) نفس المرجع، نفس الصفحة.
(٥) عبد الكريم العزير: التشكيلات المركزية العثمانية والإدارة المحلية في اليمن، ص ٤٠.
(٦) نفس المرجع، نفس الصفحة.

ألوية هي: صنعاء، مخاء، زبيد، تعز، صهلة[1]، كوكبان، طويلة، مأرب، عدن[2]. ولعلّ ذلك الاختلاف يرجع إلى اختلاف الفترات.

وقد ذكر الحصري بأنه اعتمد في هذا التقسيم على أشمل الوثائق التي اطلع عليها عن التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، وهي رسالة تركية عنوانها: (قوانين آل عثمان فيما يتضمنه دفتر الديوان). ومؤلفها هو: عين علي أفندي، الذي كان أميناً للدفتر الخاقاني، فكان لهذا السبب مطلعاً على جميع سجلات الدولة المتعلقة بالأمور الإدارية والمالية[3].

ومن المعروف أن الإيالات كانت تقسم إلى ألوية، والألوية تقسم إلى سناجق. ولكن هنا في اليمن وفي الحكم العثماني الأول إذا ما قورن بالحكم الثاني لم يتضح هل قُسمت الألوية إلى سناجق، أم أن السناجق هي التقسيم الذي اعتمد.

وقد رأى العثمانيون أنه من خلال هذا التقسيم سيتمكنون من إحكام القبضة على اليمن، وبالتالي يتم جباية الإيرادات العامة من زكاة ورسوم متفرقة أخرى[4].

وكان كل سنجق يشتمل على مناطق وتقسيمات إدارية كان يطلق عليها اسم (ولاية). ويذكر الدكتور العزير في هامش كتابه (التشكيلات المركزية العثمانية) بأن تلك الولايات وجميعها في جدول محاصيل ولاية اليمن سنة (١٠٠٨،١٠٠٧،١٠٠٠هـ/ ١٥٩٢-١٥٩٩-١٦٠٠م)، قد وصلت إلى سبعة وسبعين تقسيماً وولاية، وأصبحت هذه الولايات في الحكم العثماني الثاني قضوات ونواحي[5].

ويرجح الكثير من المؤرخين أن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم بعد استقلال اليمن عن الحكم العثماني الأول سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م) على يده هو واخوته اتبع النظم المالية والإدارية التي كانت موجودة في خلال الحكم العثماني السابق. كما استعان

---

(١) لعل المقصود بها صعدة.

(٢) ساطع الحصري: البلاد العربية والدولة العثمانية، ص٢٣٩.

(٣) نفس المرجع، ص ٢٣٠.

(٤) عبد الكريم العزير: نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٥) نفس المرجع، ص ٤٣.

ببعض القادة العثمانيين، الذين فضلوا البقاء في اليمن بعد خروج العثمانيين منها، فتقلدوا مناصب إدارية هامة، وعين بعضهم ولاة على بعض المناطق، منهم على سبيل المثال الأمير رجب الرومي، الذي كان مرسلاً من الدولة العثمانية دعماً لحيدر باشا، إلاَّ أنه أعلن طاعته للإمام المؤيد، فعينه على بلاد المخادر (تقع شمال مدينة إبّ). وقد مكث والياً عليها حتى توفي في عهد الإمام المتوكل إسماعيل(١).

وكان الأمير سنبل من الشخصيات القيادية العسكرية العثمانية. تولى قيادة كثير من الحروب ضد الإمام المؤيد، غير أنه بعد ذلك أعلن انضمامه إلى قوات الإمام، بعد المعاملة السيئة من قبل حيدر باشا، فأرسل إلى الحسن بن القاسم خطاباً يعلن فيه طاعته للإمام المؤيد، ويطلب منه الأمان، فرحب الحسن بذلك، وعينه على مدينة ذمار ووصاب، وبانضمام الأمير سنبل إلى معسكر الإمام انضمت الفرق التابعة له في قلعة ذمار وجبل كبريت ورداع ووصاب(٢).

لذلك من المحتمل أن بقاء مثل هؤلاء في اليمن وتقلدهم مناصب هامة كان له أثر في استمرار كثير من النظم الإدارية العثمانية، بحكم خبرتهم السابقة.

ومن المرجح أيضاً أن الإمام المتوكل على الله إسماعيل قد اتبع السياسة الإدارية السابقة له، إذ إن المصادر المتوفرة بين أيدينا لا تشير من قريب أو بعيد إلى وجود تقسيمات إدارية جديدة، ولم تشر حتى إلى ما هي التقسيمات الإدارية التي كانت موجودة حينذاك، غير أن المؤرخ يحيى بن الحسين يتكلم بين الحين والآخر عن الوظائف والألقاب والتقاليد الإدارية الخاصة، فنجده على سبيل المثال يذكر بأن الخيالة الذين مع محمد بن الحسن من الأتراك العثمانيين، ثم يقول: «والعساكر والبيارق والشاوشية والنوبة يضرب طبلها، ويزمر زمرها، ويدق صاحبها، والخيل التي معه كلها باليمن اجتمعت [و] انتظمت على زي عساكر الأروام، وترتيبهم المعتادة

(١) النص، ج١، ق ١٢٣ب.

(٢) عيسى بن لطف الله: روح الروح، مخطوط، جـ٣، ق ١٦؛ الشرفي: اللآلـئ المضيئة، مخطوط، جـ٣، ق ٥٠٨؛ الجرموزي: الجوهرة المنيرة، مخطوط، ق ١٧٩أ-٢٠٠ب.

تلك الأيام»[1].

وما يؤيد استعانة الإمام المتوكل إسماعيل بالتقسيمات الإدارية السابقة أن يحيى بن الحسين في مخطوطته (بهجة الزمن) كان غالباً ما يذكر ذلك التقسيم على أنه ولايات، فيقول مثلاً: ولاية ريمة، وولاية العدين، وولاية عتمة، وولاية صنعاء. ولا فرق لديه بين المناطق الصغيرة والمناطق الكبيرة.

وهذا كما سبق أن رأينا هو التقسيم الذي اعتمدت عليه الدولة العثمانية خلال الحكم الأول في جمع مستحقات الدولة من تلك الولايات التي قسمتها إلى سبع وسبعين ولاية.

ولم يتضح في المخطوطات المعاصرة لهذه الفترة-خاصة بهجة الزمن، تحفة الأسماع والأبصار-أي تقسيمات إدارية أخرى، غير أن يحيى بن الحسين والجرموزي كانا يذكران (المخلاف) إلى جانب الولاية. وهو تقسيم كان موجوداً في العهد الإسلامي، حيث كان المخلاف الكبير يضم مخاليف صغيرة. هذه المخاليف الصغيرة هي التي اتضحت في مصادر هذه الفترة، فنجد الجرموزي، على سبيل المثال، عندما تكلم عن تقدم الإمام إلى منطقة (الرجو) يقول: «وقد تلقاه أهل تلك المخاليف بالنذور والضيافات»[2] أو يقول: «صعدة ومخاليفها، ونجران وما إليه»[3].

ويصعب لهذا كله الوصول إلى تقسيمات واضحة ومحددة إدارياً لهذه الفترة، لعدم توفر المادة التاريخية لذلك التقسيم في المصادر التي بين أيدينا. وقد اتضح فقط في المخطوطات المعاصرة لهذه الفترة-خاصة مخطوطة (بهجة الزمن) الذي تناول مؤرخها ذلك بشيء من التفصيل-التعيينات التي تمت في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل لتلك الولايات. ولعل السبب في ذلك هو أن هؤلاء المؤرخين كانوا يعتبرون هذه التقسيمات الإدارية معروفة سلفاً، لأنها قديمة، وموجودة من أيام العثمانيين. لذلك

(١) النص، ج١، ق ٢٣٤ب.
(٢) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٩٧٣.
(٣) نفس المصدر، ص ٦١٧.

انصب اهتمام مؤرخ مخطوط (بهجة الزمن) على التعيينات التي تمت في عهد الإمام المتوكل إسماعيل.

وهنا قد يتبادر إلى ذهن أي باحث بعض من الأسئلة، لعل أهمها: كيف كانت هذه التعيينات من خلال السياسة الإدارية للإمام؟ هل اتبع التعيين والعزل للولاة حسب ما كان يراه مناسباً من حيث صلاحية الولاة والتقسيم الإداري؟ أم كانت سياسته الإدارية متأثرة بالجانب السياسي من حيث إرضاء الأنصار والمؤلفة قلوبهم؟ وهل اتبع سياسة واحدة في كل الولايات أم اختلفت سياسته من ولاية إلى أخرى؟ أم كانت حسب ثروتها الاقتصادية فيعين فيها أهل الثقة من أبناء الإخوة أو العبيد؟ وهل المناطق المفتوحة حديثاً-أي في عهده-زادت من أعباء وغموض السياسة الإدارية والتقسيم الإداري؟ أم أنها ساعدت على تثبيت سلطة الدولة أكثر من ذي قبل؟

يجب في البداية أن نقف عند حقيقة هامة ظهرت في عهد الإمامين المؤيد بالله محمد بن القاسم وأخيه الإمام المتوكل إسماعيل، وهي أنه لم يكن في اليمن نظام يرث فيه أبناء الولاة والحكام بالضرورة المناطق التي كانت تحت حكم آبائهم. ولكن هذا يرجع إلى رغبة الإمام نفسه، وموقفه من هؤلاء الأبناء أو صلاحيتهم. فقد رفض الإمام المؤيد إعطاء مناطق ولاية أخيه الحسن لأبنائه بعد وفاته، قائلاً: «إن بلاد الصنو الحسن رحمه الله ليست ميراثاً حتى تُقسم»[1]. وعلى نفس المنهج-تقريباً-سار الإمام المتوكل إسماعيل، كما سنرى لاحقاً.

في بداية الأمر رأى الإمام المتوكل إسماعيل أن تكون عاصمة دولته مدينة ضوران، مخالفاً بذلك لأبيه القاسم وأخيه المؤيد، اللذين اتخذا من شهارة عاصمة لهما. ولم يكن اختياره لهذه المدينة اعتباطاً، أو لأنها كانت ولايته السابقة، بل كان اختياره لها لأسباب هامة وجوهرية. فهي تقع في السفح الشمالي لجبل ضوران. وكان اسمها الحصين، ثم تغلب اسم الجبل على هذه المدينة.

وأهمية هذه المدينة يوضحها لنا المؤرخ يحيى بن الحسين بقوله: «وهذا الحصن من

(١) النص، ج١، ق ٢٥ب.

المعاقل العظيمة، والجبال الشامخة العالية المنيعة. أصل أساسه من الملوك الحميرية. وقل أن يوجد في الحصون اليمنية مثله»[1]. والأهمية الأخرى، والتي كانت من أسباب اختيار المتوكل ضوران عاصمة له ما ذكره يحيى بن الحسين، فيقول: «وتوسطه باليمن من جميع الجهات ... ومعرفة صاحبه بها جاء وفات، مع أخذه من جانب المشرق والمغرب بأوفر نصيب، واطلاع مالكه على البلاد البعيد منها والقريب»[2]، فإلى الشمال منها تقع القبائل المناصرة والمعقل الأساسي للإمامة، ومذهبها الزيدي، وإلى الجنوب منها تقع الأراضي اليمنية الخصبة، التي تصل منها أكثر عائدات الدولة. وإلى الشرق منها تقع الكيانات اليمنية المستقلة، التي تتجه إليها أنظار الدولة القاسمية في ذلك الوقت[3].

وقد أدرك الإمام المتوكل إسماعيل أهمية هذا الموقع منذ أن تولاها نائباً لأخيه الحسين، ثم عندما عينه الإمام المؤيد متولياً لها. هذا إلى جانب أنها أصبحت مركزاً سياسياً هاماً في تلك الفترة.

ومن ضوران حكم الإمام المتوكل إسماعيل اليمن حكماً مركزياً، سواءً المناطق التي كانت تابعة للدولة القاسمية من قبل، أم المناطق التي تم إخضاعها بالقوة لسلطة الدولة المركزية-أقصد المناطق الشرقية والجنوبية-حيث كان مركز الدولة على اطلاع مستمر على كافة شؤون الولايات.

وكان ولاة المناطق المختلفة بمثابة المساعدين للإمام، باعتبارهم معينين من قبله، وموكل إليهم إدارة شؤون تلك الولايات، وكانوا على اتصال مباشر بالإمام.

وكان الإمام المتوكل يقوم بالعديد من الجولات التفقدية-إن جاز استخدام هذا التعبير-في العديد من مناطق اليمن، فلم يكن مستقراً في ضوران؛ بل كان عكس أخيه الإمام المؤيد، الذي لم يغادر شهارة حتى وفاته.

(١) النص، ج١، ق ٨أ-٨ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق ٨ب-٩أ.
(٣) محمود علي السالمي: محاولات توحيد اليمن، ص ١٣٨.

وقد أورد يحيى بن الحسين تنقلات الإمام إسماعيل في هذه المناطق باستمرار منها على سبيل المثال صنعاء، التي كان في معظم الأحيان يصل إليها لتفقد أوضاعها، ويبقى فيها فترة قد تصل أحياناً إلى عدة أشهر. وأورد تنقله أيضاً في مناطق أخرى مثل عمران، كوكبان، شهارة، حبور، ذمار، الخارد، الروضة، السودة ..إلخ. ولعله كان يهدف من هذا التنقل تفقد أوضاع تلك المناطق المالية والإدارية عن قرب.

وإذا انتقلنا إلى سياسة الإمام المتوكل إسماعيل في توزيع الولاة على المناطق أو الولايات، وتعيينهم عليها سنجد أنه بدأ في توزيع مناطق اليمن على المراكز الهامة في دولته قبل أن يُحسم أمر الخلاف على الإمامة مع أخيه أحمد، حتى يضمن وقوفهم إلى جانبه، كما سبق أن رأينا. واستكمل بقية التوزيع بعد أن تغلب على أخيه وأصبح الإمام بلا منازع. وبعض الولايات أبقى فيها ولاتها السابقين.

فإذا ما بدأنا بولاية صنعاء سنجد أن المتولي لها عند أن وصل المتوكل إسماعيل إلى الإمامة كان علي بن الإمام المؤيد بالله. وكان والياً عليها من أيام والده، فثبته عليها حتى وفاته. ولكن سياسته تجاه علي بن المؤيد اختلفت عن سياسته تجاه شخصيات أخرى في دولته مثل محمد بن الحسن وأخيه أحمد بن الحسن، كما سنرى، فهو حقيقة قد ترك لعلي بن المؤيد ولاية صنعاء، ولم يعزله عنها لما عُرف عنه من الزهد، فيصفه بعض المؤرخين بأنه: «لا يُعلم أنه عمرحجراً على حجر، ولا توسع كغيره فيما وسع به على المسلمين»[1]، غير أن الإمام المتوكل قد قلص نقوذ علي بن المؤيد، فكان في عهد والده الإمام المؤيد إليه صنعاء وما يتبعها من جهات الحيمة، فلما أصبح المتوكل إماماً عزله عن الحيمة، وجعله والياً على صنعاء فقط، وقلص من نفوذه حتى في صنعاء، فيقول المؤرخ يحيى بن الحسين: «وقبض عليه جمهور المطالب، وما فيه النفع والإمداد في الغالب، ولم يبق إلا القليل»[2]، وجعله والياً على صنعاء فقط. وكانت مدة ولايته على صنعاء أربعين عاماً.

وبعد وفاة علي بن المؤيد عام (١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م) مسك زمام أمورها ابن أخيه

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ١٨٩.
(٢) النص، ج١، ق ٢٤٢أ.

يحيى بن الحسين بن الإمام المؤيد «مستنداً في التصرف إلى أحمد بن الحسن معتقداً أن الإمام المتوكل سيقرره عليها، ولن يعزله عنها»[1]، لكن الإمام عين عليها ابنه محمداً الذي كان متولياً لبلاد آنس وضوران من سنة (١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠).

ولعل المتوكل قد رأى في وفاة علي بن المؤيد فرصة سانحة ليُثَبِّت ابنه محمداً على صنعاء باعتبارها من الولايات الهامة، ولا بد أن يتولاها أحد أبنائه؛ لأنه من أهل الثقة. وهنا تتغير سياسة الإمام تجاه والي صنعاء الجديد، فلم يجعله والياً على صنعاء فحسب، كما فعل مع علي بن المؤيد، لكنه ضم إلى ولاية ابنه في صنعاء بلاد الحيمة وخولان ونهم وسنحان وحراز وبلاد ثلا وبعض همدان[2].

ولعل هذا يؤيد بأن سياسة الإمام إسماعيل في التقسيم الإداري لم تكن مستقرة، فنجده أحياناً يقلص من مناطق الولايات، وأحياناً أخرى يوسع هذه الولاية أو تلك، فتشمل مناطق كثيرة، وذلك حسب ما يراه الإمام مناسباً لهذا الوالي أو ذاك، حتى وإن اضطر إلى تقسيم الولاية إلى عدة أقسام.

وإذا ما انتقلنا إلى سياسة الإمام المتوكل تجاه أخيه أحمد بن القاسم الذي نافسه على الإمامة، كما رأينا، سنجد أن أحمد بن القاسم كان متولياً لإحدى المناطق الشمالية الهامة، وهي صعدة وجهاتها. وكانت صعدة من المراكز الهامة للمذهب الزيدي، حيث كانت مقر مؤسس المذهب الزيدي في اليمن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، كما أنها كانت المركز الرئيسي لانطلاق عسكر الدولة إلى المناطق الشمالية الأخرى حتى نجران إذا ما تمردت.

لقد كانت صعدة والمناطق الشمالية التابعة لها حتى نجران تحت ولاية أحمد بن القاسم قبل أن يتولى إسماعيل الإمامة. وبعد أن وصل الأخير إلى الإمامة، وتغلب على أخيه أحمد اتبع سياسة حكيمة تجاه المؤلفة قلوبهم -إن جاز التعبير- فنجده يوافق لأخيه أحمد على الاستمرار في ولايته السابقة، وأعطى ابنه محمد بن أحمد نصف بلاد والده

(١) النص، ج١، ق ٢٤٣ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق ٧٥أ.

التي كانت له، وهي جميع بلاد البون والمناطق الشمالية إلى خمر[1]، غير أن الإمام إسماعيل في سنة (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م) كان يريد أن يبعد محمد بن أحمد عن ولاية تلك المناطق، فعرضها على أخيه قاسم بن أحمد، إلاَّ أن قاسم رفض تلك الولاية؛ لأنها تابعة لأخيه محمد، قائلا: «كيف يحسن مني منافسته إياها»[2]. ولم يتضح سبب رغبة المتوكل في استبدال محمد بن أحمد بأخيه قاسم بن أحمد في هذه الولاية.

ويذكر المؤرخ الجرموزي بأن الإمام إسماعيل في سنة (١٠٦٣هـ/ ١٦٥٣م) كان يريد أن يولي على صعدة شخصاً آخر غير أخيه أحمد، حيث يقول: «استرجع الإمام ولاية صنوه مولانا الصفي أحمد بن أمير المؤمنين أيده الله صعدة ومخاليفها ونجران وما إليه»[3]. وقد علل الجرموزي سبب العزل هذا ما وقع فيها من الاختلاف، وما لقي الإمام من الشدائد في صلاحها وأحياناً رأى أن يولي عليها علي بن أحمد من غير واسطة أبيه، غير أن الإمام تراجع عن قراره، فعظم عليه أن يكون أخوه منقطعاً عن أهله، أو يكون فيها والتصرف لغيره، فأعادها إلى أخيه أحمد، واشترط عليه إصلاحها وسد خللها. وكان الإمام يمده بالعسكر إلى أطراف الشام كنجران ومشرق صعدة، وغيرهما[4].

واستمر أحمد بن القاسم متولياً لصعدة وجهاتها حتى وفاته[5] سنة (١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م). وبعد وفاته جعل الإمام المتوكل ابن أخيه علي بن أحمد والياً على صعدة بعد أبيه[6]. ويذكر ابن عامر بأن علي بن أحمد قد أحكم قبضته على الشام وضبطه، وكان يتجه من صعدة إلى الإمام المتوكل في بعض السنين فيجله الإمام ويكرمه وينزله منزلة الأولاد والعلماء والأعيان.

واستمر الأمر كذلك حتى رفع جماعة من أعيان صعدة إلى الإمام حركات من

(١) النص، ج١، ق٧٥أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق ٢٤٣ب.
(٣) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٦١٧.
(٤) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٦١٨.
(٥) محمد بن علي العمراني: خبر النبيه بخبر أفتاح المنصور وبنيه، مخطوط، جـ١، ق ٢٠.
(٦) ابن عامر: بغية المريد، ق ٣٧١، أبو طالب: طيب أهل الكسا، ق ١١.

علي بن أحمد مخالفة لما يريده الإمام، فجعل الإمام كثيراً من جهات صعدة لبعض أعيانها، مثل: بني النمير، والشقري، وبني حابس، الشيخ يحيى بن الحاج، وجعل لهم أيدياً على صعدة حتى ظهر أمرهم في جهة الشام، وضعفت يد علي بن أحمد(١).

وكان قبل ذلك قد وصل إلى الإمام مشائخ بلاد خولان صعدة يشكون من علي بن أحمد، فأرسل معهم والياً السيد علي بن مهدي النوعة، بدلاً من انضمامها إلى علي بن أحمد(٢). وكانت سياسة الإمام في صعدة على ما يبدو هي العمل على تقليص نفوذ علي بن أحمد، ومن ثم عزله عنها وإعطائها لأحد أبنائه وهو الحسن بن المتوكل، وكما فعل في صنعاء وأعطاها لابنه محمد نجده في صعدة أيضاً يحاول إعطاءها لابنه الحسن.

وهنا تتضح سياسته في تعيين أهل الثقة في الولايات الهامة، خاصة البعيدة عن نفوذ مراكز القوى الفاعلة في دولته، على الرغم من وجود أهل الخبرة، إلاَّ أننا نجده يستغني عنهم في بعض الولايات، أو قد يمنحهم ولايات أقل أهمية، حيث نجده يرسل ابنه الحسن إلى صعدة، ومعه مجموعة من العسكر، وكتب إلى الأعيان السابق ذكرهم بأن يساعدوا ابنه الحسن في تثبيت يده على صعدة وجهاتها، وفي جميع ما يحتاج(٣)، وأطلق يد الحسن في صعدة، وكان مستقراً في جبل رازح، وكان يدخل صعدة لفترة ثم يعود إلى مقره في رازح، وخلال قدومه إلى صعدة كان يحاول أن يقوي من نفسه هناك، وكان يعاقب القبائل التي كانت تقوم بنهب القوافل التجارية(٤).

أما علي بن أحمد فكان يتضرر كثيراً من طول بقاء الحسن ابن الإمام، وزيادة النفقات في صعدة عليه وعلى عسكره(٥). وفي سنة (١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م) أمر الإمام أن يستقر ابنه الحسن بصعدة مع أهله، وأن يسكنوا بدار مطهر، التي كانت لعلي بن أحمد،

---

(١) ابن عامر: بغية المريد، ق ٣٧١-٣٧٣؛ إبراهيم عبد الله الحوثي: نفحات العنبر بفضلاء اليمن الذين في القرن الثاني عشر، مخطوط، جـ١، ق٣١٢-٣١٣.

(٢) النص، جـ٢، ق ٥٣أ.

(٣) ابن عامر: نفس المصدر، ق ٣٧٢.

(٤) النص، ج٢، ق ٣ب،٣١أ.

(٥) النص، نفس الجزء، ق ٣٤ب.

فاستاء علي بن أحمد من ذلك. وكان الإمام يهدف من ذلك إضعاف يد علي بن أحمد، وعزله بعد ذلك من صعدة وجميع جهاتها. وأن تكون بلاد الشام جميعها إلى ولده الحسن، غير أن علي بن أحمد كان أكثر دهاءً وخبرة من الحسن بن المتوكل، ويعرف المنطقة وقبائلها أكثر منه، لذلك نجده عند أن علم بقدوم أسرة الحسن واستعداد الحسن لدخول صعدة أمر برد أسرته من حيث أتت، وكتب إليه، وقد صار في منطقة تسمى (مَجْز)[1] كتاباً مضمونه: (إني كنت قد نهيتك عن دخول صعدة، والوصول هذه المدة، فأنت مخير، إما رجعت من حيث جئت، أو وصلت وعلينا تأمينك في الطريق إلى اليمن عند والدك، أو الحرب بيننا وبينك ومناجزتك[2]. فعاد الحسن بن المتوكل من (مجز) يريد التوجه إلى ساقين من أجل أخذ حاجاته التي قد وصلت إليه وخزينته، فكتب علي بن أحمد إلى أهل (عرو) أن يمنعوه من الوصول إلى هنالك، فمنعته القبائل من دخول ساقين، وعاد راجعاً إلى جهة رازح، بينما علي بن أحمد اتجه إلى ساقين، التي كان بها أصحاب الحسن بن المتوكل وحاربهم واستولى على الخزينة، ثم أمنهم وأُسَرهم وعاد إلى صعدة[3].

وبعد ذلك أمر جماعة بإخراج الحسن ابن الإمام من رازح، ولا يبقى له فيها نفوذ. وخلع إمامة الإمام إسماعيل، وأجابته قبائل الشام، ودخلت في أوامره ونواهيه إلى حدود بلاد سفيان وما إليه، كما سنرى، وانقطعت أوامر الإمام فيه بالمرة[4]. وأصبحت الشام لعلي بن أحمد، والحسن بن الإمام اتجه إلى كمران. مع أن علي بن أحمد أصبحت يده ضعيفة في الشام، وكان يداري القبائل، ولم تكن لديه قوة ليتمكن من إخضاعهم، لذلك حصل النهب في صعدة منهم. ويعلق يحيى بن الحسين على ذلك بقوله: «فلا هو ضبط البلاد، ولا تركها لغيره من الولاة يصلحها ويزيل عنها الفساد»[5].

أما محمد بن الحسن الذي كان يعتبر من الشخصيات القيادية الهامة في الدولة، بل

---

(١) تم شرح مواقع جميع المناطق في هوامش نص المخطوط.

(٢) النص، ج٢، ق ١٠٩ب-١١٠أ.

(٣) النص، نفس الجزء، ق ١٠٩أ-١١٠أ.

(٤) النص، نفس الجزء، ق ١١١أ.

(٥) النص، نفس الجزء، ق١٣٠ب.

يعتبر الرجل الثاني بعد الإمام المتوكل، ومن أهم مراكز القوى في الدولة -إن جاز استخدام هذا التعبير- فقد اقتفى أثر أبيه في سياسته الإدارية لمناطق ولايته، وأول ما قام به بعد وفاة والده أنه جمع الكثير من القادة والجنود والأعوان الذين كانوا تحت قيادة والده الحسن، تحت قيادته، واستقر في ذمار؛ لأنه حين وفاة والده لم تكن له ولاية محددة.

وكان الإمام المؤيد رافضاً إعطاء أبناء الحسن ولاية أبيهم، لكن محمد بن الحسن بذكائه وسياسته الحكيمة بدأ ينطلق من ذمار، ويحصل على ولايات قد تساعده على كفاية من معه من الجند والقادة، فأعطاه عمه الحسين بلاد الشوافي، وخبان وبني سرحة، ويريم، والتعكر، وهي مناطق خصبة في اليمن الأسفل، كما استطاع بعد ذلك الحصول على الامتيازات تدريجياً.

ولم يتوف الإمام المؤيد إلا وقد أصبح لمحمد بن الحسن نفوذ ومكانة كبيرة في اليمن الأسفل، لذلك أعلن إمامته عند وفاة المؤيد، غير أنه تنازل لعمه المتوكل إسماعيل، كما سبق أن رأينا. وكان المساند الأول له ضد منافسه أحمد بن القاسم، ومده بالكثير من الجنود والخيول والأموال، لذلك فمن الطبيعي أن يمنحه الإمام إسماعيل ما يريد. وقد ذكر لنا ذلك صاحب بغية المريد، بقوله: «ولاَّه الإمام ولاية عظمى في أقاليم وحصون ومدن وبحار، فاستمر محفوفاً بعساكر يضيق بها الرحب. بلغت خيله خمسة عشر مائة حصان، على رفاهية ودعة من الإسعاد»[(1)]. وكانت له صلاحيات واسعة في مناطق ولايته، وترك له الإمام تعيين من يراه مناسباً في تلك المناطق.

وقد أعطى محمد بن الحسن مناطق هامة في ولايته لأبنائه، منهم يحيى بن محمد بن الحسن، الذي أعطاه والده ولاية تعز والحجرية، سنة (١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م) بعد وفاة واليها السيد علي المحرابي. وبعد وفاة والي العدين محمد بن أحمد بن الإمام الحسن المؤيدي أضاف محمد بن الحسن ولاية العدين لابنه يحيى إلى جانب تعز والحجرية[(2)].

---

(١) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٢١٧-٢١٨.

(٢) النص، ج١، ق ١٦أ.

ولأهمية العدين وخصوبتها كان الإمام إسماعيل يريد أن تتبعه مباشرة ويعين عليها شخصاً من قبله، إلا أن محمد بن الحسن رفض ذلك قائلاً: «البلاد بلادي، وفيها عمالي، وإليها حاجاتي»[1]. غير أن إعطاءها لابنه يحيى لم يكن موفقاً، فكان يحيى بن محمد بن الحسن ينفق جميع أمواله ويعطي، بحيث قد ينفد ما لديه من مخزون، وكان ذلك سبباً في الجور على الرعايا، لا سيما بلاد الحجرية، وتعلقت به الديون، فاستاء والده محمد بن الحسن، ومنعه من الإنفاق بتلك الطريقة، وأخذ منه بلاد العدين[2].

أما ابنه إسماعيل فكما ذكر الحوثي بأن والده محمد بن الحسن كان قد «فوض إليه أموراً من بلاد اليمن الأسفل»[3]. ولم تذكر المصادر المتوفرة ما هي المناطق التي تولاها إسماعيل؛ إلا أنه قبل وفاة والده كانت إليه بلاد العدين.

وباعتبار محمد بن الحسن الرجل الثاني في دولة المتوكل، فكان كثيرالتنقل بين المناطق المختلفة، ليس مناطق ولايته فحسب، بل شمل تنقله المناطق الأخرى، خاصة ذمار وصنعاء واليمن الأسفل[4]، يذكر ذلك ابن عامر بقوله: «وكان يجعل شطر الإقامة بذمار واليمن الأسفل وشطرها بصنعاء اليمن، أيام الشتاء بالجَنَد»[5].

ولنا أن نطرح سؤالاً، وهو لماذا تختلف سياسة الإمام المتوكل إزاء ولاته؟ فهنا نجده يطلق يد محمد بن الحسن في مناطق ولايته، يعين ويعزل من يريد، بينما عزل أخاه عبدالله بن القاسم عن ولاية ذمار. وكان متولياً لذمار من عهد أخيه الإمام المؤيد. وكان عَزْله بسبب شكوى وصلت إليه عن طريق أحد القضاة فيها، وهو القاضي يحيى بن محمد الشبيبي؛ لأن عبد الله بن القاسم زاد في فرض الأموال لتأديب ومعاقبة أهالي ذمار. وعين الإمام بدلاً من أخيه السيد أحمد بن هارون الهدوي[6].

(١) النص، ج١، ق ١٩٤أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق ١٩٥ـ
(٣) الحوثي: نفحات العنبر، مخطوط، ق ٣٦٦.
(٤) النص، نفس الجزء، ق ٢٠٤ب، ق ٢٢٣أ.
(٥) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٢١٩.
(٦) نفس المصدر، ق.٤٦١.

وعلى الرغم من أن عبدالله بن القاسم طلب من أخيه إعادته إلى الولاية في ذمار، عندما اتجه إليه وهو في شهارة، ورافقه إلى صنعاء، ثم إلى ضوران، إلا أن المتوكل رفض ذلك، فلم يكن منه إلا أن لزم بيته بذمار، وقطع مواصلته لأخيه الإمام، حتى أنه لما وصل الإمام إلى ذمار لم يلتق به، واستمر على ذلك حتى وفاته سنة (١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م)[١]. يقول ابن عامر: «وهي ولاية واسعة، ذات حصول نافع»[٢].

لقد اتسمت سياسة الإمام المتوكل إسماعيل الإدارية في توزيع الولايات على أفراد أسرته كل حسب أهميته، دون الاهتمام بإيجاد نظام إداري واضح ومنظم، لأسباب كثيرة من ضمنها ضغوط أفراد الأسرة في اختيار مناطق ولاياتهم، خاصة من كانوا يتمتعون بمراكز نفوذ كبيرة مثل محمد بن الحسن وأخيه أحمد بن الحسن، حيث أن اعتماده عليهما في كثير من شؤون الدولة جعل الأمر أقل وضوحاً.

لقد كان الإمام المتوكل يعين ويعزل الولاة في مختلف الولايات، حسب الظروف، وفي الولايات البعيدة عن مراكز القوى، فقد اختلفت سياسته إزاء ولاته من شخص لآخر حسب مصلحة الدولة كما يراها، فكما رأينا أطلق يد محمد بن الحسن في جميع اليمن الأسفل، وترك له حرية تعيين من يريد، سواء كانوا من أبنائه أم من غيرهم. وهذا نتيجة لقوة محمد بن الحسن كما رأينا. وكان له ولأخيه أحمد بن الحسن الفضل الكبير في توسيع حدود الدولة من حدود عُمان جنوباً إلى حدود الحجاز شمالاً. وتوحدت اليمن، وحُكمت مركزياً من عاصمة المتوكل (ضوران)[٣].

ولكن ليس معنى هذا أننا نستطيع إنكار حقيقة هامة، وهي: أن الإمام المتوكل أثبت منذ توليه الإمامة بأنه أكفأ آل القاسم وواحداً من أقدر حكام اليمن في تاريخه الطويل، فقد تمكن من إعادة السيطرة المركزية على كل اليمن الطبيعية[٤]، كما سنرى،

(١) النص، ج١، ق ١٣٥ب.

(٢) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٤٦١

(٣) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ٥٠.

(٤) نفس المرجع، نفس الصفحة.

ولكن من الطبيعي أن يكون لشخص مثل محمد بن الحسن نفوذ كبير وسلطة قوية، لدرجة أنه أطلق عليه أحد مبعوثي السلطان العثماني (ملك اليمن) فيذكر يحيى بن الحسين من خلال وصف مبعوث السلطان العثماني -إلى اليمن_لنفوذ محمد بن الحسن قوله: «إن كان ملك في اليمن فهذا هو، غيره ما فيه شيء»[1]. وهذا دليل على نفوذه الواسع ومركزه القوي.

إن أشخاصاً مثل محمد بن الحسن وأخيه أحمد بن الحسن لا يُعتقد بأن الإمام المتوكل سيفكر في عزلهما لأسباب هامة، منها قوتهما وصلاحيتهما للحكم، فكان محمد بن الحسن سنداً وعوناً لعمه المتوكل في كل ما يحتاج إليه، وكان بمثابة الدعامة الرئيسية للدولة، فلم يبالغ المؤرخ يحيى بن الحسين عندما قال: «وكان القائم معه[2] محمد بن الحسن، وإليه أكثر اليمن، فكانت الأمور في أيامه جميلة، وأحوال الناس مستورة، فلما مات ظهرت العجائب، وما زالت الأمور إلى نقص وفيها غرائب»[3]. وفي مكان آخر من المخطوطة يقول: كان محمد بن الحسن مطلعاً على جميع الأمور، حافظاً للجنود، فلما توفي انتثرت أكثر الأمور[4]. لذلك ليس غريباً أن نرى أن سياسة الإمام المتوكل تختلف مع شخصيات أخرى من الولاة، ولم تكن نفس السياسة التي اتبعها مع محمد بن الحسن وأخيه أحمد بن الحسن.

ولكن الإمام المتوكل بعد وفاة محمد بن الحسن سنة (١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م) لم يتبع مع أبنائه السياسة نفسها التي اتبعها مع أبيهم، إذ سار على نهج أخيه الإمام المؤيد في عدم توريث الأبناء أو الإخوة، ولكن حسب ما تقتضيه المصلحة العامة للدولة، ولعدم صلاحيتهم لتولي هذه الولاية أو تلك، فنجد هنا يحيى بن محمد بن الحسن كان يريد أن يتولى بلاد والده، فتوسط بعمه أحمد بن الحسن، لكنه رأى منه عدم الإجابة فيما كان يريد؛ لأنه كان يعلم بأن الإمام لن يرضى بذلك مطلقاً. وأخبر الإمام إسماعيل أحمد بن

(١) النص، ج١، ق ٢٣٤ب.
(٢) أي مع الإمام المتوكل على الله إسماعيل.
(٣) النص، جـ٢، ق ١١٦أ-١١٦ب.
(٤) النص، ج١، ق ٢٦٠أ

الحسن بأن البلاد التي كان قد ولاّها محمد بن الحسن لأبنائه تبقى لهم على ما كانت عليه من قبل، فالحجرية وبلاد ذمار ليحيى بن محمد بن الحسن، والعدين لإسماعيل بن محمد بن الحسن، وسائر البلاد «لنا النصف وإليكم النصف»[1].

أما عسكر محمد بن الحسن فجعل الإمام عهدتها إلى أخيه أحمد بن الحسن، لكنه اعتذر عن ذلك، وتمزق جنود محمد بن الحسن وتفرقوا.

وكان يحيى بن محمد بن الحسن قد اشتد غضبه من موقف الإمام المتوكل، وسكن في دار المدرسة، واحتجب أكثر أوقاته، ولم يسأل الإمام أو يخاطبه في شيء مما يريده، ثم توفي بعد والده مباشرة، في رجب (١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م) «وهو متأثر بألمه، لما كان يريده ويهوى»[2].

أما إسماعيل بن محمد بن الحسن فقد انتقل بعد وفاة والده إلى مقر ولايته العدين، ومعه أخوه أحمد بن محمد بن الحسن، فمات أحمد في الطريق، وقد دخل وادي العدين، وقبر بالمذيخرة[3]. وبعد وصول إسماعيل بن محمد بن الحسن إلى العدين لم يكمل شهر إلاّ وقد توفي هو أيضاً في العدين، فقبر جنب أخيه بالمذيخرة. فعين الإمام المتوكل على ولاية العدين جعفر بن مطهر الجرموزي، الذي كان صاحب إسماعيل بن محمد بن الحسن ووزيره وكاتبه[4].

وبذلك انقرضت دولة محمد بن الحسن وأولاده بعد سنة من وفاته تقريباً.

الشخصية القيادية الثانية في دولة الإمام المتوكل هي شخصية أحمد بن الحسن، فإذا كان محمد بن الحسن يعد الرجل السياسي الأول بعد الإمام المتوكل، فإن أخاه أحمد بن الحسن كان يعد رجل الحرب الأول، أو القائد العسكري الأول، حيث وكلّه الإمام لقيادة معظم الحروب، والتوسع في المناطق الشرقية والجنوبية. وتمكن من بسط نفوذ

(١) النص، ج١، ق ٢٦١ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق ٢٦٦ب.
(٣) النص، نفس الجزء، ق ٢٧٨ب.
(٤) النص، نفس الجزء، ق ٢٨٠أ.

الدولة في تلك المناطق، وعاد محملاً بالكثير من الغنائم، كما سبق أن رأينا. وكان قد ساند الإمام منذ إعلان إمامته، لذلك كان لزاماً عليه أن يمنحه الولايات مثل غيره من أبناء الأسرة. فأعطاه بعض ولايات في اليمن الأسفل، منها ولاية (ذي السفال) التي كان المتولي لها المهدي بن الهادي النوعة من أيام الحسن بن القاسم والإمام المؤيد، فلما وصل المتوكل إلى الإمامة عزله عنها، وولى تلك الجهة ابن أخيه أحمد بن الحسن[1]. هذا إلى جانب (الغراس) التي كانت المقر الرئيسي لأحمد بن الحسن حتى وفاته.

وبعد وفاة محمد بن الحسن منحه الإمام المتوكل نصف ولايته، كما سبق أن رأينا.

وكان أحمد بن الحسن يريد إعطاء ولاية العدين لابنه محمد بن أحمد ابن الحسن، بعد وفاة واليها إسماعيل بن محمد بن الحسن، غير أن الإمام هذه المرة حسم الأمر ورفض إعطاءها له، وكأنه لا يريد أن تتبع أحمد بن الحسن مثلما كانت تابعة لأخيه محمد بن الحسن، وأراد أن تكون تابعة له مباشرة، ويعين عليها والياً من قبله، وتكون عائداتها له، ربما بسبب خصوبتها، حيث فرض الإمام على الوالي الجديد جعفر بن مطهر الجرموزي مبلغاً قُدِّر بستة آلاف شهرياً؛ لأنه كان متقبلاً لبلاد العدين مقابل هذا المبلغ. والمتقبل عادة يرسل المبلغ المتفق عليه لبيت المال، ويتضح أنه مبلغ كبير، لذلك أثقل الجرموزي كاهل أهالي العدين[2] بالمطالب.

أما الأخ الثالث لمحمد بن الحسن وأحمد بن الحسن فهو الحسين بن الحسن بن القاسم، فقد ولاَّه الإمام رداع، وبعد فتح بلاد المشرق سنة (١٠٦٥هـ/ ١٦٥٥م) ولاَّه جميع بلاد المشرق من مدينة رداع إلى حضرموت، وأضاف إليه جهة خبان وبلاد الحبيشية[3].

وإذا ما انتقلنا إلى سياسة الإمام إسماعيل الإدارية في تثبيت أبنائه في الولايات المختلفة، فسنجده اهتم بذلك، خاصة في العشر السنوات الأخيرة. وقد منحهم

(١) النص، ج١، ق ١٩٧ب.

(٢) النص، جـ٢، ق ١٦أ.

(٣) الحوثي: نفحات العنبر، مخطوط، ق ٣٢٧-٣٢٨.

الولايات التي يريدونها، فيقول المؤرخ يحيى بن الحسين: (ومكن أولاده في الولايات، وأجاز لهم التصرفات)[1].

وقد وزع الولايات على أولاده كالتالي:

أ - محمد: بصنعاء وجهاتها. وسبق أن رأينا كيف وسع حدود ولايته.

ب - الحسن: في رازح وتهامة. فأصبحت له اللحية والضحي ومور والزيدية، وسبق أن رأينا محاولته أخذ صعدة وجهاتها من علي بن أحمد، وإخفاقه في ذلك. وكان أكثر أبناء الإمام تحركاً في الولايات المختلفة، تنفيذاً لأوامر والده، خاصة في السنوات الأخيرة من حكم الإمام.

جـ - علي: ولاَّه مناطق باليمن الأسفل، خاصة بعد وفاة محمد بن الحسن، حيث ولاّه أكثر المناطق التي كانت تابعة لمحمد بن الحسن، فزاد نفوذه، وأصبح من المراكز القوية في الدولة.

د - الحسين: كان عند والده ينوب عنه في بعض أعماله،ويساعده في النظر في أمور من يصل إليه من الشكاة وغيرهم. وبعد أن أصبح ابنه محمد متولياً لصنعاء حيث كان له قبل ذلك ولاية بلاد آنس وضوران، أعطى الإمام هذه الولاية لابنه الحسين. وكان لا يفارق والده. ولما توفي الإمام لم يكن عنده من أولاده سواه[2].

هـ - أحمد: لقد عين الإمام إسماعيل ابنه أحمد في نصف بلاد عذر سنة (١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م) التي كانت تحت ولاية الحسين بن الإمام المؤيد محمد بن القاسم.

وكان الإمام قد عرض عليه ولاية بلاد ذمار، فرفضها، وقال: إنه يريد العودة إلى شهارة وتوليته بلادها، كونه نشأ بها، فوافق الإمام على ذلك، وتوسع أحمد بن الإمام في ولايته في شهارة على حساب ولاية الحسين بن الإمام المؤيد، بدعم من والده الإمام

(١) النص، ج٢، ق ١١٧ب.
(٢) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٤٣٠أ.

المتوكل، فعارض الحسين بن المؤيد في أمور كثيرة، وكان ينقض أوامره، فاستاء حسين بن المؤيد من ذلك، وكتب إلى الإمام المتوكل يعتذر عن الولاية، ظناً منه أن الإمام سيوقف ابنه عن المعارضة له، فجاء الأمر خلاف ذلك، وزاد من صلاحيات ابنه أحمد فيها[1].

وعلى الرغم من أن الحسين بن المؤيد قد تراجع عن بيعته لعمه أحمد وبايع عمه المتوكل، ووقف إلى جانبه ضد عمه أحمد، وفي المقابل منحه الإمام بلاد عفَّار وشهارة والشرف الأسفل[2]، إلاَّ أن المتوكل آخر الأمر أطلق يد ابنه أحمد في ولاية الحسين بن المؤيد. ويرى بعض المؤرخين أن السبب في ذلك أن الإمام المتوكل كان قد أمر الحسين بن المؤيد بالخروج على بني حرام في (حلي بن يعقوب)، فاعتذر عن ذلك، فتعمد الإمام المتوكل أن يقلص نفوذه[3].

ولعل هذا سببٌ غير كافٍ، إذ أن الإمام قد عرض على ابنه ولاية ذمار، البعيدة عن مناطق ولاية الحسين بن المؤيد، كما سبق أن ذكرنا، إلاَّ أنه رفض، وطلب شهارة. وسياسة الإمام تقضي بتثبيت أبنائه في الولايات قبل وفاته، لذلك أعطاه ما أراد. أما الحسين بن المؤيد فقد توفي بعد عامين من تولية أحمد بن المتوكل-أي في سنة (١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م) - عند ذلك ولَّى الإمام إسماعيل ابنه أحمد على جميع البلاد التي كانت للحسين، وهي: بلاد عفار، وعاهم، وضاعن،التابعة لشهارة، فتصرف فيها، ولم يبق للولاة السابقين ما كان من إطلاق اليد والنظر عليها. وكان يحيى بن الحسين بن المؤيد وعمه القاسم بن المؤيد يتطلعون إلى توليتها، وأن يبقى أحدهم فيها بعد وفاة الحسين بن المؤيد، لكنه لم يحصل شيء من ذلك[4]. وكانوا يرون أن لهم الأحقية في تولية شهارة، باعتبارها كانت لأبيهم قبل ذلك، فكانوا يحاولون الحد من نفوذ أحمد بن الإمام[5]. لكن الإمام إسماعيل نجح في تثبيت أبنائه في بعض الولايات على حساب

(١) النص، جـ٢، ق ١٧أ.
(٢) النص، ج١، ق ٧٥أ.
(٣) النص، ج٢، نفس الورقة.
(٤) النص، نفس الجزء، ق ٥٧ب.
(٥) النص، نفس الجزء، ق ١١٣ب.

مراكز قوى أخرى مثل شهارة وجهاتها، وصنعاء وجهاتها، ومناطق اليمن الأسفل، وضوران وآنس، غير أنه أخفق في الشمال، في صعدة وجهاتها، كما سبق أن رأينا.

أما محمد بن الحسين الذي أجاب الإمام إسماعيل من بداية دعوته، وشارك في الحرب بين إسماعيل وأخيه أحمد. وكان لمحمد بن الحسين دور في نصر قوات الإمام إسماعيل-كما رأينا سابقا-كما أنه كُلف بالتوجه للمناطق الشمالية مرات عديدة للقضاء على الخارجين على الدولة أوالمتمردين، ولعل أبرز مثال على ذلك الشيخ يحيى بن روكان، لذلك لم يكتف الإمام إسماعيل بأن يبقيه في ولايته السابقة بلاد البستان، بل أضاف إليه حفاش وملحان وبلاد الشرف، ثم أُبدلت الشرف بحراز[1]. واستمر في ولايته حتى توفي، فعرض الإمام ولايته على أخيه المؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم، لكنه رفض توليها. وكان بعيداً عن المناصب السياسية حتى وفاته.

ولعل الإمام المتوكل رأى أن يحيى بن الحسين أحق بولاية هذه المناطق، أو أنه أراد أن يسكته عن الاعتراض على سياسته التي كان يرى فيها يحيى بن الحسين بعض هفوات أو أخطاء، والتي لا يخلو معظم الحكام والأئمة من ارتكاب مثلها.

وهناك أشخاص من آل القاسم قد لا يعدون من مراكز القوى الهامة، لذلك جعلهم الإمام ولاة لمناطق أقل أهمية، منهم على سبيل المثال أحمد بن الإمام المؤيد، الذي جعله الإمام المتوكل والياً لبلاد وادعة.

وبذلك يكون الإمام المتوكل قد عين معظم أفراد أسرة الإمام القاسم في ولايات مختلفة من اليمن شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً، كلٌ حسب أهميته في الدولة، وما قام به من دور في تثبيت دعائم دولة المتوكل.

ومن البديهي أن ولايات اليمن في تلك الفترة لم تكن جميعها يتولاها أفراد من أسرة الإمام القاسم، فعين الإمام المتوكل على كثير من الولايات شخصيات من خارج الأسرة، وكان معظمها مناطق ذات أهمية كبيرة، سواء من حيث الموقع، أو من حيث

---

(١) النص، ج١، ق ٥٧أ-٥٧ب.

الخصوبة، وكذلك الموانئ الهامة.

لقد كانت معظم هذه الشخصيات معينة من قبل الإمام مباشرة، وفي مناطق أخرى كان التعيين من قبل محمد بن الحسن، خاصة في مناطق ولايته في اليمن الأسفل، كذلك أحمد بن الحسن عين في مناطق ولايته وفي المناطق التي كان يقوم بإخضاعها لسلطة الدولة، سواءً كان في الشرق أم في الجنوب. ولكن في هذا التعيين كان لا بد من موافقة الإمام عليه في معظم الأحوال.

وفي بعض المناطق أبقى الإمام الولاة السابقين على ولاياتهم، خاصة المناطق التي كان يتولاها أسر كانت تتوارث ولاية هذه المناطق. منها على سبيل المثال أسرة آل شرف الدين، وكانت كوكبان مقراً لهذه الأسرة، وكان المتولي لها عند وصول الإمام إسماعيل إلى الإمامة هو الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين. وكان مضافاً إليها لاعة وشبام، فأقره الإمام عليها، وأضاف إليه ولاية الطويلة، التي كان واليها عز الدين بن دريب[1]، وهي تقع إلى الغرب من كوكبان. وبعد وفاة الناصر بن عبد الرب سنة (١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م) جعل الإمام بلاده إلى ابنه عبد القادر بن الناصر[2]. وظلت أسرة الإمام شرف الدين تتوارث ولاية هذه المنطقة إلى فترات متأخرة. وكانت تعتبر كوكبان وجهاتها من المناطق الخاصة بها منذ أن اتخذها المطهر بن الإمام شرف الدين معقلاً، دوّخ العثمانيين منه.

وقد وقف الناصر إلى جانب الإمام إسماعيل خلال حربه مع أخيه أحمد على الإمامة. أما بعض الذين وقفوا إليجانب أخيه أحمد فقد عزلهم الإمام عن ولاياتهم. منهم على سبيل المثال عز الدين بن دريب، الذي كان متولياً للطويلة من عهد الإمام المؤيد، فعزله المتوكل عنها، وضمها إلى ولاية الناصر بن عبد الرب، كما رأينا سابقاً، وقد عاتبه المتوكل على مناصرته لأحمد قائلاً: «إنه لا ينبغي من مثلكم وأنتم بمحل من العلم أن تكونوا بُغاة علينا، ومحاربين لنا، فأجاب السيد عز الدين دريب: إن الإمامة

(١) النص، ج١، ق ٢٠٠ب.

(٢) النص، نفس الجزء والورقة.

ظنية اجتهادية، وصنوكم[1] أحمد المتقدم في الدعوة عليكم»[2]. وعلى العكس من ذلك فمن ناصره وأيده في إمامته أبقاه في ولايته، بل قد يضم إليه مناطق أخرى، فنجد المطهر الجرموزي كان متولياً لبلاد عتمة من أول دولة المؤيد، فأقره الإمام إسماعيل على هذه الولاية الخصبة، واستمر بها حتى وفاته سنة (١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م)، وقد بلغ عمره فوق الثمانين عاماً[3].

وبعض الولايات كانت لأشخاص من خارج الأسرة، لكنه عزلهم منها، ويرجع ذلك إلى أن الإمام المتوكل قد وعد المناصرين له من أبناء إخوته إعطاءهم الولايات التي ترضيهم، فنجده يضطر إلى عزل بعض هؤلاء الولاة، وإعطائها لأبناء إخوته، أو أنه يضم مناطق بعض الولايات إلى ولايات أبناء إخوته، فنجده مثلاً يعزل المهدي بن الهادي النوعة عن ولاية ذي السفال باليمن الأسفل، وكان متولياً لها من أيام الإمام المؤيد، وأعطاها لابن أخيه أحمد بن الحسن. كما عزل المتولي لحفاش وملحان وأعطاها لابن أخيه محمد بن الحسين.

وليس معنى هذا بأنه عزل كل الولاة من خارج الأسرة وعين بدلاً منهم من الأسرة، فهناك ولاة أبقاهم الإمام في ولاياتهم، واستمروا بها حتى وفاتهم، بل إنه في بعض الولايات عند وفاة هؤلاء الولاة كان يعين بعدهم أبناءهم أو إخوتهم، فنجده في الزاهر، وهي بلد من الجوف. كان واليها الأمير صالح بن الحسين الجوفي الحمزي، ظل والياً لها حتى وفاته سنة (١٠٦٧هـ/ ١٦٥٧م). وبعد وفاته ولّى الإمام أخاه الأمير علي بن الحسين الجوفي الحمزي[4]. كذلك زبيد كان المتولي لها الآغا محمد بن ناصر المحبشي، فلما توفي سنة (١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م) جعلها الإمام لولد أخيه عبد الله بن سراج المحبشي[5].

ولا بد أن نؤكد هنا بأن مناطق اليمن يمكن تقسيمها إلى قسمين:

(١) الصنو: الأخ، والجمع أصناء.
(٢) النص، ج١، ق ٢٠٠ب.
(٣) النص، نفس الجزء، ق ٢٢٨أ.
(٤) النص، نفس الجزء، ق ١٥٩ب.
(٥) النص، نفس الجزء، ق ١٧١أ.

القسم الأول: المناطق التي حُكمت مباشرة من قبل ولاة يأمر الإمام بتعيينهم، سواء كانوا من أسرة الإمام القاسم أو من خارج الأسرة.

أما القسم الثاني: فهي المناطق التي اكتفى الإمام بإبقاء زعمائها المحليين ليديروا شؤونها، وفي المقابل إرسال ما عليهم من حقوق للدولة والخطبة للإمام. بمعنى أنهم كانوا بمثابة ممثلين للدولة في مناطقهم.

المناطق الساحلية والموانئ

كانت الموانئ اليمنية، وبالأخص: ميناء المخا، تدر على خزينة الدولة أموالاً كثيرة، من الضرائب المفروضة علىالتجارة، وتصدير البن، ومقابل خدمات السفن الأوروبية العاملة بين الشرق والغرب. وبات له شهرة عالمية بصفته أهم وأكبر موانئ الجزيرة واليمن[1].

ولم تكن تجارة البن المزدهرة وحدها هي كل تجارة الشركات والتجار الأوروبيين من ميناء المخا، بل كانت التوابل والزبيب واللوز وغيرها مما كان يُنقل بين الشرق والغرب، ويشكل ربحاً كبيراً لهم[2]. لذلك اهتم الإمام إسماعيل بالمناطق الساحلية عامة والموانئ بشكل خاص، لأنها تُشكل مصدراً لزيادة إيرادات الدولة، فعين عليها ولاة كانوا في معظم الأحيان من الموالي والعبيد، الذين كانوا من أهل الثقة.

وكان الإمام المؤيد وإخوته الحسن والحسين قد اعتمدوا عليهم، فعين الحسن بن القاسم الفتى سعيد بن ريحان على المخا، وعين الفتى سعيد المجزبي على اللحية والضحي[3].

واتبع الإمام إسماعيل هذه السياسة، فاعتمد على الموالي والعبيد في كثير من المهام، وأوكل إليهم مناصب ذات أهمية في مناطق متعددة، خاصة الساحلية والتجارية،

(١) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ١٢٤.
(٢) نفس المرجع، ص ١٢٥.
(٣) النص، ج١، ق ٣أ.

وذلك لأسباب، لعل أهمها ما ذكره الدكتور حسين العمري، منها: ضمان عدم خروجهم وتمردهم على الدولة أو الإمام، والولاء والطاعة المؤكد لسادتهم، وسهولة عزلهم ومصادرة أملاكهم في أي وقت[1]. وهو ما حدث كما سنرى لاحقاً.

وليس معنى ذلك أن كل من عينهم الإمام على المناطق الساحلية والموانئ كانوا من الموالي والعبيد، فهناك شخصيات أخرى تم تعيينها في بعض تلك المناطق.

وكانت سياسته الإدارية فيها كالتالي:

[المخا]

لقد كان المتولي لهذا الميناء الهام قبل وصول الإمام إسماعيل إلى الإمامة هو سعيد بن ريحان. ولاّه الحسن بن القاسم. واستمر في ولايته له إلى بداية عهد الإمام المتوكل، ثم عزله[2] وعين والياً آخر هو السيد محمد بن أحمد بن الإمام الحسن المؤيدي. وأضاف إليه بلاد حيس وما إليها من المخاليف المتصلة بالمخا، إلى جانب ولايته السابقة للعدين[3].

وبعد وفاته سنة (١٠٦٣هـ/ ١٦٥٣م) عين الإمام السيد زيد بن علي بن جحاف، ثم عزله في سنة (١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م)، ولعل سبب عزله له ما ذكره يحيى بن الحسين، «وهو عدم توفر المحصول، وتناقصه عليه»[4]. فمن المرجح أن الإمام رأى أن نقص إيرادات الدولة من ميناء هام مثل المخا يجعل من المحتم عليه عزل واليها، خاصة أن أهالي المخا كانوا يشكون من هذا الوالي بسبب ما كان قد جرى عليه من زيادة المطالب، وما كان يفرضه على التجار من ضرائب ومطالب باهظة. وفي المقابل يشكو من تناقص

---

(١) د. حسين العمري: الأمراء العبيد والمماليك في اليمن، ص ٥٨.

(٢) النص، ج١، ق ٢٨٩. ويذكر المؤرخ يحيى بن الحسين في أحداث (١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م) بعد وفاة سعيد بن ريحان بحوالي عامين بأن محمد بن الإمام المتوكل استولى في عهد والده على ما تركه سعيد بن ريحان من النقود والذهب من مدة ولايته لبندر المخا تلك الأيام. ولم يترك محمد بن المتوكل لورثته سوى القليل من ذلك. والسبب-كما ذكره يحيى بن الحسين-أنه استكثر ما خلفه لهم من تلك النقود والذهب. [النص، جـ٢، ق ٣٠ب].

(٣) النص، نفس الجزء، ق ١٣٩ب.

(٤) النص، نفس الجزء، ق ٢٩٠أ.

المحصول عليه! لذلك استغل الإمام قدوم زيد بن جحاف إليه في ضوران فعزله، وعين بدلاً منه السيد حسن بن مطهر الجرموزي، إلا أنه أيضاً زاد في فرض الضرائب الباهظة على أهالي المخا والتجار[1]، ليستطيع الإيفاء بالمقررات السنوية المفروضة عليه من الدولة.

[عدن]

كان المتولي لها عند وصول الإمام إسماعيل إلى الإمامة هو الحسين بن عبد القادر. وكان والده الأمير عبد القادر من الموالين للإمام المؤيد، ولكن ابنه الحسين،كان خلاف والده من ناحية سوء المعاملة، من ذلك أنه أخذ أموالاً من أمير مباسا عند وفاته في (القنفذة) بعد عودته من الحج، وقتل بعض أتباعه، وحبس من بقي منهم[2]. فكان السبب المباشر في التجهيز عليه والاستيلاء على عدن ولحج وخنفر، كما سبق أن ذكرنا.

أما عدن فقد عين عليها أحمد بن الحسن مولاه المسمى ياقوت إسماعيل. وعين على لحج بعض أتباعه وقد تعاقب على ولاية عدن عدد من الولاة مثل المخا منهم: أمير الدين العلفي، الذي عُين على ولاية بندر عدن والشحر بعد ياقوت إسماعيل[3]، وكذلك فرحان تولاها مدة ثم عُزل عنها سنة (١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م)[4]، وعند وفاة الإمام كان المتولي لها السيد حسن الحرة[5].

وكانت عدن أولى المناطق الجنوبية التي تم الاستيلاء عليها وإخضاعها لسلطة الإمام إسماعيل لأهميتها وأهمية موقعها الاستراتيجي بعد المخا في تلك الفترة.

[جزيرة كمران واللحية والضحي ومور]

كان المتولي لها سعيد المجزبي، وكان مملوكاً للحسن بن الإمام القاسم. وتولى هذه المناطق من أيام الحسن بن القاسم وفتحه لتلك الجهات، واستمر والياً عليها حتى

(١) النص، ج١، ق ٢٩٠ب.
(٢) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٢٧٩.
(٣) النص، نفس الجزء، ق١١٥أ.
(٤) النص، جـ٢، ق ٢٤ب.
(٥) النص، نفس الجزء، ق ٨٩أ-٨٩ب.

سنة(١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م)، وفي هذه السنة رأى الإمام إسماعيل تقليص نفوذ سعيد المجزبي، فعزله عن الضحي ومور، وولاّها من قبله. وبقي سعيد المجزبي متولياً لكمران واللحية[1].

وفي سنة (١٠٨٣هـ/ م) عزل الإمام سعيد المجزبي عن بقية الولايات، وهي كمران واللحية، وقد أصبح كبيراً في السن، واستمر في ولاية هذه المناطق حوالي أربعين عاماً. وبعد أن عزله المتوكل أمر ابنه الحسن بالتوجه إلى كمران واللحية وأخذها من سعيد المجزبي، فولاّها من قبله من يثق به، وأخذ ما في جزيرة كمران من السلاح مع العسكر والمدافع. ولم يحمل المجزبي إلاّ ما يخصه من أثاثه[2]. وعند وصول الحسن بن الإمام المتوكل إلى بندر اللحية وجد نوعاً من القوارب، تسمى الغربان، وهي خاصة بالمجزبي، فاستولى عليها، ولم يعترض المجزبي على شيء؛ بل قال: إنه من جملة الخدم، غير متكبر على الإمام وأن البلد بلده، والبندر بندره[3]، ووصل المجزبي إلى ضوران واستقر لدى الإمام.

ولعل هذه من الأسباب التي شجعت الأئمة على تعيين الموالي على الموانئ والمناطق الساحلية، كما سبق أن ذكرنا.

وهنا يذكر يحيى بن الحسين أن من أسباب عزل سعيد المجزبي عن ولايته تلك هو أن الإمام المتوكل أصبح يخشى منه؛ لأنه ربما كان يخالف أوامره، وأنه ربما قد كاتب إلى جهات جدة ومصر وسواكن، وحصّن كمران وقوّاه، فكان سبب حصول الوهم مع الإمام، لذلك أمر ابنه بالتوجه إلى تلك الولاية وعزله عنها[4]، ومن المرجح أن هذا الاستنتاج من المؤرخ يحيى بن الحسين لم يكن صحيحاً، لكنه كرر كلمة ربما، وهذا يؤيد بأنه لم يكن واثقاً من صحة الخبر، حيث لم يكن الأمر قاصراً على كمران واللحية، وهو

---

(١) النص، ج١، ق ٢٨٧أ.
(٢) النص، ج٢، ق ٤٢ب-٤٣أ.
(٣) النص، نفس الجزء، ق ٤٣ب.
(٤) النص، نفس الجزء، ق ٤٢أ-٤٢ب.

ما يؤيده يحيى بن الحسين نفسه، بقوله: «إن جميع السواحل تحولت أمورها، وتغيرت أحوال ولاتها، وتبدلت أعمالها، هذا المذكور سعيد المجزبي، والسيد زيد بن علي بن جحاف، الذي كان بالمخا، وفرحان والي عدن، والسيد أحمد بن صلاح، متولي جازان، ومدينة زبيد عُزل واليها عبد الله بن سراج المحبشي»[1]، ولعلَّ ذلك كان نوعاً من الإصلاح الإداري في السنوات الأخيرة من حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم.

تعيين القضاة

لقد كان القضاء من المهام الأساسية التي اهتمت بها الدولة، سواءً في عهد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، أم في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل، الذي عين القضاة المناسبين في مناطق اليمن المختلفة. وكان هؤلاء القضاء من العلماء المبرزين، وبعضهم قد وصل لمرحلة الاجتهاد، وألفوا الكثير من الكتب في شتى العلوم الدينية، لذلك كان يناط بهؤلاء القضاة مهمة التدريس إلى جانب القضاء، فنجد مثلاً عز الدين بن محمد بن صالح بن عبد الله حنش، قد ولِّي القضاء والتدريس في مشهد الإمام المهدي أحمد بن الحسين في ذيبين[2].

وكان القضاة مثل الولاة يُنقلون من منطقة إلى أخرى، فنجد على سبيل المثال، القاضي عز الدين بن محمد بن علي الجملولي، ولِّي القضاء في كوكبان أيام الإمام المؤيد، ثم عينه الإمام المتوكل قاضياً لبندر المخا[3]، وفي أواخر أيامه تولى القضاء في السودة وتوفي بها سنة (١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م)[4]. وفي منطقة أخرى يضطر الإمام إسماعيل إلى نقل القاضي عبد الجبار بن سعيد الحجي من ظفير حجة، بسبب خلافات حصلت مع أهل الظفير، فنقله الإمام إلى بلاد مسور وجهاته، وضم إليه القضاء في حجة أيضاً[5].

(١) النص، ج٢، ق ٤٣ب.
(٢) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص ٢١١.
(٣) الجرموزي: نفس المصدر، ص ٢١٣.
(٤) أحمد بن عبد الله الجنداري: الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز، مخطوط، ق١٤٧أ.
(٥) الجرموزي: نفس المصدر، ص ٢٢٢.

وأما الظفير فقد عين عليه القاضي المهدي بن جابر بـن نـصار العفـاري، وكـان تـولى القضاء في شهارة وما إليها. وقد تعمَّد الإمـام نقـل القـاضي المهـدي بـن جـابر لقـوة شخـصيته، «فاشـتدت وطأتـه عـلى المتكـبرين والرعـاع»[1]. عـلى حـسب تعبـير المؤرخ الجرموزي.

أما من وصل إلى مرحلة الاجتهاد، والمكانة العلمية الكبيرة، فكان الإمـام إسـماعيل يعينه بمثابة قاضي القضاة، من هؤلاء على سبيل المثال القاضي العلامة عبد القـادر بـن علي المحيرسي. ويصفه الجرموزي بأنه عالم كبير، بلغ في جميع فنون العلم مبلغـاً عظـيماً. وقد تولى القضاء في جبل تيس، وبلاد كوكبان، والحيمة، وحراز. وكان يُدَرِّس في جبل تيس، «وإن كان ثم قُضاة، فإنما هم في حكم النائبين عنه»[2].

وكانت بعض الأسر تتوارث مهنة القضاء والخطابة والفتوى، إذا كـان الأبنـاء مـن ذوي العلم والفضل مثل آبائهم أو إخوتهم، فنجد مثلاً في صعدة تـولى القـضاء قـضاة من بيت حابس، المشهورين بالعلم والفضل والاجتهاد، ومنهم أحمد بن يحيى حـابس، الذي كان عالماً جليلاً، لـه العديـد مـن المؤلفـات، منهـا: (تكميـل شرح الأزهـار) في مجلدين، و(المقصد الحسن) في الفقـه، وشرح عـلى (الكافـل)، وشرح عـلى (الثلاثـين المسألة) في علم الكلام[3]. وكان أيضاً خطيب جامع الهادي في صعدة. وبعد وفاته عين الإمام بعده أخاه الحسن بن يحيى حابس في القـضاء والخطبـة بـصعدة[4]. وفي صـنعاء تولى القضاء والخطبة آل السحولي[5].

(١) الجرموزي: تحفة الأسماع، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، ص٢٢٢.
(٢) نفس المصدر، ص ٢١٥.
(٣) النص، ج١، ق ١٣٠ب.
(٤) الجرموزي: نفس المصدر، ص ٢١٨.
(٥) نفس المصدر،ص٢١٢.


المكتبة التاريخية اليمنية
مختار محمد الضبيبي

الفصل الثاني

سياسة أبناء الجيل الثاني

أحفاد الإمام القاسم بن محمد

(١٠٨٧-١٠٩٩ هـ/ ١٦٧٦-١٦٨٨م)

أولاً: الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم

(١٠٨٧-١٠٩٢هـ /١٦٧٦-١٦٨١م)

دوره السياسي قبل توليه الإمامة

لقد سبق أن تناولنا سياسة الإمام المتوكل على الله إسماعيل، حيث كانت فترة إمامته باليمن حوالي ثلاثة وثلاثين عاماً، حدث خلالها الكثير من التطورات السياسية البارزة.

وجاءت بعد فترة تولي المتوكل الإمامة الطويلة الناجحة فترتا حكم قصيرتان، أولهما فترة حكم الإمام المهدي أحمد بن الحسن[١].

وهنا لا بد أن نتعرف على السياسة التي اتبعها الإمام المهدي أحمد بن الحسن خلال الفترة التي تولى فيها الإمامة. وكانت هذه الفترة حوالي خمس سنوات، لعله قد سار فيها على خطى الإمام المتوكل على الله إسماعيل، واتبع سياسته، كما سنرى لاحقاً.

وقبل الدخول في التطورات السياسية في عهد الإمام المهدي لا بد أن نُجيب على تساؤلات هامة، منها: كيف كانت نشأة أحمد بن الحسن؟ وما هو الدور الذي لعبه في

---

(١) SerJreant. R.B Lew cock; Sana'a An Arbian I Slamic, P; 82.

عهد عمه الإمام المؤيد؟ وأخيراً كيف أصبح من أبرز وأهم مراكز القوى في عهد عمه الإمام المتوكل إسماعيل؟

ولد أحمد بن الحسن سنة (١٠٢٩هـ/ ١٦٢٠م)[١] من أَمَةٍ حبشية[٢]، أهداها الوالي العثماني محمد باشا لوالده الحسن[٣]. وكانت نشأته وتربيته في حياة والده الأمير القائد السياسي، الذي ساهم في الحروب ضد الأتراك، وفي توطيد حكم أسرته بعد الاستقلال.

وقد أتيح لأحمد بن الحسن مع أخيه محمد في تلك النشأة قسط وافر من العلوم والمعارف الأدبية كغيره من أترابه وأبناء عمومته[٤]. واستفاد من ملازمته لوالده كثيراً، إذ إن والدته توفيت وهو صغيرٌ فنشأ في حجر والده، ولم يفارقه في الأغلب ليلاً ولا نهاراً، ولا سفراً ولا حضراً «فعرف ما كان عليه والده الحسن من تراتيب الدولة، ومعرفة أقدار[٥] الناس، وما يستحقونه من العطاء والإكرام»[٦].

وعندما توفي والده الحسن سنة (١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م) كان ابنه أحمد قد بلغ حوالي تسعة عشر عاماً، أي أنه لا يزال في بداية الشباب، فاتجه إلى عمه الحسين بن القاسم وهو بذمار، يطلب منه إعطاءه ولاية، فعرض عليه عمه ولاية وصاب، لكنه رفضها، وقال: «هي حقيرة لا تقوم بالحال، ولا يُنتفع بها في جميع الأعمال»[٧].

وكان أحمد بن الحسن وأخوه محمد يعتقدان أن الإمام المؤيد سيجعل لهما أمر البلاد التي كانت لوالدهما، غير أن الإمام المؤيد رأى أن أخاه الحسين هو الأولى بها منهما، ربما لجهوده الكبيرة مع الإمام المؤيد أولاً، وثانياً لأن الحسين بن القاسم كان أكثر خبرة وعلماً وعدلاً في جمع الواجبات، خاصة أن الإمام المؤيد كان يتحرى الدقة فيما يتعلق

(١) الشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص٤٣.
(٢) ابن عامر: بُغية المريد، ق٢٤٥.
(٣) د.حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص٦٩.
(٤) نفس المرجع السابق، ص٦٩-٧٠.
(٥) أي مكانتهم.
(٦) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٢٤٥.
(٧) النص، ج١، ق٢٥ب.

بحقوق الدولة وواجباتها، لذلك اقتضى نظره أن البلاد التي كانت مع الحسن باليمن الأسفل تكون إلى أخيه الحسين «وأمر محمداً وأحمد ابني الحسن بالتوقف على رأي عمهما الحسين في الإقدام والإحجام، والحل والإبرام. ولا يقدمان ويؤخران إلا برأيه»[(١)].

ولم يكن أحمد بن الحسن في هذه الفترة يتصرف بذكاء، ربما لأنه لا يزال حدث الحسن، أي أنه لا يزال في سن التهور وعدم التريث، لذلك نجده يخرج على عمه الإمام المؤيد مرتين: الأولى كانت في سنة (١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م) حينما اتجه إلى عتمه وطرد واليها، واستولى على عائداتها غصباً، فجهز عليه الإمام المؤيد أخاه الحسين بن القاسم. وجرت بينهما حروب يطول شرحها في منطقة «الحوادث»[(٢)]. ثم استقر بحصن ذي مَرْمَرْ مع أتباعه.

أما الخروج الثاني فكان في سنة (١٠٥١هـ/ ١٦٤١م) عندما علم الإمام المؤيد وهو في شهارة أن ابن أخيه أحمد بن الحسن قد تحصن في حصن ذي مَرْمَرْ بالغراس، وجمع حوله بعض أتباع ورجال والده، وأنه ينفق من أموال يعتبرها الإمام المؤيد أنها من خزينة بيت المال[(٣)]، لذلك أرسل إليه يسأله عن هذه الأموال التي يتصرف فيها، فإن كانت لبيت المال فعليه إعادتها إلى المؤيد، وإن كانت إرثاً صارت لجميع الورثة. عند ذلك رأى أحمد بن الحسن أنه لا بد من الخروج من حصن ذي مَرْمَرْ، مصطحباً معه بعض أتباعه وما لديه من أموال، واتجه إلى خولان ثم إلى بلاد عنس، ومنها إلى بلاد قايفة[(٤)]. فلم يكن من الإمام المؤيد إلا أن أصدر أوامره إلى أخيه إسماعيل بن القاسم في ضوران ومحمد بن الحسن وعبد الله بن القاسم في ذمار يحثهم على أن يتبعوا أحمد بن الحسن للقبض عليه وعلى أتباعه. وكان أحمد بن الحسن متوجهاً إلى قعطبة، فتبعه إسماعيل بن القاسم إلى «نقيل الشيم»، وجرت معركة بين الطرفين كانت الهزيمة فيها

(١) النص، ج١، ق١٧ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق٢٧أ-٢٩ب؛ ابن عامر: بُغية المريد، مخطوط، ق٢٣٢ وما بعدها.
(٣) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص٧٠-٧١.
(٤) النص، نفس الجزء، ق٥٨-٥٩أ.

لأحمد بن الحسن، «وانتهب العسكر جميع الخزانة والجمال، وما على ظهورها من الدراهم والأحمال»[1]، فاضطر أحمد بن الحسن إلى الهروب إلى عدن، محتمياً بأميرها الحسين بن عبد القادر. وعندما أدرك خوف الأخير من المؤيد وتغير معاملته له اتجه إلى يافع، حيث أكرمه مشائخها وزوجوه، فكاتبهم الإمام، وبذل لهم الأموال، لكنهم رفضوا إعادة أحمد بن الحسن إلى المؤيد ما دام لديهم حتى يريد الخروج بإرادته[2].

ولما رأى الإمام المؤيد أن استخدام القوة ضد ابن أخيه لم يجد نفعاً حاول استمالته إلى جانبه بالطرق السلمية، فأرسل إليه وهو بيافع، القاضي الحسن بن أحمد الحيمي، الذي طلب منه العودة إلى الإمام ومصالحته، فعاد إلى الإمام وصالحه وزوجه إحدى بناته. وفي سنة (١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م) أذن له بالانتقال إلى مدينة صنعاء والسكون بها، وقرر له جميع ما يحتاج وأتباعه وبيوته[3].

ومما لا شك فيه أن هذا الخلاف الذي حدث بين الإمام المؤيد وابن أخيه كان له أثره في عدم استقرار الدولة، واستغرق ذلك من الإمام المؤيد جهداً ووقتاً. لكنه يدل على أن أحمد بن الحسن كان شجاعاً طموحاً، غير أنه لم يستطع أن يستغل ذلك الطموح وتلك الشجاعة لصالح الدولة، بل كان سبباً في زعزعة أمنها. وعلى العكس من ذلك موقفه في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل الذي استفاد من ذلك الطموح والشجاعة فيما يخدم الدولة القاسمية، ويوسع من حدودها، كما سبق أن رأينا في الفصل الخاص بالمتوكل إسماعيل.

وما أن توفي الإمام المؤيد حتى كان أحمد بن الحسن أكثر نضجاً وإدراكاً لمختلف الأمور، لذلك نجده يكون من أوائل المبايعين للمتوكل هو وأخيه محمد بن الحسن، كما ناصراه ضد أخيه أحمد بن القاسم. وكما سبق أن رأينا كافأهما الإمام المتوكل بأن منحهما الولايات الهامة، وأصبحا من أهم مراكز القوى، واعتمد عليهما اعتماداً كبيراً في تسيير شؤون الدولة وتوسيع حدودها. فكان أحمد بن الحسن القائد العسكري الأول في دولة

(١) النص، ج١، ق٥٩ب.
(٢) المصدر، نفس الجزء، ق٦٠أ.
(٣) النص، نفس الجزء، ق٦٥ب.

المتوكل، وأنه لولاه لما تمكن الإمام المتوكل من توسيع حدود هذه الدولة بتلك الصورة التي وصلت إليها. ويصفه كثير من المؤرخين بأنه كان قائداً بارعاً شجاعاً، فنجد المؤرخ أبو طالب يصفه بقوله: «هابه من بأقصى البلاد، ومن بمكة والشام وأرض عُمان ..... وكان سيف المتوكل على الله الذي يفزع إليه في جميع الأمور الصعاب، ويشتت به الجموع والأحزاب. بل هو لعله الغاية في قيامه، وواسطة عقد نظامه»(١). أما ابن عامر فيقول: «كان عوناً للإمام المتوكل. قام بنصرته جداً وجهداً، ومحبة صادقة، وعزيمة ظاهرة»(٢).

ولن ندخل في تفاصيل ما قام به أحمد بن الحسن من جهود كبيرة في توسيع حدود الدولة وفرض هيبتها، فقد سبق أن ذكرنا بالتفصيل الجهود التي قام بها في محاربة المناطق التي رفضت الدخول في طاعة الدولة القاسمية، وأخضعها بقوة السلاح، والتي كان من أهمها: عدن، البيضاء، يافع، وحضرموت. كما هابته المناطق الأخرى وأعلنت ولاءها للدولة سلماً، خوفاً من أن يغزوهم أحمد بن الحسن، حتى أُطلق عليه لقب«سيل الليل» لكثرة خروجه للغزو ليلاً. فكان يندفع على أعدائه في الليل فيفاجأهم كالسيل(٣).

وأصبحت له مكانة هامة حتى في خارج اليمن، فنجده على سبيل المثال في سنة (١٠٧٢هـ/ ١٦٦٢م) عندما كان في عدن يرسل بهدية إلى سلطان الهند، وهي «ثمان رؤوس من الخيل الجياد، أرسل معها رسولاً إلى الحضرة الهندية. فسار تلك الجهة رسوله، ثم زلجه سلطان الهند، وضاعف عليه هديته»(٤).

وبعد وفاة أخيه محمد بن الحسن أصبح أبرز شخصية قيادية أكثر من ذي قبل، حيث تولى المناطق الهامة، وعين عليها ولاة من قبله بموافقة الإمام المتوكل وامتلك ثروة كبيرة سواءً من الغنائم التي حصل عليها من البيضاء ويافع وحضرموت، أو من

(١) أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١١.
(٢) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٢٤٣.
(٣) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر. ص٧٠.
(٤) النص، ج١، ق٢٠٠أ-٢٠٠ب.

مناطق ولايته، والتي كان أهمها ميناء عدن، فكان محصولها أو عائداتها تصل إليه حيث يذكر لنا يحيى بن الحسين ذلك بقوله: «وفي هذه الأيام طلع السيد حسن الحرة من بندر عدن إلى حضرة أحمد بن الحسن بما معه من محصول البندر»[1]. بينما كان محصول المخا للإمام المتوكل، إذ أنه بعد قدوم حسن الحرة من عدن إلى أحمد بن الحسن جاء السيد حسن الجرموزي من المخا إلى الإمام بمحصول الموسم «يقال فوق مائة حمل من البز والدراهم»[2].

وكان لأحمد بن الحسن مشاركة في التجارة، فكانت بعض السفن التجارية تصل إلى المخا أو إلى عدن، وهي باسمه.

ومهما يكن الأمر فقد استمر اعتماد الإمام المتوكل على ابن أخيه أحمد بن الحسن طيلة حكمه الطويل، فكان قائد الجيوش لاستعادة مركزية الدولة شمالاً وجنوباً، كما كان رجل المهمات الصعبة في كل الظروف. وقد كان بذلك كله مهيئاً ليكون خلفاً لعمه المتوكل إسماعيل بعد أن أصبح يقارب الستين من عمره[3]. وما إن توفي الإمام المتوكل حتى أعلن إمامته معتقداً أن أحداً لن ينافسه عليها، على الرغم من عدم توفر شرط الاجتهاد الذي يشترطه المذهب الزيدي في الإمام الذي يريد إعلان إمامته.

وصوله إلى الإمامة وموقفه من المعارضين له

لا بد لنا هنا أن نجيب على أسئلة تطرح نفسها، منها:

١- من هم الذين أعلنوا إمامتهم إلى جانب أحمد بن الحسن؟

٢- ما هو موقف أحمد بن الحسن من هؤلاء الدعاة؟ وكيف فرض نفسه؟ وقضى على كل واحد منهم؟

(١) النص: جـ٢، ق١٠٣أ.

(٢) النص: نفس الجزء نفس الورقة.

(٣) د. حسين العمري: نفس المرجع، ص٧٢.

٣- ما هي الآثار السلبية المترتبة على ظهور عدة أئمة وصراعهم على الإمامة؟

لم يكن أحمد بن الحسن هو الوحيد الذي أعلن إمامته، بل أعلن عدد من مراكز القوى إمامتهم إلى جانبه، ومنهم:

١ - علي بن أحمد بن القاسم صاحب صعدة، كان أول من دعا إلى نفسه بالإمامة، عقب ما جرى بين علي بن أحمد وحسن بن الإمام المتوكل من الاختلاف على بعض المناطق الشمالية، وقد سبق ذكر ذلك، غير أنه بعد ذلك الاختلاف، وبسبب مرض الإمام المتوكل، وشعور علي بن أحمد بالقوة نجده يرفض طاعة الإمام المتوكل، ويعلن إمامته. وأرسل الرسائل إلى بعض مراكز القوى من آل القاسم، منهم أحمد بن الحسن، حيث برر له سبب إعلان إمامته، منها: مرض الإمام المتوكل وعجزه، ثم يقول: «فإن وجدنا من هو أرضى منا وأقوم بحق الله اتبعناه وبايعناه، وإلا فنحن قائمون بما يجب بحسب جهدنا وطاقتنا .... وقد أجابنا إلى ما دعونا إليه كافة أهل الشام من سنحان وخولان وهمدان، ومن جُماعة وسائر أهل الشام»[1]. ولمعرفة علي بن أحمد ما وصل إليه أحمد بن الحسن من قوة ونفوذ، وأنه لن يسكت إذا أعلن الأول إمامته نجده يختم رسالته تلك بقوله: «فإن عرفتم من أنفسكم النهضة بهذا نهضتم، وأظهرتم الدعوة، ونحن متبعون على البر والتقوى»[2].

غير أن أحمد بن الحسن كان أكثر ذكاءً ودهاءً من علي بن أحمد، فلم يكن يريد أن يتيح له الفرصة لإعلان إمامته ومنافسته، خاصة وأن الإمام المتوكل أصبح مريضاً، وربما قرب أجله، وهو يريد أن يكسب أبناء المتوكل عند وفاته إلى جانبه، لذلك ما إن أمره الإمام المتوكل بمحاربة علي بن أحمد-الذي أعلن إمامته وخرج عن طاعة الإمام-حتى نهض لتنفيذ أوامر الإمام في جمادى الأولى سنة (١٠٨٧هـ/ يوليو١٦٧٦م). وما إن استعد حتى جاء خبر وفاة الإمام المتوكل في (٥)

(١) النص، جـ٢، ق١١١ب.

(٢) النص، نفس الجزء، نفس الورقة.

جمادى الآخرة من نفس العام (١٤ أغسطس).

٢- أحمد بن الإمام المتوكل إسماعيل، صاحب شهارة، أظهر النية للدعوة، فحفظ الخزانة، وطلب مفاتيح جميع المخازن من الفقيه حسين بن يحيى حنش، الخازن للإمام المتوكل.

٣- القاسم بن الإمام المؤيد، طالبه بعض أهل الأهنوم في البيعة.

٤- يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله، خرج من شهارة إلى هجرة عذر، وأظهر أنه يريد الدعوة.

٥- محمد بن الإمام المتوكل، كان الإمام قد جعله ولي عهده بعده «وقبَّضه مفاتيح خزائن بيت المال، وقال: العهدة عليك في الأعمال»[1].

٦- الحسين بن الحسن بن القاسم أعلن إمامته في منطقة ولايته رداع.

٧- أحمد بن إبراهيم بن محمد المؤيدي، أعلن إمامته في العشة.

٨- صاحب برط السيد محمد بن علي الغرباني.

٩- الأمير عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب صاحب كوكبان، رأى أن يدعو لنفسه بالإمامة[2].

أما أحمد بن الحسن فكان قد كاتب إلى بعض الأعيان وبعث إليهم بشيء من الأموال، وكتب إليه أهل رتبة جبل ضوران وبعض أتباع الإمام مبايعين له بالإمامة.

هذه أهم مراكز القوى التي كانت موجودة في السنوات الأخيرة من حكم الإمام المتوكل إسماعيل، وإن كان هناك مراكز هامة غير أنها لم تعلن إمامتها مثل علي بن الإمام المتوكل وإخوته الحسن والحسين وغيرهم.

وما إن توفي الإمام المتوكل إسماعيل حتى عمت الفوضى كثيراً من مناطق اليمن

(١) النص، جـ٢، ق٦٦ب.

(٢) أبو طالب: الشذور العسجدية في الخلافة المهدوية الأحمدية، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص١٥٢.

بسبب إعلان الكثير من آل القاسم وغيرهم إمامتهم، وعدم الاستقرار على إمام واحد، وما نتج عن ذلك من خلاف وحروب في بعض المناطق.

ولعل أبرز الأمثلة على تلك الفوضى التي عمت معظم المناطق هي ما قام به أبناء عبد الله بن الإمام القاسم من اعتداء على قصر ذمار وانتهابه. وانتهب جنود علي بن الإمام المتوكل سوق جبلة، وقطعوا الطريق إلى سمارة. وحدث بين حسن بن محمد المؤيدي وبين جعفر الجرموزي خلاف في العدين، بسبب أن حسن المؤيدي يريد أن يتولى بلاد العدين، كما كان عليه والده. وكان هناك قتلى من الطرفين. ودخل أهل «سحار» إلى صعدة من أسوارها وقاموا بنهبها. واتجه علي بن المتوكل إلى تعز واستولى على خزانة الشيخ راجح، الذي كان والياً عليها، حينما كان في بيته في بلاد ضوران[1].

وهناك أمثلة أخرى كثيرة معظمها تدل على أن الاضطراب والفوضى عم الكثير من المناطق. وهذا شيء طبيعي في ظل غياب الدولة، وعدم وجود قمة الهرم فيها. وقد عبر يحيى بن الحسن عن ذلك بقوله: «وعلى الجملة إن أحوال الناس صارت مضطربة، وأقوالهم مختلفة»[2]. ولم يتفق ذلك قبلهم لأحد»[3].

وكان كل من أعلن إمامته يحاول أن يكسب المزيد من الأنصار إلى جانبه، متخذاً لقب معين، وهي كالتالي: أحمد بن الحسن في الغراس تلقب بالمهدي، علي بن أحمد بن القاسم في صعدة، تلقب بالمنصور، حسين بن الحسن بن القاسم في رداع، تلقب بالواثق، القاسم بن الإمام المؤيد محمد في شهارة، تلقب بالمنصور بالله، أحمد بن إبراهيم المؤيدي في العشة، تلقب بالهادي، محمد بن علي الغرباني في برط، تلقب بالمهدي.

وبذلك تكون الدولة القاسمية قد دخلت مرحلة جديدة من مراحل التاريخ

---

(١) النص، جـ٢، ق١٢٥أ.

(٢) النص، نفس الجزء، ق١٢٧.

(٣) النص، نفس الجزء،ق١٢٨.

الحديث، وهي بداية الاضطرابات والنزاع بين مراكز القوى على الإمامة لفترات طويلة، وبهذا العدد الذي لم يسبق له مثيل. غير أن أول من تحرك بعد وفاة الإمام المتوكل، وكان يتمتع بالقوة هو أحمد بن الحسن بن القاسم، حيث أنه في اليوم الثالث لوفاة الإمام المتوكل استدعى إلى الغراس محمد بن المتوكل ومحمد بن أحمد بن القاسم وأحمد بن محمد بن الحسين بن القاسم، وكبار القضاة والعلماء في صنعاء[1].

وعلى الرغم من أن محمد بن المتوكل قد طلب من أحمد بن الحسن أن يأتي إلى صنعاء للتعزية في الإمام والخوض في مسألة الإمامة، إلا أنه رفض وأصر على حضورهم إليه في الغراس. ولعله بذلك يريد أخذ البيعة في مركز ولايته، مقتفياً أثر الإمام المؤيد والإمام المتوكل حتى يحظى بالدعم من أنصاره وأتباعه في ولايته، وهم كثر. ولكن كيف تمت مبايعة أحمد بن الحسن بالإمامة؟ وهل حقاً أن الإمام المتوكل أوصى أن يخلفه؟

لقد اجتمع السابق ذكرهم من آل القاسم والعلماء في الغراس للتعزية في الإمام المتوكل، ثم للخوض في شأن الإمامة، فدار النقاش في حضرة المهدي أحمد بن الحسن حول من هو الأصلح للإمامة. ثم اتفق القضاة والعلماء على الاجتماع مع محمد بن المتوكل في منزل أعده لهم المهدي أحمد بن الحسن، فلما اجتمعوا استعرضوا الدعاة، ومدى صلاحية الدعاة من عدمه، فذكر بعضهم أن علي بن أحمد بن القاسم، وإن كان عالماً، لكنه «باغي على المتوكل، وكنا مأمورين بحربه»[2]. وأما القاسم بن الإمام المؤيد فرجل جليل عالم، لكنه لا يستطيع النهوض بهذه الخلافة. أما أحمد بن الحسن وإن كان قليل العلم فقد عرف الأمور، وقام بالكثير من الحروب. وله هيبة السلاطين، فكيف إذا دخل في أمر الخلافة. ويكونوا عوناً له في أمر الشريعة. ثم قالوا لمحمد بن المتوكل: أو أن تنهض بهذا الأمر ونكون عونك جميعاً على هذا. ونفرض هذا على أحمد بن الحسن، غير أن محمد بن المتوكل كان يتصف بالزهد والأناة، فقال لهم: « ... الراجح الصنو الصفي أحمد بن الحسن لما ذكرتم من حفظ بيضة الإسلام، وكونه المعروف

---

(١) الحسن بن عبد الرحمن بن أحمد: المواهب السنية، مخطوط، جـ١، ق٤١٣-٤١٤.

(٢) ابن عامر، بُغية المريد، مخطوط، ق٤٣٦.

والمسموع في الشام والعراق وساير الأقطار»[1].

وعلى الرغم من أن محمد بن المتوكل كان يرى بأن الأصلح للإمامة هو أحمد بن الحسن، إلا أنه طرح عليه بعض الشروط، فإن قبلها بايعه، وإن رفضها عارضه. وكان من هذه الشروط ما يلي:

١- عدم الاحتجاب عن الناس، فإنه كان من قبل بعيد المنال.

٢- إعادة الديون التي أخذها من أهلها.

٣- أن يبرر لهم سبب ثرائه «وما أنت فيه من شراء الجواري وجمعهن الكثير، وما يصير إليهن من الحلي والملبوس الفاخر، وبيت المال مصارفه معروفة»[2].

وبعد أن استمع أحمد بن الحسن إلى تلك الشروط، بحضور عدد من العلماء والقضاة أجاب بما يلي:

١- بالنسبة لاحتجابه عن الناس، فإنه في الغالب يكون في بابه الوافدون للطلب، ولم يكن لديه إلا ما هو للجند الخاص به، وأن الإمام المتوكل إسماعيل موجود وبيده حقوق المسلمين.

٢- أما الديون فلأنه أمير مقصود، ولديه أمراء وجنود وأعيان وخدم، وتفد عليه الأعيان، فيضطر إلى الاستدانة، فما يخصه سيقضيه، وما كان على بيت المال فقضاؤه من بيت المال «وبيد كل غريم خط مني فيما هو له، وأين صار. وهم موجودون»[3].

٣- وبالنسبة لما صار إليه من التقلب في النعم، فلديه مستندات من الإمام إسماعيل بما غنمه بسيفه من عدن وغيرها من المناطق التي دخلها مثل لحج وأبين. وأن الإمام المتوكل قد ملّكه إقطاعاً كانت للأمير عبد القادر صاحب خنفر، وجعل له الربع

---

(١) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٤٣٦-٤٣٧.

(٢) نفس المصدر، ق٤٤٣٧.

(٣) نفس المصدر، ق٤٤٠.

من المناطق التي فتحها وثلاثة أرباع للدولة[1].

فاقتنع الحاضرون بتلك الإجابات وبايعوه، وكان أول من بايعه محمد بن المتوكل، ثم محمد بن أحمد بن القاسم، ثم بقية من حضر. واشترطوا عليه عدم قيام من هو أصلح منه، فإن قام من هو كامل الشروط تنحى له[2].

أما القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال فقد بايعه دون قيد أو شرط، وقال: إنه يقول بإمامة «المقلد»، وكانت وجهة نظره أن الإمام المتوكل إسماعيل كان مقلداً، وأن الاجتهاد قد تعذر. ثم خرج أحمد بن الحسن إلى الديوان العام، وبايعه سائر أصحابه من الجند والمقربين. وكتب الرسائل إلى سائر الولاة من آل القاسم، وثبَّت كل واحد منه في ولايته[3].

وعلى الرغم من أن الإمام المتوكل إسماعيل كان قد أوصى أن يكون ولي عهده وخليفته -وإن تلميحاً- ابنه محمد، غير أنه عندما خرج علي بن أحمد بن القاسم على الإمام، وأعلن إمامته رأى أنه لن يستطيع أن يخضعه ويقضي على دعوته إلا أحمد بن الحسن، لذلك نجده يوصي ابنه محمداً بأن لا يعدل عن مبايعة أحمد بن الحسن. وقد أشار المؤرخ يحيى بن الحسين إلى ذلك بقوله: «فقال لمحمد ولده في وصيته الآخرة إن وقع عليه حال فلا يعدل عن أحمد بن الحسن، لأجل يباشر علي بن أحمد وغيره من أولاد المؤيد»[4].

وكان لمبايعة محمد بن المتوكل لأحمد بن الحسن أثر في دخول معظم آل القاسم تحت طاعته ومبايعته، فقد قام محمد بدور كبير في محاولة إقناع إخوته وبقية أبناء الأسرة بمبايعة أحمد بن الحسن، إذ إنه بعد أن بايع اتجه إلى صنعاء وكتب إلى أخيه أحمد بن المتوكل يخبره بما حدث ويدعوه إلى مبايعة المهدي، فأجابه إلى ذلك[5]. وكان علي بن

(١) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٤٣٧.

(٢) النص، جـ٢،ق١٢١ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق١٢١ب.

(٤) النص، نفس الجزء، ق٦٦ب.

(٥) ابن عامر: نفس المصدر، ق٤٣٦.

المتوكل قد أزمع على إعلان الخطبة للقاسم بن المؤيد، فأرسل محمد بن المتوكل إليه السيد محمد بن حسن حميد الدين، الذي أقنعه بمبايعة أحمد بن الحسن، فأجابه إلى ذلك وبايعه(١).

أما الحسين بن المتوكل فكان قد بايع أحمد بن الحسن، فأقره الأخير على منطقته(٢).

أما الحسن بن المتوكل فكان في أبي عريش وكتب إلى المهدي يأذن له بالوصول إليه لمبايعته، غير أنه لما وصل إلى منطقة «الصلبة» التقى بأولاد النقيب سعيد المجزبي ومعهم أمر من المهدي بأن يعيد المراكب التي استولى عليها منهم في عهد والده، وهي ملك لوالدهم، فعدل عن رأيه في مبايعة أحمد بن الحسن، واتجه إلى شهارة، وبايع القاسم بن المؤيد(٣).

كما قام محمد بن المتوكل بمحاولة إقناع الحسين بن الحسن بالتنازل عن دعوته، ومبايعة أخيه أحمد بن الحسن، فاتجه في بداية الأمر إلى ذمار، والتقى به في منطقة تسمى «منْقَذَة» وحاول إقناعه بمبايعة أخيه غير أنه رفض، وقال إنه لن يدعو لنفسه بالإمامة، لكنه في الوقت نفسه لن يبايع المهدي(٤). وبعد ذلك أرسل إليه محمد بن المتوكل السيد محمد بن حسن حميد الدين، لمحاولة إقناعه، وهو نفس الشخص الذي أرسله إلى أخيه علي بن المتوكل، بعد أن كانا قد عزما على مبايعة القاسم بن المؤيد، فلما وصل إليهما السيد السابق ذكره تراجعا عن ذلك(٥). وبذلك يكون محمد بن المتوكل قد بذل جهداً كبيراً في محاولة إقناع معظم العناصر القوية من آل القاسم بمبايعة أحمد بن الحسن، ولعله كان يرى بأن مبايعة أحمد بن الحسن فيه جمع لكلمة المسلمين؛ لأنه إذا قام غيره حصلت الفتنة لما يمتلكه من الأموال والجنود. وكما عبر يحيى بن الحسين بأن سائر المترشحين يغلب عليهم أيضاً عدم كمال شروط الإمامة(٦).

---

(١) النص، ج٢، ق١٨٠ب.
(٢) أبو طالب: الشذور العسجدية، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص١٥٣-١٥٤.
(٣) أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١٣.
(٤) النص، نفس الجزء، ق١٢٦ب.
(٥) النص، نفس الجزء،ق١٨٠ب.
(٦) النص، نفس الجزء، ق١٢٢ب-١٢٣أ.

وبالإضافة إلى القوة التي يتمتع بها أحمد بن الحسن أكثر من غيره، فهو أيضاً لديه الخبرة الكافية في تسيير شؤون الدولة، بحكم ممارسته لها في عهد عمه الإمام المتوكل إسماعيل.

وكانت صنعاء قد بدأ يساورها القلق إذا ما أعلن محمد بن المتوكل إمامته، وأنه إذا ما بايعه الأغلبية فلن يسكت أحمد بن الحسن، وستستمر الفوضى والاضطرابات[١]، فما أن بايع محمد بن المتوكل أحمد بن الحسن طواعية حتى تبعه أهل صنعاء وأهل الحيمة وبايعوه[٢]. لذلك نجد يحيى بن الحسين بن القاسم، وهو ابن عم أحمد بن الحسن وكذلك ابن عم محمد بن المتوكل، يشيد بموقف الأخير ويعترض على من حاول إقناعه بإعلان إمامته بأنه لا يريد إلا إثارة الفتنة والفرقة بين المسلمين[٣].

ومهما يكن الأمر فإن أحمد بن الحسن كان بشخصيته تلك قد تمكن من التغلب على معظم مراكز القوى التي نافسته على الإمامة، فتنازل له علي بن أحمد بن القاسم صاحب صعدة، وأرسل برسالة إليه مع أخيه القاسم بن أحمد، ذكر فيها مبايعته له بالإمامة[٤].

ومما لا شك فيه أن علي بن أحمد كان يدرك جيداً مدى القوة والنفوذ التي وصل إليها أحمد بن الحسن، وأنه إن حاربه أو نافسه على الإمامة، فلن يستطيع التغلب عليه، خاصة وأن قبائل الشام كانت قد بدأت ترفع رؤوسها، وتستخف بما يصدر منه من الأوامر، كما أن بعض مناطق ولايته كانت قد مالت إلى القاسم ابن المؤيد، والبعض الآخر إلى أحمد بن إبراهيم المؤيدي[٥].

وبدخول علي بن أحمد تحت طاعة أحمد بن الحسن يكون الأخير قد ضمن معظم المناطق الشمالية إلى جانبه، في حالة استمرار الخلاف مع أحد المعارضين له.

(١) النص، ج٢، ق١٢٢أ-١٢٢ب.
(٢) أبو طالب: الشذور العسجدية، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص١٥٢.
(٣) النص، نفس الجزء، ق١٢٢أ-١٢٢ب.
(٤) النص، نفس الجزء، ق١٤٩.
(٥) النص، نفس الجزء، ق١٤٥ب.

أما يحيى بن الحسين بن المؤيد، والذي أعلن إمامته أيضاً، فقد فارق عمه القاسم بن المؤيد متجهاً إلى أحمد بن الحسن، وبايعه بالإمامة[1].

ولم يبق من المنافسين أو المعارضين لأحمد بن الحسن غير أحمد بن إبراهيم المؤيد في جهات صعدة ومحمد بن علي الغرباني في برط والقاسم بن المؤيد في شهارة.

وأما أحمد بن إبراهيم المؤيدي وكذلك محمد بن علي الغُرباني فلم يكن يخشى منهما أحمد بن الحسن. فكان الأول قد دعا إلى نفسه بالإمامة، وأرسل الرسائل إلى الجهات يدعوهم أن ينصبوه إماماً، لتوفر الشروط لديه، غير أنه «لم يرفع لهذه الرسالة أحد رأساً؛ لأن صاحبها كان مناقضاً لما فيها»[2].

وبالنسبة لمحمد بن علي الغرباني، الذي كان قد ادعى الإمامة أكثر من مرة، منذ عهد الإمام المتوكل إسماعيل. وهنا كرر دعوته، وأرسل بالرسائل والقصائد الشعرية للتنديد بآل القاسم، ومنهم أحمد بن الحسن، إلا أنها كانت غير ذات أهمية؛ لأن اليمنيين صاروا معتادين على مثل ذلك منه[3].

ولم يبق من المنافسين الأقوياء أمام أحمد بن الحسن إلا القاسم بن الإمام المؤيد في شهارة، حيث كان قد أجابه إلى دعوته شهارة، ورتبة ضوران، وبلاد الشرفين، والأهنوم، وسفيان، والعصيمات، ووداعة، وحجة، وظليمة، وأكثر التهائم[4].

فما موقف أحمد بن الحسن منه؟ وكيف تمكن من التغلب عليه؟

لقد كان القاسم بن المؤيد كما يصفه الحسين بن ناصر المهلا: «من أعيان العترة فضلاً وعلماً، وتفقداً للمساكين، وتعظيماً للعلماء، وحضرته محط الرحال، ومبلغ الرجال»[5]، إلا أنه لم يتوفر فيه شرط الاجتهاد، كما أنه لم يكن قد وصل إلى الدرجة

---

(١) أبو طالب: الشذور العسجدية، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص١٥٨-١٥٩.

(٢) النص، ج٢، ق١٤١ب-١٤٢أ.

(٣) النص، نفس الجزء، ق١٩٥أ.

(٤) النص، نفس الجزء، ق١٢٧أ،١٢٩؛ الحسين بن ناصر المهلا: حسنة الزمان في ذكر محاسن الأعيان، مخطوط،ق٩أ.

(٥) الحسين بن ناصر المهلا: حسنة الزمان في ذكر محاسن الأعيان، مخطوط،ق٩أ.

المطلوبة من العلم[1]، ولكن إذا ما قورن بأحمد بن الحسن فهو أكثر علماً وفضلاً، فقد وصفه ابن عامر بقوله: «سيداً جليلاً، عالماً، نبيلاً ... حاز كمال الدرجات أعلاها. وحقق في الفروع، وصار مفتيها، وقرأ في الأصولين فبرع فيها ... برز في العلوم، وأجمع الجمهور على كمال معرفته ... فإن القاسم كان في العلم أكمل من الإمام المهدي»[2].

ونتيجة لكل ذلك فإن المهدي خشي من أن تمتد بيعة القاسم، وتشمل مناطق كثيرة، فحاول-أولاً بالطرق السلمية-إقناعه بالعدول عن دعوته، أو أنهما يخضعان لتحكيم القضاة، إلا أن القاسم كان رافضاً ذلك، ومما زاد من صلابة موقف الأخير أن من كان لديه من القضاة، ومن وصل إليه منهم أجمعوا أنه الأحق بالإمامة، فألزموه الدعوة، وأنه أحق بها. وقد أجابه صاحب المنصورة محمد بن أحمد بن الحسن، وهو أول من خطب له ورجحه على والده.

وكان من ضمن المبررات لأحمد بن الحسن أنه دعا لنفسه بالإمامة قبل القاسم بن المؤيد، فسبقت دعوته دعوة القاسم، بايعه معظم آل القاسم والقضاة والعلماء في يوم الأحد ٧ جمادى الآخرة، بينما القاسم كانت دعوته متأخرة عنه بيوم، حيث عُقد لبيعته في شهارة يوم الإثنين ٨ جمادى الآخرة[3].

وعلى الرغم من أنه ظهر من الكثير عدم الميل إلى أحمد بن الحسن، إلا أنهم لم يجرؤوا على أن يصرحوا بذلك، لخوف جانبه، لذلك بايعوه مضطرين غير مختارين، أما القاسم بن المؤيد فإن أكثر من بايعه من الخاصة والعامة بايعوه بالاختيار، والقليل منهم كانوا مضطرين لذلك. أما عامة الناس والقبائل فكان أغلبهم مع من استقر أمره، وكانت له الغلبة، فهم لا يميلون إلى أحد منهما، ومنهم من هو غير قابل بإمامة كليهما، وكان مبررهم أن أحمد بن الحسن سيرته سيرة الملوك، مع عدم المعرفة بالعلوم، وأما قاسم بن المؤيد فلعدم كمال علمه واجتهاده، لكنهم سيرضون لمن كانت له الغلبة أيضاً[4].

(١) النص، جـ٢، ق١٣٤أ-١٣٤ب.
(٢) ابن عامر: بُغية المريد، مخطوط، ق١٧٢-١٧٣.
(٣) النص، نفس الجزء، ق١٢٤أ.
(٤) النص، نفس الجزء، ق١٣٤أ-١٣٤ب.

وقد حاول كل منهما جاهداً -الوصول إلى الإمامة، غير أن القوة هي الغالبة في معظم الأحيان، ولعل أحمد بن الحسن كان متيقناً بأنه سيخضع القاسم، غير أن ذلك سيحتاج إلى جهد ووقت كبيرين، لذلك وقبل الدخول في الحرب بدأت بينهما المراسلات.

وكانت أول رسالة هي التي أرسل بها القاسم بن المؤيد عقب إعلان دعوته إلى أحمد بن الحسن، وذكر فيها أن أحمد بن الحسن غير كامل الشروط، لذلك فهو غير صالح للإمامة ، وأجاب عليه أحمد بن الحسن بأن الأولى الاجتماع متعللاً بما سبق أن ذكره، وهو أن دعوته سبقت دعوة القاسم وبايعه كثير من العلماء والأعيان والأتباع[1]، ثم أرسل القاسم بن المؤيد برسالة أخرى إلى محمد بن المتوكل ذكر فيها الأخطاء التي ارتكبها أحمد بن الحسن، والتي لا يمكن أن توصله إلى الإمامة منها:

١- خروجه على الإمام المؤيد بالله مرتين، وتمرده عليه، وفند سبب خروجه، وما أحدثه من قتل وإهدار للدماء من جند الإمام أثناء محاربته له في «الحوادث» و«نقيل الشيم». وهذه الدماء مضمونة بالإجماع؛ لأن الباغي يضمن الدم بلا إشكال، ولم يتخلص ويؤدي الدِّية.

٢- خروجه بالأموال التي كانت مع والده الحسن، وهي كثيرة، فنهبها العسكر، وبذل منها في مقابل قتل أصحاب الإمام شيئاً كثيراً. ولم يتخلص منها بالغرامة لبيت المال، إن كانت لبيت المال. وإن كانت الأموال ملكاً لوالده فلم يصلح ما بينه وبين ورثة أبيه بالغرامة.

٣- ما حصل مع بعض التجار، حيث استولى على أموالهم، والناس مجمعون أنه استدان منهم، ولم يقض شيئاً منها.

٤- ضربه لبعض الإماء، وقتله لواحدة منهن.

---

(١) النص، ج٢، ق١٢٥أ-١٢٥ب.

واتهامات أخرى كثيرة، منها قتل النفوس في عهد الإمام المتوكل بغير حق، وتولى قتل بعضها بيده[1].

ثم ذكر القاسم في رسالته تلك: أنه يجب على أحمد بن الحسن أن يطلع القاسم وغيره من العلماء كيف تخلص من كل ما نُسب إليه، إما بأحكام شرعية يبرزها أو بشهادة عادلة، فإن هذا المقام الذي ارتقاه يحتاج إلى العدالة، ويكون بعد ذلك الرأي للعلماء وأهل الفضل، وختم رسالته بأن على محمد بن المتوكل واجب البحث عن كل ما سبق من التساؤلات، وعن كيفية إصلاحه، وهو منتظر للرد من محمد بن المتوكل[2]، فلم يكن من الأخير إلا أن أرسل بتلك الرسالة إلى أحمد بن الحسن. وكان لا بد له أن يجيب على كل ما نُسب إليه، ويدافع عن نفسه، فكتب جواباً إلى القاسم بن المؤيد، أجاب على كل التساؤلات التي طُرحت، وبرر كل ما نُسب إليه في تلك الرسالة بمبررات غلب عليها السياسة والتهرب، مما قد يؤكد قوة أحمد بن الحسن، وقدرته على التغلب، من ذلك مثلاً قوله: بأن الإمام المؤيد توفي وهو راضٍ عنه، وزوجه ابنته، وأنه ولاَّه بلاد وصاب، وكان معظماً له مجللاً، وهذا فيه تهرب حيث إن وصاب كان المؤيد قد ولاَّه إياها قبل أن يتمرد عليه، فلم يقبل ذلك منه، واتجه إلى عتمة فحارب السيد مطهر الجرموزي، الذي كان واليها من قبل الإمام المؤيد، وطرده عنها بدون وجه حق شرعي[3].

وقد أورد يحيى بن الحسين أوجه القوة والضعف في رسالة القاسم بن المؤيد، وفي جواب أحمد بن الحسن، وفند جميع النقاط، ومدى صدق كل منهما من عدمه، وعبر عن وجهة نظره باعتباره عالماً، كذلك من وجهة نظر مستقلة، لم تكن منحازة لأي طرف من الأطراف، لذلك جاءت تعليقاته على الرسالتين موضوعية، معتمداً على الشريعة، ومدى تطبيقها من عدمه في الاتهامات الموجهة لأحمد بن الحسن[4]. ويذكر

(١) النص، جـ٢، ق١٣٦أ-١٣٧ب.

(٢) النص، نفس الجزء، ق١٣٧ب.

(٣) النص، نفس الجزء،ق١٤٠أ.

(٤) النص، نفس الجزء، ق١٤٠أ-١٤١أ.

بأن القاسم بن المؤيد كان محقاً في بعض الانتقادات التي وجهها لأحمد بن الحسن، والبعض الآخر منها لم تكن في محلها؛ لأنها لا تخل بالشريعة الإسلامية بإجماع العلماء.

غير أن يحيى بن الحسين باعتباره من الأسرة القاسمية قد ذكر مآخذ أحمد بن الحسن، وأنه اعتمد على القوة فقط في إخضاع المعارضين له بمن فيهم القاسم بن المؤيد، وفي مجملها انتقاد لسيرة أحمد بن الحسن في عهد عمه الإمام المؤيد، وكذلك عمه الإمام المتوكل، وأن شروط الإمامة لم تكن متوفرة فيه، لذلك كان يذكر دائماً بأنه ملك وليس إمام. وكرر في مخطوطته بهجة الزمن لفظ «الملك الزاهر».

ولم يكن انتقاد يحيى بن الحسين لأحمد بن الحسن؛ لأنه كان يؤيد القاسم بن المؤيد، بل كان يرى بأن القاسم أيضاً لم تتوفر فيه شروط الإمامة، لكنه أكثر علماً من أحمد بن الحسن.

وعلى الرغم من ذلك كان يرى بأن مبايعة أحمد بن الحسن هي الأصلح تجنباً للفتنة واستمرار الحروب، وما يترتب عليه من فوضى واضطراب واختلال الأمن في البلاد.

ومهما يكن الأمر فقد حاول أحمد بن الحسن مرات عدة إقناع القاسم بن المؤيد بالعدول عن دعوته، أو الموافقة على ما يراه معظم القضاة في الأصلح للإمامة، إلا أن القاسم كان يرفض، وبعد المراسلات واجتماع القضاة، والمحاولات التي بُذلت لتجنب الحرب رأى أحمد بن الحسن أنه لا بد من الحرب لحسم الموقف، وليبرز الأقوى. وخرج في شهر رجب من سنة (١٠٨٧هـ/ سبتمبر١٦٧٦م) من صنعاء إلى الغراس مستعداً لحرب القاسم بن المؤيد، وأرسل بعض أتباعه إلى المناطق التي كانت قد أجابت القاسم بن المؤيد، وأصبحت تابعة له، فأرسل الحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم إلى خمر، بعد أن جهزه بما يحتاج من قوة، كما أرسل ابن أخيه إبراهيم بن الحسين إلى ذيبين، وابنه علي بن أحمد إلى لاعة الصلبة وبلاد حجة، وما أمكن من الجهات، كما جهز أحمد بن محمد بن الحسين إلى الصلبة إلى جانب علي بن أحمد بن الحسن[1]. وقد نشبت بين الطرفين معارك ومواجهات، كانت معركة الصلبة

(١) النص، جـ٢،ق١٥٢أ.

أول تلك المواجهات وأهمها، فكان علي بن أحمد بن الحسن قد استولى على قلعتها بالقوة، فلما علم القاسم بن المؤيد جهز ابنه بالجنود، وحدثت معركة بينهما انجلت عن كثير من القتلى من أتباع القاسم، ومن أتباع أحمد بن الحسن حوالي عشرة، ونهب الجنود سوق الصلبة[1].

وكان بعض القضاة يحاولون إيقاف الحرب منهم القاضي محمد قيس الثلائي، فعند وصوله إلى أحمد بن الحسن علم بما حدث في الصلبة، فاستنكر ذلك، وكان قد أراد أن يصلح بين أحمد بن الحسن والقاسم بن المؤيد، فعرض على أحمد بن الحسن بأن يكون القاسم إماماً في جهات شهارة والبلاد التي قد أجابته، وهو في بقية المناطق، ولكن من الطبيعي أن يرفض أحمد بن الحسن هذا العرض، وأجابه بأنه لم يحدث مثل هذا في اليمن من السابقين، وأنه سيكون سبباً في الفتن والنزاع «ولكن إذا أراد إقطاع تلك البلاد التي أجابته وتوليته والاعتزاء إلينا فعلنا ذلك وأجبنا»[2].

ولعل أحمد بن الحسن كان مُحقاً في ذلك، إذ أن مثل هذا الرأي يعني بداية التفكك، والتفتيت لمناطق اليمن الموحد، والذي دأب الإمام المتوكل إسماعيل على توحيدها واستقرارها طوال فترة حكمه، وبمساعدة أحمد بن الحسن نفسه.

ورأى أحمد بن الحسن أنه ما دام قد بدأ بشن الحرب ضد القاسم بن المؤيد فلا بد من مواصلتها حتى يعلن استسلامه ومبايعته له بالقوة، لذلك بعد هزيمة أتباع القاسم في الصلبة توجه أحمد بن الحسن إلى «يشيع» إلى الغرب من خمر، ولم يشعر به أحمد بن المؤيد -أخو القاسم- إلا وقد دخل إليها، وأن مشائخ وادعة قد توجهت إليه وبايعته، وهو قريب من خمر، ومن مناطق ولاية أحمد بن المؤيد[3].

وكان أحمد بن المؤيد قد نشر الجند في كثير من مناطق ولايته، وحرض أهالي وادعة على حفظ الأطراف، فما شعروا إلا بدخول الإمام المهدي عليهم، فهرب جميع الجنود

---

(١) أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١٣-١٤.

(٢) النص، جـ٢، ق١٥٣أ.

(٣) أبو طالب: نفس المصدر، ق١٤.

الذين كانوا في نقيل عجيب وحَمِدَة، وخاف أهل وادعة من الإمام وجنوده، فاضطر أحمد بن المؤيد إلى التوجه إلى أخيه القاسم بن المؤيد في شهارة[1]، وتقدم أحمد بن الحسن بعد ذلك إلى بيت القابعي-أسفل شهارة-وكان يهدف من ذلك إما أن يتقدم إليه القاسم ويبايعه، أو يلجأ إلى الخيار العسكري ليخضعه بالقوة، خاصة أنه كان معه في بيت القابعي حوالي سبعة آلاف مقاتل، وقيل أكثر[2].

وأثناء استقرار أحمد بن الحسن في بيت القابعي توجه إليه الحسن بن المتوكل من حصن مبين وبايعه بالإمامة، كما بايعه أهل حبور ظليمة وخطبوا له، وأسقطوا ذكر القاسم.

وكان على القاسم أن يتخذ موقفاً إزاء كل ذلك، فرأى أن يتقدم إلى أحمد بن الحسن في بيت القابعي لينظر ما سيكون من الأمر؟ وكان وصول أحمد بن الحسن إلى بيت القابعي في يوم الأربعاء ١٠ شهر القعدة. ونزول القاسم إليه في يوم الجمعة ١٢ القعدة، غير أنه وصل إلى بيوت والده الإمام المؤيد، وكان أحمد بن الحسن قد نُصبت له خيام هناك.

ولما دخل القاسم إلى بيوت والده، تقدم إليه أحمد بن الحسن، ولم يصلوا إلى اتفاق، ثم طلب أحمد بن الحسن الاجتماع في مقره، فاجتمع هو والقاسم بن المؤيد وأخوه أحمد بن المؤيد وأحمد بن المتوكل والحسن بن المتوكل والحسين بن المتوكل، وبدأ أحمد بن الحسن كلمته أنه لا بد من جمع كلمة المسلمين، وأنه لا بد من حسم الموقف، فأجاب القاسم أنه يريد التحكيم، وأنه لن يتنازل عن الإمامة، فأجاب عليه أحمد بن الحسن بقوله: «هذا الذي طلبت كان يصلح قبل أن يجري ما جرى بيننا وبينك من الحروب، وقبل الحركة والجمع للجيوش والخطوب. وأما الآن فما بقي عندي مناظرة ولا محاكمة غير الدخول فيما دخل فيه الجماعة»[3]، عند ذلك طلب القاسم من أحمد بن

(١) أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١٣-١٤.
(٢) النص، ج٢، ق١٦١ب-١٦٢أ.
(٣) النص، نفس الجزء،ق١٦٤ب.

الحسن المهلة إلى بعد العيد، وعاد إلى شهارة[1]، بينما انتقل أحمد بن الحسن إلى القرب من مسور-شرقي جبل شهارة-لأن جوها أكثر نقاءً من بيت القابعي.

وخلال ذلك أشار القاضي محمد بن قيس الثلائي على القاسم بن المؤيد أن يماطل أحمد بن الحسن في المهلة التي أعطاه، وأن يكون إماماً في المناطق التابعة له والتي أجابته، ويبقى أحمد بن الحسن إماماً في جهته[2]، وقد علق يحيى بن الحسين على ذلك الرأي بأنها قسمة جائرة ومخالفة للإجماع، وأنه كان عليهم أن يجمعوا كلمتهم على نصب واحد منهم، ويتركوا التفرق، وينظروا إلى صلاح المسلمين، غير أن كل واحد منهم كان يرى بأنه إمام كامل الشروط[3].

وكان أحمد بن الحسن بعد المهلة التي أعطاها للقاسم قد بدأ بكتابة رسالة إلى سادة شهارة وعلمائها يبرر لهم موقفه وسبب خروجه إلى بيت القابعي، وأنه كان يريد الصلح مع القاسم خلال بقائه هناك، لكن القاسم أثار القبائل ضده، وحرض أهل تلك الجهات على قطع طريق الإمدادات إليه، ثم ختم رسالته بقوله: «فيجب عليكم مناصحة أخي هذا أن يتقي الله في هذه النبذة التي مالت إليه، فإني أكبر منه سناً، وأشهر كلمة، وأكثر إجابة ورأياً وخبرة، والعلم إن أراد أن يختبر فله الاختيار»[4].

وبعد ذلك تم الاتفاق على أن يجتمع القضاة من الطرفين بالرحبة، وهي تقع ما بين شهارة وبيت القابعي، وقد بدأ قضاة شهارة بطلب الصلح، وأما الخلع للقاسم فمتعذر، وأن يبقى كل منهما إمام في جهته، فرفض قضاة أحمد بن الحسن ذلك العرض، وافترقوا بدون الوصول إلى أي اتفاق[5]، عند ذلك أرسل قضاة شهارة الرسائل إلى كثير من الجهات مضمونها أنهم حكموا بإمامة القاسم، فتغير محمد بن

---

(١) أبو طالب: طيب أهل الكسا، ق١٤-١٥.

(٢) النص، ج٢، ق١٦٨أ-١٦٩أ.

(٣) النص، نفس الجزء، ق١٧٠أ.

(٤) النص، نفس الجزء، ق١٧٢أ.

(٥) النص، نفس الجزء، ق١٧٤أ-١٧٤ب.

المتوكل إسماعيل من ذلك، وطلب من قضاة صنعاء أن يكتبوا أن الذي صح عنده وعندهم إمامة أحمد بن الحسن، وأرسلوا بذلك إليلقاسم والمناطق التي أجابته[1].

وعلى كلٍ فإن كلا الطرفين كان لا يريد التنازل للطرف الآخر، وإن القاسم الذي كان متوقعاً منه التسليم استمر في موقفه المتشدد، رافضاً كل العروض والاقتراحات، لذلك لم يكن أمام أحمد بن الحسن إلا اللجوء إلى الحرب مرة أخرى، فكانت الحرب الأولى في منطقة الصلبة، كما سبق أن رأينا، وهنا قامت بينهما حروب ومواجهات كثيرة، كان أولها ما حدث في ٧ صفر (١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م) بين إبراهيم بن حسين بن المؤيد وأتباع أحمد بن الحسن قتل كثير من الجانبين، وأُسر إبراهيم، ثم طلع أحمد بن الحسن إلى الأهنوم، وأمر بخراب بعض منازلها التي وقع منها الرمي، فلما رأت الأهنوم ذلك أقبل أهلها إلى أحمد بن الحسن مبايعين وطائعين، فأمنهم وانتقل إلى «نجدة بني حمرة» غربي شهارة.

وكانت آخر تلك المواجهات الحرب التي قامت بينهما في منطقة «الأبرق» قُتل فيها حوالي خمسين من أتباع القاسم، وقيل أكثر، وثمانية من أتباع أحمد بن الحسن[2].

وكان أحمد بن المؤيد يراقب الوضع، وهو في وادعة، منطقة ولايته، وقد أعد جنوده وقواته لمواجهة أحمد بن الحسن، وليكون عوناً لأخيه القاسم والالتفاف على جنود أحمد بن الحسن، غير أن أحمد بن الحسن كان قد أرسل قوات لدعم محمد بن أحمد بن القاسم وقاسم بن المتوكل، ولما سمع أحمد بن المؤيد بهزائم جنود أخيه القاسم، وأن الجنود الذين بخمر قد توجهوا نحوه رأى أنه لا بد من الدخول في طاعة أحمد بن الحسن[3].

واتجهت معظم قبائل تلك المناطق بما فيها شهارة إلى أحمد بن الحسن معلنة طاعته وولاءها له، وبايعته وخطبت له «ولم يبق إلا القاسم بن المؤيد فريداً وحيداً، حليف

(١) النص، ج٢، ق١٧٤ب-١٧٥أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق١٧٩ب؛ أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١٥.
(٣) النص، نفس الجزء، ق١٨٢أ.

هَمٍّ وحزن في شهارة»[1]، لذلك كله لم يسعه بعد أن يئس من نجاح دعوته، إلا أن نزل من جبل شهارة إلى المهدي أحمد بن الحسن، وسلم له الأمر متمثلاً بقول الشاعر المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحرِّ أن يرى

عدواً له ما من صداقته بد[2]

وبذلك كانت في نهاية الأمر الغلبة للقوة، بغض النظر عن مدى صلاحية أي منهما للإمامة.

ومهما يكن الأمر فقد قبل القاسم بإمامة أحمد بن الحسن مضطراً، فاستسلم له وبايعه[3]، وفي المقابل جعل له أحمد بن الحسن ولاية بلاد الشرفين وحجة والظفير وكحلان وعفار والسودة وظليمة والأهنوم، كما وعده أن يقضي عنه بعضاً من الديون[4].

وبذلك يكون أحمد بن الحسن قد تمكن من القضاء على أهم شخصية نافسته على الإمامة، غير أنه لا بد أن ذلك قد كلفه الكثير من الجهد والوقت والمال، كما أنه سيكون لانشغال أحمد بن الحسن بمحاربة القاسم أثر في تدهور الأوضاع الاقتصادية والأمنية في البلاد، وسيكون ذلك سبباً في زيادة الفوضى والاضطرابات وعدم الالتزام من الولاة بأوامر الإمام، لذلك كان على الإمام المهدي بعد تغلبه على القاسم، أن يبدأ في فرض هيبة الدولة، وإحكام السيطرة على المناطق التي عمتها الفوضى والاضطرابات.

---

(١) النص، ج٢، ق١٨٢أ.

(٢) النص، نفس الجزء، ق١٨٣ب.

(٣) الحوثي: نفحات العنبر، مخطوط، جـ٢،ق٣٢١.

(٤) أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١٦، الحسن بن عبد الرحمن بن أحمد: المواهب السنية، مخطوط، ق٤١٥.

جهوده في فرض هيبة الدولة

كان أول ما قام به الإمام المهدي أحمد بن الحسن بعد إنهاء الصراع على الإمامة، وتسوية الأمر مع القاسم أن اتجه بقواته من شهارة إلى العمشية في الشمال، وهي من المناطق التي كان يتكرر بها القتل والنهب أثناء مرور القوافل التجارية وغيرها، فاستقر فيها بعض الوقت، وأكد على سفيان تأمين طرق القوافل والمارة فيها، ووعدهم أن يبذل لهم ما يعتادونه من أموال للحفاظ على الأمن، وكانوا قد شرطوا عليه أن يعطيهم ما يعتادونه من الملوك السابقين، وإلا فليس عليهم حفظها، فأمنت تلك الطريق بعض الوقت(١).

وبعد ذلك اتجه إلى صعدة، وخرج علي بن أحمد، واليها، لاستقباله، ووصلت إليه قبائل صعدة وغيرها من قبائل تلك المناطق، باذلين الطاعة ومبايعين «رغبة من القليل، والأغلب فيهم الرهبة»(٢).

وتمكن الإمام المهدي من إعادة فرض هيبة الدولة في المناطق الشمالية، التي كانت دائمة الاضطرابات والقلاقل، كما بدأت الأمور تستقر داخل الدولة بعد إنهاء الصراع على الإمامة.

وبعد الانتصارات التي حققها ضد منافسيه، وبعد أن أحكم سيطرته على المناطق الشمالية الأكثر اضطراباً نجده يبدأ في إعادة إحياء طموح الإمام المتوكل إسماعيل في مد نفوذ الدولة القاسمية إلى الحجاز ونجد وما حولها، لذلك نجده عند أن استقر بصعدة بعد أن رأى كثرة توافد القبائل إليه معلنة الولاء والطاعة بدأ يكتب الرسائل إلى شريف مكة وإلى البلاد النجدية يطلب منهم الدخول في طاعة الدولة القاسمية، فأجاب عليه شريف مكة أنه مثل واحد من أشراف اليمن لا يجهل الحق، ولا يترك ما فيه الصلاح للمسلمين، إلا أنه يخشى من السلطان العثماني، الذي لن يسكت عن أي تدخل من

(١) النص، جـ٢، ق١٨٣ب-١٨٤أ.

(٢) النص، نفس الجزء، ق١٨٤أ.

اليمن في الحجاز ونجد[1].

وكتب المهدي أيضاً رسالة إلى باشا سواكن، بسواحل الحبشة يدعوه إلى الدخول في طاعة الدولة القاسمية، كما فكر في أن يكتب إلى مصر من أجل ذلك، غير أنه -كما ذكر يحيى بن الحسين- لم يجد له رسولاً[2].

ولعل نشوة انتصارات أحمد بن الحسن على منافسيه، ثم إحكام سيطرته على المناطق الشمالية حتى نجران جعلته يفكر في التوسع خارج اليمن، أو أن هناك أسباباً أخرى جعلته يفكر في إرسال تلك الرسائل، فهو يعلم جيداً أن المتوكل قد حاول قبله وفكر في ذلك، لكنه لم يتمكن من عمل شيء، على الرغم من أن دولته كانت في أوج قوتها، وأولاد إخوته جميعاً، بل جميع آل القاسم مؤازرين ومساعدين له، لذلك فمن المرجح أن أحمد بن الحسن أراد بذلك التصرف أن تتناقل مراكز القوى المختلفة تلك الأخبار، وكذلك مشائخ المناطق المختلفة، وأن ذلك يدل على قوة الإمام المهدي، وقدرته على الوصول إلى الحجاز، وليس مناطق اليمن فحسب، أو أنه أراد أن يثبت للمناطق المجاورة لليمن بأن دولته لا زالت تتمتع بنفس القوة التي كانت عليه في عهد الإمام المتوكل إسماعيل.

وكانت قد وصلت هدية وكتاب من حضرموت إلى الإمام المهدي معلنين انتماءهم وولاءهم له[3]. وكان لا بد لهم أن يقوموا بتلك الخطوة خوفاً من أحمد بن الحسن، الذي أثبت لهم قوته وشجاعته عندما دخل بلادهم عنوة، وأخضعهم بالقوة في عهد الإمام المتوكل، كما سبق أن رأينا.

وبعد أن أصبح أحمد بن الحسن هو الإمام بلا منازع واستقرت الدولة نوعاً ما، كان أمامه مهام كثيرة، منها: توزيع المناطق بين مراكز القوى من آل القاسم بطريقة ترضي الجميع، وفي الوقت ذاته لا تخل بشخصيته كإمام له قدراته الخاصة، وهيبته الكبيرة،

---

(١) النص، ج٢، ق١٨٤أ-١٨٤ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق١٨٤ب.
(٣) النص، نفس الجزء،ق١٥٠ب.

ومهما يكن فإنه لم يعد للإمام المهدي مثلما كان لعمه الإمام المتوكل، أعني الشخصيات القوية المخلصة التي ساندته وآزرته في توسيع حدود دولته وفرض هيبتها، كما سبق أن رأينا، والملاحظ هنا في فترة الإمام المهدي أحمد بن الحسن القصيرة زيادة الأطماع بين الأبناء والأحفاد على اقتسام الولايات، مما زاد من النزاع، وبداية ظهور مراكز قوى جديدة، ستلعب دوراً فيما بعد كما سنرى، وكانت مراكز القوى هذه ربما تخشى من شخصية المهدي • باعتباره شخصية قوية، ولديه الخبرة في تسيير شؤون الدولة.

وكان لا بد له من إرضاء هذه المراكز وإعطائها ما يستطيع من الولايات، حتى لا تشكل مصدر قلق له، فنجد على سبيل المثال أن علي بن المتوكل بعد وفاة والده قد اتجه إلى تعز واستولى عليها، فاضطر المهدي أن يعينه عليها بالإضافة إلى ما كان تحت يده سابقاً من مناطق اليمن الأسفل، وأصبح من مراكز القوى الهامة في دولة المهدي«واشتهر ذكره، وعظم صيته»[1].

وكان الإمام المتوكل آخر مدته قد عزل محمد بن أحمد بن الإمام القاسم من كثير من المناطق التي كانت تحت يده،فلما توفي المتوكل كان محمد بن أحمد بن القاسم أول من بايع المهدي بالإمامة، فاضطر أن يعيد إليه البلاد التي كانت له من قبل[2].

أما علي بن أحمد بن القاسم فقد أبقاه الإمام المهدي على بلاده السابقة، صعدة وما إليها، غير أنه كانت تصل إليه من أهالي صعدة شكاوى ضد علي بن أحمد، الذي كان قد أعاد فرض ما عليهم من مطالب عقب وفاة المتوكل، وكان قد عفاهم منها ليكونوا عوناً له ضد المتوكل، فرفضوا دفعها، وطلبوا من الإمام المهدي، أن يولي بلادهم غيره، وهم مُسْلِّمون ما عليهم من واجبات، فأعرض عنه ولم يرغمهم على شيء، وترك مسألة تسوية الوضع لعلي بن أحمد، وكأنه يقول له: «قد صارت البلاد الشامية الصعدية إليك، فخيرها وشرها عليك. وإلا تركت أمرها ومصالحها وأصلحناها»[3].

---

(١) ابن عامر: بُغية المريد، مخطوط، ق٤١٩.

(٢) نفس المصدر، ق٣٦٦-٣٦٧.

(٣) النص، جـ٢،ق١٨٥.

واضطر الإمام المهدي إبقاء أبناء الإمام المتوكل في ولاياتهم، وكانت معظم المناطق الهامة تحت أيديهم، غير أنه كان غير راضٍ عن ذلك، حتى أنه كان يردد «بأن البلاد قد تقسمت مع عيال المتوكل»[(١)].

وقد زادت أطماع الأبناء والأحفاد من آل القاسم، وربما صار بعضهم يشكل عبأً عليه، وليس عوناً له. وكان أولهم هو ابنه محمد بن أحمد بن الحسن، صاحب المنصورة، الذي تمرد على والده، وكأنه يريد المزيد من الولايات، فاضطر الإمام المهدي أن يطلق يده في الأوامر والنواهي باليمن الأسفل، وأعطاه بلاد حيس إلى جانب ولايته السابقة[(٢)].

أما القاسم بن المؤيد، الذي نافس المهدي على الإمامة، كما رأينا-فكان أيضاً غير مقتنع بالولايات التي أعطاه إياها أحمد بن الحسن، فنجده في أواخر سنة (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م) يكتب إلى محمد بن المتوكل يطلب منه أن يُقنع أخاه أحمد بن المتوكل بالتنازل عن ولاية بلاد عذر للقاسم؛ لأن بلاده السابقة لم تكفه، وبالطبع رفض أحمد بن المتوكل هذا الطلب[(٣)]. كما أنه بعد هزيمته كان متمسكاً بلقب المنصور، الذي اتخذه لقباً له عند إعلان إمامته. وهذا يدل على أنه أمام نفسه وأنصاره ما يزال إماماً، فكان يكتب إلى المناطق التي أجابته، ويلقب نفسه بالمنصور[(٤)].

وتمسكه بهذا اللقب رغم هزيمته، دليل على التمسك بفكرته السابقة.

وفي أواخر سنة (١٠٨٩هـ/ بداية سنة ١٦٧٩م) اتجه أحمد بن المتوكل إلى المهدي ومعه محمد بن المتوكل، وطلب من المهدي ولاية حجة، غير أنه رفض ذلك، فأعطاه أخوه محمد بلاد ثلا، وكانت من مناطق ولايته، كما اتجه إليه أحمد بن محمد بن الحسين، وطلب منه زيادة بلاد إلى بلاده، فرفض إعطاءه ما يريد، وزاد له أموالاً من لديه[(٥)].

---

(١) النص، ج٢، ق٢٠٦ب.
(٢) النص، جـ٣، ق٤أ.
(٣) النص، ج٢، ق٢١٧أ.
(٤) النص، نفس الجزء، ق٢٠٦أ.
(٥) النص، نفس الجزء، ق٢١٧أ.

فكان معظم مراكز القوى لا هَمَّ لها إلا الحصول على المزيد من الولايات. «وكل منهم قال ما يكفيه إقطاعه، وكل منهم مد يده في رعايا بلاده في غالبهم»(١)، فاضطر أن يفرق معظم الولايات بين مراكز القوى، بينما لم يبق له سوى ولايته السابقة، ولم يضف إليها إلا اليسير.

غير أننا لا نستطيع إنكار حقيقة هامة وهي أنه رغم كل ما سبق ذكره من تنافس ورغبة في الحصول على المزيد من المناطق، فإن الإمام المهدي أحمد بن الحسن كان لا يزال في أوج قوته، وكانت مراكز القوى هذه تخشاه وتهابه، لذلك عَمَّ الاستقرار والهدوء في عهده، مقارنة بمن جاء بعده، كما سنرى، ولعل مراكز القوى هذه بدأت تعد نفسها لفترة ما بعد الإمام المهدي أحمد بن الحسن.

لكننا أيضاً لا نستطيع أن ننكر بإن عدم وجود شخصيات قوية تقف إلى جانب الإمام المهدي جعلت موقفه ضعيفاً مقارنة بالإمام المتوكل، وظهر بشكل أكبر التنافس على الولايات، لعل أبرزها ما حدث في بلاد يريم، حيث كان أحمد بن الحسن قد ولَّى عليها يحيى بن الحسين بن الإمام المؤيد، غير أنه نافسه عليها كل من علي بن المتوكل والحسين بن الحسن والحسين بن المتوكل، وعين كل واحد منهم عاملاً له على يريم لقبض واجباتها(٢)، كما احتدم الخلاف في بلاد عفَّار بين أحمد بن المتوكل وبين محمد بن أحمد بن القاسم، وكذلك بين أحمد بن المتوكل وبين القاسم بن المؤيد، كل منهم يريد أن يرسل لها عسكراً، ويعين عليها عاملاً من قبله(٣).

بل إن الإمام المهدي عندما أمر أخاه الحسين بن الحسن بإزالة سوق استحدثه في منطقة «الحرشة كتب إليه الأخير رسالة، كما أرسل له ابنه محمد بن أحمد رسالة أيضاً بأنهما ما داما قد بايعاه وخطبا له، واعتمدا النقود التي ضربها، فما عليه إلا أن يترك لهما بلادهما يتصرفا فيها كيفما شاءا دون تدخل منه(٤).

(١) النص، ج٢، ق١٨٣ب.
(٢) أبو طالب: الشذور العسجدية، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص١٧٠-١٧١.
(٣) نفس المصدر، نفس الورقة.
(٤) النص، نفس المصدر، ق٢١٧أ-٢١٧ب.

وكان لهذا الاختلاف والتنافس وزيادة الأطماع أثر سلبي على الأهالي، فكانوا يتضررون مادياً من جراء ذلك، ولعل أبرز مثال ما حدث في سنة (١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م)، حيث كان القاسم قد استأذن الإمام المهدي في أن يقبض زكاة بلاد عذر، فأذن له وقبضها، ولما بلغ أحمد بن المتوكل ذلك، وهو واليها، أرسل من قبله بالسودة مجموعة من الجنود لقبض زكاة عذر، وأنه لا يعترف بما سلموه إلى القاسم منها، فسلَّم من سلَّم وامتنع من امتنع، وبذلك تضرر معظم الناس من تسليم الزكاة مرتين.

ولعدم قدرة الإمام المهدي على إرضاء كل المراكز وإعطائها ما تريد من الولايات، كان يضطر إلى ضرب الأخوة بعضهم ببعض -إن جاز استخدام هذا التعبير- من ذلك ما حدث من خلاف بين الأخوين محمد بن أحمد بن القاسم وأخيه عبد الله بن أحمد بن القاسم على ولاية حجة، التي أصبحت متنازعاً عليها بينهما بالإضافة إلى واليها السابق من آل جحاف، والسبب في ذلك أن الإمام المهدي كان قد أعطى ولاية حجة لمحمد بن أحمد بن القاسم، ثم بعد تغلبه على القاسم تقدم إليه عبد الله بن أحمد بن القاسم بايعه وطلب منه ولاية حجة فأرسله إليها وأعطاه إياها، فأخذها منه، وبذلك أصبحت حجة «منهارة أعمالها، متضرر من ذلك أهلها»[1].

وكان الأهالي يتذمرون من زيادة المطالب التي كانت تُفرض عليهم من الولاة، ولعل أبرز مثال على ذلك ما كان يقوم به السيد جعفر بن مطهر الجرموزي من زيادة في فرض الضرائب على أهالي العدين، فما إن وصل إلى الإمام المهدي ومعه عائدات العدين في سنة (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) حتى تبعه مجموعة من مشائخها يشكون إلى المهدي كثرة المطالب، فاضطر أن يستبقي جعفر لديه، ثم أعاده إليها بعد أن شرط عليه أن لا يصل إليه شاكٍ منها[2].

وتذمر أهالي صعدة من كثرة المطالب التي فرضها عليهم علي بن أحمد بعد وفاة

(١) النص، ج٢، ق٢٠٢أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق ٢٠١ب، ق٢٢١ب.

المتوكل، كما سبق أن رأينا.

ومهما يكن الأمر فإن معظم هذه التصرفات من الولاة كان أحمد بن الحسن يتغاضى عنها في مقابل طاعته وإرسال ما عليهم من أموال إلى خزينة الدولة، فنجده مثلاً في سنة (١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م) يأمر بزيادة العائدات من بعض المناطق، ومنها حجة التي كانت عائداتها من قبل أربعة آلاف، فأمر بزيادتها إلى سبعة آلاف. كما أمر بزيادة عائدات منطقة ريمة إلى ستة آلاف(١).

وكان يحيى بن الحسين بن القاسم من العلماء الذين ينتقدون من رفع المطالب على مناطق اليمن المختلفة، فكما أرسل رسائل إلى الإمام المتوكل يطلب منه التخفيف في ذلك، نجده هنا يرسل الرسائل إلى أحمد بن الحسن ومحمد بن المتوكل يطلب منهما تخفيف رفع مطالب اليمن الأسفل، وأن الولاة يضطرون إلى رفع المطالب بسبب التشديد عليهم من الإمام، ويبدي استغرابه بأن المطالب قد زادت من زمن الحسن بن القاسم بقدر النصف من ذلك «فالواجب حط النصف من المطالب»(٢).

وعلى الرغم من أن الإمام المهدي قد تفقد المناطق الشمالية حتى وصل إلى صعدة، وهابته القبائل، إلا أن ذلك كان مؤقتاً، ففي سنة (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) بعد عودته إلى الغراس بدأت قبائل سفيان والعصيمات بأعمال السلب والنهب في الطرقات، خاصة طريق العمشية. وانتشر ذلك إلى البطنة وأعمال شهارة وأطراف عذر، حتى انقطع أكثر الناس عن السفر(٣).

وكانت قبائل سفيان تقوم بأعمال النهب والسلب للقوافل التي تمر في مناطقها أو بالقرب منها بصفة مستمرة. وكان الإمام المتوكل إسماعيل يضطر أن يعطيها الأموال والكسوات مقابل حمايتها للقوافل، وعدم التعرض لها، وعلى الرغم من ذلك فكانت أحياناً تقوم بأعمال السلب والنهب، خاصة إذا تأخرت الدولة عن إعطائها ما

---

(١) النص، جـ٣، ق٤ب-٥أ.

(٢) النص، ج٢ ، ق٢٠٧ب.

(٣) أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١٧.

تعتاده. وهنا في عهد الإمام المهدي في سنة (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) نجد أن إحدى قبائل سفيان، وهم «بنو رهم» ذكروا بأن المهدي لم يسلم لهم إلا دون ما يعتادونه، «وأنه نقص عليهم نحو ثلاثين خرقة من الكسوة»[(١)] فقاموا بأعمال السلب للقوافل.

وفي سنة (١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م) نهبت قبيلة سفيان قافلة بالعمشية-بالقرب من عيان-وهي متجهة إلى صعدة فيها أموال وأقمشة وبضائع أخرى قادمة من صنعاء، ودافع أهل القافلة عن قافلتهم، غير أن سفيان قاموا بنهب جميع القافلة، وقتلوا منهم ثمانية، وجرحوا آخرين، فاضطر الإمام المهدي إلى الخروج بنفسه إليهم لقتالهم، فخرب بيوتهم، وأسر كثيراً منهم واستعاد ما قاموا بنهبه[(٢)].

وعلى الرغم مما كان يحصل من نهب وتقطع في الطرقات فإننا لا نستطيع إنكار حقيقة هامة، وهي إن أحمد بن الحسن قد بذل مجهوداً كبيراً-منذ عهد عمه الإمام المتوكل وفي فترة إمامته-من أجل إخضاع هذه القبائل ومعاقبتها. وكان يخرج بنفسه لمحاربتها حتى كانت سبباً في وفاته، كما سنرى، وبعد القضاء على منافسيه كانت معظم أعماله وجهوده إعادة الأمن والاستقرار إلى البلاد، وكان كثير التنقل بين المناطق الشمالية خاصة، ليتفقد أحوالها القبلية المتقلبة مع اطمئنانه على الاستقرار المستمر في اليمن الأسفل والمناطق الجنوبية[(٣)]، واهتم بالأطراف، فنجده مثلاً يرسل إلى صبيا حملة عسكرية، مساعدة لواليها في غزو بلاد بني حبيب، بسبب ما وقع منه من التمرد[(٤)].

وأرسل الإمام المهدي محمد بن المتوكل وأحمد بن محمد بن الحسين وابنه الحسين إلى عيان بقوة عسكرية كبيرة، فكتبوا إلى برط يطلبون منها وصول مشائخها وقاضيها والسيد محمد الغُرباني والناهبين للقوافل فيها، فوصل المشائخ والقاضي علي العنسي، ودفعوا ما عليهم من المقررات، وبقي محمد بن المتوكل في برط لتأمين الطرق، والقضاء

---

(١) النص، جـ٢، ق١٢٠ب.

(٢) النص، جـ٣، ق١٣أ، ق١٤ب، أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١١.

(٣) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص٧٧-٧٨.

(٤) النص، جـ٣، ق٧ب-٨أ.

على من كانوا يقومون بأعمال السلب والنهب[1]، وعاد إلى صنعاء بعد صلاح تلك الجهة، واستعادة جميع ما قامت سفيان بنهبه، وكذلك برط، وتعهدوا بعدم تكرار النهب والسلب، وعين في قصر عيان والياً، وجعل معه قوة عسكرية لردع القبائل هناك[2].

وكان الإمام المهدي حريصاً على أن يعم الأمن والاستقرار، حتى وإن اضطر إلى معاقبة البيت الحاكم، ولعل ذلك يدل على قوة شخصيته وخوفهم منه، فكان في الروضة بعض أبناء محمد بن أحمد بن الإمام القاسم وحدث منهم تعدٍ على أحد العمال الذين كانوا يسقون الماء من الغيل، ومعهم الشاعر المهتدي الهندي، فأمر الإمام المهدي بالقبض عليهم، وأودعهم السجن في حصن ذي مرمر[3].

ولعل أكثر ما اشتهر به الإمام المهدي أحمد بن الحسن، وميز فترة إمامته عن فترة الإمام المتوكل إسماعيل هو أمره بإجلاء اليهود عن اليمن، فكيف تم ذلك؟ وهل تمكن من تنفيذ ما يريده أم لا؟

بعد أن عاد الإمام المهدي من صعدة، وتفقد المناطق الشمالية، وأثناء بقائه في عيان أواخر سنة (١٠٨٨هـ/ بداية سنة ١٦٧٨م) كتب إلى محمد بن المتوكل وهو بصنعاء يطلعه على رأي ارتآه وهو إجلاء اليهود عن اليمن، وكانت حجته في ذلك أنه كثر منهم ضرب النقود التي تشبه نقود دار الضرب، وفيها نحاس كثير وغش، وكثر منهم بيع الخمر للمسلمين، وأعمال السحر[4]، وأن هناك حديثاً للرسول ﷺ قال فيه: «أخرجوا اليهود من جزيرة العرب»[5]، وطلب من محمد بن المتوكل أخذ رأي العلماء في صنعاء حول ما رآه، فاختلفت آراءهم بين مؤيد ومعارض، وكان من بين العلماء يحيى بن الحسين بن القاسم، الذي كان رأيه أن المراد بجزيرة العرب هو الحجاز لا غيره.

(١) النص، جـ٢، ق٢٣٠ب، ق٢٣٣أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق٢٣٣ب.
(٣) النص، نفس الجزء، ق٢١١ب.
(٤) النص، نفس الجزء، ق١٨٨أ.
(٥) أبو طالب: طيب الكسا، مخطوط، ق١٦.

والبعض الآخر رأى أنه يجوز إبقاء أهل الكتاب في هذه الأراضي لمصلحة مرجحة منها: دفع الجزية، أو لأعمال يعملونها للمسلمين ويختصون بها دون غيرهم، والإعانة للجهاد أما لغير مصلحة فلا يجوز إبقاؤهم[١].

ولأن الأمر قد أثار جدلاً ونقاشاً واسعاً بين علماء صنعاء وغيرهم على مختلف مذاهبهم نجد الأستاذ الدكتور حسين العمري يفترض -ولعله محق في ذلك- بأن من بين مقاصد المهدي أن ينبه من شكك في علمه، واللغط الذي دار عقب دعوته، وبعدم بلوغه «الاجتهاد» على مقدرته لإثارة مسألة اجتهادية من أقدم ما أثير في تاريخ الفقه الإسلامي[٢].

ومهما قيل حول هذه المسألة فقد أصدر الإمام المهدي الأوامر بأن تُهدم جميع الكنائس الخاصة بهم، وعند عودته من عيان هدم الكنائس الموجودة في البون، كما قام ولاته باليمن الأسفل بهدم بعضاً من تلك الكنائس، وهدمت كنائس كوكبان وشبام، ليس ذلك فحسب، بل إنه أيضاً أمر بهدم كنيسة صنعاء، فراجعه محمد بن المتوكل مبرراً له أنها قديمة من زمن النبي ﷺ، وأنها نزل بها وبر بن يحنس، الذي أرسله النبي ﷺ على الأسود العنسي، فعدل المهدي عن ذلك، وعند دخوله صنعاء في شهر الحجة (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) أمر بإغلاقها[٣]، وبعد ذلك أخذ ما حولها من المنازل، وأخرج اليهود من المحلات التجارية بسوق صنعاء، وأجبرهم على بيع ممتلكاتهم ومنازلهم وخروجهم، فباع القليل منهم ما باع من المنقولات والكثير من غير المنقولات، واشترى المهدي منهم الحمّام الخاص بهم[٤]، ثم أمر بفتح الكنيسة، وأخرج منها ما يخص اليهود من الكتب، وحوّلها إلى مسجد[٥] لا يزال موجوداً إلى الآن.

وفي شهر صفر سنة (١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م) أرسل المهدي إلى اليهود من يخرجهم بالقوة، فخرج يهود صنعاء وما إليها ما بين شهارة وسمارة إلى جنوب موزع، وهلك

---

(١) أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١٦.
(٢) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص٧٦.
(٣) النص، جـ٢، ق١٨٨أ.
(٤) النص، نفس الجزء، ق٢٢١أ.
(٥) النص، نفس الجزء، ق٢٣٢أ-٢٣٢ب.

منهم الكثير، وتضرر أهل موزع منهم، وهم أيضاً تضرروا لعدم وجود عمل يكسبون منه[1].

وكان الإمام المهدي يرى إخراجهم إلى سواحل الحبشة، فكتب إلى والي «أوسة» بأن يسمح بخروجهم إليها، وله جزيتهم، فأبى ذلك، وأجاب عليه بأن البلاد للسلطان العثماني، فاضطر المهدي أن يوافق على عودتهم، فمنهم من عاد إلى مناطقهم السابقة، ومنهم إلى القرب منها[2].

أما يهود صنعاء فقد عمروا لهم خارج صنعاء، إلى الغرب من بير العزب، بحيث استأجروا أرضها، وعمروا لهم منازل بأمر من المهدي، ولم يعودوا إلى داخل صنعاء[3].

والجدير ذكره أن محاولة الإمام المهدي إخراج اليهود من اليمن لم توفق، ولم يُخطط لها التخطيط السليم، بحيث يضمن موافقة المناطق المجاورة التي كان ينوي إخراجهم إليها، لكنه أخرجهم إلى موزع، وفيها هلك الكثير منهم، وأصبحوا يشكلون عبأً على الدولة، لعدم استطاعتها أخذ الجزية منهم، ولم تتمكن من إعادة فرض الجزية عليهم وأخذها منهم إلا عندما بدأوا يستقرون ويستأنفون أعمالهم السابقة[4].

أما بالنسبة للعلاقات الخارجية فلم يتضح في عهد الإمام المهدي القصيرة وجود علاقات خارجية، على الرغم من أنه كان في عهد الإمام المتوكل يراسل السلاطين والملوك ويهاديهم، وفي الوقت ذاته راسلوه وهادوه، ولعل السبب في ذلك هو انشغال أحمد بن الحسن في السنتين الأولى من حكمه بالقضاء على منافسيه وإخضاعهم، ثم انشغاله فيما بعد بمحاربة قبائل سفيان ودهمة والعصيمات وغيرها من القبائل التي كانت تقوم بأعمال السلب والنهب، ثم لم يلبث أن وافته المنية بعد خمس سنوات من إعلان إمامته، وهي فترة قصيرة جداً، إذا ما قورنت بفترة الإمام المتوكل على الله إسماعيل.

---

(١) النص، جـ٣، ق٢ب-٣أ.
(٢) النص، نفس الجزء، نفس الورقة.
(٣) النص، نفس الجزء، ق٩ب.
(٤) النص، نفس الجزء، ق٩ب.

والذي اتضح في عهده هو استمرار العمانيين في الاعتداءات المتكررة على السفن التجارية في باب المندب، وفرض أموال بالغة عليهم حتى يسمحوا لهم بالمرور، وأحياناً كانوا يرفضون مرور هذه السفن ويقطعون الطريق للدخول إلى الموانئ اليمنية، فنجدهم في بداية عام (١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م) عندما وصلت أول السفن الهندية تلقاهم العمانيون، وفرضوا عليهم أموالاً في باب المندب، كما قاموا بقطع الطريق، وكتب والي عدن ووالي المخا إلى الإمام المهدي يطلبان النجدة لمواجهة العمانيين هناك، فأجاب بأن الجنود الذين في تهامة والموانئ فيهم الكفاية، لحفظ السواحل «أما البحر فلا طاقة لهم به»[١]. لذلك عندما وصلت باقي السفن الهندية استولى العمانيون على بعضها، واضطر البعض إلى العودة إلى البحر، والبعض الآخر دخل المخا بعد أن بذل لهم الأموال، ونتيجة لذلك ارتفع ثمن الأقمشة التي كانت تصل من الهند. أما الأعبي (جمع عباءة) التي كانت تأتي من الحسا فلم يأت منها شيء هذا العام بسبب تقطعهم، حيث صاروا «ساكنين في باب المندب، مانعين السفن من الدخول إليه جميع شهور صفر وربيع الأول والثاني من هذه السنة»[٢].

وقد حاول الإمام المهدي إنهاء التقطع للسفن القادمة إلى اليمن من قبل العمانيين، فكتب الرسائل إلى سلطان عُمان، وعاتبه، وتهدده «وأن كل من وصل إلى سواحل البنادر اليمانية من مُسلم وكافر من الفرنج، فقد صار في أمانة، وإن لم يترك أفعاله قصده وناجزه»[٣].

غير أنهم استمروا في ذلك، ولم تكن رسائل الإمام المهدي لسلطان عُمان ذات جدوى، بل إن الأخير كان قد كتب للمهدي بأن القهوة لا ينبغي استعمالها، وأنها حرام ومُسْكِرة، لذلك كما ذكر المؤرخ يحيى بن الحسين «لعله قطع مسيرة البن إلى الحسا وبلاد العجم والهند، محتجاً بتحريمها»[٤]. غير أن المؤرخ يحيى بن الحسين في مكان

(١) النص، جـ٢، ق٢٢٣ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق٢٢٣أ-٢٢٣ب.
(٣) النص، نفس الجزء، ق٢٢٩أ.
(٤) النص، نفس الجزء، ق٢١٦أ.

آخر من كتابه (بهجة الزمن) يذكر بأن سلطان عُمان كان يرسل الرسائل إلى الإمام المتوكل إسماعيل ثم إلى الإمام المهدي أحمد بن الحسن بأنه كان يصدر أوامره إلى جنوده بمحاربة البرتغاليين والبانيان «أينما وجدوهم في البحر أخذوهم، ولم يأمرهم بالتعدي إلى بنادر اليمن»[1].

ولا نستطيع هنا إنكار حقيقة هامة، وهي أنه كان لعمان اهتمام واسع بالبحر وبناء الأسطول القوي إذا ما قورنت باليمن، خاصة في هذه الفترة، وهي فترة دولة اليعاربة، وبحكم موقع دولتهم التي كان يحدها الخليج العربي شمالاً وبحر العرب جنوباً، وخليج عُمان شرقاً. فكان البحر بمثابة الركيزة الأساسية التي شكلت كل فصول التاريخ العماني[2].

وكانوا يدركون أنهم لن يتمكنوا من التصدي للبرتغاليين وأسطولهم القوي إلا إذا تخلوا عن سفنهم التقليدية، واستخدموا سفناً كبيرة الحجم من الطراز الأوروبي، وزودوها بالمدافع الحديثة[3]، وهو ما حدث فقد تمكنوا من طرد البرتغاليين، وامتد صراعهم معهم إلى الأجزاء الغربية من المحيط الهندي، وتعقبوهم إلى السواحل الهندية والفارسية وأنزلوا بهم هزائم ساحقة[4].

لذلك فمن المرجح أن ما كان يقوم به العمانيون من صولات وجولات في تلك البحار، ويصلون في بعض الأحيان إلى باب المندب وغيره من السواحل اليمنية كان بحجة مطاردة البرتغاليين وغيرهم.

وبعد أن تناولنا أهم التطورات السياسية في عهد الإمام المهدي أحمد بن الحسن لا بد أن نعترف بأنه قد بذل جهوداً كبيرةً لتكون دولته مهابة الجانب، قوية على الصعيدين الداخلي والخارجي، وأن تكون هذه الدولة امتداداً لدولة المتوكل في القوة

---

(١) النص، ج٢، ق٢٣٧ب.

(٢) وزارة الأعلام، سلطنة عُمان: عُمان في التاريخ، ص٣٩٧.

(٣) نفس المرجع، ص٣٣٠.

(٤) نفس المرجع، ص٤٠٠-٤٠١.

والازدهار، وقد دفع حياته ثمناً لذلك، حيث خرج بنفسه على رأس قوة عسكرية سنة (١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م) اتجهت إلى سفيان، التي تكرر منها الاعتداءات على القوافل ونهبها، وكانت آخر تلك الاعتداءات هي التي تعرضت لها قوافل أحد التجار، فوصل ذلك التاجر شاكياً إلى الإمام المهدي، فأعطاه الإمام الأمان هو وقوافله في تلك الطريق، غير أن سفيان تمادت في ذلك، فنهبت قوافله وقتلت ابنه، فاضطر الإمام إلى الخروج بنفسه لقتال سفيان، وتمكن من هزيمتهم، وهدم منازلهم، وأعاد كل ما نهبوه، وأسر الكثير منهم، إلا أنه تعرض للإصابة برصاصة في فخذه الأيمن، وكتمها حتى عاد إلى الغراس، ولم يلبث إلا أياماً قليلة بعد عودته وتوفي.

وكانت وفاته ليلة الأربعاء ٢٢ جمادى الآخرة سنة (١٠٩٢هـ/ ٨ يوليو١٦٨١م) وعمره اثنان وستون عاماً[1].

وقد انتقد يحيى بن الحسين ابن عمه الإمام المهدي أحمد بن الحسن في مماطلته للديون، ليس ذلك فحسب، بل إنه كان قد أفتى بأن من يقرض أموالاً فعليه أن ينتظر حتى وإن كان المستدين من الميسورين، وبسبب الفتوى حصل شجار بين أهل الديون والتجار الذين امتنعوا عن قضاء الديون بسبب تلك الفتوى، وأن عليهم أن ينتظروا إلى ثمارهم وغلاتهم، وأدب المهدي المطالبين وأجبرهم على الانتظار، وأمر القضاة أن يحكموا بذلك.

ورفض القاضي محمد بن علي قيس الثلائي، الذي رأى أنه لا بد من وجوب التسليم مع المطالبة للميسورين، وأن الانتظار إنما هو للفقراء المعسرين، فعزله الإمام المهدي عن القضاء، ثم علق المؤرخ يحيى بن الحسين على هذا التصرف بقوله: «وهذه مسألة ما أحد قد قال بها قبل هذا المذكور، واستنكر ذلك جميع علماء عصره، إلا أن الرجل مَلِك، يريد إمرار قوله كيفما كان»[2].

ومع ذلك فإننا لا نستطيع إنكار أن الإمام المهدي أحمد بن الحسن كان أحسن من

---

(١) أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١١.

(٢) النص، جـ٢، ق٢٠٤أ-٢٠٤ب.

كثير ممن جاء بعده من الأئمة، ليس أدل على ذلك ما وجهه العلامة المجتهد محمد بن إسماعيل الأمير (ت١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م) من انتقاد للإمام المهدي عباس (ت١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م) الذي كان قد أمر بأن يُعاد حفر مجاري الغيل الأسود ومنبعه، وكذلك مجاري غيل البرمكي ومنبعه، فقرر الإمام المهدي عباس أن يكون الغيلان ملكاً خاصاً به، بحجة أن تكاليف إعادة جريانها كانت من ملكه الخاص، وأن يدفع لبيت المال مبلغ ألف وأربع مائة ريال[1]. وكان أبرز ما انتقده العلامة محمد بن إسماعيل الأمير وأشاد بالإمام المهدي أحمد بن الحسن قوله: «وبالله انظروا في جدكم المهدي أحمد بن الحسن، رحمه الله، كيف أخرج غيله في الروضة، وجعله للناس، وجعل عنبه مثل أعناب الناس، لم يستأثر بشيء منه، فبارك الله فيه، وصارت الأعناب التي تُسقى منه أحسن الأعناب في الروضة، وأغلاها قيمة، بسبب حُسن نيته وعلمه بأن هذه الغيول بيوت أموال، وأُخرجت بدراهم من بيوت الأموال، فليس له أن يستأثر بشيء منها ....»[2].

ولعل أحمد بن الحسن يعد آخر الأئمة الأقوياء فتمكن من إبقاء الأوضاع على ما كانت عليه أيام الإمام المتوكل إسماعيل، وتمكن من إنهاء أمور الدعاة والمنافسين له، إلا أن شرخاً بين أبناء البيت الحاكم ما زال يتسع كلما مات إمام منهم، وينطلق المتنافسون في حروب واقتتال، وإذا كان المهدي-على قصر سنوات حكمه الخمس-قد تمكن بماله من ماضٍ وخبرة من إعادة الهيبة ومركزية الحكم، فقد شكلت سنوات خلفه «المؤيد محمد بن المتوكل»-الخمس أيضاً-ومن بدايتها مدة تميزت بالصراع بين المتنافسين من أجل السلطة،الذي تسبب في هدم الكثير مما بناه الآباء المؤسسون من بيت القاسم في نحو ستين عاماً بعد وفاة والدهم الإمام القاسم بن محمد[3].

لقد كانت الدولة في عهد الإمام المهدي مهابة الجانب لدى معظم مناطق اليمن، التي لم تجرؤ على الخروج أو الاستقلال عن سلطة الدولة، خوفاً ورهبة من الإمام

(١) د. حسين العمري: مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، ص٣٥-٣٦.

(٢) نفس المرجع، ص٣٦.

(٣) نفس المرجع، ص٧٥-٧٦.

المهدي، بما فيها المناطق الشرقية والجنوبية، لذلك ما إن توفي حتى تغيرت أوضاع الدولة وضعفت سلطتها في كثير من مناطق اليمن، كما أن كثيراً من الولاة من مراكز القوى أصبحوا أئمة في مناطق ولاياتهم، ولم يعطوا الإمام المؤيد محمد بن المتوكل -الذي جاء بعد المهدي- أي اهتمام، والأسئلة التي تطرح نفسها هنا هي: كيف وصل محمد بن المتوكل إلى الإمامة؟ وما أهم التطورات السياسية في عهده؟ وكيف أثرت سلباً على أوضاع اليمن وظهور عدد من مراكز القوى كانوا سبباً في التدهور؟

ثانياً: الإمام المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل

(١٠٩٢-١٠٩٧هـ /١٦٨١-١٦٨٦م)

ولد محمد بن الإمام المتوكل إسماعيل سنة (١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م)، وتولى والده الحكم وعمره عشر سنوات، فنشأ في ظل والده، الذي اهتم بتعليمه، وقرأ على يد والده الإمام كتباً عدة، وأجازه فيما قرأ عليه، كما تلقى العلم على يد عدد من أكبر مشائخ عصره، مثل: القاضي محمد بن علي العنسي والقاضي يحيى بن أحمد الحاج والقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال وغيرهم[١].

وعاش حياة مليئة بالزهد والتقشف والورع[٢]، يصفه الإمام الشوكاني بقوله: «كان كثير العبادة، كثير البكاء، دائم الخشية ..... لا يتناول شيئاً من بيوت الأموال، ومجلسه معمور بالعلماء والصالحين وقراءة العلم وتلاوة القرآن»[٣].

وحرص على أن يكون شيخاً لمن جاء بعده من التلاميذ، فأخذ عنه جماعة من طلاب العلم[٤]، وكان قد وصل إلى مرتبة كبار العلماء مثل أبيه الإمام المتوكل، وله في ذلك كتابات ومشاركات فقهية وفلسفية في علم الكلام[٥].

(١) إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، مج٢، تحقيق: عبد السلام الوجيه، ص٩٣٦-٩٣٨.
(٢) عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٨٧٢.
(٣) الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص١٣٩-١٤٠.
(٤) إبراهيم بن القاسم: نفس المصدر، ص٨٣٩.
(٥) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص٨١.

تولى بلاد آنس سنة (١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م) وعمره حوالي ستة وعشرون عاماً، وبعد وفاة علي بن الإمام المؤيد الذي كان والياً على صنعاء عينه والده الإمام والياً عليها سنة (١٠٧٨هـ/ ١٦٧٦م)، وضم إليه بلاد الحيمة وخولان ونهم وسنحان وحراز وبلاد ثلا وبعض همدان، كما سبق أن ذكرنا في فصل سياسة الإمام المتوكل إسماعيل.

ولما وصل محمد بن المتوكل إلى صنعاء لتولِّيها سار فيهم سيرة حسنة، ولم يفرض المطالب الجائرة على أهلها، لكنه قام بإلغاء بعض الضرائب التي كانت مفروضة عليها[(١)]. ولم يزل آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر مدة والده ثم مدة الإمام المهدي أحمد بن الحسن، وهو مع ذلك منشغل بالدرس والتدريس أكثر أوقاته[(٢)].

استمر والياً على صنعاء حوالي خمسة عشر عاماً، حيث أبقاه الإمام المهدي أحمد بن الحسن في ولايته السابقة لما عرف ما هو عليه من «الزهد وعدم المنافسة على شيء من الدنيا»[(٣)]، ولعل موقفه خلال الحروب التي دارت بين أحمد بن الحسن والقاسم بن المؤيد على الإمامة تؤكد الصفات التي تميز بها عن غيره فيما بعد، فعند أن اشتدت الحروب اتجه إلى ضوران، واعتذر أنه يريد تنفيذ وصايا والده الإمام المتوكل، وتفقد المنازل والمخازن، وذلك حتى يبعد نفسه عن الخروج إلى شهارة؛ لأنه كان غير راضٍ بتلك الحروب، وغير مشجع لها، وأن الداخل فيها غير معذور، لذلك عذره الإمام المهدي ولم يطلب منه الدخول في الحرب معه ضد القاسم[(٤)].

وكان قد حاول جهده أن يصلح بين أحمد بن الحسن ومعارضيه تجنباً للحروب والفوضى وسفك الدماء دون جدوى.

---

(١) أبو طالب: طيب أهل الكساء، مخطوط، ق١٧.

(٢) إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، مجـ٢، تحقيق: عبد السلام الوجيه، ص٩٣٩.

(٣) ابن عامر: بُغية المريد، مخطوط، ق٤٤١.

(٤) النص، جـ٢، ق١٤٩ب.

مبايعته بالإمامة وموقف مراكز القوى منه

لقد عُرف عن محمد بن المتوكل العدل والزهد والورع خلال فترة ولايته، لذلك عندما توفي الإمام المهدي أحمد بن الحسن سنة (١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م) بايعه علماء صنعاء وبعض آل القاسم وغيرهم من رجال الحل والعقد، وكان في الثامنة والأربعين من عمره، ولقب نفسه بالمؤيد، تيمناً بعمه المؤيد محمد بن القاسم[1]، وكان أكثر المشجعين لإمامته وأولهم الحسين بن أحمد بن الحسن. الذي كان والده الإمام المهدي قد أوصاه أن يدعو لنفسه بالإمامة، وأن لا يترك القيام بهذا الأمر إلا إذا دعا لنفسه محمد بن المتوكل، فلا يتقدمه، ولا يقدم عليه أحد، فعمل بوصية والده وشجع محمد بن المتوكل على ذلك، وبذل جهداً كبيراً في دعمه والوقوف بجانبه[2].

غير أن الكثير من مراكز القوى، سواء كانوا من آل القاسم أو من غيرهم رأوا أن لديهم القدرة على إعلان إمامتهم، واستأثر كل واحد منهم بالمنطقة التي كانت تحت ولايته، وبالفعل أعلنوا دعوتهم للإمامة إلى جانب دعوة محمد بن المتوكل إسماعيل، وهؤلاء هم:

١- القاسم بن الإمام المؤيد في شهارة، وتلقب بالمنصور.

٢- الحسين بن الحسن في رداع، وتلقب بالواثق.

٣- علي بن أحمد بن القاسم في صعدة.

٤- علي بن الإمام المتوكل إسماعيل في إبّ، وتلقب بالناصر.

٥- الحسن بن الإمام المتوكل في تهامة.

٦- محمد بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن في المنصورة، وتلقب بالناصر.

---

(١) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص٨٠-٨١.

(٢) أبو طالب: طيب أهل الكساء، مخطوط، ق١٢.

٧- عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب في كوكبان، وتلقب بالمتوكل[(١)].

٨- السيد محمد بن علي الغُرباني، قال: «إنه الإمام الداعي وأن الولاية له في الزكاة والحقوق»[(٢)].

أما محمد بن الإمام المتوكل فكان أكثر من حرضه على إعلان أمامته هما القاضي يحيى جباري الذماري والقاضي محمد بن محمد العنسي، وكان أول مبايع الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن، ثم تبعه سائر قضاة صنعاء وعلمائها جميعاً[(٣)].

ولم يكن محمد بن المتوكل يصر على الإمامة مثلما فعل الإمام المهدي أحمد بن الحسن وقبله الإمام المتوكل، فدعوته كانت إلى الرضا من آل محمد، يؤيد ذلك ما ذكره أبو طالب بقوله: «بعد أن نفر من الإمامة، وبقي هو والعلماء في مراجعة طويلة، وما زال يتطلب العذر منها بالوجوه العديدة، حتى أقنعه بعض قضاة اليمن، فتوكل على الله ودعا، وبايعه الأعيان من العلماء وجميع أهل الحل والعقد»[(٤)].

ولعل القضاة قد أقنعوا محمد بن المتوكل بأنه لا يوجد من هو أهل للإمامة أفضل منه، إذ إن المنافسين له كانوا أقل علماً منه، هذا بالإضافة إلى زهده وبعده عن ملذات الدنيا، وعدله، ويشبهه بعض المؤرخين بعمر بن عبد العزيز[(٥)].

وبعد أن أعلن محمد بن المتوكل إمامته بدأ يسعى إلى إقناع المعارضين له من آل القاسم بأن يتنازلوا له عن الإمامة، وكان أول من تنازل له، وبايعه هم إخوته علي بن المتوكل في إبّ وحسن بن المتوكل في تهامة، فأجابوا على رسائل أخيهم محمد بأنهم مناصرون له، وأنهم لن يعلنوا إمامتهم إلا إذا لم يقم هو وأخذها غيره[(٦)].

---

(١) الحسن بن عبد الرحمن بن أحمد: المواهب السنية، مخطوط، ق٤١٨-٤١٩.

(٢) النص، جـ٣، ق١٨ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق١٨أ.

(٤) أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١١-١٢.

(٥) أبو طالب: السحر المبين وفتور ألحاظ العين، مخطوط، ق٤أ-٤ب.

(٦) النص، نفس الجزء، ق٢١أ.

وبعد مراسلات بين محمد بن المتوكل والقاسم بن المؤيد وعلي بن أحمد تم الاتفاق على أن يجتمع بهما لإقناعهما بإمامته، فالتقى بهما في خمر وبايعاه بالإمامة بعد أن تنازلا عنها.

ولما علم صاحب كوكبان عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب باجتماع محمد بن المتوكل بعلي بن أحمد والقاسم بن المؤيد ومبايعتهما وتنازلهما له كتب إليه وبايعه بالإمامة، وخطب له في شبام وكوكبان، وترك ما كان قد دعا إليه[1]، ولم يعد من معارض لمحمد بن المتوكل إلا صاحب المنصورة محمد بن أحمد بن الحسن، وصاحب رداع الحسين بن الحسن بن القاسم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو لماذا تنازل القاسم بن المؤيد عن الإمامة لمحمد بن المتوكل بهذه الطريقة السهلة؟ مع أن شخصية محمد بن المتوكل ضعيفة إذا ما قورنت بشخصية أحمد بن الحسن.

لعل القاسم بن المؤيد قد استفاد من حروبه مع المهدي أحمد بن الحسن، وكان يعلم أن استمراره في ادعاء الإمامة، ومحاربة المؤيد محمد بن المتوكل ستكون غير ذات جدوى، خاصة أن كثيراً من القضاة والعلماء والأعيان هذه المرة كانوا مؤيدين ومناصرين لإمامة محمد بن المتوكل للصفات السابق ذكرها، والسبب الآخر هو أن المناطق التي كان متولياً لها القاسم كانت فقيرة بسبب الجفاف الذي كان قد أصابها، وأن ما لديه من مخزون قد أنفق معظمه خلال حروبه مع أحمد بن الحسن، هذا بالإضافة إلى أنه خلال اجتماعه مع علي بن أحمد ومحمد بن المتوكل رأى أن علي بن أحمد قد سلم الأمر لمحمد بن المتوكل، وبايعه بالإمامة، وأعلن وقوفه إلى جانبه.

وأن محمد بن المتوكل قد حاول إقناع القاسم بالتنازل سلماً خلال ذلك الاجتماع، فقال له: «إن هذا الأمر إن سلَّمناه لكم فأكثر هؤلاء الذين قد تبعونا لا يسلِّمون الأمر إليكم، بل هو الشرط الذي جرى من أولاد المهدي الذين في الغراس ومن معهم من العسكر وقبائل بني الحارث وهمدان»[2].

---

(١) النص، ج٣، ق٢٣ب-٢٤ب.

(٢) النص، نفس الجزء، ق٢٤ب.

وللأسباب السابق ذكرها لم يجد القاسم بن المؤيد بداً من التسليم لمحمد بن المتوكل ومبايعته، وكان الاتفاق والمبايعة بخمر يوم الاثنين ١٦ رمضان ١٠٩٢هـ/ ٢٨ سبتمبر ١٦٨١م، وعاد كل واحد منهم إلى مركز ولايته.

ومن البديهي أن يطلب القاسم بن المؤيد وعلي بن أحمد المزيد من المناطق مقابل مبايعة محمد بن المتوكل والتنازل له عن الإمامة، فأعطى الأول بلاد عذر وظليمة وبقية الشرف وبيت الفقيه بن عجيل بتهامة وبلاد زبيد، كما أعطى الثاني جبل صبر إلى جانب ولايته السابقة، وأعطاه ما يحتاج من الأموال، غير أن صاحب المنصورة محمد بن أحمد بن الحسن كان قد استولى على زبيد وبيت الفقيه، وكذلك جبل صبر(١)، كما سنرى لاحقاً.

أما الحسين بن الحسن بن القاسم فعلى الرغم من أن محمد بن المتوكل قد اجتمع به للتفاوض وإقناعه بمبايعته والتنازل له عن الإمامة، إلا أنه ظل متمسكاً بها، وكان يرى أنه أحق بها منه(٢). وأن الاجتهاد قد خُتم بالإمام المتوكل إسماعيل في المدة السابقة(٣). غير أنه خلال اجتماع محمد بن المتوكل مع علي بن أحمد والقاسم بن المؤيد تمردت جميع بلاد يافع وبلاد العولقي وبلاد الهيثمي، وكانت تابعة لولاية الحسين، وطردوا الوالي منها، وقتلوا بعض أصحابه، واضطربت الأوضاع في هذه المناطق، فاضطر الحسين بن الحسن إلى المكاتبة لمحمد بن المتوكل وغيره من آل القاسم يطلب منهم المساعدة وإرسال الإمدادات من الجنود والأموال لإخضاع تلك المناطق، ولم يكن حتى الآن قد تنازل لمحمد بن المتوكل عن الإمامة، وكما أن الأخير لم يتمكن من مساعدته بسبب انشغاله بإتمام الاتفاق مع القاسم بن المؤيد وعلي بن أحمد(٤).

ونتيجة لاستمرار الاضطرابات في مناطق ولاية الحسين بن الحسن، وخروجها عن سيطرته اضطر أن يتنازل لمحمد بن المتوكل عن الإمامة ويبايعه، ليكون عوناً له

---

(١) النص، ج٣، ق٢٤أ-٢٤ب.

(٢) أبو طالب: السحر المبين، مخطوط، ق٤ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق١٨أ.

(٤) النص، نفس المصدر، ق٢٤ب.

على يافع والمناطق الأخرى، وأنه لن يتمكن من الاستمرار في إعلان إمامته ومناطق ولايته مضطربة، وبدأت تخرج عن سيطرته الواحدة تلو الأخرى.

ولم يبق من معارض لإمامة محمد بن المتوكل إلا صاحب المنصورة محمد بن أحمد بن الحسن الذي استولى بعد وفاة والده على ما يستطيع من المناطق، حتى تكون عوناً له على إعلان دعوته، فقام في شهر رجب (١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م) بالاستيلاء على بيت الفقيه بن عجيل وزبيد، وبلاد والده مثل عدن والدمنة ولحج وذي السفال، وكانت المناطق التابعة له من قبل بلاد المنصورة وشرعب وتلك الجهات جميعاً إلى باب تعز وقعطبة، وفتح داراً للضرب بالمنصورة[(١)].

وكان القاسم بن المؤيد صاحب شهارة قد أرسل من قبله من يتسلم زبيد وبيت الفقيه حسب الاتفاق الذي تم في خمر مع محمد بن المتوكل -كما سبق- غير أنه عند وصولهم وجدوا فيها الحاميات العسكرية من قبل صاحب المنصورة فأعادوهم من حيث جاؤوا، وقالوا: «البلاد لغيرهم»[(٢)].

وأرسل صاحب المنصورة الرسائل إلى إخوته يعاتبهم باستعجالهم في مبايعة محمد بن المتوكل، الذي لم يكلف نفسه بالخروج إلى الغراس لحضور جنازة والده المهدي.

وما زال محمد بن المتوكل يراسل محمد بن المهدي أحمد بن الحسن مراراً، ويدعوه للدخول تحت الطاعة، ومبايعته بالإمامة، بينما كان الأخير يحاول أن يقوي نفسه في المناطق التي استولى عليها مؤخراً، «زبيد وبيت الفقيه» ثم أرسل إلى محمد بن المتوكل رسالة فيها احتجاج بسبب أنه أعطى علي بن أحمد صاحب صعدة جبل صبر، قائلاً له: «كيف هذا وجبل صبر في حوزة بلدي، وجنب المنصورة عندي، هذا محال أن يتصرف فيه عُمَّال علي بن أحمد وهو تحتي، مع أن علياً قد معه جميع الشام مع ما انضم إليه من

(١) النص، ج٣، ق١٩ب، ٢٠ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق٢٧ب.

جبل رازح»[1] ولم يصلا إلى أي اتفاق.

غير أن الأحداث كانت تسير ضد صاحب المنصورة، حيث قامت قبائل الصبيحة والحواشب بالاتجاه إلى لحج، ونهبوا أطرافها، وأخافوا طرقها، مما اضطره إلى إرسال قوة عسكرية بقيادة أحد أبنائه لمحاربتهم، ثم تبعها بقوة عسكرية أخرى، غير أنهم هُزموا، وقُتل بعض منهم، كما أن الشيخ ابن شعفل قام هو ومن معه من قبائل الجحافل بانتهاب وتقطع في طريق الدمنة، ولم يتكمن صاحب المنصورة من الخروج من منصورته لمحاربة هؤلاء خوفاً من قبائل الحجرية أن تتمرد عليه وتثور ضده، لذلك رأى أنه لا بد من الاتفاق مع الإمام المؤيد محمد بن المتوكل ومبايعته حتى يكون عوناً له ضد القبائل المتمردة، وبدأ في المكاتبة للمؤيد، وأرسل إليه كاتبه الخاص يطلب منه الاجتماع بحضور الحكام والعلماء والقضاة، وأن تُقام الشريعة فيما ادعاه، فأجاب المؤيد أن هذا هو المراد[2].

غير أن صاحب المنصورة محمد بن أحمد، وهو ذو شخصية متقلبة -كما سنرى- أرسل في شهر الحجة من سنة (١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م) السيد ناصر الديلمي برسالة إلى الإمام المؤيد يقول فيها: إن الاتفاق قد تعذر. وكان سبب تراجعه أنه أشار عليه المقربون إليه أن ذلك سيكون سبباً للفتنة، وأن القضاة لن يختاروا إلا محمد بن المتوكل، لذلك رجع صاحب المنصورة عما كان قد اقترحه، وعزز قواته في زبيد وبيت الفقيه، وأخرج الولاة السابقين منها، وعين ولاة من قبله[3]. وما زالت المراسلات بين صاحب المنصورة والإمام المؤيد حتى سنة (١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م) حيث اشترط الأول شروطاً إن وافق عليها المؤيد بايعه وتنازل له عن الإمامة، وإلا فهو باق على ما هو عليه. وهذه الشروط هي:

١- عزل علي بن المتوكل عن الولايات التابعة له.

---

(١) النص، جـ٣، ق٣٤ب.

(٢) النص، نفس الجزء، ق٣٦ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق٣٧أ.

٢- عزل السيد حسن الجرموزي عن ولاية المخا، وإعطاء محمد بن أحمد بن الحسن ربع المخا.

٣- منع ولاة بيت المال عن قبض محصولات الأوقاف[1].

ويلاحظ أنها مطالب من أجل تحقيق التوسع، ومن أجل الحصول على مزيد من الأموال، وفي بداية الأمر رفض محمد بن المتوكل هذه الشروط؛ لأنه لا يمكنه بأي حال من الأحوال عزل أخيه علي عن ولايته، فهو من مراكز القوى الهامة والفاعلة، وأصبحت شوكته قوية، بالإضافة إلى أنه قد تنازل لأخيه المؤيد عن الإمامة، فكيف سيكون رد فعل علي بن المتوكل لو فكر أخوه المؤيد بعزله لإرضاء صاحب المنصورة العدو الأول لعلي بن المتوكل؟

وكان علي بن المتوكل يخشى أن يستولي صاحب المنصورة على تعز التي كانت تابعة لولايته، لذلك اضطر إلى البقاء بها؛ لأنه كان يعلم أنه إذا خرج منها، فإن صاحب المنصورة سيدخلها، وكان علي بن المتوكل يمر بضائقة مالية بسبب الجفاف وغلاء الأسعار، وتضرر أهالي تعز وغيرهم من كثرة المطالب المفروضة عليهم، وعلى العكس منه صاحب المنصورة، الذي «كانت البلاد المحصلة تحت يده، فلم يكن معه مثلما مع هؤلاء من المشقة، والمدخول من الدفعات لا تزال مستمرة»[2].

واستمر الوضع على ما هو عليه، واستمرت المراسلات بينهما، المؤيد يطالب بالتنازل والمبايعة، وصاحب المنصورة يصر على تنفيذ تلك الشروط أولاً، وفي آخر الأمر كتب الأخير إلى المؤيد رسالة أهم ما جاء فيها: «إذا قد بنيتم على عدم فعل شيء مما شُرط عليكم كنتم على حالكم في البلاد التي قد أجابتكم، ونحن على حالنا في البلاد التي تحت أيدينا، ولنا النظر من بعد على ما اقتضاه نظرنا»[3].

ومن الطبيعي أن يرفض المؤيد هذا العرض، إذ إن ذلك يعني موافقته على أن يكون

---

(١) النص، جـ٣، ق١٤١أ.

(٢) النص، نفس الجزء، ق٣٨ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق٤١أ-٤١ب.

محمد بن أحمد إماماً في منطقته، التي كانت حينذاك أهم وأغنى المناطق، وأنه في نهاية الأمر سيستمر في انتزاع المناطق الهامة الواحدة تلو الأخرى، ويصبح أقوى من ذي قبل، وينتزع الإمامة من المؤيد، لذلك اهتم الأخير بجمع القضاة والأعيان ليستشيرهم في الأمر، فأشار عليه البعض بضرورة محاربة صاحب المنصورة والحد من نفوذه، والبعض الآخر أشار عليه أن يجعل له جميع المناطق التي كانت تابعة له من قبل، وكذلك المناطق التي استولى عليها فيما بعد، وأن يكون مسؤولاً عن جميع بلاد المشرق.

غير أن صاحب المنصورة كان قد حصل على كل ذلك بالقوة، ولم يكن بحاجة إلى موافقة المؤيد أو إعطائه إياها؛ لأنها أساساً أصبحت تابعة له، أما يافع فإنها منطقة لم تعد تابعة لأحد من آل القاسم، حيث كان أهل يافع قد طردوا الولاة، محاولين الاستقلال عن الدولة القاسمية[1]، كما سنرى لاحقاً.

وعلى الرغم من أن صاحب المنصورة ما زال أمره يقوى يوماً بعد يوم، إلا أن الإمام المؤيد اضطر أن يرسل إليه بعضاً من آل القاسم لمواجهته، وإرغامه على التنازل للمؤيد ومبايعته، فبدأ الحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم بالتحرك من دمت إلى بلاد الجند، كما اتجه إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن إلى «ذي شرق» بمن معه، وأصبح كل واحد منهم مستعداً للحرب، وكتب الإمام المؤيد إلى أخيه الحسن بن المتوكل صاحب اللحية أن يجمع جنوده ويتجه إلى بيت الفقيه، غير أن موقف المؤيد كان ضعيفاً، حيث كان كثير من الجنود منقادين ومتعاطفين مع صاحب المنصورة؛ لأنهم كانوا تابعين لوالده الإمام المهدي، فنجد مثلاً عندما كتب المؤيد إلى حراز يأمرهم أن ينضموا إلى أخيه الحسن ويقصدون بيت الفقيه امتنع أكثر أهل حراز، كذلك إسحاق بن المهدي، الذي أُرسل لمواجهة أخيه محمد كان معظم جنده قلوبهم مع صاحب المنصورة «لإحسان والده عليهم»[2]، وصرح مشائخ الرحبة وهمدان للمؤيد بأنه إذا كان يريد دخول يافع فهم معه مناصرين ومؤيدين، وإن كان يريد محاربة محمد بن أحمد بن

(١) النص، جـ٣، ق١٤١ب.

(٢) النص، نفس الجزء، ق١٤٢أ.

الحسن فلا يمكنهم ذلك؛ لأنهم أتباع والده، وأظهر إبراهيم بن المهدي الميل إلى أخيه، فأصبح يكاتبه وأعانه بالجند والمال، وجهز مجموعة من الجند إلى منطقة حبيش للاستيلاء عليها، غير أنهم لم يتمكنوا من ذلك ثم استعد للتوجه إلى بلاد المخادر، وكلها تابعة لعلي بن المتوكل، ولم يتمكن من دخولها أيضاً[1].

لهذا كله أصبح المؤيد في موقف صعب وفي حيرة من أمره، فكان قد اقترح على صاحب المنصورة أن يبايعه أولاً بالإمامة، ومن ثم سينظر في الموافقة على شروطه، غير أن محمد بن المهدي لا يزال مصراً على تنفيذ شروطه تلك، وبذلك لم يكن أمام المؤيد إلا أحد أمرين: إما الموافقة على الشروط التي وضعها محمد بن المهدي، أو أن يتركه في مناطق ولايته على ما هو عليه، وأنها ستكون له سواءً بايع أم لم يبايع[2]، ولكي يتقي شر صاحب المنصورة كان لا بد من الموافقة على الشروط، فأرسل إليه برسالة فيها الموافقة على تلك الشروط، وأجاب عليه صاحب المنصورة برسالة مبايعاً له بالإمامة، مؤكداً على أنه لم يبايعه إلا بعد موافقته على شروطه.

ومن البديهي أن موافقة المؤيد على شروط صاحب المنصورة ستغضب كلاً من علي بن المتوكل والحسين بن الحسن بن القاسم؛ لأنه سيكون الضرر عليهما في ذلك وسبباً في إثارة فتنة أخرى، فبالنسبة للحسين بن الحسن فلأن المؤيد كان قد أعطى بلاد المشرق من يافع وغيرها لصاحب المنصورة، وعلى الرغم من أنها قد خرجت عن يد الحسين بن الحسن، إلا أنه لن يسمح أن يتولاها غيره، وأنه سيعمل على إعادتها إلى ولايته، وكان ما جاء في رسالته إلى المؤيد: «وما يصلح منك إلا المعونة على إرجاعها، وردها على حالها، وإن لم يكن منك ذلك فلا تتعرض لتوليتها»[3].

أما علي بن المتوكل فهو الآخر قد أرسل رسالة يعاتب فيها أخاه المؤيد، ويؤكد له أنه لن يُنفذ الشروط الخاصة بعزله عن ولايته، فاضطر المؤيد أن يجمع القضاة

(١) النص، ج٣، ق٤٣ب-٤٤أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق٤٢ب-٤٣أ.
(٣) النص، نفس الجزء، ق٤٦ب.

والحسين بن المهدي أحمد بن الحسن ليستشيرهم في الأمر، فأشار عليه البعض أن يرجع عن تلك الشروط، وأن يقر كلاً على بلاده، فاستحسن الرأي، غير أن الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن عارض ذلك قائلاً: «كيف ترجع في شيء قد وضعته وجهزته وقررته، وأمرتنا بوضع شهادة مثل ذلك للصنو محمد بن المهدي؟ فهذا لا ينبغي، وكذلك كان هذا رأي بعض القضاة»[1].

ومن الواضح أن الإمام المؤيد لم يكن يستطيع أن يتخذ قرارات حاسمة، ويحسم الموقف مثلما كان عليه والده المتوكل والإمام المهدي، بل نجده يجتمع مع القضاة والعلماء والأعيان ويتخذون قراراً، ثم لا يلبث أن ينقضه أو لا يقوم بتنفيذه، وقد أشار المؤرخ يحيى بن الحسين إلى ذلك بقوله: «وليت هو رأي لا يرجع فيه، ولكن متى عقد الرأي لم يتم، بل يرجع فيه وينقضي في الحال»[2].

أما الحسين بن الحسن وعلي بن المتوكل فقد تم تبادل الرسائل بينهما، وأنهما يد واحدة على محمد بن أحمد بن الحسن، وأنهما لن ينفذا شرط الإمام المؤيد في التخلي عن مناطق ولايتهما، وأن ذلك أمر محال، وسيكون بسببه العناد والخلاف، فلما علم المؤيد كتب إلى الحسين وعلي وصاحب المنصورة أنه يريد الاجتماع بهم في ذمار أو غيرها للاتفاق وترك الخلاف والشقاق[3]، لكن دون جدوى.

وعلى كل حال فإن الإمام المؤيد كان يبحث عن الاستقرار والأمن والاتفاق مع جميع آل القاسم وحاول تجنب الحروب والصراع على الإمامة بقدر مستطاعه، لكنه دفع ثمن ذلك، واستغلت مراكز القوى شخصيته تلك وميله إلى السلام ومداراته للكثير من تلك المراكز، فهي في آخر الأمر قد بايعته ووافقت على إمامته، بما فيها صاحب المنصورة، الذي كان آخر هذه المراكز، كما رأينا، غير أنه لم يكن للإمام المؤيد أي سلطة فعلية إلا على المناطق التي كانت تابعة له أيام ولايته السابقة.

---

(١) النص، ج٣، ق٤٦ب.

(٢) النص، نفس الجزء، ق٤٨أ.

(٣) النص، نفس الجزء، ق٤٨أ-٤٨ب.

أما بقية المناطق فقد توزعت بين مراكز القوى المتعددة من أبناء القاسم، التي كان أقواها صاحب المنصورة محمد بن أحمد بن الحسن، وكانت مناطق ولايته قد شملت الحجرية وجنوب تهامة حتى بيت الفقيه، كذلك علي بن المتوكل كانت له المناطق الجنوبية الواقعة بين ذمار وتعز، وهو ما عرف باليمن الأسفل، والحسين بن الحسن كانت ولايته ممتدة من رداع وما إليها من المناطق الشرقية حتى حضرموت، وعلي بن أحمد كانت له ولاية صعدة وما إليها من المناطق الشمالية، والأمير الناصر بن عبد الرب في كوكبان وما إليها.

هذا بالإضافة إلى أن إسحاق بن المهدي استقر في ذي أشرق، واستولى على عائدات بعض المناطق المجاورة حتى ينفق على جنده، وأخوه إبراهيم بن المهدي كذلك استقر في يريم وتصرف فيها، ومحمد بن المهدي أحمد بن الحسن أرسل (أبا ريحان) على رأس مجموعة من الجند لاستلام ربع المخا، حسب موافقة الإمام المؤيد في شروطه[1].

أما بلاد العدين، والتي كانت أهم مناطق اليمن الأسفل وأخصبها فقد استقر فيها عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن، فأخذ النصف من عائداتها، قائلاً: إن الإمام المؤيد هو الذي جعل له النصف من عائداتها والنصف الآخر أرسله إلى المؤيد، فلما وصل النصف الخاص بالمؤيد إلى يريم، وقدره ثلاثة آلاف[2]، استولى عليه إبراهيم بن المهدي أحمد بن الحسن، وقال: إن الإمام المؤيد قد قرر له ذلك المبلغ لأتباعه. وعلى حد تعبير المؤرخ يحيى بن الحسين، حيث يقول: «فانخلعت يد محمد من فائدة العدين، وبقي في صنعاء صفر اليدين»[3].

وخلت يد الإمام المؤيد عن جميع اليمن الأسفل بالمرة، ولم يبق له فيه إلا مجرد الخطبة. وصار في أشد الحاجة إلى الأموال، وخلت خزائنه، ولم يبق له من البلاد إلا ما كان له أيام والده، بل إنه قد خرج من يده بعض مناطق ولايته مثل: بلاد حراز أعطاها

(١) النص، جـ٣، ق٥٠أ.

(٢) هكذا وردت، ولعلها ثلاثة آلاف قرش. وهي العملة المستخدمة.

(٣) النص، نفس الجزء، ق٥٠ب.

لأحمد بن محمد بن الحسين، وبلاد ثلا أعطاها لأخيه القاسم بن المتوكل[1].

وهكذا وصلت الأحوال في عهد الإمام المؤيد بأنه لم يبق له سلطة فعلية في كثير من مناطق اليمن عدا الخطبة والاسم، ولم يبق معه إلا أقل مما كان في زمن والده من عائدات بعض مناطق ولايته السابقة. «وكثر الاشتراك في المملكة، بسبب الضعف واختلاف الكلمة»[2]، ومن البديهي أن تفتيت أراضي الدولة بهذه الطريقة كان من أهم أسبابها ضعف شخصية الإمام المؤيد وزهده والطيبة التي تمتع بها، مما جعل معظم الولاة كأنهم مستقلون في ولاياتهم، ولا ينفذون للإمام أمراً ولا نهياً فيها.

وبعد أن بذل المؤيد للكثير من أبناء القاسم ما طلبوه من الولايات، واستقرت دولته، ووافق الجميع على إمامته رأى أن يغادر صنعاء مركز ولايته السابقة، متجهاً إلى ضوران، فغادرها يوم الخميس ١٩رجب (١٠٩٣هـ[3]/ ٢٣يوليو ١٦٨٢م)، حيث أشرف على اختطاط مدينة معبر بقاع جهران، على بعد ٦٨كم، جنوب صنعاء وبها أمضى السنوات القليلة من حكمه[4]، وعين أخاه زيد بن المتوكل الذي كان في ضوران والياً على صنعاء

موقف الإمام المؤيد من تمرد بعض المناطق الشرقية

إن ضعف مركزية الدولة، وتراجع هيبتها، خاصة في اليمن الأسفل والمناطق الشرقية والجنوبية من البلاد[5]، مع ما كانت تعانيه من جور الولاة، وفرض المزيد من الضرائب جعل بعض تلك المناطق تعلن خروجها عن سلطة الدولة القاسمية، وتثور ضد هؤلاء الولاة.

---

(١) النص، ج٣، ق٥٠أ.

(٢) النص، نفس الجزء، ق٥٠ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق٥٣ب.

(٤) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص٨٣.

(٥) نفس المرجع، نفس الصفحة.

ولعل أخطر ما واجهه الإمام المؤيد في السنة التالية من حكمه هو طرد قبائل يافع للعامل، والعصيان لأوامر السلطة المركزية التي يمثلها والي منطقته الأمير الحسين بن الحسن بن القاسم، ومركزه في رداع[1].

فلماذا ثارت يافع ضد الدولة القاسمية؟ وما رد فعل محمد بن المتوكل؟ وموقف بقية الولاة من آل القاسم حينذاك؟ وهل كانت الظروف مساعدة للدولة لتعيد يافع مرة أخرى إلى سلطتها؟

كانت يافع قد استاءت كثيراً من صلاح بن مسمار، الذي عينه الحسين بن الحسن بن القاسم عاملاً لتلك المنطقة، فاضطر بعض مشائخها أن يكتبوا للإمام المؤيد يشرحون له سوء معاملة العامل صلاح بن مسمار وجوره في فرض الضرائب المختلفة على بلادهم، وأنهم لن يصبروا على ذلك الظلم. وطلبوا منه عزله وعزل حسين بن الحسن صاحب رداع، الذي كانت يافع تابعة لولايته[2].

ويرى أبو طالب بأن صاحب المنصورة هو الذي حرض يافع أن تثور ضد الحسين بن الحسن بسبب الضغائن التي بينه وبين الحسين، لكنه مثل سائر المؤرخين يرى بأن الحسين هو السبب في تمرد يافع، حيث اشتدت وطأته على المشرق، وولَّى عليهم صلاح بن مسمار، الذي جار عليهم وظلمهم كثيراً[3].

ومهما كانت الأسباب فقد قام الشيخ معوضة بن العفيف بالهجوم على مقر عامل الدولة وطرده منها، ورفض الانصياع لأوامر الدولة[4]. ولما علم الحسين بن الحسن -الذي كان يدير تلك المناطق من مركز ولايته في رداع- كتب إلى الحسين بن أحمد بن الحسن بأنه يريد المساعدة بسبب تمرد يافع، وطرد عامله منها، وكان الإمام المؤيد في السودة، وكان يعلم بأن السبب في تمرد يافع هو الظلم والجور الذي وقع عليهم من قبل العمال الذين كان يرسلهم الحسين، وكذلك من الحسين نفسه، لذلك نجده يرفض

(١) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص٨٣-٨٤.
(٢) النص، ج٣، ق٣٥أ.
(٣) أبو طالب: السحر المبين، مخطوط، ق٦أ-٦ب.
(٤) نفس المصدر، ق٧أ-٨ب.

إرسال النجدة أو المساعدة للحسين، وقال لا بد أولاً أن يراسل يافع، ليعلم منهم ما سبب تمردهم، ويحاول إرضاءهم، وتهدئة الوضع.

فكتب الإمام المؤيد ليافع قائلاً: «إذا كان مرادكم بتحويل الوالي، وأنه غير صالح، وجائر في مطالبكم عُزل، وهو الفقيه الملقب مسمار الأهنومي، وَوُلي واحد يكون واسطة بينكم وبين حسين بن حسن، وإن لم تطيعوا أمْرنا جهزنا عليكم»[1]. غير أن يافع كانت قد ثارت ضد العامل مسمار الأهنومي، وكذلك ضد أحد أبناء الحسين بن الحسن، الذي كان والده قد أرسله على رأس حملة عسكرية لمحاربتهم، فحاصروه، وكان الحسين بن الحسن يحاول إرسال النجدات إلى يافع الواحدة تلو الأخرى، لإعادتها تحت سيطرته، لكن دون جدوى، فقد حدثت حروب بين الطرفين كانت الغلبة فيها دائماً ليافع، على الرغم من أنه كان يقتل منهم الكثير، لكنهم هذه المرة كانوا مُصّرين على التخلص من سيطرة الدولة القاسمية عليهم، وعلى حد تعبير يحيى بن الحسين: «فلما أغار ولد حسين بن الحسن بمن معه من العسكر، وكانوا نحو سبعمائة أقبلت يافع كالجراد، وقد تعاقدوا على الحملة عليهم إلى البيوت التي سكنوها في مسجد النور، ولا يبالوا بالرصاص، ولا بمن قُتل من الناس»[2]. وقتل من يافع حوالي خمسون لكنهم لم يبالوا بذلك، «وأخرجوهم من يافع لا يألون على شيء إلا السلامة لمن بقي منهم»[3].

وكان نجاح ابن العفيف في التخلص من ولاة الدولة القاسمية وسيطرتها عليهم حافزاً لبقية يافع والمناطق الأخرى المجاورة للاستقلال وطرد الولاة، فثارت جميع البلاد اليافعية وما خلفها من نجد السلف إلى أقصى حضرموت. وعقب ذلك تمرد بلاد الرصاص، وقاموا بنهب المنازل التي في البيضاء، بما في ذلك المنزل الخاص بالحسين بن الحسن[4]، بينما الأخير لا يزال مستمراً في المكاتبة للمؤيد يطلب منه النجدة والمساعدة

(١) النص، جـ٣، ٢٦أ.

(٢) النص، نفس الجزء، ق٢٩ب.

(٣) النص، نفس الجزء والورقة.

(٤) النص، نفس الجزء، ق٢٩ب.

لاستعادة المناطق المتمردة، بعد أن تعذر عليه ذلك وخرجت عن سيطرته، وشرح الحروب التي دارت بينه وبينهم، وأنه قد أصبح محاصراً، فاضطر الإمام المؤيد أن يرسل إليه أخاه الحسين بن المتوكل في نصف شهر شوال سنة (١٠٩٢هـ/ أواخر أكتوبر ١٦٨١م).

كما أمر عسكر الحيمة بالتوجه إليه لمساعدته وأمر أيضاً بعض قادته بالتوجه إلى رداع من أجل ذلك[١].

غير أن الإمام المؤيد في هذه الفترة لم يتمكن من أخذ قرار حاسم لتوجيه الجيوش أو إصدار الأوامر للولاة بإعداد جيوشهم لأسباب سنذكرها لاحقاً، لذلك فإن النجدات البسيطة التي كان يرسلها المؤيد إلى الحسين لم تجد نفعاً، حتى إن الحسين عندما أيقن بعدم مقدرته على محاربة ابن العفيف بعد معركة خاسرة معهم اضطر أن يخاطبهم بالسماح له بالخروج، وطلب الأمان، فأعطاه ابن العفيف الأمان، وخرج الحسين ليلاً خوفاً من قبائل الرصاص متجهاً إلى مقر ولايته رداع. «وفرغت جميع البلاد المشرقية لأهلها، وزالت دولته عنها»[٢].

ولما رأت القبائل المجاروة ما حدث للدولة القاسمية في يافع والبيضاء من هزائم متكررة، وأنها لم تعد بتلك القوة والسطوة التي كانت عليها في عهد الإمام المتوكل والإمام المهدي أحمد بن الحسن تجرأت على نهب بعض المناطق التابعة للدولة[٣]، ليس ذلك فحسب، بل إن زعماء بعض تلك المناطق أصروا على عدم إرسال أي مطالب للدولة القاسمية، وأنهم لم يعودوا ملزمين بدفع شيء من ذلك.

فنجد في شهر الحجة من عام (١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م) أن الرصَّاص الذي كان قد وصل إليه كتاب من الإمام المؤيد يطلب منه الطاعة وترك الخلاف، أجاب عليه بأن «حسين بن الحسن قد خرج من بلاد يافع ومن بلادنا، ولم نتعرضه في طريقه، بل خرج

(١) النص، ج٣، ق٢٦ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق٣٣أ.
(٣) النص، نفس الجزء، ق٣٦ب.

محملاً، ومن الآن ما بقي إلى بلادنا سبيل في مطلبة ولا زكاة ولا شيء مما كان، فلا يصل إلينا أحد، ومن وصل دافعناه وأخرجناه؛ لأنه صار يحصل من الولاة الجور في البلاد. وأما إذا مطلبكم الخطبة فعلناها لكم، وأن الولاية لنا في بلادنا»[1]، فاضطر المؤيد إلى محاولة مدارات الرصاص بالطرق السلمية، وأرسل إليه من ضوران الشيخ جعفر بن علي للإصلاح[2].

وقد تضافرت أسباب عدة أدت في نهاية الأمر إلى خروج الكثير من المناطق الشرقية والجنوبية عن سيطرة الدولة القاسمية، لعل أهمها:

١- شدة الوطأة والجور من الولاة الذين كانوا يديرون هذه المناطق، خاصة في يافع، وكان الجور الواقع عليهم منذ الفترة السابقة للمؤيد، وأنهم قد عانوا من الحسين بن الحسن وعماله الكثير من الظلم والجور، وأنهم قد شكوا ذلك إلى الإمام المهدي أحمد بن الحسن، وليس أدل على ذلك ما أجابت به يافع على الرسول الذي أرسله الإمام المؤيد إليها في نهاية عام (١٠٩٣هـ/ نهاية عام١٦٨٢م) بأنها مستعدة لتسليم ما عليها من واجبات بشرط أن لا يتولاهم الحسين بن الحسن، وأن بلادهم لهم. كما وصل كتاب من ابن العفيف سنة (١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م) بعد هزيمة جيش الدولة القاسمية هناك، كان أهم ما جاء فيه: «إنا لو عرفنا منكم من الإنصاف ما حاربنا ولا جرى منا شيء، وأنتم قبلتنا. والقصد إنا مطيعون لله ولكم، مُسَلِّمون الحقوق الواجبة إلى من رأيتم غير سيدي الحسين بن الحسن، خاطبين لكم. ونحن مُسْلِمون ما يجوز لكم محاربتنا»[3].

٢- ما تعرضت له الدولة القاسمية من خلل، نتيجة لعدم الاتفاق بين الإمام المؤيد وبعض معارضيه في الإمامة من آل القاسم، فعمت الفوضى والاضطرابات، وما زاد من تلك الفوضى عدم وصول المؤيد إلى اتفاق مع صاحب المنصورة محمد بن

---

(١) النص، جـ٣، ق٣٧أ-٣٧ب.

(٢) النص، نفس الجزء، ق٥٩أ.

(٣) النص، نفس الجزء، ق٦٨أ.

المهدي، الذي كان يعد من أهم مراكز القوى حينذاك، وكان قد قويت شوكته، كما سبق أن رأينا، وبالتالي كان ذلك سبباً في ضعف موقف الإمام المؤيد، وتراجع هيبته أمام القبائل المختلفة، وقد أشار يحيى بن الحسين إلى ذلك بعبارة هامة، حيث قال: «ما دام المؤيد وصاحب المنصورة غير مجتمعين في رأي ولا متفقين في أفعالهم وأقوالهم فلا يكاد يتم للمؤيد أمر في هذه القبائل المخالفة؛ لأنهم صاروا يتقوون بذلك»[(١)].

٣- لم نعد نرى في فترة الإمام المؤيد ذلك التعاون والتآزر الذي كان سائداً أيام الإمام المتوكل إسماعيل، فكان الجميع ملتفاً حول الإمام، أما الآن في هذه الفترة فكان كل واحد من مراكز القوى لا هم له إلا تقوية نفسه في مناطق ولايته، كما ظهر الخلاف فيما بينهم فنجد مثلاً حدث خلاف بين الحسين بن الحسن وابن أخيه صاحب المنصورة، حتى قيل إن الأخير هو المحرض الأول ليافع لتثور ضد عمه الحسين، وكان عوناً لها، كما أرسل الرسائل إلى الإمام المؤيد يذكر له فيها صلاح المشرق، وأنهم مُسلِّمون الواجبات، ويخطبون الخطبة، ولا يجري منهم تعرض لطريق أو غير ذلك، وإنما شرطهم الوحيد أن يُعزل الحسين بن الحسن عن ولاية بلادهم[(٢)]، كما نشب خلاف أيضاً بين علي بن المتوكل وصاحب المنصورة محمد بن المهدي، واستمر طويلاً، ومن البديهي أن مراكز القوى هذه لن تجتمع وتتفق على هدف واحد والخلافات مستمرة بينها، وقد عبر يحيى بن الحسين عن ذلك بقوله: «فتثاقلت الغواير، وقلوبهم مختلفة، الرؤساء يقولون: وما لهم من مصلحة في هذه الحركة، فإن تلك البلاد لحسين بن حسن، ونفعها وضررها له»[(٣)].

٤- ضعف شخصية الإمام المؤيد، وقلة ما في يده من المال، لذلك لم يتمكن من إلزام مراكز القوى بتنفيذ ما كان يأمر به، واستولت على عائدات مناطق ولاياتها ولم تعد

---

(١) النص، ج٣، ق٦٨ب.

(٢) النص، نفس الجزء، ق٥٣أ-٥٣ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق٢٧ب.

ترسل له ما يجب عليها إرساله من الأموال، حتى إن خزائنه خلت من الأموال. ومع أن الإمام المؤيد لم يكن يرضى بجور الولاة وشدة وطأتهم، إلا أنه لم يكن له أثر في ولاته أصلاً، ولم يهتموا بأوامره، أو يحاولوا تنفيذ بعضها[(١)].

وعلى الرغم من تلك العوائق لاستعادة هيبة الدولة على المناطق المتمردة فإن الإمام المؤيد رأى أن خروج يافع وتمردها كان سبباً أو مبرراً لتمرد الكثير من المناطق الأخرى، وخروجها عن سيطرتها، لذلك فلا بد من إخضاع يافع بالقوة لتكون عبرة لغيرها، فكتب إلى إخوته وأبناء عمومته بالاستعداد للخروج إلى يافع، فكان جواب معظمهم أنه لا ينبغي الاستعجال؛ لأن ذلك يحتاج إلى الكثير من الجنود والأموال والسلاح، لكنه أصر على ذلك، وأقنعهم بضرورة الخروج لمحاربة يافع، فبدأ الولاة من آل القاسم بالاستعداد، وكان الإمام المؤيد قد أعد ما لديه من جند في قاع بكيل، والحسين بن المهدي أحمد بن الحسن استعد خارج الغراس، والحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم خارج عمران، والحسين بن الحسن في رداع، وعلي بن المتوكل باليمن الأسفل[(٢)]، والحسين بن المتوكل اتجه بجنوده إلى الزهراء[(٣)]، وكذلك أحمد بن محمد بن الحسين بن القاسم، وصاحب كوكبان الحسين بن عبد القادر.

ومن البديهي أن يكون المستفيد الأول من هذه الجموع هو الحسين بن الحسن بن القاسم، الذي كان قد اتجه إلى ضوران ليحرض الإمام المؤيد بسرعة الإعداد لهذه الحملة، واضطر الجميع إلى المشاركة في هذه الحملة عدا صاحب المنصورة محمد بن المهدي أحمد بن الحسن، الذي لم يرسل جنوداً ولا أموالاً ولا أسلحة. وقد برر عدم مشاركته في حرب يافع تبريراً واهياً، عندما أرسل إليه رسالة يعاتبه لعدم مشاركته في ذلك، فأجاب بأنه لم يؤمر بذلك، ولا وصل إليه كتاب بالسير إلى هنالك. واقترح على المؤيد بأن استعادة المشرق سيكون سهلاً عليه إذا جعله المؤيد تابعاً لولايته بدلاً عن

(١) النص، ج٣، ق٦٨أ.

(٢) النص، نفس الجزء، ق٥٧ب.

(٣) أبو طالب: السحر المبين، مخطوط، ق٩أ.

عمه الحسين بن الحسن، فوافق المؤيد على ذلك، ولكن بشرط وصول ابن صاحب المنصورة إليه، ويكون التوجه إلى يافع من عنده، غير أنه لم يتم شيء من ذلك بسبب انشغال صاحب المنصورة بتمرد قبائل الحجرية ومحاصرتهم له[١].

ومهما يكن الأمر فقد اجتمعت في ضوران لدى الإمام قدر اثني عشر ألفاً من الجنود والقادة، وحثهم الإمام على الجهاد، وما صدر من أهل المشرق من الخلاف، ومنع الحقوق الواجبة[٢]، وأسند قيادة الجيش إلى الحسين بن أحمد بن الحسن، الذي تقدم إلى رداع، ثم إلى الزهراء، وكتب إلى يافع، يطلب منهم إعلان الطاعة للإمام والدولة، فأجابوا بأنهم مصرون على الحرب، وانضم إليهم قبائل المناطق المجاورة، فاجتمعت يافع جميعاً، وبلاد ابن شعفل، والحواشب، وأكثر بلاد الرصاص، والحميقاني، وبلاد دثينة، حتى كانوا أكثر من عشرين ألف[٣]. واستعدت جميعها لمواجهة جيش الدولة القاسمية في جبل (العر)، وهو من الجبال المنيعة في يافع.

وتقدم الحسين بن أحمد بن الحسن إلى العر في ربيع الأول سنة (١٠٩٤هـ/ مارس١٦٨٣م) وحدثت معركة حاسمة، لن ندخل في تفاصيلها، هُزم فيها جيش الدولة القاسمية، وتكبد الكثير من الخسائر، وكان من بين القتلى أحمد بن محمد بن الحسين بن القاسم[٤]، ولم يسعهم في آخر الأمر إلا أن يخوضوا في الصلح مع ابن العفيف، الذي وافق على أن يعودوا بلادهم، بشرط ترك أسلحتهم، فاقترح عليه الحسين بن المهدي أحمد بن الحسن أن يسلموا عوضاً عنها أموالاً، وسلم له أربعة عشر ألفاً، فأعطاهم ابن العفيف الأمان[٥].

وكان للهزيمة التي منيت بها قوات الدولة القاسمية في يافع أثر في تغير الأوضاع، وقلب الموازين، حيث أصبحت الدولة القاسمية تخشى مواجهة تلك القبائل خوفاً من

---

(١) النص، ج٣، ق٧٠أ.

(٢) ابن عامر: بُغية المريد، مخطوط، ق٢٧٨.

(٣) نفس المصدر، ق٢٧٧-٣٧٨.

(٤) أبو طالب: السحر المبين، مخطوط، ق١٠أ.

(٥) النص، نفس الجزء، ق٦٦أ.

الهزيمة، وتدهور موقفها أمام القبائل الأخرى. كما أنها شجعت قبائل المناطق الأخرى على إعلان استقلالها عن الدولة القاسمية، والاستعداد للمواجهة -كما سنرى لاحقاً- لذلك نجد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل يحاول استمالة تلك المناطق بالطرق السلمية، وإظهار النية الحسنة للدولة، فأرسل الرسائل إلى ابن العفيف والرصَّاص يطلب منهما الاتفاق بالطرق السلمية. وأن هذه المناطق لا بد أن تبقى تابعة للدولة القاسمية ومطيعة لها.

ولعله كان من الأفضل للإمام المؤيد في ظل هذه الظروف التي جعلته غير متمكن من السيطرة على ولاته ومشائخ تلك المناطق أن يعطيهم حكماً ذاتياً مع اعترافهم السابق بالدولة القاسمية، إلا أنه ربما كان يرى بأن ذلك سيقلل من هيبته وهيبة دولته، خاصة أن تلك المناطق كانت في عهد الإمامين المتوكل والمهدي أحمد بن الحسن تابعة للدولة، أو أنه نتيجة للضغوط من الحسين بن الحسن والي تلك المنطقة لإعادتها تحت سيطرة الدولة، أو أنه خشي أن يكون ذلك حافزاً لخروج المناطق الأخرى عن سيطرة الدولة.

ومهما كان الأمر فإنه بعد استمرار المراسلات بين الدولة ومشائخ تلك المناطق تم الاتفاق إلى أن يصل إلى قعطبة عدد من مشائخ يافع لمقابلة علي بن المتوكل، وعقد الصلح بين الطرفين. وكان وصولهم في منتصف شهر شعبان سنة (١٠٩٤هـ/ أوائل أغسطس ١٦٨٣م). وقد اشترطوا أن البلاد لابن العفيف، وأنه لا يدخل بلادهم أحد من الولاة، على أن يسلموا الواجبات التي عليهم، ويرسلونها إلى الدولة من دون ولاة ولا واسطة عليهم، واشترط عليهم علي بن المتوكل إصلاح الطرق، وسكون ثائرة الفتنة، وأنه لا بد من ضمانات لتنفيذ ما توصلوا إليه[١].

وأرسل ابن العفيف إلى الإمام الشيخ عبد الغفور شيبان لإكمال الاتفاق معه في ضوران[٢]، ثم أرسل ابن العفيف إلى الإمام ثلاثة من الخيول، وثلاثة ألف درهم،

---

(١) النص، جـ٣، ق٨٣ب-٨٤أ.

(٢) النص، نفس الجزء، ق٨٣ب.

مقابل زكاة الفطر في بلاده[1]، وإذا أخذنا بالظاهر فإن ابن العفيف قد وافق على طاعته للإمام، وأنه سيرسل ما عليه من واجبات للدولة القاسمية، ولكن كذبت الأحداث بعد ذلك، ولم يرسل شيئاً من المطالب المفروضة عليه، لذلك نجد المؤيد يقرر إعادة الكرة لدخول يافع، ولعله قد اتخذ من زواج ابن العفيف شيخ يافع من زوجة مسمار الأهنومي، الذي كان والياً عليها مبرراً لدخوله إليها، وقال: هذا منكر يجب النهي عنه، وكتب إلى الولاة يطلب منهم الاستعداد بالمال والرجال لحرب قبائل ابن العفيف ومن تحالف معها، غير أن حماسه لم يلبث أن يقل.

وعلى الرغم من أن المؤرخ يحيى بن الحسين انتقد الإمام المؤيد بأنه لم يتخذ قراراً حاسماً في شأن يافع فيقول: «لا هو الذي تغافل عنها إلى طرف، ولا هو الذي قصدها وأجد في الإقدام والبذل للخزائن وتحريض الرجال، ولا عرف الطرق التي يصلح منها المداخل»[2]. غير أنه من المرجح أن سبب عدم اتخاذه قراراً حاسماً وتردده، هو ما كانت تعانيه دولته من خلل وتراكمات أثرت على تنفيذ تلك القرارات، وقد أشار المؤرخ يحيى بن الحسين نفسه إلى شيء من ذلك الخلل بقوله: «وبني عمه في طرفي نقيض، والناس أقرب إلى الملل من دخول المشرق»[3]. هذا إلى جانب أن علي بن المتوكل كان معارضاً لحرب يافع، فأرسل إلى أخيه المؤيد رسالة طويلة يحذره من مغبة الحرب ضد يافع، وأنها ستكون خاسرة والرأي سد هذا الباب، والانشغال بما هو أهم، ومتى وجد القدرة والقوة على محاربتهم وكان هناك سبب واضح فليكن[4]، ثم تقدم إليه في ضوران وذكَّره ما تم بينه وبينهم من اتفاق، وأن المؤيد وقع على ذلك الاتفاق بنفسه[5].

وكان المؤيد على ما يبدو محتاراً في أمر يافع، فإن أرسل إليها القوات فهو يخشى الهزيمة والخسارة، وإن تركها ستتمادى ويكون ذلك سبباً في تمرد المناطق الأخرى، غير

(١) النص، ج٣، ق٩٨ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق٩٣ب.
(٣) النص، نفس الجزء، نفس الورقة.
(٤) أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١٤-١٥.
(٥) النص،نفس الجزء، ق١٠٣ب.

أن الكثير ممن كان يستشيرهم كانوا يشيرون عليه بترك الدخول إلى يافع، ومن هؤلاء المؤرخ يحيى بن الحسين، الذي أرسل إليه رسالة ينصحه بشأن يافع، مما جاء فيها: «إن الأولى ترك يافع والإعراض عنه؛ لأن أعماله تحتاج إلى مصابرة، وخزائن قارونية، وعساكر خاقانية»[1]. ثم سرد ما جرى في يافع من أحداث منذ بداية التاريخ الحديث، وأنهم كانوا يرفضون السيطرة عليهم وأخضاعهم منذ أيام الإمام شرف الدين حتى هذه الفترة[2].

وأمام تلك التناقضات والاختلافات حول دخول يافع مرة أخرى أو عدم الدخول لم يتمكن الإمام المؤيد من الإعداد لحملة عسكرية قادرة على الدخول إلى يافع، وإخضاعها لسلطة الدولة، لذلك لا بد أن يتراجع عن التفكير في توجيه قوة عسكرية إلى هناك.

وفي الحقيقة إن الضعف الذي أصاب مركز الدولة كان سبباً في زيادة قوة المناطق المتمردة، وعلى رأسها يافع التي بدأت تعتدي على بعض المناطق التابعة للدولة القاسمية، فاستولت على سوق بقار في حدود الدمنة وقعطبة، كما تحالفت مع ابن شعفل، وأمنوا طريقهم إلى جهات عدن[3].

وعلى كلٍ فإن الانقسامات والنزاع بين بعض مراكز القوى والإمام من جهة، وبين بعض مراكز القوى مع البعض الآخر، والاختلالات التي حدثت نتيجة لذلك كان له تأثير سلبي على الإمام المؤيد. وكان خلافه مع أخيه علي بن المتوكل بسبب يافع مجرد القشة التي قصمت ظهر البعير، فلم يكن منه إلا أن عقد العزم على التنازل عن الإمامة في (١٠٩٦هـ/ ١٦٨٥م)، غير أن وفاة علي بن المتوكل المفاجئ كان سبباً في تأجيل استقالته تلك. ولم يلبث أن توفي بعد أخيه علي في جمادى الآخرة سنة (١٠٩٧هـ/ إبريل١٦٨٦م).

---

(١) النص، ج٣، ق١٠٣ب-١٠٤أ.
(٢) النص، نفس الجزء، نفس الورقة.
(٣) النص، نفس الجزء، ق١١٥ب.

ولا نستطيع أن ننكر أنه برغم الخلاف الذي حدث بين الأخوين، إلا أن علياً كان عوناً لأخيه الإمام المؤيد منذ إعلان إمامته، حيث تنازل له عن الإمامة، وكان سنداً له ضد باقي مراكز القوى من آل القاسم، وليس أدل على ذلك إلا ما ذكره ابن عامر، حيث يقول: «والإمام المؤيد كان يعهده لمهماته، ولما توفي رَكَّ جانب الإمام، لا سيما من صولة بني عمه أينما كانوا»[1].

ومهما يكن الأمر فإن سلطة الدولة القاسمية وهيبتها في كثير من المناطق اليمنية قد ضعفت، ففي شوال سنة (١٠٩٣هـ/ أكتوبر١٦٨٢م) استولى علي بن بدر الكثيري صاحب حضرموت على بندر الشحر، وطرد عنه الوالي، وفي أول شهر القعدة سنة (١٠٩٣هـ/ أواخر أكتوبر١٦٨٢م) نهبت القبائل أبين، وتصرفوا فيه بالنهي والأمر، وانقطعت طريق عدن[2]، وامتنعت العدين عن تسليم ما عليها من مطالب للدولة لما قد نالها من الجور منذ عهد الإمام المتوكل، ولم تتمكن من عمل شيء بسبب قوة الدولة واجتماع الكلمة، ولكن عندما رأت في هذه المدة أن الدولة قد تفرقت آراؤها واختلفت أنظارها تمردت ورفضت الانصياع لأوامرها، وقامت بقتل عشرة من جند الدولة، وخاف منهم والي العدين عبدالله بن يحيى بن محمد بن الحسن، ولم يعد يطالبهم دفع ما عليهم من واجبات للدولة[3].

أما المناطق الشمالية فقد استمرت القبائل في عمليات الغزو وتعرضت الطرق هناك لأعمال السلب والنهب أكثر من ذي قبل، خاصة من قبائل دهمة التي استغلت هذه الظروف.

وكان أكثر تلك التمردات تأثيراً على استقرار الدولة بعد هزيمتها في يافع هي تلك الثورة التي شهدتها الحجرية، فاشتدت الحرب بينهم وبين صاحب المنصورة محمد بن أحمد بن الحسن ثلاثة أيام خارج المنصورة، هُزم فيها الأخير ونهبوا خيامه ومحطته،

(١) ابن عامر: بُغية المريد، مخطوط، ق٤٢٠.
(٢) النص، جـ٣، ق٥٧أ-٥٧ب.
(٣) النص، نفس الجزء، ق٨١ب.

وعاد إلى المنصورة مهزوماً، وقد قُتل عدد من جنوده، وفي خلال تلك الحرب التي جرت كانت الحجرية قد طردت عمال صاحب المنصورة، وقتلوا بعض جنوده، ثم استولوا على الدمنة والجند والزيلعي، وقد امتد التمرد عليه من باب عدن من الصبيحة والحواشب إلى باب تعز، وكان المحرض لهم رجل صوفي يقال له علي بن حسين الرجبي، فأرسل إليه صاحب المنصورة الجنود، غير أنهم لم يتمكنوا من عمل شيء، وقتل الحجريون أكثرهم[1].

ويشير يحيى بن الحسين إلى أن الذي دفع الحجرية إلى ذلك هو شدة وطأة الولاة والعمال منذ عهد الإمام المتوكل، والآن عندما سمعوا ما حدث في يافع كان دافعاً لهم على التمرد، ومحاولة الخروج على الدولة. ثم يؤكد بأنه لولا موقع الحجرية في وسط اليمن لكانت شوكتهم أعظم من يافع، وأنهم لا زالوا يتمردون ويخرجون على الدولة كلما شعروا بضعفها أو اختلاف مراكز القوى مع بعضها[2].

وقد حاول الإمام المؤيد باعتباره في قمة الهرم لهذه الدولة-وإن كان ذلك اسماً فقط-أن ينهي تلك الثورة؛ لأنها ستزيد من زعزعة الأمن وعدم الاستقرار على الرغم من أن العلاقة بينه وبين صاحب المنصورة لم يكن يسودها الوئام، كما سبق أن رأينا، فكتب إلى فقهائهم ليعرف ما سبب الخلاف ويسعى في الصلح، فأجابوا عليه بأن السبب الجور في المطالب، وأنه طال بهم الصبر على ذلك حتى بلغت القلوب الحناجر، وأنهم لما عرفوا عدم اجتماع الكلمة بينه وبين صاحب المنصورة، وتأكد لهم أن الشكوى لن يكون لها تأثير، وأن المؤيد لن يتمكن من معاقبته أو عزله؛ لأنه دولة قائمة بذاتها مستقلة بنفسها. وهم يعذرون المؤيد لعدم نفاذ أمره لدى صاحب المنصورة، لذلك فهم يدافعون عن أموالهم وأنفسهم، وإزالة صاحب المنصورة عنهم[3].

ولما وصلت هذه الرسالة المعبرة عن موقف أهالي الحجرية، والمؤيد معروف عنه

---

(١) أبو طالب: السحر المبين، مخطوط، ق٧.

(٢) النص، جـ٣، ق٧٠ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق٧٥أ-٧٥ب.

حبه لإصلاح ذات البين، وهو يعلم أيضاً جور صاحب المنصورة وشدة وطأته هو وعماله على تلك المناطق، فكتب إلى أحمد بن المؤيد هو في الجَنَد، حيث كان قد أرسله على رأس حملة عسكرية إلى هناك لنجدة صاحب المنصورة، كتب إليه أنه لا يدخل في حرب مع أهل الحجرية، ولا يفتك بهم، وأن يعيد ما أخذه منهم، وأن يسعى في الصلح فقط[1]. غير أن صاحب المنصورة تمكن من إخضاع هذه المناطق بالقوة.

وعلى كل فإنه على الرغم من المحاولات الكثيرة التي بذلها الإمام المؤيد لإصلاح الدولة إدارياً ومالياً، إلا أنه لم يتمكن من ذلك، فكان الولاة يتصرفون في ولاياتهم كما يشاؤون، وبما يرونه مناسباً لهم، فعمت الفوضى والاضطرابات، واستولى بعض الولاة على بعض المناطق التي كانت تتبع ولاة أو عمالاً آخرين معينين من الإمام. ولم يتمكن من إعادة تلك المناطق إلى ولاتها السابقين، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر السيد حسن بن مطهر الجرموزي والي المخا أصبح والياً بدلاً منه أبو ريحان، عينه محمد بن أحمد بن الحسن، كذلك العدين استولى عليها عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن من واليها جعفر بن مطهر الجرموزي، واستولى على حجة حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم من واليها السيد علي بن حسين جحاف، وأمثلة أخرى كثيرة[2]. وهذا دليل على أن أوامره لم تكن تُنفذ، وأصبح كل والي يتصرف في ولايته وكأنه إمام، وأصبح لديهم من الأموال ما هو أكثر من الإمام المؤيد نفسه، ولم يعودوا يرسلون إلى مركز الدولة ما عليهم من واجبات، على الرغم من المحاولات المتكررة من المؤيد بمطالبتهم بذلك، وأن خزانته أصبحت فارغة، بينما غيره من الولاة من آل القاسم أصبحوا في الثراء الجزيل والأموال الكثيرة. وأصبح يعاني كثيراً لعدم وجود الأموال الكافية لديه، واضطر أن ينفق خزائن والده.

وقد بلغ به الحال أنه حاول الاستدانة من بعض التجار، غير أنهم كانوا يرفضون ذلك؛ لأنهم يعلمون أنه ليس لديه العائد المادي الكافي لقضاء تلك الديون. ولما قل

(١) النص، ج٣، ق٧٥ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق٥٠ب.

العائد المادي، ولم يعد لديه ما يدفعه من رواتب للجند هرب من لديه بعض الجنود، فمنهم من رجع بلاده، ومنهم من اتجه إلى صاحب المنصورة، لما بلغهم الوفاء لأصحابه ومن معه من الجند[1].

وامتلك بعض الولاة من آل القاسم دُوَراً خاصة بضرب العملة في ولاياتهم، وبالطبع أدى ذلك إلى ضعف العملة وتدهورها وزيادة الغش فيها، وتضرر الناس من جراء ذلك. وعلى الرغم من محاولة الإمام المؤيد إغلاق تلك الدور، لكنه لم يتمكن من إغلاق جميعها، وبالأخص في ولايات مراكز القوى التي كانت تتمتع بنفوذ واسع[2].

كما بذل مجهوداً كبيراً لمحاولة إزالة المطالب غير الشرعية، لكنه لم يتمكن من ذلك إلا في المناطق التي كانت تابعة لولايته، وعلى حد تعبير يحيى بن الحسين: «فقد رفع مظالم كثيرة من البلاد التي نفذت بها يده وحكمه كبلاد صنعاء وبلاد حراز وضوران. وأما اليمن الأسفل فلم ينفذ فيها كلامه، ولم يسمع فيها قوله»[3]، ويصفه أبو طالب بقوله: «وكان في الفضل والورع والشفقة على الناس بالمحل الذي لا يبلغه غيره»[4]. وقد صار عدله في رعيته مثلاً مضروباً. وكان أهل عصره يكنونه، فيقولون أبو عافية؛ لأنه لا يضر أحداً منهم في مال ولا بدن[5]، أما ابن عامر فيصفه بقوله: «كان وحيد عصره علماً وكرماً وفضلاً وورعاً وزهداً وصلاحاً، ومتحرياً في أقوله وأفعاله»[6]. ويمدحه يحيى بن الحسين بقوله: «وكان يحب العدل والرفق، ولا يعاقب في الغالب إلا بمقتضى الشرع ..... وكان له حالة عظيمة في التواضع وعدم التكبر والترفع على ما هو فيه من الملك والرئاسة»[7].

---

(١) النص، ج٣، ق٣٤ب.

(٢) النص، نفس المصدر، ق١٢٠أ؛ أبو طالب: السحر المبين، مخطوط، ق١٠ب-١١أ.

(٣) النص، نفس الجزء، ق١٢٠أ.

(٤) أبو طالب: الشذور العسجدية، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص١٨٠.

(٥) الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص١٤٠.

(٦) ابن عامر: بُغية المريد، مخطوط، ق٤٠٧.

(٧) النص، نفس الجزء، ق١٢٠أ.

خلاصة القول أن الإمام المؤيد محمد بن إسماعيل كانت له مواصفات ميزته وميزت عصره. وكانت قيمه ومبادئه لا تتناسب مع ظروف عصره. حاول رفع الظلم عن الناس وإلغاء ما فُرض عليهم من مطالب غير شرعية، لكنه لم يتمكن من عمل شيء من ذلك. وزاد في عهده التدهور الاقتصادي والفوضى وانعدام الأمن، فلم يكن لديه القدرة على محاسبة الولاة والعمال، وما حقوقهم وما واجباتهم إزاء ولاياتهم وإزاء الدولة، لذلك استغل هؤلاء شخصية الإمام المؤيد، وجمعوا الكثير من الأموال[1].

وحاول الإمام المؤيد توحيد الأسرة، لكن الظروف والأوضاع ومراكز القوى كانت عائقاً أمامه، كما أنه لم يتمكن من إقامة علاقات خارجية بسبب انشغاله بالأوضاع الداخلية، كما أسلفنا، فقد وجد في زمن غير زمانه، إن صح التعبير.

وبعد خمس سنوات من توليه الإمامة أصيب بمرض أقعده، ثم توفي في ٣ جمادى الآخرة سنة (١٠٩٧هـ/ ٢٦ أكتوبر ١٦٨٦م) في حمَّام علي، إلى الجنوب من ضوران، حيث نقل إليها للعلاج بالمياه المعدنية الطبيعية.

ثالثاً: الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن

(١٠٩٧-١١٣٠هـ)/(١٦٨٦-١٧١٨م)

دوره السياسي قبل توليه الإمامة

بعد وفاة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل وصل إلى الإمامة محمد بن أحمد بن الحسن، الذي عُرف بصاحب المنصورة، قبل توليه الإمامة، ثم بصاحب المواهب بعد وصوله إليها بفترة وجيزة، نسبة إلى المدينة التي اختطها كعاصمة لدولته.

فما الدور السياسي الذي لعبه قبل وصوله إلى الإمامة؟ وكيف تغلب على منافسيه من آل القاسم خلال صراعهم للوصول إليها؟

---

(١) النص، ج٣، ق١٢٠أ.

ولـد محمـد بـن أحمـد بـن الحـسن في ٧جمـادى الآخـرة سـنة (١٠٤٧هـ/ ٢٧ أكتوبر١٦٣٧م). وهو أكبر أبناء أبيه، حيث أنجبه والده وعمره ثمانية عشر عاماً[١].

وتعلم من والده الإمام المهدي أحمد بن الحسن الشجاعة والإقدام، حيث كـان قـد أتاح له فرصة المشاركة في الأعمال السياسية والعسكرية من وقت مبكـر، حتـى أصبح فيما بعد شخصية سياسية وعسكرية هامة.

كـان والـده أحمـد بـن الحـسن قـد أراد أن يعطيـه ولايـة بـلاد العـدين سـنة (١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م) عقب وفاة إسماعيل بن محمد بن الحسن، فراسل الإمـام المتوكـل إسماعيل بشأن ذلك، غير أن الإمام المتوكل رفض ذلك الطلب، وأعطى ولاية العـدين لجعفر بن مطهر الجرموزي. ولعله كان عاملاً على منطقة تسمى (جحاف) حيث يذكر يحيى بن الحسين ذلك بقوله: «فعاد محمد بن أحمد إلى بلاده وسكن بجحاف»[٢] بعد أن رفض الإمام المتوكل إعطاءه بلاد العدين.

وفي عام (١٠٨٢هـ/ ١٦٧١م) عندما كان عمره حوالي ٣٥ عاماً عينه الإمام المتوكل عاملاً على بلاد الحجرية من لواء تعز، وكأبيه الإمام المهدي أحمد بن الحـسن أبـان عـن شجاعة فائقة وإقدام مشهود[٣]، غير أنه لم يكن له اهتمام بـالعلوم المتداولـة في عـصره، مقارنة بوالده وبعض أقرانه من بيت القاسم، ومع ذلك فقد حاول سد هذه الثغرة فـيما بعد فوقع-وهو إمام-في مزالق، وظهرت منه تناقضات لم تكن معهودة فيمن سبقه من أئمة بيت القاسم[٤].

وبعد أن عُين عاملاً على بـلاد الحجريـة اختـار المنـصورة، وهـي قريـة مـن ناحيـة الصلو-مقراً له، حتى عُرف بصاحب المنصورة طوال فترة توليه لها، وهو اختيـار يـدل على ذكائه ودهائه، فهي تقع في رأس جبل الحجرية، وهي حصينة مرتفعة، يستطيع مـن

(١) محمد بن محمد زبارة: نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، مج٢، ص٤٠٢.

(٢) النص، ج٢، ق٢٨٦ب.

(٣) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص٩٤.

(٤) نفس المرجع، نفس الصفحة.

خلالها فرض هيبة الدولة على بقية مناطق الحجرية، وإخماد تمردات أو ثورات القبائل هناك، خاصة أنه قد حصَّنها بالمدافع. وقد أشار يحيى بن الحسين إلى ذلك بقوله: «وعَمَر محمد بن أحمد المنصورة، رأس جبل الحجرية، وجرى فيها المدفع، فبذلك حصل منهم الردع»(١).

وقد أثبتت الأحداث فيما بعد حسن اختياره للمنصورة مقراً لولايته، ففي سنة (١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) عندما وصلت الأخبار بمرض الإمام المتوكل تمردت بعض قبائل الحجرية، ويعلق يحيى بن الحسين عن موقع المنصورة الحصين بقوله: «ولولا سكون محمد بن أحمد في رأس جبلهم لكان طردوا عُمَّالهم عنهم»(٢).

ولم تكن السنوات التي أمضاها محمد بن أحمد بن الحسن في المنصورة فترة استقرار في معظمها، بل انخرط في كثير من الحروب في المنطقة وغيرها من المناطق(٣). من ذلك على سبيل المثال نجده في سنة (١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) يرسله والده إلى عدن والمخا دعماً للقوات الموجودة هنالك لصد العمانيين، الذين كانوا يمنعون التجار من الدخول إلى عدن أو المخا، وينهبون بعض القادمين إلى هذين الميناءين(٤).

وخلال الصراع على الإمامة بين والده والقاسم بن المؤيد كان محمد بن أحمد بن الحسن قد انضم إلى جانب القاسم بن المؤيد ضد والده الإمام المهدي. وعلى الرغم من أن المصادر التي بين أيدينا لا توضح سبب ذلك، إلا أنه من المرجح أن سبب ذلك هو رفض الإمام المهدي إعطاء ابنه المناطق التي كان يريد أن يضمها إلى ولايته، فخرج الابن على أبيه وانضم إلى القاسم، الذي كان قد وعد بإعطائه المزيد من المناطق، واضطر الإمام المهدي أحمد بن الحسن أن يرسل إليه ابنه الآخر علي بن أحمد بن الحسن سنة (١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م) لمحاربته وإخضاعه، فلما وصل علي إلى نواحي تعز

(١) النص، جـ٢، ق٢٧أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق٦٩ب.
(٣) د. حسين العمري: نفس المرجع، ص٩٥.
(٤) النص، نفس الجزء، ق٦٢أ.

ويفرس هرب كثير من أصحاب محمد بن أحمد بن الحسن وتفرقوا عندما وصلهم كتاب من المهدي يحذرهم من إعانة أبنه، عند ذلك رأى أنه لا جدوى من مخالفة والده، فاتجه إليه وهو في صنعاء في سنة (١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م) للالتقاء به ومصالحته، وكان المتوسط بينهما محمد بن المتوكل ومكث لدى والده بالغراس أقل من شهر، ثم عاد إلى ولايته، بعد أن أعطاه ولايات جديدة إلى جانب ولايته السابقة، كما أطلق يده في الأوامر والنواهي باليمن الأسفل[١].

وأصبحت له مكانة كبيرة، وهابته القبائل هناك، ومد يده إلى المناطق الأخرى التي حول الحجرية، وعُرف عنه أنه كان يبذل لقادته وجنوده الكثير من الأموال، لذلك نجد في سنة (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م) أن مجموعة من قادة علي بن المتوكل وجنوده فروا من تعز إلى المنصورة، وشكوا تقاصر أحوالهم، وأن علي بن المتوكل لم يعطهم إلا النصف من رواتبهم «فأنصفهم وقررهم عنده بجوامكهم، وأخذ أيمانهم أنهم منه وإليه مع الوفاء لهم، فضاق علي بن المتوكل من ذلك»[٢].

ولم يتوف الإمام المهدي أحمد بن الحسن إلا وقد أصبح ابنه محمد من أهم مراكز القوى من آل القاسم، فتوسعت مناطق ولايته أكثر من ذي قبل، كما أصبح لديه الكثير من الجند والقادة، وحصل على الكثير من الأموال التي كانت تُجبى من مناطق ولايته، لذلك رأى في نفسه الأهلية أو الصلاحية لإعلان إمامته، بعد أن رأى أن القوة هي الفيصل في النزاع على الإمامة.

غير أنه-كما سبق أن رأينا-بعد مراسلات عديدة، ومحاولات من الإمام المؤيد محمد بن المتوكل وغيره من آل القاسم كان آخر مراكز القوى التي تنازلت للمؤيد عن الإمامة، لأسباب سبق ذكرها.

واستغل صاحب المواهب ضعف شخصية الإمام المؤيد محمد بن المتوكل وزهده

---

(١) النص، جـ٣، ق٤٤أ.

(٢) النص، جـ٢، ق٢٠٧أ.

فاشترط عليه شروطاً كثيرة لتنازله عن الإمامة، ووسع مناطق نفوذه واستولى على الكثير من المناطق الهامة، والتي أصبح من خلالها أكثر قوة ونفوذاً وأموالاً من الإمام والقوى الأخرى، فامتدت مناطق ولايته إلى معظم اليمن الأسفل (لواء تعز) وجنوباً إلى لحج وعدن، وغرباً إلى زبيد وبيت الفقيه بعد توسعه في تهامة[1]، كما سبق أن رأينا.

وصوله إلى الإمامة وموقف أبناء الأسرة منه

كانت وفاة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل في منتصف عام (١٠٩٧هـ/ إبريل١٦٨٦م) هي ساعة انطلاق الطامحين من أجل السلطة والإعلان عن دعواتهم لأنفسهم، وسرعة العمل على كسب الاعتراف والشرعية، التي لم يعد الاحتكام فيها عملياً إلى شروط وقواعد المذهب الزيدي في الإمامة، بل ساد منطق القوة والغلبة، بغض النظر عن الشروط والأهلية[2].

وإذا ألقينا نظرة على الخارطة السياسية للبلاد والقوى الفاعلة فيها عشية وفاة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل، والتي رسمها لنا الأستاذ الدكتور حسين العمري اعتماداً على مخطوطة بُغية المريد لابن عامر سنجدها كالتالي[3]:

يسيطر ثلاثة من أبناء الإمام المهدي أحمد بن الحسن على المنطقة الوسطى والجنوبية:

١- إبراهيم بن المهدي: بولاية ذمار.

٢- إسحاق بن المهدي: في حبيش وذي السفال من لواء تعز، ومقره بذي أشرق.

٣- محمد بن المهدي: متمركز في المنصورة من الحجرية، ومد نفوذه إلى عدد من المناطق التي سبق ذكرها.

٤- حسين بن علي بن المتوكل: في إب والعدين، وهو ما بقي له من ولاية بعد وفاة والده.

---

(١) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص٨٧.

(٢) نفس المرجع، ص٨٩.

(٣) نفس المرجع، ص٨٧-٨٨.

٥- حسين بن الحسن بن القاسم: في رداع، وما بقي تحت إدارته من المشرق بعد خروج يافع وثورتها.

أما شمال العاصمة صنعاء، والتي كان أميرها يوسف بن المتوكل فقد كانت كالتالي:

١- حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم: على عمران ومنطقة حاشد.

٢- قاسم بن الإمام المؤيد: في شهارة.

٣- علي بن أحمد بن القاسم أمير لواء الشام: في صعدة بعد انفراده من مزاحمة ابن عمه حسن بن المتوكل، الذي استقر أميراً على تهامة، متنقلاً بين أبي عريش واللحية منذ أيام المهدي أحمد بن الحسن.

- انفردت كوكبان عن هذا التقسيم، حيث كانت -في الغالب منذ مجيء بيت القاسم تحت إدارة أمير من أحفاد بيت شرف الدين. وكان في هذا الوقت العالم الشاعر حسين بن عبد القادر شرف الدين، الذي كان قد خلف والده على كوكبان في مطلع العام نفسه (١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م).

وبعد وفاة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل تفرقت مناطق نفوذه بين بعض مراكز القوى-والتي كان أقواها جميعاً صاحب المنصورة محمد بن أحمد بن الحسن-كالتالي:

١- صنعاء: مع الحسين بن المتوكل.

٢- تعز والمخا: تغلب عليهما محمد بن أحمد بن الحسن.

٣- حراز: أرسل إليه الحسن بن المتوكل من اللحية بعض أبنائه.

٤- ريمة وبرع ونواحيها: دخلها زيد بن المتوكل.

٥- ضوران وآنس: استولى عليهما يوسف بن المتوكل(١).

أما الذين أعلنوا إمامتهم بعد وفاة الإمام المؤيد، سواء من أسرة القاسم أو من خارجها فهم كالتالي:

---

(١) النص، جـ٣، ق١١٩ب.

١- محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة وتلقب بالناصر.

٢- يوسف بن المتوكل في ضوران، تلقب بالمنصور، وهو أول من دعا إلى نفسه بالإمامة في جمادى الآخرة سنة (١٠٩٧هـ/ مايو١٦٨٦م) وكان الإمام المؤيد قد أوصى وهو على فراش الموت أن يخلفه أخوه يوسف، الذي كان في صنعاء، والمعرف بعلمه وفضله، ويرجح الأستاذ الدكتور حسين العمري بأن الإمام المؤيد ظن أن تزكيته لأخيه لمكانته العلمية والأدبية، وكابن للإمام المتوكل إسماعيل قد يكون محل رضى بين المتنافسين من آل القاسم، كما هو عند أغلب العلماء ذوي الرأي، ويكون بذلك مخرجاً من الاقتتال، وتعميق الشرخ والخلاف بين أبناء البيت الحاكم، لكن المؤيد بذلك لم يزد أن أضاف إلى قائمة الطامحين الطويلة منافساً آخر، جره الطموح -كبعضهم- إلى المعاناة والسجن الطويل فيما بعد[١].

٣- الحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم في عمران، وتلقب بالمتوكل[٢].

٤- علي بن أحمد بن القاسم كان قد اجتمع مع القاسم بن المؤيد والحسين بن الحسن، وأجمع رأيهم على مبايعة الناصر، وأنه الأصلح، وكان علي بن أحمد قد وضع شروطاً على الناصر، غير أنه بعد ذلك دعا إلى نفسه بالإمامة[٣]. وأرسل الرسائل إلى قضاة صنعاء وعلمائها بأن يجيبوه في دعوته، وأنه عازم على الخروج من صعدة إلى مناطق نفوذ محمد بن أحمد بن الحسن، الذي ليس بأهل للإمامة[٤].

أما الذين دعوا إلى أنفسهم من خارج بيت القاسم فهم:

١- الحسين بن عبد القادر في كوكبان، وتلقب بالمتوكل، وعلى حد تعبير يحيى بن الحسين: «فأجابه أصحابه وخالفه سائر الناس»[٥].

---

(١) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص٨٩.
(٢) ابن عامر: بُغية المريد، مخطوط، ق٢٤٦-٢٤٧.
(٣) المصدر السابق، ق٣٧٧.
(٤) النص، جـ٣، ق١٥١ب.
(٥) النص، نفس الجزء، ق١٢٠ب.

٢- السيد علي بن الحسين الشامي الخولاني، الذي رأى أنه لا يصلح أحد من آل القاسم للإمامة، وأنه كامل الشروط لتوليها، وأرسل الرسائل يطلب مبايعته بالإمامة، فأجابه السادة بنو الشامي وبعض أصحابه، ورفضت مبايعته جميع القبائل[١].

٣- السيد عبد الله بن علي بن خالد، ظهر في بلاد الشرف بالغرب، تحت شهارة، ولم يجبه أحد، وكان والده متولياً لبلاد عفار[٢].

وقد عبر أبو طالب عن كثرة من دعا إلى نفسه بالإمامة بقوله: «واختلف آل الإمام فرقاً وعلا بعضهم من بعض خوفاً وفرقاً، وطمع الكل في الزعامة»[٣].

أما القاسم بن الإمام المؤيد، والذي دعا لنفسه عقب وفاة الإمام المتوكل إسماعيل وعقب وفاة الإمام المهدي أحمد بن الحسن فإنه هذه المرة حتى وإن رغب في إعلان إمامته فقد رأى أنه من الصعب نجاحه في ذلك لسبب هام ذكره المؤرخ يحيى بن الحسين، وهو أن بلاد اليمن أجمع قد استكمل فيها التقسيم والتغلب في بعضها من أولاد المتوكل، ومن أولاد أحمد بن الحسن، وأولاد محمد بن الحسن، وأولاد أحمد بن القاسم وغيرهم[٤].

ويرى يحيى بن الحسين بأن السبب في انحطاط الإمامة والدخول فيها بغير كمال شروطها هو أحمد بن الحسن، وأن الحاضرين من السادة والفقهاء ومحمد بن المتوكل قد سهلوا له ذلك، فدخلها ورغب فيها، وإلا فإن كتابه إليهم إنما هو بالوصول للتداول فيمن يصلح لها، فلما حضروا مجلسه فتحوا له الباب إلى ذلك، فسن للمتأخرين هذه الدعاوى العريضة الطويلة في درجة الإمامة، وربما لفق البعض من الجهال إمامة المقلد، وهو خلاف الإجماع، على أن إمامة المقلد لمن يعرف بمسائل الفقه

(١) النص، ج٣، ١٢٠ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق١٢٥ب.
(٣) أبو طالب: السحر المبين، مخطوط، ق١٥أ-١٦ب.
(٤) النص، نفس الجزء، ق١١٩ب.

لمن قلده «فكيف فيمن عرى من هذا وهذا»[1]. غير أن الأحداث أثبتت خلاف ما ذكره يحيى بن الحسين، فقد استخدم أحمد بن الحسن كل ما يستطيع من قوة للوصول إلى الإمامة. وكان مخططاً لذلك، كما سبق أن رأينا.

ومهما أُثير من جدل حول شروط الإمامة، ومن يصلح لها فإن محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة قد دعا إلى نفسه بالإمامة عصر يوم الأحد منتصف شهر جمادى الآخرة سنة (١٠٩٧هـ/ ٨ مايو١٦٨٦م) وبدأ بمراسلة عمه الحسين بن الحسن والقاسم بن المؤيد وعلي بن أحمد الذين أجابوا دعوته[2]، ولكن لم يلبث علي بن أحمد أن عارضه وأعلن إمامته، كما سبق أن ذكرنا. وأرسل صاحب المنصورة برسالة إلى الحسين بن المتوكل في صنعاء ومعها أموال قدرها سبعة آلاف، دعاه فيها إلى إجابته[3].

وكان صاحب المنصورة قد أرسل رسالة إلى ابن عم والده المؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم يبرر له سبب إعلان إمامته، وأنه تلقب بالناصر، وأنه قد أجابه قضاة تعز والقضاة بحضرته وأهل بلاده، فأجابه برسالة أوردها في كتابه (بهجة الزمن) ذكر له فيها أنه لا بد من جمع كلمة المسلمين وعدم التفرق، اتقاء لإثارة الفتنة «وإذا قد اجتمعتم على كلام واحد فسائر الناس أجمع أتباع، ولا يخشى منهم ضرر ولا نزاع»[4].

ولم يكن صاحب المنصورة الوحيد الذي بعث برسالة إلى يحيى بن الحسين يستشيره في إعلان إمامته، بل كل من أعلن إمامته من آل القاسم كاتبوه، وهم يوسف بن المتوكل وعلي بن أحمد والحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم. وكل واحد منهم كان يحاول إقناعه بأنه الأولى بالإمامة، ويذكر له مبررات دعوته، بينما كان يرى بأنه لا تتوفر الشروط في أي منهم، خاصة الاجتهاد والعلم. وأنه لا بد من اجتماع الكلمة والاتفاق على واحد يجمع كلمة المسلمين اتقاءً للفتنة، ويكون محتسباً أو ملكاً، وليس لأحد منهم أن يدعي أنه إمام كامل الشروط. وإذا لم يتفقوا على واحد منهم فليس أمامهم إلا أن

(١) النص، ج٣، ق١٢٢ب.
(٢) ابن عامر: بُغية المريد، مخطوط، ق٢٤٧.
(٣) النص، نفس الجزء، ق١٣٠ب.
(٤) النص، نفس الجزء والورقة.

يتوقفوا جميعاً عن ادعاء الإمامة، ويبقى كل واحد منهم أميراً أو محتسباً في ولايته وما يتبعها من المناطق التي قد ولاّها المتقدمون[1]. وكان يرى بأن القاسم بن المؤيد أكثر آل القاسم علماً، وبأنه الأصلح للإمامة بعد المؤيد[2]، ولم يكن يحيى بن الحسين الوحيد الذي رأى أن القاسم بن المؤيد هو الأكثر علماً وفضلاً، وبالتالي هو الأصلح للإمامة- على الرغم من أنه لم يتدخل في شيء سوى الإجابة على الرسائل-فكان الحسين بن المتوكل وأحمد بن المؤيد قد جمعوا القضاة والسادة العلماء في آخر يوم شهر جمادى الآخرة (١٠٩٧هـ/ آخر مايو١٦٨٦م)، ورأوا أن الأولى قيام القاسم بن المؤيد، وأمروا الحاضرين بكتابة شهادتهم فكتبوها. وشاع أنهم قد بايعوا القاسم[3]. ولم يدركوا أن صاحب المنصورة كان أكثر الدعاة قوة ونفوذاً وأموالاً، وان القاسم بن المؤيد لو أعلن إمامته وأصر عليها سيتكرر ما حدث بينه وبين والد صاحب المنصورة الإمام المهدي، لذلك كان أكثر إدراكاً للأوضاع، فرفض إعلان إمامته.

ومما لا شك فيه أن القاسم بن المؤيد كان محقاً في عدم دخوله حلبة النزاع هذه المرة، فإن محمد بن أحمد بن الحسن كان قد استولى على معظم مناطق اليمن الأسفل. وأصبح حسين بن علي بن الإمام المتوكل محصوراً في إب، ويخشى من قوة صاحب المنصورة، الذي كان قد بلغه بأنه بدأ يعد العدة للتوجه إلى إبّ وجبلة، ومن ثم إلى مناطق اليمن الأعلى الواحدة تلو الأخرى.

وفي خلال اجتماع هؤلاء لإقناع القاسم بأنه الأصلح للإمامة وصل إليهم كتاب من حسين بن علي بن المتوكل من إبّ يطلب من عمه الحسين بن المتوكل النجدة، وأنه قد أصبح محاصراً في إبّ، ولم يبق بينه وبين إسحاق بن المهدي أحمد بن الحسن إلا مقدار ساعة «فالغارة الغاة، والبدار البدار»[4]. فأرسل الحسين بن المتوكل رسالة إلى محمد بن أحمد بن الحسن من السادة والقضاة والأعيان تتضمن النصيحة في جمع الكلمة وترك

(١) النص، ج٣، ق١٢٩أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق١٢١ب.
(٣) النص، نفس الجزء، ق١٣١أ.
(٤) النص، نفس الجزء والورقة.

الفرقة، وأن الحرب فيها مشقة على المسلمين. ويطلبون منه ترك التوجه إلى البلاد العليا[١].

ومن الطبيعي أن يرفض صاحب المنصورة ذلك؛ لأنه كان يرى أنه لا بد أن يؤمن نفسه من مراكز القوى الأخرى، وأن المنصورة لم تعد صالحة كعاصمة لإمامته -كما سنرى- لذلك بدأ يعد العدة ويؤمن المنصورة قبل الدخول في أي حرب مع أبناء القاسم، فنقل مشائخ الحجرية، الذين كانوا سُجناء لديه إلى حصن الدملوة خوفاً من أن يثيروا قبائل الحجرية ضده، كما حاول استمالة بعض المشائخ الآخرين مثل الشيخ ابن مغلس صهره، وهو من كبار مشائخ الحجرية[٢].

أما الحسين بن علي بن المتوكل فقد خشي من تلك الاستعدادات وما نوى عليه صاحب المنصورة من التوجه إلى المناطق العليا، فأرسل إليه السيد قاسم بن لقمان لمحاولة الصلح، فكان جوابه أن يبقي لحسين إب وجبلة وما حولها. أما تعز فإنه لن يتنازل عنها، فرفض الحسين هذا العرض واستعد للحرب، وأصدر صاحب المنصورة أوامره إلى إخوته إبراهيم وإسحاق ببدء الحرب.

وبدأت الحرب بين الطرفين في ١٣ رجب سنة (١٠٩٧هـ/ ٤يونيو١٦٨٦م) في منطقة «ميتم» قرب جبلة، وتتابعت النجدات من الجانبين. ولن ندخل في تفاصيل تلك الحرب، ولكن هُزم أتباع الحسين بن علي، وعادوا إلى إب وجبلة وتفرقوا إلى كل جهة. حينئذٍ خطب محسن بن المهدي بالغراس لأخيه صاحب المنصورة في ٢٣ رجب عام (١٠٩٧هـ/ ١٤ يونيو ١٦٨٦م)[٣]. ودخل أتباع الناصر وادي جبلة، ونهبوها. وكان الحسين بن علي بن المتوكل حينذاك في جبلة، فلما رأى هزيمة أتباعه، وما وصل إليه صاحب المنصورة من قوة لا يستطيع مقاومتها لم يكن أمامه إلا أن بايعه بالإمامة، حتى يتقي شره. ودخلت جميع مناطق ولايته تحت طاعة صاحب المنصورة[٤].

---

(١) النص، ج٣، ق١٣١أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق١٣٠أ.
(٣) النص، نفس الجزء، ق١٣٢أ.
(٤) النص، نفس الجزء، ق١٣٣أ.

وإزاء تلك التطورات لا بد أن نتساءل ما موقف باقي مراكز القوى من ذلك؟ وهل سيبايعون صاحب المنصورة أم لا؟

مما لا شك فيه أن خبر وصول قوات الناصر محمد بن أحمد بن الحسن إلى جبلة وإعلان الحسين بن علي مبايعته له سيكون له أثر كبير لدى بقية مراكز القوى، والذين رأوا أنه لا قدرة لهم لمواجهته وقواته، خاصة أن الأوضاع الاقتصادية في هذه الفترة والتي قبلها كانت متدهورة، والأسعار مرتفعة. وزاد من سوء الأوضاع الحرب التي حدثت بين قوات الناصر وقوات الحسين بن علي بن المتوكل، فُقطعت الطرق إلى إب وجبلة، وحدث الانتهاب والتقطع للتجار والمسافرين[1].

وكان أول من بايع الناصر بعد الحسين بن علي هو عمه الحسين بن المتوكل بعد أن رأى أنه لا قدرة له لمواجهة الناصر، كذلك يحيى بن محمد بن الحسين صاحب بلاد السبتان، فأرسلا إليه رسولاً يحمل المبايعة له بالإمامة في ٣ شعبان (١٠٩٧هـ/ ٢٤ يونيو ١٦٨٦م). أما الرابع من المبايعين فهو القاسم بن المتوكل صاحب ثلا. وبايعه بالإمامة كذلك عمه الحسين بن الحسن صاحب رداع. أما ذمار فقد أعلنت الطاعة وبايعته، وعين الناصر فيها إسماعيل بن عبد الله بن القاسم.

أما صاحب عمران الحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم الذي كان قد ادعى الإمامة وتلقب بالمتوكل، كما سبق أن ذكرنا، وراسل الكثير من الجهات، وفتح داراً لضرب العملة لديه، لَمَّا بلغه حادث جبلة أغلق دار الضرب، ورجع عما كان قد دعا إليه[2]. وكذلك صاحب كوكبان الذي كان قد أعلن إمامته تراجع وأعلن مبايعته للناصر.

أما القاسم بن المؤيد وأحمد بن المؤيد فعند ما علما بما حدث في جبلة تأكد لهما أنه لا جدوى من المكاتبة لبقية آل القاسم لاجتماع الكلمة وعدم اللجوء إلى الحرب

(١) النص، ج٣، ق١٣٣أ.

(٢) النص، نفس الجزء، ق١٣٤أ-١٣٥ب.

والاقتتال، فعاد أحمد إلى بلاده وادعة وجهاتها والقاسم عاد إلى شهارة. وأما الحسن بن المتوكل صاحب اللحية فقد اتجه منها إلى ضوران بجميع خزائنه، ولما علم بقرب جنود صاحب المنصورة إلى ذمار سلم للناصر وأرسل لمبايعته.

ولم يبق من معارض للناصر إلا يوسف بن المتوكل صاحب ضوران، الذي أعلن إمامته قبل الناصر، بوصية من أخيه الإمام المؤيد، كما سبق أن ذكرنا. وقد تلقى مكاتبات من إسحاق بن المهدي يطلب منه تسليم الأمر إلى أخيه محمد، ويتوعده إن لم يدخل في ذلك، فبقي يوسف حائراً في ذلك الأمر، خاصة أنه كان يعلم بأنه لن يستطيع مواجهة الناصر بمفرده، فاضطر في ٧ رمضان (١٠٩٧هـ/ ٢٧ يوليو ١٦٨٦م) أن يعلن مبايعته للناصر بعد أن كان متشدداً في رسائله، وبأنه يجب على الجميع الإنكار على دولة محمد بن أحمد بن الحسن، وكان يذكر في رسائله تلك تفوقه في العلم[1].

وفي يوم الجمعة ١٥ شوال (١٠٩٧هـ/ ٣ سبتمبر ١٦٨٦م) خطب القاسم بن المؤيد بشهارة لمحمد بن أحمد بن الحسن. ويرى البعض أن سبب موالاة القاسم للناصر هو ما بذله له من المناطق الشمالية التي كانت تابعة لحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم، وكذلك بلاد عفَّار، وجعل له ربع المخا[2].

وبذلك يكون جميع من ادعى الإمامة قد سلَّم الأمر لصاحب المنصورة. «وخلعوا أنفسهم اضطراراً من غير قتال خشية من الوقوع فيما وقع لصاحب جبلة»[3].

ولكن ما سبب تسليم تلك القوى للناصر بهذه السهولة؟ على الرغم من أنهم كانوا مجمعين على عدم مبايعته أو التنازل له عن الإمامة؟

لعل من أهم الأسباب أن مراكز القوى التي كانت رافضة إمامة الناصر، لم تُجمع على مبايعة شخص آخر من آل القاسم، بل كان بعضهم يريد الإمامة لنفسه، والآخرون مؤيدون لهذا أو ذاك ونتيجة لذلك فقد تركت الحسين بن علي بن المتوكل

(١) النص، ج٣، ق١٣٧ب-١٣٨أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق١٤٠ب.
(٣) النص، نفس الجزء، ق١٣٨أ.

يواجه قوات صاحب المنصورة بمفرده، مما زاد من نفوذه وهزيمة الأول. ومما جعل الكثير منهم يعلنون ولاءهم للناصر خوفاً ورهبة، وإن كان الحسين بن المتوكل قد أرسل قوة لنجدة ابن أخيه الحسين بن علي فإنها غير كافية. وعلى حد تعبير المؤرخ يحيى بن الحسين، حيث يقول: «فإن صاحب المنصورة سهل عليه أمرهم والتقط الأول فالأول منهم، وهلم جرا، وضعفت شوكتهم، وإلا فلو كانوا جميعاً يداً واحدة ما كان يقدر عليهم»[1].

أما السبب الآخر فهو أن مناطق نفوذ الناصر كانت خصبة وغنية، كما تمكن بعد وفاة الإمام المؤيد أن يضم تعز والمخا إلى مناطق نفوذه. أما بقية مراكز القوى في اليمن الأعلى فكانت تعاني من سوء الأوضاع الاقتصادية، وغلاء الأسعار، بسبب الجفاف وعدم سقوط الأمطار، بالإضافة إلى التقطع في الطرقات مما أدى إلى ركود الحركة التجارية في اليمن الأعلى[2]. وتمكن الناصر لذلك من أن يكسب الكثير من القبائل والأنصار إلى جانبه؛ لأنه كان يبذل لهم الكثير من الأموال. وقد عبر يحيى بن الحسين عن واقع الحال بقوله: «إن صاحب المنصورة وإن كان واحداً، لكنه قد اجتحف بلاد اليمن الأسفل والبنادر، فليس حسين بن علي وحده بكفؤ له، وإنما كفؤه جميع اليمن الأعلى»[3].

وعلى كل حال فإن الناصر قد أرسل أخاه إبراهيم إلى ذمار، وكذلك أرسل أخاه الثاني إسحاق إلى يريم، فاستقروا فيها، وتصرفوا في ولايتها. ولم يبق لإسماعيل بن عبد الله الذي كان قد ولاّه ذمار أي تصرف فيها[4]. وأصبحت إب وجبلة ومناطق ولاية الحسين بن علي الأخرى تحت تصرف الناصر، وخرج الأول منها متجهاً إلى صنعاء، واستقرت الدولة لمحمد بن أحمد بن الحسن[5]. وعين على إبّ وجبلة عُمّالاً من

(١) النص، جـ٣، ق١٣٧أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق١٣١أ.
(٣) النص، نفس الجزء، ق١٣٧ب.
(٤) النص، نفس الجزء، ق١٣٩أ.
(٥) النص، نفس الجزء، ق١٣٩ب.

قبله، ليسيطر عليها مباشرة، كما عين على العدين السيد حسن بن محمد بن أحمد بن الإمام الحسن المؤيدي[1].

غير أن الأوضاع لم تستقر للناصر كثيراً، إذ سرعان ما أعلنت بعض مراكز القوى من آل القاسم معارضتها له، كان أولها يوسف بن المتوكل، الذي أعلن في بداية عام (١٠٩٨هـ/ أواخر نوفمبر ١٦٨٦م) أنه يريد التراجع عن مبايعته للناصر، ثم انضم إليه الكثير من آل القاسم، منهم أبناء الناصر وإخوته، وكونوا هذه المرة معسكراً واحداً لمواجهته، وإرغامه على التنازل عن الإمامة. فما سبب ذلك التكتل والاتفاق على الوقوف في وجه الناصر بعد أن بايعه جميعهم بالإمامة، معلنين الولاء والطاعة؟!

مما لا شك فيه أن كثيراً من مراكز القوى كانت قد بايعت الناصر مضطرة إلى ذلك، خوفاً من بطشه وقوته. وبسبب تفرقهم وعدم الاجتماع والاتفاق على مواجهته، رأوا أنهم لا قدرة لهم على معارضته، فكانت مبايعتهم له على مضض، ومنتظرين الفرصة المواتية التي تجعلهم يعارضونه ويرفضون إمامته.

وكان يوسف بن المتوكل قد أوضح لآل القاسم أن مشائخ يافع قد كتبوا إليه يشكون الناصر، الذي يريد محاربتهم بدون وجه حق، حيث إنهم مطيعون، ومسلمون ما عليهم من واجبات للدولة، فلم يقبل الناصر ذلك منهم، واستنكر يوسف على الناصر تناقضه وعدم الاتزان في تسيير أمور الدولة، وأنه لا يوجد مبرر لحرب يافع. وقد أجاب الناصر على يافع بأنه لا يقبل منهم إلا من وصل مبايعاً إلى بين يديه[2].

أما علي بن أحمد بن القاسم فقد أعلن أنه رافض إمامة الناصر بعد أن بايعه، ودعا إلى نفسه بالإمامة، وكتب إلى القاسم بن المؤيد صاحب شهارة أن سبب ذلك اضطراب أمور الناصر وتناقض أعماله[3].

وكان هناك أسباب أدت إلى نفور عبد الله بن الناصر من أبيه ولجوئه إلى يوسف بن المتوكل ومبايعته، لعل أهمها أن عبد الله بن الناصر كان له الفضل في الاستيلاء على إب

(١) النص، ج٣، ق١٦٨أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق١٤٣ب-١٤٤أ.
(٣) النص، نفس الجزء، ق ١٤٤أ.

وجبلة، وكما عبر أبو طالب عن ذلك بقوله: «واستولى على الجهات، وخفقت بالنصر له الرايات»[1]. بينما والده الناصر عين عليها ابنه إسماعيل بدلاً من عبد الله، الذي كان متوقعاً أن تكون له الولاية هناك، فأظهر الندم على ما قام به في إب وجبلة، وكاتب يوسف وبايعه بالإمامة[2].

أما السبب الآخر فكان عبد الله بن الناصر في قعطبة متولياً لها من قبل، فكتب إلى والده الإمام أنه بحاجة إلى الأموال، لينفق على من لديه من الجند والقادة، وأن بعضهم قد هرب من لديه، بسبب عدم مقدرته إعطائهم حقوقهم، فلما وصل الرسول إليه تهدد ابنه وغضب منه وأنه هذه المرة سيرسل له ما يريد، لكن لا بد من مؤاخذته وعقابه[3]. فلما بلغ ابنه عبد الله ذلك رأى أن والده سيكلفه ما لا يطيقه. وكيف وهو يريد استفتاح جبال يافع، فما مراده إلا إلقاؤهم إلى التهلكة مع عدم الرعاية والوفاء[4].

أما إخوة الناصر إبراهيم ومحسن وإسحاق فقد أدركوا أن شخصية أخوهم شخصية متقلبة، ولا يقف على رأي واحد. وكانوا يرون أن معظم أوامره كانت مخالفة لما يعتادونه من قبل، لذلك كانوا يخالفون أوامره[5].

وعلى كلٍ فإن شخصية الناصر كانت من أسباب تمرد ابنه وبعض إخوته وأبناء المتوكل عليه، من ذلك على سبيل المثال: اضطراب أوامره وتناقضها، فلم يأمر أمراً من الأمور إلا ونقضه من عزل أو تولية، وكان سريع الغضب على الرؤساء والسادة، والتهديد والوعيد المتكرر على أشياء غير موجبة لذلك، وكان يأمر بحبس بعضهم، ويضع القيود، ويعاقبهم بشدة لأتفه الأسباب «فنفرت نفوس كثير من الأعيان والرؤساء والقادات الكبار من المشائخ النقباء والعقال، ولم يصبر على حاله إلا القليل لما يبذله من المال والبرطيل[6]، وهم على حذر منه في الأفاعيل، لكن غلبهم

(١) أبو طالب: السحر المبين، مخطوط، ق١٦ب.
(٢) النص، جـ٣، ق١٤٦ب، أبو طالب: السحر المبين، مخطوط، ق١٦ب-١٧أ.
(٣) النص، نفس الجزء والورقة.
(٤) النص، نفس الجزء والورقة.
(٥) النص، نفس الجزء، ق١٤٥أ.
(٦) البرطيل: تعني الرشوة.

حب المال»[1].

ونتيجة لكل ما سبق، وبعد أن أعاد يوسف بن المتوكل إعلان إمامته كاتبه عبد الله بن الناصر، وكذلك إسحاق بن أحمد بن الحسن وإبراهيم بن أحمد بن الحسن وعبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن والحسين بن علي بن المتوكل، وكذلك يحيى بن محمد بن الحسين، كما بايعه أخوه الحسين بن المتوكل، وانتقل عبد الله بن الناصر من قعطبة إلى إبّ، واجمعوا على خلع الناصر ومبايعة يوسف بن المتوكل، وخطبوا له في صنعاء وذمار وضوران وإبّ، كما وصلت إليه كتب من مشائخ يافع مبايعة له بالإمامة بدلاً من الناصر[2]، وبايعه أيضاً الحسين بن الحسن صاحب رداع، وأصبحت معظم البلاد إلى تعز مبايعة ليوسف[3].

وفي ٨ ربيع الأول (١٠٩٨هـ/ ، ٢١يناير ١٦٨٧م) دخل أتباع يوسف بن المتوكل مدينة تعز، واستولوا عليها، وكان واليها من قبل الناصر الشيخ ابن راجح الآنسي، فدخلها أتباع يوسف بدون قتال، ولا انتهاب، وهرب إسماعيل بن الناصر منها إلى الدمنة[4].

ولما سمعت بقية مراكز القوى ما وصل إليه يوسف، ودخول قواته إلى تعز بايعوه وسلموا له الأمر، وهم القاسم بن المتوكل صاحب ثلا، وزيد بن المتوكل. وفي نصف ربيع الآخر سنة (١٠٩٨هـ/ ٢٨/ يناير١٦٨٧م) بايع الحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم صاحب عمران يوسف. وفي ١٦ ربيع الآخر بايعه أخوه الحسن بن المتوكل. كما بايعه صاحب كوكبان وخطب له[5]. وبايعه المحسن بن أحمد بن الحسن الذي كان متولياً للغراس. واستولى زيد بن المتوكل على المخا وخطب فيه لأخيه يوسف[6].

---

(١) النص، ج٣، ق١٤٦أ.

(٢) النص، نفس المصدر، ق١٤٦ب-١٤٧أ.

(٣) النص، نفس الجزء، ق١٤٩ب.

(٤) النص، نفس الجزء، ق١٥٠أ-١٥٠ب.

(٥) النص، نفس الجزء، ق١٥٣ب-١٥٤أ.

(٦) النص، نفس الجزء، ق١٥٣ب.

وبذلك تبلور الصراع في بضعة أسابيع في معسكرين تجمع الأول في ضوران آنس، كان به كل المعارضين والدعاة من أمراء آل القاسم، الذين انطووا تحت قيادة يوسف بن المتوكل في مواجهة معسكر الناصر محمد بن المهدي المتحصن في منصورته، في حين بقي ممن اعترف بالناصر -وهم قلة- في ولاياتهم يرقبون سير الأمور وتطورها بحذر وترقب[1].

وقرر أعداء الناصر التوجه إليه لإرغامه على التنازل بقوة السلاح، فتجمعوا، وكانوا جموعاً كثيرةً يقودهم أبناء المتوكل إسماعيل وإسحاق بن المهدي وعبد الله بن الناصر، وغيرهم من أمراء بيت القاسم[2]، وحاصروا الناصر حتى لم يبق له من البلاد التي حوله مؤن أو طعام يُرسل إليه، بل أصبح ينفق على من بقي لديه مما كان مخزوناً. والمهم في الأمر: «أن أكثر اليمن قد صار مجيباً ليوسف والتهائم والجبل»[3].

وفي خلال الحصار لصاحب المنصورة كتب إليه القاسم بن المؤيد -وكان موالياً له- يطلب منه أنه يجب النظر فيما يسكن ثائرة الفتنة، فأجاب عليه أنه يريد الاجتماع إلى مكان متوسط للنظر فيما فيه صلاح الإسلام، فلما عرض القاسم جوابه على أبناء المتوكل، أجابوا بأن طلب الاجتماع كنا قد حاولنا فيه وأردناه، فلم يحصل من صاحب المنصورة إليه التفات، وأعرض عنه، وطلب غزو المشرق والتجهيز عليهم من غير نظر إلى اجتماع ولا استشارة. وأما الآن فلم يبق للاجتماع فائدة بعد إجابة أكثر اليمن ليوسف[4].

ولم يقف الناصر مكتوف الأيدي إزاء الحصار المطبق عليه، بل حاول أن يستميل إلى جانبه بعض قبائل الحجرية، ودفع لهم الأموال الجزيلة ليكونوا عوناً له ضد المعسكر المحاصر للمنصورة، منهم الزَّريقة الذين وعدوه بالقيام معه وإعانته، وأصبح للمنصورة يومئذ منفذ من طريق المقاطرة والزريقة، فكان يجلب إليها ما يحتاجه،

---

(١) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص٩٦.

(٢) نفس المرجع، نفس الصفحة.

(٣) النص، جـ٣، ق١٥٥أ.

(٤) النص، نفس الجزء، ١٥٥ب-١٥٦أ.

وبـذلك بـدأت معنويـات النـاصر تقـوى[1]، وعـلى حـد تعبـير ابـن عـامر، حيـث يقول: «فكان الإمام الناصر كل يوم إلى زيادة، وهم إلى نقصان لتأثيرهم الاجتماع على الراحة والاشتغال بها لا يجدي، والركون على القوة من حالهم، والإمام الناصر يتطلب الحيلة والخلاص من الخطاط عليه، ويرغب من يرغب، ويجرب من يجرب»[2]. وفي خلال الحصار طلب من المحاصرين له أن يمدوه بالجمال ليخرج مستسلماً، فيسروا له ما طلبه، معتقدين أنه لن يستطيع عمل شيء؛ لأنهم -كما أشار أبو طالب- «كان الكبر قد استولى على كبرائهم والتغفل حف بهم من قدامهم وورائهم. وقد كانوا في الجيوش المتوافرة»[3]. بينما الناصر كان يحاول تدبير الحيل وجمع لديه ما يستطيع من قبائل الحجرية، وبذل لهم الأموال الجزيلة، منهم ابن مغلس الذي أمده بالكثير من قبائل الحجرية ليكونوا عوناً له، كما ساعده القدر، حيث هطلت أمطار غزيرة استغلها الناصر بسبب ارتباك المحاصرين له واضطرابهم، ففاجأهم بالهجوم عليهم، ونشبت حرب بين الطرفين في ١٩ جمادى الآخرة سنة (١٠٩٨هـ/ ١مايو١٦٨٧م) تمكن فيها الناصر من هزيمتهم رغم كثرتهم، وتمكن من أسر ابنه عبد الله وأخيه إسحاق[4]، ونهبوا محطتهم. فلما شعر بذلك أهل المحطة الأخرى وهم الحسين بن علي بن المتوكل وعبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن لم يكن همهم إلا الارتحال، وحمل ما خف من الأثقال[5]، عند ذلك خفقت القلوب من هيبة الناصر، وخرج بعض الأسرى هاربين ليلاً.

واضطر الحسين بن علي بن المتوكل وعبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن أن يعلنوا طاعتهم للناصر، وطلب الشيخ الأحمدي لهما الأمان ودخلا المنصورة، وأرسل الناصر إلى القاسم بن المؤيد وأخيه أحمد يطلب منهما الإخبار بالحادث، وعمل ما يلزم؛ لأنهما كانا مواليين له، فكتب أحمد بن المؤيد إلى الحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم صاحب عمران بأن يدخل في طاعة الناصر، وإلا فهو متقدم إليه، ومن هنا اضطرت

---

(١) النص، ج٣، ق١٥٧أ.

(٢) ابن عامر: بُغية المريد، مخطوط، ق٢٤٨-٢٤٩.

(٣) أبو طالب: السحر المبين، مخطوط، ق١٧أ.

(٤) النص، نفس الجزء، ق١٥٩أ؛ أبو طالب: السحر المبين، مخطوط، ق ١٧أ.

(٥) أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١٦-١٧.

بقية مراكز القوى من آل القاسم ومن غيرهم إلى الدخول تحت طاعة الناصر للمرة الثانية. وبقي يوسف بن المتوكل في حيرة، وبدأ بإرسال الرسائل إلى إخوته وأبناء عمومته ليقفوا إلى جانبه ضد الناصر، غير أن الخوف كان قد داخل كثيراً من مراكز القوى، فأعلنت ولاءها للناصر، ولم يتبق من المناطق التي كانت خارجة عن طاعته سوى ضوران وصنعاء وذمار، وعاد جميع اليمن الأسفل مجيباً له خوفاً ورهبة[(١)].

وهناك أسباب أخرى أدت إلى تفوق الناصر وإعادة معظم المناطق تحت طاعته فعلى الرغم من أن يوسف وأخاه الحسين قد بذلا جهداً كبيراً في تجهيز الجيش لإخضاع الناصر، إلا أن هذا الجيش عندما وصل إلى بعض الطريق ترك بعضهم بعضاً وعادوا إلى بلادهم، ولم يستفد منهم يوسف، بل بذل الكثير من الأموال دون جدوى، على الرغم من قلة ذات اليد لديه، وعلى العكس كان الناصر قد بذل الكثير مما تبقى لديه في خزائنه لقبائل الحجرية ومشائخها، وأباح لهم انتهاب المحطة التي كانت محاصرة للمنصورة.

كما أن معظم المناطق أصبحت تابعة لمراكز قوى جديدة غير أبناء المتوكل، وبسبب ذلك لم يرفعوا رأساً في إعانة يوسف بن المتوكل بجند على الرغم من كثرة مطالبته لهم، وإنما صاروا يواعدونه مواعيد عرقوب[(٢)]. وفي الوقت ذاته كانوا يكاتبون إلى الناصر بأنهم معه ولن يأتي منهم إلى جنابه ما يخشى، وكانوا يجمعون ما يستطيعون من أموال من ولاياتهم لأنفسهم، بينما يوسف وأخوه الحسين كانا لم يبق معهما ما يقومان به من أجل مواجهة الناصر، ونفدت خزائنهما، وقد أشار المؤرخ يحيى بن الحسين إلى ذلك بقوله: «إن يوسف بن المتوكل قد بلغ في الركة والضعف الحد الذي لا مزيد عليه، وتقالل الناس حوله، ولم يبق له متابع، ولم يبق في يده شيء من المال ولا الرجال»[(٣)].

ولما رأت معظم القبائل في الشمال ضعف يوسف بن المتوكل وأخيه الحسين أعلنت

---

(١) النص، ج٣، ق١٦٠ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ١٦١ب.
(٣) النص، نفس الجزء، ق١٦٧أ.

ولاءها للناصر، منها: بنو الحارث وهمدان الذين أشعلوا النيران في مناطقهم في آخر رجب (١٠٩٨هـ/ بداية يونيو١٦٨٧م).

وبعد أن تمكن الناصر من إعادة مناطق اليمن الأسفل إلى سيطرته، لم يكن أمامه إلا أن قرر في ١٨ شوال (١٠٩٨هـ/ ٢٦ أغسطس١٦٨٧م) التوجه إلى المناطق الشمالية، فتوجه إلى جبلة، حيث جرت حرب قبل دخوله، هُزم فيها أتباع يوسف، ولم يتمكنوا من مقاومته؛ لأنه جاء عليهم بجنود لا طاقة لهم بمواجهتها، كان أغلبهم من الحجرية.

ولا شك أن ذلك سيزيد من خوف يوسف وأخيه الحسين بسبب قلة ما لديهم من المال والرجال[١].

وبعد أن دخل الناصر جبلة بدأ في بث الرسائل إلى أبناء الإمام المتوكل بأنه لا سبيل إلى الاجتماع والاختيار بعد ما قد جرى من النزاع والحروب، وأنه ليس لديه إلا السيف لمن لم يسلم الأمر[٢]، وكان يوسف في المقابل قد جهز زيد بن محمد بن الحسن على رأس عدد من الجند دعماً لمن في جبلة، فلما وصل إلى ذمار بلغه دخول الناصر إليها وهروب عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن وفرحان عنها، فاستقر زيد بمن معه في ذمار، وكتبوا للناصر أنهم مسلمون له الأمر، وكتب أخوه إبراهيم-صاحب ذمار-إليه معلناً طاعته له.

ثم انتقل الناصر بما معه من الأثقال والأهل إلى ذمار، وعسكر خارج المدينة في مخيم كبير، حتى تم له بناء حصن (هران) القريب منها، والذي اتخذ منه مقراً مؤقتاً ليستقر بعد ذلك في مدينة الخضراء[٣]، ووصل إليه بعض آل القاسم مبايعين وطائعين[٤].

وكان من أهم أسباب انتقال الناصر إلى ذمار أنه أدرك أن المنصورة-على الرغم من

---

(١) النص، ٣، ق١٦٥أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق١٦٥أ-١٦٥ب.
(٣) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص١٠١.
(٤) ابن عامر: بُغية المريد، مخطوط، ق٢٤٩.

حصانتها-لم تعد المقر المناسب لقاعدة حكمه، فهي بعيدة عن المناطق الشمالية من البلاد حيث يكمن الخطر، ويتيح للأعداء التآمر بعيداً عن رقابته، كما أنها لا تسمح لعلوها في رأس جبال الحجرية للتوسع العمراني، واستقبال الأعداد المتزايدة من رجال الدولة والحاشية والجند، وغيرهم من أصحاب المصالح والحاجات[١].

ولما استقر في ذمار طلب إليه الفقيه زيد بن علي الجملولي، المنفذ لشؤون ولاية صنعاء، فلما وصل إليه أمر بضرب عنقه[٢]، متعللاً بأنه السبب في هذه الحروب والفتن التي جرت، وأن كافة الناس قد اشتكوا من ظلمه[٣].

والمهم في هذه الحادثة أنه كان لإعدامه أثر كبير على كثير من مراكز القوى التي كانت معارضة للناصر، فاشتد خوفها منه، وهرب بعضها إلى صعدة. وقد عبر أبو طالب عن ذلك بقوله: «وبعد قتل الجملولي خفقت القلوب لهيبته وضاقت بآل الإمام المسالك، فكانت صعدة المأوى لهم وإليها تتابع الهُرَّاب من آل الإمام»[٤].

أما يوسف بن المتوكل فقد استدعاه الناصر للقدوم إليه من ضوران، فتوجه إليه وهو في ذمار على رأس قوة كبيرة، فأمر الناصر أن يجتمع به في عدد قليل من أتباعه، وقد هيأ لوصوله مجلساً «أرعد فيه وأبرق، وأمره بالارتحال بأهله إلى صنعاء»[٥]. ومن البديهي أن يوافق يوسف على ذلك فبايع الناصر مضطراً؛ لأنه أصبح في موقف ضعيف.

وبعد أن خضع للناصر جميع آل القاسم وبايعوه مكرهين، واتسع ملكه، رأى أنه لا بد من إخضاع ابن العفيف في يافع، وصرف همته إلى الجهات اليافعية، فأرسل السيد صلاح بن محمد في مجموعة من الجند إلى بلاد لحج، ثم تبعها بحملة أخرى إلى طريق

---

(١) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ١٠١.
(٢) أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١٦.
(٣) النص، جـ٣، ق١٦٨ب-١٦٩أ.
(٤) أبو طالب: نفس المصدر، نفس الورقة.
(٥) نفس المصدر، نفس الورقة.

رداع وقعطبة[1]. وبدأ يعد العدة لإخضاع يافع، فخرج بنفسه في ذي الحجة سنة (١٠٩٨هـ/ ١٦٨٧م) إلى الديلمي، شرقي ذمار، لاستدعاء عمه الحسين بن الحسن صاحب رداع للالتقاء به والتفاوض من أجل يافع، وكان أهم ما طرحه الحسين بن الحسن هو أن المشرق يحتاج إلى الإعداد الكافي جنوداً وأموالاً، ولم يكن لديهم آنذاك ما يكفي للتوجه إلى المشرق[2]، فلم يكن أمام الناصر إلا أن طلب الرؤساء والجند للتجمع لدخول يافع وتأديبهم، وعلى الرغم من عدم رغبة معظمهم في التقدم إلى يافع، إلا أنهم لم يتمكنوا من رفض أوامره خوفاً من بطشه، وأرسل الولاة ما فرض عليهم من الجنود والأموال، منهم: الحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم صاحب عمران والحسن بن المتوكل، والقاسم بن المؤيد، وقاسم بن المتوكل والحسين بن عبد القادر صاحب كوكبان وغيرهم[3] من المراكز الأخرى.

وكان تقدم أول الجند إلى منطقة تسمى (المعسال)، فلما علمت يافع أرسلت كتبها بالطاعة للناصر، فلم يجب عليها، وقال: «لا بد من دخول البلاد، وأخذ ما قد أخذوه على الناس وما جرى منهم سابقاً من العناد»[4].

ولن ندخل في تفاصيل تلك الحروب التي جرت بين الطرفين إلا أن تلك الحروب استمرت بين الناصر وبين قبائل المشرق -التي أهمها يافع- سجالاً، فتارة له وتارة عليه في أغلب الأحوال[5]، ولم يتمكن من استعادة يافع، كما أنه لم يتمكن من استعادتها من جاء بعده من الأئمة وبسبب يافع نشب الخلاف بين الناصر وعمه الحسين بن الحسن، حيث كان الناصر قد وجه اهتماماً كبيراً لحرب يافع -كما ذكرنا- وبالغ في جمع الجند وأرسلهم إلى عمه الحسين، وعينه أميراً عليهم، فاجتمع الجنود في رداع، وكان عددهم كبيراً، وأصبح الحسين فيهم المطاع، فرأى أن هذا العدد الكبير الذي لديه -وجميعهم

(١) النص، ج٣، ق١٧٠أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق١٧٢أ.
(٣) النص، نفس الجزء، ق١٧٣أ-١٧٣ب.
(٤) النص، نفس الجزء، ق١٧٣ب.
(٥) أبو طالب: طيب أهل الكسا، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص٢٦٦.

تحت أمره-يؤهله لإعلان إمامته، وخلع ابن أخيه، فبعث الرسائل إلى المناطق داعياً إلى نفسه بالإمامة، ولما علم الناصر جهز أخاه المحسن لمواجهته، فجرت بينهم حروب كثيرة، تمكن الناصر في نهاية الأمر-بحيلة منه-من القبض على عمه، وأرسله إلى كوكبان، فسجن هنالك في بداية عام(١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م) [١].

وفي العام التالي خرج على الناصر يوسف بن المتوكل بعد أن وعدته قبائل خولان بمناصرته، إلا أنهم لم يبقوا معه، وتمكن عامل صنعاء من القبض عليه وأرسله ومن معه إلى الناصر، ففرقهم في السجون، وأمضى يوسف في السجن سبعة عشر عاماً، حتى أطلقه الناصر [٢].

أما علي بن أحمد فقد انتهز فرصة انشغال الناصر بيافع، فتقدم بقبائل صعدة للاستيلاء على صنعاء في عام (١١٠٣هـ/ ١٦٩٢م) بعد أن جدد دعوته وتلقب بالداعي، وخُطب له في جهةصعدة، وضربت السكة باسمه لكنه فشل أمام صمود قوات الناصر وعاد راجعاً إلى صعدة، وعلى الرغم من انشغال الناصر فقد جهز جيشاً بقيادة بعض أبنائه، تمكن الجيش من دخول صعدة، بعد أن فر أميرها، وقتل كثير من الطرفين. وقد تقلبت الأيام بعلي بن أحمد وجرت حوادث قتل فيها إسماعيل بن الناصر، لكن تمت هيمنة الناصر على المنطقة. وعلى غير عادته فقد سمح برجوع علي بن أحمد إلى مركز ولايته حتى مات بها سنة (١١٢١هـ/ ١٧٠٩م) [٣].

وبسبب سطوة الناصر وبشطه بمن خالفه اضطر بعض آل القاسم وغيرهم من الأمراء إلى مغادرة اليمن إلى مكة، اتقاءً لشره. منهم: الحسين بن المتوكل والي صنعاء، الذي لم يعد إليها منذ مقتل صهره زيد الجملولي، كذلك أخوه الحسن بن المتوكل الذي كان قد بايع الناصر مضطراً مثل معظم الولاة من آل القاسم وغيرهم، غير أن الناصر

---

(١) أبو طالب: طيب أهل الكسا، مخطوط، ق١٦-١٧.

(٢) أبو طالب: نفس المصدر، ق١٧، د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص١٠٤.

(٣) د. حسين العمري: نفس المرجع، ص١٠٤-١٠٥، وللمزيد من التفاصيل انظر: ابن عامر: بُغية المريد، مخطوط، ق٣٧٧-٣٨٧.

كان يطالب بإرسال الأموال للمساعدة في حرب يافع، فسلم ما أمكن واستطاع، ولكن «ما زالت الرسائل تختلف، والطلب يزيد بما لا يمكن تحصيله، لذلك رأى أن يرحل إلى مكة، ويخلي البلاد للناصر»(١)، كما هرب إلى مكة عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن، ومن كوكبان أميرها الحسين بن عبد القادر، هؤلاء هربوا جميعاً خشية من الناصر(٢). واضطروا بعد ذلك إلى العودة إلى اليمن، وكان لبعضهم جولات معه.

ولم يكن الناصر يتوانى عن مصادرة أموال بعض الولاة والعمال، إن احتاج إلى ذلك، ولعل أبرز مثال على ذلك مصادرة أموال والي عدن حسن بن زيد بن علي بن جحاف، حيث طلبه الناصر إلى المنصورة وصادر جميع أمواله، وخرج منها لا يملك شيئاً مما جمعه حتى مماليكه(٣)، كما صادر جميع أموال السيد حسن بن مطهر الجرموزي، والي المخا، أثناء هروبه من المخا يريد التوجه إلى مكة بحراً خوفاً من بطش الناصر، غير أنه أمر من يقبض عليه، وصادر جميع أمواله(٤).

وخوفاً من بطش الناصر فإن كثيراً من الشخصيات الهامة في الدولة من خارج أسرة بيت القاسم قد هربت عندما علمت بتوجه الناصر إلى اليمن الأعلى، وعلى الرغم من أنه كان قد أرسل في طلب كثير من هذه الشخصيات، لكنها كانت تعلم أنه ليس بعد الطلب إلا السجن، إن لم يكن الإعدام، منهم على سبيل المثال: القاضي يحيى السحولي، الناظر على الوقف لما بلغه شدة غضب الناصر عليه بسبب الخطبة التي ألقاها يدعو إلى خلعه ومبايعة يوسف بن المتوكل، فهرب إلى عمران، كذلك القاضي جباري، الذي كان محرضاً ليوسف لإبراز دعوته ومحاربة الناصر، فهرب من ضوران إلى قبة المهدي أحمد بن الحسن بالغراس، يريد أن يستجير به(٥).

---

(١) ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٤٢٨-٤٢٩.
(٢) نفس المصدر، نفس الورقة.
(٣) النص، جـ٣، ق١٥٧ب.
(٤) النص، نفس الجزء، ١٦٨أ،١٦٩ب.
(٥) النص، نفس الجزء، ق١٦٩أ.

وكان الناصر يعين من يشاء ويعزل من يشاء من الولايات دون مراعاة للولاة السابقين، ولكن حسب ما تقتضيه مصلحته هو، ولم يكن الولاة السابقون يجرؤون على الرفض أو المعارضة، فنجده في بداية عام (١٠٩٩هـ/ بداية نوفمبر ١٦٨٧م) يعزل قاسم بن المتوكل عن بلاد السودة وعفار ويعطيها لقاسم بن المؤيد، كما عزل الأول أيضاً عن بلاد ثلا وأعاد إليها واليها السابق الفقيه حسين بن يحيى الثلائي[1]، وبلاد كحلان كانت تابعة لحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم فعزله عنها وعين عليها بعض أولاد الهادي بن الحسن بن شرف الدين[2]. كما عزل أخاه المحسن بن المهدي عن ولايته.

ومهما يكن الأمر فقد مرت مراكز القوى بتطورات سياسية ملحوظة حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من خضوع ففي بداية عهد الإمام المتوكل كان بداية نموها وبروزها. كان أبرزها أحمد بن الحسن ومحمد بن الحسن، وفي عهد الإمام المهدي أحمد بن الحسن ظهرت على السطح مراكز قوى جديدة كان قد بدأ نموها منذ نهاية عهد الإمام المتوكل، واستمرت في تقوية نفسها، وزاد نموها في فترة الإمام المهدي القصيرة، التي لم تتجاوز الخمس السنوات، وكانت في الوقت ذاته تخشى منه وتهابه.

وفي عهد الإمام المؤيد حصلت على الكثير من المناطق والنفوذ الواسع، بحيث أصبح بعضها أكثر قوة ونفوذاً من الإمام نفسه، فلما جاء محمد بن أحمد بن الحسن عمل جاهداً وبكل ما يستطيع على إخضاعها والحد من نفوذها، حتى اضطر بعضها إلى الفرار سواءً إلى مكة أو إلى المناطق البعيدة في اليمن، كما سبق أن رأينا، وقد أشار يحيى بن الحسين إلى ذلك بقوله: «وتمزق أولاد المتوكل ومن كان معهم في الجهات، كل على وجهه متفرقين، ليس همهم إلا النجاة»[3].

---

(١) النص، ج٣، ق١٧٣أ.

(٢) النص، نفس الجزء والورقة.

(٣) النص، نفس الجزء، ق١٧٠أ.

ولعل وصف الإمام الشوكاني لشخصية الناصر يوضح لنا كيف كانت شخصيته تلك وأثرها على التطورات السياسية في اليمن، فيقول: «والحاصل أنه ملك من أكابر الملوك، كان يأخذ المال من الرعايا بلا تقدير، وكانت اليمن من بعد خروج الأتراك منها إلى أن ملكها صاحب الترجمة مصونة عن الجور والجبايات، وأخذ ما لا يسوغه الشرع، فلما قام هذا أخذ المال من حله وغير حله، فعظمت دولته، وجلت هيبته، وتمكنت سطوته، وتكاثرت أجناده، وصار بالملوك أشبه منه بالخلفاء .... وكان سفاكاً للدماء بمجرد الظنون والشكوك»[(١)].

وكان متردداً لم يتخذ قراراً إلا ونقضه بعد مدة بقرار آخر، ولعل الألقاب الثلاثة التي تلقب بها خير دليل على ذلك، حيث بدأ دعوته للإمامة بلقب الناصر، واستمر عليه حتى سنة (١١٠٧هـ/ ١٦٩٦م) ثم تلقب بالهادي، ولم يلبث أن غير لقبه في سنة (١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م) وتلقب بالمهدي، كما أنه لم يتخذ مدينة واحدة عاصمة لدولته فنجده في (١١٠٣هـ/ ١٦٩٢م) يقرر تأسيس عاصمته الأولى في الخضراء، تقع شمالي مدينة رداع، لكنه لم يلبث أن بدأ في تأسيس عاصمة جديدة لدولته وهي «المواهب» تقع شرقي مدينة ذمار ودخلها في رجب سنة (١١١١هـ/ يناير ١٧٠٠م)، تاركاً الخضراء بعد أن أصبحت عاصمة متكاملة، وكان قد تم بناء منازل وقلاع وأسواق وحمامات ومساجد، وتم إيجاد حرف كثيرة كان يزاولها عرب وهنود وأتراك، وبعد أن تركها تحولت إلى أطلال وهدمت[(٢)].

ولكن من سوء الطالع أن يتزامن انتقال المهدي محمد بن أحمد بن الحسن إلى عاصمته الجديدة بحادثة ظهور فتنة إبراهيم بن علي المحطوري في منطقة الشرف من بلاد حجة، الذي كان بارعاً في السحر وعلم الطلاسم، فسفك الدماء ونهب الأموال وتزايد أتباعه، واستمرت فتنته حوالي أربعة أشهر، تمكنت قوات المهدي محمد بن أحمد بن الحسن من القضاء على أصحابه. وأفتى العلماء بقتله، فأعدم في ذي القعدة

---

(١) الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢،ص٩٧.

(٢) Serjeant. R.B. Lewcock: Sana'a An Arbian ISLamic, P; 82.

سنة (١١١١هـ/ إبريل ١٧٠٠م)[١].

وبعد القضاء على فتنة المحطوري استقرت الأوضاع السياسية في اليمن، وتوافدت إلى الإمام المهدي في عاصمته المواهب الوفود من خارج اليمن، من فارس والحجاز، كما وصلت بعثة فرنسية إلى بلاد الإمام في المواهب. وزاد دخل الدولة من المخا الذي كان الميناء الرئيسي لتصدير البن إلى خارج اليمن، وازدهرت تجارته في هذه الفترة[٢].

وعلى الرغم من أن الناصر قد تمكن من القضاء على العناصر القوية في دولته، غير أنه بعد أقل من عقدين وبالتحديد في سنة (١١٢٧هـ/ ١٧١٦م) أعلن الحسين بن القاسم بن المؤيد في شهارة إمامته، مستغلاً الاستياء والتذمر الذي ساد الكثير من المناطق اليمنية بسبب السياسة المالية الجائرة، والمتمثلة في فرض مطالب مختلفة، مخالفة للشريعة الإسلامية، فتمكن الحسين بن القاسم من كسب الكثير من المناصرين له والمؤيدين، واضطر صاحب المواهب عند ذلك أن يطلق سراح ابن أخيه[٣] القاسم بن الحسين بن أحمد بن الحسن من السجن لمساعدته ضد الحسين بن القاسم بن المؤيد، غير أن القاسم بن الحسين دخل في خلاف مع صاحب المواهب فبايع الحسين بن القاسم، واستولى على عدد من المدن باسم الأخير، وفي نهاية الأمر حاصر صاحب المواهب، الذي اضطر أن يطلب الهدنة، معترفاً بإمامة الحسين بن القاسم الذي تلقب بالمنصور، وخلع صاحب المواهب نفسه «بعد حروب شديدة، ومحاصرة عظيمة»[٤].

غير أنه في نهاية عام (١١٢٨هـ/ ١٧١٦م) نكث القاسم بن الحسين بمبايعته للمنصور الحسين بن القاسم وأعلن إمامته، وتلقب بالمتوكل، وكان قد أصبح إليه صنعاء، واستولى على عدن والمخا وموانئ تهامة وحجة وكحلان، كان يعني ذلك سيطرته على إيرادات الموانئ، وعلى النقيض من ذلك كان المنصور الحسين بن القاسم،

---

(١) د. حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص١١٠-١١١.

(٢) نفس المرجع، ص١٢٣.

(٣) وردت لدى سرجنت ابن عمه. والأصح ابن أخيه.

(٤) زبارة: نشر العرف، جـ٢، ص٣١٧.

الذي لم يكن له إلا شهارة وبعض المناطق المجاورة[1].

ومن البديهي أن يرفض صاحب المواهب مبايعة ابـن أخيـه القاسـم بـن الحسين، متعللاً إنه إنما تنازل عن إمامته للمنصور الحسين بـن القاسـم، فـدارت معـارك بـين الطرفين انتهت بمحاصرة صاحب المواهب، واشتدت وطأة هذا الحصار على من بها من منتصف شهر شعبان سنة (١١٣٠هـ/ ١٣يوليـو/ ١٧١٨م) حتـى الأسـبوع الأول من رمضان/ يوليو، حيث توفي صاحب المواهـب في ٥ رمـضان، وكـان عمـره ثلاثة وثمانين عاماً. وكان في وفاته فرجٌ على أهله ومن معهم بداخل المواهب وفرج على المحاصرين للمواهب[2].

وهكذا سارت عجلة التاريخ في هذه الحقبة كما استعرضناها، قوة وازدهار في عهـد الإمام المتوكل، وتوسيع لحدود الدولة حتى هابها القريب والبعيد، وازدهار اقتـصادي وما تبعه من ازدهار فكري علمي.

وكانت فترة الإمام المهدي أحمد بن الحسن امتداداً للفترة الـسابقة لهـا، وسـار عـلى نفس خُطى الإمام المتوكل تقريباً، واستقرت الأوضاع إلى حـد مـا بـسبب مـا تمتـع بـه الإمام المهدي من قوة شخصية وهيبة.

وبدأ التـدهور الـسريع وسـوء الأوضـاع الإداريـة والماليـة في عهـد الإمـام المؤيـد محمد بن المتوكل. وزادت الأوضاع الاقتصادية سوءاً.

أما الإمام الذي اتخذ الثلاثة الألقاب وهـو محمـد بـن أحمـد بـن الحـسن، فكانـت شخصيته مختلفة عمن سبقه من الأئمة، ولعله اتبع سياسة الغاية تبرر الوسيلة-إن جاز استخدام هذا التعبير-وعلى الرغم مـن سـيطرته عـلى زمـام الأمـور وإخـضاع مراكـز القوى فإن الأوضاع الاقتصادية قد تدهورت بسبب الحروب الكثيرة التـي دارت بينـه وبين المعارضين له. غير أنه في نهاية الأمر تغلب على الجميع، وزادت عائـدات الدولـة

(١) Serjeant .R.B.Lewcock: Sana'a An Arbian Islmic, P: 82 .

(٢) زبارة: نشر العرف، ج٢، ص٤٠٩؛ د.حسين العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، ص ١١٨.

المالية بسبب ازدهار تجارة البن، وطالت فترة إمامته إلى أكثر من ثلاثين عاماً، إلى أن مات محاصراً في المواهب، كما أسلفنا.

ولكن تجدر الإشارة هنا أنه على الرغم من أن مخطوطة بهجة الزمن قد توقف قلم صاحبها في بداية عام (١٠٩٩هـ/ ١٦٨٦م) إلا أن الباحثة قد حاولت بقدر المستطاع إكمال فترة صاحب المواهب الإمام محمد بن أحمد بن الحسن باقتضاب لرسم الخطوط العريضة لهذه الحقبة الهامة من تاريخ اليمن الحديث.

الفصل الثالث

المؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم، ومخطوطته

(بهجة الزمن في تاريخ اليمن)

أولاً: ترجمة المؤلف

لقد تناولنا في الفصلين السابقين الظروف السياسية التي كانت محيطة بالمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم، والتي تناولها المؤرخ نفسه في كتابه (بهجة الزمن في تاريخ اليمن). ولعله قد اتضحت في هذين الفصلين وفيما ورد في كتابه السابق ذكره الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة حينذاك، والتي كانت من العوامل المساعدة في تكوين شخصيته وبروزه في الكثير من علوم عصره.

فمن يحيى بن الحسين؟ وكيف كانت نشأته وتعليمه؟ وما العوامل التي ساعدت على تكوين شخصيته وبروزه في عدد من العلوم؟

أ- أسرته وتعليمه

ينتهي نسب يحيى بن الحسين إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، فهو«يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد بن أحمد بن الأمير الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن الإمام يوسف الأصغر الملقب الأشل بن الإمام القاسم بن الإمام يوسف بن الإمام يحيى بن الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين»[1].

---

(١) مطهر الجرموزي: النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة، مخطوط، ق٥.

أما تاريخ مولده فلم نجد فيها بين أيدينا من مصادر تأريخاً دقيقاً للشهر والسنة التي ولد فيها. وقد أورد بعض المؤرخين تأريخاً تقريبياً، ومنهم محمد بن علي الشوكاني، الذي يقول: «ولد تقريباً سنة (١٠٣٥هـ[1] ١٦٢٥م». ولعل التأريخ التقريبي الذي أورده الشوكاني صحيح، إذ يذكر أحد أحفاد يحيى بن الحسين في الورقة التي قبل ورقة عنوان الجزء الأول من كتاب (بهجة الزمن) أن مولد يحيى بن الحسين كان في سنة (١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م) مستنبطاً تأريخ مولده من بعض الأحداث التي ذكرها المؤرخ في الجزء الأول من كتابه (بهجة الزمن).

ومما لا شك فيه أن يحيى بن الحسين قد نشأ وترعرع في أسرة جمعت بين العلم والسياسة ابتداءً من جده الإمام القاسم بن محمد، الذي كان عالماً مجتهداً، وله العديد من المؤلفات، أصبحت مرجعاً لمن بعده، لعل أهمها كتابه (الأساس) في أصول الدين، و(الاعتصام) في الفقه، وغيرها من المؤلفات في علوم عصره[2].

وكان الحسين بن القاسم والد المؤرخ يحيى بن الحسين يعد من أبرز علماء عصره، فقد ترك لنا مؤلفات ذاع صيتها، وأصبحت من أهم الكتب التعليمية حينذاك، وفي الفترات اللاحقة. وكان أهمها كتابه (غاية السؤل في علم الأصول) وشرحه (هداية العقول)، الذي يصفه الشوكاني بقوله: «الكتاب المشهور، الذي صار الآن مَدْرَس الطلبة، وعليه المعول في صنعاء وجهاتها»[3]. ومن الملفت للنظر أنه قد ألف كتابه هذا وهو في ساحات القتال مع العثمانيين، فظهر مؤلفاً أطنب الكثير من العلماء في وصف أهميته.

ولم يكن الحسين وحده الذي اهتم بالعلم، وبرز فيه، بل إن إخوته كان لهم باع طويل في ذلك ابتداءً من الإمام المؤيد محمد بن القاسم إلى الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم.

(١) الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص٣٢٨.
(٢) للمزيد انظر الجرموزي: النبذة المشيرة.
(٣) الشوكاني: نفس المصدر، جـ١، ص٢٦٦.

ومما لا شك فيه أن بيت العلم والحكم قد ترك أثراً واضحاً على نشأة يحيى بن الحسين وسلوكه وتربيته، لهذا فليس غريباً أن نجد من المؤرخين من يصفه بأنه «سليل بيت علم وسياسة، وانعكس هذا في غزارة علمه وقوة شخصيته»[(١)].

وهناك عامل آخر كان له أثر في بروز يحيى بن الحسين وثقافته وعلمه، وهو مشائخه الكُثر، الذين تلقى العلم على أيديهم، فمن المؤكد أنه قد تلقى العلم على أيدي مشاهير علماء عصره، بوصفه حفيداً للإمام القاسم وابناً للحسين، ولاستعداده الشخصي، فقد أبدى اهتماماً بالعلم، حيث كان شغوفاً بتحصيله، فدرس في علم الحديث والتفسير وأصول الفقه وأصول الدين وغيرها من العلوم.

وقد أطنب يحيى بن الحسين في مدح مشائخه في الجزء الأول من كتابه (بهجة الزمن) وترجم لهم ترجمة كاملة، وذكر مؤلفاتهم والعلوم التي اهتموا بها، وكيف كانوا مشائخ للكثير من طلبة العلم من أترابه، ولعل أهم هؤلاء العلماء الشيخ المحدث عبد الرحمن بن محمد الحيمي (ت١٠٦٨هـ/ ١٦٥٧م) والقاضي العلامة أحمد بن صالح العنسي (ت١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م) والسيد العلامة شمس الدين أحمد بن علي الشامي (١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م).

ونال المؤرخ العديد من الإجازات من علماء بارزين في عصره، من أقطار مختلفة من العالم الإسلامي، خاصة في علم الحديث، ومن هؤلاء العلماء الشيخ عبد الرحيم اللاهوري الهندي الحنفي، الذي انتقل من مكة إلى اليمن ولازم الإمام المتوكل إسماعيل[(٢)]، وكاتب الشيخ زين العابدين بن عبد القادر الطبري المكي الشافعي في مكة، وطلب منه إجازة في جميع ماله من المرويات وكُتُب السنة، فأجازه في ذلك سنة (١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م) حيث كان إسناد زين العابدين الطبري أعلى الأسانيد في عصر يحيى بن الحسين[(٣)]، وأجازه القاضي العلامة أحمد بن سعد الدين المسوري سنة

---

(١) د. سيد مصطفى سالم: المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول، ص١٧٨.

(٢) النص، جـ١، ق١٩٠ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق٢٨٨ب.

(١٠٥٨هـ/ ١٦٤٨م) في مجموع الإمام زيد بن علي[١]. كما نال إجازة عامة من القاضي العلامة الحسن بن يحيى حابس في جميع مروياته[٢].

ولعل فيما سبق دلالة واضحة على أن المؤرخ قد عاش في بيئة علمية واسعة، مما كان له أثر في حياته وتكوين شخصيته وغزارة علمه، وانعكس على مؤلفاته.

وكان للاستقرار السياسي الذي تميز به حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل-كما سبق أن رأينا-أثره الواضح في الازدهار الفكري والعلمي. وبرز في هذه الفترة عدد من العلماء ومنهم يحيى بن الحسين، الذي كان يحرص على الالتقاء بالكثير منهم، وكان هناك علاقة متينة بينه وبين معظم علماء عصره، مما كان له أثر في توجهه العلمي. والتقى المؤرخ بالعديد من العلماء المسلمين الذين كانوا يفدون إلى اليمن من أقطار مختلفة من العالم الإسلامي، وكانت تجري بينهم العديد من المناقشات دوَّنها المؤرخ في كتابه (بهجة الزمن) بأجزائه الثلاثة، وكان هؤلاء العلماء من الحنفية والشافعية والإثني عشرية وغيرهم، وكان يستفيد منهم، كما استفادوا منه، ومن هؤلاء العلماء على سبيل المثال العالم المُلا محمد بن حسن الحساوي الحنفي، الذي التقى به المؤرخ كثيراً، واهتم المؤرخ بذكر العلماء الذين كانوا يفدون إلى اليمن ويلتقي بهم، وتدور مناقشات مذهبية فيما بينهم، ومن هؤلاء العلماء مثلاً: الشريف العارف إسماعيل بن إبراهيم الحنفي الحسيني، ومحمد بن أحمد كزبر الدمشقي، وغيرهم.

واطَّلع المؤرخ على الكثير من الكتب سواءً الموجودة باليمن أو التي كانت تُرسل إليه من أقطار العالم العربي والإسلامي، واهتم بإبداء ملاحظاته عليها بالنقد والتحليل لما ورد فيها سلباً وإيجاباً.

وكان من بين العلماء الذين كانوا يجيبون على الأسئلة والاستفسارات التي كانت تُرسل إلى اليمن من بعض الأقطار الإسلامية، حول بعض المسائل الدينية، بالإضافة

---

(١) زبارة: نشر العرف، جـ٣، ص٣٣٢.

(٢) النص، جـ١، ق٢٧٠ب.

إلى بعض المسائل الدينية التي كانت تُثار داخل اليمن وكان يجيب عليها العديد من العلماء من بينهم يحيى بن الحسين.

نخلص من ذلك إلى أن عصر يحيى بن الحسين-خاصة الموازي لعصر الإمام المتوكل إسماعيل-كان واحداً من العوامل التي ساعدت على بروز شخصيته العلمية وكثرة مؤلفاته وتنوعها، ومع كل ذلك فإننا لا نستطيع إنكار العامل المادي، الذي كان له أثر في تفرغ يحيى بن الحسين للعلم، فهو من أسرة حاكمة تتمتع بالاستقرار المادي، الأمر الذي مكَّنه من التفرغ للعلم واقتناء العديد من الكتب القيمة والنادرة.

وكما يروي يحيى بن الحسين بأنه كان مع أسرته مستقراً في مدينة صنعاء، قرب حارة «الأبهر»، وفي فصل الخريف من كل عام ينتقل مع أسرته إلى «بير العزب» غربي صنعاء حيث كان لهم هناك بيت وضيعة بها أعناب[١].

هذا الاستقرار ساعد على اهتمامه بالعلم والانتاج الغزير للكثير من المؤلفات.

ويذكر القاضي محمد الحجري أن من مآثر يحيى بن الحسين مسجد القضاة في «بير العزب»[٢]. وبناؤه لهذا المسجد لدليل على اهتمامه بالعلم والعلماء، إذ كانت المساجد دوراً للعبادة والعلم في الوقت ذاته.

ب- تفرغه للعلم والتأليف

سبق أن تناولنا العوامل التي ساعدت في تكوين شخصية يحيى بن الحسين العلمية وبروزه بين علماء عصره، وهنا لا بد أن نجيب على بعض الأسئلة منها: كيف تفرغ للعلم؟ ولماذا أطلقنا عليه موسوعياً؟ وما العلوم التي اهتم بها وألف فيها؟

لقد أعطى يحيى بن الحسين العلم جُلَّ وقته، وتفرغ له، يتضح ذلك من خلال ما أورده في ثنايا كتابه (بهجة الزمن)، ومن خلال من ترجم له من المؤرخين المعاصرين واللاحقين، ومن خلال المؤلفات التي تركها لنا، وهي متنوعة في عدد من

(١) النص، جـ٣، ق١٠٨ب.

(٢) محمد بن أحمد الحجري: مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ص٩٣-٩٤.

علوم عصره.

فعلى الرغم من التنافس الذي كان قائماً بين مراكز القوى من أبناء الأسرة وغيرهم، سواءً كان على الإمامة أو على تولي بعض المناطق الهامة، إلا أن يحيى بن الحسين كان بعيداً عن هذا التنافس، ولم يدخل في شيء من ذلك، واهتم بالعلم مكتفياً بالوظيفة التي أوكلها إليه عمه الإمام المتوكل إسماعيل، وهي جباية جزية اليهود في صنعاء، حيث لزم هذه الوظيفة حتى وفاته[1].

وكان عمه الإمام المتوكل قد عرض عليه أن يتولى المناطق التي كانت في ولاية أخيه محمد بن الحسين بعد وفاته، غير أنه قد أشار إلى ذلك بقوله: «فاعتذرت إليه من ذلك، ولم أدخل في شيء مما هنالك»[2]. ولعل الإمام محمد بن أحمد بن الحسن (صاحب المواهب) قد طلب منه مبايعته عند إعلان إمامته، وربما عرض عليه منصباً يتولاه، فاعتذر عن ذلك، يتضح ذلك من خلال الرسالة التي أجاب بها يحيى بن الحسين على صاحب المواهب، مما قال له فيها: «وعرف منا ذلك المتوكل فيما مضى، فعذر وارتضى، وكذلك والدكم، وكذلك محمد بن المتوكل. كلهم سايرونا على ما نحبه من عدم تعلق أمر ولا تكليف ولا محاضر ولا مجامع، وإعذاراً مما لا يخفاكم»[3].

وكان يرى أن على الإنسان أن يتفرغ للعلم والعبادة؛ لأن الملك والحكم زائلان[4]، لذلك كله فقد ساعده هذا التفرغ على التحصيل في علوم كثيرة، ألَّف فيها الكثير من الكتب.

وكان يحيى بن الحسين قد ذكر عدد مؤلفاته في ورقة العنوان لكتابه «الزهر الناعم في اتِّباع سنة أبي القاسم» وبخطه هو، فيقول: «مصنفات الفقير إلى الله يحيى بن الحسين بلغت نحو ثمانين مصنفاً في قدر ثلاثين مجلداً. والله الموفق»[5]. ثم زاد عليها ربما بعد

(١) ابن عامر، بُغية المريد، مخطوط، ق١٤٥، إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، مخطوط، جـ٣، ق٤٦٩.

(٢) النص، جـ١، ق١٥٥أ.

(٣) النص، جـ٣، ق١٣٠ب.

(٤) يحيى بن الحسين: أصول فرق الإسلام، ق١٧٨ب-١٨٨أ (مخطوط ضمن مجموع رقم ٦١، مكتبة الأوقاف).

(٥) يحيى بن الحسين: الزهر الناعم في اتِّباع سنة أبي القاسم، ورقة العنوان (مخطوط ضمن مجموع رقم ٤٦، مكتبة الأوقاف).

تأليفه لكتاب الزهر الناعم فبلغت نحو ١٢٢ مصنفاً، وفي مختلف العلوم.

أما العلوم التي ألَّف فيها، فهي علوم القرآن والسيرة النبوية، وأصول الفقه، وأصول الدين، والحديث، والتصوف، والتاريخ. غير أن المؤلفات التاريخية التي تركها كانت سبباً في شهرته وبروزه بين مؤرخي عصره، بل لقد كان له أثر كبير على من أتى بعده من المؤرخين لميزاته العلمية المتعددة، فقد كان مجتهداً متحرراً، عميق النظر، فضلاً عن اتساع معلوماته وكثرة مؤلفاته[1].

واهتم بعلم التاريخ فكانت مؤلفاته التاريخة أكثر شهرة من مؤلفاته في العلوم الأخرى، وقد اعتمد من جاء بعده من المؤرخين على كتبه، وبصفة خاصة كتابيه «أنباء الزمن في تاريخ اليمن» و «بهجة الزمن في تاريخ اليمن»، ولن نبالغ إذا ما أكدنا على أن يحيى بن الحسين يعد من أبرز مؤرخي عصره، وبتعبير الأستاذ الدكتور سيد مصطفى بأنه يعد «من أبرز مؤرخي القرن السابع عشر الميلادي اليمنيين، ومن أكثرهم اعتدالاً على الإطلاق، رغم أنه كان حفيداً للإمام القاسم بن محمد، ورغم أن عصره كان عصر التعصب للأئمة الزيديين، وعصر انتصار هؤلاء الأئمة وامتلاكهم لمقاليد الأمور في اليمن»[2].

وعلى الرغم أن ثمة من يقول إن مذهبه الزيدي قد دفعه إلى محاباة رجال الزيدية في كثير من المواضع[3]، غير أنه من خلال ما وقفنا عليه من كتب ليحيى بن الحسين لم نجد ما يؤكد هذا القول فكان كثيراً ما ينتقدهم، ويدعو إلى نبذ التعصب، ويطلق على المتعصبين من الزيدية بـ«رفضة الزيدية» مشيراً بذلك إلى الفرق المتعصبة. فلم يحاب أحداً من رجال الزيدية، وإنما كان أكثر مؤرخي عصره موضوعية.

ويتضح من خلال كتابات يحيى بن الحسين التاريخية أنه كان واسع الإطلاع على العديد من المؤلفات وفي مجالات مختلفة فتمتع لذلك بثقافة عالية ولاطلاعه الواسع

---

(١) د. حسين العمري: المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث، ص٣٦.

(٢) د. سيد مصطفى سالم: المؤرخون اليمنيون، ص٨٢.

(٣) د أيمن فؤاد السيد: مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، ص٢٤٦.

نجده من أكثر المؤرخين دقة وعلماً بمجريات الأحداث، وبحسب صاحب «مصادر تاريخ اليمن» فإن كتبه تعد من أشمل المؤلفات التي عالجت تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، حيث صحح فيها الكثير من الأخبار التي اختلف حولها سابقوه[1].

ولم يقتصر اهتمام يحيى بن الحسين على الفترة التي عاصرها، لكنه تناول مراحل التاريخ القديم، ثم الإسلامي، ثم المعاصر له، وأفرد لكل مرحلة مؤلفاً خاصاً، هذا بالإضافة إلى كتب التراجم، وسأكتفي بسرد مؤلفاته التاريخية، وهي:-

١- العبر في أخبار من مضى وغبر: تناول فيه المؤرخ الفترة السابقة للإسلام.

٢- أنباء الزمن في تاريخ اليمن: تناول الفترة منذ فجر الإسلام حتى خروج العثمانيين الأول من اليمن سنة (١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م).

٣- بهجة الزمن في تاريخ اليمن: تناول الفترة منذ خروج العثمانيين/ ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م، حتى بداية عصر صاحب المواهب (١٠٩٩هـ/ ١٦٨٦م)، موضوع هذه الدراسة، التي تُعنى الباحثة بتحقيقه.

ويتضح في مؤلفاته الثلاثة السابقة حرصه على التسلسل الزمني فيها، فجعل كتابه«العبر» مقدمة لكتابه الثاني «أنباء الزمن» بينما كان كتابه الثالث «بهجة الزمن» ذيلاً للكتاب الذي قبله «أنباء الزمن» وحاول الربط بين المؤلفات الثلاثة.

٤- المستطاب في تراجم علماء الزيدية الأطياب: ويعد من أهم كتب التراجم في تلك الفترة.

٥- التعريف بجملة من أهل العلم والتصنيف: ترجم فيه لبعض العلماء من أهل اليمن وغيرهم[2].

٦- الزهر في أعيان العصر: ترجم فيه لستة عشر عالماً من علماء اليمن في عصره.

وعلى الرغم من أن يحيى بن الحسين قد ابتعد عن السياسة -كما سبق أن رأينا-ولم

---

(١) أيمن السيد: مصادر تاريخ اليمن، ص٢٤٦.

(٢) عبد الله الحبشي: مؤلفات يحيى بن الحسين، مجلة العرب، جـ٩، ص٧١٧-٧١٨.

يشارك في الحكم، إلا أنه لم يكن بمعزل عن الأوضاع السياسية الدائرة حوله، ولم يسكت عما كان يصدر من الأئمة والحكام من أخطاء، فهو أحياناً ينصح، وأحياناً أخرى يترجى، وأحياناً ثالثة ينتقد ويهاجم، وله العديد من الرسائل-التي دونها في كتابه «بهجة الزمن» بأجزائه الثلاثة-مع الأئمة وبعض مراكز القوى، ابتداءً من عصر الإمام المتوكل إسماعيل، الذي دارت بينه وبين يحيى بن الحسين العديد من المراسلات، كان الأخير ينتقد بعض سياسة الإمام المتوكل المالية، وكان الإمام بالتالي يجيب على تلك الرسائل مبرراً أحياناً، ومنكراً ما يوجه إليه من انتقادات أحياناً أخرى، ولكن في جميع تلك المراسلات اتضح أن الإمام المتوكل كان يُجِلُّ يحيى بَن الحسين ويحترمه، لمكانته العلمية الكبيرة، ودارت أيضاً مراسلات بينه وبين الأئمة الثلاثة الذين أتوا بعد الإمام المتوكل، وقد سبق ذكر ذلك في الفصل الثاني من هذه الدراسة.

ج - إهمال بعض المؤرخين الترجمة له واهتمام الكثير منهم بذلك

من المعروف أن بعض المؤرخين قد أهملوا الترجمة ليحيى بن الحسين، ونتيجة لذلك لم يتأكد تأريخ دقيق لسنتي ولادته ووفاته. ومعظم ما وجدناه لا يعدو أن يكون ترجيحات، كما أسلفنا، كما أن معظم مؤلفاته لا زالت مكتوبة بخطه، ولم تُنسخ، ولعل موقف يحيى بن الحسين من الأئمة في عصره، وكذلك من بعض العلماء المعاصرين له جعل بعض المؤرخين يهملون الترجمة له، ولعل ذلك يعود إلى ما ذهب إليه الشوكاني وهو: «ميله إلى العمل بما في أمهات الحديث ورده على من خالف النصوص الصحيحة»(1).

السبب الآخر، ولعله أكثر أهمية وهو أنه قد مثل جانب المعارضة-إن جاز استخدام هذا التعبير-ابتداءً من عصر الإمام المتوكل حتى أوائل عصر الإمام محمد بن أحمد بن الحسن (صاحب المواهب)، هذا الموقف جعل بعض المؤرخين يهملون الكتابة عنه، ربما محاباة للسلطة، كما هو متبع في كل العصور والأزمنة.

---

(1) الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص٣٢٨.

وأبزر مثال على ذلك الإهمال هو المؤرخ عبد الله بن علي الوزير (١٠٧٤-١١٤٧هـ/ ١٦٦٣-١٧٣٤م)، حيث يتضح موقفه من يحيى بن الحسين من خلال كتابه «طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى» فدوّن كتابه هذا مبتدأً بنفس الفترة التي بدأ بها يحيى بن الحسين كتابه «بهجة الزمن»، واعتمد اعتماداً أساسياً على هذا الكتاب، فاستقى منه معظم المعلومات، ورتب أحداث كتابه بالترتيب نفسه لأحداث كتاب «بهجة الزمن» ولكن بأسلوب مختصر.

وكان في معظم الأحيان ينقل من كتاب «بهجة الزمن» ويتجاهل ذكر اسم يحيى بن الحسين، ويستبدله بنعوت ومسميات أخرى مثل :«رأى بعض السادة»[١]، وقد وردت عند يحيى بن الحسين بقوله: «وفيها رأيت» أو يقول: «رأيت لبعض الفضلاء كلاماً يقول ما لفظه:[٢] »وهو ينقل من كتاب (البهجة) أو يقول: «وهذا ما تلقاه بعض النقلة عن لسان الشيخ محمد الحساوي»[٣]، وهناك أمثلة أخرى كثيرة.

غير أن هناك من المؤرخين من أنصفه، واعترف بفضله وعلمه، منهم على سبل المثال ابن عامر، فقد مدحه بقوله: «كان سيداً عالماً من عيون آل محمد فضلاً وورعاً، متكلماً في الفروع، وشرح الأزهار شرحاً عظيماً، أبان عن علم واطلاع واختيارات ثاقبة، وآراء صائبة، وإلزامات مفيدة، وله رسائل عظيمة وحواشي عجيبة، وكان في زمن الإمام المتوكل رحمه الله عمدة الناس في الفتوى، وكان منظوراً بعين السيادة والكمال والرئاسة العظمى»[٤].

وترجم له إبراهيم بن القاسم في كتابه «الطبقات» ترجمة طويلة، أطنب في مدحه، وأضاف إلى ما قاله ابن عامر أنه كان إماماً محققاً، أستاذ أهل الرسوخ، له تصانيف جليلة، منها كتاب التاريخ، يدخل في مجلدين، وشرح على مجموع الإمام زيد، يدل على

(١) عبد الله بن علي الوزير: طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق: عبد الرحيم جازم، ص٥٩.

(٢) نفس المرجع، ص٦٢؛ قارن: النص، جـ١، ق٢٠أ-٢٠ب.

(٣) ابن الوزير: نفس المرجع، ص٢٠٩، قارن: النص، نفس الجزء، ق٢٢٥ب-٢٢٧أ.

(٤) ابن عامر: بُغية المريد، مخطوط، ق١٤٤-١٤٥.

تمكنه وبسطه في جميع العلوم[1].

أما الشوكاني فقد وصفه بأنه مطلع في جميع العلوم، ومتمكن، وأن مصنفاته جليلة[2].

وترجم له معظم المؤرخين المتأخرين مثل: البغدادي: في كتابه «هدية العارفين» والقنوجي في كتابه «التاج المكلل» وغيرهم معتمدين على الترجمة التي أوردها الشوكاني في كتابه «البدر الطالع»، حتى لقد صار كتاب الشوكاني هذا مصدراً رئيسياً للكتابات المتأخرة التي ترجمت ليحيى بن الحسين.

د- وفاته

سبق أن ذكرنا بأن ثمة تضارباً واختلافاً بين المؤرخين حول السنة التي توفي فيها يحيى بن الحسين، فثمة من يذكر أن وفاته كانت «في نيف وثمانين بعد الألف من الهجرة»[3]. وثمة من يرى أن وفاته كانت بعد سنة (١٠٩٩هـ[4]/ ١٦٨٦م) استناداً إلى أن كتابه «بهجة الزمن» قد توقف في هذا العام. والبعض يذكر أن وفاته كانت بعد سنة (١١٠٠هـ[5]/ ١٦٨٧م). وقبر في بير طاهر، في الجهة الغربية من صنعاء[6]، رحمه الله.

ونتيجة لتلك الاختلافات حول وفاته، فإننا أيضاً لم نستطع أن نحدد تحديداً دقيقاً السنة توفي فيها يحيى بن الحسين، غير أنه من المرجح أن وفاته كانت بعد سنة (١١٠٠هـ/ ١٦٨٧م)، إذ إنه ليس بالضرورة أن تكون وفاته في نفس العام الذي انتهى فيه من كتابه «بهجة الزمن»، فربما أنه قد انشغل بمؤلف آخر، أو لعله قد توقف عن الكتابة لأسباب نجهلها حالياً، وقد تكشف لنا مصادر أخرى -غير متوفرة الآن-

(١) إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، مجـ٣، مخطوط، ق٤٦٨-٤٦٩.

(٢) الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص٣٢٨.

(٣) ابن عامر، بغية المريد، مخطوط، ق١٤٤، الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص٣٢٨-٣٢٩.

(٤) إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، مج ٣، مخطوط، حاشية، ق٤٦٩.

(٥) زبارة: نشر العرف، جـ٣، ص٤٦٩. يذكر المؤرخ زبارة أن أحد أحفاد يحيى بن الحسين، وهو مطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين قد أشار في كتابه (العطايا والمنن ذيل بهجة الزمن) أن وفاة جده يحيى بن الحسين كانت بعد سنة (١١٠٠هـ/ ١٦٨٧م).

(٦) إبراهيم بن القاسم: نفس المصدر، نفس الجزء والورقة.

عن ذلك.

ثانياً- البحث عن نسخ المخطوطة ووصفها :

لما كان أي تحقيق لمخطوطة ما ونشرها نشراً علمياً سليماً يحتاج قبل البدء في أي شيء إلى حصر النُّسخ المختلفة إن وجدت فقد بدأت بالبحث عن نسخ أخرى لهذه المخطوطة الموجودة بدار المخطوطات بصنعاء، وتتبعت قراءة الفهارس العامة للمخطوطات العربية سواء الموجودة في دار الكتب اليمنية أو في المكتبة المركزية بجامعة صنعاء، حيث تتوفر في هذه المكتبات فهارس عامة عن المخطوطات اليمنية في المكتبات العالمية العربية والأجنبية مثل: فهارس دار الكتب المصرية ومعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ومكتبة صوفيا الوطنية البلغارية ومكتبة الأمبروزيانا، لكني لم أجد في أي منها ذكراً أو إشارة لمخطوطة (بهجة الزمن) كما بحثت في الكتب الخاصة بفهارس بعض المخطوطات اليمنية مثل: « مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني» للدكتور حسين العمري و« مصادر التراث العربي الإسلامي في اليمن» للأستاذ عبد الله الحبشي، و« مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي» للدكتور أيمن السيد، غير أني أيضاً لم أجد في كل ذلك إشارة أو ذكر لهذه المخطوطة.

ولم أكتف بذلك لكني بدأت في البحث عن نسخة أخرى لها لدى بعض الأسر اليمنية التي لديها مكتبات غنية بالتراث اليمني، وكان يحدوني الأمل في أن أجد نسخة لدى هذه الأسر؛ لأن الكثير من المخطوطات اليمنية لا زالت حبيسة المكتبات الخاصة، غير أني خلال رحلة البحث هذه لم أجد أيضاً أي أثر لنسخة أخرى. مع أن وجود نسخة ثانية كان يعني لي توفير الكثير من الجهد والوقت، كما سيتضح ذلك في منهج التحقيق.

وإذا ما انتقلنا إلى وصف نسخة المخطوطة الموجودة في دار المخطوطات بالجامع الكبير أو ما يسمى بالمكتبة الغربية فهي مقيدة تحت رقم (٤٩ تاريخ وتراجم) وهي من

القطع المتوسط (مقاس ٢١× ١٥) والمخطوطة بخط المؤلف عدا بعض أوراق في الجزأين الأول والثاني كتب بخط مختلف، غير أن ما كُتب هو إما رسائل أو أبيات شعرية منقولة من دواوين لكنها قليلة، وكأن المؤلف قد كلف أحد معاصريه بكتابتها أو نقلها إلى مخطوطته.

وبما أن المخطوطة هي مسودة المؤرخ فلا يوجد عدد محدد للأسطر فيها بسبب أن الخط في بعض الأوراق صغير جداً، وفي معظم الأوراق كان الخط أكبر لذلك تفاوت عدد أسطر المخطوطة، فالأوراق التي خطها صغير يتراوح عدد أسطرها ما بين ٢٢- ٢٣سطراً بينما الأوراق التي خطها أكبر يتراوح عدد أسطرها ما بين ١٨- ١٩ سطراً.

والمخطوطة غير مرقمة من قبل المؤرخ، لكنه حرص على أن يلتزم في الأجزاء الثلاثة بما عرف بنظام التعقيبة وهو كتابة بداية الكلمة التي في الورقة الجديدة في أسفل الورق السابقة للدلالة على بدء الورقة التي تليها وهو أسلوب متبع في معظم المخطوطات، وكأنه بمثابة ترقيم لأوراق المخطوطة . غير أنه تم ترقيمها من قبل الجهة التي تحتفظ بها وهي دار المخطوطات. وقد رقمت بعض الأوراق ترقيماً خاطئاً، حيث كان هناك قفزات في بعض الأوراق في حين أنه لا يوجد نقص أو خلل في تسلسل الأحداث.

وبلغ عدد أوراق الجزء الأول ٢١٩ورقة والجزء الثاني ٢٣٨ورقة والجزء الثالث ١٧٥ورقة، وبذلك يكون عدد أوراق الأجزاء الثلاثة ٧٠٤ أوراق أي أن عدد صفحاتها ١٤٠٨ صفحات.

وإذا ما بدأنا بوصف ورقة العنوان للجزء الأول فهي كالتالي: كُتب في أعلى الورقة في منتصفها عنوان المخطوطة بخط المؤلف وهو : « بهجة الزمن في تاريخ اليمن» وكتب المؤلف قبل العنوان في وسط الورقة من أعلى وبخط كبير: « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله، وفي جهة اليسار وبخط مائل من أعلى إلى أسفل كتب حفيد المؤرخ ترجمة للسيد إدريس بن علي الحمزي[1] وولده محمد بن

(١) انظر ترجمته لدى زبارة، أئمة اليمن، ج١، ص ٢١٨.

إدريس[1] كما يلي: » السيد العالم إدريس بن علي ويلقب سيف الإسلام بن عبد الله بن الحسن. ويلقب بأبي .... [2] فارس المسلمين ابن حمزة الجواد بن سليمان.... [3] ابن حمزة اليمني ابن علي العالم المجاهد بن حمزة بن أبي هاشم النفس الزكية الحسن بن عبد الله بن علي بن عبد الله العالم. صنو الهادي يحيى بن الحسين رحمه الله مؤلف «كنز الأخيار في الأخبار» كتاب نفيس، حافل نظير . رتبه على السنين، وفرغ من تأليفه يوم الإثنين في رجب الأصب من ثلاث عشرة وسبعمائة، وتوفي سنة أربع عشرة وسبعمائة . وكان للسيد إدريس مخالطة للسلاطين اليمنية وتولى لهم وأكل عطياتهم وإقطاعاتهم وجوائزاتهم[4] . ثم روي عنه أنه تاب توبة نصوحاً، عاهد الله عليها مراراً حتى مات، رحمه الله تعالى. وهو والد السيد محمد بن إدريس الذي له مؤلفات كثيرة منها: « النهج القويم في تفسير القرآن الكريم» في مجلدات. وله: «التيسير في التفسير» مجلدات، وله غير ذلك . ومن مؤلفاته في الفقه كتاب: «شفاء غلة الصادي على مذهب الهادي» رحم الله الجميع برحمته. نقل من.... [5] القاضي أحمد بن سعد المسوري رحمه الله.

وكتب في جهة اليسار بخط كبير: « من مؤلفات العلامة عماد الإسلام يحيى بن الحسين بن أمير المؤمنين رحمه الله تعالى »، ويوجد بهذه الورقة عبارات كتبت ثم شطبت بالحبر الأسود، ولم يتضح معناها.

أما الورقة المقابلة لورقة العنوان فقد كُتب في جهة اليسار بخط مائل من أعلى إلى أسفل، ويرجح أنه خط حفيد المؤرخ، الذي كتب تعليقات في بعض أوراق المخطوطة وهو يحيى بن مطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين، كتب ترجمة لجناد بن واصل الكوفي استقاها من كتاب «معجم الأدباء» لياقوت الحموي، ما يلي:« جناد بن واصل الكوفي هو مولى بني عارضة، من بني أسد يكنى أبا محمد، ويقال: أبو واصل . من رواة

(١) انظر ترجمته لدى زبارة، المصدر نفسه، ص ٢٤٤-٢٤٥.
(٢) كلمة غير واضحة في الأصل.
(٣) كلمة غير واضحة في الأصل.
(٤) كذا في الأصل وهي تعني : المنح والعطايا.
(٥) كلمة غير واضحة في الأصل.

الأخبار والأشعار، لا علم به بالنحو. وكان يصحف ويكسر الشعر، ولا يميز بين الأعاريض المختلفة. وهو من علماء الكوفيين القدماء. وكان كثير الحفظ في مقياس حمَّاد الرَّاوية، وما كان أهل الكوفة يشكُّون في شعره، ولا يعزُبُ عنهم اسم شاعر إلا سألوه عنه فوجدوه لذلك حافظاً، وبه عارفاً. انتهى من معجم الأدباء لياقوت»[1].

ثم كُتب في أسفل الورقة من جهة اليسار، وبالخط نفسه، غير أنه خط كبير ما يلي: «مولد الجد يحيى بن الحسين استنباطاً من أخبار سنة ١٠٤٩هـ، في سنة ١٠٣٥. وفاته سنة ١٠٩٩، فعمره على هذا ٦٤ سنة، رحمه الله تعالى».

وإذا انتقلنا إلى وصف ورقة العنوان للجزء الثاني فهي كالتالي:

كُتب في أعلى الورقة في منتصفها عنوان المخطوطة، بخط المؤلف، وهو: «الجزء الثاني من بهجة الزمن في تاريخ اليمن ......[2]، ليحيى بن الحسين. وهو تاريخ»، وبقية الكلام مشطوب عليه، وكأن الفاعل قد تعمد أن لا يتضح منه شيءٌ.

وكُتب في منتصف الورقة بعد العنوان، وبخط واضح ومختلف عن خط المؤلف ما يلي:

«وأنباء الزمن في تاريخ اليمن»، جمع سيدي العلامة عماد الدين يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد عليه السلام. » وبعدها إشارة الهاء المقلوبة «لـع» التي تعني انتهى.

وكُتب في أسفل الورقة، في الجانب الأيسر منها كلام، سُكب عليه الحبر، فلم يتضح منه شيء البتة، وكتب تحته بخط مختلف عن خط المؤلف، ومختلف عن الخط السابق ما يلي:

«غفر الله له ولوالديه والمسلمين والمسلمات بمحمد صلى الله عليه وآله. شهر رجب سنة ١١٩٣هـ.

أما الورقة المقابلة لورقة العنوان، وهي حامية الكتاب فلم يُكتب فيها شيء.

وإذا انتقلنا إلى وصف ورقة العنوان للجزء الثالث، سنلاحظ أن العنوان قد كُتب

(١) وردت الترجمة لجناد بن واصل الكوفي لدى ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٧، ص٢٠٦-٢٠٧.
(٢) كلمة غير واضحة في الأصل.

في منتصف أعلى الورقة بخط المؤلف وهو: «الجزء الثالث من التاريخ ومن الأصل هـو الجزء الخامس من أخبار اليمن» ويقصد المؤلف من ذلك أن «بهجة الزمن» ذيل «لأنباء الزمن»، حيث أن كتابه «أنباء الزمن» جزآن، و «بهجة الزمن» ثلاثة أجزاء. لـذلك فـإن الجزء الثالث من «بهجة الزمن» يعتبر الجزء الخامس، حسب تقسيم المؤرخ نفسه.

وكُتب تحت العنوان، بخط مختلف. والحبر أكثر حداثة: «للوالد العلامـة يحيـى بـن الحسين، طاب ثراه، آمين».

وفي منتصف الورقة، في الجانب الأيمن كتب المؤلف: «ويكفيك في تصديق قولي أن أحمد ......[١] للويام. نص الجفر الموسوم بالقول للبسطاء من أنه الملك[٢] الزاهر».

وكُتب بعد ذلك في الجانب الأيسر من الورقة، وبخط مائل من أعلى إلى أسفل كلام لم يتضح، بسبب أنه شُطب عليه، والشطب تقريباً بنفس القلم، وكـأن صـاحبه تراجـع عما كتبه، ولعله بخط المؤلف؛ لأنه شبيه بما ورد في مـتن المخطوطـة، وبعـض الكلـمات قُرأت، لكنها غير كافية لمعرفة ما يريد الكاتب أن يقول.

أما الورقة المقابلة لورقة العنـوان فقـد كُتـب فيهـا مجموعـة مـن الأبيـات الـشعرية المتفرقة، لبعض الشعراء، مثل: الصفي الحلِّي، وابـن المقـرب، وابـن رشـيق، والإمـام الزمخشري، غير أن كثيراً من الكلمات غير واضحة. ومن المرجح أن هذه الأبيات بخـط المؤلف، وقد ورد معظمها في متن الجزأين الثاني والثالث.

وبدأ كتابة تلك الأبيات من بداية الورقة، أو في منتصفها. وهي كالتالي[٣]:

للصفي الحلِّي:

في فســـاد الأحـــوال لله سر   والتبـاس هـي غايـة الإيـضاح

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) الكلمة غير واضحة في الأصل، ولعلها كما أثبتناها.

(٣) حاولت الباحثة كتابة الكلمات غير الواضحة في هذه الأبيات من دواوين شعرائها. وبما أن معظم هـذه الأبيـات قـد ورد في المتن فسيتم تحقيقها في هامش المتن.

فيقــول الجهــول قــد فــسد الأمــر وذاك الفــساد عــين الــصلاح

ابن المقرب

يــا أيهــا الــساعي ليــدرك مجــده أفــق إن هــذا الــسعي منــك إضــلال

ودع عنــك مــا لا تــستطيع فقــد تــرى مــساعي مــا لا تطيــق لــيس ينــال

الصفي الحلِّي:

لكنهـــا الأيـــام في تـــصريفها تقـــضي عليـــه بنحـــسه وبـــسعده

إذا أقبلـــت وهبـــت محاســـن غـــيره أو أدبـــرت ســـلبت محاســـن نفـــسه

من شعر سالم بن وابصة......[1]:

غنى النفس ما يكفيك عـن سـد خلـة فـإن زاد شـيئاً عـاد ذاك الغنـى فقـرا

ابن رشيق:

مــا دمــت مــستوياً ففعلــك كلــه عــوج وإن أخطــأت كنــت مــصيبا

كــالنقش لــيس يــصح معنــى ختمــه حتـــى يكـــون بنـــاؤه مقلوبـــا

قيل إن الأبيات للإمام الزمخشري رحمه الله.

....

....

....

....[2]

(١) كلمة غير واضحة في الأصل. ورد البيت في ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، جـ٢، ص١١.

(٢) وردت أربعة أبيات شعرية لم يتضح منها شيء سوى كلمات قليلة لا تفي بالمعنى، ولم أجد ديوان الزمخشري.

والنـاس أعـوان مـن والتـه دولتـه   وهـم عليـه إذا عادتـه أعـوان[1]

وقد أشار المؤرخ في الورقة الأخيرة من الجزء الأول إلى انتهائه من هذا الجزء، غير أنه لم يشر إلى تاريخ انتهائه من كتابة هذا الجزء

أما بالنسبة للورقتين الأخيرتين للجزأين الثاني والثالث فلم يكتب المؤرخ تاريخ انتهائه منهما، ولم يشر حتى إلى أنه قد انتهى منهما، وختم الجزء الثاني بذكر وفاة سلطان عُمان «سلطان بن مرشد»، وتلى ذلك خمسة أسطر لم يتضح منها شيء بسبب الشطب المتعمد، أما الجزء الثالث فقد ختمه بذكر موقف الناصر محمد بن أحمد بن الحسن من يافع.

ولا توجد إشارة إلى تاريخ انتهائه من المخطوطة كاملة في الأجزاء الثلاثة.

ولم يرد في الأجزاء الثلاثة ما يدل على تمليكها، أو انتقال ملكيتها من شخص إلى آخر، كما هو موجود في معظم المخطوطات غير أنه من خلال التعليقات الواردة في بعض حواشي المخطوطة، والتي هي بخط حفيد مؤرخنا، وهو يحيى بن مطهر بن يحيى بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين، الذي كتب أيضاً معظم التعليقات في ورقة العنوان والورقة التي قبلها في الأجزاء الثلاثة يتضح لنا أنها كانت بحوزته، ولعلها قد وصلت إليه عن طريق الإرث ، يؤكد هذا الورقة التي بخطه أيضاً، والتي أضافها أو أدخلها في الجزء الأول من المخطوطة بين ورقتي رقم(٢٥٤)و (٢٥٥) وبدأها بذكر اسمه قائلاً: « يقول أحقر الفقراء إلى الله الكريم يحيى بن مطهر بن إسماعيل ابن المؤلف يحيى بن الحسين» وذكر في هذه الورقة رأياً شخصياً في شعر جده يحيى بن الحسين الذي أورده في هذه المخطوطة. والورقة المضافة مختلفة عن بقية أوراق المخطوطة، لأنها كُتبت في فترة متأخرة في عصر يحيى بن المطهر حفيد المؤلف الذي عاش في الفترة من (١١٩٠-١٢٦٨هـ / ١٧٧٦-١٨٥١م) فهي أحدث من بقية أوراق المخطوطة، كما أن الحبر مختلف. وكما سبق أن رأينا في ترجمة المؤرخ أن عبد الله بن الوزير في كتابه « طبق الحلوى» قد استعان بمخطوطة «بهجة الزمن» استعانة كاملة، وهذا دليل على أنها كانت لديه لفترة من الزمن فلعله قد استعارها من

(١) هذا البيت لأبي الفتح البستي (أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، جـ٢، ص٦١٧).

أبناء أو أحفاد يحيى بن الحسين، واستقى منها معلوماته، ثم أعادها إليهم.

وقد استهل المؤرخ كل جزء من الأجزاء الثلاثة بالبسملة.

ووجد في الأجزاء الثلاثة تعليقات في الحواشي بخط مختلف عن خط المؤلف، غير أنها في الجزأين الثاني والثالث قليلة جداً، إذا ما قورنت بالجزء الأول.

والمخطوطة كُتبت بخط «معتاد سقيم»، حسب تقييم مفهرسي المكتبة الغربية بدار المخطوطات، فالقارئ لأول وهلة قد لا يتمكن من قراءتها واستخراج كلماتها إلا بصعوبة بالغة، بل إن بعض الكلمات لم تتضح إلا من خلال سياق المعنى، ويرجع ذلك فيما يبدو إلى استعجال المؤرخ في الكتابة، ولم يهتم بالإعجام في معظم الأحيان، ونتيجة لكل ما سبق فإن هناك بعض كلمات لم تتضح رغم المحاولات الجادة لفهمها، حتى من قبل بعض المتخصصين في قراءة المخطوطات.

غير أنه لا بد من الاعتراف هنا أن قراءة الجزأين الثاني والثالث كان بالنسبة للباحثة أقل صعوبة من الجزء الأول، إذ أنها قد اعتادت على خط يحيى بن الحسين، على الرغم من أن الجزأين الثاني والثالث بهما الكثير من الشطب إذا ما قورنا بالجزء الأول.

ولم يهتم المؤرخ بوضع الإشارات الدالة على عدم الإعجام إلا نادراً، فهو أحياناً يضع علامة (Z) تحت الحاء، ونقطة تحت الدال والطاء، و(V) فوق السين، وغير ذلك مما كان متبعاً في كتابة المخطوطات من قبل.

ولم يهتم المؤرخ أيضاً بوضع الهمزات إلا نادراً، سواء كانت همزات لازمة مثل: رياء، ماء، صنعاء، سماء، أو همزات مخففة مثل: شمائل، قبائل، أوائل، ...إلخ.

ويستخدم أحياناً حرف الياء بدلاً من الهمزة المخففة، كما هو متبع في كثير من المخطوطات مثل: دواير، بير، زايل، وقايع، حمايل... إلخ.

كما أنه لم يهتم بتشكيل الكلمات التي هي بحاجة لذلك، وإن كان قد شكل بعض الكلمات التي وردت في بعض الأبيات الشعرية.

ولا نستطيع أن ننتقد المؤرخ في كل ذلك؛ لأن ذلك هو المتبع في كثير من المخطوطات حينذاك.

وعلى الرغم من أن كثيراً من المخطوطات تعتمد في كتابة بعض الكلمات على الرسم القرآني، إلا أن يحيى بن الحسين كان يكتبها في معظم الأحيان كما هو متبع في الكتابة الحديثة، ولم يكتبها كما وردت في القرآن إلا نادراً مثل: زكواة، صلوة، إسمعيل، سموات، وغير ذلك.

وكان يحيى بن الحسين مثل غيره من المؤلفين والنُساخ لم يتبع رسماً واحداً في كتابة بعض الكلمات، فنجده أحياناً يكتب الألف الممدودة ألفاً مقصورة مثل: غزا يكتبها غزى، نما يكتبها نمى، عفا يكتبها عفى ...إلخ. وأحياناً العكس من ذلك فيكتب الألف المقصورة ممدودة مثل: العظمى يكتبها العظما، الفتى يكتبها الفتا، الأعمى يكتبها الأعما، ويكتب أحياناً التاء المربوطة تاءً مفتوحة مثل قلة الرجال يكتبها قلت الرجال، رغبة أهله يكتبها رغبت أهله.

أما بالنسبة للتمييز بين الضاد والظاء فهي من الأخطاء الشائعة لدى الكثير من المؤلفين والنُساخ، لذلك نجد المؤرخ مثل غيره يخطئ أحياناً في التمييز بينهما، ومن أمثلة ذلك: أيقظها، يكتبها أيقضها، العظة، يكتبها العضة، يعضُّ يكتبها يعظ.

وبما أن النسخة التي بين أيدينا هي مسودة المؤلف فقد زحم معظم أوراق المخطوطة بالحواشي، وبخط صغير وغير واضح في معظم الأحيان، ولا يُقرأ إلا بصعوبة بالغة، غير أنه من الملاحظ أن تلك الحواشي كانت تقل من جزء إلى آخر، فالجزء الثاني كانت الحواشي به أقل من الجزء الأول، بينما الجزء الثالث كانت الحواشي أقل من الجزء الثاني.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأحداث التي سجلها المؤرخ من كتاب آخر الحواشي بها قليلة جداً، بل قد تختفي، وذلك على خلاف ما نجده بشأن الأحداث التي كان يسجلها ولا ينقلها من مصدر مقروء، مثل: رحلة الحيمي إلى الحبشة في الجزء الأول من المخطوطة، وكذلك الأبيات الشعرية التي نقلها من دواوين بعض الشعراء والرسائل.

واهتم المؤرخ بوضع الإشارات التي ترشد القارئ إلى مكان تلك الإضافات في المتن بسهولة، فإذا كانت الإضافة في جهة اليمين يضع الإشارة (/) وإذا كانت في جهة اليسار يضع الإشارة (\)، أما إذا كانت الإضافة في الحاشية بأكملها-أي في جهتي اليمين واليسار-فإنه يبين للقارئ أين ستبدأ الإضافة وأين ستنتهي، فيضع إشارة (٧) ليوضح أن الإضافة ستبدأ من جهة اليسار وتنتهي في جهة اليمين، وإذا بدأها من جهة اليمين، فإنه يضع الإشارة عكس الأولى (✓).

وحرص المؤلف على أن يكتب كلمة (صح) عند نهاية أي إضافة في الحاشية، حتى وإن كانت الإضافة كلمة واحدة.

ولم يهتم المؤرخ بوضع عناوين بارزة لأهم الأحداث، غير أنه حرص على أن تكون كلمة «ودخلت» بمثابة عنوان رئيسي لهذه الحوليات، فكتبها في سطر مستقل، وبخط كبير من أول السطر إلى آخره، ثم يكتب في السطر الذي يليه السنة الجديدة بالحروف وليس بالأرقام. وأحياناً كان يكتب كلمة (ودخلت) في نصف السطر بعد انتهائه من الحدث السابق مباشرة، ربما حتى لا يترك نصف السطر بياض، فيواصل بخط كبير في نفس السطر كلمة (ودخلت سنة ..)[(١)].

وعند الانتقال من حدث إلى آخر يكتب كلمة (وفيها)، أي السنة، وبخط أكبر من المعتاد في معظم الأحيان، كما أنه عند نهاية الحدث أو نهاية الفقرة يضع الهاء المقلوبة(ـھ)، التي هي اختصار لكلمة (انتهى) وأحياناً أخرى يضع علامة مختلفة عن الأولى، وهي (ى) وتدل أيضاً على الإنتهاء من الحدث أو الفقرة، غير أن المؤرخ كان في معظم الأحيان يسرد الأحداث دون أن يفصل بينها بأية علامة أو إشارة

والمتصفح للمخطوطة يلاحظ أن المؤلف كان يشطب بعض ما يكتبه من أحداث . وهذا أمر طبيعي فهي مسودة المؤلف، فنجد أحياناً يكتب حدثاً كاملاً، ثم يشطبه ويعيد كتابته في موضع آخر، أو في عام آخر والجزء الأول من المخطوطة أقل الأجزاء شطباً، حيث أن الشطب في الجزأين الثاني والثالث أكثر من الجزء الأول، ففي الجزء الثاني

---

(١) النص، جـ٢، ق٢٠١أ.

بعض أوراق كان المؤرخ نفسه يشطب ما يكتبه من أحداث ثم يعيدها في موضع آخر من المخطوطة، وهذه واضحة أنها بيد المؤرخ نفسه، وفي حالات نادرة يلاحظ أن الشطب بحبر مختلف، وفي أحيان أخرى لا يكتفي الفاعل بالشطب، بل قد يقوم بمحو بعض أسطر المخطوطة بوضع الحبر أو الماء عليها حتى لا يتضح شيء مما كان مكتوباً البتة، وقد يشمل ذلك الشطب أو المحو الحواشي، فقد يشطب جزء منها، أو قد تشطب جميعها، حتى وإن كانت كبيرة من أول الورقة إلى آخرها، ولم يتبين في معظم الأحيان من الذي قام بالشطب هل المؤلف أم غيره؛ لان الحبر غير مختلف.

ويلاحظ في الجزء الثالث وهو أكثر الأجزاء شطباً أن هناك أوراقاً كاملة وكأن يداً قد عبثت بها، وليس لديها وعي بأهمية مثل هذه المخطوطات فهو شطب لا معنى له؛ لأن كثيراً من الأوراق المشطوبة عبارة عن أحداث تاريخية عادية، لا تستدعي القيام بشطبها، وكأن من قام بذلك الشطب لم يكن متعمداً إخفاء ما كتبه المؤلف، ويشبه لعب الأطفال، إن جاز التعبير.

أما بعض الأوراق ففيها شطب متعمد، بحيث لم يتضح شيء مما كتبه المؤلف، وقد تصل إلى الورقة كاملة أو نصفها أو أسطر منها، غير أن ذلك كان قليلاً إذا ما قورن بالشطب غير المتعمد.

وترك المؤلف في أوراق قليلة مكان بعض الكلمات بياضاً في الأصل، مثلاً يقول: «وكان جملة القتلى ....»[1] ربما أنه غير متأكد من عدد القتلى، وترك في الجزء الثاني الورقة (١٥١أ) نصفها بياض، غير أنه كتب كلمة التعقيبة التي سبق الإشارة إليها. وكتبها بخط كبير ومائل من منتصف الورقة حتى نهايتها، كي لا يترك لأحد فرصة الكتابة في هذه الورقة، أما الورقة (٢٠٨ب) فهي بياض كلها، غير أن ما كتبه المؤلف متناسق، ولا يوجد خلل في تسلسل الأحداث في الورقة التي تليها.

ونجد في بعض الأوراق أن المؤلف في الجزأين الأخيرين قد كتب بعض الأحداث

---

(١) النص، جـ٣، ق١٩أ.

في المتن، لكنه أعاد كتابتها في الحاشية، بنفس الصيغة تقريباً[١]. أو أنه قد يكرر الحدث مرتين في المتن نفسه، بينما لم نجد مثل ذلك في الجزء الأول من المخطوطة.

وكتب المؤرخ في بعض الأحيان عناوين في الحاشية، عند سرده لأحداث هامة أو قصص اجتماعية غريبة، وإن كانت تلك العناوين قليلة جداً إذا ما قورنت بمخطوطات أخرى، من تلك العناوين مثلاً: «ذكر وفاة سلطان الروم»[٢] «قصة الفرنج لعنهم الله في المخا»[٣]، (عجيبة في كسوف الزهرة)[٤]، (ذكر وفاة المهدي)، غير أن تلك العناوين في الجزء الثالث كانت قليلة جداً إذا ما قورنت بالجزء الأول والثاني.

ثالثاً-أهمية المخطوطة

إن إبراز أهمية المخطوطة وما تناولته من موضوعات من شانه أن يؤكد ما ذهبت إليه الباحثة في ترجمة المؤرخ، وهو أن يحيى بن الحسين يعد من أشهر مؤرخي تلك الفترة، وأكثرهم موضوعية ودقة وأمانة، وإن كانت مؤلفاته لم تحظ بالدراسة الجادة، والتحقيق العلمي. وتعد مخطوطة « بهجة الزمن في تاريخ اليمن» -التي تعنى هذه الدراسة بتحقيقها أهم مؤلفات يحيى بن الحسين التاريخية، غير أنها ظلت طي الكتمان، ولم تر النور، فلم يستعن بها أحد من المؤرخين المتأخرين المهتمين بالفترة التي تتناولها هذه المخطوطة. من ذلك على سبيل المثال سرجنت (Serjeant) الذي أشرف على وضع كتاب هام عن صنعاء[٥]، فعلى الرغم من أن مخطوطة «بهجة الزمن» تحوي معلومات كثيرة وهامة عن صنعاء في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي أكثر من أي مخطوطة أخرى تناولت الفترة نفسها -كما سنرى- نجد أن «سرجنت» لم يستعن بها في حين أنه استعان بمخطوطات معاصرة لتلك الفترة مثل: «تحفة الأسماع والأبصار» للجرموزي، ومخطوطات أخرى لا تعدو أن تكون اختصاراً

(١) النص، جـ٢، ق١ب.
(٢) النص، ج١، ق١٣٩ب.
(٣) النص، جـ٢، ق٧٣ب.
(٤) النص، جـ٣، ق١٧أ.
(٥) اسم الكتاب: Sana'a an Arabian Islamic city

لمخطوطة «بهجة الزمن» مثل: «طبق الحلوى» لابن الوزير. ولعل «سرجنت» لم يتمكن من الحصول عليها، أو لأن خطها سقيم تجاهلها. كما أن بعض الرسائل العلمية(١) التي تناولت هذه الفترة لم تكن مخطوطة «بهجة الزمن» مصدراً لها، على الرغم من أهميتها وموضوعيتها، واهتمامها بذلك العصر بمختلف جوانبه. وقد رأيت لذلك أنه من الأهمية بمكان إخراج هذه المخطوطة إلى حيز النور ليستعين بها المهتمون، وبوصفها واحدة من أهم المصادر التي لا غنى عنها لمعرفة أحداث القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين يرى أن مخطوطة «انباء الزمن في تاريخ اليمن» من أهم مؤلفات يحيى بن الحسين التاريخية فإن مخطوطته «بهجة الزمن» أكثر أهمية، دون أن يعني هذا أننا نقلل من أهمية مخطوطة «أنباء اليمن»، إذ لا يستطيع أحد إنكار أهميتها، غير أن ما يميز مخطوطة «بهجة الزمن» ويجعلها أكثر أهمية من غيرها هو أن مؤلفها كان معاصراً لمعظم الأحداث -إن لم نقل جميعها- التي وردت فيها، كما أنه كان قريباً من معظم الأحداث، إذ لا يخلو حديثه في سرده لمعظم أحداث المخطوطة من قوله شاهدت، سمعت ، أخبرني فلان. كما أنه عند ترجمته لمعظم شخصيات عصره كان يعرفهم عن كثب، وهذا بلا شك يعطي المخطوطة أهمية كبيرة، حيث تعد مصدراً أصلياً لمن أراد أن يكتب عن تاريخ اليمن في هذه الفترة.

ولم يكن مؤرخنا معاصراً للأحداث فحسب، فهو ابن الحسين بن القاسم أشهر علم في الدولة القاسمية، معنى ذلك أنه كان قريباً جداً من مسرح معظم الأحداث في عصره، بل والأهم من ذلك أنه شارك في بعض تلك الأحداث، كما يروي خلال أسطر مخطوطته هذه، من ذلك على سبيل المثال ما ذكره من مرافقته لوالده الحسين بن القاسم في بعض المعارك ضد أحمد بن الحسن، بعد وفاة والده، وخروجه عن طاعة الإمام المؤيد، فيقول: «وكان بجنب شرف الإسلام يومئذٍ على يمينه السيد العلامة

(١) من تلك الرسائل على سبيل المثال، رسالتان: الأولى للباحثة السعودية حياة البسام: الإمام المؤيد محمد بن القاسم في اليمن، والثانية للباحثة السعودية سلوى الغالبي: الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم ودوره في توحيد اليمن. وهما رسالتان نالتا بهما الباحثتان درجتي الماجستير.

أحمد بن علي الشامي، وكاتب الأحرف على يساره»[1]. وأحداث أخرى كانت له يد في صنعها، فيشرح على سبيل المثال المكاتبات التي دارت بينه وبين الإمام المتوكل على الله إسماعيل، التي اعترض فيها مؤرخنا على سياسية الإمام إسماعيل في فرض المطالب المختلفة، وقد سبق ذكر ذلك في ترجمة المؤرخ.

أريد من ذلك أن مؤرخنا كان قريباً من تلك الأحداث، ومشاركاً في بعضها بصورة أو بأخرى على الرغم من رفضه لأي منصب سياسي . كل هذا يعطي لهذه المخطوطة - كما ذكرنا- أهمية كبيرة.

ولم يكن قريباً من الحكام والشخصيات الهامة فحسب، بل كان قريباً أيضاً من الفقراء والمساكين، حيث كان حريصاً على أن يتتبع أخبارهم، والكتابة عنهم، والترجمة لمن يتوفى منهم، حتى لنجده يصفهم بأنهم الملوك حقاً لتقشفهم وزهدهم عن ملذات الدنيا[2].

وبالإضافة إلى هذا النسب وما يمكن أن يكون له من أثر في أهمية هذه المخطوطة، فإن الجانب الآخر الذي يزيد من أهمية كتابات يحيى بن الحسين بوجه عام هو جوانب المؤرخ الشخصية، وهي: موضوعيته ودقته وأمانته في سرد الأحداث، وتحليله وتفسيره لمعظمها.

وإذا ما بدأنا بموضوعيته سنجده أكثر مؤرخي عصره موضوعية، فلم تكن مخطوطته «بهجة الزمن» سيرة شخصية لإمام من أئمة عصره، ولم يكن هدفه من وضعها إرضاء طرف من الأطراف المعاصرة له. فعلى الرغم من أنه أحد أفراد أسرة الإمام القاسم، فإنه كان أكثر المؤرخين المعاصرين انتقاداً لأفراد أسرته، فلم يكتف بسرد الأحداث في مخطوطته هذه، بل نجده ينتقد الأئمة وغيرهم من صُنّاع الأحداث.

ولكن ذلك لا يعني أن مخطوطته «بهجة الزمن» في مجملها انتقادات أو تصيد للأخطاء أو السلبيات التي كان يرتكبها البعض، فهو يورد أيضاً إيجابيات كثيرة، لكثير من المعاصرين له. فمن الملاحظ أنه ينتقد ويمدح، يورد السلبيات والإيجابيات في

---

(١) النص: جـ١ ق ٢٧ب.

(٢) النص : جـ١ ق ١٢٣أ - ١٢٣ب.

الوقت ذاته، يكتب ما للشخص وما عليه دون تحرج أو خوف، فنجده على سبيل المثال ينتقد سياسة الإمام إسماعيل وتصرفاته في بعض المواقف، دون أن يمنعه ذلك من ذكر إيجابياته في مواقف أخرى، ويشكره على ذلك ويثني عليه، من ذلك على سبيل المثال قوله: «وفيها أمر الإمام بتفريق فطر[١] مدينة صنعاء لفقرائها، فأصاب وأحسن»[٢].

وانتقد مؤرخنا أحمد بن الحسن في كثير من المواضع، غير أنه في الوقت ذاته يذكر إيجابياته ويمدحه في مواضع أخرى[٣] ويتبع مؤرخنا الطريقة نفسها مع كل من يترجم لهم، فلا يتردد في أن يذكر حسناتهم وسيئاتهم، فهاهو في ترجمته ليحيى بن محمد بن الحسن بن القاسم عند وفاته يبدأ بمدحه بأنه « كان كريماً ويبذل العطاء، بحيث قد يخلي مخزانه، وينفق جميع أمواله»[٤]، غير أنه لا يخفى سلبياته، مع أنه من أسرة الإمام القاسم، فيقول:«إلا أنه جار مع ذلك على الرعايا، وأذاقهم البلايا، لا سيما بلاد الحجرية»[٥]. وعلى الرغم من الانتقادات الكثيرة التي كان يوجهها للقاضي أحمد بن سعد الدين المسوري، فإن ذلك لم يكن ليمنعه من أن يذكر حسناته، ويثني عليه. من ذلك قوله:«فمن أحسن ما وافق الحق قوله إن الناظر الذي على أوقاف صنعاء حسَّن للإمام أن يزيد في الأجر للأوقاف على ما كان في عريص[٦] الحوانيت مما وضعه سنان التي هي أملاك للناس، وفي عريص البيوت، فقال القاضي للإمام: إمام بعد إمام، ودولة أظلم من سنان، فترك الإمام ذلك المرام، وكان ذلك منه حسنة للأنام»[٧].

أما الصفة الأخرى التي تدل على موضوعيته، التي امتاز بها عن معظم مؤرخي عصره فهي عدم اهتمامه بالتفخيم أو التعظيم بالألقاب سواء للأئمة أو غيرهم من الشخصيات البارزة، فيكتفي بأن يلقب الأئمة بلقب الإمامة فقط. وفي بعض الأحيان

---

(١) يقصد المؤرخ بكلمة فطر: زكاة الفطر.
(٢) النص: جـ١ ق ١٥٦أ.
(٣) النص: نفس الجزء، ق ١٢٧أ -١٢٧ب.
(٤) النص: نفس الجزء، ق ١٩٢ب.
(٥) النص، نفس الجزء والورقة.
(٦) العِرِيْص: جمع عَرَصَة، وهي قطعة الأرض المعدة للبناء فيها.
(٧) النص: نفس الجزء، ق ٢٥٢.

يستخدم الألقاب الشائعة في اليمن حتى الآن مثل: شرف الإسلام، ضياء الإسلام، شرف الدين، خاصة والده وعمه الحسن. وبالمقابل لم تكن تصدر عنه كلمات جارحة لأحد، ولا يشتم أحداً.

وإذا لم تكن لدى يحيى بن الحسين معرفة تامة عن أي موضوع يتطرق له أو يكتب عنه فإنه يتوقف عن إصدار أي حكم أو أي رأي في هذا الموضوع، كما هو الحال في حديثه عن الصوفية ومنهم ابن عربي، نجده بعد أن يسرد آراء كثير من العلماء في ابن عربي لا يتكلم بشيء أو يحكم بشأنه، ويرى أن الأفضل لمن لم يعرف مقاصد ابن عربي أن يتوقف عن إصدار الحكم عليه[1].

وقد نتفق أو نختلف مع يحيى بن الحسين فيما ينتقده، إلا أن ما أعجبنا في انتقاداته وفي شخصيته أنها تعبر عن وجهة نظره صراحة، وتؤكد أنه ابن عصره.

وكان يتبادر إلى ذهني سؤال هام طوال مصاحبتي لهذه المخطوطة- وربما يزيد هذا السؤال من أهميتها في نظري- وهو ما هو المحور الأساسي الذي اتبعه المؤرخ طوال كتابته لهذه المخطوطة؟ أو ماذا كان يشغله في هذه الفترة؟ هل حرصه على متانة تماسك الأسرة القاسمية الحاكمة، التي هي أسرته؟ هل قدرتهم على التدعيم والسيطرة؟ هل يقف موقف المعارضة منهم؟ مثل هذه الأسئلة وغيرها تتضح الإجابة عليها من خلال ما سجله مؤرخنا في مخطوطته هذه، فقد جمع بين عدة سمات: فهو حيناً يؤيد، وحيناً آخر يعارض، وحيناً ثالثاً ينصح، ويكون مجتهداً ويلجأ إلى الشريعة حيناً رابعاً. أي إن المؤرخ كان له موقف، والإنسان موقف.

وهناك سمة أخرى اتسم بها يحيى بن الحسين، وكان له أثر واضح في أهمية المخطوطة، تلك هي دقته وأمانته. فلا بد من إنصافه بالاعتراف بأنه من أحسن مؤرخي عصره، وأكثرهم أمانة، وهو من القلائل الذين يتحرون الدقة في مؤلفاتهم فيجري وراء الأحداث ويسجلها، ثم نجده يسند ما يكتبه إلى مصادرها، فإذا شاهد يقول: شاهدت وإذا سمع عن حادثة أو رويت له نجده يهتم بأن يعيد ذلك إلى المصدر الذي سمع عنه، وإذا لم يثق بما سمع

(١) النص: جـ١ ق ٢١٠ب- ٢١١أ.

يقول: هكذا أخبرني فلان والله أعلم، أو هكذا سمعت من فلان، وإذا سجل معلومات قرأها فهو يذكر اسم الكتاب الذي قرأها ونقلها منه.

لقد كان مؤرخنا يحاول توثيق معلوماته، فيسند معظم الأحداث إلى مصادرها بدقة وأمانة. ويتضح للقارئ رغبة يحيى بن الحسين في التوثيق إذا أُتيحت له الفرصة بالنسبة للأحداث البعيدة عنه، فيحرص على اللقاء بالشخص الذي شاهد الحدث.

ولعل أبرز مثال ما رواه لنا من حادثة أخبره بها شخص يقال له أحمد الشظبي، ولكونها حادثة غريبة قد لا تصدق فإن مؤرخنا يقول للقارئ بأنه سيحاول اللقاء بالشخص الذي شاهد الحادثة ، وذلك ليتأكد من مدى صحى ما نقل إليه، فيقول:« إذا حصل اتفاق به سألته عما رآه»[١] . وبالإضافة إلى هذا فقد كان يحرص على التوثيق حتى في الأحداث أو المواقف التي لا تتطلب ذلك. فنجده عند ترجمته لوفاة والده الحسين بن القاسم، بعد أن ذكر رأي والده في أصول الدين، ورأيه في بعض المذاهب، يقول:«هكذا أخبرني به الفقيه أبو القاسم بن الصديق التهامي، وهو أحد مشائخه في الفقه»[٢] . وإذا ما أوردنا مثالاً آخر للدلالة على دقته وأمانته فهو عند ترجمته للسيد هاشم بن حازم المكي يقول:«هكذا روى لي الفقيه ناصر الزبيب حال سكونه هذه المدة بمدينة زبيد»[٣] أو يقول: «وأخبر السيد عبد الله الكبسي عن حقائق حالات القاسم»[٤].

ولا شك أن هذا يعد من صفات المؤرخ الأمين، وهو التوثيق لما يورده من أحداث سواء كانت سياسية أو غيرها، داخل اليمن أم خارجها . وبذلك نستطيع تقسيم المصادر التي استقى منها يحيى بن الحسين معلوماته إلى عدة أقسام:

القسم الأول: ما كان يشاهده بنفسه، وكان قريباً منه، وهو كثير، فنجده في الأحداث

---

(١) النص: جـ١ ق ٦٤أ-٦٤ب.
(٢) النص: نفس الجزء، ق ٥٥ب - ٥٦أ.
(٣) النص: نفس الجزء، ق ٧٨ب.
(٤) النص: جـ٢، ق ١٦٧أ.

السياسية المحلية على سبيل المثال يتابعها من خلال أوامر الإمام إلى ولاته في مختلف المناطق للقيام بأي عمل سياسي، سواء كان الأمر بزيادة المقررات، أو بإخضاع بعض المناطق لسلطة الإمام، أو بالقضاء على أي تمرد أو عصيان.

القسم الثاني: الأحداث التي كانت تحدث في مناطق اليمن المختلفة، وتصل إلى الإمام، سواء كانت تمرداً أو غزواً أو تقطعاً في الطريق، كذلك ما يقرره الإمام إزاء هذه الأحداث من أوامر أو مواقف. ولكون المؤرخ قريباً من السلطة فقد تيسر له أخذ تلك المعلومات من مصادرها.

أما الأحداث التي كانت تحدث خارج اليمن فإن المؤرخ كان يستقي مادته التاريخية من مصادر عديدة لعل أهمها:-

العلماء الذين كان يلتقي بهم ويحرص على تسجيل ما يروون له من أحداث مختلفة كانت تحدث في العالم الإسلامي، ولعل أشهرهم المُلا محمد بن حسن الحساوي، الذي ورد اسمه كثيراً في هذه المخطوطة، فقد زار اليمن، والتقى به وأخذ عنه الكثير من المعلومات عن العالم الإسلامي، وكذلك الشيخ محمد بن أحمد كزبر الدمشقي، وعلى ما يبدو أنه كان صديقاً للمؤرخ، حيث كان يلتقي به في معظم السنوات التي يصل فيها إلى اليمن، ويستقي منه الكثير من الأخبار عن الدولة العثمانية والحجاز، ويصفه المؤرخ بأنه ثقة من أهل العلم على مذهب الحنابلة(١).

والمصدر الثاني الذي كان مؤرخنا يعتمد عليه في تسجيل ما يحدث خارج اليمن هم التجار، الذين كانوا يفدون إلى اليمن لغرض التجارة، حيث كان يلتقي بعضهم، ويستقي منهم المعلومات(٢) ونجده مثلاً يقول: «وفي شهر محرم وصل واصل من التجار إلى مدينة صنعاء من البحر الشرقي على بندر عدن وأخبر.....»(٣).

---

(١) النص، جـ٢، ق ٩٢ب.

(٢) النص: جـ١ ق ٢٥٠ب.

(٣) النص، جـ٢، ق٢٤ب.

وثمة مصدر ثالث اعتمد عليه المؤرخ فيما يكتبه عن العالم الإسلامي، ذلك المصدر هم الحجاج، فقد كان يلتقي ببعضهم عند عودتهم، فينقلون له ما شاهدوه أو ما سمعوه من أحداث عن الحجاز خاصة، والعالم العربي والإسلامي عامة، فنجده مثلاً يقول: «وفي آخر صفر جاء الخبر المحقق مع بعض الوافدين من الحجاج الحقيقيين الثقات المحققين فأخبرني من لسانه»[١].

كما استفاد من بعض الرسل الذين كانوا يفدون إلى اليمن من قبل السلاطين والحكام في العالم الإسلامي لمقابلة الإمام إسماعيل، فكان يستقي منهم بعض المعلومات عن بلدانهم ، فهو على سبيل المثال يعطينا معلومات عن الدولة العثمانية وحروبها في جهات مالطة، وعدد جنودها وخدمها، وقد استقى ذلك من الرسول الذي أرسله السلطان العثماني بهدية للإمام إسماعيل، وسجله في هذه المخطوطة[٢].

ومما يمكن قوله هنا أن بعض الأحداث البعيدة عنه، خاصة في المناطق النائية عن اليمن، مثل: فارس والهند وما وراء النهر وغيرها من المناطق البعيدة كان يسجلها كما سمعها، دون أن يتأكد من صحة ما نقل إليه، غير أنه يحمد له حرصه على اتباع طريقة الإسناد، وذكر الأشخاص الذين كانوا ينقلون إليه تلك المعلومات. فمثلاً نجده يقول: «ولقد أخبرني رجل وصل هذه المدة إلى صنعاء يقول إنه شريف من مدينة قندهار»[٣].

ومما زاد من أهمية هذا الكتاب أن يحيى بن الحسين لم يكتف بسرد الأحداث وإسنادها إلى مصادرها، لكنه أيضاً اتخذ أسلوب التحليل والتفسير والنقد خلال طرحه لتلك الأحداث. وبغض النظر عن أن تحليل مؤرخنا وتفسيره كان صحيحاً أم غير صحيح، فهو يعبر عن وجهة نظره، وبحسب ثقافته في ذلك العصر، فقد يصيب أحياناً ويخطئ أحياناً أخرى، وقد نتفق معه حيناً ونختلف معه حيناً آخر.

---

(١) النص، جـ٢، ق٨٦ب.
(٢) النص: جـ١، ق ٢٣٣ب- ٢٣٤ب.
(٣) النص: ج٣، ق ١١٧ب.

ولو تتبعنا طريقة المؤرخ في ذلك لاحتاج منا الكثير من الأمثلة التي قد يجدها القارئ في متن هذه المخطوطة، ولكن لتأييد ما ذهبنا إليه لا بأس من إيراد بعض منها، فنجده عند ترجمته لعبد الله بن عامر، ابن عم الإمام القاسم يقول:«وكان يقول ما أُخذ من الناس من المطالب من العوام حلال، لأن أكثرهم لا يُصلُّون، وفُسَّاق ، ويسرقون . وهذا منه قول غير صحيح، لأن ذلك الجاري لا يوجب تحليل أموال الناس كما هو معلوم، فإن أموال الفساق لا تحل لأحد، بل يعاملون معاملة المسلمين. ثم إن التعميم بجميع العوام إساءة ظن بجملة المسلمين»[١] . فالقارئ يلاحظ في هذه العبارة نقداً بناءً، ثم لا يكتفي بالنقد، بل نجده يحلل ويفسر سبب نقده لأقوال ابن عامر هذا. وتتضح لنا طريقة يحيى بن الحسين في التحليل والتفسير والنقد بصورة أوضح إذا ما وقفنا قليلاً عندما أورده من انتقادات للحسن بن أحمد الحيمي، فبعد أن أورد رحلة الحيمي إلى الحبشة ذكر في آخرها أن الحيمي قد كتب قصيدة يحث فيها الإمام وأعوانه على الجهاد في سبيل الله، لمحاربة أولئك الكفار، والاستيلاء على بلاد الحبشة بأكملها[٢]، غير أن مؤرخنا يحلل تحليلاً سياسياً دقيقاً كيف أن الإمام إسماعيل لا يستطيع بأي حال من الأحوال تنفيذ مثل ذلك، فشرح الأسباب المانعة لذلك، والتي منها: الأوضاع السياسية والاقتصادية في اليمن، ثم ينظر إلى الأوضاع السياسية للمناطق المجاورة لليمن، وكذلك أوضاع أكبر قوة في عصره، وهي الدولة العثمانية، والتي كانت مسيطرة على معظم سواحل الحبشة[٣]. وفي ذلك دليل على أنه كان يتمتع بعقلية منظمة، وفكر واسع، ونظرة بعيدة المدى، وإلمام بما يدور حوله من أحداث سواء في اليمن أو خارجها.

والأهمية الأخرى هي أن كتاب يحيى بن الحسين بأجزائه الثلاثة فيه من التفاصيل الكثيرة ما ليس موجوداً في كثير من الكتب، فالمؤرخ يتناول الأوضاع المختلفة بكل جوانبها، فلم يكن يتابع الأوضاع السياسية فحسب، بل كان يتغلغل في المجتمع،

---

(١) النص: جـ١، ق:١٣١أ

(٢) النص: نفس الجزء، ق ١١٤أ- ١١٤ب.

(٣) النص، نفس الجزء والورقة.

خاصة الصنعاني، ويدون حركته، واهتم بالأوضاع الأخرى، التي ستتكلم عنها في محتويات المخطوطة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الرسائل التي أوردها المؤرخ قد أعطت هذه المخطوطة أهمية كبيرة، فقد أورد الكثير من الرسائل بنصوصها، وكانت هذه الرسائل بين المتنافسين على الإمامة من جانب، أو بينهم وبين يحيى بن الحسين من جانب آخر، وغيرها من الرسائل، ولا تكمن أهمية المخطوطة في أنه أورد الرسائل فحسب، لكنه في معظم الأحيان كان يخضع هذه الرسائل للنقد والتحليل والتفسير، ولعل أبرز مثال على ذلك الرسالة التي أوردها من القاسم بن المؤيد إلى محمد بن المتوكل، وكذلك الرسالة التي أجاب بها أحمد بن الحسن على القاسم بن المؤيد. نجد أن المؤرخ بعد ذلك يشرح ويفند أوجه القوة والضعف في كلا الرسالتين[١]. ولم ترد تلك الرسائل في المخطوطات المعاصرة أو اللاحقة. وتوضح هذه الرسائل سلبيات الحكم حينذاك، وبالتالي يطرح المؤلف الإيجابيات المطلوبة فيمن يدعي الإمامة من خلال إجابته على تلك الرسائل.

ومما زاد من أهمية كتاب «بهجة الزمن» أن مؤرخه إلى جانب كونه عالماً فهو أيضاً مثقف مطلع على كثير من الكتب والمؤلفات، سواءً في الشعر أو الأدب أو التراجم أو الطبقات أو كتب الفلك. فنجده مثلاً يعترض على الجور الذي كان يقع على الأهالي من الولاة، ويورد الأدلة على عدم جواز ذلك، معتمداً على أقوال بعض العلماء، الذين ذكرهم «القضاعي» في كتابه «منهج السلوك»[٢].

هذا إلى جانب أن كتابه يحوي الكثير من المؤلفات في العلوم الدينية والأدب والشعر، ويتكلم عنها تكلم المطلع والمتفحص لهذه المؤلفات، ويشرح ويحلل ما بها من معلومات، ويناقش ذلك بعلم ودراية[٣].

---

(١) النص، جـ٢، ق١٤٠أ-١٤١أ.

(٢) النص، جـ٣، ق٤١ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق٨٢ب-٨٣أ.

وكان عالماً مطلعاً على المذاهب الإسلامية الأخرى، فلم يكن محصوراً في مذهب واحد، فنجده يقول عند حديثه عن كتابه «الاقتباس»: «واستوفيت الكلام في أصول الدين، ونقل أقوال العلماء من أهل السنة، وأقوال السلف، وأقوال المعتزلة والأشعرية والحنفية والمالكية والحنابلة»[1].

ولا نستطيع أن ننكر بأن المؤرخ هو ابن عصره، وأنه لا بد أن يتأثر بما كان سائداً في ذلك العصر، فهو يذكر بعض الأحداث التي قد تكون غير واقعية، وكأنها مُسَلَّمات واقعية فنجده مثلاً يذكر الكثير من أخبار الجن، وما كان يحدث بينهم وبين معاصريه من أحداث قد لا يتقبلها العقل في وقتنا الحاضر، أو نجده أحياناً يذكر بعض الأساطير وكأنها حقائق، لكنه يستخلص منها العظة والاعتبار، غير أن ذلك لا يقلل من أهمية الكتاب بأي حال من الأحوال، كما سبق أن رأينا.

رابعاً-محتويات المخطوطة

سبق التنويه إلى أن يحيى بن الحسين كان يتمتع بثقافة عالية، وكان واسع الاطلاع في مختلف العلوم المتداولة في عصره، وهذا ما اتضح من مؤلفاته المتعددة المواضيع، ومنها كتابه «بهجة الزمن» بأجزائه الثلاثة، فهو يعد موسوعة سجل فيها كل ما شاهد أو سمع أوقرأ من أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية وعلمية، وظواهر طبيعية وفلكية. ولا يخلو الكتاب من بعض الأساطير-وإن كانت قليلة-كما أنه أظهر مهارة في فن التراجم، فالمصدر شامل، وغيره من المؤرخين اللاحقين أخذوا عنه، بل واختصروا ما أخذوه فهو لم يتابع خطاً تاريخياً واحداً يمكن أن نتابعه، بل رسم إطاراً واسعاً عن عصره، فاحتوى كتابه على الكثير من المعلومات، سواءً في الجانب السياسي أو الجوانب الأخرى.

---

(١) النص، جـ٢، ق١٨أ-١٨ب.

أ- الأوضاع السياسية

وإذا ما بدأنا بالأوضاع السياسية سنجد أن المؤرخ قد تابع وباهتمام الأوضاع السياسية منذ خروج العثمانيين من اليمن في عهد الإمام المؤيد محمد بن القاسم سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م وحتى بداية عهد صاحب المواهب الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن سنة ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٨م.

ومن الملاحظ أن المؤرخ في الجزء الأول على الرغم من اهتمامه بالأوضاع السياسية، إلا أن الاستقرار السياسي الذي اتسمت به فترة هذا الجزء (١٠٤٥-١٠٨٠هـ/ ١٦٣٥-١٦٦٩م)، جعلته أكثر اهتماماً بالأوضاع الأخرى، بينما نجد الأحداث السياسية في الجزأين الثاني والثالث تفرض نفسها عليه وتشده إليها أكثر من الجزء الأول، وكأن الأحداث والتطورات السياسية الكثيرة والمتلاحقة اضطرته إلى متابعتها أولاً بأول، ورسم لنا صورة تكاد تكون واضحة عما اتسم به عهد كل إمام، مورداً سلبيات وإيجابيات كل فترة من تلك الفترات.

ولن ندخل في تفاصيل الأوضاع السياسية التي كانت سائدة حينذاك، حيث قد سبق تناول ذلك في الفصلين السابقين، وسيكون من باب التكرار الذي لا جدوى منه.

ب- الأوضاع الاقتصادية:

وكان كتاب «بهجة الزمن» معبراً عن الواقع الاقتصادي المعاش حينذاك. وقد تأرجحت الأوضاع الاقتصادية بين الشدة والرخاء، وإن كانت سنوات الشدة أطول. فمن المعروف أن اليمن بلد زراعي في الدرجة الأولى، لذلك كانت الزراعة العامل الرئيسي في الأوضاع الاقتصادية واستقرارها أو تدهورها.

وقد اهتم المؤرخ في الأجزاء الثلاثة بالأمطار والنتائج المترتبة على نزولها أو عدم نزولها من ارتفاع أو انخفاض في أسعار الحبوب والمنتجات الزراعية الأخرى، ونزوح بعض الأهالي من مناطق الجفاف إلى المناطق الأكثر خصوبة وأمطاراً[1]. واهتم بتناول

---

(١) النص، جـ٢، ق٢٩ب.

الآثار المترتبة على سقوط الأمطار سلباً وإيجاباً. فنجده على سبيل المثال يتكلم عن نزول أمطار غزيرة على جبل نقم، فنزل سيل كبير، ودفن بعض الغيول وهدم بعض المنازل في منطقة «شعوب»[1]، غير أنه يذكر ما حدث بسببه من صلاح لثمرة الذرة في جميع اليمن« وشرع السعر ينحط بعد أن كان قد بلغ القدح بأربعة أحرف»[2].

ونجده في إحدى السنوات يقول: « وفيها رخصت الأسعار، وكثرت الأمطار الغزيرة في جميع اليمن، شرقاً وغرباً ويمناً وشاماً. ودخل صنعاء سيول كثيرة، وصلحت الثمار، بلغ القدح بصنعاء إلى ستة كبار، وارتفع بحر صنعاء هذه السنة عقب الأمطار ارتفاعاً عظيماً حتى بلغ أنصاف الآبار[3].

أما الجفاف فكانت أضراره أكثر من الأمطار، حيث إن الآثار المترتبة عليه تكون أكثر سوءاً، فيرتفع سعر الحبوب، ويضطر كثير من ساكني المناطق الجافة إلى الارتحال عنها. فنجده في سنة (١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م) يتكلم عما ترتب على الجفاف من ارتفاع للأسعار، ونزوح أهل المشرق مثل: خولان صنعاء، وسنحان، وبلاد نهم، وجميع المشارق إلى بلاد المغارب وإلى اليمن الأسفل والتهائم« ولولا اليمن الأسفل ما زال يرحل منه الطعام إلى صنعاء لبلغ السعر عشرة حروف، والتهائم هذه السنة صالحة، وإنما الغلاء في الجبال فقط»[4].

وأحياناً نجده يقارن بين المناطق الشمالية (اليمن الأعلى) والمناطق الجنوبية (اليمن الأسفل) حيث كانت مناطق اليمن الأسفل في معظم الأحيان أكثر خصوبة وأمطاراً لذلك كانت الأسعار بها أقل، غير أنه في بعض السنوات يخبرنا بأنه كان يحدث العكس، فيقول: «وأما اليمن الأسفل فسعره مرتفع زائد على صنعاء، خلاف العادات الماضية، فإنه يكون سعره دون اليمن الأعلى»[5].

---

(١) النص، ج٢، ق٢٠٣أ-٢٠٣ب.

(٢) النص، نفس الجزء، ق٢٠٣ب.

(٣) النص، جـ١، ق٧٩ب.

(٤) النص، جـ٢، ق٢٩أ-٢٩ب.

(٥) النص، جـ٣، ق٥٩أ.

وفي بعض السنوات يصف ما كان يحدث من مجاعات وأمراض كانت تؤدي أحياناً إلى وفاة البعض فنجده في سنة (١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م) يتكلم عن الجفاف، وكيف اشتدت الأزمة بأهل اليمن الأسفل، ورحلوا إلى البلاد العليا، ويروي قصصاً كثيرةً، على الرغم من أنه يكون قد بالغ في ذكر بعضها(١)، لكنها تُعبر عن واقع الوضع الاقتصادي السيء الذي كانت تمر به اليمن في بعض السنوات.

واهتم المؤرخ في هذين الجزأين بعامل هام ومؤثر سلباً على الزراعة، وهو الجراد، وما كان يترتب على قدومها إلى اليمن من أضرار اقتصادية، حيث كانت تأكل الكثير من المحاصيل الزراعية(٢)« فطلع السعر في جميع هذه البلاد النصف في الزيادة على ما كان قبل مرورها»(٣).

وإلى جانب الجفاف والجراد كان هناك عامل آخر من عوامل ارتفاع الأسعار للمحاصيل الزراعية، ذلك هو ظهور بعض الحشرات في بعض المواسم الزراعية، وكانت تسبب أضراراً بالزراعة(٤)، فنجده مثلاً يعلق على ذلك بقوله: «فأكل الذرات في أكثر بلاد اليمن، فنقصت، خصوصاً الصفر منها»(٥).

وتناول المؤرخ جانباً اقتصادياً هاماً أيضاً وهو التجارة، الذي يعتبر المصدر الاقتصادي الثاني بعد الزراعة، غير أن اهتمام المؤرخ بالتجارة كان أقل من اهتمامه بالزراعة، وبحسب ما كانت تصل إليه من أخبار عن الحركة التجارية في اليمن، فنجده يذكر وصول الكثير من التجار إلى اليمن محملين ببضائع مختلفة، ويعودون إلى بلادهم أيضاً ببضائع يمنية، والتي كان أهمها البن اليمني، وكانوا يأتون من مناطق متعددة مثل الهند، الحساء، القطيف، البصرة، عُمان، بلاد الشام، وغيرها من المناطق(٦). فنجده على سبيل المثال يذكر في إحدى السنوات بأن تجاراً من الحسا خرجوا إلى اليمن بالأعبي

(١) النص، ج١، ق٧٧أ، ق٢٦ب، النص جـ٢، ق ١٨٥أ -١٨٥ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق ٢٠١ب، ق ٢٢٨ب، النص، جـ٢ق١٣١ب.
(٣) النص، جـ٢، ق١٣١ب.
(٤) النص، جـ١، ق٢٤٠ب، ق٢٠١أ.
(٥) النص، جـ٣، ق١٠٦ب.
(٦) النص، جـ٢، ق٧٨أ.

(جمع عباءة) الحساوي واللؤلؤ، وتعوضوا من البن الصافي إلى بلادهم في البحر من عدن[١].

وقد اهتم المؤرخ بالربط بين الأوضاع السياسية المتدهورة والوضع الاقتصادي، فقد أدت الحروب والخلافات بين مراكز القوى على الإمامة عند وفاة الإمام السابق إلى ركود الحركة التجارية، لعدم أمان طرق القوافل المعتادة، وكانت في بعض الأحيان تضطر إلى تغيير مسار الطرق المعتادة السهلة إلى طرق أخرى أكثر صعوبة، وكان ضعف مركزية الدولة في فترة الحروب والخلافات، وحتى في بعض فترات الاستقرار سبباً في استمرار بعض قبائل المناطق الشمالية لنهب القوافل التجارية بصورة مستمرة، والأمثلة كثيرة في خلال سير الأحداث.

ويضع المؤرخ أمامنا صورة تكاد تكون واضحة عن الحركة التجارية داخل صنعاء، حيث كان قريباً مما يجري بها بحكم إقامته فيها، فقد اهتم بذكر ما كان يجري في أسواقها من معاملات اقتصادية وحركة تجارية، وكيف كان يتم تنظيم تلك الحركة داخل أسواق صنعاء واهتم المؤرخ بمتابعة ما كان يسنه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم من قوانين تجارية، وأثرها على الحركة التجارية بالسلب أو الإيجاب[٢].

ويعطي المؤرخ في بعض الأحيان صورة عن الأسواق، وما كان يحدث بها من تلاعب في الأسعار من قبل المزايدين، فهو مثلاً يتحدث عن سوق الحطَّابين في صنعاء، وما كان يحدث به من تلاعب واحتكار[٣]. واهتم بالأسواق الأخرى في صنعاء وما كان يحدث بها من تغييرات مثل احتكار بعض البضائع من قبل الوسطاء بين البائعين والمشترين، أو ما كانت تفرضه الدولة من أسعار على بعض المنتجات[٤]، ومن قبل لم يعرف تسعير الدولة، بل بالتراضي»[٥].

---

(١) النص، جـ١، ق ١٧١ب.

(٢) النص، نفس الجزء، ق٢٤٨ب-٢٤٩أ.

(٣) النص، نفس الجزء، ق٧٧أ.

(٤) النص، نفس الجزء، ق١٣ب.

(٥) النص، نفس الجزء، ق٩٤أ-٩٤ب.

وتابع أخبار أحد المحتكرين لتجارة البن، وما ترتب على ذلك من أضرار اقتصادية أُلحقت بالزارعين لهذا المنتج الهام[١].

وتابع أيضاً أسعار الأقمشة، فهو مثلاً في سنة (١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) يستاء من غلاء أسعارها، بسبب عدم وصولها إلى اليمن، فيقول: «وفي هذه الأيام تناهى ثمن الثياب البيض المتينة لعدمها»[٢]. لكنه في سنة (١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م) يذكر بأنه وصل إلى اليمن من الهند حوالي ثلاثون مركباً جميعها محملة بالأقمشة، لذلك نزلت أسعارها عما كانت عليه في العام الماضي[٣].

واهتم المؤرخ بالعملة كثيراً، فأورد العملة المتدولة، ودور الضرب وكثرتها، وكيف أدى ذلك إلى نقص سعر العملة وتدهورها[٤].

وكانت العملة قد بدأت في التدهور منذ نهاية عصر الإمام المتوكل إسماعيل، وفي عهد الإمام المهدي أحمد بن الحسن ظهر المزيد من الضعف والتدهور، فأمر الإمام بأن تصغر البقش[٥]، إلا أن العملة في عهد الإمام المهدي أحمد بن الحسن على الرغم من ضعفها كانت أحسن منها في عهد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل وعهد صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن، لذلك نجده بعد أن انتهى من خلافه مع القاسم بن المؤيد على الإمامة في سنة (١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م) يأمر بإغلاق دور ضرب العملة التي كانت لعلي بن المتوكل في اليمن الأسفل، ودور ضرب كل من حسن بن المتوكل بحبور، ومحمد بن أحمد بن القاسم بعمران، ودار ضرب كوكبان، ولم يبق غير دار ضرب واحدة في صنعاء لمحمد بن المتوكل، والأخرى التي في الغراس لأحمد بن الحسن[٦]، ثم يشرح المؤرخ كيف أن أحمد بن الحسن سك عملة جديدة، وما المعادن

(١) النص، ج١، ق٧٧ب.
(٢) النص، ج٢، ق٧٧ب.
(٣) النص، جـ٣، ق١٠٤ب.
(٤) النص، جـ١، ق ١٧٦أ.
(٥) النص، جـ٢، ق١٣٣أ.
(٦) النص، نفس الجزء، ق١٩١ب.

الموجودة بها، ثم ماذا كُتب فيها[1].

وفي عهد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل يوضح المؤرخ زيادة ضعف العملة وتدهورها، بسبب الأوضاع السياسية المتدهورة، وقوة نفوذ مراكز القوى وفتح دور جديدة لضرب العملة مما أدى إلى زيادة ضعفها وتدهورها أكثر من ذي قبل، فنجد في سنة (١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م) يذكر بأن دور الضرب قد كثرت، فأصبح لدى علي بن المتوكل ثلاث دور لضرب العملة مع ضعفها وكثرة الغش فيها، ودار ضرب واحدة للإمام المؤيد، وأخرى للحسين بن المهدي أحمد بن الحسن في الغراس، وداراً لحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم في عمران، وداراً لصاحب المنصورة محمد بن أحمد بن الحسن« فبلغ صرف القرش يومئذٍ إلى خمسة حروف، لأجل كثرتها وصغر الدراهم وغشها»[2]. ويناقش المؤرخ عندئذٍ الأثار السلبية المترتبة على ذلك ويطرح في آخر الأمر بعض التمنيات لضبط العملة، وأن تكون عملة واحدة، وبمقاييس واحدة للجميع[3].

وفي عام (١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م) وهو بداية عهد صاحب المواهب، وما تخلله من صراعات وحروب سبق ذكرها في الفصل الثاني، لا زالت دور الضرب كما هي من قبل كثيرة، والعملة ضعيفة ومتدهورة أكثر من ذي قبل، ويشرح المؤرخ ضعف العملة وما وصل إليه صرف القرش، فيذكر أنه بلغ صرفه إلى اثني عشر حرفاً ونصف ثم إلى ثلاثة عشر حرفاً وأربعة عشر حرفاً وخمسة عشر حرفاً، ثم ما زال يزداد الصرف إلى أن بلغ خمسة وعشرين حرفاً، ويشرح من استفاد من ذلك الارتفاع، وهم قليل، ومن خسر، وهم الأغلبية؛ لأن تعاملهم يكون بالعددي وليس بالقروش[4].

والمتتبع سيجد أن العملة في عصر المتوكل إسماعيل كانت أفضل بكثير من العصور اللاحقة، وفي عهد أحمد بن الحسن رغم ضعفها إلا أنها مقارنة بعهد المؤيد وصاحب

(١) النص، ج١، ق٢١٠ب.
(٢) النص، جـ٣، ق٥٦أ-٥٦ب.
(٣) النص، نفس الجزء، ق٥٦أ-٥٦ب.
(٤) النص، نفس الجزء، ق١٤٤أ-١٤٤ب.

المواهب كانت أفضل أيضاً، وهذا أمر طبيعي، إذ إن تدهور الأوضاع السياسية يترتب عليه تدهور في الأوضاع الاقتصادية، وقد يظهر التدهور بشكل واضح في العملة.

وأورد المؤرخ في الأجزاء الثلاثة من الكتاب الكثير من أسماء العملات، مثل: الدرهم، القرش، الحرف، البقشة. كما ذكر بعض العملات التي كانت تأتي إلى اليمن من بعض الأقطار، فيذكر هنا مثلاً عملة أتت من مدينة فاس بالمغرب، رآها المؤلف فشرح لنا معدنها، وما كُتب فيها، ومن أتى بها إلى اليمن[1].

وأورد المؤرخ أسماء بعض الموازين المستخدمة حينذاك، ولا يزال معظمها مستخدماً حتى وقتنا الحاضر، مثل: القدح، الكيلة، النفر، الصاع، الإردب المصري ... إلخ.

وتابع المؤرخ ما كانت تتمتع به اليمن من نهضة عمرانية، خاصة في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، حيث قام هو وإخوته وأبناء إخوته وبعض الولاة من خارج الأسرة بالعديد من المشاريع العمرانية، مما يدل على الازدهار الاقتصادي والاستقرار السياسي في تلك الفترة، من تلك المشاريع على سبيل المثال: بناء المساجد، والتي كان من أبرزها «جامع الروضة» الذي قام ببنائه أحمد بن القاسم[2]، وترميم بعض المساجد وتوسيع البعض الآخر منها، وترميم أسوار بعض المدن، وشق القنوات، والاهتمام بالغيول، وبناء وترميم بعض الحصون والقلاع والقصور[3]، وغير ذلك من المشاريع الأخرى التي قد يجدها القارئ متناثرة بين أوراق هذا الكتاب، مما قد يفيد الباحثين في مجال الآثار.

وبذلك يكون المؤرخ قد رسم لنا صورة تكاد تكون واضحة نوعاً ما عن الوضع الاقتصادي حينذاك، والمتتبع لما ورد في كتابه بأجزائه الثلاثة سيجد الكثير من الأمثلة التي قد اقتصرنا على القليل منها.

---

(١) النص، ج٣، ق٦أ.
(٢) النص، جـ١، ق ١٥١أ- ١٥١ب.
(٣) النص، نفس الجزء، ق٢١٠أ.

جـ- الأوضاع الاجتماعية

وإذا ما تطرقنا للأوضاع الاجتماعية سنلاحظ أن المؤرخ قد اهتم بهذه الناحية أيضاً، فقد تتبع حركة المجتمع اليومية، وأورد ما شاهد أو سمع عن تلك الأوضاع في المجتمع الصنعاني خاصة واليمني عامة، ويلاحظ أن أكثر ما سجله المؤرخ من صور اجتماعية كان مسرح أحداثها صنعاء، وهذا أمر طبيعي فقد كانت صنعاء مقراً له، مما جعله قريباً من مسرح تلك الأحداث، ومع ذلك فإنه لم يهمل ما كان يسمعه من أحداث اجتماعية كانت تحدث خارج صنعاء خاصة إذا كانت مهمة وتناقلها الناس.

لقد أورد المؤرخ في هذه المخطوطة الكثير من الصور الاجتماعية، فلم يهمل الجانب الاجتماعي، وهذا بلا شك يزيد من أهمية الكتاب، إذ إن غيره من المؤرخين لم يهتموا بهذا الجانب في مؤلفاتهم.

ومن هذه الصور مثلاً ما كان يتناقله الناس عن السحر، ويورد المؤرخ قصصاً حول هذا الجانب، ويرى بأن السحر ممكن، وأنه من الحقائق[1].

أما المشعبذون أو من كانوا يدعون الطب فقد شغلوا حيزاً من هذه المخطوطة، فتابع المؤرخ أخبارهم وما هي الطرق التي كانوا يعالجون بها المرضى، وكشف للقارئ حيلهم وتلاعبهم على من يصفهم المؤرخ «بأهل الغباوات»[2].

ومن الصور الاجتماعية الأخرى التي رسمها المؤرخ ما كان يذكره من وصول بعض من كان يطلق عليهم الشطار، وهم الذين كانوا يلعبون ألعاباً بهلوانية- إن جاز التعبير- حيث كانوا يصلون إلى صنعاء ويلعبون الألعاب التي كانت تثير أهالي صنعاء فيقول المؤرخ على سبيل المثال: «ولعب على الحبال»[3].

وقد تكرر قدوم مثل هؤلاء إلى صنعاء، خاصة من مصر وهذا دفع بعض أفراد المجتمع اليمني إلى تعلم مثل هذه الألعاب، وبذلك تضاف ألعاب جديدة إلى جانب

(١) النص، جـ٢، ق٢٢٥أ.

(٢) النص، جـ١، ق ١٣٢ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق ٢٠٧أ، ق ١٢٣ب.

الألعاب التقليدية المعتادة في اليمن، فنجد المؤرخ يذكر أن ولداً صغيراً استفاد من شاطر مصري، وتعلم منه، وأخذ يلعب مثله، وكسب بسبب ذلك الكثير من المال[1].

ويهتم بين الحين والآخر بما كان يقوم به اللصوص في مدينة صنعاء من أعمال السرق والنهب، وكيف زاد عددهم، ونهبوا الكثير من المنازل الخالية، التي كان أهلها يقضون فصل الخريف خارج مدينة صنعاء وهذه الظاهرة كانت لا تزال موجودة إلى وقت قريب، وهي أن معظم أهالي صنعاء كانوا في موسم الخريف من كل عام ينتقلون إلى المناطق القريبة من صنعاء والتي كان أهمها: الروضة والقرية وحدة وذهبان والوادي وغيرها، وأخبرنا المؤرخ خلال حديثه عما كان يحدث من نهب في المدينة عن بعض المهام التي كانت موكلة إلى المحتسب في صنعاء.

وتناول المؤرخ بعض المعلومات عن التبغ (التتن) والقهوة، والقات، وكيف أن بعض اليمنيين اعتادوا على استخدامها[2]. وأن الإمام المؤيد محمد بن القاسم كان يعاقب الذين يشربون التتن، ويكسر «مدايعهم»[3]. أي الآلات التي كانوا يدخنون بها، وكيف أن أحمد بن الحسن حاول منع التتن، لكنه لم يستطع[4]. ثم يدافع المؤرخ عن التتن، وأنه ليس بحرام، وليس هناك حجة بأنه من الخبائث، ثم يقول: «ثم إن التتن لا تستخبثه النفس»[5]، وهذا يجعلنا نتساءل هل كان يحيى بن الحسين مدخناً؟

واهتم المؤرخ وبشكل ملفت لنظر أي قارئ بأخبار الجن، وما كانوا يقومون به من أعمال، وأنهم كانوا يضعون السحر، وأن السحرة من الجن والإنس[6]، ثم يورد بالتفصيل ما أحدثوه من خوف ورعب في قلوب الكثير من الناس[7].

وتابع المؤرخ ما كان يحدث في المجتمع اليمني من أحداث يومية يتناقلها العامة فيما

---

(١) النص، جـ١، ق٢٢٧ب-٢٢٨أ.

(٢) النص، نفس الجزء، ق٢٤٤ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق٨أ.

(٤) النص، ج٢، ق٢٠٥ب.

(٥) النص، نفس الجزء، ق٢١٩ب.

(٦) النص، نفس الجزء، ق٧٩ب.

(٧) النص، نفس الجزء، ق١٢ب.

بينهم لغرابتها، فيكتبها كما سمعها، كأن يقول مثلاً: «وولد مولود في الرحبة، عجيب الخلقة لبقرة، نصفه الأعلى آدمي ورأسه وصدره ونصفه الأسفل صورة البقر»[1]. ويذكر في مكان آخر أنه اتفق مولود له رأسان، ثم مات عقب ولادته، كأنهما شخصان متلاصقان»[2]. وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي وردت في الكتاب بأجزائه الثلاثة.

وبين الحين والآخر يورد المؤلف نكتة أو نادرة عجيبة، فنجده مثلاً في سنة (١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م) يقول: اتفقت نادرة عجيبة، وهي أن بعض الفقهاء من بني النحوي اشترى بقرة فَحَفتْ من السير، فرأى أن يشتري لها جملاً ويحملها عليه، فأورد الشاعر أحمد بن علي الشارح أبياتاً شعرية كثيرة من باب النكتة، مما جاء فيها:

قالوا اشتريت تبيعة ... تشكو برجليها خلل
فرثيت أنت لحالها ... فربطتها فوق الجمل[3]

وفي معظم الأحيان يورد المؤرخ قصصاً اجتماعية تظهر إيمانه بانتقام الله، إذ كان دائماً يستخلص العظة والاعتبار من هذه القصص[4]، وكان معظم ما يطرحه من وقائع اجتماعية تنبع من وجهة نظر دينية.

وبذلك يكون يحيى بن الحسين قد تابع الكتابة عن الحياة الاجتماعية ولو من وجهة نظر دينية، فكان يتابع الأحداث التي قد تحدث في أي مجتمع، وتعبر عن واقع المجتمع وحركته وديمومته، وقد لا يهتم بها الكثير من المؤرخين، خاصة في الفترة الحرجة، المليئة بالأحداث السياسية الهامة، لكنه لم يغفل هذا الجانب، وسجل الأحداث الاجتماعية الهامة من وجهة نظره، وترجع أهميتها أنه معاصر لهذه الأحداث وقريب منها؛ لأن معظم ما دونه في هذا الجانب كان ما يحدث في صنعاء، إلا ما سمعه من أخبار اجتماعية خارج صنعاء ووصلت إليه لغرابتها وندرة وقوعها.

واهتم المؤرخ في حديثه عمن كان يترجم لوفاتهم بظاهرة اجتماعية هامة، وهي

(١) النص، جـ٣، ق١٠٥أ.
(٢) النص، جـ٢، ق٤٣ب.
(٣) النص، جـ٣، ق٣٨ب.
(٤) النص، جـ٢، ق٨٣أ، ق١٠٥ب-١٠٦أ.

هجرة أو انتقال طلاب العلم من الريف إلى المدينة، أو المناطق التي تتوفر فيها هجر العلم، وترك المهتمون بالعلم قراهم منصرفين عن الزراعة، واتجهوا إلى الهجر للتفرغ للعلم.

وكانت بعض الأسر تتكفل بإطعام طلبة العلم إلى جانب المقررات التي كان يقررها لهم الأئمة وبعض الولاة. من أمثلة ذلك ما ذكره عند ترجمته للعلامة الحسن بن شمس الدين بن جحاف، الذي ترك أسرته في القرية واتجه إلى صنعاء، وتفرغ للعلم، وقد تكفل بإطعامه أحمد الوادي(١)، كما أمر الحسن بن القاسم ببناء منظرة(٢) له.

وأعطانا المؤرخ بعض المعلومات عن صنعاء المدينة من حيث أسواقها ومساجدها وحاراتها(٣)، وأسماء الكثير من الغيول بالمدينة مثل: غيل الخندق وغيل العلفي، وغيل الحسين بن المؤيد بالله، وغيل الجراف، وغيل علي بن المؤيد بالله(٤). كما اهتم بذكر المعاصر الخاصة ببعض الزيوت «السليط» وأنواع الزيوت التي كانت تعصر بها مثل: الخردل والخشخاش؛ لأنه يزرع في المناطق الجبلية، أما الجلجلان (السمسم) فلا يصلح إلا في التهائم واليمن الأسفل، لذلك كان يُستورد من هناك(٥) كما يجد القارئ معلومات عن بساتين صنعاء التي كانت في كل حارة من حاراتها ولا زالت باقية حتى اليوم.

ومن خلال ما أورده المؤرخ من صور اجتماعية في هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة يمكن القول: إنه قد رسم لنا صورة واضحة عن المجتمع الصنعاني خاصة واليمني عامة، وفي الوقت ذاته أعطانا صورة عن مدينة صنعاء في تلك الفترة.

د- الأوضاع العلمية والدينية

إن الأوضاع العلمية والدينية كانت موضع اهتمام المؤرخ فهو ليس مؤرخاً فحسب، لكنه واحدٌ من أبرز علماء ذلك العصر كما رأينا في ترجمة حياته.

---

(١) النص، جـ١، ق ٨٢أ- ٨٢ب.

(٢) سيأتي شرح مثل هذه الألفاظ عندما نعرض لها في نص المخطوطة.

(٣) النص، جـ١ ق ١٥٦أ- ١٥٧أ.

(٤) النص، جـ٢، ق٢٩أ.

(٥) النص، نفس الجزء، ق٧٦أ-٧٦ب.

ومن الملاحظ أن العوامل الأساسية لازدهار الحياة العلمية في عصر المتوكل قد توفرت، والتي من أهمها: الاستقرار السياسي والازدهار الاقتصادي فزاد عدد المدارس، ومن ثم زاد عدد طلبة العلم والعلماء وكان المتوكل يحرص على عقد العديد من المجالس العلمية والدينية لديه.

فتمتع اليمن في تلك الفترة بنهضة علمية واضحة المعالم، وكانت الحياة العلمية أكثر ازدهاراً. وعلى الرغم من أن المؤرخين المعاصرين ليحيى بن الحسين قد أشاروا إلى تلك النهضة، إلا أن مؤرخنا تناول الحياة العلمية في اليمن على نحو أكثر شمولاً ودقة فمعظم أوراق المخطوطة -وعلى وجه الخصوص الجزء الأول- تكاد لا تخلو من الحديث عن العلم والعلماء.

غير أن الاهتمام بالعلم والعلماء في الفترة اللاحقة -أعني بعد وفاة الإمام المتوكل إسماعيل- لم تكن واضحة كثيراً، وعلى الرغم من ذلك فقد حرص المؤرخ على تتبع الأوضاع العلمية والدينية حينذاك، فنجده مثلاً قد ترجم للكثير من العلماء، الذين توفوا في فترة تدوينه لهذا الكتاب، وذكر مؤلفاتهم، والعلوم التي اهتموا بها، وناقش في بعض الأحيان أفكارهم واجتهاداتهم سلباً وإيجاباً؛ لأنه يعد واحداً منهم.

وناقش المؤرخ الكثير من المسائل الدينية مناقشة مستفيضة، كما تناول بعض المذاهب الإسلامية، وأماكن وجودها في العالم الإسلامي.

وأورد أسماء الكثير من الكتب في مختلف فروع العلم من حديث وفقه وتفسير وتاريخ وأصول الدين وكتب الطبقات والتراجم وغيرها من المؤلفات التي قد يجدها القارئ في ثنايا الكتاب بأجزائه الثلاثة، مما يُغني تراثنا إذا أردنا التعرف على تراث الماضي.

وخلال تتبعه للحركة العلمية وعلى وجه الخصوص في الجزء الأول رسم لنا صورة تكاد تكون واضحة عن الكتب التي يعول عليها في تدريس هذه العلوم، فذكر مرات عديدة أسماء الكتب التي كانت بمثابة حجر الأساس في التعليم، والتي كان لزاماً على

طالب العلم أن يقرأها، بل ويحفظ بعضها، ويفهم فهماً جيداً البعض الآخر.

ولعل أهم تلك الكتب «الأزهار» للإمام أحمد بن يحيى المرتضى، وبعض شروحه الهامة،و «الكافل» للرصاص، و«البيان» لابن المظفر، و«منتهى السؤل» لابن الحاجب وشروحه الهامة، و«المطول» و«المختصر» للتفتازاني، و«الكشاف» وشروحه الهامة للزمخشري و«الشافية»و«الكافية» لابن الحاجب ، و«الأساس» للإمام القاسم بن محمد، و«غاية السؤل» وشرحه «هداية العقول» للحسن بن القاسم، ومؤلفات أخرى كثيرة لا يتسع المجال لذكرها هنا.

وقد عرض المؤرخ لبعض الآراء والأقوال الصادرة عن بعض العلماء المعاصرين له وكذلك السابقين، فنجده -على سبيل المثال يورد بعضاً من أقوال «ابن عربي» في وحدة الوجود، ثم يعرض لآراء بعض العلماء السابقين له وأقوالهم عن ابن عربي، مثل: ابن تيمية والذهبي والسخاوي والسيوطي وغيرهم[1].

واهتم بذكر كرامات بعض الأولياء والصالحين، مما يجعلنا نرجح أنه كان يعتقد بهم، إذ يقول: «وفي اليمن أولياء ومشاهد لم تُعرف في تاريخ ذكرها في هذه البلاد العليا، لعدم اعتناء الشيعة بذكر تاريخ الفضلاء، كما يعتني أهل السنة بهم، ويورد بعضاً منهم ثم يقول: «نفعنا الله بالصالحين»[2]. ويهتم بأحمد بن علوان كثيراً، وأن الله كان ينجي فقراء الشيخ أحمد بن علوان من مخاطر كثيرة ببركة هذا الشيخ[3].

وبذلك يمكن القول إن المتتبع لكتاب «بهجة الزمن» يجده زاخر بالكثير من المواضيع العلمية والدينية التي اهتم بها المؤرخ، وناقش معظمها بعلم ودراية.

هـ- الظواهر الطبيعية والفلكية

لم يكن يحيى بن الحسين هو الوحيد الذي اهتم بتدوين الظواهر الطبيعية والفلكية، فكثير من المؤرخين كانوا يدونون في كتبهم تلك الظواهر، فهي سمة من سمات التاريخ عند المسلمين.

---

(١) النص، جـ١ ق ٢١٠-٢١١أ.
(٢) النص، جـ٢، ق٦أ-٦ب،
(٣) النص، نفس الجزء، ق٨٣أ-٨٣ب.

لقد تابع المؤرخ في كتابه بأجزائه الثلاثة ما كان يحدث في اليمن من ظـواهر طبيعيـة وفلكية كـل عـام تقريبـاً، مثـل: الأمطـار، الجفـاف، الـزلازل، البراكـين، الخسـوف، الكسوف، سير النجوم، واقترانها، ويهتم بذكر ما ترتب على تلك الظـواهر مـن أضرار وفوائد، فنجده مثلاً يخبرنا عن حدوث براكين فيقول: «ظهـرت نـار عظيمـة في الجبـل المقابل للمخا، تلتهب وترمي بالشرر إلى البحر، وتصعد في السماء كالمنارة العظيمة .... وظهر في خلالها نتن في البحر بسبب موت كثير مـن الحـوت المقـارب مـن الجبـل، لمـا حصل من حرة وهجها، وقذف البحر بشيءٍ منها إلى ساحل المخـا»[١]. ثـم تكلـم عـن وقـوع زلازل شـديدة في المخـا[٢]. واهـتم بمتابعـة الـزلازل التـي كانـت تحـدث في ضُوران[٣]، وأيضاً زلازل وقعت في بلاد ريمة ووصاب وحراز[٤].

كما اهتم بتسجيل ما كان يحدث في عصره من صواعق في جهات مختلفة من الـيمن، وما كان يترتب عليها من أضرار[٥].

ويجد المتتبع لكتاب «بهجة الزمن» وصفاً للمناخ في بعض الأحيان، فيذكر -مـثلاً- ما كان يحدث من برد شديد في بعض السنوات وما ترتب على ذلك فيقول: «واشتد برد هـذه الـسنة وقَرُّهـا وشـتاها شـدة عظيمـة[٦]. وكـان الـبرد الـشديد يحـدث أضراراً بالزراعة»[٧].

وتابع ما كان يحدث من رياح شـديدة في بعـض الـسنوات ومـا كانـت تحدثـه مـن أضرار، فيقول مثلاً: «فأثارت عجاجاً كثيراً، وتراباً واسعاً، وكسرت بعض الشجر»[٨].

---

(١) النص، جـ٢، ق٢٣٦أ-٢٣٦ب.
(٢) النص، نفس الجزء، ق٢٣٦ب.
(٣) النص، نفس الجزء، ق١٠٨أ.
(٤) النص، نفس الجزء، ق٢٠٠أ.
(٥) النص، جـ١، ق٨٨ب.
(٦) النص، نفس الجزء ، ق١٦٩أ.
(٧) النص، نفس الجزء ، ق ٢٣٨أ.
(٨) النص، نفس الجزء ، ق١٦٠أ.

أما الأمطار والجفاف فقد اهتم بها كل عام تقريباً والآثار المترتبة عليها سلباً وإيجاباً.

وكان ليحيى بن الحسين معرفة بعلم الفلك، فنجده يهتم كل عام بالفلك وتحول السنين والنجوم وسيرها واقترانها ببعضها، ويتناول ذلك في معظم الأحيان بالشرح[1]، مما يدل على أن لديه إلماماً ومعرفة بعلم الفلك.

وفي بعض الأحيان يربط بين الفلك والظواهر الطبيعية الأخرى، فنجده يتكلم بأنه في آخر شهر صفر عند «استكمال الربيع الأول اجتمعت الكواكب الخمسة: الشمس والقمر وعطارد والزهرة والمريخ، والذنب في برج الحوت، دليل الأمطار الواسعة»[2]، وأحياناً أخرى يربط بين الفلك والأوضاع السياسية، فنجده مثلاً يذكر أنه كان ابتداء دخول زحل في برج الأسد من المثلثة النارية، ثم يقول: «وهو علامة للحروب، وغلبة بعض الدولة على بعض»[3]، ثم تناول ما حدث باليمن من حروب منذ أيام المماليك إلى عام (١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م) وربط كل ذلك عند دخول زحل ببرج الأسد[4]، وهناك أمثلة أخرى كثيرة[5].

ويتابع مثل غيره من مؤرخي الحوليات الخسوف والكسوف، ويربط ذلك أحياناً بالنجوم الأخرى[6].

و- أوضاع العالم العربي والإسلامي

لم يكن كتاب «بهجة الزمن» بأجزائه الثلاثة قاصراً على الأوضاع في اليمن، فقد اهتم المؤرخ بأوضاع العالم الإسلامي، وعلى وجه الخصوص: الدولة العثمانية، والحجاز، وتابع ما كان يجري في العالم الإسلامي من أوضاع سياسية، التي كانت محط

---

(١) النص، ج١، ق١٣ب.
(٢) النص، جـ٣، ق٤٤ب.
(٣) النص، نفس الجزء، ق٣٧ب.
(٤) النص، نفس الجزء، نفس الورقة.
(٥) النص، نفس الجزء، ق٣٦أ-٣٦ب.
(٦) النص، جـ٢، ق١٦ب، ق٢٠٠أ.

الاهتمام الأول للمؤرخ أو اقتصادية، وأهم الأخبار العلمية والدينية.

وإذا ما ألقينا نظرة على الحجاز سنجد أن المؤرخ قد اهتم بتتبع أوضاعها، خاصة أخبار الحج، وكيف كان في كل عام، ومن هو المحمل الأقوى من المحامل الأربعة، العراقي والمصري واليمني والشامي، كما اهتم بتدوين الأوضاع السياسية في الحجاز وما كان يدور من خلافات وحروب بين الأشراف والولاة العثمانيين، وموقف السلطان العثماني من ذلك[١]. وسجل أهم الأوضاع الاقتصادية في مكة، مثل: سنوات القحط، والأسعار في تلك السنوات، أو قد يذكر ما هي المنتجات التي كانت أسعارها مرتفعة والمنتجات التي أسعارها منخفضة، وما السبب في ذلك[٢]. ويذكر ما قد يحدث في مكة من أحداث غريبة، فنجده مثلاً يذكر أنه حدث اعتداء على الكعبة المشرفة بالقاذورات[٣].

أما الدولة العثمانية فقد اهتم بها أيضاً، فتابع ما كان يجري بها من أوضاع سياسية، وبحسب ما كان يصل إليه، واهتم بذكر الحروب التي كانت تجري بين الدولة العثمانية والفرنج (على حد تعبير المؤرخ) وما الجهات التي قامت فيها. وتابع محاولات الدولة العثمانية فتح بلاد مالطة والأندلس وما كانت تسفر عنه تلك المحاولات[٤]، واهتم بالانتصارات التي كانت تحققها الدولة العثمانية من ذلك قوله: «فاستولى عليهم »أي السلطان العثماني« وقتل منهم قتلاً ذريعاً، وسباهم، واسترد البلاد التي كانوا قد استولوا عليها، ثم عاد استنبول»[٥]. وأحياناً يتكلم عن وزراء السلطان العثماني والباشوات في مصر ودمشق والعراق[٦]، وتابع أخبار السلاطين العثمانيين من حيث اعتلائهم عرش الدولة، أو وفاتهم، أو الصراعات التي كانت تحدث بين السلطان

---

(١) النص، جـ١، ق١١٣أ-١١٣ب.
(٢) النص، جـ٢، ق١٧٥ب.
(٣) النص، نفس الجزء، ق٢٠٠أ.
(٤) النص، نفس الجزء، ق٧٦أ، ق٩٣أ-٩٤أ.
(٥) النص، جـ٣، ق١٦٠ب.
(٦) النص، جـ٢، ق٧٩ب-٩٨ب.

وبعض أفراد أسرته[1]، وسبب اهتمامه بالدولة العثمانية؛ لأنها كانت تمثل مركز القوة في العالم الإسلامي حينذاك، وبها مقر الخلافة الإسلامية، ولا يستطيع أحد إنكار أهميتها وقوتها.

ثم نجده في الدرجة الثانية يهتم بذكر أهم الأخبار عن بعض الأقطار الإسلامية الأخرى، وفي مقدمتها عُمان، اهتم فيها بذكر الحروب التي كانت تدور بينهم وبين البرتغاليين، وبحسب ما كان يصل إلى مسامعه من أخبار[2]، كما اهتم بمتابعة العلاقات اليمنية العمانية السلبية والإيجابية.

ودوَّن ما كان يصل إليه من أخبار عن بلاد الشام والعراق ومصر، وبلاد فارس والمغرب والهند وبخارى وقندهار وسمرقند والصين وغيرها.

ولأهمية الرحلة التي قام بها القاضي الحسن بن أحمد الحيمي إلى الحبشة، والتي دونها في كتاب مستقل أسماه «حديقة النظر وبهجة الفكر في عجائب السفر» أورد يحيى بن الحسين هذه الرحلة كاملة، وحرص على أن يدون كل ما ذكره الحيمي من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية في الحبشة، كما تناول بعض الظواهر الطبيعية وما تمتاز به الحبشة من أمطار وأنهار وأودية وجبال، فأضاف بذلك معلومات هامة عن الحبشة في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي[3].

خامساً-منهج المؤرخ

إن وجود عدد غير قليل من المؤرخين اليمنيين في القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي يعد عاملاً هاماً في إثراء المكتبات اليمنية خاصة، والعربية والعالمية عامة، بالمؤلفات التاريخية القيمة، التي يتضح من خلالها المنهج العام لكتابة التاريخ في تلك الفترة، فالمهتم بما كُتب عن تاريخ اليمن الحديث، بل والمعاصر يجد أن

---

(١) النص، جـ١، ق٣١ب-٣٢أ، ق ١٣٩أ.

(٢) النص، جـ، ق٧٧ب.

(٣) الرحلة في النص، جـ١، ق ٩٨أ-١١٥أ.

المؤرخين اليمنيين كانوا ينتمون إلى ما يمكن أن نسميه مدرسة التاريخ الإسلامي العامة،فالمدرسة اليمنية جزء من مدرسة التاريخ الإسلامي وامتداد لها، حيث التزم هؤلاء المؤرخون بالمنهج العلمي الذي سارت عليه كتابة التاريخ في العصور الإسلامية[(١)] ويعد يحيى بن الحسين واحداً من أعلام هذه المدرسة، فقد تأثر بها وسار على نهجها، حيث كان مهتماً بكتب التاريخ الإسلامي عامة، وكذلك الكتب التي تتناول علم التاريخ، مثل كتاب السخاوي«الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» الذي أشار إليه أكثر من مرة في مخطوطته هذه.

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو ما المنهج الذي اتبعه المؤرخ في خلال تدوينه لأحداث كتابه«بهجة الزمن» بأجزائه الثلاثة؟

ما يمكن أن يشار إليه بداية هو أن المؤرخ قد حرص في كتابه «بهجة الزمن» على إظهار العظة والاعتبار في كثير مما أورده من أحداث سياسية واجتماعية واقتصادية أو من خلال بعض الظواهر الطبيعية، فكان يربط بين تلك الأحداث وبين العظة والاعتبار، فنجده مثلاً عندما تناول النزاع بين مراكز القوى على الإمامة بعد وفاة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل، يعلق المؤرخ على ذلك بقوله: «واشتغلوا بطلب الملك، وما اعتبروا بمن مضى، وما قد جرى، وأن الملك لا ينفع»[(٢)]، ثم يسرد كيف كان مرض الإمام المؤيد ووفاته. وأنه لم يجدوا له الكفن في المنطقة التي توفي بها، وكفنوه في بقايا ثياب، ولم يجدوا له نعشاً مناسباً. ويختم ذلك بقوله: «فكان ذلك عبرة لمن اعتبر، وتذكرة لمن تذكر، فأين كان الملك الذي كان، ثم لم توجد له الأكفان، ولا ما يحمل عليه من العيدان»[(٣)].

وعلى الرغم من أن الفترة الزمنية للجزأين الثاني والثالث هي أقل من الفترة الزمنية للجزء الأول، حيث شمل الجزء الأول حوالي خمسة وثلاثين عاماً، بينما الجزآن

---

(١) د. سيد سالم: المؤرخون اليمنيون، ص ١٨.

(٢) النص، جـ٣، ق١٢٧ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق١٢٧ب-١٢٨أ.

الأخيران كانت فترتها الزمنية عشرين عاماً فقط، غير أن المؤرخ قد توسع فيهما حول أحداث العام الواحد، خاصة السنوات التي كانت مليئة بالأحداث السياسية الهامة والكثيرة. من ذلك على سبيل المثال السنة التي توفي فيها الإمام المتوكل إسماعيل (سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م) كانت أحداثها طويلة جداً، فاهتم بالتطورات السياسية التي حدثت بعد وفاته، وصراع مراكز القوى على الإمامة، وكذلك العام الذي توفي فيه الإمام المؤيد محمد بن المتوكل (١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م) وما ترتب عليه من صراع وحروب بين صاحب المنصورة ومراكز القوى الأخرى، جعلت المؤرخ يتابع الأوضاع والتطورات السياسية لهذا العام، بينما في الجزء الأول كانت الأوضاع السياسية فيه شبه مستقرة، عدا التوسع في المناطق الشرقية والجنوبية، لذلك جاءت أحداث الـ٣٥عاماً في جزء، بينما كانت أحداث الـ٢٠عاماً في جزأين.

وقد اتبع المؤرخ منهج الحوليات، فقد جعل بداية كل عام عنواناً جديداً، وكان يفصل بين الحولية والأخرى بقوله: «ودخلت سنة ...» كما أسلفنا، وما أريد أن أصل إليه هو أن المؤرخ نتيجة لاتباعه لهذا المنهج فقد اضطر إلى تقسيم الموضوع الواحد إلى مجموعة من الأخبار والأحداث، حسب الترتيب الزمني لذلك الموضوع، كما كان متبعاً في تلك القرون.

وعلى الرغم من أن المؤرخ كان في الجزء الأول-أحياناً-يخرج عن منهج الضبط والتوقيت، ويسرد الموضوع كاملاً، حتى وإن كانت بعض متعلقاته قد حدثت في سنوات تالية للعام الذي يكتب عنه، إلا أننا نجده في الجزأين الثاني والثالث-في معظم الأحيان-يذكر الحدث في نفس العام الذي وقع فيه، ولا يكمله إلا في العام الذي انتهى فيه، ويضطر إلى القول مثلاً: «فالله أعلم ما يتم من ذلك»(١).

وهذا يقودنا إلى نقطة أخرى حول منهج المؤرخ، وهي أنه لعله في هذين الجزأين كان يكتب الأحداث أولاً بأول، أي في تاريخ حدوثها، وليس مثل الجزء الأول، حيث

---

(١) النص، جـ٣، ق١٣١ب.

كان يوحي للقارئ بأنه يعلم بنهاية الحدث، وإن أجَّل كتابته إلى تاريخ وقوعه، وكان يكرر في معظم الأحيان: «كما سيأتي تاريخه» أو «كما سنذكر»، بينما في الجزأين الأخيرين لم يورد مثل هذه العبارات إلا نادراً، وما يؤيد ذلك مثلاً ما ذكره في أحداث سنة (١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م) حيث يقول: «وحال كتْب الأحرف وصلت كتب إلى حسين بن المتوكل أن حسين بن حسن واجه إلى يوسف»[(١)]. ونجده عند تناوله للأحداث خلال مبايعة أحمد بن الحسن بالإمامة يقول: «وسكنت الأمور في هذا الوقت ببلاد صنعاء، والله أعلم ما يكون من أهل شهارة وصعدة»[(٢)]، وهذا يدل على أنه لا يعلم ماذا يجري في شهارة وصعدة، وأنه يكتب الأحداث حال وقوعها، وليس مثل الجزء الأول، إذ كان لديه فكرة مسبقة في نهاية معظم الأحداث، وما يؤيد ما ذهبنا إليه أنه في هذين الجزأين كان أحياناً يكرر كتابة الحدث مرتين، أما في الجزء الأول فعلى الرغم من كثرة الحواشي التي ألحقها بالمتن إلا أن الأحداث كانت مرتبة، وغير مكررة، وإن اضطر إلى ذلك فيقول: كما سنذكر، وكما سبق ذكره، لكنه هنا ربما في بعض الأحيان ينسى أنه قد سجل هذا الحدث فيعيد ذكره مرة أخرى[(٣)].

وأحياناً أخرى يسجل خطأً بعض الأحداث؛ لأنه يعتمد أحياناً على السماع، لكنه يعود لتصحيح بعضها إذا علم بصحتها.

أما بالنسبة لتأريخ وقوع الأحداث فقد كان المؤرخ في الجزء الأول-في معظم الأحيان-غير متأكد من التاريخ الدقيق لوقوع الحدث، فهو يقول مثلاً: «وفيها أو غيرها» أو يقول: «وفيها أو التي تليها» كما أنه في معظم الأحيان لم يقسم السنة إلى شهور والشهور إلى أيام، أما في الجزأين الثاني والثالث فقد كان أكثر دقة من بداية السنة حتى نهايتها، فيذكر بداية كل سنة، وكيف كان استهلالها بالرؤية وبالحساب، كأن يقول مثلاً: «كان استهلالها بالثلاثاء بالحساب وبالرؤية الأربعاء»[(٤)]، ويذكر كيف كان

---

(١) النص، ج٣، ق١٤٩ب.

(٢) النص، نفس الجزء، ق١٤٩ب.

(٣) النص، نفس الجزء، ق١٧١ب، ق٥٠ب.

(٤) النص، جـ٢، ق١ب.

دخولها من حيث سير النجوم والأمطار وغير ذلك، وفي معظم الأحيان يحدد اليوم والشهر فيقول مثلاً: «وفي يوم السبت ثالث عشر شهر جمادى الأولى»[١]، أو يقول: « وفي أول جمعة في شهر جمادى الأولى»[٢]، وهكذا في معظم أوراق الكتاب.

وعلى الرغم من أن المؤرخ قد اتبع منهج الحوليات، إلا أنه كان أحياناً يميل إلى الاستطراد والخروج عن الموضوع الرئيسي الذي يكتب عنه، ثم يعود مرة أخرى إلى موضوعه، وبذلك يخرج عن منهج الضبط والتوقيت، وقد اتبع ذلك المنهج في الأجزاء الثلاثة.

فنجده على سبيل المثال عندما تكلم عن الفرنج، وما أحدثوه من خلل في الموانئ يخرج عن الموضوع الرئيسي ويشرح طوائف الفرنج، ويستطرد في أقوال المؤرخين السابقين، مثل: المسعودي في كتابه «مروج الذهب» وقطب الدين النهروالي في كتابه «البرق اليماني»[٣]، ونجده عندما تناول دخول أحمد بن الحسن إلى برط يستطرد حول من دخله من السابقين، منذ زمن الدولة العباسية والإمام الهادي يحيى بن الحسين والإمام شرف الدين، وفي عهد سنان باشا، ومن دخله عنوة ومن دخله صلحاً[٤]، وبذلك يخرج عن الإطار الزمني لتدوين الأحداث.

وأحياناً نجده يستخدم المقارنة بين الأحداث التي يكتب عنها وبين ما سبقها من أحداث، فهو مثلاً عندما تناول إحدى الظواهر الطبيعية يعود بالقارئ إلى فترة زمنية سابقة ليذكر ما يشبه تلك الظاهرة، فعندما تكلم عن براكين ظهرت في الجبل المقابل للمخا يعود بالقارئ إلى المائة الثامنة للهجرة، ويذكر أنه اتفق ظهور براكين في الجبال السبعة بين كمران ودهلك، ثم ما حصل بعدها من الفناء العظيم المشهور، وتكلم عن ظهور النار قرب المدينة المنورة، وحصل بعدها فتنة التتار المشهورة[٥].

---

(١) النص، ج٢، ق٩ب.
(٢) النص، جـ٣، ق١٦أ.
(٣) النص، جـ٢، ق٤ب.
(٤) النص، نفس الجزء، ق١٠ب.
(٥) النص، نفس الجزء، ق٢٣٦ب.

وتناول الأحداث في يافع ومحاربتها للدولة القاسمية في عهد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل، ثم يقارن ذلك بفترة تاريخية سابقة، فيقول: «وحدث نحو هذا مع عسكر السلطنة في مدة الوزير حسن»[1]، ثم يشرح ما حدث بين الطرفين.

ولا شك أن منهج المقارنة والاستطراد لدليل الثقافة الواسعة التي كان يتمتع بها المؤرخ.

أما منهجه في التراجم فمن الملاحظ أن الجزء الأول قد ترجم المؤرخ فيه لكثير من الشخصيات، ومن مختلف الفئات والطبقات، وفي الجزأين الثاني والثالث اهتم أيضاً بالترجمة لأعلام عصره، غير أنها كانت أقل من الجزء الأول، وترجم في معظم الأحيان للعلماء دون غيرهم، هذا إلى جانب الولاة وأفراد الأسرة القاسمية، ولم تخلُ سنة من السنوات من الترجمة لوفياتها، وكان يضبط تاريخ وفاتهم في الجزأين الأخيرين بطريقة أدق من الجزء الأول، فهو يذكر في معظم الأحيان اليوم والشهر والسنة، وهذا أمر طبيعي، إذ أنه أصبح أقرب إلى الأحداث من الجزء الأول، وعلى وجه الخصوص فترة الإمام المؤيد وبداية فترة الإمام المتوكل، حيث لم يكن قد تجاوز العشرين عاماً، لذلك جاءت التراجم في الجزأين الأخيرين متفرقة في أول العام، وفي منتصفه وفي آخره على حسب تاريخ وفاتهم.

ومن الملاحظ أن المؤرخ قد استخدم في بعض الأحيان طريقة الحوار، سواءً كان ذلك الحوار بينه وبين شخص آخر استقى منه مادتة التاريخية، أو بين شخصين يكتب عنهما، فنجده مثلاً عندما وصل الشريف العارف إسماعيل بن إبراهيم الحنفي الحسيني يذكر المؤرخ أنه التقى به غربي صنعاء «وباحثته في فقه الحنفية»[2]، ثم يورد الأسئلة التي طرحها عليه وإجاباته، ويكثر من الأسئلة عند لقائه ببعض الشخصيات، التي تخبره عن بعض الأحداث، خاصة خارج اليمن، مثل قوله: فسألته، فقلت له، فقال لي، وقد يورد حواراً دار بين صانعي تلك الأحداث، فنجده مثلاً يتكلم عن الحوار الذي

(١) النص، جـ٣، ق٢٣ب.
(٢) النص، جـ٢، ق٢٣٤أ.

دار بين مشائخ برط وأحمد بن الحسن عندما توجه إليهم[1].

وإذا تساءلنا عن ما المنهج الذي اتبعه المؤرخ عند كتابته للرسائل؟ هل كتبها بنصوصها كاملة؟ أم اهتم بذكر مضمونها؟

سبق أن ذكرنا بأن المؤرخ قد أورد العديد من الرسائل، وقد اتبع المنهجين، فهو في معظم الأحيان، قد اهتم بتوثيق الرسائل كاملة دون أن يحذف منها شيئاً أو يختصرها، ونجده بعد أن يورد الرسالة يقوم بتحليلها ونقدها سلباً وإيجاباً، أما المنهج الثاني فيتمثل في شرحه لمضمون الرسالة بأسلوبه، بحيث يعطي القارئ نبذة مختصرة عما تحويه تلك الرسائل، غير أنه لم يتبع ذلك إلا نادراً.

وأكثر المؤرخ من الاستشهاد ببعض الأبيات الشعرية، وهي في معظمها بمثابة حِكَم يُستفاد منها للعظة والاعتبار، وهذه الأبيات لشعراء مشهورين مثل: المتنبي، وأبو تمام، وابن رشيق القيرواني، وصفي الدين الحلِّي، وأبو فراس الحمداني، والمعرِّي، والشريف الرضي، وطرفة بن العبد وغيرهم كُثر.

وحرص أيضاً على الاستشهاد بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

وأورد بعض التعبيرات الشائع استعمالها، والتي أصبحت بمثابة أمثال عامة متداولة بين الناس، مثل قوله: «جازاه كما يجزى سنمار»[2] «سيفان في غمد لا يصلحان ولا يكاد في الغالب يتفقان»[3] و«من حفر بئراً لأخيه سقط فيه» [4] و«كحال مجير أم عامر»:[5].
واستدلالات يحيى بن الحسين الكثيرة تجعلنا نصفه بأنه كان حفَّاظة للقرآن والحديث والشعر والأمثال والتاريخ، وغير ذلك.

وكان المؤرخ أحياناً يشرح للقارئ مواقع بعض المناطق، خاصة غير المعروف منها،

(١) النص، ج٢، ق١٠ب.
(٢) النص، جـ١، ق٤٩ب.
(٣) النص، جـ٢، ق٣٠ب.
(٤) النص، جـ٣، ق١١٥أ.
(٥) النص، نفس الجزء، ق٧١ب.

وفي ذلك أهمية كبيرة، إذ إن بعض هذه المناطق قد اندثرت، ولم يبق منها إلا الاسم، فنجده مثلاً عندما ذكر أن إبراهيم بن حسين بن المؤيد بلغ إلى موضع يقال له «الأبرق» فيشرح موقعه بعد ذلك مباشرة بقوله: «ما بين الأهنوم وظليمة، وهو من أطوار بلاد ظليمة، فوق سوق الثلوث»(١)، وعند حديثه عن أحمد بن الحسن، وأنه طلع إلى «نجد بني حمرة» ثم يقول «غربي شهارة، وهو وسط الأهنوم، وهو مجمع الطرق القريبة من شهارة»(٢).

ويشرح أحياناً بعض الكلمات التي قد تبدو غريبة للقارئ، مستعيناً بقواميس اللغة، فنجده مثلاً يتكلم عن بعض الآلات الحربية ومنها «الدِباب»، ثم يقول: «قال في القاموس: الدبابة مشددة آلة للحرب، وقد كان يتخذها بنو أيوب وبنو رسول باليمن في مدتهم، وعلي بن صلاح كان يتخدها، كما في سيرته»(٣).

وإذا انتقلنا إلى أسلوب المؤرخ في كتابته للأحداث، فقد تميز بالسهولة والوضوح، فكان في كثير من الأحيان يستخدم الكلمات والعبارات المفهومة البسيطة، ومع أنه كان أحياناً يميل إلى السجع، باعتباره من المحسنات اللفظية في عصره، إلا أنه لم يبالغ في نحت الكلمات مثلما كان متبعاً لدى مؤرخي عصره، والعصور اللاحقة، ومن أمثلة ذلك:قوله«لبث بصنعاء إلى آخر شعبان، على الضيافات الحسان، من الولاة والأعيان، ثم تقدم إلى ضوران، وحصنه الشامخ على الوديان والبلدان»(٤) وقوله: «قد ظهر بطول بقاء حسن بن الإمام، وثقل عليه ذلك الإلمام، وأهمه في اليقظة والمنام، وعطل في نفقاته الحبوب التي قد جمعها بصعدة من سابق الأعوام»(٥)، أو أن يقول: «وحصل خفضهم لما كان يرفعهم، وضرهم ما كان ينفعهم، وغاب عنهم من السعد والإقبال ما كان يحضرهم، وخذلهم من الكل ما كان ينصرهم»(٦). فقد ابتعد المؤرخ عن السجع

---

(١) النص، جـ٢، ق١٧٦أ.
(٢) النص، نفس الجزء، ق١٧٦أ.
(٣) النص، نفس الجزء، ق٢٠أ.
(٤) النص، جـ١، ق١٤١أ.
(٥) النص، جـ٢، ق٣٤أ-٣٤ب.
(٦) النص، جـ٣، ق١٤٩ب.

المتكلف في اللفظ، والذي -غالباً- أفسد المعنى لدى كثير من المؤرخين.

وأورد في كتابه هذا بأجزائه الثلاثة الكثير من المصطلحات التي تستعمل محلياً، وربما كان بعضها من ألفاظ اللغة العربية الفصحى مثل قوله: «الصنو، الصافية، النصع، الخِطَاط، القِبَال ... إلخ» وأورد كذلك بعض المصلحات العثمانية مثل: «الجامكية، النوبة، الشاوشية، الزبارط، المكاحل، الطبلخانات»[1].

وقد اختصر المؤرخ أسماء بعض الكتب المشهورة والمتداولة حينذاك فيقول مثلاً: «البحر، الغاية،» أو يقول: «الهادي في أحكامه» و«النجري في قواعده».

كما اختصر أسماء المشهورين من أئمة العلم مثل: المهدي، الهادي، المنصور .... إلخ. وربما يعود السبب إلى أن أسماء مثل هذه الكتب وأسماء أئمة العلم كان معروفاً مشهوراً حينذاك.

وعلى الرغم من أن المؤرخ لم يترجم لنفسه في هذا الكتاب ترجمة مستقلة، لكنه كان يكتب عن نفسه أحياناً، إذا دعت الضرورة لذلك، فنجده مثلاً يتكلم بين الحين والآخر عن التقائه ببعض العلماء، الذين كانوا يفدون إلى اليمن، أو يتكلم عن انتهائه من تبييض مؤلفه الاقتباس، فيذكر محتوى هذا المؤلف وأجزائه[2]، وترجم لابنه الحسن الذي توفي في حياته وهو لم يتجاوز العشرين عاماً، وقد أطنب في ذكر صفاته وزهده وعلمه، ثم أورد أشعار الرثاء التي قيلت فيه من قبل بعض شعراء عصره، وأُرسلت لوالده[3].

هذا بالإضافة إلى الرسائل التي تم تبادلها مع الأئمة ومراكز القوى الأخرى حينذاك.

وبعد الانتهاء من منهج المؤرخ وأسلوبه لعله من الضروري توضيح المنهج الذي اتبعته الباحثة خلال التحقيق لنص المخطوطة.

---

(١) سيأتي شرح مثل هذه الألفاظ في هوامش النص.

(٢) النص، جـ٢، ق١٨أ-١٨ب.

(٣) النص، جـ٣، ق١٠٨أ-١١٠أ.

سادساً-منهج التحقيق

لقد أكد المؤرخ في بداية الجزء الثالث من مخطوطة «بهجة الزمن» على ضرورة إثبات النصوص كما أرادها مؤلفوها، فنجده يقول: «إن كتابة ما لم يكتبه المصنف أو حذفه من الكذب عليه، والتحريف لكلامه، وتغيير قصده ومراده؛ لأن المُصَنَّف إنما يضاف إلى مُصَنِّفِه، فلا يُغَيَّرْ مقصوده وما قرره»[1]. وهو بذلك يدعو إلى الأمانة العلمية عند التحقيق منذ تلك الفترة البعيدة مما يدل على تفتحه العلمي الواسع، لذلك فلا بد لكل من حقق نصاً أن يحرص على إثبات النص كما أراده مؤلفه.

وقد بذلت أقصى ما في وسعي لإثبات النص كما أراده المؤرخ، على الرغم من الجهد الذي بذلته في ذلك، إلا أن هناك بعض الكلمات-وإن كانت قليلة جداً-تعذَّر عليَّ قراءتها، فرسمت بعضاً منها كما وردت، وتركت الكلمات التي لم أتمكن من رسمها فوضعت نقاطاً، وأشرت في الهامش بأنها غير واضحة في الأصل.

أما الحواشي التي أراد المؤرخ إلحاقها بالمتن فقد أدخلتها حسب إشارات المؤرخ السابق ذكرها، دون أن أشير إلى ذلك في الهامش لكثرة تكرارها.

ولأن المؤرخ لم يهتم بالإعجام، كما سبق أن ذكرت في وصف المخطوطة، فقد كانت بعض الكلمات تحتمل أكثر من معنى، غير أني حاولت-ما أمكن-التغلب على هذه الصعوبة بالوقوف كثيراً عند كل كلمة وتقريبها إلى سياق المعنى، حرصاً على إثبات النص كما أراده مؤلفه. وقمت بتشكيل الكلمات التي حسبتها تحتاج إلى تشكيل لتوضيح المعنى ودفع الاشتباه عنها، مثل أسماء بعض الأعلام وكناهم وألقابهم، وأسماء البلدان والمواضع وبعض المصطلحات العامية، وغير ذلك.

ووضعت الهمزات للكلمات التي تحتاج إلى ذلك؛ حرصاً على التوحيد في الكتابة، وليتضح المعنى أمام القارئ الحديث.

---

(١) النص، جـ٣، ق٣ب.

وهناك بعض الكلمات قد تكون من الألفاظ العامية، ويصعب فيها إبدال الياء بالهمزة؛ لذلك كُتبت كما تنطق في اللهجة اليمنية، ومعظمها لا يزال مستخدماً حتى الوقت الحاضر مثل: بير العزب، الداير، الغواير.

وقد درج المؤرخ في الكتابة على بعض الأخطاء الإملائية الشائعة مثل قلب الظاء إلى ضاد أو العكس، أو قلب التاء المربوطة إلى تاء مفتوحة، أو إبدال الألف المقصورة بألف ممدودة أو العكس، وغير ذلك من الأمثلة، فقمت بتصحيح ما تبين لي طبقاً لقواعد الإملاء الحديثة. ولم أشر إلى ذلك في الهامش لتكراره.

وسبق أن رأينا بأن المؤرخ لم يهتم بتقسيم الفقرات والجمل، لذلك قمت بوضع الفواصل والنقاط وعلامات الاستفهام وعلامات الجمل الاعتراضية، وغير ذلك من علامات الترقيم الحديث ما دعت الحاجة إلى ذلك، وما وجدته مكتوباً بالشكل القرآني قمت بكتابته كما هو متبع في الكتابة الحديثة.

وكما سبق أن رأينا لم يهتم المؤرخ بكتابة عناوين، واكتفى بكتابة بداية العام الذي سيتناول أحداثه بكلمة ودخلت بخط أكبر من الخط المعتاد، لذلك حرصت على أن أجعل هذه الكلمة مضافة إليها السنة عنواناً مستقلاً، فكان العنوان على سبيل المثال كالتالي: «ودخلت سنة أربع وثمانين وألف»، وكلما انتقلت من حدث إلى آخر جعلته بداية لفقرة جديدة.

وحرصت على استخراج كل ما هو ضروري بحسب المنهج العلمي المتبع في تحقيق المخطوطات، فقمت بالترجمة للأعلام وضبط تواريخ وفاتهم ما أمكن، وقد أغفلت الترجمة لبعض الشخصيات البارزة والمشهورة باعتبار أن المعروف لا يُعرف، كما تعذر في بعض الأحيان الترجمة لبعض الأعلام، إما لعدم وجود تراجم لهم في ما بين يدي من مصادر، أو أنهم كانوا مغمورين في عصرهم، ولا توجد لهم ترجمات أصلاً.

وبعض الشخصيات ترجم لهم المؤرخ ترجمة كاملة تُغني عما جاء في المصادر الأخرى، باعتباره كان معاصراً لهم، فتم الاكتفاء بترجمة المؤرخ.

وقمت بتعريف ما وجدته من المناطق، مستخدمة الكتب المتوفرة. أما المناطق التي لم أعثر لها على تعريف فقد تركتها؛ لأنها ربما قد اندثرت، أو تغيرت أسماؤها.

وحرصت على كتابة معظم أسماء الكتب كاملة، وكذلك مؤلفيها في الهامش. وهناك مؤلفات لم أجدها في ما بين يدي من مصادر، لذلك تركتها دون الإشارة في الهامش.

وقمت بتخريج الآيات القرآنية وضبطها بالشكل كما وردت في القرآن الكريم، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في المخطوطة، فقد قمت بتخريج ما استطعت منها، ولم أتحقق من صحتها أو ضعفها، باعتبار أن ذلك يقع خارج إطار مجالنا، وهناك بعض الأحاديث تعذر العثور عليها في مابين يدي من مصادر.

أما الأبيات الشعرية التي وردت في المخطوطة-وهي كثيرة-كان بعضها قد نسبها المؤرخ إلى قائليها، فحرصت على البحث عنها في دواوين الشعر، وقمت بالمقارنة بين ما أورده المؤرخ وما ورد في تلك الدواوين وأشرت إلى الاختلاف في الهامش، وتركت المتن كما أراده المؤرخ.

أما بعض الأبيات الشعرية التي لم يشر المؤرخ إلى قائلها، فقد بذلت جهداً في معرفة من قائلها، وأثبت ذلك في الهامش، وقارنت بين تلك الأبيات وما ورد في دواوين الشعراء.

أما الأبيات الشعرية التي لم أتمكن من معرفة من قائلها فقد تركتها دون الإشارة إلى ذلك في الهامش.

وقمت باستخراج شرح الألفاظ والمصطلحات التي تحتاج إلى شرح معانيها ما استطعت من قواميس اللغة العربية، وشرحت المصطلحات ذات الطابع المحلي بقدر المستطاع، أما المصطلحات العثمانية، فقد قمت بشرح معظمها. معتمدة على بعض الكتب الخاصة بذلك.

أما الحواشي التي كُتبت في المخطوطة، وهي بخط مختلف عن خط المؤرخ فلم أهملها وأثبتها في الهامش كما وردت، باعتبار أنها ليست من كلام المؤرخ وتم كتابتها في

فترة متأخرة عن عصره.

وقد استعملت في المتن بعض الأقواس مما يعد من ضرورات الكتابة الحديثة، وفي الوقت ذاته لا يخل بما أثبته المؤرخ. وهذه الأقواس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأسماء الكتب وغير ذلك مما سيجده القارئ في المتن. وهي على النحو التالي:

﴿ ﴾ للآيات القرآنية.

« » للأحاديث النبوية.

( ) لأسماء الكتب وغير ذلك.

أما أرقام أوراق المخطوطة التي كُتبت خطأً -كما سبق أن أشرت في وصف المخطوطة- فقد أعدت ترقيمها ترقيماً صحيحاً، وكتبت تلك الأرقام في المتن بين قوسين [ ] حتى تتضح بداية الورقة الجديدة.

وقد حاولت جاهدة أن ألتزم بالمنهج العلمي الصحيح لتحقيق المخطوطات ونشرها، آملة أن أكون قد وفقت في ذلك.

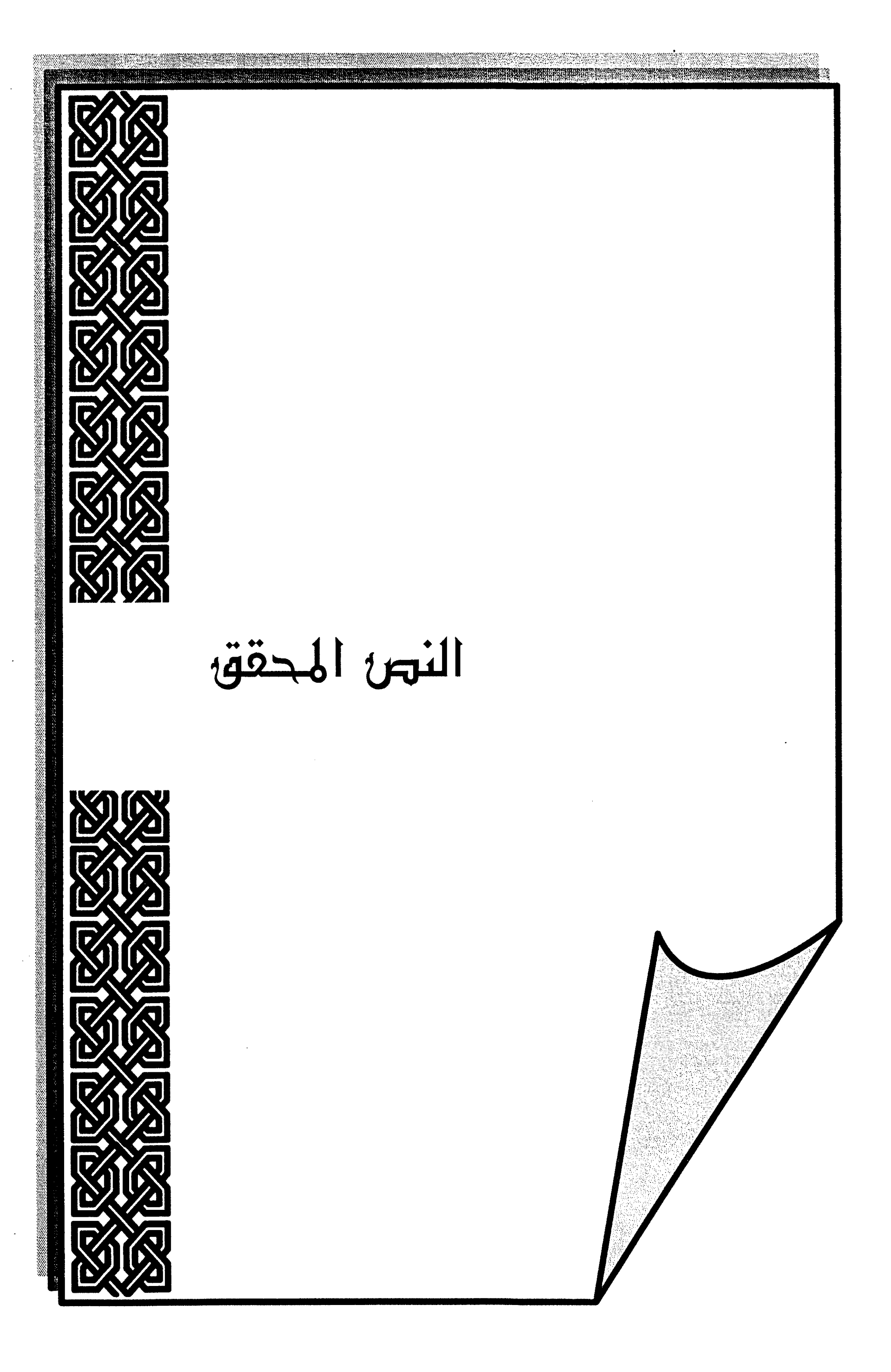
نماذج من المخطوط

الورقة الأولى من المخطوط (الجزء الأول)

الورقة الأولى من مخطوط بهجة الزمن (الجزء الثاني)

الورقة الأخيرة من مخطوط بهجة الزمن (الجزء الثالث)

الورقة (١٧٢) من مخطوط بهجة الزمن (الجزء الثالث)


النص المحقق



بهجة الزمن

في

تاريخ اليمن

الجزء الأول

«١ ب» بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وآله المتبعين له في الدين، وأصحابه الراشدين.

أما بعد فهذا تاريخ ما جرى من الحوادث والأخبار في زماننا، وما بلغ إلينا أثبتناه في هذا الكتاب، لِماَ فيه من الاعتبار لأولي الألباب والأبصار:

كتاب يحاكي الدر انتظامه وجواهر ألفاظه ألوانه

وقد توسعت فيه على أصله[١]، وضممت فيه ذكر تراجم أهله، فأقول والله الموفق:

لمّا خرج عساكر السلطنة[٢] من مدينة زَبِيْد[٣] وتِهامة[٤] بعد ما جرى من الحروب العظيمة، والخطوب الهائلة الجسيمة كما سبق تحقيقه في الأصل[٥]، بذكر صفته وتاريخه. وراح من النفوس والأموال من الجانبين فيها ما يكثر عدده من أول القرن الحادي عشر إلى هذا التاريخ[٦]، فكانت فتنة رأس الألف رأس المائة الحادية عشرة، وكذلك ما اتصل بها من فتنة الشاه عباس[٧] بالعراق. ولقد وصف لي بعض الفقهاء -وهو الفقيه

---

(١) يقصد المؤرخ بلفظ (أصله): الإشارة إلى كتابه (أنباء الزمن في تاريخ اليمن) حيث اعتبر كتابه (بهجة الزمن) ذيلاً لكتاب (أنباء الزمن).

(٢) أي الدولة العثمانية.

(٣) زبيد: من أشهر المدن اليمنية، اشتهرت بالعلم، وظلت موطن العلماء للمذهب الشافعي، رحل إليها الكثير لطلب العلم. تقع في سهل تهامة، ويحدها من الشمال وادي رِمعَ وبلاد الزرانيق في بيت الفقيه، ومن الشرق وصاب السافل وبلاد العدين، ومن الجنوب المخا، ومن الغرب البحر الأحمر. (محمد بن أحمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مجـ١، جـ٢، ص٣٨١-٣٨٨).

(٤) تهامة: هي القسم الواقع بين جبال اليمن والبحر من جهة الغرب والجنوب، ويقال له غور اليمن. (محمد الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مجـ١، جـ١، ص١٥٦) .

(٥) ذكر يحيى بن الحسين تلك الحروب مفصلة في كتابه الآخر (أنباء الزمن في تاريخ اليمن) واكتفى هنا بالإشارة إلى ذلك تجنباً للتكرار.

(٦) أي من بداية دعوة الإمام القاسم وحروبه مع العثمانيين التي كانت بدايتها حوالي عام ١٠٠٦هـ/ ١٥٧٩م حتى عام ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م، وهو العام الذي خرج فيه العثمانيون من اليمن، و بداية كتابه(بهجة الزمن).

(٧) هو الشاه عباس الكبير، حكم من (٩٩٦-١٠٣٨هـ/ ١٥٨٨-١٦٢٩م) وقد تمكنت الدولة الصفوية في عهده من استعادة السيطرة على الأماكن المقدسة الشيعية في العراق بعد أن أخرج العثمانية من النجف وكربلاء. وتميز عصره بالانفتاح على الغرب، فقد عقد المزيد من المعاهدات التجارية والسياسية بين إيران وسائر الدول الأوروبية، كما تميز عصره بحركة العمران الكبيرة، وبخاصة في مدينة أصفهان. وقد حظي باهتمام الكثير من المؤرخين الإيرانيين والعالميين، فكُتبت عنه العديد من المؤلفات باللغة الفارسية وباللغات الأوروبية المختلفة. (د. بديع محمد جمعة: الشاه عباس الكبير، ص٥-٦) .

عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز بهران- أنه شاهد هو وجماعة مكتوباً في جبهة رأس تركي من الذين قُتلوا في غزوة النخل[١] (لا إله إلا اللهّ محمد رسول اللهّ)، وتكافأت حروبهم من الجانبين، لا تحصل قتلة في جانب إلا وحصل مثلها في الجانب الآخر. هذه قتلة وادي الدواهب[٢] في الشام، وهزيمة جنود جعفر باشا[٣] قابلها قتلة الشُّقَّات[٤] فراح كثير من «٢أ» أصحاب القاسم[٥] وقُتل فيه ولده علي بن الإمام[٦] واهتزم الباقون.

ولما حصلت قتلة غارِب أَثْلَة[٧] في بلادِ عذَر[٨] ونواحي

(١) كانت هذه الوقعة بين الأمير مصطفى ومن معه وبين الحسن بن الإمام القاسم بن محمد ومن معه، في زبيد وذلك سنة ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م هُزمت في نهايتها القوات العثمانية وفرت بخدعة دبرها الحسن بن القاسم. (يحيى بن الحسين: أنباء الزمن في تاريخ اليمن، ص٣٨٩، مخطوط).

(٢) وادي الدواهب: لم أتمكن من معرفة موقعه، ولكن (الشام) عادة يقصد به المنطقة الشمالية، وخاصة صعدة.

(٣) هو الذي كان واليا على اليمن في الفترة من سنة ١٠١٦هـ/ ١٦٠٨م إلى سنة ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م. (للمزيد عن جعفر باشا وحروبه مع الإمام القاسم انظر.أ. د. سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن، ص٣٧٧-٣٨٤) .

(٤) الشقات: موضع قريب من صعدة. وكانت هذه الوقعة في ١٩جمادى الأخرى سنة١٠٢٣هـ/ ٢٧يوليو١٦١٤م، قتل فيها حوالي مائتان من أتباع الإمام القاسم. (أحمد بن محمد الشرفي: اللآلئ المضيئة الملتقطة من اللواحق الندية في أخبار الأئمة الزيدية، جـ٣، ص٣٦١-٣٦٢) .

(٥) هو القاسم بن محمد بن علي، الإمام المنصور (٩٦٧-١٠٢٩هـ/ ١٥٥٩-١٦٢٠م) يرجع نسبه إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين. دعا إلى نفسه بالإمامة من جبل قارة حديد في حجور الشام في المحرم من سنة١٠٠٦هـ/ سبتمبر١٥٩٧م. وهو مؤسس الدولة القاسمية في اليمن. وقد حظي بعدة تراجم موسعة له، لعل أهمها كتاب المؤرخ مطهر الجرموزي: (الدرة المضيئة في السيرة القاسمية) وله أيضاً: (النبذة المشيرة الى جمل من عيون السيرة). وكتب أ.د. سيد مصطفى عن ثورته ضد العثمانيين في الفصل السابع من كتابه: الفتح العثماني الأول لليمن. وللإمام القاسم العديد من المؤلفات منها: (الأساس في عقائد الأكياس)، (الإرشاد الى محجة الرشاد في طرق أعمال العباد عند فقد الاجتهاد)، (الاعتصام بحبل اللهّ المتين)، (مرقاة الوصول إلى علم الأصول)، (تحفة الراغب شرح كافية ابن الحاجب) وغير ذلك من المؤلفات. (مطهر الجرموزي: النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة، إسماعيل بن علي الأكوع: هجر العلم ومعاقله في اليمن، جـ٢، ص١٠٦٢-١٠٦٤) .

(٦) لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من مصادر .

(٧) غارِب أثلة: قرية بعزلة الشط، ناحية قفلة عِذر بمحافظة صنعاء (الجمهورية العربية اليمنية، الجهاز المركزي للتخطيط: التوزيع السكاني في محافظة صنعاء لعام ١٩٨٦م، ص٢٥٨) . وقد وقعت فيها معركة هامة في نصف شهر جمادى الأخرى سنة١٠٢٣هـ/ يوليو١٦١٤م هُزم فيها العثمانيون، وقُتل الكثير منهم، وكان من بين القتلى قائدهم الأمير درويش.(يحيى بن الحسين:أنباء الزمن، ص٣٧١؛ الشرفي: اللآلئ المضيئة، جـ٣، ص٣٥٨-٣٦١) .

(٨) عذر: قبيلة من حاشد، تقع شرقي الأهنوم، تنسب إلى عذر بن سعد بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد، وهي إلى الشمال الغربي من صنعاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مجـ٢، جـ٣، ص٥٩٥؛ حسين بن علي الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص١٩٤).

شِهارة[1] في الأتراك، وهزيمتهم إلى خَمِر[2] تعقب ذلك قتلة أصحاب الإمام برَحْبان[3]، جميع المحطة التي فيه، وهم قدر ستمائة وفوق، لمـَّا خرج عليهم عساكر السلطان من صعدة[4] وحاربهم أهل الخيل من الوراء، والعساكر من جهة صعدة، كما سبق ذكره في أصل هذا التاريخ. وقتلة أَنْوَد بضِلَع كَوْكَبان[5] في عساكر السلطان قابلها قتلة الحرب الكبير بقاع صنعاء ما بين أصحاب الإمام وعساكر الباشا حيدر[6] فراح من أصحاب الإمام كثير في جبل نُقُم[7] و في القاع، و في الحَفَا[8] وقُتل الطير[9] وكان حرباً عظيماً، واهتزم أصحاب الإمام إلى حَدَّة[10] وقتلة نَجْد

(١) شهارة: تعرف بشهارة الأمير، نسبة إلى الأمير ذي الشرفين، وبجوارها من الشرق شهارة الفيش، نسبة إلى القيل ذي فائش، وتفصل بينهما هاوية سحيقة، يربط بينهما جسر معلق بين الجبلين لانتقال الناس عليه. وهي من أمنع حصون اليمن. وتقع في الشمال الشرقي من محافظة حجة (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص٩٥-٩٦؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم ومعاقله في اليمن، جـ٢، ص١٠٥٧-١٠٥٩)

(٢) خمر: بلدة مشهورة من حاشد، وهي مركز بني صريم ومن إليهم من بلاد حاشد، شمالي صنعاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن وقبائلها، مجـ١، ج٢، ص٣١٠).

(٣) رَحْبان: قرية بعزلة وادي مذاب بناحية الصفراء، محافظة صعدة، فيها سد الخانق الشهير إلى الشمال من صنعاء تبعد عنها حوالي ٣٠٠كم. (الجمهورية العربية اليمنية، الجهاز المركزي للتخطيط: التوزيع السكاني في محافظة صعدة لعام ١٩٨٦م، ص١٣٠؛ الرازي: تاريخ صنعاء، تحقيق: د. حسين العمري، هامش ص٦٦٩).

(٤) صعدة: مدينة تاريخية في الشمال من صنعاء، تبعد حوالي ٢٤٣كيلو متراً عن صنعاء. مَسَوَّرة بسور منيع قديم على شكل سور صنعاء، ولها ثلاثة ابواب، وفيها مساجد أثرية قديمة. وهي عاصمة إدارية لمحافظة صعدة التي تشمل أربع عشرة مديرية. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص١٢٧؛ الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٥٧٠).

(٥) قتلة أنود: سميت هذه المعركة باسم المنطقة التي وقعت فيها، وهو مكان بضلع كوكبان، وضلع عزلة بناحية شبام كوكبان، بمحافظة المحويت (الجمهورية العربية اليمنية، الجهاز المركزي للتخطيط: التوزيع السكاني في محافظة المحويت لعام ١٩٨٦م، ص١٠٥) وكانت هذة المعركة في ١٧ رجب سنة ١٠٣٦هـ/ ٣ أبريل ١٦٢٧م هزم فيها العثمانيون، وانتصر أتباع الإمام المؤيد محمد بن القاسم بقيادة أخيه الحسين بن القاسم. (الشرفي: اللآلي المضيئة، جـ٣، ص٥٠٣-٥٠٤؛ عبدالله عبدالكريم الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ص١٦٠).

(٦) عُيِّن حيدر باشا والياً على اليمن في أوائل سنة ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٥م وقد تخبطت سياسته منذ البداية، كما ساءت سيرته بين الأهالي إلى حد كبير، وعُزل سنة ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م. (د. سيد سالم: الفتح العثماني، ص٣٩٢-٣٩٣).

(٧) جبل نُقُم: يطل على صنعاء من جهة الشرق، ويرتفع عن سطح البحر بنحو ٢٨٠٠متر. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٧٤٤؛ إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص٧٠٥).

(٨) الحِفا: جانب من سهل صنعاء الجنوبي. (المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص١٩٣).

(٩) هو الشيخ علي بن عبدالله الطير الأسدي، أحد مقادمة الإمام المؤيد محمد بن القاسم، وكانت هذه الوقعة في رمضان سنة ١٠٣٦هـ/ ١٦٢٦م ويذكر الشرفي بأنه قُتل في هذه المعركة نحو ثلاثين من أتباع الامام المؤيد.(يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، ص٣٨٢؛ الشرفي: اللآلي المضيئة، جـ٣، ص٥١٢-٥١٣).

(١٠) حدة: قرية عامرة من مخلاف بني شهاب، ناحية بني مطر وأعمال صنعاء، ومن متنزهاتها المشهورة، تقع على بعد خمسة عشر كيلو متراً في الجنوب الغربي منها. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص٨٧؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ١، ص٤٤٧).

المُخَيْرِب[١] باليمن الأسفل[٢] في عساكر السلطان، قابلها القتلة العظيمة في المظفرية[٣] فإن جميع المحطة من أصحاب الإمام قُتِلوا فيها، وهم كثير، قيل قدر ثلاثة آلاف، وقيل قدر ألفين، وقُتل فيها ابن شمس الدين رئيسهم[٤] وانتهبوا جميع المحطة، وكانت قصة كبيرة، وفعلة «٢ب» جسيمة. وهذه هي القتلات الكبيرة. وأما سائر الحروب فهي متكافئة في ذات بينها. وطالت تلك الحروب والفتن مدة من السنين إلى هذا التاريخ. ولما انقضت تلك القضايا والحروب، وزالت تلك الفتن والخطوب، وحصل الاستيلاء على مدينة زَبِيْد، وهي آخر مدينة باليمن كانت مع عساكر السلطان، وكان قد دخلها شرف الإسلام[٥] بعد الفَتْح لها، وعَزَم[٦] مصطفى[٧] من المخا بعد عَزْم قانص[٨] -كما سبق ذكره- طلع شرف الإسلام الحسين بن القاسم من تلك الديار إلى الجبال العليا، فوصل ضُوْرَان[٩] بنيةِ الاستقرارِ، وكانت طريقه وادي

---

(١) نجد المخيرب: مابين شرعب وشمير التي هي من بلاد الركب، ذكره الهمداني في (صفة جزيرة العرب) بقوله: نجد المخرب. وربما أن هذه هي التسمية القديمة للمنطقة (الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق: القاضي محمد بن على الأكوع، هامش ص١٩٩) وكانت هذه الوقعة في شهر رمضان سنة١٠٣٩هـ (الشرفي: اللآلي المضيئة، جـ٣، ص٦٠٠).

(٢) تطلق كلمة (اليمن الأسفل) على الجهات الجنوبية من اليمن، و (اليمن الأعلى) على الجهات الشمالية منه .

(٣) المظفرية: تقع بين المخا و موزع. وكانت هذه الوقعة في شوال سنة ١٠٤٣هـ/ إبريل ١٦٣٤م. (الشرفي: اللآلي المضيئة، جـ٣، ص٦٣٦؛ محمد بن إسماعيل الكبسي: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية، جـ٢، ص٢٤٦)

(٤) هو الأمير شمس الدين بن يحيى بن المطهر بن الإمام شرف الدين. ويذكر الشرفي أنه بعد مقتل شمس الدين حصل في أصحابه الفشل فانهزموا، وهرب من بقي منهم إلى يفرس. (الشرفي: اللآلي المضيئة، جـ٣، ص٦٣٦).

(٥) هو الحسين بن الإمام القاسم، وقد أورد يحيى بن الحسين ترجمة مطولة له في (ق٥٣أ - ٥٦أ) من هذه المخطوطة عند وفاته، كما ترجم له أبو الرجال في كتابه مطلع البدور، جـ٢، ص٦٤-٦٧؛ والشوكاني في البدر الطالع، جـ١، ص٢٢٦؛ والدكتور حسين العمري في مصادر التراث اليمني، ص٢٦٠.

(٦) عَزَمَ: أي سافر، وما زال هذا اللفظ مستعملاً .

(٧) هو أحد الأمراء العثمانيين بقى بعد خروج الوالي قانصوه من اليمن في ألف وخمسمائة من أتباعه إلى شهر شعبان من سنة ١٠٤٥هـ/ يناير ١٦٣٦م. ثم طلب الخروج بأمان و المساعدة في حمل أثقاله، فساعده أبناء الإمام القاسم على ذلك، وخرج من اليمن عن طريق المخا. (يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، ص٣٩٠).

(٨) هو أحمد قانصوه باشا. كان آخر الولاة العثمانيين في الفتح العثماني الأول لليمن، وصل الى اليمن في ربيع الثاني سنة١٠٣٩هـ/ نوفمبر/ ديسمبر١٦٢٩م، واستمر بها إلى أن تم إخراج العثمانيين من اليمن في شهر جمادى الأولى سنة ١٠٤٥هـ/ اكتوبر سنة١٦٣٥ م. (د. سيد سالم: الفتح العثماني، ص٤٠٠).

(٩) ضُوران: بلدة تقع في السفح الشمالي لجبل ضوران،كان اسمها (الحصين)، ثم تغلب على هذا الاسم جبلها. وقد أسس مدينة ضوران الحسن بن الإمام القاسم، وجعلها مقراً لإمارته، وبنى جامعها ومرافقها حتى توفي فيها، ثم اتخذها الإمام المتوكل إسماعيل عاصمة له. (محمد بن محمد زبارة: نزهة النظر، جـ١، هامش ص١٢٨؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم ومعاقله في اليمن، جـ٣، ص١٢٣٨).

رِمَاع[1] فسكن فيه، وأما صنوه[2] شرف الإسلام الحسن بن القاسم[3] فإنه دخل مدينة زَبِيْد، وصام شهر رمضان بمن معه من الأتباع والعبيد، والعسكر العديد، ثم قرر أعمالها، وجعل فيها متولياً السيد الشريف هاشم بن حازم المكي[4] من أشراف بني حسن، أشراف مكة آل قتادة[5] وَوَلوا جميع البلاد، وجعلوا الأمر إلى الوالي، ورَسَّموا[6] عليه تسليم المطالب بالأمانات، فزاد الولاة ونقَّصوا، وغيَّروا وبدَّلوا، وخلط بعضهم الأوقاف والمطالب بالصوافي[7] في بعض الجهات كجهات صنعاء فإن أوقافها في كثير من نواحيها خلطوها بالصوافي، وقبض الجميع ناظِر الأوقاف كجوار صنعاء وكانت سابقاً مفصولة، وعنِ الأوقاف مفرودة. وكان على اليمن ولاة مُقْطَعُون بمال مفروض فيه حقه عما زاد من بعدهم.

---

(١) رِمَاع: واد مشهور من أودية اليمن التي تصب في البحر الأحمر، وهو فيما بين وادي زبيد جنوباً ووادي سهام شمالاً. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٣٧٠؛ إسماعيل الأكوع: البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي،ص١٣١).

(٢) الصنو: هو الأخ الشقيق، والجمع أصناء. وساد الاعتقاد أنها من اللَّهجة العامية في اليمن، إلا أنها عربية فصحى. وهذا ما يؤكد أن الكثير من الكلمات العامية في اليمن هي في الأصل عربية فصحى (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٢٨).

(٣) أورد يحيى بن الحسين ترجمة مطولة لعمه الحسن بن القاسم في هذه المخطوطة عند وفاته، (ق١٧أ- ٢٢أ). وامتدحه ببعض القصائد؛ وترجم له محمد بن عبدالله بن عامر في بغية المريد، ق٩١أ؛ والشوكاني في البدر الطالع، جـ١، ص٢٠٥-٢٠٦؛ وإسماعيل الأكوع في هجر العلم، جـ٢، ص١٠٦٨).

(٤) الشريف هاشم بن حازم بن راجح بن أبي نمي. وُلِيَ معظم تهامة بعد فتح (زبيد) وقبله. ترجم له يحيى بن الحسين عند وفاته (ق٧٨ب) من هذه المخطوطة؛ كما ترجم له مطهر الجرموزي في تحفة الأسماع والأبصار، ق٣٠أ؛ ومحمد المحبي في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، جـ٤، ص٤٦٠.

(٥) هو قتادة بن إدريس بن مطاعن، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كرم اللهَّ وجهه. أطلق عليه المؤرخ أبو الرجال بـ(سلطان الحرمين) ملك ينبع والصفراء وبعض أطراف المدينة ونجد، ثم أصبح شريفاً على مكة، بعد أن استولى عليها من يد الأشراف السابقين له. توفي سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م. (أحمد بن صالح بن أبي الرجال: مطلع البدور ومجمع البحور، جـ٤، ق٣٧أ-٣٨أ، مخطوط).

(٦) رَسَّموا: الرِسَامَة لغة جاءت من فعل رَسَمَ بمعنى أَمَرَ، ومنها المرسوم أو المراسيم، وهنا بمعنى فرضوا عليه. وهي من الكلمات العامية في اليمن (الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤٧٩).

(٧) الصوافي: جمع صافية، وهي الأراضي التي جلا عنها أهلها، أو ماتوا ولا وارث لهم. ومن أقدم صوافي اليمن صافية صنعاء وصافية ذمار، اللتانِ كانتا لباذان آخر من حكم صنعاء من الأبناء. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٤٥٤-٤٥٥؛ الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٥٥٨).

ولما طلع شرف الإسلام الحسن إلى ضُوْرَان من مدينة زَبِيْد وصنوه «٣أ» اهتموا فيه بالإحياء، والزيادات في أعمال البناء، فأحيوا مآثر حِمْيَر[١] في هذا العصر، وقد كانت دثرت من قديم الزمان، وصارت في خبر كان.

ودخلت سنة ست وأربعين وألف[٢].

وفيها تم عمل استخراج غيل[٣] الوريد، وسقى في الرَوضَة[٤] بعد الجهد الجهيد، والعمل فيه والبناء الأكيد. وكان المتولي في عمله السيد محمد بن عبدالله العياني وكيل شرف الإسلام الحسن بن القاسم. وجعل شرف الإسلام ولاية بندر المخا[٥] إلى الفتى سعيد بن ريحان[٦] وبندر اللُّحَيَّة[٧] للفتى سعيد المجزبي[٨].

---

(١) كانت دولة حمير استمراراً لدولة سبأ، الكيان السياسي الأكبر في اليمن في الألف الأول قبل الميلاد، وكانت دولة حمير هي الكيان السياسي الأكبر بعد الميلاد، خاصة منذ القرن الثالث الميلادي، وكانت عاصمتها (ظفار). وتمكنت من توحيد اليمن كله في أواخر القرن الثالث الميلادي، وبقيت كذلك حتى الربع الأول من القرن السادس الميلادي. (الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤٢٤-٤٢٧).

(٢) كتب المؤرخ (ودخلت سنة سبع وأربعين وألف) ثم كتب فوق كلمة (سبع) كلمة (ست) وهي الأصح، لأن المؤرخ بعد سرد أحداث هذه السنة انتقل إلى سنة (سبع وأربعين وألف). لذلك أثبتنا الأصح. وهذه السنة توافق ١٦٣٦م.

(٣) الغَيْل: هو الماء الجاري على وجه الأرض الذي يتحلب من الجبال بعد انقطاع الأمطار، سواء كانت عظيمة أو دون ذلك. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص١٠٣٨؛ الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، هامش ص١٠٤).

(٤) الرَوضَة: منتزه صنعاء في موسم الأعناب، تقع شمالها، على بعد تسعة كيلومترات. كانت قرية صغيرة تُعرف بـ(المنظر) حتى اختطها مدينة وسكنها السلطان حاتم بن أحمد اليامي (ق٦هـ) وسميت (روضة حاتم) نسبة إليه. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٢١١، ٣٧٣؛ الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤٨٤).

(٥) المخا: مدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر، تقع في الغرب من تعز، بمسافة أربعة وتسعين كيلومتر. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٦٩٤؛ إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص٥٩٣).

(٦) كان سعيد بن ريحان في الأصل مملوكاً للحسن بن القاسم (عبدالله بن علي الوزير: تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق: محمد عبدالرحيم جازم، جـ١، ص٢٩١).

(٧) اللحية: مدينة تهامية على ساحل البحر الأحمر، وتقع عند مصب وادي مور في ساحل المحالب في الوسط بين الحديدة جنوباً وبين ميدي شمالاً. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٦٧٩؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم ومعاقله، جـ٤، ص١٩٢٩).

(٨) هو مملوك الحسن بن القاسم. وقد عُيِنَ على اللحية والضحي نحو أربعين سنة. وكان قبل ذلك يشتغل في الحراثة مع =

وفي هذه المدة خرجت الحدا[1] عن مذهب الشافعية إلى مذهب الزيدية حسبما قال لي فقيه من الحدا، قال: وأصلهم نقيلة من مصر[2] حدادون، وبعضهم يرجع في نسبه إلى يزيد بن معاوية من قريش حسبما أخبرني المذكور.

وفي هذا الوقت والزمان جرت فتنة بالغرب الجوان[3] بين الأشراف الإدريسية الحسنية[4] ملوك تلك الديار، والذين يملكون من المغرب بلاد فاس، فأما تونس وجزيرة الأندلس[5] فهي إلى السلطان ابن عثمان صاحب الروم، ولهم انتساب وانتماء في المملكة إلى صاحب الروم. قال صاحب (الريحانة)[6] من علماء الشام: لما حصلت على أبي عبدالله بن المهدي بن أبي عبدالله القائم بأمر الله[7] الشريف الحسني الوفاة جلس

سيده ابن مجزب، من مشائخ الشام. توفي سنة ١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م بصنعاء. (عبدالله الوزير: طبق الحلوى، تحقيق: محمد عبدالرحيم جازم، جـ٢، ص٣١٦-٣١٧).

(١) الحَدَا: ناحية وقبيلة مشهورة تتبع محافظة ذمار. وتقع في الجنوب الشرقي منها على مسافة ٣٠كيلومتراً، ومركزها مدينة زراجة. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص٨٧؛ الموسوعة اليمنية: ج١، ص٣٥٣-٣٥٤).

(٢) من المعروف أن الحدا قبيلة يمنية، وليست كما ذكر يحيى بن الحسين، فقد تكرر ذكر هذه القبيلة في عدد من النقوش السبأية، وأن منازلها كانت في الماضي في سراة جنب وسنحان الواقعة حاليا في المملكة العربية السعودية. من تلك النقوش، على سبيل المثال، نقش (جام/ ٦٦٠) ذُكرت فيه بأنها إحدى القبائل البدوية الأعرابية، التي يتكون منها الجيش الشعبي لمملكة سبأ في عهد شمر يهرعش العظيم. (مطهر علي الإرياني: نقوش مسندية وتعليقات، ص١٣٢-١٣٣).

(٣) أي المغرب الأقصى. وقد قام المؤرخ برسم خريطة تقريبية للعالم الإسلامي في عصره، وضح فيها موقع (الغرب الجوان) وأهم مدنه (فاس) ورسم خريطة أخرى لليمن. وذلك في الورقة الأولى من كتابه (أنباء الزمن في تاريخ اليمن) في النسخة المحفوظة بمكتبة الوالد (محمد بن محمد المنصور).

(٤) الأدارسة الحسنية: نسبة إلى أدريس الأكبر بن عبد الله بن حسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وكان دخوله إلى المغرب سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م. وأقاموا الدعوة بعده لابنه إدريس الأصغر. وافتتح جميع بلاد المغرب، واختط مدينة (فاس) سنة ١٩٢هـ/ ٨٠٧م وانتقل إليها. (ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، جـ١، ص٨٢، ٢١٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥، ص١٨٠-١٨١).

(٥) كانت الأندلس تُطلق على القسم الإسلامي من أسبانيا، وهي تقع في الجنوب منها، افتتحها موسى بن نصير وطارق بن زياد، وهي مقابلة لبلاد المغرب. (البلاذري: فتوح البلدان، القسم الثاني، ص٦٩٠؛ ابو الفدا: تقويم البلدان، ص١٦٥).

(٦) صاحب الريحانة هو شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، فقيه وأديب لغوي. (٩٧٧-١٠٦٩هـ/ ١٥٦٩-١٦٥٨م) درس علوم اللغة والفقه، وألف فيها. من كتبه (خبايا الزوايا) و(شفاء العليل بما في كلام العرب من الدخيل) وأخيراً كتابه الذي ذكره مؤرخنا وهو (ريحانة الألِبا وزهرة الحياة الدنيا) وهو كتاب في فنون الأدب، يشتمل على تراجم كثير من الشعراء والأُدباء في عصره، مقسمة بحسب الأقاليم، وتشمل مصر والشام والمغرب والحجاز واليمن، وتضمن الكتاب ترجمة لحياة مؤلفه. وهو محقق ومطبوع) أحمد بن محمد الخفاجي: ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق: عبدالفتاح محمد الحلو، جـ١، ص٣٢-٣٣؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، جـ٢، ص٢٦٥).

(٧) هو أبو عبدالله محمد المهدي، ثالث سلاطين السعديين، حكم سبعة عشر عاما هجرياً (٩٥٥-٩٦٤هـ/ ١٥٤٨-١٥٥٧م) وهي =

أخوه الأكبر[1] في مَسْنَد الخلافة وسريرِها، وظل مُتَنزهاً في روضها وغديرها، ظهر أنه للمُلك غير طالب، وأنفق رأس ماله[2] في فتح كنوز العلم والمطالب. فلما مات أخوه قام ولده[3] في محله، واستولى «٣ب» عليه الغرور بخيله ورَجْلِهِ، فأرخى عليه الشباب ستارة حجبت عنه الصواب، وأشار عليه بعض خُدامه، بقتل من بقى من أعمامه، ليصفى من قذر الأكدار وِرْده، ولم يدرِ أن من شَرِبَ وحده غَصَّ وحده، فمد شباك مكائده، وهي من أعظم مصائده، كالحافر بظلْفِه على مدْيَة[4] حَتْفه.

شعر:

وأنّـى تُنجيه من الشر حِيلَة

وقد طال ما أوْدَتْ بمُحتالِها الحِيَلُ

فلما علم بذلك الشريف أحمد[5] زحف على ابن أخيه بجيش من الروم وجيش من عنده، قائلاً: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[6] فتمت على ابن أخيه الهزيمة، وعُلقت

أكثر سنوات الحكم السعدي حركة وحوادث. رفض أبو عبد اللهّ الدخول في طاعة العثمانيين، وذلك في عهد السلطان سليمان القانوني، واستقل بالمغرب، فدبر رجال السلطان العثماني خطة لاغتياله. ويُعد أبو عبد اللهّ من أعظم سلاطين السعديين ومؤسس دولتهم. وكان مُحباً للعلم، مُقبلاً عليه. قُتل في ٢٩ذي الحجة٩٦٤هـ/ ١٥٥٧م. (د.حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مجـ٢، جـ٣، ص١٧٥، ١٧٧، ١٧٩).

(١) هو أبو محمد عبد اللهّ الغالب بن المهدي (٩٦٤-٩٨١هـ/ ١٥٥٧-١٥٧٣م) لم يتميز بشيء في سلطته إلا بخوفه الدائم من الأتراك من ناحيه، ومن مشائخ الطرق الصوفية من ناحية أخرى.(د.حسين مؤنس:المرجع السابق،مجـ٢،جـ٣،ص١٨٠.

(٢) وردت في ريحانة الألبا: (رأس عمره). (الخفاجي: ريحانة الألباء، جـ١،ص٢٩٠).

(٣) هو السلطان أبو عبد اللهّ محمد (الثاني) المتوكل بن عبد اللهّ الغالب (٩٨١-٩٨٣هـ/ ١٥٧٣-١٥٧٥م) كان سلطاناً سيء التصرف، وكان شديد الخوف من أعمامه عبدالملك وأحمد وأخ ثالث لهما يسمى عبد المؤمن. ودخل في حرب معهم، انتهت هذه الحرب بمقتله في معركة وادي المخازن الشهيرة. (للمزيد عن أحداث المغرب في هذه الفترة، انظر د. حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، مج٢، ج٣، ص١٨٤ومابعدها).

(٤) المدْيَة: جمعها مُدْيَات: الشفرة الكبيرة، سميت كذلك لأن بها انقضاء المَدى. (المنجد في اللغة، ص٧٥٢).

(٥) هو أبو العباس أحمد المنصور (٩٨٦-١٠١٢هـ/ ١٥٧٨-١٦٠٣م) ويعتبر من أعظم سلاطين السعديين طراً. وكان رجل دولة. وكان ذا ميل إلى العلم. تميز عصره بالهدوء، واهتم بتنظيم الدولة، وله العديد من المنشآت المعمارية. (د. حسين مؤنس: المرجع السابق، ص١٩٠-١٩١)

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٦٠ وتمامها ﴿وإن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللهَّ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

على جيد تدبيره من الخِذْلان تميمة، فأصبح لعنان عزْمِه ثانياً، وذهب لملك الفِرنْسيس[١] فأمده بما رجع به الحرب[٢] ثانياً. فلما التقت الكتيبة السوداء بالكتيبة الخضراء، أقلعت سحابة النقْع بعد ما أمطَرتْ دِيمة[٣] الدماء الحمراء، فكم أسير في غُل نَدَمِه، وقتيلٍ أطلع بدره في شَفَق دمه. فما أكثر القَتْلى، وما أرخص الأَسْرَى. فولج البحر، وأغرق نفسه في مائه الغَمْر، وقال لقصر[٤] عمْرِه: بيدي لا بِيَدِ عمرو. فقلصت السعادة عنه ظِلها، وعَقَد النحس له عُقْدةً، لم يذكر عاقدها حلها، وملّه المَلَوَان[٥] وضحك على أملِه الخِذْلان، فتبرجت لأحمد بن أبي عبدالله عُروش[٦] تلك الممالك بالفتح لها ولأهلها أجمعين.

«٤أ» وفي هذه المدة كتب الإمام المؤيد[٧] إلى صنوه شرف الإسلام الحسن بن القاسم يوصيه ويأمره بكتاب فيه طول، في اعتماده عليه في السيرة في الناس، مما ذكره فيه: أن يتواضع لله تعالى، وترك مناهيه، وإيثار طاعته في جميع أعماله، ولا يتطاول على أحد من الخلق، فما منهم إلا من جعل الله له حقاً واجباً، وهم طبقات: أولهم أولو العلم، فيراعي

(١) هو الملك البرتغالي (سباستيان) (١٥٧٥-١٥٧٨م) وهو حفيد (يوحنا الثالث)وسباستيان ملك له مكانة عظيمة في تاريخ البرتغال بسبب اجتهاده البالغ في نشر المسيحية في البرازيل. وقد تربى على أيدي قساوسة الجزويت الذين زرعوا في نفسه فكرة أنه يستطيع مضاهاة جده بالاستيلاء على المغرب، وتحويله إلى بلاد نصرانية. لهذا فقد لقيت دعوة المتوكل إياه لمعاونته على استعادة ملكه في مقابل التخلي عن كل سواحل المغرب أذناً صاغيةً منه، وعجل بإرسال قوة عسكرية لمعاونته، إلا أن (سباستيان) قُتل في معركة (وادي المخازن) هو و(المتوكل) (د. حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، مجـ٢، جـ٣، ص١٨٦-١٨٧).

(٢) وردت في كتاب (ريحانة الألبا): (للحرب)، جـ١، ص٢٩١.

(٣) الدِيمة: هو المطر إذا دام مع سكون. (النويري: نهاية الأرب، جـ١، ص٧٥).

(٤) وردت في (ريحانة الألبا): (لقصير) مشيراً بذلك إلى قصة (قصير بن سعد اللخمي)، و(عمرو بن عدي بن نصر)، ابن أخت (جذيمة الأبرش) حينما أراد أن يثأر لمقتل جذيمة من (الزباء) فقتلت نفسها قائلة: (بيدي لا بيد عمرو). (الخفاجي: ريحانة الألبا، جـ١، هامش ص٢٩١).

(٥) المَلَوَان: الليل والنهار. (المنجد في اللغة، ص٧٧٥).

(٦) وردت في (ريحانة الألبا) (عروس) (الخفاجي: ريحانة الألبا، جـ١، ص٢٩١).

(٧) هو الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام القاسم بن محمد. ولد سنة ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م. وتلقى العلم على يد أبرز علماء عصره. بويع بالإمامة بعد وفاة والده سنة١٠٢٩هـ/ ١٦١٩م. انتقض الصلح بينه وبين الدولة العثمانية، واستمرت الحروب بينهم حتى تم له في سنة١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م إخراج العثمانيين من اليمن. تميز حكمه بالعدل والرفق بالناس. توفي في شهارة في ٢٧رجب١٠٥٤هـ/ ٣٠سبتمبر١٦٤٤م. له اختيارات كثيرة. ومن مؤلفاته: (تصفية النفوس عن الرذائل). ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق٦٨أ-٦٩أ) من هذه المخطوطة. هذا إلى جانب ما ذكره عن سياسته منذ خروج العثمانيين من اليمن إلى وفاته. كما أن المؤرخ مطهر الجرموزي قد أفرد له سيرة خاصة به في كتاب أسماه: (الجوهرة المنيرة).

حقهم بالتوقير والتمييز لهم بالإجلال عن الجم الغفير، حتى قال: وأرباب البيوت القديمة، والأحساب الكريمة، فقرر مجالهم، وارفع منازلهم، واقبل شفاعتهم، وانفع سائلهم، ما لم يضع بذلك حد من حدود اللهّ، أو يُغَير حكماً. ثم عليك أن تحسن صحبة من معك من الجند، وأن تكثر عرضهم، ولا سيما في كل اثنين وخميس، وأن تنزلهم منازلهم، وتوفيهم تقاريرهم، وليكن ذلك وما يصير إليهم من العطاء على حسب ما لكل منهم من الصبر والبلوى، لا على قدر المحبة والهوى. وكف من معك من الجند والحاشية عن التخطي إلى ظلم أحد «٤ب» أو مساتهم بأذية. وتول إمامة جماعتهم. وحافظ على أوقات الصلاة وواجباتها المحتومة. وَوَضْع كل موضعه من الرعية. وأكد عليهم الأمر بإقامة الزكاة، ثم اجعلها في دار بيت المال، والعدل في الرعية، وعليهم تسليم الحقوق من الأموال على وجهها، والمعَاوِن من سلم منها طيبة نفسه استحق رضوان اللهّ، ومن أبى فخذها منه كُرهاً. ولو علمنا براءة ذمة الناس وتخلصهم عن المظالم، والحقوق في المواريث والمعاملات، وترك الربا، لكان علينا أن نأخذ منهم للدفاع عنهم، فكيف والحال هذه، وأن الواحد منهم إذا حافظ على حق وتخلص منه أخل بآخر، والأكثر منهم مخل بالجميع. وحيث قد تعين أخذ شيء منها فإنما تؤخذ للدفاع، فتوضع في أهله وهم المُتَجَنِدة[1] عليك أن تنظر في صلاح معايش رعيتك بتقريب التجار، والتخفيف عنهم، وعدم إيحاشهم، وطلب ما في أيديهم فقد قال اللهّ تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ۝٣٦ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ﴾[2] وإزالة الرسوم الجائرة، والأوضاع المجحفة. وأن تجعل الأناة نصب عينيك. وأن تستشير كل من أهل التجارب على انفراده فإنه أحرى أن يفيض إليه المشار خلاصة اجتهاده، فإن اختلفت الأنظار رَجِعْت إلى الاستخارة في أيها تختار، إلى آخر ما ذكره، وهذا خلاصة كتابه.

---

(١) المُتَجَنِدة: هم الجُند .

(٢) سورة محمد، الآيات: ٣٦، ٣٧. وأول الآية الأولى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ...﴾.

«٥أ» وفيها أو ما قبلها مات السيد الشريف صلاح الحاضري السراجي[١] كان المذكور على اسمه حاضري، يستحضر الجوابات، ويوافق بأقواله وألفاظه المرادات، أديباً، ألمعياً، طريفاً، حسن الأخلاق مُسَلماً، ولذلك كان له وجاهة عند جعفر باشا، ومحمد باشا[٢]، لحسن محاضرته وأدبه، وحالاته. وله الطُّرف والاستحضار، وللباشا جعفر إليه سؤال في (..........)[٣] يقول فيها جعفر باشا شعراً:

ماذا يقول إمام العصر في رجل … أضحى قتيل الهوى والأَعين النجلِ[٤]

فهل يجوز له يوماً يعانقه … ويشفي النفس من قول بلا عملِ

وهل يجوز له إحياء مهجته … برشف محبوبهِ بالضم والقُبَلِ

فأجاب عليه السيد جمال الدين صلاح الحاضري بقوله:

إن صح دعواه في إتلاف مهجته … وأن رشف اللمى[٥] يبري من العِللِ

فيرتشف رطباً من ثغر مبتسمٍ … فرشف محبوبه أحلى من العسلِ

وذاك في ملة الإسلام أهون من … قتل امرئ مؤمن بالله والرسلِ

وكان مثل هذا في مدة الدولة لا يُستنكر، موافقة «٥ب» لمذهب الظاهرية[٦] لأن

---

(١) هو صلاح بن عبدالله بن علي بن محمد بن عبدالله، يصل نسبه إلى الإمام سراج الدين الحاضري، نسبة إلى (حاضر) من ضواحي صنعاء. كان عالماً فاضلاً بليغاً. لكنه كان مغموراً، لم يشتهر لخموله. كان ملازما للعلامة (محمد بن عزالدين المفتي). (يحيى بن الحسين: المستطاب في تراجم علماء الزيدية الأطياب، ق٢٦٥ب؛ أحمد أبو الرجال: مطلع البدور ومجمع البحور، جـ٢، ص١٧٧).

(٢) هو الذي كان والياً على اليمن في الفترة من سنة١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م إلى سنة١٠٣١هـ/ ١٦٢١م (د.سيد سالم: الفتح العثماني، ص٣٨٣).

(٣) الكلمة غير واضحة في الأصل.

(٤) الأعين النجل: الأعين الواسعة الجميلة. (المنجد في اللغة، ص٧٩٢).

(٥) وردت في الأصل (الما) وقد تم تصحيحها من كتاب (طبق الحلوى) لابن الوزير. واللمَى: سمرة أو سواد في باطن الشفة يُستحسن، ويقال: غُلام ألمَى: أي بارد الريق. (المنجد في اللغة،ص٧٣٥).

(٦) نسبة إلى داود الظاهري (٢٠١-٢٧٠هـ/ ٨١٦-٨٨٤م). وهو داود بن علي بن خلف الأصبهاني، الملقب بالظاهري. تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة، وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس. (عزالدين بن الأثير الجزري: اللباب في تهذيب الأنساب، جـ٢، ص٢٩٧، خير الدين الزركلي، الأعلام، جـ٣، ص٨).

عندهم أن التقبيل والنظر بشهوة والمقدمات جائزة. ثم بعد ذلك في مدة حيدر باشا تعدى إلى غيره، كما ظهر واشتهر وزاد على ذلك في أيام حيدر اعتماد الشراب، والمجاهرة به له ولسائر الأجناد. وكان إذا خرج إلى الروضة أمر اليهود ببيع الخمر في الأسواق. وكان الباشات[1] ممن مضى قبله يجاهرون بذلك، ولا يعتمدونه. وكان إذا وجد الجندي أحداً راكباً في الطريق أنزله من فوق دابته أو جمله وركب عليه وصاحبه يسير معه حتى يصل به منزله، ومنهم من سخَّر ظهر القبيلي يحمل حوائجه، وقد يحمله على ظهره. وكان ظَهَر في أول الدولة[2] بعد زوال حيدر بشا بعض بواقي ممن كان من أصحاب حيدر وخدم مع غيره، ومن غيرهم من الجند والعسكر مثل ذلك، مع آلة اللَّهو والطرب، وربما ظهر الشراب العَرَقِي[3]، يشترونه من اليهود، وكان من ظهر عليه ذلك أدبته الدولة، وأقيم عليه الحدود الشرعية حتى تقالل[4].

وفيها قتل خواجا[5] بصنعاء على سبب ماله ودراهمه، واتُّهِم بقتله السيد هادي بن أحمد الشامي وعبدالله صاحي من شَمَات[6] فأُدبوا بالحبس للتهمة، ولم تقم عليهم البينة.

وفي هذه المدة قُتل شريف من الصوفية قيل من بني العيدروس وقيل من غيرهم بطريق السراة[7] وهو مع الحجاج، بحدود بلاد خَثْعَم[8] فأصاب اللهُ أهل تلك البلدة

---

(١) كذا في الأصل: أي الباشوات.

(٢) المقصود بذلك بداية عصر الاستقلال عن الدولة العثمانية.

(٣) الشراب العرقي: هو الخمر الممزوج بقليل من الماء (المنجد في اللغة،ص٥٠١).

(٤) تقالل: أصبح قليلاً غير منتشر كما كان سابقاً.

(٥) الخواجة: لفظ فارسي بمعنى المعلم أو الكاتب أو التاجر أو الشيخ أو السيد. (د.حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار،ص٢٧٩).

(٦) شَمَات: عزلة من بلاد الطويلة (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٤٥٦).

(٧) السراة: اسم يطلق على السلسلة الجبلية التي تمتد من مشارف فلسطين إلى اليمن محاذية ساحل البحر الأحمر الشرقي، وتفصل إقليم الساحل أو تهامة عن إقليم نجد الداخلي، فمن ثم عُرفت جبال السراة باسم (الحجاز) لأنها حاجز طبيعي بين تهامة ونجد.(ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجـ٣، ص٢٠٤-٢٠٥؛ أحمد عطيةالله: القاموس الإسلامي، مجـ٣، ص٢٩٤).

(٨) خَثْعَم: من قبائل اليمن، تنتسب إلى خثعم بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ. ومساكنهم في جبال السراة من عسير. (الحجري: مجموع بلدان اليمن،مجـ١، جـ٢، ص٣٠٤؛ عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، جـ١، ص٣٣١).

بالجذام، نعوذ باللهَّ منه، ما زال فيهم، ولا يزالون يتحدثون أن ذلك بسبب قتل السيد المذكور رحمه اللهَّ تعالى.

«٦أ» وفي أول زمان الإمام المؤيد باللهَّ وفاة السيد محمد بن عبد القادر الشريف الحسيني الملقب مُقاطعجي[١]، وكان فصيحاً، شاعراً، له ديوان شعر مدح فيه الشريف مسعود[٢] صاحب مكة، وشرف الإسلام الحسن بن القاسم، والشريف حسين بن عبدالرب[٣] وله مكاتبات للسيد عيسى بن لطف اللهَّ[٤] ومعارضة في الغزليات التي للسيد محمد بن عبداللهَّ بن شرف الدين[٥] حسنة.

وفيها كانت وفاة الفقيه المنجم عبداللهَّ بن صلاح عنقوب[٦] كان عارفاً بعلم النجوم، وله مجموع كتاب (الأزياج)[٧] وزاد إليه غيره من الأحكام والنقولات بخطه الحسن

---

(١) ترجم له (المحبي) في (نفحة الريحانة) وأورد بعضاً من أشعاره (محمد المحبي: نفحة الريحانة، جـ٣،ص٥٤٣).

(٢) الشريف مسعود: هو مسعود بن إدريس بن الحسن بن أبي نمي الثاني. تولى مكة سنة ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م بعد السيد أحمد بن عبدالمطلب. وفي عهده في سنة١٠٣٩هـ دخل السيل المسجد الحرام، وسقط (البيت الشريف) وغرق نحو ألف إنسان، نتيجة للمطر الغزير. وكان محباً للأدب عارفاً بمقادير العلماء، توفي في ٢٨ربيع الثاني سنة١٠٤٠هـ. وكانت مدة ولايته سنة وثلاثة أشهر. (محمد المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر،جـ٤،ص٣٦١-٣٦٢؛ زيني دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام،ص٧١).

(٣) الحسين بن عبدالرب: توفي سنة ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م بمدينة تعز. (يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ٢، ص٨٣٣).

(٤) ترجم المؤرخ لعيسى بن لطف اللهَّ ترجمة طويلة، عند وفاته، (ق٢٢أ-٢٣أ) من هذه المخطوطة.

(٥) محمد بن عبداللهَّ بن الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين (٩٣٨-١٠١٠هـ/ ١٥٣١-١٦٠١م) عالم فقيه أديب شاعر لغوي، أجاد نظم الشعر (المُعْرب) المعروف في اليمن بـ(الحكمي)، والشعر (الموشح) الملحون، وغالب شعره منه. وكان يميل إلى الغزل. من شيوخه جده الإمام شرف الدين ووالده عبداللهَّ بن شرف الدين. من مؤلفاته: ديوان شعره (الحميني) بعنوان(مبيتات وموشحات) جمعه عيسى بن لطف اللهَّ، وديوان شعره (الحكمي) بعنوان (الروض المرهوم والدر المنظوم) جمع عيسى بن لطف اللهَّ و(نظم كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين على بن أبي طالب) ونظم (نظام الغريب في لغة الأعاريب) لعيسى بن إبراهيم الربعي. و(سِمْط الحكْمة نظم منه كلمة لأمير المؤمنين على بن أبي طالب) (محمد بن عبداللهَّ شرف الدين: الروض المرهوم والدر المنظوم، المقدمة لعيسى بن لطف اللهَّ، ص٧-١١؛ محمد بن عبداللهَّ شرف الدين: مبيتات وموشحات، ص١٠؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص٧٢٢).

(٦) لم أجد له ترجمة في المصادر المتوفرة بين يدي. إلا أن الجنداري في(الجامع الوجيز) وعبداللهَّ الوزير في (طبق الحلوى) قد ترجما له نقلاً من كتاب (بهجة الزمن) ولم يضيفا شيئاً جديداً. (أحمد بن عبداللهَّ الجنداري: الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولى التبريز، ق١٣٨أ؛ عبداللهَّ الوزير: طبق الحلوى، تحقيق: عبدالرحيم جازم، جـ١، ص٥٤).

(٧) الأزياج: يقول ابن خلدون: إن علم الأزياج هو من فروع علم الهيئة. وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع. ولهذه الصناعة قوانين كالمقدمات والأصول لها في معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية. (مقدمة ابن خلدون، ص٤٧٩).

الفائق في مجلد ضخم، وله تذييل وتكميل في الشهور العربية والعجمية[1] للشيخ باغوث الحضرمي[2] بلغ إلى سنة ألف ومائة وثماني وستين[3] سنة. ومات أيضاً الفقيه عبدالقيوم الرغيلي المنجم[4] كان أيضاً عارفاً بعلم النجوم وعلم الحرف.

وفيها وفاة[5] أحمد الوادي الهندي الأصل ثم الصنعاني، خرج من الهند إلى اليمن أبوه أو جده. وكان[6] المذكور صاحب ثروة في المال وبركة في الأرباح والثمرة، وكان له مقام عند الباشا سنان[7] وغيره في أيامه، مع شدة بأسه لمن عارضه، فإن أحمد الوادي كان إذا أمر الباشا سنان بقتل أحد بادر المذكور بالمفاداة له، وببذل المال، فكم من نفس استنقذها من القتل، وكم من خير وشفاعة عنده فعل، وكان مع تحريج سنان على أهل الأموال، والمصادرة له في الطلب من المال، لم يتفق له مع أحمد الوادي، بل كانت شفاعته عنده مقبولة في ذلك الزمان الماضي[8].

وكان قد أهم سنان بقتله والفتك به لكثرة ما صار يدفعه ممن رسَّم[9] عليه، وما صار

(١) الشهور العجمية: المقصود بها الفارسية.

(٢) لم أعثر له على ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

(٣) ١١٦٨ هـ=١٧٥٤م.

(٤) لقد ذكر يحيى بن الحسين وفاة عبدالقيوم الرغيلي مرتين هنا في سنة ١٠٤٦هـ والمرة الثانية سنة ١٠٥٤هـ. ونقل عبدالله الوزير ترجمة (عبدالقيوم) كما وردت لدى يحيى بن الحسين، فذكر وفاته مرتين أيضاً. وأضاف إلى ما ذكره يحيى بن الحسين بأن عبدالقيوم الرغيلي وضع المدخل المختصر= =لزيج (ابن الشاطر) المسمى (الدر النظيم) وأنه قد وقف على هذا المصنف. (عبدالله الوزير: طبق الحلوى، جـ١، ص٥٥، ص١٠٦).

(٥) مشطوبة في الأصل. وقد رأينا إثباتها حتى يستقيم المعنى.

(٦) مشطوبة في الأصل. وقد رأينا إثباتها حتى يستقيم المعنى.

(٧) عُين سنان باشا والياً على اليمن سنة١٠١٣هـ/ ١٦٠٥م. وعزل سنة ١٠١٦هـ/ ١٦٠٨م، ثم توفي أثناء سفره في ميناء المخا. وكان قبل أن يُعين والياً على اليمن(كتخدا) للوالي حسن باشا. (د.سيد سالم: الفتح العثماني، ص٣٥١).

(٨) يذكر المؤرخ مطهر الجرموزي أيضاً بأن أحمد الوادي كان مقبول القول لدى العثمانيين، ويشرح موقف أحمد الوادي عندما أسر العثمانيون الحسن بن القاسم وحبسوه، وأنه دخل إلى الحسن، وتمكن من إقناع العثمانيين بالموافقة على بعض مطالب الحسن بن القاسم وهو في السجن. (انظر مطهر الجرموزي: النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة، ص٤٣١-٤٣٢).

(٩) رسم: بمعنى فرض وقد سبق شرح كلمة الترسيم.

يبذله في الشفاعات لديه، حتى أنه رأى في منامه ما صده عن الإيقاع به. قال الراوي: إن الرؤيا كانت بإقبال شخص في يده حربة يقول له: إن أوقعت بأحمد الوادي، وقعت فيك هذه الحربة. واشتهر، وكثر به الخبر، أن أحمد الوادي هذا كان أولاً «٦ب» له سبب[١] ضعيف حقير، ولا يملك من المال (مايدكر ميله)[٢] بل كان له حمار يسافر به إلى سوق شِبَام[٣] تلك الأيام، فاتفق وقوع مطر عظيم في وادي تعود[٤] عبر فيه سيل، فخرج منه من خرج من المسافرين، وكان رجلاً ضعيفاً لا يقدر على العبور فهتف بأولئك الجماعة يخرجونه، فلم يساعدوه، ولم يخرجه غير أحمد الوادي، فلما أنقذه من ذلك الوادي، وعبر به عن ذلك السيل الجاري جازاه بالدعاء له بالجاه المكين، ووسعة المال، والمباركة فيه على كل حال، فمن يومئذ فُتح على المذكور من حيث لا يحتسبه، وطفح عليه البركات في كل ما جمعه. وكان له الجاه عند سنان وغيره، والصدقات الحسان. قال الراوي: وكان داره شمالي صنعاء اليمن، عند مسجد الأخضر[٥] قريب باب شعوب[٦] وكان لقرب ذلك المسجد منه فيه صلاته، ومن وفد إليه أحسن إليه صِلاته. وأنه ظهر مع جماعات من جيرانه أنه يوافقه (الخضر)[٧] فسأله بعض جيرانه أنه يريه (الخضر) فقال له: هو يصلي في مسجد

(١) سبب: هو العمل الذي يتوصل به إلى الرزق.

(٢) غير واضحة في الأصل، وغير مُعجمة أيضاً. وقد رسمناها كما وردت.

(٣) شِبَام:اسم مشترك بين عددمن المناطق، منها: شبام كوكبان وشبام الغراس وشبام حراز وشبام حضرموت والمقصودة هنا هي شبام كوكبان. وهي بلدة عامرة في الغرب الشمالي من صنعاء، على بعد نحو أربعين كيلومتراً. كانت تدعى (شبام أقيان)و (شبام حمير). واليوم غلب عليها اسم (شبام كوكبان). (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٤٤١؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص١٠٠٥).

(٤) وادي تعود: لم أجده في ما بين يدي من مصادر.

(٥) مسجد الأخضر:من المساجد العامرة بمدينة صنعاء، ويعرف الآن بمسجد خضير. يقع في الجهة الشمالية الشرقية من باب شعوب. بناه أبومطر منيع بن ماجد الهمداني المُدَري في القرن الثاني للهجرة، ثم جدد مارته القاضي محمد بن حسين الأصفهاني سنة٤٠٧هـ (الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: د.حسين العمري، ص١٥١، ٢٦٧؛ الحجري: مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ص٩).

(٦) باب شعوب: من أبوب مدينة صنعاء. وكان يعرف بباب صنعاء، وهو في الجهة الشمالية منها. (الرازي: تاريخ صنعاء، تحقيق:د. حسين العمري، هامش ص٦٦٠).

(٧) الخضر: اسم يتردد في بعض الروايات الإسلامية، واختلف الرواة في سنه وزمنه، قيل هو لقب رجل من بني إسرائيل، =

الأخضر في بعض الأوقات عند الضحى، فسأله بالله أن يريه، فقال: وقت صلاة الضحى أرصده، فالخارج من المسجد هو، ففعل ذلك، فخرج من المسجد رجل في صورة رجل يعرفه، فقال له: ما خرج إلا فلان، ثم سأله مرة أخرى؟ فقال له مثل ذلك، فرصده، فخرج ذلك الوقت الذي عينه رجل في صورة شاوش[1] تركي، فجاء إلى الوادي يخبره، وقال ما رآه، فقال له الوادي: ذاك الذي رأيت هو هو، ولكنك حُرمت معرفته، وكان يتصور في صور مختلفة، أعني (الخضر عليه السلام).

ودخلت سنة سبع وأربعين وألف[2]

اجتمع شرف الإسلام الحسن والحسين، وسارا من ضوران إلى صنعاء، فكان دخولهما في جموع عظيمة، وجنود «٧أ» واسعة، وخيول كثيرة، وأعيان وأشراف، وأمراء، وأعوان من عرب وعجم[3] ومن تبعهم من الجهات، وكان الدخول لصنعاء ضحوة النهار على أعلى مكان، سارحاً من رَيْمَة سَنْحَان[4] والأعلام منشورة، والصناجق[5] مرفوعة، وحلقة منصوبة، والخيل

وقيل هو المسيح. وتتفق الروايات على أنه كان من المعمرين الذين امتدت حياتهم عشرات السنين، وأنه عرف بالحكمة. وفي رواية بعض المفسرين أنه العبد الصالح الذي التقى به موسى في طريقه إلى مجمع البحرين. وتحيط بشخصية الخضر كثير من الأساطير. (أحمد عطيةالله: القاموس الإسلامي، جـ٢، ص٢٤٨).

(١) شاوش: كلمة تركية تنطق (جاويش)، له صفة المعاون والضابط. وكان منصب الجاويش والباش جاويش من أهم المناصب في الدولة العثمانية. ثم أصبح له درجة أقل من درجة الملازم ثان ولم تعد له صفة الضابط. (د. حسين المصري: معجم الدولة العثمانية، ص٦٤).

(٢) ١٠٤٧هـ=١٦٣٧م.

(٣) هذا دليل على أنه على الرغم من خروج العثمانيين من اليمن، غير أنه بقي بعض منهم في الخدمة في الدولة القاسمية.

(٤) رَيْمَة: اسم مشترك بين عدد من البلدان، منها ريمة سنحان، والتي يطلق عليها (ريمة حُمَيْد، وهي من قرى سنحان. (وتقع) سنحان في الناحية الجنوبية من صنعاء. يحدها من الشمال ناحية بني حشيش وجبل براش، ومن الشرق بني بهلول وخولان العالية، ومن الجنوب بلاد الروس، ومن الغرب ناحية البستان (بني مطر حالياً). (الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٥٢٩؛ إبراهيم المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص٢٩١-٢٩٣).

(٥) من المعروف أن الصناجق تعني الولايات وهي كلمة عثمانية، حيث كانت الممتلكات العثمانية مقسمة إلى صناجق وإيالات. وكان يدير الصنجق (أمير اللواء) ولكنها هنا تعني: الأعلام الخاصة بالصناجق (محمود شوكت: التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، ص٤٨).

مصفوفة، وطبل خانة، ومزامير مضروبة في أبهة ملوكية (............)[(١)] فاستقر الحسن بمدينة صنعاء اليمن، وخرج في خريفها[(٢)] إلى الروضة للنزهة وسكن[(٣)] فأقام فيها وسكن. وأما صنوه الحسين فإنه لم يلبث أن عاد إلى ضُوْرَان، ولم يرغب إلى سكون المدينة والبستان.

وفيها وصل ضياء الدين[(٤)] إسماعيل بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد[(٥)] إلى حضرة صنوه الحسن وهو بصنعاء لتقاصر الأمور عليه، والحاجة الماسة لديه، وعدم الكفاية من صنوه الإمام المؤيد بالله بشهارة، فأكرمه صنوه الحسن بالإنعام، وأمده ما طلب من الإفضال التام، كما هو عادته إلى جميع الأنام، وقرر له وأصحابه من السَبَار[(٦)] ما لا يخطر بباله، ولا يظن أنه يحصل إلا ما يقوم بحاله، وزوجه في داره ببنت زوجته هي أم ولده علي بن إسماعيل[(٧)] وما زال باقياً حتى توفي شرف الإسلام الحسن، ثم عاد شهارة. واتفق

---

(١) غير واضحة في الأصل، فلم نتمكن من قراءتها.

(٢) أيام الخريف: وهي أيام موسم العنب في بداية المصيف. والروضة (متنزه أهل صنعاء) مشهورة بأعنابها. وقد جرت عادة الموسرين ممن يملكون بيوتاً الخروج إليها لقضاء موسم المصيف أو أيام الخريف بها. (د.حسين العمري: حوليات العلامة الجرافي، هامش ص٥٣).

(٣) كذا وردت في الأصل.

(٤) يطلق على من اسمه إسماعيل لقب ضياء الدين أو الضياء.

(٥) هو الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم. (١٠١٩-١٠٨٧هـ/ ١٦١٠-١٦٧٦م) تلقى العلم على يد علماء عصره من فقه وبلاغة وسائر العلوم الدينية واللغوية. دعا إلى نفسه بالإمامة عام (١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م) بعدوفاة أخيه الإمام المؤيد. وقد تتبع مؤرخنا في كتابه (بهجة الزمن) الأوضاع بكل جوانبها في عصر الإمام إسماعيل، والسياسة التي اتبعها. كما كتب سيرته المطهر بن محمد الجرموزي في كتاب سماه (تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار(ويقوم الأستاذ عبدالحكيم عبدالمجيد بتحقيقها لنيل درجة الماجستير. وكتب الحسين بن حسين الروسي سيرة حياته أيضاً. وسماها (بلوغ الأمنية في السيرة المتوكلية).

(وللإمام) المتوكل مؤلفات منها: (البيان الصريح والبرهان الصحيح في مسألة التحسين والتقبيح(و (تفتيح أبصار القضاة إلى المسائل المرتضاة)، و(شفاء الصدور من داء البهت والزور) و(العقيدة الصحيحة والدين النصيحة) في أصول الدين. (الشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص١٤٦-١٤٩؛ إسماعيل الإكوع: هجر العلم ومعاقله، جـ٢، ص١٠٧٥-١٠٨٠).

(٦) السَبْرُ: في اللغة استخراج كنه الشيء، وفي لهجة أهل صنعاء (السبار) فعل الشيء ومنها (السبارات) أي إعداد الطعام. وتدعى الطاهية (مُسبرة) وتعني هنا (وجبات غذائهم) أو النفقة اليومية. (د.حسين العمري: مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، هامش ص١٣٧).

(٧) ولد علي بن الإمام إسماعيل سنة ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م. وتلقى العلم على يد عدد من علماء عصره. كان أديباً شاعراً. تولى أعمال ضوران، ولما توفي محمد بن الحسن ولاه الإمام إسماعيل على المناطق التي كانت تابعة لمحمد بن الحسن، ولما توفي والده أقره الإمام المهدي أحمد بن الحسن على المناطق التي كانت تحت يده إلى أن توفي سنة ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م. (محمد المحبي: خلاصة الأثر، جـ٣، ص١٤٨-١٤٩، محمد المحبي: نفحة الريحانة، جـ٣،ص٢٥٧).

هذه الأيام بينه وبين السيد العارف محمد بن عزالدين المفتي[١] رحمه اللهً مراجعة حال القراءة على السيد في (الفصول)[٢] للسيد إبراهيم[٣] وكانت القراءة لشرف الإسلام الحسن[٤] وصنوه إسماعيل انضم معهم، فلما وصلوا إلى مسألة الرجاء، وما نقله السيد إبراهيم في حواشي (الفصول) عن الفقيه قاسم بن أحمد المحلي[٥] من (الغُرر والحجول)[٦] وبنص جوابها، أجاب المذكور فيها، فنقضه السيد محمد المفتي وردها، وقرر كلام الفقيه قاسم المحلي.

وفي هذه المدة ذهبت الفتن، وأمنت الطرق في جميع اليمن، ولم يخرج إليه أحد من جنود السلطان،في جميع هذه الأوقات والأحيان، لاشتغالهم هذه المدة المذكورة، والأيام المضروبة، بالفتنة الثائرة في جهات العراق، من الشاه عباس ملك العجم في تلك الآفاق[٧]

---

(١) ترجم يحيى بن الحسين لمحمد بن عز الدين بن محمد بن عز الدين المفتي عند وفاته ترجمة مطولة (ق٥٧ب-٥٨ب) من هذه المخطوطة؛ كما ترجم له في كتابه (المستطاب): ق٢٦٦ب)؛ وترجم له الشوكاني في البدر الطالع، جـ٢، ص٢٠٣-٢٠٤) غير أن ما ورد في (المستطاب) وفي (البدر الطالع) كان اختصاراً لما ذكره مؤرخنا في (بهجة الزمن). ولم نجد إضافات تستحق الذكر .

(٢) اسم الكتاب (الفصول اللؤلؤية) وهو لإبراهيم بن محمد الوزير. والكتاب في أصول الفقه. وله شروح كثيرة، منها: شرح للسيد (أحمد لقمان)، وشرح للقاضي (علي محمد سلامة الصنعاني). (أحمد حسين شرف الدين: تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، ص٢٣٣،٢١٠).

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن عبداللهً الوزير. (ت٩١٤هـ/ ١٥٠٨م). تلقى العلم في مدينة صنعاء وصعدة على يد العديد من المشائخ في معظم علوم عصره. وكان متبحراً في كثير من العلوم. وصار المرجع في عصره لطلبة العلم. له مؤلفات عدة منها: منظومة (البسامة) في التاريخ، وكتاب (الهداية) في الفقه، و (الفصول اللؤلؤية) السابق ذكره وغير ذلك. (يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٣٥٤-٣٥٨؛ إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، جـ٣، ص٨-٩).

(٤) يُفهم من العبارة أن الحسن بن القاسم كان يتلقى العلم على يد محمد بن عزالدين المفتي. ومما كان يقرأه لدى شيخه كتاب (الفصول اللؤلؤية).

(٥) قاسم بن أحمد بن حُمَيْد بن أحمد بن حُمَيْد المحلي الوادعي: من علماء القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. كان إمام المعقول والمنقول، أخذه عن أبيه عن جده حُمَيْد من الإمام المنصور عبداللهً بن حمزة. وصفه بعض العلماء برازي الزيدية. اشتغل بالتدريس في حوث وفي رحبة السود، هجرة جده حُمَيْد المحلي المشهور بالشهيد. توفي بصنعاء في تاريخ غير معروف. له مؤلفات منها: (التبصرة) في علم الكلام، (الجوهرة) في أصول الفقه، ثم كتب تعليقاً عليها سماه (الضامنة بالوصول إلى جوهرة الأصول)، و(الغرر الحجول) الآتي ذكره. (أبوالرجال: مطلع البدور، جـ٤، ص٤٠؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ١، ص٥٠٧؛ حميد المحلي: الحدائق الوردية، تحقيق: محمد فضيل الكبيس، رسالة ماجستير بجامعة عين شمس، مقدمة ص١١٠).

(٦) اسم الكتاب: (الغُرر والحجول في كشف أسرار الأصول) شرح فيه قاسم المحلي الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار. (عبداللهً الحبشي: مصادر الفكر، ص١١٦).

(٧) بدأت مرحلة هجوم الصفويين على العراق عام ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢-١٦٢٣م واستمرت حتى وفاة الشاه عباس الكبير =

فإن جنود السلطان اجتمعت لقتاله، واسترجاع بلاده، فتفرق عليهم الأمر واشتب. ولما نقصت حروبه وخطوبه، وانهزم الشاه[1] عنه وجنوده، بعد أن خرج «٧ب» السلطان مراد[2] عليه كما سيأتي تحقيقه. ومات مراد عقب فتحه، وفي خلال قبضه كما سيأتي تاريخه، وانتصب صنوه إبراهيم[3] في الروم، اقتضى نظره فتح الحرب على جهات مالطه بأطراف الأندلس في حدود بلاد الفرنج المارقة، وانصرف عن الجهات اليمنية، وقال الأفضل مقاتلة الكفار من البرية. وأما صنوه السلطان مراد فإن همته كانت لفتح العراق، وما يليه من الآفاق، فكان بذلك صلاح الإسلام، وسكون الفتن في هذه الأعوام.

وفي هذه السنة أو غيرها مما يليها كتب الإمام إلى إخوته رسالة مُحبرة، وألفاظاً منمقة، مضمونها أمرهم بأخذ الزكاة من القليل والكثير، في الحبوب، والمخضرات[4] وجميع الأقوات. وذكر فيها أن على الناس تضمينات، ولا يكادون يتخلصون عن الواجبات، وأنه لو علم تخلصهم عن الواجبات ما زاد عليه، ولا قبض غيره مما إليه.

وفي هذه السنة أو غيرها ظهرت نار[5] على بعض الجبال في بلاد حجة[6] في مكان عال،

عام ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م وفيها استطاع احتلال أجزاء كبيرة من الأراضي العراقية، واقتطاعها من السيطرة العثمانية. ومن هذه الأراضي: بغداد وكربلاء والنجف، حيث توجد المزارات الشيعية المقدسة، وكذلك الموصل وكركوك في شمال العراق. (د. بديع جمعه: الشاه عباس الكبير، ص٢٠٢).

(١) يقصد به الشاه صفي بن صفي ميرزا بن الشاه عباس الكبير (١٠٣٨-١٠٥٢هـ/ ١٦٢٨-١٦٤٢م) فما أن سمع السلطان مراد الرابع بخبر موت الشاه عباس الكبير حتى قرر أن يعوض هزائم عهد هذا الشاه. وفي السنة الأولى من حكم الشاه صفي أرسل الصدر الأعظم خسرو باشا بجيش إلى بغداد. واستمرت الحروب بين الطرفين من عام١٠٣٩هـ/ ١٦٣٠م حتى عام ١٠٤٩هـ/ ١٦٣٩م حين أُرغم الشاه صفي على طلب الصلح وترك بغداد للعثمانيين. (تاريخ إيران بعد الإسلام: نقله عن الفارسية وقدم له: د. محمد علاء الدين منصور، ص٦٧٥-٦٧٨؛ سعيد أحمد برجاوي: الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، ص١٥٣-١٥٦).

(٢) هو السلطان مراد الرابع ابن السلطان أحمد الأول (١٠٣٢-١٠٤٩هـ/ ١٦٢٣-١٦٤٠م).

(٣) هو السلطان إبراهيم الأول ابن السلطان أحمد الأول (١٠٤٩-١٠٥٨هـ/ ١٦٤٠-١٦٤٨م). ثار ضده جنود الإنكشارية يؤازرهم بعض العلماء، ثم عزلوه، وبعد عشرة أيام من عزله قتلوه خنقاً. (سعيد برجاوي: الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسة والعسكري، ص١٥٩-١٦٠).

(٤) أي الخضروات.

(٥) ربما يكون ذلك من البراكين.

(٦) حَجة: مدينة كبيرة في الشمال الغربي من صنعاء، بمسافة ١٢٧كيلومتر. وهي مركز اللواء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص٢٤٢؛ المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص١٧٠).

بقت أياماً واستمرت، ثم بعد ذلك ذهبت وطفت، آية من آيات اللهّ التي يخوف بها عباده،﴿يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾[1].

وفيها رأيت امرأة وأنا في سن الصبا دون التكليف فإذا لها لحية طويلة، وثديان أَرتني إياهما، وذكرت لي أنها امرأة. وهذا من النوادر العجيبة والمخلوقات الغريبة.

«٨أ» وفي هذه المدة أدب المؤيد باللهّ الشاربين للتتن[2] لَّما كَثَّر الناس منه، وانهمكوا فيه، وأمر بتحريق بعض شيء منه في بلاد كَوْكَبَان[3] فحرقوه ذلك الأوان لوهم طرأ مع المؤيد في تحريمه لا أصل له. وكان يحرج على من شربه أو ظهر معه، ويكسر مديعه[4] وما يشرب به في أسواق حضرته كشهارة، ولكنه لم يتم ما أراده، فإن الناس شربوه، ولم يتركوه، وهو لم يبالغ في التحريج فيه غير بوادر يسيرة، في أوقات قليلة، ولم يكن لتحريمه دلالة، بل غايته مجرد الكراهة، كما حققت الكلام عليه في مصنفة حافلة[5] واللهّ الموفق.

وفي شهر شعبان من هذه السنة اقترن المشتري والمريخ. كذا ذكره عنقوب المنجم.

وفي آخر هذا العام عاد شرف الإسلام الحسن بن الإمام إلى مستقر عزه ضوران، وجعله مستقراً للسكون، وزاد في الأبنية والإحياء للأموال[6] في تلك الشعاب والجبال، ورغبة أهله لذلك، وعودهم إلى مالهم هنالك بعد أن كان أخافه قبائل الحدا في الزمان

(١) سورة الزمر، آية:١٦ وأولها: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾.

(٢) التتن: هو التبغ. شجرة أمريكية الأصل ويذكر يحيى بن الحسين في كتابه (أنباء الزمن) أن شجرة التتن ظهرت في اليمن سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م، وصل بها إلى اليمن الشيخ علي المغربي من المغرب أو من الهند، وكان معه شيء من بذرها فغرست في اليمن وكثرت، واستعملها سنان باشا وغيره من الأمراء. ثم يذكر بعض فوائده. وأن التتن كلمة تركية معناها بالعربية (الدخان). (يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، ص٣٦١).

(٣) كَوْكَبَان: حصن مشهور، مطل على مدينة شبام كوكبان في الغرب الشمالي من صنعاء، على مسافة ٣٦كم منها. وقد اشتهر الحصن منذ اتخذه المطهر شرف الدين معقلاً دوخ العثمانيين. كما كان مركزاً من مراكز العلم المقصودة لاسيما من القرن العاشر الهجري (الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٧٩١-٧٢٩؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٤، ص١٨٧٠)

(٤) المدايع: جمع مداعة. وهي مشتقة أو مأخوذة من المَدْعَه التي هي جوزة النارجيل المفرغة من لبها. ويسميها العراقيون (نارجيلة) وفي مصر (الجوزة) وفي الشام (أركيلة) وهي الآلة التي يُشرب بها (الدخان) (عبدالواسع الواسعي: فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، ص١٤٨).

(٥) عنوان هذه المصنفة:(المستخرجات البينات على تحليل الأشياء المستعملات من القهوة والطباق والقات). (عبداللهّ الحبشي: مصادر الفكر، ص٢٢٤).

(٦) أي الأراضي الزراعية.

السالف، وتوحشهم فيه كالسباع الضارية وإخافة الخائف، واستولوا في تلك المدة على كثير من أملاك أهل ضُوران غصباً وعدواناً، وقهراً لأهله وامتحاناً، لأجل ما جرى في اليمن من الفتن، وتقلب الدول فيه مع الحروب الجارية والإحن، فتراجع أهله يومئذ من البلاد، وتصرفوا في أموالهم بغير مانع ولا راد. وأقيمت الشريعة، وأزيل عنهم الغلب من تلك القبيلة، وما زال يقوي هذه البلاد في مدة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن أمير المؤمنين لأجل سكونه أكثر أيامه فيه. وهذا «٨ب» الحصن من المعاقل العظيمة، والجبال الشامخة العالية المنيعة، أصل أساسه من الملوك الحميرية، كما ذُكر في الكتب التاريخية، بأنه أسسه وبناه، وشيده وأعلاه الملك الكبير ذو مُرَاثِد[1] ووجدنا بقية آثار حجارهم وبنائهم به في الصخرات العظام، باقية إلى هذه الأيام، لم يُبْلِها الجديدان[2] والأعوام، حتى إن صخرة واحدة بُنِي عليها مَنْظَرة[3] كاملة عبرة لمن اعتبر كما قال قائلهم:

إن آثارنا تدل علينا

فانظروا بعدنا إلى الآثار[4]

ولما طافه شرف الإسلام، وكان معه السيد الأديب عيسى بن لطف الله بن المطهر بن

---

(١) ذو مُرَاثِد: ملك من ملوك حمير، واسمه حسان ذو مراثد بن ذي سحر. ويذكر الهمداني بأن الدامغ (وهو حصن ضوران)، سكن فيه من حمير بطون وعمروا فيه من ولد الملك ذي دنيان بن ذي مراثد الحميري صاحب قصر البون. وأن قصور (الدامغ) كانت ثلاثة مشيدة في الصخور العظام، في شرقي الحصن من جهة الشمال. وقد هدم الأحباش هذه القصور أيام ملكهم لليمن. (الهمداني: الإكليل، جـ٨، ص١١٥-١١٨؛ منتخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم: لنشوان الحميري، ص٤٠).

(٢) الجديدان: الليل والنهار، وذلك لأنهما لايبليان أبداً ويقال: الأجَدان. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٤١٥).

(٣) المَنْظَر: عادة تُبنى في أعلى طبقة في المنزل. وهي غرفة مربعة تنظر من نوافذها أكثر الجهات إلى البرية والجبال. أما هذه التي ذكرها يحيى بن الحسين فلأنها بنيت على صخرة مرتفعة، ينظر منها لما تحتها من جبال ووديان أطلق عليها منظرة. (علي حمود الفقيه: أخبار تاريخية عن صنعاء، مجلة الإكليل، عدد ١٩٨٣،٣،٢م، ص٣١١).

(٤) كان هذا البيت الشعري آخر بيت ورد في قصيدة ذكرها الهمداني. وذكر أنها من شعر تُبع يصف صنعاء وما حولها . أولها:

الدار ما ترام اهتضاما من عدو ودارنا خير دار

إن قحطان إذ بناها بناها بين برية وبين بحار

(الهمداني: الإكليل، جـ٨، ص٥٦؛ الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: د.حسين العمري، ص٨٣).

شرف الدين، قال السيد المشار اليه للسيد الحسن المُسمى: هذا أرض في سماء، لأجل ما رأى من وسعة الحصن ورحابته، وعلوه في السماء، وفسحة سمكه، وفي أعلاه المزارع والأطيان، والغيول الجارية في جميع الأزمان، وإذا وقع المطر عليه غالت[1] أرضه وتفجرت ينابيعه، ولا يحول ماؤه، ولا تنضب عيونه، وقل أن يوجد في الحصون اليمنية مثله مع ما اشتمل عليه من توسطه باليمن من جميع الجهات «٩أ» وركونه عليه، ومعرفة صاحبه بما جاء وفات، مع أخذه من جانب المشرق والمغرب بأوفر نصيب، واطلاع مالكه على البلاد البعيد منها والقريب، مع صحة هواه، واعتدال جوانبه، وعذوبة ماه[2] وكان يسمى في المدة السابقة عند حمير بالدَامِغ[3] كما يقول ذو مُراثد الملك الحارث الرائش[4] في قصيدته في صفات المهدي المنتظر[5] الذي يخرج آخر الزمان، فقال:

ومن مركبان[6] يركب الأرض عن يد

ودامغ أعني ذو الأجبة[7] يعمر[8]

---

(١) غالت: غير معجمة في الأصل، ولعله يقصد بذلك وجود الكثير من الغيول في هذه الأرض. ولم نجد في قاموس اللغة ما يدل على هذا المعنى الذي يريده المؤلف.

(٢) كذا في الأصل، وهي من اللّهجة العامية، أي ماؤه.

(٣) الدامغ: المقصود به حصن ضوران، سبق ذكره.

(٤) هو الملك الحارث الرائش بن شَدَد بن قيس بن صيفي بن حمير الأصغر وقد نسبه الهمداني في الإكليل إلى ولد الصَوَّار. ملك من ملوك حمير، سمي بذلك لأنه رأش أهل اليمن بالأموال والغنائم. وكان يسمى ملك الأملاك. (منتَخبات في أخبار اليمن من كتاب شمس العلوم لنشوان الحميري، ص٤٣-٤٤؛ الهمداني: الإكليل، تحقيق: محب الدين الخطيب، جـ١٠، ص١٢٨).

(٥) يُقصد به هنا منصور حمير، حيث يقال للدامغ أيضاً: جبل المنصور. وكان منصور حمير بمثابة المهدي المنتظر عند المسلمين. (الهمداني: الإكليل، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، جـ٨، ص١١٥-١١٦).

(٦) مركبان: هو اسم آخر لحصن الدامغ أيضاً. (الهمداني: الإكليل، تحقيق: محمد الأكوع، ج٨، ص١١٥).

(٧) وردت في الأصل (ذا) وذو الأجبة: تعني كبير الجبهة وفي البيت زحف (الهمداني: الإكليل، تحقيق: محمد الأكوع، جـ٨، هامش ص١١٦).

(٨) البيت من قصيدة طويلة (ملحمة) في صفات منصور حمير منها قوله في البيت الذي يليه:

فيطحنها طحن الرحا بثقالها   بجيش يضيق الحقل منه وحصبر

(الهمداني: الإكليل، تحقيق: محمد الأكوع، جـ٨، ص١١٥)

وفيها أو غيرها توفي السيد العارف عثمان بن علي بن الإمام شرف الدين[١] بمحروس ثُلاَ[٢] وقُبر هنالك رحمه اللهً. وكان ثلا مستقره وأهله، وقد ينزل في أيام الخريف إلى بيت له وعنب بالروضة، وكان غالب عليه معرفة علوم العربية والتصوف. وإذا سمع النشيد والصوت الحسن لتلاوة القرآن بكى وسالت دموعه، وظهر خشوعه. وكان التسليم حاله، والتواضع ولين الجانب وحسن الأخلاق أخلاقه، فاتفق مرة له أنه وصل إليه جماعة من أقاربه من جهات كَوْكَبان فطلب منهم السكون، وبذل لهم الضيافة، ولم يكن معه ما يقوم بهم تلك الساعة، فبقى حائراً في شأنهم، فلم يسعه إلا القصد إلى حيدر باشا من أجلهم، فلما وصله واستؤذن له لقاه حيدر إلى بعض أبواب داره، وأنصفه، وأظهر معه بشاشة، وآنسه، وقال: كيف لنا بالسيد؟ وهل هنالك حاجة؟ فأفاض عليه مطلبه، وأمر له بدراهم وطعام ما نيف على مقصده، وزاد على ما كان أمله.

ذكر لي السيد يحيى بن أحمد سند الحمزي[٣] أن الأمير علي بن شمس الدين[٤] كان قد طال عمره، وكانت ولاية كَوْكَبان إلى نظره، وكان قد شاخ وكبر، وكان العمل من أول ولايته على ولده عبدالرب[٥] يقدم ويحجم في الأمور، ووالده إنما هو صورة لهم قد يُرجَع إليه في الشور للتجليل له والتعظيم، مع أنه غير ملتفت إلى ما هم فيه من الأمر الجسيم، لأن المذكور كان يميل إلى مذهب الصوفية والتسليم، فلا يعترض في شيء من أحوالهم،

(١) لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من مصادر. وقد ترجم له إسماعيل الأكوع في كتابه (هجر العلم) نقلاً من هذه المخطوطة التي تُعنى الدراسة بتحقيقها.

(٢) ثُلاَ: إحدى مديريات محافظة صنعاء، تقع في الشمال الغربي لها. وهي بلد حميري قديم، بها آثار كثيرة حميرية وإسلامية. سميت باسم (ثلا بن لباخة بن أقيان بن حمير الأصغر) وبسبب موقعها الحصين ظلت من أهم وأشهر الحصون التي تنازعها الأئمة والأتراك (الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٢٩٨).

(٣) لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

(٤) هو الأمير علي بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين. كان مقيماً في شبام، خامل الذكر، ولما توفي الأمير إسماعيل بن أحمد بن محمد صاحب كوكبان سنة١٠١٧هـ/ ١٦٠٨م قام الأمير علي بالأمر بعده وكانت الصلة بين الأمير علي والأمير إسماعيل أن الأمير علي عم أبيه. وكان القائم بأعمال الأمير علي ومهماته ولده الأمير عبدالرب بن علي. (يحيى بن الحسين: غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق د.سعيد عاشور، جـ٢، ص٧٩٤-٧٩٥).

(٥) عبدالرب بن علي بن شمس الدين: صاحب كوكبان. كان ملازماً للحسن بن القاسم في جميع حروبه مع العثمانيين من خروجه من كوكبان إلى أن توفي سنة ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م. (أحمد الشرفي: اللآلي المضيئة، جـ٥٧٢-٥٧٣).

ولا ينهج في كثير منهاجهم. وكان مع ذلك له نُسك وعبادة، وقيام، ودرس للقرآن، فكان زمانه غرة في النعمة عليه، وعلى خاصته وأجناده مع تسهيل «٩ب» عن الإنكار لما يظهر من الهنات، فكان سبباً ليجاري من غلب عليه الهوى، وإن ظهر واشتهر من عصى، مع تمكنه من الإنكار لهم، وعدم عذره في نهيهم، إلا أن الرجل رحمه اللهّ غلب عليه التسليم، وكان يميل إلى تقليد أهل السنة ويرجحه على غيره من أهل الملة. ثم انتصب بعد وفاته ولده الأمير عبدالرب بن علي بن شمس الدين بن شرف الدين. قال السيد يحيى بن أحمد سند الحمزي: ولما اتفق دخول الجنود الإمامية كوكبان في سنة ست وثلاثين وألف[١] وصلَّوا الجمعة كان العود إلى ديوان[٢] أحمد بن محمد بن شمس الدين[٣] وفيه مرتبة علي بن شمس الدين، وكان قد عجز علي بن شمس الدين يومئذ وشاخ، فلم يستطع الخروج إلى الديوان، ولا بقي فيه اتساع للناس مع كبره وضعفه، فلما استقر بهم المجلس دخل السيد محمد بن صلاح الضلعي[٤] وهو أحد الرسل الذي[٥] كان يرسلهم الإمام المؤيد باللهّ للدعوة في الأيام الأولة، وكان[٦] الكتب لا تثمر عنده لاعتماد الأمير على شَوْر وزيره وغيره من أصحابه. وكان شوره أن أعمال الإمام كسراب بقيعة، وكوقيد القصب يهيج ويطفي. وأن السلطنة ذات قوة وبسطة في جنود وأموال، يأتي إليهم الإمداد من باب السلطان، وأنه «١٠أ» إذا أدرك منكم التُرك أدنى ميل فقد يصالحون الإمام كما صالحوه في خلاف عبدالرحيم[٧] ثم أقبلوا على عبدالرحيم بقضهم وقضيضهم حتى أسروه. وأما

---

(١) ١٠٣٦هـ=١٦٢٦م.

(٢) الديوان: هو أكبر غرفة في المنزل، يكون في العادة مُعداً لاستقبال الضيوف.

(٣) أحمد بن محمد بن شمس الدين: استقل بالأمر في كوكبان بعد وفاة والده محمد، وذلك سنة ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م توفي في شهر شوال سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م وقام بالأمر بعده ولده محمد بن أحمد. (عيسى بن لطف اللهّ: روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، جـ٢، ص٤١، ٦٣).

(٤) محمد بن صلاح الضلعي: لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

(٥) كذا في الأصل.

(٦) كذا في الأصل.

(٧) هو عبدالرحيم بن عبدالرحمن بن المطهر بن شرف الدين. أحد أمراء آل شرف الدين. كان يُعيْن الدولة العثمانية على محاربة الإمام القاسم بن محمد. وله مواقف مشهورة في خلافه ومنازعته للإمام القاسم، ثم اصطلح معه سنة ١٠١٦هـ/ ١٦٠٧م فانضم إليه في محاربة العثمانيين. ولما رأى جعفر باشا تقوِّي الإمام القاسم بمساعدة عبدالرحيم، =

أنتم فالخيل تركض من صنعاء إلى شبام نصف يوم، قال: فاتفق أنه لما استقر المجلس دخل السيد محمد ابن صلاح الضلعي المذكور، وكان رجلاً ضخماً، جهورياً في صوته، فقيهاً في العلم، وهو متزر بمئزر أسود، ملتحفاً بثوب أبيض، فرد السلام بصوته الجهوري وهو يتهادى في مشيته، وأدار نظره فلم يجد محلاً خالياً -لازدحام الناس في الديوان- إلاَّ تلك المرتبة، قام إليها وجلس عليها، وكان السيد أحمد بن لقمان[1] عن يمين المرتبة، والأمير ناصر[2] عن شمالها، لكونهما تحاشياً عن القعود عليها مع وجود علي بن شمس الدين، فعجب من حضر واعتبر، قال السيد المذكور: ومن العجب والعبر أن شرف الدين الحسن لما خرج من صَعْدة وبلغ الأمير عبدالرب قال: قدوم الحسن بن الإمام هذا على صنعاء مثل قفزة عبدالرسول الحَيْد[3] ظن السلامة فتردى. وهذا عبدالرسول كان من النُقباء فحصل معه نِشَاف[4] وهنبلة[5] ثم يقفز للشيخ «١٠ب» أحمد بن علوان[6] وكان قد أكل

صالح الإمام القاسم، وتمكن من أسر (عبدالرحيم) وسجنه، ثم نُفي إلى الأناضول في سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م. وتوفى هنالك سنة ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م (الشرفي: اللآلي المضيئة، جـ٣، ص٢٧٣؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٤، ص١٩٣٧).

(١) هو أحمد بن محمد بن لقمان بن أحمد بن شمس الدين بن المهدي أحمد بن يحيى المرتضى. عاصر الإمام القاسم والإمام المؤيد. عالم محقق في الأصولين والنحو والصرف والفقه. سكن شهارة فكان إمام جامعها وأحد شيوخ العلم فيها. ولاَّه الإمام المؤيد على بلاد الطويلة، ثم أرسله عاملاً على المخلاف السليماني.

ذكر أبو الرجال أن وفاته كانت في سنة ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م بينما يذكر يحيى بن الحسين أنه توفى سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م. له مؤلفات وشروح وتعاليق منها :(البحور المغرقة في الرد على صاحب الصواعق المحرقة) و (الرياض الزهية) و (حاشية على الفصول اللؤلؤية) و (الكاشف لذي العقول عن وجوه معاني الكافل بنيل السؤل) في أصول الفقه، مطبوع. و(كشف الإلباس عن قواعد الأساس لعقائد الأكياس) في أصول الدين. (يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٥٠٧-٥٠٨؛ أبوالرجال: مطلع البدور، جـ١، ص١١٧-١١٨؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص١٠٧٣).

(٢) هو الناصر بن عبدالرب بن علي بن شمس الدين، أمير كوكبان ونواحيه. كان من أعوان الحسن بن الإمام القاسم بن محمد، فجعله خلفاً لوالده على ولاية تعز. وقد ظل متولياً عليها إلى عهد المتوكل إسماعيل فعزله عنها، وأقطعه بلاد لاعة والطويلة. توفي في شبام في ذي الحجة سنة ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م. ترجم له المؤلف عند وفاته (ق٢٠٠ب) من هذه المخطوطة، وهي ترجمة مختصرة (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٤، ص١٨٧٤-١٨٧٥).

(٣) الحَيْد: ما شخص من نواحي الشيء، وجمعه أحياد وحِيود، وهو كل نتوء في الجبل أو ما شخص من الجبل واعوج. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٧٦٦).

(٤) النشاف: الجنون، والكلمة من اللّهجة العامية، التي لازالت مستخدمة حتى اليوم.

(٥) هنبلة: لم أجد لها تعريفاً ولعلها تعني أيضاً الجنون.

(٦) أحمد بن علوان بن عطاف بن يوسف، يصل نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب كرَّم اللهً وجهه. واحد من أقطاب الصوفية المعدودين في التاريخ الإسلامي. تتلمذ على أشهر فقهاء عصره، منهم أبوالخطاب عمر بن أحمد بن أسعد =

الحشيش حتى حصل منه ضعف في عقله وجنون، فترجح له في بعض الأيام قفز الحيد من الحصن، فمات لعدم حصول الإذن في خروجه من الباب، وكان أراد أن يسير عند الشيخ أحمد إلى يَفْرُس[1] قال السيد: ثم إن الحسن بن الإمام اتفق أنه جلس فوق المرتبة التي تكلم عليها الأمير عبدالرب بذلك القول، فهذا من العجب ولله الأمر من قبل ومن بعد، انتهى كلام السيد.

وفيها ما زال شرف الإسلام الحسن بجهات ضوران يقيم الأموال، ويغرس البن في الأودية القريبة تحت الحصن في النائجة[2] واستقر أيضاً بجبهان[3] أياماً في الخيام، أقام فيه المال، وكذلك صنوه الحسين استقر بالصافية بذي بهلان سفال قاع بكيل[4].

وفيها وصل إلى اليمن كتاب (التذكرة في الطب)[5] للشيخ داود بن جمعان المتطبب المكي[6] وكان ابتداء تأليفه لها في شهر ربيع الآخر سنة ست وسبعين

المعروف بابن الحذاء. وله شيوخ في التصوف، منهم: أبوالغيث بن جميل، وأبو حفص المعروف بالطيار. توفي سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م. له عدد من المؤلفات منها ما طبع ومنها ما يزال مخطوطاً، منها: ديوان وكتاب (الفتوح) و(التوحيد الأعظم) و(البحر المشكل الغريب) و(كنز العرش) و(قاموس الحقائق) وغير ذلك. (أحمد بن أحمد الشرجي: طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، ص١٩-٢١؛ أحمد بن علوان: الفتوح. المقدمة لعبدالعزيز سلطان المنصوب، ص٣٣-٥٦).

(١) يَفْرُس: مركز مديرية جبل حبشي، من بلاد الحجرية. تقع على بعد حوالي عشرين كيلومتراً إلى الغرب من مدينة تعز. بها قبر الولي الصوفي أحمد بن علوان السابق ذكره. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٧٨٥؛ الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص١٠٢٤).

(٢) لم أجد له تعريفاً في ما بين يدي من مصادر. ويذكر يحيى بن الحسين بأنه وادٍ في أطراف مساقط بلاد آنس. (أنظر النص: ق٢٦أ).

(٣) جبهان: وردت في التعداد باسم (بيت جبهان) وهي قرية بعزلة خمس الوسط، ناحية ضوران، بمحافظة ذمار. (الجمهورية العربية اليمنية: الجهاز المركزي للتخطيط، التعداد السكاني لعام ١٩٨٦م، محافظة ذمار، ص٢٨٧).

(٤) قاع بكيل: قاع واسع في آنس، تحت مدينة ضوران، فيه مزارع كثيرة، وحوله عدد من القرى. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١٢٨).

(٥) اسم الكتاب: (تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب) لداود بن عمر الأنطاكي. ويشتمل على مقدمة في صنوف العلوم وبحوث في أصول علم الطب، والأمراض، وفي الأدوية المفردة والمركبة. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، جـ١، ص٤٥٣).

(٦) هو داود بن عمر الأنطاكي، عالم بالطب والأدب. كان ضريراً أُطلق عليه اسم الرئيس داود الحكيم. قرأ المنطق والرياضيات، ودرس اللغة اليونانية فأحكمها. توفي سنة ١٠٠٨هـ/ ١٦٠٠م له مؤلفات في الطب والأدب وعلم الهيئة. (الخفاجي: ريحانة الألباء، جـ٢، ص١١٧-١١٩ ؛الزركلي: الأعلام، جـ٣، ص٩).

وتسعمائه[1] وله شرح (منظومة القانون).

وفيها أو غيرها مات الحاج علي الذماري من أصحاب الإمام القاسم بن محمد، وأُمناه وأعوانه،وخدامه، وأتباعه، والسائرين على طريقته من أول أيامه، ومن جملة ما حُفظ من روايته أن قال: كان الإمام القاسم في أول دعوته يتوارى ببرط[2] في الكهوف والجبال وحده خوفاً من الطلب لمّا كثر له، وكان لا يعرفه أكثر أهل وقته، فاتفق له وهو متواري في جرف عند غيل، وإذا هو يسمع نساء وردن المنهل، يتحادثن في صفات الرجال ويسألن بعضهن بعضاً عن آلتهم ما هي؟ وكانت منهن عجوز تصلي قال: فلما تمت الصلاة قالت لهن: هو عصب عصب[3] قال: فغلب الإمام الضحك من ذلك وهُن لا يشعرن به في الجَرْف[4].

«١١أ» وهذا جواب في مكاتبة من السيد العارف زين العابدين بن العيدروس[5]، وهو يومئذ في عدن، ولعله صاحب الوهْط[6] ولعل والده السيد عبدالله بن علي العيدروس[7] وكان شرف الإسلام دعاه إلى إجابته، فكان جوابه على شرف الإسلام

---

(١) ربيع الآخر ٩٧٦هـ=أغسطس/ سبتمبر ١٥٨٦م.

(٢) بَرَط: جبل مشهور في الشمال الشرقي من صنعاء، بمسافة ٢٣٢كم. وهو من بلد همدان، ثم من بكيل. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١٠٧؛ المقحفي: معجم البلدان، ص٨٦).

(٣) غير معجمة في الأصل. والأرجح أنها كما رسمناها. والعَصِب: هو الصلب الشديد، كثير العَصَب، فيقال: لحم عَصِب. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٧٩٠).

(٤) الجَرف: جمعه جروف، وتعني الكهوف في بطون الجبال.

(٥) هو علي زين العابدين بن عبدالله بن شيخ بن عبدالله، المشهور بزين العابدين. ولد بتريم في ذي الحجة ٩٨٤هـ/ فبراير ١٥٧٧م أخذ عن والده العلوم الشرعية من تفسير وفقه وحديث وعلم التصوف، وصحب جماعة من الأعيان والعلماء، أخذ عنهم في كثير من العلوم والفنون، وأذنوا له في التدريس والإفتاء، فتخرج على يديه جماعة من العلماء المبرزين. توفي سنة١٠٤١هـ/ ١٦٣١م. (محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي: المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي،جـ٢، ص٢٢١-٢٢٤؛ المحبي: خلاصة الأثر، جـ٣،ص١٦٦-١٦٧).

(٦) الوهْط:في دائرة الحوطة بلحج. (حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل اليمنية،ص٢٧).

(٧) هو والد زين العابدين السابق ذكره، وهو عبدالله بن شيخ بن عبدالله، المكنى بأبي محمد. ولد في مدينة تريم سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م. كان عالماً متضلعاً في كثير من علوم عصره. أخذ عنه كثير من العلماء. وله مآثر كثيرة بتريم. توفي سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م. (المحبي: خلاصة الأثر، جـ٣،ص٤٩-٥٠).

الحسن بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد أن قال زين العابدين المذكور في جوابه[1]:

(بسم اللهَّ الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي رفع منار الدين بالأئمة الهادين، وقطع دابر الملحدين بحماته الذَّابين عنه الذَّادين، وهدانا بفضله إلى منهج الحق المبين، وجعلنا ملوكاً وآتانا مالم يؤت أحداًمن العالمين، ورزقنا[2] سنة نبيه الصادق الأمين، وعبده ورسوله الكريم[3] محمد خاتم النبيين، وقائد الغُر المُحَجَّلين إلى جنات النعيم، صلى اللهَّ عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته المنتخبين إلى يوم الدين.

وبعد، فقد وقفت على الكتاب المشتمل على العجب العجاب، الواصل من يد[4] السيد الشريف الحسيب[5] النسيب[6] ذي المجد الأثيل[7] النبيل الحسن بن القاسم رفع اللهَّ به الدين قولاً وفعلاً، وعامله بما هو له أهل، وحقق لنا به الصفة المملوحة «١١ب» في اسمه كما حقق اللقب، وسلك به المنهج[8] القويم إلى أشرف الرتب، وحيَّاه عنا بأحسن ماحيَّانا به من التحية، وجعله وإيانا نتشبه من النفوس الزكية، الراجعة إلى ربها راضية مرضية. ففهمت عندما تأملت مضمونه، ووردت من مناهله عيونه، فأجبت عما لا بد منه من الجواب، وآثرت مقام الإيجاز على المساواة والإطناب، فخير الكلام ما قل ودل، ولم يطلْ فيمل. أما ما وحَّد به الباري جل وعلا من التنزيه عن التعطيل والتشبيه، وعن[9] الأضداد والأمثال، وغير ذلك من النقص والمحال، ومجَّده من صفات الجلال، والكمال،

(١) ورد جواب زين العابدين العيدروس كاملاًفي كتاب محمد الشلي: المشرع الروي، جـ٢، ص٢٢٤-٢٢٦.

(٢) وردت في المشرع الروي: جـ٢، ص٢٢٤: (اتباع سنة نبيه).

(٣) ورد في المشرع الروي بعد: (ورسوله الكريم) (عنده المكي).

(٤) وردت في المشرع الروي: (من لدن).

(٥) الحسيب: من الحسب، وهو ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه. والبعض يقرر أن الحسب قد يكون في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف. (د.حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، ص٢٥٩).

(٦) أي العريق في النسب.

(٧) الأَثِيل: من ألقاب أرباب الأقلام، ومعناه في اللغة الأصيل، فيصلح أن يكون لقباً لكل ذي أصالة من أرباب السيوف والأقلام. (القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٦، ص٦).

(٨) وردت في المشرع الروي: (النهج)، جـ٢، ص٢٢٤.

(٩) وردت في المشرع الروي: (ونفي).

والإحسان المتواتر والإفضال، وسائر صفات الكمال. ثم ماثنّى به من الصلاة على رسول اللهﷺ، صلاة تُنْزل[1] المقعد المُقَرب لديه. ثم ما ثلَّث به من الذكر الجميل على ذوي القدر الجليل أهل بيته وأصحابه وأنصاره رضوان اللهَّ عليهم أجمعين، وأرضاهم، وجعل «١٢أ» مقعد صدق عنده متبوأهم ومثواهم، فقد قام السيد في ذلك كله بما يتوقف على[2] صحة الإسلام، ويتعين فرضه على الخاص والعام، والحمد لله الذي هداه إلى ما هدانا، ونسأله المزيد لنا وله مما لديه. وأما ما وعظ به القلوب، وأوضح لديه المرغوب، وبشَّرها به عند لقاء اللهَّ وأنذر، وأيقظها به من سِنَة الغفلة وحذَّر، وبصَّرها به بما ينفعها به في معادها وذكَّر، فقد قام فيه بما فوق الكفاية، وأسقط الحرج عن أهل الدين والنصيحة لله ولرسوله وللمسلمين[3] القائلين بامتثال﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[4] واللهَّ سبحانه المسؤول أن يجعلنا وإياه من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يعصمنا وإياه من خطأ الأقلام وخطأ الألسنة. وأما ما زعمه من استحقاقه[5] وتعيينه للإمامة، ثم ما ادَّعاه واستدعاه من وجوب طاعته على من ادعاه[6] وأكثر في ضمن ذلك وأطال الاحتجاج «١٢ب» والاستدلال. أما ما ادعى بأن الذرية السَّنيَّة الحَسَنيَّة الحُسَيْنيَّة على الطيبين منهم أزكى التحية والسلام هي سفينة النجاة التي لا عاصم من أمر اللهَّ إلا من سلك مذهبها، ولا ينجو[7] من طوائف الإسلام إلا من ركبها، والأمر كذلك إذ هم هداة الدين القويم، صراط اللهَّ المستقيم، بما وقع عليه إجماع الأمة، وأشرقت بنورهم كل ظلمة، فهم أهل الحق المستبين، وقدوة علماء الدين من الأولين والآخرين، وأما سوى ذلك مما لا

(١) وردت في المشرع الروي: (تنزله).

(٢) وردت في المشرع الروي: (عليه).

(٣) وردت في المشرع الروي، جـ٢، ص٢٢٤ بعد كلمة: (للمسلمين) فجزاه اللهَّ تعالى جزاء المحسنين القائلين.

(٤) سورة الذاريات ،آية:٥٥.

(٥) وردت في المشرع الروي، (استحقاقه الزعامة).

(٦) وردت في المشرع الروي، (دعاه)، وهي الأصح.

(٧) وردت في المشرع الروي: (لاينجو عند اللهَّ).

يبين فيه، بما يلفظ به من فيه، حتى كأنه لم يتل ما في القرآن المجيد: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1] نسأل اللهَّ العصمة مما يصم ويُعمي ويُغمي، إذ غير خاف عليه مما انتهى من العلم لديه أن طاعته في مذهبنا إنما تلزم أهل بلده ومن يدين له بعقيدته، فلا أدري أصدر منه ذلك عارف متجاهل متغافل[2] أم صَدِيءَ الهوى على مرايا العقول، فلم ينطبع فيها حقائق المعقول والمنقول لأنه «١٣أ» ألهمه لله تعالى الرشاد، ووفقه للسَّداد، يعلم أن أشياع ولاة السواد الأعظم، وأتباع هداة الصراط الأقوم، أهل السنَّة والجماعة، الذين أوجب اللهَّ سلوك طرائقهم واتباعه، نعتقد صحة خلافة الخلفاء الأربعة، ولا يُزاغ بنا إلى الأهواء المبتدعة، ونعتقد أن الصحابة قد وُفّقوا للإصابة في جميع ما فعلوه باجتهادهم، وأجمعوا عليه بدلائلهم وإسنادهم، فهم صناديد[3] الدين المحمدي، وهم النجوم يهتدي بهداهم كل مهتدٍ، فلا نتبع غير سبيل المؤمنين، من بعد ما تبين له[4] الهدى المستبين، في تضليل الهادين، من الأنصار والمهاجرين: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ «١٣ب» جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[5] ونعتقد أنهم رجال صدقوا ما عاهدوا اللهَّ عليه وما بدّلوا تبديلا، وأن مدح اللهَّ تعالى لا يَتبَدّل ذما، وعلمه جلَّ وعلا

(١) سورة ق،آية:١٨.

(٢) وردت في المشرع الروي: (وفطن متغافل).

(٣) وردت في المشرع الروي: (أساطين) جـ٢، ص٢٢٥.

(٤) وردت في المشرع الروي (لنا) وهي الأصح.

(٥) سورة الحشر، الآيات: من ٨-١٠ وأول الآية الأولى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ وَ المُهَاجِرِينَ...﴾.

لم يتحول جهلاً: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[١] ونعتقد أن من وعدهم به في كتابه الكريم، المترجم في علمه السابق القديم، من الرضوان في جنات النعيم، الشامل لأولهم وآخرهم، وأنصارهم ومهاجريهم حيث يقول وبقوله يهتد المهتدون: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[٢] واقع لا محالة من القطع بالاستحالة، أن يكون لم يُعلم منهم التعاون على الإثم والعدوان،«١٤أ» والمخالفة بما أخبر به سيد ولد عدنان، والنبذ لعهد من وعده ليظهره على الدين كله، فساد فيه[٣] وتكفينه وغسله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤] ألا ترون أنكم إذا قدحتم في منصبهم العلي، وقلتم بانحصار الخلافة في علي، فقد أبطلتم عدالتهم التي بني عليها الإسلام الحنيفي من أصله، ورَدَدْتُم روايتهم التي توارد بها نقل كتاب اللهَّ على[٥] أئمته وأهله، ووجب على كل موحد أن يجاهدكم في اللهَّ حق جهاده[٦] وتسلموا للدين بطاعته وانقياده، فلا يتجاوز أحد منكم حدَّه، فقد بدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء حتى تؤمنوا باللهَّ وحده، ولقد شبههم المصطفى الذي لا ينطق عن الهوى بالنجوم المضيئة وضمن لهم الهداية لمن اهتدى[٧] بأيهم، فكيف بِكُلِّهم من البرية، وقال مُحَرِّضا على أمته على اتباعهم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات «١٤ب» الأمور فإن كل

---

(١) سورة مريم، آية: ٦٤ وأولها: ﴿وَمَاتَتَنَزَّلُ إلاَّ بِأَمْرِ رَبِكَ...﴾

(٢) سورة التوبة، آية: ١٠٠.

(٣) وردت في المشرع الروي: (فما دفنه) ولعلها الأصح.

(٤) سورة التكوير، الآيات: من ٢٦-٢٩.

(٥) وردت في المشرع الروي: (من).

(٦) وردت في المشرع الروي: (حتى).

(٧) وردت في المشرع الروي: (اقتدى).

مُحْدث بدعة، وكل بدعة ضلالة، ومن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد. ومن فارق الجماعة شبراً فقد خلع رِبقة الإسلام من عنقه» إلى غير ذلك من السنن المرويَّة بالأسانيد القوية: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[١] فإياكم أن تخالفوا سنة المصطفى، وعلي المرتضى، وأهل بيته الشرفاء الذين واجههم الرسول بالخطاب، حيث أوصى أمته بالتمسك بهم مقرونين بالكتاب، وأنهما لن يفترقا حتى يَرِدا على الحوض[٢] فمن اقتدى بأولئك الأطهار الأخيار وَرَدَ معهم إذا وَرَدوا، وسعد بسعادتهم كما سَعدوا، ومن خالفهم فعادى من يوالون، وابتدع ما لا يقولون حُرم إرث تلك الأنساب، وقطع ما أمره اللهّ به أن يوصل، فتسطعت[٣] به الأسباب: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾[٤] لا أولاده الذين غيَّروا دينه وقطعوه: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[٥]﴿قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[٦] وموالاة علي وبنيه، والعباس وذويه، والأئمة المشار إليهم، والمعمول في شرف أهل نبينا عليهم لأبي بكر وعمر أشهر من أن يذكر. شعر:

ولـــيس يـــصح في الأذهـــان شيءٌ

إذا احتـــاج النهـــارُ إلى دليـــل

فقد بايعهما علي عليه السلام، وترحَّم عليهما، ثم أدخل نفسه في أهل الشورى امتثالاً لوصية

---

(١) سورة النور، آية:٦٣ وأولها: ﴿ لاَّ تَجْعَلُواْ دُعَآءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللهُّ الَّـذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً...﴾.

(٢) وردت في المشرع الروي: (وأنهم لن يفترقوا حتى يردوا عليه الحوض). أما الحديث فهو: « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب اللهّ حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولـن يفترقـا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.» (سنن الترمذي، كتاب المناقب، جـ ٥، ص٦٦٣).

(٣) وردت في المشرع الروي: (فتقطعت) وهي الأصح.

(٤) سورة آل عمران، آية:٦٨ وتمامها ﴿ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَ اللهُّ وَلِيُّ الـمُؤْمِنِينَ...﴾

(٥) سورة آل عمران، آيه:٢٤ وأولها: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ...﴾

(٦) سورة آل عمران،آية:٧٥ وأولها: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِـدِينَارٍ لاَّيُـؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَادُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ...﴾.

عمر، ولم يذكر نصاً يرجع المسلمون إليه ولا ادَّعى تعيين القيام بالحق عليه، ثم وفَّى لعثمان ما وعده به من السمع والطاعة على لسان عبدالرحمن[1] ألا تراه سل سيف الانتصار، وعلا سيفه ذو الفقار[2] مفارق الفئة الباغية، لَّما تعيَّن عليه في زمن معاوية، وما يُدّعى[3] والعياذ باللهَّ من التقية والمداهنة في دين اللهَّ محالاً، وفي العادة والقياس غير محال[4] نسبته إلى آحاد الناس. وإذا كان أبوطالب[5] قاوم قريشاً بأسرها، ولا[6] يبالي بقلها وكثْرها، واتقى دون «١٥ب» ابن أخيه الشر بنحره، وأمره أن يصدع بأمره، حيث قال:

فاصدع بأمرِك ما عليك غضاضة

وابشر وقرَّ بذاك عيونا

واللهَّ لن يصلوا إليك بأسرهم

حتى أُوَسَّدَ في التُّراب دفينا

كل ذلك لمجرد العصبية المُطَّلِبيَّة، وأنفة الهمَّة الهاشمية، فكيف يُظن بمن يرى الشهادة أعلى درجات السعادة، وعلم أن له عند اللهَّ فوزاً عظيماً مبيناً، وهو القائل: لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً، أخو رسول اللهَّ ﷺ، وباب مدينة عِلمه، أشْجع طاعن وضارب، وأبْرع لاحن وخاطب، ليث بني غالب، خيرة الخيرة من بني هاشم، أن[7] تأخذه في اللهَّ لومة لائم: ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾[8] ثم في توجيهه إليّ بالكتاب ومواجهته لي بالخطاب، عدول عن العدل، وميل عن الجد إلى الهزل،

(١) المقصود به: عبدالرحمن بن عوف.

(٢) ذو الفقار: سيف غنمه علي بن أبي طالب كرم اللهَّ وجهه من منبه بن الحجاج. (أحمد عطية اللهَّ: القاموس الإسلامي، جـ٣، ص٦٠١).

(٣) وردت في المشرع الروي: (يُدعى عليه)، جـ٢، ص٢٢٦.

(٤) وردت في المشرع الروي: (غير حلال).

(٥) المقصود هو: أبوطالب بن عبدالمطلب والد الإمام علي بن أبي طالب كرم اللهَّ وجهه.

(٦) وردت في المشرع الروي: (لم يبال) وهي الأصح.

(٧) وردت في المشرع الروي: (لن تأخذه).

(٨) سورة النور، آية:١٦. وأولها: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم...﴾.

وهِنَّات لا يحسن لها الجدال، وخرافات صادرة «١٦أ» عن ظلمات الاعتزال[١] من العجب ترغيبه لي في الملك الزائل، والحال الحائل، ووعده لي بانقياده، فهو ممن لم يعرف صلاحه من فساده، وغَيَّه من رشاده، وقد أعمى طمعه عين فؤاده،حتى لم يفرق بين الوجود والعدم، والنور والظُّلَم،ممن باع آخرته بدنياه، ونسى اللهَّ فأنساه. فما للعقول غافلة عن صلاحها في مآلها، أم على قلوب أقفالها، فالملك ما نحن فيه، لا ما هو فيه. شعراً:

ملوك على الدنيا وليس لغيرنا   من الملك إلا اسمُه[٢] وعِقابه

وليعلم الشريف أنا من جملة الأعوان على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان. نسأل اللهَّ أن يسلك بنا وبه مسالك الهدى، ويُجلي[٣] مرايا قلوبنا عن ظلمات الصَّدأ، المؤدية بصاحبها إلى مهاوي الرَّدى، واللهَّ يقول الحق، ويهدي السبيل، والسلام عليكم ورحمة الله. تم جواب السيد زين العابدين العيدروس على شرف الدين الحسن بن الإمام.

وفيها أو غيرها توفي الفقيه العارف علي بن الحاج[٤] كان عارفاً، وغلب عليه علم الكلام[٥] على قواعد المعتزلة[٦] كان محققاً، وهو أحد مشائخ القاضي عبد الهادي الثلائي[٧] لما دعا الإمام القاسم بن محمد لم يجب دعوته فقيل له: ماالسبب؟ قال: لأنه على

---

(١) يقصد بذلك مذهب المعتزلة. وسيتم تعريفه في مكان آخر من الرسالة.

(٢) وردت في المشرع الروي: (إثمة).

(٣) وردت في المشرع الروي: (يُجَلِّي).

(٤) ترجم له أحمد الجنداري في الجامع الوجيز، ق١٣٧أ لكنه لم يضف شيئاً جديداً إلى ما ذكره مؤرخنا.

(٥) علم الكلام: هو علم يُقْتَدر منه على إثبات العقائد الدينية على الغير بإيراد الحجج، ودفع الشبه، بحيث إن المتكلم يتخذ العقائد الدينية قضايا مسلماً بها، ثم يستدل عليها بأدلة العقل. ويسمى هذا العلم بعلم التوحيد، أو بعلم أصول الدين. (أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، ص٢-٣).

(٦) المعتزلة: هم أتباع مذهب فلسفي، فتح المجال للاجتهاد. ويُذكر أن سبب تسميتهم بالمعتزلة، أن واصل بن عطا وعمرو بن عبيد اعتزلا حلقة الحسن البصري، واستقلا بأنفسهما. وهم عدة طوائف. ويسمون أيضاً: أصحاب العدل والتوحيد. (الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص٤٣؛ أحمد بن يحيى المرتضى: المنية والأمل في شرح الملل والنحل، تحقيق: د.محمد جواد مشكور، ص٢٩).

(٧) عبدالهادي بن أحمد بن صلاح بن محمد بن الحسن الثلائي، المعروف بالحَسُوسة. ترجم له يحيى بن الحسين في (ق٢٣ب) من هذه المخطوطة عند وفاته. أما مصادر ترجمته الأخرى فمنها: (يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٢٥٩-٢٦٠؛ المحبي: خلاصة الأثر، جـ٣، ص٩٣-٩٤؛ الشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص٤٠٥؛ الجرموزي: النبذة المشيرة، ص٦٣).

مذهب الخوارج[1] يقول: إن المؤمن كافر بالمعصية على رأي الأباضيَّة[2] في هذه المسألة. ولا يثبت الميزان، ولا الصراط، ولا العرش على حقائقها، وهو رأي المُطَرَّفِيَّة[3] من الزيدية[4].

«١٦ب» وفيها استقر شرف الإسلام الحسن وصنوه الحسين بضوران، وأقاموا فيه الأموال، وأحيو الأودية بالأبنان. وكان شرف الإسلام الحسين يستقر أياماً في وادي النائجة مع ضعف هواه ووباه، وكذلك صافية ذي بهلان، محبة في المال والتشاغل بالأعمال، لما حصل في النفس من ذلك الانكسار[5]، وأمَّا صنوه الحسن فاستقر بالحصين حازَّة[6] جبل ضوران، وهو مكان متنزه عن الوبا، وأطيب عن تلك الأماكن السفلى.

وفيها وصل شرف الدين الحسين بن أمير المؤمنين المؤيد بالله[7] إلى ضوران للحاجة

---

(١) الخوارج: اصطلاح يطلق في التاريخ الإسلامي على طائفة عقائدية سياسية ظهرت في أواخر عصر الخلفاء الراشدين. وانبثقت منها على مر الزمن عدة فرق، عرفت كل منها باسم خاص بلغت اثنتين وعشرين فرقة. غير أنهم متفقون على مسائل أهمها: أن الخلافة حقٌّ لكل مسلم ما دام كفأً لها، ووجوب الخروج على السلطان الجائر، وتكفير مرتكبي كبار الذنوب. أما نواة الخوارج فهم الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه بعد وقعة صفين عام ٣٨هـ/ ٦٥٨م. (البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٥٤-٥٥؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مجـ٢، ص٢٩٢).

(٢) الأباضية: فرقة إسلامية من الخوارج، تنسب إلى عبدالله بن أباض. وتنقسم الأباضية إلى أربع فرق. (سليمان الباروني: مختصر تاريخ الأباضية، ص١٩).

(٣) المُطَرَّفِيَّة: فرقة من فرق الزيدية في اليمن، جاء اسمها نسبة إلى مؤسسها مطرف بن شهاب العبادي الشهابي، الذي سكن قرية (بيت حنبص). نشأت المطرفية في فترة كانت الدولة الزيدية الأولى في اليمن التي أقامها الإمام الهادي يحيى بن الحسين قد اختفت، وتراجعت الزيدية من طور الدولة إلى طور الدعوة. فارقوا الزيدية بمقالات في أصول الدين كفرهم كثير من الزيدية بها. (للمزيد انظر الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٨٧٢؛ د. أيمن السيد: تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن، ص٢٤١ وما بعدها).

(٤) الزيدية: مذهب يُنسب أتباعه إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها. وهم عدة فرق: الجارودية والبترية (الصالحية) والجريرية (السليمانية)، وافترق متأخروا زيدية اليمن إلى: حسينية ومخترعة ومطرفية. وقد تميز المذهب الزيدي في اليمن عن بقية فرق الشيعة والمذاهب الأُخرى بالاعتدال والحرية الفكرية والحرص على ضرورة حث العلماء على الاجتهاد، فهم أعظم الشيعة اعتدالاً، وأكثرهم التصاقاً بالسنة. (الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص١٥٤-١٥٥؛ د. حسين العمري: الشوكاني رائد عصره، ص٩٥-٩٦).

(٥) حدث خلاف بين الحسين بن القاسم وأخيه الإمام المؤيد محمد بن القاسم. ويقصد المؤرخ بذلك الانكسار: استياء الحسين بن القاسم وتأثره من الإمام المؤيد. وقد ذكر المؤرخ ذلك في ترجمة وفاة والده الحسين (ق٥٤ب) من هذه المخطوطة.

(٦) الحازَّة: الأرض التي بين السهل والجبل. (د.حسين العمري وآخرون: في صفة بلاد اليمن، هامش ص٥٧).

(٧) الحسين بن الإمام المؤيد محمد بن القاسم: عالم عارف تلقى العلم على يد والده، وعمه الإمام المتوكل إسماعيل، =

معه، ولأجل ما بلغه من كرم شرف الإسلام وإحسانه، فقرر له من التقارير ما لم يخطر بباله، ولازمه بضوران إلى أن توفي شرف الإسلام الحسن بن الإمام، ثم عاد إلى[1] حضرة والده الإمام المؤيد بالله.

وفيها جرت مناظرة بين السيد الحسن بن أحمد الجلال[2] وبين القاضي أحمد بن صالح العنسي[3] بحضرة شرف الإسلام الحسين بالمعرة ووادي النائجة، فقال السيد الحسن الجلال: إن الجن لا وجود لهم، فأجابه القاضي بوجودهم، والقرآن ناطق بهم.

«١٧أ» ودخلت سنة ثمان وأربعين وألف[4]

وفيها وصل إلى شرف الإسلام الحسن بن الإمام السيد الطاهر المغربي المالكي[5]

والحسين بن علي ين صلاح العبالي وغيرهم. تولى لعمه الإمام المتوكل على الله إسماعيل أعمال بلاد عفّار وعَاهم وظاعن، ثم اشتغل بالتدريس في شهارة. وأوصى بالثلث من تركته للعلماء والمتعلمين. توفي بشهارة في جمادى الآخرة سنة ١٠٨٤هـ/ سبتمبر ١٦٧٣م. (يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ٢، ق٥٤ب؛ محمد بن محمد زبارة: ملحق البدر الطالع، جـ٢، ص٨٩).

(١) تم إضافتها ليستقم المعنى.

(٢) الحسن بن أحمد بن محمد بن علي بن صلاح الجلال (١٠١٣-١٠٨٤هـ/ ١٦٠٤-١٦٧٣م) أخذ العلم عن كبار علماء صعدة وشهارة، ثم علماء صنعاء، من مشائخه (عبدالرحمن الحيمي) و (الحسين بن القاسم) و (محمد بن عزالدين المفتي) وغيرهم. برع في كثير من العلوم، وصنف التصانيف الجليلة. كان عالماً شامخاً في الفقه الزيدي، متحرراً، مجتهداً. له مؤلفات عدة لعل أهمها: (ضوء النهار) وشرح كتاب (الفصول اللؤلؤية) لإبراهيم الوزير، وشرح (مختصر المنتهى) وشرح (التهذيب) في المنطق و(عصام المتورعين) في أصول الدين و(العصمة من الضلال) وغير ذلك من المؤلفات. كما له أبحاث ورسائل صغيرة كثيرة. (يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ٢، ق٤٥ب-٤٨ب؛ إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، جـ٣، ص٩٨؛ د.حسين العمري: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، ص٢٧٤-٢٧٥).

(٣) ترجم له يحيى بن الحسين في (ق١٦٧أ-١٦٨ب) من هذه المخطوطة عند وفاته، وهي ترجمة وافية؛ وترجم له أيضاً أبوالرجال: مطلع البدور، جـ١، ص٨٠-٨١؛ وزبارة: ملحق البدر الطالع، ص٣٤-٣٥).

(٤) ١٠٤٨هـ=١٦٣٨م.

(٥) هو السيد الطاهر بن عبدالله بن آل شكرالله، من ولد الإمام إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب. الذين يسكنون المغرب الأقصى من مدينة (فاس) له حظ في العلم. أقام عند الحسن بن القاسم نحو شهرين، وقد أعطاه الحسن كتاب (الفصول) بحواشيه، وكتاب (الأثمار) وأعطاه الإمام المؤيد (الأساس) وشرحه. وغيرها من المؤلفات الأخرى. (الشرفي: الآلى المضيئة، جـ٣، ص٦٤٩-٦٥٠).

فأعطاه شرف الإسلام عطاء جزيلاً، وأهدى إلى شرف الإسلام نبذة مختصرة من كتاب (الجفر)[1].

وفيها رأيت فقيراً من فقراء الشيخ أحمد بن علوان يأكل حنشاً من رأسه حتى بلغ إلى ثلثه أو ربعه، وطرح باقيه، وهو حال أكله يذكر اللهَّ، هو مع جذب، وبقي الباقي منه ميتاً مطروحاً مدة حتى أكلته الأرض والنمل على التحقيق بالمشاهدة.

وفي شوالها توفي شرف الإسلام الحسن بن الإمام بالحصين من ضوران، وحضر وفاته صنوه الحسين رحمه اللهَّ، ودفن جنب الجامع الذي أسسه فيه رحمه الله تعالى وكان عمره قدر إحدى وخمسين سنة، وكان عنده يومئذ ولده أحمد بن الحسن[2] وهو بأول التكليف في سِنّه، وكان ولده محمد بن الحسن[3] الكبير قد قضى زيارة والده، وعاد إلى بلده وولايته مدينة صَعْدة وما إليها، فوصل إلى حضرة الإمام «١٧ب» المؤيد باللهَّ بشهارة، ثم سار إلى حَبُور[4] وبلغه وفاة والده فعاد من حَبُور مبادراً إلى حضرة عمه الحسين بضُوران. وكان يظن هو وصنوه أحمد بن الحسن أن الإمام المؤيد يجعل إليهما أمر البلاد لما في وجوههما من أصحاب والدهما، فاقتضى نظره أن البلاد التي كانت مع شرف الإسلام الحسن بن الإمام باليمن الأسفل إلى نظر صنوه الحسين، وأمر الإمام محمد بن الحسن وصنوه أحمد بالتوقف

---

(١) الجفر: كتاب نُسب إلى الإمام علي بن أبي طالب كرّم اللهَّ وجهه ويُذكر في مقدمة الكتاب: بأن جعفر الصادق اثبت ما سمعه من الإمام علي بن أبي طالب، وجعله في رق من جلد الجفر وهو جلد بعير أو جلد شاه، ثم إن جعفراً رتبه وبوبه في شكل حروف، وجعل له قاعدة لمعرفة استخراج مجهول المسائل التي تُراد ماضية ومستقبلة. (مقدمة كتاب الجفر الجامع والنور الساطع،ص٣-٤).

(٢) أحمد بن الحسن بن القاسم (١٠٢٩-١٠٩٢هـ/ ١٦٢٠-١٦٨١م) الإمام الرابع من أئمة (بيت القاسم) عُرف بالإقدام والشجاعة والحنكة حتى سمي ب(سيل الليل). كان الساعد الأيمن لعمه الإمام المتوكل إسماعيل، والقائد الذي استعاد سيطرة البلاد المركزية على حضرموت ومشرق اليمن. خَلَف المتوكل عام ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م وتلقب بالمهدي، واتخذ من حصن ذي مَرْمَر بالغراس مقراً له. وقد توفي بعد خمس سنوات من حكمه. (محسن بن الحسن أبوطالب: الشذور العسجدية في الخلافة المهدوية الأحمدية، تحقيق: عبداللهَّ الحبشي، ص١٧٩-١٨٠؛ الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٥٢-٥٣).

(٣) ترجم مؤرخنا لمحمد بن الحسن ترجمة مطولة عند وفاته (ق٢٥٨أ-٢٦٠أ) من هذه المخطوطة. كما أورد المؤرخ فيها الكثير من الأدوار التي قام بها كل من محمد بن الحسن وأخيه أحمد بن الحسن في عصر عمهما الإمام المتوكل على اللهَّ إسماعيل .

(٤) حَبُور: بلدة مشهورة من ناحية ظُلَيْمَة. وهي من بلاد حجة، تقع إلى الشمال منها. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٢٢٧؛ الجمهورية العربية اليمنية: الجهاز المركزي للتخطيط، التعداد السكاني لعام ١٩٨٦م، محافظة حجة، ص٣٦٣).

على رأي عمهما الحسين في الإقدام والإحجام، والحل والإبرام، ولا يقدِّمان ويؤخِّران إلاَّ برأيه. وكان شرف الإسلام الحسن قد بلغ من الكرم والسخاء مبلغاً عظيماً لم يُسمع في المتأخرين بمثله، عَمَّ بكرمه القريب والبعيد، حتى إنه لما وفد إليه صنوه ضياء الإسلام إسماعيل بن الإمام، وابن أخيه شرف الإسلام الحسين بن المؤيد باللهَّ أكرمهما، وقرر لهما من التقرير الفائض الذي لا يفعله غيره، فلازماه حتى مات رحمه اللهَّ.

حسن[1] الذي حسن الزمان بفعله
وطي السحاب على سماء بحر عطائه
عمَّ الغني مع الفقير بنَيْله
بسماحة جوده ووفائه
سهل العريكة صادق في قوله
ساوى الخلائق (.........)[2] سخائه
يثق الغريب من وعده وسؤله
باللهَّ فوق القصد من أنواله

وعلى الجملة فهو كما قال الشاعر:

ذاك الذي لا يأتي الزمان بمثله   إن الزمان بمثله لبخيل

وكان جميع ترتيبه وأفعاله ترتيب السلطنة في الشاوشية، والجامكية[3] والصناجق،

---

(١) لعل هذه الأبيات الشعرية من محاولات المؤرخ، حيث أن معظم الكلمات مشطوب بالمداد الأسود، وبعضها غير واضح، وقد أثبتنا ما تمكنا من قراءته والاجتهاد فيه .

(٢) الكلمة مشطوبة في الأصل.

(٣) الجامكية: هي رواتب الجند ومصروفاتهم. (محمد التونجي: المعجم الذهبي، فارسي عربي، ص١٩٨).

ونوبة شية[1] واحتفاله بالأمراء، وتنزيلهم منازلهم عنده على الأكمل الأوفى، والحال المرضي لهم على الوفاء «١٨أ»

وما أحقه بقول ابن نباته[2]:

وفي كل يوم دروس من فوائده ... ومن بوادى نعماه إعادات
صلى ورى أياديه الحياء فعلى ... تلك الأيادي من السحب التحيات
وصد عما يصوغ[3] اللوم نائله ... فما تفيد ولا تجدي الملامات
يرام تأخير جدواه وهمته ... تقول إيها فللتأخير آفات
من معشر نجب ماتوا وتحسبهم ... للمكرمات وطيب الذكر ما ماتوا
مُمَدّحين لهم في كل شارقة ... بر وتحت سجوف الليل إِخْبات[4]
لا يشتكي الجور إلا من تعاندهم ... ولا تذمهم في المَحْل[5] جاراتُ
ولا تسوق رياح المزن أيسر ما ... ساقته تلك النفوس الأريحيَّاتُ[6]
بيت أتمته أوصاف الكمال كما ... تمت بقافية المنظوم أبياتُ

(١) النوبة: هي الاسم الذي يطلق في البلاد الإسلامية على فرقة الموسيقى العسكرية وثكناتها في المعسكرات، أو في المدينة. وهذا الاسم من الأسماء التي تنسب إلى الطبول التي كانت عماد فرقة الموسيقى العسكرية. (دائرة المعارف الإسلامية، مجـ١٥، ص٨٦).

(٢) هو محمد بن محمد بن حسن بن نباته المصري (٦٨٦-٧٦٧هـ/ ١٢٨٧-١٣٦٥م) من الشعراء المبرزين في عصره. له ديوان شعر مطبوع جمعه (محمد بن برهان الدين الشهير بالبدر البشتكي) (ديوان ابن نباته المصري، التقديم). وهذه الأبيات التي أوردها المؤرخ: هي من قصيدة شعرية لابن نباته قالها يمدح فيها كمال الدين الزملكاني تتكون من مائة وأحد عشر بيتاً، ص٦٧-٧١.

(٣) وردت في الديوان (يروم).

(٤) الإِخْبات: الخشوع والتواضع. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٧٨١).

(٥) المَحْل: الجوع الشديد وإن لم يكن جدب، وهو أيضاً الجدب، أي انقطاع المطر ويبس الأرض من الكلأ. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٣، ص٤٤٦).

(٦) الأَرْيَحي: الرجل الواسع الخلق النشيط إلى المعروف، يرتاح لما طلبت. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص١٢٤٩).

مـا روضـة قلـدت إحيـاء سوسـنها ... عقــود خــضر وللأطيــار رنــاتُ[1]

يومــاً بــأبهج مــن أخلاقــه نظــراً ... أيـــام تُنكـــر أخـــلاقٌ سريـــاتُ

ولا الغيــوث بأســخى مــن عوائــده ... أيـــام تعيـــى الـــسجيات الـــسخياتُ

ولا الــشموس بــأجلى مــن فــضائله ... أيـام تـدجوا الظنـون اللوذعيـاتُ[2]

ولا النجــوم بــأرأى[3] مــن مراتبــه ... أيـــام تـــزدحم[4] الأيـــدي العليـــات

قدرٌ علا فرأى في كل شمس ضحى ... جمالـــه فكـــأن الـــشمس مـــرآتُ

«١٨ب»وهمـةٌ ذكرهـا سـار وأنعمهـا ... فحيــث مــا كنــت أنهــارٌ وروضــاتُ

يــابن المــدائح إن أمــدح ســواك بهــا ... فتلـــك فـــيهم عـــوارٍ مُـــسْتردات

أوردت ســؤددك الأعــلى مواردهــا ... وللـــسها في مجَـــر الأفـــق عبَّـــات

نعم الفتى أنت يُستصفى الكـلام لـه ... حتـى تـسير لـه في العَقْـل سـوراتُ

ويطــرب المــدح فيــه حــين أكتبــه ... كـــأن متـــصب الأقـــلام نايـــات

ما بعـد غيثـك غيـث يـستجاد[5] ولا ... مــن بعــد إثبــات قــولي فيــك إثبــاتُ

وهو الأحق بقول ابن المقرِّب[6]:

---

(١) ورد عجز البيت في ديوان ابن نباتة كما يلي :
من السحاب عقودٌ لؤلؤيات.

(٢) اللذع: حرقة كحرقة النار، واللوذعيات هنا بمعنى المحرقات. (ابن منظور: لسان العرب،مجـ٣، ص٣٦١).

(٣) وردت في الديوان: (بأنأى).

(٤)

(٥) وردت في الديوان: (يستفاد).

(٦) هو علي بن المقَرَّب بن منصور بن المقرِّب العُيْوني (٥٧٢-٦٢٩هـ/ ١١٧٦-١٢٣٢م). شاعر مجيد، نسبته إلى العيون (موضع بالبحرين) نشأ وتعلم في الأحساء، ورحل إلى العراق عدة مرات. اجتمع في الموصل بياقوت الحموي. له ديوان مطبوع. (الزركلي: الأعلام، جـ٥، ص١٧٥-١٧٦؛ د.علي بن عبدالعزيز الخضيري: علي بن المقَرِّب العُيُوني حياته وشعره، ص٦٨-٩٨).

الواهب الخَطَر عفواً وهو مقتدر

إذا تعاظم قدر الشاة مُعْطيها

والرَّابِط الجأْشَ والأبْطَالُ قَدْ جفلت[1]

قلوبها بترقى من تشاكيْهَا[2]

والقَائِل القَولَ لَمْ يَخْطُرْ عَلَى خلَدٍ

في حِينِ يَدْعُو المَنَايَا الحُمْرَ داعيها

لسَانُهُ الذَّرْبُ أمضى[3] من أَسِنَّتِها

وَرَأْيُهُ العَضْبُ[4] أَمْضَى من مَوَاضِيها

ذوو السَّيَادَةِ أكْفَاءٌ فإنْ نَظَرَتْ

للبين[5] زال بمرْآهُ تكافيها

إذا المُلُوك تَنَاجَتْ وَهْيَ تَرمُقُهُ

فإنها في معَاليهِ تَنَاجِيْها

لو أَنَّ الهِنْدوانيات[6] عَزْمَتُهُ

لَمْ[7] تُطِقِ الأَغْمَادُ تَحْوِيْها

و على الرغم من أني لم أتمكن من الحصول على ديوان (ابن المقرِّب) فإن هذه الأبيات وردت لدى الخضيري: علي بن المقرِّب العُيُوْني حياته وشعره، ص١٧٧.

(١) وردت في كتاب الخضيري: علي بن المقرب حياته وشعره: (جعلت).

(٢) ورد عجز البيت في كتاب الخضيري :

قُلُوبها تَشْتكي منْها تَرَاقِيها.

(٣) وردت لدى الخضيري: (أقضى).

(٤) العَضْب: القطع، والعَضْب: السيف القاطع. (ابن منظور: لسان العرب،مجـ٢، ص٨٠٢).

(٥) وردت لدى الخضيري: (إليه).

(٦) وردت لدى الخضيري: (للهندوانيات) والكلمة من أسماء السيف إذا عُمل ببلاد الهند وأُحكم عمله فيقال سيف هِنْدُواني. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٣، ص٨٣٧).

(٧) بداية عجز البيت لدى الخضيري :

في الروع لم تطق....

وَلَــوْ يَكُــونُ لِقَــرنِ الــشَّمسِ غُرَّتُــهُ

تاهَــتْ فَلَــمْ يَــسْتَطِعْ شَيءٌ يُــوازِيْها

وَلَــوْ تُقَــسَّمُ في الآسَــادِ نَجْدَتُــهُ

لَمْ يُــضْحِ مَــسْكَنُها إِلاَّ ضَــوَاحِيْها

والبَحْــرَ لَــوْ حَــازَ جُــزءاً مِــن شَــمَائِلِهِ

لَــصَارَ أَعْــذَبَ مــاءً مِــنْ سَــوَارِيها[1]

«١٩أ» وله قصائد وشعر حسن منها القصيدة التي قالها في الدار الحمراء حال اعتقاله يستعطف والده في شأنه، والاحتيال بأي ممكن في إخراجه بصلح أو غيره، أولها قوله[2]:

قــل هــل الهجــر ثابــت والجفــا   قــد تــولى الوصــال ثــم الجفــاء

حتى قال فيها:

فَعَــلامَ المــلامَ عــاذلي دعنــي   أســتطيب البكــاء ممــا الــسلاء

ثم قال:

فــإلى اللهَّ مفزعــي وانتجــاعي   وإليــه اللجــا وفيــه الرجــاء

إن لله بعــد ذا العــسر يــسرين   بــذا للإلــه وَعــدٌ ووفــاءُ

حتى قال:

يــا إمَــامي وَوالــدي ومنــائي[3]   مــن بــه لي علــى الأنــام ازدهَــاءُ

(١) السواري: هي السحب الممطرة ليلاً. (الخضيري: علي بن المقرب العيوني حياته وشعره، ص١٧٧).

(٢) وردت هذه الأبيات الشعرية لدى الجرموزي: النبذة المشيرة، ص٤٢٤.

(٣) وردت في النبذة المشيرة: (واستنادي).

حتى قال:

غـــير أني تولعـــت بي حبـــوس وخطـــوب وهـــت لهـــا الأعـــضاء

أسي الـــضيم والكآبـــة ســـيان[1] ونديمـــــي الـــسهادُ والبُرَحـــاء[2]

إلى آخرها وهي طويلة.

ومنها قصيدة أخرى في حث الإمام على الصلح يقول فيها:

مـــولاي إن الـــصلح أعـــذب مـــوردا

فاســـلك لـــه جـــدداً[3] ســـويّاً أجـــردا

أرســـل دلاء الحلـــم في صـــافيه كـــي

تـــروي ظـــماة المـــسلمين عـــن الـــصَّدَا

واجعـــل رفيـــق القـــسط فيـــه ملجـــأ «١٩ب»

فـــالرفق يمـــنح والـــسماحة مرفـــدا

أفـــشى بـــه حمـــى الحـــروب وزَفرهـــا

في ســـاحة الإســـلام كـــي مـــا تـــبردا

أخمـــد بـــه نـــاراً تـــدف شرارهـــا

وتـــرى الجماجـــم شُـــفَّعاً[4] لا فُـــرَّدا

(١) وردت في النبذة المشيرة: (ساقٍ)، ص٢٢٥.
(٢) البُرَحاء: الشدة والمشقة، وقيل هي: شدة الحُمى. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص١٨٦).
(٣) وردت في النبذة المشيرة: (سبلاً) ص٤١٨.
(٤) الشفع: خلاف الوتر وهو الزوج. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٣٣٣).

أغمـــد بـــه ســـهل البـــلاد وحُزْنهـــا[1]

أســـكن بـــه فتنـــاً تـــذيب الجلمـــدا[2]

أغمـض عـلى أقـذا[3] العيـون بـصالح

تجـــزاه في الـــدنيا وفي يـــوم النـــداء

شـــاور ذوي الأحـــلام واصـــغ إلـــيهم

مـــا تعـــد مـــا إذا تـــشاور مرشـــدا

فالـــصلح فيـــه للأنـــام صـــلاحه

والحـــرب أوهـــى ذا الأنـــام وأفـــسدا

حتى قال:

هـــذه عـــصا الإســـلام فـــاجبر شقهـــا

بجبـــائر الإصـــلاح كـــي مـــا تـــُحمدا

ســـكّن رحـــاء الحـــرب واغـــنم وقتـــه

يظفـــرك شـــداً بالـــمرام معـــددا

واعمـــل بقـــول النـــصح فـــيما قلتـــه

واعرض عـــن الأعـــذال[4] تغـد مُسعدا

واســـتكرم المـــولى الـــوزير[5] فإنـــه

للـــشكر مـــا في سواحـــه لـــترددا

(١) الحَزْن: الجبل، جمعه حُزن وهو عكس السهل. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٦٢٧-٦٢٨).
(٢) الجلْمد: الصخر.
(٣) أقذاء: جمع قذى: ما يقع في العين من وسخ، وما ترمي به. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٣، ص٤١).
(٤) وردت في النبذة المشيرة: (العذال) ص٤١٩.
(٥) يقصد به الوالي العثماني جعفر باشا، حيث كان الحسن بن القاسم قد أُسر في عهده.

فلــه جنــاب لا لــضــعف مُــسَهَّــلٌ

للمـــستكين إذا ابتـــدا منـــه النـــدا

ولــه جنــاب لا يـــرام صعـــوده

صــعب القيــاد لمْــن أتــاه تجلــدا

وتــرى لــه الــصعب الــذلول[1] مــذللاً

ولــه عــوالي الــشهب خــرت سـجدا

اختـــاره الــسلطان مــن أقيالـــه

يُمنــا لــذى يمــنِ يَمُــن فيُجتــدى

ورآه أهــــلاً للـــــوزارة فيـهــــم

فبـــزين ملبــسها تـــأزَّر وارتـــدى

فبنـــى لـــه مجـــداً رفيعـــاً ســمكه

يعلــو بــه زلفــاً تــسامي الفرقــدا[2]

إلى آخرها وهي طويله[3].

«٢٠أ» وفي كتاب كتبه السيد أحمد الشرفي[4] جواباً على شرف الإسلام الحسن بن القاسم يقول فيه: وبعد فوصل كتابكم وهو الثاني الذي هو جواب على الكتاب الأول، الذي أجبت به عليكم، وذكرتم ما اقتضاه الحال من الحاجة إلى الأمور الجُمليَّة وبعض التفصيليَّة، وعاد المطلوب من القصد كما كان، ووصل كتابكم وأنا في مَعْمَرة[5] والأمور

(١) وردت في النبذة الشيرة: (الشرود) ص٤١٩.

(٢) الفرقد: نجم في السماء لايغرب. وقيل هو كوكب قريب من الأرض. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢،ص١٠٨٨).

(٣) عندما وصلت هذه القصيدة التي انشأها الحسن بن القاسم وهو في السجن إلى والده الإمام القاسم أمر العلاَّمة الأديب علي بن محمد بن سلامة بالجواب عليها، فأجاب بقصيدة همزية مثلها، طويلة تتألف من ستة وسبعين بيتاً مطلعها-:

أرقتني حمامة وَرقَاءُ   إذ تغنَّت وقد دَجَا الظلماءُ

(الجرموزي: النبذة المشيرة، ص٤٢٥).

(٤) أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي. عالم ومؤرخ وشاعر. ولد سنة ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م. ترجم له المؤرخ في (ق٨٣أ) من هذه المخطوطة عند وفاته؛ وترجم له في المستطاب، ص٢٧٠؛ كما ترجم له الشوكاني في البدر الطالع،جـ١، ص١١٩).

(٥) مَعْمَرة: هجرة عامرة من أشهر هجر الأهنوم، وأقدمها، وتقع في بني عوف في الجنوب الغربي من (المدان). كما أنها تقع في الغرب من =

الجمليَّة ما أظن المولى أيده اللهً يمنع منها؛ لأنها مصالح للمسلمين إن شاء اللهً، إلاَّ حيث يكون في شيء نقض لما أُبرم، وذلك مما لا يقع فيه اختلاف إن شاء اللهً. وأما الأمور التفصيلية فلا أدري ما أقول في ذلك، ولا من أين جاءت هذه المنافسة والمضايقة من كلا الطرفين، وأنت -أمتع اللهً بك- كريم الأبوين، جدك أبو أمك[١] زاهد زمانه، كان قُوْته في كيسه بالميزان عونة[٢] واحدة في اليوم، فرَّغ نفسه لعبادة اللهً في المساجد الخالية، ورفض الدنيا، وبَعُد عن أهلها حتى عن أهله وأولاده «٢٠ب» فكان يؤتى في بعض الأحوال بقوته من كُوّة[٣] في المسجد لا تسع غير الإناء الصغير، وقد كان قام بالحسبة[٤] لما قال له أهل الشَرَف الأسفل[٥]: إن مرجان شاوش[٦] وعسكر غوث الدين[٧] دخلوا على الشرايف[٨] في بلاد بَوْسان[٩] وغيره، وفعلوا وفعلوا، فقام بالحسبة هو والسيد علي بن

شهارة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن،مجـ١، جـ١، ص٩٥؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم ومعاقله، جـ٤، ص٢٠٨٤).

(١) هو السيد علي بن إبراهيم العابد بن علي بن محمد بن صلاح بن أحمد، غلب عليه اسم العابد، لكثرة عبادته. رحل لطلب العلم إلى بيت الفقيه. واستمر في آخر عمره على تدريس العلم بهجرة كحلان حتى توفي سنة ٩٨٣هـ/ ١٥٧٥م (للمزيد عنه انظر الشرفي: اللآلي المضيئة، جـ٣، ص١٢٢-١٢٤؛ يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٤٤٦؛ أبو الرجال: مطلع البدور، جـ٣، ص١٢٩-١٣٠).

(٢) أي: وجبة واحدة.

(٣) الكُوّة: نافذة صغيرة في حائط المسجد.

(٤) المحتسب: من يقوم بالأمر بالمعروف بلسانه دون سيفه، وسد الثغور، وتجييش الجيوش للدفع عن المسلمين، وحفظ ضعيفهم، وحفظ الأوقاف، وتفقد المناهل والمساجد والسبل، والمنع من التظالم. ويجب على المحتسب أن ينعزل عند ظهور الإمام، لأن الإمامة رئاسة لشخص، كما يجوز قيام جماعة محتسبين في وقت واحد، واشترط بعضهم أنه لابد من تباين الديار. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم ومعاقله،جـ١، هامش ص٢٩١).

(٥) الشَرَف: بلاد متسعة تقع شمال غرب صنعاء، وبها الجبال الشامخة والعديد من الحصون. وتنقسم إلى الشرف الأعلى والشرف الأسفل. (زبارة: نزهة النظر،جـ١، هامش ص١٦٣).

(٦) مرجان شاوش: هو عبد كان متولياً لجهات الشرف من قبل غوث الدين بن المطهر بن الإمام شرف الدين. (الشرفي: اللآلي المضيئة، جـ٣، ص١٢٢).

(٧) هو غوث الدين بن المطهر بن شرف الدين: سكن مدوم، وكان هو وإخوته من المناوئين للحكم العثماني في اليمن. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم،جـ٤، ص٢٠٠٠).

(٨) الشرايف: جمع شريفة، وتطلق على المرأة التي تُنسب إلى البيت الهاشمي.

(٩) بَوْسَان: قرية من بلاد أرحب، وأخرى في مخلاف العابسية من ناحية الحدا، تقع في الشمال الشرقي من ذمار، ولعل الثانية =

إبراهيم[١] صاحب الجاهلي[٢] وقام معهم قبائل الشرف الأسفل، وقاتلوا مرجان شاوش وعسكر غوث الدين في موضع يسمى جبل الفايش فوق بني جِلّ[٣] وتحت المحابِشَة[٤] فانهزم القبائل، ولم يصدقوا، وقُتل منهم جماعة، ولا همة لهم في نصرة الدين، إنما همتهم إزالة مطالب الدولة، وظلمهم لمن استضعفوه منهم أكثر من ظلم الدولة ، فلما عرف ذلك منهم رفضهم بالكليّة، واعتزلهم اعتزالاً كلياً، ولم ينله من الدولة الذين حاربهم مكروه خوفاً لجانبه[٥]، وكان كما قيل:

يَدَعُ الجواب وَلاَ يُراجَع هَيْبَة ... والحاضرون نواكس الأذقان
أَدَبُ الوقَار وعِزُّ سُلطان التُقَى ... فهو المُطاع وليس ذا سُلْطَان

فبقي رحمه اللهّ يتردد في المساجد للعبادة حتى مات رحمه اللهّ وهو يتلو سورة (يس). وأبوك[٦] من قد عرف البأس، جمع اللهّ له فضيلة السبق والزُّهد «٢١أ» فجمع العلم والعمل ببركات تأثيره طاعة اللهّ، ورفض هوى نفسه، والزهد في الدنيا فكان أزهد أهل

هي المقصودة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١٢٩).

(١) هو علي بن إبراهيم بن علي بن المهدي بن صلاح، ويلقب بالعالم الشرفي (٩٣٠-١٠٠٦هـ/ ١٥٢٣-١٥٩٧م) هاجر إلى صنعاء لطلب العلم، وأخذ عن محمد بن عبداللهّ راوع وغيره. كان من العلماء المعروفين بالفضل، وهو أحد مشائخ الإمام القاسم بن محمد. (أبو الرجال: مطلع البدور، جـ٣، ص١٢٥-١٢٨؛ يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٤٤٥-٤٤٦).

(٢) الجاهِلي: هجرة عامرة من ناحية الشَّاهل من الشرف الأسفل من قضاء الشرفين وأعمال حجَّة، وتدعى اليوم (هجرة الشاهل) وهي مركز الناحية. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم ومعاقله، جـ١، ص٢٩١).

(٣) بنو جِلّ: عزلة بناحية قفل شمر، بمحافظة حجة. (الجمهورية العربية اليمنية: الجهاز المركزي للتخطيط، التعداد السكاني لعام ١٩٨٦م محافظة حجه،١٣٨).

(٤) المحابشة: بلدة معروفة، وهي مركز قضاء الشرفين (الشرف الأعلى والشرف الأسفل) وتعد من أعمال لواء حَجَّة، تقع في الشمال منها على بعد سبعين كيلو متراً. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم ومعاقله،جـ٤، ص١٩٤١؛ المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص٥٨٦).

(٥) للمزيد عما حدث بين علي العابد وعلي بن إبراهيم وبين قبائل الشرف انظر الشرفي: اللآلي المضيئة، جـ٣، ص١٢٢-١٢٤؛ يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ٢، ص٧٤٦-٧٤٧؛ أبو الرجال: مطلع البدور، جـ٣، ص١٢٥-١٢٨).

(٦) أي الإمام القاسم بن محمد.

زمانه، وأفضل أهل عصره[1] فكان يُؤثِر بالدنيا من يرجو نفعه أو كف ضرره عن الإسلام والمسلمين، ولم ينل من البسطة مثل ما نلتم، وأنتم قد مكنكم اللهّ سبحانه من البلاد، وأنتم وما نلتم من هذه الحالة الجليلة من حسنات والدكم قدّس اللهّ روحه، وحسّن نيته، فلا تجعلوا شكر هذه النعمة الجليلة منافسة ومحاسدة من كلا الطرفين. (إذا لم يكن صاحبك فكن أنت):

أساء ولم أجزه عامر فعاد لحلمي به محسناً

ولا تجعلوا للعدو والعياذ باللهّ فرصة في وهنكم ووهن المسلمين، ولا للناس طريقاً في القيل والقال «٢١ب» والزهد فيكم، وابنوا لأنفسكم جميعاً ذكراً حسناً يبقى بعدكم، تُذكرون به، وتُمدحون عليه، وإنما المرء حديث بعده، فكن حديثاً حسناً لمن وعى، واصرفوا همتكم إلى إعلاء كلمة الدين. واذكروا قول الفقيه أحمد بن قاسم الشامي[2] حين تعارض المطهر بن محمد بن سليمان[3] والإمام صلاح[4] وعارضهم الناصر[5] بغير

---

(١) وردت في الأصل: (عصر).

(٢) أحمد بن قاسم الشامي: كان من العلماء الفضلاء المصنفين. عاصر آخر مدة الإمام الناصر وولده علي بن صلاح، وامتد عمره إلى زمن المتوكل على اللهّ المطهر بن محمد بن سليمان وصلاح بن علي بن أبي القاسم في القرن التاسع الهجري. كان يحث على قتال الباطنية، ومات وهو مثاغر لهم في جبل بحيح. (يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٣٣٤-٣٣٧).

(٣) الإمام المتوكل على اللهّ المطهر بن محمد بن سليمان بن يحيى الحمزي الحسني. كان عالماً كبيراً، أخذ العلم عن الإمام المهدي أحمد بن يحيى وعن غيره. دعا لنفسه سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م. وعارضه المهدي صلاح بن علي، وعارضهما معاً الناصر بن محمد بن الناصر، الذي انتصر على صاحب الترجمة، وأسر المطهر، وسجنه في غرب ذمار، غير أنه فر من السجن. وما زالت أحواله مختلفة تارة تقوى، وتارة تضعف إلى أن مات سنة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م. له مؤلفات، منها: (الإرشاد) و(انقضاء الوطر في مدح سيد البشر) و(سلك العقد الثمين من اللؤلؤ والمرجان الجامع لما وجد) ومنظومة طويلة في فنون الحرب. (د.حسين العمري: مصادر التراث اليمني، ص٢٢٦؛ عبداللهّ الحبشي: مصادر الفكر، ص٥٩٦

(٤) الإمام المهدي صلاح بن علي بن أبي القاسم. تولى الإمامة سنة ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م. أسره الإمام الناصر بن محمد، وسجن بصنعاء حتى وفاته سنة ٨٤٩هـ/ ١٤٤٥م. من مؤلفاته: (النجم الثاقب شرح كافية ابن الحاجب). (عبداللهّ الحبشي: مصادر الفكر، ص٥٩٥).

(٥) الإمام المنصور باللهّ الناصر بن محمد بن الناصر بن أحمد بن الإمام المتوكل على اللهّ المطهر بن يحيى بن الحسين. دعا لنفسه سنة ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م. جرت بينه وبين آل طاهر وغيرهم من ملوك زمنه حروب آلت إلى أسره سنة ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م. وحبسه الإمام المطهر بن محمد بن سليمان في كوكبان حتى مات سنة٨٦٧هـ/ ١٤٦٢م. (زبارة: ملحق البدر الطالع،ص٢٢٢).

علم يصل به إلى حيث وصلوا حيث يقول:

هــــلا ســــألت مطهـــراً وصـــلاحا

هـــل حـــصّلا للمـــسلمين صـــلاحا

والسلام ورحمة اللهّ. انتهى جواب السيد أحمد بن صلاح الشرفي على شرف الإسلام الحسن بن الإمام القاسم. وهذا يدل أنه وقع بين شرف الإسلام وبين صنوه الإمام محمد بن الإمام القاسم اختلاف أنظار فلا قوة إلا باللهّ العلي العظيم. «٢٢أ» وكان بهجة الزمان وملك رفيع الشأن. وما أحقه بقول البهاء زهير(١):

كـم مـات قـوم ومـا ماتـت مكـارمهم

وعـاش قـوم وهـم في النـاس أمـوات

مــوت الكــرام حيــاة في مواطنهـــم

وإن تظنونهـــم مـــاتوا فـــما مـــاتوا(٢)

وقول الآخر:

مليــك عــلى الــدنيا بطلعــة وجهــه جمـــال وإجـــلال وعـــز مؤبَّـــدُ

وكان له همة عالية، وعزيمة سامية، كأنه نار توقد، لا يكاد يستقر في بلد، ولا يمل عن الأسفار والحروب والعدد. وكان كثير الإنفاق مع الإقبال، فلذلك أحبَّته الرجال، وانخرط في طاعته واتِّباعه الأبطال، لأن [القلوب جَبُلت على حب من أحسن إليها](٣).

---

(١) هو: أبوالفضل بهاءالدين، زهير بن محمد بن علي المهلبي العتكي (٥٨١-٦٥٦هـ/ ١١٨٦-١٢٥٨م) ولد بمكة، وجاء إلى مصر إبان حكم الدولة الأيوبية. كان معاصراً للمؤرخ ابن خلكان، له ديوان شعر، ترجمه نظماً المستشرق الإنجليزي (بالمر) وطبعه في كمبردج عام ١٨٧٦ في مجلدين. (ديوان البهاء زهير: مقدمة، ص٨-٩، بقلم: محمد طاهر الجبلاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم؛ أحمد عطيةاللهّ: القاموس الإسلامي، جـ١، ص٣٧٦).

(٢) لم أجد هذين البيتين في ديوان البهاء زهير السابق ذكره.

(٣) ورد هذا الحديث في: المتقى الهندي: كنز العمال، مجـ١٦، ص١١٥؛ الشوكاني: الفوائد المجموعة، ص٨٢. ولفظه: (جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها).

وفيها مات السيد الشريف عيسى بن لطف اللهّ بن مطهر بن الإمام شرف الدين بصنعاء اليمن عقب دخوله إليها، ورجوعه من جهة اليمن[١] كان دخوله صنعاء عند ساعة توخّاها، وتوقف حتى يدخل اختيارها خارجها[٢] وكان قد شرع به المرض حال دخولها بعد أن كان بذَمَار[٣] (في)[٤] حضرة محمد بن الحسن، ثم قضى اللهّ وفاته عقب ذلك. وكان المذكور أديباً، محاضراً، شاعراً، مؤرخاً، كثير النوادر والعجائب. وله التاريخ المشهور[٥] من رأس المائة التاسعة إلى زمانه، ذكر دولة بني طاهر[٦] وزوالها، وذكر دولة جده الإمام شرف الدين[٧] والمطهر بن شرف الدين[٨] ودولة السلطنة جميعاً، وله تاريخ مفرد[٩] يخص محمد باشا لأجل مزيد أنسه به، واختلاطه وإنعامه عليه. وكان المذكور له

(١) جهة اليمن: تطلق كلمة اليمن وأوجهة اليمن على الجهات الجنوبية من اليمن، وتتكرر كثيراً.

(٢) يقصد بذلك أن عيسى بن لطف اللهّ توقف خارج صنعاء حتى حان الموعد الذي اختاره لدخولها.

(٣) ذَمَار: مدينة تقع جنوب صنعاء على بعد ١٠٠ كيلومتر منها، وهي مركز محافظة ذمار. كانت أحد مراكز العلم والثقافة العربية والإسلامية في اليمن. (الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤٧٢).

(٤) أضفناها ليستقم المعنى.

(٥) يقصد بذلك كتابه: (روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح) وهو جزآن، وصل إلى سنة ١٠٢٩هـ/ ١٦١٩م. أما الجزء الثالث فهو من تأليف ابنه، الذي ألفه بمعرفة أبيه وبإذنه حتى وفاة عيسى بن لطف اللهّ، ثم أكمله الابن حتى أحداث ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م. وقد نشرت وزارة الإعلام الجزأين الأول والثاني من الكتاب. ونال الدكتور محمد عيسى صالحية درجة الدكتوراة في دراسته وتحقيقه، لكنه لم يُنشر.

(٦) دولة بني طاهر: (٨٥٨-٩٢٣هـ/ ١٤٥٤-١٥١٧م) تنسب هذه الدولة إلى مؤسسيها عامر وعلي ابني طاهر ابن معوضة، وذلك بعد سقوط الدولة الرسولية. لعبت هذه الدولة دوراً بارزاً في تاريخ اليمن الحديث، خاصة في عصر سلطانها (عامر بن عبدالوهاب) (د. سيد سالم: الفتح العثماني، ص٥٠-١٠٩).

(٧) هو الإمام المتوكل على اللهّ شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (٨٧٧-٩٦٥هـ/ ١٤٧٢-١٥٥٧م) دعا لنفسه بالإمامة سنة ٩١٢هـ/ ١٥٠٦م بالظفير. واصطدم بالقوىالزيدية الأخرى في شمال اليمن، كما اصطدم بالطاهريين في الجنوب، ودخل في صراع مع العثمانيين، وبسط سيطرته على معظم أجزاء اليمن. ثم حصل بينه وبين ابنه المطهر خلاف لأسباب مشروحة في سيرته كانت من أعظم أسباب استيلاء العثمانيين على كثير من جهات اليمن. له مؤلفات من أشهرها كتابه (الأثمار في فقه الأئمة الأطهار) (محمد بن إبراهيم المفضل: السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية اليحيوية، ق١٠٦، ٢٢٦،٢١٨؛ د.سيد سالم: الفتح العثماني، ص١٣٢ وما بعدها).

(٨) هو المطهر بن الإمام شرف الدين، اشتهر بحروبه مع العثمانيين في الفتح العثماني الأول نال منهم ونالوا منه إلى أن توفي سنة ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م. (الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص٣٠٩-٣١٠. (للمزيد عن حروبه مع العثمانيين وخلافه مع أبيه انظر د. سيد سالم:الفتح العثماني الأول لليمن).

(٩) اسم الكتاب (النفحة اليمنية في الدولة المحمدية) (إسماعيل الأكوع: هجر العلم ومعاقله، جـ٤، ص١٨٧٣-١٨٧٤).

معرفة بعلم النجوم والفلك، وأحكامها، وتسيير كواكبها. وله قصائد في مدح محمد باشا، وله أيضاً جمع ما وجده من أشعار محمد بن عبدالله بن الإمام شرف الدين[1] في مجلد، وقال: إنه جمعها من أوراق متفرقة ومما حفظه عنه مشافهة، وما رواه غيره له من الأشعار الحُمَيْنِيَّة[2] وغيرها. «٢٢ب» فكان مُصَنَّفا حسنا لأنه تضمن الجمع لأشعاره وتاريخ أصل مقتضياته وأسبابه، فأفاد بذلك؛ قال في أوله: وبعد فيقول الفقير إلى الله تعالى عيسى بن لطف الله: إني لما فرغت من تدوين ما وجدته، وظفرت به من شعر سيدي محمد بن عبدالله بن الإمام شرف الدين، وقضيت في ذلك ديني، أردت[3] أجعل ختامه الموشح المعروف عند الناس بالحُمَيْنِي، وهو من النظم الذي ولع به المتأخرون، ولم يسبق إليه الأولون[4] له بحور مختلفة، ومعان لطيفة مؤتلفة. أول من ظهرت فيه حجته واتضحت محجته في الديار اليمنية الفقيه شهاب الدين أحمد فُليته[5] ثم الفقيه فخر الدين عبدالله بن أبي بكر المزاح[6] وكلاهما كانا في الدولة الغسانية[7]، ثم الفقيه إمام الطريقة

(١) يقصد به (ديوان شعر) محمد بن شرف الدين (الحميني) الذي يحمل عنوان (مبيتات وموشحات). وهو مطبوع. كما قام بجمع (ديوان شعر) محمد بن شرف الدين (المُعْرَب) أو ما يعرف بالحِكَمي، وعنوانه (الروض المرهوم والدر المنظوم). وهو مطبوع أيضاً .

(٢) يطلق في اليمن على الشعر الذي لا يلتزم بقواعد اللغة الفصحى ومفرداتها وعروضها بالشعر (الحُمَيْنِيّ). ولا يُعرف متى استعملت هذه الكلمة بهذا المعنى لأول مرة، ولم تُعرف خارج اليمن إلا في الأيام الأخيرة، وفي أوساط المشتغلين بالأدب اليمني فحسب. (محمد عبده غانم :شعر الغناء الصنعاني، ص٤١).

(٣) وردت في الديوان: (أن أجعل) وهي الأصح.

(٤) يناقض الأديب أحمد الشامي ما ذكره عيسى بن لطف الله قائلاً: إن أُدباء اليمن قد عرفوا (الشعر الحميني) قبل الزمن الذي حدده عيسى بن لطف الله. واستند الشامي إلى نصوص حُمينية قديمة. (للمزيد أنظر. أحمد الشامي: تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي، ج٤، ص١٣٥ ومابعده).

(٥) أحمد بن محمد بن علي بن فليته (ت٧٣١هـ/ ١٣٣١م) أبوالعباس شهاب الدين بن فليته الحكمي. كاتب الإنشاء في الدولة الرسولية. كان في زمن الملك (المجاهد بن على داود). وكان يكثر من نظم الشعر (الحميني) من مؤلفاته (رشد اللبيب إلى معاشرة الحبيب) و (سوق الفواكه ونزهة المتفاكه) و (ديوان شعره) وغيرها. (الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٦٣).

(٦) عبدالله بن أبي بكر المزاح: كان من فصحاء اليمن وشعرائها. وله يد كبيرة، ومقدرة فائقة على نظم الشعر الحميني. توفي سنة ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م. له ديوان شعر. (عبدالله الحبشي: مصادر الفكر، ص٣٢٦).

(٧) الدولة الغسانية: نسبة إلى الغساسنة المعروفين تاريخياً، وهم الذين تُنسب إليهم الدولة الرسولية التي قامت باليمن منذ الربع الأول من القرن السابع الهجري (الرابع عشر الميلادي) تُنسب إلى علي بن رسول الذي وطد سلطانه في أكثر أنحاء اليمن. وانتهت الدولة الرسولية باستيلاء بني طاهر على اليمن، وخرج آخر بني رسول منفياً إلى مكة عام =

وشيخ الحقيقة عبدالرحمن بن إبراهيم العلوي[١] فهو ممن أبدى في هذا الروض ما أبدى. وكان في زمن عامر بن عبدالوهاب[٢] وأدرك دولة الإمام شرف الدين، وله فيه وفي ولده المطهر مدائح[٣].

قال السيد عيسى بن لطف اللهّ مصنف ديوان محمد بن عبداللهّ المذكور: واعلم أنه لم يذهب في تَغَزُّله في هذه القصائد المذكورة إلى ما يذهب إليه أرباب التصوف من الكنايات بالمحبوب[٤] عن الصفات الإلهية والسمات النبوية كما ورد في أشعار عبدالرحمن العلوي ومن سلك مسلكه، فإن أكثر توشيحاتهم وغزلياتهم «٢٣أ» معانيها جميعاً كنايات وليست في محبوب مُعيَّن، وإنما جعلها إشارات لمعاني المحبة المعروفة عند أهل الطريقة[٥] وذلك ظاهر ليس فيه شك ولا إلباس، بخلاف سيدي محمد فإنه لم يَنْظُم من هذه القصائد الحمينيات وغيرها من الغزليات إلا في محبوب معيَّن، فإن وصف وصفاً[٦] وتلاق فهو كما وصف إلى آخر كلامه[٧]، ثم ساق أشعاره في ديوانه هذا بعد جمع السيد عيسى له. وكان السيد مع هذه الغزليات عفيفاً، فإنه ذكر قصة

٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م وتعد الدولة الرسولية من أزهى الدول اليمنية أواخر العصور الوسطى. (للمزيد انظر على الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية؛ يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ٢، ص٥٨٥)

(١) هو عبدالرحمن بن إبراهيم بن إسماعيل العلوي. من أدباء اليمن وشعرائها. لقي السخاوي بمكة فأخذ عنه بعض كتب الحديث، ثم عاد إلى اليمن، وامتدح السلطان عامر بن عبدالوهاب. له ديوان أغلبه في الشعر الحميني. (عبداللهّ الحبشي: مصادر الفكر، ص٣٢٧-٣٢٨).

(٢) هو السلطان عامر بن عبدالوهاب بن داود بن طاهر (٨٦٦-٩٢٣هـ/ ١٤٦١-١٥١٧م) آخر ملوك الدولة الطاهرية ويعتبر من أبرز شخصيات الأسرة الطاهرية. امتد حكمه من صعدة وجيزان شمالاً إلى عدن وحضرموت جنوباً، ثم دخل في صراع مع المماليك، انتهىالأمر بمقتله واحتلال المماليك لصنعاء.

وقد اهتم بالناحية العمرانية في اليمن بالإضافة إلى تقريب العلماء إليه واقتناء الكتب العلمية النفيسة. (د.سيد =سالم: الفتح العثماني، ص٥٠-١٠٩؛ وللمزيد عن عامر بن عبدالوهاب انظر ابن الديبع الفضل المزيد على بغيه المستفيد في أخبار مدينة زبيد).

(٣) كتب المؤرخ في الحاشية تحت عنوان الشعر الحميني ما يلي: (وكان لا يحسن له في الحميني، ويقال إن سبب قوله له، أنه رأى الفقيه عبداللهّ المزاح في المنام، وأنه دفع إليه ديوانه، فلم يستيقظ من نومه حتى أنشأ قوله:

اللهّ يعلم يا غزال أني عليك سهران باكي العين.

أفردها السيد عيسى في الديوان).

(٤) وردت في ديوان مبيتات وموشحات، ص١٠: (عن المحبوب بالصفات الإلهية).

(٥) أي المتصوفة.

(٦) وردت في الديوان، ص١١: (فإن وصف وصلاً وفراقاً).

(٧) ما سبق ورد في المقدمة التي كتبها عيسى بن لطف اللهّ في ديوان محمد بن عبداللهّ شرف الدين (مبيتات وموشحات) ص٩-١١.

بعض الإماء، له جارية تُسمى غزال[1] كان يحبها غاية المحبة، فذكرت له مرة أنها قد كان اشتراها مشترٍ، وأولدت[2] له ولداً، ثم إن سيدها غاب عنها فخرجت من بلدها، ثـم انتهبـت وبيعـت، فتكدَّر السيد من ذلك، ومنع نفسه منها، وصادقها في قولها، وإلا فهو لا يقبـل قولهـا عليـه، لأن اليد له في ملكها، كما أفتاه بذلك الفقيه محمد الشكايذي[3] لّما سأله. فاحتجبـت عنـه بـأمره، مـع شدة محبته لها ومحبتها له، وبقي في حالة عظيمة من شدة الفراق لها حتى بحث عن ذلـك، وعـن حقيقة ما هنالك من بلد سيدها ذلك، فظهر بعـد مـدة أنهـا هربـت إلى بلادهـا، وأنهـا ارتـدت فانتُهبت من بعد الردة، من بعد أن منع نفسه عنها، ولم يقربها تديناً منه. وكـان الـسيد محمـد بـن عبدالله بن شرف الدين المذكور قد رجع إلى مذهب أهل السنة، كما رأيته له بخطه وأنه رجع عما كان عليه «٢٣ب» من قبل. وله جواب عـلى الإمـام القاسـم بـن محمـد في قـصيدته الداليـة في الصوفية ونسبتهم إلى الحلُول[4] فأجابه السيد محمد بن عبدالله المذكور بقصيدته المـشهورة التـي منها قوله[5]:

ولقـــد قـــدحت عـــلى جميـــع القـــوم مـــن
أهـــل التـــصوف في[6] الطريـــق الأقـــصد
بـــــالرقص طـــــوراً والحلـــــول وتـــــارة
بالاتحـــــاد رميـــــت رمـــــي متعمـــــد[7]

(١) ذكر عيسى بن لطف الله قصة الجارية بتوسع في ديوان مبيتات وموشحات، ص١٠٥-١٠٨، وكذلك الأشعار التي قالها محمد بن شرف الدين في هذه الجارية، ص١٠٨-١٠٩.

(٢) أي أنجبت.

(٣) هو القاضي العلامة محمد بن علي الشكايذي الذماري. كان عالماً ورعاً تقياً، وكان يسكن مسجد أبي الروم بصنعاء. أخذ عنه القاضي إبراهيم بن يحيى السحولي وغيره من العلماء. وبعد قصيدته المتـضمنة تحـريض اليمنيـين عـلى إعانـة الإمـام القاسم بن محمد في حروبه ضد العثمانيين سَمّه العثمانيون، فمات بصنعاء سنة ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٧م. (يحيـى بـن الحسين: المستطاب، ص٥٠٥؛ الشوكاني: البدر الطالع،جـ٢، ص٢٠٤).

(٤) الحِلُول: نظرية نادى بها المتصوفون المتطرفون، خلاصتها الاعتقاد بأن الله حالّ في كل شيء حتى ليصح أن يطلـق اسـمه على كل الموجودات. ولهذه النظرية مظهر معتدل اتضح من آثار عدد من الأُدباء المعاصرين، الذين قالوا بحلـول الخـالق في جميع الكائنات، ومنها ذواتهم، وانطلقوا من هذا المبدأ لينظروا إلى كل ما في العالم نظرة عطف ومحبة. (جبور عبدالنور: المعجم الأدبي، ص٩٩).

(٥) وردت هذه القصيدة في: ديوان محمد شرف الدين: الروض المرهوم والدر المنظوم، ص٢٤١-٢٤٢.

(٦) وردت في الديوان: (والطريق).

(٧) وردت في الديوان: (تعمد).

وأولــو الحلــول والاتحــاد ســـواهم

لا يـــستوي هـــاو و[1]هـــاد مرشـــد

والزمـــر مـــا قـــام الـــدليل بحظـــره

بـــل للكراهـــة في الأدلـــة فاقـــصد[2]

وهي طويلة[3].

وكانت وفاته في جمادى الأولى سنة عشر وألف[4] بالذَّنوب[5] من جهة حَجَّة رحمه اللهَّ تعالى.

وفيها مات القاضي العلامة عبدالهادي بن أحمد الثلائي الملقب الحَسُوسَة الحاكم بمدينة صنعاء بالشريعة، وكان شيخ علم الكلام على رأي المعتزلة البهشمية[6] أخذ عليه في هذا العلم جماعة: مثل القاضي إبراهيم السحولي[7] والقاضي أحمد بن صالح العنسي، وغيرهما، وانتصب بعده للقضاء بولاية المؤيدباللهَّ محمد بن القاسم القاضي إبراهيم السحولي، وتولى معه الخطبة للجمعة بصنعاء.

وفيها أو التي قبلها مات القاضي عبد اللهَّ بن حسن البِشَاري العذري[8]، كان شاعراً له قصائد كثيرة في شرف الإسلام الحسن وغيره، جمعها في ديوانه.

---

(١) وردت في الديوان: (بهادٍ).

(٢) ورد البيت في الديوان كما يلي :

والزم ما قال الدليل بحظره بل بالكراهة للأدلة فارتدي.

(٣) تتألف القصيدة من ١٥١ بيتاً.

(٤) جمادى الأولى سنة ١٠١٠هـ= اكتوبر/ نوفمبر سنة ١٦٠١م.

(٥) الذَّنوب: قرية عامرة، كانت تدعى الذنائب، وتقع في الشمال من حصن مبْيَن على مسافة كيلومترين تقريباً، وهي من ناحية مبين وأعمال حجة. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم ومعاقله، جـ٢، ص٧٢٢).

(٦) البهشمية: فرقة من فرق المعتزلة، وهم أتباع أبي علي محمد بن عبدالوهاب الجبائي وابنه أبي هاشم عبدالسلام، وهما من معتزلة البصرة. (الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، جـ١، ص٧٨-٧٩).

(٧) ترجم المؤرخ لإبراهيم السحولي ترجمة مطولة، (ق١٢٤أ-١٢٤ب) من هذه المخطوطة، عند وفاته؛ وترجم له أيضاً في المستطاب، ص٢٦٥؛ كما ترجم له الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص٩٧.

(٨) ترجم له إسماعيل الأكوع في: هجر العلم، جـ٣، ص١٦٩٣؛ وعبداللهَّ الحبشي في: مصادر الفكر، ص٣٣٣ نقلاً من مخطوطة (بهجة الزمن) التي تعنى الدراسة بتحقيقها دون إضافة إي جديد.

ودخلت سنة تسع وأربعين وألف(١)

فيها كان زحل بالحوت. واستقر عزالدين محمد بن الحسن بن القاسم بذَمار بأكثر أعيان والده من الخيل والرجل، ومال إليه الرؤساء والأعيان الذين كانوا مع والده، وما زال مجتهداً في التقريب لهم، والبذل والاستمالة والعطاء، كل ذلك لأجل حفظ مملكة والده، ولأجل لا تزول الرئاسة عن يده. وتأهل(٢) ببنت الأمير سنبل(٣) بذمار، وسكن بدار الأمير سنبل فيه، ومد يده بالآداب(٤)، وفتح بابه للشكاة من اليمن، وجعل الآداب أرزاقاً للأجناد مع ما يوفيّهم من عنده. «٢٤أ» وصنوه أحمد بن الحسن استقر بحصن ذِمَرْمَر(٥) والغراس.

وفي شهر ربيع الآخر منها أطّلع السيد العارف أحمد بن صلاح الشرفي على (تاريخ الجندي)(٦) ورأى فيه ذكر ما جرى من المناظرة بين القاضي جعفر بن عبدالسلام(٧) وبين سيف السنة تلميذ الشيخ يحيى العمراني(٨) وما ذكره الجندي أنه أجاب

---

(١) ١٠٤٩هـ = ١٦٣٩م

(٢) أي تزوج.

(٣) الأمير سنبل: كان من أعظم وأشهر القادة في الجيش العثماني. وقد قرر الانضمام إلى الإمام المؤيد بعد المعاملة السيئة من قبل حيدر باشا، فأرسل إلى الحسن بن القاسم خطاباً يعلن فيه طاعته للإمام المؤيد، ويطلب لنفسه الأمان منه، فرحب الحسن بذلك وعينه حاكماً على ذمار. (حياة البسام: الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم في اليمن، ص٨٠).

(٤) الآداب: تعني الغرامات المالية، حيث كان الولاة والحكام يفرضوها على القبائل لمعاقبتها إذا صدر منها أي عصيان لأوامر الدولة.

(٥) ذي مَرمَر: حصن مشهور، وهو إلى الشمال الشرقي من صنعاء على مسافة ٢٥كيلومتراً. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، هجر، ص٧٨٨-٧٨٩).

(٦) هو القاضي أبي عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الجندي السكسكي الكندي. وتاريخه هو: السلوك في طبقات العلماء والملوك. ذكر فيه المناظرة التي جرت بين القاضي جعفر بن عبدالسلام وبين تلميذ الشيخ يحيى العمراني وذلك في الجزء الأول، ص٣٩٩-٤٠٢.

(٧) القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام (ت٧٣ أو ٥٧٦هـ/ عاش معاصراً للإمام أحمد بن سليمان وكان من أنصاره. وكان عالماً ومحدثا كبيراً. له مؤلفات كثيرة منها: (النكت) و(الجمل) و (نظام الفوائد) و (إبانة المناهج في نصيحة الخوارج) وغيرها كما أن له العديد من الرسائل والمسائل الفقهية والمذهبية. (د. حسين العمري: مصادر التراث، ص١٤٨).

(٨) تلميذ الشيخ يحيى العمراني، الذي جرت المناظرة بينه وبين القاضي جعفر بن عبدالسلام هو: أبو الحسن علي بن عبدالله بن عيسى الهرمي. وكانت المناظرة في حصن شُواحِط. أما يحيى العمراني: فهو أبو الطيب طاهر بن يحيى بن أبي الخير العمراني. (٥١٨-٥٨٧/ ١١٢٤-١١٩١) تلقى العلم على يد والده ثم هاجر إلى مكة، فأقام بها سبع سنين، ثم عاد وولي قضاء جبلة وما والاها. له =

على القاضي جعفر بكتاب سماه (الانتصار)[1] فكتب السيد أحمد الشرفي رحمه اللهَّ إلى الفقيه محمد بن عبدالرحمن الضمدي، وإلى السيد هاشم بن حازم المكي صاحب ولاية مدينة زبيد يومئذ أنهم يستعيرون له هذا الكتاب ليطَّلع عليه، وأن يسأل علماء الشافعية عما يقولون في الاعتقاد، وعسى إذا كان الخلاف زائلاً حتى قال آخر كتابه هذا ما لفظه: وتفضلوا وصّلوا هذه الورقة إلى السيد الجليل هاشم بن حازم إلى زبيد، فلعل عنده من العلماء من يجيب على هذه المسألة أو يتحد الاعتقاد، فنحمد اللهَّ سبحانه على ذلك. والسلام عليكم ورحمة اللهَّ. انتهى كلامه. يريد السيد ما ذكره «٢٤ب» العمراني في مسألة خلق الأفعال[2] وما نقض به على القاضي جعفر فيما أورد عليه من الإشكال، وهذا الكتاب للعمراني مما وقفت عليه، وهو جواب على القاضي جعفر، ونفى فيه ما رمى به القاضي جعفر أهل السنة من الجبر[3] وأنهم لا يقولون به، بل الاختيار،والفعل ثابت للعبد حقيقة، وهذا مشهور عن محققي أهل السنة من جوابه في جميع كتبهم المعتمدة، من وقف عليها عرف أن الخلاف لفظي فقط[4] والمعنى متفق عليه، وقد حقق ذلك الإمام شرف الدين وغيره، واللهَّ أعلم.

وفيها أوفي غيرها غزا الحدا بني ظبيان[5] الذين بوادي حُبَابض[6] بالمشرق، فقتلوا منهم وانتهبوا ما قدروا عليه من المواشي وغيرها، وعادوا، فلحقهم بنو ظبيان، وتركوهم

مؤلفات منها: (جلاء الفكر في الرد على نفاة القدر) وغير ذلك. (الجندي: السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق: محمد الأكوع،جـ١، ص٣٣٩-٣٤٨؛ عبداللهَّ الحبشي: مصادر الفكر، ص٩٩).

(١) اسم الكتاب (الانتصار في الرد على القدرية الأشرار) وقد أجاب عليه القاضي جعفر بن عبدالسلام بكتاب اسمه (الدافع للباطل من مذهب الحنابل). (عبداللهَّ الحبشي: الصوفية والفقهاء في اليمن، ص٩٦).

(٢) مسألة خلق الأفعال: أي أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة. والرب تعالى منزه أن يضاف إليه شر وظلم. (الشهرستاني: الملل والنحل، حـ١، ص٤٥).

(٣) الجبر:هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى. والجبرية أصناف، فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً. والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً وهو عكس ما تراه أو تعتقده المعتزلة. وهم فرق منها: الجهمية، النجارية، الضرارية. (الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص٨٥).

(٤) يقصد بذلك الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة.

(٥) بنو ظبيان: قبيلة مشهورة من قبائل خولان العالية (الطيال). (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٥٦٣).

(٦) وادي حُبَابض: وادٍ مشهور في خولان العالية، أسفل وادي مسور. كان به سد مشهور ولا تزال كتابة المسند على صدفي السد.(الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد الأكوع، هامش ص٢١٦).

حتى حطوا بأثقالهم ووضعوا سلاحهم، ثم أقبلوا عليهم فقاتلوهم قتالاً شديداً حتى هزموهم وقتلوا منهم، واستردوا النهب.

وفيها أو التي قبلها وقع صقر قاصداً للحمام التي في سفال[1] منارة صلاح الدين[2] بصنعاء، فوقع منقاره بين آجورتين نشب فيها، فبقي كذلك حتى مات ثم سقط إلى الصرح[3] وشهده الناس.

وفيها أو في ما قبلها توفي الشيخ الصوفي محمد بن عبدالنبي الميموني المغربي المالكي الصوفي، وكان استقراره بصنعاء مدة حيدر باشا، وكان قبل ذلك ببلاد مِلْحان[4] وله مصنفات في التصوف مثل (شرح الوسيلة) المسمى (بالوسيط)، أنشأها في نظم أسماء اللهَّ الحسنى، أولها قوله:

باسمك يا اللهَّ زدني محبة ... لذاتك يا رحمن أعرف مودتي

«٢٥أ» ولما كثرت المخاريج[5] النفقات عند محمد بن الحسن بذمار على الجنود الذين اجتمعوا عنده من أصحاب والده، ومن وصل من الجهات، اضطر المذكور إلى التقدم إلى عند عمه الحسين إلى ضوران للمفاوضة في شأنهم، وما يراه في الإحسان من أمرهم، وإقطاع بلاد بنظره تكفيهم أو تعينه في نفقاتهم، فعيَّن إليه ولاية بلاد الشوافي[6] وخُبان[7]

---

(١) أي أسفل.

(٢) أي منارة مسجد صلاح الدين: وهو من المساجد العامرة في الجهة الشرقية بصنعاء، بالقرب من الميدان. عمره الإمام صلاح الدين محمد بن الإمام المهدي علي بن محمد، يصل نسبه إلى علي بن أبي طالب، توفي سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م وقبره بجوار هذا المسجد. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٦١).

(٣) صرح الجامع ساحته الخارجة غير المسقوفة.

(٤) مِلْحان: ناحية من نواحي المحويت، وهو جبل عظيم مطل على المهجم من تهامة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٧١٨).

(٥) المخاريج: تعني النفقات أيضاً.

(٦) الشوافي: مخلاف من بلاد إب، يتصل بإب من جهة الغرب. ويعد مخلاف الشوافي وما إليه من السحول. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص٤٩-٥٠).

(٧) خُبان: وادٍ مشهور إلى الشمال من مدينة إبّ فيه مزارع وقرى. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٣٠٤).

وبني سَرْحَة[1] ويَرِيْم[2] والتَعْكَر[3] ثم عاد إلى ذمار مجبور الخاطر مُحسن الثناء على عمه بإقامة الجاه، وبذل المتيسر من الحاضر.

وفيها عقب ذلك تقدم شرف الإسلام الحسين إلى محروس مدينة ذَمَار، فاستقر هنالك برهة وأياماً، وكان قد أراد النزول في دار التكية في حُوطَة[4] حسن البَابا[5] فمنع ابن أخيه محمد بن الحسن، وقال: لا يصلح السكون إلا في داري وبيتي، والبيت بيتك، والولد ولدك «٢٥ب» إذ ذلك المقام غير مناسب لمثلك، فساعده شرف الإسلام، وسكن في داره تلك الأيام. وكان كاتب الأحرف في تلك المدة هنالك، وهو دون التكليف[6] فسكن في دار التكية، وهو أول معرفة منه بالبلاد الذمارية. ثم عاد شرف الإسلام إلى ضُوْران، ومحمد بن الحسن استقر بذمار. وأما أحمد بن الحسن فإنه بعد ذلك خرج من ذي مَرْمَر والغِراس ووصل إلى حضرة صنوه محمد بن الحسن إلى ذمار، وكان شرف الإسلام الحسين قد عرض على المذكور ولاية أصاب[7] في مقابل كفايته وأصحابه فكان قد ساعد إلى ذلك ،ثم إنه تركها وقال: هى حقيرة لا تقوم بالحال ولا ينتفع بها في جميع الأعمال. وأما الإمام المؤيد بالله فإنه لم يساعد إلى ذلك، ووصل جوابه بخط كاتبه أحمد بن سعد الدين[8] مضمونه: أن بلاد الصنو الحسن رحمه الله ليست ميراثاً حتى تُقسم. فكان ذلك

(١) بنو سَرْحَة: مخلاف مشهور من ناحية المخادر وأعمال إبّ (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٤١٩).

(٢) يَرِيْم: مدينة في قاع الحقل جنوبي ذمار بمسافة ٤٠ كيلومتراً وفي سفح جبل (يصبح) المطل عليها من ناحية الشمال الشرقي. (الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص١٠٢٢).

(٣) التَعْكَر: حصن يقع إلى الجنوب من مدينة جبلة في إبّ. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١٥٥).

(٤) الحُوطَة: تعني هنا ساحة قبر حسن البابا والحوطة: حي من أحياء زمان في اليمن أيضاً-خاصة في المناطق الجنوبية- هي القرية أو البلدة التي تكون مركز علم وتدريس، شأنها شأن الهِجَر المعروفة في المناطق الشمالية. (د.سيد سالم: وثائق يمنية، ص٢١٦؛ الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤٢٩).

(٥) حسن البابا: لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

(٦) أي دون البلوغ.

(٧) أصاب : هو الاسم الأصلي، ثم أُبدلت الهمزة واواً وأصبحت (وصاب) وهو جبل متسع بالغرب الجنوبي من صنعاء، بمسافة حوالي ١٨٢ كيلو متراً. ويشمل ناحيتين :وصاب السافل ووصاب العالي. (المقحفي: معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص ٧٤٥-٧٤٦).

(٨) هو أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد بن علي بن غانم بن يوسف. ولد سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م. ترجم له =

القول هو الذي بُني عليه، وانصرم وأملى عند ذلك قول المتنبي[1] في شعره:

سآخذ[2] حقي بالْقَنَا[3] ومَشَائخ
كأنهُمُ من طُولِ ما التَثَموا مُرْدُ
ثِقالٍ إذَا لاقَوْا خفافٍ إذا دُعوا
كثيرٍ إذا شَدُّوا قليلٍ إذا عُدُّوا
وطَعنٍ كأن الطعن لا طعن عنده
وضَرْبٍ كأن النار مِن حَرِّهِ بَرْدُ[4]

هكذا روى أنه كان جوابه، والله أعلم بحقيقة حاله. ثم إنه تقدم من ذمار إلى وصاب في شهر شعبان منها بعد موافقة صنوه فيها، ثم انتقل إلى بلاد عتمة[5] وهرب عنها «٢٦أ» واليها وهو السيد المطهر الجرموزي[6] ووصل المذكور إلى حضرة شرف الإسلام الحسين وهو بجبل ضوران، في الحصن بداره، فرفع الأمر إلى صنوه الإمام وأخبره بوصول السيد المطهر إليه، وأنه لم يبق في تلك الجهة تصرُّف لواليها بل إليه ، ومال أهلها بالمطالب،

المؤلف في هذه المخطوطة ترجمة مطولة عند وفاته (ق٢٥٢ب٢٥٣ب) ؛ وقد ترجم له أيضاً أبو الرجال: مطلع البدور، ج١، ص٧١-٧٦؛ كما ترجم له إبراهيم بن القاسم:طبقات الزيدية، ج٣، ص٢٥-٣٠.

(١) المتنبي: هو الشاعر المشهور أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي. ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م، وقدم الى الشام في صباه. التحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان، ثم ذهب الى مصر سنة ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م، ومدح كافور الأخشيدي. توفي مقتولاً في رمضان سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م. (شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، مج١، ج١،المقدمة، هامش ص ٣-٦).

(٢) وردت في الديوان، مج١، ج٢، ص٩١: (سأطلب).

(٣) الْقَنَا: الرماح. (ديوان المتنبي، هامش ص٩١).

(٤) قال المتنبي هذه القصيدة يمدح (محمد بن سيار بن مكرم التميمي) ومستهلها:

أقلُّ فعالي بَلْه أكثرُه مجد وذا الجُد فيه نِلْتُ أم لم أَنَلْ جَدُّ

(شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، مج١، ج٢، ص٩١-٩٢).

(٥) عتمة: ناحية مشهورة من بلاد ذمار بالغرب الجنوبي منها، بمسافة ٦٢كيلو متراً، وتنقسم الى خمسة مخاليف. (المقحفي: معجم البلدان، ص٤٣٦).

(٦) هو المطهر بن محمد بن أحمد بن عبد الله، يصل نسبه إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين. شهرته بالجرموزي(١٠٠٣-١٠٧٧هـ/ ١٥٩٤-١٦٦٦م) عاصر حكم الأئمة القاسم بن محمد وابنه المؤيد محمد والمتوكل إسماعيل. وأرخ لهؤلاء الثلاثة، كتب لكل إمام سيرة منفردة. ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق٢٢٨أ) من هذه المخطوطة، وهي ترجمة مختصرة. (للمزيد انظر د.سيد سالم: المؤرخون اليمنيون، ص٧٣-٧٧؛ المطهر الجرموزي: النبذة المشيرة، ص٥٠٨).

ووصل منها الهارب، فوصل الجواب من الإمام يأمر صنوه بالتقدم إلى تلك الجهة، وإصلاح أمرها، وسد خللها، وافتقادها، والقبض على من فيها، وأخبروا بموالاة علي شمسان[١] وهو يومئذٍ المتولي بجهات اليمن في إبّ[٢] وبعدان[٣] فسار شرف الدين الحسين من ضوران، وطلب العسكر، وكان طريقه وادي النائجة بالجماعة الحاضرين، وأمسى تلك الليلة ببلد يقال لها ذاهب[٤] أسفل وادي النائجة، من أطراف مساقط بلاد آنس[٥] «٢٦ب» فوق مدينة العبيد[٦] على يسار الذاهب، ثم أحضر العسكر الذين معه، ووجوه الناس في صرح مسجد البلد، وأفاض عليهم أمر الإمام، وما قال به من الأمر التام، فأجاب أعيانهم بأنهم لا يخالفون، وأنهم حيث وجِّهوا طائعين، وعليه مصابرين، ولعل اللهَّ يصلح أمر المسلمين. وكان حال خروج شرف الإسلام من ضوران قد استناب فيه ولده محمد بن الحسين[٧] رحمه اللهَّ في حصن ضوران، وكتب إلى صنوه ضياء الدين إسماعيل من شهارة، وكان بها يومئذٍ، ثم انتقل يوم ثاني من قرية ذاهب إلى بلد مياس، وهي مرحلة قريبة ربع يوم، فيها وَلِيٌّ عليه مقام عظيم، ومزار في تلك الجهة جسيم، له النذور وافدة من الجهات والآفاق، لا تزال في أكثر الأوقات تنساق، وفيه قَيِّم هناك يقبضها، ويتصرف بها على الوافد، وإقامة المشهد للوارد، فسكن بقية ذلك اليوم، وأرسل حال وصوله جماعة من العسكر أمرهم بحفظ مَغْرَبة[٨] عتمة، وبابها قبل أن يحصل منعها

(١) أي مولاته لأحمد بن الحسن. وقد ترجم المؤلف لعلي شمسان عند وفاته «ق٦٠ب» من هذه المخطوطة.
(٢) إبّ: مدينة مشهورة إلى الجنوب من صنعاء بمسافة ١٤٠ كيلو متراً. بها مركز اللواء. (المقحفي: معجم البلدان، ص٦).
(٣) بَعْدَان: مخلاف مشهور من بلاد إبّ متصل بمدينة إب من ناحية الشرق، وجبال بعدان ترتفع عن سطح البحر بنحو ثلاثة آلاف متر تقديراً. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص٤٥-٤٦).
(٤) ذاهب: قرية بعزلة ذاهب، ناحية ضوران، محافظة ذمار. (الجمهورية العربية اليمنية: الجهاز المركزي للتخطيط، التعداد السكاني لعام١٩٨٦، محافظة ذمار، ص٣٠٦).
(٥) آنس: قضاء واسع من أعمال ذمار، وهو في الجنوب الغربي من صنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ص٥).
(٦) مدينة العبيد: مدينة صغيرة تقع غربي قضاء آنس وتطل على بلاد عتمة. (الوزير: طبق الحلوى، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، ج١، هامش ص٧٠).
(٧) ترجم له المؤرخ ترجمة مطولة في هذه المخطوطة «ق١٥٤ب-١٥٥أ» عند وفاته؛ وترجم له أبو الرجال: مطلع البدور، ج٤، ص٢٠١-٢٠٢.
(٨) المَغْرَبة: قريتان بعزلة بني سويد، هما: المغربة العالية والمغربة السافلة، بناحية عتمة، محافظة ذمار. (الجمهورية العربية اليمنية: الجهاز المركزي للتخطيط، التعداد السكاني لعام ١٩٨٦م، محافظة ذمار، ص٦٣).

فيعسر بعد دخولها، وهي التي يقال لها مغربة بني سويد. فساروا إليها، فوجدوها فارغة، وعن ما كان يظنه «٢٧أ» سالمة. فلما قَطَّن العسكر بذلك المكان، وبنوا[١] فيه بالاستقرار في آخر ذلك النهار، وصل اليهم بيرق دار[٢] والنقيب عطية، وعسكر معه من عند أحمد بن الحسن، وكان يومئذٍ قد استقر في بلد بعتمة، يقال لها الحوادث[٣] فما شعروا إلا بإقبال أولئك النفر، فلما قربوا من المكان الذي إليه وفد أصحاب شرف الدين واستقر، حملوا عليهم حملة رجل واحد، من أسفل القرية الخراب بالسيف المسلول، والحد المَغْلُول، فركز أصحاب شرف الدين في رأس الجبل، وهم على وجل، ورموا بالبنادق إلى وجوههم، دفعاً لضرهم، فأصيب النقيب ابن عُطْية برصاصة في رأسه، سقط في الحال وهو أول القوم في ذلك المغار[٤]، ثم تدحرج إلى أسفل ذلك الصفا، وزال ما بدا لهم وخفى، من بعد أن انتهب ما عليه بعض العسكر، وانهزموا عند ذلك وولّوا الأدبار والفر إلى الحوادث. وشرف الإسلام خرج أول المغرب من ميّاس، وسار في الليل، وصعد العقبة في الظلام، «٢٧ب» إلى رأس تلك الآكام، على مشقة لأجل الظلمة، وإن كان قد سرَّج[٥] بالمشاعل، لكنها لم تنفع الجميع بل بعضهم ومن قرب إليهم من غير طائل، وأمسى بقية الليل في بلد سوق الربوع[٦] بأطراف بلاد عتمة وتلك الربوع، ثم لما أصبح الصباح ولاح، سار إلى تلك القرية الخراب، الذي وقع فيها ذلك المصاب، وأمر الناس بالاستقرار للمحطة فيها والسكون بالخيام، وإصلاح ما يحتاجون من الطعام، ومراده

---

(١) بنوا: أي نووا.

(٢) بيرق دار: اصطلاح من أصل تركي فارسي يعني حامل البيرق (أو حامل العلم) . (د. حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص٤٣).

(٣) الحوادث: عزلة بناحية عتمة، وتضم حوالي ست قرى. (الجمهورية العربية اليمنية: الجهاز المركزي للتخطيط، التعداد السكاني لعام ١٩٨٦م، محافظة ذمار، ص٨٥).

(٤) المُغار: موضع الغارة، وهي الإغارة نفسها. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص١٠٢٨).

(٥) سرَّج: أضاء.

(٦) من الملاحظ أن كثيراً من أسماء المواضع لها بُعد زمني مؤقت ومباشر وواضح، وهي عادة الأسواق، والتي تشير أسماؤها إلى يوم السوق الذي يعقد فيه مثل: سوق الربوع، والأحد....إلخ وعندما يُطلق هذا الاسم على قرية صغيرة فإنه يحتل المرتبة الأولى بالنسبة للأسماء التي قد تكون لها. (للمزيد انظر توماس كوكنار: أبعاد المواضع الجغرافية في اليمن عبر التاريخ، تعريب: بلقيس الحضراني، مجلة دراسات يمنية، عدد١١، ١٩٨٣، ص١٥٤).

رحمه اللهّ بذلك حتى يراسل إلى ابن أخيه ويصلحه بما يُسكِّنه، ويجمع به كلمته، إذ عزم جماعة من العسكر وهم أصحاب السيد المطهر بغير أمره ولا قوله، فرآهم وقد ولَّوا في الطريق، وساروا فيها من غير تعويق، فأرسل اليهم بالعود، فأبوا إلا العبور والسوق، فهو في شأنهم يفكر وينظر حتى قربوا من تحت مغربة الحوادث، إذ سمع صوت تحضيرة الحوادث، تحضيرة الحرب، والاجتماع للغارات والضرب، وكان بجنب شرف الإسلام يومئذٍ على يمينه السيد العلامة أحمد بن علي الشامي[1]، وكاتب الأحرف على يساره، فقال لشرف الإسلام: أما بعد التحضيرة، وعزم تلك الطائفة اليسيرة «٢٨أ» فلا يصلح منكم إهمالهم عن ما يربط جأشهم، ونريدهم لا يهلكون، فتلوَّن وجه شرف الإسلام، وظهر معه الضيق والكرب، وظهر من حاله أنه كان محبته عدم صدور شيء من الحرب، ولا ما يترتب عليه من الضرب، وأن الأمر كان بدون ذلك ينجبر، ولسان حاله في هذا المقام التمثل بقول من قال:

إذا لم تكن إلا الأسنة مركب

فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

فقال للخادم: لا بأس حضّر، فضرب مرفعه[2] واحترك العسكر بأجمعه مع بيرق أحمد الحاشي، وساروا في الأثر، وأول الحرب قد اشتجر، حتى وصلوا إلى أولئك، وقد قتل منهم جماعة وأصيب آخرون. ثم ركز الحرب بالبنادق، وكان في المغربة والطريق من الحوادث النقيب سرور شلبي وتوابعه من أصحاب أحمد بن الحسن، والبريق رأس اللَّكَمة[3] وفي الطريق متارس وجماعة عسكر مع حسن البحش، فبقي الحرب والبندق تخدم من ضحوة النهار إلى الظهر، وكان في خلال الحرب «٢٨ب» المذكور، وما جرى فيه

---

(١) ترجم له المؤرخ ترجمة مطولة فيما بعد «ق١٨٧ب - ١٨٩ب» من المخطوطة، عند وفاته؛ كما ترجم له أبو الرجال: مطلع البدور، ج١، ص٩٥؛ وزبارة: نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، ص١٥٥-١٥٧.

(٢) المرفع: آلة تشبه الطبل تُصنع من جلود الأغنام ولها صوت أرق من صوت الطبل، ويضرب عليها بعصاتين من الخشب.

(٣) اللَّكَمة: أي الأكَمَة، وهي الموضع الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٧٩).

من الأمور، لما رآه شرف الإسلام راكداً، وكون أصحابه تحت الأكمة[١] ظاهرين لمن فوقهم، لا يقيهم مترس ولا جدار، والأعلون في متارس وحجار، فلذلك وقع القتل في الأسفلين من أصحاب شرف الدين دون أصحاب أحمد بن الحسن، فلم يقتل نفراً منهم، لأجل امتناعهم في آكامهم ومتارسهم، قال شرف الإسلام لصلاح الحملاني بيرق دار: سر أنت ومن بقي من العسكر إلى القرية التي أيسر الأكَمَة[٢] فإذا دخلتها واستوليت عليها فاطلع على الذين في الأكَمَة من ورائهم، ليحصل النفس[٣] على الذين قدامهم[٤] فسار المذكور وليس معه إلا جماعة قليلة نحو العشرين، لقل[٥] العسكر، وكون آخرهم ما قد لحق ولا وصل، فلما وصل إلى تلك القرية دخلها في الحال، وحرق ثلثاً منها بالنار والحطب والجِلال[٦]، وتقدم على تلك النيَّة مجاوزاً من البلدة، فلما رآه الذين في الأكمة انهزموا في خلال صَوْب[٧] أصاب النقيب سرور شلبي في يده، وكان الرمي أكثره إنما هو من قِبله، فتبعهم العسكر في الأثر، وقتل من قتل منهم حال الهزيمة والظفر، «٢٩أ» ولما رأى الهزيمة شرف الإسلام رحل من مركزه في أثرهم واحتمل، فوصل إلى المغربة وإذا[٨] قد قتل من العسكر قدر اثني عشر بعضهم من أصحاب السيد مطهر الجرموزي، والبعض من الذين مع بيرق الحاشي، ومن التوابع أيضاً مثل حسن زيد شاوش، وعلي خليل، وسيد من أصحاب الجرموزي، وآخرون، ومن أصحاب أحمد بن الحسن الفقيه علي بن مهدي الويناني الآنسي، وحسن البحش، وغيرهما، قدر ستة أنفار حال الهزيمة، واشتغل العسكر بالنهب للمحطة، وأحمد بن الحسن انحاز إلى القرية السُفلَى بالحوادث، ورمى حوائجه في مسجد حفظه السيد زيد بن علي بن جحاف[٩] حتى وصل شرف

---

(١) وردت في الأصل: (الكلمة).

(٢) وردت في الأصل: (الكمة).

(٣) النَفَس: هنا بمعنى مُتَّسَع.

(٤) قدامهم: أى الذين أمامهم.

(٥) لقل العسكر: أي أن عدد العسكر قليل.

(٦) الجِلاَل: مخلفات الحيوانات، حيث أنها تُجفف وتستخدم وقوداً. (ابن منظور: لسان العرب، جـ١، ص٤٨٨).

(٧) أى جُرْح نتيجة لطلقة رصاصة أصابت يده.

(٨) صحتها: (وإذ)، إلا أن كلمة: (وإذا) من اللَّهجة العامية المستخدمة في اليمن حتى الآن.

(٩) هو زيد بن علي بن إبراهيم بن المهدي بن جحاف: عالم، شاعر، أديب. تولى للإمام المتوكل إسماعيل أعمال المخا، ثم =

الإسلام. ثم إن شرف الإسلام أرسل إلى عند ابن أخيه أحمد بن الحسن السيد عبدالله بن أمير الدين، وأنه يصل إليه، فوصل إليه بخاصته، وخلع عليه عمه شرف الإسلام عباية، وآنسه وأكرمه، وأزال ما به من الكرب، وأمسى الكل تلك الليلة بالحوادث، ثم أصبح الباكر وسافر عنها طريق القفر[1] إلى اليمن، وكان هذا الحرب الحادث في الحوادث يوم «٢٩ب» الخميس في العشر الآخرة من شهر شعبان من هذه السنة. وكان في خلال هذا الحادث وقع حرب في بني بحر من بلاد عتمة لجماعة من العسكر، وأهل البلاد، وجماعة من أصحاب أحمد بن الحسن. وروي أن محمد بن الحسن كان قد جهَّز عسكراً للغارة على أخيه من ذمار، والمسافة من ذمار قريبة، قدر يوم واحد، فبلغ الغارة ومحمد بن الحسن زوال الحادث الذي جرى في الحوادث، فرجعوا، وكان بعضهم في الطريق قد وصلوا إلى سماة بني النوار، ما بين عتمة وذمار، هكذا روى غير واحد. وهكذا علي شمسان فإنه كان قد أراد الارتحال من اليمن للغارة إلى عتمة لأحمد بن الحسن، وقيل إنه[2] قد كان خرج من مدينة إبّ مغيراً إلى بعض الطريق بأطراف السَّحُول[3] فبلغه زوال الحادث في الحوادث، وهرب عند ذلك علي شمسان إلى عدن، استجار بابن عبد القادر، خشية من شرف الإسلام، مع أنه كان لو بقي ما كان جرى عليه إلمام، لكنه أراد ذلك. وهذه الحادثة وقى الله شرها بزوال أمرها، قبل تكاثر الغواير، وتناشب الحرب. وصلح الأمر.

وفي آخر هذا الشهر وصل شرف الإسلام إلى محروس إب، وصحبته ولد أخيه أحمد بن الحسن، ووصل عقب ذلك كتاب الإمام المؤيد بالله إلى صنوه الحسين «٣٠أ» باستدعاء ولد أخيه أحمد بن الحسن إلى حضرته، وكذلك استدعاء علي شمسان، فسار

التحق بالمهدي أحمد بن الحسن. توفي بالروضة سنة ١١٠٨هـ/ ١٦٩٦م. (المحبي: نفحة الريحانة، جـ٣، ص٤١٠-٤١١؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج١، ص٤٢٣-٤٢).

(١) القفر: من بلاد إبّ، يقع إلى الشمال من مدينة إبّ، وإلى الجنوب الغربي من مدينة ذمار. (الوزير: طبق الحلوى، تحقيق: عبد الرحيم جازم، هامش ص١٠٠).

(٢) وردت في الأصل: (أن).

(٣) السَّحُول: حقل معروف من أعمال إبّ، وبلد السحول من أخصب بلاد اليمن، وهو ما بين إبّ والمخادر. ولعلي بن زايد مثل مشهور يدل على خصب بلد السحول وهو: (إن كنت هارب من الموت ما من الموت مَهْرب، وإن كنت هارب من الجوع أهرب سحول ابن ناجي). (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٤١٧-٤١٨).

إليه، وقرر الإمام له ما يحتاج إليه، واستقر عند الإمام أياماً، ثم أذن له بالعود إلى صنعاء، وقرر لمن معه من المتعلقين كفايتهم، واستبقى علي شمسان عنده مجلّلاً، يصيَّر إليه من المعروف والإحسان ما يغمره، وعمر له داراً كبيراً في درب الأمير[1] وسكن في حضرته.

ووصل ضياء الإسلام إسماعيل بن القاسم إلى جبل ضوران، أجابه لاستدعاء صنوه له، وسكونه في ضوران خليفة له ما دام في اليمن الأسفل، فلما وصل المذكور، وكان فيه عز الإسلام محمد بن الحسين، نزل إلى حضرة والده لاحقاً له إلى اليمن الأسفل، فوصل إلى اليمن، بقي شهر رمضان، ثم عاد إلى صنعاء في شهر شوال. وأصيب في التَعْشِيرة[2] حال الملقى للمذكور مُقَهْوي[3] كان مطلاً من أعلى الدار، متفرجاً، فوقعت فيه رصاصة في رأسه، سقط ميتاً في الحال على السطح.

وفي شهر شوال تقدم عز الإسلام محمد بن الحسن من ذمار إلى حضرة عمه الحسين، فوصل إليه بإبّ، ثم نزل شرف الإسلام إلى مدينة تَعِز[4] وفي صحبته ولد أخيه محمد بن الحسن، وذكر له ما في وجهه «٣٠ب» من التكاليف، وما اعتراه من المصاريف، وأنه تعطل ما بيده لكثرة جنود والده، وأن البلاد تلك المعيَّنة لم تكفه.

وفيها أو التي قبلها مات رجل مجذوب مُعتقد عند العامة، يقال له السيد علي، مكشوف الرأس يتنجس ببوله[5] وكان الجزار الكبزري يقيمه.

وفيها توفي الشيخ عبدالله بن صلاح الوادعي المقبلي شيخ بلد النجيد[6] من وادعة

---

(١) درب الأمير: يدعى أيضاً (أقر) لأنه يقع في وادي أقر في السفح الجنوبي لجبل شهارة، وهو المعروف اليوم بالقابعي. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص٦١٨).

(٢) التعشيرة: زخات من طلقات رصاص البنادق.

(٣) المُقَهْوي: تطلق هذه الكلمة على أصحاب السماسر، التي كانت بمثابة النُزل، حيث كانت تديرها بعض الأسر القروية، وتؤجر فيها غرفاً بسيطة للنوم، وتقدم الطعام والقهوة. وأطلق على صاحبها (مقهوي) وزوجته (مقهوية) لأن غالب ما يُطلب هو القهوة. (الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٥٢٨).

(٤) تَعِز: مدينة واسعة تحت جبل صبر، جنوب صنعاء، ترتفع عن سطح البحر بنحو ألف وخمسمائة متر. وهي مركز اللواء. (زبارة: أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة،ص٧٩).

(٥) لم نتمكن من قراءة العبارة، حيث أنها تحتمل أكثر من معنى، لعدم اهتمام المؤرخ بالإعجام. وقد كتبناها اجتهاداً.

(٦) النجيد: قرية بعزلة وادعة حاشد، ناحية خمر، محافظة صنعاء. (الجمهورية العربية اليمنية: التعداد السكاني لعام ١٩٨٦م، محافظة صنعاء، ص٢١٠).

الطاهر[1] كان المذكور ممن ناصر الإمام القاسم بن محمد، وحبس مدة في صنعاء نحو خمس سنين بالدار الحمراء، وخرج في صلح جعفر باشا[2].

ووصل هذه الأيام إلى حضرة شرف الإسلام الحسين السيد هاشم بن حازم متولي مدينة زبيد، فقرَّره على ولايته بزبيد، وعاد إليها.

وفيها أو التي بعدها وجد شمس الإسلام أحمد ابن أمير المؤمنين[3] في دار الكيخيا[4] لقيَّة عظيمة، من الذهب الأحمر في باسان[5] مجلدة تحت دكة[6] في الحجرة من دِكَاك القضاض[7] لما أراد إصلاح شيء ونقضه فيها، ولعله يكون من عبدالله شلبي[8] لأنه كان مستقره لمَّا حاصره حيدر باشا، أيام جعفر كما سبق، أو من قبله والله أعلم.

---

(١) وادعة: قبائل تتوزع في اليمن على جهات مختلفة منها: (وادعة حاشد) وهي المقصودة هنا، وتقع شمال غرب مدينة خمر بحوالي ١٧ كيلو متر و (وادعة الشام) شرقي صعدة من ناحية الصفراء و(وادعة نجران). (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٧٦١؛ الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٩٨٦).

(٢) عُقد هذا الصلح بين الوالي العثماني في اليمن جعفر باشا والإمام القاسم بن محمد في ذي الحجة ١٠١٦هـ/ مارس-إبريل ١٦٠٨م. (للمزيد عنه انظر د.سيد سالم: الفتح العثماني، ص٣٧٧-٣٨٤).

(٣) هو أحمد بن الإمام القاسم بن محمد. (١٠٠٧-١٠٧٦هـ/ ١٥٩٨-١٦٦٥) تلقى العلم على يد أخيه الإمام المؤيد محمد بن القاسم. وأبرز علماء عصره. دعا إلى نفسه بالإمامة عقب وفاة المؤيد، وتغلب عليه الإمام إسماعيل، وقد شرح المؤرخ في هذه المخطوطة الصراع بينهما على الإمامة، ثم تولى صعدة وبلادها من قبل أخيه الإمام إسماعيل حتى توفي بها. (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية،جـ٣، ص٥٤؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص١٠٨٠).

(٤) الكيخيا: كلمة من (كدخدا) في الفارسية، وتطلق في التركية على الوكيل والنائب. وقد تطورت في التركية إلى كلمة (كخية). (د.حسين المصري: معجم الدولة العثمانية، ص١٦٤-١٦٥) أما دار الكيخيا: فهي من دور صنعاء حينذاك، حيث يذكر يحيى ابن الحسين في غاية الأماني، جـ٢،ص٥٩٣: أنها كانت دار الإمام المؤيد محمد بن الناصر. (ت٩٠٨هـ/ ١٥٠٢).

(٥) باسان: الباسِنه: كالجوالق غليظ، يُتخذ من مُشاقة الكتَّان أغلظ ما يكون. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٢١٥).

(٦) الدكة: بناء يُسطح أعلاه للجلوس عليه.

(٧) القَضَاض: عملية معروفة من أعمال البناء ويتألف من النورة والجص عن طريق الخلط بعملية فنية متقنه، أجادها اليمنيون منذ آلاف السنين. يُستخدم في أعمال البناء، خاصة في مرافق الري والسدود والبرك والمساجد وبعض المنازل. وهو شبيه بمادة الأسمنت إلا أنه أكثر قوة ومتانة منه. (الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٨٠٤).

(٨) هو الكيخيا عبدالله شلبي الذي عُين كيخيا لدى جعفر باشا بعد وفاة عمر الكيخيا سنة ١٠١٨هـ. وجهزه إلى بلاد ريمة وبُرَع، فاستفتحها واستقر في كُسمَه. وفي سنة ١٠٢٢هـ عندما تقدم إبراهيم باشا إلى صنعاء بعد عزل جعفر باشا انضم عبدالله شلبي إلى إبراهيم باشا، وأمر بنهب دار عبدالله المعافا، بتهمة ميله إلى جعفر باشا. وكان بها الكثير من الأموال، إلا أن ابراهيم باشا توفي بعد وصوله، وعاد جعفر باشا للولاية، فأمره بإعادة ما نهبه، فأعاد البعض. ولعل ما وجده أحمد بن القاسم هو جزء من ذلك المنهوب. (يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، ص٣٦٦-٣٦٨).

ودخلت سنة خمسين وألف[1]

تهيأ شرف الإسلام الحسين بن الإمام للطلوع من اليمن الأسفل إلى ضوران، ثم الزيارة لحضرة الإمام، فسار في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة.

وفي هذه السنة وصل الخبر إلى اليمن الميمون بأن السلطان مراد بن أحمد خان بن عثمان قصد محاصرة بغداد، واستفتاحه واسترجاعه من يد الشاه عباس الإمامي، وكانت[2] «٣١أ» بغداد من ممالك السلطان ابن عثمان، كما سبق ذكره في أصل هذا التاريخ، فأحاط به من جميع جوانبه، فإنه وصل السلطان مراد بن أحمد خان إليه بخلائق عظيمة، وجنود واسعة كثيرة. أخبرني الشيخ محمد بن حسن[3] من علماء الحساء[4] لمّا وصل إلى صنعاء من بلاده وعاد، فقال: كان جملة من خرج مع السلطان مراد من العسكر خلائق ولكوك[5] قلت له: كم عسكره؟ فقال: جملتهم في دفاتره كما يُروى لهم أربعة عشر لكاً، قال: وكان جملة خِطاطه[6] على بغداد قدر أربعين يوماً، قال: واستبطأ السلطان هذا الخطاط، وكان ظاناً أنه لا يبلغ إلى هذا التعداد، قال: فقصد السلطان زيارة الشيخ الولي الإمام القطب الغوثي الشيخ عبدالقادر الجيلي[7] نفع اللهّ به، والدعاء بالتيسير

(١) ١٠٥٠هـ = ١٦٤٠م.

(٢) وردت في الأصل: (وكان).

(٣) هو محمد بن حسن الأحْسَائي الحنفي، من العلماء المحققين، قرأ ببلاده على يد الشيخ إبراهيم الاحسائي، رحل إلى بغداد وأخذ عن مفتيها. له مؤلفات منها: (حاشية على شرح الألفية) للجلال السيوطي، وكتاب في (التعريفات). توفي ببغداد سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م ويتضح مما أورد يحيى بن الحسين أن محمد الأحسائي هذا قد قدم إلى صنعاء، حيث استقى منه يحيى بن الحسين الكثير من الأحداث والأخبار في خارج اليمن. (انظر ترجمتة في المحبي: خلاصة الأثر، جـ٤، ص٣١٣).

(٤) الحسا: أو الأَحْسَاء: أشهر مدينة في شرق الجزيرة العربية. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، جـ١، ص٦٥).

(٥) الأصح: لكاك (جمع لكيك) وهو العسكر المتضام المتداخل. والمقصود فِرَق كثيرة أو ألوية (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٣، ص٣٩١؛ د.حسين العمري: حوليات النُعمي التهامية، هامش ص١٢٥).

(٦) الخِطاط: هنا تعني الحصار. وهي من الكلمات المحلية وتعني أن يدفع الإمام قبيلة ما للهجوم على أخرى، لا لتقضي على شوكتها فحسب، بل ولتقيم لديها إقامة كاملة، حتى تعلن الأخيرة طاعتها للإمام أو حتى تدفع ما لديها من متأخرات مالية (للمزيد انظر. د.سيد سالم: وثائق يمنية، ص١١٦).

(٧) هو عبدالقادر بن موسى بن عبداللهّ الجيلاني أو الجيلي. (٤٧١-٥٦١هـ/ ١٠٧٨-١١٦٦م)، مؤسس الطريقة القادرية، =

للفتح، قال: فحصل الفتح عند ذلك بعد أن صنع له الصُنَّاع الذين معه مدفعاً كبيراً عظيماً، ورمى به إلى دواير[1] بغداد، ليفتح لهم الباب، ويزول عنهم طول البقاء في حصارهم، وسرعة الإياب، فرموا به بعد تمامه أول رمية فصرفت[2] حجرة، وردها الداير إلى المحطة، فأخذت طائفة من أهل المحطة، ثم أعادوا ذلك مرة أخرى فَتْح الداير للمدينة ودخلوها بالسيف، ووقع بها الحَيْف[3] يقتلون مَنْ وجدوا من غير ريبة ولا خوف، فحصل في بغداد ضائق عظيم، وغمة شديدة، هلك فيه منهم أُمَّة كثيرة، وزالت دولة أصحاب الشاه، واسترجعه السلطان مراد وولاَّه. وهرب الشاه من قصر المدينة، حال اشتغال القوم بالقتل والانتهاب، وبذل لمن لقاه الذهب الأحمر لأجل يتركوه فى الفر والذهاب. قال بعض الرواة: وكان همة «٣١ب» السلطان مراد في استرجاع جميع البلاد، ولما فَتح بغداد جاءت كتب الشاه بطلب الصلح من السلطان، ولا يتعداه، فأجابه السلطان إلى ماطلب، وأسعده فيما أحب، وصالحه، والصلح خير، وأنه لا يتعدى بلاده التى هو فيها، من جبل فارس ونحوها إلى غيرها، فدخل في ذلك وساعد إلى ما هنالك. قال لي الشيخ محمد بن حسن المُلاّ[4] الحساوي: وكان أصحاب الشاه قبل الفتح لبغداد، وحال الحصار، احتالوا بربط فتيلة في هر، واستاقوا الهر إلى الدخول إلى جب خانة[5] السلطان، الذي يجمع فيها البارود الأعوان، فحرق ذلك، وكان حادثاً عظيماً، قال: وعند أول ما رموا بالمدفع إلى داير بغداد صرفت الحجر للمدفع من الداير إلى جند السلطان،

من كبار المتصوفين، اتصل بشيوخ العلم والتصوف في بغداد، وتفقه، وسمع الحديث. تصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م وتوفي بها. له مؤلفات منها (الغنية لطالب طريق الحق) و (الفتح الرباني) و (فتوح الغيب) وغيرذلك (الزركلي: الأعلام، جـ٤،ص١٧١).

(١) الدوائر: جمع دائر، وهو السور.

(٢) كذا في الأصل، ويحتمل أنها من التعبيرات الخاصة باستعمال المدافع في ذلك العصر. وفي اللَّهجة العامية تعني أخطأت الهدف وأصابت شيئاً آخر.

(٣) الحَيْف: الميل في الحكم، والجور والظلم. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٧٧٠).

(٤) المُلاّ: تعني العالم والفاضل والفقيه. وتطلق كلمة (مُلاَّ، مولى، منلا) على من لهم في العلم مكانة رفيعة وفي المجتمع منزلة عالية. (د.حسين المصري: معجم الدولة العثمانية، ص٢٠٦).

(٥) جب خانة: هو مخزن حفظ الأسلحة. (د.حسين المصري: معجم الدولة العثمانية، ص٥٨).

فأخذت منهم من أخذت لقوة داير بغداد، ثم أعادوا الرمي بالمدفع، فكان الفتح كما ذكرنا. ولما حصل ذلك الفتح المذكور أمر السلطان بعمارة قبر الشيخ العلامة إمام الحنفية أبي حنيفة، وكان الشاه عباس كما رُوي قد أمر بخرابه، واعتل المذكور بأن أبا حنيفة رضي اللهّ عنه كان يعارض الإمام جعفر الصادق[١] بالفتوى، ويخالف مذهبه إلى اجتهاده بمايهوى، وأمر السلطان أيضاً بتجديد عمارة قبر الإمام علي بن موسى الرضا[٢] وأقام المشهدين، وأصلح القبرين، وعظَّم الإمامين. قيل: وكان مراد السلطان مراد بن أحمد خان ونيته على أنه بعد تمام فتح العراق وبغداد، يدخل لفتح اليمن، فهو في خلال ذلك، وعقب فتح «٣٢أ» مدينة بغداد، إذ بلغه الخبر أن صنوه إبراهيم بن أحمد خان تغلَّب على المملكة في اصطنبول[٣] فحصل في نفسه ما حصل، وداخله من الضيق ما داخل، وعاد مغضباً، وعن ذلك القصد معرضاً، وقضى اللهّ تعالى وفاته في الطريق قبل وصوله، وَحصل التعويق، فلما استقرت السلطنة لصنوه إبراهيم بن أحمد خان بعد وفاة صنوه، كان رأيه غير رأي أخيه، وهو فتح الحرب على مالطة[٤] وإزالة تلك الفرق المارقة. وهذا الخروج الثالث إلى جهات بغداد من قبل السلطان مراد بن أحمد خان، إذ أول من خرج على الشاه عباس لما استفتحه من ولاة السلطان، الباشا حافظ أحمد في سنة خمس وثلاثين وألف[٥] كما سبق تاريخه، فكسر إلى حلب، ثم أرسل السلطان وزيره الأعظم[٦] ومن هو عنده المقدَّم، فطال خطاطه على بغداد بمشهد الحسين، ولم يتمكن من

(١) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين، الملقب بالصادق (٨٠-١٤٨هـ/ ٦٩٩-٧٦٥م) سادس الائمة الإثنى عشر عند الإمامية. (الزركلي: الاعلام، جـ٢، ص١٢١).

(٢) هو علي بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، الملقب بالرضا. (١٥٣-٢٠٣هـ/ ٧٧٠-٨١٨م) : ثامن الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية. أحبه المأمون العباسي وقربه إليه. ومات علي الرضا في حياة المأمون بطوس، فدفنه إلى جانب أبيه الرشيد. (الزركلي: الأعلام، جـ٥، ص١٧٨).

(٣) كذا في الأصل.

(٤) مالْطَة: جزيرة في البحر المتوسط بين صقليا وأفريقيا. فتحها العرب (٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) وتركوا فيها آثارهم في اللغة، وهي مزيج من الإيطالية والعربية. (المنجد في الأعلام، ص٤٧٣).

(٥) ١٠٣٥ هـ = ١٦٢٥م.

(٦) هو خسرو باشا: كان من الوزراء الذين رقوا إلى منصب الصدارة العظمى في عهد السلطان مراد الرابع. كانت مدة صدارته العظمى نحو أربعة أعوام. (د.حسين المصري: معجم الدولة العثمانية، ص٨٠).

استفتاح المدينة، إلا أنه فتح كثيراً مما حولها، وذلك في سنة أربعين وألف[١] كما سبق ذكره.

أخبرني الشيخ العارف محمد بن الحسن الحساوي الحنفي قال: بلاد اليمامة[٢] جميعاً مذهبهم حنابلة، على مذهب أحمد بن حنبل، وكذلك ما يليهم من البلاد مما يقرب إلى بلاد الحسا مثل البديِّع[٣] وغيرها حنابلة في المذهب إلى حدود الدواسر[٤]، وأما العراق ففيه الأربعة المذاهب، والغالب فيه الحنفية، وفيه من الإثني عشرية[٥] كثير، قال: وأكثر البصرة وبلاد الحُوَيْزَة[٦] خارجها المتصلة إلى بلاد الحساء اثنا عشرية إمامية، قال: والإمامية هؤلاء معتزلة جميعاً في العقيدة، إلاّ الإمامة فاثنا عشرية على مقتضى كتاب (تجريد الإمامية)[٧] لنصير الدين[٨] قال: وهناك معتزلة. وأما الزيدية هذا الزمان، فلم يعلموا بأحد في تلك الديار، قال: ومن نَجْرَان[٩] إلى الدواسر ثمانية أيام، ومن الدواسر إلى البديع،

(١) ١٠٤٠هـ = ١٦٣٠م.

(٢) اليَمَامَة: بلد بنجد. كان اسمها قديماً جوّاً، فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجـ٥، ص٤٤٢).

(٣) البديِّع: قرية في أقصى الجنوب في منطقة الأفلاج في نجد، تقع على بعد حوالي عشرة أميال جنوباً. (ج.ج لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي، جـ١، ص٢٦٥).

(٤) الدواسر: اسم يطلق على أحد الأودية التي تشق إقليم نجد من الغرب إلى الشرق، وتسكن الوادي مجموعة من القبائل تُعرف بالدواسر. (أحمد عطية اللهّ: القاموس الإسلامي، جـ٢، ص٤٠٤؛ ج.ج لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي، جـ١، ص٥٧٣).

(٥) الإثني عشرية: فرقة من فرق الشيعة الإمامية، أخذت اسمها من اعتقادها في وجود اثنى عشر إماماً من سلالة الإمام علي بن أبي طالب كرّم اللهّ وجهه، الذي هو أول الأئمة الاثني عشر (الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص١٦٩؛ حسن الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، جـ٢، ص١١٧).

(٦) الحُوَيْزَة: موضع بين واسط والبصرة وخوزستان (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجـ٢، ص٣٢٦).

(٧) يعرف الكتاب أيضاً ب: (تجريد الاعتقاد) وبكتاب (تجريد الكلام) وهو كتاب خطير الشأن، عليه شروح وهوامش وتعاليق كثيرة جداً، فعلى الرغم من صغر حجمه، فقد لعب دوراً بارزاً في (تأسيس الفلسفة الكلامية(البحتة، ويحتوي على أشد الموضوعات الكلامية -الفلسفية- خطورة، صنفها الطوسي في ستة مقاصد. (د.عبدالأمير الأعسم: الفيلسوف نصير الدين الطوسي مؤسس المنهج الفلسفي في علم الكلام الإسلامي، ص١٤٩-١٥٢).

(٨) هو محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر نصير الدين الطوسي. (٥٩٧-٦٧٢هـ/ ١٢٠١-١٢٧٤م): فيلسوف. كان رأساً في العلوم العقلية، علاّمة بالإرصاد والرياضيات. صنف كتباً كثيرة منها: (آداب المتعلمين) و(تجريد في الهندسة)، و(مدخل إلى علم النجوم)، وغيرها. (إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، مجـ٢، ص١٣١؛ د.عبدالأمير الأعسم: الفيلسوف نصير الدين الطوسي، ص٢٣-٢٥، ٧٨-٩٥).

(٩) نجران: تقع بالجهة الشرقية الشمالية من صعدة، على بعد مائة كيلومتر تقريباً، وهي من بلاد يام. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص١٣٣).

بلاد الجميلي، قدر يومين، ومن البديع إلى الحسا ثمانية أيام، وهذه البلاد ولايتها إلى شريف مكة، قال: وحد بلاد السلطان إلى تبريز[1] من بلاد العجم[2] شرقاً، وغرباً إلى بلاد الفرنج، فجميع المغرب للسلطان، وصاحب القيروان[3] الشريف الأدريسي يخطب للسلطان بن عثمان، أخبرني بذلك مغربي من القيروان، والله أعلم.«٣٣أ».

ولما استرد السلطان البلاد العراقية، وتلك الجهات الشرقية طلب الشاه عباس[4] الصلح على بلاده الفارسيَّة، والجبال الخراسانيَّة كما ذكرناه، وبذل في كل عام إتاوة يحملها إلى حضرة السلطنة، والطاعة، فساعده السلطان مراد بن أحمد خان بن عثمان، ومن جملتها تحميل شيء من الحرير يقال قريب خمسمائة حمل فأكثر، مع غيره من نفيس المال الأجزل، فاستمر على ذلك الشرط كل عام، وبعد موته إلى هذه الأيام. ولم يلبث الشاه عباس بعد فتح العراق، وإخراجه من تلك الآفاق إلا المدة اليسيرة، ومات وزال ملكه. وكانت ضربته للدراهم لنفسه، رأيت بقشة وزنها مثل وزن البقشة العباسية، قدر درهم إسلامي[5] وفيها رسمه، وفي ظهرها محمد رسول الله، علي ولي الله. ثم لمَّا مات، وانقضت أيامه، وزالت دولته، تعقبه في مملكته ولده صفي شاه ابن عباس شاه، ثم تغلب عليه ابن أخيه، فقتله وأخذ المملكة عليه، يقال له عباس شاه الثاني بن حسين بن عباس شاه[6].

---

(١) تبريز: مدينة بإيران، وهي اليوم عاصمة ولاية أذربيجان الشرقية (الإيرانية) وتقع بين بحيرة أرمية والساحل الغربي للبحر الأسود. (أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٤٠٠-٤٠١؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، جـ١، ص٤٣٥؛ حسن الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مجـ٢، جـ٩، ص٧١).

(٢) يطلق لقب العجم على الشعوب الإسلامية، التي لاتتكلم العربية.

(٣) القيروان: مدينة في تونس، انشأها عقبة بن نافع عام ٦٧٠م، وكانت عاصمة للأغالبة والفاطميين إلى جانب المهدية. (المنجد في الأعلام، ص٤٢٦).

(٤) كان استرداد السلطان مراد الرابع للبلاد العراقية في عهد الشاه صفي بن صفي ميرزا بن الشاه عباس الكبير، وليس في عهد الشاه عباس كما ذكر المؤرخ هنا وفيما بعد.

(٥) الدرهم: وحدة من وحدات السكة الإسلامية الفضية، وهو مشتق من اسم (الدراخمة) اليونانية وقد استعاره العرب في المعاملات من الفرس (حسن محمود الشافعي: العملة وتاريخها، ص٨٤).

(٦) يخلط المؤرخ بين أسماء الشاهانات الصفويين. والأصح هو أن الشاه صفي بن صفي ميرزا بن الشاه عباس الكبير تولى من (١٠٣٨-١٠٥٢هـ/ ١٦٢٨-١٦٤٢م) ثم جاء بعده الشاه عباس الثاني بن الشاه صفي من =

أخبرني السيد حسين بن محمد التهامي[1] عن شريف من أشراف مكة قال: إنه أخبره لما سار إلى حضرة الشاه، وجده حال وصوله إليه في النزهة بخيامه، ووطاقه[2] وأجناده، وأتباعه قال: وتلك المحطة في الطول فوق الميل، ثم دخل ديوانه، وولج إيوانه، فإذا هو مفروش «٣٣ب» بأنواع الحرير، وجميع الآلات من الصحون المرصعة بالجواهر، والغالي الثمين، وآلات الصحون فضة، يأكلون في صحافها مخالفة لما ورد النهي من النبي ﷺ عنها، وشدة الوعيد فيها، قال: والبغايا في المحطة ساهرون، ولعساكره مخالطون ظاهرون، لأجل ما يرونه في المتعة فانجر إلى هذه البدعة، وتستقر البغية عند أحدهم بدرهم ليلة، ثم تنتقل إلى آخر بدرهم مرة، ثم كذلك، اختلط عليهم الأمر، فنعوذ بالله من ذلك الجهل. قال: وفي كل عام يسلطون الأنعام من البقر، والخيل، والحمير، والجمال بعضها على بعض، ويغرونها بالانتطاح، والتراكب بعضها على بعض والنكاح، ويتفرجون عليها، ويرسمون الضعيف منها بفلان من الصحابة، فإذا غُلب تضاحكوا وفرحوا، واستراحوا، وعجائب من هذه البدع والأفعال، ويرقمون مشائخ الصحابة رضي الله عنهم في النعال، ويرفعون أصواتهم باللعن لهم على كل حال، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم كيف قد صار آخر هذه الأمة يلعن أولها. «٣٤أ».

واعلم أن آل عثمان، قد مكنهم الله تعالى أكثر بلاد الإسلام، وقواهم بالجنود والأموال والانتظام، وذلك تصديقاً لقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[3] فالآية الكريمة قد دلت على غلبتهم وقهرهم لغيرهم إلى

(١٠٥٢-١٠٧٧هـ) وهو ابن الشاه صفي وليس ابن أخيه وجاء بعده الشاه سليمان بن الشاه عباس الثاني من (١٠٧٧-١١٠٥هـ/ ١٦٦٦-١٦٩٣م) (للمزيد انظر تاريخ إيران بعد الإسلام: نقله عن الفارسية د.محمد علاء الدين منصور، ص٦٧٥-٦٧٩، ص٦٩٤).

(١) ترجم له المؤرخ فيما بعد (ق١٩٤ب-١٩٥أ) من هذه المخطوطة، عند وفاته. ولم أجد له ترجمة أخرى سوى ما نقله القاضي إسماعيل الأكوع في كتابه الهجر من مخطوطة (بهجة الزمن(هذه.

(٢) الوِطَاق: جمع وطاقات، وهي الخيمة (تركية). (المنجد في اللغة، ص٩٠٦).

(٣) سورة الروم، الآيات: من١-٤. وتمام الآية الأخيرة ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

آخر الزمان، وأن ذلك متصل بالدجال والمهدي المنتظر من أهل بيت النبي ذلك الأوان، وذلك أن أول مبادى[1] غلبة الروم كان في زمان النبي ﷺ، لَّما انتصرت فارس على الروم فنزلت الآية، فانتصرت بعد ذلك، وغلبت الروم فارس، فكان ذلك مبادئ الغلبة، وما زالت مستمرة إلى الآن، ودليله في الآية قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[الروم:٤] فدلت أن قبل ذلك كان النصر والغلبة على الروم من سائر الملوك كملوك فارس وملوك اليمن من حمير وغيرهم، ثم انقلب «٣٤ب» الأمر بعد ذلك، وصارت الغلبة للروم على غيرهم، فلله الأمر من قبل ومن بعد وفي حديث في صحيح مسلم عنه ﷺ أنه قال: [«تقوم الساعة والروم أكثر الناس»[2]] ولا شك أن سلطان الروم من بني عثمان صار غالباً على جميع الملوك، وما زال[3] مملكته إلى توسع وزيادة ونمو وغلبة في جميع الزمان، فإنه ما زال مُستَفْتِحاً من بلاد المسلمين ومن بلاد الكفار، فالأمر لله تعالى يؤتي الملك من يشاء وينزعه عمن يشاء، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[4] وما لم يستفتحها من البلاد البعيدة عنه كبلاد فارس وما خلفها من بلاد سَمَرْقَنْد[5] وبُخَارى[6] والهند، فهم مدوَّخون، ومصالح الأقرب منهم إلى بلاد السلطان، كبلاد فارس من أرض الشاه عباس فإنه محكوم عليه بالإصلاح[7]، وآخذون عليه أنه إن نكث أو محق في أطراف العراق بالكفاح، فسكن وعليه في كل سنة

---

(١) المقصود بها بداية، وقد تكون من اللَّهجة العامية.

(٢) ورد الحديث في صحيح مسلم، جـ١٨، ص٢٢.

(٣) كذا وردت في الأصل، صحتها: (وما زالت).

(٤) سورة آل عمران، آية رقم: ٢٦.

(٥) سَمَرْقَنْد: اسم إقليم ومدينة بجمهورية أوزبكستان السوفيتية. يقع الإقليم في شمال الجمهورية، وتقع المدينة قريباً من الضفة الغربية لنهر زرافشان، وعلى بعد ١٨٠ ميلاً من العاصمة طشقند. (البلادري: ملحق فتوح البلدان، القسم الثاني، ص٧٣٤؛ أحمد عطية اللهَّ: القاموس الإسلامي، مجـ٣، ص٤٩٢.

(٦) بُخَارى: مدينة بجمهورية أوزبكستان المعاصرة، تقع على نهر زرافشان، كانت أحد مراكز الثقافة الإسلامية الكبرى في آسيا الوسطى. يرجع الاتصال الإسلامي بهذه المدينة إلى خلافة معاوية بن أبي سفيان عام ٥٤هـ/ ٦٧٤م. (دائرة المعارف الإسلامية: مجموعة مستشرقين، مجـ٣، ص٤٠١؛ أحمد عطية اللهَّ: القاموس الإسلامي، جـ١، ص٢٨١).

(٧) أي المصالحة.

قُطْفَة[1] من الخراج، فهو في الحقيقة من أتباع السلطنة. وكذلك سائر البلاد معترفون «٣٥أ» خاضعون لهذا السلطان في جميع الأزمان، وكان هذا المخرج[2] من السلطان مراد المذكور إلى استرجاع العراق ثم اليمن. ثم إنه لما جرى ما جرى من تغلب صنوه إبراهيم -كما ذكرنا- كان صارفاً له عن تمام المقصد والانتهاء، ويدل على ذلك المكاتبة التي جرت من باشا الحساء، كما سنذكره، لأجل المعرفة بما كان جرى، فمن ذلك الكتاب الذي وصل إلى الإمام المؤيد باللهَّ محمد بن القاسم من أهل مكة، يذكر فيه أنه وصل إلى مكة رجل شريف حسيني، خرج من حلب مستهل جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين بعد الألف[3] فذكر أخبار السلطان مراد بن عثمان، وأخبار الشاه عباس، فقال: وقد وقع العام الأول سنة خمس وثلاثين وألف[4] ما وقع من استيلاء الشاه عباس على العراق، فجهَّز السلطان مراد إلى بغداد، ليستردها من سلطان العجم الشاه عباس، وكان سردال[5] عسكره يسمى حافظ أحمد، فخرج «٣٥ب» من جهة السلطان مراد من الروم ومعه ستة لكوك، ووقع بينه وبين عسكر بغداد الحروب المتكررة، وقُتل عالم لا يُحصى، كثرة من الخلق من أصحاب الشاه، فكتبوا إلى الشاه عباس، وكان ذلك الوقت بأصفهان[6] تحت مملكته، ويطلبون منه الإغاثة لهم، والغارة لما قد حل بهم، فتجهز المذكور إليهم بعساكره، ومن جمع معهم من خيله وأجناده وغوايره[7] وحث السير إلى جهة العراق لاستنقاذ أصحابه، فسار كذلك غير متواني ولا متراخي حتى وصل إلى العراق، فلما وصل «٣٦أ»

---

(١) وردت في الأصل بدون إعجام. ونرجح أنها قُطْفَة، وتعني: ورقة يُكتب بها البيانات الخاصة بتسليم ما عليها من الخراج وهي بمثابة (سند استلام) وما زالت مستخدمة إلى الآن، وهي من اللَّهجة العامية في اليمن.

(٢) أي الخروج.

(٣) جمادى الآخرة ١٠٣٦هـ = فبراير ١٦٢٦م.

(٤) ١٠٣٥هـ = ١٦٢٥م.

(٥) صحتها: سردار، وتعني: قائد الجيش. أصلها فارسي. (محمد التونجي: المعجم الذهبي، ص٣٤٣).

(٦) أصفهان. ويقال أصبهان: وهي مدينة ومقاطعة إيرانية تقع في الغرب بين العراق ويزد وكاشان. وأصفهان المدينة تقع على بعد ٤٢٠ كيلومتراً من طهران. وهي بعد طهران تُعد ثاني مدينة من حيث كثرة السكان. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٥، ص٧٨؛ حسن الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مجـ٢، جـ٥، ص٢٣).

(٧) الغواير: مفردها غارة، وتعني النجدة والمساعدة.

انهزم حافظ أحمد، وانكسر كسيرة شديدة، وتبعتهم عساكر الشاه يقتلونهم ويأسرونهم، حتى أن وصلوا إلى ديار بكر[1] قريب من حلب، ولم يرجع منهم إلا القليل، وأقام حافظ أحمد في حلب، وكتب إلى السلطان صاحب الروم، وأخبره بما وقع، فأجاب عليه بالشتم، والتوعد بالقتل، وأمره بالبقاء في حلب حتى يذهب الثلج من العراق ويدخل الحر، فبقى حافظ أحمد يتردد في ديار بكر وحلب، حتى نهب الناس، وأخذ أموال التجار، وحبوب الزُرَّاع، وعظم الأمر، وكثر النهب والقتل في بلاد حلب، ووصل سعر الشعير المكوك[2] خمسة وأربعين حرفاً[3] ذهبياً، والمكوك ستة أزبود صعدي[4]، وأهل الشام ما يعرفون هذا الغلاء، ثم ذكر هذا السيد «٣٦ب» الواصل إلى مكة: إن الأنهار التي كانت بالشام، وهي سبعة، لا يقطعها المار إلاَّ على الجسر أو على السفن قد صارت في هذا الوقت إلى كعب الشِّراك[5] من الظلم والجور الذي اتفق من هؤلاء، ولم يبق في ديار بكر وحلب إلا من لا يقدر على الفرار، ثم إن الشاه عباس بعد أن ذهب الثلج من العراق، وقد كان عاد إلى تخت ملكه أصبهان، تجهز بجموع كثيرة إلى بغداد، ثم يريد الشام لحرب حافظ أحمد، فكتب حافظ أحمد إلى السلطان صاحب الروم يستنجده بالمدد والعُدد، فأمر له من العسكر بما لا ينفع، فلما وصل هذا الجواب هرب حافظ أحمد في الليل بقدر عشرة أفراس، ولا يُعرف أين توجه، وخفي أمره، ولما بلغ السلطان ذلك، عيَّن للخروج إلى العراق خليل باشا[6]

(١) ديار بَكْر: تقع في الغرب من نهر دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجـ٢، ص٤٩٤).

(٢) المكوك: مكيال يسع صاعاً ونصف صاع، أو نصف رطل إلى ثمان أواقي. (د.محمد ضياءالدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ص٣٢٧).

(٣) لم نستطع التوصل في المصادر التي بين أيدينا إلى تفسير لأسعار الصرف. ونتركه للمختصين والمهتمين بالاقتصاد لإجراء الدراسة عليه، وللمقارنة بين فارق سعر الريال في عصر المؤلف وبعد حوالي مائة وستين سنة في عصر الإمام المنصور علي بن العباس (ت ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م) الذي كان فيه سعر صرف الريال (القرش) ٣٥٠ حرفاً. (للمزيد انظر د.حسين العمري: مئة عام من تاريخ اليمن الحديث، ص١٥٠).

(٤) أزبود: جمع زبدي، وهو نوع من المكاييل. وقد أوضح المؤلف هنا مقداره.

(٥) الشِّراك: هو أحد سيور النعل التي تكون على وجهها، والجمع شُرُك. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٣٠٧).

(٦) خليل باشا: هو الصدر الأعظم في عهد السلطان أحمد الأول ومراد الرابع. وهو أرمني الأصل، وأصبح رئيس الإنكشارية عام ١٦٠٧م، وأبلى بلاء حسناً في قمع ثورة الأناضول. خاض معارك بحرية في مالطة وطرابلس الغرب وبالقرب من جزيرة قبرص، وعقد اتفاقاً مع الهولنديين وترتب على ذلك أن قدم أول سفير هولندي مدينة إستانبول (د.حسين المصري: معجم الدولة العثمانية، ص٧٥).

وجمعوا له العساكر، وإلى مستهل «٣٧أ» جمادى الآخرة ولم يتم خروجه من الروم. ولما وصل شاه عباس إلى بغداد عرف أن الروم قاصدوه، فأمر خاناً من خاناته في عشرة آلاف فارس، وقال له: اقصدوهم إلى ديار بكر، ومتى لقيتموهم احربتموهم، وكن على حذر، وكل يوم تصبح يأتي عليَّ منك كتاب، فإن لم تلقهم فامضِ على رسلك، وكل بلد تدخلها لا تبرح منها حتى تستفتحها، فتجهز الخان، ولم يزل يأخذ بلداً بعد بلد من جملة ما أخذه المَوْصل[1] وبلدان كثيرة، ثم صار الآن في قرى آمد من أعمال ديار بكر، قريباً من حلب، وهي بلد كبيرة من أعظم البلدان التي بالشام، فيها قوم من الأرْوام والأتراك، لكنه هجمهم من غير أن يشعروا، وقتلهم قتلاً ذريعاً، وصار في المدينة، والباشا الذي من جهة سلطان الروم «٣٧ب» في القلعة متحصنين. والذي يظهر من شواهد الأحوال أن الأروام إنْ قُدِّرَ لهم همة فهم يصرفونها إلى جهة العراق، وأما فتنة اليمن، فلم يرفعها صاحب مصر إلا في آخر شهر رجب، لأنه لم يعرف حقيقة الواقع إلاَّ ذلك الوقت واللهَّ أعلم. انتهى الكتاب.

وفي أوائل شهر رمضان سنة أربعين وألف[2] وصل كتاب من باشا الحساء والقَطِيفْ[3] وسلطانها، باشا من جهة بني عثمان، واسمه علي باشا ولفظه[4]:

سلام لا يدرك مداه، ولا يحصى ثناه، وأدناه يفوق العطر والعنبر، ويروق كالجوهر، إلى من ألقت إليه السيادة قيادها، وأذعنت له أسباب السعادة فقادها، سلالة الأشراف الكرام، ونخبة ذوي الرفعة والاحترام، فرع الدوحة الهاشمية، وغصن «٣٨أ» الشجرة العلوية الحسينية، ذي الأيادي الحاتمية، والبسالة الأقدمية، حضرة السيد محمد[5] جعله اللهَّ

---

(١) المَوْصل: مدينة مشهورة بالعراق، وهي من المدن القديمة، على طرف نهر دجلة، قيل سميت بالموصل لأنها وصلت بين دجلة والفرات. ويقابلها من الجانب الشرقي نينوى. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجـ٥، ص٢٢٣).

(٢) أوائل شهر رمضان سنة ١٠٤٠هـ = أوائل شهر إبريل سنة ١٦٣١م.

(٣) القَطِيْف: بلدة بناحية الأحساء، وهي من شرقي شمال الأحساء. (إسماعيل أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٩٩).

(٤) وردت هذه الرسالة في. الشرفي:اللآلي المضيئة، جـ٣، ص٦١٣-٦١٤. وهي مُرسلة للإمام المؤيد محمد بن الإمام القاسم.

(٥) هو الإمام المؤيد محمد بن القاسم.

ممن حمدت أقواله وأفعاله، وظهر في العـالمين مجـده وأفـضاله، ووفقـه لـصلاح الأقـوال، ولأحمد الخصال، مما ينتظم به أمر المعاش والمعاد، ويستقيم به أمر العباد[1]«٣٩أ» والـبلاد، إن ربي على ما يشاء قدير. وبعد: فالمقصود الأعظم من توجيه الخطاب، وتنميق الكتـاب، إهداء مسنون الـسلام، إلى جنـاب ذي الغنـى عـن مزيـد الإطنـاب، وإبـلاغ مـسامعكم الشريفة، ومعالمكم المنيفة، أن مُهْدِي سطور المحبة محب للذرية النبوية، والسلالة العلوية، ودواعي المحبة تقتضي المواصلة والمراسلة، ومعلوم أن مـن لـوازم المحبـة والإيـمان، بـذل النصيحة للإخوان، لا سيما ولاة الأمور، الذي جعلهم اللهّ ظلاً لعباده وبلاده، فغير خفـي على علمكم الشريف أنا قد سمعنا ما وقع بينكم وبين الدولة العثمانيـة، والـسدة الخاقانيـة من الحروب والاختلاف وعدم الائتلاف، وأن محبكم يشير عليكم بما يراه صواباً لكـم في الدنيا والدين، وبه استقامة أحوال المسلمين، وذلك توافقوا هذه الدولة العثمانية، وتطيعوا لهم، وتنقادوا في طاعتهم، وتصلحوا ذات البين بينكم وبينهم، فقـد ورد في الحـديث: [إن الفتنة نائمة لعن اللهّ من أيقظها][2]، ولا يخفاكم ما في الصلح من الخـير، وانتظـام مـصالح المسلمين والإسـلام، فقـد قـال تعـالى: ﴿وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ﴾[3] والقـضية في قولـه تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾[4] في معنى الكلية، ومعلومكم أن حـضرة مولانـا الـسلطان قـد أقام اللهّ به الدين، وانتظمت به مصالح المؤمنين، وهـم خُـدَّام الحـرمين الـشريفين، وغـير خفي عليكم ما هم ساعون فيه مـن مقاتلـة الكفـار، ومنابـذة الأشرار، وأن الـيمن محـل الإيمان، كما في الحديث: [الإيـمان يـمان[5]] فـلا يليـق بمـثلكم أن يكـون سـبباً للعـدوان،

(١) يوجد بعد هذه الكلمة ورقة ونصف بياض في الأصل، ثم أُكملت الرسالة بخط مختلف عن خط المؤلف.

(٢) لم أجد هذا الحديث في ما رجعت له من كتب الحديث.

(٣) سورة الأنفال، آية رقم: (١) والآية: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ للهِّ وَ الرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللهَّ وَ أَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَ أَطِيعُواْ اللهَّ وَرَسُولَهُ إنْ كُنتُم مُّؤمِنِينَ﴾.

(٤) سورة النساء، آية رقم: ١٢٨. والآية: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ وَ أُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ وَ إِنْ تُحْسِنُواْ وَ تَتَّقُواْ فَإِنَّ اللهَّ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾.

(٥) ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة في صحيح البخاري، مجـ٢، جـ٥، مناقب، ص٢١٩؛ سنن الترمذي، جـ٥، مناقب، ص٧٢٦؛ سنن الدارمي، جـ١، مقدمة، ص٣٧.

وإخراج أهل الإيمان من الأمان والاطمئنان، والدنيا دار زوال، ولا بد فيها من الانتقال: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[1] والخلق كلهم عباد الله[2] تحت ظلاله، فأحبهم طراً إليه أبرهم «٣٩ب» بعياله[3]، وآل عثمان أيدهم الله ما لهم رغبة إلا في صلاح العباد والبلاد، وانتظام المعاش والمعاد، ومعلوم أنهم ما يتركون اليمن، فاللائق بمثلكم من أهل البيت النبوي أن لا تكونوا سبباً في إثارة الفتنة، وكلامنا هذا من قبيل النصيحة الإيمانية، والمحبة العرفانية. فإن سألتم عن أخبار الوزير الأعظم والسردال الأفخم، فإنه العام الماضي قد توجه على العجم، وملك منها شَهْرَزُور[4] مملكة عظيمة، لها أطراف عريضة وأكناف واسعة، وجعل فيها عساكر وحصوناً له كبيرة، وملك بلد يقال لها درنيق[5] وهدم هَمَذَان[6] ودرفدين[7] وخربها كلها وأطرافها، ودخل في مملكتهم حتى قارب أصفهان، والحاصل أنه أضعفهم جداً، بقوة الله تعالى ومعونته، ثم رجع إلى بغداد وحاصرها مدة، وهدم سورها بالمدافع، فلما وقع الشتاء تأخر إلى بلد قريب من بغداد يقال لها موصل بنية يقعد فيها مع العسكر للتنفس إلى انقضاء الشتاء، وجعل عساكر كثيرة حوالي بغداد من شرقها وغربها، ووضع في الحِلَّة[8]، وفي مشهد مولانا الحسين رضي الله عنه باشوات، وعساكر كثيرة[9] ألوف عديدة، والمسافة بينهما قريبة جداً، وبعد الشتاء

(١) سورة البقرة، آية رقم: ٢٧٢. وأولها: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَآءُ وَ مَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَ ماتُنفِقُونَ إلاَّ ابْتِغَآءَ وَجْهِ اللهِ...﴾.

(٢) وردت في الشرفي: اللآلى المضيئة: (عيال الله).

(٣) وردت في الأصل: (طوا إليه أيديهم بعياله) وقد تم تصحيحها من الشرفي: اللآلي المضيئة، جـ٣، ص٦١٤. ولعله خطأ وقع فيه ناسخ الرسالة، حيث أنها بخط مختلف عن خط المؤلف كما سبق أن ذكرت.

(٤) شَهْرَزُور: كورة واسعة تقع بين أربل وهَمَذان أهلها أكراد، وهي في العراق اليوم. ومعنى شهر بالفارسية المدينة. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجـ٣، ص٣٧٥، البلاذري: ملحق فتوح البلدان، القسم الثاني، ص٧٤١).

(٥) درنيق: لم أجد لها تعريفاً في مابين يدي من مصادر.

(٦) هَمَذَان: سميت بهمذان بن الفلّوج بن سام بن نوح، وهي مدينة في إيران جنوباً بغرب. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجـ٥، ص٤١٠؛ المنجد في الأعلام، ص٥٥٣).

(٧) لم أجد لها تعريفاً في مابين يدي من مصادر.

(٨) الحِلَّة: مدينة في العراق، بالقرب منها أنقاض مدينة بابل. (المنجد في الأعلام، ص١٦٣).

(٩) وردت في الأصل: (كبيرة) وبما أنه بخط مختلف عن خط المؤرخ رأينا تصحيحها.

يرجع إن شاء اللهّ تعالى إلى بغداد، ويفتحها إن شاء اللهّ تعالى هذه السنة، بعون اللهّ وبركات رسول اللهّ ﷺ، فهذه أخبارهم، وأنتم لا تقطعون مراسلكم الشريفة، وأخباركم الظريفة، ونحن يعلم اللهّ محبون لذرية رسول اللهّ ﷺ غاية المحبة، فقد قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1] ونحن على ذلك، وما حملنا على هذا إلا مزيد المحبة لجنابكم[2] وتبقون في حفظ «٤٠أ» اللهّ ورعايته، وصلى اللهّ على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. انتهى. ثم قال: جُهز في الرابع من شهر رجب الفرد أحد شهور سنة ١٠٤٠[3].

والعلامة الواثق باللهّ الفقير علي بن عبداللهّ. وهذا جوابه من الإمام عليه السلام[4]:

بسم اللهّ الرحمن الرحيم، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، من جعل مودة أهل البيت النبوي لديه شعاراً، ومحبة المنصب العلوي لما يرويه ابن خيران[5] الدنيا والآخرة دياراً، فطاب بذلك نفساً وأقوالاً وأفعالاً، وخبرة وأخباراً، الباشا الأكبر، والمقام العالي الأشهر، الآخذ من رئاسة الكمال وكمال الرئاسة بالحظ الأوفر، علي باشا، أصبغ اللهّ عليه النعم، ورفع له إلى كل مكرمة الهمم[6] وأهدى إليه سلاماً، وما يعبر الأرجاء، ويتضوع[7] المسك الذكي أرجاء، ورحمة اللهّ وبركاته التي تبلغ إن شاء اللهّ فيه غاية الأمل والرجاء. وبعد. فإنه وافانا منه كتاب كريم، ومسطور رائق فخيم، حصل به الأُنس، وصدق ما كانت تتحدث به مما هو عليه من سيما الخير النفس، وأحطنا بما اشتمل عليه، واطلعنا على جميع ما لحظ إليه، فذكر أسعده اللهّ ما له من محبة الذرية النبوية، والسلالة

---

(١) سورة الشورى، آية رقم: ٢٣. والآية: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ قُل لاَّ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

(٢) وردت في الأصل: (لحبايبكم(وقد تم تصحيحها من الشرفي: اللآلي المضيئة

(٣) رجب سنة ١٠٤٠هـ = ٦ فبراير ١٦٣١م.

(٤) ورد جواب الإمام المؤيد باللهّ محمد بن القاسم على باشا الأحساء (علي باشا(في الشرفي: اللآلي المضيئة، جـ٣، ص ٦١٤-٦١٨).

(٥) وردت لدى الشرفي: اللآلي المضيئة: (لما يرومه من خيرات الدنيا والآخرة إن شاء اللهّ دثاراً) جـ٣، ص٦١٤).

(٦) وردت في الأصل: (الهم) وقد تم تصحيحها من: اللآلي المضيئة ولعله خطأ من ناسخ هذه الرسالة.

(٧) تَضَوَّع: تحرك فانتشرت رائحته. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٥٥٦).

العلوية، وأن دواعي المحبة اقتضت المراسلة، وبواعث[1] المودة جذبت إلى المكاتبة والمواصلة، وأن من لوازم تلك المحبة والإيمان بذل النصيحة للإخوان، لا سيما ولاة الأمور الذين جعلهم اللهً ظلالاً لعباده وبلاده، وحصل بهم صلاح الجمهور، فعلمنا بذلك أنه إن شاء اللهً ممن وفقه اللهً لله من الخير لما لا يوفق إليه إلا من أخلص اللهً عمله، ووثق «٤٠ب» بما عند اللهً، وتوكل في جميع أموره عليه، إذ كانت مودة آل رسول اللهً صلى الله عليه وآله وسلم هي الخصلة التي جعلها اللهً لنبيه على آداء الرسالة أجراً، ولمن تمسك بها عنده لدينه بياناً، ولنفسه، ولاستحقاق الشفاعة إذا قام في المقام المحمود الذي وعده اللهً رجواً[2] والنصيحة لهم بها كما جاء في الحديث النبوي على قائله وأهله الصلاة والسلام، كمال حقائق الإيمان، وتفتح أبواب الجنان، وكيف لا؛ وبشرى القرآن بذلك ناطقة صريحة، والأخبار النبوية المعلومة بين الأمة الصحيحة، وكفى بقول اللهً عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[3] وقول نبيه صلى الله عليه وآله وسلم: [«ما أحبنا أهل البيت أحد فزلت به قدم إلا ثبته حتى يُنجيه يوم القيامة»[4] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: [«من أحب أن يملى له في عمره، وأن يُمتع بما خوله اللهً فليخلفني في أهلي خلافة حسنة، فمن لم يخلفني فيهم بتر عمره وورد عليّ يوم القيامة مسوداً وجهه»[5]] وقوله: [«جرت شفاعتي لثلاثة من أمتي: الضارب بسيفه أمام ذريتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه»[6]] قوله: [«من أصبغ وضوءه، وأحسن صلاته، وأدى زكاة

---

(١) وردت في الأصل: (تواعب) وتم تصحيحها من: اللآلى المضية. ولعله خطأ وقع فيه ناسخ الرسالة.

(٢) وردت في: اللالي المضيئة: (ذخراً).

(٣) سورة الشورى، آيه رقم:٢٣.

(٤) ورد الحديث في القاسم بن محمد: الاعتصام بحبل اللهً المتين، مجـ٥،ص٤٠٠ ويذكر أنه ورد لدى الهادي يحيى بن الحسين في كتابه الأحكام.

(٥) لم أجد هذا الحديث في ما رجعت إليه من كتب الحديث.

(٦) لم أجد هذا الحديث في ما رجعت إليه من كتب الحديث.

ماله، وغض بصره، وسجن لسانه، وبذل معروفه، واستغفر لذنبه، وأدى النصيحة لأهل بيتي فقد استكمل حقائق الإيمان وأبواب الجنة مفتحة له»].

والحمد لله الذي جعلكم من أهل الصفات التي من اتصف بها فاز ودخل باب حطة النجاة، الذي من دخله تاب اللهّ عليه «١٤أ» وغفر له. وذكر أسعده اللهّ أنه سمع ما وقع بيننا وبين الدولة العثمانية، والسدة الخاقانية من الحروب والاختلاف، وعدم الائتلاف، وما أشار به مما يراه صواباً في الدنيا والدين، وبه استقامت أحوال المسلمين، من إصلاح ذات البين بيننا وبينهم، ورفع أسباب الفتنة عنا وعنهم لما ورد في الحديث النبوي: [أن الفتنة نائمه لعن اللهّ من أيقظها] وما في الصلح من الخير، وانتظام أحوال الإسلام والمسلمين، وما حض اللهّ عليه في قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾(١) وقوله: ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾(٢) في كتابه المبين، وأن السلطان الأعظم ممن أقام اللهّ به الدين، وانتظمت مصالح المسلمين، وشرف بخدمة الحرمين الشريفين، وقام بجهاد الكفار، ومنابذة الأشرار. وأنه لارغبة له إلا في إصلاح البلاد والعباد، وانتظام المعاش والمعاد. وأن قطر اليمن المحمي باللهّ سبحانه محل الإيمان كما ورد، جاء في الحديث النبوي: [الإيمان يمان] وأن أهل البيت النبوي أول من سعى في تسكين الفتن، ودفع عن عباد اللهّ المحن، وأنه خاض معنا في هذا الحديث لصحة دينه، ومحبة إيمانه، فنعم: الأمر كما بلغكم مما وقع بيننا وبين من تعلق بالسلطنة القاهرة، أعز اللهّ بها الإسلام ممن لم يؤد حق اللهّ، ولا حفظ حرمة من حرَّم اللهّ، ولا غضب يوماً على أهل معاصي اللهّ، بل أباح الفجور، وارتكاب الشرور، وشرب المسكرات ظاهراً شائعاً، وإفشاء المقبحات في أمة محمد ﷺ، وفي جوار مساجدها، التي ما زال تبارك وتعالى لها بطاعته رافعاً، وأنكر ما أوجب اللهّ لأهل بيته ﷺ من التعظيم، وائتمام بإمامتهم «١٤ب» والتقديم، والتمسك بهم كما أمر اللهّ على لسان نبيه الكريم، حيث يقول ﷺ: [«قَدِمُوهم ولا تَقدَموهم، وتعلموا منهم ولا تعلموهم، ولا

(١) سورة الأنفال، آيه رقم: (١).

(٢) سورة النساء، آية رقم: ١٢٨.

تخالفوهم فتضلوا، ولا تشتموهم فتكفروا»[1] وقوله: [إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب اللهَّ وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما[2]] قوله: [مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى[3]] وقوله:[إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإسلام ولياً من أهل بيتي موكلاً يعلي الحق وينوره، ويرد كيد الكائدين، فاعتبروا يا أولى الأبصار، وتوكلوا على اللهَّ[4] وقوله: [من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه اللهَّ على منخريه في نار جهنم[5]] وقوله: [«من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة اللهَّ في أرضه، وخليفة كتابه، وخليفة رسوله»[6] فقابلوا دعانا إلى اللهَّ وقيامنا بما أمرنا به من أمر اللهَّ، ومن سلف من آبائنا الأطاهر، ومن سلف من أمة آل محمد ﷺ الأكابر، وما حرضنا عليه عباد اللهَّ وندبنا إليه أمة جدنا محمد رسول اللهَّ ﷺ من الاجتماع على ما أمر اللهَّ به في قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ «٤٢أ» لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[7] ووضع أيديهم مع أيدينا على ذلك، وعلى إقامة القسط وعمارة العدل، ورفع الظلم، ومحو المعاصي، وإقامة الحدود، والأخذ على أيدي الأشرار، إذ كنا أهل البيت النبوي كما في الأثر الصحيح (النمرقة الوسطى إلينا يفي الغالي وبنا

(١) لم أجد هذا الحديث في ما رجعت إليه من كتب الحديث.

(٢) ورد هذا الحديث في سنن الترمذي، كتاب المناقب، ج٥، ص٦٦٣؛ المتقي الهندي: كنز العمال، مج١، ص١٧٣.

(٣) ورد الحديث في الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٦٣.

(٤) لم أجد هذا الحديث في ما رجعت إليه من كتب الحديث.

(٥) ورد هذا الحديث في: القاسم بن محمد: الاعتصام، مجـ٥، ص٤٣٢.

(٦) ورد هذا الحديث في القاسم بن محمد: الاعتصام، مجـ٥، ص٤١٦. وذكر أنه ورد في (الأحكام) للهادي يحيى بن الحسين.

(٧) سورة آل عمران، الآيات من:١٠٢-١٠٤.

يلحق التالي)[1] قابلوا ذلك بما لا نظن أن السلطنة القاهرة مع ما خصها اللهّ مما ذكرتم من فضيلة خدمة الحرمين، ومنابذة أهل الشرك، والذب عن حوزة الإسلام ترضاه، ولا يجب أن يقابل بمثله جدنا محمد رسول اللهّ ﷺ، فإنها أعز اللهّ بها الإسلام بما لا تجهل حق أهل بيت الرسول، ووجوب الاقتداء بهم في الفروع، واعتزاء[2] إليهم في الأصول، ولزوم الائتمام بإمامتهم، والاهتداء بهدايتهم، والإجابة لدعوتهم، والجهاد لمن عاداهم، لعلمها بما جاء عن اللهّ وعن رسوله، وسماعها لتزكية اللهّ لهم في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3] وقوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[4] فكيف يأمر بمودة من يجوز خلافه أو يسوغ فراقه مع قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[5] وتأكيده تبارك وتعالى ذلك، بالأوصاف الظاهرة، والآيات الباهرة في مثل قوله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ «٤٢ب» ٱلْأُمُورِ﴾[6]

وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾[7] وتفسيره إياهم بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ

---

(١) هكذا في الأصل. ورد هذا النص في نهج البلاغة، جـ٤، ص١٠٩ كما يلي: (نحن النُّمرقة الوسطى بها يلحق التالي وإليها يرجع الغالي).

والنمرقة: تعني الوسادة وآل البيت أشبه بها للاستناد إليهم في أمور الدين.

(٢) هكذا في الأصل. وفي اللآلي المضيئة، جـ٣، ص٦١٦: (الاعتزاء) وهي الأصح.

(٣) سورة الأحزاب، آية رقم:٣٣. وأولها: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَءَاتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَّ وَرَسُولَهُ...﴾.

(٤) سورة الشورى، آية رقم:٢٣.

(٥) سورة المجادلة، آية رقم:٢٢. وتمامها: ﴿أُوْلَـئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللهِّ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِّ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(٦) سورة الحج، الآيات رقم:٤٠، ٤١ وأول الآية الأولى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُواْ رَبنا اللهُّ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِّ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِّ كَثِيراً...﴾.

(٧) سورة التوبة، آية رقم:١١٩.

﴿وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾(1) وقوله ﷺ لأهل بيته: [«أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم»(2)] وقوله: [«من قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال»(3) حاشا السلطنة القاهرة أن ترضى بذلك، وتسلك هذه المسالك، أو تتخذ غير أهل البيت النبوي بدلاً، أو تبغي عنهم وعن اتِّباعهم حِوَلا، بل هؤلاء الوسائط بيننا وبينهم هم الذين عموا السبل، وأضاعوا الحق، وأعظموا الفرية، ونسبوا إلى السلطنة بما هي إن شاء اللهّ مبرأة عنه، ومنزهة منه. نعم: ولما ينزعوا من الغي عن غاية، ولا رعوا ما أوجب اللهّ له الرعاية لم نزل ندفعهم بالتي هي أحسن كما أمر اللهّ ونجنح(4) عليهم إن جنحوا للسلم كما أذن اللهّ، ونذكرهم اللهّ واليوم الآخر، وما افترض من الطاعة له ولرسوله، ولأولي الأمر من أهل بيته الأطهار في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾(5) حتى (انتهت(6) نيابتهم في اليمن إلى من حملته الشهوات على نقض العقود ونكث العهود، ولا يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة، ولا تأخذه لمسلم رأفة ولا رحمة، فكررنا عليه الأعذار، حتى طال على المسلمين الانتظار، وهو لا يزداد إلا قسوة، ولا يأوي من الحق إلى ربوة. فلما لم نجد عن أمر اللهّ بداً استعنا باللهّ وتوكلنا على اللهّ، وبذلنا في «43أ» فريضة الجهاد جهداً امتثالاً لقول اللهّ عز وجل: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾(7) وقوله عز وجل: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ

---

(1) سورة الحجرات، آية رقم:15.

(2) ورد الحديث في سنن ابن ماجة، جـ1، مقدمة، ص52؛ سنن الترمذي، ج5، مناقب، ص699؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، جـ3، ص161.

(3) لم أجد هذا الحديث في ما رجعت إليه من كتب الحديث.

(4) وردت في اللآلي المضيئة، جـ3، ص166: (ونحتج).

(5) سورة النساء، آية رقم:59.

(6) أضفناها من اللآلي المضيئة حتى يستقم المعنى. ولعلها سقطت على ناسخ الرسالة.

(7) سورة البقرة، آية رقم:193. وتمامها: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(1) وخوفاً من مثل ما يخوف اللهّ بـه في قوله: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾(2) [و]قوله ﷺ: [«لتأمرن بالمعروف ولتنهـون عـن المنكـر أو ليسلطن اللهّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»(3) حتى إذا بلغ الكتـاب أجلـه كـان اللهّ هو المنتصر لنفسه، ثم يقول: ما منعكم إذا رأيتموني أُعصى أن لا تغضبوا لي(4)] ثـم لم نـزل نُرجى(5) أن السلطنة القاهرة أعز اللهّ بها الإسلام إذ رُفع إليها مثل هذا الشأن، وبلغها هذه الحجة التي لا يختلف عليها اثنان، تتلافى ما فرط من الإضاعة، وتستدرك ما فات في حـق أهل بيت نبيها الذين لا تستحق إلا باتباعهم الشفاعة، فما راعنا إلا الإجلاب(6) عن أهـل بيت الرسول الأمين، وعترة محمد٤٣» ب» سيد النبيين بمن جاب البر والبحر لينهك منهم والعياذ باللهّ حُرمه، وملأ بزعمه الفضاء من أُجَرائِه الذين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمه، فأبى اللهّ سبحانه، وله المنة، إلا ظهور كلمته وإنفاذ حجته، ونصرة أهل بيت نبيه، والإعانة لعبده ووليه، فصدق وعده، وأعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وحفظ نبيه

(1) سورة التوبة، الآيات: من ١٣-١٥.

(2) سورة المائدة، الآيات من: ٧٨-٨١.

(3) وردت في الأصل: (له).

(4) ورد الحديث في البيهقي: السنن الكبرى، ج١٠، ص٩٣؛ المتقي الهندي: كنز العمال، مج٣، ص٦٨.

(5) وردت في اللآلي المضيئة: (لم يزل يترجى).

(6) الإجلاب: وردت في لسان العرب بمعانٍ متعددة، منها ماذكر بأن الجَلْب: هو الجناية على الإنسان ولعلها المقصودة هنا. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٤٧٧).

المصطفى في آله، وحفظهم فيه بما أكرمهم به من اتباعه في قوله وفعاله، وإلا فمن لنا بالاجتماع على الحق، وهل إلى غيره دَعَوْنا هذا الخلق[1] مع سماعنا لمثل قوله عز وجل: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2] وهذه جملة شرحها يطول، وتفصيلها له أطراف وذيول أحببنا مطارحتكم بها لما كنتم من أرضى أهل العقول، نشارككم فيما عندنا، ونؤدي لكم مما وجب من النصيحة إن شاء اللهّ جهدنا، راجين إن شاء اللهّ أن نكون نحن: ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[3] وتكونوا أنتم ممن قال اللهّ فيهم: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[4] فيصدق فيكم إن شاء اللهّ ذلك الحديث النبوي: [ما أحبنا أهل البيت فزلت به قدم إلا ثبتت قدم حتى ينجيه اللهّ يوم «٤٤أ» القيامة]. وذكرتم أسعدكم اللهّ الوزير الأعظم والسراوات[5] الأفخم وما جرى من الحروب بينه وبين العجم، فتفضلتم وأحسنتم لرفع ذلك، وتحقيق ما هنالك، فإن النفوس تتشوق الإطلاع على الأخبار، ولا يرفعها على وجهها إلا مثلكم لبعد الديار، ونسأل اللهّ أن يدفع عن جميع هذه الأمة المحمدية[6] السوء ويجمعها على أمر اللهّ بالاجتماع عليه من كتاب اللهّ وقرنائه من أهل بيت النبي المؤتمن، ونعيذ الجميع من نزغات الشيطان الرجيم، ومن مظلات الفتن، بجاه نبيه المصطفى ﷺ. وحسبنا اللهّ ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا باللهّ العلي العظيم، وصلى اللهّ على سيدنا محمد

(١) وردت في الأصل: (هذا الحق) تم تصحيحها من: اللآلي المضيئة. وهو خطأ من ناسخ الرسالة.
(٢) سورة الحجرات، الآيات رقم: ٩، ١٠.
(٣) سورة فصلت، آية رقم: ٣٣. وأولها ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً...﴾.
(٤) سورة آل عمران، الآيات رقم: ٥٢، ٥٣. وأول الآية الأولى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِّ﴾.
(٥) أي: السردار، وقد سبق شرح معناها.
(٦) وردت في الأصل: (المحمد) وتم تصحيحها من: اللآلي المضيئة.

وآله وصحبه أجمعين[1] ....[2].

« ٤٤ب » وكتب الشاه عباس وهو يومئذٍ ببغداد إلى شريف مكة، محسن بن حسين بن أبي نمي[3] كتاباً، يتوعده و يرهبه، وتوعده بدخول مكة، ومن جملته هذه الأبيات:

أخْلَوا المساجد من أشياخِنا وبغوا
حتى كملنا و أخلينا الدَّواوِيْنا
إنا لقومٌ أَبَتَ أخلاقُنا شرفاً
أن نبتدي بالأذى من ليس يُؤذينا
بْيضُ صنائعُنا، سُودٌ وقايعُنَا
حمرٌ مواضِيْنَا[4]
نُعطي فلا جُودنا قد كان عن غَلَطٍ
مِنَّاً ولا أجْرُنا قد كان ممنوناً
بياذق[5] ظفِرت أيدي الرجَاح بهم
ولو تركناهم صارت فَرَازِينَا[6]

(١) ذكر الشرفي في: اللآلي المضيئة، ج٣، ص٦١٨: بأن هذه الرسالة حُررت في ٢٥ شعبان عام ١٠٤٠هـ بدرب الأمير بأقر، من أعمال شهارة.

(٢) بياض في الأصل، قدر نصف ورقة، بعد هذه الرسالة يواصل المؤرخ الكتابة بخطه.

(٣) الشريف محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي الثاني (٩٨٤-١٠٣٨هـ/ ١٥٧٦-١٦٢٩م) : شريف حسني من أمراء مكة. وليها سنة ١٠٣٤هـ، واستمر الى سنة ١٠٣٧هـ. فوثب عليه ابن عمه أحمد بن عبد المطلب، وساعدته عساكر الأتراك، فظفر أحمد وخرج محسن إلى اليمن، فمات فيها ودفن في صنعاء. (المحبي: خلاصة الأثر، ج٣، ص٣٠٩-٣١١؛ زيني دحلان: خلاصة الكلام، ص٦٨؛ الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٧٣-١٧٤).

(٤) مواضينا: المواضي: السيف القاطع. يقال: مضى السيف مضاء: أي قطع. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٤٩٨).

(٥) البياذِقه: هم الرجالة، واللفظة فارسية معربة. سموا بذلك لخفة حركتهم، وأنهم ليس معهم ما يثقلهم. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص١٨١).

(٦) الفرازين: جمع فرزان، من لعب الشطرنج. فارسي معرب. والفرزان في الشطرنج الملكة. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص١٠٧١).

انتهت الأبيات للشاه عباس إلى شريف مكة محسن بن حسين، وبسببه كان خروج السلطان مراد بن أحمد خان لفتح بغداد، وإخراجه عنه خشية من استيلائه على الحرمين الشريفين. «٤٥أ».

وهذه صورة كتاب أيضاً من الباشا المتولي لجهات البحرين والحساء من جهة بني عثمان إلى الإمام المؤيد، فقال:

الحمد لله حق حمده. لطائف الأبنية[١] الشريفة، وطرائف التحيات الظريفة، تحملها نسائم الوداد عن صميم الوداد، ويشملها شمائم الإخلاص على نجائب التحية[٢] والأمجاد تُهدى إلى المقام الأطهر، والجناب العالي الأفخر، فرع الدوحة الهاشمية وحصن الشجرة الحسينية، الآخذ من رتب المعالي بأعلى ذراها، والحائز من قصب السبق في ميادين الفضائل أعلاها، عين أعيان السادة الفخام، وسلالة الأطاهر القادة الكرام، ذي الأخلاق الشهيرة الحميدة، والصفات الكاملة العديدة، حضرة السيد الكامل السيد محمد بن القاسم، خصه اللهّ تعالى من المعالي بأعلى المقاسم، وجمع في الدارين له مناقب المكارم، ومراتب الأكارم، ولا زال في دعة وأمان، وراحة «٤٥ب» واطمئنان، ساحباً ذيول شرفه، سالكاً سبيل سلفه بحرمة النبي ﷺ. وبعد: فقد ورد الكتاب الكريم الرائق، والخطاب الجميل الفائق، فكان أعز نازل، وأكرم واصل. لا سيما وقد حصل به الأنس العظيم، والسرور العميم لإشعاره عن صحتكم، وصفاء أوقاتكم، واعتدال حركاتكم، فذلك عندنا من أسنى الفوائد، وأجل المقاصد، لا زالت القوافل تحمل جميل أوصافكم، والرواحل تشد لنيل معروفكم وإنعامكم. وقد استنشقنا مافاح من عَرْف[٣] الكتاب المستطاب، والتقطنا أزهار ذلك الجواب، مما رويتموه من الأحاديث الشريفة، والأخبار

(١) وردت في اللآلي المضيئة، ج٣، ص٦٢٤ : (الأثنية) وهي الأصح (من الثناء.)

(٢) غير واضحة في الأصل، وتم استخراج الكلمة من اللآلي المضيئة.

(٣) العَرف: الرائحة الطيبة أو الرائحة الخبيثة. والأولى هي المقصودة هنا. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٧٤٧).

المنيفة المصطفوية، في فضائل أهل البيت العظيمة، ومناقبهم الكريمة. فهذا أمرٌ لا يُنكر، بل هو أظهر من أن يُنْشَر ويذكر، ولا أعظم من فضل جاء به الروح الأمين، «٤٦أ» وصار ذكره وحياً يتلى من المؤمنين، يثاب أقاربه[1] ويؤجر تاليه أبداً إلى يوم الدين، ولو لم يكن من ذلك إلا هذه الآية الشريفة المنيفة: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[2] وما طلب المبعوث أجراً على الهدى بتبليغه إلا المودة في القربى، وما أشرتم اليه من النفثات المرضية، في مقابلة ما فاتحكم المخلص، محب العترة النبوية، من المفاوضة في النصيحة الإيمانية، والمشورة العرفانية التي هي من مقتضيات الدين، وموجبات الفوز بمرضاة رب العالمين، من الاعتذار بأن الدولة العثمانية، والسدة الخاقانية يرسلون بالوسائط إلى جهتكم بحيث يعمون السُّبل، ويضيعون الحقوق، ويعظمون الفرية، وينسبون إلى السلطنة ما هي إن شاء اللهّ تعالى مبرأة عنه، ومنزهة منه، فهو يا سيدنا كما ذكرتم، وهؤلاء الوسائط أمرهم كما عرفتم وبينتم، لكن ليس يخفى على «٤٦ب» علمكم الشريف، وعلى سائر العقلاء خصوصاً السادة النبلاء، أن آل عثمان أكبر مقاصدهم صلاح البلاد والعباد، وإخلاء العالم عن الفساد، فكيف يرضون بأفعال مثل هؤلاء؟! فكان يليق من سيدنا الشريف أن يعرض إليهم أولاً، ويعرِّفهم مثل هذه الأحوال، فإن كلام مثلكم عندهم مسموع، وقولكم لديهم مقبول، فلو تقدمتم إليهم في مثل هذا الخطاب، لم تروا عندكم إلا ما سركم من الجواب، ومع ذلك فإنهم يعظِّمون أهل البيت النبوي، والنسب العلوي. وأما الوسائط المذكورون فيليق معهم الدفع بالتي هي أحسن، إلى أن ترى الميامين السلطانية، والأعطاف الخاقانية، فقد قال سبحانه: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[3] ثم قال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ

(١) وردت في اللآلي المضيئة، ج٣، ص٦٢٤: (يثاب قاريه).

(٢) سورة الشورى، آية رقم: ٢٣.

(٣) سورة النحل، آية رقم: ١٢٥. وأولها: ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ....﴾.

«٤٧أ»﴿لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[١] هذا مع أمة نبيه وحبيبه الساعي في إعلاء كلمته، وتبليغ دعوته، فغاية فضلنا تحقيق متابعته. وأيضاً فقد علمتم ما وقع للسيد الأكرم جدكم الحسن[٢] رضي اللهّ عنه حين خشي مزيد الفتنة على المسلمين من الرغبة في حقن دماء المسلمين، وكف القتل بين الفئتين حتى قبل الصلح، ورضي به، مع أنه المحق إذ ذاك على التحقيق، ومع ذلك لم يبال بتعبث الجاهل، ولا منابذة المغرورين، لما يعلم هنالك مما سبق من امتداح جده المصطفى ﷺ له بذلك، إذ قال: [«إن ابني هذا سيد، وسيصلح اللهّ به فئتين عظيمتين من المسلمين»[٣] حتى ظهرت بذلك المعجزة النبوية، وتحققت بذلك الفضيلة الحسنية، هذا مع انتظار الفرج بالصبر عبادة، كما أشعر به الحديث الشريف، فأحرى إذ كانت المصلحة منوطة بالصبر إلى أن تأتي الأوامر السلطانية بنيل المقصود، «٤٧ب» ومقابلة الصبر بالثواب المعجل فضلاً عن الموعود. وكان هذا من محبكم من مقتضيات المحبة، وموجبات المودة، فإن الدين النصيحة، والمحبة تسوغ مثل ذلك، ورأيكم أعلى، وفضلكم أجل وأسمى. وبلغوا لنا جزيل السلام، على الإخوان الفخام، والأولاد الكرام، والسلام عليكم ورحمة اللهّ وبركاته. بتاريخ عشرين جمادى الأولى، سنة إحدى وأربعين وألف سنة[٤] وإن سألتم عن الأخبار من جهة الدولة المنصورة، والسدة العالية المشهورة، فنحيط علمكم الشريف أن حضرة مولانا الوزير الأعظم الأكرم، نوى التوجه إلى بغداد[٥] رأيه أن يبقى العساكر في شتاهم على هيئتهم وجمعتهم ليسكن عنهم شدة الشتاء، ثم يتوجه إن شاء اللهّ مع العسكر المنصورة في أوائل الربيع. وهذا الذي جاءت به رسلنا من عندهم،

(١) سورة النحل، آية رقم: ١٢٦.

(٢) المقصود به: الحسن بن علي بن أبي طالب رضي اللهّ عنهما.

(٣) ورد الحديث في صحيح البخاري، مج٢، ج٥، كتاب فضائل الصحابة، ص٣٢؛ سنن الترمذي، ج٥، مناقب، ص٦٥٨؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك، ج٣، ص١٩٢.

(٤) ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٠٤١هـ = ١٤ ديسمبر سنة ١٦٣١م.

(٥) سقط سطر من الرسالة وقد ورد في اللآلي المضيئة، ج٣، ص٦٢٥، وهو كما يلي: (التوجه إلى بغداد هذه السنة فلما ذُكر له مزيد المحْل وعدم النبات في جوانبها وأطرافها اقتضى رأيه...).

ولنا أيضاً عندهم رسل غائبون يأتون إن شاء اللهّ منهم بحقيقة أخبارهم. «٤٨أ» وأحوالهم والسلام.

وهذا جواب من الإمام على هذا الكتاب. لفظه:

بسم اللهّ الرحمن الرحيم، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، من اقتعد من الرئاسة ذروتها، وتسنَّم من السياسة صهوتها، المغذّى بلبان ولاية العترة من قبل الفصال، المتخذ لمودتهم ومحبتهم ذخراً في المسالك، القائم على قدم العقيدة الصحيحة فيما اختصهم به من الفضائل والإجلال، الباشا المحمود الصفات، الرئيس الأعظم الكريم السمات، ميمون النقائب، ورفيع المراتب، علي باشا، أسبغ اللهّ عليه النعماء، ورقّاه إلى القدر الرفيع الأسمى، وأهدي اليه سلاماً متكرراً، يتطيب به مقامه ويتعطر، ورحمة اللهّ وبركاته. وبعد: فإنه وافى مصدوره الشافي، ومكتوبه الكريم الوافي، متضمناً ما هو عليه من ولاية العترة الزكية، والذرية النبوية، والعصابة العلوية. وحفظ فيهم «٤٨ب» بحق جدهم ووفائه لهم بتوثيق عهدهم، ونسأل اللهّ أن يجعل ذلك لهم وسيلة إليه وإلى رسوله، ويبلغه به من خيري الدنيا والآخرة ومن شفاعة محمد ﷺ غاية مأموله، ويجعلنا وإياه ممن سمع الحق فوعاه، وعرف الصواب فرعاه، واستجاب لربه إلى ما يحبه إذا دعاه، وسعى للآخرة سعيها فشُكر مسعاه، بحق محمد ﷺ. ذكر رفع اللهّ ذكره ما تضمنه جوابنا عليه فيما فاتحنا به في كتابه الأول من النصيحة الشاهدة له بالمودة الصحيحة، وأن السلطنة القاهرة أعز اللهّ بها الإسلام لو رُفع إليها ما كان من أولئك الوسائط، الذين خرجوا من جهتها إلى اليمن من الفساد والعبث بإهلاك الحرث والنسل في العباد والبلاد، والقطع بما أمر اللهّ أن يوصل من موالاة أهل البيت الأطهار، والهدم لما أمر اللهّ أن يعمر من معالم الدين ورفع المنار، لما رَضِيت ذلك منهم، ولا أقر لهم على ما صدر عنهم، لتعظيمها للعترة النبوية، وتكريمها[1] للذرية العلوية، وعنايتها في إصلاح العباد، وسعيها في عمارة البلاد، وأنه كان يليق مع

(١) وردت في الأصل: (وتكرها) وفي اللالي المضيئة: (تكريمها) وهي الأصح، لذلك أثبتناها حتى يستقيم المعنى.

أولئك الوسائط الدفع بالتي هي أحسن حتى يَرِد منهـا دفـع مـا يرفـع ذلـك، كـما «٤٩أ» يقتضيه حسن الظن، فذلك الذي كان الظن يقضي به في مكارم السلطنة العالية، ويخطر في الأمل من همتها السامية، ولكنه طـال بـذلك الأمـد، وظهـر ظهـور لا يخفـى عـلى أحـد، وتوالت عليه الحقب والأعوام، وخلف عليه أقوام بعد أقوام، وصار أمره عندها أعـز اللهَّ بها الإسلام معلوماً مشهوراً، وذكره في الشام واليمن ظـاهراً لا مغمـوراً ولا مكتومـاً، ولم يأت الثاني من هؤلاء الذين خرجوا من تلك الديار إلا بأعظم مما جاء به الأول، ولا كانت همة الآخر إلاَّ إلى مـا يتـذرع بـه إلى هـواه مـن ظلـم العبـاد، والإفساد في الـبلاد، ليلهـو ويتموَّل[1] وجعل على ذلك المعول، وإن خفي فلم يخف عليكم، زادكم اللهَّ كمالاً، ما كـان من الوزير قانصوه، هذا على أنه على زعمه إنما خرج لإصلاح ما فسد في حرم اللهَّ وأمانـه، ومتنزل وحيه وإيمانه، وما جرى منه «٤٩ب»من العبث والبطش في سكانه وقُطَّانـه، مـن الرؤساء والأشراف، وغيرهم من أهل المسكنة والاستضعاف، فهم بين مقتـولُ بالـسيف، ومُجْلا عن الدار، ومستأصل المال، ومشدود في الإسـار[2] وكفـى بالـشريف الحـارث بـن حسن هذا الذي بالغتم له بالشفاعة، وأردتم أن يكون السعي لـه مـنكم للـوزير الأعظـم أولاً ثم إليه ثانياً وسيلة إلى الله وإلى جده رسول الله ﷺ عند قيام الساعة على أنـه لا ذنـب له غير إلقائه إليه بيده، وركونه إليه وإيثاره إيَّاه على أهله وإخوانه وولده، ومما لأته لـه فـيما وقع منه من العبث في حرم الله العظـيم وبلـده، فجـازاه كـما يُجـزى سِـنِّمار[3] وأركـسه في

(٢) أي يكثر ماله. (الفيرو زابادي: القاموس المحيط، ج٤، ص٥٢).

(٢) الإسار: القَيْد، ومنه سمي الأسير. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٦٠).

(٣) سِنِّمار: هو رجل رومي، كان بناءً، استخدمه النعمان بن امرئ القيس، أحد ملوك الحيرة في القـرن الخـامس الميلادي في تشييد القصر الذي يُعرف باسم (الخَوَرنق) فلما فرغ منه ألقاه النعمان من أعلى القصر، فخر ميتاً، وذلك حتى لايبني مثله لغيره، وقيل: إن السبب أن سِنِّمار قال: إني لأعرف في هذا القصر موضعاً عجيباً، إذا هُدم تداعى القصر كله، فرُمي مـن أعلى القصر. فضربت به العرب المثل الذي لمن يجزى بالإحسان الإساءة. وقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة (للمزيد انظر أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، مجـ٢، ص٥٦٢-٥٦٣، الميـداني: مجمـع الأمثـال، جـ١، ص١٥٩-١٦٠).

الحديد حتى هلك في الإسار. ثم بعد وصوله إلى هذه الديار اليمنية، أظهر من الظلم في أهل الإسلام ما يعمي ويصم، وارتكب من الأمور العظام أمراً ما به سمع «٥٠أ» عمن قبله ولا علم. وحسبك أن وقع في يده بعض الأشراف الضعفاء من ذرية الرسول المصطفى، فكان ما تقرب به إلى الله وإلى رسوله من الرعاية أن مثَّل به، فقطع أباهيم يديه، وجعله آية، وأظهر عند ذلك أن يزيد، ولا بلغه الله أن يفعل مثل هذا الفعل بكل من ظفر به من أولئك حتى شرق ذلك عنه وغرَّب، وأتْهَم وأنْجد[1] فكيف يرعوي مثل هذا الدفع بالتي هي أحسن، على إنا كما رفعنا إليكم قد بالغنا في ذلك، حتى كان الحق لنا، ولم يكن الاعتداء إلا علينا في سالف الزمن، بما وضعناه من الصلح والهُدن، ولمَّا تضيَّق الحق لله سبحانه، ولعباده، وتأكدت الفريضة التي ذكرها الله تعالى في قوله عز وجل: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾[2] لم يسعنا إمهال عباد الله، ولا رأينا عذراً عند الله وعند جدنا رسول الله سيما حين بدأونا بالقتال، وأجلبوا علينا وعلى المسلمين[3]«٥٠ب» والضعفاء والمساكين المحنة. وقد سمعنا الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[4] ويقول عز وجل: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾[5] ونبيه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يقول: [«ما من

---

(١) أتْهَم: بمعنى أتى تهامة، وأنْجد: بمعنى أتى نجداً فكلمه (أتهم) عكس كلمة (أنجد) فالأولى بمعنى: المناطق المنخفضة والثانية المناطق المرتفعة. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٣٣٥، مج٣، ص٥٨٣-٥٨٢).

(٢) سورة الحج، آية رقم: ٧٨. وتمامها: ﴿وَجَاهِدُواْ فِي الله حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ اِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِالله هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

(٣) سقط سطر من الرسالة على المؤرخ. وقد ورد لدى الشرفي: اللالي المضيئة، ج٣، ص٢٢٦ كما يلي: (وأجلبوا علينا وعلى المسلمين بخيلهم ورجلهم يطلبون والعياذ بالله الاستئصال، وملأوا بجموعهم وإخوانهم لنكاية الحق وأهله الهول والجبال، وعظمت منهم على المسلمين...).

(٤) سورة البقرة، آية رقم(١٩٣).

(٥) سورة هــود، آية رقم(١١٦).

نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون، وأصحاب (يأخذون[1] بسنته، ويقتدون بأمره، ثم إنها تُخلف من بعده خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[2] ويقول: [إن الناس إذا رأوا[3] الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله تعالى بعقاب منه[4]] ويقول: [ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون «٥١أ» أن يغيروا فلا يغيرون، إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب[5]]، ويقول: [إذا عُملت الخطيئة في الأرض، كان من شاهدها فأنكرها كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها[6]] جاء في كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وما قصه من الملاحم: أنه يكون في آخر الزمان قوم يتبع فيهم قوم يقرءون ويكتبون، لا يخفون أمراً بالمعروف، ولا نهياً عن منكر، إلا إذا أمِنوا الضرر، يطلبون لأنفسهم الرُخص والمعاذير، يتبعون زلات العلماء، وما لا يضرهم في نفس ولا مال، فلو أضرت الصلاة والصيام، وسائر ما يعملون بأموالهم وأيديهم[7] وأولادهم لرفضوها. وقد رفضوا أشرف الفرائض من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض. إن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصالحين، بها تُقام الفرائض، وتُحل المكاسب، وتُطرد المظالم، وتُعمر الأرض، وتُنصف من الأعداء. «٥١ب» فأنكِرُوا المنكر بألسنتكم، وصكوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم. قال:

(١) تم إضافة كلمة (يأخذون) من نص الحديث ليستقيم المعنى، ولعلها سقطت على المؤرخ.

(٢) ورد الحديث بهذا اللفظ في(صحيح مسلم، ج٢، إيمان، ص٢٦-٢٧، السنن الكبرى للبيهقي، ج١٠، ص٩٠).

(٣) وردت في الأصل: (أرادوا) وقد تم تصحيحها من نص الحديث حتى يستقيم المعنى.

(٤) ورد الحديث بهذا اللفظ في: (سنن الترمذي، ج٤، كتاب الفتن، ص٤٦٧؛ سنن أبي داود، ج٢، ملاحم، ص٤٣٦).

(٥) ورد الحديث بألفاظ مختلفة في: (سنن أبي داود، ج٢، ملاحم، ص٤٣٦؛ سنن ابن ماجة، ج٢، فتن، ص١٣٢٩؛ السنن الكبرى للبيهقي، ج١٠، ص٩١).

(٦) ورد الحديث في سنن أبي داود، ج٢، ملاحم، ص٤٣٨.

(٧) وردت في اللالي المضيئة: (وأبدانهم) وهي الأصح.

وأوحى الله عز وجل إلى نبي من أنبيائه أني معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم فقال: يارب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: داهنوا أهل المعاصي، ولم يغضبوا لغضبي.

وذكرتم ما كان من جدنا الحسن السبط سلام الله عليه من قبوله الصلح مع أنه المحق إذ ذاك على التحقيق، فبفعله سلام الله عليه فيما كنا قبلناه من الهدنة الماضية اهتدينا، وعلى مثاله فيما جنحنا إليه من السلم إذ جنحوا لها احتذينا، وبه اقتدينا فكان من النكث ما ذكرناه لكم، ومن النقض مارفعناه إليكم، على أنا الآن لا نرد من جنح إلى السلم، ولا نهيج من رعى حرم الإسلام، وما أوجب الله لأهل بيت نبيه الذين اختارهم على علم، بل لم «٥٢أ» نزل نكرر إليهم الدعاء إلى الخير وإن لم يُسمع، ونذكِّرهم بالله وباليوم الآخر، ووصْل ما أمر الله به أن يوصل، وقطع ما أمر الله به أن يقطع، وما برحنا في كل موسم يمر من مواسم الحج إلى بيت الله الحرام نراسلهم في تجهيز حجاج بيت الله، وإيفاد وفد الله، وأنهم مضمونون إن شاء الله فيما هو إلينا من بر أو بحر، ذهاباً وإياباً في النفوس والأموال، والخاص والعام، ونمهد لذلك السُّبل، ونأمر بإصلاح المناهل، ونعلن في جميع البلاد بأن من أراد الحج من مأمور وأمير، وصغير وكبير، فهو آمن السَّرْب[1]، ومحفوظ في البعد والقرب، حتى يبلغ مأمنه، وينال من أمله إن شاء الله تعالى أحسنه. فكان الامتناع منهم، والصد من جهتهم. وذكرتم أن كل ما ذكرتموه من مقتضيات المحبة، وموجبات المودة، فالأمر «٥٢ب» كذلك، ونحن إن شاء الله ممن لا يأنف عن النصائح، ولا ممن تأخذه العزة بالإثم، إذا قيل له: اتق الله، بل نرى ذلك هو المتجر الرابح، والمفاتح فيه هو الصديق المصدوق المناصح، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت واليه أُنيب: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2] وحسبنا الله ونعم الوكيل. انتهى.

(١) السَّرب: بالفتح: الطريق. (إبن منظور: لسان العرب، مج٢، ١٢٦).
(٢) سورة يوسف، آية رقم: ١٠٨.

وقد ذكرنا هذه المكاتبة هنا للمناسبة عند ذكر استرجاع العراق للسلطان مراد، وإن كان تاريخ المكاتبة لأربعين بعد الألف قد سبق على هذا الوقت[1] والله الموفق.

وفيها أو غيرها اتفق لثعلب أن ذئبة أكلت أولاد الثعلب، فغفل للذئب حتى خرج من بيته ثم حمل أجراه[2] وطرحهن في بركة مفضوضة[3] لا ماء فيها، من مَوَاجِل[4] العيون القديمة، ثم بقي برأس الماجل، إذ وصل الذئب ولم يجد أولاده، فرأى الثعلب على رأس الماجل فاتهمه، فقصده، فقفز الثعلب إلى الماجل بين أولاده لأجل يلحقه الذئب، ثم لا يقدر على الخروج من الماجل، والثعلب خرج من مَفْجَر[5] الماجل، وطلع رأسه يصيح لأجل يقْبِل إليه الناس، فأتوه، فرأوا الذئب في الماجل فقتلوه، والثعلب راح سالماً، وقد رضي بما استقضى به، فهذه من عجائب الثعلب، التي لا تزال تُذكر وتُكتب.

وفي شهر ربيع الآخر طلع شرف الإسلام الحسين من اليمن الأسفل، من طريق نقيل سُمَارة[6] إلى ذمار، فلما نزل فيه، وحط بأثقاله حصل بين أهل ذمار وبين العسكر فرقة «٥٣أ» بسبب أن العسكر من أهل الحيمة[7] أرادوا النزول في بيوت أهل ذمار، وترك الخيمة. وكان شرف الإسلام قد خرج عند أول الفرقة، وقال لأهل ذمار: الناس ضيف

---

(١) ذكر الشرفي في: اللآلي المضيئة، ج٣، ص٦٢٧: أن تحرير هذه الرسالة تم في ٢٠ ذي القعدة عام ١٠٤١هـ بشهارة.

(٢) الجِرو و الجِروة: الصغير من كل شيء والجمع: أَجْراء وجِراء والمقصود هنا أولاد الذئب. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٤٤٩).

(٣) مـفْضُوضة: أي مفرغة من الماءَ.

(٤) المواجِل: مفردها ماجِل، وهو بناء لحجز أكبر كمية ممكنة من مياه الأمطار أو الغيول الجارية لإعادة استغلالها وتوزيعها في مجال الري الزراعي وفقاً للحاجة. وهو تقليد يمني عريق ورد ذكرها في عدد من نقوش المستند. (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٨٠٤.

(٥) المَفْجَر: الموضع ينفجر منه، وانفجر وتفجر الماء انبعث سائلاً. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص١٠٥٣).

(٦) سُمَارة: قلعة في رأس جبل صَيْد، إليها ينسب نقيل سمارة. وكانت سابقاً تعرف بنقيل صيد، وهي في ناحية المخادر من أعمال إب. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣،ص٤٣١).

(٧) الحَيْمَة: ناحية مشهورة بالغرب من صنعاء، على بعد نحو ٦٠ كيلو متراً، وتنقسم إلى الحيمة الداخلية والحيمة الخارجية، ومركز الحيمة الداخلية (العِرّ) والحيمة الخارجية (مَفْحَق) وهما من مديريات محافظة صنعاء. (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص٩٦-٩٧؛ الموسوعة اليمنية، ج١، ص٤٣٠).

هذه الليلة، ثم يرحلون عنكم ويسيرون، فقال محمد بن الحسن وهو في جملة الحَضْرة: يا أهل ذمار دافعوا عن بيوتكم وأهلكم، فلما سمعوا قوله، وما أشار عليهم لفظه، أغراهم ذلك إلى القتال، وحثهم على عدم الامتثال، فحصلت هَوْشَة[1] بين أهل الحيمة وذمار، ثم زال أمرها، وشرف الإسلام الحسين حصل في نفسه من ذلك الحين. وكان قد خرج بنفسه لفك الفرقة، وابتدأه المرض من ذلك الوقت من قبيل ذات الجنب[2] في يوم الثلاثاء خامس الشهر المذكور، وتوفي ليلة الجمعة ثامن الشهر. قيل إنه شرب عقب دخوله من هَوْشَة العسكر والتعب، وذلك سبب الأجل: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[3] كان ذلك حادثاً عظيماً، ورزءاً في المسلمين كبيراً، لما قد تحمله رحمه الله من الأمور، «٥٣ب» وقام به من حراسة أحوال الجمهور، مع ما جمع من العلم النافع، والكرم الواسع، ومعرفة منازل الناس، وما يستحقونه بقدر المراتب والمناصب.

وكان رحمه الله آخر مدته بعد وفاة صنوه وتحمله لأموره قد بذل العطاء، وأظهر الكرم في هذه المدة الأخرى، حتى مال إليه بسبب ذلك أكثر جنود صنوه الحسن، ممن كان أولاً قد تعلق بأولاده في ذلك الزمن، وحضر وفاته ابن أخيه محمد بن الحسن هنالك، وقبر حولي حوطة الإمام المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي. واعتنى وصيه[4] الفقيه عماد الدين يحيى بن أحمد البرطي[5] بالبناء للقبة عليه، وجعل هنالك صرحاً كبيراً، ومَطَاهراً[6] وبئراً جُزي خيراً. وتثبت في وصيته، فإنه أوصى عقب وفاة صنوه الحسن وصية واحدة، لم

---

(١) الهَوْشة: الفتنة والاضطراب والهرج والاختلاط. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٨٤٤).

(٢) ذات الجنب: اسم اصطلاحي أطلقه الأطباء العرب على ورم مؤلم في العضلات الباطنة، أو في الحجاب الحاجز. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٢، ص٤٣٢).

(٣) سورة آل عمران، آية رقم: ١٤٥. وتمامها ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾.

(٤) الوصي: هو من تكون الوصية بحوزته بعد وفاة صاحب الوصية، ويقوم بتنفيذ ما جاء فيها بطلب من صاحبها إذا كان الوصي من خارج الأسرة. وقد يكون الابن الأكبر للمتوفى.

(٥) لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من المصادر.

(٦) المطاهر: ويقال: مطاهير، جمع مُطْهَار: وهي الحمامات سواء التي في المنازل، أو تُلحق بالمساجد، أو التي تُبنى في بعض الطرقات. وهي من اللهجة الدارجة.

يرجع عنها، وأشهد عليها. فأوصى بجميع ما خلفه من النقود أنه لبيت المال، ونصف السلاح، ونصف الخيل. وجعل السدس من ماله لبيت المال عوضاً إذا كان في علم الله قد استهلك شيئاً منه، مع أن له فيه حصة مقابل عمالته، فنفَّذ وصيته الفقيه يحيى بن أحمد البرطي، وصار كل شيء في محله إلا النحاس جميعاً وكان فيها رسوم والخيام، فاستولى عليها صنوه إسماعيل، وتمنع عنه تسليمها لورثة صنوه، فلما مات طولب ولده ووصيه محمد[1] فقال ما يعلم بشيء. وكان نيته رحمه الله في طلوعه هذا الوصول إلى حضرة صنوه الإمام المؤيد بالله، والمفاوضة بينه وبينه في أحوال اليمن، وما فيه من المطالب الكثيرة، والزوائد على الرعايا الجليلة، مما يتوجه[2] تخفيفه عنهم، وفرض ما يتجه منه عليهم، فسبق الأجل، قبل ذلك القول والعمل، ولكن فنيَّة المؤمن خير من عمله. وكان له في علوم العربية اليد الطولى، وكذا «٥٤أ» في علم المعقول والأصلين[3] وغلب عليه التبريز في أصول الفقه، بحيث لم يُشق له غبار، ولم يبلغ إلى درجته أحد من أهل هذه الأعصار، وصنف فيه (غاية السول في علم الأصول)[4] وشرحها في مجلدين، واستوفى فيهما الأدلة وتحريرها وتنقيحها وتصحيحها، واشتغل آخر مدته بالحديث من كتب السنة، والعناية بها في أكثر أوقاته، في الباكر والعشية، وسمع الجزء الأول من (صحيح مسلم) على الفقيه

---

(١) المقصود به الإمام المؤيد الصغير محمد بن الإمام المؤيد الصغير محمد بن الإمام إسماعيل ابن القاسم. ولد سنة ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م اشتهر بالزهد والورع وكان من العلماء الأعلام، جمع الكثير من الكتب واستنسخها بويع بالإمامة سنة ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م. وعارضه الكثير من أبناء أعمامه وإخوته، واستأثر كل واحد منهم بحكم المنطقة التي كانت تحت ولايته. مات في ٣ جمادى الآخرة سنة ١٠٩٧هـ/ ٢٧ إبريل ١٦٨٦م له عدة مؤلفات منها: (الجوابات الشافية بالأدلة الكافية) و (لب الأساس) و (ونبذة في الفقه) و (تفسير القرآن الكريم) وغير ذلك. (يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ج٢، ق١٢٠أ-١٢١أ؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج٢ن ص١٣٩، مذكرات المؤيد بالله محمد بن اسماعيل، تحقيق: عبد الله الحبشي، مقدمة ص٧).

(٢) ما يتوجه: أي ما يحسن أن (الفيروزبادي: القاموس المحيط، ج٤، ص٢٩٥).

(٣) المقصود بهما: أصول الدين (علم الكلام)، وأصول الفقه.

(٤) كان شروع الحسين بن القاسم في تأليف متن (غاية السول في علم الأصول) وهو بظفير حجه سنة ١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م، وانتهى منه سنة ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م. وقد جمع فيه الأدلة والردود على قواعد الزيدية. أما شرح (غاية السول) فقد ألفه سنة ١٠٣٦هـ أيام حصار صنعاء وعنوانها(هداية العقول شرح غاية السول). ويرى الشوكاني في الغاية: أنه لايوجد في كتب الأصول من مؤلفات أهل اليمن مثله، وأن شرحه أصبح زاد الطلبة، وعليه المعول في صنعاء وغيرها. والغاية وشرحها مطبوعات. (للمزيد انظر الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص٢٢٦؛ الحسين بن القاسم: آداب العلماء والمتعلمين، مقدمة ص١٣-١٥؛ د. حسين العمري: الشوكاني رائد عصره، هامش ص ٨٠-٨١).

العارف عبد الرحمن بن محمد الحيمي. وله مصنف في عدم اشتراط الإمام الأعظم في صلاة الجمعة، كقول الإمام الشافعي رحمه الله وغيره من أئمة السنة. وله رسالة في النهي عن منع الشافعية من التأمين في الصلاة، لما كان قد منعهم بعض ولاة اليمن، وهو الفقيه إبراهيم بن سلامة[١]، لجهله بالعلم، وعدم معرفته لقواعده، ومرَاسِمه، ونهاه عن التعرض لمثل هذه المسائل الاجتهادية الخلافية بين علماء الإسلام، العارفين بالحلال والحرام، فعند وصول الرسالة إليه تركهم على ما كانوا عليه، ودعا لشرف الإسلام أهل اليمن، وقالوا: هذا هو العارف بكل فن.

وله اعتراضات على (أساس)[٢] والده، وعلى شرح السيد أحمد الشرفي[٣] اعتراضات جيدة. وللشعراء في زمانه غُرر القصائد في مدحه، وأوسعها قصيدة طويلة لععر[٤] المشهور، وللسيد مقاطعجي صاحب الديوان.

وكان المذكور آخر مدته وأيامه، «٥٤ب» في مدة حياة صنوه الحسن وأيامه قد صرف بعض العسكر معه إليه، وأضافهم إلى نظره، وجعل المعول في أمرهم عليه، لأجل ما جرى معه من صنوه الإمام المؤيد بالله من قبول الواصل إليه من أهل الحيمة، وجعل أمرهم إلى والي من قبله، ونزع عملهم عن نظره، وعتب على صنوه، وقال: لم يعرف بما تعبنا وما صالينا وما كابدناه من الأسفار والسهر، وما جرى من الخطوب في البدو والحضر، فإذا كان هذا جزانا[٥] فينبغي أن نترك الحركات، ونسكن ونعرض عما فات،

(١) لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

(٢) المقصود به كتاب الإمام القاسم بن محمد وهو: (الأساس في عقائد الأكياس) أو (الأساس المتكفل بكشف الالتباس). وقد كسب هذا الكتاب شهرة بين الزيدية وكان أحد الكتب الهامة في أصول الدين. وقد اجتازت هذه الشهرة حدود اليمن وبلغت العراق والشام، لذلك هناك من رد على هذا الكتاب، سنذكر ذلك في مكانه، حيث أن المؤرخ قد تطرق لذلك. وقد قام بتحقيق الكتاب: البير نصرى طه نادر، من مطبوعات دار الطليعة، بيروت (الشرفي: شرح الأساس، تحقيق: د. أحمد عارف، مقدمة ص١٦).

(٣) يُطلق على شرح أحمد الشرفي لمتن الأساس اسمان: الأول هو الذي سماه به، والآخر أسماه به علماء عصره ومن جاء من بعدهم. والاسم الأول هو: (شفاء صدور الناس بشرح الأساس لعقائد الأكياس) والثاني هو: (الشرح الكبير) وذلك تمييزاً له عن الشرح الصغير (للأساس) وهو أيضاً للشرفي .

(للمزيد انظر : أحمد الشرفي: شرح الأساس الكبير، تحقيق: د.أحمد عارف، مقدمة ص١١-١٢).

(٤) الكلمة غير واضحة في الأصل، و تُقرأ بأوجه عده لعدم إعجامها، و لم نتمكن من معرفتها من خلال السياق.

(٥) أي جزاؤنا: وهي من الكلمات المستخدمة حتى الآن.

ونشتغل بالقراءات، بحيث أني مرة طلبته[1] وهو بالصافية من أعمال ضوران بعد انتقاله إليه لأجل هذا الشأن بعض الحاجات والمطلوبات، فإذا هو يُزهِّدني من الاشتغال بالدنيا، ويحذِّرني من الغرر بها، مع ما فيها من البلوى، وقال لي رحمه الله: عليك بطلب العلم، وأما الدنيا فهي تبع له، ولا يفوتك ما قُسِمَ لك منها، فلو رأيت ما قد قاسيناه لرضيت منها بما قسم الله. وحكى بما قد جرى معه من الشدائد العظيمة، والأمور الجسيمة، منها: أنه سبح في بعض الأيام في غدير «٥٥أ» الرصدين من جهات البَطِنَة[2] ببلاد عذر ومساقط[3] شهارة، وأنه غطس في الماء كما يفعله الماهر في عمل السباحة، فقذفه الماء عند ارتفاعه إلى جَرْف شديد الظلمة، وكان أعلاه منحسراً عنه الماء، وأعلاه هواء لأن هذا الغدير بين جبلين، وهو مظنة الجروف من تحته، والجروف في سفله. قال: فسكن في ذلك المستقر صابراً، وما إليه من الفرج والقضاء صائراً، من نهار ذلك اليوم الماضي إلى صباح اليوم الثاني، فعند ذلك ظهر له شعاع الشمس عند شروقها، وظهر من أسفل الجرف بين الماء ضوءها، فعرف عند ذلك أن باب الجرف هو ذلك الموضع، فغطس في الماء، وخرج بعد إياسه وإياس من كان معه، هذا دال على ثباته وذكاء عقله حيث لم يعجل بالغطس قبل أن يعرف طريق المخرج، إذ لو غطس قبل ذلك واستعجل لصار في المهالك. ومنها قال ما جرى عليه من الشدائد في حروب صنعاء بالحِفا، واستدارة الخيل عليه من كل جانب ومنحا، وهو يدافع ويضارب، وأغار عليه صنوه وآخر معه فكانوا جميعاً في الحال المضيق، ولم يخرج إلا بالجهد الجهيد، وبعد الإياس عنه في ذلك الجمع الوثيق «٥٥ب» قال: وناله من الضرب له بالدبابيس شديد الألم العظيم، حتى كان يقذف بالدم من صدره مدة من أثر ألمه، وما وقع فيه من شدة تعبه. وكان رحمه الله قد بنى[4] على التقاعد والسكون، وترك المشاغل، لسبب ما جرى معه من الامتحان بعمل الحيمة، ولولا ما لزمه من اللوازم من

---

(١) أي يحيى بن الحسين، مؤلف هذه المخطوطة. والترجمة هنا لوالده.

(٢) البَطِنَه: هناك عدد من المناطق تحمل اسم البطنة، لكن أشهرها - وهي المقصودة هنا - وادي البَطِنَة في عزلة البطنة بناحية عذر قضاء شهارة من محافظة حجة، وهو سهل منخفض يقع في رأس وادي أخرف بين حوث والأهنوم .
(الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص١٢٤؛ الموسوعة اليمنية، ج١، ص١٥٩).

(٣) مسقط كل شيء منقطعه، فيقال مسقط الرمل حيث ينتهي إليه طرفه، فمساقط شهارة هنا تعني أطراف شهارة .
(مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مج٥، ص١٥٥-١٥٧).

(٤) أي نوى: سبق توضيحها.

بعد ذلك، وتحتمت عليه المحاتم، صيانة للمسلمين، ورعاية لحق الإمام، وتأثير الصبر الذي أثنى الله تعالى عليه في كتابه المبين، لما دخل في شيء بعد ذلك، واستمر على ما وطَّن به نفسه، والسلوك في أحسن المسالك، وبمثل لسان حاله بما يروى عن علي بن أبي طالب بقوله:

إن المكـــارم أخـــلاق مطهـــرة
فالعقـــل أولهـــا والـــدين ثانيهـــا
والعلـــم ثالثهـــا والـــحلم رابعهـــا
والجـود خامسها والعُـرْف ساديها[1]
والـــبر سابعهـــا والـــصبر ثامنهـــا
والـشكر تاسعهـا والـدين عاشـيها[2]
والعـين تعلـم مـن عينـي محـدثها
إن كـان مـن حزبهـا أو مـن أعاديهـا
والـــنفس تعلـــم أني لا أصـــدقها
ولـست أُرشـد إلا حـين أعـصيها[3]

وكان رحمه الله يرى أن الخلاف بين العلماء في أصول الدين لفظي، والمعنى متفق عليه بين الأشاعرة[4] والمعتزلة. وأنه لا يجوز التكفير والتفسيق[5] بالإلزام ما لم يلتزمه المخالف،

(١) كذا في الأصل، وتعني سادسها.
(٢) كذا في الأصل، وتعني عاشرها.
(٣) وردت هذه الأبيات في ديوان الشعر المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، جمعه وشرحه: عبد العزيز سيد الأهدل، ص١٥٤.
(٤) الأشاعرة: هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، ويُعتبر مؤسس علم الكلام، أي استعمال القياس بالجدال. من أشهر كتبه: (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين((الإبانة عن أصول الديانة). توفي سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م. ومن أشهر ما ذهب إليه هو: إثبات الرؤية، وأن صاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا من غير توبة يكون حكمه إلى الله، وأن الإمامة تثبت بالاتفاق والإختيار دون النص والتعيين. (الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص٩٤، ١٠٠، ١٠٣).
(٥) التكفير والتفسيق: هو اتهام طرف لطرف آخر بالكفر والفسق. وقد ظهر للوجود عندما برز في كل فرقة من الفرق =

هكذا أخبرني به الفقيه أبو القاسم «٥٦أ» بن الصديق التهامي[١] وكان خصيصاً به، وهو أحد مشائخه في الفقه، وهو ظاهر أقواله رحمه الله في خطوطه، وتعاليقة[٢] كتبه. ومما ذكر في شرح (غاية السول) أن ترجيح الداعي تكون الإرادة وهو قول السمرقندي[٣] من أهل السنة وغيره، والإرادة اختلف فيها، فعند الجمهور من المعتزلة وكافة أهل السنة أنها خلق الله تعالى ولا يقدر عليها العبد، والفعل للعبد، وقال أبو هاشم[٤]: العبد يقدر على الإرادة. ورد عليه ابن الملاحمي[٥] من المعتزلة بمخالفة الضرورة، ومحل المسألة كتب الأصول فعلى القول بأنها خلق الله قد وافق أهل السنة والله أعلم.

وكان رحمه الله له مآثر منها المسجد[٦] المشهور بباب السبحة[٧] خارج مدينة صنعاء، ووقف عليه ما يكفيه، وبعد موت صنوه[٨] جعل الإمام المؤيد بالله العسكر بنظره، وجميع اليمن الأسفل إليه، ولم يلبث إلاَّ قدر سنة واحدة ومات رحمه الله تعالى بعد صنوه، فجعل

الإسلامية اختلاف كبير، فظهر من المعتزلة فرق الشيعة المختلفة، كالإختلاف بين الزيدية والإمامية مثلاً، كذلك الاختلاف بين فرق السنة المختلفة، كا لإختلاف بين الأشاعرة والسلفية، أو الشافعية والحنبلية، فأصبحت كل فرقة تكفر وتفسق الفرقة الأخرى لوجود اختلافات فيما بينها. والمقصود هنا أن الحسين بن القاسم يرى أن هذه الإختلافات لفظية، وأن المعنى مُتفق عليه، لذلك لايجوز التكفير والتفسيق. (د. محمد محمد الحاج الكمالي: الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأثره في الفكر الإسلامي،ص٣٥٦).

(١) ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق٢٠٨أ) من هذه المخطوطة ولم أجد له ترجمة في بقية المصادر. وقد ترجم له إسماعيل الأكوع في هجر العلم، جـ٣، ص١٢٢٢ نقلاً من هذه المخطوطة .

(٢) ربما يقصد بذلك: حواشي كتبه.

(٣) هو أبو الليث السَّمَرْقندي: (ت ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م) نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي: علامه من أئمة الحنيفية، من الزهاد المتصوفين. له تصانيف نفيسة وكثيرة منها: (عمدة العقائل(و (بستان العارفين) و (تنبيه الغافلين) وغير ذلك كثير. (الزركلي: الأعلام، جـ٨، ص٣٤٨-٣٤٩).

(٤) هو أبو الهاشم عبدالسلام بن محمد بن عبدالوهاب الجبائي. تُنسب إليه وإلى أبيه الفرقة الجبائية والبهشمية من المعتزلة، وهما من معتزلة البصرة. (الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص٧٨-٧٩).

(٥) هو محمود بن الملاحمي. كان تلميذاً لأبي الحسين البصري محمد بن علي صاحب المعتمد في أصول الفقه. وقد صنف محمود بن الملاحمي كتاب (المعتمد الأكبر). وهو من الطبقة الثانية عشرة من طبقات المعتزلة. (أحمد بن يحيى المرتضى: المنية والأمل، تحقيق: د.محمد جواد، ص٢٠٩).

(٦) عُرف قديماً بمسجد البستان، كما عُرف فيما بعد بمسجد حَجَر. عمره الحسين بن القاسم في النصف الأول من القرن الحادي عشر، ثم زاد فيه ووسعه ولده محمد بن الحسين، الذي قُبر بجوار هذا المسجد. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٤٣-٤٤).

(٧) باب السبحة: هو من أبواب صنعاء، يقع في الجهة الغربية منها. وهو من الأبواب التي فُتحت وهُدم سورها ولم يبق له إلاَّ الاسم.

(٨) المقصود به: الحسن بن الإمام القاسم محمد.

الإمام المؤيد بالله محمد بن الحسن يكون جامعاً للعسكر، وجوامكهم[1] تصل إليه بنظر واسطة من قبله، وما فضل وصل من محصول اليمن الأسفل إليه، فاستمر على ذلك، مدة الإمام المؤيد بالله إلى أن توفي رحمه الله. وأمر الإمام المؤيد بالله محمد بن الحسن أن يقتصر على البلاد التي جعلها إليه عمه الحسين لا غيرها، إلا مجرد أدب شاكي يصل إليه من تلك النواحي، واستقر بذمار فلحقته مشقة بسبب ذلك، وتفاوت عليه من تفاوت مع كثرة المتعلقين به، وما زال يلاحظ من عنده بمشقة وكلفة، خشية لا يفوت العسكر من يده، فيُسْتَخف بجنابه، وتزول رئاسته كما هو حال الرؤساء في هذه الدنيا الزائلة، التي لا منافسة فيها «٥٦ب» وإنما المنافسة في الآخرة، والأعمال الصالحة. فنسأل الله حسن الخاتمة. وبلغ بمحمد بن الحسن الحال أن ضرب بعض عُدَدْ خيله[2] دراهماً، وأعطاها جنده، رعاية لمن عنده.

وفي هذه السنة غزرت الأمطار في جميع اليمن، ونزلت سيول من الجبال، حتى بلغت البحر والرمال، شرقاً وغرباً، ويمناً وشأماً[3] ونزل سيل عظيم من بلاد سنحان، وجبالها والأطيان والقيعان، واجتمع بوادي صنعاء[4] فاض من أعلى دايرها، ولم تتسع لقوته مجاريها فأخرب ما فوق العقود[5] من الداير المعمور، ونفذ إلى الخارِد[6] واستمر إلى الجَوْف[7] واخضرت الأرض بالنبات، وأقبلت الزرائع في جميع الجهات في فصل الخريف.

---

(١) أي مرتباتهم ومقرراتهم الشهرية. سبق تعريفها.

(٢) عُدَد خيله: جمع عدة، وتعني آلة الخيل التي كانت تُصنع من النحاس وأحياناً من الفضة.

(٣) يتكرر لدى المؤرخين هذا اللفظ، وهو لفظ شائع لازال البعض يستخدمه حتى الآن للتعبير عن الجهة، فكل ماهو جنوب اليمن يطلق عليه (يمناً) وكل ما هو شماله يطلق عليه (شأماً).

(٤) عُرف قديماً بوادي معد، ويقال له وادي تغلب. يقول الرازي: بأنه(أصل نقم مما يلي القبلة(. (الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: د. حسين العمري، ص١٥٢-١٥٤).

(٥) العقود: يُقصد بها هنا الجسور التي تم تشييدها على جانبي ممر السيول في صنعاء، ليتمكن الناس من المرور عليها في الأوقات التي تؤدي فيها سيول الأمطار إلى تعذر الانتقال من جانب إلى آخر.

(٦) الخارِد: واد تجتمع إليه مياه عنْس وذمار ورداع، ومياه أخرى حول صنعاء تصب في الخارد، ويسمى الغيل الذي فيه بغيل الخارد، وهو من أوئل ديار أرحب. (الواسعي: فرجة الهموم، ص١٠٧؛ د.حسين العمري: في صفة بلاد اليمن، هامش ص١٠٦).

(٧) الجَوْف: مدينة قديمة في الشرق الشمالي من صنعاء. بها مركز اللواء، وتقوم بين على وادي الجوف، وهي شمالي مأرب. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١٩٥؛ المقحفي: معجم البلدان، ص١٤٩).

«٥٧أ» وفي شهر جمادى الآخرة منها كتب الإمام المؤيد بالله هذا الكتاب ولفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم، الولد السيد الجليل، الأعلم الأعمل، عز الإسلام والمسلمين[(١)] محمد بن الحسن بن أمير المؤمنين، حفظه الله وأتحفه شريف السلام ورحمة الله، وبعد. فقدِّر الفقيه أحمد بن عبدالرحيم بن سلامة، لأعماله المباركة إن شاء الله تعالى، موصًّى بتقوى الله قبل كل شيء. وأن أول ما تبدأوا به أنتم وهو، رد تلك الظُلاَمة التي تقررت العام الماضي زيادتها في الفِطْرة[(٢)] وغيرها، على الأمر الموضوع التي جرت عليه السُّنة الحسنة، واعتذرتم له بأن ولده زادها، وأجزتموها، فليس لكم أن تجيزوها، وإنما عليكم أن تستغفروا الله عنها، وتحسبوها لأهلها مما عليكم الآن من هذه المطالب وتشعروهم بذلك إن شاء الله تعالى. وأنها ظُلاَمَة رُدت. وترفعوا كل بدعة، وكل اسم لم تجرِ به سُنَّة حسنة: كالإحالة على لفظ مصالح البلاد في نحو تقرير سبار ونحوه، بل تُمات ذكر هذه الألفاظ، واستقيموا له، وعليه لله وللناس على الصدق والوفاء، وما جرت به السُنَّة الحسنة، والسيرة العادلة، فلا يُزاد في سياقة المعونة غير بقشتين على الحرف، ولا في الطعام غير قدح[(٣)] على الزبدي، ولا يوجد في العدة[(٤)] غير ستة عشر بقشة صنعانية في رأس الأبل، وثمان في البقر، وبقشتين في الغنم، وفي الصغار نصف ما في أمهاتها، وما على ذلك زيادة سياقة ولا غيرها. ولا في الفِطْرة غير الصاع النبوي[(٥)] أو قيمته في السوق من غير زيادة إن شاء الله تعالى. الله الله[(٦)] وعلموا الناس سيرة العدل، وأذيقوهم حلاوته،

---

(١) جرت العادة في اليمن أنهم يطلقون على من اسمه محمد: عز الإسلام أو العزي.

(٢) الفِطْرة: هي زكاة عيد الفطر، غير أن الإختصار هنا يرجع إلى التعود وشهرة التعبير في اليمن حينذاك.

(٣) القدح: هو الوحدة المستعملة في المكيلات وهو يساوي ملء صفيحتين من صفائح الجاز. (قانون صنعاء، تحقيق: القاضي حسين السياغي، هامش ص٣٧).

(٤) العدة: يقصد بها مابلغ النصاب من الحيوانات ومضى عليها الحول.

(٥) الصاع النبوي: يساوي خمسة أرطال وثلث، والبعض يرى أنه ثمانية أرطال، لكن القول الأول هي الأصح، (للمزيد انظر د. محمد ضياء الدين الريسى: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية، ص٣٢٩).

(٦) تكرار لفظ الجلالة يرمي إلى التأكيد، وما زال يستعمل هذا اللفظ إلى الآن.

«٥٧ب» واتقوا الله جميعاً فيما تأتون وما تذرون، وما تأخذون وما تعطون، يقكم المكارِه، ويهب لكم البركة، ويدفع عنكم السوء إن شاء الله تعالى بفضله، وجميل عوائده، بحق محمد وآله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. بتاريخ جمادى الآخرة سنة خمسين وألف[1] انتهى بلفظه وكماله.

وهذا عدل عظيم من الإمام المؤيد بالله كفى له به خصوصاً في اليمن الأسفل، فأما بعده في دولة المتوكل ومن لحقه، فإن الأمور تحولت إلى غير هذا من المشاطرة في أموال الناس بالنصف، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي شعبانها توفي السيد البحر العلامة محمد بن عزالدين المفتي المؤيدي بـذَهْبان[2] -وهو في الخريف- من منتزهات صنعاء، فحُمل من ذلك المحل إلى مقبرة خزيمة غربي صنعاء وقُبر جنب والده في حوطتهم المشهورة. كان هذا السيد عارفاً محققاً، مطلعاً على العلوم والمذاهب في الأصول والفروع والنحو (و)[3] المعاني والبيان، أخذ على جماعة من العلماء منهم: السيد عبدالله بن أحمد المؤيدي[4] والسيد صلاح بن أحمد الوزير[5] وغيرهما من علماء زمانه، والمحققين من أقرانه. وكان ابتداء قراءته في علم العربية، قال إنه قرأها مدة قدر اثني عشرة سنة في ذلك «٥٨أ» الأوان. روى السيد أحمد بن علي الشامي وهو

---

(١) جمادى الآخرة سنة ١٠٥٠هـ = سبتمبر/ اكتوبر سنة ١٦٤٠م.

(٢) ذَهْبان: قرية تقع فيما بين ثَقْبان والجراف بشمال صنعاء. وقد اتصلت بمدينة صنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ص٢٦٢) وقد ذمها محمد بن عزالدين هذا في قوله:

ذهبان أخبث مكسب كسب الفتى ... لله درُّ رياضهـا والـوادي

بلـد بهـا حـل السقام مـع الـضنا ... فكـأنما كانـا عـلى ميعـاد

انظر: (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٣، ص١٦٣٥-١٦٣٦).

(٣) اضفنا الواو ليستقم المعنى.

(٤) السيد العلامة عبدالله بن أحمد بن الحسن المؤيدي. كان من علماء الزيدية الكبار، عاصر الإمام المنصور القاسم بن محمد. سكن صنعاء ولم يهاجر منها، وتتلمذ على يديه علماء كبار. توفي بصنعاء في القرن الحادي عشر الهجري. (يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٤٩٦؛ زبارة: ملحق البدر الطالع، ص١٢٦).

(٥) هو صلاح بن أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم الوزير. ولد في آخر شعبان سنة ٩٤٥هـ/ يناير ١٥٣٩م كان أفضل أهل زمانه، محققاً في جميع العلوم، من تلامذته الإمام القاسم بن محمد وابنه المؤيد محمد بن القاسم. برع في جميع العلوم. توفي بصنعاء سنة ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م. (يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٥٠١؛ أبو الرجال: مطلع البدور، جـ٢، ص١٥٨-١٦٠).

من جملة الآخذين عنه: أنه كان يتندم على فوات تلك المدة الطويلة في فن النحو والعربية، بعد أن أقبل على الفقه والأصول بالكلية. قال: وهو في التحقيق الذي أعانه على فتح باب العلوم، والتسهيل له عن التفسير، لأن النحو فأس العلوم. ورزق قوة الصبر على القراءة والإقراء والدرس، حتى كان بآخر أيامه يفتح القراءات بغير درس فيها، ولا إعادات، لكثرة الممارسة، مع ما رُزق من الفتوح والفطنة، وكان يدرِّس في كتب ليس له فيها قراءة، بعد معرفة الأصول التي هي الأساس في المعرفة والفرائض. رُوي أنه لم يقرأ فيها غير فرائض (البحر)[1] حال سماعه له، والمرور عليها، وكان مع ذلك لا يعدم المعرفة فيها. وكان يرى رأي السيد محمد بن إبراهيم الوزير صاحب (العواصم والقواصم)[2] ويميل إلى رأي أهل السنة في كثير من أصولهم، ولا يكفر بالإلزام[3] كما عليه أكثر المحققين من علماء الإسلام، وصنف في أصول الدين كتاباً سماه (الدراري)[4] وشرحه شرح لطيف، وجمع فيه مناقضات كلامات[5] المعتزلة، ومن تابعهم من الهدوية[6] في مثل مسألة خلق

(١) المقصود به: كتاب (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى. وهو من أشهر كتب الفقه عند الزيدية، اعتنى بشرحه وتخريج أحاديثه كثير من العلماء منهم محمد بن عز الدين المفتي. وقد طبع مرتين. (للمزيد انظر. د.محمد محمد الحاج حسن: الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، ص١٢٥-١٢٦).

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن المنصور بن الوزير. (٧٧٥-٨٤٠هـ/ ١٣٧٣-١٤٣٦م) أحد أعلام اليمن المجتهدين المبرزين في معظم العلوم. تبحر في جميع العلوم، واشتهر صيته. له مؤلفات عديدة لعل أهمها. (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم(أربعة أجزاء. وقد وصف الشوكاني هذا الكتاب قائلاً: (لو خرج هذا الكتاب إلى غير الديار اليمنية لكان من مفاخر اليمن وأهله). وله مصنفات أخرى منها: (الروض الباسم) في مجلد اختصره من (العواصم) وطبع بمصر. (إيثار الحق على الخلق) وغير ذلك كثير. (يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٣٠٩-٣١٤؛ أبو الرجال: مطلع البدور، جـ٤، ص٩٣-١١٠؛ الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص٨١-٩٣).

(٣) لقد أثبت محمد بن إبراهيم الوزير في مؤلفاته كلها، وبالأخص كتابه (العواصم والقواصم) أن التكفير والتفسق سواء كان بالتأويل أو باللزم باطل وغير ثابت. كما صرح الإمام يحيى بن حمزة على أبطال التكفير بالتأويل واللازم. وأكثر علماء الزيدية اتجهوا هذا الاتجاه كالمقبلي وابن الأمير والشوكاني وغيرهم، فأبطلوا التكفير بالتأويل أو بالإزام. (د.محمد محمد الحاج: الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، ص٣٦٤-٣٦٥).

(٤) كُتب في الحاشية بقلم مختلف عن خط المؤلف ما يلي: (المشهور في تسمية كتاب السيد محمد المفتي أنه (البدر الساري) وشرحه (واسطة الدراري). بقلم إسماعيل، وفقه الله آمين) ويذكر يحيى بن الحسين في المستطاب أن كتاب محمد بن عزالدين اسمه (واسطة الدراري) وشرحه هو (البدر الساري) بينما يذكر الشوكاني في البدر الطالع العكس أي كما ذكر حفيد المؤرخ.

(٥) أي مقولات.

(٦) الهادَويَّة أو الهَدَوِيَّة: فرقة من فرق (الزيدية) في اليمن، تُنسب آراؤها الفقهية إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ت٢٩٨هـ/ ٩١٠م(مؤسس دولة الأئمة الزيدية)الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٩٧٥-٩٧٦).

الأفعال، والإيمان، والشفاعة، والإمامة، لكنه يورد الإيرادات والمناقضات ولا يصرح بمذهبه وعقيدته، بل يذكر الخلاف والإيرادات على أدلتهم، إشارة إلى ضعف ذلك عنده، وميله عنه إلى مذهب أهل السنة كما لا يخفى. وكان عارفاً مطلعاً متبحراً رحمه الله. كان يتوقف في مسألة الطلاق ثلاثاً، جاءه مرة تركي يستفتيه في أنه طلق امرأته ثلاثاً، فقال: قد حرمت عليك على مذهب الحنفية، لأنه حنفي، فقال السيد صلاح الحاضري، وكان حاضراً: أو يُفتى بمذهب الهدوية، فقال التركي: أستغفر الله أنا مسلم. وله شرح على تكملة (البحر)[١] مجلداً، وله أيضاً (منهج الإنصاف)[٢] في النهي عن سب الصحابة رضي الله عنهم. وكان المذكور مفتياً في دولة الأتراك بصنعاء اليمن. واتفق في مدة جعفر باشا أن السيد محمد أفتى بالفطر آخر رمضان. بعد قيام شهادة عنده، فأفطر جماعات، فطلبه الباشا جعفر، وتهدده، وقال «٥٨ب» له: كان عليك أن تُشعر الفندي[٣] الحاكم، فقال السيد: قد أشعرناه، فطُلب الفندي إلى حضرته، فقال الفندي: جاء المذكور بشاهدين، ما يكمل بهما الحكم على مذهب أبي حنيفة، لأنهم لا يعملون إلا بأربعين شاهداً، حيث كان الأفق لا علة فيه من سحاب ولا غبره، فتغير الباشا، وقال للسيد: حبسك بيتك، فبقي كذلك أياماً ثم أحسن إليه. ولو اتفق هذا مدة سنان باشا لنال السيد غير ذلك من البأساء. وفي هذه السنة حصل مع الفقيه أحمد المِحَيْرسي[٤] صنو القاضي عبدالقادر المحيرسي[٥] نشاف[٦] وجنون، فَقَتَل الساني[٧] وهو يسني غدراً، آخر الليل بذَهْبَان، وقال: إنه المهدي الذي يقوم

---

(١) لقد وصف الشوكاني شرح محمد بن عزالدين (للبحر الزخار) بقوله: (إنه شرح مفيد يدل على علو درجته، وارتفاع منزلته في العلوم). (الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص٢٠٤).

(٢) اسم الكتاب: (منهج الإنصاف العاصم من الاختلاف).

(٣) أي الأفندي: كلمة تسربت من البيزنطيين إلى الأتراك السلاجقة فاندمجت مع التركية. وقد أُطلقت على الأمراء العثمانيين وضابط الجيش إلى رتبة البيك باش. (د.حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص٣٤-٣٥).

(٤) هو أحمد بن علي المحيرسي: عالم واسع الاطلاع على كثير من العلوم. قرأ فقه الحنفية وتولى القضاء للعثمانيين بصنعاء وكان يقضي بمذهبهم، ويفتي أهل فارس باللغة الفارسية، والعرب باللغة العربية. وله أشعار فائقة. (الشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص٣٧٠؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٤، ص١٩٦٨).

(٥) ترجم له المؤرخ عند وفاته ترجمة مطولة: (ق٢٣٢ب-٢٣٣أ) من هذه المخطوطة؛ كما ترجم له أبوالرجال: مطلع البدور، جـ٣، ص٢٨-٢٩؛ والجرموزي: فقه الأسماء، ق٣٢ب؛ والشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص٣٧٠).

(٦) النشاف: سبق شرحها.

(٧) الساني: جمعه سناه: وهم الرجال الذين يسقون بالسواني، ويقبلون بالغروب فيدفقون ماءها. أما يسني فتعني يستقي أو ينزع المياه من البئر. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٢٢٥).

آخر الزمان. والدعاوى في مثل هذا ما زالت من المجانين، ومن غيرهم، كما صار يدَّعي أيضاً منصور حمير[١] من يدعي ممن مضى، وكل ذلك طمعاً في الملك، واستقوى الخلق[٢] لأجل إجابتهم فلا قوة إلا بالله. وأن البانيان[٣] ونحوهم يُقْتَلون، فقيَّده الإمام المؤيد بالله بجهات شهارة، وبقي هنالك مدة. وكان يَدْرس القرآن، ويكثر من الهذيان، وهو مكبل بالحديد خشية من العدوان، ثم أُطلق، وبقي عند صنوه ببلاد الشاحذية[٤] وكان المذكور قد قرأ على السيد محمد المفتي، ومن ملازمته للقراءة، واستفاد في النحو، وعلم العربية، ودخل في مذهب الحنفية، ثم سار مكة المحروسة، ومات بها.

ودخلت سنة إحدى وخمسين وألف[٥]

فيها جهز السلطان إبراهيم بن أحمد خان جنوده إلى مالطة، من بلاد الفرنج، بأطراف جزيرة الأندلس، مما يلي البحر، فما زال الحرب يُعمل مدة طويلة، وسنين عديدة، فاستفتح كثيراً من بلادها، وما حولها، كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى، وكذلك استمر ولده

---

(١) المنصور: لقب لقائم مُنتظر عند كثير من الناس، وهو المهدي الذي تدَّعي كل فرقة منهم أنه منها مثل: اليهود والنصارى، والصائبة، والمجوس، وبعض الفرق الإسلامية. وقالت حمير في سِيَرها المأخوذة عن علمائها: هو رجل حميري سبأي الأبوين يعيد المُلْك إلى حِمْيربالعدل. وقد ذكره أسعد تبع بقوله:

بمنصور حمير المُرْتَجى ... يعود من الملك ما قدس الله روحهد

ويرجع بالعدل سلطانها ... على الناس في عُجْمها والعرب

(منتخبات في أخبار اليمن: لنشوان الحميري، ص١٠٣).

(٢) كذا في الأصل، والمقصود تقوَّى بالخلق.

(٣) البانيان: أو البنيان: كلمة هندية معناها (التاجر) وقد عُربت هذه الكلمة إلى (باناني) والبانيان طائفة من تجار الهندوس. وكان لتجار الهند من البانيان حركة تجارية كبيرة في صنعاء خلال القرن الحادي عشر. وقد تطرق لذلك مؤرخنا في مخطوطته هذه، وكذلك الجرموزي في مخطوطته تحفة الأسماع. لتعريف البانيان انظر: (د.حسين العمري: صنعاء في مرآة الغرب، مجلة الإكليل، العدد: ٢،٣، السنة الثانية ١٩٨٣م،

(٤) الشاحِذية: عزلة في الغرب الجنوبي من كوكبان. ولخصب أرضها وكرم تربتها يسمونها تهامة الجبال. (د.حسين العمري: في صفة بلاد اليمن، هامش ص٦٩).

(٥) ١٠٥١هـ = ١٦٤١م.

محمد بن إبراهيم[١] بعده.

وفيها تهيأ أحمد بن الحسن بن القاسم من حصن ذمرمر للسفر والخروج إلى أسفال اليمن مغاضباً، وللأمر طالباً، فخرج بمن معه من خاصته، وسائر أتباعه إلى بلاد خَوْلاَن[٢] وقد جمع معه من ذخائره، وذخائر والده. وسبب هذا الخروج: أن المؤيد كتب إليه من جهة خزانة والده، أنه صار يتصرف فيها ولا يخلو إما أن تكون بيت مال أو موروثة، فإن كانت لبيت المال فلا يفرط فيها، ووصلت إليه، وإن كانت موروثة صارت للورثة، فتغير أحمد بن الحسن من هذا، وأنفق منها، وخرج بها صحبته، «٥٩أ» لما يحتاجه في رحلته، وذلك في شهر ربيع الأول من هذه السنة، فأضافته بلاد خَوْلان، وأكرمه المشائخ فيه والأعيان. ثم رحل منه إلى بلاد عَنْس[٣] ثم إلى جهة بلاد قايفة[٤] وخرجت حينئذٍ الأوامر الإمامية، والرسائل الإنشائية إلى صنوه إسماعيل بن الإمام، وإلى كافة الأجناد من الأنام، وكان إسماعيل يومئذٍ بضوران، من وقت استخلاف صنوه شرف الإسلام، وإليه بلاد آنس وسائر تلك البلاد في تلك الأيام. ومحمد بن الحسن في محروس ذمار. وإلى صنوه أيضاً فخر الدين عبدالله بن أمير المؤمنين[٥] متولي ذمار، يحثهم باللحوق

---

(١) تم تولية السلطان محمد بن إبراهيم بن أحمد خان (محمد الرابع) في ١٨ رجب سنة ١٠٥٨هـ/ ١٨أغسطس ١٦٤٨م. وكان حينذاك لم يتجاوز السابعة من عمره، حيث قام جنود الإنكشارية والسباهية بعزل والده السلطان إبراهيم بن أحمد خان، وتوليته هو. وقد استمر على عرش السلطنة حتى تم عزله وتولية أخيه (سليمان الثاني) مكانه في ٢محرم سنة ١٠٩٩هـ/ ٨نوفمبر١٦٨٧م (سعيد أحمد برجاوي: الإمبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، ص١٦٠).

(٢) خَوْلان: من القبائل اليمنية الكبرى، وهي ثلاثة أقسام: خولان صنعاء، وخولان صعدة، وخولان رداع. والمقصودة هنا صنعاء، وخولان صعدة، ويقال لها (خولان العالية) و(خولان الطيال) تقع في الجهة الشرقية من صنعاء. ومركزها الرئيسي (جحانة) التي تقع على بعد ٤٠ كيلومتراً في الشرق الجنوبي من صنعاء. الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، ص٣١٣؛ الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص٨٨).

(٣) عَنْس: مخلاف كان يطلق على كثير من مخاليف ذمار المعروفة اليوم، لكنه اليوم يطلق على مخلاف عنس السلامة، ويقع في شرق ذمار على بعد ١٥ كيلومتراً أو أكثر. (إسماعيل الأكوع: البلدان اليمانية عند ياقوت، ص٢١٣).

(٤) قايفة: هي التي تُسمى اليوم (قيفة) وهي قبيلة عزيزة منيعة، الغالب عليها البداوة، وتقع في ضاحية مدينة رداع شرقاً وشمالاً. (الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق: إسماعيل الأكوع، هامش ص١٥٢).

(٥) هو عبدالله بن القاسم بن محمد (ت١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م) ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق١٦٩أ) من هذه المخطوطة؛ وترجم له محسن أبوطالب: طيب الكسا، ص٧٨.

لأحمد بن الحسن إلى حيث كان، والقبض عليه ومن معه من الأعوان، فجرَّد إسماعيل من ضوران، بمن معه من العسكر من رتبة الحصن ومن انضاف إليهم من عسكر بلاد آنس والإخوان، وضم إليه صنوه عبدالله. وكان كتب المؤيد إلى محمد بن الحسن أيضاً، وهو في الباطن معاضداً لأخيه، فإنه لقاه إلى الطريق حال خروجه، واتفق هو إياه، وأمده بشيء من المال، ثم رجع ذمار. فسار إسماعيل بمن معه من الأهنوم[1] ورتْبة[2] ضوران، وسار وهو مرخي العنان، مُسْتحثاً في اللحوق له في جميع الأحيان. وقد كان أحمد بن الحسن متوجهاً إلى قَعْطَبَة[3] وإسماعيل تبعه في نقيل الشيم[4] فوقع الحرب في تلك العقبة، ثم انهزم أحمد بن الحسن بعد قتل من الجانبين، ومصاويب[5] من الجهتين، وانتهب «٥٩ب» العسكر جميع الخزانة والجمال، وما على ظهورها من الدراهم والأحمال، وأكثر من انتهبها النقيب سعيد الأهنومي وأصحابه. وسار أحمد بن الحسن في جماعة من الخيل والرجل إلى جهة بلاد الحسين بن عبدالقادر، صاحب عَدَن وأبْيَن[6] فسكن عنده مدة مستجيراً، وفي مقامه لائذاً. وبعد نقض حرب نقيل الشيم، وما وقع فيه من القتال والضيم، تقدم إسماعيل بن الإمام إلى بلاد تعز بعد مروره قَعْطَبَة، وترك فيها السيد محمد بن أحمد بن الإمام الحسن المؤيدي[7] رتبة، ثم إن الإمام المؤيد بالله لما بلغه ذلك، واستقرار أحمد بن

(١) الأهنوم: ناحية معروفة في الشمال الغربي من صنعاء، وهي بطن من همدان، سميت باسم الأهنوم بن الحارث. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص٩٥).

(٢) الرتبة: فرقة من الجنود (العسكر) وهي عامية. (زبارة: نزهة النظر، هامش ص٢٤٢).

(٣) قَعْطَبَة: مدينة مشهورة جنوبي صنعاء، وهي ناحية من نواحي مدينة إبّ في الشرق الجنوبي منها. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٦٥٦).

(٤) نقيل الشيم: يقع بالقرب من قعطبة. (الشرفي: اللآلي المضية، جـ٣، ص٦٥٥).

(٥) أي جرحى.

(٦) أبين: تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة عدن. (الويسي: اليمن الكبرى، ص١٧٨).

(٧) هو محمد بن أحمد بن الحسن بن علي بن داود المؤيدي، من العلماء، تعلم بصعدة وصنعاء، وله مؤلفات منها: (تحفة الطالب وزلفة الراغب) وهي شرح على كافية ابن الحاجب و (شرح على الهداية) في الفقه، وديوان شعر. شارك أولاد الإمام القاسم في معظم أعمالهم العسكرية، وتولى العدين في عهد المؤيد ثم أضاف إليه المتوكل إسماعيل أعمال بندر المخا وبلاد حيس ومخاليفها. توفي في ذي الحجة سنة ١٠٦٢هـ/ ١٦٥١م. (أبوالرجال: مطلع البدور، جـ٤، ص١٢٨-١٢٩؛ المجبي: خلاصة الأثر، جـ٣، ص٣٨٤-٣٨٥؛ زبارة: ملق البدر الطالع، ص١٩٣).

الحسن هنالك، كتب بكتاب إلى الأمير حسين بن عبدالقادر، إلى أبين، يقول فيه: إنه يُزَلِّج[1] ولد أخيه، ولا يرضى له يبقى فيه، فلما وصل الكتاب رأى أحمد بن الحسن من ابن عبدالقادر تغير الحال، وسوء المعاملة له في المقال، والإعراض عنه بكل حال، والاستخفاف بجنابه، وعدم الاحتفال به، فرحل من بلاده، متوجهاً إلى حيث يستقر به ركابه، فوصل إلى بلاد يافع[2] فرأى منهم الإكرام، والإقبال إليه والإلمام، فاطمأن خاطره في جهتهم، «٦٠أ» وطلب مصاهرتهم فتزوج هنالك بزوجة، واستقر عندهم برهة. ثم طلب من أهل يافع غارة نافعة على أهل قعطبة، فقصدوهم إلى المدينة كالسيل النازل على حين غفلة، فوقع الحرب الشديد، والكفاح والجليد[3] حتى أشرفوا على الاستيلاء على المدينة، وأحاطوا بها من جميع جوانبها المنيعة إحاطة السوار باليد، والقرب للأخذ لها عن يد. ودخل بعضهم المدينة، وتسوروا أطرافها بقوة العزيمة، ثم إنهم انهزموا بآخر الحرب، وما جرى من القتال والضرب، وعادوا إلى بلادهم. فلما بلغ الإمام هذا المغزى، وما جرى من هذا المسرى، جعل الطريق إلى ذلك المكاتبة ليافع والملاطفة لهم، وبذل المال النافع، فوصل إليه كثير منهم، وبذل لهم من المال ما أشبعهم، ومن الكسوات ما سترهم، واكتف[4] بسبب ذلك الغزوات إلى تلك الجهات منهم، غير أنهم منعوا عن رد أحمد بن الحسن ما دام عندهم، حتى يريد الخروج بإرادته عنهم، كما هي القاعدة في خِيْرة[5] القبائل اليمنية، فسكن كذلك «٦٠ب» في بلادهم، وهم دخلوا للإمام في عدم تعديهم.

وفيها أذن الإمام للأمير علي شمسان بالحج إلى بيت الله الحرام، بعد أن طلب المذكور ذلك الاستفهام، لطوال البقاء معه عنده، وما حصل له من السأم، فأراد الخلاص به تلك

---

(١) يُزَلِّج: يجهز ويسهل للسفر، والزِلاَّج (عند اليمنيين) هو ما يعد للمسافر، ولعله مأخوذ من (زَلَج) بمعنى أسرع وخف. (د.حسين العمري: حوليات النعمي التهامي، هامش ص٦٧).

(٢) يافع: تقع في الجنوب الشرقي من صنعاء، وإلى الشمال من عدن. وهي بلد متسع تنقسم إلى يافع العليا ويافع السفلى، عُرفت قديماً (بسر وحمير). (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٧٧٣؛ حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، ص١٧٠).

(٣) الجَلَد: القوة والشدة والصلابة، ويقال: جلُد الرجل، فهو جلد جليد. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٤٨١).

(٤) اكتف: أي توقفت الغزوات.

(٥) خِيْرة القبائل: صفة مدح تعني من أحسن القبائل.

الأيام، فأذن له الإمام، وسار للحج في ذلك العام، ومات بالسبت في الطريق، وحصل عليه التعويق، بالأجل المكتوب، والوقت المضروب، ولم يتم حجه، ولا قضى نفثه. وكان المذكور من كبار المقادمة الأمراء مع شرف الإسلام الحسن بن الإمام، وجرى على يديه حروب وقيام، وكان من خواص شرف الإسلام، وممن احتبس معه في الدار الحمراء تلك الأيام، وله رئاسة وإقدام، وجرى منه هفوة في قتل جماعات من عساكر السلطنة قد كانوا في الأمان والذمام، فاستنكر ذلك عليه كثير من الأنام.

وفي شهر القعدة منها، ظهرت الجراد ببلاد القُنْفُذَة[١] والحجاز ومكة، وظهرت الدَّبى[٢] في تلك الجهة، رأيتها في هذه السنة سنة حجي، ولله الحمد والمنة. وكان هذا الزمان في مدة الإمام المؤيد يصحب حاج اليمن في بلاد الحرامية[٣] وتلك الجهات التهامية السيد الرئيس محمد بن صلاح النعمي، متولي بلاد أبي عَرِيْش[٤] وجَازَان[٥] إلى محروس حَلْي[٦] ثم يعود، وينفرد الحاج إلى مكة من غير أمير يسود، لأنها أمان، ولا ينكر على أحد بها في تلك الأزمان. وكان هذه السنة وأراد السيد محمد بن صلاح الحج برأسه، وإرجاع «٦١أ» عسكره من حَلْي، وأجناده، فبلغ قائد القُنْفُذَة ذلك، فتلقاه إلى دَوْقَة[٧] وركز بقومه في الطريق بالعود والدرقة[٨] وقال للحجاج: حجوا دون السيد محمد بن صلاح فيعود

(١) القُنْفُذَة: ميناء يقع على ساحل البحر الأحمر، وهي من مدن ساحل المخلاف السليماني. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٦٠٣).

(٢) الدبَّى: الجراد قبل أن يطير، الواحدة دباة، وقيل: الدَّبى أصغر ما يكون من الجراد والنمل. (ابن منظور: لسان العرب: مجـ١، ص٩٤٥؛ مختار الصحاح، ص١٩٨) وقد كتبها المؤرخ في هذه المخطوطة في كل مرة (الدبا).

(٣) بلاد الحرامية: لم أجد لها تعريفاً فيما بين يدي من مصادر.

(٤) أبو عَرِيْش: بلدة عامرة مشهورة في المخلاف السليماني، في الشرق من مرفأ جَيْزان، وتبعد عنه بنحو ٣٥كيلومتراً تقريباً. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٣، ص١٤٢٣؛ حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، جـ٢، ص٥١).

(٥) جَازَان: تعرف حالياً (بجيزان) وهي بلدة على ساحل البحر الأحمر من جهة صَبْيا وأبي عريش. وهي قاعدة منطقة جازان يتبعها عدد من الأودية الزراعية والقرى الكثيرة والجبال بالمخلاف السليماني. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١٧١؛ حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، جـ١، ٢٢٣).

(٦) حَلْي بن يعقوب: كانت مدينة عامرة تتبع مخلاف عَثَّر، تقع على ساحل تهامة، وموقعها الآن جنوب القُنْفُذَة، حيث كانت تمثل الفاصل بين تهامة اليمن والحجاز. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص٢٨٠؛ الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤١٥).

(٧) دَوْقَة: من أودية القُنْفُذَة المأهولة، وفيه قرية بهذا الاسم. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، جـ١، ص٤٠٩-٤٦٠).

(٨) كذا وردت في الأصل لم يتضح معناها.

ولا يغدو، وقال: إن ذلك بأمر الشريف زيد بن محسن(١) فرجع السيد محمد بن صلاح إلى حَلْي، وأرسل لأصحابه بانتظاره، والعود معهم إلى بلاده، فعاد المذكور، والحجاج مضوا إلى البيت المعمور. والسبب في أمر الشريف، أنه يخشى من تهمة السلطان بإدخاله لقائد عسكر الإمام، والله أعلم بمراده بذلك.

وفيها اطَّلع الإمام المؤيد على صبيين، الله أعلم ما علم فيهما الإمام، في بيت القابِعي(٢) فطلبهما إليه، وضربهما بالجريد بيده، ونفاهما وطردهما عن السكون بمحطته.

وفي هذه المدة خالف بعض الجهات النجدية(٣) على الشريف زيد بن محسن، فقصدها بنفسه، وخرب فيها بعض قراها، وأجلا أهلها عن سكونها، وهي على طريق السراة.

ودخلت سنة اثنتين وخمسين وألف(٤)

في المحرم منها خسفت(٥) القمر خسوفاً كلياً، في برج الميزان.

وفيها رجح ابن راجح، وهو الشيخ علي بن ناصر الآنسي(٦) بعد عوده من حضرة الإمام المخالفة هو وبنو الرَّوِيَّه(٧) وأهل جبل الشرْق من آنس، ومن انضاف إليهم في تلك

---

(١) الشريف زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي (١٠١٦-١٠٧٧هـ/ ١٦٠٧-١٦٦٦م) ولي مكة سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م بعد عم أبيه عبدالله بن الحسن. توالت في أيامه عدة فتن خاصة في إقليم نجد، حاول قمعها بالشدة. مدحه بعض شعراء عصره. واستمر إلى أن توفي بمكة. وقد ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق٢٤٥ب-٢٤٦أ) (للمزيد: أحمد زيني دحلان: خلاصة الكلام، ص٩٤-٩٧؛ إبراهيم محمد الصبحي: بلاد الحجاز في القرن السابع عشر الميلادي، ص٣٥-٣٧).

(٢) بيت القابعي: قرية بعزلة سيران الشرف، ناحية شهارة، بمحافظة حجة. (الجمهورية العربية اليمنية، الجهاز المركزي للتخطيط، التعداد السكاني لعام ١٩٨٦م، محافظة حجة، ص٣٤٠).

(٣) المقصود بها بلاد نجد.

(٤) ١٠٥٢هـ = ١٦٤٢م.

(٥) كذا في الأصل. الأصح: خسف القمر. ولكن من الملاحظ أن المؤرخ كغيره من مؤرخي عصره لايقول إلا: (خسفت القمر.)

(٦) لقد تابع المؤرخ في هذه المخطوطة موقف الشيخ علي بن ناصر من الإمام المؤيد والإمام المتوكل. وذكر وفاته في (ق٢٧٤أ) من هذه المخطوطة.

(٧) بنو الرَوِيَّة: من أعيان اليمن، وقد ذكرهم الهمداني في وادي السِّر، ونسبه إليهم عند الكلام على أودية ذي جُرة وخولان العالية. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٣٧٣).

الآكام، من سائر القبائل التي تليهم، مثل بعض أطراف رَيْمَة وكُسْمَة[١] وصالت القبائل صولة عظيمة، وطلبوا ولاة غير ولاتهم، وقال ابن راجح: أما الإمام فلا نخالفه، ولا نحاربه، وإنما خلافنا «٦١ب» على ولاتنا وعمالنا من الفقهاء بني الأكوع، فإنهم جاروا علينا، وقطعوا أرزاقنا، ومحقوا رئاستنا، وأهانونا، فأرسل ابن الأكوع عسكر جبل ضوران، من الرتبة التي فيه والأعوان، وجهزهم إلى قتال الشيخ ابن راجح بعد أن وصل بذلك أمر الإمام، وأرسل معهم جماعة من الأعيان، فدخلوا بلاده، وقُتل جماعة، ونُهبت بيوته وأثاثه وما معه، واستولوا على حصن حَرَمَه، وهو معقله ومحله، وهرب الشيخ فريداً طريداً وحيداً إلى حضرة محمد بن الحسن، وهو يومئذ بإب مستجيراً، فأجاره محمد بن الحسن وأكرمه وأجَلَّه واحترمه وآنسه. وكان حصن يفعان[٢] في بلاد ريمة قد حاصره القبائل من الجبال حوله والقيعان، ثم تفرقت القبائل بعد ذلك، وزال ما أحدثوه هنالك. وفي أثر هذا الكائن الحادث جهز الإمام السيد إبراهيم بن أحمد بن عامر[٣] بعسكر، وفرض لهم آداباً يقبضونها من بلاد الشيخ ابن راجح وريمة، فسار المذكور إلى تلك الديار، فاستخلص منهم الآداب، وزال عنهم بسبب ذلك العتاب،«٦٢أ» واستقر إبراهيم بن أحمد عقب ذلك بضوران، وأمر ونهى، وأعطى، وظهر كرمه الواسع وأوفى، حتى قال الناس فيه، وتلوا قوله: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾[٤] ثم طلبه الإمام إلى شهارة، وقد تعلقت بالسيد الديون الكثيرة، والغلق الجزيلة، فقضاها الإمام عنه، وعظم عنده محله، وقرب إليه مجلسه.

---

(١) كُسْمَة: ناحية من بلاد ريمة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٦٦٤).

(٢) حصن يفْعَان: يقع في غُزلة يفعان من ناحية السلفية في بلاد ريمة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٣٧٩).

(٣) هو إبراهيم بن أحمد بن عامر بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد مولده في شوال سنة ١٠١٨هـ/ ١٦١٠م ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق٨٧ب) ؛ كما ترجم له مطهر الجرموزي: تحفة الأسماع، ق٢٨أ؛ أبو الرجال: مطلع البدور، جـ١، ص٩؛ وقد ترجم له القاضي إسماعيل الأكوع في كتابه هجر العلم مرتين: الأولى جـ٢، ص١٠٦٦. ذكر أن وفاته سنة ١٠٥٦هـ، والثانية جـ٢، ص١٠٨٠ ذكر أن وفاته سنة ١٠٥٠هـ أو ١٠٦٠هـ. والأصح أن وفاته سنة ١٠٥٦هـ.

(٤) سورة النجم، آية رقم: ٣٧..

وفي هذه الأيام حوصر حصن ذمَرْمَر. واستمر من حال خروج أحمد بن الحسن عنه في ذلك العام والشهر، فخرج عنه الآغا فرحان[1] ومن معه من المماليك والخدم، الذين كانوا رتبة لأحمد بن الحسن. وأمر الإمام بإخراج من فيه من أهله، وسكونهم بصنعاء اليمن. وكان المحاصر للحصن الحاج حسن بن الحاج أحمد الأسدي، قريب سنة كاملة، ثم أمر الإمام المؤيد بخراب ذلك الحصن المَشِيْد، والأساس المنيع الشديد وإزالة منازله الرفيعة، ودوره العالية المنيعة، ففرح[2] قبائل بني حِشَيْش[3] بخرابه، وتحويل أبوابه وأخشابه، وهرعوا إلى «٦٢ب» الخراب بالمعاول والحديد، وخربوه والقائل يقول: هل من مزيد، حتى بلغوا فيه إلى الأساس، وأزالوا عنه جميع الأجناس، كل ذلك منهم، لأنه حصن شامخ فوق أرضهم، وعادة القبائل جارية بكراهة عمل معقل للدولة القاهرة عليهم. وحُملت أبواب الحصن الكبار إلى محروس شهارة، ولم يبق فيه إلا المسجد والمواجل، لكونها مخروطة في الصفاء، لا يمكن محقها لأحد بظاهر ولا خفا؛ لأنه من الحصون الحميرية، والقلاع القُديمية[4].

وفيها أنشأ القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري رسالة[5] أبانت عن صاحبها الجهالة، وذلك في الطعن في سنة النبي ﷺ، والرد لما جاء منها على ألسنة الرواة والمحدثين، وما أتوا به عن سيد المرسلين وخاتم النبيين، وقال: كلما في الأمهات الست لا يُحتج به، وأنه كذب. فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. يريدون أن يبدلوا كلام الله ورسوله ويؤمنون ببعض الكتاب دون بعضه. وقد أجبت[6] على هذه الرسالة، وأظهرت ما فيها من الغلط

(١)الآغا فرحان: كان من مماليك أحمد بن الحسن. كانت له مكانة عظيمة لديه، عُين أميراً للحج سنة ١٠٧٢هـ. توفي في شوال سنة ١٠٨٤هـ عندما سقط عن فرسه بالغراس.

والآغا: كلمة تركية تعني عند العثمانيين رتبة عسكرية. (الوزير: طبق الحلوى، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، ج٢، ص٣٠٥؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج١، ص١٣٦)

(٢)كذا وردت في الأصل، صحتها: (ففرحت)

(٢) بنو حِشَيْش: بن خولان العالية، من نواحي صنعاء في الشرق منها، وهي الآن تابعة للواء صنعاء في التقسيم الإداري، وهي ثمانية أقسام. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص٢٦٠؛ المقحفي: معجم البلدان، ص١٨٧).

(٣) أي القديمة: والكلمة لازالت مستخدمة إلى الآن.

(٤) عنوان الرسالة: (المنقذة من الغواية.)

(٦) الرسالة التي أجاب فيها يحيى بن الحسين على رسالة أحمد بن سعد الدين المسوري السابقة الذكر هي: (صوارم اليقين في الرد على القاضي أحمد بن سعد الدين).

والغواية، بأدلة بينة. وما توفيقي إلا بالله وإليه أُنيب، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم «٦٣أ» وهذا كتاب المؤيد بالله إلى الشيخ ابن العفيف صاحب يافع يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الشيخ المقام الأكمل، الرئيس الأنبل الأمثل، حسام الدين، محب أهل البيت الأمجدين، معوضة بن عفيف اليافعي، أصلح الله أحواله، وبلَّغه في الخير آماله، وأتحفه شريف السلام والإكرام، ورحمه الله.. وبعد: فوصل كتابكم الكريم تذكرون ما لكم فينا أهل البيت النبوي من المحبة والمودة، وما سبق لكم معنا من المشاركة في الجهاد، وقد سمعتم قول الله عز وجل يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1] ثم ساق آيات وأخبار[اً] في طاعة الإمام، وولي الأمر، وما ورد في فضائل أهل البيت، ثم قال: وذكرتم من جهة ولدنا هنا أحمد بن الحسن، وتخبطه بنفسه هذا التخبط، وتعرضه لما تعرض له من سخط الله عز وجل بالفساد في الأرض، والبغي بغير الحق، واتباع الشيطان المُغوي، والهوى المُرْدي، وتعريضه من عرَّض من الناس للمهالك في دينهم ودنياهم. فهو يعلم وأنتم تعلمون أنا إنما أمرناه بتقوى الله، وعلَّمناه معالم الدين، ثم ساق الأمثال وما ورد في التواصي حتى قال: ثم لم يكتف بذلك حتى نكث العهد، ونقض العقد، وخان الله ورسوله في أمانة كانت عنده من عُهَد المسلمين وأماناتهم وأموالهم وذخائرهم وعُدَدِهم التي أُعدت لمن قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[2] وحمل على النكث فيها من أخذ عليها ميثاقهم وعهدهم في حفظها ورعايتها، فسوَّد وجوههم، وأضاع أمانتهم، وأخرجهم من صفة العرب، وهم من وجوههم ورؤسائهم، ثم صد عن سبيل الله «٦٣ب» وبغاها عوجاً، وتجرد للبغي في الأرض والفساد بغير الحق، وإنفاق أموال الله عز وجل في من

---

(١) سورة آل عمران، آية رقم: ٣١.

(٢) سورة الأنفال، آية رقم: ٦٠. وتمامها ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾.

عاداه وشاقه، والتوثب بهم على من ليس له ظلم[1] وظلم الضعفاء والمساكين، ومعاداة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ومصافات أهل الجهل والغوغاء. فحين رأينا ذلك، علمنا وجوب جهاده ودفعه علينا وعلى جميع المسلمين، وأخرجنا لذلك امتثالاً لأمر الله وفريضته من إخواننا وأولادنا وأجنادنا، من رأى الله لهم المواقف الشريفة في جهاد الظالمين، وجلاد المفسدين والمعتدين، من أعواننا وأنصارنا، فأمضى الله لنا ولهم سببه وعاداته الجميلة في النصرة والتأييد، والفتح والمزيد، وصرع أهل البغي، وقطع دابر أهل النكث: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[2] إلى آخر كتابه. قال فيه: وحرر في شهر صفر سنة اثنين وخمسين وألف[3] بمحروس شهارة.

وظهر من كتابه هذا أن السبب الذي حرك أحمد بن الحسن في خروجه هذا الثاني[4] أنه ربما طلبه المؤيد خزانة والده مما هو بيت مال، وما هو يختص به كان لورثته. وكانت تحت يده، فحصل هذا النفار، ووقع ما وقع من ذلك الاشتجار. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي هذا الزمان يجري في المكاتبات إلى الإمام لفظ منكر من الناس يقولون في ابتداء الكتاب: مولانا أمير المؤمنين، المؤيد بالله رب العالمين، ومثله جرى في أيام المتوكل أيضاً، وهو ضمير يعود إلى المضاف، لا إلى المضاف إليه في اللغة العربية، مثل قولك: غلامُ زيدٍ فاضل، فإنه يعود إلى الغلام لا إلى زيد، ولفظ رب يلزم ذلك، ولا رب للعالمين إلا الله تعالى. نستغفر الله، فلنحذر كتابه ذلك.

«٦٤أ» وفيها أرسل الإمام الفقيه العارف شرف الدين الحسن بن أحمد الحيمي[5] إلى

---

(١) كلمة: (ظلم) مشطوبة. وقد أثبتناها ليستقيم المعنى.

(١) سورة البقرة، آية رقم: ٢٧.

(٣) صفر ١٠٥٢هـ = مايو ١٦٤٢م.

(٤) كان الخروج الأول سنة ١٠٤٩هـ. وقد ذكره المؤرخ خلال سرده لأحداث هذه السنة.

(٥) هو الحسن بن أحمد بن صلاح اليوسف المعروف بالحيمي. ولد سنة ١٠٨١هـ/ ١٦٠٩م. يذكر معظم من ترجم له أنه توفي سنة ١٠٧١هـ على خلاف ما ذكره يحيى بن الحسين، الذي ذكر أن وفاته سنة ١٠٧٠هـ. وهو عالم مبرز في الفقه، مشارك في الحديث وعلوم العربية، شاعر مؤرخ. أرسله الإمام المتوكل على رأس وفد إلى الحبشة، وقد سجل المؤرخ =

بلاد يافع، للسعاية في استمالة ابـن أخيـه للرجـوع إلى ديـاره، فأسـعد المـذكور إلى العـود والعبور، فوصل إلى حضرة الإمام، واستقر عنده جماعة[1] أيام، وزوجه الإمام أحـد بناتـه حتى جاء وقت الحج في العام القابل، وأمره الحج بأهله.

وفيها أو غيرها أخبرني القاضي محمد بن أحمد الشظبي[2] قال: اتفق للسيد هـادي بـن حسن[3] من الأهجر[4] وهو سيد فاضـل، أنـه في بعـض الأيـام سـار إلى شـمات، وتلـك الجهات، فنزل ليشرب من بركة في الطريق، فوجد حولها جمجمة ملقاة عـلى الأرض عنـد البركة، وفي فمها لجام من حديد، فبقي السيد متعجباً منها، حائر الفكر فيها، ثـم إنـه قـال مخاطباً لها: يا ليت ما شأن هذا الأمر التي أنتِ فيها[5] فصرخت عند ذلـك بـصوت هائـل عظيم، فخر السيد بوجهه على الأرض ملقىً لهول ذلك الصوت وما رأى، وصار مغيباً[6] لا يعرف الأرض مـن الـسماء. ثـم إنـه لمـا «٦٤ ب» أفـاق، وزال عنـه ذلـك الإشفـاق، واستأنس ببعض مارة في الطريق، فدفنوها بحفرة عميق. فما هو إلا أن تم ذلك الدفن لهـا ألقتها الأرض عن بطنها، وقذفتها، فتركها على ما هي فيها[7] وسار وهو معتبر وجِل منها. وكان سبب صلاحه، وشدة خوفه. وقد روى لي هذه القصة رجل آخر عنه وتواترت، مع أن السيد المذكور حال رقم هذه الأحرف في الحياة، إذا حصل اتفاق به سألته عما رآه، لكنه

هذه الرحلة كاملة في هذه المخطوطة. (انظر ترجمته أيضاً في أبو الرجال: مطلع البدور، ج٢، ص٦٠؛ الشوكاني: البـدر الطالع، ج١، ص١٨٩-١٩١؛ المجي: نفحـة الريحانـة، ج٣، ص٤٢٩-٤٣٠؛ أحمـد الحيمـي: طيـب الـسمر، تحقيـق: عبد الله الحبشي، ص٩٥-١٠١).

(١) أي عدة أيام.

(٢) محمد بن أحمد الشظبي: فقيه حافظ، توفي بصنعاء في شعبان١٠٧٩/ ١٦٦٨م. (إسـماعيل الأكـوع: هجـر العلـم، ج٣، ص١٣٧٩).

(٣) لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

(٤) الأهجر: بلدة من ناحية شبام كوكبان، فيها عدد من القرى والمزارع والعيون الجارية. (الحجري: مجمـوع بلـدان الـيمن، مج١، ج١، ص٩٣).

(٥) كذا وردت في الأصل، صحتها: (الذي أنتِ فيه).

(٦) أي أُغمي عليه.

(٧) كذا وردت في الأصل، صحتها: (فيه).

لا يتحول عن بلده في الأهجر، ولا يسير عنها، ولا يغفل. ومسكنه بالهِجْرة[١] عند ذلك المسجد والغيل والقبة. وهذا من عذاب القبر نعوذ بالله منه، الذي يظهره الله في بعض الأوقات للزجر. والله أعلم.

قال القاضي محمد بن أحمد الشظبي: وفي هذه المدة والأيام ظهر رجل محارب للأنام، وقاطع لطريق الإسلام في هيجة لاحمة[٢] بمساقط لاعة[٣] على طريق مِلْحان وحفاش[٤] والضِّحي[٥] ولعِسان[٦] فكان ينتهب الناس، ويأخذ ما احتاج من الغنم وغيرها، فيأكلها ويتوارى في الهيجة فلا يعرف بمحله ومقره فيها لكثرة شجرها، ثم انتهى به الحال أنه أخذ امرأة، وأدخلها معه فيها فشكوه إلى الأمير ناصر بن عبدالرب[٧] فأمر الأمير ناصر بأنه يُتَرقب، ويُرمى متى صدفوه، فلم يعرفوا موضعه؛ لأنه قد صار من المحاربين المفسدين، وما أخاف السبيل، «٦٥أ» ولا ظفروا مسكنه لكثرة الشجر، ومن توارى بينها غبر، فبقى على ذلك مدة أيام، ثم لم يُعرف له خبر بين الأنام، إما مات في الهيجة، أو أكلته السباع، فزال أمره بحمد الله وضاع.

---

(١) الهِجْرة: أصطلح علماء اليمن على تسمية القرية التي يهاجر إليها من رغب عن سُكن المدن هِجْرَة، إضافة إلى اسمها العَلَم، ليجعلها دار إقامة له، ويتخذ منها مكاناً لنشر العلم، فلا تلبث أن تكون في كثير من الأحيان مقصودة لطلب العلم، تُشد اليها الرحال، وتهوى إليها أفئدة العلماء وطلبة العلم. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم: هجر العلم، ج١، ص٥).

(٢) هيجة لاحمة: أي غابة مليئة بالأشجار أو كثيفة الأشجار.

(٣) لاَعَة: بلد معروفة من أعمال حجة، تقع جنوبها، إليها تُنسب عدن لاعة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٤، ص٦٧٧.

(٤) حُفاش: جبل من أشهر جبال اليمن، غرب صنعاء، يطل على تهامه، فيه قرى ومزارع كثيرة. وهو ناحية من نواحي محافظة المحويت، قريب من جبل مِلْحان، يذكرهما الهدافي كجبلين مشمخرين مشرفين على تهامة مشرفين على تهامة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص٢٧٧-٢٧٨؛ الموسوعة اليمنية، ج١، ص٤١٠).

(٥) الضِّحي: بلدة عامرة من بلاد الجرابح العكيين من أعمال قضاء الزيدية، تقع في وادي سُردد، كانت من القرى المشهورة المقصودة لطلب العلم. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٥٥٢؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٣، ١١٩٠).

(٦) يذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب أن لعسان: من علك وأن حراز مختلطة من غربيها بأرض لعان. ويذكر الحجري بأن لعان من ولد علك في تهامة في تهامة، ولعان من سهام ولعان من جبال حراز. (الهمداني: صفة جزيرة، ص٢٠٩؛ الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ص١٧٣، ج٢، ص٦٠٨-٦٠٩).

(٧) هو الأمير الناصر بن عبدالرب بن علي بن شمس الدين، أمير كوكبان ونواحيه، كان من أعوان الحسن بن القاسم، فجعله خلفاً لولده على ولاية تعز، ثم عزله المتوكل إسماعيل عمها وأقطعه بلاد ولاعة والطويلة. ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق٢٠٠ب) من هذه المخطوطة. (عيسى بن لطف الله: روح الروح، جـ٣، ق١٣٨أ؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٤، ص١٨٧٤-١٨٧٥).

وفيها خرج جماعة تجار من الحساء، والبحرين، والبصرة، من البحر الفارسي[1] فلما عارضوا[2] بَنْدَر مسكت[3] الذي بيد الفرنج يومئذٍ انتهبوهم وقتلوهم، فانقطع المار، في ذلك البحر الزخار، حتى استولى على بندر مسكت العماني كما سيأتي تاريخه إن شاء الله. وسلك الناس في البحار، وأمنوا من أولئك الكفار الأشرار.

وفي هذه السنة أو التي قبلها وقع فساد في بحر القلزم[4] وهو بحر اليمن من قبل الفرنج، فجهز عليهم والي اللحية النقيب سعيد المجزبي، فقبضوا عليهم، وأرسلهم إلى الإمام وهو بوادي أقر تحت شهارة في تلك الأيام، فعرضهم الإمام للإسلام وهم قدر سبعين نفراً، فأسلموا، وأمر بختانتهم ثم تفرقوا وذهبوا.

وفي هذه المدة وصل إلى صنعاء رجل عالم من الإمامية[5] الرافضة[6] الإثني عشرية، يقال له: السيد سليمان العجمي، وأظهر أشياء من مذاهبهم في الإمامة، والتأويل للقرآن والتحريف والجهالة، وخالطه من صنعاء من يميل إلى الهوى، ومن يعتقد الرفض منهم لصحابة المصطفى، «٦٥ب» حتى أنه فسر قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾[7] قال: الشيطان عمر، استطاع لما قال لأبي بكر ينتصب للخلافة، والكافر أبو بكر، فانظر واعجب!

---

(١) البحر الفارسي: هو الخليج العربي، ويطلق عليه الخليج الفارسي من عبادان على مصب نهر دجلة إلى عُمان. (دائرة المعارف الإسلامية، مجـ٣، ص٣٨١).

(٢) المقصود: مروان من البندر. والبندر: هو ميناء مدينة ساحلية.

(٣) مسكت: هي (مسقط) ميناء على خليج عُمان وعاصمة الدولة.

(٤) بحر القلزم: هو: البحر الأحمر. سمي كذلك نسبة إلى مدينة (القلزم) في أقصى شمال هذا البحر، بالقرب من مدينة السويس. (دائرة المعارف اللإسلامية، مجـ٣، ص٣٨٢).

(٥) الإماميَّة: هم القائلون بإمامة علي كرَّم الله وجهه بعد النبي ﷺ نصاً ظاهراً، من غير تعريض بالوصف، بل إشارة إليه بالعين. وهي فرقة من فرق الشيعة، وقد انقسمت إلى عدة طوائف، التي منها الاثنا عشرية. (الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص١٦٢).

(٦) الرافضة: سميت بهذا الاسم لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، حين طلبوا منه البراءة من أبي بكر وعمر، فلم يجبهم إلى ذلك، ففارقوا زيداً، فسماهم: الرافضة، فجرى عليهم هذا الاسم، لأنهم قالوا للإمام زيد: إن برئت منهم وإلا رفضناك. (نشوان الحميري: الحور العين، تحقيق: كمال مصطفى، ص٢٣٨-٢٣٩).

(٧) سورة الحشر، آية رقم: ١٦. وتمامها: ﴿فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾.

وفيها وصل الخبر المستفيض إلى اليمن أن بلاداً من بلاد البربر خُسف بها في بلاد العجم. روى لي (صور)[1] العجمي أن هذا الخسف عظيم الشأن، شقق الأرض، وهدم عمائرها، وأزال مساكنها وأرضها، وأنه ليس في جميع تبريز، بل في جهة منها. وهذا من أمارات اقتراب الساعة، كما جاء في الأحاديث النبوية، وعند ظهور لعن الصحابة والسلف، كما دأب الرافضة من العجم في تلك الجهة. وقد جاء في الحديث عنه ﷺ أنه قال: [«لاتقوم الساعة حتى يلعن آخر هذه الأمة أولها، فإذا فعلوا ذلك، فليرتقبوا ريحاً حمراء وخسفاً ومسخاً»][2] الحديث أو معناه كما في الترمذي وغيره.

وفي هذا العام سار أحمد بن الحسن للحج، فحج وعاد، واجتمع معه عز الإسلام محمد بن الحسين، ومحمد بن أحمد بن الإمام[3].

ودخلت سنة ثلاث وخمسين وألف[4]

فيها أذن الإمام لولد أخيه أحمد بن الحسن بالانتقال إلى مدينة صنعاء، والسكون بها بعد عوده من الحج، وقرر له جميع ما يحتاجه من السبار هو وأصحابه وبيوته. «٦٦أ» وروي أنه بعد خروجه على الإمام قال: إنما حمله على ذلك بر والده شرف الإسلام الحسن بن الإمام في أيام نشوئه وتربيته في سابق الأيام، هكذا رواه من يختص به، ومن كان ملازماً معه، وسمع بهذا من لفظه حتى قال الراوي إنه قال: ولهذا قبضنا على أولادنا، ولم نبسط أيديهم كل البسط، لئلا يحصل الغرر معهم كما حصل معنا ذلك العصر، لكنه ما

(١) لم أتمكن من قراءة الاسم، لأن الكلمة غير معجمة، ويمكن قراءتها من عدة أوجه، كما أني لم أجد ترجمة لاسم مقارب لما كتبه المؤرخ.
(٢) هو جزء من حديث طويل ورد في سنن الترمذي، جـ٤، كتاب الفتن، ص٤٩٥.
(٣) هو محمد بن أبي طالب أحمد بن الإمام القاسم بن محمد. سكن صنعاء والروضة. وكان الإمام إسماعيل قد عذره في آخر عهده عن كثير من البلاد التي كانت ولايتها إليه. ثم لما تولى الإمام المهدي أحمد بن الحسن الإمامة ردها إليه وأضاف إليه بلاد حجة وعفار وكحلان. ولم يعش كثيراً بعد ذلك، حيث مات في المحرم سنة ١٠٨٩هـ/ فبراير ١٦٧٨م وقُبر بالروضة حيث الجامع الذي يعتبر من مآثر والده. يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ٢، ق٢١٣أ-٢١٤).
(٤) ١٦٤٣ = ١٠٥٣م.

تخلص مما لزمه من حقوق الآدميين مع ذلك، والله يسامحه[1] والله أعلم.

وفيها أمر ضياء الإسلام إسماعيل بن الإمام، وهو باليمن بقطع شجرة الشيخ أحمد بن علوان. وكان المتولي للقطع، الحاضر فيه، المحرض عليه السيد محمد بن أحمد المحنكي فوقع بالمذكور علة دائمة عاقته عن الحركة في أموره بإقعاد، وعلة جذام وسقام. نسأل الله العافية، وطال به هذا السقام السنين والأعوام.

وفيها أذن الإمام لأخيه إسماعيل بالطلوع من اليمن وبلاد تعز إلى جبل ضوران، والسكون في ذلك الإيوان، والدور التي قد بناها له الماضون من الإخوان، حالة مُفْرغة، ومائدة موضوعة، بغير تعب ولا نصب، ولا جهد فيها ولا وصب. فطلع المذكور إلى ذلك المقر، ونهى فيه وأمر. «٦٦ب» وكان قد اكتسب باليمن بمدينة تعز سماع (تيسير الديبع)[2] في الحديث على الشيخ العارف محمد بن عبدالعزيز الحُبَيشي[3] المفتي الشافعي، وحصَّل هناك كتاب (سنن البيهقي الكبرى)، واستجاز[4] منه في الحديث ما شاء.

وفيها وقع بمصر الموت العظيم، والأمر الجسيم، حتى هلك به أمم كثيرة، ونفوس عديدة جزيلة، وخرج الباشا عنه، قيل إن جملة الذي هلك فيه أربعة لكوك.

---

(١) لعل سبب الخلاف بين الإمام المؤيد وبين أحمد بن الحسن على الأموال والخزينة هو أن الدولة لم تكن قد وضعت نظمها الإدارية والمالية حتى ذلك الحين، فيصبح من الصعب التمييز بين الثروة الخاصة والثروة العامة.

(٢) الكتاب هو: (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) مجلدين لعبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني، المحدث والمؤرخ المشهور (٨٦٦-٩٤٤هـ/ ١٤٦١-١٥٣٧). وطبع كتابه هذا الأول مرة بالهند سنة ١٣٠١هـ ثم تكررت طباعته (للمزيد عن ابن الديبع وكتابه انظر). (العيدروس: النور السافر، ص٢١٢).

(٣) هو الفقيه العلامة محمد بن عبدالعزيز المفتي التعزي. ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق١١٦ب) من هذه المخطوطة؛ كما ترجم له الجنداري في الجامع الوجيز (ق١٤٢ب) نقلاً من هذه المخطوطة.

(٤) الإجازة: كلمة اصطلاحية عند علماء في مصطلح الحديث، وهي شهادة يمنحها محدث أو فقيه ثقة إلى أحد تلاميذه أو غيره يجيز له أن يروي عنه الحديث أو الفتوى. وتكون هذه الرواية بالإذن معتبرة وموثوقاً بها. وليس من شروط الإجازة أن يتصل هذا الشخص بمن أذن له اتصالاً مباشراً. واختلف العلماء في الصيغة التي يعبر بها الراوي عند روايته ما أذن به. (دائرة المعارف الإسلامية، مجـ٢، ص٢٣١؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، جـ١، ص٢٥).

ووصل الخبر أيضاً، أنها خرجت ستة غربان[١]، في هذا الأوان من حضرة سلطان الروم إبراهيم بن أحمد خان بن عثمان، مملوءة عساكر يريدون الوصول إلى مصر وأرجف الناس أنهم مأمورون بالبلاغ[٢] إلى جدة والحجاز ونحوها، فلما خرجوا من البحر الرومي[٣] إلى بندر اسكندرية، مات كثير منهم في اسكندرية ومصر، وخرج الباقون إلى السويس، بندر البحر اليمني، فركب من ركب، وتفرقت جلابهم[٤]، وتمزقت أمورهم، فلم يحصل مرادهم، لقلة من بقي منهم.

وفي رمضان منها على مضي ساعتين من ليلة الخميس، خسفت القمر ببرج الدلو بالرأس[٥].

وفيها أو غيرها توفي الفقيه العارف محمد بن عبدالله الهتار المُحلبي[٦]، فقيه الشافعية بمدينة زبيد. وهو أحد «٦٧أ» من كان أخذ عليه شرف الإسلام الحسين بن الإمام، واستجاز منه في محروس الحمى[٧] خلال فتح زبيد، في مثل (شمائل النبي ﷺ) للترمذي غيرها.

---

(١) الغربان والأغربة: مفردها غراب، نوع من أقدم أنواع السفن الحربية، كانت معروفة للرومان وغيرهم، ولم تزل مستخدمة إلى العهد العثماني. عُرفت بهذا الاسم لرقتها وطولها وسوادها. (د.محمد عبدالعال: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، هامش ص١٠٣).

(٢) أي الوصول..

(٣) البحر الرومي أو بحر الروم: يقصد به البحر الأبيض المتوسط، والشرقي منه خاصة، إذ أطلق اسم بحر المغرب على القسم المجاور لأسبانيا وبلاد المغرب، سمي كذلك نسبة إلى الشعوب الأوروبية التي تسكن شواطئه. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، جـ١، ص٢٧٦).

(٤) الجلبة: نوع من السفن المستخدمة حينذاك.

(٥) الرأس: يراد بها رأس الشمس في حركتها في الفضاء. (أمين فهد المعلوف: المعجم الفلكي، ص٢١).

(٦) لم أجد له ترجمة في مابين يدي من مصادر، غير أن الجنداري في الجامع الوجيز (ق١٤٠أ) قد ترجم له نقلاً من هذه المخطوطة.

(٧) الحمى: عزلة بناحية زبيد، محافظة الحديدة. (الجمهورية العربية اليمنية: الجهاز المركزي للتخطيط، التعداد السكاني لعام ١٩٨٦م، محافظة الحديدة، ص١٠٨).

ودخلت سنة أربع وخمسين وألف[1]

في ثاني عشر محرم كان تحويل سنة العالم، فكان زحل في برج الحمل بآخره، والمشتري في أول الجوزاء، والمريخ أول درجة في الأسد، والحوت في برج الأسد.

وفيها وصل صفي الدين أحمد بن أمير المؤمنين إلى عند أخيه الإمام المؤيد بالله محمد بن أمير المؤمنين، وقرأ عليه بشهارة (تيسير المطالب في أمالي أبي طالب)[2] واستقر هنالك هذه المدة. قيل: إن وصوله كان بحساب وعِدَّة من ذمي[3] كان عارفاً بالنجوم بِحَمِدَة[4]، ولم يحصل له ما كان أمله من الخلافة.

وفيها ساخ[5] جبل في الأهجر غربي صنعاء، وتخرب من أعلاه شيء كثير من الحجارة والطين، وكبس بعض ما يليه من المال والبساتين.

وفي هذا العام أو الذي يليه ظهر لرجل في جهات الحقار بمساقط حجة، وجهات الواعظات من غرابي الشرف اعتقاد عظيم للناس، وجُذب له منهم كثير، وكان من جُذب له يحمل الحيَّات فلا تضره. وكان ذلك عقب موته بأيام قليلة، وقيل في حياته.

وفي هذه السنة كتب الإمام إلى الشريف زيد بن محسن[6] في شأن الاعتزاء إليه في الخطبة إذا أمكنه، فأجاب الشريف بأنه يرسل من الفقهاء من يثق به إلى عنده، فأرسل

---

(١) ١٠٥٤هـ = ١٦٤٤م.

(٢) الكتاب من تأليف يحيى بن الحسين بن محمد بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون البطحاني، أبو طالب (٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م) وهو في ذكر معجزات النبي وفضائله وشمائله، وفي فضائل الإمام علي بن أبي طالب وأولاده، وفي فضل العلم والعلماء، وفي فضل القرآن والجهاد. (المحلي: الحدائق الوردية، تحقيق: محمد فضل الكبيس، مقدمة ص١٦٦؛ د.حسين العمري: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، ص١٤٥).

(٣) الذِّمي: أي أهل الذِّمة، وهم المعاهدون من النصارى واليهود الذين يقيمون بدار الإسلام.

(٤) حَمِدَة: مدينة أثرية، تقع في ناحية جبل عيال يزيد من محافظة صنعاء، وتبعد عن ريدة حوالي ٦كيلو مترات باتجاه الشمال. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، جـ٢، ص٢٨١؛ الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤٢٠).

(٥) ساخ: ساخ الجبل بمعنى انخسف ورسب وغاص في الأرض. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٢٣٣).

(٦) ورد في كتاب (طبق الحلوى) ص٩٣ باسم المحسن بن الحسين وهو والد الشريف زيد بن محسن، وقد توفي سنة ١٠٣٨هـ أي قبل أحداث هذا العام بحوالي ستة عشر عاماً، ولعله خطأ وقع فيه ابن الوزير، ولم يتنبه إليه المحقق.

الفقيه محمد بن علي الجَمَلُولي[1]، وركب البحر في غير الموسم للحج حتى بلغ جدة، وبلغ الفقيه موت الإمام «٦٧ب» المؤيد بالله فعاد من جدة. هكذا روى القاضي محمد بن أحمد الشظبي. وهذا الأمر لا يتعذر أن الشريف يساعد إليه، وإنما هو منه مجاراة للإمام فيما يحث إليه، والمراودة بعد وصول الفقيه وما يقتضيه النظر منه إليه، والجواب على الإمام بالمشافهة والخبر، لأن مكة لا يسمح بها السلطان، ولا يترك ذكره فيها كل أوان، ولا سيما مع الاختلاف إليها من أمراء الحاج كل موسم من السنين، ومع المادات التي لا تزال واصلة إلى الأشراف من الطعامات والأموال في كل وقت وحين، مما لا يقوم بذلك غيرهم، ولا يقدر على الاستمرار فيه سواهم. والأشراف لا يسمحون بالمصالح إليهم. مع أنه لو كان ذلك لكان فيه تحريك لما قد غفل عنه السلطان في تلك الجهات. والله يصلح أحوال المسلمين. وكان قد كتب الإمام قبل هذه الأيام بكتاب يذكر فيه طلب الزكاة من أهل مكة، والدفع بها إليه في هذه المدة، فأجابوا بجواب عظيم، واستدلال بكتاب الله الفخيم، وقالوا: إن هذه البلدة كما قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾[2] فهم منتظرون أن يصلهم الإمام بشيء من المال، ولا يطلبهم فإنه عَكَس هذه الآمال. وقد كان الشريف محسن والده كاتب المؤيد في مثل ذلك، لكنه لأجل ما وقع بينه وبين الشريف مسعود[3] وغيره من الاختلاف، ولذلك خرجوا عليه وطردوه من مكة كما سبق ذكره[4].

وفي هذه الأيام كتب الإمام المؤيد بالله إلى صنوه إسماعيل بن القاسم بالعزل عن

---

(١) ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق١٩٧أ) من هذه المخطوطة؛ كما ترجم له الجرموزي في تحفة الأسماع: ق٣٢ب، لكنه لم يضف جديداً لما ذكره مؤرخنا.

(٢) سورة إبراهيم، آية رقم: ٣٧. وتمامها: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾.

(٣) هو الشريف مسعود بن إدريس بن الحسن بن أبي نمي الثاني (ت ١٠٤٠هـ/ ١٦٣٠م) من أمراء مكة، وليها سنة ١٠٣٩هـ على أثر خطة دبرها مع (قانصوه) قتل بها سلفه أحمد بن عبدالمطلب، واستمر خمسة عشر شهراً. وفي أيامه وقع مطر عظيم دخل المسجد الحرام. توفي بمكة. (المحبي خلاصة الأثر، جـ٤، ص٣٦١-٣٦٢؛ زيني دحلان: خلاصة الكلام، ص٧١؛ الزركلي: الأعلام، جـ٨، ص١١٠).

(٤) يتضح من ذلك أن الإمام المؤيد محمد بن القاسم يريد إثبات أن الحجاز تابعة لليمن.

الولاية في جهات ضوران وبلاد رَيْمة وعُتمة، وتغير إسماعيل من ذلك، واشتد به الغضب، وتحدث أنه لم يبق له متسع في البقاء في جهة اليمن، وأنه يريد العزم إلى مكة المشرفة، والسكون بها، فهو في هذا وجاء خبر وفاة المؤيد باللهّ.

وفي شهر رجب[1] منها: توفي الإمام المؤيد باللهّ محمد بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد بن علي بمحروس حصن شهارة الأهنوم، واجتمع عند ذلك السادة الحاضرون، والفقهاء والكتاب القاطنون[2]، وعرَّفهم الفقيه القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري بأن الأمر المهم النظر فيمن يصلح «٦٨أ» للقيام والمبادرة به قبل تجهيز الإمام وعرَّفهم أنه يرى العقد لصنوه أحمد بن أمير المؤمنين، فهو أكبر أولاد الإمام القاسم يومئذ، فاستحسن أكثر الحاضرين ذلك، واتبعوه فيما قاله هنالك، وبايعوا وعقدوا، ثم دفنوا الإمام المؤيد باللهّ بعد ذلك وقبروه. وكان الإمام المؤيد باللهّ سائراً في الناس سيرة حسنة، لم يغير على أحد مما جرت به الدفاتر والتقارير في زمان إخوته، بل زاد أشياء من مروءته. وكان يؤثر أهل العوائد[3] بالوفاء، وليس لأهل الطوارئ إلا ما فضل من الفوائد وطفا. وكان قريب الجناب، كثير المواجهة حسن الخطاب، يقضي الغرض، ولا يكلف صاحبه كثير التعب. وافياً بما يوضع فيه، لا يرجع له خط بل وضع العلامة قبض لما فيه، كما كان عليه إخوته الحسن والحسين. ومع ذلك فالبركات في زمانه دارَّة، والخيرات ما زالت في الثمار في الغالب قارَّة، يرعون الحقوق السالفة، وينزلون لهم المنازل التي يستحقونها في تلك الأيام الماضية، لا يستكثرون على أحد عطاء، ولا يقولون غيره أولى، يحسنون «٦٨ب» الظنون في المسلمين غالباً، ويسعون في الصلاح لهم مهما أمكن دائماً، يقيلون من ذوي الهنات عثراتهم، ويتجاوزون البعض من زلاتهم، فانتشرت البركات، وكثرت الخيرات في زمانهم

(١) في ٢٧ رجب ١٠٥٤هـ الموافق ٢٩ سبتمبر ١٦٤٤م. (الجرموزي: تحفة الأسماع، ق٢أ).

(٢) أورد الجرموزي في كتابه: تحفة الأسماع، ق٢ أسماء بعض العلماء والفقهاء الذين اجتمعوا في شهارة بعد وفاة المؤيد.

(٣) أي المعتادون على بذل الإمام المؤيد وعطائه لهم

بعد تلك الفتن العظيمة، والأحوال الشديدة الجسيمة، فجبلت قلوب الناس في الغالب على حبهم، والدعاء لهم لحسن جميلهم فيهم.

وكان الإمام المؤيد باللهّ على مذهب الهادي[1] في الغالب، وله اختيارات يخالفه فيها مثل: عدم توريث ذوي الأرحام، والأخذ مما دون النصاب من الزكاة، وحل زكاة بني هاشم لبعضهم البعض من فقرائهم، وغير ذلك من الاختيارات له رحمه اللهّ. وكان مولده في شهر رمضان سنة تسعين وتسعمائة[2]، فعمره ثلاث وستون سنة وشهران، وخلافته أربع وعشرون سنة وشهران وكسور. وله مآثر من السبل منها: تصليح سمسرة القبتين بطريق اليمن بعد أن كان قد خربها الحاج أحمد الأسدي[3]، ومنها المدرج إلى شهارة من الجهة الجنوبية إلى وادي أقر وغير ذلك. وكان يستقر في فصل الشتاء بدرب الأمير بوادي أقر مع ضعف هواه ووباه، إلا أنه يكون في الشتاء أقل وباءً واللهّ أعلم. ولو جعل عوضه هجرة عِذَرْ قِبْلي[4] شهارة للسكون والنزهة «٦٩أ» كان أولى لصحة هواها، ورحابة ضاها.

وكان الإمام المؤيد باللهّ يشدِّد في النهي للناس عن شرب التتن المعروف، مع أنه لا دليل صحيح في تحريمه بل من جملة المباحات الداخلة تحت قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[5] وعلة الإسكار غير موجودة فيه أصلاً.

وكان قد مال أكثر الناس ابتداء الدعوة إلى شمس الدين أحمد بن أمير المؤمنين، ووصل إليه الفقيه يحيى البرطي يذكر له بذل شيء من البلاد إلى أولاد إخوته، وهم عون له، فأجابه بالجواب الذي أجاب به الإمام القاسم على واسطة محمد باشا حال عقد

---

(١) المقصود به الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين. (ت ٢٩٨هـ/ ٩١٠م)

(٢) رمضان سنة ٩٩٠هـ = اكتوبر ١٥٨٢م.

(٣) هو الحاج أحمد بن عواض الأسدي (ت ١٠٤٦هـ/ ١٦٣٦م) كان من مقادمة الإمام القاسم ومن أنصاره شارك معه ومع الإمام المؤيد في حروبهم ضد العثمانيين مشاركة فعالة. (الشرفي: اللآلي المضيئة، جـ٣، ص٦٤٨).

(٤) أي في الشمال من شهارة. وقد اعتاد اليمنيون على أن يطلقوا على الجهات الشمالية بكلمة (قِبْلِي) أو (جهات القِبْلَة).

(٥) سورة البقرة، آية رقم: ٢٩. وتمامها: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

الصلح بينه وبينه، وخوضه في إطلاق ولده الحسن من الحبس، فقال الباشا: إن كان شرط إرجاع ما قد استفتح الإمام من البلاد الزائدة على صلح جعفر باشا أطلقناه، وكان عذراً عند السلطان. فأجاب الإمام: لا يسعني عند الله ذلك. قال شمس الإسلام: وأنا جوابي هذا عليك. فعاد الفقيه يحيى بن أحمد البرطي، وفهم أن الأمر مع ذلك غير تام. ولما بلغ إلى صنوه ضياء الإسلام إسماعيل بن الإمام وهو بضوران، بأرغد العيش وأطيب السلوان، بمواطن إخوته الكرام، ودورهم العالية على الآكام، يتنقل فيها وفي مناظرها، ويتفرج من أعالي سطوحها على البراري تحتها. وفيها رأى أنه الأولى بهذا الشأن، وأنه المبرز على سائر الأقران، وأن غيره من الداخلين في هذا المنصب العظيم طفيلي، ليس بمحل له ولا مستقيم، فحملته الدواعي إلى عدم إجابة ذلك الداعي، وبرز في الحال إلى المسجد الجامع بالحصين، وطلب البيعة من الحاضرين، فبايعه القاضي محمد السلامي[(١)].

«٦٩ب»، وصاحبه الكاتب معه القاضي إبراهيم بن حسن العيزري[(٢)]، وهما أحسن من عنده في وقتهما، ثم تبع من حضر، وبث الرسائل إلى الجهات ممن عنه غفل، وقال: أنا الذي في العلم درسته، وفي التحقيق أدرته، وغيري غير صالح لها، بل قاصر عنها. وكان قد دعا إلى نفسه هذه الأيام السيد إبراهيم بن محمد المؤيدي[(٣)] في جهات الشام[(٤)]، وعز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام في جهات إب من اليمن الأسفل في تلك الأيام.

---

(١) هو القاضي محمد بن صلاح بن سعيد بن القاسم السلامي الآنسي، كان عالماً فقيهاً محققاً ماهراً. ترجم له المؤرخ في (ق١٣٤أ-١٣٥أ) من هذه المخطوطة، عند وفاته؛ كما ترجم له أبو الرجال في مطلع البدور، جـ٤، ص٢٢٥-٢٢٦؛ وزبارة: ملحق البدر الطالع، ص٢٠١).

(٢) هو القاضي العلامة الحسن بن سعيد بن محمد العَيْزَري اليماني. ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق٢٠١أ-٢٠١ب) من هذه المخطوطة؛ (قد ترجم له زباره في ملحق البدر الطالع، ص٥؛ كما ترجم له القاضي إسماعيل الأكوع في هجر العلم مرتين المرة الأولى: جـ٣، ص١٢٥٢ والثانية: جـ٣، ص١٤٩٥).

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عزالدين المؤيدي: عالم مشارك، شاعر أديب. تولى القضاء في بلاده، ثم دعا إلى نفسه بالإمامة مرتين: الأولى هذه المرة، والثانية سنة ١٠٦١هـ. وله رسائل كثيرة في الطعن على الإمام المتوكل إسماعيل، أورد المؤرخ بعضاً منها في هذه المخطوطة. له مؤلفات كثيرة منها: (الروض الحافل شرح الكافل) و (شرح الهداية) و (قصص الحق المبين في فضائل أمير المؤمنين) و (الروض الباسم في أنساب آل القاسم الرسي). توفي سنة: ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م. (يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ٢، ق٣٠أ-٣٠ب؛ أبو طالب: طيب الكسا، تحقيق: عبدالله الحبشي، ص١٣٠؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٣، ص١٦٢٥).

(٤) جهات الشام: أي الشمال، والمقصود بها جهات صعدة.

وعرض محمد بن الحسن بيعته على السيد العارف المهدي النوعة[1]، وكان يومئذ متولياً لذي السُّفَال[2]، فامتنع، وقال: أنا أريد العزم إلى الجهة، ولا يقع مني إلى جنابك الإ الصلاح، فعذره محمد بن الحسن، وطلع من اليمن الأسفل إلى صنعاء، ثم خرج يريد بلاده بجهات ساقين[3]، فأرسل معه علي[4] بن الإمام صاحب صنعاء ومحمد بن أحمد[5] عشرة عسكر يسايرونه وينظرون أين تكون طريقه، فإن جاء شهارة فذاك، وإن جاء طريق الشام منعوه، فلما وصل رأس عجيب[6] أراد طريق الشام فمنعوه، فسار شهارة، وافق أحمد بن الإمام ولم يبايعه، فحبسه ثم خرج معه إلى عَمْران[7] تحت الترسيم، ثم عاد يستولي عليه لئلا ينفس[8]، ووصل إلى حضرة المتوكل، ثم سار بلاده بالشام وأراد معاقدة القبائل، فلم يتم له ذلك. فكان الدعاة في هذا الشهر أربعة. وكتب المتوكل إلى صنوه أحمد يعاتبه بالاستعجال بالدعوة، واختلفت آراء الناس حينئذ، وتوقف المتوقف، فمن الناس من يقول: الأولى بها إسماعيل؛ لأجل رسوخ قدمه في العلم، لا سيما الفقه، ومنهم من قال: أحمد لأنه أنهض بها وأصلح، ولأجل تقدم دعوته. واضطربت الأمور. ثم إن محمد بن الحسن تكاتب هو وعمه إسماعيل، واصطلحا فيما بينهما، وبذل إسماعيل

(١) هو العلاّمة المهدي بن الهادي اليوسفي الهادوي. والنوعة نسبة إلى جبل النوعة في ناحية ساقين من خولان بصعدة. ترجم له المؤرخ عند وفاته في (ق١٩٧ب-١٩٨أ) من هذه المخطوطة؛ وترجم له الجرموزي في تحفة الأسماع، ق٢٩؛ والجنداري في الجامع الوجيز، ق١٤٧أ.

(٢) ذي السُّفال: بلدة عامرة فيما بين إب وتعز. بالسفح الجنوبي من جبل التعكر. وهي مركز ناحية ذي السفال، وتتبع لواء إب. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٤٢١-٤٢٢؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص٧٦٦).

(٣) ساقَيْن: بلدة قديمة عامرة في ناحية خولان بن عمرو بن الحاف، وهي مركز الناحية، وتقع في الجنوب الغربي من مدينة صعدة على مسافة ٤٥كيلومتراً تقريباً. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٤١٠؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص٩٣٥).

(٤) هو علي بن الإمام المؤيد بالله محمد بن الإمام القاسم بن محمد. ولد سنة ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣ م. ترجم له المؤرخ عند وفاته ترجمة مطولة في (ق٢٤٠ب - ٢٤٢ب) من هذه المخطوطة.

(٥) هو محمد بن أحمد بن الإمام القاسم بن محمد.

(٦) رأس عجيب: جبل يقع شمال ريدة من قاع البون، من أرض حاشد على بعد نحو ٦٠ كيلو متراً شمال صنعاء. (الرازي: تاريخ صنعاء، تحقيق: حسين العمري، هامش ص ٦٦٥).

(٧) عَمْران: مدينة مشهورة، تقع شمال صنعاء على بعد نحو ٥٠ كيلومتراً، وهي من بلاد همدان. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٦١١).

(٨) كذا في الأصل.

لمحمد بن الحسن ما طلب من البلاد، فأذعن له بالإجابة، وطلب اللقيا به في رأس القفر، ليتم بينهما الأمر على المشافهة، والإصابة، فالتقوا «٧٠أ» هنالك، وتم الأمر بينهما، وبايع وعقد لعمه وعاد إلى ذمار مستقره، وجعل له نصف اليمن الأسفل، فلما مال المذكور، وعقد له في ذلك اليوم المشهور، وكان أعيان العساكر يومئذٍ والرؤساء والخيول عند محمد بن الحسن، وهو في حالة عندهم بالوفاء مشكور، مال جميع اليمن من ضُوران إلى عدن بالإجابة والخطابة، وكذا المشرق وذمار وخولان والحدا. وهو الذي عضد عمه إسماعيل، وطد هذه بالخيل والرجاجيل، ولولاه لما تم شيء لهذا الإمام من الأقوال والأفاعيل. ولقد أخبرني عز الإسلام محمد بن الحسين أنه لما وصل إلى حضرته بضوران قال له: لا يجد غير الخمسين الحرف، ولم يجيه[1] يومئذ من البلاد شيء ولا يجد الصرف. فعند هذا سار من صنعاء أحمد بن الحسن. وعز الإسلام محمد بن الحسين فلَّته[2] بعد صلاة الجمعة، ولم يحضرا في صنعاء للصلاة للجمعة، فأحمد بن الحسن توجه إلى عند صنوه محمد بن الحسن، ومحمد بن الحسين إلى عند عمه إسماعيل، وطلبا من البلاد ما طلبا، فأنعم عليهما بذلك حسبما حتما. وكان محمد بن الحسن قد جعل أمر اليمن[3] كله نظره إليه، فجعل لصنوه نصفه، ونصفه معه. وأما عز الإسلام محمد بن الحسين فجعل له الإمام بلاد الشرف، وحفاش، وملحان، مع حُضور بلاده الأولى، ولم تكن حال التولية تحت يده، ولا يمر فيها أمره «٧٠ب» ولا نهيه، بل ولاية مستقلة، وحالة مشروطة. فكان الأمر هكذا شهر شعبان، وأكثر رمضان. وتقدم العسكر الذين بصنعاء إلى خِدار[4] بأمر صدر من شمس الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين لولده محمد -وهو المنصوب في صنعاء يومئذ مع واليها جمال الدين علي بن أمير المؤمنين- بأن يرسل عَيِّنة[5] إلى خدار من

---

(١) أي لم يأت إليه. من العامية لازالت مستخدمة.

(٢) فلَّته: تركه، وهي من العامية، ولازالت مستخدمة.

(٣) لا يُقصد به اليمن المصطلح الحالي، لكنه يقصد بذلك الجهات الجنوبية منه كما سبق أن أوضحنا.

(٤) خِدار: قرية مشهورة من بلاد الروس، جنوب صنعاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١ ،جـ٢،ص٣٠٥).

(٥) عَيِّنة: تعني مجموعة أو فرقة.

العسكر الذين قد أمرهم بالدخول إلى صنعاء وجعل خِدار هو المركز المنتهى، والمحط والمرسى، فسار إلى خِدار رئيساً على العسكر السيد عز الدين دِرَيْب[1] صاحب الطويلة[2]، وسفيان آغا القارني[3] بالعساكر العريضة الطويلة، فلما وصلوا طردوا عنه عامل الإمام إسماعيل ومنعوا. ثم إن الإمام عند ذلك جهز ولد أخيه محمد بن الحسين والنقيب سرور شلبي[4] وجماعة عسكر بلغوا إلى خدار ،وحملوا على قرية خِدار حتى بلغ أولهم المسجد الذي في صحن البلد. وأصحاب السيد دريب وسفيان آغا ما خرجوا من البيوت، ورموا بالبنادق إلى من حمل فيهم، واشتد عليهم، فقُتل جنب المسجد ثلاثة نفر[5]، فرأوهم عند سقوط أولئك الأنفار كفوا، وعرفوا منهم «٧١أ» الفشل والوجل وانفضوا، فخرجوا فيهم من البيوت بالسيوف، فانهزم أصحاب الإمام المتوكل هزيمة شديدة عظيمة، ولم يلتفت أولهم على آخرهم إلى أن بلغوا إلى رأس نقيل يَسْلِح[6]،ثم رتبوا فيه بعضهم، وبنوا لهم فيه المتارس وبات لهم الحارس، وسار البعض بات بقرية النقيل، وأهل خدار لما رأوا هزيمتهم قال عقالهم لسائر العسكر: لا ينبغي اللحوق بهم، بل الرجوع أولى، فإن هذه حالة عسى الله يصلحها، فإن الكل أقارب وأصدقاء، ولا يجيء على أيدينا الإسراع في الضرب والقتلى. فرجعوا باختيارهم، ورعايتهم لأصحابهم، وسكنوا بخِدار، وأولئك بقرية النقيل. ولمّا وقع هذا الحرب اللطيف، والحال الجميل العنيف، أجمع رأي

---

(١) هو عزالدين بن دِرَيْب بن المطهر بن دريب. ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق٢١٤ب-٢١٥أ) من هذه المخطوطة؛ كما ترجم له أبو الرجال في البدر الطالع، جـ٣، ص١٢٠-١٢١؛ والمحبي في خلاصة الأثر، جـ٣، ص١١٠-١١١. وقد أخطأ المحبي في تاريخ وفاته، فذكر أنه توفي سنة (نيف وستين وألف) وهو على خلاف ما ذكرته المصادر الأخرى - ومنها هذه المخطوطة- التي اجمعت أن وفاته سنة ١٠٧٥هـ.

(٢) الطويلة: بلدة مشهورة كانت هي وناحيتها من أعمال كوكبان، واليوم تتبع لواء المحويت. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٥٥٩؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٣، ص١٢٧٢).

(٣) أطلق عليه الجرموزي في كتابه تحفة الأسماع، ق٣٨أ: ب(الشيخ الرئيس) ويبدو أنه من أحد القادة العثمانيين الذين بقوا في اليمن بعد انسحاب العثمانيين، وهم كثر.

(٤) سروربن عبد الله شلبي : هو من موالي الحسن بن القاسم (الجرموزي: تحفة الاسماع، قـ٣٨أ).

(٥) كذا في الأصل.

(٦) يَسْلِح: نقيل مشهور يطل على جهران من الشمال، وهو الممر المفضي إلى خِدار فوعلان فصنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ص ٧٦٠-٧٦١).

محمد بن الحسن وأحمد بن الحسن بذمار السير إلى جهات صنعاء وجمع قبائل المشرق وخولان والحدا، ومن بطريقهم من قبائل «٧١ب» سنحان وأقصى، وكتبوا إلى عز الدين محمد بن الحسين بذلك، وأنه يلقاهم إلى الطريق ، ويكون الاجتماع على المدينة أولى من التفريق، وتمثلوا بقول من قال: وليس الرأس كالذنب، فاجتمعوا كذلك، وقد كان في ريمة[(١)] سنحان الشيخ حسن بن الحاج أحمد الأسدي ومعه عسكر، فواجه إلى أولاد الإمام، وبلغ الأمير هادي بن الشويع[(٢)]، وكان قد أُمر بالخروج من صنعاء مواجهة ابن الحاج، رجع صنعاء ثم غُلقت أبواب المدينة[(٣)] وفيها محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين من قِبَلِ أبيه حافظاً لها، وواليها جمال الدين علي بن أمير المؤمنين. ووصل أحمد بن الحسن، ومحمد بن الحسين إلى بير العزب[(٤)]، فاستقروا فيه بمن معهم من الخيل والعسكر والقبائل من غير تعب. وكل رجل أغبر من المشارق الخولانية والحدائية يريدون بالاجتماع الانتهاب لمدينة صنعاء المحصنة، حيث حصل لهم (   )[(٥)] وأمر أحمد بن الحسن بخراب بيت القاضي إبراهيم السحولي الذي في المحاريق[(٦)]، كونه الخطيب لمدينة صنعاء المشدد على الناس في الدعاء، ثم عمروه له بعد السكون، وزوال «٧٢أ» هذا الخلاف والشجون. ولما بلغ أهل خدار هذا الاجتماع والخِطاط على مدينة صنعاء خرجوا عن خدار إلى

---

(١) ريمة سنحان: يطلق عليها أيضاً ريمة حُميد، وهي من قرى سنحان على مقربة من صنعاء، من الناحية الجنوبية. (المقحفي: معجم البلدان، ص٢٩٣).

(٢) هادي بن مطهر الشويع: من مقادمة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم. (يحيى بن الحسين: انباء الزمن، ص٣٨٠).

(٣) المقصود بها: أبواب مدينة صنعاء، حيث كانت المدينة تحاط بسور من الطين طوله نحو خمسة أميال له أربعة أبواب رئيسية هي: باب اليمن وباب شعوب وباب السبحة وباب ستران، كما كان له أبواب أخرى مثل: باب البلقة وباب القاع وباب الروم وباب شرارة وباب خزيمة وباب الشقاديف. وكان هذا السور بمختلف أبوابه عبارة عن سياج منيع لمدينة صنعاء، فلا يتمكن أحد من دخول المدينة أو الخروج منها والأبواب مُغلقة: (للمزيد انظر. الواسعي: فرجة الهموم، ص٥٦، الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٥٨٥).

(٤) بير العزب: أحد أحياء صنعاء، كانت قبل سنوات منفصلة عن المدينة، في الغرب منها، ذات حدائق وبساتين كثيرة وجميلة. وهي اليوم في الوسط من المدينة. (الواسعي: فرجة الهموم، ص٥٧؛ المقحفي: معجم البلدان، ص٩٨).

(٥) بين القوسين كلمة غير واضحة لم نتمكن من قراءتها.

(٦) المحاريق: من أحياء صنعاء، يقع في الجهة الشرقية.

حَضُور[1]، ثم تحرك شمس الدين أحمد بن أمير المؤمنين من حصن شهارة بنفسه، يريد الوصول إلى صنعاء بِجِدِّه وجهده، فلما وصل الطريق بلغه الحَوْزَة[2]، وأن صنعاء قد صارت ممنوعة عن النفوذ، ولا يمكن دخولها إلا بالحرب الشديد، فتوجه إلى مدينة ثلا، فدخلها وسكنها. وكان بعض عساكره الذين خرجوا معه من أول سفره قد تفالتوا[3]، ورجعوا عنه إلى بيوتهم وذهبوا، ولم يصل معه إلى ثلا إلا بعضهم لا جميعهم. وسبب ذلك أنهم طلبوه العُدد في شهارة، قبل الخروج منها والغارة، فقال لهم: في خمر عند وصولنا، فلما وصلوه، طلبوه العطاء، فقال: قُدَّامَنَا، وبلغهم في خلاله حوزة صنعاء فعلموا أن الأمور منهارة، وأنها عن قريب مأخوذة، وهي أم اليمن، «٧٢ب» وما عداها تابع لها على الوجه الحسن، ففترت هممهم، وتناثرت أمورهم، والملك لله يؤتي ملكه من يشاء وينزعه عمن يشاء. ولما بلغ الخبر إلى أصحاب الإمام الحاطون حولها وصول المذكور إلى ثلا، وعساكر خدار إلى حَضُور، طلع عز الإسلام محمد بن الحسين إلى بيت رَدَم[4]، فواجهه العسكر عن كمل بغير ضرب ولا طعن، وجميع من وفد من خِدَار، وزال عنهم كل شاغل وحذار، ثم جاءت كُتب صاحب كوكبان يومئذ بالإجابه، وكذلك كُتب شرف الدين الحسين بن أمير المؤمنين من شهارة. وقد كان هؤلاء قد أجابوا شمس الإسلام أحمد بن الإمام أولاً إرادةً منهم لجمع الكلمة، وترك الفرقة، فلما رأوا الإجماع انعطف على إسماعيل، أجابوه وآثروه لصلاح الإسلام، وتركاً للشقاق ومحبة للالتئام. فتقدم عز الإسلام محمد بن الحسين إلى جهات كوكبان وثلا، فالتقاه الأمير ناصر بعساكره إلى حَوْشَان[5]، وساروا بأجمعهم إلى جهات ثلا يؤمون تلك الآكام والوديان، حتى بلغوها، وتحرك الحرب ممن

---

(١) حَضُور: جبل يُعرف أيضاً بجبل (النبي شعيب) يقع على بعد نحو ١٨ كيلو متراً إلى الغرب من صنعاء، وهو أعلى جبل في اليمن، وفي شبه الجزيرة العربية، ارتفاعه ٣٧٠٠ متر عن سطح البحر. (الموسوعة اليمنية،جـ١، ص٤١٠).

(٢) الحَوزَة: في اللغة: الناحية أو التخم. لكنها في المصطلح اليمني تأتي بمعنى الحِصَار والمنْع الذي يضربه المحاصر لمدينة أو قوم مدة من الزمن ينتج عنها نفاد مؤنهم أو غلاؤها، لأنهم كانوا في (حوزة) (الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤٢٨).

(٣) أي ترك بعضهم بعضاً.

(٤) بيت رَدَم: قرية مشهورة من قرى عزلة بني شهاب، ناحية بني مطر. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١ ،جـ٢، ص٣٦٥؛ الجمهورية العربية اليمنية: الجهاز المركزي للتخطيط، التعداد السكاني لعام ١٩٨٦م، محافظة صنعاء، ص٦٠).

(٥) حَوْشَان: هو القاع الفسيح في ما بين شبام كوكبان ومدينتي ثلا وحَبَابة. (المقحفي: معجم البلدان، ص٢٠٩).

فيها. وقد كان النقيب سرور شلبي أرسله أحمد بن الحسن إلى بني ميمون[1]، ليصد من وصل من تلك الجهة ويستقر فيه على جهة الرتبة والكمون، فسار إليه، وسكن فيه، فاستحر الحرب بمدينة ثلا، وشمس الإسلام أحمد بن الإمام في جملة العسكر يحرضهم على الانضمام والصبر واللِّقَاء، وعدم الاهتزام والإبْلاَء. وحصل قتل من الجانبين، منهم من يقول سبعة نفر أو أقل. وفك الله «٧٣أ» الفتنة، وزالت بحمد الله هذه الفرقة والمحنة، وانهزم شمس الإسلام أحمد بن الإمام إلى قلعة ثلا، وهرب أهل المدينة والعسكر، والبعض واجه ومنهم من فر. ودخل العسكر مدينة ثلا عنوة. ولم يلبث شمس الإسلام في قلعة ثلا إلا ليلة واحدة فقط، وخاطب بالخروج والوصول إلى حضرة صنوه الإمام إسماعيل، فسار إلى ضوران، وصحبته العساكر والأعيان. وكان في جملته وصحبته القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري والسيد إبراهيم بن أحمد بن عامر، وسائر أصحابه وأحبابه. ومر طرف قاع صنعاء من باب المِنْجل[2] تحت السيليات حتى بلغ إلى فَجّ عَضُدَان[3] وكان شمس الدين أحمد بن الحسن لقيه بجيوشه وغوايره وخيوله من بير العزب إلى حازَّة جبل عَضُدَان، وسايره إلى الفَجّ ثم عاد بير العزب، وأمسى شمس الإسلام بحدَّة بني شهاب، وسار إلى ذلك الجناب. وصنعاء يومئذٍ محتارة، لعدم علمهم بحقيقة هذه الأمور المنهارة، فلما عرفوا القضية، وبان لهم الحقيقة «٧٣ب» خاطبوا بالفتح لصنعاء والدخول لمن أحب وشاء، بعد التأكيد على العسكر والقبائل، لا يحصل بالمدينه ما يحصل من العمايل، فدخل أولاً إليها أحمد بن الحسن، وترك العسكر، وأطاعوا جميعاً، ودخل حينئذ جميع من كان بايع أحمد بن الإمام في طاعة هذا الإمام، وبايع منهم بيعة قهر واضطرار: كالقاضي إبراهيم بن يحيى السحولي، وحوَّل خطبته بصنعاء بعد أن كان مشدداً للأول فيها تشديداً بليغاً، وكذلك القاضي أحمد بن سعد الدين، والسيد

(١) بنو ميمون: من قرى عيال سريح. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٧٢٦).

(٢) المِنْجل: موضع غربي صنعاء، ويعرف باسم (قاع المنجل).

(٣) الفج: الطريق الواسع بين الجبلين، وفَجُّ عَضُدَان هو المعروف اليوم بفج (عُطَّان) بين جبل عَيْبَان وجبل حَدَّيْن، في الجهة الجنوبية الغربية لصنعاء، على بعد بضعة كيلومترات منها. (الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٧١٨).

إبراهيم بن أحمد وجميع أتباعهم فإنهم دخلوا في ذلك بالقهر والغلبة. وكان ذلك في التحقيق جمع كلمة المسلمين والخير والبركة. فلما عرف القبائل بعدم التمكن من النهب انثالوا، وتفرقوا وساروا، ولم يبق إلا العسكر دخلوا صنعاء في اليوم الثاني من الباب، ولم يجر خلل في المدينة في هذه القضية العظيمة، وصلحت الأمور، وقرت أحوال الجمهور، وأخمد الله نار هذه الفتنة التي كان عاقبتها وخيمة على المسلمين، ومحنته وقى الله شرها، وجبر كسرها، وأمن الناس شرقها وغربها، وطرفها وحضرها. فالحمد لله رب العالمين، على صلاح أحوال المسلمين. وشمس الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين لم يلبث عند صنوه إلا الأيام اليسيرة، وزَجَّه صنوه بولاية مدينة صعدة[1] والجهات الشامية، فقر بذلك خاطر صنوه وأراده لنفسه، لينفرد هناك حاله، فسار إليها وسكن فيها[2] «٧٤أ» وما أشبه أمس[3] بالبارحة في هذه المعارضة الجارية مما قد جرى مع الأئمة السابقين، وما شجر بين الصحابة المتقدمين. ومنشأ هذا الجاري من التفرق الحاصل هو قبض شمس الإسلام والشح، وعدم المساعدة لأولاد إخوته وإخوته بالبلاد، فإنه لما منع عن ذلك، وتعذر ما هنالك، بعد انتظارهم لمثله، والانخراط في أمره، وشروطهم له في بيعته، مالوا عنه[4] والدنيا وأحوال الرئاسة فيها من الإمامة وغيرها لا بد فيها من السياسة، والنظر في البذل لمن هو من أهل الحل والعقد والإعانة، كما جرت بذلك العادات المألوفة، والحالات المعروفة في كل الزمان. وكفاك بما جرى بين أمير المؤمنين وبين سائر الصحابة من تلك القضايا التي جرى بها القلم المكتوب في اللوح المحفوظ، فإنه لما كان أمر الخلافة صار

(١) كان على ولاية صعدةمن قبل المؤيد محمد بن القاسم. الحسن بن أحمد بن الناصر الحسن بن علي المؤيدي. (الجرموزي: تحفة الأسماع، ق٥٥ب).

(٢) أورد الجرموزي أيضاً ما حدث بين الإمام إسماعيل وأخيه أحمد بن القاسم من حروب على الإمامة. (تحفة الأسماع، ق٣٦أ-٤٢أ).

(٣) كذا وردت في الأصل. صحتها: (الليلة) مثل يضرب عند تشابه الشيئين، أى ماأشبه بعض القوم ببعض، يضرب في تساوي الناس في الشر والخديعة. وهو من بيت أوله :
(كلهم) أروغ من ثعلب   ما أشبه الليلة بالبارحة. (الميداني: مجمع الأمثال، جـ٢، ص٢٧٥).

(٤) يؤكد الجرموزي سخاء الإمام إسماعيل وبذله لمن حوله في كتابه (تحفة الأسماع) من ذلك ماذكره في (ق٤٥أ) بقوله: (والإمام يعطي كل ما وجد حتى أنه لا يُحصى عطاؤه في اليوم الواحد) وهذا كان من الأسباب الهامة للالتفاف حوله.

لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه بعد البيعة، أتاه جماعة «٧٤ب» بالإشارة كالعباس عمه، والمغيرة بن شعبة وغيرهم، يذكرون أنه يُجري الولايات السابقات على ما هي عليه، ويقررهم في أمورهم، وله من بعد استقرار الأمر النظر والعزل لمن يشاء، ليتم له مقصده وما يريده، فأبى وقال: لا يكون من الأصل، فكان ما كان من الذي جرى. فيا عجباه لأحوال الدنيا! وما يجري من أمرها! فالله يرحمنا برحمته.

ولقد قال السيد محمد بن شرف الدين الكحلاني[١] كما روي حال وصول أحمد بن أمير المؤمنين، وهو كان من أصحابه المبايعين للإمام إسماعيل، ومن حضره من أصحابه: لو كان قسمنا البلاد كما قسمتم لكنتم جميعاً عندنا، كما كنا عندكم. هكذا رواه من سمعه منه. و الأمر كله لله، والملك ملكه يعطيه من يشاء. والله يختم للجميع بالخيرات.

وفي هذا العام خالفت المعازبة[٢] بتهامة، فسار إليهم عيَّنة، فواجهوا وسكنت فورتهم.

وفيه «٧٥أ» تكررت الأمطار الغزيرة، في الصيف والخريف بالأيام العديدة، ونزلت السيول في جميع الأودية العظيمة. وكانت الأسعار فيها رَخَيَّة[٣]، بلغ القدح إلى سبعة كبار، والقدح يومئذ ثلثي قدح زمان المؤيد الصغير محمد بن المتوكل، والبقشة سلطانية، يأتي صرف القرش منها بثمانين بقشة عن حرفين.

وجعل الإمام لولد أخيه محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين نصف بلاد والده التي كانت له، أو أكثر، وذلك جميع بلاد البون[٤] والقبلة[٥] إلى خمر، ووالده في صعدة، وولده سكن

---

(١) هو محمد بن الحسن بن شرف الدين بن صلاح الكحلاني: عالم مبرز في الفقه، نسَّابة. كان من أعوان الإمام المؤيد في الإفتاء، وكان كاتب ديوانه، توفي في شهارة في شعبان سنة ١٠٦٣هـ/ يوليو ١٦٥٣م. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص١٠٦٧).

(٢) المعازبة: هم الزَّرَانيق، وتقع بلادهم إلى الجنوب من مدينة الحديدة، وهم من قبائل بيت الفقيه بن عجيل، التي هي في قلب بلد الزَّرَانيق. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص١٠٦).

(٣) أي رخيصة، والكلمة مشتقة من الرخاء، وهو سعة العيش. ولازالت مستخدمة إلى الآن (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص١١٤٨).

(٤) البَوْن: حقل واسع في بلاد هَمْدَان شمالي صنعاء، يبعد عنها حوالي ٤٨كيلومتراً. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١٣٠؛ المقحفي: معجم البلدان، ص١٩٥).

(٥) يُقصد بالقبلة: المناطق الشمالية من قاع البون.

حيث كان والده بالروضة[1]. وسبب هذا الانتظام، واستقرار دولة الإمام، أن صنوه أحمد لمّا كان قد دعا أولاً بشهارة، وتوسط بعض من توسط عنده، وكاتبه بأنه ينطلق بتولية أولاده والبذل، فأجاب: بأنه لا يصير إلى أحد منهم غير ما كان في مدة المؤيد بالله ولا شبر. والإمام إسماعيل انطلق في ذلك وأعطى كُلاً منهم ما يهواه، فولى بلاد عفَّار[2]، وشهارة، والشرف الأسفل شرف الدين الحسين بن المؤيد بالله، ومحمد بن الحسن وصنوه أحمد جميع اليمن الأسفل، وعز الإسلام محمد بن الحسين حفاش وملحان والشرف الأعلى، «٧٥ب» ثم أُبدلت الشرف بحراز[3]، فلهذا السبب اجتمعوا على الاتفاق، وكان فيه الخير للإسلام، فالنظر في صلاح المسلمين المقدَّم، فأما الدنيا فهي أقرب إلى العدم.

وفي هذه الأيام ترجح للسيد عبدالله بن عامر[4] وكان يؤمئذ بحُوث[5] له بيت هنالك التقدم إلى وادعة الطاهر[6]، وأظهر لهم أنه إمام، وأنه يستحق الإجابة والزعامة ونفوذ الكلام. وقبض بعض الواجبات منهم، وشرع يغريهم. ومال إليه بعضهم، فجهز الإمام عليه ولد أخيه محمد بن أحمد وهو يومئذ ببلد ولايته مدينة خمر، فسار منها إلى الحصن مجمع وادعة وسوقها المستمر، فأذعن له القبائل بالطاعة، وعدم المنازعة. واتفق أن، بعض أصحابه دخل بيتاً من بيوت أهل البلد كعادة العشائر، فحصل بينهم قتال وأصوات وغواير، ودفعت بنادق العسكر فيهم فقتل نفر واحد من القبائل، وقطع رأسه، ثم تحرك بعض حرب من أهل البلاد بسبب ذلك، وركزت القبائل، فقتلوا من العسكر ثلاثة نفر، وعقروا[7] أربع من الخيل، ثم اكتف ذلك الحادث، وزال ذلك الأمر الكارث. والسيد

(١) كان خروج أحمد بن الإمام القاسم من الروضة آخر عام ١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م. (الجرموزي: تحفة الأسماع، ق٥٥أ).

(٢) عفَّار: بلد من نواحي حجة، على مقربة من كحلان تاج الدين. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٦٠٦).

(٣) حراز: تقع جنوب غرب صنعاء، يحدها شمالاً وادي سُرْدُد، ومن الجنوب وادي سهام، ومن الشرق الحيمة، ومن الغرب بني سعد وقاع المطْحَل من بلد الجرابح وجبال ريمة. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص٧٧).

(٤) هو عبدالله بن عامر بن علي الحسني، ابن عم الأمام القاسم بن محمد. ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق١٣١أ) من هذه المخطوطة؛ وقد ترجم له أيضاً في كتابه: المستطاب، ص٢٦٦؛ وترجم له أبو الرجال في: مطلع البدور، جـ٣، ص٦١-٦٢؛ والمحبي في: خلاصة الأثر، جـ٣، ص٥٢-٥٣.

(٥) حُوث: تقع شمال غرب صنعاء على بعد ١٢٠ كيلومتراً وهي من أقدم الهجر وأشهرها. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص١٠١).

(٦) وادعة الطاهر: تقع في الشمال من خمر. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص٢٠٩).

(٧) أي ذبحوا.

هرب في الليل، وسار إلى بلاد شاطب[1]، ثم دخل صنعاء وسكن بها، والله أعلم.

وفيها مات السيد الشيخ أبكر الحسيني[2] -ينتسب إلى الحسين بن علي- في بلده بمساقط بلاد حراز وتهامة. وكان المذكور قد ظهر له حال، اعتقد فيه أهل تهامة والمغارب إلى بلاد حجة والشرف، وعظم شأنه، وكثر الجمع عنده، والنذور له. وكان الفقراء متى اعتقدوا مسبحته أخذوا الحيات والحنشان فلا تضرهم، ويدخلون في النار فلا تحرقهم. فلما ظهر ذلك لدولة الزمان، أُدب أهل البلاد عن الجمع في تلك الوديان، وترك لمس الحيات والحنشان. وبقى السيد مدته، ثم توفي في بلدته وخلف بعده ولده يسمى أحمد بن أبكر[3] في زاويته. له أيضاً حالات، ومنع نفسه عن قبض شيء من الفتوحات.

«٧٦أ» وفيها مات الشيخ العارف الصوفي الشيخ طاهر بن بحر[4] بزاويته وبلده المنصورية بتهامة بسفل وادي سهام[5]، بمساقط بلاد ريمة وبُرع[6]، مما يقرب إلى بلاد المَرَاوِعَة[7]. وهم يذكرون أنهم في النسب سادة حسنيَّة. ولهم هنالك ثروة واسعة، وأموال محصلة، ومواشي من البقر كثيرة. وفيهم كرم نفوس، ومحبة للضيف وحالة مأنوس. وعندهم من العسل والسمون شيء كثير، مع ما ينضاف إليهم من البلاد من البرّ[8]

---

(١) شاطب: قرية عامرة في سفيان، على بعد نحو ٣٠كيلومتراً من خمر، في الشمال الشرقي منها. كانت هجرة مشهورة (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٤٣٩، إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص١٠٠٣).

(٢) لم أجد له ترجمة في مابين يدي من مصادر، سوى ماذكره ابن الوزير في طبق الحلوى نقلاً من هذه المخطوطة، كما أشار الجنداري في الجامع الوجيز، ق١٤١ب: بأن وفاته سنة ١٠٥٣هـ.

(٣) لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

(٤) يذكره ابن الوزير في: طبق الحلوى، ص١٠٥ باسم طاهر بن يحيى؛ وذكر الجنداري إن وفاته سنة ١٠٥٣هـ في الجامع الوجيز، ق١٤١ب.

(٥) سِهَام: وادٍ مشهور من أودية اليمن التي تصب في البحر الأحمر، جنوب الحديدة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٤٣٥).

(٦) بُرع: ناحيةوجبل معروف من الجبال المشرفة على تهامة في الجهة الغربية من صنعاء، ينقسم إلى عدد من العزل. الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١١٥).

(٧) المَراوعة: بلدة عامرة في عزلة العَبْسِيَّة إحدى قرى وادي سهام، تبعد عن الحديدة شرقاً بنحو عشرين كيلو متراً. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٤، ص٢٠٠٢).

(٨) البَرّ: هو الحنطة وتسمى في غير اليمن القمح.

والمكافأة والنذور. وهم قائمون بجميع من وفد من الكبير والصغير. ولهم تمسك بالعلم مع ذلك. وكان المذكور يتعلق بشيء من الشريعة، وفصل الأحكام الشريفة. وله مصنف لطيف في تاريخ زمانه، وله قبول عظيم في التهائم والسواحل، مقبول الشفاعة. وخلف المذكور في الزاوية المذكورة المنصورية ولداً يسمى محمد بن طاهر قائم مقام أهله في هذه الأمور والضيافة والشريعة. «٧٦ب» أخبرني الفقيه ناصر الزبيب الخولاني الذي نزل عندهم ولازمهم مدة من الزمان: أن الباشا قانصوه لما دخل اليمن تلك الأيام، ومر على الشيخ طاهر بن بحر المذكور، ذكر له: أن اليمن أهله أشراف ولهم حرمة، والحبل حقير، وعسير، فأجاب عليه: إنا لا نلتفت إلى قولك ولا إلى شورك، ولا نستمد من فضلك، فإنا جئنا من عند الشيخ أحمد البدوي[(١)] الصوفي الولي. قال: فلما وقع معه ما وقع وكان خروجه من زبيد، راجعاً إلى بلاده من غير ترديد، مر على الشيخ الطاهر، وخضع عنده، واعترف بحقه، واضطجع تحت سريره. هكذا رواه المذكور والله أعلم. وأهدى له قانص نسخة (القاموس)[(٢)] ،و(حياة الحيوان الكبرى)[(٣)]، واعتذر إليه. ولما عبر شرف الإسلام الحسن بن الإمام على بلد الشيخ المذكور، أضافه ضيافة سنية، وقام بخاصته، وسائر العسكر في القرى تفرقوا للضيافة.

وفي هذه السنة تقالل البغايا في بستان الحيد[(٤)] بصنعاء عما كان مدة حيدر باشا، ومنع علي بن الإمام المحتسب[(٥)] من القِبال الذي كان عليهن «٧٧أ» إلا أن المحتسب إذا أراد

---

(١) هو السيد البدوي أحمد بن علي بن إبراهيم، أبو العباس. (٥٩٦-٦٧٥هـ/ ١٢٠٠-١٢٧٦) المتصوف، صاحب الشهرة في مصر، أصله من المغرب، انتسب إلى طريقته جمهور كبير، توفي ودفن بطنطا. (الزركلي: الأعلام، جـ١، ص١٧٠).

(٢) المقصود به كتاب: (القاموس المحيط) لمحمد بن يعقوب الفيروزاباذي، مجدالدين. (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م).

(٣) مؤلف كتاب: (حياة الحيوان الكبرى) هو محمد بن موسى بن عيسى بن علي، المعروف ب(الدُميري) (٧٤٢-٨٠٨هـ/ ١٣٤١-١٤٠٥م).

(٤) بستان الحيد: لعل هذا البستان في حارة الطواشي، حيث أن الحجري يذكر أن مسجد النورين من المساجد المنسية في حافة الطواشي، ثم يذكر بان القاضي علي بن صالح أبا الرجال قال: إنه قد صار بيتاً من بيوت بستان الحيد. (الحجري: مساجد صنعاء، ص١٤١).

(٥) الحِسْبَة: نظام إسلامي ووظيفة شبه قضائية. وقد سبق تعريفها بهذا المعنى. لكنها هنا تعني من يشرف على الأسواق والطرقات، ويحافظ على الآداب العامة، وتطبيق القوانين المرعية. وكان له نواب لهذا الغرض. (للمزيد انظر: الموسوعة اليمنية، ج١، ص٣٨١-٣٨٢).

رفع أمرهن إلى والي المدينة جعلوا له رشوة وسكت عن أمرهن، ويفعلن ذلك خفية، وانتقل ذلك إلى باب اليمن[١].

وفيها حكى السيد أحمد بن صلاح الشرفي في تاريخه[٢] أن رجلاً وُجِد في بعض قباب مقابر صنعاء صورته صورة درويش، يأكل طفلاً صغيراً بعد طبخه. فنعوذ بالله من ذلك. وروى السيد أحمد أيضاً: أنه رُوي له: أن رجلاً اطلع في بعض قباب مقابر صنعاء من خارجها درويشاً أخرج من جرابه طفلاً صغيراً وأخرج حنشين، كأنه مُحَنِّش فأوردهما عليه يلسعنه لسعاً متتابعاً حتى هلك، واسود جسمه، وقطَّعه. قال: ولعله من السُّم الناقع الذي يفعله الأشرار. هكذا ذكره السيد بمعناه والله أعلم[٣].

وروى لي بعض الناس أنه روى له رجل من بلاده: بأنه شاهد في كهف من الكهوف رجلاً يوقد ناراً بالليل وهو ينظر إليه، ولا يعرف به، ثم أخرج طفلاً من جرابه، وطبخه فيها وأكله حتى شبع، ثم غلبه النوم فنام وعنده سلاحه، فما هو إلا أن أخذه النوم، وجاء إليه ذئب عظيم وثب إلى نحره فقتله وأكله، فعجب الرائي من ذلك كله، وسرعة معاقبة هذا الظالم بما فعله، قال: وهذا كان في الجهات الشامية بقرب من العَمَشِية[٤] من بلاد سُفْيان[٥] قال: وكان هذا في سنة القحط الذي وقع في سنة سبع «٧٧ب» وعشرين وألف[٦].

(١) باب اليمن: أحد أبواب صنعاء الأربعة التي يحتويها السور، وينفذ منه إلى الجهة الجنوبية، وما زال قائماً.
(٢) اسمه: أحمد بن صلاح. أما تاريخه: فهو كتاب (اللآلي المضيئة الملتقطة من اللواحق الندية في أخبار الأئمة الزيدية). وهو شرح حافل لقصيدة (إبراهيم بن محمد الوزير(المعروفة ب(البسامة) ويقع في ثلاث مجلدات، كما جعل الجزء الأخير شرحاً لتتمة داود بن الهادي على (البسامة). كما أضاف الشرفي في الذيل الإمام القاسم بن محمد وابنه الإمام المؤيد. لازال الكتاب مخطوطاً، ويوجد بدار المخطوطات بصنعاء.
(٣) ورد ذلك لدى: الشرفي: اللآلي المضيئة، ج٣، ص٦٥٧.
(٤) العَمَشِية: محل معروف، مشهور ما بين سفيان ودهمة، وهو قفر مخوف، لا أهل فيه ولا سكن، ويضرب بها المثل في المخافة فيقال للمذعور الخائف لتطمينه: لسنا في العمشية. (د.حسين العمري: في صفة بلاد اليمن، هامش ص١١٥).
(٥) سُفيان: قبيلة مشهورة من قبائل بكيل، لهم بلاد واسعة، سُميت باسم القبيلة فيقال: بلاد سفيان، وهي في الشمال الشرقي من صنعاء، تبعد حوالي ١٤٦ كيلو متراً. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٤٢٤).
(٦) ١٠٢٧هـ = ١٦١٧م.

وفيها جاء الخبر أن العماني الخارجي الإباضي[1] ملك بندر مسكت الذي في سواحل بلاده، وأخذه عن يد الفرنج، واستولى عليه بجميع أطرافه. قال الرواة: وكان دخوله على صفة المكر والخديعة، والحيلة والمكيدة، وذلك أنه أمر جماعة في صورة دراويش أرسالاً، فلما اجتمعوا في مسكت، وخفي أمرهم وسكت فتكوا في الرتبة من النصارى وذبحوهم بالسكاكين حتى صارت دماءهم تجاري[2]، وملكوا القلعة، وأحكموا الفعل والصنعة. قال الرواة: وهذه القلعة لا يمكن فتحها عنوة لحصانتها، ومعاصر جبلها في بحرها في مدخلها ومخرجها. ومن يومئذ أمن التجار في البحر الذين يخرجون من البحرين، والعراق، والعجم[3] إلى اليمن. وهذا الخارجي مذهبه ومذهب قومه بعمان التكفير بالمعصية[4]. ومن مذاهبهم عدم قبول الشهود فيما ادعاه المدعي على خصمه ولو كثروا إذا لم يقبلهم المدعى عليه، فمتى قبل الشهود وارتضاهم حُكم عليه ولو بلغوا مائة شاهد. وإذا أنكرت الزوجة الزوجيَّة فُرق بينها وبين زوجها، وهكذا العبد المملوك إذا ادعى أنه غير مملوك فُرق بينه وبين مالكه من غير شهود. وكأنهم نفوا باب الشهادات من الأصل، وهو رد للقران الكريم، وصحيح السنة النبوية. وقد عُلم أنهم من أهل البدع لا يلتفت إلى أقوالهم، كما لا يُلتفت إلى أقوال الرافضة. والله أعلم.

وفيها أو التي تليها مات الفقيه صلاح الكندحي بقرية القابل بوادي ضهر[5]. وكان

---

(١) المقصود به سلطان عُمان وهو: سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، ثاني أئمة اليعاربه الإباضية في عُمان بويع سنة (١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م) فطرد البرتغاليين من مسقط، وبنى سفناً كثيرة. حمى شواطئ بلاده، وهاجم مراكز البرتغاليين في بلاد الهند وسواحل أفريقية. توفي سنة ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م. (الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٦٦).

(٢) هكذا وردت في الأصل، ولعلها تجري.

(٣) أي فارس.

(٤) تنقسم الإباضية إلى أربع فرق، منها: اليَزِيديَةالتي تقول: إن أصحاب الحدود من موافقيها وغيرهم كفار مشركون، وكل ذنب صغير أو كبير فهو شرك. وهذا هو ما يُقصد ب (التكفير بالمعصية). (الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٣٦).

(٥) وادي ضهر: من الأودية المشهورة، وهو من ناحية همدان، طُوله حوالي ٦كيلو مترات، يبعد عن صنعاء بحوالي ١٥ كيلو متراً، في الشمال الغربي منها. وبه قرية القابل (الروض) والتي بها من الحصون الأثرية (طَيْبَة) و (دار الحَجَر). (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص٨٧).

المذكور له «٧٨أ» بعض معرفة في الفقه مثل: (الأزهار)[1] وشرحه، والفرائض، والقسمة، وله تاريخ حوادث وقته لم أقف عليه.

وفيها أو التي تليها كان رجلاً يظهر فيه الصلاح، فكان كثير المشي بين المقابر، وعليه شَمْلة[2] وعمامة سوداء، وكان إذا مر على المقابر يتلو قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[3] ثم يبكي بكاءً يسمعه من يراه، وينْهج[4]. وكان إذا سار لا يزال يحاكي نفسه، وأكثره في الاعتبار في الدنيا يُوله[5] نفسه، وفي يده سبحة طويلة، وتارة يجعلها في رقبته. ومتى احتاج إلى طعام سار ويعرض في الأبواب، ويسبِّح في سبحته، ويستقيم فإن أُعطي وإلا سار. ولا يدق باباً، ولا يدعو أحداً. ومثله درويش أيضاً كان لا يزال خارج صنعاء في السبحة وبير العزب، يقال له: بابا قاسم الهندي، وإذا سار حمل فوق ظهره وقره[6] من (الحزوم)[7] و(الخِرَق)[8]، يُتعجب من حاله، ولا يفهم أحد كلامه. ولم يزل على ذلك مدته من زمان حيدر باشا إلى أن مات في نحو سبع وسبعين وألف[9].

(١) اسم الكتاب: (الأزهار في فقه الأئمة الأطهار) للإمام أحمد بن يحيى المرتضى. اختصر فيه كتاب (الانتصار) ليحيى بن حمزه وكتاب (التذكرة الفاخرة) للحسن النحوي. وقد حظي الكتاب بعدد كبير من الشروح و الحواشي، كان أولها شروح المؤلف نفسه. (للمزيد انظر: الموسوعة اليمنية، ج١، ص٩٦؛ د. محمد الحاج حسن: الإمام أحمد بن يحيى المرتضى، ص١٢١-١٢٥).

(٢) الشَمْلة: كساء دون القطيفة، يُشتمل به. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٣٦٢، وفي اليمن يُعرف بأنه رداء يُصنع في الغالب من الصوف، وهو خاص بالقبائل).

(٣) سورة الأحزاب، آية: ٢٣.

(٤) ينْهج: يبكي بكاءً متقطعاً، ويكون هذا بعد بكاء كثير.

(٥) وَلَه: حزن حزناً شديداً حتى كاد يذهب عقله. (المنجد في اللغة، ص٩١٨).

(٦) وقره: أي تحمل حِملاً ثقيلاً، مقدار ما يستطيع حمله.

(٧) الكلمة غير معجمة. وتُقرأ من عدة أوجه، فيحتمل أن تكون حزوم: جمع حِزَام، معروف. ويحتمل أن تكون جِرُوم: جمع جَرْم: وهو نوع من الأغطية التي تستخدم في الشتاء بدلاً من البطانيات، وتصنع من جلود الأغنام وأصوافها.

(٨) الخِرَق: جمع خِرْقة: وهي القطع الصغيرة من أنواع مختلفة من الأقمشة.

(٩) ١٠٧٧هـ = ١٦٦٦م.

«٧٨ب» وفيها مات عبدالقيوم الرغيلي[١] المنجم، وكان له معرفة بعلم النجوم، ووجد في كتبه بعد موته كتاب (المنار)، فيه فلسفة وتعطيل للشرع، وصاحبه رجل روي أنه كان في مدة الإمام شرف الدين، سمَّى نفسه التائه الحيران، من أهل صنعاء، من جنس كتب ابن الرَّاوَنْدي[٢] حسبما أخبرني به من وقف عليه، فصلَّب[٣] به إبراهيم المجلد بعد موته، فأصاب وأحسن.

وفي هذه السنة أوغيرها قصد سارق إلى مشهد السيد عماد الدين صاحب السُّودة بشظب[٤]، وهو مشهور بالفضل في تلك الجهة، فلما خرج بالفراش من المشهد إلى خارج الباب عمي بصره. هكذا روى الثقة.

---

(١) سبق أن ذكر المؤرخ أنه توفى سنة ١٠٤٦هـ. ولم أجد له ترجمة أخرى للتأكد من تاريخ وفاته، سوى ما نقله بعض المؤرخين من هذه المخطوطة.

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي: نسبة إلى رَاوَنْد، إحدى قرى قاسان بنواحي أصبهان (ت٢٩٨هـ/ ٩١٠م) اعتنق مذهب المعتزلة في بادئ الأمر وكتب بعض المؤلفات التي تتفق مع آرائهم، لكنه تحول عنهم وألف كتباً ضدهم، مثل كتاب (فضيحة المعتزلة(بل ألف كتباً كانت هجوماً على الإسلام نفسه مثل كتاب (الدامغ(للرد على القرآن وكتاب (الزمرد(ضد نظرية النبوة. وغير ذلك. فأودع السجن لكنه هرب منه. (بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، جـ٤، ص٢٨-٣٠).

(٣) صلَّب: جَلَّد الكتب.

(٤) السُّودة: بلدة عامرة في الشمال الغربي من صنعاء، على مسافة ١٠٧كيلومترات، وتدعى سودة شَظَب نسبة إلى جبل شَظَب الذي تقع السودة في الجزء المنخفض منه، وهو في الطرف الشمالي الغربي. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، جـ٣، ص٤٣٤، إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص٩٨٥).

الأوضاع السياسية في اليمن

في النصف الثاني من القرن الحادي
عشر الهجري السابع عشر الميلادي

مع تحقيق

بهجة الزمن في تاريخ اليمن

الطبعة الأولى

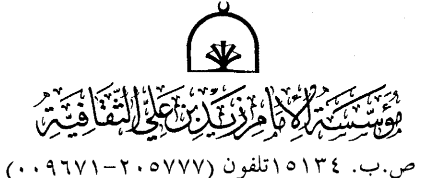
١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

تم الصف والإخراج بمؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

إخراج: حفظ الله أحمد أحمد عقيل

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية لعام ٢٠٠٧م

(٥١١)



ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٢٠٥٧٧٧-٠٠٩٦٧١)

فاكس (٢٠٥٧٧١-٠٠٩٦٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية

Website: www. Izbac f.org ; email :info @izbacf. org

الأوضاع السياسية في اليمن

في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي

١٠٥٤ - ١٠٩٩هـ / ١٦٤٤ - ١٦٨٨م

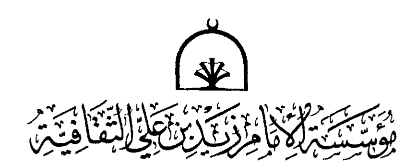
مع تحقيق

بهجة الزمن في تاريخ اليمن

للمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد

د. أمة الغفور عبد الرحمن علي الأمير

المجلد الثاني



ودخلت سنة خمس وخمسين وألف [1]

فيها توفي السيد العارف الشريف هاشم بن حازم المكي، صاحب ولاية زبيد. كان هذا السيد له سيرة حسنة، وحالة مرضيَّة، وورع، وزهد في الدنيا، بحيث أنه لما توفي أوصى بأن جميع خيله تصير لبيت المال. وكان كثير الشك في الطهارة والوضوء. ومع هذا فكان المذكور يرخص للعبيد معه والخدم في الفساد، ولا ينصف الشاكي منهم، ولا يأمره بالانقياد، وكان كثيراً منهم من يسرق السرقات الكبار بمدينة زبيد، فيُشكى إلى المذكور فلا ينصف. هكذا روى لي الفقيه ناصر الزبيب، حال سكونه هذه المدة بمدينة زبيد.

وفي شوالها سار الإمام من ضوران إلى صنعاء، فاستقر بها أياماً، وسكن بها شهوراً. وجهز ابن أخيه أحمد بن الحسن إلى بلاد الأمير الحسين بن «٧٩أ» عبد القادر صاحب عدن وأبين، لأجل أمور وقعت منه لم يرض بها الإمام. فدخل أحمد بن الحسن بمن معه لَحْجاً [2] وخنفراً [3] بعد وقوع حرب شديد، وأمر منه غير سديد. وقُتِل من أصحاب الإمام خلق كثير من العسكر، أكثرهم من الأهنوم، بحيث أنهم جُمعوا في مقبرة هنالك معلومة تُعرف بمقبرة أصحاب أحمد بن الحسن. ثم كانت الهزيمة فيه وقومه، واستولى أحمد بن الحسن على خزانته، وأثاثه، وماله. وهرب ابن عبدالقادر إلى بلاد يافع، من غير أن ينتفع بنافع. ثم قرر الولاة هنالك، وأمَّر فيها الأمراء، وولى عدناً وعاد إلى مدينة صنعاء والإمام يومئذ فيها، ماقد خرج منها. والأمير حسين لما هرب إلى يافع، ولم يجد له ناصراً ولا نافع، خاطب بالعود، والجبر لكسره بالجود، فجعل له شمس الدين بلد

---

(١) ١٠٥٥هـ = ١٦٤٥م.

(٢) لَحْج: منطقة واسعة في الشمال الغربي من عدن، وعاصمتها (الحوطة). (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤،ص٦٧٧).

(٣) خنفر: نسبة إلى أحد أولاد سبأ الأصغر، وكانت المدينة تقع على سفح جبل خنفر الذي يبلغ ارتفاعه ٧٠متراً عن سطح البحر، ويقع وسط سهل أبين، بين وادي بَنَا وحسان. (حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، ص١٨١).

أبين، وقرر له من بندر عدن ماكان لوالده. ولما دخل أحمد بن الحسن صنعاء والتقاه جنود الإمام جمعاً، دخلوا المدينة، وهم في القاع يسيرون في تلك الزينة، حصل بين بيارق دار[١] خصام، كما هو عادة في الجموع مما يحصل لهم من «٧٩ب» الخُيَلاء والكبر المشؤوم العام. وذلك الافتراق بين عسكر كوكبان وبين بعض بيارق دار ابن الإمام، فدفع جماعة من عسكر كوكبان بنادقهم، فسقط اثنان من عسكر الحيام[٢] فلما حصل ذلك الأمر الكائن لحقهم العسكر، فهرب عسكر كوكبان يؤمون جهة باب ستران[٣] والبنادق في ظهورهم، فقُتل منهم ثلاثة، ودخلوا باب ستران.

وفيها أو غيرها كان رجلاً في أرض تهامة يشهد بآخر رمضان بتقديم الفطر للصيام بيوم على سبيل الدوام، فلما حضرته الوفاة أخبر أنه كان يشهد بذلك شهادة زور، لأجل يفرح الصبيان بالعيد تعجيلاً لهم بالمسرَّة والفطر من سائر البشر للفرحة. فانظر هذا الأمر العجيب الذي ينبغي التثبت فيه، وعدم التصديق بأول قول من غير تثبت.

وفيها رخصت الأسعار، وكثرت الأمطار الغزيرة في جميع اليمن شرقاً وغرباً، ويمناً وشاماً. ودخل صنعاء سيول كثيرة قدر عشرة وأكثر كبار، وصلحت الثمار، بلغ القدح بصنعاء إلى ستة كبار. وارتفع بحر[٤] صنعاء هذه السنة عقب المطر ارتفاعاً عظيماً حتى بلغ أنصاف الآبار، «٨٠أ» وقرت منه للسناة البال، ونقص عليهم التعب في بعده عن سابق الحال، ثم إنه شرع يخرج الماء بنفسه من فوق قرية الدجاج[٥] بأعلى السَّد[٦] بشعوب[٧].

---

(١) بيارق دار: جمع بيرق دار، وهو حامل العلم وقد سبق شرحها.

(٢) أي الحيمتين، وسبق تعريفها. وكثيراً ما يستخدم المؤرخ هذا اللفظ مثل غيره من مؤرخي عصره.

(٣) باب ستران: أحد أبواب صنعاء القديمة، ويسمى أيضاً (باب القصر) وهو في الجهة الجنوبية من سور صنعاء.

(٤) المقصود من ذلك: ارتفع منسوب المياه الجوفية فيها.

(٥) قرية الدجاج: تقع في الجهة الشمالية من صنعاء خارج باب شعوب كانت ضاحية من ضواحي صنعاء. وهي الآن حي من أحيائها.

(٦) عُرف فيما بعد بغيل مصطفى، ومنبعه شمال صنعاء، وهو من الغيول المعروفة بالغيول الشمالية، حيث يقع شمال باب شعوب في محل يقال له (السَّد) (عبدالوهاب عسلان: غيول صنعاء، ص٥٧).

(٧) شعوب: من أحياء صنعاء المشهورة، يقع في الجهة الشمالية منها.

وفيها أو التي تليها نزل سيل عظيم بوادي ضَهْر من متنزهات صنعاء من أعلى بلاد حَضُور، لم ينزل مثله في هذه العصور، فدخل الأعناب من الجنبين، ولم تسعه السائلة من الجهتين، فخرب الجدرات للأعناب، وحمل كثيراً من الأعتاب.

ونزل سيل بمكة المشرفة عظيم، بلغ إلى القناديل، وباب الكعبة. وقد ورَّخَهُ السيد العارف إسماعيل بن إبراهيم بن جحاف الحبوري[1] بقوله:

أتى السيل مُجتازاً بمكة موهناً
فطهرها وأصلح منها الأباطيلا
وما قصد الضر الشنيع وإنما
أراد من الركن المعظَّم تقبيلا
يقولون أرِّخ كونه قلت فاحسبوا
سمعت بأن الماء لاقى القناديلا

انتهى. سنة ١٠٥٤، فهو في التي قبلها.

وفي هذه السنة مات الشريف العلامة الأديب صلاح بن عبدالخالق بن جحاف الحبوري الظليمي[2] وكان المذكور عارفاً بعلم أصول الفقه، والنحو، شاعراً، محاضراً، وكان مع شعره لا يعرف بعلم العروض. وقد اعترضه في عصره بعض العلماء في وقته، فلم يلتفت إلى ذلك وقال: العروض غير شرط في الشعر؛ لأنه قد جاء في شعر الفصحاء ما يخالف الوزن. ومن محاسن شعره ولطائفه أبياته التي أنشأها عتاباً للهر

---

(١) هو إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن المهدي جحاف. (١٠٢٤-١٠٩٧هـ/ ١٦١٥-١٦٨٥م) عالم محقق في الأصول والفروع والعربية والطب، شاعر أديب، تولى القضاء للإمام المتوكل إسماعيل ثم عاد إلى حبور بعد وفاة هذا الإمام. (يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ٣، ق١٣٦ب؛ زبارة: ملحق البدر الطالع، ص٥٥-٥٦؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ١، ص٤٢٠-٤٢١).

(٢) ترجم له المؤرخ في كتابه (المستطاب)، ص٢٧١؛ كما ترجم له أبو الرجال في مطلع البدور، جـ٢، ص١٧٠-١٧٧ وذكر أن وفاته كانت سنة ١٠٥٣هـ؛ وكذلك زباره في ملحق البدر الطالع، ص١٠٧ ذكر أن وفاته سنة ١٠٥٣.

الذي أكل عليه بعض الحمام، فقال في قصيدة له فيه شعراً مضحكاً معجباً مذكوراً في ديوانه، متناقلاً مع إخوانه وأصحابه، مستهلها قوله:

يـا هـر في غـير حفـظ الواحـد الـصمد
أحشـت سـيرك عــن داري وعــن بلــدي
قـــد نزلـــت فأحـــسنّا جـــوارك لم
أبخـــل عليـــك بـــما حـــواه ذات يـــدي
«٨٠ب» رجـوت أنـك تكفينـي أذيــة مــا
في البيـت مـن جـرذٍ عـاد ومـن خلـدي
تــذودهم عـــن طعـــامي أذيـــتهم
طـــواف لـــست أحـــصيهن بالعـــدد
وإذ تقـــي زوايـــا البيـــت عادتـــه
ابـــابهن عـــن الـــسجعة فلنـــصدى[1]
فلـم ترعهــا بــشيء بــل عمــدت إلى
حمامــة ضــعفت في الــبطش والجلــدي

صــغيرة لم تكــن تــدري بفتكــك يــا   أعـق مـا خلـق الـرحمن مـن ولـدي
أبـديت رعـشة منهـوك فحـين دنـت   فعلت ما يفعـل الـضرغام ذو اللبـدي
«٨١» أمـا نظـرت إلى أطواقهـا ولهـا   تلـون الـدُّر فـوق الجيـد ذي الجيـد[2]

---

(١) عجز البيت غير واضح والكلمات غير معجمة. وقد رسمناها كما وردت في الأصل.

(٢) أُكملت هذه القصيدة والقصيدة التي تليها بخط مختلف عن خط المؤلف. وهو من الخطوط المعلقة، لم يقرأ إلاّ بصعوبة.

أعضضت نابك جيداً لو علمت بما حوى لما عشت فيه غير متئدي
كأنه خارجاً من جنب صفحته سَفُّود[1] شرب نسوه عند مقتادي
وحين رابك ما في النفس من جزع رحلت غضبان لم تعطف ولن تعدي
ولم تطف بفناء الدار قط سوى في الأربعاء لأجر اللحم والأحدي
هذا جزاء امرئ غذتك نعمته بالمخض تكشف عند رغوة[2] الزبدي
فالآن تحمل إلى بيداء بلقعة أو مَهْمه[3] في أقصى الأرض منجردي
وحق من قال إن الطير آمنةٌ في وكرها في أداني الأرض والبعدي
والمؤمن العائدات الطير تمسحها ركبان مكة بين الغيل والسندي
لو أنها علمت هذا إذاً لنجت كالطير تنجو من الشُّؤْبُوب[4] ذي
وقد رضيت بأن الفأر يفسد في داري ويسعى لضري سعي مجتهدي
فخلنا غير مأسوف عليك ولا برحت ما عشت في غم وفي نكدي
فما أقول لنفسي فيك مبتلياً إحدى يدي أصابتني ولم تزدي
كلاَّ كما خَلَفٌ من بعد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي
بل سوف أنشد تسكيناً لخاطرها لله يبقى على الأيام ذو حيدي

تمت كما وجدت.

قلت: وهي مسروقه من قصيدة في الهر لأبي بكر بن الحسين بن العلاف المقري[5] كما في (حياة الحيوان الكبرى)، وإنما زاد السيد ونقَّص فيها وإلا فهي مسروقة ليس

---

(١) السَّفُّد: حديدة ذات شُعَب مُعَقَّفة يشوى به اللحم. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص١٥٤).

(٢) وردت في الأصل (روغة) تم تصحيحها من: طبق الحلوى.

(٣) مَهْمَه: المَهْمَه: المفازة والبَرِّيَّة القفز، وجمعها مَهامِه. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٥٤٥).

(٤) وردت في الأصل: (الشعوب) تم تصحيحها من: طبق الحلوى؛ والشُّؤْبُوب: الدفعة من المطر الذي يكون فيه البَرَد. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٩٦٧).

(٥) هو أبو الحسن بن أبي بكر الحسن بن علي العلاف البغدادي المقري. (ت٣١٨هـ/ ٩٣٠م).

أصلها للسيد. ومستهل قصيدة أبي بكر الحسين العلاف المذكور قوله:

يـــا هـــر فارقتنـــا ولم تعـــدِ

وكنـــت عنـــدي بمنزلـــة الولـــدِ[1]

وله قصيدة أخرى في ديك يعزيه أكله عليه ثعلب. كان السيد رقيق الطباع حلو المفاكهة.

وأجاب السيد العلامة الحسن بن أحمد الجلال على لسان حال الهر منتصراً له في الجواب بنظم أحلى من الجلاب، وعتاب أعذب من مطر الماء العذري الشنان:

ســمعت عتبــك والتأنيــب يــا ســندي

فهــاج لي حــسرة أوهــى بهــا جلــدي

وصرت أعجــب مــن دعــواك أنــك لم

تبخــل عــليَّ مــا تحويــه ذات يــدي

إذ تلــك دعــوى لا برهــان يــصحبها

ومثـــل ذاك لأهـــل الحـــق لم يَفـــدِ

فـــما أقـــول كـــما قلـــتم إليّ جفـــا

يـا هـر في غـير حفـظ الواحـد الأحـدي

لكننـــي مظهـــرٌ مـــا كنـــت أســـتُرهُ

كـــيلاً لخـــلي كـــما قـــد قـــال لم أزدِ

خـــدمتكم غـــير وانٍ في منـــافعكم

ولا لأعـــدائكم أبقيـــت مـــن ســـندى

(١) يذكر الدميري أن أبا الحسن العلاف كنى بهذه القصيدة عن ابن المعتز حين قتله المقتدر، فخشي من المقتدر ونسبها إلى الهر. وهي من أحسن الشعر وأبدعه، وعددها خمسة وستون بيتاً. (الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ٢، ص٣٣٦-٣٣٧).

وبالخصاصة أرضي في محبتكم
مالي سوى قطعة في الوعد من كبدي
دليله قولكم ما طفت قط سوى
في الأربعاء لأجل اللحم والأحدي
علام[1] تهضم قدري بين أظهركم
وصفع رأسي من شيخ ومن ولدي
أقول للنفس إن الرب سطوته
كالدهر لا عارفاً رضيها ولا تحدي
حتى غدا دأبكم كفران منفعتي
لنظمك الزور قولاً غير معتقدي
لكن ومن لك بالحر الشكور لمن
يولي الصنايع لا يعدوه حفظ يدي
فقلت للنفس أرض الله واسعة
وكل موت ولا موت على الكمدي
وخدمة المرء مولى ليس يعرفها
ولا يقربها من أعظم النكدي
ولا يقيم على ضيم يراد به
سوى الأذلين عير الحي والوتدي
فجد جدي ولا زاد ولا سعة
وليس إلا به الإفضال إلى الأبدي
وقد تصبرت حتى لات مصطبر
فالآن أجهد حتى لات مجتهدي

(١) عليم: كذا في الأصل صحتها علام.

حتـــى عمـــدت ولي في ذاك مأربـــة
إلى الحمامـــة ذات المنطـــق الغـــردي
لأذهـــب الجـــوع إذ نفـــدت فـــأركم
وتعلمـــوا سـطوتي فـــيهم بـــلا عـــددي
إذ تلـــك تـــشبههم بـــل هـــي أحـــق كـــما
قد قلت تنجو مـن الـشؤبوب ذي الـبردي
ولـــو رعيـــت حقـــوقي منـــك أجمعهـــا
وحـــق مـــثلي حـــق هـــين المـــددي
مـــا إن أتيـــت بـــشيء أنـــت تكرهـــه
إذاً فـــلا رفعـــت صـــيدي إلي يـــدي
هـــا أن أتـــى عـــذره إن لم تكـــن نفعـــت
فـــإن صـــاحبها قـــد تـــاه في البلـــدي
بعـــد الـــسلام علـــيكم ماغـــشى جـــرذ
ثـــم الـــصلاةعلياالهادي إلى الرشـــد

«٨٢أ» وكان السيد صلاح بن عبد الخالق المذكور زاهداً في نفسه مُسَلِّماً، ولـه تعليـق عـلى تكملة (البحر) في علم الطريقة. ووصل مرة من حبور إلى حضرة المؤيد بالله ماشياً على قدميه.

واتفق أن السيد مهدي النوعة عرض على المؤيد مصنف (الإقبال) الـذي يتـضمن أكثره ذكر الأحاديث في علي، وبيان من طرقها من كتب السنة مثـل: حـديث المنزلـة[1]

(١) الحديث هو قول الرسول ﷺ لعلي بن أبي طالب (كرم الله وجهه): أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبي بعدي. انظر. سنن الترمذي، جـ٥، ص٦٤١.

والغدير[1] والراية[2] ونحوها. وكان السيد مهدي يملي على المؤيد والسيد في الحضرة في ذلك المجلس، فقال السيد صلاح: في نفسي شيء يحك، فقال المؤيد: ما هو؟ فقال: هذه الأخبار كلها لا تفيد في دلالتها إلا الظن، والقطع في موضع الظن لا يجوز، فانقطع السيد مهدي والمؤيد ولم يجيبوا عليه بجواب للزوم الحجة.

وفي هذه السنة سنة خمس وخمسين وألف.

مات السيد العارف العلامة الحسن بن شمس الدين بن جحاف الحبوري[3] بصنعاء اليمن. كان المذكور له معرفة بعلوم العربية والمنطق، معرفة تامة، وقد يُدرّس فيها إلا أنه غلب عليه الخمول والإعراض عما لا يعنيه اتباعاً للخبر عنه ﷺ [من حسن إسلام (المرء)[4] تركه ما لا يعنيه][5] وكان استقراره برباط الكينعي[6] جنب

---

(١) حديث الغدير: نسبة إليالموضع المعروف باسم (غدير خُم) بين مكة والمدينة، نزل فيه الرسول صلىالله عليه واله وسلم حين رجع من حجة الوداع، فأمر الصلاة جامعة، فأخذ بيد علي، فقال: (الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا:بلى. قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. قال: فهذا ولي من أنا مولاه. اللهم وال من والاه. اللهم عاد من عاداه((انظر سنين ابن ماجة، جـ١، ص٤٣) وقد ورد بألفاظ مختلفة في(الحاكم: المستدرك على الصحيحين، جـ٣، ص١١٨؛ المتقي الهندي: كنز العمال، مجـ١٣، ص١٠٤).

(٢) حديث الراية: هو ما رواه قتيبة عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة قال: كان علي قد تخلف عن النبي ﷺ في خيبر وكان به رمد فقال أنا اتخلف عن رسول الله ﷺ؟! فخرج علي فلحق بالنبي ﷺ فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله في صباحها قال رسول الله ﷺ: لأعطين الراية أو ليأخذن الرايةغداً رجلاً يحبه الله ورسوله يفتح الله عليه فإذا نحن بعلي وما نرجوه فقالوا هذا علي فأعطاه رسول الله ﷺففتح الله عليه؛ (وردالحديث بألفاظ مختلفة في صحيح البخاري، مجـ٢، ص٢٠٧).

(٣) ترجم له أيضاً أبو الرجال في مطلع البدور، جـ٢، ص١٥-١٨ ترجمة مطولة وأورد العديد من أشعاره، ولم يذكر سنة وفاته؛ كما ترجم له إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، جـ٣، ص١٠٥-١٠٤.

(٤) كلمة: (المرء) ساقطة في الأصل، أثبتناها من نص الحديث.

(٥) (انظر الحديث في سنن ابن ماجة، جـ٢، كتاب الفتن، ص١٣١٥-١٣١٦؛ سنن الترمذي، جـ٤، كتاب الزهد، ص٥٥٨).

(٦) رِّباط الكينعي: الرِّباط في اليمن: مدرسة داخلية يشبه الكلية اليوم، يدرس فيه الطالب، ويتناول طعامه وشرابه على نفقة الرباط من الوقفيات المخصصة له. وكان يقوم المترابطون بأداء الرياضة الصوفيه الروحية، وكان على رأس هذه الأربطة مشائخ يتخرج على أيديهم علماء كبار ووعاظ ومرشدون دينيون.

أما الكينعي فلعله إبراهيم بن أحمد بن علي الكينعي (ت٧٩٣هـ/ ١٣٩١م).كان عالماً زاهداً. متصوفاً. أخذ علوم الفقه والعربية والفرائض على يد كبار مشائخ صنعاء، ومال إلى الانعزال، وصام الأبد إلا العيدين والتشريق. (الموسوعة اليمنية،جـ١، ص٢٩-٣٠، ص٤٧٧-٤٧٨).

مسجد الأخضر، بجانبه الجنوبي، بصنعاء من الجانب القبلي من المدينة، قريب باب شعوب[1] ولما زاره شرف الإسلام الحسن بن القاسم بعد استفتاح صنعاء أمر له ببنا منظرة في ذلك المحل، وكان المذكور سكونه بصنعاء من مدة الوزير حسن، من قبل قيام الإمام القاسم بسنة أو بنصف سنة وسبب وصوله من حبور، أنه كان اتفق بتلك السنة بعض ارتفاع في السعر، وكان السيد المذكور من جملة سادة حبور يباشرون الإقامة للمال بأنفسهم، ويطلبون العلم عند فراغهم، وفي أواخر نهارهم، فربما حصل بعض تلك الأيام مزيد الاضطرار إلى الطعام، فطلب أهل بيته بتعجيله، فلم يجدوا إلا من الذحرة[2] في قوته، فاستشق السيد ذلك الحال، وعسر عليه المكابدة له مع الأعمال، فقال: أرض الله واسعة وأنه لا يضيع عباده، فعزم «٨٢ب» على السير إلى مدينة صنعاء وقال: أهله على الله، رزقهم إليهم يسعى. فوصل إلى صنعاء، وأمر إلى زوجته بالطلاق، لأجل لا يلزمه واجب الإنفاق، واستقر في مسجد الأخضر، وقام به في القوت أحمد الوادي وغيره، وساق الله إليه نفقته وقوته، وما احتاج إليه من غير تلك المشقه التي كانت لديه. ولم يتزوج من بعد تطليق زوجته في صنعاء بل بقي متجرداً منفرداً. وكان لا يلبس العباءة بل لحفة يلتحفها. فما زال على تلك الحاله ولم يعرِّجْ على غير طلب العلم، وطريق السلوك حتى مضت أيامه، وسارت أوقاته. وكان قيام الإمام القاسم عند ذلك وهو باق بصنعاء ولما وصل إليه كتاب من الإمام أجاب عليه بالاعتذار، وأنه قد صار متجرداً عن جميع الأشغال، فعذره الإمام. وحصل الوهم عند كتاب الإمام عند الباشا بأنه يرفع إليه أخبارهم وأحوالهم، فأرادوا الإمساك عليه، والمؤاخذة بسبب ذلك إليه، فدافع عنه أحمد الوادي. وكان أحمد الوادي له محاسن كثيرة لكثير من الناس، يبذل من ماله قصداً للثواب في المدافعة عنهم وكان له قبول عند الباشات، لحسن قصده ونيته. فكان السيد على ذلك بصنعاء مستقراً على حالته في أيام الوزير حسن ومن بعده إلى أن توفي في هذه السنة المذكورة بأول سنة من دولة المتوكل إسماعيل بن

---

(١) باب شعوب: أحد أبواب صنعاء، ينفذ منه إلى شعوب، وهو في الجهة الشمالية من صنعاء. وهو من الأبواب التي أزيلت، ولم يبق له إلا الاسم.

(٢) كذا في الأصل، ولم نتمكن من معرفة هذا النبات.

القاسم، فكان جملة بقاه بصنعاء قدر خمسين سنة إلى أن مات فيها.

وهذا السيد الحسن بن شمس الدين هو خال المتوكل إسماعيل، لأن أخته كانت زوجة الإمام القاسم «٨٣أ». وقبر بمقبرة باب اليمن.

وفيها أو التي بعدها مات السيد حسين الأدرن الوهاسي من سادة بني وهاس. وكان السيد معمراً في السن، قال لي لـمَّا سألته: أنه يعرف مطهر بن شرف الدين، ويعرف جميع ما اتفق معه من الحروب بحوشان، وجميع الباشات الذين خرجوا إلى اليمن ودولتهم جميعاً واحداً بعد واحد.

وفيها مات الشريف العلامة أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي القاسمي ببلدة مَعْمَرة رأس جبل الأهنوم، وقبر هنالك. كان المذكور عارفاً، عالماً مشاركاً في أكثر الفنون، وله مصنفات منها: شرح على (الأزهار)[1] ضمنه من الأدلة والأخبار مخرجه من أمهات كتب الحديث معزوة إلى أصولها، وله شرح على (الأساس)، وتاريخ كبير جعله شرحاً على (البسامة)[2] لابن الوزير في ثلاثة مجلدة، بلغ فيه إلى آخر دولة الإمام المؤيد بالله محمد بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد. وكان يميل إلى مذهب الجارودية[3] والإمام القاسم صح عنه التوقف في رسالته المسماة (بالشجرة). نعم ثم رأيت للسيد أحمد الشرفي رحمه الله في نسخة شرح (الأساس الصغير)[4] زيادة من لواحقه فيه، فذكر التوقف. والله أعلم.

---

(١) اسم الكتاب: (ضياء ذوي الأبصار في الكشف عن أدلة الأزهار) في أربعة مجلدات.

(٢) هو كتابه التاريخي: (الآلي المضيئة) وقد سبق ذكره.

(٣) هم أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد، وهي فرقة من فرق الشيعة الزيدية. ترى أن النبي ﷺ نص على علي رضي الله عنه بالوصف دون التسمية، وهو الإمام بعده، وأن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي. وقد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامة زيد بن علي، فإنه لم يعتقد هذا الاعتقاد. (الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص١٥٧-١٥٨).

(٤) من المعروف أن للشرفي شرحين لكتاب (الأساس) الذي للإمام القاسم. وقد سبق ذكر (الشرح الكبير) أما الشرح الصغير فهو الذي أسماه مؤلفه: (عدة الأكياس المنتزع من شفاء صدور الناس في شرح معاني الأساس) (اختصره من الشرح الكبير الذي هو شفاء صدور الناس) وسمَّاه أيضاً (الشرح الصغير) تمييزاً له عن (الشرح الكبير). (للمزيد انظر أحمد الشرفي: شرح الأساس، تحقيق د.أحمد عارف، المقدمة ص١١-١٢؛ الحبشي: مصادر الفكر، ص١٢٧).

وفيها خرج أحمد بن الحسن بأمر عمه الإمام «٨٣ب» إلى بلد ملاحا [١] من أطراف بلاد خولان صنعاء، فأخرب فيها بعضها، وقطع شيئاً من عنبها، وذلك بسبب تسليم الزكاة إلى الإمام ورفعها إلى ولاته. وكان من قبل ذلك يسلمونها إلى فقهاء من جهتهم على سبيل المصالحة، من غير تحري فيها ولا ملاحقة، فلما عرفوا صدق الطلب، والقهر بالأمر لهم والغلب أذعنوا بالطاعة، والتسليم إلى من رآه الإمام لتلك البضاعة، وانخرط عند ذلك سائر بلاد خولان وحكَّموا الشريعة في النزاعات بينهم والخصامة وتركوا أعمال المنع والقَبْيَلة [٢] وسلموا الحقوق لليتيم والأرملة، مع المطالبة. والله يصلح المسلمين.

وفيها مات القاضي العارف محمد بن أحمد السلفي [٣] كان المذكور له معرفة بعلم العربية والأصول. وكان ناقلاً للقرآن الكريم غيباً يتلوه في السفر والسكون. وكان متولياً لمخلاف حراز. ثم عرض له ألم آخر مدته من قبيل الاستعطاش وألم الدق [٤] والسِّل «٨٤أ»، فما زال به ذلك الألم يشتد ويتعظم، فطلع عند ذلك صنعاء، وكره الولاية، وضعف عن تلك الحالة. وسكن بداره في بير العزب يتداوى، فلم يفده الدواء، وبقي على ذلك برهة ودهراً حتى توفي في السنة المذكورة. وكان قد جمع من الكتب النفيسة في الفنون والحديث ما يكفي ويشفي. وله إجازة [٥] في علم الحديث من بعض علماء الشافعية من حراز، وقبر بخزيمة رحمه الله. ومن مآثره وسبله: بمقدم مسجد قرية القابل بوادي ضهر، وسعه بمثل النصف على ما تقدم جُزي خيراً.

وفيها مات الدرويش المعروف بالجوبلي. كان المذكور مجذوباً، يلبس المرقعة، وعلى

---

(١) ملاحا: واد في خولان الطيال (العالية) من بني شداد، مشهور بالعنب الأبيض والأسود الخولاني، وهو من الأصناف الجيدة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٧١٨؛ الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٩٠٤).

(٢) القَبْيَلة: مجموعة من القواعد العرفية التي تنظم مختلف أوجه الحياة بين أفراد القبيلة أو بينها وبين القبائل الأخرى، وكذلك بينها وبين الدولة في حالة ضعفها.

(٣) ترجم له الجنداري في الجامع الوجيز، ق١٤١أ، نقلاً من هذه المخطوطة.

(٤) ألم الدق: ويقال حمى الدق: وهي الحمى المزمنة، تصاحب الأمراض المزمنة، كالسل والالتهاب المزمن للمعدة والكبد وغيرهما. (محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، جـ٤، ص١٢٧)

(٥) إجازة: سبق تعريفها.

رأسه القَعْشَة[1]، يسكن في حارة جبل نُقُم عند غيل الغراب والنقم[2] حتى نُسب هذا الغيل إليه، لسكونه وقراره فيه. وقد يدخل في النهار إلى السوق ليقضي من حاجاته، ويبيع فيه أفصاص تُعرف حجارها من جبل نقم، فيتقوَّت بها، ويستغني عن غيرها. وكان قد جعل له جرفاً عند الغيل يرقد فيه ويختم بابه بصخرة في الليل خشية من الضباع، لكثرتها في ذلك الجبل والاتساع، وكذا من الذئب فإنه لا يزال هنالك، ويوجد مع الرعاة في تلك المسالك، فحماه الله «٨٤ب» عنها، ووقاه إياها، وهو وحده في الليل في ذلك الموضع لا يخشاها، ومن كان مع الله كان الله معه.

وفي هذه السنة أمر محمد بن الحسن بن القاسم فجعل مشهداً على قبر الإمام أبي الفتح الديلمي[3]، شرقي ذمار بنجد الجاح[4] طرف قاع القعودي، ولم يكن عليه شيء من قبل هنالك. ثم إن زوجته الشريفة دهماء بنت الإمام المؤيد[5] أيضاً أمرت ببناء سَمسَرة[6] للمسافرين هنالك، وقيِّم للمشهد فتم جميع ذلك.

---

(١) القَعْشَة: شعر الرأس غير المرتب والكثير للذكور فقط.

(٢) يُسمى الغيل الذي ينبع من جبل نُقُم شرقاً (بغيل الباشا) نسبة إلى مراد باشا (عُين والياً على اليمن من عام ٩٨٤-٩٨٨هـ/ ١٥٧٦-١٥٨٠م) الذي استخرج هذا الغيل. وكان يصب في قبة المرادية، وقد أجراه لجامعه في قصر صنعاء المعروف اليوم ب(قصر السلاح) (عبدالوهاب عسلان: غيول صنعاء، ص٤٦-٤٧) .

(٣) هو الإمام الناصر أبو الفتح بن الحسين بن محمد الديلمي (ت ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م) دعا لنفسه بصعدة التي وصلها من: (الديلم) بفارس عن طريق مكة عام ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م، قتل في معركة غير متكافئة بشرقي ذمار مع الملك علي بن محمد الصليحي. له مؤلفات منها: (البرهان في تفسير غريب القرآن) و (الرسالة المبهجة في الرد على فرقة الضلال المتلجلجة) و(العهد الأكيد في تفسير القرآن المجيد). (يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، جـ١، ق٧٨أ-٨٠ب؛ الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤٠؛ الحبشي: مصادر الفكر، ص٥٣١).

(٤) نجد الجاح: جبل معروف بالقرب من رداع إلى جهة الشرق. (يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، جـ١، ق٧٨أ).

(٥) ذكرها عبدالله الحبشي في كتابه (معجم النساء اليمنيات)، ص٧٥، قائلاً: (ذكرها في طبق الحلوى(. وصاحب (طبق الحلوى) نقل ماذكره مؤرخنا في هذه المخطوطة.

(٦) السَّمسَرة: عند أهل اليمن المكان الذي يتبادل فيه التجار البيع والشراء. وهي أيضاً بناء في طريق السفر ومحطاته بين المدن يلجأ إليها المسافرون للراحة، كما هو الحال فيما يُعرف في بلاد الشام (بالخانات) وهي المقصودة هنا. (للمزيد انظر الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٥٢٨-٥٢٩).

ودخلت سنة ست وخمسين وألف[1].

فيها تحرك السيد إبراهيم بن محمد المؤيدي بجهات خولان صعدة[2] والشام، وادعى أنه الإمام الواجب اتباعه على جميع الأنام، وهو في الحقيقة شاق لعصا الإسلام، مفرق جماعتهم والالتئام، فجهَّز عليه الإمام ولد أخيه عز الإسلام محمد بن الحسين بن الإمام بجميع عسكره وأتباعه، وسار إلى هنالك، فقبض المذكور عليه، ودخل السيد فيما يجب عليه، وانهار عمل من كان قد والاه، وتفرقوا عما كان يريده ويهواه، ثم وصل به إلى حضرة الإمام وهو يومئذ بصنعاء اليمن هذه الأيام، فجمع الإمام أعيان الناس إلى ديوان القصر الداخلي وبرز لهم فوق كرسي الباشا وهم حاضرون، ثم أشار إلى السيد بالتقدم إليه للبيعة «٨٥أ»، وأخذ الميثاق، وترك المضاررة والشقاق، فبايع وحلف للإمام، ومد يده وقطع الكلام: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾[3] ثم طلب الفسح من الإمام، والعود إلى بيته بالشام، فأذن له الإمام. ولما بلغ إلى عِيَان[4] من بلاد سُفيان ترجَّح له الدخول إلى جبل بَرَط، والصعود إلى ذلك الوهط، لعروض وسواس حصل معه، وتسويل سوَّلت له نفسه، فبلغ رأس جبل بَرَط، وافق فيه القضاة آل العنسي، ومَن حضر من مشائخ تلك الجهة الوحشي. وقال لهم: ما تخلَّص من صنعاء إلا بالبيعة، يريد من قبائل بَرَط والقضاة إعانته على البغي والعناد، فلم يسعده إلى طلبه أحد، ولا وافقه الفرد[5]، فسار عن بَرَط مغاضباً، وإلى بلاده مجانباً،

---

(١) ١٠٥٦هـ = ١٦٤٦م.

(٢) خولان صعدة: هي غير خولان العالية (الطيال) وخولان صعدة منطقة جبلية بالغرب من صحار، تعرف بخولان بن عامر، مركزها الرئيسي ساقين على بعد ٣٠كيلومتراً غرب صعدة. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص١٢٨).

(٣) سورة الفتح، آية: ١٠ والآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾.

(٤) عِيَان: قرية عامرة في سفيان، تقع في الشمال الشرقي من حرف سُفيان على بعد بضعة عشر كيلومتراً منها. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٦١٨؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٣، ص١٥١٠).

(٥) كذا وردت في الأصل.

وبادر بالسعي في تلك البلاد الشامية الخولانية بالدعاء لنفسه، والاستمالة لهم إلى إجابة قوله، فشرع في القبائل الميل إلى كلامه، «٨٥ب»، وما ذكره لهم في خطابه، فبادر الإمام لَمَّا بلغه هذا الأمر بإرسال ولد أخيه شمس الدين أحمد بن الحسن، فسار بجنوده، وعساكره وخيوله، حتى خيَّم في وسط بَوْصان[١]، وهرب السيد في الحال والمقام إلى أطراف بلاد قُراظ[٢]، ثم إنه خاطب في الصلح والأمان، والرجوع عن ذلك الطغيان، وأن يبقى في بلاده وبيته مَكْفياً بما يحتاج إليه، وجميع خاصة أقاربه، وأملى رسالة بخطه في يوم الجمعة ثاني وعشرين شهر جمادى الأولى من هذه السنة باختياره، وقرأها لمحضر الناس بهجرة باقم[٣] من بلاد قُراظ. وحكم بصحتها القاضي أحمد بن يحيى حابس[٤] حاكم صعدة ولفظها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مدبر الأمور على مقتضى إرادته، كل يوم هو في شأن، المتصرف في مصالح خلقه على مر الدهور بلطيف حكمته من غير مؤازر ولا ثان، المُمَلِّكَ المُلْكَ من عبيده من ملكه في الكتاب[٥] مسطور في سالف أزليته فأنَّى لغيره سلطان، والصلاة والسلام على «٨٦أ» الهدى والنور المبعوث لإعلاء كلمته في الإنس والجان، وعلى آله المطهرين أحسن طهور من رجس الشيطان ومعصيته فهم لأهل الأرض أمان. وبعد: فَيَعْلم من على البسيطة من أداني الأرض وأقاصيها، من أتهم بغورها وأنْجَد بصياصيها[٦]، أن

(١) بوصان: بلد من أعمال صعدة، وهو في بلاد بني جماعة، فيه قرى ومزارع. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١٢٩).

(٢) قُراظ: هجرة في بلاد بني جماعة أعلى باقم من أعمال صعدة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٦٤٨).

(٣) باقم: ناحية من قضاء جماعة وأعمال صعدة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن: مجـ١، جـ١، ص١٠٢).

(٤) ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق١٣٠ب) من هذه المخطوطة ترجمة مستوفيه؛ كما ترجم له في كتابه المستطاب، ص٢٦٦؛ وترجم له أبو الرجال: مطلع البدور، جـ١، ص١٤٢-١٤٣؛ والشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص١٢٧.

(٥) وردت في الأصل (اللباب).

(٦) سبق شرح كلمتي: (أتهم) و (أنجد) أما غورها: الغور ما انخفض من الأرض، الصَّياصي: الحصون، وكل شيء امتُنع به وتُحُصِّن به فهو صيصة. (ابن منظور لسان العرب، مجـ٢، ص٥٠١، ١٠٢٧) والمعنى من كان في المنخفضات والمرتفعات.

الداعي إلى الله بالمغفرة وراجيها إبراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين ثبته الله على قواعد الشريعة ومبانيها، يقول: لَّما ظهرت الدعوة المتوكلية ظهور الشمس عقيب ليل الفتن، حارت فيها ذوو الألباب، ودان لها ذوو العقول وخضعت لها خضوع الذليل غلب الرقاب، ورفعها المسلمون مُعْزِّين لها ومكّرمين، وذهب إليها[1] بثبات وعرين، وَوكِّل بها قوم ليسوا بها بكافرين، حتى صارت ماضية لشأنها، قاطعة لعنانها، قائلة لسانها:

دعوني أجوب الأرض في طلب العُلا[2])

وعقد المسلمون للمسرة بها تاجاً، ووجهوا للجِذْل[3] بها سراجاً وجاهاً[4]، ودخل تحت أوامرها المسلمون أفواجاً، وجاءوا نحوها أفراداً وأزواجاً. وما ذاك إلا أن[5] متحملها «٨٦ب» ينبوع العلم الفوار، وغيث الفضائل المدرار، وزِبْرِقان[6] الفَلَك الدوَّار، وطراز المعالي والفخار:

عليم رست للعلم في أرض صدره

جبال جبال الأرض في حسنها (قف)[7]

ذلك فاتح الأرتاج، ودرة التاج، المولى أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين، إسماعيل بن أمير المؤمنين، فعند أن اختصه الله بالخصائص الجليلة، ورأيت المصلحة في معارضة مثله قليلة، وكان الله قد أمرنا بالوفاق، ورغَّب فيه، وحثَّ عليه،

---

(١) وردت في تحفة الأسماع، ق٦١أ: (ذهب إليها العلماء).

(٢) عجز البيت كما ورد في تحفة الأسماع، ق٦١أ

فلا الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم.

(٣) الجِذْل: أصل الشيء الباقي من شجرة وغيرها بعد ذهاب الفرع. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٤٢٥).

(٤) كذا وردت في الأصل، صحتها: (وهَّاجاً).

(٥) الألف ساقطة في الأصل.

(٦) الزِّبْرِقان: من أسماء القمر اللغوية التي نطقت بها العرب. (النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، جـ١، ص٥١).

(٧) أضفنا الكلمة الأخيرة من عجز البيت (قف) كما وردت في تحفة الأسماع، ق٦١أ.

وقـــال: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[1] سلَّمتُ ما كنت تحملته من الأعباء الثقيلة، تسليم راض لا شبهة فيـه ولا حيلـة، لوليِّـه وابن وليِّه الإمام المذكور المتوكل على الله إسماعيل. إلى أن قال فيها: فلـيعلم مـن وقـف على مكتوبي هذا ما التزمته من أحكام الطاعة للإمام، وأن ما تقدَّم مني مـن مقتـضيات النظر الذي اعتقدت فيه المطابقة لمراد الملك العلاَّم. فإن كنت في ذلك موافقـاً لمـراد الله فقد مضى بما فيه من الأجر، وإلا فأنا أستغفر الله وأسـأله حـسن العاقبـة وإليـه يرجـع الأمر. والإنسان محل الخطأ والنسيان، والكريم محل المسامحة والغفـران. وقـد ألزمـت نفسي طريقة الاقتصاد، والتمـسك بالوفـاق، وأَوْقفتُهـا في حَلبَـة الـسباق عـلى قـصبة المصلين، وجَذَبتُها عن إدراك شأوِ السَّباق، وعلمتُ أن مثل هذا الزمن[2] لا يدخل فيـه إلا من جذبته أضراس الاغترار، وبلغت له بوارق الأماني من بين عارض مَطّار، يُشبه الوجوب. وما هي إلا إعصار فيه نارٌ. فعلمـت بـما كنـت جهلتـه قبـل الـدخول فيـه، وأيْقَنتُ بعد الخروج منه أن الله وله الحمد قد خفف عني الأمر[3]، واختار لي ما أختار. ومن سبقت منه إسَاءةٌ إليَّ، وظن أني بها قمِيْن، فأنا أستغفر الله له وهو أرحم الـراحمين، وجل من لا عَيْبَ فيه وعلا عن كل قول ذميم، وقلما يسلم من الخدش «٨٧أ» جسد.

ألا لا أُبـــالي مـــن رَمَـــاني بريبـــة ... إذا كنــت عنــد الله غــير مُريــب

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[4] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.
حررت هذه الرسالة في يوم الجمعة من شهر جمادى الأولى سنة ست وخمسين ألف.

---

(١) سورة الشورى، آية: ١٣ والآية: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنَا بِـهِ إِبْـرَاهِيمَ وَمُوسَىَ وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّين وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشرِكِينَ مَا تَدعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَـشَآءُ وَيَهْـدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾.

(٢) وردت في تحفة الأسماع، ق٦١ب: (ولاشك أن مثل هذا الأمر لمثلي في هذا الزمن) ولعلها سقطت على مؤرخنا.

(٣) وردت في تحفة الأسماع، ق٦٢أ: (الإصر).

(٤) سورة النمل، آية: ١٩ وأولها: ﴿فَتَبَسَّم ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ...﴾.

ثم إن السيد المذكور الكاتب لهذه الرسالة والسطور جرى على ما ذكره فيها، واتبع قوله المحرر لها، إلى أن أرسل الإمام الفقيه محمد بن علي جميل الظليمي إلى بلاد شِعْب[1] حي من خولان الشام، لإصلاح أمور كانت بينهم لم يحصل فيها التمام، ولا جرى فيها نظام كما سيأتي تاريخه إن شاء الله تعالى في سنة إحدى وستين وألف[2] بعد هذه الأيام، فحصل بين[3] الشيخ يحيى بن روكان تمرد وعصيان، وعدم انقياد لأمر الإمام، حمله الكبر والطغيان على مجاهرة أصحاب الإمام بالحرب، وغزاهم وهم أضيافه وفي بلده بالطعن والضرب، فعند ذلك انفتح للسيد إبراهيم باب الكلام، وفتح من سره ما كان يخفيه تلك الأيام، ورآها فرصة واغتنام. فأبدى ما كان بنفسه، وأظهر في يومه ما عقده بأمسه، فعاد إلى حالته الأولى، وهتف باسم تلك الدعوى التي قد استغفر عنها، وأشهد على نفسه بطلانها. معتذراً بقضية ابن روكان، وأنه صدر إلى جانبه من أصحاب الإمام ظلم وعدوان. وأضاف إلى ذلك أموراً أخر، نقمها على الإمام من إهماله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. مع أنه ما ترك جهداً «٨٧ب» في ذلك ولا غفل، لكن لهوى النفوس سريرة لا تُعلم. وتارة يذكر سبق دعوته وأن ما وقع من التسليم الأول والبيعة للإمام المرة الثانية على وجه الإكراه، وأنه إنما صالح كصلح علي بن أبي طالب، فلما حصل ذلك منه الخلاف، وأعاد شق العصا وفق الائتلاف، جهز عليه الإمام جنوده كما سيأتي إن شاء الله تحقيقه.

وفيها توفي الأمير الكبير الهادي بن المطهر بن الشويع بصنعاء اليمن، وكان إليه ولاية جهة نِهْم[4] في ذلك الزمن. ووالده هو الذي كان أميراً مع المطهر بن شرف الدين.

وفيها توفي بحصن شهارة في بيته وقراره السيد الشريف العارف إبراهيم بن أحمد بن عامر. كان المذكور له مقام عظيم وشأن رفيع بحضرة الإمام المؤيد بالله،

(١) شِعْب: يقع غربي صعدة، من أعمال ساقين. (المقحفي: معجم البلدان، ص٣٦٦).

(٢) (٥) ١٠٦١هـ = ١٦٥٠-١٦٥١م.

(٣) كذا وردت في الأصل، وصحتها: (من).

(٤) نِهْم: تقع في الشرق الشمالي من صنعاء، بمسافة ٣٠ كيلومتراً، وهي مديرية من مديريات محافظة صنعاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٧٤٦؛ الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٩٦٩).

مقبول الشفاعة، مرضي الوجاهة كريم الأخلاق، سمحاً، باذلاً، قانعاً، راضياً، فاضلاً، وقبر بشهارة رحمه الله. وكان معرفته في علم العربية. له عبارة عظيمة، وخطب مليحة. كان يقرأ على الإمام في بعض العلوم ولا يراجع في مسألة، ولا يمارى في خصلة، يدل ذلك على حسن باطنه كما حسن ظاهره.

وفي هذه السنة وقت سكون الإمام بصنعاء وقع بين جماعة من أهل برط كانوا وافدين، وإلى حضرته قاصدين، وبين جماعة من أصحاب الإمام من الخدم خصام، أفضى إلى القتال والصدام، بسبب حضور ضيافة سماط[(١)] في بيت السيد محمد أحمد بن الإمام الحسن المؤيدي «٨٨أ» صاحب العُدين[(٢)]، وذلك أنه ضرب بعض الخدامين رجلاً من برط، فوقع بسببه بينهم المضاربة والمصادمة ثم هرب أهل برط عن باب الدار وبعض أصحاب الإمام في الأثر إلى أن خرجوا من باب شعوب والناس وراءهم حتى بلغوا إلى اللكام بعرض جبل نقم فوق مصلى العيد بفروة[(٣)]، فقُتل منهم في باب شعوب واحد أو اثنان، واصتاب منهم آخرون. وسبب لحوق الناس لهم من الحاضرين أنهم كان شَلوا[(٤)] السلاح في باب دار السيد محمد بن أحمد وهو في حوطة الإمام صلاح الدين[(٥)]، فلما انفض الحادث أنصفهم الإمام، وأعطاهم العطاء الجزيل التام، وساروا لادهم.

وفيها أو في غيرها مات السيد زين العابدين العيدروس الشافعي الصوفي. كان له معرفة بمذهب الشافعي. وكان شرف الإسلام الحسن بن الإمام كتب إليه وهو باليمن

---

(١) السماط: هو كل ما يُمد ليوضع عليه الطعام في المآدب، فالأسمطة موائد كبيرة. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مجـ٣، ص٤٨٧).

(٢) العُدين: منطقة واسعة في الجنوب الغربي من صنعاء، تنقسم إلى ناحيتين واسعتين، ومركز القضاء في مدينة العُدين. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٥٩٠).

(٣) مصلى العيد: في الجهة الشمالية خارج صنعاء، وهو أول جبانة عُمرت في اليمن على عهد الرسول ﷺ. عمرها فروة بن مسيك المرادي، لهذا سمي الشارع باسمه. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٣٩).

(٤) شَلوا: أي أخذوا.

(٥) هو الإمام الناصر صلاح الدين بن محمد بن المهدي علي. وحوطتة بجوار المسجد، وقد سبق ذكر موقع المسجد.

عند أول استفتاحه وتلك الفتن يدعوه إلى الإجابة، ووعده بالإحسان والكفاية، فأجاب المذكور بجواب غير مطابق، ومن جملته: أنه لا تجب عليه الإجابة في ذلك الوقت في كلام ذكره في الجواب، وتوسع معه في الخطاب والعتاب، لأجل ما يصدر في الصحابة والسلف من السباب. وقد تقدم ذكره.

وفي هذه السنة تغير هواء صافية ذي بهلان من أعمال جهات ضوران، وهي معروفة من قديم الزمان بضعف الهواء وما فيها من الوباء، فارتفع عنها بقية الساكنين، وصارت قفراً لا يوجد فيها «٨٨ب» غير الذاهبين والجايين، وعادت إلى حالتها الأولى، وسبب ذلك أن في وقت سكون شرف الدين الحسين بن الإمام في تلك الأيام اتفق نضوب المياه وقلتها عما كانت عليه قبل من كثرتها ووسعتها، فحسن الهواء لأجل ذلك، وزال الوباء من ذلك، فلما عاد الماء إلى الزمان السالف وغالت أرضها، ضر وخمها ووباءها، فانتقل جميع من فيها عنها، فصارت بيوتها ومساكنها خالية قافرة بعد أن كانت عامرة. عبرة لمن اعتبر، وتذكرة لمن تذكر، فسبحان من لا يزول ملكه، ولا يحول أمره. وصارت الآن خاربة، وأبنيتها خاوية.

وفي هذه السنة سار الإمام إلى شهارة.

وفيها رفع الإمام يد السيد علي بن المهدي عن ولاية قُعار[1] لشيء انكسر عنده من المطالب، وأخذ ما معه من المنقولات مقابل ذلك الذاهب. ثم ولاه بعد مدة المِحرَّق[2] الشرف.

وفي هذا العام أمر الإمام بأنه لا تؤخذ زكاة السوائم إلا من النصاب التام، ففعل ذلك في بعض الجهات دون بعض.

وفي هذه السنة أمر الإمام بقطع شجرة في بلاد عذر كانت مقصداً للعوام، بالنذور والتعظيم

(١) قُعار: عزلة من بلاد ريمة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٦٥٦).
(٢) المِحرَّق: من بلاد الشرف في حجور الشام. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٢٤١).

والكلام. جعلوها كشجرة ذات أنواط[1]، التي كانت في مدة النبي ﷺ، ونهى عنها.

وفيها وقعت صاعقة عظيمة بجامع صنعاء الكبير[2]، فأخذت جانباً من المنارة الشرقية في وسطها وعرضها فتحت منه باباً، ولم تهدمها، فأُصلح ذلك الخلل وسُد. واتصلت الصاعقة إلى داخل المسجد المؤخر، فأهلكت رجلين اثنين كانا في الصلاة. والحكمة في ذلك لله، والله أعلم.

وفي تاسع شهر الحجة منها وقع زلزلة بصنعاء وغيرها، وتبعتها أخرى في شهر ربيع الأول من سنة سبع وخمسين وألف[3].«٨٩أ».

ودخلت سنة سبع وخمسين وألف

في سنة سبع وخمسين وألف وصل رسول ملك النصارى بالحبشة بمكاتبة إلى الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم. وكان قبل ذلك أيضاً قد أرسل إلى الإمام المؤيد عام سنة اثنتين وخمسين وألف، ووجه صحبته بهدية من الرقيق، والزَّباد[4] وسلاح الحبشة. وضمّن كتابه الأول والثاني استدعاء رجل يصل إليه من خاصة الإمام، فأما الإمام المؤيد فإنه اقتضى نظره عدم الإسعاف بإرسال رسول إليه، بل أجاب عليه بجواب، ووجه إليه هدية عوض هديته، ورجع من بندر المخا، وأمر النقيب سعيد بن ريحان متولي المخا بتجهيزه، وبلغوا به إلى بندر بيلول المعروف، بلد السلطان شحيم بن

---

(١) ذات أنواط: شجرة كانت تُعبد في الجاهلية. قال ابن الأثير: هي اسم سَمُرة بعينها كانت للمشركين، يعلقون بها سلاحهم ويعكفون حولها. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٣، ص٧٤٤).

(٢) جامع صنعاء الكبير: أول مسجد عمر باليمن في صدر الإسلام، عمره وبر بن يحنس الأنصاري سنة ٦هـ، ثم قام الكثير بزيادة الجامع وتحسينه وتوسيعه، لعل من أشهرهم (السيدة أروى بنت أحمد الصليحي). (للمزيد انظر الحجري: مساجد صنعاء، ص٢٣).

(٣) ربيع الأول ١٠٥٧هـ = إبريل ١٦٤٧م.

(٤) الزَّباد: هو عطر الزباد، وهو من موارد الحبشة النادرة الوجود في العالم، ويدخل كعنصر مهم في صناعة العطور. وهذه المادة تفرزها غُدد خاصة تقع بالقرب من الأعضاء التناسلية للحيوان المعروف باسم (قط الزباد). للمزيد انظر. ممتاز العارف: الأحباش بين مأرب وأكسوم، ص٣٦٥-٣٦٦).

كامل الدّنكلي. إلى سنة سبع وخمسين وألف [1] ثم إن الملك المذكور عاود بكتاب آخر وهدية أخرى، وذكر في كتابه ما معناه: أن المهاداة بالمال ليس هي نفس المقصود وإنما هي تبع للوصول إلى نيل الغرض بإرسال الرجل الذي استدعينا وصوله. وقد كان سبق قبل هذا وفاة الإمام المؤيد بالله، فلما وصل رسول الملك المسمى «٨٩ب» سجدَ فاسِلدَاس ابن السلطان سجد سَيْنوس -ومعنى سجد كثير السجود، ومعنى سينوس من أسماء الله بلغتهم- إلى بعض أطراف الحبشة بلغه خبر وفاة الإمام المؤيد، أرسل إلى الملك يرفع الخبر، فرجع له الجواب أن ينفذ لما أُمر به. وجعلوا كتاباً آخر إلى الإمام المتوكل، وأمره الملك أن يبلِّغ الكتابين جميعاً ليكون كل واحد مؤكداً لمضمون الآخر، فوصل الرسول إلى حضرة الإمام في عام سنة سبع وخمسين وألف. وكان خروجه بندر المخا، وجاءت طريقه بطن تهامة من جانب مدينة زبيد، ثم على مدينة مور والأمروخ، ونفذ إلى هجر الأهنوم، ووصل إلى الإمام وهو بحصن شهارة، فأكرم الإمام نزله، واطَّلع على كتبه لاستدعاء رجل من عنده لسر لا تحتمله الأوراق، فاختص الإمام بالرسول وسأله هل عنده ظن بمراد ملك النصارى، فقال له: الذي يبلغ إليه ظني أنه يريد الإسلام. فلما قال ذلك «٩٠أ»، استشار أصحابه وكتَّابه، فاتفق نظر الأكثر منهم إلى إجابة هذا الملك، وأنه يجب شرعاً حيث قد تعلق الطمع بإسلامه. وقال الأقل من أهل مشورته بخلاف هذا الرأي، وأنه لا يغلب على الظن أن هذا قصد ملك النصارى، ولا يريده. فاطرح الإمام هذا الرأي الصائب لـمَّا كان القائل له هو المخالف لرأيه. وكان القاضي العارف الحسن بن أحمد الحيمي واصلاً من حج بيت الله وزيارة النبي ﷺ، فعرض الإمام هذا الأمر عليه، فأجابه القاضي إلى مطلبه، وأصحبه الإمام هدية فيها بعض شيء من البنادق، وآلات الخيل، والسيوف. وكان الأولى في

---

(١) قام المؤلف بنقل رحلة الحبشة، وهي من كتاب: (حديقة النظر وبهجة الفكر في عجائب السفر) للقاضي الحسن بن أحمد الحيمي، الذي وصف فيها رحلته إلى الحبشة وصفاً دقيقاً. وبما أن هذا الكتاب أو هذه الرحلة قد نُشرت وحُققت، لذلك سنحاول إثبات النص كما كتبه مؤرخنا دون التعليق في الهامش. ومن أراد الاستزادة يعود إلى ماتم تحقيقه لكتاب الرحلة نفسها. (للمزيد انظر د. حسين العمري: المؤرخون اليمنيون، ص٥١).

الهدية إلى مثل هذا الملك الكافر غير ذلك من الكسوة ونحوها لا السلاح والبنادق فإنها لا تجوز للكافر. ثم أمر بإنشاء رسالتين، وقال الإمام للقاضي: إذا انتهيتم إلى هذا الملك أظهرتم له هذه الرسالة المتضمنة للجواب «٩٠ب» عليه، وذكر الهدية وأخرتم الرسالة الأخرى حتى تجتمعوا به، وهو لا بد ما يفيض عليك ما عنده، فإن وجدتموه يريد ذلك الأمر والدخول في ملة الإسلام دفعتم إليه الرسالة الأخرى وإلا تركتموها. فتوجه القاضي حسن في غرة شهر جمادى الأخرى إلى محروس بندر المخا، وتجهز من هنالك في نصف شهر شعبان. وكان جملة السفر في البحر قدر يومين فقط إلى بندر بيلول.

قال القاضي حسن المذكور: وكان قد استصحبنا معنا كتاباً من صاحب المخا إلى صاحب بيلول شحيم بن كامل لما بينهما من الاتصال بالمكاتبة، وحسن المعاملة. وكان قد خرج صحبتنا جماعة من تجار الحبشة، فالتقانا شحيم بن كامل بالكرامة والضيافة، وعلم بمقصدنا. وكان للمذكور اتصال بملك الحبشة النصراني؛ لأنه إنما نشأ في ديار الحبشة وله هنالك أهل وأولاد، والملك يعدُّه من خاصته وأهل بطانته، إذ هي قاعدة من هنالك من المسلمين «٩١أ» فإنهم يخالطون النصارى ويعاونون، وهو في حقيقة شرع الإسلام لا يجوز وكان اجتمع مع السلطان شحيم هذا كثير من بدو بلاده، لهم صور منكرة، ونساءهم ورجالهم مختلطون، وهم عراة لا يستترون، ولسانهم أعجمي بلغة تخصهم ليست من لغة الحبشة، فإذا وصلوا إلينا نظرونا من بعد يتعجبون بالنظر إلينا ونحن بالنظر إليهم أعجب. وكثير منهم يتزوج باثنتي عشرة امرأة. قال القاضي: ثم إنه استقر ببيلول نحو شهرين أحدهما شهر رمضان الكريم، ثم لما كان العيد اجتمعنا نحن والسلطان وصلينا في الجبانة. ثم لما كان عقب العيد بثمانية أيام توجهنا من بيلول وفي صحبتنا السلطان شحيم بجماعة نحو ثلاثين نفراً، والذي معنا من أصحاب الإمام قدر خمس وعشرين نفراً ببنادق تعقبنا في الطريق، لأن أهل تلك الجهة لا يعرفون البندق من أهل الطريق. قال القاضي: وهذه الطريق «٩١ب» فيها مقاطع من الماء، والخوف من البدو الذين يقال لهم القالة. فاحتجنا إلى مراسلات كبار البدو

بنظر السلطان شحيم بن كامل وبـذل الأمـوال لهـم. قـال: وبعـد أن تقـررت الأمـور بحسب الظن توجهنا في ذلك الوقت من بيلول في أرض مستوية كثيرة الأشجار، نحـو مرحلتين، ثم دخلنا بعد ذلك في أودية بين جبال عالية، وفيها مياه جارية. وجـاء الخـبر أن البدو يريدون الغزو، وأن كونـوا عـلى أهبـة، فجـاءت أربعـة فيلـة في تلـك الليلـة، فأدركها الحرس، وسمعوا حسيسها في الـوادي، فـاجتمع النـاس بعـضهم إلى بعـض، فرمت عليها البنادق، فلما سمع البدو رمي البنادق، حصل معهم الرعب وتفرقوا. قال القاضي: واستمر سيرنا قدر اثنتي عشر مرحلة حتى وصلنا محـلاً يُـسمَّى (عـين مـلى). وهذا المحل أعظم خوفاً لقربه من القالة، وذلك الوادي عظيم الوحشة، وهؤلاء القالـة أمة شديدة «٩٢أ» البأس، كثيرة العدد، بعيدة الأمد، إذا توجهوا للحرب على أحد مـن الناس من الكفار أو غيرهم كالمسلمين في جهة مدينـة (أوسـة) ومـا إليهـا، فقـد يبلـغ عددهم نحو مائة ألف. ثم أنهم مع هذا أهل قوة في أبدانهم، وصـبر عـلى طـول الـسفر واحتمال المضرة. ولقد حكى من له خـبرة بـأحوالهم أن الرجـل مـنهم إذا صرخ بـأعلى صوته عند ملاقاة الحرب، وسمع ذلك بعض الكفار من النصارى انفلق قلبـه فيمـوت من نفس الصوت. وهم مُسلطون على نـصارى الحبـشة مـن جميـع جهـاتهم وأطـراف بلادهم، لا تجد جهة من جهاتهم خالية عنهم. وأكثر السبي إنـما يكـون بأيـدي هـؤلاء القالة وهو من غيرهم نادر. قال القاضي: ثم أقمنا في هذا الموضع المـسمى (عـين مـلي) قدر شهر كامل. وقد كان هذا السلطان شحيم قدم رسولاً من هؤلاء البـدو إلى بعـض أمراء ملك الحبشة، المتولي على أقرب «٩٢ب» قطر إلينا من بلاده يخبره بقـدومنا، وأنـه يتلقانا إلى محل معين قد عيَّنه له بمن أمكنه من جموع النصارى. وهذا الكتـاب قـد كـان سبق من أيام إقامتنا في بيلول، ورجع جوابه إلى هذا المحل المسمى (عـين مـلي). وبعـد رجوع الجواب عليه أظهر المسرة العظيمة، وضرب عليها بالنقارة. قال القاضي: ثم بعد ذلك أمر السلطان شحيم بالرحيل، فارتحلنا وهو في صحبتنا وسار معنا بعد ذلك قـدر خمس مراحل، ثم إنه أشعرنا أنه يريد الرجوع من هنالك؛ لأنه إذا جاوز ذلـك المحـل لم

يتيسر له العود منفرداً بأصحابه خوفاً على نفسه ومن معه. ثم إنه جمعنا نحن وأهل القافلة وأهل الحبشة الذين في القافلة، وأخبرنا أنه يريد أن يجعل معنا من يدلنا في الطريق، ويجنبنا مخاوفها وأخطارها. وكان هنالك ثلاث طرق: إحداهن ظاهرها الأمان من القالة، والثانية يجوز فيها المخافة منهم، والثالثة مقطوع بخوفها منهم، لكونها في أوطان القالة ومراعيهم ومخاليفهم، فاختلف «٩٣أ» رأي أهل الحبشة في الطريق، فرسول الملك الذي معنا يريد سلوك هذه الطريق المأمونة، وإن كانت بعيدة، وسائر أهل الحبشة يريدون سلوك الطريق الوسطى مع تجويز بعض الخوف، وكلهم لا يريدون سلوك الطريق الثالثة، فقال السلطان شحيم: نجعل لكم فريق منكم دليلاً يدله على طريقه التي يريدها، فطلب لنا رجلاً جمع بيننا وبينه، وأخذنا عليه عهداً أنه لا خاننا ولا غدرنا ولا سعى لنا فيما فيه ضرر، ولأهل الحبشة رجلاً آخر كذلك. ثم قال لنا: بعد هذا يكون مسيركم أنتم وأهل الحبشة مرحلتين مجتمعين ثم تفترقون بعد ذلك. وقال لهم السلطان شحيم: ليس بعد هذا إلا طريق مقفرة حتى تصلوا أرض الحبشة. فتودعنا السلطان شحيم وأصحابه في ذلك المحل، وعزمنا على سيرنا مع ذلك الدليل، فاستمر بنا السير ثلاث مراحل، وانتهينا إلى جنب جبل عظيم أبلغ ما يكون من العظم في الانبساط «٩٣ب» والارتفاع، ووجدنا هنالك بحيرة يتصل ماؤها بذلك الجبل وبجبال أُخر من أطرافها، ماؤها مالح أُجاج، وقياسها بالمساحة نحو بريد كامل. فلما وصلنا ذلك المحل رأينا من الدليلين مساررة في القول، وأدركنا منهما دلائل الخيانة، فطلبنا دليلنا ولاطفناه في العبارة، فلم يجب علينا بجواب تطيب به النفس، وإنما هو يغالطنا، فتحيرنا في ذلك المحل ثلاث ليال على ما فيه من عظم الوحشة، وكثرة السباع في الليل، وخوف القالة. قال القاضي: ففي ذلك المحل وما بعده كنا نستر النار بجنب صخرة أو نحوها في الليل لئلا يروها القالة فيغزون علينا، فلم نشعر ونحن في هذه الإقامة جنب ذلك الجبل إلا وقد انصب علينا من أعلاه ثمانية أنفار، فوصلوا إلينا واجتمعوا مع الدليلين في جانب منا يتسارون في الحديث، وأظهروا لنا أن هذه البلاد

بلاد هؤلاء القوم، والتصرف لهم فيها، وهم يحتاجون إلى صحبة ويعزمون مع القافلة.

قال القاضي: فلم «٩٤أ» نجد بُداً من تسليم ما تيسر من المال لأولئك الجماعة، ثم ارتحلنا ونحن نسألهم عن الطريق التي نريد سلوكها، فجمعونا جميعاً في طريق واحدة ولم يأتوا الطريقين التي كان بُني عليهما. وكنا في سيرنا نتوجه إلى ما بين القبلة وجهة المغرب، فرأينا الطريق قد مالت وأهل الحبشة والقافلة قد تواثبوا على الدليلين وأولئك الجماعة الذين معهما، وقالوا لهم: قد غدرتمونا وهذه الطريق هي التي نفر منها، وهذه محال القالة ومراعيهم، فلم يجيبوا عليهم إلا أن قالوا: أما غير هذه الطريق فليس فيها شيء من الماء. وقد كان أمير الملك الذي سبق إليه كتاب السلطان شحيم قد أرسل رسولاً يقف في أعلى جبل عال يستطلع أخبارنا بظهور نارٍ أو نحوها، وصار ذلك الرسول يتنقل في الجبال وقد كان أدرك ناراً في شاطئ تلك البحيرة التي قدمنا ذكرها من رأس جبل عال على قدر مرحلتين للبريد، ومعه جماعة قد استصحبهم ممن يخالط القالة. وهذا الرجل خبير بتلك القفار، فأصبحنا ذلك اليوم إلى وادٍ فيه ماء سائل، وهذا «٩٤ب» الوادي يرعى فيه القالة إلا أنهم كانوا في ذلك الوقت في جانب بعيد لطلب المرعى، فلما رآنا الرجل دخلنا الوادي انحدر من الجبل بمن معه فعرفه أهل القافلة من الحبشة. ولما شربت المواشي من هذا الماء في الوادي هلك منها البعض لشدة ما شربت مما قد نالها من العطش. قال القاضي: ثم إن هذا الرجل أمرنا بالارتحال بسرعة وأمر أصحابه في أعالي الجبال ليكونوا عيوناً. وكان ينزل بنا في أماكن حصينة لا يكاد يرتقيها القالة لأنهم يذكرون عن القالة أن الذي يلوذ بالجبال لا يطلبونه ولا يعبأون به، وإنما يأخذون من وجدوه في سهول الأرض، قال: فكان ذلك الخبر يؤنسنا مع حسن التوكل على الله عز وجل. ثم اجتمعنا بهذا الأمير المسمى (احَدَ أنْبَسه) هذا اسمه ولقبه (بعل جَادة)، وهذا الاسم يُسمى به كل من يتولى ذلك القطر من قبل ملك الحبشة النصارى. ولما وصلنا إليه وجدناه متعلقاً بجبل صعب المرتقى، فلما رآنا انحدر إلينا، واجتمع بنا في بطن الوادي، وضرب فيه خيمة واجتمعنا به فيها، وضربت

البنادق عند الوصول «٩٥أ» وفيها رصاص هالهم ذلك واستعظموه لعدمها عندهم، وقد رأيناهم إذا ضُربت البنادق انحطوا راكعين إلى الأرض. وهذا الأمير رجل أشيب، مكشوف الرأس على قواعد أهل الحبشة، مطول الشعور والأظفار، أشبه شيء بكبار القردة، غير أني رأيته بعد أن عرفت حال غيره أحسن أهل الحبشة رأياً وتدبيراً وصبراً وسياسة. وقد كان يستصحب معه من الطعام المصنوع والدقيق ما يقضي منه حاجة الناس من الطعام الحاصل. ثم استمر سيرنا صحبة الأمير (بعل جادة) قدر خمس مراحل حتى وصلنا أول بلد من أصل بلاد الحبشة وهي قرية بين جبلين عظيمين عندها نهر عظيم تُسمى (وسمة) في ولاية هذا المذكور، وهي طرف بلاده وثغر من ثغورها، عليهم التزام حراسة القالة في كل شهر عشرة أنفار يتناوبون في جبل يُسمى (كُحْل) لأنه على مسلك القالة، لا ينفذون من بلاد النصارى من غيره، فإذا علم هؤلاء الحرس بتوجه القالة «٩٥ب» رفعوا خبرهم إلى قومهم.

قال القاضي: وقدر المسافة فيما بين بيلول وبين بلاد ملك الحبشة شهر كامل للقوافل يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً. ولما وصلنا إلى هذا المحل وهو (وسمة) على وزن زنَمة توجهت الرسل من هنالك إلى الملك من الأمير بعل جادة ورسول الملك الذي معنا ومصحباً لنا يخبرانه بقدومنا إلى بلاده سالمين من الأشرار، ويستفهمونه بكيفية سيرنا في بلاده، وما يتوجه على أهل البلاد من الضيافة والزاد. وكان ذلك في مشارفة عيد الحجة الحرام من السنة المذكورة. ثم تقدمنا صحبة ذلك الأمير إلى محله ومسكنه وقرية مستوطنه في جبل عال اسمه (حنطالوه)، واسم هذه البلاد على عمومها (أَنْدَرْتَه)، وهي بلاد مُسْتَوية، كثيرة العشب والنبات، متسعة الخيرات، كثيرة العسل. ولقد كنا نشتري منه بالشقة السوداء من بز المراودي ما يزيد على أربعين رطلاً «٩٦أ» صنعانياً من الشهد الأبيض الذي ما رأت العين مثله. وأقمنا في ذلك المحل أربعين يوماً، وكانت صلاة عيد الحجة فيه، خرجنا إلى ساحة البلد واجتمعنا ومن انظم إلينا من المسلمين، وأقمنا الصلاة وهم ينظرون إلينا ويتعجبون مما نحن فيه، كما نتعجب مما هم

فيه. ووصل إلينا إلى ذلك المحل الفقهاء آل كبيري صالح، عرفوا بهذا الاسم، وهو اسم تعظيم يسمون به الرجل المعتقد. وكان بأيدينا كتاب إليهم من الإمام وكسوة، فدفعنا ذلك إليهم ورأينا عليهم سيما الخير ونور الإسلام، وكان بعضهم يعرف لسان العرب، ووصل أيضاً معهم رجل آخر اسمه كبيري له معرفة بمذهب الشافعي، وهو أفقه من آل كبيري صالح، وهم أشهر منه في تلك الجهة لعلو منصبهم، وهم جميعاً على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه. ولما مضى أربعون يوماً إقامة في ذلك المحل، رجع جواب الملك صحبة رجل من أهل خدمته وصحبته وخمسة أنفار. وحين عرف الأمير (بعل جادة) «٩٦ب» تلقاهم إلى الطريق، وقرأ الكتاب هنالك وهو قائم على قاعدتهم، ثم رجع ووصل إلينا يخبرنا بما قاله الملك في كتابه وما أمره به وغيره من أهل الطرقات من كرامتنا، والقيام بما يتوجه من حق الضيافة لنا. ثم إن الأمير بعل جادة ألزم بما نحتاج إليه من الظهر لحمل الأثقال، فسارعوا إلى ذلك وتوجهنا للوصول إلى الملك، فكان السفر حين خرجنا من بلاد (اندَرْته) ثلاث مراحل، ثم وصلنا إلى بلاد (السحرت)، وتلقانا رئيس تلك البلاد رجل اسمه (إسحاق) واجتمع (إسحاق) ببعل جادة. وكان دخل في دين الإسلام معنا رجل، فقبلنا ذلك منه، وكان أصحاب (بعل جادة) أرادوا أن يرجع إلى دينهم، فمنعهم (بعل جادة) وقال: باختياره إذا أحب الدخول في دين الإسلام فلا نعترضه، وكان أراد الأمير (إسحاق) قتله، فمنعه (بعل جادة) وقال له: هؤلاء أضياف الملك لا تقع منا إساءة إليهم، ثم إن أمير (السحرت) أمر أهل بلاده بالضيافة والظهر «٩٧أ» لحمل النقل، ثم طلب منهم جيشاً للصحبة في الطريق لأجل الخوف، فحضر نحو ألفي رجل بالحراب والخيل، وتوجهنا من بلاده، فسار بنا نحو خمس مراحل حتى اتصلنا ببلاد (ابْرَقَلّى)، وهي بلاد وعرة، وجبال عالية، وأوهاط منخفضة، فتلقانا أمير هذه البلاد، رجل غاب حقيقة اسمه ولعله (قباقُسْطُوس)، فسارع بتجهيزنا من بلده لحقارتها، وسار سيراً متصلاً، ومراحل متسعة قدر سبع مراحل كلها خائفة، وله عيون يسيرون في رؤوس الجبال. ووجدنا بين هذه

الجبال نهراً عظيماً من آيات الله الباهرة، وفيه حيوانات البحر العظيمة، وظهر لنا فيه حال سيرنا شيء كالقبة العظيمة في الماء في جانب النهر، فلما وصلنا إليها وجدناها حيواناً ميتاً يقال له: فرس البحر. وهذا النهر لا يتمكن المار من قطعه إلا من أماكن مخصوصة، متسعة العرض ينبسط فيها الماء « ٩٧ب» ثم تكون مستوية لا ينحدر فيها الماء لأنه مع الإنحدار يكون له قوة، فإذا كان المكان على هذه الصفة سلك فيه المار. والماء يتصل إلى يدي الإنسان وإلى ركاب الفرس، في مقدار العرض مائة ذراع. وهذا النهر ينصب ماؤه في نيل مصر على ما حكاه لنا بعض أهل الحبشة، وهو أصل نيل صر.

قال القاضي: ثم إنَّا بعد سبع مراحل اتصلنا ببلاد (الفَلاشة) أولها وادٍ عظيم تحت جبل عال في نهاية السُّمو، وغاية العلو، اسم الوادي (أغْنَة)، واسم الجبل (سُمَين) مُصغراً، وهو أعظم جبال الحبشة، ولو أقل أعظم جبال الأرض لم يكن بعيداً لأنه يوجد في كل طريق من طرق الحبشة، وهو شديد البرد لا أعرف مثله في شدة برده، لا يبرح الماء جامداً فيه شتاءً وصيفاً.

وهذه البلاد عهدة ولايتها على بعض وزراء الملك وأهل الاختصاص بحضرته رجل منهم اسمه دُمُوْه، وله وكلاء ونواب في البلاد، وأما هو فلا يفارق «٩٨أ» حضرة الملك. وهذه القبيلة التي يسمونها (الفلاشة) قبيلة كبيرة، من أعظم قبائل الحبشة. وهم على دين اليهودية وشريعة التوراة. وكانوا من قبل خارجين عن طاعة الملك لاختلاف الدين. وهم أهل نجدة، وشوكة عظيمة، وبسالة، فما زال الملك يغزوهم ويحاربهم ويضايقهم من جميع أطراف بلادهم لإحاطة بلاد النصارى بهم حتى غلبهم واستنزلهم من حصونهم، ودخلوا في طاعته، ودانوا له بمغالبه، وجعل بلادهم إلى ولاية هذا الوزير. ودخل أكثرهم في دين النصرانية، ولم يبق إلا اليسير على دين اليهودية، لا يعترضهم الملك في دينهم وإنما يطلب منهم الطاعة.

واستمر سيرنا في هذه البلاد حتى اتصلنا ببلاد (الأمحرة) الذين هم عشيرة الملك وكرسي مملكته «٩٨ب» وأهل نصرته.

وكان سيرنا في بلاد الفلاشة وبلاد الأمحرة قدر اثنتي عشرة مرحلة، وبعد تمام الاثنتي عشرة وصلنا قرية قريبة من مدينة الملك أهلها كلهم مسلمون، وفيها مسجد ومكتب لتعليم صبيانهم القرآن، فاستأنسنا بذلك غاية الأُنس، وسررنا به أكمل المسرة مما قد قاسينا من مخالطة الكفار، والنظر إليهم وإلى منكراتهم. ولما وصلنا هذه القرية المختصة بالمسلمين جاء رجل إلى الحاج سالم بن عبد الرحيم رسول الملك الذي نحن في صحبته يخبره أن رجلين من أصحابه قد اتصلا بوزراء الملك وألقيا كلاماً إليهم معناه: أن الحاج سالم قد جاء صحبته بهذا الرجل العربي، وهو من أهل شريعة دين الإسلام ويريد أن يدخل الملك في دينهم، ويغير دينكم، ويمحق شريعتكم. وأمرنا هذا الرجل النذير بافتقاد ما معنا من كتب الإمام لئلا يكون فيها شيء مما يصدق ذلك الحديث، فجاء الحاج سالم إليَّ مبهوتاً من ذلك،خائفاً مرعوباً،وقال لي: انظر «٩٩أ» في كتاب الإمام وتحقق ألفاظه، فإن وجدت فيه ما تخشى عاقبته أصلحته، وحولت عبارته، وقلت فيه ما شئت فإنهم قوم لا يفقهون، فأعدت نظراً في الكتاب، وهو غير مختوم فإذا فيه من الكلام ما نجد له عذراً وإن كان فيه نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾[آل عمران:٦٤] إلى آخر الآية، فكنا هيأنا لمثل ذلك عذراً إن جرى فيه المناقشة، على أن قلوبنا في ذلك ساكنة شديدة لم نجد فيها قلقاً ولا اضطراباً، فكتمنا ذلك في نفوسنا، وأسررناه في ضمائرنا. ثم تقدمنا ذلك اليوم إلى محل يتصل بمدينة الملك ويعد من جوانبها، ووقفنا هنالك، فبتنا في هذه القرية طاوين عن الطعام، ثم إنا بعثنا رسولاً إلى الملك يخبره بوصولنا إلى ذلك المحل، ويستأذنه بقدومنا عليه، فأبطأ الرسول ولم يرجع الجواب إلا في اليوم التالي لبعد منال الملك، وصعوبة الاتصال به، وسوء «٩٩ب» معاملة وزرائه وأعوانه، وتزاحم أشغاله. ولما رجع إلينا جواب الملك يأمرنا بالدخول إلى المدينة والمبيت في بعض بيوت الوزراء رجل اسمه حواريا، فدخلنا في بقية ذلك اليوم وهو يوم الجمعة المباركة سلخ شهر صفر المظفر عام ثمان وخمسين وألف، فمررنا

في أزقة المدينة وقد اجتمع فيها من جموع النصارى الذكور والإناث على قواعدهم في عدم حجاب النساء ما لا يعلم قدره إلا الله، ولا يحصي عدهم سواه للفرجة علينا، فانتهينا إلى بيت ذلك الوزير الذي أمر الملك بالنزول تلك الليلة فيه، ووصلت إلينا الضيافات من بيت الملك ثم من سائر وزرائه طعاماً مصنوعاً وعسلاً كثيراً وبقراً وغنماً، وخلطوا في هذه الضيافة شيئاً من دِنان الخمر العظيمة يحسبونه من كمال الضيافة، فأشار إليهم الحاج سالم بن عبدالرحيم رسول الملك: أن يرفعوا ذلك، وبيَّن له حكمه في دين الإسلام. «١٠٠أ» الذي شرفنا الله به، فسارعوا برفعه. ثم لما كان صبح تلك الليلة أمر إلينا الملك يستدعي وصولنا إليه، فتقدمنا إلى قلعة الملك وأشرفنا على دار عالية، وبنية سامية من أعجب المباني الباهرة، وأحسن العجائب الفاخرة، مبنية بالحجارة والنورة، وليس في تلك المدينة ولا في أرض الحبشة غيرها فهي في أكمل منظر وأجمل صورة لأن سائر البيوت في تلك الديار جميعها إنما هي عشاش من نبات الأرض. والباني لهذه الدار رجل من أهل الهند. وهذه القلعة التي تختص ببيوت الملك في جانب المدينة وأعلى محل فيها، وهي تشتمل على دور عديدة، وساحات مديدة. وحول هذه الدار مبان أُخر أرضية منسقة الطول والعرض والسمو، بسعة ما رأته العين في شيء من المباني. وهذه المباني معدودة لقعود الملك فيها، وفي كل مكان منها «١٠٠ب» ما ينبغي أن يزين من الفرش الرومية المنوعة، ومطارح الهند الملمعة بالذهب، والجواهر مرصعة، فناهيك بذلك استدراجاً لذلك الكافر.

ولما وصلنا إلى الملك وقد انتظم مجلسه في تلك الدار، وتهيأ أهل الحضرة من الوزراء وغيرهم بأفخر هيئة، وأعظم أبهة حيث لبسوا مطارف الديباج المطرزة بالذهب، ومطارف الحرير التي يقضي منها الناظر إليها بغريب الصنعة ونهاية العجب. وجعلوا في أوساطهم مناطق الذهب المحلاة بالفصوص الفاخرة، ونفيس الجواهر التي هي لهم في الدنيا ولنا إن شاء الله في الآخرة. ثم أخذوا في أيديهم السيوف السنارية المحلاة كذلك بعين الذهب الخالص، ثم انتظموا بذلك المجلس قياماً أحسن نظام مع تمام

صورهم بما خلقهم الله عز وجل عليه من بسطة الأجسام، وألوانهم مع ذلك غُبْر «١٠١أ» مشوهة بالسواد الفاحم، ورؤوسهم مكشوفة عن الشعر الجعيد الناعم، وفي أيديهم أساورة الذهب، وفي آذانهم الأقراط المتلألئة كاشتعال اللهب.

قال: ولما نظرنا الملك وجدناه قد نزل عن سريره وقعد على الأرض إكراماً لنا وإعظاماً، وقاعدته أن لا ينزل لأحد إلا أن يكون في أعلى الكرامة، ثم إن كل وافد لا يقعد بين يديه إلا بإذنه، ولايأذن إلا لمن كانت منزلته كذلك. فلما استقر بنا المجلس أقبل علينا الملك وقد أعد ترجماناً شريفاً يقول: إنه من آل الحسين بن علي رضوان الله عليه، من أرض بخارى. وهو ملازم حضرة الملك، قد استحوذ عليه الشيطان. وهذا الشريف يعرف لسان العرب أحسن المعرفة، فاستقام بين يدي الملك يعبر عنا وعنه، وبالغ في طلب التحقيق عن الإمام وخواصه، ثم بدأنا بالسؤال عن كتاب الإمام الذي في أيدينا واستدعاه منا بمسمع من أهل حضرته، فأجبنا عليه أن معنا «١٠١ب» كتاب وصحبته هدية، ولإيصاله وإيصال الهدية مجلس آخر كما هي القاعدة، فأحب الشريف الترجمان قبل أن يبلِّغ الملك أن قواعد هؤلاء القوم غير ما عرفتموه؛ وهو أن الوافد يقدِّم هديته بين يديه حال قدومه، فقلنا له بلِّغ الملك ما قلناه، واعتذر لنا فيما جهلناه، فبلَّغ الشريف ما عرَّفناه به وقبل عذرنا ثم قال بعد ذلك: في أي محل تريدون النزول من المسلمين؟ أم من منازل النصارى؟ وهناك حافة للمسلمين مخصوصة محصورة في جانب من المدينة، فقلنا له: منازل المسلمين أولى بنا والكل في جواركم، فأمر معنا ذلك الشريف ينزلنا في بيوت تصلح لنا، ففعل الشريف ذلك، وبقينا تلك الليلة وافتقدنا كتاب الملك والهدية، ثم استأذنا على الملك في اليوم الثاني للوصول إليه فأذن لنا، وتوجهنا إليه بها، ووجدنا حضرته كما كانت بالأمس، فدفعنا إليه الكتاب، فقرأه الشريف الترجمان جهراً يسمعه أهل الحضرة، وعبر عنه بلسانهم الذي يعرفونه، ثم سلَّمنا تلك الهدية بأعبائها شيئاً فشيئاً «١٠٢أ» حتى أتينا على آخرها، ثم انصرفنا من

حضرة الملك وقد أمر الوزير أن يجري علينا من النفقة ما نحتاج إليه، فأجرى لنا الملك في كل شهر ثلاثين حملاً من الحنطة، وأربعين رأساً من الغنم، وأربع رؤوس من البقر، وعشرين جرة من العسل، وست جرار من السمن. واستمر ذلك مرتباً في كل شهر. ولما كان بعد مضي ست أيام من حين وصولنا طلب الملك وصولنا إليه، وأمرنا أن نقلل من الجماعة المصاحبين، ففهمنا أنه يريد ذلك الموقف الذي فيه ما يكشفه من سره وغرضه، فتوجهنا إليه وصحبنا جماعتنا غير أنهم بعد وصولهم حضرة الملك خرجوا من عندنا ووقفوا في حجرة الدار، ولم يبق في حضرة الملك من وزرائه غير ثلاثة منهم من كبارهم، وبقية الوزراء والأعوان متوارون عنا يسيراً وهم يتطلعون إلى سماع ما يقال من الحديث. وأمر الملك الحاج سالم -رسوله المقدم ذكره- أن يترجم عنه وعنا في ذلك الموقف. وأفاض إلينا مكنون سره، «١٠٢ب» وأعلن بما كان أضمره في صدره حتى أتى على آخره، وجوابه ليس مطلوباً منا غير أنا جاريناه في ذلك المقام بما يليق بالحال من ترويج الكلام، وتلقى ذلك الحديث بالإقبال التام. وختمنا المجلس بأخذ الحقيقة من الملك لما سألناه عن ذلك الحديث أهو الذي استدعى وصولنا إليه من أجله؟ فقال: نعم هو هذا بعينه، وهو أمر عظيم لا يصونه إلا مثلكم، فقلنا: هل بقي في نفوسكم شيء؟ فقال: هو هذا ولم يبق غيره مما نُريد لحسن وصولكم إلينا من أجله، فانصرفنا من مجلسه ذلك وأخذنا نتصفح أقواله، وهل نجد سبيلاً إلى الخوض معه في ذلك الأمر الذي هو غاية الأمل وهو الذي كان نظن من الإسلام، فلم نجد في تلك الدار لذلك النداء من يكون إليه مجيباً، فكنا نحن وإياه كما قيل: إنك في وادٍ وأنا في واد، ولكم بين مريد ومراد، فأعرضنا عنه صفحاً، وسدلنا دونه ثواباً، وطوينا عنه كشحاً «١٠٣أ». ثم إنه وصل إلينا عقب وصولنا حضرة الملك رسول من بعض تجار اليمن من جهة مصوع يرفع ما نريده من أخبار اليمن، ثم إنا كتبنا إلى الإمام إنا نريد الخروج من طريق مصوع، وأنه يكتب إلى الباشا هنالك الذي من قبل ابن عثمان يستأمن لنا منه؛ لأن

العود من الطريق التي دخلنا منها غير ممكن، ولا سبيل إليه، ولا يلدغ المؤمن من جُحر مرتين. ثم كان من الألطاف الخفية أنه وصل إلى حضرة الملك رسول من قبل الباشا من جهة سواكن، ومعه هدية للملك، وهذا الرسول رجل عربي اللسان من أهل سواكن، اسمه الأمير (عبدالوهاب) حسن الأخلاق، كامل الصفات، جميل المعاشرة، سنِّي المحاضرة، كريم الطباع، له نسك أهل الصلاح، يحفظ القرآن غيباً حفظاً جيداً، وعناية تامة، وله مشاركة في كتب الآداب والسّير، فأسررنا إليه بما نريده بأنا نريد الخروج من جهة مصوع، فأحسن في الجواب، وكشف عن وجهه الصواب، وقال: اعلم أني ما دخلت «١٠٣ب» بهذه الهدية إلى هذا الملك إلا متوصلاً بها إلى الإحاطة بأخباركم، فإن محمد باشا صاحب سواكن لما بلغه دخولكم من جهة بيلول أقعده ذلك وأقامه، وأقلقه وطرد منامه، فتوصل إلى إدراك حقيقة الأخبار بما يراه من وصولنا بهذه الهدية، المضمر في طيها استكشاف هذه الخبية. وهذا الأمر الذي استدعيتموه يمكن حصوله على أحسن الوجوه بفضل الله وإحسانه. واتفق الرأي بيننا وبينه على أخذ رأي الملك في ذلك، وقد عرفنا من مراده أنه لا يحب المرور من جانب الأتراك لما يلقاه أهل الحبشة منهم، وتحكمهم في أموالهم، فلذلك يحب الملك فتح هذه الطريق من بيلول، وربما كان هذا ضميره المستكن من هذه المواصلة بينه وبين الإمام، فإنه يعلم أنه لا يتم فتح هذه الطريق إلا بقوة وعناية من وجوه عدة منها: معاودة الرسل من قبل الإمام في هذه الطريق، فإنهم مع قوتهم واستصحابهم «١٠٤أ» البنادق، يسير معهم كثير من أهل التجارة دخولاً وخروجاً ومن جهة الملك فتُيسر أوعارها وتتقلل أخطارها. قوله انتهى القاضي[1].

وهذه كلفة عظيمة لا معنى لها، ومراد الملك تقليل مصالح الباشا من التجار وتكون المصلحة إلى غيره منهم، وهي مصلحة قليلة. وما أعظم هذه المشقة التي

(١) يقصد بذلك انتهى قول القاضي الحسن بن أحمد الحيمي صاحب (الرحلة).

حصلت مع القاضي بغير فائدة من هذا الملك الكافر النصراني. مع أن الرأي كان للإمام ترك هذا الإرسال وترجيح الرأي الثاني؛ لأن الظن ذلك الذي ظنوه بالإسلام فاسد فإن الإسلام غير محجوب عليه إن كان يريده من غير رسول ولا هدية، يعلم هذا كل من له معرفة عند الحقيقة، إذ عنده من المسلمين الساكنين هنالك من يعرّفوه بطريق الإسلام لو كان يريده، أو يكاتب صاحب المصوع لقربه إليه، وهذا شيء ما خطر له في بال وإنما كذب الرسول «١٠٤ب» على الإمام لأجل ما يصير إليه من الحطام من مخدومه ومن الإمام. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

نعم، ونعود إلى قول القاضي حسن الحيمي فقال: وكان رسولنا إلى الملك لاستئذانه -بعد موافقة رسول الباشا محمد- الشريف (محمد بن موسى البخاري) المقدم ذكره، فلما عرَّفه بذلك أجاب الملك في ذلك المقام بالإسعاد إلى ذلك المراد، وكان جوابه هذا صادراً عن بديهة الرأي، ولا يبعد أن يكون بتلك الحال متغيراً بالسكر بالشراب، لما ظهر منه بعد ذلك من الندم الشديد على رضاه والأسف. فلما عاد جوابه سارع (الأمير عبدالوهاب) بكتاب إلى (محمد باشا) يذكر فيه مثل ما عرَّفناه به، وأرسل به رسولاً من فوره. ثم إنه تجدد بعد ذلك اختلاف رأي الملك، وقال: مروركم من جانب الأتراك لا سبيل إليه فإنهم أعداؤنا وأعداؤكم، ولا أمانة لهم. فقلنا له: الغدر منهم لا نظنه، فإن الغدر مذموم في كل ملة، وفي حكم كل شريعة. ألا ترى أنا دخلنا بلادكم، ووصلنا إليكم «١٠٥أ» بمجرد كتاب منكم وأنتم مخالفون لنا في الدين والملة، فأنتم على دين النصرانية ونحن على دين الإسلام، فلولا أنا وثقنا بقولكم ما وصلنا، وما رأينا عاقبة ذلك إلا وفاءً وكرامة، وعافية وسلامة. والأتراك فهم على ديننا وملتنا، كتابهم كتابنا، ونبيهم نبينا، فكيف أنا لا نقبل منهم الأمان ونجعله أعظم حجة بيننا وبينهم، وليس المراد للملك إلا الرجوع في طريق بيلول لتلك الأغراض التي يريدوها فقط، فما برحت المراجعة بيننا وبينه دائرة، والأقوال مختلفة وهو يتوسل علينا بكثير من الناس، ويلقى إلى أصحابنا شيئاً من ذلك الحديث سراً وجهراً، ويخوفهم من السلوك في جانب الأتراك بكل مخافة. والملك غير محيط علمه بصفات هذه الطريق التي يحاولها من جانب

بيلول. فلما طال الحديث في ذلك، وعرف أنا باقون على تلك النية لم يجد بُداً من إسعافنا إليها، غير أنه طلب «١٠٥ب» منا شاهداً نكتبه، يكون في يده يقضي ببراءته من هذا الرأي وأن عاقبته من سلامة أو ندامة (لنا)[١] وعلينا، فوضعنا له شاهداً وقبضه منا. وقد أشهدنا فيه على أنفسنا، وأعطاه ذلك الرسول الذي وصل إلى الإمام ودخلنا في صحبته؛ لأن الملك عازم على عوده إلى حضرة الإمام، ثم بعد ذلك خلَّى سبيلنا في سلوك هذه الطريق.

قال القاضي: وفي مدة بقائنا في الحبشة وقع حريق في جانب العشة التي كنت فيها مع شدة رياح عاصفة، فأتلفت جميع ما لدينا من الآلات، ولم نتمكن من النار إلا النجا بالنفوس، ولم يسلم من الحريق إلا نفس مصحفين كريمين فقط. وكان ذلك الحريق في الليل بعد ما هدأت العيون. قال: ووقع معنا من هذا الحريق روعة عظيمة. ولما بلغ الملك ذلك أقامه وأقعده حتى أن الوزراء ما زالوا يحققون ذلك، فغفل عن شأنها. ولما سألنا الملك قلنا له: ليس في مثل ذلك بأس، ولم نظهر له التوجع «١٠٦أ» من أحد من الناس. قال: واتهمنا جانب الوزراء في ذلك؛ كونهم يعتادون من الرشو والبذل من المال ما يألفونه. والله أعلم. قال: واشتغلنا بمعاودة الإذن في السفر، فما زال يعتمد المماطلة والمواعدة حتى مضت تسعة شهور كاملة، غير أنه عرض في مدة تحييرنا دخول أيام الخريف، وما يعتاد فيها من توالي الأمطار، واتصال ذلك في الليالي وساعات الليل والنهار، فاستمر مطبقاً أربعة أشهر لا ينقشع سحابه، ولا ينقطع عن تلك الديار دقُّه وانصبابه. وهم يعتادون ذلك كل عام في غالب الزمان حتى أنهم ليعدون كثيراً من ذخائر النفقات قدر كفاية الإطباق، لما يحصل من احتباس الناس عن الاختلاف في الأسواق. ولقد رأينا تلك الديار مع هذه الأمطار تظهر للعيون خضرتها بأعجب مايراه الراؤون «١٠٦ب» من حسن خضرتها وكمال نضارتها سهلها وجبلها، وتزهر مع ذلك بأنواع الزهور البرية، وقد يأخذون من هذه الزهور ويصنعون به صبغاً عجيباً. قال: فأقمنا تلك الأيام كالقبض على جمر الغضا والصبر على سبع اللظى.

---

(١) تم إضافة: (لنا) من كتاب رحلة الحبشة للحيمي، ليستقيم المعنى.

رضيت قسراً وعلى القسر رضا

من كان ذا سخط على صرف القضاء

قال: ومن عجائب ما يذكر أنه قد يتفق في هذه الأيام في الخريف بتلك الديار نزول نار من السماء يرونها كالدخان العظيم المجتمع في جو السماء، تركمه الريح بعضه على بعض ثم ينزل مجتمعاً وهم يرونه بأعينهم حتى يقع على الأرض، فإن أصاب بيوتاً أحرقها، وإن وقع على نفوس أهلكها.

قال: ونحن في هذه المماطلة والمكاذبة في الإذن في السفر نطلب من يجتمع به من أهل شريعتهم، وقُرَّاء كتابهم فلم نجد أحداً ممن يعرف بذلك الأمر كان يتسمى باسم الرهبانية. والأغلب عليهم عدم الاطلاع على شريعتهم، وإنما طريقتهم الزهادة، والعبادة، والميل إلى الخلوة، واجتناب الأنكحة، فأما هؤلاء فكثير جاءنا منهم، وكنا نخوض معهم في أشياء من علوم الشريعة «١٠٧أ» فلم نجد عندهم ما نعرف به كونهم من أهل علمهم. وقد كان بلغنا خبر رجل عظيم من عظماء القسيسين وأحبارهم الذين يأخذون عنهم أحكام الدين، ولكنه وقع في قضية اقتضت حبسه بيد الملك في جزيرة من جزائر بحر النيل، وها نحن نذكر ما بلغ من خبره: وهو أن هذا القسيس المذكور رجل من القبط من أهل مصر، والقاعدة التي جرت عليها سننهم أنه لا يقعد في هذا المقعد إلا رجل من القبط بأمر (البترك) صاحب بيت المقدس يوليه ذلك، ويبعث به إلى أرض الحبشة، مضت على ذلك سنن الماضين، واحتذاه خلفهم من الآخرين. ولسان هؤلاء القبط لسان مصر عربي، ويخرج من مصر. وكتاب الإنجيل مكتوب بالعربي وجميع ما يستصحبه من كتب شريعتهم وأحكام دينهم كذلك مكتوبة بالعربي أيضاً، ومن تصَدَّر لهذا الشأن يسمونه بلغة الحبشة (الأَبُوْن)، كما يقال في لغة العرب القاضي. وحين يستقر في هذه المرتبة يشارك الملك بنصف ما يجبى إليه من ولايته من قليل وجليل، فكان هذا الأبون ممن طالت مدته «١٠٧ب» في هذه الوظيفة نحو اثنتي عشرة

سنة، وعظم ملكه[1]، وتكبر في نفسه، ومالت إليه الأكابر، واعتمدت عليه الرعية والعساكر، فاغتار منه الملك وصار يطلب إعمال الحيل في هذا الأبون، والأخذ عليه، والانتقام منه، فكان من الأسباب المهيئة لذلك أنه بطش برجل من المسلمين كان من أهل بطانته، والاختصاص بخاصة خدمته، فانتهبه وهتك ستره وهو مع ذلك -أعني هذا المسلم- من أهل الهمة والأنفة، فما برح يتطلع إلى الاتصال بالملك لينم إليه بأمور يستنكرونها على الأبون، ويعلم أنهم يؤاخذونه عليها، والملك يطلب مثل ذلك، فاتصل هذا المسلم بالملك وباح إليه بجميع ما عنده، فطلب الملك جميع الوزراء وأخبرهم بذلك فأجمع رأيهم أن يصيحون[2] في المدينة: أنه من علم بفاحشة على (الأبّون) تخالف دينهم وصل إلى الملك في يوم معلوم، فلما سمع الناس ذلك النداء استعد للإجابة إلى الملك خلق كثير من الرجال والنساء، ورمته ألسنتهم «١٠٨أ» بما علموه من المعاصي حتى لقد شهد عليه بعض نساء الملك بما يشاركوا فيه من الفجور. وكاتب هذه الشهادات الشريف محمد بن موسى -المقدم- بالقلم العربي؛ لأنهم يريدون رفع ذلك إلى (البترك) صاحب بيت المقدس، وقلمهم هنالك عربي. فلما استكملوا ذلك شاور الوزراء ماذا يفعل به؟ فقال كثير منهم: يقتل، ورجح للملك حبسه فحبسه في جزيرة بحر النيل، واستدعوا من (البترك) من بيت المقدس غيره.

قال القاضي: ثم إنه كان في بعض الأيام خروجنا إلى منتزهات المدينة قاصدين إلى محل كان يعتمده (الأبّون) وفيه شيء من كتبه مكتوبة بالقلم العربي، فأحببنا الاطلاع على شيء منها فوصلنا إلى ذلك المحل فوجدناه محلاً رائقاً للعيون، وفيه جماعة من تلامذة ذلك (الأبون)، فاجتمعنا بهم وخاطبناهم بما نريده فأدركنا منهم التشوش والاضطراب ثم رجعنا إلى محلنا. وحدثوا بعض كبراءهم بما وقع، فوصل إلينا يوم ثاني وهو رجل «١٠٨ب» عليه سيما القُراء ونسك أهل العبادة، وهو يتكلم باللسان العربي،

(١) وردت في الأصل: (مكله).

(٢) كذا وردت في الأصل. وردت في رحلة الحبشة للحيمي: (أنهم يصيحون).

لأنه من تلامذة (الأبون) واسمه (خاطروس). فما برح يسألنا عن شريعتنا وأركانها، ثم قال: لولا أني رجل كبير يظهر للناس خبري ولا ينكتم عنهم أمري لصحبتكم إلى بلادكم واستأمنت منكم على أن تتركوني على ديني. ثم إني سألته عن الإنجيل وهل يوجد عنده مكتوباً بالعربي؟ فقال: نعم هو عندي ثلاثة أسفار، فطلبت منه عارته السفر الأول، فجاء به إلينا، فنظرت فيه عشرة أيام، وجميع أوائله من مواعظ فقط، لم أطلع على غيرها. وقال: الأحكام في السفرين الآخرين. وكان بعد تلك الأيام ارتحالنا من هنالك. وكان هذا الرجل يخبرنا عن أحوال (الأبون) المتقدم ذكره وتهجن عليه بها. قال القاضي المذكور: وكان هذا الملك المذكور ملك نصارى الحبشة لما مات أبوه وله أولاد كثير على أمهات متفرقة، وليس لهذا الملك من أمه إلا أخ واحد، فأوصى أبوه «١٠٩أ» إليه وإلى وزرائه أنه إذا مات حبسوا جميع أولاده بالقيود في حصن معروف ولا يتركوا من الحبس إلا هذا الأخ الذي هو شقيقه من أمه ليكون عضداً لأخيه ومظاهراً له في أمره وملكه، ففعلوا ذلك وحبسوا جميع إخوته في ذلك الحصن وهم خمسة عشر رجلاً، وأجرى عليهم الملك النفقات الفائضة، وإنما الغرض دفع منازعتهم الملك. فبقي هذا الأخ مؤازراً لأخيه في أموره، ويقوم بأمور جنده، وأحوال غزوه وملاقاة عدوه، حتى إن الملك أدرك من أخيه ذلك نخوة عظيمة واستقلالاً كبيراً، ورُفعت للملك أخبار وهي: أن أخاه يريد قتله والوثوب على سرير ملكه. وهؤلاء معروفون بمتانة الكيد، فما زال الملك يدبر وجه الحيل كيف يكون السبيل إلى الأخذ على أخيه؟ ولم يتيسر ذلك إلا بعد مدة مديدة، فما برح في ذلك حتى استمكن من أخيه في جوف الليل وأمر به جماعة من أهل البأس والنجدة «١٠٩ب» يخرجون به ليلاً. وقد كانت أمه سألت الملك أن يبقي عليه من القتل وأن يكتفي من ذلك بحبسه كإخوته، فأظهر لها الامتثال، فأمر به إلى جزيرة في بحر النيل، فلم يظهر خبره لأحد من الناس، ولا ظهر وجوده في أي محل من تلك السجون المعروفة، فلم يشك الناس أنه قتله. قال القاضي: وكان هذا الفعل وفعل الأبون وحبسهما من المغلبات للظن صدق رجاء

إسلامه، وأنه فعل ذلك ليستقل بذلك الغرض. ولم يكن ذلك إلا كما قيل في كل حيال لم يحصل منه فائدة: رُبَّ صَلَف تَحتَ الرَّاعِدَة ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ﴾[الأعراف:١٨٨] وهذا في حق النبي ﷺ فكيف من دونه.

قال: ولما سبق من الحريق الأول ما زلنا على الحذر، ثم إنا لم نشعر في بعض الليالي إلا وقد اشتعلت النار في جانب العشة «١١٠أ» التي نحن فيها، فكنت أول من أدرك اشتعال هذه النار قبل تمكنها في جوانب العشة، فصرخت بالناس فأدركوها قبل انتشارها. قال القاضي: ولما رأينا هذه الحوادث هيجت الأحزان، وأبطأ الإذن من الملك، فضاق الصدر وحرج، واضطرب الأمر ومرج. مع أن بعض الوزراء راسل بعض أصحابنا بالبقاء، فخشينا أن لا نجد إلى الخروج سبيلاً ومع تخبير عدة من الرسل الذين يصلون إلى الملك بعضهم من أهل (أوسة)، وبعضهم (من)[1] جهات (سنار)، وبعضهم من جهة الباشا محمد من (سواكن) وبلاده حتى صاروا في سلكهم. ثم يسر الله الخروج على ما سبق شرحه مما هو معدود في الفرج بعد الشدة. وذكر القاضي هنا منامات ميسرات بالفرج.

قال القاضي: واتفق في مدة إقامتنا أن امرأة من المسلمين استحوذ عليها الشيطان فارتدت وتنصَّرت، ولها بنتان «١١٠ب» لرجل مسلم من أهل مصوع، فهربت بهما خالتها ووضعتهما في بيت رجل من أصحابنا الذي هو نازل فيه، فجاءت أمهما -هذه التي ارتدت عن دين الإسلام- بجماعة من النصارى نحو اثني عشر رجلاً من كبارهم، فلما انتهوا إلى باب البيت الذي فيه ذلك الرجل خرج إليهم وحده يريد أن يخاطبهم بما يليق من الكلام وسيفه بيده، فما هو إلا أن رأوه خارجاً، فولوا الأدبار. وهذا لبركة الإسلام. وأمرنا بالابنتين إلى جهة مصوع إلى أبيهما على يدي الأمير عبدالوهاب رسول الباشا محمد صاحب سواكن.

---

(١) تم إضافة: (من) ليستقم المعنى.

قال القاضي: وكان توجهنا في شهر القعدة الحرام عام سنة ثمان وخمسين وألف بعد الإقامة تسعة أشهر. ولما انفصلنا من المدينة قدر عشر مراحل، انقضت مسافة أحد الثلاثة المأمورين بمصاحبتنا من قِبَل الملك. وقام بنا ذلك الرجل أحسن قيام، ثم أفضت النوبة إلى الثاني منهم، فبقي معنا تلك «١١١أ» الليلة التي هي أول نوبته، ثم فارقنا في اليوم الثاني وتقدم علينا ولم يصحبنا بل سار قبلنا، فقبض الضيافة من الناس وأخذ أكثرها لنفسه، وتركنا خلفه ومعنا نفوس كثيرة، ولم نجد من ينفقنا، قد صار عددنا يزيد على مائة نفر مسافر، و أمْعَنا (السير)[1] فكان كلما وصلنا قرية طلبنا النفقة، وعرَّفناهم بمقدار ما أمر به الملك من الضيافة، فمن سلَّم ذلك وإلا سلطنا الذين معنا عليهم يأخذون ضيافتهم، فما زال ذلك كذلك متيسراً قدر خمسة وعشرين مرحلة. وبعد تمامها انقضت مسافة ذلك المأمور، ثم أفضت النوبة إلى الثالث منهم، فتلقانا بأحسن ما نحب، وفعل بما أمره به الملك مع زيادة عليه، وصيَّر إلينا من الزاد ما يبلغنا إلى مصوع لأجل المفازة ما بين (مصوع) و(دباروى) وهي قدر عشر مراحل للقوافل. وأقمنا في (دباروي) قدر «١١١ب» اثنى عشر يوماً نصلح ما نحتاج إليه من أمورنا. وكان من القاعدة أن القوافل إنما تسير من (دباروى) مع صحبة من (السِّحرت) المتصلين بهذه المفازة، فكان من الامتحان أن وقع عزل الأمير صاحب (دباروى) مع وقوفنا فيها، فضاق بنا الحال، وألجأنا تضايق الأمور إلى سرعة الارتحال، فتوجهنا منه بغير صحيب ولا دليل إلا الله عز وجل. وهوَّن تلك الشدة أنه بلغ إلينا أن الإمام قد أرسل رسولاً قاصداً إلى الباشا صاحب سواكن يأخذ لنا الأمان. ولما توسطنا في تلك المفازة بلغ إلينا أن جماعة من الأشرار من بدو النصارى مجتمعون في جانب الطريق يريدون اعتراضنا، وقد طمعوا فينا لما بلغهم انفرادنا، فأرسلنا رسولاً ممن يعرف الطريق إلى نائب الباشا في بندر مصوع، وكتبنا إليه نخبره بما بلغ إلينا من خبر هؤلاء البدو، ثم سافرنا فلَمّا بلغنا ذلك المحل الذي بَلَغَنا أنهم راصدون فيه تلقونا، وقد

---

(١) أضفناها ليستقيم المعنى.

كنا أرسلنا إليهم رسولاً من الحبشة يلاطفهم ويطعمهم شيء من المال فأبرقهم القول لولا أنه وقع من بعض أصحابنا ما هيجهم وأثار حفائظهم، «١١٢أ» فرجعوا إلى ما كانوا عزموا عليه وحملوا علينا، فرموا بالحراب من أيديهم فأصابوا رجلاً وفي فرس حربتان، فرمت عليهم البنادق وبأيديهم أتراس متسعة تستر جميع أبدانهم فهم يظنون أنها تدفع عنهم رمي البندق، فوقعت رمية في أحدهم فخزقت ترسه وأصابته في شقه الأيسر فسقط، فانكسروا ومالوا حتى لُذنا بأكمة، وجمعنا فيها أثقالنا، وأمرنا العسكر أن يقفوا بأطراف الأكمة، وهم قد أحاطوا بنا من كل جانب قد بلغوا نحو خمسمائة، فأرسلنا إليهم ذلك الرجل الذي أرسلناه أولاً وقلنا له: اعرف ما يريدونه منا، فإن يكون المال فقل عنا ما شئت، وابذل ما رأيت، فاتفق الرأي بيننا وبينهم أن نعود إلى بلدهم بعد العهد والأمان، وقد كان جاوزناها بنحو ميل، ثم يقع الاصطلاح هناك على شيء من المال، فرجعنا معهم إلى بلدهم مع شدة الحذر منهم ونكثهم، فكان جمع «١١٢ب» وهم محيطون بالنيران علينا ونحن غير نيام حتى أصبح الصباح، فلما كان نهار اليوم المسفر عن تلك الليلة جاء جواب أمير مصوع، وخرجت العسكر نحو مائة نفر فيها خمسون بندقاً، فلما وصل الرسول بالجواب وأخبر أن العسكر من الأتراك قد خرجوا في أثره، بدد الله شملهم، وفرق جمعهم،ودفع كيدهم وكان ذلك من الفرج بعد الشدة فالحمد لله.

قال القاضي: ثم إنا لما انفصلنا عنهم وهم مجتمعون ذلك الاجتماع، ومطبقون نواحي البقاع، أرسل الله عليهم جيشاً من أعدائهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، ثم كانت الدائرة على هؤلاء الذين بغوا والغلبة لعدوهم عليهم حتى لقد رأينا من السبي منهم في سوق بندر مصوع يباع عقب وصولنا، وشاعت هذه القضية هنالك، وتحدث الناس من أهل الإسلام في مصوع بها وأخبروا عنها. قال القاضي: ثم إنا لما اتصلنا بجماعة العسكر الواصلين من مصوع ووجدنا رسول الإمام -الذي قدمنا ذكره- قد خرج مع أولئك العسكر، فسُّر بوصولنا واستبشر، وارتحلنا نحن وجماعة العسكر «١١٣أ» جميعاً

في ذلك الحال متوجهين إلى بندر مصوع فسرنا بقية يومنا ذلك، وفي اليوم الثاني دخلنا بندر مصوع وقت انتصاف النهار، فتلقانا النائب فيه بأحسن الكرامة، وأحسن ما يجب من البشاشة، التي هي دليل رعاية العهد وعنوان السلامة. وأقمنا هنالك ثمانية أيام نهيء ما نحتاج إليه في سفر البحر. وبعد انقضاء تلك الأيام ركبنا في ثلاث سفن متوجهين إلى ساحل اللحية، فوصلنا إلى جزيرة دهلك وتحَيَّرنا فيها قدر أربعة أيام؛ لعدم استواء الريح، ثم تيسرت الريح، فتوجهت الجلاب قاطعة عرض البحر من جهة المغرب إلى جهة المشرق، فسافرنا ذلك اليوم، والليلة التي تليه، واليوم الثاني إلى وقت العصر. ثم طلع علينا من أمامنا من جهة اللحية سحاب متراكم، وثار مع ذلك ريح عاصف فهيج موج البحر، فما زال يقرب منا فإذا البحر قد اضطربت أمواجه، وكثرت أفواجه، وأمطرت السماء، فاجتمع هول المطر والريح والموج. وأهل الجلبة يعالجون أعمالها، ويتفقدون أحوالها حتى طال عليهم الأمر، فضعفت قواهم، وتفاقم الأمد، وخارت الألسنة بالدعاء «١١٣ب» إلى الله والتوسل بكل ذي حق عليه أن يفرج ذلك الهول. ودام ذلك المطر تلك الليلة مع اليوم التالي لها مع الليلة التي تليه. وكان معنا زورقاً صغيراً أُرسب في البحر لَمَّا امتلأ من الماء، فجذب السفينة وقد كان رُبَّان السفينة وثب منها إلى هذا الزورق، فلما رسب في البحر تعلق الرُبَّان بجانب السفينة، وصرخ إلى أصحابه يستنقذونه فلم يجبه أحد لِما نزل بهم من الهول، فتناوله بعض المسافرين وأطلعه وقد أشرفت السفينة على الغرق بسبب جذب الزورق لها، فأخذ بعض الحاضرين سيفه وقطع حبل الزورق، فانفصل عن السفينة ثم إن الربان أمر بإلقاء بعض الأحمال التي في السفينة، فألقوا في البحر ما وقعت أيديهم فيه حتى حصل التخفيف. وأما السفينتان الأخريان فإن الموج رمى بهما إلى جزائر في البحر، وما زال يجول بهما يميناً و شمالاً. وتأخروا عن خروجنا أربعة أيام لا ندري ما هم فيه، فلما فرج الله الشدة سافرنا يومين كاملين، ودخلنا مرسى اللحية حامدين الله عز وجل على السلامة فلله الحمد و المنة.

انتهى ما ذكره القاضي من مضمون مصنفه في أحوال سيرته إلى الحبشة ووصفه «١١٤أ» وذكر القاضي المشار إليه في آخر مصنفته هذه، وسيرته، وما اتفق له في طريقه في الحبشة قصيدة منه يحث الإمام وأعوانه على الجهاد في سبيل الله لأولئك الكفار الأشقياء من النصارى والطغاة من أولئك الجهلاء، والاستيلاء على بلاد الحبشة بأجمعها، وإظهار كلمة الإسلام فيها. وكلام القاضي حق لا لبس فيه ولا يخالف أحد في حسنه مع إمكان تلافيه. غير أن حالة اليمن وولاتها ورعاتها، وقبائلها ورؤسائها معروفة بكثرة الاختلاف، ومحبة الرئاسة إذا أمكن لأحدهم من غير إنصاف. فلو أن جند الإمام هذا الموجود، يسير إلى تلك الجهات والنجود، رفعت أهل الأهواء في اليمن رؤوسها، وادعى كثير منهم أن تسودها، وغنموا الفرصة وقت الغفلة. ووقع بسبب ذلك الفتن والخلاف، والمحق وعدم الائتلاف. ثم إن صاحب اليمن لا يكاد ينهض بجميع نفقات ما يحتاج إليه الجنود من الأزواد والأحمال والأثقال إلا بمضرة شديدة، ومعونات على المسلمين «١١٤ب» لا تحصل على الوجوه السديدة، مع ركة اليمن عن الحركات البعيدة، وما يحتاج فيها من الأمور الواسعة الكثيرة. ثم إن سواحل الحبشة المذكورة إلى جهات السلطان ابن عثمان، وفيها باشات لا تزال في الولايات هذه الأزمان. فلا يتم التخطي من بلادهم إلى تلك البلاد الداخلة في الحبشة إلا بتحريك عليهم، وتعتبر في جهاتهم، وفي ذلك تحريك دولتين وطائفتين، فلا شك أن مثل ذلك لا يتم، ولا يتقدر أن يُبْتَرم. والعجب من غفلة القاضي عن التفكر في العواقب وهو من أهل الرأي الصائب، فلله تعالى في الإمهال في أرضه حكمة ولو جُهلت وجهها عند هل الفطنة. وكان يكفي القاضي لو تذكر بها آسى الله تعالى نبيه ﷺ حيث قال: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾(١)، ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾(٢) ونسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة، والمطابقة لمراده، والموالاة لأوليائه،

---

(١) سورة فاطر، آية: ٨ والآية: ﴿أفمن زين له سوء عمله فراءه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون﴾.

(٢) سورة يونس، آية: ٩٩، وأولها: ﴿ولو شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعاً...﴾.

وكفاية الأشرار من الكفار، وبسطة أهل الإيمان من المسلمين الأخيار آمين. «١١٥أ» وقد رُوي أن هذا الأمير على النصارى كان يريد الإسلام ولكنه خاف من إظهاره من أصحابه النصارى.

وفيها أو التي تليها أمر الفقيه أمير الدين العلفي[١] الأموي -وهو المتولي يومئذٍ على بندر عدن- بقتل جماعة من يافع لخلل وقع منهم كان وقع في الطريق، وفساد وتمحيق.

وفي هذه السنة سنة سبع وخمسين وألف مات الشريف العلامة الحسن بن علي بن صلاح العبالي القاسمي. كان هذا السيد من العلماء المحققين المبرزين في الأصلين[٢]، والنحو، والمنطق، أخذ على الشيخ العارف لطف الله بن محمد الغياث الظفيري[٣] في علوم العربية. وكان بعض مدته يسكن بشهارة لأجل زوجته بنت الإمام القاسم، وتارة في ظَفِير حجة[٤] عند أهل له هنالك، فقضى الله موته بالظفير هذه السنة. وهو كان وقت موت الإمام المؤيد بالله في شهارة، وطُلِب منه البيعة لأخيه أحمد بن أمير المؤمنين ذلك التاريخ كما بايع غيره من الحاضرين، فأجاب السيد عليهم: أن هذا الأمر ما يصلح فيه العجلة على هذه الصفة، بل كان التأني أولى، واجتماع العلماء، والعرض على إسماعيل بن أمير المؤمنين لكمال العلم معه ومعرفته، فلم يُساعد إلى كلامه، وأُجبر على أخذ البيعة منه من غير اختياره.

---

(١) هو أمير الدين بن أحمد العلفي، نسبة إلى عُلُفه قرية من خارف إحدى بطون حاشد. ولاه الإمام المتوكل على عدن والشِّحر. وفي عام ١٠٨٨هـ١٦٧٧م أرسله الإمام أحمد بن الحسن إلى تهامة، وأمره بإصلاح الطرقات والموارد، فلما وصل إلى صَبْيَا توفي بها في التاريخ المذكور. (أبوطالب: طيب الكسا، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص٦٣).

(٢) المقصود بذلك أصول الفقه وأصول الدين. (علم الكلام).

(٣) هو لطف الله بن محمد الغياث بن الشجاع بن الكمال بن داود الظفيري، عالم كبير، اشتهر وبرز في علوم العربية، كما شارك في كثير من العلوم كالمنطق وأصول الفقه وغيرها، أخذ عن علماء مبرزين في عصره، توفي بظفير حجة سنة ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م، وله العديد من المؤلفات منها (شرح على الشافية) وحاشية على (الشرح الصغير) و (الإيجاز في علم الإعجاز) و شرح على (الفصول اللؤلؤية) وغير ذلك. (يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٢٦٥؛ أبو الرجال: مطلع البدور، ج٤، ص٨٠؛ المحبي: خلاصة الأثر: ج٣، ص٣٠٣-٣٠٥).

(٤) ظفير حجة: حصن يقع في الشمال من مدينة حجة، على بعد نحو ١٥ كيلو متراً تقريباً. كان من الهجر المقصودة لطلب العلم. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٥٦٧؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٣، ص١٣١٢-١٣١٣).

وفيها خسفت القمر.

«١١٥ب» وفي هذه السنة أرسل الإمام ولد أخيه شرف الدين الحسين بن الإمام المؤيد بالله إلى جهات صعدة لخلل وقع في بلاد خولان، فسار إلى هناك بعساكره أصلح ما جرى فيه من الخلل ثم عاد عن سفرته إلى جهته.

وفي هذه السنة وصل عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام إلى مدينة صنعاء طالعاً من جهات اليمن الأسفل وذمار، بعد الاستقرار له الطويل في تلك الأقطار من عقب موت أبيه الحسن، وطلب أولاده يومئذٍ من صعدة وسكن، وكان استقراره في دار مسجد الأزهر[١]، الذي بناه الإمام الأشهر، فاستقر هذه المدة في المدينة، وذكره الخطيب باسمه بعد ذكر الإمام في خطبة الجمعة، واستمر على ذلك مدة بقائه وحضوره، وإذا غفل عنها ترك ذكره وتعيينه. والخطيب يومئذٍ قاضي المدينة وحاكمها إبراهيم بن يحيى السحولي، واستمر ذلك كذلك للمذكور وإخوته وأولاده في الخطب عند الحضور. وأما القاضي أحمد بن سعد الدين خطيب الإمام، والكاتب الذي كان للمؤيد في ذلك الزمان فإنه لمَّا خطب في صنعاء -كما سيأتي تاريخه إن شاء الله- حذف ذكره، وطوى اسمه.

وفي هذه المدة أباح الإمام المراعي في أملاك الإسلام، فتضرر بذلك أهل القرى من أغنام بعضهم البعض وحصل بينهم الخِصَام، وما زال بينهم الشجارات وارتكاب لآثام.

«١١٦أ» وفي هذه المدة ظهر رجل مقذي[٢] يجعل عُطْبَة[٣] على موضع الألم الذي

---

(١) يُعرف حالياً (بمسجد المدرسة) من المساجد العامرة، يقع في الشمال الشرقي من صنعاء بالقرب من باب شعوب. كان محله مسجداً صغيراً قيل إنه من عمارة الصحابي (سعد بن أبي وقاص)، فأمر الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين بنقضه وتوسيعه، وزاد فيه زيادة نافعة، وعمر منارته ومطاهيره وحفر بئره، وذلك سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م. (محمد بن إبراهيم المفضل: السلوك الذهبية في السيرة المتوكلية، ق٣٤أ-٣٤ب؛ إسماعيل الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن، ص٢٦٤).

(٢) مُقَذِّي: هو من يقوم بأعمال الشعوذة، ويدَّعي أنه قادر على إخراج ما يسبب الألم بطريقة شرحها المؤلف.

(٣) العُطْبَة: جمعها عُطْب وهو القطن.

يشكيه الأليم من خارج ثم ينزعها فإذا قَدْ فيها حَمرة أو خَضرة أو سواد أو وسخ فيقول: هذا قد خرج من داخل، فأكل[1] بذلك من كثير من الناس، ثم اضمحل ذكره، وما هو إلا من السحر.

ودخلت سنة ثمان وخمسين وألف[2].

فيها ارتفع بحر صنعاء ارتفاعاً غير معهود كما أشرنا إليه سابقاً؛ فكان سبب ذلك الارتفاع، وزيادة الاستطلاع إخراج غيل الجراف[3]، ومد الساقية للجري والإزدلاف، فظهر بأيسر حفر في الأرض ذلك الماء، وجرى من أعلى السد بشعوب إلى ذلك المنتهى، فانتفع به أهل الجراف النفع التام، وزادت أثمار الأعناب تلك الأيام، لأجل الانتفاع به وفيضه العام، فترك الناس معاناة المساني[4]، وما يلحقها من زيادة النفقات بالمثاني. والمعتني بهذا الغيل وإخراجه محمد بن الحسن بعد طيافته ومعرفته. وهو في الأصل أساس قديم، وغيل غزير عظيم دفنته الدولة الطاهرية مع دفن غيول صنعاء حسداً وبغياً كما سبق في أصل هذا التاريخ[5] . ثم تعقبه في أثره هذا العام إخراج غيل آخر بجنبه من غير انفصال للسيد جمال الإسلام علي بن الإمام استخرجه أيضاً بأقرب عمل وحرف ساقيته إلى سفال السد وقرية مناظر الحشيشية[6]، فسقاها عن كمل. «١١٦ب»

---

(١) أي كسب منهم الكثير من الأموال.

(٢)١٠٥٨هـ = ١٦٤٨م.

(٣) الجِراف: بلدة عامرة من ناحية بني الحارث، تقع إلى الشمال الغربي من صنعاء على بعد خمسة كيلو مترات منها، وقد امتد عمران صنعاء في الوقت الحاضر إليها، واتصلت بها. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص١٨٢؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج١، ص٣٣٩).

(٤) المساني: جمع مَسْنَى، وهو مُجَمَّع من المباني والتركيبات والأدوات التي تستخدم في مجملها لنزع المياه من الآبار. (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٨٥٩).

(٥) ذكر يحيى بن الحسين أن السلطان عامر بن طاهر أمر في سنة ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م بتغوير غيل آلاف وغيل البرمكي، خلال محاصرته لصنعاء في ذلك العام. (يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، ص٣٥٥).

(٦) الحشيشية: قرية تقع بالأطراف الشمالية الشرقية من صنعاء. ويذكر الحجري بأن الحشيشية تقع في الربع الرابع من الروضة، وهو ربع ابن حسن. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، ج٢، ص٢١١).

وبلغ وفاض إلى الروضة الغناء، وتلك الربوع المخضرة الزهراء، فسقاها، وزاد في إحياها، وأصلح أعلاها.

وفيها توفي القاضي محمد بن عبد الله الآنسي[1] . كان له معرفة بالعربية.

وفيها وقع من الشيخ يحيى بن روكان خلاف في جهاته خولان صعدة، ونزاع لولاته، فأرسل الإمام جماعة من العسكر رئيسهم الفقيه محمد بن علي بن جميل، والفقيه علي بن صلاح الجملولي، فأصلحوا ذلك الخلل فيها، وعادوا بعد ذلك منها. وهذا الشيخ كثير العناد، يحب المقاتلة والفساد، وسيأتي منه غير هذا.

وفيها أو غيرها توفي الفقيه العلاّمة العارف محمد بن عبد العزيز المفتي الشافعي التعزي بمدينة تعز. وكان المذكور هو المعتمد في المدينة في التدريس للفقه والحديث والإفتاء، والمعتمد فيها. وقد اتصلت لي الطريق في الحديث وغيره إليه عن الفقيه علي ابن محمد العُقَيْبي[2] الشافعي عنه بحمد الله تعالى.

وفيها ظهرت جراد باليمن كثيرة.

وفيها بعث الإمام برسالة إلى اليمن يذكر فيها الإنكار من جمع الشيخ أحمد بن علوان، وأنه صار يختلط فيه الرجال والنساء، فلم يُجْدِ ذلك بل استمر على حالته الأولى ورأيت في عيد عرفة بحضرة الإمام اجتماع للصدقة «١١٧أ» واختلاط النساء بالرجال، والشابات بالشواب، والحسنات بالحسان من غير استنكار، فهم في ذلك ولا انتهار. ويبيتون في تلك الليالي في الشوارع والبراري مختلطين بمجمع ابن علوان[3] نفع الله به

---

(١) لم أجد له ترجمة في مابين يدي من مصادر، سوى ما ذكره الجنداري نقلاً من هذه المخطوطة. (انظر: الجامع الوجيز، ق١٤٢أ).

(٢) هو علي بن محمد العُقَيْبي الأنصاري التعزي (نسبة إلى ذي عُقَيْب قرية من عزلة وراف من ناحية ذي جبله) (١٠٣٣-١١٠١هـ/ ١٦٢٣-١٦٨٩م). عالم، محدث، أصولي، نحوي، تتلمذ على يد محمد بن عبد العزيز المفتي، ورحل إلى مكة فقرأ على ابن علان البكري وغيره، تصدر لإقراء الحديث بتعز، وله العديد من المؤلفات منها: (إعراب ملحة الإعراب) و (شرح على ألفية بن مالك) و (حاشية الجلالين) و (حاشية فتح الجواد) في الفقه و(الفتاوى) وغير ذلك. (الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص٤٩٦؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٢، ص٧٨٧-٧٨٨).

(٣) يذكر أحمد بن أحمد الشرجي في كتابه: طبقات الخواص أهل الصدق و الإخلاص، ص٢٠-٢١: أن قبر الشيخ =

من هذا الوادي، ومن هذا السَرِيْف[1] الجاري. والأمور تجري على غير قصد واختيار، بل يلحق بالاضطرار لكثرة الوافدين، وعدم الانخراط على طريق الصالحين؛ لأن أحوال الدنيا لا تزال مشوبة، وأحوالها في كل زمان عجيبة. والله يختم بالصالحات.

وفيها وصلت إلى الإمام رسالة من القاضي العلامة والبحر الفهامة عبد القادر بن علي المحيرسي في مناقضة مذهب الإمام في قوله بالتكفير بالإلزام، فقال القاضي في هذا الشأن، وقد أجاد في الدليل والبيان، مما يدل أنه من أهل التمكن والعرفان، ما لفظه:

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم وبعد فما ذكرتم من منع سماع الدعاوى لما كان من زمن الدولة، وصارت الجوابات مختلفة، فإن كان لأجل البغي فالباغي لا يخرج حكمُهُ عن أحكام الشرع فيما بين المؤمنين لثبوت إسلامهم شرعاً، وفي معاملة علي كرم الله وجهه لأهل الجمل وصفين مع استحلالهم «١١٧» لدماء المسلمين ما يهدي إلى هذا المعلوم. وإن كان لكونهم من أولياء المُجْبِرَة لموالاتهم لهم، أو لكون الجبر معتَقَدهم، فالذي علمناه من تضاد الإسلام والكفر يقضي بإيجاد الطريق إلى ثبوتها وإلى دخول أحدهما حيث يدخل الآخر من ثبوتها بفعل القلب بلا اختلاف، وإلا لافتقر أحد الضدَّين إلى أكثر مما افتقر إليه الآخر، وهو محال، أو لزم ثبوت الحكم بمجرد القول، فيكفر من نطق بكلمة الكفر بنحو إكراه من دون اعتقاد معناه، وهو خلافُ الإجماع، ولزم أيضاً ثبوت المعرفة بمجرد وجود اللفظ بها وإن كان باطنه مضاداً لمعنى ما نطق به، ولزم أيضاً إبطال كون مخالفته للمعتقد كذباً كما عُلِم من سورة المنافقين، وكل ذلك باطل. إلا أنه يقضي بإجراء حكم الظاهر على ذي القول فقط من كفر أو إسلام، وإن فرضنا تخلف الظاهر ثم تغير تقيدنا فيه بحكم الظاهر، والله يتولى السرائر. فإن كان ظاهره الإيمان كما في المكفرة تقيدنا بالحكم ببقاء إيمانه لظهور بقاء الأصل لأجل الإكراه، وإن كان ظاهره الكفر تقيدنا بالحكم عليه بالكفر، وإن كان في

أحمد بن علوان في يفرس ظاهر معروف مقصود للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة، لاسيما في آخر جمعة من شهر رجب، فإن أهل تلك النواحي يقصدونه من كل موضع، ويخرجون بالنساء والأولاد. وهذا يؤكد صحة ما ذكره مؤرخنا عن جمع ابن علوان.

(١) السَرِيْف: هو الصف، وجمعه صفوف. وصففت القوم فاصطفوا إذا أقمتهم صفاً.

نفس الأمر مؤمنا «١١٨أ» كما في أبي طالب[١] خَلا أن نطقه بالكفر مع تمكنه من نفيه معصية كافية، وإن لم تبلغ مبلغ الكفر، فعلى هذا فمن آل قوله المُنبي عن اعتقاده إلى الكفر أو الفسق -دلالة فقط لا ضرورة- فإنه لا يكفر بذلك ولا يفسق أيضاً إذا لم يلتزم ما لزمه فلم يلزمه حكمه؛ لأن المعصية المستلزمة لأيهما ليست نفس المُعْتَقَد، واللازم غير ملتزم على هذا الوجه، ولأنه يعلم قطعاً نقصان موقع القبح في حق مرتكب البِدْعة، لاعتقاده حُسْنَها لشبهة اقتضته عن مرتكبها، وهو عالم بقُبحها، فلم يبلغ ذلك القدر الذي يعلم عنده الكفر لا عقلاً ولا سمعاً أيضاً لعدم الدَّال عليه من صريح كتاب أو صريح متواتر سنة بطريق قطعية، وذلك مما لا منازع فيه. ولأن قوة الشُّبهة أيضاً تمنع الكفر ودونه إذا لم يعلم معها مخالفة الضرورة العقلية أو السمعية، ولأنه لم يشرح بالكفر صدراً، ولأن الاعتبار فيما يتضمن معناه الكفر فضلاً عما يؤول إليه إنما هو بالمعتقد وإلا إذاً للزم صحة إيمان بمجرد القول من دون اعتقاد مهما كان يؤول إليه فكما أن القول الخالي عن اعتقاد ما يؤول إليه «١١٨ب» ويستلزم لا يخرجه عن عهدة الخطاب به، كذلك ضده، ولا يثبت له ضد الإيمان بمجرد القول المستلزم لضده، ولقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرًا﴾[٢] ونحوه. وثبوت هذا يعلم أن المتأول[٣] من جُملة المسلمين وإلا لزم القول بإسلام أعظم كفر من الكافرين للتلازم المذكور آنفاً، فضلاً عن المُوالي له لغرض غير هذه العقيدة. إلى آخر ما قال القاضي عبد القادر.

وأجاب الإمام[٤] على القاضي بما أكثره محل النزاع، ووهم في حديث الصحيحين بأن الأمر زيف فقال: معناه القسر، وليس كذلك بل معناه الاستئناف كما في جميع كتب

(١) المقصود به: أبو طالب بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ، فقد روي أنه كان قد أسلم، لكنه لم يُظهر ذلك إلى أن توفي.

(٢) سورة النحل، آية: ١٠٦ والآية: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾.

(٣) المقصود به (كفر التأويل) أو (فسق التأويل). وهو ما كان شائعاً بتكفير بعض الفرق الإسلامية بعضاً وكان إجماع أئمة الاجتهاد في اليمن بأنه (لاكفر تأويل، ولا فسق تأويل، ولايدل على ذلك دليل) والبعض يشرح (كفر التأويل) بالقول بالجبر والتشبيه. (للمزيد انظر: د.حسين العمري: يمانيات في التاريخ والثقافة والسياسة، ص٣٠-٣١).

(٤) أي الإمام المتوكل على الله اسماعيل.

اللغة وغريب الحديث وشروحها ولا شك في متانة كلام القاضي هذا وظهور وجهه. وترادفت الاعتراضات والرسائل على الإمام في هذا العام: فمنها ما ذكرناه في هذه من القاضي، ومنها من الفقيه العلامة العارف عبد العزيز الضمدي التهامي[1]، فإنه اعترض الإمام في التأديبات التي تجري على أهل البلد عموماً في سبب خاص من بعضهم، وكثرة الاسترسال في المجابي[2] وكذلك اعترض السيد إبراهيم بن محمد باعتراضات من نحو ذلك. وكذلك من جهة القاضي أحمد بن علي بن قاسم العنسي[3] الساكن ببرط رسالة فيها اعتراضات على الإمام، وجميع الولاة والمتصرفين، وأكل الزكاة واستهلها بأبيات أولها يقول فيها:

إلى العلماء العاملين الأعزة　　　من الهاشميين الكرام الأئمة

وبعضها غير قادح على الإمام كما قد بينته في جوابها. مع أن المذكور وأقاربه صاروا يقبضون من زكاة برط فوق المائة الزبدي دفعة واحدة، وقبض ما فوق نصاب الزكاة حرام.

«١١٩أ» وفيها كان لجماعة بعض تقرير جار من زمان الإمام المؤيد بالله وإخوته، فلما دخلت دولة هذا المتوكل غيَّره، وقال: إنه لا يحل ذلك له كونه من الزكاة، وهي تحرم على بني هاشم والأغنياء. وكان ذلك عاماً لكثير من أهل هذا الجنس. فكتبت إليه: أن ما ذكرتم ليس هو عذر، فإن سائر بني هاشم ما تركتم ما هو لهم، فيلزم العموم. فقال: من أعطيناه فهو للتأليف والضرورة، ولكن قد نجعل لمن لم يكن فيه علة التأليف من المطالب المقررة على البلاد. فأجبت عليه: حيث قد بنيتم على التحري فلا وجه لهذه المطالب الشهرية، فإنها إن كانت على طريق المعونة فلها شروط غير خفية، والظاهر عدم حصول شرطها، ولا كمال المصوغ لفرضها. فأجاب بما هذا لفظه:

---

(١) ترجم له المؤرخ عند وفاته: (ق٢٤٦ب) من هذه المخطوطة؛ وترجم له أبو الرجال: مطلع البدور، ج٣، ص٢٧؛ والشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص٣٥٧-٣٥٨.

(٢) المجابي: المقصود به ما تجمعه الدولة من الرعايا من خراج وزكاة ونحوهما. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٣٣٩).

(٣) ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق١٨٥ب-١٨٦أ) من هذه المخطوطة؛ وترجم له الجرموزي: تحفة الأسماع، ق٣٤ب.

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد ترجمة[١] الكتاب. وبعد: فوصل كتابكم الكريم، وتضمن السؤال عن وجه المعوز، ولم يشغل عنه حال وصوله شاغل، فتحققناه. وما كان الظن أن يخفي ذلك وجهه، فالحق بيِّن بحمد الله، وبيان ذلك: أن مذهب أهل العدل[٢]، أن المجْبَرة والمشَبَّهة[٣] كفار، وأن الكفار إذا استولوا على أرض ملكوها ولو كانت من أراضي المسلمين وأهل العدل، وأنه يدخل في حكمهم من والاهم واعتزى إليهم، ولو كان معتقده يخالف معتقدهم. وأن البلد التي تظهر فيها كلمة الكفر بغير جوار[٤] كُفْرِيَّة ولو سكنها من لا يعتقد الكفر، ولا يقول بمقالة أهله. هذه الأصول معلومة عندنا بأدلتها القطعية، ومدونة في كتب أئمتنا وسلفنا، ولا ينكر ذلك «١١٩ب» عنهم أحد من له أدنى بصيرة ومعرفة بمصنفاتهم (الأزهار) وغيره. إلى أن قال: فإذا استفتح الإمام شيئاً من البلاد التي تحت أيديهم فله أن يضع عليها ما شاء، سواء كان أهلها ممن هو باق على ذلك المذهب أم لا. فالمقلد من الناس إن أراد أن يكتفي بالتقليد فهذه الأصول معروفة

---

(١) أي فاتحة الكتاب أو مايعرف (بالديباجة).

(٢) مذهب أهل العدل: يطلق هذا اللفظ على (المعتزلة). وقد سموا بالعدلية لقولهم بعدل الله وحكمته. (الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص٤٣).

(٣) المشَبِّهة: طائفتان: الأولى الحشوية من أهل الحديث، الذين تمسكوا بظواهر الأحاديث التي تشعر بالتشبيه. وهم عدة فرق، والثانية: غُلاة الشيعة وهم عدة فرق. وقالت الطائفتان: إن معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض، إما روحانية، وإما جسمانية. (محمد بن عمر الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٩٧-٩٩؛ الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص١٠٥).

(٤) المراد بالجوار: الذمة والأمان من بعض من لهم الحكم من المسلمين في تلك البلاد. ويرى علماء الاجتهاد مثل الإمام محمد بن علي الشوكاني أن الاعتبار (بظهور الكلمة) فإن كانت الأوامر والنواهي في الدار لأهل الإسلام، حيث لايستطيع من فيها من الكفار أن يتظاهر بكفر إلا لكونه مأذوناً له بذلك من أهل الإسلام فهذه (دار إسلام) ولا يضر ظهور الخصال الكفرية فيها، لأنها لم تظهر بقوة الكفار ولا بصولتهم. ويناقض الشوكاني ماذهب إليه الإمام إسماعيل هنا بقوله: (لو أن هذه المسائل التي اختلف فيها أهل الإسلام وكفَّر بعضهم بعضاً تعصباً، لو كان ظهورها في الدار مقتضياً لكونها (دار الكفر) لكانت الديار الإسلامية بأسرها (ديار كفر)، فإنها لا تخلو مدينة ولا قرية من ذاهب إلى ما تذهب إليه (الأشعرية) أو (المعتزله) أو (الما تريديه) وهذا ما ذهب إليه العلماء المجتهدون الآخرون. (انظر د.حسين العمري: يمانيات في التاريخ والثقافة والسياسة، ص٣٠-٣١).

في المختصرات، وإن أحب الوقوف على الدليل ففي المبسوطات ما يكفي ويشفي.

وقد أجبت على هذا بكتاب حافل في مجلد صغير قدر ثمان كراريس في نصف قطع، ولم أبلغه إليه لعلمي أنه لا يثمر لديه. وجميع ما ذكره مختل لم يكن في كتب الأئمة ولا (الأزهار) مما ذكره وإنما المذكور في الكتب أحكام الكفار والمرتدين، فأما الجبرية والمشبهة فلا يوجد منهم الآن أحد في جميع بلاد الإسلام. فكان المتوكل عليه أن يعرف بالأصل ليرتب عليه الفرع فلا يجعل هذا ذريعة له ولغيره في الجور من العمال والمتصرفين، [فمن سن سنة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة][(1)] فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي خلال هذا ظهر زيادة المرتفعات من الولاة باليمن الأسفل وغيره، واسترسلوا في المطالب والزيادات فيها حتى تضرر أهل البلاد، وما زالوا بالشكوى فلم يسمعها منهم المتوكل ليحرر هذه الشبهة الباطلة عنده، فكتبت إليه كتاباً أَتَرَجَّى أو عسى يحصل معه تعطف ورحمة لهم، فأجاب عليّ بما لفظه:

(وذكرتم ماصار يجري في اليمن الأسفل، وما نقل إليكم. فما اشتغالنا في الأغلب إلا بإنصاف مثل من ذكرتم من المظلومين، وكل من اتصل بنا لا يعود إلا مُنصفاً، ولا نترك لله حقاً. وقد كررنا الأمر بذلك إجمالاً وتفصيلاً، ولا نزال عليه). انتهى كلامه. ولا أصل له، فإنهم عادوا من بابه مظلومين غير منصفين مراراً، حتى أنه بقي شُكاة العُدَين في بابه قدر سنتين، ثم حبس شيخهم، وأمرهم بتسليم زيادة المطالب.

«١٢٠أ» وفي هذه المدة خرج من حضرة الإمام رجل يقال له أحمد الغشم الآنسي بخط [(2)] طلبه للاحتساب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما جرى في هذا

---

(١) ورد الحديث في صحيح مسلم، جـ١٦، ص٢٢٦: (من سن في الإسلام سُنَّة حسنة فَعُمِل بها بعده كُتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كُتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء(. كما ورد بألفاظ مختلفة في: سنن ابن ماجة، جـ١، ص٧٤؛ سنن الترمذي، جـ٥، كتاب العلم، ص٤٣؛ سنن الدارمي، جـ١، ص١٣٠).

(٢) أي أمر من الإمام أو رسالة.

الباب. وكان على الإمام أن يمتنع من إسعاده إلى الخط، ويقول له: مثلك لا يقوم بهذا وليس لك فيه حظ، وإنما يقوم به الولاة، ومن معه أعوان لتنفيذ ما نهاه. وكان المذكور قد فرح بذلك، وعدَّه من الأمور المهمة فيما هنالك، وهو غير عارف بشروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجميع الشروط والحروف، فخبط فيه خبط عشوى، وصار يجري فيه تخليط مع الجهل والهوى. وللناس فيما يعشقون مذاهب. وربما أن النية معه غير محررة على الإكمال، وخلوصها عن مفسدات الأعمال. فلأجل ذلك لم يحصل فيما أراد على طائل، ولم ينفع أمره، ولم يتم له نهيه. بل قد وقع في تعريض نفسه لما وقع فيه، وجرى له من الفعال الذي حصل فيه لَمَّا أنكر مرة على غلمان من سواس الخيل شرب التتن المعروف، فاجتمعوا عليه وبسطوه في الدِّبْخة[1]، وأذاقوه «١٢٠ب» الفضيحة حتى لقد كتب ورقة من كتب منهم ودسها في غلقة باب مَنْزِلَته[2]، وفيها من الكلام الفاحش ما يتعجب منه يقول فيها: (ياغشم ياغشوم، إعجل بالوصول فإن الإِير قائم، فالعجل العجل). وقال في الورقة: (محب الإمام سعيد الغلام). فهذا ذكره للتعجب. والاغترار والفضول من الجهال لما لا يعنيهم أوقعت إلى هذا من أرذل الناس، وإلى أنكر ما أنكره مع عدم كمال الأثر الذي أثره، مع جهله بأن التتن ليس فيه تحريم صريح، ولا دليل يعول عليه صحيح، فجمع في إنكاره هذا بين قبح الإنكار، ثم قبح ما وقع فيه وصار. والرجل حال هذا الاحتساب، في سن الشباب وأوان التكليف والبلوغ، أمرد الوجه لم يلتح، فكان جهله أوقعه في عمل من لا يستحي. ثم سرقوا عليه الخط، وعدم به الحظ. ولما جرى ذلك، دخل حَضْرَمَوت[3] وأبدل سيما الفقهاء

(١) الدِّبْخة: هي مخلفات الحيوانات حيث تُجمع من أماكن تواجد هذه الحيوانات ويُستفاد منها إما للوقود إذا ما ديست وخلط بعضها ببعض إلى جانب الحطب أو تستخدم كسماد للأراضي الزراعية.

(٢) المَنْزِلَة: جمعها (منازل) وهي عبارة عن غُرف ملحقة بالجوامع لطلاب العلم القادمين من خارج المدن الذين لايتوفر لهم سكن من طلاب العلم المبرزين. وقد سكن في تلك (المنازل) كثير ممن أصبحوا علماء وأدباء مشهورين. وبعد عام ١٩٦٢م لم تعد وظيفتها ذات أهمية. (الموسوعة اليمنية، جـ٢ـ ص٩٢٠).

(٣) حَضْرَمَوت: تقع إلى الشرق والشمال الشرقي من مدينة عدن، يحدها من الشمال الربع الخالي و من الجنوب بحر العرب ومن الشرق عُمان ومن الغرب يافع والعوالق ودثينة والبيضاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص٢٦٣-٢٦٤).

بسيماء الجَنَّبْدَة[1]، وحمل الرمح، وركب الحصان مع أحمد بن الحسن، ثم تزوج فيه، واستقر بنواحيه.

وفي يوم الخميس ثالث عشر شهر جمادى الآخرة منها اتفق قران المريخ وزحل في برج الجوزاء. «١٢١أ»

وفيها ابتدأ الإمام ببعث أمير الحاج يسير معهم من بابه إلى محروس مكة المشرفة بعسكره، وصُّر[2] من الدراهم لصاحب مكة، على صفة ما يفعله السلطان ابن عثمان بجهته. وكان قبل هذا الوقت والأوان لا يُعرف الأمير في تلك الأزمان، بل كان قبل ذلك وفي مدة الإمام المؤيد يسير الحاج إلى هنالك بغير أمير، ولا إعطاء صر ولا مَنْقِير[3]، وإنما كان السيد محمد بن صلاح صاحب جازان وأبي عريش، يصحب الحاج في بلاد الحرامية لحفظهم حال المرور والتّعْريس[4]، فإذا وصل إلى حلي عاد راجعاً بعسكره، وذهب الحاج فريداً بأكمله في أمان الله وبركة بيته من غير هذا التكليف الشاق، وكثرة ما يلزم من الإنفاق.

وفيها انتهب رجلان شاميان مالاً في الطريق الخارجة من ذمار إلى صنعاء، وقتلا الرجل، فقبض محمد بن الحسن على أحدهما وجيء به إلى صنعاء فأمر بضرب عنقه وشُنق في أعلى نوبة[5] باب شعوب.

---

(١) أي الجنود.

(٢) الصُّر: هو مبلغ من المال كان يرسله السلطان العثماني إلى أمير مكة و الحجاز كل عام في موسم الحج، وكان بعض الأئمة يرسل الصر، ومنهم الإمام المتوكل إسماعيل والإمام المهدي أحمد بن الحسن.

(٣) المنقير: كلمة متداولة حتى الآن للدلالة على عدم وجود نقود لدى شخص ما فيقال لا قطمير ولا منقير. ولعلها عملة نقدية صغيرة جداً.

(٤) التَّعْريس: النزول في آخر الليل. أو نزول القوم في السفر من آخر الليل. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ٧٣٣).

(٥) النَّوْبه: جمعها نُوَب، وهي بناء اسطواني يشبه البرج، ويبنى من الحجر أو الزابور، ونوب الزابور هي الأكثر شيوعاً في اليمن، وتستخدم بيوتاً للسكن وهي أيضاً أبراج للحراسة. (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٩٧٣).

ودخلت سنة تسعة وخمسين وألف[1].

فيها جهز الإمام ابن أخيه شرف الإسلام الحسين بن الإمام المؤيد بالله إلى قبة[2] خيار، وأمره بخراب بيوتها، وإزالة ما فيها، لأجل ما وقع بينهم من الحرب والفتنة والعصبية والقَبْيَلة، فأخرب منها بيوتاً «١٢١ب» وعروشاً، وتركها خاوية. وعادإلى شهارة.

وفي هذه السنة قصد الناس من العوام بالوفود، إلى حضرة رجل ظهر من حاله الجذب ممن كان من أهل الحراثة والقعود في سنحان ببلد أسْنَاف[3] يسمى عبد القادر العرهمي اعتراه نوع من النشاف، فتخيَّل للناس ومن وفد إليه من الخُفَاف[4] أن عنده كرامات، حتى بلغ بهم الحال أن قال قائلهم: قد أبرأ الأكمه والأبرص، فاستحث الناس من الجهات لزيارته، والمبادرة منهم للاقتباس من طلعته، ومعهم من الفتوح ما يبذلوه له عند وصولهم. وخرج إليه أيضاً جماعات من المدينة الصنعانية على ما يعهد من أهلها من غلظة طباعهم، وقساوة قلوبهم، فأما هذا الرجل فرحل منهم طوائف، وسار إليه منهم زعانف[5]. وبعض نساء من الحريم، ممن اعتراه ألم جسيم. وظهر شأن هذا الرجل وذكره وسببه: أنه اتفق لمن وصل إليه بذلك القصد البُرء من علته، ولعلها - والله أعلم- حالة اتفاقية، فحصل مع الناس هذا الانجفال إليه، والقصد بالنذور عليه. ثم إنه لما ظهر هذا الأمر عند ولي الأمر «١٢٢أ» قال: لا ينبغي تقريره، ولا تَخْلِيَة الناس

---

(١) ١٠٥٩هـ = ١٦٤٩م.

(٢) القُبَّة: بلد من خيار، وخيار من بني صريم في حاشد. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص٣٢٢؛ مج٢، ج٤، ص٦٤٦).

(٣) أسناف: حصن وقرية بالقرب من جَحَانة، وهي من أعمال خولان الطيال، جنوب شرق صنعاء (المقحفي: معجم البلدان، ص٣٣).

(٤) الخفاف: يقصد بهم خفاف العقول ولازالت مستخدمة إلى الآن.

(٥) زعانف: مفردها زعنفة، كل شيء رديئه ورذاله، وقيل إنما سمي رذال الناس زعانف على التشبيه بزعانف الثوب والأديم. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٢٨).

عليه بل تنفيره. فأرسل الإمام بأدب على من قصد إليه، وأرسله عليه، فهرب العرهمي عن الواصلين، ثم عاد إلى بلدته بعد يسير حين، ودخل عقب ذلك إلى مدينة صنعاء، فرأيته وهو يدور في شوارعها ويسعى. والصبيان خلفه يضحكون، وعليه يتعجبون، ولباسه لباس حاله القديم، وأهله في بلدهم على منهاجهم المستقيم، من لباس المئزر، وحاله الأغبر. ثم إنه دخل حوش بير قشَّام[1] وهو يسني، وساق البهائم وهو يغني. ثم خرج عنه في الحال إلى لكمة التراب، فسجد عليها وقبلها إلى غير قبلة ولا باب. ثم طلع رأس داير المدينة، ولم يجد مخرجاً إلى البرية، فقفز من رأس الداير، فحصل في بعض رجله الكسر، ثم سار أياماً وهو يعرج برجله من أثر ذلك ووهنه. ثم اضمحل ذكره، واستمر على جذبه وخفة عقله.

وفي هذه السنة أمر القاضي إبراهيم بن يحيى السحولي بطمس الكتابة التي كانت في جدار مؤخر مسجد الجامع بصنعاء بلفظ: هذه الروضة، «١٢٢ب» في الجانب الغربي، رأياً رآه لا وجه له بل اقتضبه بهواه، وإلا فإن ذلك علامة للمسجد النبوي، ليعرفه من لا يهتدي. والعجيبة لبقية المكتوب في طراز المقدم ولفظه ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَـٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[2] كأنه قصد بها الآل وإنما هي في بني اسرائيل. وقد تركه الأولون، وهم الكملاء العارفون.

قال عبد الله بن صلاح عنقوب المنجم: وكان في هذه السنة دوران[3] زحل ببرج السرطان. انتهى.

---

(١) القَشَّام: هو الشخص الذي يزرع «المقشامة» (سيأتي شرحها في مكانها) ويتعهدها، فينتج البقول بأنواعها، ويتصرف بالدخل منها طبقاً لقاعدة متبعة بينه وبين مسؤول الأوقاف (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٨٩٨-٨٩٩).

(٢) سورة الدخان، آية: ٣٢.

(٣) وردت في الأصل: (دروان).

ودخلت سنة ستين وألف[1]

فيها جاءت اعتراضات من السيد إبراهيم[2] نحو ما اعترض به أولاً في العام الماضي، فأجابها كثير من العلماء مثل: السيد يحيى بن أحمد الشرفي[3]، والفقيه أحمد بن صالح بن أبي الرجال[4] مع جواب الإمام.

وفيها أو التي تليها مات علي باشا الذي كان متولياً لبلاد الحسا من قبل السلطان مراد بن أحمد بن عثمان. وكانت وفاته بالمدينة المشرفة جوار النبي ﷺ والحجرة الشريفة المنورة. وسبب مصيره إلى المدينة؛ ما جرى عليه من التنفير والريبة والعقوق والوضيعه من ولده عيسى بن علي باشا، فإن المذكور لمَّا كبر أبوه طرده وقلاه[5]، وقال: أنا الأحق بالباشوية، والمملكة في هذه البلاد الحسائيَّه، فمات هنالك، وخرجت التشريفات من السلطان إبراهيم بن أحمد خان لولده عيسى المذكور في مدينة الحسا المسماة (كيت)، وبلادها إلى الآن والله أعلم.

وفيها اتفق لرجل من صنعاء في سن الشباب تسودن[6]«١٢٣أ» فطفر[7] من رأس بير السيد قاسم إلى قعرها، فغرق في الماء، ومات في الحال وطفا، وأُطلع منها ميتاً عقب هويِّه بها.

---

(١) ٣)) ١٠٦٠هـ-١٦٥٠م.

(٢) هو إبراهيم بن محمد المؤيدي، سبق ذكره.

(٣) هو العلامة يحيى بن أحمد بن محمد بن صلاح القاسمي الشرفي. أخذ عن كثير من العلماء المبرزين، وله مباحث وأشعار. توفي بالشاهل من بلاد الشرف في ذي القعدة سنة ١٠٨٩هـ/ ديسمبر١٦٧٨م. (الجرموزي: تحفة الأسماع، ق٢٨ب-٢٩أ؛ المحبي: خلاصة الأثر، ج٤، ص٤٦٤).

(٤) هو العلامة أحمد بن صالح بن محمد بن علي بن أبي الرجال (١٠٢٩-١٠٩٢هـ/ ١٦١٩-١٦٨١م) عالم برع في كثير من العلوم، تلقى العلم على يد أبرز علماء عصره. من أشهر مؤلفاته كتاب (مطلع البدور ومجمع البحور) ترجم فيه لأعيان الزيدية. مدحه العلاَّمة الشوكاني قائلاً: (ولولا كمال عنايته واتساع اطلاعه لما تيسر له جمع ذلك الكتاب) وله العديد من المؤلفات الأخرى. (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، ج٣، ص٣٣؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص٥٩-٦٠).

(٥) قلاه: أبغضه وكرهه غاية الكراهية فتركه. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص١٥٧).

(٦) تسودن: لم أتمكن من معرفة معناها.

(٧) طَفَر: وثب في ارتفاع، فيقال طفر عن راحلته. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٥٩٧).

وفيها توفي السيد الشريف علي العابد بعكفته[1] ومسجده المسمى مسجد بغلان[2] بصنعاء اليمن، وريعها الميمون الحسن. كان هذا السيد المذكور من الفضلاء، وأهل العبادة والرجال الكملاء، وممن عمل صالحاً واتقى. خامل الذكر، ضائع القَدْر، مهملاً، وهو عند الله عظيماً. وكان يلبس بساطاً وعلى رأسه قُبْع[3] بلا عمامة. وكان بقاءه في (مَنْزِلة) جنب هذا المسجد، ويتعبد في المسجد، وعنده بير منزع يجر له بيده حاجة الوضوء، فا ستمر كذلك في هذا المكان قريب سبعين سنة كما روي. وأنا كنت ممن لا أعرفه في حياته، ولا يروي لي أحد حالته، فلما مات -رحمه الله ونفع به وبالصالحين من عباده- رأيت جنازة خارجة إلى مقبرة خُزَيْمة[4]، معها خلائق عظيمة، ما رأيت قبلها أحد خرج بمثلها حتى أهل السوق، فكان ذلك هو السبب لسؤالي عنه، واهتمامي بوصف شأنه، وبيان حاله، بحيث أني كنت ظننت أنه من الأمراء والملوك، وهم الملوك في التحقيق كما يقول الشاعر:

ملـوك عـلى التحقيـق لـيس لغـيرهم

مـــن الملـــك إلا اســـمه وعقابـــه

نعم، فقالوا: هذا سيد من أهل البيت عابد، صالح، زاهد، يلبس الخشن من الثياب، فإذا قام للصلاة لبس أحسن الثياب وأنصعها، وصلى صلاة بأكملها في متعبد له «١٢٣ب» ومعتكف يقال له: مسجد بغلان ولا يحب الظهور، ويؤثر الخمول، فقلت: ولا شك أن هذا الرجل له شأن عظيم، وحال عند الله جسيم. رحمه الله. ودفن بخزيمة. وهذا المسجد المذكور من مساجد البيوت المهجورة يقرب من مسجد المفتون[5]، غربي مشهد الإمام صلاح الدين.

---

(١) أي الموضع الذي كان معتكفاً فيه.

(٢) مسجد بغلان: من المساجد المندثرة. وقد عَرَّف يحيى بن الحسين موقع هذا المسجد في (ق١٢٣ب) من هذه المخطوطة.

(٣) القُبع: غطاء الرأس منقوع بالنيلة الزرقاء.

(٤) مقبرة خُزَيْمة: في صنعاء وتقع في الجهة الجنوبية منها.

(٥) مسجد المفتون: من المساجد العامرة، بالقرب من مسجد صلاح الدين، قيل إنه من عمارة جماعة المفتين، جمع مفتي، كان مجتمع القضاة للفتيا. (الحجري: مساجد صنعاء، ص١١٥).

وفيها وصل إلى صنعاء اليمن رجل شاطر[١] من الجهات المصرية، من اللوتية[٢]، حالق لحيته، مسبل شاربه، مخالف للسنة الشرعية. فمن جملة عمله ولعبه، وشطارته على زعمه أنه كان يحمل الخشبة العظيمة والحجر الكبيرة عليها وينقلها من هذا الجنب إلى الجنب الآخر.

وفيها مات الأمير رجب الرومي بصنعاء اليمن، وهو الذي سبق ذكره في أصل هذا التاريخ[٣]، وواجه الإمام المؤيد، وكان مرسلاً من جهات السلطان زيادة لحيدر، فولاَّه الإمام، وأقطعه وأصحابه بلاد المخَادِر[٤]، تحت نقيل سُمَارة، فسكن فيها مدته في أرغد عيش وأطيب حال بالكفاية التامة والولاية. وبنى فيها داراً عظيمة، ومساكن واسعة، ومصانع غريبة بحيث جعل في داره دوَّاراً من صروف[٥] للطعام، يضع فيه «١٢٤أ» الحريم الأطباق والخبز والمقالي[٦] المنوعة الفخام، ثم يعصرن ذلك الدوَّار، فيأخذ ما فيه من الجهة الأخرى الرجال، ولا يسمعون صوت الحريم، ولا يرون شخوصهن حال التَّقريب والتَّسليم. رأينا هذا في داره لَمَّا بتْنا عنده في سفر مضيناه، فرأيناه كما وصفناه. فلما طلع هذا العام إلى صنعاء لغرض اقتضاه من محمد بن الحسن بن الإمام مات فيها، وقبر بحوطة قبة البكيرية[٧]، وفي مقبرتها كان دفنه وجنبها.

---

(١) هو الذي يلعب الألعاب البهلوانية. ولمحمد بن إسماعيل الأمير بحث في مسألة الشُّطَّار عنوانه (بحث حول مسألة الشطار الموجودين في اليمن) بقلم المؤلف، بمكتبة العلامة محمد بن محمد المنصور. (الحبشي: فهرس مخطوطات بعض المكتبات الخاصة في اليمن، ص٣٨٧).

(٢) يذكر علي بن عبدالله بن القاسم في كتابه: وصف صنعاء، ص٨٨، بأن اللوتيا: هم من الأغراب الموجودين في صنعاء، وهم من الهند الرازبوت.

(٣) أي في كتابه (أنباء الزمن) يذكر فيه المؤرخ خروج رجب الرومي إلى اليمن، وقدومه على الإمام المؤيد في شهارة وذلك في سنة ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م. (انظر ص٣٨٤-٣٨٥).

(٤) المخَادِر: بلدة عامرة شمال مدينة إب، تبعد عنها نحو خمسة وعشرين كيلومتراً. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٤، ص١٩٦٩).

(٥) الصُرُوف: ألواح من الخشب، مفردها (صُرْفة).

(٦) المقالي: نوع من الأواني المستخدمة للأطعمة، تُصنع من مادة تُعرف ب(الحرض) من أهم مميزاتها أنها تحتفظ بدرجة الحرارة لفترة طويلة.

(٧) قبة البكيرية: من المساجد العامرة بصنعاء، في الجهة الشرقية، بالقرب من القصر. عمرها الوالي العثماني حسن باشا، سنة ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م. وصرف في عمارتها أمولاً جسيمة. (الحجري: مساجد صنعاء، ص١٧).

وفيها توفي القاضي العارف العلامة الفقيه إبراهيم بن يحيى السحولي حاكم المسلمين بصنعاء اليمن. كان المذكور عارفاً بالفقه وعلم الكلام، ومشاركة في النحو، أخذ في علم الكلام على القاضي عبد الهادي الثلائي، والفقه على والده يحيى وعلى السيد محمد المفتي، والشكايذي. وكان حاكماً بمدينة صنعاء وخطيباً، وإمام الجامع للصلوات في أوقاتها. ولم يُعلم أن المذكور سجد لسهو في صلاة الجمعة في جميع مدته واتفق مرة أنه كرر لفظة في التلاوة «١٢٤ب» حال الإمامة، فانتظر السامعون له أنه سيسجد للسهو فلم يسجد، فقيل له: سجود السهو فاتك لأجل تكريرك، فأعرض عن كلامه. وكان مع اشتغاله بالقضاء وعدم المعاون له في زمانه، وما مضى في مدته وأيامه، وكثرة الشجار،والتحاكم من كثير من الأقطار لا يترك الدَّرس في الفقه وعلم الكلام مما يُعجب من قوة صبره تلك الأيام حتى كان السنة التي مات بها يدَّرس في (البحر)[١]، وفي علم الكلام في (منهاج القرشي)[٢]، وجعل عند ختمه (للبحر)[٣] أرجوزة في مشائخه. وله تعليقة[٤] على (الأزهار) تتضمن تقريرات مشائخه ووالده، وله تعليقة على (الثلاثين المسألة)[٥]. وكان يرى حل الزكاة إلى بني هاشم والأغنياء إذا كان الصرف لمصلحة كما صرح به في حاشيته على (الأزهار). وقبر بالمحاريق قريب جِرْبة الروثة[٦] بمقبرة باب اليمن، وبنى عليه صنوه الحسين قبة هنالك عند مسجد كان بناه المذكور في حياته، وكان أولاً قد دفن في جربة الروثة، فنقله صنوه عقب موته إلى

---

(١) أي كتاب البحر الزخار: سبق ذكره.

(٢) اسم الكتاب: (منهاج التحقيق ومحاسن التلفيق) ويسمى أيضاً (المنهاج لتقويم الاعوجاج) أما مؤلفه فهو: يحيى بن الحسن القرشي، الصعدي بلداً عاصر الإمام المهدي علي بن محمد. توفي سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م. (يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٢٧١؛ زبارة: أئمة اليمن، جـ١، ص٢٦٧-٢٦٨؛ الحبشي: مصادر الفكر، ص١١٥).

(٣) عنوان الأرجوزة: (الطراز المذهب في إسناد المذهب) (الحبشي: مصادر الفكر، ص٢٤٣).

(٤) أي حاشية.

(٥) عنوان كتاب (الثلاثين المسألة) : (مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم) في علم الكلام مطبوع. أمامؤلفه فهو: أحمد بن الحسن بن محمد بن الحسن الرصاص، له مؤلفات شهيرة في أصول الدين. توفي سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م. (يحيى بن الحسين: المستطاب، ص١٦٤؛ الأكوع: هجر العلم،جـ١، ص٤٩٧).

(٦) جربة الروثة: وتعرف بجربة الروض. في الجهة الجنوبية خارج باب اليمن.

هذا المحل. وقد صرح القاضي المذكور بأن الخلاف لفظي في مسألة الرؤية، ونقل كلام الرازي[1] في ذلك رحمه الله تعالى. وكان مع كثرة التدريس (لشرح الأزهار) (والأزهار) يحفظه عن ظهر قلب. وكان يحسن الظن بالصحابة، ويترضى عنهم في الخطابة جميع مدته.

«١٢٥أ» وفيها أظهر السيد الحسن بن أحمد الجلال مذهب الظاهرية، وقال: إنه الذي ترجَّح له من المذاهب الإسلامية، فاعتقد أصولهم، وما عليه التعويل عندهم من العمل بالبراءة الأصلية كما يقوله ابن حزم[2] من أئمة الظاهرية، وإسقاط الاحتجاج بالأخبار الأحادية، والتعويل على التواترية، وما لم يتواتر فيه فالبراءة الأصلية، مع أن داود الظاهري في نفسه لا ينكر الاحتجاج بالأخبار الأحادية الصحيحة، فكان سبب هذا الاعتقاد، والمذهب والانفراد إباحة كثير من المناهي والمسائل، والتفرد من السيد لأقوال ما قد سبق إليه أحد من الأوائل لا سيما واعتقاده أيضاً مذهب القاشاني[3] من إنكار دليل الإجماع، وعدم الرجوع إليه والاستطلاع، ومع قوله أيضاً بإنكار حجة العموم، والدلالة من المفهوم، فضاع عنه بسبب هذه الأصول أكثر الأحكام، وحقيقة الشرائع والإبرام، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم. فمما ذهب إليه موافقة لهذه الأصول، وعمل بما يخالف المنقول والمعقول: تحليل المتعة[4] المنسوخة، وموافقة الإمامية المبتدعة، وإسقاط الأذكار في الصلاة والاعتدال، وأن الإمامة لا منصب لها معين، بل هي صالحة في جميع الناس، لا يشترط في صاحبها إلا التقوى، موافقة للخوارج، ومخالفة لأهل الفن، «١٢٥ب» وتحليل الزكاة لمن حرمت عليه من الأغنياء

---

(١) هو فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي (٥٤٤-٦٠٦هـ/ ١١٤٩- ١٢٠٩م) فاق أهل زمانه في العلوم العقلية والنقلية. له مصنفات في فنون عديدة كلها محققة، من أهمها وأشهرها تفسير القرآن الكريم المسمى (مفاتيح الغيب). (الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تقديم: طه عبد الرؤوف، مصطفى الهواري، ص٢-٨).

(٢) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٣٨٤- ٤٥٦هـ/ ٩٩٤-١٠٦٤م) عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. أشهر مصنفاته: (الفصل في الملل والأهواء والنحل). (الزركلي: الأعلام، جـ٥، ص٥٩).

(٣) القاشاني: هو أبوبكر محمد بن إسحاق، يُنسب في مذهبه إلى داود الظاهري توفي سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م. من مؤلفاته: (أصول الفتيا((إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، مجـ٢، ص٢٠).

(٤) المقصود بها: زواج المتعة.

والهاشميين، وعدم وجوب الجمعة إلا بحضور الإمام الأعظم من أئمة المسلمين، وهو مذهب الخوارج، وغير ذلك من الأقوال المخالفة للإجماع.

وظهر أيضاً في هذا التاريخ المذكور للشيخ أحمد بن علي بن مطير الحكمي[(١)] من الشافعية ما تفرد به عن أصحابه وأهل مذهبه، مع تشديد الشافعية في هذا الزمان على التقليد والالتزام. فمن جملة مسائله المخالِفة لدلائل سنة الإسلام قوله: بأن الأحاديث الواردة في [الافتراق لأمته بعده إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة][(٢)] أحاديث باطلة، وعن الصحة عاطلة؛ لأنها مخالفة للمعقول، وظاهر ما جاء في كتاب الله تعالى المنقول، بقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[(٣)] فصارت بعد هلاك أكثرها شر الناس؛ لأن افتراقها زاد على افتراق من قبلها بفرقتين كما في لفظ الحديث. وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان ذلك في ترجمة الشيخ أحمد إن شاء الله تعالى عند ذكر وفاته. والله الموفق. وقد حققت الكلام على ذلك في (المسالك)[(٤)].

ودخلت سنة إحدى وستين وألف[(٥)].

وفيها أو التي تليها سار محمد بن الحسن إلى الحضرة العالية، ومر بعد وصوله تلك الأيام إلى حَبُور ظُليمة متنزهاً فيه بعد نزوله من حصن شهارة، فاتفق عند لقاء أهل البلاد له فُرْقَة بين العسكر، فراح أحدهم، ووقع أصواب[(٦)] بآخرين منهم. وربما كان الإمام بحبور تلك الأيام.

---

(١) ترجم له المؤرخ عند وفاته ترجمة مطولة (ق١٦٣ب- ١٦٦ب). من هذه المخطوطة.

(٢) انظر الحديث في: سنن الترمذي، جـ١، ص٢٥-٢٦؛ سنن ابن ماجة، جـ٢، ص١٣٢١- ١٣٢٢. وقد ورد بألفاظ مختلفة.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١١٠ وتمامها: ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو ءامن أهل الكتب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفسقون﴾.

(٤) المقصود به كتاب مؤرخنا المسمى: (المسالك في ذكر الناجي من الفرق والهالك(مخطوط بقلم المؤلف في ١٥٤ورقة بدار المخطوطات.

(٥) ١٠٦١هـ= ١٦٥٠م.

(٦) أي جروح.

«١٢٦أ» وفيها وقع من الشيخ يحيى بن روكان الخلاف في بلاده خولان شام صعدة، وأظهر المباينة والمحاربة والعدة، كما قد سبق له من البغي المتكرر في هذه المدة، فرغب السيد إبراهيم بن محمد المؤيدي المتقدم ذكره إلى تجديد الدعوة والإمارة، وطلب الرئاسة والزعامة، وفرح بعمل ابن روكان، وأنه سيكون له ركن من الأركان. فلما بلغ الإمام ذلك الأمر من الرجلين، واتفاقهما على الخروج عليه من بين جميع المسلمين عجب من حالهما بعد تكرر الواقع منهما، وتأكيد التبعات عليهما المرة بعد المرة، والكرة بعد الكرة. وكوْن هذا الأمر العظيم، وشق عصا جماعة المسلمين لا يفعله من له نصيب من الدين، والعقل الكامل الرصين، فأرسل عند ذلك جماعة عسكر، وعرف أن هذا الحادث سينجبر. «١٢٦ب» فلما وصل أصحاب الإمام إلى جهات بلاد الشام، وتلك النواحي والآكام، رجعوا إلى المعقول، ولم يقع فيه جراح ولا قتول، وأظهروا الندم على ما فعلوا، والاستغفار فيما أخطأوا. ووصل السيد إبراهيم بن محمد بنفسه إلى حضرة الإمام يتعطفه ويعتذر إليه من هذه الآثام، فقبل منه الإمام ما اعتذر به، وأسعده فيما طلبه من الإقطاع وما رام، وزلجه بأحسن زلاج، وأقطعه بلد رُغَافَه[1] وما حولها وجميع ما يحتاج.

وفيها خرج السيد محمد بن علي الحيداني[2] من بيته إلى بلاد برط، ثم نزل منه إلى الجوف، ثم إلى بلاد خولان في صنعاء، ثم جاوز عنه إلى بلاد المَصْعَبَين[3] بلاد قايفة. وأظهر في سفره هذا أنه المهدي المنتظر الذي يؤم آخر الزمان. وذكر أن عنده صحة إمامين في عصر واحد. وأنشأ عقيدته، وذكر من جملتها تكفير جميع المسلمين من المعتزلة والأشاعرة، وتكفير الصحابة الكرام. وذكر أن النص في علي جلي، يَكْفر مخالفه، فكفَّر صحابة النبي ﷺ، «١٢٧أ» كالخلفاء الثلاثة ومن قال بقولهم، وبايعهم، واعتقد

---

(١) رُغَافَة: قرية مشهورة في ناحية جُماعة من أعمال صعدة، تقع في الشمال من مدينة صعدة على بعد ٥٣كيلو متراً منها. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٣٦٩؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص٨٩٢).

(٢) ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق١٦٣ب) من هذه المخطوطة.

(٣) المَصْعَبَين: من قبائل بيحان المشهورة، من بطون قايفة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١٣٢).

إمامتهم، وعجائب يقشعر منه[1] الجلد. نعوذ بالله من الضلال، والغلو في الدين والخروج عن طريقة العُقَّال. وعلى الجملة أنه كفَّر أكثر المُسلمين. وفي الحديث الصحيح: [من قال لأخيه يا كافر حار عليه][2] أي رجع. ولقد تحجر السيد واسعاً [كالأعرابي الذي بال بالمسجد، فنهره الناس، فقال النبي ﷺ: «دعوه وصبوا عليه ذَنُوباً[3] من ماء». فقال الأعرابي: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً. فقال النبي ﷺ: «لقد تحجرت واسعاً»[4] وهذه بلية عظيمة فإن كثيراً من الشيعة يعتقدون أن النص جلي من الجارودية على مثل قول الرافضة الإمامية، فتراهم يكفِّرون المسلمين لكنهم لا يظهرون ما أظهر هذا السيد من التكفير، وإن كان ذلك مذهبهم. فلا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم. وزيد بن علي من اعتقادهم بريء، حاشاه من ذلك.

ولما وصل هذا السيد إلى هذه البلاد، وهو ينتظر للناصر له فيها ليخرج على طائفة المسلمين بالسيف الحاد، والعصبية والعناد، فوقى الله تعالى شر فتنته، ودفعه عن محنته، لطفاً بعباده وتسكيناً لهم عن أذيته، فإنه لمَّا وصل إلى هذه البلاد، وانتهى حده الكليل إلى هذا الميعاد، قابله قوم من بلاد المصعبين بالطرد والإبعاد، ودفعوا إلى وجهه بنادقهم لأجل الإرعاد، وليس شيء فيها من حجار الرصاص بل البارود لأجل تنفيره وتهويله عما أراد. وكان شمس الدين أحمد بن الحسن ذلك الوقت في الجهات الرداعية[5] وصل إليها لهذا القصد، والدفع والرد، وتسكين فورة القبائل عن الاغترار به بمراودة بينه وبين «١٢٧ب» الإمام، وصنوه عز الإسلام محمد، فكان فيه الخير للإسلام. ولما وقع ذلك الحادث مع السيد المشار إليه، وانتهبت القبائل حوائجه، وكتبه التي كانت في

---

(١) كذا وردت في الأصل، صحتها: (منها).

(٢) ورد الحديث بألفاظ مختلفة في صحيح البخاري، مجـ٣، جـ٨، ص٣٢؛ صحيح مسلم، جـ٢، ص٤٩؛ سنن الترمذي، جـ٥، ص٢٢.

(٣) الذَّنوب: الدلو فيها ماء. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص١٠٨٠).

(٤) انظر الحديث في صحيح البخاري، مجـ١، جـ١، ص٦٥؛ سنن ابي داود، جـ١، ص٩٠-٩١.

(٥) الجهات الرداعية: نسبة إلى رداع، وهي مدينة عامرة في الشرق من ذمار على مسافة خمسين كيلومتراً، وهي مركز القضاء، وتُعرف برداع (العرش) تمييزاً لها عن رداع (الحوامل) (المقحفي: معجم البلدان، ص٢٧٢؛ الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤٧٨).

يديه، وفرسه الراكب عليه، وقع معه آثار الرعب والهول، وصده ذلك الفعل عن كثير مما كان قد وسوسه وجرى به القول، فعاد حينئذ راجعاً من حيث أتى مسلوب الثياب والأَدَاة[1]، هو والذين في رفقته وصحبته، وقد حصل معهم الجميع الانزجار بذلك الفعال، فرد إليه الناهبون بعض ثيابه وكتبه، ورضي بسلامة رأسه، وليس بمعرج على غيره، بل رضي من الماء بالوَشَل[2]، حتى بلغ إلى المراشي[3]، وما زال بها يراشي، من بلاد سُفيان وتلك النواحي، فسكن بها أياماً ثم انتقل إلى بيته ومسكنه. وعلى الدنيا العفى، وانخلع بالقهر عن جميع ما كان يريده وعفا، حتى توفي في التاريخ الآتي ذكره إن شاء الله تعالى. وهذا السيد المذكور قد كان سبق له دعوة الإمامة في زمان الإمام المؤيد بالله، ووقع بسببه حرب في بلاد حَيْدان[4]، وقتل بسببه نفوس. فلا قوة إلا بالله العلي العظيم. «١٢٨أ» وكان مما زاد في سبب خروجه هذه المدة: ما ربما روي له أن في بعض منقولات (الجفر) ذكر اسم محمد بن علي بحروف مقطعة، وأنه ذو البيعتين، وقد سبقت له الدعوة الأولى في بلاد حَيدان في مدة الإمام المؤيد بالله، وهذه تكون عند قيامه البيعة الأخرى ويتبعه الناس، فهذه الأمور قد يحصل منها الغرر، والإقدام على الخطر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وفي هذه المدة استقر الإمام بدرب الأمير بوادي أقر تحت شهارة، وخرَّج أطراف البطنة مالاً، وأجاش عليه قبائل عذر ووادعة وغيرهم، فزرع كذلك حول[5] سبع سنين، ثم عاد إلى حالته الأولى وصَلُب[6]، ونبت فيه الشجر وترب، وصار كما كان أولاً قافراً. وهكذا عادة الأطراف لعدم دوام استقرار الحراث.

---

(١) الأَدَاة: تعنى أيضاً الثياب أو الملابس.

(٢) الوَشَل: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة، يقطر منه قليلاً قليلاً. (ابن منظور: لسان العرب، جـ٣، ص٩٣٢).

(٣) المراشي: جبل معاند لبرط من جهة الشرق، وهو جبل خصيب فيه فاكهة العنب. (د. حسين العمري: في صفة بلاد اليمن، هامش ص١١٥).

(٤) حَيدان: بلدة عامرة في ناحية خولان بن عمرو، من ناحية أعمال صعدة، وهي مركز الناحية، تبعد عن صعدة بنحو ٧٣ كيلومتراً. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ١، ص٥٣٧).

(٥) كذا في الأصل: أي حوالي.

(٦) صلُب: الصلب: الأرض الزراعية التي أُهملت فأصبحت مواتاً.

وفي هذه المدة وصل إلى اليمن أعجميان يدَّعِيان معرفة الطب، فاغتر بهما من اغتر، وظهر ضررهما، وعدم إحكامهما، وحصول مجازفتهما. وكل من ادَّعى هذه الصناعة وكان غريباً لم يختبر حاله ويعرف دينه فلا يُغتر به، فإن ضرره أكثر من نفعه. كما وصّى بذلك العلماء حتى قال صاحب (رسائل إخوان الصفاء)[1]، وهو من أهل هذه الصناعة الحكماء: كم قد قتل من يدَّعي الطب نفوساً، وأهلكوا جموعاً، فلا تغتروا بهم، ولا تعتمدوا عليهم. وقال صاحب كتاب (الحسبة): كان الأولون لا يعتمدون الأطباء إلا بشروط كثيرة منها: أن يعرفوا العقاقير نفسها، ويعرفوا وزنها وقدرها في كلام ذكره. «١٢٨ب» وذكر صاحب (كليلة ودمنة)[2] شيئاً من ذلك من أراده طالعه، والله أعلم. وأيضاً أن منهم رافضة اثنى عشرية والرافضة خباث العقيدة يكفِّرون غيرهم، فلا يؤْمَن ضررهم لمن خالفهم.

وفي هذه السنة سار أحمد بن الحسن إلى الجوف متابعة لأطراف بدو الغُفَّل، وأهل ذلك الرمل الأطول، فتغلغل سيره في الرمل، وظفر بقليل من إبلهم ومواشيهم، ثم حصل الضرر العظيم بالحر الشديد، والعطش المؤلم الحديد. وتفرق بعض أصحابه في البرية، وفترت قواهم عن السير في تلك القَصيَّة[3]، حتى أشرفوا على الهلاك، وضاع بعضهم ومات، وهلك كثير من الخيل في تلك الجهات، وذهب وفات. ومنهم من ضل في الطريق، ولم يهتد بالمخرج عن ذلك الحرج وأصابهم التعويق. ولولا أغاث شمس الدين أحمد بن الحسن ومن بقي بين يديه من خاصته وأهل وده رجل من أشراف

---

(١) إخوان الصفاء وخلان الوفا: لقب جماعة من المفكرين عاشت بالبصرة إبان النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي. ذات نزعة فلسفية سياسية، ضمنوا آراءهم وأفكارهم كتاباً عُرف باسم (رسائل إخوان الصفاء) يشتمل على اثنين وخمسين رسالة تبحث في شتى العلوم، فمنها مايبحث في الرياضيات والمنطق والطبيعيات، ومنها مايبحث في مابعد الطبيعة وعلم النفس والتصوف والتنجيم والسحر. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، جـ١، ص٤٩؛ حسن الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، جـ٣، ص١٠٩-١١٠).

(٢) كليلة ودمنة: كتاب أصله فارسي، ترجمه عن الفارسية إلى العربية عبدالله بن المقفع. (١٠٦-١٤٢هـ/ ٧٢٤-٧٥٩م) مطبوع. وهو من أشهر كتب عبدالله بن المقفع. (الزركلي: الأعلام، جـ٤، ص٢٨٣).

(٣) لعله يقصد بذلك القصوى: أي البعيدة.

الجوف دلهم على الماء والطريق، وأنقذهم من الأمر المخوف العويق، لهلكوا عن آخرهم، وللحقوا بأولهم. وهذه الرمال قد عُلِم أن التوغل فيها هلاك لغير أهلها، فأما البدو الذين بها فإنهم خُلقوا فيها، وابتنوا عليها، شربهم الحليب واللحوم، يستغنون به عن الماء وسائر الطعوم. ومن العجائب التي اتفقت لبعض أصحاب أحمد بن الحسن في هذه القصة أنه شرب «١٢٩أ» بوله، واستنقذ به نفسه.

ويلي تلك البلاد المذكورة، في هذه الرمال الموجودة الربع الخلي[١]، المتصل بالبصرة ونهجها الجلي، المسافة فيه من نجران إليها سبعة أيام، قريب السمك والأمد، شديد المقاطع والكمد، في رمله وحصاه الحيات كامنة، والثعابين ساكنة، إذا ساره البدو من أهله، كانوا على حذر من لدغه، قد يركبون على ظهور إبلهم، ويجعلون على خفها الجلود لأجل الحيات تقيهم. ولقد حكى لي بعض الساكنين ببرط: إنه اتفق لرجلين منهم التمشي في تلك البراري، لاتصال بلادهم بها في تلك النواحي، فأدركهما الليل البهيم، والظلام المغيم، فقعدا للبيْتوتة إلى الصباح، فكان قعودهما عند غار يُخشى منه الهلاك، لمعرفتهم بعظم تلك الحيات. فقال أحدهما للآخر: أما أنا فلا أبيت عند هذا الغار خشية أن يخرج منه ثعبان، وانتقل عنه وسار، وأما الآخر فقال: التوكل على الله ونام. قال: فلما أصبح الصباح ولاح، وسار عنه الليل وراح، قام الذي عند ذلك الغار سالماً، وعما توهمه صاحبه مخالفاً، «ق١٢٩ب» وقصد للبحث عن صاحبه، فوجده في البرية مضطجعاً وإذا قد التقمه ثعبان عظيم الجسم، كبير ضخم، وقد التوى عليه بمعاطفه، وصار يجره من ذلك المكان ويسحبه، والرجل حي يومئذ ما قد[٢] مات، فاستغاث بصاحبه من الفوات[٣]، فأشار إليه صاحبه أن يضرب رأس الحنش ليقتله، فقال له المسحوب الملتوي عليه ذلك الحنش: المطلوب لا يفعل ذلك لأنه إذا أحس

(١) كذا في الأصل: وهو الربع الخالي الذي يمتد من حدود اليمن شرقاً إلى أودية عُمان وساحل الخليج العربي.
(٢) أي لم يمت بعد، من اللهجة العامية.
(٣) أي الهلاك.

بالألم جَبَذه[1] بقوته، فقطعه بجملته، بل بحيْلة تُنْجِيه من تلك البلية والمصيبة، فما ساعده صاحبه وأخذه الفشل والوجل، وعدم التروي للنظر والعمل، وضرب رأس الحنش بالجنبية، والحنش جبذ الرجل جبذة قوية، قطعه في الحال من غير تخلية. فنعوذ بالله من مصائب الزمان، ونسأله العفو والسلامة والغفران. وانظر فائدة التوكل، وما قد يتفق له من الإكرام في بعض خرق العادات لمن شاء تعالى من عباده العظام. والله الموفق. وقد ذكر من قد التوى على ساقه حنش بتهامة أن تؤخذ عصا دقيقة، ويغرز في رأسها إبرة رفيعة، ثم يُحرك بتلك الإبرة رأس الحنش تحريكاً لطيفاً، وغرزاً رفيقاً، فإن الحنش يرخى، ويفك لياته، ويلحق أثر تلك العصا، فتحصل النجاة بسبب ذلك لذلك المصاب المُلقى.

وفي هذه السنة قُتِلَ الأمير مصطفى[2] والي جدة، وكان يومئذ بالطائف للخريف وحده. وكان «١٣٠أ» ولاَّه باشا مصر لبندر جدة مكان الأمير قيطاس الذي كان بها والياً، وبها ساكناً. وسبب هذا القتل والغيلة، مشاركته ومعارضته للشريف زيد[3] في بعض الأوامر والسيرة، والمنافسة على هذه الدنيا الزائلة، والأوقات الفانية والملك عقيم، (وسيفان في غمد لايصلحان)[4] وكان المذكور قد شارك الشريف في إنصاف من وصل إليه شاكياً، وإليه وافداً، ومنع من مكة الطرب والملاهي في تلك الأيام، وظهر الأمر فيها والنظام، بحيث أنه أخبر الحجاج هذه السنة: أنهم ما سمعوا من آلات الطرب شيئاً. فكان قتله وهو خارج في برية الطائف للنزهة وحده، وأنكر أمره الشريف، ولم يظهر أنه سببه، خوفاً من السلطان وما يخشى منه من التعنيف، فسقط ذلك الأمر، وجهل شأنه وخفي ذلك العصر. ولما قتل المذكور بأجله المحتوم، أُعيد

---

(١) جَبَذ: تعني جذب. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٣٩٤).

(٢) تولى مصطفى بيك صنجق جدة سنة ١٠٥٢هـ/ ١٦٤٢م للمزيد عن ماذكره مؤرخنا هنا انظر زيني دحلان: خلاصة الكلام، ص٧٦-٧٨.

(٣) هو الشريف زيد بن محسن، شريف مكة. سبق ذكره.

(٤) ورد المثل في مجمع الأمثال: (لايُجمع سيفان في غِمْد) (الميداني: مجمع الأمثال، جـ٢، ص٢٣٠).

قيطاس للولاية والرسوم، فدخل جدة، وأظهر أمره وحده. وتقوَّت التهمة منهم للشريف زيد في شأن أمر مصطفى، وما ظهر منه وخفى، فتقدم الأمير قيطاس بعساكره إلى خارج الحرم ما بين جدة ومكة، والشريف زيد التقاه «١٣٠ب» من مكة إلى خارج الحل، فوقع بينهم الحرب والجلاد، والرمي والضرب بالسيوف الحداد، فحصل قتل من الفريقين ثم رجع قيطاس إلى جدة، بعد هذا الواقع بين الطائفتين والشدة.

وفيها مات حاكم المسلمين بمدينة صعدة القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس الدواري النجراني. كان عارفاً بالعلوم، آخذاً من كل فن الحظ المقسوم، وغلب عليه الفقه، وله مصنفات منها: (تكميل شرح الأزهار) في مجلدين، وله كتاب (المقصد الحسن)[1] في مسائل من الفقه، مبتورة، ومنها شرح على (الكافل)[2] في أصول الفقه، ومنها شرح على (الثلاثين المسألة) في علم الكلام. وكان خطيب جامعها وإمام صلاتها. توفي في شهر ربيع الأول من هذه السنة رحمه الله تعالى.

وفيها توفي القاضي العارف أحمد بن سعيد الهَبَلْ[3] الخولاني. كان المذكور عارفاً بالفقه، مدرساً فيه بمدينة صنعاء، وله مشاركة في غيره. وكان المذكور لا يفتي كتابة بالخط، بل باللسان والمشافهة فقط. وقبر بمشهد السيد الفاضل عبدالله الديلمي[4]

(١) اسم الكتاب كاملاً: (المقصد الحسن والمسلك الواضح السنن فيما لاينبغي جهله لذوي الفقه والفطن من لوازم علم الفرائض والسنن) يتضمن تاريخ الزيدية ومذهبهم وفقههم وأسماء رجالهم ومصنفاتهم وسير أئمتهم وآرائهم في الفقه والاجتهاد. (د.أيمن السيد: مصادر تاريخ اليمن، ص٢٣٤-٢٣٥؛ الحبشي: فهرس مخطوطات بعض المكتبات الخاصة، ص١٠٢).

(٢) الكافل: هو كتاب (الكافل بنيل السول في علم الأصول) لمؤلفه محمد بن يحيى بهران، أحد العلماء المحققين المؤلفين. (ت٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م) وقد عُني أهل اليمن بكتاب (الكافل) وعليه شروح كثيرة منها شرح أحمد بن يحيى حابس الذي حمل أكثر من عنوان منها (الأنوار الهادية لذي العقول) و (الكاشف لذي العقول إلى معرفة مقاصد الكافل بنيل السول) و (شرح الكافل بنيل السول في علم الأصول). (يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٣٨٥؛ الحبشي: فهرس مخطوطات بعض المكتبات، ص٣٣٠).

(٣) ترجم له المؤرخ في المستطاب: ص٢٦٦؛ وترجم له إبراهيم بن القاسم في طبقات الزيدية، جـ٣، ص٣١.

(٤) عبدالله الديلمي: هو العلامة عبدالله بن إبراهيم الفتحي الديلمي، المعروف بأبي شملة (٧٥٦-٨٣٦هـ/ ١٣٥٥-١٤٣٢م) كان سيداً عابداً زاهداً ورعاً تقياً. قبره بالقرب من مسجد الأبهر. (يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٣١٦؛ زبارة: ملحق البدر الطالع، ص١٢٥).

بالأبهر[1].

وفيها مات الفقيه العارف عبد الحميد بن أحمد بن يحيى المعافا[2] بالسودة بلدتهم «١٣١أ» ومسكنهم. وكان المذكور له معرفة بالنحو، صنف شرحاً على (الملحة)[3] بسيطاً، وقبر بسودة شظب رحمه الله.

وفيها توفي الشريف فخر الدين عبدالله بن عامر بن عم الإمام القاسم. وهو الذي كان أراد الدعوة لنفسه كما سبق ذكره. وكان المذكور يعتمد كتب الهادي يحيى بن الحسين مثل: (الأحكام)[4]، و(المنتخب)[5] ونحوها، ملتزماً لمذهبه، غير معرّج على غير مشربه، وما فرَّعه الناس بعده فيها لا يعتمده ويستنكره، وصنف كتاباً في مذهب الهادي سماه بـ(التصريح في المذهب الصحيح). ومات بقرية حوث من بلاد العُصَيْمات[6] رحمه الله. وكان يقول: ما أُخِذَ من الناس من المطالب من العوام حلال، لأن أكثرهم لا يصلون، وفساق، ويسرقون. وهذا منه قول غير صحيح؛ لأن ذلك الجاري لا يوجب تحليل أموال الناس كما هو معلوم، فإن أموال الفساق لا تحل لأحد بل يعاملون معاملة المسلمين، ثم إن التعميم بجميع العوام إساءة ظن بجملة المسلمين، والناس بلا شك لا يزالون مختلفين. والله أعلم.

وفيها أو التي تليها مات الشيخ العارف محمد بن علي بن علان البكري الصديقي

---

(١) أي بمسجد الأبهر: وهو من المساجد العامرة بمدينة صنعاء، في الجهة الجنوبية من السائلة، عمرته السيدة فاطمة بنت الأمير الأسد بن إبراهيم بن حسين سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٥).

(٢) ترجم له المؤرخ في المستطاب: ص٢٦٦؛ وأبو الرجال في مطلع البدور، جـ٣، ص١٦.

(٣) المِلحة: هي منظومة (ملحة الإعراب) في النحو. للقاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري. (٤٤٦-٥١٦هـ/ ١٠٥٤-١١٢٢م).

(٤) الأحكام: هو كتاب (جامع الأحكام في الحلال والحرام) كتاب في فقه الزيدية.

(٥) المنتخب: هو كتاب (المنتخب في الفقه) فيه أجوبة للإمام الهادي يحيى بن الحسين عن أسئلة راوي سيرته وتلميذه أبي جعفر محمد بن سليمان الكوفي، الذي قام بتصنيفه وتبويبه. (د.حسين العمري: مصادر التراث اليمني، ص١٣٩).

(٦) العُصَيْمات: أحدى بطون قبيلة حاشد، تنسب إلى العصيمات بن عذر بن سعد بن دافع بن مالك بن جشم بن حاشد. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٢٢٠).

الشافعي المكي، شيخ الحديث بمكة المحروسة، وهي وطنه ومستقره ومكانه. كان المذكور عارفاً بالحديث «١٣١ب» وعلوم العربية، وله مصنفات مثل: (شرح الاقتراح) الذي للسيوطي[1] في مجلد، وشرح (قواعد الإعراب) مجلد وغير ذلك، وله في الحديث أسانيد عالية، وقد اتصلت لي بحمد الله من طريق صالح بن محمد العياني[2] عنه. وكان الشيخ جمَّاعاً للكتب النفيسة في الحديث وغيره، ثم لما مات تفرقت وابتاعت، بعضها وصل إلى اليمن وشرى شيئاً منها الإمام.

وفيها مات الفقيه العارف عبد الواحد النزيلي[3] الشافعي بمحله جبل تَيْس[4] والمحويت[5]. وقد لقيته مرة وسألني بما يتعلق اللام في قوله تعالى ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾[قريش:١] فأجبته في الحال تعلقه بالسورة التي قبله لهلاك أصحاب الفيل، فاستجاده رحمه الله. وكان عارفاً بالحديث، سمع عليه في صحيح مسلم السيد عبدالرحمن بن محمد بن شرف الدين[6] بحفاش أيام ولايته فيه. رأيت خط يده بذلك في نسخة السيد عبدالرحمن. وسمع عليه السيد محمد بن إبراهيم بن مفضل بن علي بن الإمام شرف الدين[7] في صحيح البخاري بكوكبان.

---

(١) السيوطي: هو عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي. (٨٤٩-٩١١هـ/ ١٤٤٥-١٠٠٥م) عالم مشارك في أنواع من العلوم، له العديد من المؤلفات التي بلغت إحدى وخمسين مؤلفاً. (السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، جـ٤، ص٦٥-٧٠؛ عمر كحاله: معجم المؤلفين، جـ٥، ص١٢٨).

(٢) صالح بن محمد العياني: عالم في علم الحديث، عارف بأصول الفقه والعربية، أديب محاضر، له مشاركة وشعر حسن. توفي في صنعاء في المحرم سنة ١٠٩٠هـ. (عبدالله الوزير: طبق الحلوى، جـ٢، ص٣٥٨؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٣، ص١٥٢١).

(٣) ترجم له الجنداري في الجامع الوجيز، ق١٤٣أ نقلاً من مخطوطة مؤرخنا هذه.

(٤) جبل تيْس: من الجبال المشهورة في كوكبان، يُعرف اليوم بجبل حَبِش. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص٨٣).

(٥) المحويت: مدينة تقع بالغرب الشمالي من صنعاء، بمسافة ١٠٠ كيلومتر، بها مركز اللواء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٦١٩؛ المقحفي: معجم البلدان، ص٥٩٢).

(٦) ترجم له المؤرخ عند وفاته ترجمة مطولة. (ق١٩٤أ-١٩٤ب) وذكر أن وفاته كانت سنة ١٠٧٢هـ؛ وترجم له أبو الرجال: مطلع البدور، جـ٣، ص٢٣؛ وزبارة: ملحق البدر الطالع، ص١١٩، وذكر أن وفاته كانت في سنة بضع وخمسين بعد الألف.

(٧) محمد بن إبراهيم المفضل: (١٠٢٢-١٠٨٥هـ/ ١٦١٣-١٦٧٤م) عالم محقق في الفقه والحديث وعلوم العربية، = شاعر أديب مؤرخ، انتفع بعلمه كثير من طلبةالعلم. من مؤلفاته: (السلوك الذهبية في خلاصة السير المتوكلية

وفيها جاءت ريح عظيمة، قوية شديدة في بلاد ذمار، فأخربت جانباً من داير القصر به، وحملت شيئاً من الكلاب في الهوى وطرحتها، وكان لها قوة عظيمة. آية من آيات الله.

وفيها وصل شمس الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد من بلاد صعدة إلى شهارة حضرة أخيه الإمام إسماعيل وزيارة أهله هنالك، ثم تقدم إلى صنعاء ليأخذ بها عهداً، وبمساكنه المألوفة، وبعض أولاده الذين فيها، وبيوته، فأقام بصنعاء «١٣٢أ» أياماً غير كثيرة، ولم يطب له المقام لتغير الحالات، واختلاف ما كان يعرفه من الانتظام، وتكبر الصغار على الكبار من بعض أولاد إخوته، فعاد راجعاً إلى بلاد صعدة.

وفيها روى لي بعض الفقهاء، وهو الفقيه صلاح الأحرقي الآنسي: أن صاحباً له من بلاد آنس لبث بمكة مدة من الزمان ثم عاد إلى بلاده، وذكر أنه أُلقي إليه وهو بمكة أشياء من الأخبار المغيبات، وأنه رقمها في أوراق هنالك ورآها معه، قال: وهي خرافات وتخيلات، فهذا من النوادر. والله أعلم.

وفيها أو التي تليها توفي الفقيه يحيى المخلافي من مخلاف الحيمة. كان المذكور في زمان محمد باشا له قيام مع الإمام القاسم آخر مدته ثم لمَّا وقع صلح محمد باشا مع الإمام القاسم تلك الأيام سكن الفقيه في جهاته موالياً مع أصحابه للإمام، واستمر على ذلك النظام، ثم حصل منه «١٣٢ب» الخلاف على أصحاب الإمام في زمان حيدر باشا بعد انتقاض ذلك الصلح الماضي، وقصد بقومه المخلاف بالحرب والخلاف حتى بلغ محطة حدة، وكاتب إلى الباشا حيدر، وباين الإمام، وألَّب[1] على الخلاف عليه جهات الحيام، بسبب منافسة في الحطام، ثم بعد الفتح لصنعاء ومصيرها للإمام، أظهر الندم عما سلف له في تلك الأيام. والله أعلم.

أديب مؤرخ، انتفع بعلمه كثير من طلبةالعلم. من مؤلفاته: (السلوك الذهبية في خلاصة السير المتوكلية اليحيوية) (سيرة جده الإمام شرف الدين) و (نظم الورقات) للجويني في أصول الفقه، وقد شرحها الإمام محمد بن إسماعيل الأمير، و (مقالات وأبحاث في أصول الدين) في مجلد. (يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ٢، ق٨١ب-٨٢ب؛ أحمد بن محمد الحيمي: طيب السمر في أوقات السحر، تحقيق: عبدالله الحبشي، ص٥٣؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص١٠١٦-١٠١٧).

(١) وردت في الأصل: (أللب).

وأما ولده فإنه أدخله إلى صنعاء رهينة في مدة حيدر باشا، وبقي معهم من جملة عيال الحَرَّانة[1]، وخرج مع الباشا حيدر من صنعاء وسكن بزبيد تلك الأيام، مع الملازمين لهم من الأنام. وما عرفت منتهى حاله، وما كان من أمره وشأنه.

وفيها أو غيرها اتفق مع رجل أنه وقع فيه وجع الحلق[2]، فسار به أهله إلى رَحِيْلة[3] من الرحايل اللاّتي لا يزلن يتكهن في كثير من الجهات، ويغْتَر بهن كثير من أهل الغباوات، وهي خلف ستارة تسأل وتجيب بحسب إرادتها وكذباتها، فأجابت المذكور وهو قد أضجعوه على خده ينظر ما تقول، فأجابت بأنها قد أمرت خادمها يجيء بماء من زمزم، فيشربه فيشفى من الألم، فكان ساعة ولاح نظر ذلك الأليم من تحت الستارة -لأجل اضطجاعه- إلى ما تعمل، وإذا قد رآها تبول في إناء، وتجعله بمرش، فلما أتمت قالت: هذا هو وصل ماء زمزم، ومكنتهم[4]، فناولوا الأليم، فامتنع من شربه لما قد رأى من صفته، وخرج عنها وأخبر بما رأى منها.

«١٣٣أ» وفيها أخبرني السيد صالح السراجي[5] أن رجلاً كان توسم بالصلاح، حاجاً، شكت منه امرأته أنه يأتيها في دبرها، فذكر له ذلك، فقال: لا يتعرضه أحد في ملكه. فلعله من الرافضة، لأن الإمامية يجيزون ذلك.

وفيها أو غيرها مات الشيخ حسن القارني العروسي. كان المذكور أولاً في مدة حيدر باشا متولياً لجهة العَروس[6] وبني الراعي[7]، عليه من المال قُطْفة في كل عام، كما

(١) الحَرَّانة: هي جزء من الفرقة الموسيقية العسكرية.

(٢) وجع الحلق: الوجع بمعنى الألم، والحلق: هو مجرى الطعام والشراب في أقصى الفم.

(٣) لم أجد معناها، ولعلها من الرحلة، ويقصد بها هنا امرأة يقصدها البعض للعلاج.

(٤) أي أعطتهم.

(٥) هو العلامة صالح بن أحمد بن يحيى بن داود بن علي بن أحمد بن الإمام يحيى السراجي تلقى العلم على يد أكابر علماء عصره، وكان عالماً محققاً. سكن مدينة صنعاء، وتوفي بها في شوال سنة ١٠٨٤هـ/ يناير ١٦٧٤م. (يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ٢، ق٦٧ب- ٦٨أ؛ زبارة ملحق البدر الطالع، ص١٠٢).

(٦) العَرُوس: حصن وبلدة في حضور، بالجنوب الغربي من صنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ص٤٥٠).

(٧) بني الراعي: عزلة في ناحية بني مطر، بمحافظة صنعاء. (الجمهورية العربية اليمنية: التعداد السكاني لعام ١٩٨٦م، محافظة صنعاء، ص٥٩).

جرت عادة عساكر السلطنة في تلك الأيام، واستمر في ذلك المقام حاملاً لذلك النظام إلى أن استولى عيال الإمام على حصن كوكبان، وهرب الشيخ المذكور إلى صنعاء، ولم يثق بالسكون في ذلك المقر ولا البقاء، فوصل إلى صنعاء بعينة[1] كانت معه، ولم يشعر الباشا حيدر حتى سمع مرفعه. وكان المذكور بصنعاء، وقضى الله وفاته بها في التاريخ المذكور. وقد زالت رئاسته، واشتدت به فاقته، وكان في حالة ركيكة آخر مدته. وكان كثيراً في مجالسه ما يثني على دولة السلطنة، ويذكر من الأوصاف أحسنه. اتفق بي مَرَّة بمسجد البكيرية بصنعاء اليمن، وكنت قاعداً تحت العقود متفرجاً فإذا هو يقول: انظر إلى هذه العمارة والبناء والعناية التي لا تُنْتهى. دولة السلطنة تحب أفعال الخيرات، «١٣٣ب» والسبل والوقوفات، وإقامة المساجد والترغيب في الطاعات، ومحبة العلم والعلماء، ومعرفة مقادير الناس والمنازل والرؤساء. أما هذا الزمان فقد أُهملت هذه الصفات والأحوال. وانحدر كلامه في هذا المشرب كالسَّيل. ومرة أخرى اتفقت به فإذا هو يشكو حالته، ويتجرَّم من أهل وقته، وفي الحديث [جَبُلَت القلوب على حب من أحسن إليها][2] بيد أنه أثنى على الحسن والحسين[3] في وقتهما وأنهما كانا يعرفان بمقادير الناس ومنازلهم دون أهل الزمان.

ودخلت سنة ثلاث وستين وألف[4]:

فيها حصل من الشيخ يحيى بن روكان، ذلك الرجل الذي سبق له ما صار وما كان بعد أن فسح له الإمام إلى جهاته، عقب ما صدر من أفعاله وأعماله، فلما وصل المذكور إلى بلاده رجع إلى الخديعة، وأعادها جَذيعة[5] وشب الخلاف في قومه وقبائله، وحرك ساكنه، ومنع عن الدولة تسليم المطالب، وأظهر الغلظة والخلاف والمعاتب، فأرسل

---

(١) أي فرقة عسكرية: سبق شرحها.

(٢) انظر الحديث في المتقي الهندي: كنز العمال، مجـ١٦، ص١١٥؛ الشوكاني: الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، ص٨٢.

(٣) هما أبناء الإمام القاسم بن محمد. والد المؤرخ وعمه.

(٤) ١)) ١٠٦٣هـ=١٦٥٢م.

(٥) جذيعة: أي جديداً كما بدأ، وهو مجاز، فيقال: أعدت الأمر جذعاً. (مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مجـ٥، ص٢٩٩).

الإمام إليه عز الإسلام محمد بن الحسين بعساكره «١٣٤أ» وبنوده، فسار إليها وقصدها وخيم بمحروس ساقين، وقبض على الشيخ في بلده وجيئ به إليه بالساقين وأُرسل به إلى حضرة الإمام، وسكن هو هنالك تلك الأيام لتقرير أعمال في بلاد الشام. فلما وصل الشيخ إلى الإمام عزله عن المشْيَخَة، وأمر بخراب بيوته، ثم أذن له بالعود إلى جهته بعد أيام مضت، وطلب من الإمام معونة في عمارة بيوته، فأعانه الإمام ببعض شيء وسار.

وفيها ظهر عذاب حسن شاوش كان مع جمال الدين علي بن أمير المؤمنين[1] في ولاية صنعاء، وكان عليه أعمال في المدينة يفعل فيها ما يهوى، فلما مات بقي عذابه في القبر يظهر قدر شهر ثم خفى حتى تضرر به من سمعه من المجذومين في مقبرة باب اليمن لقربهم منه. وكذلك أيضاً ظهر عذاب قبر رجل يسمى قرى على، أصله من عبيد علي باشا[2] الذي خرج من الحبشة مصيَّراً على سنان باشا تلك الأيام الماضية، والأوقات السالفة، فبقي المذكور باليمن ملازماً مع أصحاب الإمام. وكان فارساً، بطلاً، شجاعاً، حوَّاراً على الخيل، يلتقط الجريدة من الأرض وهو راكب في السير. وكان سبب موته قتل حصانه له، فإنه سقط من فوق ظهره، فدقه الركاب في رأسه ومات في الحال. كان ذلك كالتعجيل للعقوبة في جوره، حال ركوبه من مركوبه. (ومن سلَّ سيف البغي قتل به)[3]. وكان قد قبر بخزيمة ثم نقل إلى حارة نقم لشدة أنينه وهوله. والشاوش المذكور أولاً قالوا: كان له أنين عظيم، وصوت جسيم في الليل فسُئل عن حاله الذي كان في حياته، فقال الراوون لحالته: إنه كان في مدته بصنعاء مع واليها يمتحن أهلها فيقول لأحدهم: عليك أمر من صاحب الأمر، ويسوقه الحبس، فيعطيه من الدراهم ما يسليه، فيقبلها منه ويخليه. والله أعلم.

وفيها مات القاضي العارف محمد السلامي «١٣٤ب» الآنسي بذمار. وكان القاضي

---

(١) هو علي بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم.

(٢) قدم علي باشا إلى اليمن سنة ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٨م في ولاية سنان باشا (يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ٢، ص٧٨١).

(٣) من أمثال المولدين. (انظر الميداني: مجمع الأمثال، جـ٢، ص٣٢٧).

في تلك الديار المدرس في الفقه مثل (التذكرة)[1] (والبيان)[2] (وشرح الأزهار)، المفتي لمن سأله من السائلين من كل مكان، وما زال كذلك حتى كف بصره آخر مدته. وكان المذكور متولياً للقضاء حاكماً في الأيام السابقة معتمداً. ثم أنها اتفقت معه قصة غريبة، داخلت معه الريبة، وأوجبت له التورع عن القضاء في آخر مدة عمره القريبة. وهي أنه جرى بين رجلين اشتجار في تبيع[3] بقرة، فادَّعى المُدَّعي أنه ابن بقرته، وأنكر المُدَّعى عليه ذلك برمته، فأتى المُدَّعي بشهادة، فشهدوا أن التبيع ابن البقرة، فحكم القاضي للمُدَّعي بما فيه يدَّعي، ثم ظهر له بعد مدة زورهم، وخدعهم له بمكرهم، بأن جاء أحد الشهود إليه ورجع عن شهادته وما احتال به عليه، وقال: إنما أردنا أيها الشهود بما شهدنا إلاَّ أن التبيع في جملة الأمر ابن البقرة بلا كذب فيه ولا افتراء، ولم نعن به هذا المدعى، فأبطل ذلك الحكم الذي صدر منه فيما مضى، ونفر عن الحكم من يومئذٍ والقضاء. فلهذا ينبغي على الحكام «١٣٥أ» تفصيل الشهادات والأحكام، ولا يعمل بالمطلقات من غير تقرير واستفهام.

وفيها مات القاضي الشبيبي يحيى الذماري. كان المذكور هو القاضي الحاكم ببلاد ذمار، واستمر كذلك مدة من الأعصار، وبلغ من العمر فوق الثمانين، ممتعاً بسمعه وبصره في جميع الأحايين، وكان بسببه عزل فخر الدين عبد الله بن أمير المؤمنين عن ولاية بلاد ذمار، ورفع يده عن جميع تلك الأقطار، وذلك أنه تنافر هو والمذكور في تلك الأيام، وسار مغاضباً شاكياً إلى حضرة الإمام، وشدد الشكوى تلك وغلظ الكلام، وقال بلسانه: يا باطلاه من أعمال المنكر في الملأ الكثير الأعظم، فتغير الإمام من

(١) التذكرة: هو كتاب (التذكرة الفاخرة في فقه العترة الطاهرة) لمؤلفه: الحسن بن محمد العنسي (النحوي) (ت٧٩١هـ/ ١٣٨٨م. ويعد كتاب (التذكرة) من أهم كتبه، وصفه العلاَّمه الشوكاني بقوله: (أودعه من المسائل مالايحيط به الحصر مع إيجاز وحسن تعبير. وهو كان مدرس الزيدية وعمدتهم حتى اختصره الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وجرَّد منه (الأزهار) فمال الطلبة من حينئذٍ إلى هذا المختصر(. (الشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص٢١٠).

(٢) البيان: هو كتاب: (البيان الشافي المنتزع من البرهان الكافي) هو في الفقه الزيدي أيضاً. مؤلفه العلامة يحيى بن أحمد مظفر. (ت ٨٧٥هـ/ ١٤٧٠م) وقد طُبع الكتاب في أربع مجلدات عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٣) التبيع: هو ابن البقرة في أول سنة والأنثى تبيعة.

ذلك الكلام، وحمله على عزل صنوه عبد الله بن الإمام، وولى بذمار السيد أحمد بن هارون[1] من بلاد الشام: رجل صليب لا يداهن ولا يماري، ولا يحابي ولا يجاري، فلما استقرت ولايته، واستمرت يده قبض على القاضي ذلك الشاكي ما كان يعتاده في الماضي، وقصر عليه من أحواله ما كان خافي عليه وغابي، فعض القاضي «١٣٥ب» على يديه بالنواجذ، وقال: يا أسفا على من تعدينا عليه بالشدائد. وهكذا الدنيا تجري على غير اتساق، ولا يحصل في الغالب فيها الاتفاق، ولا سيما لمن لم ينظر في العواقب، ويوازي ما بين الحاضر والغائب. ولقد كان يصير إلى القاضي المزبور[2] من الصلات الفاضلة على المقررات الجارية، طواري ونفحات لا تزال جارية. ورأيت القاضي مرة عن يسار الإمام المؤيد بالله في حضور قراءة في (البحر)[3] تلك الأيام، فوصلوا إلى مسألة أجرة القاضي، وما يصير إليه من الرزق الجاري، فقال الإمام: تحرم الأجرة له ولا تحل له، فقام القاضي على قدميه مغضباً، طالباً الإذن والعذر عن القضاء جازماً، فسكَّنه الإمام، وقال: اقعد وعلينا التمام، فقعد في مجلسه، وأعرضوا عن مسألته.

وعبد الله بن القاسم بعد عزله وصل إلى حضرة صنوه إسماعيل وهو بشهارة بحسن ظنه في عَوْدِهِ، فأعرض عنه وبقي لديه إلى أن سار إلى صنعاء وهو معه ثم إلى ضوران حتى أيس عنه، وعرف حالته سكن في بيته بذمار، وحمد الله على ما قضاه له واختار، وقطع مواصلته لأخيه، حتى أنه لما وصل ذمار لم يوافقه فيه. واستمر على ذلك حتى مات بذمار، رحمه الله.

وفيها ظهر في أيدي الناس ورقة مكتوبة، ذكر صاحبها أنها من المدينة النبوية والحجرة الشريفة مضمونها: أن خادم الحجرة الشريفة رأى فيما يرى النائم، وهو فيما بين اليقظان النائم مَوْعِظَة حسنة، وحالة مرضية، فلم يستيقظ إلا والورقة بين يديه

---

(١) هو العلامة أحمد بن الهادي بن هارون، له معرفة في علوم العربية والفقه، تولى بلاد خولان الشام، وسكن مدينة حيدان من جهات صعدة، ثم تولى للإمام إسماعيل بلاد ذمار، توفي بصنعاء سنة ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م. (زبارة: ملحق البدر الطالع، ص٤٨-٤٩).

(٢) أي المذكور، ويقصد به القاضي يحيى الشبيبي الذماري الذي يترجم له.

(٣) أي كتاب البحر الزخار، سبق ذكره.

مكتوبة، وعنده مقبوضة، وفيها مواعظ «١٣٦أ» وزواجر عن كثرة المعاصي، والأمر بالمحافظة على الصلوات واستيفاء أركانها، وأن قد أضاعها كثير من عالمها، وإخبار بقرب الساعة إلى غير ذلك مما ذكره فيها. ورأيت أكثر ما تضمنته هذه الورقة التي ظهرت، والمكتوبة التي اشتهرت من الرؤيا بالحجرة الشريفة على الصفة المذكورة ورقة مثلها، وعلى حكمها في حامية كتاب قديم تاريخها سنة ثنتي[1] وسبعمائة، وفيها أكثر لفظها، والرائي لها خادم الحجرة الشريفة، المنورة المنيفة، ذلك الوقت السابق عبد الله بن كثير، ولكن ليس فيها الأمر بالصيام السبعة الأيام، ولا الإخبار بجملة من مات ذلك العام، ولا ذكر الكفر الذي ذكره في هذه الورقة المتأخرة. والله أعلم.

وفيها وقع فساد في بحر القلزم من فرنج خرجوا فيه، كانوا تحت الأسر والترسيم ببندر السويس بندر مصر، أسرهم السلطان ابن عثمان في حروب مالطة وتلك الجهات النائية، فهربوا من البندر، وكانوا تحت الترسيم لعمل البندر والخدمة لمن مر «١٣٦ب» في أعمال السبب[2]. ودخلوا البحر اليماني في سفينة يريدون الخروج إلى أصحابهم فرنج الهند، والمرور من عندهم إلى أرضهم من وراء جبل الحبشة بالجد والجهد، وصادفوا قريب القُنْفذة جلبة عابرة داخلة جدة ومكة فيها من الحجاج والتجار، فطلبوهم من الأزواد، وما اضطروا إليه من الإمداد، فأبوا عليهم ورموهم. وكان فيهم جماعة من التجار من بني الشكردة[3] من صنعاء، وبني قلعس[4]، وغيرهم من الحجاج والغربة[5]، فحملوا عليهم، ودخلوا جلبتهم، وقتلوا المسلمين وأخذوا ما احتاجوه من جلبتهم من جميع الزاد والسلاح، والغالي الثمين والباقي ذهب وراح، ثم توجهوا في البحر سائرين، فلما وقع هذا الحادث منهم، وعلم النقيب سعيد المجزبي صاحب اللحية ضرهم، وكذلك صاحب المخا السيد محمد بن أحمد[6] اجتمعوا على قتالهم

(١) كذا في الأصل. صحتها اثنتين.

(٢) لم تتضح الكلمة في الأصل، ورسمناها كما وردت، ولعله يقصد بذلك التجارة.

(٣) اسمه أبو القاسم الشكردة، من تجار صنعاء. (الجرموزي: تحفة الأسماع، ق١٨٥ب).

(٤) اسمه الشيخ حسين قلعس. (الجرموزي: المصدر السابق).

(٥) الغربة: أي الغرباء.

(٦) هو السيد محمد بن أحمد بن الإمام الحسن المؤيدي. سبق ذكره.

وجهادهم، فما زالوا في أثرهم وطلبهم حتى قبضوا عليهم وأسروهم، وأدخلوهم بندر المخا، وعرض عليهم السيد الإسلام، فأبوا واختاروا السيف «١٣٧أ» اللِّهْذام[١]، فقتلهم عن آخرهم وهم زهاء سبعين[٢].

وفيها ظهر نجم في المشرق ذو حُمَّة[٣]، ولم يكن مستطيلاً بل إلى قدر شبر فقط، بقي أياماً يسيرة ثم ذهب، وتعقبه نجم آخر عظيم خرَّ[٤] من جهة المغرب إلى جهة المشرق بعد صلاة العشاء، فكان له صوت هائل كصوت الرعد الشديد، والخرير في الجو إلى حيث أوقعه الله ويريد.

وفي هذه السنة أنشأ الإمام رسالة مُحبَّرة، وحروفاً محررة، إلى أمصار اليمن، وأماكن الاجتماع في السر والعلن كصعدة وصنعاء والسودة وذمار ونحوها مضمونها إخبار الناس بتحريم الزكاة للأغنياء وبني هاشم، وأنها لا تحل لهم حسبما جاء عن النبي ﷺ مما أخبرهم ونهاهم، وأنهم صاروا يكثرون سؤاله فيها، ويطلبونه منها، وأن من صار إليه شيء منها فليس إعطاؤه لهم يقضي حِلّها، بل حرام على من قبضها، واحتج على جواز إعطائه للسائل منها اضطرارهم له، وعدم عذرهم، وأن ما أعطاه لهم فهو بمثابة إعطاء النبي ﷺ «١٣٧ب» للمؤلفة قلوبهم. وذكر حديث صحيح البخاري ومسلم فيما أعطاه يوم حُنين[٥]، وآثر بالموجود المؤلفين، وترك الأنصار والمقربين ونحوه[٦].

وفيها سار الإمام إلى ظَفَار داود[٧] من السُّودة، فاستقر به أياماً عديدة قدر ثلاثة أشهر ثم عاد إلى سُودة شَظَب، وقضى غرضه من تلك الحركة والإرب.

---

(١) اللهذام: أي السيف الحاد القاطع. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٤٠٢).

(٢) يذكر الجرموزي في تحفة الأسماع، ق١٨٥ب أن هذه الأحداث كانت في سنة ١٠٦٠هـ بينما مؤرخنا يذكرها في سنة ١٠٦٣.

(٣) الحمَّة: لون بين الدُّهْمة والكُمْتة. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٧٢٨).

(٤) خرَّ: الخرير هو الجريان بسرعة، وخر بمعنى سقط. (مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مج٣، ص١٧٢).

(٥) ورد الحديث بألفاظ مختلفة في صحيح البخاري، مج٢، ج٥، ص٢٠٠-٢٠١؛ صحيح مسلم، ج٧، ص١٥٠-١٥١.

(٦) نص الرسالة في تحفة الأسماع للجرموزي.

(٧) ظفار داود: حصن في بلاد همدان في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة ذيبين. سُمي بداود بن الإمام المنصور عبدالله بن حمزة، وهو في الأصل جبل وَزْوَر. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٥٦٤).

وفيها قطع جماعة من بدو مشرق الجوف طريق جبل الملح[1] بأسفال مأرب، وحطوا على الجبل بمواشيهم وأهلهم بالخدُور[2] والعِلَب[3]، فلم يمكن أهل الجوف العبور بجمالهم لأخذ الملح منه لمنعهم إياهم، وتوعدهم لقاصدهم، فارتفع سعره بالمدينة الصنعانية، وسائر الأسواق التي تليها في الأرض الجبلية، وجاء الملح من البلاد التهامية، مدة انقطاعه هذه الأيام، وسدهم لطريقه أولئك القبائل الطغام، وهم الذين يقال لهم: قبيلة سدلة[4] ويام[5]، ثم ارتفعوا عن ذلك المكان، وذهبوا عنه، وانصرفوا منه[6].

«١٣٨أ» وفيها مات القاضي العلامة عبد الله بن أحمد الجربي[7] كان المذكور عارفاً بالفقه، مدرساً فيه، مفتياً بمدينة صنعاء.

وفي هذه المدة وصل شرح من بلاد الحسا وقيل من الحجاز على عقيدة الإمام المتوكل على الله التي أنشأها[8]، وفيها اعتراضات ومناقشات.

ووصل أيضاً فيها أو التي تليها رجل عارف من البلاد المصرية يقال له: حجازي بن علي المصري الشافعي الأشعري، فمر على الإمام، وزجَّه بما يمكن به

---

(١) جبل الملح: يقع في لواء مأرب إلى الشرق من مدينة صرواح الأثرية، ومنه يستخرج الملح الماربي من أقدم العصور. (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٩٠٩).

(٢) الخِدر: كل ما يواري الإنسان من بيت أو نحوه. والمقصود هنا أنهم نصبوا الخيام. (مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مج٣، ص١٧٠).

(٣) العِلْبة: قدح ضخم من جلود الإبل، يُحلب فيها، ويُشرب فيها. وللبدوي فيها رفق خفتها وأنها لاتنكسر إذا حركها البعير. (مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مج١، ص٣٩٨).

(٤) سدلة: لم أجدها في مابين يدي من مصادر.

(٥) يام: قبيلة كانت تسكن جبل يام مابين بلاد نهم والجوف، وهو جبل واسع، انتقلت هذه القبيلة إلى نجران. وهي من ولد يام بن أصبأ بن رافع بن مالك بن جشم بن حاشد. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٧٧٤؛ المقحفي: معجم البلدان، ص٧٥٤).

(٦) يذكر الجرموزي إن مدة انقطاع الملح من مارب استمر أربعة أشهر، وبلغ القدح الصنعاني من الملح عشرة حروف. (تحفة الأسماع، ق١٧٩ب).

(٧) العلامة عبد الله بن أحمد بن معوضه الجربي: كان عالماً تقياً ورعاً. له في علم الكلام يد طولى إلى جانب الفقه. (زبارة: ملحق البدر الطالع، ص١٢٧).

(٨) هو كتاب: (العقيدة الصحيحة والدين النصيحة) في أصول الدين للإمام إسماعيل بن القاسم.

من الإنعام، وسار شاكراً ذاكراً إلى مدينة تعز اليمنية، فاطّلع فيها على العقيدة الإمامية، فشرحها شرحين اثنين على العقيدتين، وسبك الشرحين على قواعد الأشاعرة، وصاغه مصاغ القول الواحدة، وأهداه للإمام.

وفيها أيضاً وصل إلى الإمام الشيخ العارف جعفر الواعظ الحنفي من علماء الحنفية، والمحقق في علومهم الظاهرة والخفية، الأصلية والفرعية. وكان وصوله والإمام تلك الأيام بظفار داود قبيل عوده إلى السودة فأقام «١٣٨ب» عنده أياماً، وأمر الإمام بإملاء عقيدته؛ لأجل يسمعها جعفر الواعظ المشار إليه بحضرته، فوقع من المذكور مراجعة، وإيرادات متتابعة، وتصدّى لمراجعته الفقيه أحمد بن صالح بن أبي الرجال في حضرة الإمام، وطالت المراجعة فيما بينهما في مسألة الرجاء والشفاعة، حتى جر طبع كل واحد منهما على الآخر في تلك الساعة، فأشار الإمام إلى ابن أبي الرجال بالقرار وسكون الجدال، فسكن الجميع عن الكلام والاستشكال. ولما وصل جعفر الواعظ المذكور إلى مدينة صنعاء اتفق بينه وبين عز الإسلام محمد بن الحسين مراجعة أيضاً في هذه المسألة، وأورد عليه عز الإسلام قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾[2] لمّا ذكر الشيخ جعفر جواز الخروج بالشفاعة، فانقطع الشيخ عن جواب هذه الحجة في ذلك المقام، وقال: يمهله حتى ينظر الجواب ورد الإلزام، ثم أنه كتب الشيخ جعفر المذكور جواباً في ورقة «١٣٩أ» وأرسله إلى عز الإسلام، لينظره، وأراني الصنو عز الإسلام الورقة التي بخط الشيخ جعفر، وما ذكر فيها من الجواب الذي حضَّر، ومن جملة ما ذكره فيها، وتكلم به عليها أن قال: ولو نظرنا إلى ظواهر الكتاب وتركنا التوفيق بين الأدلة لزم أن لا يكون اليوم على وجه الأرض مؤمن على الحدّ الذي تذكرونه؛ لما ورد في صفات المؤمنين من الآيات الكريمة والأحاديث العظيمة، من الأمور التي لا يكاد الآن من يتصف ببعضها، فكيف من يستجمع هذه الأوصاف!

(١) سورة التحريم، آية: ٨ وأولها: ﴿يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنت تجري من تحتها الأنهار...﴾.

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٩٢. وتمامها: ﴿وما للظلمين من أنصار﴾.

منها لما ورد في صفات المؤمن: أنه دائم البكاء من خشية الله، زاهد في الدنيا، سخي الكف، دائم الحزن، قليل الضحك، محب الصالحين. وأين لعمري دائم الحزن والبكاء من خشية الله تعالى؟! فيلزم من ذلك نفي الإيمان عن جميع المؤمنين. إلى آخر ما ذكره وحرره[1].

وفي هذه السنة جاء الخبر بوفاة السلطان إبراهيم بن أحمد خان، صاحب الروم، وأقام الوزراء عند وفاته ولده السلطان محمد بن إبراهيم، وكان سنه يومئذ سن التكليف والبلوغ، صغير السن، كثير الحزم، تام الرئاسة. نصبه الوزراء بعد والده باختيارهم، وكان له من الإخوة ثلاثة: أحدهم يسمى مراد بن إبراهيم، والآخر سليم بن إبراهيم، وأحمد بن إبراهيم، فأحمد قتله صنوه لأمر حدث منه، والآخرون تحت الحفظ عنده، فشب السلطان محمد في المملكة والسلطنة أتم قيام، وكرر الغزوات على الكفار الطغام، وما زال كذلك مستمراً يفتح الفتوحات، ويقوي المراتب عليهم في جميع «١٣٩ب» الأوقات، حتى زادت مملكته في بلاد الروم، واستفتح بلاد الجريد[2] ومالطة وغيرها، كما سيأتي تاريخها.

وفيها تقاعد القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري كاتب الإمام المؤيد وخطيبه عما كان عليه، ولم يواظب عند المتوكل كمواظبته السابقة، لِما كان يألف من المؤيد من الموافقة له في آرائه، وعلو مقامه، ثم لَمَّا أعرض المتوكل عنه ولم يحتفل بغضبه ولا بعده عاد إليه في الخطابة، وبعض أعمال الكتابة.

وفيها مات السيد محمد بن أحمد بن الإمام الحسن المؤيدي بمحروس بندر المخا، وقبر بحَيْس[3] وهو المتولي لذلك البندر من قبل المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، قيل: إنه مات مسموماً. وكان رئيساً كاملاً، وضرغاماً باسلاً حضر في حروب صنعاء

(١) كتب المؤلف في الحاشية عنوان: الخصال الدالة على إيمان من وجدت فيه. وعنوان آخر هو: ذكر وفاة سلطان الروم.

(٢) الجريد: إقليم جغرافي في جمهورية تونس، يمثل منخفضاً من الأرض يمتد من خليج قابس شرقاً ويتجه غرباً إلى ماوراء حدود جمهورية الجزائر. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مجـ١، ص٥٩٦).

(٣) حَيْس: مدينة مشهورة من تهامة، بالجنوب من زبيد، اشتهرت بالصناعات الفخارية. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٣٠١).

واليمن وزبيد في تلك المدة السابقة، فأبان عن فراسة وشجاعة، واستكمله شرف الإسلام الحسن بن الإمام القاسم، وجنح في المقادمة إليه، وولاَّه بعد فتح اليمن الأسفل بلاد العُدين، فاستمر على ولايتها مدته ثم مدة الإمام المؤيد بالله، ثم ولاية المتوكل على الله، وزاده المتوكل إلى ولايته للعُدين بندر المخا، وبلاد حيس وما إليها من المخاليف المتصلة بالمخا، فكان كذلك حتى مات رحمه الله تعالى. وكان المتولي للمخا قبله سعيد بن ريحان.

«١٤٠أ» وفيها حج أحمد بن الحسن إلى بيت الله الحرام، وزار النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، وكان قد حج فرضه قبل هذا العام، كما سبق ذكره في تلك الأيام، وزار النبي ﷺ.

وفي مدة سكون عز الإسلام محمد بن الحسن بن الإمام بمدينة صنعاء اليمن حصل نقص على أهل الولايات فيما حول صنعاء من السبارات والشكايات التي يعتادها أهل الأمر الأكثر[١]؛ لأجل وصول بعض الشكاة إلى المشار إليه كما هو عادات أحوال الزمان في تأثير الدولة الكبيرة[٢] بالشكا عليه، وما يستغرقه من الأعلاف؛ لبعد بلاده عنه في هذه القواعد والأسلاف.

وفيها أو التي بعدها حُوِلت المجزرة بمدينة صنعاء إلى باب اليمن، لتنزيه المدينة عن العفن، وأُمر الجزارين بالذبيحة خارج الباب، وتقطيعه وبيعه داخله في ذلك الجناب، ووضع بذلك الحكام سجلاً، وكان المعتني في هذا محمد أفندي. ورسم في السجل شهادة أعيان مدينة صنعاء، وكان نقله من سوق الحطب، ورسم عليهم أن لا يبنوا حوانيت حالة التقطيع للحم والبيع في باب اليمن؛ لأجل لا يحصل غش من الجَزَر، فإنهم كانوا يشترون من اليهود ما حرم عليهم ويقطعونه في حوانيتهم.

---

(١) غير واضحة في الأصل ونرجح أنها: الأكثر.

(٢) نسبة إلى محمد بن الحسن بن القاسم.

ودخلت سنة أربع وستين وألف[1]

فيها خطب بدر بن عمر الكثيري[2] صاحب حضرموت والشِّحْر[3] وظفار[4] للإمام، فقبض عليه ابن أخيه[5] وكبراء دولته وخلعوه عن الأمر وكبلوه بالحديد، وأرعدوا عليه بالوعيد والتهديد. وانتصب بن أخيه بدر بن عبد الله بن عمر في المملكة، فلما بلغ الإمام هذا «١٤٠ب» الأمر واللمم، عظم عنده شأنه واهتم كثيراً بالتجهيز عليه وأبرم، والانتهاض إليه، وكرر الرسائل في شأن ذلك.

وفي شهر رجب منها سار الإمام من السودة إلى مدينة صنعاء، فلما وصل عمران بالبون لقيه الأمير ناصر بن عبد الرب صاحب كوكبان، ودعاه إلى الضيافة إلى حصنه، والمرور إلى وطنه، فأسعده الإمام ودخل كوكبان، وأضافه الأمير الضيافة السنية، وحيَّاه بأحسن تحية، وبذل من كرمه له ولمن معه من الأعيان وأولاد الإمام ما هو أهله ومحله، وما من أحد إلا وشكره وذكره، وهي عادة أهل هذا البيت في النفاسة الحسنة لمن أمَّهم وقصدهم في غالب حالاتهم، لا سيما من له منزلة أو يستحق رعاية، بل ومن كان من آحاد الناس، فله نصيب في البر والإيناس. ثم إن الإمام مر إلى مدينة ثلاء،

---

(١) ١٠٦٤هـ=١٦٥٣م.

(٢) هو السلطان بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله. تولى السلطنة سنة ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م بعد أخيه عبد الله بن عمر الذي اعتزل السياسة. ولم تكد تستقر قدما السلطان بدر بن عمر في الولاية حتى تصدى له ابن أخيه بدر بن عبد الله بن عمر بالأذى وإذكاء المكائد حوله. وقد تابع مؤرخنا في هذه المخطوطة ما حدث من صراع بين أسرة آل كثير في حضرموت، وموقف الإمام إسماعيل من ذلك، سيجدها القارئ في السنوات التي حدثت فيها. (للمزيد عن ذلك أنظر ابن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ج١، ص٦٩ ومابعدها؛ سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص١٦٠ ومابعدها).

(٣) الشِّحْر: ناحية معروفة من ساحل حضرموت. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٤٤٧).

(٤) ظفار: اسم مشترك بين عدد من المناطق، المقصودة هنا هي ظفار حضرموت: مدينة على ساحل حضرموت بالقرب من عُمان، وتسمى ظفار الحَبُوضي، اختطها أحمد بن محمد الحبوضي سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٥٦٤).

(٥) هو بدر بن عبد الله بن عمر بن بدر أبي طويرق. تولى السلطنة اغتصاباً بعد أن قبض على عمه بدر بن عمر. ويذكر ابن هاشم أن ذلك كان سنة ١٠٥٨هـ، وليس سنة ١٠٦٤هـ التي ذكرها مؤرخنا. (ابن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ج١، ص٧٤-٧٦).

وطاف قلعته شامخة العلا، وبات هناك على ما يهوى. ثم دخل صنعاء مجرداً بخيله، لم يشعر أهل المدينة إلا بوصوله وحضوره. «١٤١أ» إلى قصرها العالي، ومربعها الحسن الواسع الكافي، فلبث بصنعاء إلى آخر شعبان، على الضيافات الحسان، من الولاة والأعيان، ثم تقدم إلى ضُوران، وحصنه الشامخ العالي على الوديان والبلدان. وكان قد صحب الإمام في سفره إلى عمران السيد محمد بن عامر، فمات في عمران، وكان الرجل من جملة مقادمة[١] الإمام المؤيد في ذلك الزمان.

وفيها مات ناصر الديك الحائك الفاضل الصالح. أخبرني الرجل الصالح جميل الظاهري قال: طالما صحبه وأن المذكور كان يحفظ من القرآن قدر جزءين لا غير، وغلب عليه الوله والعبادة، وقيام الليل، قال: ولقد لقيه رجل واصل من الشام فدعاه باسمه ناصر، وسلَّم عليه تحية الحاضر، فقال له المذكور: من أين عرفتني؟ قال له: وكيف وقد رأيتك بدمشق، فأجاب عليه: لعلك شبهتني. قال: وما زال على العبادة مع حرفة الحياكة حتى مات، ووصف حسن حالته وطاعته.

وفيها «١٤١ب» وفد إلى الإمام هندي، فأكرمه الإمام وقرر له ما يحتاج، وأمره بسكون صنعاء، فخالط أولاد السيد محمد بن أحمد المؤيدي وجالسهم، وكان في بعض تلك الأيام وظهر على الهندي آلات الملاهي، والشراب، والقبوس[٢]، وما يتبعه مما تهواه النفوس، فأمر جمال الدين أحمد بن الحسن[٣] بتعزيره، فأُركب على دابة مقلوب الرأس، والمرفع تلقاء وجهه تضرب من خلفه، وطافوا به الشوارع والأسواق ثم طردوه من صنعاء إلى دياره، وأما السيد يحيى بن أحمد المؤيدي، فحلق الله ذقنه بأن أكلها داء الثعلب[٤]، فبقي محلوق الذقن مدة من الزمان، وقيل: إنه كان ينتفها بيده لأجل تَخَيُّله أن يكون شاباً.

---

(١) أي من القادة العسكريين.

(٢) لم أجد معناها.

(٣) جمال الدين: لقب يطلق على من إسمه (علي(أما أحمد فيلقب صفي الدين. والأرجح أن المقصود هنا هو جمال الدين علي بن الإمام المؤيد بالله الذي كان والياً على صنعاء حينذاك. وأنه خطأ غير مقصود من المؤرخ.

(٤) داء الثعلب: علة يتناثر منها الشعر. (مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مج١، ص١٦٥).

ودخلت سنة خمس وستين وألف[1].

كان المطر فيها قليلاً، والمُزْن[2] فيها هاطلاً يسيراً، لا سيما في الجهات الصعدية، وتلك الأراضي الشامية، فارتفع السعر هنالك والأعلاف.

وفي صفرها أمر الإمام بجمع الجنود والأبلاق[3]، وأمر أولاد إخوته بجمع عساكرهم والتحريض لهم والتلاق، فجمعوها وألفوها، وأنفقوا عليها ولموها، وقال لهم: اقصدوا إلى بلاد بني أرض[4] التي خلف بلاد قايفة، وإصلاح تلك الجهات المختلفة الخائفة. وأرسل «١٤٢أ» قبل ذلك بالرسائل إلى الشيخ حسين بن أحمد الرصَّاص زعيم أمر بلاد بني أرض، والحاكم عليها، والمتصرف عليهم في أمرها ونهيها. والرجل لباسه لباس البدو، وسيماه سيماهم، وحاله حالهم، وله الذؤابة[5] الطويلة، من القعشة المستطيلة المخدومة بالدهان، من الجواري والعبيد والفتيان، ومع ذلك فعنده من خاصته وجنده من ينفذ أمره ونهيه، ويحكم على ضعفاء بلاده، وأهل أسواقه، وتجبى إليه مصالح الأسواق والرعايا في تلك البلاد مثل البيضاء[6] وغيرها، وله استقلال هناك واستبداد. ومن خلفه مما يليه كبلاد دَثِيْنة[7] إلى الشيخ علي الهيثمي[8] حاكم على بلاده، وأغواره وأنجاده. ومن خلفه العولقي[9]، كذلك مختص

---

(١) ١)) ١٠٦٥هـ=١٦٥٤م.

(٢) المُزْن: من أسماء السحاب إذا كان أبيض. (النويري: نهاية الأرب، ج١، ص٧٣).

(٣) الأبلاق: فرقة الخيالة.

(٤) بنو أرض: منطقة تقع على المحجَّة ما بين رداع وبيحان. (المقحفي: معجم البلدان، ص٢٦).

(٥) الذؤابة: هي مايرخى من الشعر. (القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٦، ص٥٢).

(٦) البيضاء: مدينة كبيرة في الجنوب الشرقي من صنعاء، بمسافة ٢٧٢ كيلو متراً. (المقحفي: معجم البلدان، ص٩٨).

(٧) دَثِينة: تقع ما بين حضرموت وعدن، تبعد عن عدن بحوالي ١٣٠ ميلاً. يحدها من الشمال بلاد العوذلي والعوالق العليا ومن الجنوب والغرب بلاد الفضلي ومن الشرق العوالق السفلى. (حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، ص٢٤٣).

(٨) الهيثمي: من قبائل بلاد الحواشب، والحواشب يحدها من الشرق منطقة الفضلي ومن الغرب أراضي قبائل الصبيحي ومن الشمال ردفان والضالع ومن الجنوب منطقة لحج. (حمزة علي لقمان:المرجع السابق، ص٨٤).

(٩) أي بلاد العولقي: وتنقسم إلى العوالق السفلى ومركزها (أحور(والعوالق العليا ومركزها (أنصاب(وهي منطقة واسعة تقع بين الواحدي شرقاً ودثينة غرباً والفضلي جنوباً وبيحان شمالاً. (حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، ص٢٧٩؛ صلاح البكري: حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي، ص٢٧٧).

بأصحابه، وبدوه وعشيرته. ومن خلفه الواحدي[1]، ويليه الفضلي[2]. هذه قبائل المشارق متصلة إلى «١٤٢ب» جهات حضرموت، وكل شيخ فيها كالأمير، ولا تزال بينهم المغازي، كما هي عادات القبائل النائي. فلما برز الأمر إلى الرصَّاص، وهو أقرب جهة إلى هذه الجهات، وأول باب تلك المشارف النائيات، وبلاده بالنظر إلى ما خلفها أمثل في المحصول من غيرها، فقال عند وصول الكتب من الإمام: هذا لا يتقدر له الطاعة ولا الائتمام، بل بيننا وبينه السيف والدفع لمن وصل والإلمام، فاحتث الإمام حينئذ وجمع العسكر من شهر صفر إلى ربيع وسار الناس، وجمع جميع العساكر معه وأولاد إخوته، وطلب أيضاً عسكر صاحب كوكبان[3] من حضرته. وكان الواصل بعينة كوكبان السيد يحيى بن أحمد الحمزي العياني[4]، فاجتمع الكل زهاء عشرة آلاف، وألف حصان، وهي جملة جنود أهل اليمن هذا الزمان، وأكثر الخيل لمحمد بن الحسن. وكان الرصَّاص حسين بن أحمد قد جمع قبائله، وغوَّر[5] من يحادده مثل قبائل العولقي والهيثمي ويافع ورتَّب هو وخاصته والعولقي في نجد السلف[6] طرف بلاده، وأغواره وأنجاده. «١٤٣أ» وضرب الخدور في ذلك المقر والمكان. وقد كان جماعة قليلة من أصحاب الإمام دخلوا إلى الزهراء، وهي كانت في الأصل من قايفة، لكنه غلب عليها الرصَّاص بالقهر والإخافة، ثم تقدم جماعة إلى قرية أخرى قريب الزهراء تسمى بذي كريش[7] واستقروا بها، والرصَّاص سئم من الانتظار في باب بلاده ونجده، ورأى أصحابه من الغواير على انحراف من عنده، فاستعجل في أمر كانت له فيه أناة، وغزا

---

(١) الواحدي: تحتل بلاد الواحدي مساحة محدودة على الساحل الواقع غربي حضرموت، وتبعد عن عدن بنحو مائتي ميل. (صلاح البكري: المرجع السابق، ص٣١٦).

(٢) الفضلي: تحتل بلاد الفضلي جزءاً كبيراً شرقي عدن، ومعظم أراضي الفضلي سهل قاحل والمنطقة الخصبة في بلاد الفضلي تسمى (أبين((صلاح البكري: المرجع السابق، ص٢٧٥).

(٣) صاحب كوكبان: حينذاك الأمير ناصر بن عبد الرب، سبق ذكره.

(٤) لم أعثر له على ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

(٥) غوَّر: استنجد.

(٦) نجد السَّلف: من أعمال نواحي رداع، وهو الموضع المسمى (نجد الجاح(. (الجرموزي: النبذة المشيرة، ص١٣٠).

(٧) ذي كريش: تنطق حالياً (كَرِش(بلدتان إحداهما على طريق الراهدة، لحج، والأخرى في دثينة، وهي التي يقصدها المؤلف. (إبن الوزير: طبق الحلوى، تحقيق: عبد الرحيم جازم، ج١، هامش ص١٣٧).

قرية ذي كريش في الليل بلا إشاعة، فوقع الحرب، وثبت أهل القرية فيها، فكان هذا سبب المبادرة بالحركة، فعند ذلك سار أصحاب الإمام إلى الزهراء مبادرون، وما زالوا يخاطبون، وللطاعة يدعون، وأن بلاده تبقى تحت يده، فلم يرعوي لكلامهم، ولم يطمع في أمرهم، فحال استقرار العسكر، كل منهم قد صار على حذر، اتفقت نكتة عجيبة، ونادرة غريبة، وهو أنه انجفل ظبي أو نحوه «١٤٣ب» في وسط المحطة، فصاح أسافل المحطة ومدخلها، فظن سائر المحطة أن هناك قوم غزوا لِما كان في أذهانهم وترقبهم لها، فارتجت الأصوات، وكل منهم حمل السلاح، فحصل فيهم قشيعة[1] عظيمة، وحالة عجيبة، ولم يكن ثمة شيء من ذلك الأمر المترقب المظنون. وتقدم الجند إلى نجد السلف في يوم الخميس، رابع يوم من شهر ربيع الآخر من غير تراخي ولا تسويف، فباتوا تلك الليلة تحت الحجر والشجر، وبعض الخيام والظلل، ثم أصبح بكرة الصباح، وظهر الضوء فيه ولاح، قصد أحمد بن الحسن مركز الرصَّاص، وقاتله بدفع الرَّصَاص. وكان الرصَّاص قد جمع حريمه معه لأجل لا ينهزم، فلما شرع الحرب بالبنادق من الجهتين، وشرع القتل يسقط في الفريقين، انهزم أهل الغواير مثل: العولقي المسمى منصر وقبائله وكذلك قبائل يافع، ولم يثبت إلا الرصَّاص وقومه لذلك الحرب واستقبال الرصاص، ولات حين مناص. وقد كان «١٤٤أ» عز الإسلام محمد بن الحسين بن الإمام عطف عليهم من جهة الوادي، ليخلفهم من خلفهم فحصل الفشل معهم من كل جهة ووادي، وهو سبب هزيمة يافع والعولقي في التحقيق، فإنهم خافوا من عدم التخلص من ذلك المضيق، فلما ترازى[2] الحرب، وركد لوامع البنادق من الجانبين، وسقط القتلى من الجهتين، أمر أحمد بن الحسن أصحابه بالحملة بالسّيوف، وترك الرمي ومناجزة الحُتوف، فحملوا حتى وصلوا إليهم وخالطوهم، وامتدت السيوف ضاربة، والدماء سائلة، والرؤوس ناكعة[3] فقُتل الرصَّاص حسين بن أحمد في ذلك المقام، وقُطع رأسه وحُمل بالخُزام، ووُصِل به إلى حضرة الإمام. وقُتل عنده

---

(١) قشيعة: يقال قَشَعت القوم وانقشعوا: ذهبوا وافترقوا. وأَقْشَعَ القوم: تفرقوا. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٩٣).

(٢) ترازى: سكن وتوقف.

(٣) ناكعة: أي متساقطة.

جماعة من أصحابه كثيرة، حال وصول سائر العساكر العاطفة عليهم والهزيمة، فالذي قُتل من أصحاب أحمد بن الحسن يومئذ قدر ستين نفراً من جملتهم «١٤٤ب» صاحب الراية سقط بين يدي شمس الدين أحمد بن الحسن ببندقة أصابته، ورصاصة أهلكته، ومن أصحاب الرصَّاص كثير، الذين من خاصة أصحابه قدر أربعين، وهو من جملتهم ومن سائر قبائله وغوايره فوق ذلك القدر، وانهزم الباقون ومن جملتهم صنوه صالح بن أحمد الرصَّاص فإنه انهزم بالحريم، وواجهت حينئذ بلاده وساروا إلى البيضاء واستقروا فيها قدر شهرين. وانتهب العسكر الأثاث في مركز الرصَّاص والفراش والخدور والسلاح. وأما البيضاء وسائر البلاد فلم يحصل فيها انتهاب، وواجه صالح الرصَّاص وصل إلى البيضاء بجميع قبائله. ولما انقضى[1] هذا الحرب، وزال هذا الضرب، وفتحت بلاد بني أرض والرصَّاص، صلحت وزال عنها الفتن والرصاص، وتحولت الدائرة، والعساكر السائرة إلى الجهات اليافعية، فأرسلت إليهم الرسول والكتاب، بالدعاء إلى طاعة الإمام وترك الارتياب، فلم يسعدوا إلى المواجهة، وأبوا الطاعة، وانحازوا جميعاً في جبالهم، فسار بعض الجند إلى الخَلَقَة، وسار في الأثر عز الإسلام محمد بن الحسين بجميع من معه من العسكر، فاستقر فيها اليوم الأول والثاني، وهو يخرج إلى ما حولها يظهر التماشي، وكان قد يصل إلى قريب جبل العُرّ[2]، فرأوه قد امتلأ رجالاً من قبائل يافع. وفي خلاله وصل الخبر بأن الشريف سالم بن حسين الحسيني قادم من حضرموت بغارة إلى يافع، فجهزوا عليه محمد بن أحمد بن القاسم بجميع عساكره إلى دثينة، ليقطع عليه طريقه، فلمَّا بلغه عاد إلى حضرموت. ثم لَمَّا كان إلى نهار الإثنين تاسع عشر جمادى الأخرى تقدم أصحاب محمد بن الحسين إلى ذيل جبل العر؛ لأجل استخراج يافع للنزول، فتناوشوا القتال من أعلى التلال ثم رجعوا على أعقابهم لأجل استخراجهم، فنزل جماعة من يافع إلى سفح الجبل، فعند ذلك عادت العساكر عليهم، فاستحر الحرب بينهم، «١٤٥أ» وقاتلوا بالبنادق، فقُتل من العسكر أربعة عشر نفراً، وقدر ثلاثين مصاباً، ثم حملوا عليهم في سفح الجبل

(١) وردت في الأصل: (نقضى).
(٢) جبل العُرّ: جبل عال وهو أعلى جبل في يافع. (إسماعيل الأكوع: البلدان اليمانية عند ياقوت، ص٢٠٥).

فهزموهم إلى أعلى الجبل والضرب في أعقابهم. ثم طلع بالعسكر الجبل، وحمل الناس عليهم بالسيف والمعول، واختلطوا للضرب والطعن، وانهزموا وحصل الاستيلاء على رأس جبل يافع، وبابه الواسع وقد كان بعض أهل يافع المجتمعين في اليوم الأول عادوا إلى بيوتهم، ونزلوا عن جبلهم، ودخل الجند إلى بلد مرقد[1] وباتوا بها. وكان المتولي للحرب والمؤلب عليه الشيخ عبد الله بن هرهرة، صاحب هذه البلاد المطرّفة والخلقة، وكان معه رايات الشيخ الحبيب الحضرمي الصوفي، ولهم اعتقاد فيه عظيم، وهو سيد من أولاد الشيخ أبي بكر بن سالم[2] من آل باعلوي، وفي تلك الرايات رسم الشيخ الحبيب، وذكر نسبه المتصل إلى أبي بكر بن سالم، فاستولى عليها العسكر، وانتهبوها، وجاءوا ببعضها إلى الإمام ليهدوها، ثم إلى الناس فنظروها. ثم أن القبائل بالليل صاحوا في بلادهم، وجمعوا الغواير من كل حائط وداير، ووصلوا إلى بلد مرقد بباكر يوم الثلاثاء عشرين شهر جمادى الأخرى وقد اجتمع لهم جموع كثيرة، وخلائف عديدة، «١٤٥ب» من بلاد يافع، وأحاطوا بالبلد من كل جانب شاسع، فسكن العسكر في بيوت البلد، ولم يخرجوا لهم بحد، لما رأوا من كثرتهم وإحاطتهم. ثم أن جماعة من العسكر ترجح لهم الخروج في الذين قاتلوهم، فقتلوا منهم، ثم في خلال ذلك وصلت الغارة من أحمد بن الحسن، وهو كان بالبيضاء لما بلغه دخول يافع، واجتماعهم بعد وعدم الدافع، فلما سمعوا وصوله، وتحركت طبوله هرب يافع، و ولوا الأدبار، ونجوا بالفرار، ثم طلبوا الأمان، فبذل لهم أمانهم، ودخل الأجناد إلى بلد الموسطة[3] واستقروا بها ليالي وأياماً، وقد كان بدر الدين محمد بن أحمد في بلاد دثينة؛ لئلا يحصل من جهتها دفينة. ثم بعد ذلك عاد الجميع إلى أوطانهم وجعلوا في بلاد يافع والياً السيد شرف الدين بن مطهر بن عبد الرحمن بن مطهر بن الإمام شرف الدين[4].

---

(١) مرقد: من مناطق يافع العليا. (حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، ص٢٠٩).

(٢) هو الشيخ أبو بكر بن سالم باعلوي. كان من المشائخ المقصود في الزيارة من أقصى البلاد، كانت إقامته (بعِينات) قرية بحضرموت. توفي في ذي الحجة سنة ٩٩٢هـ/ ١٥٨٤م. (محي الدين عبد القادر العيدروس: تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص٤١٣).

(٣) الموسطة: من مراكز بلاد يافع، بها مسجد النور، وهو الذي بناه أحمد بن الحسن بن القاسم. (الويسي: اليمن الكبرى، ص٣٢).

(٤) شرف الدين بن المطهر بن عبد الرحمن بن الإمام شرف الدين: كان من أمراء الإمام المؤيد محمد بن القاسم، ولاّه =

وكـان قـصد الإمـام اسـتقرارهم بيـافع أكثـر مـن هـذه المـدة، وكـره لهـم المبـادرة بالعود بالسرعة.

ولما بلغ صاحب حضرموت «١٤٦أ» فتح بلاد بني أرض ويافع أطلق بدر بـن عبـد الله الكثيري المتغلب ابن أخيه[1] بدر بن عمر، وكتب إلى الإمام بالطاعة، وإقامة الخطبـة، وتـرك المخالفة، فأرسل الإمام إلى هنالك الأمير صـالح بـن الحسين الجـوفي ليأخـذ الحقيقـة مـن المذكور، ويعرف ما هنالك من الأمور، فلما وصل إلى حضرموت جعلوا لبدر بن عمـر هـذا الذي قد كان حُبس بلاد ظفار، وعاد الأمير، وصلحت تلك البلاد.

وفيها عاد الشيخ يحيى بن بدر وكان إلى ما ألفه من الشقاق، ومتابعة هواه مـن غـير إشفاق وخالف في بلاده على العادة المألوفة، والحالة المعروفة، فأرسل إليه الإمام جماعة عسكر، قدر ستمائة نفر، فلما قاربوا من جهاته قصدوا إلى نفس بيته مغزى، فـشعر بهـم وهرب وغدا، ثم بعد قليل أيام وصل إلى شهارة وفيهـا الحـسين بـن الإمـام يستـشفع ويستجير، لمعرفته بتكرير الإساءات من غير تدبير، «١٤٦ب» والشفاعة لمن تحقق عليه الحق والتعدي والتكرير، غير مشروعة بل معـدودة مـن التبـذير، ثـم سـار إلى حـضرة الإمام بضوران، فأمر بحبسه في حصنه؛ لما تكرر منه من كثرة المحق والعدوان في أمسه.

وفيها جاء الخبر أن صاحب سَوَاكِن[2] والمصوع[3] محمد باشا عزله صاحب مصر.

وفي شهر الحجة منها تغلب يافع على بلادهـم وقـصد الـشيخ ابـن العفيـف الـسيد شرف الدين للحرب، فلم يقـدر الـسيد لدفعـه لقلـة أصـحابه، فـسلَّم نفسه بالأمـان

بلاد رداع، واستمر والياً عليها في عهد الإمام المتوكل إسماعيل، وعُزل عنها في عهد المهدي أحمد بـن الحسن. وعـاد شرف الدين إلى بلده الذنوب واستقر بها إلى أن تـوفي سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م. (الـوزير: طبـق الحلـوى، تحقيـق: عبد الرحيم جازم، ج٢، ص٣٣٣؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٢، ص٧٢٤).

(١) الأصح أن بدر بن عمر هو عم بدر بن عبد الله، وليس ابن أخيه

(٢) سَوَاكِن: مدينة في السودان، تطل على البحر الأحمر، مابين (بور سودان) في الشمال التي تبعـد عنهـا بنحـو ٣٦مـيلاً وبلدة (طوكر) في الجنوب. وهي أقدم وأكبر موانئ السودان حتى تأسيس بور سودان عام ١٩٠٦م. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مجـ٣، ص٥٤٧).

(٣) مصَوَّع: من أشهر الموانئ على الساحل الغربي للبحر الأحمر وأعرقها. احتلـه العثمانيـون سـنة ١٥٥٧م. وظـل تحـت سيطرتهم أكثر من ٣٠٠ سنة حتى استولى عليه الإيطـاليون سـنة ١٨٨٥م. (ممتـاز العـارف: الأحبـاش بـين مـأرب وأكسوك، ص٣٨٩-٣٩٠).

وجماعته، وطردوه من بلادهم، وأخرجوه من جهة لحج ونفروه وشردوه، فخرج إلى هنالك بمشقة عظيمة، وحالة غير مستقيمة، ونُهب بعض أصحابه، وقُتل بعضهم، وخرج السيد على قدميه حافياً، فلما بلغ الإمام ذلك الخلل، وما فعله يافع من هذا العمل أرسل ولده محمد بن أمير المؤمنين بِداراً[1]، بمن حضر عنده من العسكر، ورتبة الجبل، ومن آنس، وهو أول تعليقة له بالأمر لصغر سنه من قبل، وكان سنه يومئذ في أول التكليف والبلوغ، والمسارعة «ق١٤٧أ» منه خشية خلاف بلاد الرصَّاص لا سيما وقد انتهبت قافلة يومئذ في نجد السلف، فسار المذكور بمن معه حتى دخل البيضاء وتلك النجود فيها وقومه تبعاً، فاستقر بها واستحث الإمام أولاد إخوته بالوصول، والمسارعة والقفول، فساروا جميعاً، ووصلوا إليه -كما ذُكر- سريعاً. ثم تتابعت الأجناد إلى البيضاء ثم إلى الموسطة بلاد ابن هرهرة؛ لكونه لم يظهر منه خلاف في الظاهر، وإن كان مع ابن العفيف في الباطن.

وفيها مات الشيخ أحمد القيرواني المالكي المغربي وصل إلى صنعاء مرة سابقة في آخر دولة الإمام المؤيد بالله ثم عاد للحج إلى مكة المشرفة، واستقر هنالك برهة ومدة، ثم عاد إلى اليمن وصحبته كتبه فوق مائة مجلدة، لا يفارقها في أكثر أوقاته بالمرة. وقبض الكتب قاض صنعاء الحسين بن يحيى السحولي[2] حتى يظهر وارثه، وكان له معرفة بعلم السيمياء[3]، وإلى حال كتابة الأحرف لهذا التاريخ «ق١٤٧ب» وكتبه باقية عند أولاد القاضي حسين السحولي ولم يظهر وارثها.

وفيها مات الشريف السيد العلامة إبراهيم بن يحيى بن الهدى بن جحاف الحبوري[4] ببلدة حبور، وقبر فيها. كان المذكور له معرفة ومشاركة بكل فن، وكان له في الحديث معرفة وطرق ومشائخ ومستجازات[5] من الشيخ أحمد بن علي مُطير ومن

---

(١) بداراً: أي على وجه السرعة.

(٢) ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق٢٠٠ب) من هذه المخطوطة.

(٣) علم السيمياء: هذه الكلمة عبرانية الأصل، ويطلق هذا الإسم على غير ماهو حقيقي من السحر. فهو تغيير حاسة الإبصار حتى يرى الشاهد أموراً ليست موجودة في الحقيقة. (بطرس البستاني: دائرة المعارف، مجـ١٠، ص٣٥٠).

(٤) مولده سنة ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م. ترجم له أبو الرجال: مطلع البدور، جـ١، ص٤٣؛ زبارة: ملحق البدر الطالع، ص١٣.

(٥) أي إجازات، وقد سبق ذكرها.

غيره رحمه الله. وكان هو الحاكم والقاضي بحَبُور، وإمام جامعه، وله تأليف في الفرائض[1] حسن، خرَّج فيه الأحاديث من أصولها. وكان السَّيد يرى رَفْع اليدين عند تكبيرة الافتتاح، ووضع الكف على الكف كما هو قول أكثر العلماء، ويفعل ذلك ويعتمده على صورة لا يفطن بها إلا من قربه. وأعلى ما جاء له من الطرق في الحديث كما رأيته بخطه رحمه الله ما يرويه عن الشيخ العلامة علي بن محمد بن إبراهيم بن مطير[2] عن عمه عبدالله بن إبراهيم بن مطير عن القاضي زكريا[3] عن الشيخ ابن حجر العسقلاني[4] بأسانيده المعروفة، والله أعلم.

وفيها مات السيد «ق١٤٨أ» العارف محمد بن الحسين المحرابي[5] حاكم الشرع ببلاد عِذَر في وقته. وكان يميل إلى مذهب الشافعي كما روي.

وفيها أفتى القاضي العلامة عبد القادر المحيرسي قاضي بلاد الشَاحذيَّة: بأن الإعانة التي فرضها الإمام على الناس غير واجبة عليهم؛ لأن الخزائن فيها ما يُغني عنها، فامتنع بعض أهل الجهة[6] لهذه الفتوى، وبعضهم سلَّم وأعطى، وخَرَجَ أدب على الممتنعين من واليهم الأمير ناصر وسلموها جميعاً.

---

(١) الفرائض: علم يُعرف به كيفية قسمة المواريث على مستحقيها. (محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، جـ٧، ص١٩٨).

(٢) هو علي بن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن أبي القاسم بن مطير الحكمي اليمني. ولد سنة ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م له الكثير من المؤلفات منها: (الإتحاف) مختصر التحفة لابن حجر، و (الديباج على المنهاج) و (كشف النقاب بشرح ملحة الإعراب) للحريري وغير ذلك. توفي سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م بالمخلاف السليماني. (المحبي: خلاصة الأثر، جـ٣، ص١٨٩).

(٣) هو القاضي زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري. (٨٢٣-٩٢٦هـ/ ١٤٢٠-١٥٢٠) قاض ومفسر، من حفاظ الحديث. له تصانيف كثيرة منها: (فتح الرحمن) في التفسير و (تحفة الباري على صحيح البخاري) ومؤلفات أخرى كثيرة في التفسير والحديث والفقه والمنطق. (الزركلي: الأعلام، جـ٣، ص٨٠-٨١).

(٤) هو أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الشهاب العسقلاني، المعروف بابن حجر (٧٧٣-٨٥٢هـ/ ١٣٧١-١٤٤٨). محدث ومؤرخ وأديب وشاعر، تصدق لنشر الحديث وقصر نفسه عليه مطالعةً وإقراءً وتصنيفاً وإفتاءً. له العديد من المؤلفات من أهمها: (فتح الباري). (الشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص٨٧-٨٨).

(٥) ترجم له الجنداري في الجامع الوجيز، ق١٤٤أ نفس الترجمة التي أوردها مؤرخنا.

(٦) أي جهة الشاحذية والمناطق القريبة منها. وكانت تابعة للأمير ناصر بن عبدالرب.

ودخلت سنة ست وستين وألف[1].

استهلت بالأحد، فيها تحرك جند الإمام إلى بلاد ابن العفيف والناخبي[2] بسبب ما جرى من الخلاف، وطرد واليهم والاعتساف، فتلقاهم الشيخان للقتال بالسيوف المرهفات، والتخرب عليهم بتلك الحالات والصفات. وصبوا في وجوههم رصاص البنادق، وقاتلوا بأجمعهم تلك العساكر والفيالق، وركزوا لهم في رؤوس الجبال والشعاب، وتلك الآكام والهضاب، فاستحر الحرب «ق١٤٨ب» فيما بينهم وحميت ناره، وافترقت الحرب في الجهتين وظهر مناره، فاهتزم أولاً الشيخ ابن العفيف، وكان الاجتماع عليه والتعنيف، ثم وصل كتابه ورسوله للأمان، والوصول والإذعان، فبذل له مراده وسؤاله، ووصل إلى الموسطة خاضعة أذياله، ثم أُرسل به في الحال إلى حضرة الإمام، وما يراه له من الانتظام، والحل والإبرام. ولم يلبث بالحضرة إلا المدة القليلة، وجاءه أجله المحتوم، وزال عنه جميع الأحوال والرسوم، ومات بضوران، وصلى عليه الإمام صلاة الجنازة، وجهزه إلى قبره أحسن جهازة. وأما الشيخ الناخبي فإنه ركز بحربه لمن قاتله من العسكر بجهته، ووقع القتل والضرب من عنده، فراح جماعة أكثرهم من أهل آنس، ومنهم شيخ من بني مطر[3] من أهل جبل قاهر حضور[4]، وغيره ممن كان في جملة الحضور، ثم لما رأى صاحبه قد انهزم، وكف حربه وعزم، اكتفت حرب المذكور، وطلب الأمان والحضور، فبُذِل له أمانه من جملة إخوانه. ثم أن أهل آنس قيل غدروا بالناخبي غيظاً عليه لمن قتل من أصحابهم، فقتلوه كما روي، وواجهت «١٤٩أ» يافع أجمع من حد العر إلى عدن وجميع جباله وحصونه الذي منها

---

(١) ١٠٦٦هـ = ١٦٥٥.

(٢) الناخبي: فرع من قبائل يافع السفلى، وتقع بلاده في الجهة الشمالية ليافع السفلى. يحده من الشرق يافع الساحل ومن الغرب يافع العليا ومن الجنوب القارة وجبل أهل يزيد ومن الشمال الفضلي والعوذلي. (حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، ص١٩٠).

(٣) بنو مطر: كانت تُعرف قديماً (بناحية البستان) من نواحي صنعاء في الجهة الغربية منها، وهي ناحية واسعة يحدها شرقاً قاع صنعاء وغرباً بلاد الحيمة وجنوباً آنس وشمالاً كوكبان وهمدان. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص٩٣).

(٤) جبل قاهر حضور: ويعرف أيضاً بجبل النبي شعيب، وهو أعلى جبل في اليمن، وهو الجبل الوحيد الذي تنزل عليه الثلوج في اليمن في بعض السنين. ويقع في بني مطر. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص٩٤).

أهل جبل النافج[1] وغيره. وهي بلاد ممتدة واسعة وأهلها كثيرة. وزال ذلك الخلاف فيه الواقع، ووصل إلى الحضرة جميع مشائخه: كالشيخ عبدالله هرهرة وسائر المشائخ، ووصل أيضاً شيخ بلاد بني أرض صالح بن أحمد الرصاص، فخلع عليه الإمام، وأكرمه غاية الإكرام، وأعاده إلى بلاده لما علم منه الوفاء، وعدم النكث والصفاء، واستبقى الشيخ عبدالله هرهرة شيخ طرف بلاد يافع، ثم برز أمر الإمام إلى من بيافع من تلك الجنود والأعلام بقبض البنادق من يافع، وإيصاله إلى حصن الدامغ؛ لأجل شقاقهم وحربهم، وما جرى من قبلهم، فوصل إليه كثير من بنادقهم محملة على ظهورهم ورقابهم وأودعها خزانة الحصن، ثم أرسل الإمام الشيخ محمد بن الحاج أحمد الأسدي إلى بلاد بيحان[2] إلى حضرة الشريف طالب بن حسين الجوفي الحمزي، فسار إليها ووصل معه الأمير طالب إلى الحضرة العالية. وجعل الإمام ولاية «ق١٤٩ب» البيضاء ويافع لابن أخيه الحسين، فسار إليها واستقر بالبيضاء ثم برداع، وجعله مستقره والمرباع.

وفيها خسفت القمر ببرج الجدي في شهر رمضان منها.

وفيها تضرر المسلمون في صنعاء بالبانيان من المجوس الكفار، وأنهم أفسدوا البيع والشراء، والتعامل بالرباء، وأراد إخراجهم وألَحَّ جماعة من صوفية أهل صنعاء وأهل المساجد والدعاء، واجتمعوا بالابتهال وساروا إلى حوطة الإمام صلاح الدين في ذلك الوقت مع استعجال. فلما بلغ الإمام ذلك الشأن، وما عزم عليه أهل المدينة بدفع البانيان لم يرض بإزالتهم، فإن بخدمتهم وسببهم مصالحهم، وزجر أولئك الذين ألبوا عليهم وحبس بعضهم وقال: هم في أمانهم، وتسليم جزيتهم وقرارهم[3].

وفيها همَّ الإمام، وتحدث لمن يختص به في هذه الأيام إرسال جنوده، وعساكره

---

(١) النافج: لم أجد له تعريف في مابين يدي من مصادر.

(٢) بيحان: بلد واسع في الشرق الجنوبي من صنعاء. وهي ناحية واسعة يحدها من الجنوب ناحية البيضاء ومن الشرق الجنوبي حضرموت ومن الغرب ناحية حريب. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١٣٢).

(٣) للمزيد عن ذلك انظر. الجرموزي: تحفة الأسماع ق٢١٦أ-٢١٧أ.

وخيوله إلى الحبشة؛ لأجل القصائد التي أنشأها القاضي حسن بن أحمد الحيمي الذي كان دخل إليها، وما جرى معه من الامتحان فيها، كما سبق ذكره، «ق١٥٠أ» وبين تحقيقه وأمره، ثم ترك ذلك لما فكر في أمره، وما أشار به عليه خاصة أهل محفله.

وفي شهر شعبان ورمضان منها وقع المرض والموت باليمن، وهلك به طائفة من الخلق في هذا الزمن، ولقد خرج ليلة عيد الفطر برمضان من مدينة صنعاء قدر ثلاثين جنازة فأكثر، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وكان في آخر شهر رمضان انْصَبَّ مطر الخريف كأفواه القرب، وشنت السحائب بالماء العذب، فدفعت السيول في الأودية الكرارة، ونعمت الأرض بماء المُزْن الهطالة، ونزل بمدينة صنعاء سيول عظيمة متلاحقة ومتتابعة، وكان أول سيل منها عظيماً اقتلع بعض العقود المبنية، وأزال ما فوقها من البناء، وطفح الماء من أعلى لعدم سعة المجرى، ثم ثَنَى[1] السيل الثاني، فأزال بقية تلك المباني إلى القرار في الجهتين والدايرين، وأخرب هذا السيل بيوتاً بصنعاء مما يلي السايلة، وأزال عنها الدايرة والعامرة، ثم دفن غيول «ق١٥٠ب» السد المستخرجة، وخرج بعض السيل من باب السبحة، ولولا انكسار الخندق الأسفل وخرابه لخرب كثير من بيوت المدينة. وصلحت بحمد الله الزرائع، واخضرت ونمت في جميع الجهات والبقائع.

وفيها عبر رسول ملك الهند المسمى محمد سعيد باليمن، ومَر راجعاً من الأبواب السلطانية والجهات الرومية الذي كان أرسله ملك الهند إلى ابن عثمان، وما يلقيه إليه من الشكاية والإعانة لِمَا وقع معه من العدوان، من قبل ملك العجم الشاه صاحب جبال فارس؛ لأجل أنه وقع منه في هذه المدة استفتاح لأطراف البلاد الهندية، وتلك الجهات الجنوبية مما يلي أطراف البلاد، وتلك الأغوار والأنجاد. وكان المذكور -أعني ملك الهند المزبور- طالباً من السلطان محمد بن إبراهيم بن عثمان فتح الحرب على

---

(١) ثَنَى: أعاد الكرة مرة ثانية.

الشاه من الجهة الشمالية العراقية التي تليه؛ ليقع بسبب ذلك التنفيس عليه، فأجاب السلطان ابن عثمان مع هذا الرسول: إن بيننا وبين الشاه صلحاً معقوداً، فلا ننقضه بعد النفوذ، فعاد الرسول خائباً، وعن «١٥١أ» المقصود مُجانباً.

وفي صفرها تُوفي الشيخ يحيى بن روكان في حبس الإمام بضوران، وقد جرى منه ما جرى من تلك الأعمال التي سبقت وسطّرت، وفي أحواله وتكرار حوادثه رُسِمت.

وفي هذا الشهر جاء طِلاب[1] من الإمام للسيد العلامة أحمد بن علي الشامي إلى الحضرة العالية، وقد صار المذكور مكفوف البصر بسبب ما وقع من ولده محمد بن أحمد بقتله للمملوك لهم كان لِما صدر منه إليه من العدوان، وحقق للإمام ذلك الحادث والطغيان، وأن قَتْله كان دفاعاً من ولده لَمَّا رماه بحجر عظيمة من أعلى سطح على مرور طريقه، وأنها لو أصابته لأهلكته وأماتته، وخشي منه الكر والعدوان، وإعادة ذلك الفعال.

وفي صفرها توفي صفي الإسلام أحمد بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد بمدينة صعدة المحروسة. والمذكور كان أكبر في السن من أخيه الإمام إسماعيل. وكان المذكور كثير الصدقات، وفعل الخيرات وله مآثر حسنة، وصدقات جارية معتمدة منها: الجامع الكبير والموضع الحسن الشهير «١٥١ب» بمحروس الروضة من منتزهات صنعاء، ليس له نظير في العمارة والصناعة، وحسن النظارة والإقامة، وهو الذي عمره وبناه جميعاً وشيده رحمه الله، ووقف عليه وقوفات كثيرة تقوم بأعماله وفرشه وسكانه في سَعْوان[2]، وغيره من البلدان. وعمّر سمسرة عظيمة بسوق العنب بصنعاء، ووقفها عليه. وله من المآثر أيضاً: سمسرة الأزرقين[3] بوصية من بعض زوجاته بنات المعافا،

---

(١) طِلاب: أي استدعاء وهو من اللهجة العامية في صنعاء.

(٢) سَعْوان: وادٍ مشهور بالشرق الشمالي من صنعاء بمسافة ثمانية كيلومتر، يطل عليه جبل نقم من جنوبه وجبل براش. (المقحفي: معجم البلدان، ص٣٢٢).

(٣) الأزرقين: جبل قرب صنعاء، يقع إلى الشمال منها.

ومنها سمسرة رَيْدة وغير ذلك جُزي خيراً، فلقد أحسن بذلك كل الإحسان رحمه الله تعالى. وترك الإمام بعده ولاية صعدة لعلي[1] ولده. وما ذكره في حياته رحمه الله في هذه السنة أن مخرج الصنو إسماعيل إلى المشرق وبعثه للصُرّ إلى مكة ما كان ينبغي له؛ لأنه يكون لمن ولي بعده مشقة، ولا يكاد يقوموا بذلك. فكان كما قال رحمه الله، وخالف المشرق وعجزوا عنه، والصُرّ نقص بعضه عما كان أولاً.

وفيها وقع بين أهل برط اختلاف وقتول بين (ذي محمد وذي حسين)[2] من دُهْمة[3]. وهم في الأصل إخوة فافترقوا، ووقع بينهم الشر واعتصبوا، ودخل في رؤوسهم الكبر وتخربوا. فكان أول قتال بينهم الدائرة فيه على ذي محمد، راح منهم تسعة، ثم أن ذا محمد ما زالوا يغيرون على ذي حسين، ويترصدونهم ويخيفونهم في النهار والليل، فأذاقوهم التنغيص، والكرب وشدة الخوف «١٥٢أ» والتحريش، والفتنة أكبر من القتل، فكان يقتلون منهم أفراداً، ومن وجدوه واحداً واحداً، فعظم عليهم ذلك الأمر؛ لاختلاط بيوتهم ومساكنهم؛ وكون العدو صار فيهم، فما زال القتل في الجانبين على هذه الصفة، والخوف من الطائفتين على هذه الجملة مدة طويلة، حتى حُصر منهم قتول كثيرة. ولكنه كان بذلك الاشتغال ببعضهم البعض دفعاً لأذى مغازيهم لغيرهم من القبائل التي تليهم، والطرقات أمنوا من نهبهم، فإن هذه القبيلة لا

(١) هو علي بن أحمد بن القاسم بن محمد. (١٠٤٠-١١٢١ هـ/ ١٦٣٠-١٧٠٩م أخذ عن علماء عصره، وجمع بين العلم والرئاسة. له شرح على (البحر الزخار) و(شرح الأزهار) ولاّه الإمام المتوكل على صعده ثم عزله عنها. دعا إلى نفسه بعد موت المهدي أحمد بن الحسن، ثم بايع المؤيد الصغير محمد بن المتوكل، واستمر متولياً على بلاد صعدة. ثم دعا إلى نفسه في عهد صاحب المواهب وتلقب بالداعي، وخطب له بجهة صعدة وضُربت السكة باسمة. وجرت بينه وبين أبناء المهدي حروب، إلا أنه عاد إلى ولاية صعدة، واستمر بها حتى مات. (زبارة: ملحق البدر الطالع، ص١٥٦).

(٢) ذو محمد وذو حسين: فرعان من قبائل بكيل في برط، وهما أبناء غيلان بن محمد بن شعبان بن بشر بن عمرو بن دهمة. وتنقسم ذو محمد إلى خمسة أقسام وذو حسين إلى ثمانية أقسام. (زبارة: أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة، ص٢٤-٢٥).

(٣) دُهْمة: قبيلة كبيرة نُسبت إلى دُهْمة من بكيل، منها: ذو غيلان أهل برط والجوف، وفروع أخرى في صعدة ومأرب. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٢٣٦).

تزال غازية إلى المشارق التي تليهم، فيغزون إلى يام وإلى وايلة[١] والمعَضَّة[٢] وسِدْلَة، وتلك النهوج المشرقية، وأطراف الخبوت[٣] الرملية، وإلى سهول بلادهم، فلا يزال بينهم ذلك لهم وعليهم، غير أن هذا الزمان لما كثرت البندق مع أهل برط أثخنوا في تلك القبايل، وصابحوهم في كثير من البُكَر والأصايل، وإلا فإن من «١٥٢ب» أهل تلك النهوج القصوى، أهل خيول وبأس أقوى، والضرر حاصل لجميع أهل الأهوى.

وفيها أنشأ السيد الحسن بن أحمد الجلال من الظاهرية رسالة في شأن حرب المشرق الداخلية[٤]، وأن أهل المشرق شافعية، وهم لا يرون قصد البغاة إلى ديارهم، وأن الإمامة ظنِّية، وهو وهم منه وغلط، فإن الشافعية يرون قتال الباغي، ولا يخالفون في وجوب طاعة الإمام الآمر الناهي، وأن الزكاة إذا طلبها وجب إليه دفعها، هذا نصهم في كتبهم، وتحريرهم في مذهبهم، مع أن في ذلك صلاح شأنهم، وجمع كلامهم، وإزالة تفرقهم واختلافهم، الذي لا يزال ذات بينهم، وتقليل لما شجر بينهم كما لا يخفى على كل عاقل فهيم.

وفي هذه المدة خرج إلى اليمن من جهات مكة المشرفة كتاب (فتح المُتعَال في مدح النعال المُتشرفة بخير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام) للعلامة الشيخ أحمد المالكي[٥]، أصله من بلاد فارس من المغرب يتضمن بيان صفات نعال النبي ﷺ

(١) وايلة: بناحية همدان وهي بلاد بن شاكر. مركزها محل كُتاف. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣،ص٤٧٧).

(٢) المعَضَّة: طائفة من قبائل متفرقة أهل ماشية يتنقلون مابين الجوف ونجران. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٧١٣).

(٣) الخبوت: جمع خبت: ما اتسع من بطون الأرض. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٧٨١).

(٤) اسم الرسالة: (براءة الذمة في نصيحة الأئمة) اعترض فيها على الإمام إسماعيل بشأن حروبه في حضرموت ويافع والشحر. عدد أوراقها حوالي خمس ورق.

(٥) هو أحمد بن محمد بن أحمد المَقَّري، التلمساني، المغربي، المالكي، أبو العباس. قرأ صحيح البخاري والكتب الستة، ظل يتنقل بين القاهرة ومكة وبيت المقدس ودمشق. برز في علم الكلام والتفسير والحديث له مؤلفات منها: (نفح الطيب) و(أزهار الرياض) و(فتح المتعال في وصف النعال) وغير ذلك. توفي بالقاهرة سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م. (الخفاجي: ريحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا، جـ٢، هامش، ص١٧٤).

وتركيبها، وما جاء في الأخبار وأقوال العلماء فيها في مجلد. وخرج معه أيضاً كتاب (ريحانة الألِبَّاء وزهرة الحياة الدنيا)[١] تضمن تراجم علماء عصر المصنف في الشام ومصر والمغرب[٢] واليمن، والشعراء والأدباء في مجلد. وكلا الرجلين من المتأخرين لبعد الألف من الهجرة، فصاحب الريحانة هذا يسمى شهاب الدين أحمد الخفاجي، إلا أنه اقتصر فيها على أدباء عصره والشعراء واليسير من العلماء العلقمي[٣] شارح (الجامع الصغير)[٤]، وذكر ابن حجر الهيتمي[٥]، وكذا ذكر عبدالله بن الإمام شرف الدين[٦].

وفيها وضع هندي من الدراويش، الذين لا يعرفون بالتهاويش، ولا يعرفون الحديث الصحيح ولا الضعيف، ولا يميزون بين الوضيع والشريف، فلذلك وضعوا هذا الحديث منهم رجاء بترغيب العوام لهم، وهو أن قالوا عن النبي ﷺ وكذبوا «١٥٣أ» [من أكرم غريباً في غربته فكأنما أكرم سبعين نبياً مرسلاً][٧] كان هذا الهندي الذي وضعه في رقاع، يطرحها عند المصلين في البقاع، لطرح الدراهم عليها والانتفاع. وسار عليه بعده الهنود، وتناقلوه عنه، وساروا سيرته إلى وقت رقم هذه الحروف، فلا قوة إلا بالله. ومما يؤكد وضعه ويبين لك كذبه أن الواضع له في هذا العام، زاد في لفظه في بعض الأيام، فقال فيه: [من أكرم غريباً في غربته في بيته فكأنما أكرم سبعين نبياً

---

(١) سبق ذكره.

(٢) كذا في الأصل: أي بلاد المغرب العربي.

(٣) هو محمد بن عبدالرحمن بن علي العلقمي، المصري، الشافعي (٨٩٧-٩٦٣هـ/ ١٤٩١-١٥٥٥م) أخذ عن مشائخ عصره، وأجازوه بالإفتاء والتدريس، فقعد للتدريس في الأزهر. (الخفاجي: ريحانة الألباء، جـ٢، ص٧٧-٧٨).

(٤) اسم الكتاب: (الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير) الذي للسيوطي.

(٥) هو العلامة أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي. (٩٠٩-٩٧٤هـ/ ١٥٠٤-١٥٦٧م) فقيه باحث مصري، تلقى العلم في الأزهر. له تصانيف كثيرة، منها: (مبلغ الأرب في فضائل العرب) و(الصواعق المحروقة على أهل البدع والضلال والزندقة) و(الفتاوى الهيتمية) وغير ذلك. (الخفاجي: ريحانة الألباء،جـ١، ص٤٣٥؛ الزركلي: الأعلام، جـ١، ص٢٢٣).

(٦) ذكره الخفاجي باسم عبدالله بن مطهر اليمني، وأورد بعضاً من أشعاره. (الخفاجي: ريحانة الألباء، جـ١، ص٤٥١-٤٥٥).

(٧) ذكر أبو هاجر محمد بن سعيد في كتابه: موسوعة أطراف الحديث، مجـ١، ص١٣٣. إن حديث: (من أكرم غريباً في غربته وجبت له الجنة) ورد في الحاوي للفتاوى للسيوطي ٢: ٨٧؛ الأسرار المعروفة لعلي القاري ٣٣٠؛ كشف الخفاء للعجلوني ١: ٩٧، ٢: ١٠١، ٣١٨.

مرسلاً] فزاد لفظ في بيته، يريد به مزيد الترغيب، كون السؤال منه يقع في بيته ومسجده، وحال التوجيه لأداء جمعته، فانظر هذا التلعب الباطل، والمشي مع الهوى العاجل. وقد اغتر بهذا الحديث عَالَم ممن لم يعرف الحديث.

ودخلت سنة سبع وستين وألف (١)

في صفرها وصل الشريف السيد إبراهيم بن محمد المؤيدي «١٥٣ب» الذي كان دعا للإمامة والزعامة كما سبق ذكره، فوصل إلى الحضرة العالية والإمام بضوران، فأنصفه، وعظم لديه نزله وأكرمه، واستقر عنده قدر شهرين ثم زلجه بلاده، وسار هو وأولاده. وكان محمد بن الحسن يومئذ بذمار، في ذلك النهج الحسن المعطاء فتلقاه بأحسن التلقي في وصوله إليه، وأحسن كل الإحسان عليه، وأعطاه عطاءً جزيلاً، وما ترك له حقاً ولا تقصيراً، ثم عاد بلاده، وسار نجاده. وقد كان أقطعه الإمام ولاية بلده كما سبق ذكره، فاستقر من يومئذ في بيته، وتولى عمل القضاء والشريعة، وسار فيهم سيرة شريفة، وترك شق العصا، وقال: على الدنيا العفا.

وفيها وصل من قبائل حدود البصرة، وهم من بلاد الجميلي البديع ما بين الحسا وبين الدواسر في تلك الجهات كتاب يذكرون فيه أنه بلغهم عدل الإمام في اليمن، وأنهم يودون الدخول في الطاعة في السر والعلن، وتسليم الزكاة إلى رسوله، والاعتزاء إليه في قليله وكثيره. ولم يتم من ذلك شيء من الجهتين؛ لخوفهم من ولاة السلطان، «١٥٤أ» وبُعْد صاحب اليمن من تلك الأوطان.

وفيها جاء الخبر أن جنود السلطان محمد بن إبراهيم بن أحمد خان بن عثمان استولى على بعض من بلاد مالطة، واستولى على جماعات من النصارى وتلك الفرقة المارقة.

وفي رمضانها خسفت القمر ببرج الجدي. ورخصت الأسعار يومئذ الرخص التام

(١) ١٠٦٧هـ= ١٦٥٦م.

بعد تلك الأمطار، والصلاح[1] في جميع الأقطار، بلغ القدح ثمانية كبار إلى عشرة كبار من الشعير.

وفي ربيع منها أرسل الإمام القاضي حسن بن أحمد الحيمي إلى أمير حضرموت، فسار إليها ودخلها.

وفي هذه السنة شرع أحمد بن الحسن بإعادة بناء حصن ذمرمر، وحث على إصلاحه وعمارته وأمر، بعد الخراب له من الإمام المؤيد كما سبق تاريخه، فتم بناء أحد دوره، وإصلاح أبواب الحصن وطريقه، وأخرج من صنعاء والروضة بعض أهله وأولاده، وسكَّنهم فيه واستوطنه هو والغراس، ومد فيه الفراش. وهو حصن عظيم، وأثر قديم، وقلعة «١٥٤ب» حصينه، وحصن منيعة.

وفي عصر يوم الجمعة ثامن شهر شوال من السنة المذكورة توفي عز الإسلام محمد بن الحسين بن أمير المؤمنين رحمه الله بمستقره البستان[2] غربي صنعاء، وقبر جنب المسجد في المشهد الذي بناه على عمه يحيى بن الإمام[3]، وولد له كان قد مات قبله بأيام، فكان لموته رحمه الله موقع عظيم، لما كان عليه من حسن الأخلاق، للخاص والعام وكثرة الإنفاق. وكان له معرفة حسنة في العلوم، في النحو والمعاني والبيان اليد الطولى، والباع الأقصى، وشيخه فيها الفقيه عبد الرحمن الحيمي والقاضي أحمد بن صالح العنسي. وكذا في أصول الفقه وأصول الدين وكتب الأدب. وآخر مدته التفت إلى الفقه، والقراءة فيه، والعناية بدرسه والنظر في مبانيه. وكان مع ذلك يحب السنة النبوية والحديث، ويعظِّم أهله، ويوقِّر متحمله. وله تأليف حسن في آيات الأحكام[4] مجلد، وأحاديث في صفة الجنة. وكان كثير المحبة للفائدة والمذاكرة في المجالس، مع

---

(١) الصلاح: لفظ يُستخدم للدلالة على الرخاء وكثرة المحاصيل الزراعية نتيجة للأمطار الغزيرة.

(٢) المقصود من البستان هنا المنطقة التي تقع فيها قبة المتوكل ودور المتاحف.

(٣) هو يحيى بن الإمام القاسم بن محمد، توفي في رجب سنة ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م حيث أصابه مرض الحمى في زبيد خلال حروب أبناء الإمام القاسم ضد العثمانيين وحصارهم لزبيد. ومات في صنعاء في دار أخيه الحسن وهو لم يتجاوز العشرين من عمره، فقبر في المسجد الذي أسسه أخوه الحسين، وقد سبق ذكر هذا المسجد. (عيسى بن لطف الله: روح الروح، جـ٣، ق١٣٢أ؛ الشرفي: اللآلئ المضيئة، جـ٣، ص٦٤٠).

(٤) اسم الكتاب: (منتهى المرام شرح آيات الأحكام) مطبوع وهي آيات الأحكام التي جمعها العلامة (محمد بن إبراهيم الوزير) وعددها مائتان وبضع وعشرون آية. (أبو الرجال: مطلع البدور، جـ٤، ص٢٠١.

التواضع وحسن التوانس، وطيب الأنفاس، ولطيف المفاكهة لذوي الأجناس، والسماحة والطلاقة، والسجاحة[1] «١٥٥أ» والرجاحة. وكان مرضه رحمه الله علة القُوْلَنج[2] واليبس واحتباس الطعام والشراب.

وعرض الإمام على كاتب الأحرف[3] النيابة على هذه البلاد التي كانت تحت نظر الصنو عز الإسلام وحفظ الأجناد، فاعتذرت إليه من ذلك، ولم أدخل في شيء مما هنالك.

وفي هذا الشهر وصل القاضي حسن بن أحمد الحيمي من الجهات الحضرمية وتلك البلاد الشرقية بعد إبلاغه الرسالة وأداء الأمانة، ووصل صحبته من الأمير بدر بن عبدالله الكثيري هدية سنية للإمام.

وفي شهر القعدة الحرام من هذه السنة جاء الخبر إلى الأمام بخروج عسكر عظيم، وجيش جسيم، معه أربعة أمراء أو خمسة من جيوش بني عثمان من الجهات المصرية، والديار العربية، فمن قائل أن جملتهم يقارب سبعة آلاف، ومن قائل دون ذلك الائتلاف، فتخوَّف الشريف من عاقبة التعنيف، والفعل العسيف، لما قد سبق منه من الإساءة بقتل الآغا مُصطفى، في تلك الأيام من غير خفى. وجمع الشريف زيد بن محسن قبائله وأقاربه وحثهم على الاجتماع به. ثم أن هذا الجند المذكور، ومن فيهم من المأمور، لمَّا وصلوا إلى البلاد الينبعية[4]، وتوسطوا في تلك الربوع الحجازية، قضى الله تعالى بموت عَالَمٍ منهم مما أنزله عليهم من ريح السَّمُوم[5] القاتلة، «١٥٥ب» والحر والعطش الذي يقل وجوده في العادات الماضية، فمن قائل أنه راح منهم نصفهم، ومن

---

(١) السجاحة: سَجِحَ: بمعنى سهل ولان وطال في اعتدال. (الفيروزابادي: القاموس المحيط، جـ١، ص٢٢٧).

(٢) القُوْلَنج: مرض من أمراض المعدة يعسر معه خروج الفضلات والريح. (محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، جـ٧، ص٩٥٨).

(٣) أي مؤرخنا صاحب هذه المخطوطة.

(٤) المقصود بها يَنْبُع: يطلق هذا الاسم على ناحية واسعة في الحجاز، غرب المدينة المنورة، تبعد عنها بمسافة تقرب من مائة وخمسين كيلومتر. (حمد الجاسر: بلاد يَنْبُع، ص١٠).

(٥) ريح السموم: الريح الحارة. وقيل: هي الباردة ليلاً كان أو نهاراً. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٢٠٨).

قائل دونهم. ثم وصل الباقون إلى مكة المشرفة، والأيام المعرَّفة، وقد قل جهدهم، وفل أمرهم. والشريف رأوه قد جمع جموعه، وأظهر حذره منهم وخوفه، فعند ذلك سكنوا عما كان أرسلوا به، وأعرضوا عما كان هموا به. ولكنه عاتبه الأمراء في شأن إهماله للعين الزرقاء في العام الماضي، وترك إصلاحها وافتقادها، مع حاجة الناس في المواسم إليها، وأمور أُخر لم يظهر خبرها. فأجاب عليهم: أنكم وليتم أمرها غيري فلم يبق فيها عهدة علي.

وفيها وصل جعفر بن عبدالله بن عمر الكثيري[1] أخو سلطان حضرموت، ثم عاد بلاده.

وفيها وقع بالناس زكام عام، ونزلات في المشام[2].

وفيها طافت رسالة من الشيخ أحمد بن علي بن مطير الحكمي الشافعي يذكر فيها أن الزيدية صاروا يخالفون كثيراً من أقوال الإمام زيد بن علي ولا يذهبون إلى أقواله، مع انتسابهم في المذاهب إلى اجتهاده. فكيف هذه النسبة مه المخالفة! وفي التحقيق أنهم هدويَّه؛ لاتِّباعهم مذاهب الهادي في الأصول والفروع، فالنسبة إليه أولى.

وفيها اتفق لرجل كان في السوق بالحُصَيْن من قرية جبل هَدَاد[3]، وتلك البلاد «١٥٦أ» السعي لأَجَله، والمشي لحتوفه، فأشرف من تجاه معصر الطريق[4]، للتفرجة في ذلك المضيق على الدخلة بعد صلاة الجمعة والناس في تلك الحال من العسكر يبنْدقون ويعشِّرون[5]، فوقعت في صدره رصاصة، أبعدت أنفاسه، وحوائج السوق في يمينه، لا

(١) هو جعفر بن عبدالله بن عمر بن بدر أبي طويرق، شقيق السلطان بدر بن عبدالله، احتل ظفار التي كانت بيد عمه بدر بن عمر، وطرده عنها بالاتفاق مع أخيه السلطان بدر بن عبدالله. وقد أغضب ذلك الإمام المتوكل إسماعيل، وكان ذلك أحد الأسباب التي دفعت الإمام المتوكل لاحتلال حضرموت. (محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، جـ١، ص٨٤؛ سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ١٥٥).

(٢) المشام: الفعل شَمَّ. ويقصد المؤلف بالمشام: حاسةالشم، أي الإنوف.

(٣) هَدَاد: حصن في آنس من مخلاف ابن حاتم. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٧٥٠).

(٤) معصر الطريق: منحنى الطريق.

(٥) عشَّر: أطلق القوم الرصاص دفعة واحدة ابتهاجاً أو قتالاً أو تحدياً، على حسب المناسبة. ولعلها جاءت من كلمة جاء القوم عشار، عشرة عشرة على دفعات. (الكبسي: جواهر الدر المكنون، ص٢٧٩).

يدري بمصيره، فبقي في محله عقيراً ميتاً تجاه المارين، حتى انتهى آخر السائرين، ورآه الإمام في تلك الحالة، وحولق[1] الله سبحانه، وأمر برحاله وجهازه. وجاءه أهله آخر النهار عاجون ومطالبون، ولا يُعرف راميه من بين الحاضرين.

وفيها رأيت جماعة من خدم المتوكل هربوا إلى حضرة محمد بن الحسن إلى ذمار ثم لم يسمح بهم المتوكل، وأرسل بهم إلى ضوران، ثم أمر بضربهم وحبسهم، وقال لهم: لا بد لهم من الخدمة وهم أحرار[2]. فهذا غير جائز في ظاهر الشريعة. وقد كان استنكر على الباشا قانص[3] يوم خرج من مصر بنحو هذا، فلا قوة إلا بالله.

وفي هذه السنة اتفق سرقة لدار الجامع التي لأحمد بن الحسن، فراح منها ما راح، ثم ظهر بعضها لما عُرِض في الأسواق، وانكشف أن السارق لها البواب، مع جماعة معه أصحاب، فأمر به أحمد بن الحسن حصن ذمرمر في الزنجير[4]، ورجَّع البعض منها وفات البعض.

ودخلت سنة ثمان وستين وألف[5].

استهلت بالأربعاء، فيها أمر الإمام بتفريق فطر[6] مدينة صنعاء لفقرائها فأصاب وأحسن.

وفيها مات الأمير حسين بن عبد القادر، صاحب أبين.

وفي آخر صفر ظهر أساس ساقية مقضوضة[7] جنب الخندق الشامي بصنعاء عند

(١) قال لاحول ولاقوة إلابالله.

(٢) ليس المقصود بذلك منحهم حريتهم. لكن هم أحرار في أختيار الخدمة لديه أو السجن.

(٣) أي قانصوه، سبق ذكره.

(٤) الزنجير: السلسلة التي يُقيد بها، ويقال لها أيضاً: القَيْد.

(٥) ١٠٦٨هـ= ١٦٥٧م.

(٦) أي زكاة الفطر، سبق ذكرها.

(٧) كان يستخدم (القضاض(لمرافق الري من السدود والمآجل والمآخذ والبرك والقنوات والسواقي، إلى جانب استخدامه في عمليات البناء المختلفة. وقد سبق ذكر مكونات مادة القضاض. (للمزيد أنظر/ الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٧٧٠-٧٧١).

مخرج السيل، ولم يعرف قبل ذلك. وسبب ظهوره، لما نحت السيل ذلك المجرى، وحمل أصل الأساس عند خروجه ونحا، ثم لحق في الأساس المعمار لما شرعوا في الإصلاح، لذلك الذي زال «١٥٦ب» من آثار ذلك السيل وراح، فوجدوا هذه الساقية المقضوضة ولحقوها إلى جهة المدينة، فحفروا في أطيان بئر العَلَمِي[١]، على ذلك الأساس القديم المبني، وساروا في الحال الصحيح العظيم المخفي حتى بلغوا إلى قريب بئر الجوزة[٢]، ورأوا ساقيته أنها ستأتي إلى بيوت أهل الذمة وما يقرب الكنيسة[٣]. ووجدوا من كظايمه[٤] في بيوت من أطراف تلك البيوت صحيحة، فترك المعمار العمل، وربما أنه كما قيل: بذل له من البرطيل[٥] لكي يتحول، فانحرف شُقَاته[٦] بأمره جنوباً، وقال: لم نجد لأصله طريقاً، وشرع في عمل غيل جديد، وضرب في متن الأرض الحفر العميق، وترك ذلك الأساس الأصلي، وصار (راكناً عليه عَلى)[٧] ثم أنه أرى[٨] المستقيم ساقية مقضوضة في أعلى السايلة قريب الدائر اليماني، والخندق الثاني رافعة وقال: هذا الأساس يرجع إلى تلك الساقية مع أنها عالية على ظهر الأرض ثانية. وإنما هذا الأساس لا شك من الغيول القديمة الحميرية التي كبستها الحبشة «١٥٧أ» الخبيثة قبل النبوة، ولعله الغيل الذي يخرج من سوق المحدادة، فقد وجد هناك حاله

(١) العَلَمِي: يقع في الجهة الشمالية من صنعاء، شمالي الطريق النافذة من الفليحي إلى السايلة. قيل: إن بئر العلمي من محاسن فاطمة بنت الأمير الأسد بن إبراهيم الكردي، زوجة الإمام صلاح الدين. وكانت بئر العلمي بدرج ينزل الناس منها للاغتراف، إلى أن جدد عمارتها علي بن محمد المطاع في أول القرن الرابع عشر الهجري. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٨٤-٨٥).

(٢) بئر الجوزة: في بستان الجوزة، وهذا البستان يقع في حارة العلمي. وهو بستان آخر غير بستان العلمي.

(٣) يقصد بأهل الذمة: اليهود وكانت كنيستهم في حي في وسط صنعاء بالقرب من السايلة. وقد قام الأمام المهدي أحمد بن الحسن بإجلاء اليهود من هذا الحي سنة ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م. وسمي منذئذ بحارة الجلاء. وخصص لهم حياً خاصاً بهم عُرف (بقاع اليهود(وحَوَّل هذه الكنيسة إلى مسجد، يُعرف الآن بمسجد الجِلاء. (د.حسين العمري: صنعاء في مرآة الغرب، مجلة الإكليل، العدد ٢، ٣، ١٩٨٣م، ص١٠٨).

(٤) الكظائم: جمع كظامة: وهي قناة في باطن الأرض يجري فيها الماء، أو هي بئر إلى جنبها بئر وبينهما مجرى في بطن الوادي. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٣، ص٢٦٥).

(٥) البرطيل: الرشوة.

(٦) أي عُمَّاله.

(٧) العبارة غير معجمة في الأصل. لم نتمكن من معرفتها.

(٨) كذا في الأصل.

يخرج إلى صرحة مسجد الفليحي [(١)] معمورة تحت الأرض. ثم أن المذكور أخرج غيلاً ثانياً، هابطاً واطياً، وجره في السايلة العظمى، وما ظهر على الأرض إلا من رأس الجراف وذلك المنحا، فسقى الجراف، وَجُرّ في أيام إلى الروضة، ولكنه معرض للزوال بالمرة، والتغير والدمار الكرة بعد الكرة، لاعتراضه بالسايلة أعلاه وأسفله. وقد نزل سيلان حمله وشلَّه كما سيأتي ذكره.

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة مات الفقيه الشيخ العلامة الفهامة المحدث الحافظ عبدالرحمن بن محمد الحيمي بصنعاء اليمن، ومقره حيث سكن، وقبر بمقبرة باب اليمن بجربة الروثه، مقابل لمنارات الجامع، مستقبلَ القبلة، رحمه الله تعالى. كان المذكور من العلماء الأماثل الحفّاظ بفنه، في الحديث والسنة، والتحقيق والفطنة،يملي من حفظه العلوم، وألفاظ الحديث النبوي باللفظ المفهوم، من غير تحريف ولا تغيير للعبارة، كما يفعله من ليس له معرفة بهذه الصناعة، فهو لا شك محط ركاب الطالبين، الحقيق «١٥٧ب» بتصدير المجالس للراغبين. ولقد أخذ عليه في علوم العربية جُلَّه أهل العصر، في النحو وعلم المعاني والبيان في كل عام وشهر، لا يزال تدريسه في هذه الفنون، وفي الأصول أيضاً لطالبيه من الكبار والبنين، فكان يدرِّس في (منتهى السول) لابن الحاجب[(٢)]، و(العضد)[(٣)] في زمانه، وكذا في (تفسير الكشاف)[(٤)] لإخوانه، وكذا

---

(١) مسجد الفليحي: من المساجد العامرة في الجهة الشمالية من صنعاء. أول من أسسه الحاج أحمد بن عبدالله الفليحي سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦م والمسجد به زيادات واصلاحات من عدد من الأئمة. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٩٠).

(٢) ابن الحاجب: هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمر. (٥٧٠- ٦٤٦هـ/ ١١٧٤-١٢٤٩م) فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية. كان أبوه حاجباً فعُرف به. له تصانيف كثيرة منها: (الكافية) في النحو و(الشافية) في الصرف و(مختصر الفقه) و(مختصر منتهى السول) وغير ذلك. (الزركلي: الأعلام، جـ٤، ص٣٧٤).

(٣) هو كتاب في علم الأصول، نسبة إلى مؤلفه عضد الدين الإريجي، عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار. (ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م). له العديد من المؤلفات، عالم بالأصول والمعاني العربية. (الزركلي: الأعلام، جـ٤، ص٦٦).

(٤) هو كتاب: (الكاشف عن حقائق التنزيل) لمؤلفه العلامة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الشهير بالزمخشري. (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) وقد تلقف المفسرون والعلماء كتاب :الكاشف(باهتمام خاص في اليمن لميول مؤلفه الاعتزالية، وصلتها بالزيدية، لهذا نجدأثره واضحاً في عدد كبير من المصنفات، فتناوله الكثير من العلماء اليمنيين بالشرح أو الاختصار. (للمزيد انظر د.حسين العمري: الشوكاني رائد عصره، ص٣٥٩-٣٦٠).

في (المطول)[1]، و(الشرح الصغير)[2]، والتصريف، والمنطق. وفي صدر أيامه قد درَّس الحديث، وفي زمان المؤيد أيضاً استفاد منه جماعة في (جامع الأصول)[3]، فإنه لَمَّا فتح القاضي حسن بن يحيى حابس على السيد محمد المفتي رحمه الله في هذا الكتاب، كان يحضر الفقيه لمحبة الحديث فيه والخطاب، فقال له السيد محمد بن عز الدين رحمه الله: القراءة في التحقيق عليك، والفائدة بلا شك مأخوذة منك وموجه القراءة إليك. وكفى باعتراف هذا السيد على علمه الزاخر، برساخة قدم هذا الفقيه الماهر، رحمهم الله جميعاً. وعلى الجملة إنه كان في الحديث واللغة والأصول آية زمانه، وفريد وقته. «١٥٨أ»
وقد ورَّخ الفقيه عبدالرحمن الحيمي المذكور السيد الأديب أحمد بن الحسن بن حميد الدين[4] فقال:

أي وجيه الدين حبر عصره عالي السند
خير نبات قام بالعلوم[5] دهراً وقعد
وحث فيها عزمه حين انتقاها وانتقد
بحر الكلام البرقا موسى الصحاح المعتمد
عاش سعيداً ومضى على السداد معتقد

---

(١) هو كتاب: (المطول) في البلاغة لمؤلفه السعد التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبدالله. (٧١٢-٧٩٣هـ/ ١٣١٢-١٣٩٠م) من أئمة العربية والبيان والمنطق. له العديد من المؤلفات. (الزركلي: الأعلام، جـ٨، ص١١٣-١١٤؛ البغدادي: هدية العارفين، مجـ٢، ص٤٢٩-٤٣٠).

(٢) هو كتاب: (شرح تلخيص المفتاح) في المعاني. ومؤلفه السعد التفتازاني السابق ذكره.

(٣) هو كتاب: (جامع الأصول لأحاديث الرسول) لمؤلفه ابن الأثير الجزري المحدث (أبو السعادات) المبارك محمد بن محمد. (ت عام ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م).

(٤) هو السيد أحمد بن الحسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر ابن الإمام شرف الدين، شاعر، أديب. ألف كتاب (ترويح المشوق في تلويح البروق) ذكر فيه مادار بينه وبين جماعة من أهل عصره، وأورد من أشعارهم، كما أورد من نظم نفسه. استمر سكونه بصنعاء إلى أن توفي بها سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م. (أبو الرجال: مطلع البدور، جـ١، ص٥٩؛ المجي: نفحة الريحانة، جـ٣، ص٣٣١؛ أحمد اليمي: طيب السمر في أوقات السحر، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص٦٢).

(٥) الميم ساقطة في الأصل، تم إضافتها من كتاب طبق الحلوى.

فـــــأرخوا مـــــيلاده بقـــــل هـــــو الله أحـــــد
وجـــاء عـــد عمـــره الله ذو الطـــول الـــصمد
هـــذا وتـــاريخ الوفـــاة جـــاء مجمـــوع العـــدد
بـــشارةٌ إشـــارة عنـــوان فـــضل ومـــدد
بـــالله يـــا مـــن سبقه إلى المعـــالي و الرشـــد
ياجـــامع الـــشارد ممـــا شـــذ عـــن قـــوم ونـــد
يابـــاذل المجهـــود في العليـــا ومـــن جـــد وجـــد
مـــا فعلـــت تلـــك اللـــسا ن والبنـــان والجلَـــد
والكلـــم الغـــر التـــي شـــبت وزودت[1] مـــن ورد
أقـــسم لـــولا أُســـوة أضـــحت عـــلى مـــر الأبـــد
وإن بعـــد اليـــوم والأ مـــس عـــلى التحقيـــق غـــد
لـــذبت مـــن فـــرط الـــشجا وحـــرّه فقـــد وقـــد
فاذهـــب حيئـــذ[2] ولـــك الآثـــار والـــرأي الأســـد
«١٥٨ب»فكـــل شيء صـــائر بعـــد البقـــاء إلى أَمَـــد
عـــادت عليـــك رحمـــة نعـــدّها أســـنى العـــدد
ولازمـــت مثـــواك مـــا أبـــرق غـــيم ورعـــد

انتهت

ولقـد كـان هـذا الـشيخ في الأدب، والمعرفـة الكاملـة في النحـو والمعـاني والبيـان والأصلين آية زمانه، عديم القرين في أيامـه. وكـان أولاً هـدوِّياً لأن أصـل بـلاده مـن الحيمة، ثم لمَّا فتح الله عليه بالعلم والذكاء والمعرفـة ومطالعـة كتـب الـسنة، ومـذاكرة علمائها في عصره ترجح له الخروج عن مذهبه الأول الذي كان ابتداء نشوئه عليـه مـن

(١) وردت في طبق الحلوى، جـ١، ص١٥٢: (وروّت.)
(٢) وردت في طبق الحلوى، ص١٥٢: (حميداً).

قبل، وترجح له مذهب الشافعية في الفقه وفي الأصول على مذهب أهل السنة. ولذلك نراه في تصنيفه (لشرح بلوغ المرام)[(١)] ينتصر للشافعي، ويرد على مخالفه، ولكنه رحمه الله ما يظهر ذلك تصريحاً بل محتجاً. وذكر عنده مرة من طول استمرار الدولة العثمانية والسلطنة فقال عند ذلك: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾[(٢)] وكان مع ذلك في القرار والوقار، وعدم النَّزَق[(٣)] والانتهار «١٥٩أ» آية في أبناء عصره، لم أر مثله في محاورته وأدبه وحسن منطقه، فأين لنا مثل هؤلاء الرجال؟!ومن تتعطر بهم المجالس، وتزهو بهم المحافل والأقلام والنفائس. آه ثم آه على أمثالهم وأشكالهم. وكان المذكور يميل إلى السُّنة والله أعلم. وشيخه في الحديث الصابوني[(٤)] والخاص[(٥)] وغيرهما. وقد سمعت منه بعض أحاديث عليهما، فحفظتها ورقمتها، وجعلت سماعي لها منه في جملة مجالسي التي اتفقت به فيها سنداً وطريقاً، إذ كان يملي من حفظه الحديث بمتنه ورجاله وغريبه وشرحه، يعرف بالرجال، وما قيل فيهم من تعديل وجرح وكلام على قواعد الحديث وأفانينه وعلومه، واصطلاحات أهله في الأسانيد والمقاطيع والمراسيل والمعلولات، وغير ذلك من التدقيقات. وله مصنف عظيم، وكتاب حسن فخيم، وهو شرح على كتاب (بلوغ المرام) الذي صنفه ابن حجر العسقلاني في الأحكام في مجلد حافل. ومن رقائق شعره ومحاسن «ق١٥٩ب» قوله ما قال:

صنعاء إن كنت مشغوفاً بمسكنها

فاعدُدْ لها من ذوات الحاء ما رُسِمَا

---

(١) الكتاب الذي قام الحيمي بشرحه هو: (بلوغ المرام من أدلة الأحكام) لمؤلفه ابن حجر العسقلاني. وله أيضاً شروح أخرى لعل أشهرها كتاب (سبيل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام) للإمام محمد بن إسماعيل الأمير.

(٢) سورة الرعد، آية:١٧.

(٣) النَّزَق: حدة الغضب لأتفه الأسباب.

(٤) أورد الزركلي في كتابه الأعلام الكثير ممن يحمل اسم الصابوني ولهم اهتمام بالحديث. لم نتمكن من معرفة من هو شيخ العلامة عبدالرحمن الحيمي.

(٥) ذكر يحيى بن الحسين في كتابه: الزهر في أعيان العصر، ص٣٤ عند ترجمته لعبدالرحمن الحيمي: أن من شيوخه في الحديث (الصديق بن محمد الخاص) وهو المقصود هنا. كان من كبار علماء زبيد.

حَـبٌّ وحِـبٌّ وحَمَّـام مـع حطـب

حظـيرةٌ وحِمـارٌ حرفـةٌ وحِمـى

وفيها جاء خبر أن الشاه ملك العجم جهز إلى اللهجان(١) لفتنة هناك معه وخلاف.

وفيها سار محمد بن الحسن من ذمار إلى اليمن الأسفل، فتأهل ببنت السيد محمد بن أحمد بن الإمام الحسن المؤيدي بمحروس مدينة إبّ واستقر.

وفي شهر ربيع الثاني سار الأمير ابـن عبـدالرب بـن عـلي شـمس الـدين صـاحب كَوْكَبَان، إلى حضرة الإمام بضُوْرَان يطلب منه معونة ديون لزمته، ونفقات علقته، حتى أنه بلغ به الحال الفسح للناس من المتعلقين به المستجدين، لكثرة ترادف النفقات، ومـا يتوجه من سائر الصلات، مع محبة نفسه للكرم، وبذله لمن خص وعم.

وفيها مات الأمير صالح بن الحسين الجوفي الحمزي. وكان إليه ولاية بلاد الزاهر(٢) وتلـك الـبلاد والمظـاهر. وقـام بعـده وفي مجلـسه ومقعـده صـنوه الأمـير عـلي بـن الحسين الحمزي.

وفيها توفي السيد الشريف علي المحرابي، والي بلاد تعز باليمن الأسـفل، والمتـصرف في أوامرها عن كمل، بألم الفالج(٣) نعوذ بالله منه.

وفيها ظهر في أيدي الناس ضريبة من القروش فيها ضعف تـسمى دَكنـي، ضُرِبَـتْ بمصر، فلما فطن الناس بضعفها وكثرة نحاسها تركوا التعامـل بهـا بـالمرة، فقلـت بعـد ذلك وعدمت إلا اليسير منها، ثم أنهـم قبلوهـا بعـد ذلـك بنـاقص الـثمن مـن سـائر القروش، وتعاملوا بها. والقروش الفـضة الخالـصة هـي الـزاكلى معهـم والغـلى عـلى

(١) لاهيجان: مدينة تقع في محافظة كيلان في إيران، يحدها من الشمال والشمال الشرقي بحر الخزر ومـن جنوبهـا الغـربي سلسلة جبال البرز وغابات مزارع الشاي. (حسن الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مجـ٣، جـ١٢، ص٢٨٣).

(٢) الزاهر: بلد من ناحية الجوف. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٣٨١).

(٣) ألم الفالج: داء معروف يُرَخِّي بعض البدن. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص١١٢٤).

تسميتهم ورسمهم.

وفيها جعل محمد بن الحسن ولاية مدينة تعز والحجرية[1] إلى ولده يحيى بن محمد بن الحسن[2]، فاستقر بها، وأمر ونهى ومد يده إلى غيرها بآخر الأمر كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وفي رجب منها ثارت ريح عظيمة من جهة الغرب لها حركة شديدة، وحالة غريبة، وأثارت عجاجاً كثيراً وتراباً واسعاً، وكسرت بعض الشجر.

وفيها مات الفقيه علي الشريجي مقرئ القرآن الشريف، والمعتمد بصنعاء في القراءات السبع[3] «ق١٦٠ب» والعشر[4]. يحفظ الشاطبية[5] غيباً، ويدرِّس بها ضبطاً متناً وشرحاً. وهو شيخ أكثر القُرَّاء الآن بعده بمدينة صنعاء. وكانت وفاته رحمه الله بحَلْي حال ذهابه إلى مكة المشرفة حاجاً، فلم يتم له الحج، وعاقه عنه أجله المكتوب في ذلك الفج.

وفي رمضانها مات الفقيه العارف عبد الهادي القُوَيْعي[6] الحضرمي الأصل الشافعي. كان المذكور بالعلم عارفاً، وبه متفرغاً مشغوفاً من وقت شبابه إلى حال مماته. ينسخ بخطه الواضح الحسن الكتب النفيسة لنفسه. ويشتري منها ما وجد في وقته،

---

(١) الحُجَرية: بلدة واسعة بالجنوب الغربي من تعز، كانت تسمى بلد المعافر، نسبة إلى معافر بن يغفر بن الحارث بن مُرَّة بن أدد بن الهميسع بن حمير. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٢٣٢).

(٢) ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق٢٦٦ب) من هذه المخطوطة.

(٣) القراءات السبع: هي القراءات التي توافر نقلها عن أئمة القُراء. (محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، جـ٧، ص٦٩٥).

(٤) القراءات العشر: هي التي تشمل القراءات السبع وقراءات الآحاد الثلاث، وهي التي رواتها أفراد، وهي ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية. (محمد فريد وجدي: المرجع نفسه، الصفحة).

(٥) الشاطبية: قصيدة في علم القراءات اسمها (حرز الأماني) اشتهرت بالشاطبية نسبة إلى كاتبها أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي الضرير، الذي كان إمام القُرَّاء في عصره. (ت ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م) بالقاهرة. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مجـ ٤، ص١٢).

(٦) ذكر الجنداري في الجامع الوجيز، ق١٤٥أ أن عبدالهادي القويعي توفي سنة ١٠٦٦هـ. والقويعي: نسبة إلى هجرة القُوَيْعة التي تقع في الشرق الأسفل، في ناحية الشاهل في حجة. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٣، ص١٧٦٩).

فجمع كتباً كثيرة جليلة في كل فن، غير أن غالبها في فقه الشافعية، وفي الأقوال الصوفية. ولا يزال بينها مُجالساً، وعليها طوال مدته عاكفاً. وكان جملتها قدر ستمائة مجلد أو فوقها. ولم يخلف بعده مالاً ولا ولداً؛ لأنه كان حصوراً لم ينكح ولم يتزوج. وكان مكثراً من أكل القات، مشغوفاً به في جميع الأوقات، فلعله الذي قلل شهوة النكاح في أكثر الحالات، «ق١٦١أ» وأسلس جري المني، وقلل الشهوة؛ لأن من خواصه إسلاس المني، ولذلك يعتمده المنقطعون ليقلل داعيهم إلى النكاح. وكان أيضاً قد اعتاد شرب دخان التتن المعروف في كتب الطب بالطباق. وكان مع ذلك كثير التسليم والتواضع، وعدم الكبر والترافع، فيقضي حاجته من السوق، ويأكل القات أينما اتفق ولو كان في قاعة السوق. ولم يُورث بعده غير ابن أخيه عبدالله بن أحمد القويعي، عامّي مشتغل بالزراعة والفلاحة في جهات البَوْن من بلاد القبلة؛ لأنه اختطها والده أحمد وتزوج فيها لما كان في تلك المدة السابقة يتسبب[1] إلى أسواقها من صنعاء إلى سوق خَمِر وغيره من نواحيها.

ولقد سألت الفقيه عبد الهادي المذكور مرة عن النِداء[2] الذي ظهر قبيل قيام الإمام القاسم هل له أصل؟ وهل سمعه؟ فقال: نعم سمعته بأذني هذه، وأشار إلى أذنه بأصبعه يقول بصوت جهوري: يا إمام قاسم، فيه وحشة بالليل، ويتنقل من جهة إلى جهة مدة شهر. وقُبر المذكور بمقبرة باب اليمن رحمه الله، «ق١٦١ب» وأوصى في كتبه إلى القاضي حسن بن يحيى حابس الصعدي[3]، وجعل الثلث منها للفقراء والمساكين بصنعاء من أهل السوق، تباع وتصرف فيهم، فنفَّذ القاضي وصيته وظهر من جملتها كتاب (النبراس لشرح الأساس)[4]، ونسب مصنفه إلى الشيخ عبدالوهاب بن

---

(١) يتسبب: السبب مايتوصل به إلى الرزق، سبق ذكره.

(٢) لقد إشتهر هذا النداء، وعدَّه الجرموزي من كرامات الإمام القاسم. وكان ذلك في عهد الباشا حسن. (للمزيد عن ذلك انظر الجرموزي: النبذة المشيرة، ص١٥٨-١٥٩).

(٣) ترجم له المؤرخ ترجمة مطولة عند وفاته (ق٢٧٠أ-٢٧٣أ) من هذه المخطوطة؛ وترجم له قاسم بن إبراهيم: طبقات الزيدية، جـ٣، ص١٢٦؛ وزبارة: ملحق البدر الطالع، ص٧٨.

(٤) الكتاب هو: (النبراس لكشف الالتباس الواقع في الأساس لعقائد قوم سموا أنفسهم بالأكياس) لمؤلفه عبدالوهاب الكنجوي. فرغ من تأليفه سنة ١٠٦٢هـ وقيل ١٠٥٩هـ. وهو رد على كتاب (الأساس) للإمام القاسم بن محمد. =

أبي عبدالله بن الحسين بن أبي الشهاب الكنوجي نزيل دمشق الشام، فقبضها القاضي حسن وباعها، وبعضها شراها، وباع (النبراس شرح الأساس) هذا من[1] محمد بن الحسن أو أعاره، ثم ظهرت نسخة باليمن الأسفل كتعز وغيرها، فرأيت نسخة طلعت من بلاد تعز مع عبدالله بن الشيخ عبدالرحيم اللاهوري[2]، استعرتها منه، فإذا جميعها ردود ومناقضات، واحتجاجات لأهل السنة وجوابات، وقابل كل حجة بحجة. ومن جملة ما اعترض به: أنك جعلت هذه عقيدة أهل البيت، ورأينا سائرهم يخالفون هذه العقيدة، ولهم عقائد أُخر كعقائد أهل السنة، وهم السلف من الماضين السابقين، ومنهم من يوافق المعتزلة، فمع هذا الاختلاف الواجب الرجوع إلى الدليل. وقد وقع الخلاف والاختلاف في مسائل الكلام ما وقع، فأهل السنة ذات بينهم مختلفون، الكَرَّامِيَّة[3] لهم مذهب مستقل في الأصول، يعملون بالظواهر من غير تأويل فلزمهم التجسيم، وبعض الحنابلة أيضاً كذلك وأحمد بن حنبل والسلف يرون أحاديث الصفات والآيات على ظاهرها من غير تأويل مع اعتقاد أن الله ليس كمثله شيء، وهو مذهب كثير من السلف. والحنفية والأشعرية حصل بينهم الخلاف في الأصول، وتوسطوا ما بين المعتزلة وبين الأشعرية. وردَّت الحنفية على الأشاعرة وألزموهم الموافقة للجبرية كما ألزمهم المعتزلة. والأشعرية ما سَلَّموا لهم ذلك لإثباتهم الاختيار للعبد والكسب. وصنف الحنفية «ق١٦٢أ» مصنفات في الرد على الأشعرية مثل: كتاب (كفاية الصابوني)[4]، و(شرح المرقاة على الجواهر)، ورد على (المُرْقاه) من

تناول الكنوجي في رده إبطال قواعد المعتزلة. وقد رد على (النبراس) عالمان من علماء الزيدية: الأول إسحاق بن محمد العبدي (ت١١١٥هـ) وأسمى رده: (الاحتراس من نار النبراس) في أربع مجلدات، والثاني زيد بن محمد بن الحسن. (ت١١٢٣هـ) وأسمى رده (القسطاس في الرد على صاحب النبراس) (عمر كحالة: معجم المؤلفين، جـ٦، ص٢٢٤؛ أحمد الشرفي: شرح الأساس، تحقيق: د. أحمد عارف، مقدمة ص٢١-٢٢).

(١) من اللهجة العامية في اليمن فيقال: (باع من) أو (باع مني) بدلاً من: (باع لي) أو (باع إلي).

(٢) لم أجد له ترجمة في مابين يدي من مصادر.

(٣) الكرَّامِيَّة: إحدى فرق الصفاتية، وهم أصحاب أبي عبدالله محمد بن كرام. وقد عده الشهرستاني من الصفاتية؛ لأنه كان ممن يثبت الصفات، إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه. وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشر فرقة. (الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص١٠٨).

(٤) هو أحمد بن محمود بن أبي بكر الصابوني البخاري الحنفي. (ت٥٨٠هـ/ ١١٨٤) فقيه، متكلم. من تصانيفه: =

الأشاعرة محمد بن سعيد بكتاب. والمعتزلة أيضاً اختلفوا ذات بينهم. وكذا الزيدية، فسلف الزيدية يوافقون السلف وأهل السنة، والمتأخرون وهم الهادوِّية يوافقون المعتزلة، نعم. وذُكر في (شرح النبراس) هذا: أن أهل البيت ليسوا كلهم على رأي المعتزلة بل منهم شافعية كالشريف السَّمْهُودي[^1]، والسيد شريف الحنفي[^2]، والسيد علي بن المظفَّر بن حمزة بن زيد بن محمد الحسيني الدَّبُوسي[^3] نسبة إلى دبوسة[^4] بلده ببخارى وسمرقند من ذرية الحسين الأصغر بن زين العابدين علي بن الحسين شافعي. قال السُّبْكي[^5] في (الطبقات الكبرى): كان إماماً جليل القدر في اللغة والنحو والجدل وغيرهم. وذكر في (النبراس) هذا: إنه تواتر عن علي بن أبي طالب كما رواه الشريف السمهودي في (جواهر العقدين)[^6] وغيره أنه قال: خير

(الكفاية في الهداية) وهو في أصول الدين. وله كذلك: (البداية) و (المغني) وهي أيضاً في أصول الدين. (عمر كحالة: معجم المؤلفين، مجـ١، جـ٢، ص١٧١).

[^1]: (١) الشريف السَّمْهُودي: هو علي بن عبدالله بن أحمد الحسني الشافعي، نور الدين. (٨٤٤-٩١١هـ/ ١٤٤٠-١٥٠٦م) مؤرخ المدينة المنورة ومفتيها. ولد في سمهود (بصعيد مصر) ونشأ في القاهرة، واستوطن المدينة المنورة. من كتبه (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) و (الفتاوى) و (الغماز على اللماز) وغير ذلك. (الزركلي: الأعلام، جـ٥، ص١٢٢-١٢٣).

[^2]: (٢) لم أجد له ترجمة في مابين يدي من مصادر.

[^3]: (٣) علي بن المظفر: هو علي بن المظفر بن حمزة بن زيد بن محمد العلوي الحسيني، أبو القاسم. (ت٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م) وأضاف السبكي إلى ذلك قوله: إنه كان من أئمة الفقهاء، كامل المعرفة بالفقه والأصول، وله يد قوية في الأدب. قدم بغداد سنة ٤٧٩هـ للتدريس بالمدرسة النظامية. ولم يزل على التدريس إلى حين وفاته. ويعتبر ابن المظفر من الطبقة الرابعة من طبقات الشافعية. (عبدالوهاب السبكي: طبقات الشافعية، جـ٥، ص٢٩٦-٢٩٨).

[^4]: (٤) كذا في الأصل، وقد وردت لدى ياقوت الحموي وأبو الفداء باسم: (دَبُوْسِيَّة): وهي بلدة بين بخارى وسمرقند جنوبي وادي الصغد، من ماوراء النهر. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجـ٢، ص٤٣٧؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص٤٩١).

[^5]: (٥) السُّبْكي: هو عبدالوهاب بن علي بن عبدالكافي السُّبْكي، أبو نصر. (٧٢٧-٧٧١هـ/ ١٣٢٧-١٣٧٠م) قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث. له العديد من المؤلفات منها: (طبقات الشافعية الكبرى) وهو الذي ذكره المؤرخ هنا، مطبوع في ستة أجزاء، و(الطبقات الوسطى) و(الطبقات الصغرى) و(جمع الجوامع) في أصول الفقه و(معيد النعم ومبيد النقم) وغير ذلك. (الزركلي: الأعلام، جـ٤، ص٣٣٥؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، جـ٣، ص ٣٥٠).

[^6]: (٦) الكتاب هو: (جواهر العقدين في فضل الشريفين) شرف العلم الجليّ والنسب العليّ، لمؤلفه علي بن عبدالله السمهودي السابق ذكره. وقد رأى الحسين بن الإمام القاسم أن ينتخب كتابه (آداب العلماء والمتعلمين) من كتاب (جواهر العقدين) هذا. (الحسين بن القاسم: آداب العلماء والمتعلمين، ص٩).

الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر. قال: فهذا نص من الإمام علي، فأنتم أيها الشيعة الذين تَدَّعُون متابعة علي شيعة الهوى؛ لأنكم ما علمتم بقول إمامكم، وإمامنا مرتضى هذا فنحن المتابعون له لا أنتم. ثم قابل كل إلزام بالكفر بإلزام مثله إلى آخر كتابه. يتكلم بكلام عارف بالحجة، وينقل فيه عن (الأطواق) يريد به (أطواق الحمامة في فضائل الصحابة) للإمام يحيى بن حمزة[١]. وأن ما ذكر في (الأساس) مخالف لما ذكره أئمتكم في شأن الصحابة. وينقل عن (مرقاة)[٢] الإمام القاسم التي في أصول الفقه، مما فيه حجة عليه في كلامه وأصوله. وينقل أيضاً عن (الأنوار شرح الأزهار) يريد به شرح الفقيه علي النجري[٣] على (الأزهار)، لأن اسمه (الأنوار) ينقل منه في شرحه في مقدمة (الأزهار) ويَرِدُ ما خالف فيه صاحب (الأساس) إلى ذلك، وما ألزم به أنه عَمل طريقة أهل البيت بمخالفته لقول الإمامين هذين. وغير ذلك «ق١٦٢ب» من المناقضة في كلامات[٤] طويلة يعرفها من طالعها في شرحه المذكور.

---

(١) هو الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم. (٦٦٩-٧٤٩هـ/ ١٢٧٠-١٣٤٨م) الإمام المؤيد بالله، عالم مجتهد، تبحر في جميع العلوم. كان من الأئمة العادلين الزاهدين، من أكابر أئمة الزيدية. دعا إلى نفسه سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م) له الكثير من المصنفات، بلغت مائة مصنف، لعل أهمها كتاب (الانتصار) في ثمانية عشر مجلداً و (الشامل) في أربعة مجلدات و(نهاية الوصول إلى علم الأصول). (الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص٣٣١-٣٣٣؛ زبارة: أئمة اليمن، جـ١، ص٢٢٨ وما بعدها).

(٢) الكتاب هو: (مرقاة الوصول إلى علم الأصول) في أصول الفقه. وقد شرحه (محمد بن الحسن بن القاسم) حفيد الإمام القاسم. وشرح آخر لصالح بن داود الآنسي. (الحبشي: مصادر الفكر، ص٦١٦).

(٣) علي النجري: هو علي بن محمد بن أبي القاسم بن علي النَّجْري. (نسبة إلى (نَجْرَة) عزلة من أعمال حجة). عالم محقق في الفقه، نشأ بحوث، وتوفي فيها سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م. أما عنوان كتابه شرح الأزهار فهو: (الأنوار وجلاء الأثمار المفتح لكمائم الأزهار المنتزع من الغيث المدرار) (أبو الرجال: مطلع البدور، جـ٣، ص٢٣٤؛ الأكوع: هجر العلم، جـ١، ص٥٠٩-٥١٠).

(٤) كُتب في الحاشية بخط مختلف عن خط المؤلف مايلي: (قلت: أما تفضيل أمير المؤمنين أبي بكر على عليّ عليه السلام فمحال. ومجمل قول علي أنه من (عبارة غير واضحة) وإلا فقد روي عن عائشة رضي الله عنها لمَّا سألها سائل: من أفضل الناس بعد رسول الله؟ قلت: فاطمة، قال السائل: إنما أسألك عن الرجال؟ فقالت زوجها، إنه -يعني علي- كان وكان، فعاتبها السائل لما وقع منها يوم الجمل، فلبست الخمار على وجهها وبكت (عبارة واضحة). وأخرج الحاكم في المستدرك عن بهر بن حكم عن النبي ﷺ أنه قال: (عبارة غير واضحة). وتفضيل أمير المؤمنين عليّ على أبي بكر هو مذهب جماعة من أهل السنة. ولا إشكال في فضل أبي بكر رضي الله عنه. وقد ذكر صاحب السعد كلام مفيد في هذا البحث، وأرجع الفضل إلى الله تعالى.)

ولما ظهر هذا الكتاب وصل بعض العلماء من بلاد دمشق إلى صنعاء اليمن وله تعليق بالسبب عن هذا الذي عزي إليه (النبراس) فقال: ما يُعلم به في جهات دمشق، ولا يُعرف أصلاً، فقال بعضهم: يدل هذا أنه للفقيه هادي[1] القويعي؛ لأنه لم يظهر إلا في خزانته بعد وفاته، ولأنه لا يكاد يعرف بقواعده من لم يمارسه خصوصاً مع معرفة بعض مصنفات الإمام القاسم مثل: (المرقاة في الأصول)، و(شرح الأساس)، و(شرح النجري). والرجل متمكن، فقد يحتمل ذلك والله أعلم. وأهل السنة يردون(........)[2] كثيراً من كتب المعتزلة بحجج يحتجون عليهم في كل عصر. ومنهم من شرح بعض كتبهم، كما شرح السيد شريف كتاب (المغني) الذي لعبد الجبار[3]، من المعتزلة، شرح كله ردود عليه، وكذا الأصفهاني[4] وغيره شرح (تجريد نصير الدين) الذي في مذهب الإمامية، وكذا السيد شريف. والإنصاف الرجوع إلى قول سلف أهل البيت كما تضمنه (جامع آل محمد)[5] ونعده في الإنصاف قول من يقول: بأن الخلاف لفظي في مسائل الكلام كما هو قول الإمام شرف الدين والإمام عز الدين بن الحسن[6] والإمام يحيى بن حمزة من المتأخرين. والحق ظاهر لمن وفقه الله، والتقليد لا يجوز في مسائل الأصول بالإجماع.

---

(١) كذا في الأصل، وقد سبق ذكره باسم عبدالهادي.

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٣) هو القاضي عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمداني الأسد آبادي. (ت٤١٥هـ/ ١٠٢٤م) من أشهر رجال المعتزلة. كان في أول أمره أشعرياً في علم الكلام وشافعياً في الفقه، ثم رأى أن يتبع المعتزلة. من أشهر مؤلفاته كتابه: (المغني) محقق ومطبوع. (أحمد بن يحيى المرتضى: المنية والأمل، تحقيق: د.محمد جواد مشكور، ص١٣-١٤).

(٤) الأصفهاني: هو أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (٢٨٤-٣٥٦هـ/ ٨٩٧-٩٦٧م) أديب مؤرخ. ولد بأصفهان وانتقل إلى بغداد ونشأ بها. اشتهر بمصنفه الكبير (كتاب الأغاني) وله (مقاتل الطالبيين) و (الإماء الشواعر) و (أيام العرب). (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مجـ١، ص١١٩).

(٥) هو كتاب: (جامع آل محمد) ويُعرف أيضاً ب (الجامع الكافي) لمؤلفه محمد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن عبدالرحمن بن القاسم بن محمد البطحاني. (٣٦٧-٤٤٥هـ/ ٩٧٧-١٠٥٣). (مجدالدين المؤيدي: التحف شرح الزُلف، ص١٢١-١٢٢).

(٦) هو الإمام الهادي عز الدين بن الحسن بن علي المؤيدي. (٨٤٥-٩٠٠هـ/ ١٤٤١-١٤٩٤م) دعا إلى نفسه من هجرة فَلَلَّة سنة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م. برع في كثير من العلوم. وصنف وهو دون العشرين. ومن مصنفاته: (المعراج في شرح المنهاج) للقرشي في مجلدين و (شرح البحر الزخار) وغير ذلك. (محمد بن الإمام عبدالله بن علي: التحفة العنبرية، ص٢٦٩ وما بعدها (مخطوط)؛ الشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص٤١٥).

وفي ذي القعدة الحرام مات الفقيه العارف علي بن جابر الشارح الذماري الأصل ثم الصنعاني، كان هذا الفقيه مدرساً في الفقه مثل (الأزهار) و(شرحه) و(البيان) لا غيرها. وكان لكثرة التدريس في هذه الكتب الثلاثة قد صارت عنده مسائلها كالغيب. وكان فيه حدة قوية ورفع صوت عند المراجعة بحيث يُسْمَع من بُعد. وكان تدريسه بمسجد الجديد[1] بصنعاء. وكان شيخه السيد العلامة محمد بن عز الدين المفتي المؤيدي، وكان من جملة مراجعته للسيد محمد في مسألة (مقدور بين قادرين)[2] فقال الفقيه علي باستحالته، والسيد قال بأن إمكانه حاصل ونفيه «ق١٦٣أ» عن الدليل عاطل. قال: فلم أُسلِّم لشيخي السيد محمد ذلك ولا التَفَتُّ إلى ما قاله، ولم أعترف له بها هنالك. قال: فاشتد الجدال بيني وبينه والاستحداد. قال: فقام السيد في الحال إلى باب الجامع المقدس، وحمل بحجر المرزح[3] للباب والمترس، وقال لي: تعال أريك ما أنكرته من الخطاب، وأُزيل عنك الشك والارتياب، ووضع طرف الحجر بيده فوق عنقه وطرفها بيده وقال: ما تقول؟ هذه الحجر مقدور بين قادرين؟ قال: فانقطعت ولم أدْرِ ما أقول وابتهت. وأخبرني المذكور أنهم حال قراءتهم على الفقيه إبراهيم حثيث[4]

---

(١) مسجد الجديد: من المساجد العامرة غربي مسجد معاد وتعرف هذه الحارة قديماً بشارع بني شعبان. وهو من عمارة الشيخ محمد بن المكين في نحو القرن الثامن الهجري، وقد أصلحه الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين في النصف الأول من القرن العاشر الهجري. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٤١).

(٢) مسألة (مقدور بن قادرين): هي من المسائل المعقدة التي تندرج ضمن مسألة الكسب في الفعل الإنساني، والتي يدور حولها الصراع الفكري باستخدام أنواع وسائل الجدل والحيل حتى اليوم، دون الوصول إلى نتائج حقيقية، لتعلقها بأشياء ذهنية غير محسوسة: كالقدرة والإرادة والاستطاعة والإدراك والشعور وغير ذلك. وملخص مفهوم هذه المسألة: أن مختلف نتائج الأفعال ترتبط أساساً بقدرة الفاعل على القيام بالفعل المسبب للنتيجة من جهة وبقدرة الله وإرادته على تحقيق هذه النتيجة من جهة أُخرى. لذلك فالمقدور هو النتيجة التي يترتب عليها قيام الإنسان بأي عمل أو فعل. والقادرين هما:

(الإنسان) من خلال ما يقوم به من فعل للحصول على المقدور.

(الله) سبحانه وتعالى من خلال قدرته وإرادته على تمام الفعل للحصول على المقدور.

(للمزيد انظر: د. محمد حسن الكمالي: الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، ص٢٦٨-٣٠٩).

(٣) المرزح: هو الحجر الذي يوضع تحت الباب حتى لايتحرك الباب.

(٤) هو الفقيه العلامة إبراهيم بن حَثْيث اليماني الذماري. أخذ بمدينة ذمار عن كبار علماء عصره. وبرز كثيراً في تحقيق الفروع، وقد أخذ عنه عدة علماء عصره. كان يقال له: عالم اليمن. توفي سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م. (أبو الرجال: مطلع البدور، جـ١، ص١٨-١٩؛ إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، جـ٣، ص٥).

بمدرسة ذمار[1] جاء الناس إليهم يخبرونهم وهم في حضرة القراءة أن الإمام يحيى بن حمزة سُرِّج من رأس قبته لَهَبَة[2] خضراء، وأن الناس يتكحلون منها. قال: فاستهجن قولهم حثيث، ثم جاء آخرون بذلك. قال: فاحتمل وسار إلى هنالك، وطلع إلى رأس القبة على السُلَّم ونفخ اللهبة، فطفت ثم رجعت في الحال. قال فَدَرَّتْ دموعه بالبكاء، واعترف «ق١٦٣ب» بما قاله الناس وترك الإنكار لما شاهده بعينه من غير خفا. وظهرت أيضاً في التاريخ لهبة خضراء على قبر الشيخ حسن بابا[3] في قبته بذمار، كما ذكره الموزعي[4] وغيره من أهل تلك الديار. وقُبر الفقيه المشار إليه بمقبرة باب اليمن بحوطة الفقيه حسن النحوي[5]، رحمه الله.

وفي ذي القعدة وصلت هدية صاحب حضرموت والشِّحْر.

وفيها مات السيد محمد بن علي الحيداني، الذي كان دعا للإمامة في مدة المؤيد بالله، وفعل تلك الأمور التي جرت على يديه أيامه ثم سكن في مدته. وثَنَى[6] ذلك في دولة

---

(١) مدرسة ذمار: تعتبر من أشهر المدارس، وهي مدرسة الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين. وحولها منازل كثيرة لسكن المهاجرين والوافدين إلى ذمار لطلب العلم. وأغلب تدريس العلم فيها يكون بالمدرسة الشمسية. (الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤٧٢).

(٢) اللهبة: الشُعْلة.

(٣) يذكر المؤرخون أن قبر الشيخ حسن بابا في يريم وليس في ذمار، يذكر ذلك من خلال سرده لبعض أحداث سنة ١٠٣١هـ. (عبد الصمد الموزعي: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ضل عدالة آل عثمان، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص٢١٩).

(٤) الموزعي: هو القاضي شمس الدين عبد الصمد بن إسماعيل بن عبد الصمد، الشهير بالموزعي. ترجع شهرته بالموزعي إلى أنه كان أصلاً من مدينة (موزع) وهي مدينة تهامية تقع إلى الجنوب من زبيد. أما موطن إقامته وأسرته فقد كانت مدينة تعز، حيث كان (نائب الشريعة في تعز). وكان عالماً في الفقه ومؤرخاً وشاعراً. لايُعرف تاريخ ميلاده أو تاريخ وفاته. ألف كتاباً في التاريخ هو: (الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان). وذلك خلال الوجود العثماني الأول في اليمن، في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري. (د. سيد سالم: المؤرخون اليمنيون ص٥٥-٦٣).

(٥) هو الحسن بن محمد بن الحسن بن سابق الدين بن علي بن أحمد المعروف بالنحوي الصنعاني، عالم الزيدية في زمانه. كان يحضر دروسه كثير من العلماء. برز في كثير من العلوم، خاصة علم الفقه. له مصنفات جليله، ذكر بعضها في ما سبق من هوامش الكتاب. توفي سنة ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م. (ابو الرجال: مطلع البدور، ج٢، ص٣٩-٤٢؛ يحيى بن الحسين: المستطاب، ص٣٤٨-٣٥٠؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص٢١٠).

(٦) ثَنَى: عاد يدعو لنفسه بالإمامة مرة ثانية.

الإمام المتوكل على الله كما سبق ذكره وسيرته. وكانت عقيدته ضعيفة في المسلمين، كفَّر من قال بتقديم الثلاثة على عليّ بن أبي طالب، كفَّر المعتزلة، وهذا أمر عظيم، وقول فاحش وخيم. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفيها توفي الشيخ أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عمر بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن محمد بن عيسى بن مُطَيْر الحَكَمِي الشافعي، وكان المذكور بمساقط جبل تَيْس وجوار جبل مِلْحَان وتلك الجهات، وهم بيت علم. وكان المذكور أعرج، وقد ترجح أشياء تخالف مذهبه -مذهب الشافعية- وربما ادعى الاجتهاد. «١٦٤أ» وكان يعتقده أهل الحقار وتلك البلاد، وله منهم عادات من البر والإحسان، والصلات والنذور إليه من سائر البدوان، وقد يطلب البر في القرى، ويدور في تلك النهوج فَيُعْطَى هو وإخوته في زمانهم. وله منظومة (للأزهار) لأن الرجل أحب الاطلاع على سائر المذاهب واجتنى (الأثمار) فنظمها. وله شرح على (غاية السول) في أصول الفقه، وله مصنفات أُخر. وكان عارفاً بالحديث أخذ فيه على والده، وأخذ عليه من أخذ في وقته. وقد اتصلت لي الطريق إليه في الحديث عن الفقيه علي بن محمد العقيبي عنه. ومن غرائبه الرسالة التي أنشأها في استشكاله لحديث: «ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة، وهي ما أنا عليه وأصحابي»] كما أخرجه أهل السنن. فقال: هذا الحديث لا يصح إنما هو من طريق معاوية. «١٦٤ب» قال: فلم يروه غير معاوية بن أبي سفيان كما أخرجه أبو داود في سُنَنِه، وأنه لم يخرجه غير أبي داود، وهو أُحادي لا يُحتج به في هذه المسألة. وهذا من الشيخ غفلة مفرطة، فإن الحديث رواه غير أبي داود من طرق كثيرة عن جماعة من الصحابة غير معاوية مثل أبي هريرة، وخلائف آخرين. ومن غرائبه أيضاً: أنه جعل جميع المذاهب المتفرقة بعد النبوة وقبلها فرقة واحدة، وملة. قال: وإلا لزم أن نجعل أقوال العَالِم الفرد المختلفة كأقوال المؤيد بالله من الزيدية، والشافعي من أهل السنة مِلَل مختلفة. وهو يقال للشيخ أحمد: هذا إلزام غير لازم، لأن ذلك في فرعيات اجتهاديات

ظنيات، وكل مجتهد فيها مصيب على قول أو مُخْطٍ خطأ مرفوع على القول الآخر، فلا ذنب هنا ولا علة إلا في مخالفة جملة الشريعة، والخروج من الإسلام، والإلحاد في الدين، والتعطيل، كما قد حققنا جميعه في (المسالك) وغيره. والله أعلم. «١٦٥أ» ثم قال الشيخ أحمد بن علي مطير المذكور آخر رسالته هذه المشار إليها ما لفظه: وقد عُلِم عِلْم يقين أن الدين عند الله وفي السماوات والأرض وفي الأولين والآخرين أمر واحد، لا تعدد فيه ولا تجدد، وإلا لزم البَدَا[1]، والعَبَث، والتَّلعُب في كل يوم دين. وأني لا أزال أُغَلِّط من قال: دين محمد ناسخ للأديان، ولمن قال: التوراة منسوخة فقد قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[3] وقال: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾[4] وقال: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾[6] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾[7]. انتهى.

وهذا غلط عظيم فإنَّا نقول: معنى الآيات أصل الإيمان بالتوحيد، ومعرفة اللهَّ جملة بالتفريد، ونفي الشريك له تعالى في الربوبية والإلهية، فهذا هو الذي وقع الإيمان به من

---

(١) البداء: لغة الظهور، أما في علم الكلام فمعناها حدوث أحوال جديدة ينشأ عنها تعديل في الإرادة الإلهية السابقة. قال بذلك المختارية، وهم فرقة من فرق الكيسانية و المختارية تُنسب إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي، وهو أول من قال بالبداء. (للمزيد انظر الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٤٧-١٤٩).

(٢) سورة النساء، آية ١٦٣ وتمامها: ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَآ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً﴾.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٩ وتمامها: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَابَ إلا مِن بَعْدِ مَاجَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بآياتِ اللهَّ فَإِنَّ اللهَّ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

(٤) سورة الأنعام، آية: ٩٠ والآية: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهَّ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّأَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾.

(٥) سورة البقرة آية: ١٣٦. وتمامها: ﴿وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد من منهم ونحن له مسلمون﴾.

(٦) سورة هود، آية: ١٧ وتمامها: ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لايؤمنون﴾.

(٧) سورة البقرة، آية: ٤. وتمامها: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾.

كل الأنبياء، ولا نسخ فيه ولا تحويل، ولا تحريف ولا تبديل، فأما التفاصيل والصفات فهي مختلفة في الشرائع في جميع الجهات وفيها النسخ ظاهر، والنقل «١٦٥ب» عما كانت عليها بدليل باهر، فقد حرم الله تعالى في شريعتنا الخمر، ونكاح الأخوات، ونَسَخَ استقبال بيت المقدس إلى البيت المعمور المقدس، ونسخ شرط التوبة بقتل النفس، ونسخ المُؤاخذة ورفعه على حديث النفس وغير ذلك من الأحكام، وسنة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام كما ذلك معلوم، والعرفان له معقول ومفهوم. وقد قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] فالخيرة لله تعالى لا للعباد يحكم ما يشاء فلا عبث ولا بدا، بل لكل شيء من ذلك حكمة منها ما نعلمه، ومنها ما نرد علمه إليه الذي: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾[2] وهذا من العجائب والنوادر من الشيخ أحمد بن علي بن مطير من الشافعية، فإنه بذلك خالف إجماع الأمة، وعلماء كافة اهل السُّنَة في هذه المسألة. وقد وافقه على ذلك السيد حسن الجلال من الظاهرية في عصره. والحق بحمد الله بَيِّن لأهله. وله جواب سؤالات فيما يتعلق بعلم الهيئة[3] توسع فيه، وخرج فيه إلى نوع من الهذرمة[4] فمن السؤالات: هل السبع السماوات طباقاً؟ هل خيالية حدسية؟ أو غيرها؟ وهل تغيب الشمس وتشرق في أوقات مختلفة؟ أو مرة واحدة؟ وهل هناك فلك؟ هذا هو حاصل السؤالات، فأجاب الشيخ بنفي الفلك وقال: إنه قول الفلاسفة فإنهم ما أثبتوا السماوات السبع بل افلاك. والجواب الصحيح: ثبوت الفلك، والسماوات السبع أجمع لقوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٠٦.

(٢) سورة طه، آية: ٩٨ وأولها: ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو...﴾.

(٣) علم الهيئة: علم يبحث فيه عن ظواهر الأجرام السماوية ونواميس حركاتها المرئية والحقيقية ومقاديرها وأبعادها وخاصّيّاتها الطبيعية. (كرلو نلينو: علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، ص١٩-٢٠).

(٤) الهذرمة: كثرة الكلام. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٧٩٠).

(٥) سورة الأنبياء، آية: ٣٣. وأولها: ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر...﴾.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾[1] والأرض مسطحة؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾[2] ومنهم من قال: كرة. والأرض هي طباق بعضها فوق بعض كما دل عليه القران وحديث: «من غصب شبراً من الأرض طوقه الله من سبع أرضين»[3]. والمساحة بالهندسة مظنونة والمطالع مختلفة باختلاف البلدان في البعد من الشمس. وأما سؤال السائل عن صفة الأهلة أول الشهر والكبر وسطه فقد أجاب الله تعالى فيه بقوله تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾[4] وقد بينا تحقيق هذا في (الاقتباس)[5] «١٦٦أ» وأجاب الشيخ المذكور بدوران الأفلاك أجمع في سماء الدنيا. وهو غلط فاحش. وله (رسالة وعقيدة) يقول فيها ما لفظه: اعتقادنا مودة الآل رحمة الله على محسنهم ومسيئهم، ونفضلهم ونصلي عليهم؛ فلأجل القربى يكرمون. ثم قال: واعلم أن اعتقادنا أن الإمام بعد الرسول ﷺ علي بن أبي طالب ثم أبناءه مرتبين، فإن ذلك حق لهم جوَّزوا هم تركه كالوصية حين بايع علي رضي الله عنه لغيره اختياراً بمشهد من الحسنين والعباس وبني هاشم رضي الله عنهم. ثم قال: ثم بايع، ثم بايع، وقاتل البغاة بالسيف لا باللسان ورأى ذلك أهم من قتال الكفرة ولم يفتح شيئاً من بلاد الكفار، واقتصر على بعض بلاد المسلمين، وأصغى إلى التحكيم، ورجع عن قتال البغاة مختاراً، مجوزاً تركهم على بغيهم غير مغلوب. وكان على ذلك بقية عمره. ثم قال: وسَلَّم الحسن رضي الله عنه الخلافة طائعاً بمشهد الحسين. وكان عقيل بن أبي طالب مع الباغي. ثم قال: وبايع مولانا، وبايعوا

---

(١) سورة الطلاق، آية: ١٢. وتمامها: ﴿يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما﴾.

(٢) سورة الغاشية، آية: ٢٠.

(٣) ورد الحديث بألفاظ مختلفة في: صحيح البخاري، مج١، ج٣، ص١٧٠-١٧١؛ صحيح مسلمن ج١١، ص٤٨؛ سنن الترمذين كتاب الديات، ج٤، ص٢٨-٢٩.

(٤) سورة البقرة، آية: ١٨٩، وتمامها: ﴿والحج وليس البر بأن تأتوا البر تأوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾.

(٥) الكتاب هو: (الاقتباس في الخمسة الفنون) التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام واللغة. وله شرح ليحيى بن الحسين أيضاً بعبوان(الالتماس شرح الاقتباس) في أربعة مجلدات. والكتابان بخط المؤلف.

وبايعوا، وسمعوا وأطاعوا، وصلّوا خلفه، وجالسوا، وأصغوا إلى أقاويله، ودرجوا على ذلك. ثم قال: فأي فائدة في إشاعة أن باغياً قاوم مولانا واستولى على الحسنين وبني هاشم. وراوي القبيح مذيع له وشريك فيه أم لأي خبر نثق به «١٦٦ب» ونعظمه بأنه أذل الحق، وأعز الباطل. وأين أهل الحق؟ والله متم نوره. ثم ساق حتى قال: واللعن فُحْشُ وتضجر وعجز، لا يؤلم ولا يأخذ بثأر، ولا يزيد في عقاب فالحكيم تعالى، عدل، خبير، لا يجزي أحد إلا بعمله، ولا يزيد ولا ينقص، ولم يكن اللعن من عادة السلف ولا الخلف الصالحين وإنما نحن بهم مقتدون. ثم قال ابن مطير المذكور: ومن كلام سيدي الجد حافظ الإسلام أبي القاسم الصديق بن أبي القاسم مطير[(١)] فيما رَدَّبه على صاحب (الصواعق) وكان عاصره: إن الاعتذار عن الأمور الواقعة لا يرفعها ولا يتعاطاه عاقل، فلا تدارك لما فات، وإن شاع الاعتذار عن خفاء فما العذر في أيام صفين[(٢)] والطَّفّ[(٣)] والحَرَّة[(٤)] ومكة. والحمد لله وسلامه، انتهى. وهو يقال في جواب الشيخ: أما اللعن والسباب للسلف فمخالف للسنة، ولا يتعاطاه إلا الجهلة. فقد جاء في الحديث [المؤمن ليس بلعان][(٥)] وقال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾[(٦)] في حق الكفار فكيف في حق المسلمين. وأما ما ذكر جد الشيخ:

---

(١) هو أبو القاسم بن أبي الفتح بن أبي القاسم بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن مطير. ولد سنة ٨٣٦هـ ١٤٣٢م بأبيات حسين ونشأ بها (السخاوي: الضوء اللامع، جـ١١، ص١٣٧).

(٢) صفين: موضع بقرب الرقة في سورية على شاطىء الفرات بين الرقة وبالس. و هي في الحدود بين العراق والشام. وفيه كانت موقعة صفين. (البلاذري: ملحق فتوح البلدان، جـ٢، ص٧٤٤).

(٣) الطَّفُّ: هو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق. والطف: أرض من ضاحة الكوفة. فيها كان مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجـ٤، ص٣٥-٣٦).

(٤) الحَرَّة: في اللغة الأرض التي تكسوها حجارة سوداء منخورة كأنما هي أحرقت بالنار. والحَرَّة المقصودة هنا هي حَرَّة واقم: إحدى حرتي المدينة المنورة، وهي الشرقية، سميت برجل من العماليق اسمه واقم، وقيل: واقم اسم أُطُم من آطام المدينة إليه تضاف الحرة. وفي هذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة في أيام، وأسرف في القتل والنهب والاعتداء دون ماحرج من حرمة مدينة رسول الله ﷺ (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجـ٢، ص٢٤٩؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، جـ٢، ص٦٧).

(٥) ورد الحديث في سنن الترمذي، جـ٤، ص٣٥٠: (ليس المؤمن بالطَّعَّان ولا اللَّعان ولا الفاحش ولا البذيء).

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٢٨ وتمامها: ﴿فإنهم ظالمون﴾.

أنه لا يتعاطاه عاقل، ولا تدارك لما فات فغير صحيح؛ لأن الله تعالى قد قص قصص الماضين في كتابه ممن آمن وكفر كي نجتنب أحوال العصاة، ونتبع ونقتدي بالمؤمنين الهداة، ولأجل التجارب وترك من عرفها أن يعتمدها من المتأخرين. وقد صنف العلامة السخاوي[(١)] كتاباً في الرد على من ذم التوريخ[(٢)] مسقلاً والله أعلم. وللاعتبار بأحوال الدنيا ألا تراه تعالى قصَّ أعمال قوم لوط، والنصارى واليهود، وأفعال فرعون إلى غير ذلك. وجرى على ذلك السلف والخلف في التواريخ ولله الحمد.

وفي ذي الحجة جاء الخبر بأن جعفر بن عبد الله بن عمر الكثيري -أخو أمير الشِّحْر وحضرموت- خرج من حضرموت إلى ظفار بعسكره، ومن جمع من قبائله، وقصد الحرب لصاحبه، وقتل ولد بدر بن عمر في حربه، وطرد عمه بدر بن عمر من جهته، واستولى على ظفار وبلاده. وكان ذلك «١٦٧أ» كما روى سعاته ومشاركة من أخيه صاحب حضرموت[(٣)].

وفيها توفي رضوان أمير حاج المصري، وثبت بعده في إمارة الحج مملوكه قيطاس، صاحب النجدة والبأس، وهو الذي كان والياً بجدة.

وفيها كان المطر قليلاً، فارتفع السعر يسيراً.

وفيها وقع فرقة بالبيضاء قتل بها اثنان.

---

(١) هو محمد بن عبد الحمن بن محمد شمس الدين السخاوي. (٨٣١- ٩٠٢هـ/ ١٤٢٧-١٤٩٧م) : مؤرخ حُجَّة، وعالم بالحديث والتفسير والأدب. أصله من سخا(من قرى مصر) ساح في البلدان سياحية طويلة. وصنف زهاء مئتي كتاب أشهرها: (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع) اثنا عشر جزءاً. وله (شرح ألفية العراقي) في مصطلح الحديث و(تخليص تاريخ اليمن) و(تخليص طبقات القراء) وغيرها من المؤلفات. (الزركلي: الأعلام، جـ٧، ص٦٧.

(٢) عنوان الكتاب: (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ). وهو دراسة في علم التاريخ، وفيه يعرِّف علم التاريخ وموضوعه عند الأمم، وماأُلف فيه مع التعقيب، والنقد، وتعرض خاصة لابن خلدون، وترجم لمشاهير المؤرخين، مرتبة اسماؤهم على حروف الهجاء. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، جـ١، ص١٣٦).

(٣) للمزيد عن أحداث هذه الفترة في حضرموت وظفار انظر: (سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص١٦٣-١٦٦).

وفيها أو التي قبلها توفي الفقيه العارف عبد الله بن مسعود[1] من هجرة الظَّهْرَيْن[2] بحجة. وكان المذكور بادرة أهل العصر في حفظ اللغة العربية، ومعانيها الخفية، مع غريب الحديث وضبط رجاله، ومؤتلفه، ومختلفه. كل ذلك بمطالعة كتب اللغة والرجال (كالإكمال) لابن ماكولا[3] وغيره من كتب الرجال.

ودخلت سنة تسع وستين وألف[4].

في آخر صفرها مات شيخنا القاضي العلامة أحمد بن صالح العنسي الأصل،ثم العياني ثم البرطي، نسبة إلى مدينة عِيَان ببلاد سُفيان. كان هذا القاضي له معرفة بعلم النحو والمعاني والبيان والأصول، وغلب عليه علم الكلام واللطيف، والتبحر فيه، والعكوف منه عليه على رأي المعتزلة. ودرس فيه (الغايات)[5] على القاضي عبد الهادي «١٦٧ب» الثلائي، و (تذكرة ابن مَتُّويه)[6]، وصنف شرحاً على (المؤثرات)[7] وكان كثير الشك في الطهارة والوضوء للصلاة في جميع أوقاته، وسائر

(١) هو عبد الله بن المهدي بن إبراهيم بن مسعود الحواليز أديب شاعر مجيد. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٣، ص١٣٨٢-١٣٨٣).

(٢) الظَّهْرَيْن: بلدة عامرة يقع شمال مدينة حجه باقل من نصف ميل تقريباً منها. وقد اتصل عمران كل منهما بالأخرى، وصارتا مدينة واحدة. كانت هجرة مشهورة مقصودة لطلب العلم. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٣، ص١٣٨٠).

(٣) الكتاب هو: (الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والألقاب(. معجم في التاريخ والتراجم والأنساب لاسيما رجال الحديث، ويشتمل على الأعلام المتشابهة في اللفظ والقراءة، ويفرق بينها. وله ذيل إسمه (تكملة الإكمال) أما مؤلفه فهو علي بن هبة الله بن علي بن جعفر، ابن ماكولا. (٤٢١-٤٨٦هـ/ ١٠٣٠-١٠٩٣م) مؤرخ، من العلماء الحفاظ الأدباء. أصله من جر باذقان (من نواحي أصبهان). (الزركلي: الأعلام، ج٥، ص١٨٣؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج١، ص١٥٨).

(٤) ١٠٦٩هـ = ١٦٥٨م.

(٥) هو كتاب: (غايات الأفكار ونهايات الأنظار المحيطة بعجائب البحر الزخار) لمؤلفه الإمام أحمد بن يحيى المرتضى. وهو عبارة عن شروح مطولة لمختصرات ألفها هو وهي: (المنية والأمل)، (الدرر الفرائد)، (دامغ الأوهام)، (منهاج الوصول)، (يواقيت السير)، (المستجاد)، (عماد الإسلام)، (الروضة النظيرة). (محمد الحاج: الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضين ص١٢٩).

(٦) هو كتاب: (التذكرة في لطيف الكلام) لمؤلفه أبو محمد الحسن بن أحمد مَتُّويَةْ (٢٨٨-٣٧٧هـ/ ٨٤٣-٩٨٧م) يقع في عشرين مجلداً، وهو أحد تلامذة القاضي عبد الجبار الهمذاني، ويعد أحد الأئمة في علم العربية. له العديد من المؤلفات. (بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ج٤ن ص٣٤؛ الزركلي: الأعلام، ج٢، ص١٩٣-١٩٤).

(٧) كتاب: (المؤثرات) في علم الكلام لمؤلفه العلامة الحسن بن محمد بن أبي طاهر احمد بن إبراهيم الرصَّاص. من علماء الزيدية المبرزين. له كثير من المؤلفات أغلبها في أصول الدين. توفي سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م.

أحواله وأيامه، بحيث أنه كان يتوضأ أول المغرب فلا يفرغ عنه إلا بعد أن يصلي الناس جماعة العشاء. وكان لا يجتزي بطهارة ماء الأواني، ويصيبه من ذلك الشك فيها والتواني، ولا يزال يغسل يده مراراً متكررة في يومه وعشيته وصبحه وليله ونهاره ولا يجتزي بمسح رأسه في وضوئه، بل يغطسه في الماء ويفحسه[1] مما يُتعجب من حاله، وكان إذا صلى جماعة بعد أحد أعادها ولا يجتزي بأركانها بل قد يعيد صلاته نفسه إذا صلاها فرادى، ولا يفارق سجود السهو دائماً وفي جميع صلواته عموماً. وأصابه آخر مدته ألم النّقْرِس[2] في قدميه نعوذ بالله منه، فبقي منه عليلاً مدة طويلة، وأوقاتاً جزيلة. ومن جملة أسبابه: كثرة تغسيله، وطول مكثها في الماء حال غسله لها وتطهيره، حتى ورمت أقدامه. قرأت عليه رحمه الله في علم الكلام كتاب (التلقيح)[3] في الأصول وهو كتاب مفيد في ذلك الفن، وقبله في (الثلاثين المسألة)، ثم استفدت عليه في المذاكرة والمراجعة «١٦٨أ» في سائر المجالس والأوقات، والمطالعات. وقرأت عليه (شرح الكافية)[4] في النحو شرفين[5] وقبر بخزيمة رحمه الله تعالى.

وفيها مات القاضي العارف محمد بن صالح بن حنش قاضي بلاد ظفار وذِيبِيْن.

وفي صفرها وقع قتال بين عيال عبد الله وذَيْبَان[6] من بلاد حاشد، فقتل من الفريقين أربعة ومثلهم من النساء كما روي.

وفيها وصل إلى صنعاء شاطر من مصر، فلعب على ظهر الحبال.

وفيها وقعت صاعقة بشهارة قوية الرعد، شديدة البرق، بحيث يحسب جميع بلاد

---

(١) يفحْسه: بمعنى يدعكه أو يفركه.

(٢) ألم النقرس: داء معروف يأخذ في المفاصل. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٧٠٣).

(٣) هو كتاب: (تلقيح الألباب في شرح أبيات اللُّباب) لمؤلفه العلامة الهادي إبراهيم بن علي بن المرتضى الوزير (ت٨٢٢هـ) وكتاب التلقيح هو شرح لكتاب: (لب المصاصة نظم الخلاصة) لمؤلفه العلامة أحمد بن محمد الرصاص.

(٤) كتاب: (الكافية) في النحو. لابن الحاجب. وقد سبق ذكره.

(٥) شرفين: أي قرأت قراءتين. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٣٠٣).

(٦) عيال عبد الله وذَيْبَان: من قبائل ارحب. وأرحب ناحية مشهورة من نواحي صنعاء في الجهة الشمالية الشرقية منها. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص٦٤).

الأهنوم أنه في بلده لشدة ذلك وصعقته، فوقعت بحصن شهارة أخربت في دار العقبة جانباً، وسَلِمَ بسلامة الله من فيها وهلك في جبل سَيْران[1] واحد أو اثنان في وقت واحد.

وفي ربيع الثاني وصل السلطان بدر بن عمر الذي كان قد تولى ظفار حضرموت، وغدر به ابن أخيه فطرده عنه وشارف على الموت، وبذل الشكية على الإمام وأن ذلك جميعه كان بسبب موالاته، وحسن «١٦٨ب» طاعته وانقياده، فضجر الإمام من ذلك الفعل والخلاف، وما وقع إلى جانبه من الاعتساف، ووعده بالإنصاف، وأكرم لديه نزله وبذل له العطاء والإتحاف.

ولما كان شهر جمادى الأولى أمر الإمام بتبريز الوطاق بالمنشية طرف قاع بكيل من بلاد ضوران، وأظهر التجهيز إلى تلك الجهات والوديان.

وفي أول جمادى الثاني سار محمد بن الحسن من صنعاء باستدعاء عمه له من جهة الحركة إلى حضرموت، وإنصاف الشاكي فيما ناله من الظلامات التي شارف فيها على الموت، فاستقر عنده برهة وانتقل إلى ذمار.

وفي آخر الشهر المذكور وصل إلى الإمام الشريف الحسن بن باز المكي[2] من أشراف مكة مغاضباً للشريف زيد بن محسن بجميع خدمه وأهله. وكان المذكور إليه ولاية الْقَوْزَ[3] قريب القُنْفُذَة، فلما وصل إلى الإمام، بسط عليه الإنعام، وقال: أهله يستقرون في بيت الفقيه[4] بتهامة؛ لأنه أنسب له من الجبال وآكامه. أمر بذلك قبل وصولهم، وقرر لهم ما يكفيهم، يقال: جعل له ولجميع أصحابه ألف حرف في الشهر.

---

(١) جبل سيران: في بلاد الأهنوم وهذا الجبل بقسميه يتصل بهما جبل ذري. (حسين السياغي: معالم الآثار اليمنية، ص٦٩).

(٢) ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق١٩١ب) من هذه المخطوطة.

(٣) الْقَوْز: بلدة بمنطقة القُنْفُذَة، ذات إمارة يتبعها عدد من القرى من إمارات منطقة مكه المكرمة. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ج٢، ص١٠٢٨).

(٤) بيت الفقيه: من مدن تهامة ما بين زبيد والحديدة، وهي في وسط بلاد الزرانيق. نسبت إلى الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل (ت٦٩٠هـ). (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٤، ص٦٣٦).

«١٦٩أ» وفي هذا الشهر توفي فخر الدين عبد الله بن أمير المؤمنين بمحروس ذمار في داره ومسكنه، وقبر جنب صنوه شرف الدين الحسين داخل قبته. وكان موته وهو مكسور الخاطر، بسبب عزله من ولاية ذمار رحمه الله تعالى.

واشتد برد هذه السنة وقرّها وشتاها شدة عظيمة.

وفي شعبانها جاء الخبر أن الفقيه حسين النحوي[1] الذي كان باقياً ببلاد يَنْبُع من أرض الحجاز طَلب منهم الخطبة للإمام من قبائل يَنْبُع، فمنع أكثرهم، وقالوا: لا يتم هذا، والأروام نخشاهم، ثم أسعد آخرون وهم أقلهم، فخطب خطبة واحدة في يوم جمعة، ولم يزد على تلك المرة، فبلغ أهل المدينة المنورة، فتغيرت خواطرهم من ذلك الفعل، وقال أميرهم: نكتب ونسجل عليهم إلى باب السلطان ليعرف بأمرهم، وينتبه بشأنهم. وبلغ الشريف زيد بن محسن ذلك الحادث، وما حصل في نفوس أهل المدينة من ذلك الأمر الباعث، فتعب خاطره وظاهره، وكتب إلى أهل المدينة: أن هذا الأمر لا نرضاه، ولا نعتمده ولا نهواه «١٦٩ب» وإنا قد أرسلنا إلى البلدة، وسار جهده، التي فيها الفقيه وأمرناهم بإزعاجه عنها، وعدم تخليته فيها، وأدّب أهلها، فسكّن الأمور في تلك الجهة وزال عنها بعض النازل معها. وقد قيل: إن الإمام كان كتب مع هذا الفقيه المذكور، إلى الشريف زيد وأهل البلد المسطور بكتابين اثنين ورسالتين[2]، فأما الشريف فحين وصله بها أعرض عنها، فخرج الفقيه عن تلك البلدة ووصل إلى اليمن استقر فيه مدة من الزمن، ثم عاد بعد موت الشريف زيد بن محسن إلى تلك البلدة بعد أن أَمِنَ؛ لأنه كان تزوج فيها واستوطن وباع ماله وأطيانه ببلاد صنعاء وكذا كتبه، وأقلع عن هذه الدار إلى تلك الدار، ولم يعد إلى شيء من تلك الفعال، ولا عضده أحد إلى ذلك المنهج ولا وافقه أحد في الأقوال، وخشي من عاقبة الوبال، ورغب في مجرد سكون فيها عند العيال إلى الآن، والله أعلم.

---

(١) لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

(٢) أورد الجرموزي في كتابه: تحفة الأسماع، ق٧٤أ-٧٥ب الرسائل التي كتبها الإمام إسماعيل ومحمد بن الحسن إلى أهل ينبع.

وفي شهر شعبان منه جد الإمام وأزمع على التجهيز إلى المشرق، «١٧٠أ» وما زال عليه يرعد ويبرق، فبرز أحمد بن الحسن بالوطاق، ووعد بالارتحال عقب رمضان إلى تلك الآفاق.

وفي رمضانها جاءت الأخبار، بحادث جرى في جهات مصر وتلك الأقطار، وذلك أنه كان باشا يسمى محمد ببلاد جُرْجَة[1] فأراد السلطان محمد بن إبراهيم بن عثمان عزله، فأبى المذكور عن العزل، وتغلَّب على الأمر، فأرسل السلطان عليه عينة من عنده، وأمر باشا مصر إلى اللقاء من عنده بجنده، فاستحر الحرب، ووقع الرمي والضرب حتى كانت الدائرة عليه، والمصيبة راجعة إليه، واستولى عساكر السلطان على جميع الخزائن والأموال، وقبض على الباشا محمد وجيء به أسيراً بين أيدي الرجال، فأمر السلطان بقتله. وكان من جملة ما وقع فيه صوب في ذلك ا-لحرب من الأمراء الأمير قيطاس الذي كان وليّ جدة، فعاد متألماً إلى مصر ومات منه.

«١٧٠ب» وفي يوم الخميس عشرين شهر شوال خرج أحمد بن الحسن من الغراس عازماً إلى السفر إلى بلاد حضرموت، فبات تلك الليلة بالسِّر[2] ثم ارتحل إلى قحوان، بمشرق بلاد نِهْم وخَوْلان، ثم إلى رَغْوان[3] بالجوف، واستقر فيه بقية الشهر وشهر القعدة والحجة، وعيَّد عيد النحر هنالك، ثم تقدم إلى مأرب[4] وبيحان، فاستقر بمكان

---

(١) صحتها جِرْجَا: كانت تسمى ولاية جرجا وحدودها تمتد من صليبية بندر أسيوط إلى وادي حلفا. وكان يتولى إدارتها موظف كبير يسمى متصرف أو والي أو حاكم جرجا. ولبعد مركز هذه الولاية عن عاصمة القطر حيث يقيم الوالي، فكان الوالي يمنح حاكم جرجا سلطة تكاد تكون مطلقة في إدارة الأمور المالية والإدارية وغيرها، لبعد المسافة بين الجهتين. (القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، وضعه وحققه: محمد رمزي، ج٤، ص١٥) وردت في هامش طبق الحلوى، ص١٥٩: (حرجة) وذكر المحقق أنها من قرى اليمامة والأصح ما أثبتناه.

(٢) السِّر: واد معرف يشتمل على قرى عديدة في ناحية بني حشيش على مسافة ٣٠ كيلو متراً شمال شرق صنعاء. (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص٨٧؛ الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٥١٧).

(٣) رَغْوان: تقع في الشرق من الجوف، يسكنها طائفة من قبائل دهمة وبنو شداد البرقاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص٣٦٩).

(٤) مأرب: مدينة أثرية مشهورة بالشرق من صرواح بمسافة ٥٠كيلو متراً، وعن صنعاء بمسافة ١٩٢كيلو متراً. عاصمة دولة سبأ، وهي الآن مركز اللواء. (المقحفي: معجم البلدان، ص٥٧٦).

يقال له: الحما[1] أياماً، ثم دخل أطراف بلاد العولقي، فدخل بلدة واسط[2]، ثم سار إلى وادي حَجْر[3]، حدود[4] وادي عَمِد[5] وحصل عليه في هذا المكان بعض الحَجْر، وتضرر الناس بهذه الطريق تضرراً شديداً، لبعدها وعسرة مرافقها، وعدم عادة سلوكها، وجفاها وحجارها وأشجارها، لقلة استطراقها، وقل عليهم الزاد بحَجْر، وأكلوا الجمال والحمير واللحم؛ لانقطاع القوافل عن الوصول إليهم، كما سيأتي ذكره إن شاء الله.

وفي شهر ذي القعدة من هذه السنة ارتفع السعر بلغ قدح الحنطة إلى حرفين، وكذلك باليمن الأسفل حتى بيع الجراد بدراهم، لقلة أمطار الصيف والخريف، وكثرة الجراد.

وفي هذه الأيام سار محمد بن الحسن من ذمار إلى رداع واستقر «١٧١أ» فيه، لأجل ما بلغه من تضرر صنوه في الطريق.

وفي شهر القعدة مات الآغا محمد بن ناصر المحبشي متولي مدينة زَبِيْد. وكان قد اعترى المذكور ألم النقرس -نعوذ بالله منه- في مفاصله وأقدامه مدة، فطلع إلى صنعاء واستناب ولد أخيه الشيخ عبد الله بن سراج المحبشي في ولاية زَبِيْد، وما زال ملازماً لمحمد بن الحسن، ساكناً بصنعاء وذمار متى رحل حتى توفي في التاريخ المذكور.

وفيها توفي السيد أحمد الشرفي[6] المعروف بشريف الجن، كان السيد أحمد له معرفة بالجان، ويقول: إنه يراهم، ويسمع من أقوالهم وكلامهم، وكان استقراره في جهته الشرف، ومات بضوران، حال وفوده إلى الإمام طالباً وقاصداً. وكان يقول: إنه أخذ

---

(١) لم أجده فيما بين يدي من مصادر.

(٢) لم أجده فيما بين يدي من مصادر.

(٣) وادي حَجْر: من أودية حضرموت، وهو إلى الغرب من المكلا، على بعد ٥٠كيلو متراً. (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص٢٦).

(٤) وردت في الأصل: (حدحدود.)

(٥) وردت في الأصل: عَمْد، بينما وردت لدى الحجري: عَمِد وهو من أودية حضرموت.

(٦) ترجم له الجنداري في الجامع الوجيز، ق١٤٥ب نقلاً من هذه المخطوطة.

ذلك عن الإمام القاسم بن محمد.

وفيها وصف مُقَضض[1] من بلاد عُتمة: أنه سار في جهات المغرب، فأظلم عليه الليل قبل وصول البلد، فبات بسقيف، فلما أقبل الليل لم يشعر إلا بقائم قام في ذلك السقيف فنهره وقال: ارقد ثم قعد، ثم قعد كذلك مدة أخرى، ثم قبضه بيده وإذا هو رجل ميت، وهنالك كوة مفتوحة رأس السقيف فيها النبَّاش[2] كان يريد أن يجره منها، قال: ففزع وخرج جنب باب السقيف، فلم يذق المنام طول الليل، بل تارة قاعداً وتارة قائماً، لذئب كان يقاربه، ويصول عليه ولا يتباعده.

ودخلت سنة سبعين وألف[3].

في آخر محرمها انحط السعر قليلاً. وحاج العراق انقطع؛ لأجل «١٧١ب» فتنة الشريف أحمد بن الحارث المكي، وخلافه على الشريف زيد بن محسن في جهات بلد ولايته اليمامة، والطريق للعراق تقطع عرضها، وتمر بها. وكان قد خرج الشريف زيد إليه إلا أنه اشتغل بموسم الحج.

وفي هذه السنة خرج تجار الحسا من بندرهم البحرين المعروف بالقطيف إلى البحر الفارسي، وخرجوا إلى عدن بالأعبي الحساوي واللؤلؤ عوضاً عما فاتهم من البيع بمكة لقطع الطريق من قِبَل ابن الحارث كما ذكرنا، فباعوها باليمن وصنعاء، وتعوضوا من البن الصافي إلى بلادهم في البحر من عدن.

وفي هذه الأيام جهز الإمام ولده محمد وولد أخيه محمد بن أحمد بعساكرهم إلى البيضاء، لأجل إصلاح الطرق، وتسكين القبائل عن المحق فيها، والخلل لا يحصل بجهتها، فنزلوها واستقروا بها.

---

(١) المقضض: هو العامل في القضاض. وقد سبق تعريف القضاض.

(٢) النبَّاش: هو الذي يستخرج الميت بعد الدفن.

(٣) ١٠٧٠هـ=١٦٥٩م.

والجراد هذه السنة متردد باليمن، وأكلت في الزرائع لا سيما في بلاد ظُلَيْمة، ووادي أخرف[1] فإنها ترددت هناك حتى أن بعض أهل الوادي عوض غرس البن فيه مما ضرّ به من أكلها.

وفي ربيع الثاني توفي الفقيه العارف الأديب «١٧٢أ» صاحب الطرف واللطائف المهدي بن عبد الله المُهلا النيسائي[2] في الأصل ثم الشرفي. كان له معرفة بالنحو، ومشاركة في الأصول والأدب والسِّير، وله الخط الحسن. كان ملازماً للإمام ولإخوته ينسخ لهم الكتب بخطه، وحسن سبكه، وقلة تصحيفه وغلطه، بحيث يخرج الكتاب من تحت يده، وهو كالكتاب المقروء على الشيخ لعرفان الرجل.

ولما استقر أحمد بن الحسن بحَجْر كما ذكرناه من قبل حصل الحجر بانقطاع الأزواد، وانقطاع السِّياق[3] مع بُعد الجهة حتى أكلوا الميتات، والبهائم والبقرات، ولا سيما عند اتفاق قضية أحْوَر[4]، فإنه لما جعل أحمد بن الحسن فيه جماعة رتبه لأجل الطريق، والإمداد من الأحمال والعَلِيق[5] وكان رئيسهم الفقيه محمد بن قاسم بن أبي الرجال، فأرسل الفقيه بعض منْ عِنده لجمالٍ من أهل أحْوَر، فحصل بين العسكر أولئك وأهل أحْوَر خصام، أفضى إلى القتال والقيام، فقتلوا العسكر عن آخرهم وهم «١٧٢ب» نحو عشرين رجلاً، فلما بلغ الفقيه محمد بن قاسم بن أبي الرجال فعلهم وما وقع من جانبهم حمله الحرة والغضب والعجل على سُرعة السَّير لافتقاد ذلك العمل، فسار إليهم من القرية التي كان ساكناً بها وخاطبهم، وشرع ينهاهم ويعاتبهم في فعلهم غرراً

---

(١) أخرف: من الأودية المشهورة، وإليه تجتمع روافد سيول عديدة، ويصب إلى مور، وهو شمال حجة.

(٢) هو القاضي العلاَّمة المهدي بن محمد بن عبد الله بن المُهلا بن سعيد النيسائي الشرفي. ترجم له زبارة: ملحق البدر الطالع، ص٢١٧.

(٣) السِّياق: الإمدادات من الطعام والمؤن وغيره.

(٤) أحْوَر: واد في العوالق السفلى شرقي أبين، به العديد من المواضع القديمة المليئة بالآثار التي تدل على حضارة زاهرة. (المقحفي: معجم البلدان، ص٢٠).

(٥) العَلِيق: القضيم يُعلَّق على الدابة، وعلّقها: عَلّق عليها، وهنا يعني العلف الذي يقدم للحيوانات. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٨٦٥).

منه وجهلاً بالأمور، وكون العتاب في إثر الإقدام لا يزيد إلا الضرر من الجهول، فباشروه والذين معه بالمصادمة والقتال، كما فعلوا بأصحابه الأولين من ذلك الفعال، فقتل الفقيه ومن معه في الحال. ثم لما وقع هذا الحادث الضعيف، والفعل القبيح العنيف، انحاز الباقون من أصحاب الفقيه بمحلهم، وأحرزوا أنفسهم في مقرهم، ثم أقبل القبائل إليهم يهرعون، وهيجانهم فيه يصيحون ويقبلون؛ لقصد قتال الباقين بقلوب غليظة، ورحمة من قلوبهم نزيعة، فرد الله كيدهم في نحورهم وحمى أولئك الذين بقوا المبغي عليهم.

وفي هذه المدة حصل من عسكر الحيمة انتهاب لسوق الحصين بضُوران، وعاثوا الناس، وهاشوا[1] فيه «١٧٣أ» هوشة ضعيفة حتى وصل ذلك إلى ساحة الإمام، فلما سكن الناس أمر الإمام بحبس جماعة من عقالهم.

وفرق الإمام على الناس يومئذ جمالاً بالكرى لتحمل الأثقال إلى بلاد حضرموت، لتعذر حصولها من تلك القبائل إلا بقتل النفوس، وثلاث معاون، فحصل مع الناس من جهة فرقة الجمال نزاع، وسهلت عليهم المعاون دون غيرها من الجمال فعدم فيها الاتساع، حتى سلموا المعونة. وأكرى البعض الجمال، وسار بالقسر والإجبار، والبعض منهم سَلَّم جمالاً منه هبة، ولا يسير معها من أصحابه أحد من الفئة.

وفي يوم الخميس، سادس شهر رجب من هذه السنة المذكورة أرسل الإمام إلى قبائل برط من دُهْمَة بدراهم وكسوة إلى حضرة قاضيهم أحمد بن علي، وأمرهم وحثهم بالغزو إلى أطراف بلاد الرمل، شرقي برط، ومساقط الجوف وذلك الوهط، ففروا إلى هنالك، وبلغوا إلى بدو يقال «١٧٣ب» لهم: المَعَضَّة والعرصان، في تلك الفيافي والكثبان، فانتهبوهم الإبل، ورجعوا بلادهم من غير صنيعة لغير ذلك الفعل، ولم يكن لهذا المغزى كل الأثر لبعده عن حضرموت، وليس فيه قضى وطر لذلك الغوث، غير أن بعض الناس قال ولا أصل له في التحقيق: إن مِنْ هؤلاء مَنْ كان قد انتهب شيئاً يوم

---

(١) الهوشة: الفتنة والاضطراب، سبق شرحها.

السكون بمحل رَغْوان، عند عزم أحمد بن الحسن وسكونه فيه ذلك الأوان، وكان أحمد بن الحسن عند بلوغه إلى هذا المكان، ابتداء سفره ووصوله رَغْوان، أراد السفر من طريق المشرق إلى حضرموت؛لأنها أقرب في المسافة، ولم يعرف بها في تلك الفيافي من المقاطع من الماء الذي هو غاية المخافة، فما زال أهل الخبرة بتلك المواضع من أصحابه يصدونه ويقولون له: هذه الطريق غير صالحة لهذه الجنود، والخيل لا تهلكونه، فكان سبب عوده إلى هذه الطريق. ولما دام الحجر للجند في وادي حَجْر «١٧٤أ» هذه المدة، وقَلَّ ما في اليد والعدة؛ لأجل انقطاع اتصال القوافل، وعدم وجود ما يرحلها من الجمال والحمائل، ثم ما وصل منها طرح بأنصاب[1]، وامتنع منها الذهاب؛ لأجل الواقع بأحْوَر وخشية الانتهاب، فلما تَحَيَّرت القوافل بأنصاب أرسل الإمام أهل الحيمة إلى البيضاء زيادة لهم؛ لأجل الطرق ينقذهم فيها العسكر، وهي كلها محاولة البعيد من البعد، ومناوطة لمن لم يعرف حقيقة ذلك المد والجهد. إملاء لسان حال أهل حَجْر، عندما نالهم من هذا الضر والحجر، قول الشاعر:

إذا لم يكن إلا الأسنة مركب

فلا رأي للمضطر إلا ركوبها

وعزم أحمد بن الحسن بجميع من معه على ذلك الضر الذي قد اشتد بهم معه تلقاء حضرموت، في تلك الخبوت، فطلع العقبة، وتخلص من وادي حجْر بالصعود منهجه، وأمر قُدَّامه[2] بعض عسكره وأعوانه بإصلاح الطريق وتسهيلها حتى «١٧٤ب» بلغوا رأسها وأعلاها، وزال عنهم الحجر في وادي حَجْر، وزالت عنه الغمة، وكشفت عنهم الكربة بانهزام أول مقادمة عسكر أمير حضرموت عن أعلاها، وزال بسبب ذلك اختبار أهلها، وعدم الاكتراث بضرها وبلواها، وعلموا أن الله تعالى مسهل لهم الطريق، وكاشف عنهم ما قد احتملوه من الكرب والضيق، والحجر الذي كان في

(١) أنصاب: تعتبر مركز العوالق العليا، وبها وادي أنصاب الذي ينصب إلى الشرق الشمالي من قراميش مذحج. (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص٣٠).

(٢) قُدَّامه: أي في الطريق التي أمامه.

ذلك الوادي المضيق، واستولوا على أثاث الهاربين من الرتبة الذين كانوا بأعلى العقبة وطعامهم، وأعتقوا أنفسهم مما قد أصابهم من الجوع، والدوام على أكل اللحوم وزال عنهم الروع وحصل الهجوع. ويقال لهذا المحل: رَيْدَة أبا مسدوس[1]، بعد أن حصل معهم ضرب الأخماس والسدوس، وماكان يحضر معهم من الهجوس. وأقبل إلى أحمد بن الحسن طلائع قبائل بلاد حضرموت بالمواجهة والطعامات، وإغاثة النفوس والعنايات. ثم تقدم إلى جهة «١٧٥أ» الهَجَرْين[2]، وبقي بينه وبين شيخ حضرموت ومتوليها بدر بن عبد الله الكثيري قدر يوم أو يومين، وهو يومئذ بهَيْنن[3]، فتلقاه الحضارمة إلى خارج هَيْنَن يحملون فيهم ويحاربون، وبعضهم كان راكباً على مطايا وبعضهم على خيل وبعضهم راجلاً، فضربت العساكر في وجوههم البنادق الزعَّاقة، والرصاص القتَّالة، فصرعت منهم جماعات سقطوا على الوجوه والجنوب، وولوا حينئذ الأدبار، ولاذوا بالشعوب منهزمين، وعلى أقفيتهم مولين. ولم يقتل من أصحاب ابن الحسن أحد. وهرب الشيخ الكثيري من هينن حينئذ إلى شبام[4]، وتوارى عنهم بين تلك الآكام، ودخل أحمد بن الحسن والعساكر هينن، ونهبوا فيه ما خَلَّفه السُّلطان، وتلك المدينة أيضاً بمن فيها من الحضَّار والبدوان، لعدم تخلية الشيخ بدر لهم يواجهون، وعلى أنفسهم يَتَّقُون، فكان ما تبعهم في صحائفه، وما لحقهم بسبائبه. ثم تقدم «١٧٥ب» أحمد بن الحسن إلى شِبام لَمَّا بلغه أن ذلك السلطان الشيخ أم إليه[5]، فهرب السلطان منه ثانياً، وولى حيث أم به وجهه لائذاً، حتى دخل إلى وادي شَنافر[6]،

(١) رَيْدَة ابا مسدوس: تقع في الجنوب من حضرموت. (الجرافي: المقتطف من تاريخ اليمن، ص٢٢).

(٢) الهَجَرْين: مثنى هَجَر وتعني في اللغة اليمنية القديمة (المدينة) والهجرين: مدينتان متقابلتان في رأس جبل حصين يقال لواحدة (حَيْدون) والأخرى (ودمون) وهي من حضرموت. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص٢٧١).

(٣) هينن: قرية كبيرة في أسفلها سوق وفي أعلاها حصن. وساكنها بنو بَدّا وبنو سهل بن تجيب. وهي من قرى حضرموت. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص٢٧٠).

(٤) شِبَام: وهي شبام حضرموت، تقع على وادي حضرموت. وهي أكبر مدن حضرموت، تشتهر بمنازلها العالية ذات الطوابق المتعددة. (المقحفي: معجم البلدان، ص٣٥١).

(٥) كذا في الأصل، صحتها: (أم إليها) ولعله يقصد بذلك حصن شبام.

(٦) الشنافر: قبائل في حضرموت، وهم آل كثير، مساكنهم بين شبام وسيئون ومديمة والقارة وجفل وباطن السرير. =

وزال امره وراح شنافر، وانتثر أعظم ناثر. ودخل أحمد بن الحسن شِبام، وهي من المدائن العظيمة في تلك الجهات ومن أمصار الإسلام، وواجهت البلاد الحضرميَّة حينئذ أجمع، وزال عنها للمخالف كل طمع. واستولى أحمد بن الحسن على كثير من خزائن بدر بن عبد الله. وكان استفتاح هيْنَن يوم الخميس خامس شعبان النفيس من السنة المذكورة. ثم تعقبه مواجهة الشيخ بدر المسمى بالسلطان، وزال ذلك الاسم عنه والعدوان.

وفي أول شهر رمضان قصد محمد بن الإمام ومن في البيضاء إلى بلاد الشيخ علي الهيثمي على جهة المغزى له والمسرى، فواقعوا بلاده بغتة وعلى حين غفلة، فانتهبوا ما ظفروا به، وقتل منهم جماعة يقال: قدر ستة أنفار، وقتل من العسكر مثلهم، وهرب الهيثمي إلى بلاد الفضلي. وسبب هذا المغزى أن الشيخ «١٧٦أ» المذكور كان من جملة من قطع الطريق، وأفسد فيها بالتمحيق.

وفي هذه السنة أمر الإمام بضربة جديدة، وأصغر[1] البقش، كل بقشة من الصغار تأتي قدر ثلثي بقشة من الضربة الأولة، وعمل من جملتها بقشة واحدة عن خمس بقش، وهي بالوزن قدر ثلاث من البقش الأولة، فازداد بسبب هذه الضربة صرف القروش، بلغ القرش يومئذ إلى مائة بقشة، ثم لما كبرت بلغ إلى ثلاثة أحرف وفوق وقلَّت القروش، ثم تعقبه أحمد بن الحسن من بعد هذه المدة وضرب ضربة مخالفة، وفي الظاهر زائفة، فإنها عند ظهور أولها طرحها القبائل والمتسببون، وقالوا: لا يبيع ولا يشتري بهذه القَشَاقِش[2] إلا المغبون، والسبب أن كل بقشة كانت من ضربة الإمام نصف بقشة، وهو حسبها بقشة كاملة، فحصل هذا الاشتجار حال ظهورها، ثم أن أحمد بن الحسن جد على الناس في قبولها، وعدم ردها، فسلكت واحتملت، باختلاطها بما تحملها وتداخلت.

(المقحفي: معجم البلدان، ص٧٢٨).

(١) أصغر البقش: أي جعلها أصغر من البقش السابقة حجماً ووزناً.

(٢) القشاقش: استخدمها المؤلف للدلالة على ضعف العملة وتدهورها. ولازالت هذه الكلمة مستخدمة إلى الآن.

«١٧٦ب» وفي هذه الأيام أرسل أحمد بن الحسن (إلى)[1] الإمام بالسلطان بدر بن عبد الله الكثيري صاحب حضرموت، فوصل إلى حضرة الإمام، واستبقاه عنده مدة من الزمان ثم زلجه إلى بلاده، ومات في جهاته، كما سيأتي تاريخه إن شاء الله تعالى، ثم تعقبه وصول أحمد بن الحسن، كما سيأتي ذكره.

وفي آخر شهر رمضان منها غزا السيد شرف الدين بن مطهر الشيخ علي الهيثمي، فوقع طرف قتال، وهرب الهيثمي.

وفي شوال كثرت الجراد وانتشرت في الآفاق، وكان ظهورها من البلاد التهامية.

وفيها جهز الإمام ولده علي بن أمير المؤمنين إلى الحج إلى بيت الله الحرام، فقضى الفريضة وعاد.

وفي هذا الشهر وصل الشيخ الهيثمي، والقرعة، والفضلي، فأكرمهم الإمام وأعطاهم، وعادوا بلادهم.

وفيها وصل إلى الإمام شريف هندي له اتصال وقرب من سلطان الهند، فأودعه الإمام رسالة[2] وهدية يسيرة وسار بها إلى السلطان، وهذا السيد يسمى محمد بن إبراهيم. ومن جملتها: تفسير الحاكم[3] المعتزلي المعروف بـ(التهذيب) وفيه ردود على أهل السنة، وإلزامهم بالجبر. أراد المتوكل أن سلطان الهند يرجع إليه، ويكون حجة عليه، فأرسل سلطان الهند في مقابله هدية (تفسير مفاتح الغيب) للإمام الرازي، لأن فيه الردود على المعتزلة وإلزامهم بالموافقة في المعنى.

وفي آخر ذي القعدة الحرام وصل أحمد بن الحسن «١٧٧أ» إلى البيضاء واستقر بها بقية الشهر.

---

(١) تم إضافتها ليستقيم المعنى.

(٢) ورد نص الرسالة في(الجرموزي: تحفة الأسماع، ق٢٧٢ب-٢٧٣ب).

(٣) هو الحاكم الجشمي. المحسن بن محمد بن كرامة (٤١٣-٤٩٤هـ/ ١٠٢٢-١١٠١م). مفسر، عالم بالأصول والكلام، حنفي ثم معتزلي فزيدي. له ٤٢كتاباً منها: (التهذيب) في تفسير القران. (الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٧٦-١٧٧).

وبلغت الجراد إلى حضرموت واليمن الأسفل، وعادت إلى اليمن الأعلى في آخر شهر القعدة، فأكلت بعض الزراعة، وارتفع السعر لأجل ذلك. وارتفعت الأسعار ببلاد صَبْيَا[١]، وبتلك الجهات القصيا لأجل الدبى، الذي انبعث هنالك من الجراد في ذلك المنحى.

وحصل مع الذين جاءوا مع أحمد بن الحسن الضرر الشديد في الطريق،كثرة ما نالهم من التعويق؛ لأنه خرج من الطريق الشرقية طريق شَبْوَة[٢]، وهي مقاطع، فهلك من أصحابه كثير من السَّمُوم، وماتوا وأكلتهم السباع، ولم يُدفنوا، وأكثرهم من التوابع والخدم.

وفي آخر هذا الشهر خَرَّ نجمان عظيمان في بلاد شَرْعَب[٣] من اليمن الأسفل بلدة يقال لها: (الخُشب)، فأحرقا من فيها. ويقال: إنه سُمع صوت ذلك إلى بلاد عُتمة، وكان بعض أهلها في زرائعهم خارج البلد، فسَلِموا، لكنه حدث في بعض أهلها ثقل السمع وصُمُّوا. نسأل الله السلامة والجهالة. ويقال: أنهم أحرقوا شيئاً من الدبى والجراد بالنار، وكان سقوط النجمين «١٧٧ب» ضحوة النهار.

وجاء خبر آخر أن في بعض جهات حُبَيْش[٤] لما أكلت الجراد المرعى، رعته بعدها غنم لأهلها، فهلكت منه.

وفيها جاء خبر أن رجلاً في بعض جهات الهند من بلاد اللوتيا من الباطنية[٥] ادعى النبوة، فأرسل عليه سلطان الإسلام، فأحرق جميع كتبه في تلك الأيام، وقتل من أهل

---

(١) صَبْيَا: مدينة من مدن منطقة جازان. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ج١، ص٦٨١).

(٢) شَبْوَة: مدينة تاريخية، تقع إلى الجنوب الغربي من شبام حضرموت.

(٣) شَرْعَب: ناحية معروفة من أعمال تعز إلى الشمال الغربي منها، على بعد ٤٠ كيلو متراً. وتشمل عدداً من العزل. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٤٥٠؛ الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص٤٩).

(٤) حُبَيْش: ناحية معروفة من أعمال إب. تقع في الشمال الغربي منها، مركزها ظَلْمة، وهي ناحية واسعة فيها عدد من العزل، في كل عزلة عدد من القرى. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص٥٠).

(٥) الباطنية أحد القاب فرقة الإسماعيلية، وهي فرقة من غُلاة الشيعة، ولزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً. ولكل تنزيل تأويلاً. (الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٩٢).

جهته من قتل منهم، لما كان أرادوا صدهم، حتى جاء الباقون إلى ولد السلطان يتشفعون به، فشفعه فيهم.

وحصل اختلاف في الهند بين أولاد السلطان، لمَّا اعترى والدهم ألم طال به كثير من الأيام.

ولما مر الفقيه عبد الله الجملولي بلاد البسوط[1] حال رجوعه من حضرموت تأخر ببلاد البسوط، ونعمان[2]، وقاد مشائخهم في الزناجير الحديد، وأذاقهم الامتحان والتهديد؛ لأنهم ممن كان قطع الطريق للقوافل تلك الأيام، ومنعوها عن النفوذ ضرراً للإسلام. وهذه البلاد ما بين بلاد العولقي والواحدي، وصلحت الجهات الشرقية، ولم يبق تغيير «١٧٨أ» فيها بالكلية. واجتمعت الأجناد الراجعة من تلك الآفاق بالبيضاء، وساروا عنها يؤمون قصد المولى، فوصلوا إلى ضوران جميعاً وفيهم السادة والأعيان، والمشائخ وسائر الأعوان. ودخلوا في مدخل عظيم، وملقى فخيم، وأبهة ملوكية، وحالة سلطانية، ثم بعد ذلك تفرقوا، واشتتوا، وسار كل منهم يؤم بلاده وجهاته.

وفيها اشتهر رجل استخف عقول الناس، بالخديعة والإلباس بأنه يعرف بإكسيد الفضة[3] وتراب المعدن من جهات لاعة من بيت الناشري. وكان المذكور سارقاً، مارداً مشهوراً، وقد حبسه الأمير ناصر[4] مدة من الزمان، فلما ظهر أمر المذكور، وما موَّه من الصناعة، لهذه البضاعة، اشتاق إليه كل أحد، وتاق إليه كل فرد. وزاد في تصديقهم لذلك أنه كان يفعل من التراب سبيكة ويريهم إياها فضة، ولم يعلموا بحيلته، «١٧٨ب» ولم يفطنوا بدهايته، حتى اسْتَغَرَّ به الكبار، وطلبوه إليهم للاستبصار،

---

(١) لم أجده في ما بين يدي من مصادر.

(٢) نعمان: واد من أهم أودية منطقة بلاد العواذل التي تقع في الشرق من البيضاء. (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص٣١).

(٣) إكسيد الفضة: هو ما يلقى على الفضة فيحوله إلى ذهب خالص. وذلك من خرافات أصحاب الكيمياء القديمة. (جبران مسعود: الرائد، ج١، ص٢١٢).

(٤) هو الأمير ناصر بن عبد الرب بن علي بن الإمام شرف الدين.

والعمل والاختبار، فعمل من ذلك، وموَّه عليهم بها هنالك، فظنوه كما قال، وكثرت في وصفه الأقوال، حتى انتهى أمره إلى الإمام، وطلبه إلى صنعاء بعد وصوله إليها تلك الأيام، فأراه التراب وقال: هذا الذي نصنع منه الفضة، ونعمل به هذه الصنعة، ففرَّغ له الإمام منظرة في القصر خالية، وقال: افعل لنا صفة من الفضة غالية، ففعل ذلك وأراهم، وقال لهم: هذا عملنا وأتاهم، فقالوا جميعاً: ما هذه إلا فضة بلا شك، وما الرجل إلا حكيم قد أدرك صنعة السبك، فكساه الإمام كسوة سنية، وأعطاه فرجية[1]، وبغلة فارهة عطية، وزجَّه حيث شاء من البرية، بعد أن أمره بالصنعة والمشاركة في هذه الفضة، فسار ذلك، «١٧٩أ» الرجل وقد استدان من الناس، ووعدهم بالقضاء لهم مما يصنعه من الألباس، فاغتر به كثير، من الكبير والصغير، والعامي والأمير، ثم توارى وهرب، لا يُدرى أين ذهب. وبيان حيلته التي موَّه بها، وصنعته التي غرَّ أهلها: أنه أخذ تراباً من بعض الجبال كثانياً وخلط بينه بردة فضة، فكان يسكب منه في البوطا[2]، ويكير عليه بالكير والغطاء، فيخرج من الفضة القدر الذي وضع عليه لا غير. هذه خديعته، كل ذلك للمعيشة وزاد الغرر مع المغترين السَّماع المشهور، بأن في سَارع[3] معدن محفور، فظنوا أنه من جهته، وأنه أحكم صناعته؛ لأن هذه المعادن في اليمن مشهورة لكن صنعتها لا تكون إلا بوضع إكسيره. وكانت الأكاسير مع ملوك حمير معروفة ومخزونة[4]، وكانوا يعملون منها، ويتقوون في الملك بها، وقد عُد في اليمن ما بين بيشة[5] وعدن قدر خمسة «١٧٩ب» وعشرين معدناً، من جملتها المعدن بجبل عَيْشان[6]، ونِهْم، وبَيْنون[7]، وخَوْلان وغيرها. ورفع الله العلم بصنعتها لحكمة

---

(١) فرجية: نوع من الثياب.

(٢) البوطة: الوعاء الذي يذاب فيه المعدن. (جبران مسعود: الرائد، ج١، ص٣٤٢).

(٣) سَارع: بلاد مشهورة من أعمال المحويت. تقع في الشمال الغربي من شبام كوكبان. (المقحفي: معجم البلدان، ص٣٠٨).

(٤) كُتب في الحاشية بخط مختلف عن خط المؤلف مايلي: (الظاهر أنها تكون بإجراء غير الإكسيد، يستنزل بها ذلك، فتجري الفضة في التراب على ما هو مشهور عند أهل الصناعة. والله أعلم. حفيد ابن المؤلف. رحم الله الجميع برحمته.)

(٥) بيشة: واد عسير يسيل في ناحية نجد شرقاً. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص١٣٣).

(٦) جبل عَيْشان: يقع في الشمال الشرقي من شهارة على مقربة من قفلة عذر. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٦١٩).

(٧) بَيْنون: مدينة أثرية قديمة، تقع في عزلة ثوبان من ناحية الحدا. تبعد عن ذمار بحوالي ٥٤ كيلو متراً. كانت من المدن الحميرية المشهورة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص١٣٥؛ الموسوعة اليمنية، ج١، ص١٩٤).

يعلمها؛ لأن المعادن إذا كثرت قل النفع بها، وعِزَّة الأشياء من نفاستها وتمام مصلحتها. وما فطن بحيلته هذه إلا بعض الحُذَّاق، ومن هم في الفراسة مُرَّاق، والله أعلم.

وفي هذا الشهر جاء الخبر أن أبا غريب أحد رسل الإمام، في الكتب والإعلام، ونفراً كان معه خرجوا بحمولة من حضرموت، وكانت طريقهم شَبْوَة يريدون لحوق أحمد بن الحسن عند خروجه، فانتُهِبوا في الطريق، وجرى عليهم التعويق، وقُتلوا.

وفي يوم الأحد سابع شهر ذي الحجة الحرام وصل الإمام إلى صنعاء من بلاد ضُوران، ومن حصن الدامِغ عالي البنيان، وكان وصوله بجماعة من الخيل والرجل قليلة؛ لأجل خروجه من ضُوران على حين غفلة، وجرد بجريدة[1] متصلة منه إلى صنعاء في يوم واحد، فدخل صنعاء وقت «١٨٠أ» العِشاء، والمؤذن في حالة النداء، وخروجه من ضُوران صلاة الفجر، ثم تلاحق الناس في الليل واليوم الثاني.

وفي العشر الآخرة ظهر شأن عجيب للسيد علي الجلال[2] من سادة بلاد صعدة من آل يحيى بن يحيى الهدوي، وهو أنه يضع شيئاً في يده ثم يفتحها ولا يرى فيها شيئاً البتة، وادعى أنه يعرف بالخبايا والسرقات، وعجائب أخر كثيرة محرقات ومختلفات، مع أن حالته غير حالة الصلحاء، بل من جملة الخُلعاء. وقد رُوي أنه يترك الصلاة، نحيف الجسم، يمدح تارة مع المادحين بالأسواق، وتارة يطلب من الولاة الأرزاق. وحبسه الإمام بكَمَران[3]، فخرج على ظهر الماء سائراً وماشياً إلى البرية بمرأى العيان، فمن قائل يقول: ساحر، ومن قائل يقول: مخدوم. وحال كتابة الأحرف «١٨٠أ» و[4] دخل المشرق، وما عرف منتهاه في ذلك الأفق.

وفي هذا الشهر خطب القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري بمنبر جامع صنعاء

---

(١) جريدة: الجَريدة: جماعة من الخيل إذا لم ينهض معهم راجلاً. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٤٣٤).

(٢) لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

(٣) كَمَران: جزيرة من الجزر اليمنية في البحر الأحمر، تقع مقابل الحديدة على بعد نحو خمسة أميال غرباً. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص١٨٧؛ الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٧٨٩).

(٤) الواو زائدة.

اليمن للجمعة، ولم يخطب فيه قبل هذا، فطوَّل الخطبة كما هو العادة عنده، وحذف ذكر الصحابة رضي الله عنهم وترك ما كان يذكره الخطباء في صنعاء قبله، وحذف أيضاً ذكر محمد بن الحسن مع حضوره، كما كان يذكره آل السحولي، وابتدأ ذكر اسم زيد بن علي في الخطبة، ولم يذكره أحد قبله. ولمَّا سار مع الإمام شهارة أعاد ذكر الصحابة خطيب صنعاء القاضي حسين السحولي في جميع مدته. ثم لمَّا توفي وصارت الخطابة إلى ابن أخيه محمد بن إبراهيم[1] ذكر الصحابة في ابتداء أمره ثم حذفهم في جميع مدته، وغيره من آل السحولي إذا خطبوا ذكروهم دونه.

وفي ذي الحجة ارتفع السعر، بلغ قدح البر إلى تسعين بقشة، والجراد ترددت باليمن، والأمطار قلت، إلا أن السعر تراجع إلى دون ذلك «١٨١أ» بمدة قريبة.

وجاء الخبر مع الواصلين من حضرموت أن صاحب عُمان جهز جماعة من عسكره إلى بلاد ظفار، باستدعاء جعفر بن عبدالله الكثيري لهم.

وفيها أو التي بعدها عرض رجل جملاً له للبيع، فهو في ذلك ساهياً إذ التقمه الجمل من فمه، وعضَّه عضَّة شديدة، وخبط به الأرض، فهلك من ساعته.

وفي هذه السنة شرع رجل من المتسببين[2] يقال له مقريش في عمارة سمسرة عظيمة كبيرة في بلدة غَشْم في بلاد الأشمور[3] للمسافرين، فتمت السمسرة بالعقود، والقضاض، والباب الكبير تدخلها الجمال والأحمال. ولم يكن من قبل سمسرة. وهذه الطريق لا تزال فيما بين صنعاء وحجَّة إلى سوق حَوْرة[4]. واستعان من الناس في ذلك، فأعانوه بما تيسر لهم، وكان الثواب للمذكور.

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن يحيى بن محمد بن صلاح الشجري السحولي ثم الصنعاني. أحد العلماء المبرزين، والأدباء المجيدين. أخذ العلم عن والده وغيره، وأخذ عنه جماعة من أكابر العلماء. كان خطيباً بجامع صنعاء ثم صار خطيباً برداع. ثم ولاه الإمام محمد بن أحمد (صاحب المواهب) الخطابة بالخضراء التي اختطها. توفي سنة ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م. (الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص٩٦-٩٧؛ المحبي: نفحة الريحانة، جـ٣، ص٤٤٤).

(٢) المتسبب: هو من يعمل ليحصل على الرزق كما سبق ذكره ولعله يقصد به هنا من يشتغل بالتجارة.

(٣) الأشمور: ناحية مشهورة في الغرب الشمالي من صنعاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٦٢٤).

(٤) حَوْرة: سوق مشهور في حجة.

ودخلت سنة إحدى وسبعين وألف[1]

جاء الخبر مع الحاج أن الشريف زيد بن محسن اصطلح هو وأحمد بن الحارث صاحب اليمامة ونجد، وترك المخالفة، وآثر جانب المؤالفة، بعد أن خالف عليه كما سبق. لكن العراقي لم يحج هذا العام للخوف في الطريق، وعدم انتظام الحالة وخشية التعويق.

وفي هذه السنة وصل السيد محمد بن إبراهيم[2] الهندي الذي كان عبر اليمن عقب حجه، ووافق الإمام، وأصحبه هدية كما سبق ذكره. وجملة هدية «١٨١ب» الإمام: كتاب الحاكم: (التهذيب) في التفسير، وسيف وحصانين عظيمين. قالوا: لمَّا وصلت الهدية إلى السلطان الهندي تحاقرها وعجب منها، فاعتذر السيد محمد بن إبراهيم، وبسط له، وهو من أصدقاء السلطان، ومن المقربين عنده في الديوان. وأرسل إلى الإمام بهدية عظيمة، فاخرة، ملائمة وهي: قدر عشرين من البراذين[3] لها صورة عجيبة ملونة بالسواد والبياض، لايوجد مثلها في هذه البلاد، وأرسل معها بغيرها من الحاصل لكن خفي العلم بقدرها وكميتها. وأرسل أيضاً صحبته بهدية للحرمين الشريفين، وخرج بجميع ذلك المذكور، وعارضه المرض في الطريق بعد خروجه من المخا، فوصل إلى يريم وتوفي هنالك، فأرسل الإمام من عنده الشيخ العلامة عبدالرحيم اللاهوري[4] وغيره لافتقاد[5] ذلك، فافتقدوه جملة لاعن تفصيل، وتدرّك به الآغا

---

(١) ١٠٧١هـ = ١٦٦٠م.

(٢) يذكر الأستاذ عبدالله الحبشي في هامش النور المشرق، ص٢٠. بأنه إبراهيم بن صالح الهندي الشاعر، وأنه توفي سنة ١١٠١هـ. على الرغم من أن حنش قد ذكر في متن الكتاب أنه توفي في يريم في نفس العام الذي قدم فيه إلى اليمن سنة ١٠٦٦هـ. وهو نفس ماذكره مؤرخنا في هذه المخطوطة، لذلك فإن محمد بن إبراهيم الهندي هو شخص آخر غير إبراهيم الهندي الشاعر المشهور، الذي ذكره الحبشي.

(٣) البراذين: مفردها برذون والأنثى: برذونة. وهو الفرس الذي أبواه أعجميان، وهو كعموم الخيل. ويذكر ابن منظور أنها الفرس التي بها لمع بياض وغيره أي لون كان. (الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ١، ص١٠٩-١١٠؛ ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص١٩٤).

(٤) ترجم له المؤرخ عند وفاته ترجمة مطولة. (ق١٩٠أ-١٩١ب) من هذه المخطوطة.

(٥) الإفتقاد: بمعنى الاهتمام بالشيء وهي من اللهجة العامية.

الطواشي[1] الذي مع حريم السيد المزبور وطلع إلى صنعاء بذلك، وقبض الإمام «ق١٨٢أ» هدية الحرمين، فبقت عند الإمام، حتى وصل لها رسول صاحب الهند السلطان، وأمره بقبضها وتبليغها إلى الحرم، ففعل الإمام، وأعطاه ما رسم عند خروجه بعد هذا العام.

وفي هذه المدة جاء الخبر بأنه كان في الهند اختلاف، وعدم ائتلاف بين أولاد السلطان -وهم ثلاثة- عقب موت والدهم، واستقل بالأمر الأوسط منهم[2]، وقتل أحدهم، وحبس الثالث. هكذا روى، والله أعلم بالحقيقة.

وفيها اعترض السيد العلامة أحمد بن علي الشامي الإمام، في شأن إهدار الدماء في مدة الأروام[3]، وعدم سماع الدعوى فيها لمن رام، فيما يحصل من التعدي والخصومات بين القبائل تلك الأيام. وقال السيد: لاوجه لإسقاطها، ولم يقل به أحد من علماء الشريعة المقتدى بها. وقد سبقه بالاعتراض في ذلك القاضي عبدالقادر المحيرسي كما سبق ذكره، فأجاد السيد وأفاد، وبيَّن فيه من فيض علمه كل مراد. فقال مالفظه:

اعلم أرشدنا الله وإياك، أنه قد صار يتعاطى بعض علماء العصر التَّجاري «ق١٨٢ب» بالتكفير والتفسيق، والفتاوى بإهدار الدماء، وهو ظاهر البطلان؛ لأن دار الحرب[4] حيث فُرضت، وقيل بها في البلاد التي ولايتها لأهل الجبر والتشبيه، إنما هي دارُ إباحة فيما بين الكفار، وأما بين المسلمين فلا وجه لإهدار الدماء التي حرَّمها الله،

---

(١) الطواشي: لقب عام للخصيان من الغلمان. (د.حسن باشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ، ص٣٨٢).

(٢) السلطان الذي استقل بالأمر هو السلطان (أورنكزيب عالمكير ابن السلطان شاهجان) خاض أورنكزيب حرباً أهليه مع إخوته كما قضى على ثورات الأمراء الهندوك حتى استتب له الأمر، وجلس على عرش الدولة المغولية عام ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م. ويعتبر عهده من أهم عهود التاريخ الهندي، ففيه وصلت الإمبراطورية المغولية إلى أقصى اتساعها وإلى ذروة قوتها ومجدها. توفي سنة ١١١٨هـ/ ١٧٠٧م. (جمال الدين الشيال: تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، ص١٥٠-١٥٢؛ محمد مرسى أبو الليل: الهند تاريخها وتقاليدها وجغرافيتها، ص١٤٩-١٥٣).

(٣) أي خلال الوجود العثماني في اليمن.

(٤) للمزيد عن ذلك، والخلاف حول تحديد ماهي (دار الحرب) أنظر د.حسين العمري: الشوكاني رائد عصره، ص٣١٢-٣١٣).

وأكَّد تحريمها، وأجمع أئمة الآل وشيعتهم على ذلك، حتى قال: وكذلك القول بسقوط القصاص فيها إنما يتجه على قول من يجعله حَداً، وذلك غير معمول به عند من تقدم ذكره، والرواية الصحيحة عند أبي طالب للقول بثبوته كما في (التذكرة) وغيرها، ثم قال: ولو فُرِضَ صحة النقل عن أبي طالب فهو مسبوق بإجماع سلفه، كيف والأدلة القرآنية، والسنة النبوية قاضية بثبوته نحو قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾[1] ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[2] ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ﴾[3] ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ﴾[4] وقوله: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[5] وقوله ﷺ: [من قُتِلَ له قَتيل فأهله بين خِيْرَتَيْن] أو كما قال[6] والمصير إليه في الدار المفروضة لايعتمد عليه، ولا يلتفت إليه مع ما ذكرتم «١٨٣أ»، ثم قال: وأما لو قال إن المسلمين يَكفُرون بإقامتهم في تلك الدار، فهذا أبعد، ونَفْيُه أحق وأرشد، لقيام الأدلة الواضحة في ثبوت الإسلام في دار الكفر. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ في آخر الأنفال[7]. ولإجماع السلف والخلف من أهل الحلِّ والعَقْد، وغيرهم على صحة إسلام من أسلم في مكة قبل مهاجرته ﷺ من النساء، والرجال: كأبي بكر وغيره، وإسلام أهل البَيْعَتَيْن[8] وغيرهم ممن وفد إلى رسول الله ﷺ مع كونهم في بلاد الشِّرك.

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٨ والآية: ﴿ياأيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأُنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٧٩ وتمامها: ﴿يَاأُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٩٤ والآية: ﴿الشَّهْرُ الحَرُام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٦ وتمامها: ﴿بمثل ماعوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾.

(٥) سورة المائدة، آية: ٤٥ والآية: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾.

(٦) ورد الحديث في سنن أبي داود: (ألا إنكم يامعشر خزاعة قتلتم هذا القتيل من هذيل وإني عاقله، فمن قُتل له بعد مقالتي هذه قتيل فأهله بين خيرتين: بين أن يأخذوا العقل أو يقتلوا). وانظر. سنن الترمذي، جـ٤ ديات، ص٢١.

(٧) آية: ٧٢ وتمامها: (حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير).

(٨) المقصود بذلك: بيعة العقبة وبيعة الرضوان.

وأما تكفير القاعد مع الخائض، فالسبب أن ذلك القاعد كافر بالأصالة؛ لأنهم من أهل النفاق، ويدل عليه قوله تعالى في سورة النساء بعد قوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ..﴾﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[1] ثم قال: وقوله في آية الأنعام: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[2]. ثم قال: وفي القعود المنهي عنه ما عرف من الخلاف مع أن كُفرَ من وقف مع «ق١٨٣ب» الخائض إنما هو حيثُ رضي بالكُفْرِ بما عَلِمَه مما يؤدي إليه، ويقضي على قائله به، بدليل قوله: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾[3] ومن لم يُعلم منه الرضا، فالإقدام على تكفيره هجوم، وإقدام على ما لاينبغي لذي لُبٍّ وحَذَر، فكيف بمن كان من أهل العلم والنظر؛ لأن التَّكفيْر والتَفْسيق إنما هو بالأدلة القاطعة، كما لا يخفى ذلك بدليل قوله تعالى ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾[النحل:١٠٦] مع مافي هذا القول من المفاسد، فإنها لو امتدَّت يد إمام زمان على أقطار كثيرة صاروا مسلمين، فإذا كانت الكَرَّة بعد ذلك لأهل العدوان لَزِم أن يكونوا مُرتَدِّين علماؤهم وجهالهم، ولزم عدم صحة أنكحتهم ومواريثهم. وفي هذا ما يكفي، ويصد عن الميل إليه، والتعويل في محل ذلك عليه، مع أن مسألة التكفير فيها (من)[4] الخلاف والاختلاف ما لا يخفى على ذوي الأبصار في التكفير بالإلزام، والتكفير به لا يليق، ولا يقوم «ق١٨٤أ» به حجة؛ لأن التكفير إنما هو بالأدلة القاطعة كما سبق ذكره. وللإمام شرف الدين كلام حسن في مثل هذا الشأن. انتهى كلام السيد.

وأجاب الإمام عليه بجواب هو بمحل النزاع، والرد وعدم الاتباع؛ لأنه جاء في ذلك بأحكام كفار التصريح[5]، والمحاربين من المشركين ومن معتقده غير صحيح، وفي

---

(١) آية: ١٤٠ والآية: ﴿وقد نزل عليكم في الكتب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾.

(٢) آية: ٦٩ وتمامها: ﴿ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾.

(٣) سورة النحل، آية:١٠٦.

(٤) أضفنا: (من) ليستقم المعنى.

(٥) كفر التصريح: هو الكفر القائم على الفعل والذي يصدر عن تعمد، ويكون الاستهزاء صريحاً بالدين.

الإسلام كفر صريح، وهذا واد آخر، وقوله عن محل النـزاع شـاغر، فاستدل بالآيـات الواردة فيهم، وبما قاله العلماء من أحكامهم، وهي لم تكن داخلة في إيـراد السيد أحمـد المذكور، ولا مقصودة على كل الوجوه والأمور. وأشـار السيد إلى قـول الإمـام شرف الدين، فإنه لايكفر بالإلزام للمتأولين. والعجب من الإمام[1]، مع أنه من أهـل العلـم التام، كيف قال في جواب السيد قوله، وللإمام شرف الدين كلام حسن،فقال الإمـام: الإمام شرف الدين مصرح بإثبات كفر التأويل، وإثبات دار الكفر وأحكـامهما في كتبـه غير مخالف في ذلك، قـال في (الأثـمار) وشرحـه: «ق١٨٤ب» ولا قِـصَاص فيهـا، ولا تـأرش غالبـاً، أي ولا يجـب القِـصَاص، ولا الأَرش في الجنايـات إذا وقعـت في دار الحرب، أو وقعت الجنايات فيما بين الكفار، وفيما بيـنهم وفـيما بـين المـسلمين، وقولـه: غالباً، احتراز من أن تكون جناية المسلمين في دار الحرب، فإنه يثبت التـأرش بيـنهم إلى آخره. فهذا قَلْبٌ؛ لأن كلام الإمـام شرف الـدين في كفـر التـصريح لا التأويـل، فإنـه لايقول به أصلاً كـما في (الأثـمار) وشروحهـا في غـير هـذا الموضـع، وكـما في رسـائله المشهورة، فالعجب من تغافل الإمام في هذا، ومغالطته.

وفي شهر محرم منها منع الإمام أهل الذمة من عصير الخمر في بيوتهم، وأرسـل مـن كسر آنيتهم.

ولما وصل مشائخ المشرق مع الجملولي حال رجوعه مـن حـضرموت كـما ذكرنـاه، أرسل الإمام بالشيخ علي الهيثمي صاحب دَثِيْنَة إلى حصن كوكبان، فحُبِس فيه؛ لأجـل إساءته ونكثه بمحق الطريق، وقطع القوافل عن المرور والتعويق، وأمـا سـائر مـشائخ الشرق فأخذ منهم العهود «ق١٨٥أ» الوثيقـة في الطاعـة، وعـدم التعـرض في الطـرق بالمحق والإفساد،والاستمرار على الانقياد، والتسليم للواجبات وعدم العنـاد، ثـم أذن لهم بالعَزْم إلى البلاد وهم: ابن عبدالواحد، والعولقي.

(١) المقصود به الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم.

وسقط في صنعاء هذا العام ثلج رقيق ظهر على الأشجار.

وفي صفرها نظم الإمام ولاية بلاد آنس وضُوران إلى ولده عز الإسلام[1]، فسار إليها من صنعاء، واستقر فيها.

وفيها عزل باشا الحبشة، وخرج دويلة.

وجاءت أخبار أن بين الشاه عباس الثاني بن حسين بن شاه عباس[2] فتنة في بلاد لاهجان من بلاد العجم. حكى قطب الدين الحنفي[3] في بعض تواريخه: أنه كان بلاهجان زيدية في رأس المائة التاسعة، لكنه روى لي بعض من سألته من العجم: أن هذه المدة قد صارت تلك البلاد إمامية إثنى عشريه، وزال عنها مذهب الزيدية، وهذا الراوي محمد صالح[4] الرافضي الذي سكن صنعاء قال: وأصله من بلاد الجيل[5]. وقال غيره من الرافضة لما سألته، وكان حاجاً عاد من مكة فقال: بقي فيه زيدية ناصرية[6]، وإسماعيلية[7] يعني من الباطنية. ولعله يجمع بين الروايتين: أنه لم يبق

(١) هو محمد بن الإمام إسماعيل وعز الإسلام لقب من اسمه (محمد) وقد سبق ذكره.

(٢) هو الشاه عباس الثاني ابن الشاه صفي بن صفي ميرزا بن الشاه عباس الكبير. وقد سبق ذكره.

(٣) هو قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد النهروالي الهندي الحنفي. (٩١٧-٩٩٠هـ/ ١٥١١-١٥٨٢م) كان بارعاً متفنناً في الفقه والتفسير وعلوم العربية، ونظم الشعر من مؤلفاته: (البرق اليماني في الفتح العثماني) عُنى فيه بتاريخ اليمن منذ القرن العاشر الهجري، وتاريخ فتح العثمانيين لها وأهداه إلى الوزير سنان باشا. وله أيضاً: (طبقات الحنفية). (الخفاجي: ريحانة الألبا، جـ١، هامش ص٤٠٧؛ العيدروس: النور السافر، ص٣٨٣ وما بعدها).

(٤) هو محمد بن صالح الجيلاني الفارسي ثم اليمني. (ت١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م) نشأ ببلاد فارس. برع في الطب. توجه للحج من الهند، فانكسر المركب، وخرج بنفسه، ثم ركب البحر يريد العودة إلى الهند فعلم به الإمام المتوكل إسماعيل أثناء توقفه بساحل اليمن فاستدعاه وأحسن إليه، ورغّبه في سكن اليمن. (الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص١٧٤).

(٥) يذكر ياقوت الحموي بأن الجيل هم أهل جيلان. وجيلان إقليم فارسي يقع في الجنوب الغربي لبحر قزوين. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجـ٢، ص٢٠٢؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مجـ١، ص٦٦٧).

(٦) الزيدية الناصرية: نسبة إلى الإمام الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو محمد الناصر الأطروش (٢٣٠-٣٠٤هـ/ ٨٤٤-٩١٦م) هو إمام الزيدية إليه تُنسب الناصرية من الزيدية. أقام بأرض (الديلم) أربع عشرة سنة، ثم دخل (طبرستان) سنة ٣٠١هـ فملكها ثلاث سنوات. وتلقب بالناصر للحق. توفي وهو سيد على (آمل). (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، جـ١، ص٣٦٣).

(٧) الإسماعيلية: إحدى فرق الشيعة، وقد امتازت عن الموسوية وعن الإثنى عشرية بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر الصادق بعد أبيه. وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في بدء الأمر. وأشهر ألقابهم الباطنية وقد سبق ذكرها. (الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص١٩١).

هناك زيدية ممن تظهر له شوكة، ومذهب ظاهر، بل يتسترون بالإمامية. روى لي بعض أهل السنة: أنه لم يبق في تلك البلاد الآن زيدية أصلاً، ولا أهل سنة، بل قد صاروا رافضة؛ لأجل قهر الشاه لهم، وإظهار شعار مذهبه فيهم. ومن سنَّة الإمامية الرافضة أنهم لايرون المصافحة سُنَّة، بل إذا وافقوا أحد جلسوا من غير مصافحة، ويرى على أخلاقهم ظلمة، وكسوف خلقه، وسوء خلق، وأهل السنة بالعكس من ذلك.

وفي النصف الآخر من شهر ربيع الأول توفي القاضي العلامة إبراهيم بن الحسن «ق١٨٥ب» العيزري الأهنومي بمدينة صنعاء. وكان المذكور ملازماً للإمام، وعليه القضاء وفصل الأحكام، وما ينضم إلى ذلك من كتب الإنشاء، وحسن القصد منه الأسنى، وكان أيضاً الخطيب، والمعتمد في التقريب. وقبر بمقبرة خزيمة غربي صنعاء

وفي العشر الوسطى من جمادى الأولى توفي القاضي العلامة أحمد بن علي بن قاسم العنسي ثم العياني البرطي، قاضي برط، الساكن فيها، وإليه زكاتها، كان له معرفة بالفقه، وعلم الكلام بعد والده، وكان استقراره ووالده بمدينة عِيَان، ثم لَّما خربت ذلك الأوان انتقلوا إلى برط، فاستقروا فيه، وصار إليهم زكاة قبائله باختيارهم، وصرفهم لها فيهم، وأجراهم[1] على ذلك الإمام المؤيد بالله وقال: ليس على القضاة إلا ما فضل عنهم وكفاهم، واستمر ذلك كذلك، «ق١٨٦أ» والله أعلم. وكانت وفاة المذكور ببير العزب غربي صنعاء، وقبر بخزيمة لَّما كان وصل إلى صنعاء حضرة الإمام بقبائل برط، لإرادة الطلب والمدد، فلما وصل كذلك، مرض ومات هنالك.

وفي هذه السنة مات القاضي صلاح الفلكي، قاضي جِبْلَةَ[2].

وفي العشر الوسطى من الشهر المذكور سار الإمام إلى بلاد شهارة، فخرج من صنعاء على غفلة ثم تبعه الناس إرسالاً، ودخل السُّودة أول الليل، ثم دخل أولاده بالعسكر بعده في النهار، وحصل عند الملقى ما حصل من الارتجام، والنزاع والخصام،

(١) أي أبقاهم وقررهم.

(٢) جِبْلَة: مدينة مشهورة في الجنوب الغربي من (إبّ) بمسافة سبعة كيلومترات. (المقحفي: معجم البلدان، ص١٢٢).

على سبب البَرَعْ[1] والمزاحمة بين العسكر وأهل السُّودة في تلك الأيام، فأدب الإمام أهل السُّودة، وأنكر ما فعلوه هم وجنوده.

والجراد هذا العام ظاهرة، وجاء الخبر أنها في الشام الأقصى والحجاز ونواحيه شاهرة، فارتفعت الأسعار، «ق١٨٦ب» وما زالت مرتفعة غالب هذه الأعصار.

وفي شهر جمادى الآخرة مات الفقيه الصالح جميل، أصله من بلاد الظاهر[2] من بلاد الظاهريين كان جندياً مع والده عند أول نشوئه وشبابه، ثم أنه تجرَّد، وانخلع، وتفرَّد، ولبس شعار الدَّرَسة، وسكن بمسجد موسى[3] بالمنْزِلة التي جنبه من مدينة صنعاء، وقرأ في (الأزهار). وكان غزير الدمعة، كثير الخشوع بالسرعة إذا تلى القرآن التالي عنده بصوت شجي، أو ذكر أحد شيئاً من الوعظ وأحوال الآخرة أُغمي عليه وغشي، تكرر منه مراراً كثيرة حتى قد يرشه بالماء من حضره، فمات رحمه الله تعالى، ونفع بالصالحين من عباده، وقبر بخزيمة غربي صنعاء.

وفي هذه السنة حصلت فرقة بين العسكر والأمراء بجهات قاهرة مصر.

وفي شهر جمادي الآخرة حصل تعرض في طريق عدن وحدود بلاد الفضلي، في ذلك النهج العدني الجنوبي، وقُتل هنالك أربعة من العسكر، فأرسل أحمد بن الحسن جماعة عسكر، «ق١٨٧أ» بأدب على ذلك الفعل المنكر.

وفي هذه المدة وقع اختلال في بلاد الفضلي والهيثمي، فسار أحمد بن الحسن بنفسه إلى تلك الجهة.

---

(١) البَرَعْ: رقصات يمنية متعددة ومتنوعة، وتكون في الأفراح وبعض المناسبات الخاصة، ولا يؤديها إلاَّ الرجال بالخناجر مشهورة بالأكف. (الموسوعة اليمنية، جـ١، ص١٥٧).

(٢) الظاهر: تُسيع من أتساع صريم في حاشد، ويشمل مدينة خمر، وفيها مركز ناحية بني صريم. وبيت كُلاب قرية من قرى الظاهر. وهي التي يقصدها المؤرخ بقوله: بلاد الكلبيين. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٦١٦).

(٣) مسجد موسى: من المساجد العامرة في الجهة الشرقية الجنوبية. وكانت هذه الجهة من قبل تُعرف بحارة القطيع. والمشهور أن العامر له هو موسى بن المكين في نحو القرن الثامن الهجري. وقد أصلحه وعمر منارته الإمام المنصور الحسين بن المتوكل قاسم بن الحسين سنة ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م. (الحجري: مساجد صنعاء، ص١٢١).

وفي آخر شهر رمضان جاء الخبر أن جعفر الكثيري اصطلح هو وعمه بدر بن عمر الكثيري على يد المهدي، وواجه وطلب من عمه أن يتوسط له في الأمان من الإمام، والوصول إليه.

وغزا أحمد بن الحسن جبل الفضلي، فلم يشعر إلا بوصول القوم والخيل عليهم تجري، والفضلي عند ذلك هرب.

وفي هذه المدة خرجت بنت سلطان الهند [1] من البحر إلى محروس المخا، ثم سارت براً إلى مكة لفريضة الحج، ومعها من الآلات والخدم والخيام والحشم، والمال الكثير الأعظم، وأعطت صاحب المخا السيد زيد بن علي بن جحاف ما لم يعرفه من العطا، يقال نحو خمسين ألفاً.

وجاء الخبر أن في الهند قحط وغلاء.

وفيها «ق١٨٧ب» ساخ جبل في جهات بني عَشَب [2]، فأخرب قرية تحته، ودفن من مالها كثيراً، ولم يبق من القرية إلا قدر بيتين في طرفها. وكان هذا الجبل يُستخرج منه الرّخام الأحمر، فتعذّر الاستخراج لذلك، بعد دفن الجبل وخرابه هنالك.

وفي شهر شوالها توفي الفقيه العارف علي بن يحيى الخيواني ثم الصنعاني. وكان المذكور مكفوف البصر أعمى، لايهتدي في النهار ولا في الظلمى، وقد بلغ في السن فوق الثمانين، وكان له مشاركة في الفنون، مذاكراً، غير أنه كان مجادلاً مكابراً. وكان له في السِّيَر والفضائل يد طولى، وحفظاً عجيباً، ودرس عليه جماعة في أصول الفقه وغيره. وكان جارودياً، متحاملاً على الصحابة.

وفي العشر الآخرة من شهر شوال توفي السيد العلامة شمس الدين أحمد بن علي

---

(١) هي بنت السلطان قطب شاه. وبلادها تسمى مملكة الدكن. وقد أورد الجرموزي في تحفة الأسماع، ق٢٧٨ب-٢٨٠أ أخبار هذه الملكة بالتفصيل. وكيف ملكت بعد وفاة زوجها عادل شاه. كما أورد أخبار قدومها إلى المخا بتفصيل أكثر.

(٢) بنو عَشَب: من ناحية كحلان تاج الدين وأعمال حجة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٦٠٥).

الشامي، يتصل نسبه بالإمام يحيى بن المحسن بن محفوظ[1] الذي مشهده بساقَيْن «ق١٨٨أ» من بلاد خَوْلان صَعْدة، ولأجله عرف بالشامي. وكان هذا السيد نشوءة وأهله بخَوْلان صنعاء بمَسْوَر[2]، فطلب العلم ورحل إلى المدينة الصنعانية، وقرأ في العلوم الشرعية في مدة الوزير حسن باشا. وكان قراءته على جماعة من العلماء مثل: السيد محمد بن عز الدين المفتي المؤيدي، والقاضي يحيى السحولي[3] وغيرهم من مشائخه، فتخرَّج في العلم، وظهرت فائدته لشدة إقباله، وذكاء قريحته، فأحرز الفنون بكلها، وكفلها بأجمعها، نحواً وبياناً وصرفاً وأصولاً وفروعاً وتفسيراً، ونقل من المختصرات غيباً، ودام مدته على الدرس والتدريس، والإحياء بعلمه الواسع النفيس إلى آخر عمره. وكان عارفاً، محققاً بفن الفرائض وما يتبعه من الضرب والقسمة والمساحة. وكان له همة عالية، ونفس سامية، وأحوال رافعة كما يقول الشاعر:

له همم لا منتهى لكبارها

وهمته الصغرى أجل من الدهر

وجعل له الباشا وظيفة إمامة محراب مسجد الشهيدين[4]، وصيَّر إليه مقابلة بشعوب استغلال غلات بئر الشهيدين، فبقت في يده حتى مات رحمه الله، ثم قبضها ناظر الوقف. «ق١٨٨ب» واتفق مع الأسباب الموجبة لخروجه من صنعاء، وتركه لوظيفته مما كان مجرى أنه كان بعض أيامه يتولى عقود الأنكحة عنده لمن طلبه ونحوه،

(١) الإمام يحيى بن المحسن. دعا إلى نفسه بالإمامة عقب وفاة الإمام عبدالله بن حمزة بنواحي صعدة. توفي سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م (يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، جـ١، ص١٦٠).

(٢) مسْوَر: وادٍ مشهور في بلاد خولان العالية. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٧٠٨).

(٣) يحيى السحولي: هو القاضي الحافظ يحيى بن محمد بن صلاح السحولي الشجري الذماري، ثم الصنعاني (٩٣٥-١٠٤٥هـ/ ١٥٢٨-١٦٣٥م) أول من اشتهر بالعلم والفضل والصلاح والنسك من أهل هذا البيت. وقد أخذ عنه عدة من أعلام عصره بمدينة ذمار وغيرها. مات بصنعاء عن مائة وعشر سنوات وقبر بالقرب من مسجد السعدي جنوبي صنعاء. (زبارة: نشر العرف، مجـ٣، ص٣٢٩-٣٣٠).

(٤) مسجد الشهيدين: من المساجد العامرة في الغرب الشمالي من سوق صنعاء، وقد سمي هذا المسجد باسم الشهيدين أولاد عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم، وهما: قثم وعبدالرحمن اللذين قتلهما بسر بن أبي أرطأه العامري القرشي في نحو سنة أربعين للهجرة. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٥٩).

وهما مما يصير إلى الفندي[1] مصالح في مقابلة، فبلغ الفندي ذلك الفعال، وما صار عند السيد من المشاركة في هذه الأعمال، فغضب الفندي، واستنكر، وتحمل، فجاء من أخبر السيد المذكور، بما يصف حالة الفندي المزبور، فخاف السيد، وخشي المؤاخذة، فخرج من صنعاء إلى جهات بلاد الحيمة. وكان في تلك المدة بلاد الحَيْمَة إلى الإمام القاسم مجيبة، فلما وصل إلى تلك الديار، وأَمِنَ عن ذلك الشجار، كاتب الإمام القاسم، وولاَّه الإمام بعض جهات الحيام. وكان بآخر المدة لازم شرف الإسلام الحسين بن الإمام في الحضر والسفر، والصباح والبكر، وأجَلَّه شرف الإسلام، وبذل إليه من كرمه، فما زال كذلك في جميع مدته يتولى معه فصل ما يعرض من المرافعات، والشريعة والفتاوى الواقعات، «ق١٨٩أ» حتى مات شرف الإسلام، ثم استقر بداره في السبحة غربي صنعاء وبير العزب، يدرّس ويُفتي، ويحكم لمن يأتي، مدته رحمه الله. ثم حصل في نظره الضعف وقلة النظر من قبيل الماء النازل والغشاوة، فبقي على ذلك لا يمنعه عن التدريس في العلوم، ولم تغب عنه تلك المهمة والفهوم، حتى مات رحمه الله تعالى. وله اختيارات لنفسه منها: موافقة مذهب الشافعية في فسخ زوجة الغائب، ومنها قول المالكية في الماء القليل أنه طاهر ما لم يتغير أحد أوصافه، ومنها القصاص في اللطْمة[2] وغير ذلك. ولما حصل معه كف البصر نقل القرآن غيباً. وكان للسيد المذكور أنظار مقررة، وفوائد محققة على قواعد الهدوية، وترجيحات له مع ذلك نظرية، ولا تزال تزداد فوائده ومسائله، ويكتبها في هوامش كتبه ودفاتره وأوراقه كمثل هوامش (شرح الأزهار)، و (البحر الزخار)، و (البيان)، و (التذكرة)، وفي الأصول، والتفسير، والسيرة النبوية وغير ذلك من الكتب التي مر عليها، ودرَّس، وأجرى فيها مخدومه بالظبط والفوائد، وغرر الفرائد، حتى ختم آخر عمره بخاتمة مسكية، ونفحات عطرية، وذلك تحصيله (لجامع الأصول «ق١٨٩ب» في أحاديث الرسول) لابن الأثير

(١) صحتها الأفندي: سبق تعريفه.

(٢) اللطمة: تعني الصفعة.

الجامع لأحاديث الست الأمهات الوافي بالأحاديث النبويات، ثم أمر بعض ولده بسماعه عليه وتصحيحه بالضبط والحراسة لديه، فجمع العلوم بأسرها، وكملها بأشرفها. وقرأت عليه، وتخرجت في العلوم لديه، فأول قراءة (شرح الأزهار) مرتين، ثم سماع (البحر الزخار المشتمل على أقوال علماء الأمصار)، وعلومهم عن كمال وحجج الأقوال، والله المستعان، وعليه التكلان، ولله الحمد ونسأله حسن الختام والغفران[1]. وكان ضعف نظره -رحمه الله- وكفافه في سنة خمس وخمسين وألف، وكان له كلمة عالية على الكبار، وشدة في الانتهار والاستنكار، مقبول منه جميع الأقوال. وأنشأ المذكور رسالة تعرض فيها للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم في شأن إهدار الجنايات، وعدم إجابة الدعاوى فيها والبيانات، في الأيام الماضيات، ونفى فيها التكفير بالإلزامات في الاعتقادات، وقد تقدم ذكرها في سنة إنشائها. ومن الغرائب التي تفرَّد بها، والأقوال التي يوافق عليها قوله: إن الزوال ميلان الظل أدنى ميل في الشتاء، والصيف من غير فرق، وقوله: بجواز تناول الزكاة للأغنياء وبني هاشم لمن فيه مصلحة عامة للإسلام من فتوى، وتدريس وحكم وقضاء، والله أعلم. وقبر جنوبي مسجد باب السبحة رحمه الله.

«١٩٠أ» وفيها أو ما بعدها تُوفي شيخ الحديث أبو عبد الله محمد بن علاء الدين البابلي[2] المصري كان في الحفظ من نوادر الزمان، ومن لا يبلغ إلى ما بلغ إليه هذا الزمان، أخبرني الشيخ عبد الرحيم اللاهوري أنه كان يملي الكثير من (فتح الباري)[3] غيباً، وقال لي: أنه ما رأى مثله في الحديث في عصره، وكان قد خرج إلى مكة، استقر بها بعض المدة، وقد كف بصره آخر مدته ثم عاد إلى وطنه بلاد مصر، ومات

---

(١) كُتب في الحاشية مايلي: (قراءة الوالد يحيى على السيد أحمد)

(٢) ترجم له المحبي في خلاصة الأثر، جـ٤، ص٣٩-٤٢، وذكر أنه توفي سنة ١٠٧٧هـ. ولعل ماذكره المحبي صحيحاً، فالمؤلف هنا ليس متأكداً من تاريخ وفاته لقوله: (وفيها أو مابعدها) وذكر المحبي أنه قليل العناية بالتأليف له كتاب: (الجهاد وفضائله).

(٣) هو كتاب: (فتح الباري بشرح صحيح البخاري) لابن حجر العسقلاني. وقد سبق ذكره.

هنالك، رحمه الله.

وفي شوالها توفي الشيخ العلامة المحدث عبد الرحيم اللاهوري الحنفي بمحروس شهارة، حضرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن الإمام القاسم؛ لأن المذكور منذ قدم إليه ضوران لازمه، وبقي بحضرته، وسار معه إلى صنعاء ثم إلى شهارة، حتى قضى الله بتلك الجهات وفاته. وكان قد أهدى للإمام عند وصوله العام الأول بعض كتبه، وكان بنيَّة العود إلى مكة والسفر من شهارة إلى تلك الجهة، إذ أولاده في ذلك الوقت كانوا باقين بالمدينة المشرفة. وكان المذكور له معرفة في الحديث النبوي، سمع فيه على الشيخ البابلي وغيره، واستجاز من العلامة زين العابدين بن عبدالقادر الطبري[1] الشافعي بمكة، واستنسخ حال سكونه بحضرة الإمام كتباً مثل: (مستدرك الحاكم)[2]، و (أحكام الهادي)[3]، وأكثر (مجمع الزوائد)[4] في الحديث للهيثمي، و (أمالي)[5] أحمد بن عيسى. واستحسن المذكور حذف التَصْلِية المذكورة في (الأحكام) وأبدله بلفظ رحمه

---

(١) هو إمام المقام الإبراهيمي مولده بمكة سنة ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م، أخذ عن أكابر شيوخ الحرمين. ترجم له المؤرخ عند وفاته (ق٢٨٨ب) من هذه المخطوطة؛ وترجم له المحبي في خلاصة الأثر، جـ٢، ص١٩٥ وذكر أن وفاته سنة ١٠٧٨هـ، بينما ذكر يحيى بن الحسين أنه توفي سنة ١٠٨٠هـ.

(٢) هو الحاكم النيسابوري محمد بن عبدالله بن حمدويه بن نعيم، الشهير بالحاكم (٣٢١-٤٠٥هـ/ ٩٣٣-١٠١٤م) من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه منها ما ذكره المؤلف وهو (المستدرك على الصحيحين) مطبوع في أربعة مجلدات. يدافع فيه الحاكم عن كثير من الأحاديث التي لم يدخلها البخاري ومسلم في صحيحهما ويبرهن عن أنها مستكملة لشروطها تماماً. (القنوجي: التاج المكلل ص١١٣-١١٤؛ البغدادي: هدية العارفين، مجـ٢، ص٢، ص٥٩؛ بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، جـ٣، ص٢١٥).

(٣) هو كتاب: (الأحكام) للإمام الهادي يحيى بن الحسين، سبق ذكره.

(٤) هو كتاب: (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد) مطبوع في عشرة أجزاء لمؤلفه علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، أبو الحسن (٧٣٥-٨٠٧هـ/ ١٣٣٥-١٤٠٥م) حافظ. له كتب وتخاريج في الحديث.

(٥) الأمالي: جمع الإملاء، وهو أن يقعد عالم وحوله تلامذته بالمحابر والقراطيس، فيتكلم العالم بما فتح الله عليه من العلم، فيصير كتاباً. أما الكتاب الذي ذكره المؤرخ هنا فهو للإمام أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب (١٥٩-٢٤٠هـ/ ٧٧٥-٨٥٤م). نشأ بالعراق، وتلقى علوم الحديث والفقه وعلوم الاجتهاد. وهذه (الأمالي) جامعة لفقه الإمام علي بن أبي طالب والإمام محمد بن علي الباقر والإمام القاسم الرسي والإمام أحمد بن عيسى. وجامعها هو الشيخ الإمام المحدث محمد بن منصور المرادي. (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية: جـ١، ص١٧٤؛ حسن الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مجـ٢، جـ٦، ص٧٦).

الله، قال لي: لأن التصلية في جهاتنا يستنكرونها ويقولون هي من خصائص النبي ﷺ، «ق١٩٠ب» فيكون به الانتفاع؛ لئلا تنفر عنه الطباع. وكان المذكور زاهداً، فاضلاً، قانعاً، ليس فيه من حالات أهل الوقت المألوفة، وليس فيه تلك الصفات فيهم المعروفة، مواصلاً لإخوانه لا لرجاء دنيا من قبله، ولا لبذل عطائه. اتفق بي رحمه الله مراراً لمجرد الزيارة والمذاكرة بحق المعرفة، ولم يلوح لي في جميع مجالسه بطلب دنيا، ولا رأيت منه أمارة لغرض يشتهيه من الدنيا، أرسل له محمد بن الحسن من عنده بِصُرَّة دراهم فيها قدر خمسين حرفاً، فقال للرسول: أكرم الله مولانا، وما كنا نرى عليه عطاءنا، ثم فرَّق الصُرَّة بأجمعها لمن حضر من مصرفها. وطَلَبْتُ من المذكور إجازة في الحديث النبوي، واتفق أن حضر أول فتوح سماع (صحيح مسلم) لي، فأجابني إلى الإجازة، وقال: الفضل لكم في القبول بحسب الطاقة، وكتب لي الإجازة في جميع الست بأسانيدها، وجميع ماله من المرويات عن مشائخه بأسانيده المتصلة إلى ابن حجر العسقلاني. وسأله عن أعلى الأسانيد هذا الزمان، فقال لي: أعلاه إسناد السيد زين العابدين الطبري إمام الشافعية بالمسجد الحرام، فتاقت نفس الفقير إلى الله إلى مكتبة زين العابدين إلى مكة المشرفة بطلب الإجازة في جميع (ما)[1] له من المرويات وكُتب السنة فأجازني في ذلك، واتصل إسنادي بإسناده العالي بحمد الله فله المنة على ذلك. وكانت إجازة المذكور زين العابدين في سنة أربع وسبعين وألف[2]«١٩١أ» عن مشائخه المتصل بالشيخ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ثم بأسانيده إلى المصنفين للسنن. أخبرني المذكور رحمه الله أنه اتفق له حال بقائه بضُوران حضرة الإمام تلك الأيام الوفود للصلاة في مسجد الجامع، في ذلك المنهج الواسع، وما يحضره من كل مكان شاسع، قال: فأقام المقيم للصلاة، ولم يحضر الإمام الراتب فيه لأمر ألهاه، فقال

(١) أضفنا: (ما) ليستقيم المعنى.

(٢) ١٠٧٤هـ = ١٦٦٣.

المقيم والحاضرون أقدم ياشيخ صل بنا، واتفقوا على حثه على ذلك في ذلك البناء، فتقدم أمامهم، ووافق إشارتهم، قال: ففكرت حال ذلك في نفسي، وقلت جميع الحاضرين هدوية، وهم لايرون الرفع للتكبيرة، ووضع الكف على الكف في الصلوات المشروعة وقد قدموني على هذه الصفة، وغاية الأمر أنها في مذهبي سنة، فالنظر الأصلح تركها في الحالة هذه؛ لئلا ينفض هذا الجمع من البعض ويتغير خاطره مما يألفه، فجزمت بترك «ق١٩١ب» الرفع، ووضع الكف على الكف في هذه الصلاة، وصليت بهم على أحسن صفة وأتم حالة مرتضاة. وكان على يديه رحمه الله أيام سكونه بصنعاء إصلاح مطاهير قبة مسجد جناح[١]، وأجرى الماء فيها للمصلين، جُزي خيراً.

وتوفي فيها الشريف الحسن بن باز المكي، وهو الذي كان وصل إلى الإمام بأولاده كما سبق ذكره.

ومات في هذا الشهر الشريف السيد علي بن إبراهيم المحنكي، المعروف بابن زبيبة بوطنه محروس ذِيبيْن، من أعمار ظفار[٢]، وكان هذا السيد قد بلغ من العمر مبلغاً عظيماً فوق مائة سنة كما روي، وكان قد أقعد آخر عمره، وسقطت أشفار حواجبه على عينيه للكبر، مع أن نظره سالماً وسمعه. وكان المذكور متولياً على بلاد ذِيبيْن، وأوقاف مشهد الإمام أحمد بن الحسين[٣]، وقبض النذور نفع الله به. وكان السيد له مشاركة في العلم. رحمه الله تعالى.

---

(١) مسجد جناح: من المساجد العامرة بالقرب من سوق الملح، غربي مسجد المذهب. عمارته في آخر القرن العاشر الهجري. ونسبته إلى الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن جناح الضمدي، المتوفى سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م والمقبور بجانب المسجد. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٤٣،٤٢).

(٢) هو حصن يطلق عليه: (ظفار الظاهر) أو (ظفار ذي بين) أو (ظفار داود). وقد سبق ذكره.

(٣) هو الإمام المهدي أحمد بن الحسين بن أحمد بن القاسم، المكنى بأبي طير. دعا لنفسه سنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٩م فأجابه خلق كثير. جرت بينه وبين بني رسول حروب، وكذلك بينه وبين الحمزات ولما قُتل الملك الرسولي نور الدين سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م توسع الإمام المهدي في الاستيلاء على كثير من المدن اليمنية بما فيها صعدة وصنعاء والمناطق العليا حتى ذمار وغيرها. ثم قُتل سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م في حرب دارت بينه وبين الخارجين عليه من الأشراف وبني رسول. ودفن في موضع من شوابة، فمكث فيه ثلاث سنين، ثم نُقل إلى مشهده بذيبين. (يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ١، ص٤٤٤؛ د.حسين العمري: مصادر التراث، ص١٦٩).

وفي آخر شهر القعدة جاء الخبر بأن أصحاب أحمد بن الحسن غزوا إلى بلد الجيد بعد أن كان هرب، وخاطب الشيخ الجيد في الوصول، وترك العناد والقفول، والفضلي قُبض، ثم احتال للهرب، فذهب، لكنه وصل إلى والي عدن وهو يومئذ أمير الدين العلفي الأموي «ق١٩٢أ»، فأمنه، وواجه وأرسله.

وفي هذه السنة ظهرت ورقة مع بعض المنجمين منسوبة إلى بنيَّان[1] المنجم يقول فيها: إن في سنة إحدى وسبعين يموت الإمام ويخلفه محمد بن الحسن خمس سنين، ولم يتفق شيء، بل مات محمد بن الحسن قبل الإمام، فالمنجمون كثيراً مايكذبون كما قال الشاعر-وهو أبو الغنائم محمد ابن المعلم[2]-شعراً:

يقضي عليها من ليس يعلم ما
يُقضى عليه هذا هو العجب
قد بان كذب المنجمين وفي
أي مقال قالوا وما كذبوا

والقرآن ناطق بأنه لايعلم بالخمس أحد من الأنام، وهي ماتضمنتها آية القرآن حين ذكر منها آخرها فقال: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾[3] فكفى بالقرآن حكماً، وبالنجوم في هذه الخمس تكذيباً. وأما ماعداها فقد يتفق بعض شيء فيها، وقد لايُعلم حقيقتها.

وفي هذه السنة مات السيد الشريف سليمان بن محمد بن عامر الهدوي، وعامر هذا هو عم الإمام القاسم. وكان هذا السيد سليمان عارفاً بالنجوم،

(١) لم أجد له ترجمة في مابين يدي من مصادر.

(٢) هو محمد بن علي المعروف بابن المعلم الهرثي الواسطي (٥٠١-٥٩٢هـ/ ١١٠٧-١١٩٥م) ولد في (الهرث) بالقرب من واسط. قال شعراً يمدح به صاحب البصرة (بك أبه). عاش معظم وقته في (الهرث). كان يرسل منها مدائحه إلى قصر الخليفة. وله ديوان شعر. (بروكلمان: تاريخ العرب الأدب العربي، جـ٥، ص١٦).

(٣) سورة لقمان، آية: ٣٤ وأولها: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام...﴾ وهي تكملة للخمس التي يقصدها المؤلف.

والرمل[1] وتلك العلوم.

وفي هذه المدة ضُربت النوبة مع يحيى بن محمد بن الحسن، والي بلاد مدينة تعز باليمن الأسفل بمزاميرها وطبلها، واستروح لسماعها وضربها، وطرب بوحيها، بعد أن كان قد تُركت من بعد وفاة شرف الدين الحسن بن الإمام القاسم بن محمد إلاَّ المدة اليسيرة مع أولاده. وظهر ليحيى بن محمد هذا الكرم الواسع، والعطاء الباذخ الجامع، بحيث قد يُخلي مخزانه، وينفق جميع أمواله؛ لأن من شأن الطرب بالسّماع الراحة، ومن شأن الراحة الكرم والبذل والاستراحة، إلا أنه جار مع ذلك على الرعايا، وأذاقهم البلايا، لاسيما بلاد الحُجَرية. وتعلقت به الديون، ومد على والده من المطالب اليمنية التي في السهول والحصون، فشق ذلك على والده، ونقص عليه في وارده، حتى كان سبباً لنزوله إلى اليمن الأسفل كما سيأتي قريباً.

وفيها مات السلمي من كبار مشائخ اليمن، ومن كان له مقام عظيم في ذلك الزمن، وبموته سقطت رئاستهم، وزالت عنهم أحوالهم، واضطر أهله بعده إلى الكسوة والقُوت، وعمتهم الحاجة حتى أشرفوا على الفَوْت[2]، فتفرق عبيدهم وخدمهم وأعوانهم في الجهات، وطلبوا المعاش والأقوات.

وفي هذه «ق١٩٣أ» الأيام وصل جعفر الكثيري والفضلي إلى حضرة الإمام.

وفيها مات الفقيه سالم الخَمْري. وكان يصوم الدهر جميعه تكفيراً منه لنفس كان قتلها في بلاده، فتاب إلى الله تعالى.

وفي ثاني عيد النحر أو ثالثه توفي القاضي العلامة العارف الحسن بن أحمد الحيمي، حاكم المسلمين ببلاد كوكبان. وكان سكونه بمدينة شبام حمير تحت حصن كوكبان، وله معرفة في الفقه، ومشاركة في غيره، وهو الذي كان أرسله الإمام إلى الحبشة، ودخل

---

(١) علم الرمل: يسمى علم الزايرجة، وهو ضرب من التنجيم مبنية على أسرار الحروف في الدلالة على المستقبل. (محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن، جـ٤، ص١٢٧).

(٢) الفَوْت: الهلاك.

عند ملك النصارى كما سبق تحقيقه.

وفي آخر شهر الحجة وصل أحمد بن الحسن من المشرق إلى ذِي مَرْمـر مـستقر عـزه، ومحل قراره وأهله.

وفي هذا العام حصل مرض عام لكثير من الناس من قبيل الحمى والنافض[1] حتـى أن بعض البيوت استوعبت من فيه، ولا يجدون من يعمل لهم الطعام، إلا مـن الجـيران والأرحام، ومات من ذلك في جميع أنحاء اليمن ممن وفى أجله، وانتهى أمده، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وفيها اتفق لبعض الهنود أنه مر بلاد تهامة، فمر بعـض هياجـه[2] وأشـجاره، فأكـل الأسد فيها عليه حماره، فوضع الهندي المذكور في جثة الحمار، «ق١٩٣ب» بعد أن عقره عليه وسار، من سم الفأر الذي يهلك به الدواب، ذوات الأذناب، فعـاد الأسـد لأكـل عقيرته بالليل ليتهنى فريسته[3]، فمات وحضره غيره من الأسود، فربما أكلت مـن لحـم صاحبها الأسد المنبوذ، فماتت، فمات منها ذلك الوقت جماعات، فاستعمل بـائس مـن أهل تهامه ذلك لها لَمَّا قرب منهم وضرّ عليهم في تلك الأوقات فيما عقرها من مواشيهم وبقرهم؛ لأن قاعدة الأسود إذا عقرن في النهار لا يأكلنه في الحال، بل يتركنـه معقـوراً، ويتروحن[4] في الليل حـضوراً[5]، خوفـاً مـن بنـي آدم إذ كـل شيء مـن الـسباع تخافـه وترهبه، فزال بسبب ذلك كثير من الأسود وهلك ومات، حتـى لقـد أخـبروا في هـذا العام أن بعض الهياج منها عدمت.

---

(١) النافض: من الحُمى ذات الرعدة، يقال: أخذته حمى نافض و (نفضته) الحمى. (محمـد بـن أبي بكـر الـرازي: مختـار الصحاح، ص٦٧٣).

(٢) الهيجة: الغابة وقد سبقت.

(٣) ورد في الأصل فيرسته.

(٤) يتروح: يعود أو يرجع

(٥) من المعروف أن الأسد لايعاود فريسته، فإذا افترس فريسة وأكل منها لايعود إليها.

ودخلت سنة اثنتين وسبعين وألف [1]

روي أنها استهلت بالجمعة، وكـان وقـوف الحـاج بعرفـات يـوم الجمعـة. وغلـت «ق١٩٤أ» الأسعار بمكة هذه السنة، وكذلك غلت الأسعار ببلاد الشام، فبلغ القـدح بدمشق إلى قرشين اثنين، ثم تهوَّن بآخر السنة بسبب حبوب وصلت ومِيرَة[2] مـن بـلاد مصر لَمَّا بلغهم قحط الشام في هذه السنة، وسببه كثرة الدبى والجراد كما وصف لي ذلك بعض أهل دمشق الثقات، وهو الشيخ محمد كزبر[3].

وفي هذا الشهر مات الشريف السيد حسن صـاحب العُـدين المؤيـدي، وأراد أولاد السيد محمد بن أحمد[4] أن تنتظم لهم الـبلاد، فلـم يـتم لهـم ذلـك المـراد، وامتـدت يـد يحيى بن محمد بن الحسن يومئذ إليها، وكان الإمام أراد تولية العُدين إلى بعض الفقهـاء من قبله، فلم يتم ذلك، ومنع محمد بـن الحـسن وقـال: الـبلاد بـلا :ي، وفيهـا عـمالي، وإليها حاجاتي.

وفيها خسفت القمر بشهر صفر ببرج الحمل وغربت خاسفة.

وانتهبت بعض ركب الشامي في هذه السنة قبائل عَنَزة[5]، ولام[6].

---

(١) ١٠٧٢هـ = ١٦٦١م.

(٢) المِيرَة: الطعام.

(٣) هو الشيخ محمد كزبر الدمشقي الحنبلي. كان عارفاً بمذهب الحنابلة. وكان قد حج إلى مكة قدر خمـسين حجـة؛ لأنـه كان يسافر مع الحجاج ببضاعة من بضائع الشام، ثم خـرج إلى صـنعاء ببـضاعة مـن بـضائع الـشام، وتـزوج فيهـا وسكنها. وتوفي بصنعاء سنة ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م. (يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ٣).

(٤) هو محمد بن أحمد بن الإمام الحسن المؤيدي. سبق ذكره.

(٥) عَنَزة: مفردها أعنزي، وهي قبيلة عربية ضخمة في شمال ووسط الجزيرة العربية. يقع المقر الأصلي لقبيلة عنـزة شـمالي المدينة المنورة. مساكنهم الآن تمتد من القصيم إلى المدينة المنورة جنوباً وإلى حوران في سوريا شمالاً، وتمتـد شرقـاً إلى شمال وادي نهر الفرات. ومعظم الصحراء السورية تابعة لقبيلة عنزة حتى غربي نهر الفرات. (ج.ج لـوريمر: دليـل الخليج، القسم الجغرافي، جـ١، ص١١١-١١٢).

(٦) لام: قبيلة تُنسب إلى لام بن عمرو، وهي بطن من جديلة، من طيء، من زيـد بـن كهـلان، مـن القحطانيـة. كانـت مساكنهم المدينة المنورة وما حولها وجبل أجا وسلمى. (عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، جـ٣، ص١٠٠٧).

وفي يوم الاثنين نصف شهر ربيع الثاني توفي الشريف السيد العارف عبدالرحمن بن محمد بن شرف الدين بن جحاف بمدينة صنعاء، وكان هذا السيد عاملاً بحُفاش من قبل شرف الإسلام الحسين، ثم من قبل الإمام المؤيد بعده، ثم أول دولة المتوكل، ثم عزله عن الولاية، واستقر المذكور بصنعاء بأحسن حالة. وكان المذكور له معرفة حسنة بعلم النحو وأصول الفقه «ق١٩٤ب» والمنطق، وله شرح على (غاية السؤول) في أصول الفقه، وكان الرجل مُطْرِحاً للكبر، متواضعاً حال ولايته، وفي أيام رئاسته، وبعدها أيضاً على حالته، وكان منصفاً، مسترشداً، غير متعصب ولا متمذهب، يحب الحق من حيث جاء، وعلى أي باب ووجه أتى. وكان له تمسك بالسنة النبوية سمع الديبع (مختصر جامع الأصول) واستجاز فيه وغيره من السيد العارف إبراهيم بن يحيى بن جحاف، وسمع (صحيح مسلم) على الفقيه عبدالواحد النزيلي الشافعي في سنة اثنتين وخمسين وألف بحُفاش أيام ولايته في تلك الجهات. وكان بعد عزله في بيته بصنعاء له فرس يقودها في بعض الحالات بيده، وقد يشتري العلف بنفسه، لايأخذه الكبر والعظمة كغيره، رحمه الله.

وفي العشر الآخرة من ربيع الثاني توفي الشريف السيد العالم الحسين بن محمد بن النُّعمي التهامي، هذا السيد أصله من سادة صَبْيَا، سار إلى مدينة صَعده حال شبابه، فقرأ فيها العلم على القاضي أحمد حابس وغيره، ثم دخل صنعاء اليمن، فقرأ على السيد محمد بن عز الدين المفتي المؤيدي في الفقه، فانتفع فيه وصار يدرس في هذا الفن لاغيره، فلم تكن له معرفة به، وإنما عرفانه في مثل : (شرح الأزهار)، «ق١٩٥أ» و (البيان)، (التذكرة). درَّس فيها جميعاً بصنعاء.

وفي هذا الشهر سار محمد بن الحسن من صنعاء إلى اليمن الأسفل، فاستقر بإب وجِبْلَة، ومنع ولده يحيى بن محمد عن التصرفات، ومد القبض وكثرة العطيات، وحاز بلاد العُدين، واستاق مطالبها ودفعاتها إليه باليدين، وتحقق محصوله، وتركة مرفوعة، وحصل من ولده يحيى بن محمد عدم طيبة نفس، بحيث كان في بعض الجمعات

لايسلم على والده، ولا يحضر جمعته وجماعته، إفراط في العقوق؛ لأجل ماكان ألف من اللذة، وما صار إليه تلك البرهة.

وفي آخر هذا الشهر سار علي بن أحمد صاحب صَعْدة إلى فَيْفا[1]، وتلك النهوج الطرفا بعد أمر الإمام له بذلك، وزيادته لعسكر انظموا إليه في ذلك، مع رئيسهم الجملولي. فسار المذكور إلى فَيْفا، وواجه إليه بنو مالك[2]، «ق١٩٥ب» ومن أنضاف إليهم من أولئك.

وفي هذا الشهر أُنتُهِبت دراهم على الحطروم في العمشية، وكان الناهب لها رجل من سُفيان يقال له: الشمشي في عهدته ورفاقته للقافلة، واستنكر عليه قبائل بلاده، وعيَّبوه في ذلك، واسترجعوا منه أكثر الدراهم، وخوفوه من الإمام، فرجَّع إليه أكثرها.

وفي هذه السنة أو التي تليها اتفق حضور السيد عبدالله بن الحسين بن جحاف[3]للجمعة بمدينة صَبْيا حال سفره للحج، وكان الخطيب يعتاد تقديم أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي في الخطبة، ويجمع بين ذكر الإمام والسلطان ابن عثمان، فجرى الخطيب على عادته في بلده، فتغير خاطر السيد وتحامل على الخطيب، وقام عليه من مجلسه، وتكلم عليه ونهره، وشرع في المقام وقوع هوشة، ولولا حضور الحاضر والرجل العاقل سَكَّن الأمر لحصل ما «ق١٩٦أ» حصل.

وفي جمادى الأولى توفي السيد أحمد الذنوبي، من علماء بلاد حجة، وكان يدرِّس ببلاد حجة في علم الفقه وقت الفراغ، ووقت الإقامة له من مادة الوقف وحضور الدرسة، قد يدرِّس بظَفِير حجة، ثم إذا خرج بلده وسكنها يشتغل بالعمل في ماله بنفسه ويده، وإذا سأله السائل وهو في الحجن[4] أجاب في مسألته، رحمه الله.

---

(١) فَيْفا: منطقة جبلية واسعة في عسير. وتُنسب قبائلها إلى خولان بن عمرو في صعدة. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص١٣٤).

(٢) بنو مالك: هم أيضاً في عسير، وقبائلها تنسب إلى خولان بن عامر في صعدة. (الويسي: المصدر نفسه والصفحة).

(٣) هو السيد العلامة عبدالله بن حسين بن علي بن إبراهيم جحاف الحبوري(١٠٤٠-١١١٢هـ/ ١٦٣٠-١٧٠٠م. كان عالماً محققاً سيما في الأصول. (زبارة: ملحق البدر الطالع، ص١٢٩).

(٤) الحجن: حجن العود: عطفه، والحَجَن: اعوجاج الشيء. ولعلها هنا تعني: بعض الزراعية التي تُجرى لمحصول الذرة في بعض المناطق. ويطلق عليها حجون.

وفي هذا الشهر غزا صاحب صَبْيَا الشريف محمد بن الحسين بأصحابه إلى أطراف بلاده مما يلي بلاد الحرامية وتلك النهوج الحقارية، فنشب الحرب بينه وبينهم، وكثرت القبائل والغواير على الشريف وأصحابه، فقتلوا كثيراً ممن معه وبعض أقاربه من الأشراف، منهم من يقول أن جملة القتلى قدر سبعين نفراً، ولم ينج إلا السيد وباقي جماعته، وانتهبوا سلاح القتلى والبيرق بعد أن وقع أيضاً في السيد محمد بن الحسن جنايات «ق١٩٦ب» منهم، ولم ينج إلا بالفرار والإنهزام إلى محله صَبْيَا، ولم يعهد هذه الحالة قبلاً، فإنه إذا غزاهم ظفر بهم، وانتهب مواشيهم، وكانت اليد له عليهم قاهرة، ويده عليهم ظافرة، وكان من أسباب الانهزام والقتل لهم هذه الأيام أنه وقع مطر في حال ابتداء الحرب، فطفت فتايل[1] البنادق، ورعد الرعد والبارق. وبعد هذه القصة الواقعة، والحالة الفاجعة ركت يد الأشراف عن معاودات الغزو بالمرة، فلم يثنوا بعدها ولا كره. فلما عرف القبائل بالظفر، والركة من الأشراف وعدم الكر، أغراهم بقصد بلاده حال مسائه وصباحه، وشنوا عليه الغارات من كل مكان، وطردوا أطراف قراه عن السكان، وانتهبوا، وقتلوا من أهلها وفرغ لهم المجال وتوسع لهم الصيال، وعلموا ركة الأشراف بالمرة، وضعفهم عن الدفع والكرة، فضروا بذلك بلادهم، وأزالوا عنها سكانهم، وصارت القرى الخارجة عن صَبْيَا خاوية، «ق١٩٧أ» وعن السكان خالية مثل: بِيْش[2]، والسلامة[3]، وغيرها من تلك المواضع المنهارة. وكان دفع الأشراف عن حوزة[4] صَبْيَا لاغير، وخروجهم للتركيز في جوانبها من غير إقدام ولا ضير، ولكن هذا القصيد المذكور، والأمر المزبور من جهة القبائل للأشراف متأخر عن هذا الوقت

---

(١) فتايل: مفردها فَتِيلَة: جبل متول من شجر الظَّرف وقد يكون من غيره، ويستعمل لإشعال البارود ولإطلاق الرصاصة منه. (حسين الحضرمي: الآداب المحققة في معتبرات البندقة، تحقيق: عبدالله محيرز، ص٦٧).

(٢) بِيْش: إحدى المدن التابعة لمنطقة جازان في المخلاف السليماني من المملكة العربية السعودية اليوم، وتبعد عن جازان مقدار ٩٥كيلوا متر. (الرازي: تاريخ صنعاء، تحقيق: د.حسين العمري، هامش ص٦٦٣؛ محمد الجاسر: المعجم الجغرافي، جـ١، ص١٨٦).

(٣) السلامة: سلامة الأشراف وسلامة العرب قريتان في وادي بيش شمالي صَبْيا. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٤٢٩).

(٤) الحَوْزة: الناحية والتخم، جمعها تخوم و (حِوَاز). (الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤٢٨).

إلى الوقت الذي سنذكره إن شاء الله.

وفي هذا الشهر توفي القاضي العلامة محمد بن علي الجملولي الذي كان قاضياً بالسُّودة من شَظب أولاً، وكان قاضياً بعد ذلك مدة ببندر المخا ثم عاد إلى السُّودة آخراً، ومات بها.

وفي هذا الشهر حصل بين قبائل شُوابَة وهِرَّان[1] وذَيْبَان، ذات بينهم عدوان، فاحتربوا وقُتل منهم جماعة ثم اكتفوا.

وفي آخر جمادى الأولى توفي السيد ناصر صَبَح الغرباني[2]، الذي كان عارض آخر أيام الإمام القاسم كما سبق في أصل التاريخ[3]، وكان ما كان معه من خروج عسكر محمد باشا إلى جهات بُقْلان[4]، وبني مطر، فاستولوا على المكان الذي كان قد سكنه «ق١٩٧ب» وأجابه أهله وهو بلد قُبَا[5] فلما وصل عساكر الباشا محمد إلى هذه البلدة أحاطوا بها من جميع جوانبها بالجملة، وخرجوا إليهم قبل أن يأتي جواب الباشا من أجلهم، فلما خرجوا كذلك أمر الباشا بقتلهم، فقتل مشائخهم كما سبق تحقيقه، والسيد هرب إلى العُصَيمات، ورفع الساق، وهانت عليه المشاق، ثم كان بآخره وصل إلى شهارة كما تقدم تحقيقه، وبقي هنالك إلى أن مات في هذه السنة.

وفي هذا الشهر توفي السيد المهدي بن الهادي النوعة. كان هذا السيد له بعض معرفة في الأخبار، والسِّير، والمناقب، والفضائل، وصنف كتاباً في ذلك سماه: (

(١) شُوابَه وهِرَّان: اسمان متلازمان يُقرن أحدهمابالآخر كما أنهما محل واحد وهي في شمال صنعاء. (الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد الأكوع، هامش ص ٢١٨).

(٢) هو السيد الداعي الناصر بن محمد بن يحيى العياني الغرباني، المعروف بصبح. كان عالماً محققاً. دعا إلى نفسه سنه ١٠٢٩هـ لشيء أنكره على الإمام القاسم بن محمد في مصالحة الأتراك. (للمزيد انظر. عيسى بن لطف الله: روح الروح، جـ٢، ص١٠٠-١٠١؛ أحمد الشرفي: اللآلي المضيئة، جـ٣، ص٣٩٧-٣٩٨؛ الجرموزي: النبذة المشيرة، ص٤٧٧-٤٧٨).

(٣) المقصود: كتاب (أنباء الزمن في تاريخ اليمن) للمؤلف نفسه كما سبق أن أوضحنا.

(٤) بُقْلان: قرية عامرة في وادي بُقلان من مخلاف بني قيس ثم من ناحية بني مطر من أعمال صنعاء، وتقع في الجنوب الغربي من صنعاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١٢٥؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٤، ص٢٢٠٣).

(٥) قُبَا: هو محل في بني مطر. (عيسى بن لطف الله: روح الروح، جـ٢، ص١٠١).

الإقبال)، في مجلدين، وكان متولياً لشرف الإسلام الحسن بذي السُفال من اليمن إلى بعد موته رحمه الله، ثم استمر كذلك في زمان المؤيد بالله إلى أن ظهر الإمام المتوكل بعد موت صنوه المؤيد وولّ تلك الجهة ابن أخيه أحمد بن الحسن، فأبقاه برهة يسيرة ثم عزله عنها، فخرج منها وسار إلى بلاده ساقَيْن غربي صَعْدة الشام، فسكن هنالك مغاضباً، وكان قد جمع من «ق١٩٨أ» الأموال بذي السُفال كسوبة[1] وأحْيَا لما كان ضائعاً منها شيئاً كثيراً في مدة ولايته، وكذلك في غيره، ثم عاد إلى حضرة أحمد بن الحسن ودخل معه حضرموت، وكانت نفسه تميل إلى الإعادة له إلى الولاية، فلم يحصل ما أمله وأيس عنها، فعاد إلى بيته بساقَيْن، بقى هنالك حتى مات في التاريخ المذكور. واتفق له في مدة المؤيد بالله بعد موت شرف الإسلام الحسن أنه طلع من ذي السُفال عازماً إلى بلاده بجهات صَعْدة ومعه دراهم نحو عشرة الآف أو أكثر، فبلغ المؤيد، أرسل له من الطريق بإيصاله وما معه إلى حضرته وهو ببيت القابعي مساقط شهارة، فوصل بذلك إليه وقال له: من أين لك هذه الدراهم؟ فهي إن كانت من بيت المال قبضناها. فأجاب إنها من ماله الذي أقامه، وعمالته بذي السُفَال مما خرَّجه وزرعه، وأنه حصل له من الحَب جملة، فاجتمع ذلك وشاطَه[2] في سنة القرش لَّما بلغ كل قدح بقرش، فعذره المؤيد وأطلق له ذلك، ثم وهب له السيد منها نحو ثلاثه آلاف، وسار بلاده بساقَيْن.

وفي آخر شهر رجب منها خرج أحمد بن الحسن متنزهاً بأهله وحشمه إلى رأس غيل الخارد الأعلى، سفال الرَحَبة[3]، وسكن فيه أياماً ثم سار إلى نِهْم، فقطع شجرة هنالك كان أهل نِهم يعتقدونها، ثم رجع الغراس، ومن ذلك الوقت ابتدأ المعاودة والنزهة إلى

(١) كسوبة: من الكلمات المستخدمة كثيراً. وقد تأتي من (كسب) فيقال: رجل كسوب وكساب: كثير الكسب. وتكسب واكتسب: طلب الرزق. (مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مجـ١، ص٤٥٥).

(٢) شَاطَه: أي باعه، أما اشتاط فتعني: اشترى. وهي من الكلمات المحلية الخاصة ببيع وشراء الحبوب الزراعية بمختلف أنواعها.

(٣) الرحبة: من بلاد بني الحارث. تقع إلى الشمال من صنعاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٣٥٩).

بادية الخارد في الشتاء مرة بعد مرة، وبنى فيه بعض البناء لأجل الفرجة، وسائر الناس يسكنون في الخيام، فيبقى فيه الشهر والشهرين هذه الأيام ثم يعود، وجعل فيه حماماً يتحمم هو وغيره هناك. وفي هذه المدة «ق١٩٨ب» كتب الإمام إلى ابن أخيه محمد بن الحسن من جهة العدين وتوليته[١]، فلم يساعد محمد بن الحسن وتصرف فيه بغير واسطته.

وفي هذا الشهر وصل السيد زيد بن علي بن جحاف صاحب المخا إلى حضرة الإمام، وأهدى منظره من صروف[٢]، مركبة مفصلة، فركبت في بيت القابعي فوق سطح الدار.

وفي هذه المدة أذن الإمام للشيخ عبدالله هرهرة بالعودة إلى بلاده.

وفي نصف شهر شعبان منها سار الإمام من وادي أقر المعروف بدرب الأمير وبيت القابعي إلى سُّودة شَظب، ثم سار عنها إلى بلاد عَفَّار وكُحْلاَن[٣]، وعاد إلى السُّودة.

وفي نصف رمضان منها خرج جماعة فرنج[٤] من سواحل الهند من النصارى في غُرَابين أو ثلاثة إلى ساحل عدن، فمنعوا المار إلى المخا من التجار والجلاب معاندة للسيد زيد بن علي بن جحاف صاحب المخا لمَّا ضاررهم العام الأول، وصدوا المراكب إلى عدن، فجهز السيد زيد عليهم جماعة من عساكره، ومدفعين معهم من مدافعه، فرموا عليهم أول حجر «ق١٩٩أ» بالمدفع، فحرق البارود عليهم، فحرق بحريقة

---

(١) ربما أن المقصود تعيين من يتولى العدين من قبل الإمام وقد سبق ذكر ذلك في ص٤٣٧.

(٢) صروف: يذكره صاحب لسان العرب باسم (صريف) ويقول: هو مايبس من الشجر. واللهجة المحلية قريبة من هذا المعنى، حيث أن كلمة (صروف): تعني الألواح الخشبية. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٤٣٣).

(٣) كُحْلاَن: اسم مشترك بين عدد من المناطق في اليمن. والمقصود هنا هي: كُحْلاَن عَفَّار: وهي بلد عامرة تقع في سفح حصن كحلان من جهة الشرق، وتبعد عن صنعاء بنحو ٩٠ كيلومتراً غرباً بشمال منها. ويقال لها أيضاً: كحلان تاج الدين. (المقحفي: معجم البلدان، ص٥٥٠-٥٥١؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٤، ص١٨٠٨).

(٤) المقصود بهم الهولنديون، حيث تسبب (هيربرت هيوجو) القرصان الهولندي، قبطان السفينة (بلاك ايجل) (الصقر الأسود) في إسراع الإنجليز بالإنسحاب من المخا، لما أحدثه من قتل وسرق ونهب، فقام وكيل الشركة الإنجليزية بتصفية المركز التجاري الإنجليزي في المخا وإغلاقه سنة ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م. (للمزيد انظر. أريك ماكرو: اليمن والغرب، تعريب: د.حسين العمري، ص٢٩).

الجلبة الذي هم فيها، واتصل الحريق بهم وغرق بعضهم، وافتض[1] المدفع، ورماهم الفرنج، فَقَتَلوا منهم وأَسَروا بعضهم وانتهبوا سلاحهم، ومن جملة الأسرى رجل يقال له: سرور بن عبدالله كان في المخا، فدخل معهم إلى بلادهم بسواحل الهند، ووصل إلى كوة[2] عند أميرهم الفرنجي النصراني، ثم أنه أرسل به إلى حضرة سلطانهم الكبير الذي بالغرب الجوان من طريق البحر الحبشي[3]. قال سرور المذكور: فساروا بحراً سبعة أشهر، وبراً ثلاثة عشر شهراً، ثم كان في سنة خمس وسبعين[4] وقع له منهم الإطلاق والتَخْلِيَة، فعاد إلى اليمن. وقيل: إن سبب الحريق الذي وقع معهم من طيارات الفرنج التي يرمون بها إلى غيرهم فتحرقهم، وتَرَسَّموا[5] على المراكب الهندية، وأخذوا منهم الدراهم النقدية في باب المندب[6]، الذي يقع فيه الحكم على من ذهب، ثم قصدوا إلى جهة المخا، بعد أن بلغت نفوسهم مما أرادوه غايه المنتهى، وركزوا أمامه وقدامه «ق١٩٩ب»، فلما بلغ أحمد بن الحسن ذلك الحادث الذي جرى، سار مجرداً وجرى، في خلال وصول الإمام إلى عمران، ولم ينتظر الاتفاق به بعد أن بلغه وصوله، وقرب حضوره. وكان قد أراد قبل ذلك العزم للحج إلى بيت الله الحرام، والمعاودة لتلك المشاعر العظام، وقد أهب الزاد، وجعل لأصحابه المعياد. وكان الإمام لَمَّا بلغه ذلك المقصد قد أشار عليه بالترك والتأخير، وأنه قد قضى الفَرْض فلا وجه للتكرير.

ومر جماعة من حجاج حضرموت، فظفر بهم الفرنج فأذاقوهم الفوت، ثم وصل

---

(١) افتض: عربية بمعنى انكسر. (المنجد، ص٥٨٦).

(٢) كوة: هي جوا: إقليم على ساحل بومباي بالهند، أسسه (البوكيرك) كانت عاصمة الهند البرتغالية التي ضمت أيضاً (ديو) استمرت (جوا) أعواماً تشكل مشكلة سياسية بين الهند والبرتغال إلى أن حررتها الهند سنة ١٩٦١م. (الموسوعة العربية الميسرة، ص٦٥٤).

(٣) يقصد به البحر الأحمر، حيث كان يسمى في كل موضع يمر به باسم ذلك الموضع وبلاد الحبشة على ساحله الجنوبي. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجـ١، ص٣٤٤).

(٤) ١٠٧٥هـ + ١٦٦٤م.

(٥) تَرَسَّموا: أي فرضوا عليهم الرسوم أو الجمارك.

(٦) باب المندب: معروف كممر بحري شهير، وهو يصل المحيط الهندي بالبحر الأحمر، ويفصل الشاطئ اليمني عن الشاطئ الإفريقي في أضيق أجزائه. ويعتبر البوابة الجنوبية للبحر الأحمر، يقابل في أهميته (قناة السويس). (الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٩١٩).

أحمد بن الحسن إلى عدن وقد عاد الفرنج إلى ديارهم، وانصرفوا عن محلهم ومكانهم، فلم يقض من سيره هذا وطراً، ولم يعرف لهم في البحر خبراً.

والإمام وصل صنعاء بقي أياماً من شوال إلى شهر الحجة، ثم تقدم إلى ضُوران، وتلك الجهات والأوطان.

وفيها توفي الزَّمْزمي[1] من علماء مكة المحروسة، وكذلك توفي القُشاشي[2] عالم المدينة. وخرج إلى اليمن شرح «ق٢٠٠أ» للقُشاشي المذكور على عقيدة الإمام[3] التي وضعها، وجعل هذا الشرح كجواب على تلك الأبواب، وبناه على قواعد الأشاعرة، وألزم فيه بإلزامات الموافقة، ونقل أشياء من (تفسير الكشاف) استظهر بها على أن قول الجميع هو قولها، ولا خلاف مع ذلك اللفظ المنقول فيها، واستجد في بعض مسائلها.

وفيها مات الشيخ فارع بن جبران الذي كان من أعوان شرف الإسلام الحسين، في كل وقت وحين، وعليه كتابة الدفاتر، والتنبه على المرصدين من الغائب والحاضر.

ولما استقر أحمد بن الحسن بعدن أرسل بهدية إلى سلطان الهند وهي: ثمان رؤوس من الخيل الجياد، وأرسل معها رسولاً إلى الحضرة الهندية، فسار تلك الجهة رسوله، فلم يبلغ إلى السلطان إلا بعد مسافة في البر طويلة، وأحوال عليه كانت بعيدة، قيل مسافة ثلاثة أشهر براً إلى محل السلطان، مع تحيُّره عند الولاة والاستئذان، فلما بلغ إلى «ق٢٠٠ب» المذكور، تحيَّر عنده أياماً ليعرف الأمور، واستكشاف حقيقة المستور، ثم زلَّجه وضاعف عليه هديته، ووصل إلى أحمد بن الحسن الجواب والهدية من ذلك الباشة آخر سنة خمس وسبعين شهر القعدة.

---

(١) الزمزمي: هو عبدالعزيز بن محمد بن عبدالعزيز الزمزمي.

(٢) هو أحمد بن محمد بن يونس صفي الدين الدجاني القُشاشي. (٩٩١-١٠٧١هـ/ ١٥٨٣-١٦٦١م) أصله من القدس، انتقل جدة (يونس) إلى المدينة. صوفي مشارك في أنواع من العلوم. له نحو سبعين كتاباً أكثرها في التصوف. منها: (شرح الحكم العطائية) و (حاشية على المواهب اللدنية) و (السمط المجيد). (الزركلي: الأعلام، جـ١، ص٢٢٨؛ عمر كحالة: معجم المؤلفين، مجـ١، جـ٢، ص١٧٠).

(٣) هو شرح على الكتاب الذي ألفه الإمام المتوكل على الله إسماعيل وقد سبق ذكره.

وفي يوم الثلاثاء سلخ شهر ذي الحجة توفي الأمير الكبير ناصر بن عبدالرب بن علي بن شمس الدين صاحب كوكبان، ولاعة وشِبام، وكانت وفاته بشبام. وجعل الإمام بلاده إلى ولده عبدالقادر بن ناصر[1].. وكان المذكور من أهل المروات، والكرم، والبشاش بالناس، وكان ينزِّل كلاً منزلته في المجالس والأعطيات، حتى سلام الجمعة فإنه كان يفرد يوم الجمعة قبل الغداء للسادة والفقهاء، ثم يبرز لعامة العسكر والناس عقب الغداء.

وفيها مات الشيخ العوبلي الصوفي ببلاد رَيْمَة، وكان المذكور معتقداً في جهته، تصل إليه النذور، ويبذلها للضيافات لمن وفد من تلك الجهات، وكان مكاشفاً.

ودخلت سنة ثلاث وسبعين وألف[2]

استهلت بالأربعاء، وقيل بالثلاثاء، وفي نصف محرمها توفي القاضي حسين بن يحيى السحولي حاكم المسلمين بمدينة صنعاء، ونعاه المؤذنون من منارات المدينة، والنعي منهي عنه في الشريعة، وقُبر جنب أخيه إبراهيم بن يحيى السحولي في خارج باب اليمن، عند المسجد[3] الذي لهم هنالك.

وفي هذه السنة ابتدأ أحمد بن الحسن بشعار يوم الغدير، في ثامن عشر يوم من ذي الحجة «ق٢٠١أ» بنشر الأعلام، والألوية، والحربة. والمتوكل اقتدى به ففعله من بعد وهو بحَبُور لمَّا وصل إليه أحمد بن الحسن كما سيأتي.

---

(١) عبدالقادر بن ناصر بن عبدالرب، عالم مشارك، تولى إمارة بلاد كوكبان بعد أبيه. دعا إلى نفسه بالإمامة بعد وفاة الإمام المهدي أحمد بن الحسن، ثم تخلى عنها للمؤيد الصغير محمد بن إسماعيل توفي في محرم سنة ١٠٩٧هـ/ ديسمبر ١٦٨٥م. (يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، جـ٣، ق١١٤ب-١١٥أ).

(٢) ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م.

(٣) يُسمى مسجد السعدي. وهو من المساجد العامرة، خارج صنعاء في الجهة الجنوبية، شرقي الطريق النافذ من باب اليمن إلى جهة حدة. وتسمى هذه الجهة ضيعة المحاريق. والمسجد من عمارة القاضي العلامة إبراهيم بن يحيى السحولي، المقبور بالقبة، غربي المسجد. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٥٣؛ محمد عبدالملك المروني: الوجيز في تاريخ بناية مساجد صنعاء القديم والجديد، ص٦٠).

وجاء الخبر مع الحاج أنه انتهب الركب الشامي قبائل عَنَزة، وصالوا عليهم، وأخذوا منهم، وهزموا أمير الركب وأسروا ولده، وهو صغير السن، فتفاداه بمال كثير منهم وأعادوه.

وفي هذا الشهر ظهرت دود خضر وسود كثيرة على وجه الأرض في بلاد صنعاء وقاعها، وما يقرب منها، فأكلت ماكان صفراء من الزراعة وقشرته، وهو نوع من الجرمي[1] المعروف، وسماه العامة القاشر. وظهرت الدبى بالتهائم والسهول من الرمل.

وفي وقت عود أمير الحاج اليماني فرحان إلى بلاد الحرامية حصل منهم تعرض للنهب، والتأهب للضرب، لسبب منع فرحان لتسليم ما يعتادونه، فقتلوا أربعة من العسكر، ومن الحجاج نفراً واحداً. وحج هذه السنة الركب العراقي بعد انقطاعهم فيما سبق، لأجل فتنة ابن الحارث.

وفي صفرها عزل باشا سواكن «ق٢٠١ب» والمصوع بأمير آخر خرج من مصر.

وجدد باشا مصر هذا العام مقام الشافعي بإصلاح خلل فيه.

وفي شهر ربيع لأول منها ظهرت الجراد، جاءت من تهامة كالغمامة، فأكلت كثيراً من الزرائع لكثرتها وقوتها وكانت عامة.

وفي هذا العام حصل نقص كبير في محصول بندر المخا، لأجل عمل الفرنج وما جرى، ولم يدخله من البز[2] إلاّ اليسير.

وفي هذا الشهر توفي الفقيه حسن بن إبراهيم السعيدي العطار. كان هذا الرجل من

---

(١) لم أجد تعريفاً لهذا النوع من الدود. ولعلها دودة الجدمي التي شاهدها الجغرافي الألماني الدكتور (رانجنز) عند زيارته لصنعاء عام ١٩٣١م، حيث كانت مشاهداته بداية التوثيق لهذه الحشرة في اليمن. وتعرف هذه الدودة (بالدودة الخضراء) و (دودة الجيش الافريقية). وإذا كانت هي الدودة التي ذكرها المؤلف فمعنى ذلك أن ظهورها في اليمن كان في وقت مبكر على ماذكره الجغرافي (رانجنز). ووثقها مؤرخنا في مخطوطته هذه. (للمزيد انظر. د.إسماعيل عبدالله محرم: دودة الجيش الأفريقية (الجدمي) أهميتها وسلوكها، ص٦).

(٢) البَز: جمعها بِزُوْز: وهي الأقمشة بمختلف أنواعها.

الصالحين، ومن أهل التقوى العاملين، صاحب خلق حسن، ومحبة للمسلمين عن كمل، يحب الصلح بين الناس، ويسعى بينهم بالصلاح، صاحب صدقة، وحال حسنة رحمه الله تعالى، وعُرض عليه ولاية النظر على الأوقاف بمدينة صنعاء والحفظ لها، فأباها، وقال: لاغرض لي ولاأهواها. وكان له معرفة في الطب ومجرَّبات يصفها للناس يحصل بها الشفاء مما كان حفظه على أحمد ميمي[1] الطبيب.

وفي هذه المدة اشتهرت رحيلة بصنعاء قصدها كثير من الناس حتى لقد أخبرني بعض الفقهاء «٢٠٢أ» أن رجلاً من بلاده قصدها، وقال لم يحصل له ولد من امرأته فما ينفعها؟ فقالت له: تطأ زوجتك في الليلة الفلانية، يحصل لك الغرض فيما تهواه من الولد. قال: ففعل كما قالت، فحصل كما أخبرت، وقد افتتن بها من الخلق عامتهم، وقصدوها في كثير من أمرهم.

وفي شهر ربيع الثاني سار محمد بن أحمد بن الإمام للإصلاح لقبائل ذَيْبَان وعيال عبدالله في شُوابَه وهِرَّان، لما حدث بينهم من العدوان وآداب[2]، فلما وصل إلى بلدة الرَّجَوْ [3] وصل إليه جماعة من القبيلة الأخرى بما جمعوا من الضيافة فتعرضهم أهل رجو وقالوا: نقيد دخولكم بلدنا بالريح[4] والطبل مضروباً، ولكن ادخلوا على غير هذه الحاله سكوتاً.

وفي هذا الشهر وقع بلاد عَنْس ومَذْحِج[5]، اختلاف وحرب مزعج، فقتل فيه قدر عشرة.

---

(١) لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

(٢) كذا في الأصل. والأدب في العامية اليمنية هو العقاب والجزاء المالي أو النقدي. وقد سبق ذكرها.

(٣) الرَّجَوْ: قرية عامرة في الخميس من بني زُهَيْر من أرحب في الشمال من صنعاء على بعد نحو ٥٠ كيلومتراً. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص٨٧٧).

(٤) لم أعثر على تعريف لها ولعلها مايعرف بالمزمار. وليست كما ذكرت الباحثة أميرة المداح في كتاب: (العثمانيون والإمام القاسم بن محمد في اليمن) بأنها آلة لمعرفة اتجاه الريح ليساعدهم على رمي رماحهم في نفس الاتجاه، وأنها من أدوات حروب اليمن. وذلك لأنهم كانوا يستخدمونها في السلم ليس في الحرب فحسب.

(٥) مَذْحج: إحدى القبائل الكهلانية الكبرى، تُنسب إلى مذحج بن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان. مساكنها الأصلية في المنطقة الشرقية من اليمن فيما يسمى الآن بمراد وعنس والحدا. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٦٩٩؛ المقحفي: معجم البلدان، ص١٠٦).

وجاء خبر مع الحاج أن أمير المصري[1] لما وصل إلى المدينة بعد انقضاء الحج تَلَقَّاه مرسوم بالعزل، فسلم الأمر إليه وامتثل.

وفي جمادى الأولى نزل الإمام «٢٠٢ب» إلى وادي النائجة، فسكن بها الأيام، يقيم فيها شيئاً من المال بين تلك الآكام.

وفي جمادى الأخرى هرب الشيخ الجيد من حبس ضُوران إلى بلاده.

وفيها وصل إلى حضرة أحمد بن الحسن، ثم إلى عند الإمام شيخ من حدود بلاد الدواسر يقال له: الجميلي، فأكرمه أحمد بن الحسن وزلَّجه بزلاج عظيم، وأرسل معه الفقيه محمد الحيمي للخطبة للإمام في بلاده، وإظهارها في أنجاده، فخطب هناك خطبة و خطبتين ثم عاد الفقيه إلى اليمن، بعد أن مر للحج إلى بيت الله في ذلك الزمن، وهذا الشيخ الجميلي هو شيخ بلاد البديع، وهو متوسط بين الدواسر وبين الحساء، انتساب ولايته في الجملة إلى الشريف صاحب مكة، من غير تمكن من التصرف والحكمة.

ولما استقر محمد بن الحسن باليمن[2]، وقبض على يد ولده يحيى في السر والعلن، ونهاه عن ضرب النوبة، وإن تركها أولى والأوبة، فتفرق أهلها، وبعضهم وصل إلى صنعاء فأمرهم أحمد بن الحسن «٢٠٣أ» بضربها بحضرته وتجديدها، فضربوها عنده هذا العام، وسار للتفرجة عليها الخاص والعام، من الذين لايعرفونها من صغار الأسنان، ومن لم يكن في سالف الأزمان.

وحصل في عيد هذه السنة برمضان جمع كبير بصنعاء؛ لأجل سماعها، ثم تلاقح[3] شأنها وأمرها حتى أذن محمد بن الحسن بضربها، واستمرت معه حتى مات بعد أن كان أولاً ينهي عنها حين كان اعترض والده الحسن بن القاسم فيها. وأما أحمد بن الحسن فتركها بعد موت صنوه في غالب الأوقات.

---

(١) أي أمير الحج المصري.

(٢) المقصود: المناطق الجنوبية من اليمن. وقد سبق ذكر ذلك.

(٣) تلاقح: انتشر.

وفي آخر شهر رجب منها تغلب أهل بلاد ظفار حضرموت على الأمير خَلَف العماني، وأزالوا دولته من ذلك الأفق القاصي، بعد أن كان قد دخل في ممالك العماني. وظفار هذا وبلاده متوسط بين حضرموت وبين عمان، المسافة براً من حضرموت إليه عشرون يوماً، ومثلها براً إلى عمان، فقتلت قبائله من أصحاب الأمير خَلَف المتولي للعماني قدر أربعين نفساً كان أرسلهم من ظفار إلى البلاد لبعض المطالب، فحاربوهم «٢٠٣ب» في الطريق، وتربصوا لهم في المكان المضيق، وقتلوهم، وقصدوا إلى ظفار، فاحتال خَلَفٌ بالفرار، وركب البحر وسار، وكان قد ترك له مدفعين لم يتمكن من حملها، ودخله محمد بن جعفر الكثيري[1] وحوَّل الخطبة فيه للإمام، بعد أن كان قد خطب له فيه تلك الأيام، وزالت دولة العماني عنه بالكلية. حكى لي من كان حاضراً في بلاد العماني، حال هذه القصة في تلك النواحي فقال: قال العماني المسمى (سلطان بن سيف): إن قَبْضنا لظفار بإرسال أميرنا خَلَف ليس لرغبة منا إليه، ولابغى عليه، وإنما هو بسبب استدعاء صاحبه الكثيري، ولقد لزمنا لمن فيه نفقاتهم، وأزوادهم، وما يحتاجونه مدة بقائهم، ولم يدخل علينا منه شيء بل مجرد الإنفاق، ولامصلحة أتتنا من تلك الآفاق، فلا رغبة لنا فيه، ولاغرض ننافس عليه.

وفي أول فصل الصيف من هذه السنة حصلت هَجْوَة[2] عامة لجميع اليمن، السهل والجبل، من «٢٠٤أ» مشرق ومغرب، وما علا وسفل، واتصلت كذلك قدر شهرين، وهما رجب وشعبان فمن الزرائع مابطل؛ لأجل دوام المطر، ومنها صلح وأثمر وهو الأكثر. وسقط السعر حالة الصراب[3] للثمار، حتى بلغ القدح إلى عشرة كبار.

---

(١) لم أجد اسم محمد بن جعفر الكثيري في ما بين يدي من مصادر. ولعل المؤلف يقصد محمد بدر بن عمر الكثيري الذي تولى السلطنة بعد وفاة والده في هذا العام (١٠٧٣هـ).

(٢) هَجْوَة: هي الغيم أو السحب الكثيفة التي تحجب الشمس وقد تكون ممطرة.

(٣) الصِّراب: هو موسم من المواسم الزراعية، ويطلق عليه في اللغة اليمنية القديمة (ذو صربان) وهو شهر (العلان) الذي نعرفه اليوم. وصربان: هي الصراب؛ لأن الألف والنون في آخر الكلمة هي أداة التعريف في اللغة اليمنية القديمة. وقد جاء في الأمثال والحكم الزراعية عن الصراب: بمعنى الحصاد و موسم الحصاد. (مطهر لارياني: ديوان فوق الجبل، ص١١٨).

وفي شهر شعبانها حصلت غارات ما بين وادعة الطاهر من بلاد بكيل وبلاد خيار من بلاد حاشد، فقتل سبعة أنفار من الجهتين، وأدبهم الإمام، بسبب ذلك الإلمام والخصام.

وفي أول رمضان هرب الشيخ الهيثمي، المحبوس بحصن كوكبان، فشعر به أهل الأهجر في الطريق، فقبضوه وأعادوه إلى ذلك الحبس المضيق.

وفيها مات قاضي ذمار «٢٠٤ب» محمد بن صلاح الفلكي[١] كان المذكور عارفاً بالفقه والفرائض معرفة شاملة، وكذا في علم الهندسة والمساحة إحاطة كاملة. وكان الرجل دمث الأخلاق، متكلماً مع كل أحد بما يناسبه حتى من أهل الأسواق، وكان له الولوع والمداومة على المراقح[٢] كالقات والتمباق.

وفي شهر شوالها طلع محمد بن الحسن من اليمن الأسفل مبادراً في هذه الأسفار حتى وصل إلى محروس مدينة ذمار ولم يستقر فيه كل القرار، حتى صار إلى ضوران، واتفق بالإمام في تلك الأوطان، ثم عزم إلى مدينة صنعاء اليمن.

وفي هذه الأيام أمر الإمام ولاته وأعوانه وعماله أن التحاويل إذا خرجت لأحد فلا تسلم إلا بعد استفهام، وعرض لما جرت به الأقلام، فما استحسنه بعد ذلك أمضاه، وما لم ترك، ولا يسلم شيئاً مما وضعه لمن يهواه، واقتدى به أكثر ولاته وأولاده.

وفي هذه المدة اتفق في بلاد بعدان أن حاكماً قاضياً كان هناك جرى بينه وبين أحد المتشارعين[٣] عنده خصام، أفضى إلى الفتك من ذلك الرجل إلى القاضي والإقدام، فأُمسك ذلك الرجل وأُقيم عليه حكم لإسلام.

---

(١) هو القاضي العلامة محمد بن صلاح بن محمد بن ناصر بن محمد بن صلاح الفلكي الذماري. (ترجم له أيضاً الجرموزي: تحفة الأسماع، ق٣٣أ؛ أبو الرجال: مطلع البدور، جـ٤، ص٢٢٦-٢٢٨؛ زبارة: ملحق البدر الطالع، ص٢٠١-٢٠٢).

(٢) المراقح: ويقال المتمرقح: وهو الذي يعتاد على تناول القات باستمرار أو التبغ أو القوة. ولازالت الكلمة مستخدمة إلى الآن، ولكنها حالياً تقتصر على من يعتاد على شرب القهوة أو الشاي بكثرة.

(٣) المتشارعون: المحتكمون في خصامهم إلى الشريعة.

وفي هذه المدة وقعت قتول كثيرة متابعة، وعداوات متلاحقة بين بني حُذَيْفَة[1] وبين سِحار[2] من بلاد صَعْدة، فلما حصل ذلك الحادث بينهم قصدهم صاحب صَعْدة علي بن أحمد بأصحابه، ومن فيه نجدة من أتباعه، فاستاق من مواشيهم بعضها، وتقدم عنها، وخلف بعض أصحابه معها، فلحق أهلها بعدهم، فتواقعوا ذات بينهم.

«٢٠٥أ» وفي شهر الحجة من هذه السنة ترجح للمتوكل أن يكتب إلى الشاه عباس بن شاه صفي بن شاه عباس، صاحب العجم وسلطانها الاثنى عشري الإمامي بما هذا لفظه: من عبدالله أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد بن علي بن الرشيد أحمد بن الأمير الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن الإمام الداعي إلى الله يوسف الأصغر الملقب الأشل[3] ابن القاسم ابن الإمام الداعي إلى الله يوسف الأكبر ابن الإمام يحيى ابن الإمام الناصر لدين الله أحمد ابن الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. حامداً لله على نعمه، ومثنياً على آلائه بما هو أهله، ومذعناً له على نفسي بالعبودية، مقراً له بالوحدانية، شاهداً أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[4] ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[5] وأن محمداً عبده ورسوله اجتباه وهداه، واستخلفه واصطفاه، وطهره وزكاه، ومصلياً ومسلماً على محمد سيد النبيين، وعلى آله الأكرمين.. حتى قال: إلى المقتفين لآثارهم، والمتمسكين بولائهم، والمهتدين بطاعاتهم، والمادين إليهم أعينهم. الشاه الأكبر، المجاهد لمن عانده عن منهج آل محمد واستكبر، ذي الهمم العلية،

---

(١) بنو حُذَيْفة: من قبائل جُماعة في صعدة (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٢٥٢).

(٢) سِحار: من قبائل خولان بن الحاف بن قضاعة في صعدة أيضاً (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٤١٦).

(٣) الأشل: أي الليث. من أسماء الأسد. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٦٦).

(٤) سورة الشورى، آية: ١١ وأولها: ﴿فطر السموات و الأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه...﴾.

(٥) سورة الأنعام، آية: ١٠٣.

والعزمات الرضوية النقية، الهادية المهدية، عباس شاه بن صفي «٢٠٥ب» شاه بن عباس شاه صفي بن شاه عباس الحسيني أدام الله سعوده، وحمى به من حمى آل محمد ﷺ حدوده، وأعز به من الإسلام الذي ارتضاه حوزته وجنوده، وحفظ به عقوده وعهوده، وأهدى إليه من شرائف تسليماته ولطائف تكريماته، ما يزيد مقامه شرفاً كما شرفت آباؤه وجدوده. أشكر الله إليه على ما أولاه أهل البيت النبوي في هذه الأقطار من نعمه السابغة، وأياديه البالغة، وظهور حجة الله لآل محمد، وعلو كلمتهم على من اغتر في دين الله وألحد، واعتزاء أهل هذه الديار إلى العترة الغراء، والذرية الطيبة التي بعضها من بعض من بني البتول الزهراء. واستطلع ما يزيد الله به سروراً إلى سرورنا، وحبوراً إلى حبورنا، وطهوراً إلى طهورنا، مما رفع بكم من قدر الإسلام، وأعلى بكم ذكر أئمة الهدى عليهم أفضل الصلاة والسلام، إذا كانت السنة نبوية، والدعوة علوية، والعقيدة بيضاء نقية، والجهاد للظالمين في سبيل الله، والنية مجتمعة إن شاء الله على ابتغاء مرضات الله سبحانه، والتواصل على ملتنا وملتكم واجب، وإن ثبات الديانة والتواصل الذي جعله الله تعالى قائماً مقام التلاقي لازم وإن تباعدت الأقطار، والتواصي بما أمر الله به من الحق والصبر والرحمة فريضة علينا وعليكم من الملك الجبار، والتعاون «٢٠٦أ» على البر[1] والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله مضى عليه سلفنا وسلفكم الطيبون الطاهرون الأطهار؛ امتثالاً لقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[2] ... وحفظاً لما استحفظ الله عليه من قولهم في الكتاب، وحراسة شريعة الله التي فيها الحكمة وفصل الخطاب، وتصديقاً لمثل قول رسول الله صلىالله عليه وآله وسلم: [في كل خلف

(١) وردت في الأصل: (البر) الألف ساقطة.

(٢) سورة الحج، آية: ٧٧، ٧٨.

عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الغـالين وانتحـال المبطلـين وتأويـل الجاهلين ألا أن (......)[(١)] وفدكم إلى الله فانظروا من ترقبون في دينكم][(٢)] وقولـه ﷺ: [إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد به الإمان(...............) [(٣)] من أهـل بيتـي مـن يقول بالحق ويعمل له ويزيل كيد الكائدين[(٤)] فاعتبروا يا أولي الأبصار، وتوكلـوا عـلى الله فـإن الأخبـار بتحقيـق الأحـوال عـلى أَلْـسِنَة الـواردين والـصادرين وإن كانـت «٢٠٦ب» متواترة وبها يشرح الصدور، وتقر العيون إلينا عليكم وإليكم[(٥)] عنا لا تـبرح إن شاء الله متضافرة، تقوم مقام ما جعله الله أحد اللسانين، وأشاد بـه في سـورة القلـم وجعله أحد البيانين، أطلع الله عليكم كل مسرة، وزادكم من فضائل الدين والـدنيا مـا يوليكم نعمه بحق محمد وآل محمد ﷺ.

حرر في شهر الحجة سنة ١٠٧٣. انتهى كتابه.

وأجاب عليه الشاه في ذلك معاهدة كما هو مقتضى هذا الابتداء. وما كان للمكاتبـة هذه معنى؛ لأن الشاه في طرف نقيض هو[(٦)] المذكور؛ لأن ذلك اثنا عشري، يقول: بـأن الأئمة إنما هم اثنا عشر لاغير، فعنده أن المتوكل سلطان، وكذلك هو في جهاته، وكـان جوابه كما قيل: جواب يابس ليس فيه هدية ولا صلة، بخـلاف سـلطان الهنـد فإنـه لمـا كتب المتوكل إليه مع السيد أحمد سعيد الذي كان مفتي المخا، كان جواب سلطان الهنـد بهدية عظيمة، وحالة فخيمة.

....

[(٧)] ....

---

(١) بياض في الأصل

(٢) لم أجد الحديث في ما رجعت إليه من كتب الحديث.

(٣) بياض في الأصل.

(٤) لم أجد في ما رجعت إليه من كتب الحديث.

(٥) كذا وردت في الأصل، ولم يتضح معنى العبارة.

(٦) كذا في الأصل.

(٧) بياض في الأصل.

ودخلت سنة أربع وسبعين وألف[1] «٢٠٧أ»

كان الخريف بها في شهر محرم صالحاً.

وفي نصف محرم خسفت القمر ببرج الدلو خسوفاً كلياً طمس جرمه[٢] جميعاً.

وفيه وصل الإمام من ضُوران إلى صنعاء.

وفيها وصل شاطر من مصر فلعب في باب محمد بن الحسن بصنعاء على الحبال، وسار عليها بالقباقب[٣]، واجتمع الخلائق للتفارج.

وفي يوم عيد عرفه[٤] منها حصلت فرقة بين قبائل عمران وعيال سريح بحضرة محمد بن أحمد بعمران، فقتل أربعة في الفرقه؛لأجل دخول عيال سريح[٥] بلاد عمران بالريح كما هي عادة القبائل.

وفي هذه المدة فرض الإمام على المصلحين[٦] بمدينة صنعاء دراهم يسلمونها فيما يباع ويشترى ويصلح عليه في أسواقها، فجعل على سمسرة القشر[٧] قريب ثمانمائة حرف مع متقبل[٨] في السنة، وسائر الأسواق كذلك بأن جعل على المبيع بالجَبْر[٩] على البائع بقشتين والمشتري مثلها، وكذلك ضرب الناضر على الوقوف في باب اليمن على

---

(١) ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م.

(٢) جرمه: أحد الأجرام الفلكية، أي النجوم.

(٣) القباقب: النعل من خشب. في المشرق أنه خاص

(٤) لعل هذاالحديث كان في نهاية عام١٠٧٣هـ.

(٥) عيال سريح:ناحيه تابعة لقضاء عمران،تقع بالشمال من صنعاءبمسافة٢٨كيلو مترا.وهي في الأصل قبيله من ولد سريح بن سهل بن صالح بن معان.وعرفت البلادباسم القبيله.(المقحفي:معجم البلدان،ص ٤٨٠).

(٦) المُصْلحون:هم الوسطاء الذين يصلحون بين البائع والمشتري،.مقابل أجر معين.

(٧) سَمْسَرة القِشْر:هي المكان الذي يصل إليه القشرمن خارج صنعاء وقدُيباع فيها. أما القشر: فهي قهوه مشهوره في اليمن،تصنع من القشره الخارجيه لثمرة البن.

(٨) المتقبل:هو المتعهد بتوزيع أو بيع المنتجات المختلفه التي يتقبلها من المنتج.

(٩) الجَبْر:اي البيع بالجمله.

الجزارين كل نفر بقشة، وضرب على من بسط[1] في قاعة السوق بقشة، وزاد في شيء من ضريبة الحوانيت[2]، فتضرر بذلك أهل السوق والمتسببين من المصلحين، إذ لم تكن عادة مع الماضين، ولم تجر به دولة من السابقين، فاستمر ذلك كذلك إلى شهر ربيع الثاني سنة سبع وسبعين [3]، ثم رفع الإمام ما فرضه وأمر به من ذلك الكلام، وأزال ذلك النظام، ورده على ما كان؛ لأجل ما جرى بسببه من التظالم، وعدم التوقف من المتقبلين على الحد اللازم، فإنهم تعدوا على البائعين والمشترين في الزيادة والنقصان «٢٠٧ب» فدعا له الناس، وجزوه خيراً،وقالوا:دفع عنا بهذا الأمر الذي كان يدع تعباً وضيراً. وأما جانب الوقوف فإنه استمر، ولم يرفع عن ذلك الأمر،لسهولته على الناس، وعدم اكتراثهم به كل الاكتراث.

وفي يوم الخميس عشرين في شهر جمادى الأول سار الإمام من الروضة الى الخارد الأعلى لضيافة من أحمد بن الحسين هناك، ثم سار منه إلى ناعط[4]، ثم خرج الى السُّودة، ثم سار شهاره مستقره، وأصل بيته ووطنه، وفيها شكا شيخ اليهود الذميين[5]، النقاش وقال:كثر من المسلمين طلب بيع الخمر منهم والشراء لهم[6]، ووقَّع توقيعاً في الذين صاروا يشترونه منهم من وجوه الناس، وغيرهم، وسادتهم وفقهائهم وصغارهم، وذكر كلاً منهم باسمه إلى حد بعض مماليك الإمام، من العبيد والفتيان، ومن بعض بني القاسم من أقارب الإمام، فحارت فكرة الإمام، وعجب من ذلك الأمر واسترجع[7] وحولق[8] وكدره ذلك الكلام، وشق عليه ذلك الإلمام.

---

(١) هم الباعه الذين يقومون بافتراش الأرض في الأسواق لعرض بضائعهم،لافتقارهم إلى محلات تجارية.ويطلق عليهم بالفراشين.

(٢) الحوانيت:هي المحلات التجارية.

(٣) ١٠٧٧هـ=١٦٦٦م

(٤) ناعط:جبل أثري في بلاد خارف من حاشد، بالشرق من مدينة عمران بمسافة ١٢ كيلو متراً، وتقع في اعلى الجبل قرية ناعط، وهي قرية صغيرة.(المقحفي: معجم البلدان، ص ٦٩١).

(٥) الذميين: أهل الذمه من اليهود وقد سبق ذكرهم.

(٦) الأصح البيع لهم والشراء منهم. وفي العامية اليمنية يقال كما ذكر المؤلف.

(٧) استرجع: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٨) حولق: قال: لاحول ولاقوة إلابالله.

وفي هذه السنة وصل إلى اليمن رجل غريب من بلاد الغرب الأقصى من القيروان، وأخبر من عجائبه أن مع بعض أمرائهم في بلادهم مرآة يرى الإنسان فيها باطنه مثل رؤية ظاهره. «٢٠٨ ا» وهذا من عجائب الزمان والطرف النادرة في هذا الأوان.

وفي رجبها خسفت القمر في برج الدلو، طلعت من المشرق وهي خاسفة.

وفي هذا الشهر أخبرني رجل أنه باع إلى رجل مغربي من الغرب الجوان بضاعة بأربعة حمر، فقبضها البائع وتركها في صُرَّة ثم فتحها أيام يقضي غرضه منها فإذا هي حجارة، بقي مفكراً فيها، قلت له: هذا من قبيل السحر؛ لأن السحر يتغير عن حالته، ولايدوم على صفته.

وفي شهر رجب توفي القاضي العارف أبو القاسم بن الصديق التهامي الضمدي بمحروس مدينة زَبِيْد، وتلك النجود. كان آخر مدته قد استوطنها، وسكن فيها، واطمأن قلبه بها وجعله الإمام قاضياً وحاكماً. وكان قبله قاضياً القاضي إسحاق من علماء الشافعيه. ثم بعد موته، وقضاء أجله ويومه نصب الإمام للقضاء القاضي إسحاق الذي كان بها أولاً.

وفي شهر رمضان منها وصل الخبر إلى اليمن بأن سُرَّات[1] أحد بنادر الهند انتهبه الانجليز[2]، وقبضوا «٢٠٨ ب» كل غال فريد، وأنهم تغلبوا على بلادهم، وخرجوا عن طاعة سلطانهم.

وفي هذا الشهر حصلت فرق' ومرَاجِيم ومصاويب ما بين سُفيان وسِحار وهم وافدون بحضرة الإمام بحصن شهارة. وكان في الجملة من المفارعين[3] رجل من بلاد

---

(١) سورات: مدينه في الهند، تقع شمال مقاطعتي بمباي. وهي من أقدم مدن الهند، أطلق عليها المسلمون اثناء ولايتهم للهند اسم:«باب مكة» لوفرة مايجتمع إليها من الحجاج،يركبون منها البحر إلى مكة. وقد أقام الانجليز فيها وكالة لهم سنة١٦١٣ م فكانت أول مركز لهم على شواطئ الهند الغربيه وأهمها.(بطرس البستاني:دائرة المعارف، مج ١٠، ص ١٩٣).

(٢) أي الإنجليز.

(٣) فرع بين قومٍ: حجز وأصلح بينهم.

عفَّار كُسرت رجله، فحُمل إلى بيته ومات.

وفي عيد الفطر مات الأمير طالب بن حسين الجوفي صاحب بَيْحان، وكانت وفاته بمدينة صنعاء بعد وصوله مطلوباً من أجل قتل بعض قرابته ببَيحان.

وفي شوالها مات القاضي علي بن سعيد الهَبَل[1] بعد أن طعن في السن، وضعف بدنه، وعمي بصره. وكان هذا القاضي حاكماً بحضرة الإمام المؤيد بالله بشهارة، وعليه معولاً،وصارفاً في الشرائع، وما اتفق بين الناس من الشجارات والوقائع ولَمَّا. مات الإمام انتقل إلى أصل بلاده خَوْلان صنعاء وبه سكن، وانساق إليه زكاة بلاده خَوْلان، ذلك الأوان، فلما طلب الإمام زكاة تلك البلاد، ولم يسمح بها لمن فيها من العباد،،وولاَّها، وطلب مطالبها، خرج عنها القاضي، وسكن بالروضة الغناء، ورحبها النفيس الأسنى،«١٢٠٩» ومات بها في التاريخ المذكور رحمه الله.

وفي هذه السنة وصل إلى صنعاء حجَّام[2] بقي فيها أياماً يحجم للناس،وكل من حجم له ضهر في محل المحجم نبتة ضعيفة، وتجترح ويتألم صاحب ذلك مدة من الأيام ثم يبرئ ويتداوى، وظهر في البعض من الحب المعروف بنار فارس نعوذ بالله منها، فقال القائل: إن السبب أن هذا الحجام كان به من الحب ونار فارس، فكان يحصل من قبيل العدو[3] من نفسه حال الحجامة، ومن آلاته التي يحجم بها ذلك، فلما ظهر الضرر من قِبَله طرده والي المدينة، وأمر بإخراجه عنها بعد أن ضر ناساً كثيرين مع علمه بذلك وتعمده قاتله الله.

وفي شهر ذي القعدة منها حصل افتراق في بلاد صَعْفان[4] من حَرَاز على سبب

---

(١) هو القاضي علي بن سعيد بن صلاح الْهَبَل. ترجم له أبو الرجال في مطلع البدور، ج ٣، ص ١٧٣، وهي ترجمه مشابهه لما أورده مؤرخنا.

(٢) الحَجَّام: من يتعاطى الحجامه، والحجامه مداواةبشئ كالكأس يفرغ منه الهواء ويوضع على الجلد فيحدث فيه تهيجاً ويجذب الدم أوالماده بقوه.(المنجد في اللغه، ص ١٢٠).

(٣) كذا وردت في الأصل.

(٤) صَعْفان: ناحية معروفة من بلاد حراز، مركزها مَتْوَح. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٤٨٠).

مَحْجَر[1] اختلفت فيه الأحكام من قضاة البلاد والولاة، فكل قبيلة تمسكت بما حُكم لها، فكان سبباً للحرب بينهم والقتال، فقُتل من الطائفتين سبعة، وأدبهم الإمام، وسكَّن ماوقع بينهم من ذلك الإلمام «ق٢٠٩ب» والآثام.

وفي هذا الشهر وقع اختلاف في الرأي فيما بين السيد حسين المحرابي الوالي من قبل محمد بن الحسن بمدينة تعز وبين الشيخ راجح الوالي في الدكة من قِبل الإمام، و (سفيان في غمد لايصلحان)، ولا يكاد يتفقان على سبب المشكا، فكان يأتي الشاكي إلى الشيخ راجح يشكو[2] إليه من العسكر الذين مع السيد الحسين المحرابي فيرسل عليهم الشيخ راجح بأدب، فلا يمتثلون ذلك ولا يلتفتون إليه، فوقع بينهما الاشتجار، والإحن والخصام، فقتل نفر واحد من أهل الشام، فلما وقع ذلك الحادث، وجرى ذلك الأمر الكادث أمر الإمام الشيخ عامر بن صلاح الصايدي بالسعي في الإصلاح، وافتقاد هذا الخلل وأخذ الحقيقة للاتضاح، فسار الشيخ إليها، وبلغ جهتها، وأصلح أمرها، وسد خللها.

وفيها ساخ جبل في جهات مَدْوَم[3] من بلاد الشرف، وكان على ظهره أموال، فذهبت، وانهد وسط الجبل وخربت.

وفي هذا الشهر برز أمر الإمام ببناء قصر مدينة عِيان، وإعادته على ماكان في دولة الأروام ذلك الزمان، فشرع فيه العمل، وكان المتولي له السيد صالح عقبات، فتضرر قبائل سُفيان، وقاموا وقعدوا «ق٢١٠أ» من إعادة ماقد كان، كما هو عادة القبائل يتضررون بالمعاقل في بلادهم لأجل لا يُعتَرضون في أعمالهم وأحوالهم، وما زالوا يخادعون، ويذهبون ويجيئون، ويرعدون ويبرقون، ويكسِّلون ويمحقون في ترك ذلك،

---

(١) المحْجَر: المرعى المنخفض. وفي الأساس الموضع فيه رعي كثير وماء. (الزبيدي: تاج العروس، مجـ٣، ص١٢٦).

(٢) وردت في الأصل يشكون.

(٣) مَدْوَم: حصن منيع يقع في الشَّرف الأعلى بالقرب من كُحْلاَن الشَّرف ويقال له: (قُفْل مَدْوُم. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٤، ص١٩٩٩).

فلم يجد كلامهم إلى ترك ما قد مضى به الأمر هنالك، حتى أُكمل القصر، وبني هذا العصر على ماكان أولاً بل وأحسن واستقر السيد صالح عقبات فيه، وجمع الإمام زكاة بلاد خَيْوَان[1]، ونحوها إلى ذلك الإيوان، والحاكم على طريق المسلمين والموجب للأمان، وسكن هنالك السيد برهة ورأى من سُفيان كثرة الخداع، وإظهار المباينة، والغيلة والمُخَاتَلة[2]، ولم يكن عنده من العسكر ما ينهض به لدفعهم وقت ما يحتاج إليهم، فرأى مع ذلك أن هذا المكان لا يحكم عليه إلا دولة كبيرة، وعسكر قاهرة، وإلا كان من الإغراء، من غير نفع ولا أجدى «ق٢١٠ب»، وعرَّف الإمام بذلك، وأنه يعذره عن القعود هنالك، فأجابه الإمام، وأسعده فيما أشار به ورام. وكان أثناء ذلك ما حصل من خروج السيد إلى بَرَط، وما حصل في تلك الجهات والطرق والوهط، وما اتفق من النهب كما سيأتي تحقيقه، فكان سبباً للتروي والنظر، وكان بعده ما سيأتي من الخبر.

وفي هذه السنة كان البرد في شتائها شديداً، واتفق أيضاً البرد في جحرها[3]، وكانت الأمطار قليلة.

وفي شهر الحجة منها وقع حرب بين صُبَارة من سُفيان وبين خَيْوان، فقتل من صُبَارة أربعة رجال، ومن خَيْوان ثلاثة، وأدبهم الإمام بعض أدب.

وفي هذا الشهر حرَّج[4] الإمام على الذين يبيعون من الكسارين[5] المعاجين التي تخرج من الهند وهي مكسرة، فأصاب.

(١) خَيْوَان: مدينة تتبع محافظة صنعاء، تقع شمالاً منها بمسافة ١٣٠ كيلو متراً، وتنسب إلى خيوان بن زيد بن مالك بن جشم بن حاشد بن همدان. (الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤٣٩).

(٢) المخاتلة: المخادعة عن غفلة. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٧٩٠).

(٣) الجَحْر: ذكر صاحب لسان العرب أن الجَحْرة: هي السنة الشديدة المجدبة القليلة المطر. وفي اليمن يقال: أيام الجَحْر. وتعني أيضاً الأيام التي لاينزل فيها المطر، إلا أنها لها موعداً محدداً من كل عام وهو آخر الصيف. وهناك مثل يمني للدلالة على ذلك وهو: (لابد من جَحْر شهرين لو تمطر البحرين).

(٤) حرَّج: ضيَّق.

(٥) الكسارين: الذين يبيعون بالتجزئة.

وفيها أو ما بعدها حرَّق المتوكل كتاب (الفصوص)[1] للشيخ ابن عربي[2]، مستنكراً عليه ظاهر أقواله في الوحدة[3]. وقال: إنه أطعم قطعة منه امرأة مريضة فشُفيت. وهذا الشيخ قد استشرت أقواله على كثير من الناس حتى أن منهم من كفَّره ورماه بالحلول، وهو لايقول به، وهؤلاء الذين كفروه: أحمد بن تيمية الحنبلي، والذهبي[4]، والشيخ حسن الأهدل الشافعي اليمني[5]، وأبو مخرمة[6] صاحب (الفتاوى)، وإسماعيل المقري الشافعي[7]، وكثير من العلماء. وآخرون قالوا: هو من أولياء وإنما جهلوا مقاصدهم،

(١) هو كتاب: (فصوص الحِكَم) مطبوع، وهو من أشهر مؤلفات ابن عربي.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد ابن العربي أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، صوفي يلقب بالشيخ الأكبر. (٥٦٠-٦٣٨هـ/ ١١٦٥-١٢٤٠م) فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في الأندلس وانتقل إلى إشبيلية. له مصنفات كثيرة أشهرها: (الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية) و (ترجمان الأشواق) و (جامع الأحكام) وغير ذلك. استقر بدمشق وتوفي فيها. (الزركلي: الأعلام، جـ٧، ص١٧٠-١٧١).

(٣) المقصود بها: وحدة الوجود. وهو مذهب صوفي تزعمه ابن عربي. يتركز مذهبه في قوله: (سبحان من خلق الأشياء وهو عينها) وبحسب هذه الرؤية فإنه ليس ثمة في الوجود سوى الله؛ لأن الكل يستمد وجوده من الله، فهو الذي يمنح الأشياء وجودها. (للمزيد انظر هاشم معروف الحسيني: بين التصوف والتشيع، ص٣٤٣؛ الموسوعة العربية الميسرة، ص٢٢).

(٤) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ/ ١٢٧٤-١٣٤٨م) حافظ، مؤرخ، علامة، محقق. مولده ووفاته في دمشق، وهو تركماني الأصل. رحل إلى القاهرة، وطاف كثيراً من البلدان. تصانيفه كثيرة تقارب المئة، منها: (دول الإسلام) و (العباب في التاريخ) و (تذكرة الحفاظ) و (طبقات القراء) وغير ذلك. (الزركلي: الأعلام، جـ٦، ص٢٢٢-٢٢٣).

(٥) هو العلامة المحدث الحافظ الحسين بن عبدالرحمن بن محمد بن علي الأهدل. (٧٧٩-٨٥٥هـ/ ١٣٧٧-١٤٥١م) كان من مشاهير علماء عصره، رحل إليه طلاب العلم. وكان عليه مدار التدريس والفتوى في أبيات حسين. من كتبه التي رد بها على ابن عربي: (كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين) وله أيضاً: (تحفة الزمن في أعيان سادات أهل اليمن) و (اللمعة المقنعة في ذكر الفرق المبتدعة) وغير ذلك. (الشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص٢١٨؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ١، ص٤٥-٤٦).

(٦) هو الفقيه العلامة عبدالله بن عمر بن عبدالله بن أحمد بامخرمة (٩٠٧-٩٧٢هـ/ ١٥٠١-١٥٦٤م) من العلماء المبرزين، انتهت إليه رئاسة العلم والفتوى. وقُصد بالفتاوى من الجهات البعيدة. وكان فصيحاً بليغاً فاضلاً في الأدب. تولى القضاء لدينة الشِّحر مرتين. وفي آخر عمره أقام بعدن. له كتاب (الفتاوى الكبرى) و (الفتاوى الصغرى الهجرينية) و (حاشية على أسنى المطالب) و (المصباح شرح العدة والسلاح) وغير ذلك. (العيدروس: النور السافر، ص٢٧٨-٢٨٢؛ سعيد عوض باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص١٣٥-١٤١).

(٧) هو إسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله الحسيني (ابن المقري) الزبيدي. (٧٥٥-٨٣٧هـ/ ١٣٥٤-١٤٣٣م) عالم، فقيه، لغوي، شاعر، مصنف. ولد ونشأ في (أبيات حسين). برز في عدة علوم وفنون، ومهر في النظم والنثر. ولاَّه الملك الأشرف التدريس في (المجاهدية) بتعز و (النظامية) بزبيد. كان له مع الصوفية معارك كلامية طويلة اتضحت في عدد من الرسائل في ذم مذهب ابن عربي واتباعه وقصائد مطولة سجل فيها آراءه ضد معتقد أتباع مذهب ابن عربي. من أشهر مؤلفاته: (عنوان الشرف الوافي) وله (ديوان شعر) وغير ذلك. (السخاوي: الضوء اللامع، جـ٢، ص٢٩٢-٢٩٥؛ الموسوعة اليمنية، جـ١، ص١٠٦؛ طه أحمد أبو زيد: إسماعيل المقري حياته وشعره، ص٣٨ وما بعدها).

فلما لم يعرفوها رموه بظاهر مالم يفهموا حقيقته فيها وهؤلاء مثل: القاضي العارف زكريا[1] شارح الروض من الشافعية وشارح رسالة القشيري[2] وخلائق لا يحصون، ونزهوه عن الحلول، وإنما يقول بوحدة الوجود؛ لأجل استناد كل الأشياء إلى الله ويعتقدونها، فعدوه «ق٢١١أ» بعدة السهروردي[3] في (العوارف)[4] من الجمع والتفرقة[5]. وقد شرح (الفصوص) القيصري[6] وبيّن مقاصده، وكذا شرح (التائية)[7] لابن الفارض[8]، مع أن ابن الفارض قد صرح بأنه لايقول بالحلول في تائيته. وطائفة من العلماء كالسيوطي، والسخاوي وغيرهما قالوا بالوقف في حال ابن عربي، وهو الأولى لمن لم يعرف بمقاصده.

---

(١) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري. وقد سبق ذكره.

(٢) هو عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة بن محمد النيسابوري. أبو القاسم القشيري (٣٧٦-٤٦٥هـ/ ٩٨٦-١٠٧٢م) سمع الحديث على يد كثير من العلماء والفقهاء، وأخذ التصوف عن أستاذه ابن علي الدقاق. كان فقيهاً، بارعاً، أصولياً، محققاً متكلماً، محدثاً، حافظاً مفسراً، نحوياً لغوياً، أديباً شاعراً. من تصانيفه: (الرسالة) المعروفة (بالرسالة القشيرية) و (التفسير الكبير) و (آداب الصوفية) وغير ذلك. (محمد بن علي الداودي: طبقات المفسرين، جـ١، ص٣٣٨-٣٤٦، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٥، ص١٥٣-١٦٢)

(٣) هو عمر بن محمد بن عبدالله ابن عموية أبو حفص شهاب الدين القرشي التميمي البكري السُّهر وَرْدي (٥٣٩-٦٣٢هـ/ ١١٤٥-١٢٣٤م) فقيه شافعي، مفسر واعظ. من كبار الصوفية. مولده في (سهرورد) ووفاته ببغداد. كان شيخ الشيوخ ببغداد. له مؤلفات منها: (نغبة البيان في تفسير القرآن(و (جذب القلوب) و (السير والطير). (الزركلي: الأعلام، جـ٥، ص٢٢٣).

(٤) هو كتاب: (عوارف المعارف) وهو للسهروردي السابق ذكره. وهو في التصوف.ومن أشهر مؤلفاته المتداولة. طبع لأول مرة بمصر عام ١٩٧٧م.(أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مجـ٣، ص٥٣٩).

(٥) جاء في (العوارف) للسهروردي: أن الجمع توحيد والتفرقة عبودية، فإذا أثبت العبد طاعته نظراً إلى كسبه وعملع فرّق، وإذا أثبتها بالله جمع، وإذا تحقق بالفناء فهو جمع الجمع. والجمع والتفرقة من آرا وأفكار الصوفية. (هاشم الحسينس: بين التصوف والتشبيه، ص٤٢٠).

(٦) هو داود بن محمود القيصري (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) (بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، جـ٥، ص٧١-٧٢).

(٧) تُسمى: (تائية ابن الفارض الكبرى) وهي في ٧٥٦ بيتاً. وقد قام بشرحها الكثير من المهتمين.

(٨) هو عمر بن علي بن مرشد بن علي، ابن الفارض. (٥٧٦-٦٣٢هـ/ ١١٨١-١٢٣٥) أشعر المتصوفين، يُلقب بسلطان العاشقين. في شعره فلسفة تتصل بما يُسمى (وحدة الوجود) له ديوان شعر، شرحه كثيرون. (الزركلي: الأعلام، جـ٥، ص٢١٦، ميشال فريد غريب: عمر بن الفارض من خلال شعره).

ودخلت سنة خمس وسبعين وألف[1]

في نصف محرمها خسفت القمر ببرج الدلو.

وتوفي أمير الشامي في الطريق قبل دخوله مكة.

وفيها توفي الشيخ علي العيدروس، وهو من سادة حضرموت المعروفين بآل علوي، وكانت وفاته بجهات الحيمة؛ لأنه كان يدور فيها كل سنة لطلب البر من أهلها، لما يعرفه من المواساة منها. وكان المذكور قد سكن هذه المدة حدَّة من منتزهات صنعاء، واستوطنها، وبنى فيها بيتاً ما بين عُضدان وحدَّة. وكان أهل تلك البلاد يعتقدون فيه، ويرون من أعاجيبه ما يُحار الفكر فيه، منها: أنه روى لي شيخ من مشائخ تلك البلاد أنه أخرج لهم من كمه كل مراد يقترحونه عليه، فمنهم من قال: إنه كان مَخْدوماً، ومنهم من يقول: كان معه من الأسماء علوماً. والمذكور كان صوفياً رحمه الله، والله أعلم بحقيقة ذلك. وكان المذكور له حالات مختلفة في اللباس والأذكار، فتارة يلبس اللبس الغالي والقمصان والبياض والعباءة، وتارة يلبس المرقّعة، وتارة يعلن بالأذكار والمسبحة. وظاهر الرجل مع ذلك الخير والصلاح إن شاء الله. وكان محله مكان أهله بجهات الوهط «ق٢١١ب» وعدن، وتلك الديار، وإنما استقر في حدَّة بني شهاب هذه المدة المتأخرة، وقبر حيث مات بجهات بلاد الحيمة.

ووصل هذه الأيام أحد أولاد أمير الحسا، الذي كان بها يريد العطاء والمعونة من الإمام وأولاد إخوته، ففعلوا إليه جزيل الإنعام. ووالده عيسى بن علي صاحب الحسا يومئذ استقر بمكة عند الشريف زيد بن محسن. وسبب هذا الارتحال من المذكور ما وقع بينه وبين صاحب البصرة حسين من المعاندة والمنافسة، وكان الباشا حسين صاحب البصرة قد أهم بالقصد والتجهيز والسير بنفسه إلى الحسا، وأخذها عن يده والاستيلاء، فخشي المذكور منه، وقد كان ارتحل إلى بعض أطرافه، وهو لايقدر على

(١) ١٠٧٥هـ = ١٦٦٤م.

قتاله، فلما استقر بمكة كتب عروضات[1] إلى السلطان محمد بن إبراهيم بن عثمان تضمن الشكوى من تلك الفعلات، فكان سبب ذلك التجهيز على صاحب البصرة كما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

وفي نصف ربيع الأول سار محمد بن الحسن إلى ذمار.

وجاء خبر «ق٢١٢أ» من مكة أنها زُينت أسواقها لفتح حصل في بلاد مالطة مع جنود السلطان محمد بن إبراهيم بن عثمان.

وفي ربيع الثاني هبت ريح عظيمة بجهات بلاد رَازِح[2]، فاحتملت أشياء من الحيوانات لقوتها بل قد قيل: إنها حملت ثلاث نِسْوَة، وطرحتهن على شجرة والله أعلم.

وفي نصف هذا الشهر سار أحمد بن الحسن إلى أعلى الجوف بمكان يسمى الملتقى بسفال وادي شُوابَه وخرَّج مالاً هنالك، وأجاش[3] على إصلاحه، وحط عليه بأصحابه، فخرج فيه مالاً واسعاً، بعد أن كان ضائعاً، فجاء فيه من الثمار شيئاً كثيراً من ذرة وجلجلان[4] وبر وشعير، وأما الفواكة فغرس فيها فلم تصلح، وكذلك البُن غرسه فلم يجئ فيه شيء ولم يثمر ولا صلح بل تنبت شجره، ولا تجيء فيه ثمرة. وأخرج أحمد بن الحسن ثلاث معاصر[5] حجر كن بشوارع صنعاء في المدة السابقة والأوقات الغابرة يعصرون السَلِيْط[6] بها، ويعتمدون عمل ذلك فيها، فأما هذه العصور المتأخرة فتركوا ذلك واكتفوا عنه «ق٢١٢ب» بما يصل مصنوعاً من الجهات القعطبية والبلاد

---

(١) عروضات: أي شكاوى، وهي جمع عريضة.

(٢) رَازِح: ناحية مشهورة من بلاد خولان بن عمرو، من أعمال صعدة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٣٥٥).

(٣) أجاش: ورد في لسان العرب، جَيَّش: بمعنى جمع الجيوش. ولعل المؤلف يقصد بذلك: جمع الرجال لإصلاح الأراضي للزراعة. (مجـ١، ص٥٤٢).

(٤) الجلجلان: هو السمسم.

(٥) المعاصر: عي عملية عصر الحبوب الزيتية كالسمسم والخردل على وجه الخصوص. أما معاصر الحجر فهي المعاصر التي يكون فيها صهريج العصر من الصخر المنقور. وهو منقور من صخرة واحدة له امتداد أصم عند قاعدته يستقر على الأرض، ومعاصر الحجر تمييزاً لها عن معاصر الخشب التي يكون فيها الصهريج من الخشب. (الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٨٨٥).

(٦) السَلِيْط: الزيت وكل دهن عُصِر من حَب. (الفيروز آبادي: القاموس المحيط، جـ٢، ص٣٦٥).

اللحجية[1] فارغاً حاصلاً[2] لكثرة المعاصر في تلك البلاد، واعتمادهم عليه في تلك الأنجاد، فاستغنوا عنه.

وفي أول شهر جمادى الأولى ظهر نجم في المشرق له نور مستطيل وذنب طويل نحو سبعة أذرع أو أكثر، ثم انتقل إلى وسط السماء واعوج فيها بقي كالقوس، ثم عاد إلى الاستقامة، ولعل ظهوره كان ابتداؤه في برج الثور، ثم انتقل إلى المغرب وكان ابتداء ظهوره وقت السحر، ثم مازال كذلك حتى ظهر وعاد إلى المشرق قبل الفجر، ثم اضمحل، وزال عن كمل، وهو من ذوات الأذناب والنيازك التي يكوِّنها الله تعالى، وعلامات لشيء من الشدائد، فإنها نحوس كما ذكرته الحكماء في كتبهم، وقد يكون الغلاء وارتفاع الأسعار كما أجرى الله العادات في غالب الأوقات، وجاء بذلك حديث نبوي عن النبي ﷺ، وكان مدة لبثه من أول الشهر المذكور إلى آخر جمادى الأخرى لبث كذلك ظاهراً قريب شهرين إثنين.

وفي هذا الشهر وقع ببلاط برط صعقان تشبه تعاشير البنادق الكبار، وهي نجوم خَرَّت من السماء فوقعت قريب بلد هنالك تسمى العِنان[3]، وسمع صوت صعقاتها إلى بلاد سُفيان «ق٢١٣أ» وكان ذلك وقت العصر.

وفي تاسع وعشرين شهر جمادى الأخرة أكسفت الشمس وقت صلاة الضحى يوم الجمعة في برج الجدي بعقدة[4] الذنب.

وفيها وصل أمير بلاد حضرموت والشِّحر إلى الإمام، وكانت طريقه الجوف لأنها أقرب، وإن كانت صعبة بالنظر إلى قلة الماء والمقاطع والنهب. وكان معه هدية للإمام

---

(١) إشارة إلى منطقتي قعطبة ولحج وقد سبق ذكرهما.

(٢) يقال للشيء الجاهز في اليمن: (حاصل).

(٣) العِنان: بلد في برط، وهو مركز الناحية. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٦١٢).

(٤) العُقْدة: هي النقطة التي يقطع فيها السيار فلك البروج، فإذا كان متقدماً من الشمال نحو الجنوب فنقطة تقاطعه هي العقدة النازلة أو عقدة الذنب. (أمين المعلوف: المعجم الفلكي، ص٨٠).

انتهبها عليه أهل المشرق من العرب، ولم يصل ما جاء به ووهب، وأمر الإمام يومئذ الفقيه أمير الدين العلفي الأموي لولاية الشِّحر، فسار إليها، وكان هو المتولي أولاً لعدن، وجعل أحمد بن الحسن في عدن متولياً الفتى الآغا فرحان، واستأذن الواصل المذكور صاحب حضرموت للحج إلى بيت الله الحرام وهو المسمى بدر بن عبدالله الكثيري، فأذن له وسار الحج، وكذلك ابن أخيه، فمات بدر بن عبدالله الكثيري بطريق الحج، واستقرت ولاية حضرموت لمحمد بن بدر[1]، والشِّحْر إلى أمير الدين العلفي الأموي.

وفي رجبها ظهر في جبل جُبَع[2] من مساقط بلاد «ق٢١٣ب» حُفاش رجل ينادي ويعظ الناس، ولا يُعرف محله ومكانه، ثم دخل في هيجة لاحمة هنالك، وبقي فيها متوارياً ويخرج في بعض الأوقات للوعظ لمن يقرب إليه من القرى والبلدان مدة هذه الأعوام، وله أصحاب يواصلونه ويوافقونه في بعض الأيام، وتارة يقول أنه المهدي الذي يخرج آخر الزمان، وتارة يقول واعظ آمر ناهي عن أعمال الأنام، وقد وصل منه كتاب إلى عند والي المَحْويت على يد أصحابه، وبلغو إليه ماكتبه بأقلامه. قال الراوي: وكلامه لايدل على علم ولا عرفان، ولا ما يستفيد منه إنسان، والله أعلم ما يكون وكان، وليس المهدي وقته هذا الزمان، ولا أيامه هذا الحين والأوان، حسبما في الملاحم المشهورة، والأقوال المأثورة، والأخبار النبوية في الشرايط والأمارات، التي لا تُخفى على أهل العلم من أهل النهايات[3]، وإنما هذا يكون من نوادر الأوقات، وما يجري فيه من الدعاوى التي لاتزال «ق٢١٤أ» غَضَّات[4]طريات، مع أن المهدي لايكون ظهوره آخر الزمان، إلا من مكة المشرفة في ذلك الوقت والأوان، كما في الأخبار النبوية،

---

(١) هو السلطان محمد بن بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق الملقب (بالمردوف). خلف أباه بحضرموت سنة ١٠٧٣هـ. كان حازماً صارماً شديد الوطأة على العشائر المتسلحة، منصفاً للمظلوم. مكث في السلطنة سبع سنوات إلى أن توفي سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م. (محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، جـ١، ص٨٥-٨٦).

(٢) جُبْع: عزلة بناحية ملحان من بلاد المحويت. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١٧٨).

(٣) أهل النهايات: أهل العقول.

(٤) غضات: تعني طريات.

والآثار المروية، فليُحذر من أهل الدعاوي، ولا يُلتفت إلى أقوالهم في هذه المهاوي.

وفي أول شعبانها سار أحمد بن الحسن إلى مَعِين[1] من بلاد الجوف؛ لأجل قصد بدو المعضة الذين انتهبوا ما خرج من صاحب حضرموت يوم خرج إلى حضرة الإمام كما سبق ذكره، ولأخذ منهم ماظفر من الزكاة التي على مواشيهم وإبلهم، فسار إلى هنالك، ثم أرسل من مَعِين جماعة من عسكره إلى أطراف صرُومهم، فاستاقوا بعض مواشيهم، ثم أنهم تبعوهم في أثرهم، ووقع القتال بينهم، فراح من أصحابه أربع أنفار حال المنع لهم والدفاع، والضرب في الاطلاع، وهم من العبيد وأهل الخيل، ووصلت الإبل إلى حضرة أحمد بن الحسن، وكان جماعة من أصحاب أحمد بن الحسن قد تأخرت عن الأولين، ورئيسهم سيد من عقبات[2] فيهم، فظفر بهم جماعة من المعضة وأخلاط معهم من وايلة ودُهْمة، فوقع بينهم ذلك الحادث، وكان قبضوا السيد «٢١٤ب»، ثم أرجعوه وصالحوه على أنفسهم.

وفي شعبان منها وقع غارات مع عيال أسد[3] في تلك الجهات، فقتل منهم ستة.

وفي هذه السنة جاء خبر بوقوع خسف عظيم ببلاد العجم.

وفي هذا الشهر خرج السيد محمد بن علي الغرباني[4] القاسمي من عند والده وبيته بصنعاء. وكان يُقرِّي[5] بمسجد القبة من صنعاء المعروف بمسجد صلاح الدين، وسار

(١) مَعين: مدينة في الجنوب الشرقي من مدينة الحزم. أعلى وادي الجوف من ناحية الشمال الغربي. عرفت قديماً باسم (قرنو) كانت عاصمة المملكة المعينية. (المقحفي: معجم البلدان، ص٦٤٣).

(٢) عقبات: من قرى عيال سِرَيح، إليها ينسب الأشراف بيت عقبات، وهم من ولد الحسن بن حمزة، أخي الإمام عبدالله بن حمزة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٦٠٧).

(٣) هناك أكثر من منطقة يطلق عليها: (بني أسد) منها: بنو أسد من ناحية عتمة؛ وأخرى من المحابشة من الشرفين بلاد حجة؛ ومخلاف أسد من مخاليف ناحية بلاد البستان من نواحي صنعاء. أما عيال أسد فلم أجده في مابين يدي من مصادر. (المقحفي: معجم البلدان، ص٣٠).

(٤) هو السيد الداعي محمد بن علي بن محمد بن الحسين بن عبدالله الغرباني، نشأ بصنعاء، وأخذ عن علماء عصره. استقر آخر عمره في صعدة حتى توفي فيها سنة ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م. من مؤلفاته: (إتحاف المهتدين). (زبارة: نشر العرف، جـ٣، ص١٨٦-١٩٩؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٣، ص١٥٩٣-١٥٩٨).

(٥) يُقَرِّي: بمعنى يُدَرِّس.

إلى بلاد بَرَط، وطلب من الناس الإجابة والعقد للبيعة، فلم يجبه أهل بَرَط، وما لبث أن أرسلوه[1] أهل بَرَط إلى الإمام، فسكن وعاد إلى صنعاء

وفي رمضانها توفي السيد العارف عز الدين بن دريب بالطويلة غربي كوكبان في بيته هنالك. وكان هذا السيد له معرفة في الفقه، ومشاركة بغيره، وسمع البخاري على بعض بني النزيلي. وكان قاضياً بجهة الطويلة بعد أن كان أولاً والياً في مدة الإمام المؤيد بالله، فلما صارت الطويلة إلى الأمير ناصر بن عبدالرب «ق٢١٥أ» بولاية الإمام المتوكل له عذره عنها، فاستمر استقراره في بيته ومحله فيها. وكان يذهب إلى أن الإمامة ظَنِيَّة اجتهادية كما هو قول الشافعية. ولما خرج رئيساً لعسكر أحمد بن القاسم إلى خِدَار كتب إليه إسماعيل بن القاسم -وكل منهما قد دعا إلى نفسه كما سبق ذكره- فقال في كتابه إلى السيد عز الدين دريب: أنه لاينبغي من مثلكم وأنتم بمحل من العلم أن تكونوا بغاة علينا، ومحاربين لنا، فأجاب السيد عز الدين دريب: إن الإمامة ظنية اجتهادية، وصنوكم أحمد المتقدم في الدعوة عليكم. ومما اتفق في أيام السيد رحمه الله أنه كان في بعض مجامع تدريسه والقراءة بمجلسه اعتراض المذكور رجل من الجارودية وقال للسيد عز الدين لِمَ تُرضّي على الصحابة، فإن أهل البيت لا يتَرَضَّوَن عليهم، فأجاب عليه السيد عز الدين دريب وقال: أنا أعْرف بمذهب أهل البيت منك، وأعْرف بأقوالهم، وكتبهم ورواياتهم وأحوالهم، ثم أمر بإخراجه، ولا يعود بحضوره، ولا يقعد مجلسه، لَمَّا عرف بقصده، وعدم إنصافه، وكان هذا أيام ولاية السيد. هكذا أخبرني من حضر عنده.

وفيها انزعج القاضي علي بن يحيى بن صالح العنسي[2] من بيته وأرضه جهات بَرَط، وانصرف عن ذلك المحل والوهط، يؤُم جهة العراق، وتلك النهوج والآفاق، طريق الدواسر، واستقر في تلك الجهات، ولم يعد منها إلى بلاده في جميع هذه الأوقات.

(١) كذا في الأصل. صحتها: (أرسله).

(٢) لم أجد له ترجمة في مابين يدي من مصادر.

«٢١٥ب» قيل: وسببه أن المذكور قرأ في الأسماء الأربعينية المشهورة فحصل معه عند ذلك جذب الحالة وتشويش الخاطر، وارتحاله فريداً، وحيداً، سائحاً، وسألت عنه بعد مرور مدة طويلة هل وُجِد له خبر عند أهله وأقاربه؟ فقال الراوي: نعم جاء منه كتاب إلى أهله أو وَصيَّته خطاب يقول فيه: إنه حج ذلك العام، وعاد مع قبائل الشام، وإنه فارقه من نواحي بلاد الدواسر، وتلك النهوج وهو عابر، والله أعلم. وتعقَّبه ولد للفقيه عبدالله الجربي كان بصنعاء بعد موت والده قد شرع في قراءة (الأزهار)، ثم أنه توحش، وكان يخرج فيقعد بين القبور بباب اليمن، وإذا دخل بيته خلا في منزله، وسببه؛ أنه عكف على شيء من الكتب المندلية، والرقا العجمية، فحصل معه تغير مزاج، وجذب وانحراف، ثم أنه خرج من صنعاء وساح، ولايُدرى أين ذهب، ولا أحد يأتي له بخبر، ومثل هذه الرُقا العجمية قد ذكر العلماء كراهة اعتمادها؛ لأنه لاتُعرف معانيها، وكذلك الأسماء يحتاج صاحبها «ق٢١٦أ» إلى طهارة باطن وظاهر، وقوة جأش وخاطر، وإلا حصل معه تغير في العقل، ثم أن المطلوب من العبد الاشتغال بالواجبات، وأنَّى يقوم بذلك إلا من وفقه الله، ولا يدخل نفسه فيما لايعنيه، والله يختم بخير.

وفيها أخبرني رجل يقال له: الفقيه أحمد العنسي المؤذن أنه سار لزيارة الشيخ أحمد بن علوان نفع الله به إلى يَفْرُس، فنام عند قبره، وعقد في نفسه إشارة تظهر من الشيخ له، قال: فرأى في نومه وهو بين النائم واليقضان يقول له. الشيخ أحمد جئت لتراب؟ شِل[1] تراب، قال المذكور: فما حصل له إشارة من الشيخ ورجع. قلت: بل قد حصلت إشارة عظيمة، وفائدة جسيمة لو فهمها الرجل، فإنه قال: إن سيره إلى نهجه من جهة أحوال الدهر، وتعْسُر أعمال الدنيا إلا بقوة الصبر، فأراد الرجل أنه يشير بإشارة قبض ذهب وفضة باليد من غير تعب ولا نصب، ولا عمل ولا كسب، فجاءت[2] إشارة الشيخ على قوله: جئت لتراب؟ شل تراب يشير أن الدنيا كالتراب[1]،

(١) شِلْ تراب: أي خُذ تراب.

(٢) وردت في الأصل: (فجاء).

وأنه لا يملأ جوف «٢١٦ب» ابن آدم منها إلا التراب كما في الحديث النبوي المشهور[٢]، فأراد حقيقة هذه الإشارة التي جاءت على لسان هذا الطالب أنك اقنع بما يسره الله لك، وما رزقك، فإن طالب الزيادة على ما كُتِب طالب للتراب الذي هو غاية منتهى سؤال السائل لو عرف المسكين.

ولما استقر أحمد بن الحسن هذه المدة بمَعِين بالجوف وجد هناك مآثر خاربة، وأساسات ذاهبة، مثل: البيضاء والسوداء[٣] والأهرام[٤]، يحفها الجميع غيل مُراد[٥] وغيل شُوابة، وهو غيل كبير لا سيما بأوسط الوادي، بحيث أخبرني رجل من أهل شُوابَه وهِرَّان: أن هذا الغيل لايقدر أن يعبره أحد في أيام السيول والأمطار، وفي سائر الأوقات لا يعبره إلا القوي من أهل تلك الأقطار، وأنه في القوة كغيل السَّحُول في البلاد اليمنية ولكن أهله أشرار، وقبائل ليسوا في الغالب أهل قرار، عمدتهم على المواشي والجمال، واللحوم والألبان، لاعلى الحرث والثمار. ولما دخل أحمد بن الحسن تلك المآثر الخراب، وأرادوا القعود وعدم الذهاب، خرجت عليهم نمل كثير من بين التراب، فصدتهم عن السكون بين تلك الهضاب. «ق٢١٧أ» ولعل الحكمة والله أعلم

---

(١) ورد حول هذا الموضوع تعليق بخط مختلف عن خط المؤلف، لعله خط حفيده،يقول فيه: (قلت لا إشكال أن رواية مولانا العماد رحمه الله صحيحة، بلا ريب ولا إشكال، إلا أنها قد تكون رواية الفقيه أحمد العنسي غير صحيحة من باب الرؤيا الحقيقية الذي جاء فيها عن الرسول ﷺ: [إن الرؤيا من الرجل الصالح جزء من الوحي.] الحديث. وإلا فالإمام أحمد بن علوان رضوان الله عليه من جملة الأموات الذين لايملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً. والأولى للمؤمن أن يحب الصالحين، ويبالغ في حبهم، ولا يعتقدون أن لهم تأثيراً في شيء، وإلا كان شركاً، لقول الله تعالى: ﴿فمن يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾.

(٢) نص الحديث: (لوكان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب على من تاب) ورد في صحيح البخاري، مجـ٣، جـ٨، ص١١٥؛ صحيح مسلم، جـ٧، ص١٣٨-١٣٩؛ سنن الدارامي، جـ٢، ص٣١٨-٣١٩؛ سنن ابن ماجه، جـ٢، ص١٤١٥).

(٣) البيضاء والسوداء: من المدن الأثرية في الجوف وجُعلت هذه المدن على ربوات صناعية من التراب، رغم مرور الدهر الطويل إلا أن الربوات باقية. (السياغي: معالم الآثار اليمنية، ص٥٦-٥٧).

(٤) الأهرام: هَرَم: اسم موضع بالجوف، كان فيه بناء عجيب بناه ملوك حمير. (نشوان الحميري: منتخبات من أخبار اليمن، ص١٠٩).

(٥) غيل مراد: يذكر الحجري بأن ناحية الجوف كانت أكثرها لمراد نزحت عنها، لذلك سمى الغيل بغيل مراد. وهي من قبائل مذحج، والغيل: نهر وقرية في الجوف. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٧٠٣).

في ذلك أن هذه الأرض -أعني أسافل الجوف- وما اتصل بها إلى بيحان وبلاد سبأ خسف الله بها، وأزال أهلها عنها، ومزقهم في الأرض، وأبدلهم بجنتهم جنتين ذواتي أكل وخمط وأثل وشيء من سدر قليل كما في القرآن الكريم وقد قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[1] فلهذا الوجه صرفت هذه الأسباب عن إقامة شيء في أسافل تلك الشعاب وكلما انجر في[2] أسفال الجوف إلى قرب سبأ، كان أعظم عدم إمكان السكون فيها والإحياء، وكلما توسط بحدود الجوف كان أحواله وسطاً، فهذا أوجه الحكمة في ذلك، والعلم عند الله تعالى[3].

ومما جرى هذا المجرى، في تلك النهوج القصوى ما أخبرني به بعض قضاة بَرَط، وأهل ذلك الوهط، قال: أن بعض أهل بلادهم ساروا على إبلهم يؤمون أطراف الرمالة، في تلك النهوج والحالة، قال: فوصلوا إلى مكان وإذا فيه أساس آثار قديمة، وأشرفوا على ماء معين، قال: فهم «ق٢١٧ب» في ذلك المقام، وتحقيق النظر فيها التام إلاَّ وقد حملت عليهم طيور انبعثت من ذلك المكان إلى وجوههم ووجوه إبلهم، قال: فصوَّعتهم[4] وصوَّعت إبلهم، وشعفتها[5]، وصدتهم عن التمكن من الوصول إلى حقيقة ذلك الأساس والماء، قال: فرجعوا مضطرين غير مختارين، والله أعلم[6].

وفي رمضانها عاد ذلك النجم الذي كان ظهر في شهر جمادى الأولى والنور شعلة طويلة قدامه قدر سبعة أذرع نحو منزله، ثم اضمحل بسرعة.

وظهر فيها لقاضي المدينة حسن بن يحيى حابس رجل أمرد، أصرم، لا لحية له، كان يتشبه بالنساء ويلبس لباسهن، ويدخل البيوت عند النسوان فلا يستنكره أحد، ويظن

---

(١) سورة الأنبياء، آية: ٩٥.

(٢) لم تتضح الكلمة فهي تحتمل أكثر من معنى؛ لأنها غير معجمة.

(٣) لعل السبب في كثرة النمل التي ذكرها المؤرخ أن الأرض التي لاتُحرث تكثُر فيها الحشرات وليس النمل فحسب.

(٤) صوعتهم: فرقتهم وباعدتهم جميعاً، وأخافتهم وأفزعتهم (الفيروزآبادي: القاموس المحيط، جـ٣، ص٥٣).

(٥) شعفتها: أصابها الشَعَف: داء يصيب الناقة فيتمعط شعر عينيها. (المنجد في اللغة، ص٣٩١).

(٦) من المعروف أن الطيور تتواجد في الأماكن الأثرية والخاربة.

الناس أنه امرأة، وهو رجل شاب من أهل سوق الحب بصنعاء، فحبسه القاضي أياماً.

وفي ثاني أيام عيد الفطر أول شوالها ظهر على بعض بيوت الجيران بمدينة صنعاء مراجيم متتابعة إلى باب المجلس الذي فيه أهله، كان لايرون إلا سقوط الحجار وصوت وقعها في الباب، وكان الرجم ثلاثاً ثم يسكن، ثم كذلك الليل والنهار، سمعها جميع «٢١٨أ» جيرانه، ومن حواله، ومن مضى في شارعه أو بابه ظاهراً، وكان ابتداء ذلك الرجم عقب العشاء أول ليلة، فظنوا أولاً أنهم رجال، فداروا فما وجدوا أحداً، ثم عاد على ذلك، فراعهم مارأوه وما سمعوه، ثم أنهم تلك الليلة خرجوا من بيتهم وأخذتهم الوحشة بأجمعهم، ثم لما استمر ذلك الرجم على تلك الحالة في النهار عادوا بيتهم وسكنوه والرجم مستمر إلى نفس الباب الذي في المجلس من داخل البيت، وكنت ممن سمع ذلك كذلك، وكان استمراره الليلة الأولى، ثم النهار الثاني، ثم يسكن، ثم عاد كذلك في شهر القعدة، ثم سكن، وعاد بعد ذلك في شهر الحجة، وبقي أياماً يرميهم بالحجارة إلى ذلك الباب ثم سكن. وقد كان جاءوا عند الابتداء بالمعزِّمين[1] فما أفادوهم ولا نفعوهم؛ لأنهم قالوا من الجان ذلك الفعال، والله أعلم.

وفي ثاني شهر شوال توفي الشيخ أحمد بن عامر الجماعي من مشائخ اليمن الأسفل من بلاد بَعْدَان، وكان تزوج أحد بناته «٢١٨ب» شرف الإسلام الحسين.

وفي آخر شهر شوال اكتفى الإمام بأمر السيد محمد بن صلاح لمسايرة الحاج إلى مكة المشرفة، وترك النقيب فرحان هذا العام؛ لأجل ما حصل معه في العام الماضي في بلاد الحرامية.

وفي هذه المدة جاءت الأخبار إلى اليمن بأنه جُهِز من بلاد مصر أمراء وجند كثير، والمراد خروجهم إلى البصرة من جهة ما حصل من الباشا حسين الذي فيها إلى جانب الباشا عيسى بن علي صاحب الحسا بعد وصول تلك العروضات التي كتبها عيسى بن علي باشا كما سبق، فلما بلغ الباشا حسين التجهيز عليه أصابه القلق، والخوف من

(١) المعزِّمين: هم المشعوذون الذين يعلمون ما يُعرف بالعزائم أو الرُقا.

السلطان والفرق، فطلب مصالحة صاحب الحسا، والرجوع إلى بلاد، والإتفاق به، قال الشيخ محمد بن حسن الحساوي: فأشار خواص عيسى باشا بأنه لا يساعد المذكور، فإنه قد اشتهر بالظلم والخدع ومجازفته في الأمور، وأنه يُخشى عليك منه السم؛ لأنه قد فعل مثل ذلك لمن عانده وخالفه وبه لَمْ. وقد كان المذكور عاد «٢١٩أ» من مكة لَمَّا بلغه التجهيز بأمر السلطان قبله، قال: التوكل على الله، وأما الحذر فنفعله إن شاء الله، فلما اتفق بحسين باشا لم يأكل مما قربه من الطعامات، واعتذر ونجا في جميع الحالات، وعقد بينه وبينه الصلح، قال: فوصلت الجنود خلال ذلك، وتم من الأمر ما وقع هنالك، أخبرني الشيخ محمد بن حسن الحساوي قال: لَمَّا وصل جنود السلطان، وبلغوا إلى خوارج البصرة وتلك الأوطان، وهم قريب أربعين ألفاً مع ما اجتمع معهم من جنود مدن العراق كبغداد وغيرها، قال لي المذكور: فلما وصلوا ذلك المكان بذل الباشا حسين صاحب البصرة الرشا والبرطيل الكثير،والمال الواسع العريض الطويل،ونفائس الهدايا،والمداراة لأمراء تلك السرايا،وذكر لهم إن صاحب الحسا قد اصطلحنا نحن وإياه،وأرضيناه، ولم يبق عمل مما نخشى سواه، قال: فأَثَّرت تلك الأمور عند الأمراء والعساكر«٢١٩ ب»، وعادوا الى اصطنبول من غير تناكر، قال: فلما وصلوا،وبما به أخبروا، تغيَّر السلطان محمد بن إبراهيم بن عثمان، وقال لهم من أمركم بهذا العود،وعدم تنفيذ ما أُمِرْتُم به من القبض على حسين باشا والقود؟ وأرعد عليهم وأبرق، قال: وربما أنه أمر بقتل من كان إليه في ذلك المعتمد من غير تحقيق، قال: ثم أمر بالتجهيز والعود على حسين باشا. قال: فوصلوا إلى البصره في سنة ثمان وسبعين وألف[1] بعد أن زاد في الاهتمام للسلطان بالتجهيز عليه ما وصل من شُكا أعيان البصرة من ظلم حسين باشا، وما هو عليه، فوصل هذا الجهاز العظيم، والقوم الكثير في سنة ثمان وسبعين وألف، وهم من ثلاثين ألف إلى أربعين، فتلَقَّاهم حسين باشا للحرب، فوقع حرب واجد عظيم، وقتل جسيم، ثم انهزم حسين إلى البصرة، واستقل

---

(١) ١٠٧٨هـ=١٦٦٧ م.

بجميع أثاثه، وأهله، وخزائنه في البحر، وحرَّق سوق البصرة، وانتهب، ثم ذهب إلى بلاد الشاه عباس، ثم دخل جنود السلطان البصرة عقب ذلك. قال: فكتب أصحاب السلطان إلى الشاه«٢٢٠ أ»إن بينك وبين السلطان صلح،فإن بَنَيْت[1] على إيواء هذا الرجل عندك فهذا نقض للصلح، وإن لَمْ أمرته بالخروج لئلا يحصل نقض الصلح،قال فقال للباشا حسين: لا تسعك بلادي، فخرج منها إلى جهات الهند، والله أعلم ماكان من أمره بعد ذلك، فمن الناس من يقول: مات قبل وصوله الهند، ومنهم من قال: دخل جهات الهند خائفاً ذليلاً،بعد أن كان ملكا عظيماً. قال المذكور: وجعل أمراء[2] العسكر الذين خرجوا بعض أقارب حسين هذا والياً للبصرة، يقال له يحيى بن عُليا، وجعلوا معه عِّينة من الأروام بها، هذا ثم أنه كان في سنة ثمانين وألف[3] وخرج طائفة من قبل السلطان وعساكره وفيها باشا بتوليه مدينة البصرة، وإزالة الذي نصبه الأمراء حال أخذها كما سبق ذكره، فلما وصل إليها في رجب أو شعبان امتنع متوليها عن التسليم، وركز فيها للامتناع، قال الراوي: فدخل عساكر «٢٢٠ ب» السلطان من جانب المدينة، ووقع الحرب والقتال، وانهزم صاحبها ومن كان قد جمع من قبائله في البرية، فهلك كثير من الناس قتلاً، والبعض عطشاً في ساحلها لعدم الماء، ودخل الباشا، وتولاَّها، وقرر قواعدها، واستمر فيها. قال الراوي: وسبب هذا أن السلطان لّما وصله الخبر ورجع جنده الذي أرسل، استصوب عملهم في الاستيلاء على حسين صاحبها الأول وطرده عنها، إلا أنه لم يرتض تولية قريبه ابن عُليا، فلذلك أرسل الباشا المذكور لقبضها وتوليها.

وفي شهر ذي القعدة من سنة خمس وسبعين وألف توفي القاضي العارف هادي الحشيشي[4] وقد بلغ سن الشيخوخة. وكان من أعوان الإمام القاسم

---

(١) بنيت: نويت.

(٢) ورت في الأصل:«أمر».

(٣) ١٠٨٠هـ=١٦٦٩م.

(٤) ترجم له القاضي إسماعيل الأكوع في كتابه الهجر، ج١، ص٢٣٨ نقلاً من هذه المخطوطه. ولم أجد لهع ترجمه اخرى.

وولده المؤيد بالله، ورئيس قومه بني حشيش والسِّر، وكان موته بداره ومقره الأبناء[1] من وادي السر. أخبرني المذكور أنه جرى له «ق٢٢١ أ» في مدته تعب كبير، ونصب عريض طويل، وامتحان في مدة سنان باشا الكيخيا، وما كان منه من التشديد وقوة البأسا، ولما حرّج سنان على الفقهاء في زمانه، وأذاقهم مرارة عقابه، وما يجري معهم من القتال إذا ظفر أحد بهم من عساكره لـمّا حثهم على ذلك، وبذل للشيخ الدراهم في مقابل ما هنالك، فتخوَّفوا، وحذروا، وغيَّر كثير منهم لباس الفقهاء، ولبس لباس القبائل والضعفاء، ليأمن من شرهم، ويسلم من ضفرهم. قال المذكور: ولم يكن هذا التحريج منه إلا في فقهاء البوادي؛ لأنهم الذين صاروا يحملون[2] الناس من الأنحاء والفيافي، دون فقهاء المدينه، فإنه لاضرر منهم ولا ريبه، قال المذكور: وكان من جملة الذين في البوادي. قال: فدخل هو وغيره من الفقهاء إلى بلاد خَوْلان، ليحرزوا أنفسهم فيه مما يجري من الطغيان، ورافق القاضي سعيد الهَبَل[3] في ذلك الزمان هو وغيره. قال «ق٢٢١ ب» فما زالوا هنالك مكرَّمين قائمين بهم القبائل غير مقصِّرين، وصابرين حتى دخل سنان باشا خَوْلان في زمانه بعساكره وجنوده، فهربوا إلى بِدْبِدَه[4]، وتفرقوا في الشعاب والأوديه، لعدم قوتهم على الدفع، لكثرة من معه من الجمع. قال: فأطل عليهم من جبل هناك وأمر عساكره بالتعشِيرة، فعشَّروا تعشيرة هايلة رُجَّت الجبال منها، وظهر للناس رعبها، ثم دخل بعض جنودهم إلى جانب بلد بِدْبِدَة فأخربوا جانبها، ثم صعب عليهم باقيها فتركوها وعادوا عنها، قال: فلما حصل هذا الخوف الشديد وعدم الأمان واستحكمت البلاد لهم باليمن حَوَلْتُ لباس الفقهاء عني وأزلته بالكلية من فوقي، ولَبِسْتُ لبس القبائل، فجعلت إزاراً وقعشة

---

(١) الأبنا: قريه في وادي السِّر شرقي صنعاء، من ناحية بني حشيش. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، ج١، ص٥٤).

(٢) يُفهم من السياق أنهم يدفعونهم إلى الثوره ضد العثمانيين.

(٣) هو القاضي العلامه سعيد بن صلاح الهبل. كان الإمام إسماعيل أحد تلاميذه. سكن صعده مدة ثم عاد إلى الأهنوم، توفي بها سنة ١٠٣٧ هـ/ ١٦٢٧ م (زباره: ملحق البدر الطالع، ج٢، ص ٩٦).

(٤) بِدْبِدَه: ناحيه في محافظة مأرب تضم عدة عزل. وهي من المناطق الأثريه. (الجمهوريه العربية اليمنية، الجهاز المركزي للتخطيط: التعداد السكاني لعام ١٩٨٦، محافظة مأرب، ص ١٤).

وطلقاً[1] على رأسي، ورديفاً ألتحف به، وسباعية[2]، وبقيت على ذلك الحال مدة ثمان سنين حتى انقضت مدة سنان إلى آخرها، وتولى جعفر «ق ٢٢٢أ» باشا، ووقع الصلح وأزال في زمنه بعض البأساء. هكذا ذكر لي المذكور من لفظه رحمه الله.

وفي ذي الحجة منها وقع مرض ببيت القابعي من أعمال شهارة، ومات كثير من الذين كانوا فيه. وكذلك حصل مرض وموت ببندر المخا في هذه الأيام.

ودخلت سنة ست وأربعين وألف [3].

فرض الإمام على كسارين[4] التتن كل يوم بقشة، واستمر ذلك كذلك حتى رفعه مع رفع قبال المصلحين في سنة سبع وسبعين [5].

وفي محرمها وصل حاج اليمن، وكان معهم حال الدخول طرف قتال الحرامية، فقُتل من الحرامية وأُسر منهم، وقُتِل من العسكر نفر واحد أو اثنين.

وفي هذه الأيام طلع أحمد بن الحسن من الجوف بعد أن كان أَهمَّ بدخول بَرَط، فأكثروا المكاتبة إلى الإمام وإلى صنوه محمد بن الحسن بأن بلادهم لا تحتمل، وأنهم مطيعون مسلمون الواجبات إلى قُضاتهم، فأمر الإمام أحمد بن الحسن بالعود، فعاد الغِرَاس.

«٢٢٢ب» وكان مطر صيف هذه السنة صالحاً وفيها مباركاً، عم شرق اليمن وغربه.

وفيها سار الأمير عبدالقادر بن ناصر صاحب كوكبان إلى الحضرة العالية، وطلب من الإمام قضاء دين، فأجاب عليه السلام بأن البلاد كافية، فقال: لم نقم بذلك لزيادة

(١) طلقاً: يذكر ابن منظور أن الطَّلَق: الحبل المفتول (ابن منظور: لسان العرب، مج ٢، ص٦٨٠).

(٢) السُّباعيه: القُبع، وهو نوع من الملابس الخاصه بغير الفقهاء والعلماء. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج١، هامش ص٢٣٨).

(٣) ١٠٧٦هـ = ١٦٦٥م.

(٤) أي البائعين بالتجزئة. وقد سبق ذكرها.

(٥) ١٠٧٧هـ = ١٦٦٦م.

المقررات في المدة الآخرة.

وفيها ساخ[1] جبال باليمن: منها في جهة الأهجْر، كبس بجانب طريقه، ومنع المارة في جهته، ومنها جبل في بني حَجَّاج[2] بشَظَبْ غيَّر في الطريق، وسد المرور في المضيق، وكذا في جهات بلاد كُحْلاَن وعفَّار.

وفي شهر ربيع الآخر مات الفقيه العارف محمد بن لطف الله الخواجا الشيرازي[3] الأصل ثم الصنعاني بداره وبستانه الجراف أيام نزهة الخريف، وقُبر بخزيمة، وبنى عليه والده قبة هنالك رحمه الله. وكان المذكور قد طلب في العلم، وقرأه وأحكمه، وبلغ فيه إلى ما يهواه في النحو والمعاني والبيان والمنطق على شيخه الفقيه العلامة عبدالرحمن الحيمي رحمه الله، فإنه لازمه وتَخَرَّج عليه بوقوع الجُورة بينه وبينه، وقرب بيته في صنعاء، وفي نزهة الخريف. «ق٢٢٣أ» وكان مذهبه متردداً بين الشافعية والإمامية والهدوية ولذلك جمع بين كتبهم الجميع بعد أن كان أهله إمامية اثني عشرية.

وانحطت الأسعار وسط هذه السنة عمَّا كانت أولها، وزالت العسرة والله هوَّنها. وكان شتاها قليل البرد معتدلاً.

وفي جمادى الأولى سار الإمام من شهارة إلى حَبُور، فسكن فيه برهة على السرور والحبور. وسار محمد بن الحسن من ذمار إلى اليمن الأسفل، فسكن بيَرِيم بعض أيامه ثم نزل إلى بلاده ويمنه، ومر بلاد دَمْت[4]، وقَعْطَبَة، ثم عاد إلى إبّ وجِبْلَة.

وفي هذه السنة انبعث سيد علوي من سادة المأْخَذ[5]، فأنكر الاحتفال[6] بالمساكين،

---

(١) كذا في الأصل والأصح ساخت.

(٢) بنو حَجَّاج: من قبائل حاشد بحجاج، وهي من أعمال السُّودة، يسكنه بنو حجَّاج في جبل شَظَب. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٢٢٩).

(٣) ترجم له صاحب الجامع الوجيز نقلاً من هذه المخطوطة.

(٤) دَمْت: مركز ناحية تتبع رداع، وهي الآن من نواحي قضاء النادرة في محافظة (إبّ) جنوب صنعاء. تبعد عن مركز اللواء نحو ١٣٠ كيلومتراً شمال شرق. وبها حمام طبيعي مشهور. (الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤٤٣).

(٥) المأْخَذ: قرية عامرة في أعلى البون من جهة الغرب. تبعد عن عمران غرباً بضع عشرة كيلومتراً تقريباً. يُنسب إليها الأشراف بيت المأخذي. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٦٨٣؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٤، ص١٩٣٥).

(٦) كذا في الأصل. والأصح: (عدم الاحتفال).

وظلم دولة المسلمين، وأن العطاء قد صار للكبار والمؤُلَّفين، والأجناد الملازمين، وقال: إنه يريد أن يكون إماماً، فلم يلتفت إلى كلامه أحد، ولم يجِدِ ماذكره من الجهد، ثم أن أحمد بن الحسن لَّما وصل إليه أعطاه شيئاً من المال لتزول به عنه تلك الآمال والأقوال «ق٢٢٣ب»، وظهر له نقص عقله على كل حال، فيقال أنه أمر بأن يكوى برأسه ليزول عنه ما به، وكان هذا العلوي خارجياً في العقيدة، أباضياً في الطريقة، صح عنه القول بأنه لايحتج بشيء من السُنَّة، وإنما يحتج بالكتاب لاغيره بالمرة، ثم أنه سار إلى جهة عُمان؛ لأنهم يوافقونه في ذلك القول والهذيان، فغرق في البحر قبل وصوله، وزال عنه ماكان يؤمله ويقوله.

وفيها صحح الحسين بن الحسن[1] داير مدينة رَدَاع، واستقر وسكن بأهله في ذلك المرباع.

وفيها توفي القاضي إسحاق من علماء الشافعية بمدينة زَبِيْد المحمية، وكان يومئذ الحاكم فيها بالشريعة.

وفي شعبانها سار أحمد بن الحسن من الخَارِد إلى الحضرة العالية، فاتفق بالإمام بحبور بعد أن طلبه الإمام إليه، لأمر يطَّلع ويقف عليه، وهو جواب الشاه عباس بن حسين بن شاه عباس الإمامي الذي كان كتب إليه الإمام المتوكل «ق٢٢٤أ» وهو بضُورَان في تلك الأيام كما تقدم ذكره آخر سنة ثلاث وسبعين. وذكر في جوابه: أنه كان يصلح منا ومنكم التعاون على أهل نعمان[2] الخوارج لتوسطهم فيما بيننا وبينكم، ويكون البادئ منكم، والشروع في قصدهم من جهتكم، ثم نُعِينكم بما يمكن من الإعانة، ونستولي على تلك البلاد بحسب الطاقة. ثم أنه أشار بعض من حضر في مقام الإمام هذه الأيام أن هذا «٢٢٤ب» الأمر ما كان يصلح فتحه، ولا مكاتبة الشاه

(١) هو الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم. (١٠٤١-١١٢١هـ/ ١٦٣١-١٧٠٩م) تتلمذ على يد مشاهير علماء عصره، وحقق في النحو والصرف والمعاني والبيان. ولاّه الإمام المتوكل إسماعيل في بلاد المشرق، من مدينة رداع إلى حضرموت، وأضاف إليها بلاد خبان وغيرها. وقد دعا إلى نفسه برداع وسجنه المهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن نحو عشرة أعوام، ثم أفرج عنه وجعل له بلاد حُفاش وملحان. (محمد بن عبدالله بن عامر: بغية المريد وأنس الفريد، ق١١٩أ؛ زبارة: ملحق البدر الطالع، ص٨٠-٨١).

(٢) كذا في الأصل: أي أهل عُمان.

وذكره؛ لأن المُلْك عقيم، وسريانه وتلاقحه ومحنته أمر جسيم، فقد يُخشى -والعياذ بالله- إذا استمدت جنود الشاه إلى بلاد عُمان ودخلتها مَلَكت تلك الجهات وغيرها، وقالوا البلاد بلادنا، ودخلناها باستفتاحنا، ثم أظهروا شعارهم فيها، ومذاهبهم بها، وتاقت النفوس منهم إلى ما يليهم، فالأَولى طي هذا الخبر، والتغافل عما قد كان سطر، والاشتغال بما حضر. ثم إن الجنود إذا بعثتموها من اليمن إلى عُمان مع ما تحتاج إليه في الأسفار من الأعوان أُنْفق لذلك كثير من الخزائن، وغاب أجنادكم في تلك الأماكن، وحصل الفساد في اليمن، ورفع كثير رؤوسها كما هو عادة أهل هذا الزمن، ثم قد يبدوا بأذى من الأطراف، فلا تجدون ما يدفعه لتباعد الأطراف، فالأولى طي هذا القول، والجواب بما يناسب هذا الشور، فأجمع العقال من الحاضرين على الجواب بما يقتضي ذلك، والإرسال به «٢٢٥أ» إلى هنالك، فأجاب الإمام بما يقتضي ذلك: وإنا إذا رأينا القصد لهم، ووجدنا نهضة عليهم، واحتجنا إلى معونة منكم، فالبادي منا عليكم. ومرض ذلك القول، والله يصلح البلاد والعباد. وكان بسبب هذه الحركات إلى العراق والبصرة كما سبق ذكره.

وفي هذه السنة هو من موجبات الإسعاد من الإمام، وترك ماكان أهم به، فإنه وابن أخيه أحمد بن الحسن قد كانوا هموا، وظهر عنهم وبنوا على التقدم والبعث بجنودهم طريق نَجْران، ثم إلى الحسا والبحرين وبلاد عُمان، أو البصرة، فلما حصل هذا الاحتراك من جهة بني عثمان في إزالة صاحب البصرة والتولية، علموا أن المفاتحة تقود إلى العسرة، ولا تقوم به القدرة، وأما محمد بن الحسن وكل عاقل فلم ير هذه الهمم التي كان أَهَمَّ بها الإمام وصنوه بحَسَنَ لِمَا يعرف من محصول اليمن، وعدم انتهاضه كما تقتضيه الفِطَن.

وجهز الإمام حاج اليمن في هذه الأيام.

وفيها وصل الخبر بوقوع خسف «٢٢٥ب» ببعض بلاد تبريز من بلاد العجم. ذكر لي الشيخ العارف محمد بن الحسن المُلاَّ الحنفي الحساوي: أن واحداً من أهل تلك البلاد

حرَّق كتاب الله تعالى بالنار استخفافاً، فوقع ذلك الخسف والحتف عقاباً، ولعل هذا الرجل الذي حرَّق كتاب الله من بقيَّة المجوس، الذين كانوا قبل النبوة في تلك الجهات تهوس، لأن بلاد العجم وفارس كانوا مجوسية قبل النبوة كما في التواريخ القديمة، والسِّير المشهورة. وسألت المذكور عن بلاد هرموز[1]، فقال: هي في سواحل جهات بلاد العجم، مما يلي بندر كنج[2] من بنادر بلاد فارس والعجم، وهذا البندر في مملكة الشاه الآن. قال: وهرموز هذا الذي كان دخل إليه الفرنج في المدة السابقة، في المائة التاسعة قد صار بعضه مخسوفاً به، لا ساكن له[3]. واعلم أن الخسوفات هذه كثرت في بلاد العجم هذا الزمان، وسببه -والله أعلم- ما يصدر من الإمامية والعجم من السب واللعن للصحابة في السر والعلن، وجعلوه لهم بضاعة وعبادة. وقد جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: [إذا «٢٢٦أ» لعن آخر هذه الأمة أولها فليرتقبوا ريحاً حمراء] الحديث إلى آخره. وسألت الشيخ محمد بن الحسن الحساوي عن ما بين العجم وسمرقند وبخارى، فقال: بلاد الأَزبك[4] هي تلي ساحل البحر الهندي، ومن خلفها بلاد سمرقند وبخارى، وبلاد الأَزبك تسمى كاشْغر[5]، وهم حنفية سُنِيَّة، ولا يزال بينهم السيف هم والإثني عشرية الإمامية لقرب بلاد الأَزبك ببلادهم، وهي داخلة في مملكة صاحب سمرقند الشريف عبدالعزيز، سلطان مستقل، له مملكة ما وراء النهر[6] من بلاد الإسلام أجمع إلى حدود الهند في الجهة البَرِّيَّة مثل كاشغر، هذا وهو بلاد

(١) هرمز: جزيرة يقع الطرف الشمالي لها على بعد أحد عشر ميلاً إلى شرق الشمال الشرقي من بندر عباس وعلى بعد أربعة أميال إلى جنوب أقرب جزء من البر الإيراني. (ج.ج لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي، جـ٢، ص ١١٢١-١١٢٢).

(٢) كنج: مدينة صغيرة على ساحل منطقة لنجة في إيران، إلى الشمال الشرقي منها. تقع على شاطئ رملي ممتد على طوله حوالي نصف ميل. (ج.ج لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي، جـ٣، ص١٦٦٨).

(٣) من المعروف أن جزيرة هرمز جرداء قاحلة في الغالب لايقطنها سكان بصفة دائمة، اللهم إلا في قرية هرمز. وكمية الماء العذب بها محدود جداً، يحصل السكان عليه عند سقوط الأمطار ويخزنونه في خزانات. (للمزيد انظر ج.ج لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي، جـ٢، ص١٢٢-١٢٣).

(٤) الأزبك: هي أزبكستان حالياً. وهي إحدى الجمهوريات الإسلامية للإتحاد السوفيتي سابقاً. وتقع شمال أفغانستان وهي أكبر مجموعة في الإتحاد السوفيتي بعد المجموعة الصقلبية. (حسن الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، مجـ٣، جـ١١، ص١٣).

(٥) كاشغر: مدينة في تركستان الصينية. دخلها الإسلام في القرن العاشر الميلادي. (المنجد في الأعلام، ص٤٢٩).

(٦) ماوراء النهر: يقصد بذلك البلاد التي وراء نهر جيحون بخراسان من الجهة الشرقية. (البلاذري: فتوح البلدان، القسم الثاني، ص٧٧٥).

الأَزبك وبلاد سمرقند وبخارى وكثيراً من بلاد الترك في المشرق من المسلمين، ويليه في الوسط بلاد الشاه، وهي جبال فارس وشِيْرَاز[1] إلى حدود تبريز وأصفهان، هذه بلاد الشاه، يحيط بها من المغرب بحر فارس «ق٢٢٦ب»، ومن المشرق بلاد ماوراء النهر وهي سمرقند وبخارى المذكورة. وروى رجل من اليمن حاجاً من سمرقند فقال: ملكهم هذا الشريف عبدالعزيز أمه شريفة من أهل البيت وأبوه تركي، وقاعدة عندهم يسمون من أمه فاطمية شريف، ومن أبوه فاطمي سيد. قال المذكور: والسِنْد[2] له ملك مستقل أيضاً، والهند مَلِك آخر قال: وكذا بلاد الترك بها مَلِك مستقل خاقان إلى الباب والأبواب يلي سد ياجوج وماجوج[3]، فأطراف الترك الداخلي في المشرق لايُدرى حالهم هذا الزمان. هل دخل منهم في الإسلام؟ أو هم على ماكانوا عليه تلك المدة والأزمان؟ أيام فتوحات العباسية والأموية لهم، فإنهم كانوا تلك المدة كفاراً، وأسلم من أسلم من البلاد منهم التي تلي بلاد الإسلام. ولا نعلم ما حقيقة ما خلفها، إلا أن جميع بلاد ملك سمرقند وهي من بلاد الترك التي تقرب إلى جهة بلاد الإسلام كلها مسلمون من أيام العباسية، واستفتاحاتهم تلك المدة الماضية، فأما ما خلفها فالظاهر أنهم من التتر[4] إلى حدود الصين، وهم أمم كثيرون لايعرفون الإسلام والله أعلم. فقال: وحد بلاد ابن عثمان صاحب الروم إلى البصرة والعراق والموصل لا غير، ومما يليها تبريز من بلاد الشاه، «٢٢٧أ» وما وراء النهر بلاد صاحب سمرقند، ثم ملك السند، ثم ملك الهند. هذه بلاد الإسلام ملوكها، وأعظمهم وأقواهم وأكبرهم ابن عثمان. وأخبرني رجل من بلاد بخارى كان حاجاً فقال: بلاد الشاه بين ثلاثة ملوك لاتزال الحروب بينهم: أحدها بلاد العراق للسلطان ابن عثمان، وبينه وبينه إصلاح من سنة خمسين وألف، والآخر ملك سمرقند وبخارى إلاَّ أنهم هذه الأيام ضربوا بينهم صلحاً، والثالث صاحب الهند، انتهى.

---

(١) شِيْرَاز: في إيران، تقع إلى الجنوب الغربي منها. (المنجد في الأعلام، ص٢٩٨).

(٢) السند: ولاية في أقصى الشرق أقامها المسلمون باسم السند في القرن الأول الهجري شملت الحوض الأدنى لنهر السند. وكانت السند بوابة بلاد الهند، وعن طريقها دخلها الفاتحون. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مجـ٣، ص٥١٦).

(٣) سد ياجوج وماجوج: لعل هذا سور الصين العظيم. (المنجد في الأعلام، ص٥٧٣).

(٤) التتر: هم المغول.

وأخبرني بعض من سافر إلى محل السلطان الهندي فقال: المسافة من المخا إلى سُرات إذا سَبَرَ[1] الريح قدر عشرين يوماً، ومن سرات براً إلى محل السلطان مثلها معمورة متصلة.

وفيها مات الفقيه أبو بكر بن عبدالله الملقب صفير[2] بالصاد المهملة، ثم فاء، ثم ياء مثناه من أسفل، ثم راء، الشافعي الأصل الحضرمي. وله قصيدة إلى الإمام القاسم بن محمد في مدته بعث بها إليه أولها مايقول فيها:

قــل للمنــازل بالكثيــب الفرقــد
يــاراحلاً طــاب الزمــان فغــرد
إن الإمــام القاســم بــن محمــد
فــتح الــبلاد بأســمر ومهنــد
دانــت لــه روس الملــوك أذلــة[3]
فــرمــى بحــد الــسيف كــل معربــد

حتى قال فيها في صفة الجنود الأتراك ما وصفه بها:

شربـوا الخمـور وجـاهروا رب الـسماء
بتــزيين الولــد الحــسين الأمــرد
لــو أنهــم تركــوا الفــساد وســلَّموا
أمــر الخلافــة للإمــام الأوحــد

وكأنه أشار بهذا إلى مدة حيدر باشا؛ لأنه الذي ظهر في زمانه ذلك، والله أعلم.
حتى قال في قصيدته:

---

(١) سَبَرَ: بمعنى صَلُح.

(٢) هو الفقيه رضي الدين أبو بكر بن عبدالله. وفد إلى الإمام القاسم عقب وقعة (الشّقات) وأنشد قصيدة أورد يحيى بن الحسين بعضاً من أبياتها. وأوردها الجرموزي كاملة. وهي تتكون من ثمانية وثلاثين بيتاً. (الجرموزي: النبذة المشيرة، ص٣٩٣-٣٩٥).

(٣) ورد في صدر البيت لدى الجرموزي: النبذة المشيرة، ص٣٩٣: دانت له شوس الملوك مهابة.

والله مـا فعـل الفـساد سـوى الـذي
ركـــب الفـــساد تجـــاهراً بتعمـــد
والله لا يـــرضى القبـــيح لنفـــسه
أبـــداً ولا يـــرضى لكـــل موحـــد
وقطعـــت أن الله لا يُـــرى حقيقـــة[1]
فلعنـــت كـــل مجـــسم ومجـــسد
«٢٢٧ب»هذه عقيـدة شـافعي صـادق
يرجـــو النجـــاة بحـــب آل محمـــد

وفي عيد ذي الحجة من هذه السنة أراد جماعة من عسكر هَمْدان[2] أن يمـروا بـالريح والطبل إلى عند أحمد بن الحسن وهو بالغِرَاس مـن بـلاد بنـي الحـارِث[3]، وكـانوا قـد استأذنوا أحمد بن الحسن في ذلك، فلما علم بهم بنو الحَارِث تحزبوا واجتمعوا وتعاقـدوا على الصد والمنع لهم من ذلك، وكتبوا إلى الإمام، وذكروا أن هذا لايتم عنـد القبائـل في سابق الأيام، وأجاشوا من قبائلهم إلى أطراف بلادهم، وقالوا: لا يمكن المرور أوساط قرى بني الحارث على هذه الصفة، إلا أن يمروا بغير ضرب ريح، فلا حَجْـر ولا مَنْـع، أو يمروا إلى صنعاء الطريق المسلوكة فلا تعرض لهم ولا نَهْر، فلما علم الإمام بذلك أمر إلى أحمد بن الحسن أنه يكون عيده بصنعاء، فدخل صنعاء وزال ما تحاذره القبائـل مـن العادات بينهم والهوى.

---

(١) ورد صدر البيت في النبذة المشيرة: وقطعت أن الله رب لا يرى

(٢) هَمْدان: بالشمال الغربي من صنعاء، ويطلق هذا الاسم حالياً على المنطقـة المجـاورة لـصنعاء، (وهـي التـي يقـصدها المؤلف هنا) يحدها شمالاً عيال سريح وشرقاً بني الحارث وأرحب وجنوباً بلاد البستان (بني مطر) وغربـاً كوكبـان. واسم همدان قديماً يشمل بين صنعاء وصعدة إلى نجران ومن تهامة إلى دهم ومنها حاشد وبكيـل. (الويـسي: الـيمن الكبرى، جـ١، ص٩٢).

(٣) بنو الحارث: قبيلة من ولد الحارث بن كعب بن علة بن جلد بن مذحج. وتقع ديارها شمال صـنعاء بمـسافة خمـسة كيلومترات. وهي خمسة أقسام. (المقحفي: معجم البلدان، ص١٥٥).

والأمطار هذه الأيام شحت بها الغمام، وقلَّت المراعي على الأنعام[1].

وفي شهر ذي الحجة منها خسف القمر ببرج القوس.

وفيها أحكم الشطارة[2] ولد حدث السن من جِبْلَةَ دون التكليف لَمَّا رأى «٢٢٨أ» صاحب مصر يلعب حال وصل، فأدرك عمله، وزاد إحكامه ودار لذلك عند الأمراء والولاة باليمن، وجمع من الدنيا منهم ما استغنى به وقضى الوطر.

وفي يوم الإثنين سادس شهر الحجة منها مات السيد المطهر الجرموزي ببلاد ولايته عتمة، وقبر بها، كان هذا السيد متوليا لبلاد عتمة من أول دولة الإمام المؤيد واستفتاحه لها، فاستمر بها إلى وفاته، وقد بلغ في السن فوق ثمانين[3] سنة، ممتَّعاً ببصره وسمعه، وكان جمع في أيامه سيرة للإمامين القاسم[4] والمؤيد[5]، وبعض سيرة المتوكل[6] ولم أقف عليها.

وفيها طلع الشيخ راجح متولي دكة مدينة تعز؛ لأجل ما حصل من الشجار بينه وبين ولاة محمد بن الحسن وصنوه أحمد بن الحسن فيها، وعدم الاتفاق في أمرهم عليها.

وفي هذه السنة أو بعدها أمر محمد بن الحسن بخراب بيت سعيد شاوش، الملقب الصفعة[7] بسبب أنه بعد موته كان له ابنة تظاهر أمرها، يقصد الرجال إلى بيتها، وكان

---

(١) من الطريق أنه يوجد لحكيم اليمن الزراعي (علي بن زايد) مثل ينطبق على هذه الحادثة وهو: (ياهل الغنم يامساكين إن تمطر التسع والسبع والا فتمطر سكاكين.)

(٢) كتب المؤلف في الحاشية عنوان: (شاطر جبلة).

(٣) معظم المصادر التي ترجمت له تذكر أنه ولد سنة ١٠٠٣هـ وتوفي سنة ١٠٧٧هـ، أن عمره عند وفاته ٧٤ سنة. وهو خلاف ماذكره المؤرخ هنا.

(٤) سيرة الإمام القاسم تسمى:(الدرة المضيئة في السيرة القاسمية) مخطوطة. وله أيضاً (النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة) وهو مخطوط أيضاً في أخبار الإمام القاسم بن محمد.

(٥) سيرة الإمام المؤيد تسمى: (الجوهرة المنيرة في السيرة المؤيدية) مخطوطة.

(٦) سيرة الإمام المتوكل تسمى: (تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار.)

(٧) الكلمة غير معجمة. وقد كتبناها اجتهاداً.

بيتها مجاور لمسجد عباس[1] بحافة باب شعوب بصنعاء، فاعجب لمجاورة الفساد بالمسجد للصلاة للعباد، فلا قوة إلا بالله. وهذا المسجد كان صغيراً، يقال له: مسجد عباس، ثم زاد جنبه لاصقا به الطواشي[2] مسجداً عظيماً في مدة الوزير حسن، وترك المسجد الأول على حالته، قد صَلَيْت في المسجد القديم فوجدت إنشراح صدر، وسرور مالم أجده في غيره، فانظر من حقارة الدنيا وكثرة مكدراتها كيف حُف هذا المسجد بمثل ذلك!

ودخلت سنة سبع وسبعين وألف[3].

استهلت بالسبت، في أول محرمها جاء خبر الحاج، وأنه كان موسماً مباركاً.

وفيها أمر الناظر على وقف صنعاء محمد بن عبدالله الأكوع بإزالة «٢٢٨ب» الطراز والكتابة التي كانت داخل المسجد الجامع في الجدار، وفيها ذكر شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الفاروق، عثمان، علي، فطَمس جميع ذلك، وزال رسم ما هنالك، وحمله على ذلك جماعة من الجارودية والرافضة، وارتكبوا مع ذلك أمراً عظيماً وهولاً جسيماً بطمس شهادة الوحدانية، وذكر خير البرية، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ولما عاتبه بعض الناس في ذلك قال: ليس هو ابتداء منه، بل بأمر من أحمد بن الحسن.

---

(١) مسجد عباس: يذكر الحجري أنه من المساجد القديمة. ولعله قد دخل في ضمن مسجد الطواشي. وهو قديم عمره عباس بن محمد الثعلبي. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٦٩).

(٢) مسجد الطواشي: من المساجد العامرة بصنعاء شرقي الطريق النافذ من سوق عقيل إلى جهة الزمر وباب شعوب، وغربي الطريق النافذة من جهة صلاح الدين إلى جهة خُضير. ذكر يحيى بن الحسين: أنه في سنة ١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م وصل رسول من مقام سلطان الهند يُعرف بالطواشي بهدية للباشا محمد. ولبث الطواشي أياماً في صنعاء، وبنى إقامته المسجد المعروف الآن بمسجد الطواشي، وبنى حماماً، وجعل مصالحه للمسجد المذكور. (يحيى بن الحسين: أبناء الزمن، ص٣٧٥؛ الحجري: مساجد صنعاء، ص٦٩).

(٣) ١٠٧٧هـ = ١٦٦٦م.

وكان الخريف في هذه السنة بشهر المحرم، ومضت معالم الخريف وأوقات المطـر ولم يحصل شيء منه ينفع، ولا حصل عموم في جميع البقع، وانتشرت جراد في ذلك الوقـت كثيرة، والأسعار ارتفعت وصارت الحبوب قليلـة، فبلـغ قـدح الـبر إلى سـتين بقـشة، والذرة والشعير إلى حرف، ثم نقص قليلاً عند صراب الثمرة مع ضعفها عـن العـادة، ولله حِكمة في صُنعه، لا رادَّ لحُكمه.

وفي هذا الشهر أمر الإمام إلى أسواق الحيمة أنها تسلم المجابي[1]، كغيرها من سـائر النواحي، وأمر بالطيافة، والخرص[2]لثمر البن فيهـا، وكـانوا قبـل ذلـك لايعتادونهـا، «ق٢٢٩أ» ولا يألفونها بل الزكاة بالأمانة[3]، ولامجبى في شيء من أسواقهم، ولا ضمانة لأجل ماسبق لهم مع الإمام القاسم والمؤيد من الإعانـة، ومـا معهـم مـن الخطـوط في الصيانة، فَمَنعوا عن تنفيذ الأوامر حتى يسيروا إلى الحضرة العالية، ويخـبروه بـما تعتـاد بلادهم، والأمر معهم ظاهر، فلم يجبهم الإمام إلى ما سألوه، ولم يلتفـت إلـيهم في شيء مما قالوه. والخرص هذا صار أمر عظيم، وحاله على العباد جسيم، لِمَا يحصل من وضـع الزيادة على الرعايا بسببه، ولا ينظرون إلى الكشاف ما يحصل من بعده وقدره، فلا قـوة إلا بالله العلي العظيم، إلا أن مع ظهور الخيانة لا بأس به في الشجر، من الرجل العارف المعتبر، فإن في ذلك تعريف ومعرفة؛ لـئلا يحـصل التفـريط دون الـزروع، فـلا ينبغـي الخرص للإجماع على عدم شرعيته فيه.

ولم يحج هذه السنة الركب العراقي، لما حصل عندهم من خروج الجنود الى جهـات البصرة، كما سبق ذكره وسطره.وكـان الركـب الـشامي هـذا العـام قويـا، زائـداً عـلى العائدة،لأجل ما حصل فيه في سابق أيامه من النكاية من الحرامية، وقبائل لام، وعنزة.

وفي هذه الأيام غلـت الأسعار،وضـعفت الـبقش وصـغرت،وكثر فيهـا النحـاس

(١) المقصود بها جباية الزكاة أو أي نوع من الضرائب المقررة.

(٢) الخرص: هو حَرْز ماعلى النخل من الرطب تمراً ومن العنب زبيباً وهو من الظن؛ لأن الحزر إنما هو تقدير بظن. وهنـا يعني تقدير ماعلى شجر البن من ثمره، ليُقدر على ضوئها الزكاة. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٨١٣).

(٣) الزكاة بالأمانة: أن يُترك لأصحاب المزارع تقدير الزكاة على الأسس الشرعية، ويسلمونها للدولة.

والغش، وكثرت المُماكسة[1] في البيع والشراء والمعاملة، واختلفت الحالة، وحصل مع أهل الأسواق تغير المزاج، والدعاء والسخط والانزعاج، حتى دعوا على الدولة جهاراً من غير «٢٢٩ب»حياءٍ، ولا احتشام ولا خوف، بحيث أني سمعت رجلاً من أسواقها وأهلها يقول لآخر :أَتبصر على هذه الدولة ما ترحم المسكين! وأما الترك فإنهم يرحمون المسكين، وكلام آخر تَركْتُه لِفُحشِه نحو هذا، فأجاب عليه الآخر بمثل كلامه، واستحسان نظامه وإعلامه، والدنيا وإن لم تجمع على أحد فيها إلا أن الكلام هذه[2] زاد وكثر فيها، والله يصلح أحوال المسلمين. وفي العشر الآخرة من المحرم سار الإمام من شهارة الى سُودة شَظب، فاستقربها، وبقي فيها.

وفي شهر محرم منها جاء خبر وفاة الشريف زيد بن محسن المكي بمكة عقب الحج،وهو المتولي لجميع الحجاز، وتلك الأغوار والأنجاد مثل : مكة والمدينة وينبع والصَّفْراء[3] وعنزة وبَدْر وخَيبرَ ومكة ونجد الأعلى كالطائف وما يتصل به من اليمامة إلى بِيْشه إلى بلاد الْبَدِيْع التي فيها الشيخ الجميلي، إلى القُنْفُذة وحَلْي إلى عِتْود[4] وبَيْش. هذه بلاده وولايته التي كان حاكماً عليها،متصرفاً فيها، وانتسابه وسكنه وخطبته للسلطان ابن عثمان، وكذلك أهله قبله. وكانت « ٢٣٠أ» وفاته رابع شهر محرم منها، وكانت أحواله في مكة وسيرته على ما هو معروف. ونصب العسكر بعده ولده سعد بن زيد بن محسن [5] الذي كان حاضراً يوم وفاة والده عنده،وهو الولد

---

(١) المماكسة في البيع : انتقاص الثمن واستحطاطه والمنابذة بين المتبايعين.(ابن منظور : لسان العرب، مج ٣،ص٥١٥).

(٢) كذا في الأصل. صحتها : «هذا ».

(٣) الصفراء : وادٍذو قرى كثيرة منها بدر مقر إمارة تلك الجهة بمنطقة المدينة. وهناك العديد من المناطق تحمل اسم الصفراء.(حمدالجاسر : المعجم الجغرافي،ج١، ص ٦٩٨).

(٤) عِتْوَد : وادٍ أعلاه في عسير وأسفله في تهامة.(الهمداني : صفة جزيرة العرب، هامش ص ٩٨).

(٥) سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي الثاني (١٠٥٢ - ١١١٦هـ -١٧٠٥م، خلف أباه في هذا العام، لكن الإمارة لم تستقم له حتى نهية عمره،فكان ينزل عن الحكم راضيا أو مضطرا ثم يعود إليه. دام حكمه لأول مرة عام ١٠٨٢هـ، ثم عاد إلى الحكم عام ١١٠٣هـ لمدة ستة أعوام، تنازل بعدها لابنه سعيد. ولكن ثورة الأشراف ضد أبنه حملته على العودة للمرة الرابعة عام ١١١٦هـ وهي السنة التي قُتل فيها، وخلفه ابنه سعيد للمرة الرابعة (إبراهيم محمد الصبيحي : بلاد الحجاز في القرن السابع عشر،ص٣٨،أحمد عطيه الله : القاموس الإسلامي،مج ٣،ص ٣٣٠).

الصغير،وكان محمد يحي الكبير[1] غافلاً في المدينة، فبذل سعد من الخزانة الدراهم، وأعطى الجنود المراهم، فعقدوا له الولاية والإمارة بعد أبيه، وسعوا بين يديه،ونفَّذوا أوامره، وأظهروا معالمه، وكان من جملتهم الآغا زلفهار[2] التركي وشعبان، وغيرهما من الأغوات والأعيان،وكان حمود [3]من أقارب الشريف وكبارهم أراد أن تكون المملكة له، فغلبه الجند، ولم يثمر من أمره بل صدوه بالرد، ثم أن صاحب جِدَّة الآغا[4] أمر إلى الأشراف بأنه يتوقف على هذا النصب مع سعد حتى يأتي أمر السلطان ومن ولاَّه كان العمل عليه، فأجمعوا على التوقف على ذلك، وانتظروا مايأتي من هنالك «٢٣٠ب». وكان من جملة الحاضرين من أولاده الشريف زيد، أحمد بن زيد، فمال مع أخيه سعد وارتضاه، وبقي الأمر كذلك منثوراً حتى خرجت الولاية في شهر رجب من هذه السنة لسعد بن زيد، وقرر الأمر فيها إليه من غير رد، فاغتم حينئذ حمود ومحمد بن يحيى وظهر عليهم الضيق والكمود، وبقوا بنواحي المدينة وينبع والصَّفْراء يترددون، ويأمرون وينهون هذه المدة،وسعد بمكة.

وكان خرج من الهند بعض خواص السلطان الهندي من الكبار، حاجاً هذا العام، فلما وصل إلى البيضا باب مكة مات هنالك ومعه من الأثاث والدراهم والمال الكثير، والشئ الواسع الجزيل، فقبض جميعه أعوان الشريف سعد، ورفعوه إليه بيد القوة والصد، وكان بعض أولاده حاضراً، وعند أبيه وماله قائماً، فلم يمكن من شيء من

---

(١) هو الأخ الكبير لسعد بن زيد وقد طلب أن يكون له ريع مكة بشعار الدعاء له مع الشريف سعد، فرفض الشريف سعد مطلبه، فخرج السيد محمد مغاضبا لأخيه ولحق بالسيد حمود في ينبع واتفقا على معارضة الشريف سعد بن زيد (إبراهيم محم الصبيحي : بلاد الحجاز في القرن السابع عشر،ص٣٨).

(٢) كذا وردت في الأصل، صحتها: ذو الفقار: وهو مملوك تركي، كان شيخاً للعسكر، وأوصاه الشريف زيد على أبنائه فقام عليهم أحسن قيام، وكان ذا هيبة ورأي سديد، فرتب العسكر في المواضع الحصينة. (زيني دحلان: خلاصة الكلام، ص٨٠).

(٣) هو حمود بن عبدالله بن حسن بن أبي نمي.كان يرى أنه الأحق بولاية مكة بعد الشريف زيد، لكون أبيه الشريف عبدالله بن حسن هو الذي طلب الشريف زيدا من اليمن وأشركه في الأمر مع ابنه محمد.استمر في خلاف مع سعد بن زيد حتى وفاته سنة ١٠٨٥هـ بالطائف (زيني دحلان : خلاصة الكلام : ص ٧٩).

(٤) صاحب جِدة في هذه الفترة هو عمار أفندي، فهو صنجق جدة وشيخ الحرم المكي وللمزيد انظر زيني دحلان : خلاصة الكلام، ص ٨٠).

ذلك، وظلموه بأخذ جميع ماهنالك، حتى قال للقائد من عبيد الشريف أحد الحجاج : هذا ولده حاضر غير غائب، فقال له : من أين يأتي رزق الشريف؟ «٢٣١أ». وهذه مظلمة عظيمة، وحالة غير مستقيمة مع الأشراف بمكة، فإنه إذا مات أحد من أهل المال من التجار والخواجات في بلدهم استولوا على جميع ماله، وقبضوه بكماله وإن كان الوارث حاضراً، وإليه مشاهداً، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم، حتى أن بعض الذين يقع الموت هنالك قد يبالغون في كتمه وحمله معهم وإظهار مرضه حتى ينفذون البحر خشية من قبض المال وغصبه.

وكان حج اليمن هذا العام قوياً من جميع طرقه ونواحيه، فإنه حج علي بن أحمد صاحب صَعْدة طريق الشرق وبِيْشَه، ودخل أمير حاج اليمن من طريق تهامة بإظهار حالة العسكر والمرفع إلى مكة، والتعشيرة في باب الشريف، وكان يومئذ الشريف زيد حياً، ولمّا وصل علي بن أحمد إلى مكة، وتم الحج وفرضه استأذن علي الشريف للوقفة، ووصل إلى بابه، فاعتذر الشريف عنه، ولم يحصل له منه إذنه. وفي بعض الملاحم وُجِدَ بيتين شعراً يتضمنا أن بموت زيد تزول دولة آل زيد، فكان كذلك والله أعلم.

«٢٣١ب» وفيها تزوج الحسين بن الحسن أخت الشيخ صالح الرصَّاص.

وفي آخر شهر ربيع الثاني سار السيد محمد بن علي الغرباني إلى بلاد بَرَط، الذي كان دخله فيما سبق،وأرسل برسالة إلى الإمام، فيها اعتراض وطعن عليه في الأحكام، فسار رسوله من عنده بغير جواب منه، فسكن بَبَرَط هذه المدة، والمذكور كانت مفارقته من حضرة الإمام بالسَّودة، وكان يقرأ على الإمام من جملة الحاضرين من الدَّرَسَة [1]، وقال : إنه يعرف بأحكام الملاحم والنجوم، وإنه يعرف بالخبايا والكنوز، وسار في بَرَط إلى محل عيَّنه، لكنز يحضر عليه ويرفعه، فلم يوجد شيء منه ولا أحد عرفه.

وفي هذا الشهر رفع الإمام القبالات التي كان وضعها في الأسواق كما سبق ذكره،

(١) الدَّرَسَة : هم التلاميذ أو طُلاب العلم.

وأبقى ماكان ماضياً من قبل على حاله.

وفي جمادى الأولى حصلت رجفة وزلزلة نهاراً وقت الضحى، ومرت جراد قوية ارتفعت من بطون تهامه، وطلعت الجبال، وسارت جهات الشام، حتى جاء خبرها بدخولها دمشق وحلب، وربما بلغت إلى الروم، ولم تعد إلى اليمن إلى سنة خمس[1] وثمانين كما سيأتي إن شاء الله ووجد في أذناب هذه الجراد كتابة محمد إبراهيم[2] رأيتها كذلك فيها.

وجاء خبر هذه الأيام باختلاف يد الأشراف بمكة.

وفيها وصل إلى الإمام رجل من عُمان يقال أنه كان متولياً، فأعطاه الإمام، وربما رغبه في دخول جهاتهم،وإرسال عليها من يشاء من أجنادهم، وهو عونهم وإنما يريد الدنيا، وقبض ما يحصل له بهذه الجملة لما يهوى.

وفي نصف جمادى الأخرى خسفت القمر عند طلوعها ببرج الجوزاء.

وفي هذه السنة أُتُفِقَ لحفار [3] يحفر القبور يقال له [4]«مدرحان» أنه قبر رجل سمسري، فسقط عليه بعض شيء من الدراهم حال تجهيزه له، فسار إلى القبر، ولم يسمح بما راح عليه من الدراهم ليأخذها،ويرده على حاله الأولى، فلما فتح القبر، ونبش اللحد رأى حنشاً عظيماً قد التقم فم ذلك الميت، وهو على بطنه يمتص منه، فاهتال منه، وحصل معه دهشة أذهلته، وربما أنه رأى مع ذلك شيء آخر هاله، فلذلك تغيَّر عنه حاله، وصار زائل العقل في أكثر أوقاته وفي بعضها يفيق في أقلها، وترك حفر القبور، وخاف من تلك الحالة وما يليها من البعث والنشور. نسأل الله حسن الخاتمه،

(١) ١٠٨٥هـ = ١٦٧٤م

(٢) المقصود به السلطان العثماني محمد بن إبراهيم. الذي تولى السلطنة من ١٠٥٨ – ١٠٩٩هـ. وقد سبق ذكره.

(٣) كتب المؤلف في الحاشية عنوان لـ« بحث فيما جرى في عذاب القبر».

(٤) الكلمة غير معجمة في الأصل ورسمناها كما وردت.

ونعوذ بالله من عذاب القبر. وسمعته مرة في جامع صنعاء يقول: ما هي إلا جمالات[1]، رأينا الموت وما رأينا إلا اللحد، كأنه منه كالهذيان، والتذكر باللحود والموت لهول مارآه. «ق٢٣٢ب» ووقع أيضاً في هذه الأيام ظهور عذاب قبر في إثر ما دفنوه بقرية ضِلَع[2] من بلاد همدان، فكان أهل البلد يسمعون دلائل العذاب والأنين العظيم، ونحوه من الأمر الجسيم. وكذلك اتفق هذه الأيام أيضاً في بلاد بَرَط من بلاد دهمة أن رجلاً فيهم كان قد اشتهر عندهم بالفساد العظيم، والسرقات، وشرب الخمور، وقتل النفوس، فقضى الله موته وتعجيل عقابه وزواله، فظهر لهم عذابه بعد دفنه ليالي وأياماً.

وفي هذه المدة صار محمد بن الحسن من إبّ وجِبْلَة إلى تعز، ولم يلبث أن عاد.

وفيها أخبر العمانيون التجار الواصلون بصحة خروج الجنود على الباشا حسين صاحب البصرة كما سبق تحقيقه. روى لي بعض الوافدين من أهالي البصرة إلى صنعاء فقال: البصرة مدينة كبيرة معمورة أكبر من صنعاء هذه المدة، ذات أسواق، ودساتير وبساتين وأنهار جارية في شوارعها من دجلة، يجر النهر أجزل بيوتها إلى بساتين معهم في البيوت وبرك صغار، ومفارج حسان وكل من أراد الماء جرّه من النهر في أي وقت شاء، ووصف حسنها قال: وبغداد تدخل من نهر الفرات إلى بعضه لا جميعه، لارتفاعه. وسألته عن الكوفه فقال: قد خُرِّبت في الفتنة الواقعه بين السلطان والشاه في الأيام الماضية.

وفي سابع وعشرين شهر رجب منها توفي القاضي العلامة، البحر الفهامة عبدالقادر المُحَيْرسي ببلدة مُحَيْرس من جهات الشاحِذيَّة، وكان المذكور حاكماً هنالك وكان إلى نظره أوقاف تلك الجهات، ومن تحت نظره أعوان. وكان المذكور فقيهاً أصولياً عالماً مشاركاً في كل فن، وكان «٢٣٣أ» قراءته على السيد الشريف العلامة محمد ابن عز

(١) مفردها جماله وتعني العمل الطيب ومازالت تستعمل إلى الآن.

(٢) ضلع وتكتب أيضاً ضِلاَع: قرية من ناحية همدان، وهي أحد متنزهات صنعاء الشمالية الغربية، يقال لها (ضلاع همدان). (المقحفي: معجم البلدان، ص٤٠٧).

الدين المفتي رحمه الله بمدينة صنعاء وغيره، وكان يرى رأي شيخه في كثير من المسائل الأصولية وغيرها، وكان لايُكَفِّر بالإلزام أحداً من أهل الإسلام، ولا يُكَفِّر بالقول، بل بإعتقاد القلب كما هو قول الأكثر، ويقول: الخلاف لفظي في مسائل الكلام، وجرى بينه وبين الإمام في هذه المسئلة مراسلة. وقد ذكرنا رسالته فيما سبق بلفظها. وجمع المذكور حاشية على (شرح الأزهار) وفيها مناقشة في بعض شيء من المسائل وإيرادات تدل على علمه، وحسن معرفته، وتدقيقه. وعلى الجملة إن المذكور من المحققين، وله اختيارات لنفسه كما تفيده حاشيته المذكورة مثل: طهارةُ رطوبة الكفار، وإن الطلاق يتبع الطلاق حيث كان بألفاظ وإن لم يخلل رجعة لا بلفظ: وغير ذلك كثير تضمنها تعليقه. وله جواب على الفقيه أحمد بن مطير في مسألة المعونات التي تأخذها الدولة، وغير ذلك من المسائل في كراريس.

وفي هذه السنة جاء خبر وفاة الشاه عباس بن شاة صفي بن شاه عباس ملك العجم الإمامي الاثنى عشري، فخلفه بعده ولد له ثم قتله أخوه سليمان[1] شاه، وتغلب هذا سليمان على المملكة في بلادهم، قالوا: وهذا الشاه عباس المتوفي في هذه المدة هو الشاه عباس الثاني، والشاه عباس جده الأول الذي وقع بينه وبين السلطان مراد الفتنة في العراق كما سبق. قالوا: وأظهر المذكور العدل والإنصاف، وأزال كثيراً من القبائح التي كانت مدة والده ظاهرة مثل: الخمر والبغايا، وهَمَّ بتحريم نكاح المتعة والمنع عنها، وإبطال مذهبهم فيها، إلا أن علماء الإمامية الاثني عشرية صدّوه عن ذلك وقالوا: هي مذهبهم، وليته تم منعه، واتفق بعد تحريجه على النهي عن الخمر أنه ظفر «٢٣٣ب» برجل شربه، فأمر بأن يُسقى الشارب له الرصاص المذاب، هكذا جاء الخبر به وهو من غلوهم، وإلا فكان لو اقتصر على الحد الشرعي كان مثله يكفي.

(١) هو الشاه سليمان بن الشاه عباس الثاني بن الشاه صفي بن صفي ميرزا بن الشاه عباس الكبير، جلس على كرسي العرش من سنة ١٠٧٧-١١٠٦هـ/ ١٦٦٦-١٦٩٤م. (تاريخ إيران بعد الإسلام، نقله عن الفارسية د. محمد علاء الدين، ص ٦٨٣).

وفي شهر رجب وصل قاصد من محروس مدينة اصطنبول من حضرة السلطان محمد بن إبراهيم بن أحمد خان ابن عثمان وصحبته خمسة عشر رجلاً بنادقية جميعاً، ومعه بعض هدية وصل بها للإمام، فوصل المذكور إليه وهو يومئذ بسودة شَظب، فحذَّر خواص الإمام عن مباشرة شيء من الهدية، خشية لا يكون فيها ما يُحذر منه لعدم المعرفة بالرجل والركون عليه بالكليَّةَ، ولم يقع من المذكور شيء مما توهموه وظنوه، ثم زجَّه الإمام بعد أن جمع في بعض الجُمَع عساكره توهماً أن يكون جاسوساً، وإلا فإنه أظهر أنه إنما يريد الدخول إلى الهند عند أخ له هناك، ومن الناس من قال إنما وَرَّى[1] بذلك وأوهم. والله أعلم بما هناك من الحقيقه. ولبثا قدر شهر واحد حضره الإمام بالسُّودة، ثم تقدم إلى صنعاء، فجمع أحمد بن الحسن كثيراً من أصحابه وبلاده عند وصوله ودخل صنعاء ذلك الوقت؛ لأجل الجمع في الجمعة. روي أنه لَمَّا استقر «٢٣٤أ» بصنعاء سأله سائل عن عساكر السلطان وحاله، وكيف صفاته وأعماله؟ فقال: السلطان محمد بن إبراهيم ساكناً بالتخت باصطنبول، وأنه قبل العام الماضي جهز إلى بلاد الفرنج قدر سبعة لكوك من الجنود والبنود، فصادف وصولهم بلاد الفرنج في وقت نزول شيء من الثلج، ثم تقدموا للحرب، والطعن والضرب، والرمي بالمدافع والمكاحل[2] والزبارط[3] والطيارات[4] من الجهتين، قال: فكانت الهزيمة الشديدة في جانب الإسلام، وقتل منهم كثير من الأنام قريب نصف ذلك الجند العرمرم، والغمام الواسع الأطم، فعاد الباقون إلى حضرة السلطان، وعرَّفوه بهذا

(١) وَرَّي: أي أظهر غير ما يُبطن.

(٢) بذكر القَلقَشندي أن مكاحل البارود: هي المدافع التي يُرمى عنها بالنِّفط، وحالها مختلف: فبعضها يُرمى عنه بأسهم عظام تكاد تخرق الحجر، وبعضها يُرمى عنه ببندق من حديد من زنة عشرة أرطال بالمصري إلى ما يزيد على مائة رطل. (القلقشندي: صبح الأعش، جـ٢، ص١٤٤).

(٣) الزبارط: لعلها التي ذكرها القلقشندي بقوله: الزيارات وأنها تُلحق بالمنجنيق، وهي اللَّوالب والحبال التي يُجذب بها المنجنيق حتى ينحط أعلاه ليرمى به الحجر. (القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٢، ص١٤٤).

(٤) لم أتمكن من معرفة هذه الآلة الحربية.

الحادث العظيم والطغيان، قال: فأمر السلطان عودهم في الحال، وأبدل الذين هلك غيرهم من جنوده من بلاد الأروام، وزاد فيهم، فبلغوا قدر عشره لكوك، فكانت الهزيمه في المشركين الكفار الملحدين. وقال: السواس[1] والخدم قدر أربعه آلاف. وقال هولاء[2] الذين رأيناهم «٢٣٤ب» عند الإمام قدرهم ملطية[3] جنود السلطان، فقيل له: وما المالطية؟ فقال: الذين يملطون الشجر في الطرق ويصلحونها، وعليهم حراسة المحاط[4] ونظمها. قال الراوي: فلمّا وصل إلى حضرة محمد بن الحسن باليمن الأسفل أمر جنده للاجتماع للتمشية في ذلك المربع ومعهم التركي المذكور من جملة أهل الحربة في قاع جِبْلَة، ورَتَّب العسكر، فأوله جعل خيله صفاً واحداً،وجعل أول الخيل جماعة من الخيَّالة الذين معه من الترك، ثم بعدهم العساكر والبيارق والشاوشية[5]، والنوبة يضرب طبلها، ويزمر زمرها، ويدق صاجها، والخيل التي معه باليمن اجتمعت وهي قريبة سبعمائة عنان، انتظمت على زي عساكر الأروام، وترتيبها المعتاده تلك الأيام. فسُئِل المذكور عن ذلك، قالوا: فأجاب على السائل: إن كان مَلِكٌ في اليمن فهذا هو، غيره مافيه شئ، وزلَّجه محمد بن الحسن بزلاج عظيم، ودراهم وكسوات، ونزل المخا، ثم ركب البحر فلا يدري أحد أين توجه وجاء، هل الهند كما وصف؟ أو العراق أو البصرة؟ أو من بحر اليمن «٢٣٥أ» إلى جهات مصر؟ وأخبر المذكور أنه كان من

---

(١) السواس: مفرادها سايس، وتعني غلام الحصان وهو الذي يسوس الخيل في اصطبل السلطان. وكان يخرج في معية السلطان إذا خرج محارباً ليسوس الخيل. (د. حسين المطري: معجم الدوله العثمانيه، ص١٠٥).

(٢) وردت في الأصل:«هلا»

(٣) الملطية: يطلق عليهم أيضاً بالبلطجيه،وهم الذين يحملون الفأس ويعرفون أيضاً ب«تبرادار» بمعنى حامل الفأس في الفارسيه وهم طائفه من خدم قصر السلطان، زوي أن السلطان مراد الثاني حينم خرج محارباً استخدمهم في رفع ما يعترض طريق الجيش من عوائق كالأشجار وغيرها. ثم ألحقهم بالقصر، ورافقوا الجيش من بعد في حروبه لتمهيد الطريق، كما كانوا يضربون الخيام ويصفون الأحمال على الدواب وينزلونها عنها. وبعد فتح استنبول أسكنوا ثكنات خاصه بهم. (د. حسين المصري: معجم الدوله العثمانيه، ص ١٠٥).

(٤) المحاط: لعلها جمع محطه.

(٥) وردت في الأصل: «الشاوشوية».

خدامة السلطان مراد، عم هذا الموجود الآن. والله أعلم.

وفي هذا الشهر عاد السعر إلى الارتفاع، فبلغ البر ستين بقشه، والشعير حرف، والذرة إلى خمسين.

وفي يوم الجمعه عاشر شهر شعبان انتهب أهل شِبَام كوكبان ومن حضر من القبائل يوم السوق أهل الذمة من اليهود، ودخلوا بيوتهم، وأخذ ما معهم من الرجال والنساء حتى أخذوا حلي النساء من رقابهن، وخلسوا ثيابهم، ومنهم من وجد الخمر عندهم فشرب منه، فسكروا وصرخ الصارخ في السوق: إن الإمام أباحهم، فهاج الناس لهذا الانتهاب، وذهب مع ذلك على الفرَّاشِين[1] في السوق فرشاتهم، ولَّما بلغ أهل بلد حَاز[2] من هَمْدان والغُرزة[3] والعروس، انتهبوا من عندهم من اليهود القعوس، وأذاقوهم كل بؤس، وفعلوا فيهم كفعل أهل شِبَام، ووصل جماعة من قبائل هَمْدان وحَضُور إلى مدينة «٢٣٥ب» صنعاء بكرة ذلك اليوم تسعى، فوصلوا إلى سائلة اليهود فتحة الباب[4] من تلك الآفاق، حتى برق الفجر ولاح ضوء النهار والإشراق، وقصدوا نهب اليهود إلى بيوتهم، فأغلقوها في وجوههم، وغارت النساء من المسلمين لفك شأنهم، ودفع أمرهم، وأرسل والي المدينة جمال الإسلام[5] من عسكره من يدفعهم، فاندفعوا بعد هوشة وخصام، وقالوا قد أباحهم الإمام، وأُنْتِهِبُوا في شِبَام. وأصل هذا وسببه أنه لما وقع الواقع من اليهود اللئام في هذه الأيام من الأفعال

(١) الفراشين: هم الباعه الذين يفترشون الأرض في الأسواق لعرض بضائعهم. وقدسبق ذكرها.

(٢) حاز: قريه صغيره في ناحية همدان، بطرف قاع المُنَقَّب بمخلاف أقيان القديم، تقع على بعد ٣٠ كيلو متراً تقريباً، شمال غرب صنعاء. (الموسوعه اليمنيه، ج١، ص٣٤٧).

(٣) الغُرزه: قريه تقع في الشمال الشرقي من صنعاء، وهي من همدان.

(٤) فتحة الباب: كان سور صنعاء بمختلف ابوابه عباره عن فاصل لمدينة صنعاء عن خارجها، حيث كانت الأبواب تُغلق من حوالي الساعة الثامنه ليلاً حتى بعد صلاة الفجر من كل يوم، وكذلك خلال فترة أداء صلاة كل يوم جمعه. وخلال هذة الأوقات كان يُمنع الدخول إلى صنعاء أو الخروج منها. ويقصد المؤرخ بفتح الباب: أي بعد صلاة الفجر.

(٥) جمال الإسلام: هو علي بن المؤيد بالله محمد بن القاسم. استمر على ولاية صنعاء من تاريخ خروج حيدر باشا عنها سنة ١٠٣٧ه حتى مات بها سنة ١٠٧٨ه وقد سبق ذكره.

القبيحه، وبلغ الإمام أفعالهم ربما تحدث في الديوان أن هؤلاء[1] ينبغي إباحتهم، وانتقاض ذمتهم، بل أجاب على من سأله في شأنهم فقال: قد انتقضت ذمتهم، بل رأيت فتواه بذلك جواباً على الفقيه أحمد بن سعد الدين كاتب الإنشاء معه فقال: إن ذمتهم قد انتُقضت عنده، ولم تكن عند غيره من علماء زمانه بمنتقضة إذ لم يتم شروط الانتقاض، فبقي حالهم مضطرب الحال. ولمّا بلغ الإمام ذلك بهم[2] بشبام قال: ما أمرنا بهذا ولا كرهنا. وصفة هذا الحادث من قبلهم: أنهم في هذا العام في شهر رجب منها بنوا على أنهم سيرحلون عن اليمن، وبدخلون عند أصحابهم بالشام وبيت المقدس في السر والعلن، وزعموا أن المسيح بن داود المهدي عندهم - وهو عندنا الدجال -قد ظهر، «٢٣٦أ» فباعوا في الأسواق كثيراً من منقولاتهم ومظنوناتهم بأبخس الأثمان، وعرضوا أيضاً أموالهم وباعوا منها شيئاً في هذا الزمان، فلما بلغ الإمام أمرهم قال: لابأس ببيع منقولاتهم دون أرضهم وبيوتهم، فباعوا المنقولات أكثرها حتى أخرجوا ما يدَّخروه من الطعامات بأكملها، وقالوا: هم راحلون، وعلى ساق العزم سائرون، وأن المسيح بن داود قد حضر وقرب، ومنهم من قال يأتي لهم ما يحملهم من إشارة المسيح بن داود بغير سفر ولاتعب، وخرافات، وهذيانات كثيرة زوروها وكبروها، وقال من قال منهم: أن المُلْك سيعود لهم كما هو مقرر عندهم آخر الزمان، وأن المسيح بن داود عندهم المهدي. وحرَّفوا التوراه، فجعلوا ما جاء فيها من ذكر النبي ﷺ هو المسيح بن داود قاتلهم الله. قال صاحب الكشاف[3] عند تفسير قوله تعالى﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾[4] في سورة تنزيل ما لفظه: المجادلون هم اليهود، وكانوا يقولون: يخرج المسيح بن داود يريدون الدجال، ومبلغ سلطانه البر والبحر،وتسير «٢٣٦ ب» - معه الأنهار، وأنه من آيات الله، فيرجع إلينا

---

(١) وردت في الأصل: «هلا».

(٢) كذا وردت في الأصل.

(٣) أورد الزمخشري تفسير هذه الآيه في كتاب الكشاف، ج٤، ص١٣٥ وقد كتبها المؤرخ كما وردت في الكشاف.

(٤) سورة غافر، آيه: ٥٦ وآلاية ﴿إن الذين يجدلون في ءايت الله بغير سلطن أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ماهم ببلغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير﴾.

المُلْك. فسمَّى الله تعالى تمنيهم ذلك كبراً، ونفى أن يبلغوا متمناهم. انتهى كلام صاحب الكشاف، يعني وقته ﷺ، وإلا فقد ثبت ظهور الدجال آخر الزمان نعوذ بالله من فتنته. ولا شك أن هذا الوقت ليس بوقته، لتأخر أكثر الأمارات التي دل عليها النبي ﷺ في صحيح سنته، وإن كان النبي قد توقعه في مدته، فذلك من باب اقترابه وكون ما هو آت فقريب كما قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾[1] . وإذا قيل لليهود هو المسيح الدجال أنكروه؛ لأنهم عرفوا تحذير الأنبياء جميعاً منه، ولكن النبي ﷺ زاد في البيان فسماه باسمه ولقبه جميعاً، إذ الدجال اسمه المسيح، كما ثبت في الخبر الصحيح. ثم بعد هذا الهذيان الصادر منهم وخرافات رجَّح بعضهم إلى الإقبال على رجل منهم من يهود صنعاء فزعموا أنه المسيح وكانوا يكتمونه ثم أنه أظهر نفسه حال سكره وضعف عقله، وطلع إلى القصر، ودخل ديوانه، واستقر بليوانه[2] «٢٣٧ أ» بلباس قد لبسه من اللباس الحسن، والبروجي[3] العال[4] ولم يعلم به أهل الفطن، ولا شعر به إلا في ذلك المحل والسكن، فلما فطن به على ذلك الحال جمال الدين علي بن أمير المؤمنين أرسل به حبس البستان[5]، بعد أخذ ما عليه من تلك الثياب العال. فبلغ الإمام ذلك الفعل والبهتان، وما اجتراه هذا الذمي من الطغيان، فأمر الإمام شاوشاً وفال: اضرب رأسه بسوق الحَلَقه[6]، وأذقه بما فعله، فضرب رأسه هنالك وصُلِبَتْ جثته بنوبة باب شعوب، بقت أياماً ثم دفنه أهله لعنهم الله. ثم أمر الإمام بإسقاط عمائم أهل الذمه، وحَّرج على من تعمّم منهم بعد هذه الفعله، وأرسل إلى كل جهة من جهاتهم وبلدانهم بعسكر يأخذون منهم الآداب فأذاقوهم مدة طويلة

---

(١) سورة القمر، آية:١.

(٢) كذا في الأصل، والصحيح بديوانه.

(٣) البروجي: نوع من الثياب، فيقال ثوب مبرج. ولعله نسبة إلى «بَرَوْج» من أشهر مدن الهند البحريه أكبرها، يجلب منها النيل واللك. (مرتضى الزبيدي: تاج العروس، مج٢،ص ٧، ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١، ص٤٠٤).

(٤) العال: الجيد.

(٥) حبس البستان: يقصد به بستان السلطان. من الأحياء المشهوره في صنعاء. سبق ذكره.

(٦) سوق الحَلَقه: هو سوق تباع فيه «الخردوات» مثل الأواني والسبح والسلاسل والأساور الزجاجيه، ولازال قائماً إلى الآن. (السياغي: قانون صنعاء، ص٢٣).

كل ضُر وغُمة، وفقر أكثرهم، وأسلم كثير منهم، ومات في سنة القحط الآتية والجوع الجزيل منهم مع ما نالهم من ضرر الجوع والسبارات للعسكر والآداب، وأمر بجماعة من كبارهم إلى الحبوس.«٢٣٧ ب» واليهود لعنهم الله تكون عقولهم ضعيفه ناقصه بسبب اعتمادهم على شرب الخمر، وهو مما يضر بالعقول، ويزيلها، وينقصها، ولذلك البانيان من طائفة المجوس لايشربونه؛ لأنهم يُحَكِّمُونَ العقل في كل ما يفعلونه، فلذلك لا يشربون الخمر، ولايأكلون اللحم، ومع ذلك فإنه يؤرث[1] دورانها لما يصعد من بخاراتها، وفي الخمر مع ذلك الضرر أيضاً لمن داوم عليه، وأكثر من شربه وجنح إليه ألم عظيم، ومرض جسيم، وهو القولنج والرياح في البطون، نعوذ بالله من الخمر، ثم الضرر الأعظم، والهول الأطم العذاب المهين، فقد ثبت في الحديث الصحيح(لايدخل الجنه مدمن خمر)[2]، والله أعلم.

وأدب أحمد بن الحسين بلد حاز والغرزة من بلد هَمْدان فيما أخذوه على اليهود من أنواع المال والُبُرود[3]، فردوا أكثرها، وأما الآداب عليهم فأمرها وقررها.

وفي هذه السنة وقع بين العُصَيمات وخِيار حرب قتل من الفريقين ثلاثة، فأرسل عليهم الإمام بأدب العصيمي والخياري، قيل: بألف حرف وجماعة عسكر.

وفي شعبانها انتُهِبت قافلة بالعَمَشِّية في عُهدة سُفيان والمنتهب لها بَرَط، فلحق سُفيان غارة لأجل ما راح، وصادفوا جماعة من بَرَط دفعوا «٢٣٨أ» فيهما الرصاص، فقُتل أربعة أو خمسة من برط، وجنايات في الآخرين بالطعن والضرب، وعاد بعض الحمولة. ووقع خلال ذلك انتهاب قافلة بطريق الجوف جاءت من حضرموت، انتهبتها العرصان والمَعَضَّة قبائل البدو الذين في أطراف مساقط الجوف.

---

(١) يؤرث: من اللهجه العاميه وتعني يُسبب.

(٢) ورد نص الحديث في سنن ابن ماجة، ح٢، ص١١٢٠.

(٣) البُرود: نوع من الثياب المخططه يقال«وقع بينهم قَدُّ بُرُود يمانيه» أي تخاصموا حتى تشاقوا ثيابهم الغاليه، كساء من الصوف الأسود يلتحف به، الواحده برده، جمع بُرَد. (المنجد في اللغه، ص ٣٣).

واشتد برد هذه السنة في الشتاء وكان شروعه عند رجوع الشمس، واستمر قدر شهرين ونصف، فضرب أكثر الزرائع من القياض[(١)].

وفي الساعة الرابعة[(٢)] من ليلة الأحد ثامن عشر شهر رمضان الكريم رُجفت الأرض وتزلزلت زلزلة شديدة حتى انتبه النائم من نومه، ومنهم من توهَّم أنه خراب عنده، وهرب من هرب من بيته، ومنهم من انتبه من الحريم وصاح بأعلى صوته، وانشقت بعض البيوت بصنعاء منها، وعمت أكثر جهات اليمن سهلها وجبلها، فلله الأمر من قبل ومن بعد، وهذا من آيات الله التي يخوف الله به عباده ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾[(٣)] ولبيان قدرته تعالى ليَعْلَم العباد من تحريكه للسموات، «٢٣٨ب» والأرض، والجبال أنه قادر على ماوَعَد تعالى من دك الجبال، وطي السماء كطي السجل للكتاب، آمنًا بالله. وذُكِر في ملحمة الرجف المنسوبة إلى علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه: أن حصول الرجف في هذين الشهرين وهو ما سبق من الرجفة الأولى بجماد، وهذه برمضان علامة لشدة البرد، وغلاء السعر، وقل المطر، فاتفق بحكمة الله ذلك كذلك.

وفيها حدث مولود عينه بجبهته ثم مات.

وفيها نتجت[(٤)] بهيمة فلواً[(٥)] له أظلاف كالبقر وسائره بهيمة، كذا روي أنه اتفق بذمار، والله أعلم.

---

(١) القياض: هو من المواسم الزراعية الشتوية في المناطق الباردة في المرتفعات. ويزرع فيها القمح والشعير والبقوليات، وعلى رأسها الفول (القلى) وشهر (ذو القياظ) هو أحد الأشهر الحميرية. (د. المجاهد: أسس زراعة المحاصيل الحقليه في الجمهورية اليمنية، ص٩٠؛ المعجم السبئي، ص١١٢).

(٢) الساعة الرابعة: المقصود به التوقيت العربي، ويقال له التوقيت الغروبي، أي أن المغرب يبدأ الساعة الثانية عشرة، لذلك الساعة الرابعة من ليلة الأحد تعني الساعة العاشرة مساء.

(٣) سورة الزمر، آية: ١٦ وأولها: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده...﴾.

(٤) نتجت: ولدت.

(٥) الفلو: الجحش (المنجد، ص٥٩٤).

وفيها شاع أنه ولد لليهود لعنهم الله ببيت عِذَاقة[1] مولود مشوَّه له آذان طوال كآذان الحمار، وله عين بجبهته، وأنه تكلم وهو في المهد، ولم يصح لذلك حقيقة، وقيل بل حدث حقيقة ولكنه مات.

وفيها وجد بجهات بلاد بَيحان وما يقرب من مدينة شبام[2] بين صخرتين صنم طوله قدر ذراع «٢٣٩أ» حديد، وله عنق ورقبة ورأس، وفي وجهه فصان لهما نور وإذا احتركت الريح ودخلت عنقه سُمِع له خوار، ولعله والله أعلم من أصنام الكفار الجاهلية، الذي كانوا بتلك الديار الخالية، في المدة الماضية قبل ظهور نبينا محمد ﷺ.

وفي آخر شوالها جهز الإمام الحاج اليماني صحبة ولده يحيى، وجهز معه الفقية محمد بن علي بن جميل وفرحان وقدر خمسمائة عسكر.

وفي ذي القعدة جاء الخبر بأنه وقع في بلاد الحراميّة انتهاب.

وفي نصف ذي الحجة جهز الإمام زيد بن خليل الهمداني[3] وعثمان زيد[4] إلى جهة حضرموت في عيِّنة عسكر قدر مائتين.

وجاءت أخبار أن بيشه صارت محوَّزة[5] من القبائل على واليها سعيد بن شبير، ورجع الحاج من طريق الشرق لذلك الحادث. والشريف حمود استقر بالمَبْعُوث[6] ثم انتقل إلى وادي فاطمة[7]. واختلفت «٢٣٩ب» الأشراف، وتفرق أمرهم، وعدم بينهم الائتلاف.

وفيها أمر الإمام بتفريق صدقة بصنعاء.

---

(١) بيت عِذَاقة: من قرى مسور المنتاب وأعمال حجة، وهي مركز ناحية مَسْور. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٥٩٥).

(٢) وردت: (سبأ) والأرجح أنها شبام حضرموت.

(٣) لم أجد له ترجمة في مابين يدي من مصادر.

(٤) عثمان زيد: من عبيد الإمام إسماعيل (حنش: النور المشرق، ص١٥٩).

(٥) محوَّزة: محاصرة، سبق ذكرها.

(٦) المبعوث: من قرى آل عبيد من سفيان من ثقيف، بمنطقة الشَّفَاء، في إمارة الطائف. والمبعوث: من الموارد لمختلف القبائل في منطقة الطائف أيضاً وهو غير الذي قبله. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، القسم الثاني، ص١٠٨٢).

(٧) وادي فاطمة: وادٍ بمنطقة مكة المكرمة، فيه نحو ٢٢ قرية و٣٨ عيناً. (حمد الجاسر: المرجع السابق، ص١٣٣١).

وجاءت الأخبار أن الأسعار بطريق مكة مرتفعة.

وكان مطر هذه السنة قليلاً بل عدم في المشرق ولم يقع فيه شيئاً أصلاً، ورحل أهل المشارق بمواشيهم وأولادهم، وتفرقوا في الأرض.

وفيها حصل القحط الهائل ببلاد العجم أجمع وفارس بحيث ذكر لي الشيخ محمد بن حسن الحساوي أن منهم من باع أولاده بطعام، ورحل منهم كثير عن أرضهم، ومات كثير في بلادهم، ومنهم من دخل بلاد عُمان وأَخْرجوا من حليهم ونفائسهم لشياطة الحب هنالك، ومنهم من خرج في البحر إلى اليمن، دخل من المخا وعدن كثرة، وفيهم أخلاط من بعض سواحل الهند لمَّا لحقهم هذا القحط الشديد، واستمدَّ ذلك القحط ما وراء النهر إلى بلاد التتر.

وفيها منع أحمد بن الحسن من الرمي يوم العيد للنَصع[1] إلى داير المدينة، وقال للعسكر: ذلك ضرر «٢٤٠أ» على الداير فمن عاد إلى رميه أُدب، فخرج عقب صلاة العيد ورأى واحد يرمي إليه فضربه بيده بين يديه فكان الضرب زاد عليه فحُمِل إلى مكانه ومات.

ودخلت سنة ثمان وسبعين وألف[2].

استهلت بالأربعاء[3]، وجاءت أخبار الحاج بأنه كان صالحاً متوفراً من جميع الجهات، ركب العراقي والشامي والمصري واليماني. واستقرت ولاية سعد بن زيد. وأما الأسعار فمرتفعة هنالك، بلغت الكيلة إلى ستة عشر بقشة ثم انحطت عقب الحج إلى اثني عشر بقشة.

---

(١) النَصَع: الرمي إلى هدف معين يعمل الرامي على إصابته بالبندقية. وتكون أما بالتدريب أو من الألعاب المسلية في الأعياد والمناسبات الأخرى.

(٢) ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م.

(٣) كُتب في الحاشية بخط مختلف عن خط المؤلف مايلي: (ينقل هنا في طبق الحلوى التجهيز الثاني على حسين باشا مما تقدم، والمؤلف رحمه الله قد ذكر ذلك في حوادث هذه السنة في الورقة السادسة، فانظر وكذا تراه).

وفي هذا الشهر كان فصل الخريف والأمطار قليلة.

وفي شهر محرم منها جاءت أخبار أن الفرنج طاشت في البحر إلى حدود مسكت بجهة عُمان ثم انصرفوا. وحمود[1] بقي مرابصاً[2] لخروج القافلة من جدة ودخولها إلى مكة لينهبها عدواناً وظلماً، فلما توسطوا الطريق إلى بيت الله الحرام وفيهم حجاج متسببين من اليمن وزبيد ومصر والهند انتهبهم وصار عليهم، فاستولى على ثلاث مائة جمل، وأخذها عن كمل «٢٤٠ب» وهي مجموعة من كل نوع نفيس من قِشْر وحنطة وقروش وذهب وجُوْخ[3] وغير ذلك من الأموال. وراح أيضاً في هذا الوقت قافلة خرجت من القنفذة قدر ستين جملاً أخذها بعض أقارب حمود. وانتهبت الحرامية على الحجاج حال الدخول في الملاوي قدر عشرين جملاً.

وفيها جاء كتاب سعيد بن شبير صاحب بِيشَة يطلب من الإمام غارة، ومادة بعسكر ومال، فلم يفعل الإمام شيئاً من ذلك.

وفي صفرها ازداد السعر في جميع اليمن، وتحرك طلوعه في كل مسكن، فبلغ القدح إلى مائة بقشة، والذرة إلى حرفين، وقل الطعام في الأسواق، والسبب مرور الخريف بغير مطر، فيبس ماكان زُرِع للعطش، وظهور القاشر وهو الدود التي تشبه الجُرمي مصْوُف[4] صغير، وضرّ القاشر الشعير دون البُر والعَلَس[5] فلم يضره.

وفي هذا العام نقَّص الإمام على كثير من الناس نصف كيلاتهم، واعتذر بقلة الطعام، والخُلف[6] العام.

---

(١) هو حمود بن عبدالله بن الحسن بن أبي يحيى. وقد سبق ذكره.

(٢) مرابصاً: أي متربص لها.

(٣) الجوخ: نسيج من الصوف.

(٤) مصْوُف: مليء بالصوف، يقال لأي كائن حي يظهر عليه الشعر الكثير.

(٥) العَلَس: نوع من الحبوب معروف، معتدل في الحرارة واللين، وهو أفضل الحبوب كان طعام ملوك حمير. (نشوان الحميري: منتخبات من أخبار اليمن، ص٧٥).

(٦) الخُلف: تعني اختلاف الموسم الزراعي، وقلة المحاصيل الزراعية، بسبب قلة الأمطار في هذا العام.

وفي يوم الأحد تاسع شهر ربيع الآخر توفي جمال الإسلام علي بن أمير المؤمنين «١٢٤١أ» المؤيد بالله ببلد ولايته مدينة صنعاء[١]، كانت وفاته رحمه الله بمكانه القصر الأعلى، منزل الملوك الأبهى بعلة القروح المتولدة في رأسه وظهره، بعد أن كان يعاهده ألم المفاصل والنقرس مدة من الزمان، بذلك الإيوان، لشدة برد المكان وكون سهواته التي هي دكاكة مسطوحة بالقضاض، وعواقب القعود عليه من أسباب ألم البرد والإقعاد، ثم ما عارضه أيضاً من ألم البواسير قبل ذلك مع المفاصل لكثرة سكونه على تلك الدساتير[٢] وقلة الحركات معه طول أيامه، وشهوره وأعوامه. وكان رحمه الله صاحب تواضع للصغير والكبير، وقرب جانبه وقرب بابه للخطير والحقير، يتصل به في غالب أوقاته، ويقضي أغراضه، وينصف شاكيه في حاله من غير تعسير ولا ترديد، ولا تبعيد ولا تهديد، ومع ذلك فكان زاهداً «١٢٤١ب» في أموره، قانعاً راضياً بميسوره، غير متطاول في المساكن، ولا متشاغل بالأبنية والمفاتن، بل من أول ولايته الطويلة لم يتحول عن منزله ولا مرقده بل في زاويته التي اعتادها، غير متطلع إلى مكان غيرها، ومع ذلك فإنه غير منافس[٣] في فرشها، ولا مُتخير لنوعها، ولا مُبدِّل لها قبل عِتقها، فراشه بُسط الشعر في مكانه وديوانه، فلعمري أنه كان أزهد أهل زمانه، مع تمكنه من حالات إخوانه، وما هو فيه من ولايته وإيساره، لاسيما بأول رئاسته وبسط يده. وكان رحمه الله كثير الغرائب والنوادر مما يحفظه ويتفق في زمانه من غرائب ما يسمعه أو يراه، ويجمعه من مجون الماجنين، وحالات المغفلين، وأقوال الأعراب الغبيين، وعجائب المُخَرِّفين، فكاهة زمانه، وأعجوبة دهره. وكان «١٢٤٢أ» في مدة والده له بسطة الولاية والتصرف في الأعمال والآداب برأيه إلى غير بلد ولايته كالحيمة وغيرها من البلدان، في تلك المدة والأزمان. وكانت مطالب صنعاء جميعاً إليه، وتصرفها عن كمل مرفوعة له وعائدة عليه، فكان مع ذلك متصرفاً بما شاء، معطياً لمن استعطى حتى حصل بآخره عليه التمحيص كما هو حال الدنيا فيمن يتفق له ذلك،

---

(١) كتب المؤلف في الحاشية: (ذكر وفاة علي بن المؤيد بالله صاحب صنعاء).

(٢) الدساتير: لعله يقصد بذلك الأوراق والمظالم التي تُقدر إليه. والكلمة لازالت مستخدمة إلى اليوم. وتنطق: (التصدور).

(٣) يقصد بذلك تغيير فرشه بأشياء نفيسه.

حسب ما سبق في علمه لما كان ويكون هنالك. وقبض الإمام عليه جمهور المطالب، وما فيها النفع والإمداد في الغالب، ولم يبق إلا القليل، فكانت أحواله متماسكة مع الصبر والتدبير. وكان -رحمه الله- راعياً للمناصب وأهل المنازل بجهده، غير متعرض فيها بحدة ورغبة، يأتي للأمور من أبوابها، مماشياً «٢٤٢ب» بما استطاع لأهلها مع نيَّة صالحة، وبواطن ظاهرة، أنفاسه طيبة، وحالاته متجاملة، ولا يُخشى منه غائلة، عطوف في ذاته، غير حقود في صفاته. هذه كانت حالاته. وكانت مدة ولايته بصنعاء قدر أربعين سنة غالبها خيرات دائمة، وثمار واسعة، وغلال مثمرة. وكانت وصيته إلى أخيه الحسين بن الإمام. وقُبر في صرح مسجد الإمام الوشلي[١]، وبنى عليه صنوه الحسين قبة عظيمة رحمه الله تعالى[٢].

وفيها وصل إلى شهارة قاصد من عند باشا الحبشة في جماعة معه من خدمه، فأنزله الإمام منزلاً يليق به، وأجرى له من السبار ما يقوم به، ثم لم يلبث أن مات عقب وصوله شهارة.

وفي هذه المدة ماتت بنت سلطان الهند في بندر المخا، وكانت مريدة للحج إلى بيت الله الحرام، قد خرجت بحراً من الهند ومعها من المال شيء عظيم. قيل وهي كانت خرجت في ما مضى وحجت «٢٤٣أ» وعادت إلى بلادها كما سبق تاريخه، ثم خرجت ثانياً في هذا العام للحج فقضى الله عليها في المخا قبل وصولها، وقيل هي غيرها.

وفيها جرت قضية غريبة في هذا الشهر وهو أن بني عرهب من أهل الجِرَاف وبني المُتيَّم من صنعاء كانت بينهم شريعة على ساقية[٣] وصلت بين أموالهم، فاشتجروا في ذلك، وحضروا فيها عند القاضي حسن بن يحيى حابس الدواري حاكم

(١) مسجد الوشلي: من المساجد العامرة بصنعاء، شمال الطريق النافذة من السائلة إلى جهة جمال الدين إلى طلحة. هو في الأصل مسجد الأجذم، قديم العمارة، اشتهر بالنسبة إلى الإمام المنصور بالله محمد بن علي الوشلي (ت٩١٠هـ/ ١٥٠٤م) وقبر بجوار المسجد المذكور. (الحجري: مساجد صنعاء، ص١٢٧-١٢٨).

(٢) كتب المؤلف في الحاشية بعد عبارة (رحمه الله تعالى): (وفي هذه السنة)، إلا أن كل ما كتبه في الحاشية قد طُمس بالمداد الأسود.

(٣) الساقية: المجرى الصغير للماء.

المسلمين[1] بمدينة صنعاء يومئذ، فاتفق خصام بين يدي القاضي، والقاضي يومئذ في الجراف، فحمل الغضب الشيطاني -نعوذ بالله منه- ابن المتيم طعن اثنين من بني عرهب في الحال وهم خصومه، ومن كان بينهم الجميع شجاره، ثم احتمل ولد صغير، أخ للمقتولين في ابتداء التكليف، فلحق القاتل فقتله قصاصاً، وكان قد عقر[2] عن الهرب، لم يقدر عليه شيئاً، فسقط القَوَد[3]، واستوفى فيه حكم العمد؛ لأن القاتل للذي قُتِل من جملة الأولياء.

وفي يوم الأحد سابع شهر ربيع «٢٤٣ب» الثاني وصل محمد بن الإمام المتوكل إسماعيل بن أمير المؤمنين إلى صنعاء متولياً لها من عند أبيه، وضم والده إليه مع صنعاء بلاد الحيمة وخَوْلان ونِهْم وسَنْحان وحَرَاز وبلاد ثُلاء وبعض بلاد هَمْدان، وأطلق يده في المشكا من جميع النواحي والسكان. قال الفقيه أحمد بن مهدي قرة: وكان الطالع حال دخوله صنعاء الذنب، واستقر بقصرها، وكان قام قبله يحيى[4] بن حسين بن الإمام المؤيد بالله بعد موت عمه[5]، واستند في التصرف إلى أحمد بن الحسن، وضن أن الإمام يقرره على صنعاء ولا يحوِّله.

وفيها كان الصراب، فانحط السعر يسيراً لضعف الثمرة من أصلها.

وفيها حصلت فرقة بسوق ذِيبِيْن في مابين قبائل حاشد وبكيل، فقتل جماعة من الفريقين، يُقال: ستة أو سبعة.

---

(١) للتمييز له عن حاكم اليهود، حيث كان لكل فئة حاكم. وحاكم اليهود هو من المسلمين أيضاً.

(٢) عقر عن الهرب: لم يتمكن من الهرب.

(٣) القَوَد: القصاص.

(٤) يحيى بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم (١٠٤٤-١٠٩٠هـ/ ١٦٣٤-١٦٧٩م) من العلماء المبرزين، له معرفة بالطب. كان مشهوراً بسرعة الحفظ. ولاه الإمام المهدي أحمد بن الحسن يريم وذمار وعفَّار. كان جارودي العقيدة ومشى على طريقته تلامذته. (الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص٣٢٩؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص١٠٩٠-١٠٩٢).

(٥) عمه: هو علي بن المؤيد بالله محمد بن القاسم، الذي كان والياً على صنعاء.

وظهرت جراد من جهات تهامة، فأكلت في بعض من الأماكن بالذرة[1]. وابتدأ هذه الأيام القحط والجوع، فنجع[2] أهل المشارق كافة من بلاد رداع وخَوْلان ونِهْم وبني جَبْر[3]، وبلاد بَرَط من دُهْمَة وسُفيان، وقُرى كثيرة من بلاد القبلة، وكذلك بلاد الخَشَب[4] وما اتصل بها «٢٤٤أ» لعدم المطر في الخريف والصيف معاً وكذلك ظهر الجوع في بلاد الحقارات والتهائم ورَيْمَة وحَرَاز وغير هذه البقع، وكان شدته وقوة الجوع في السنة الآتية كما سيأتي ذكره إن شاء الله.

وفي هذه السنة صال على أهل بَرَط قبائل يام، وصابحوا أطرافهم وبدوهم بالمغازي، فأخذوا من المواشي عليهم واستاقوها بلادهم، وظهر معهم يومئذ الضعف، من الجوع والمرض والموت، وكَلِبَت[5] بعض كلابهم، فأكلت جماعة هلكوا منها.

وفي ليلة خامس عشر من شهر جمادى الآخر خسفت القمر عقب طلوعها بلا فصل في برج الثور.

وفي هذه الأيام اتفق مع جماعة كانوا ببيت القابعي من وادي أقر تحت شهارة نياماً فلم يشعروا إلا وقد انتبه أحدهم مرعوباً وطعن أصحابه طعنات قاتلة وهم رقود، فهلكوا لعدم العلم به ليدافعونه، والأمان لجانبه، فقيل: اعتراه جنون، وقيل: بل كان بأثر مرض مسبع[6]، كثر البخارات عليه إلى رأسه فتغير عقله. وفيها «٢٤٤ب» كان بصنعاء محتسباً[7] على السوق يلقب بالوارن، وهو بسوق الزبيب يتمرقح القات ضحوة

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) نجع: النجعة عند العرب المذهب في طلب الكلأ والماء. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٣، ص٥٨٧).

(٣) بنو جَبْر: من قبائل خولان العالية. وهي المقصودة هنا وبنو جبر أيضاً: عزلة من مغرب عنس وأعمال ذمار. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١٧٧).

(٤) بلاد الخَشَب: من بلاد همدان وهي شمالي صنعاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ٢، ص٣٠٨).

(٥) أي أصبحت مسعورة: والمقصود به داء الكَلَب. وهو داء كالجنون يعتري الكَلْب يؤثر فيمن يعضه. (القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٢، ص٤١).

(٦) مرض مسبع: حمى تصيب الإنسان كل سبعة أيام. (جبران مسعود: الرائد، جـ١، ص٨٠٣).

(٧) المحتسب: المقصود به هنا المشرف على السوق.

نهاره، فلم يشعر إلا برجل كان عسكرياً في أيامه وقد طَعَنَه طَعْنَةً مُمْحِنَة [1] في أجنافه بعد أن جلس عنده وعاتبه بما فعل معه الأيام السابقة من التعزير والتنكيل، وكان المذكور قد سار حضرموت مع الشيخ بن خليل، ثم عاد صحبته، وهذا الرجل من بلد يُسمى شَعْب [2]، أطراف بلاد هَمْدان، فهلك المطعون في الحال، بين العالم من الرجال، فضُبِطَ القاتل في الحبس أياماً ثم سُلِّم للقَوَد، فيما وقع من ذلك العمد. وكان المذكور قد أُضيف إليه الظلم في حسبته، والتعدي في حالته، فعجَّل الله عقوبته.

وفي هذا الشهر جاء خبر أن أصحاب حمود غزوا إلى بندر القنفذة فنهبوها، ووقع من أهلها لهم الدفاع والمقاتلة، فانكسر أصحاب حمود وقتل ثلاثة بعد أن حَرَق من أطرافها الخارجة.

وفي هذا الشهر المذكور شرع محمد بن الإمام لاستخراج غيل في بلاد سَنْحان في قاع الجَرْداء [3]، وتلك الأماكن العليا، فوجد آثار مجاري قديمة وسواقي وأبنية، فخرج أول الغيل من أسفله سريعاً [4]، ثم مازال العمل في أعلاه طويلاً، قدر ثلاث سنين أو أزيد قليلاً، ولكنه تقالل [5] غَيْله من بعد، ولم يسق إلا ماحوله.

وفي هذا «٢٤٥أ» الشهر وقعت حروب في البحر ما بين العماني والفرنج بحدود بندر مسكت.

وفي رجبها غزت المعَضَّة بدو الجوف ومعهم غيرهم من بدوهم إلى بَيْحان، فخرج عليهم جماعة من الأشراف بذلك المكان، فغلبتهم القوم، وكثروا عليهم وتدابروا، فقُتل من الأشراف وأصحابهم ستة، ونهب أولئك القوم مواشيهم، وذهبوا بها

---

(١) مُمْحِنَة: مهلكة أو مُميتة.

(٢) شَعْب: بلد من ناحية أرحب. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٤٥٣).

(٣) الجَرْداء: قرية من سنحان، أما الغيل فهو المعروف بغيل المنصور، وهذا الغيل يقع شرق مسار غيل البرمكي، بشرق الجرداء، ويعرف أيضاً بغيل الجرداء. (عبدالوهاب عسلان: غيول صنعاء، ص٥٩).

(٤) غير واضحة في الأصل ونرجح أنها: (سريعاً).

(٥) غير واضحة في الأصل: ونرجح أنها (تقالل) أي: قل ماؤه.

خبوتهم وبواديهم.

وفي شعبانها كان خروج جنود السلطان إلى البصرة، واستولوا على صاحبها حسين وطردوه عنها، كما سبق ذكره.

وفي هذا الشهر أُنتُهِبت القافلة في العمشية، وكان الناهب لها أهل جبل غُربان من جهات أطراف خَوْلان، فأرسل الإمام عليهم جماعة عسكر قدر خمسمائة نفر، فوصلوا لها، وانتهبوا عليهم من مواشيها، وجاءوا إلى الإمام بها، ثم أنهم وصلوا إلى الحضرة العالية يشكون على الإمام ويطلبون ردَّها ويعتذرون مما كان من نهبها، فأرجع الإمام لهم أكثرها وما بقي منها.

وفي هذا الشهر وصل إلى الإمام مشائخ الحرامية، من تلك البلاد التهامية «٢٤٥ب»، ومساقط البلاد النجدية، بعد أن كان طلبهم الإمام لأجل مافات، وانتهبوه على الحاج في العام من الزاد والأقوات.

وفي هذه الأيام جاء الخبر أنه خرج طائفة من عسكر مصر لقصد حمود إلى ينبع، وإزالة ما يفعل فيه ويبتدع، ثم أنهم حطوا أثقالهم ورحالهم في أطرافه، ففاجأهم حمود ومحمد يحيى بقومه ومن جماعة من أهله، فوقع القتال بينهم، فراح من الجانبين قتلاً كثيراً، ثم كان بآخره القتل الذريع في العيِّنة المصرية، فاستأصلهم عن آخرهم إلا من احتال في الهرب أو حصل له الأسر، وأميرهم قيل أنه قُتل، وقيل أُسِر، ونُهِب جميع المحطة، وما حوته تلك البقعة، ومحمد يحيى قيل وقع فيه صَوْب مُسَلَّمْ[1]. وكان حمود قد أرسل قبيل هذه القصة كما روي في هذه المدة ولداً له، ومراده نفوذه إلى باب السلطنة، فمنع باشا مصر عن نفوذه وأمر بقتله، وقيل أمر برده وعوده، فكان سبب احتراق حمود بهذه الفعلة، والله أعلم بالحقيقة.

وفي شعبانها سار الإمام من بيت القاعدي إلى سُودة شَظَب فصام «٢٤٦أ» رمضان فيها.

---

(١) صَوْب مُسَلِّم: أي جرح غير خطير.

وفي هذا الشهر أرسل الإمام إلى مكة النقيب محمد بن سعيد الحُمَري من الأهنوم ومعه كتب إلى سعد[1]، واستطلاع الأخبار عن حوادث البصرة، وما لحق من حمود من هذه الفعلة.

وفي رمضانها توفي السيد الرئيس محمد بن صلاح متولي بندر جازان بأبي عريش. كان السيد رئيساً كاملاً، ناظماً لبلاده، حافظاً لأطرافه، ثم خلفه في أمرها صنوه أحمد بن محمد.

وفي العشر الآخرة من رمضان الكريم ليلة الإثنين ثاني وعشرين من الشهر المذكور ظهر في المغرب عمود من نور طويلاً مستطيلاً من مسقط الشمس، صاعداً إلى السماء صعوداً كثيراً، مشتملاً على برج الحوت جميعاً، ثم أول برج الحمل، وكان ظهوره عند تمكن المغرب، وما يزال ساقطاً إلى بعد آخر العشاء، ثم يُغرب ويظهر في الليلة الثانية والثالثة على هذه الحالة مدة عشرين يوماً، ثم اضمحل. وكان ظهورة ثالث وعشرين شهر شباط، وكان هيئته وعرضه «٢٤٦ب» أشبه شيء بالمنارة الطويلة، وأسفله أعرض وأبهى من أعلاه، من ذوات الأذناب التي يكوُّنها الله تعالى، وهو علامة الغلاء وقلة الأمطار، وارتفاع الأسعار، حيث أتى في غالب أحواله وما جرى به التجارب في أوقاته، ولله ما يشاء سبحانه.

وازداد حينئذ في هذه الأوقات الجوع الشديد والحاجة، وكثرة الفاقة في جميع اليمن، وزادت الأسعار إلى الغلاء الذي قد مضى، ودار الناس في الأرض، وشق بهم الحال في الطول والعرض، ولعله -والله أعلم- الذي أشار إليه في الجفر بقوله(...)[2].

سيطلع من مغيب الشمس نجم
له ذنب كمثل الرمح عالي

---

(١) المقصود به: سعد بن زيد، شريف مكة.
(٢) الكلمة غير واضحة في الأصل.

بوجـــه مـــستـديـر مثـــل تـــرس

علامـــة مـــا يكـــون بـــلا محـــالِ

وقال في الجفر عند هذا: محمد عثمان[1] عبد صالح خير من حر طالح، وهو بالسيف يَقْتُل، انتهى كلامه. وقد اتفق فتوحاته في بلاد الفرنج كما سيأتي ذكره، وكثرة من قتل فيها بسيفه.

وفيها أو التي بعدها مات القاضي العلامة عبدالعزيز بن محمد النعمان بن عمر الضَّمَدِي. كان المذكور عارفاً مشاركاً في كل فن، وله مصنفات: منها في الأصول (السُّلم)[2]

على (معيار الإمام المهدي)، ومنها في النحو (حاشية) على الخَبِيصي[3] في مجلد قدر حجم الخبيصي أو أزيد منه، ومنها ماكان شرع فيه من تخريج أحاديث (الشفاء)[4] ولم يتم له ذلك.

وتوفي أيضاً قاضي جازان عبدالله الضَّمَدِي.

وفيها سار القاضي السياغي من رداع مغاضباً، عازلاً لنفسه عن القضاء، لأجل ما حصل معه من تقاصر العطاء، ومعارضة غيره بتحمل القضاء، واستقر ببيته وأصل وطنه جبل اللَّوز[5].

---

(١) يقصد به: السلطان العثماني محمد بن إبراهيم. سبق ذكره.

(٢) السُّلم: هو شرح لكتاب (معيار العقول في علم الأصول) في أصول الفقه، للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى.وللمعيار شروح أُخرى غير (السلم) منها شرح للإمام المهدي نفسه وهو (منهاج الوصول إلى معيار العقول في علم الأصول) حققه الدكتور أحمد المآخذي لنيل درجة الدكتوراه

(٣) الخَبِيصي: هو شمس الدين محمد بن أبي بكر بن محرز بن محمد الخَبِيصي النحوي: (ت٧٣١هـ/ ......) كتابه: (المُوَشَّح) في شرح كافية ابن الحاجب. أما حاشية عبدالعزيز الضمدي على المُوَشَّح فهي: (البُغْية). (البغدادي: هدية العارفين، مجـ٢، ص١٤٨؛ أبو الرجال: مطلع البدور، جـ٣، ص٢٧).

(٤) اسم الكتاب: (شفاء الأوام في أحاديث الأحكام) أربعة أجزاء في مجلدين ضخمين، لمؤلفه الحسين بن بدر الدين بن محمد بن أحمد. (٥٨٢-٦٦٢هـ/ ١١٨٦-١٢٦٣م) والكتاب من معتمدات أهل اليمن في الحديث. وبالإضافة إلى تخريج أحاديثه من قبل عبدالعزيز الضمدي فقد حرر عليه العلامه محمد الشوكاني حاشية بعنوان (وبل الغمام). (زباره: أئمة اليمن، جـ١، ص١٨٣).

(٥) جبل اللَّوز: من جبار خولان العالية (الطيال) في بني سحام (المقحفي: معجم البلدان، ص٥٧٢).

وفي شوالها جاء خبر صحيح بخروج طائفه من الجنود «٢٤٧أ» المصرية وتلك الجهات المغربية الشامية على الشريف حمود، والنفوذ إلى مكة، من أجل ماجرى تلك المدة، وهو خمسة أُمراء وأربعة آلاف.

وفي هذه الأيام جهز الإمام الحج إلى بيت الله الحرام وأَمَّر عليهم النقيب سعيد بن ريحان، اختاره الإمام لأن الرجل من أهل الكمال والإحسان، والقرار وعدم عارض الطيشان، فسار معه من العسكر المعتاد قدر ثلاثمائة أو أربع. وكان حاج اليمن هذه السنة ضعيفاً لأجل غلاء الأسعار بمكة وتهامة، وقلة الجمال وما يبلغه من عساكرها بحيث رجع هذا العام بعض الحاج من صَبْيَا.

وفيها أُصيب أهل قرية بالشرف بصواعق كثيرة متلاحقة، فأهلكت منها بعض أهلها وحصل الضرر فيها، فانتقلوا عنها إلى قرية أُخرى، وخَرِبت تلك القرية وزال سكانها، ثم أن بعضهم نقل من حجار تلك القرية وأخشابها فأصابه من الصواعق التي كان يجري فيها، فتركوها وتركوا حجارها وجميع الذي بها.

وفيها أنشأ السيد محمد بن علي رسائل فيها اعتراضات «٢٤٧ب» رأيت رسالة منها، وطلب جوابها فأجبتها.

وفي هذا الشهر جاء خبر العمانيين أنه خرج جماعة منهم في غُربانهم وبراشهم[1] إلى باب المندب، وزعموا أنهم يريدون الفرنج حين خرجوا بالبر، وكان يومئذ قد خرج أوائل الموسم من الهند، فمر عليهم من المسلمين من الهند، فلم يتعرضوهم، ثم لمَّا خرج إليهم الفرنج ببضاعتهم يريدون المخا فوقع بينهم قتال استولوا على بعضهم، وبقوا هنالك في المندب قريب ثلاثة أشهر ثم عادوا بلادهم.

وفي هذه الأيام جاء الخبر من جهة مكة والحجاز بمزيد الجوع والغلاء، والشدة

(١) البراش: مفردها برشة. وهي نوع من القوارب أو الزوارق الشراعية الصغيرة. وهي ذات شكل انسيابي طويل ومغطى وتعمل بالمجاديف. (د. محمد عبدالعال: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية، هامش ص١٠٣).

والموت والفناء، بلغت الكيلة إلى ثلاثين بقشة، يخرج القدح بخمسة حروف، وحصل موت في الدواب أيضاً لقلة العلف، وازداد ذلك عند وصول الحاج بمكة، فعلى ما روي أنه يخرج في اليوم الواحد نحو مائة نفس فأكثر.

وفي هذه المدة شهر شوال والقعدة والحجة وأول سنة تسع وسبعين [1] إلى آخرها اشتد الغلاء، والموت والفناء في جميع اليمن، وكان أكثره بتهامة والحقارات، وبلاد حراز وسائر الجهات، فراح في سنة تسع وسبعين من الجوع والمرض والموت أُمم لا تحصى، وبلغ القدح في بلاد الشرف والمغارب[2] إلى ثلاثة أحرف ثم إلى أربعة «٢٤٨أ» والدِّجْرة[3] ابتاعت بثلاثة حروف، والحلص المعروف من شجر الجبال ابتاع في تهامة بدراهم، وأكل أهل تهامة والحقارات الجلود والميتات، وقلت المواشي للحاجة إلى أكلها، وكانت البلاد العليا باليمن مُختلفة غلبها القحط والخُلف، وبعضها فيه بعض ثمره، فغني الذي رزقه الله صلاح ثمرته بالشياطة مع الغلاء، وفقر المخلف بحكمة الله تعالى، يبسط الرزق لمن يشاء ويقبضه عمن يشاء. ومن نوادر هذا الجوع أن رجلاً غسَّلوه وكفَّنوه، وظنوه قد مات بصنعاء، من الغرباء، فلما حملوه تحرك فوق النعش ففتحوه وإذا هو يهتف بالطعام، فأطعموه وسقوه، وإذا هو بخير حي، وإنما ساخ وبطلت قواه بسبب الجوع. ودخل رجل إلى صنعاء قيل: إنه من سنحان أو غيرها، فكان يأكل الميتات وينهشها بفمه كالكلب الضاري، وهو في هيئة وصورة رديئة شنيعة[4]، دقيق الساقين، ولعل ذلك لشدة كلب الجوع الذي قد ناله. وأصابه الهلع والأكال حتى لا يقنع بشيء ولا يشبع. وكثير من الناس يطلب الطعام بالبكاء، ومنهم بالتمارض في الشوارع؛ لأجل يرحمه الناس بالعطاء.

وفي هذه المدة جاوز المخا مركب كبير فيه من البز، وتفاريق الغالية، والمحاسن

---

(١) ١٠٧٩هـ = ١٦٦٨م.

(٢) لعله يقصد غرب الشرف. وهناك الكثير من المناطق تحمل اسم المغارب.

(٣) الدِّجْرة: هي اللوبيا.

(٤) وردت في الأصل: شنعية وهي من هفوات المؤلف.

«٢٤٨ب» الفاخرة أشياء كثيرة إلى جهات بندر جدة لعدم إنجازه[١] له في الجهات اليمانية؛ لما ناله من القحط والغلاء، الذي لايعرف في هذه المدة ما إليه انتهى.

وجاء خبر أن بعض قبائل بلاد مكة من هُذَيْل[٢] وتلك القصة قصدوا نهب قافلة داخلة من جدة إلى مكة، فشعر بهم سعد بن زيد بن محسن، فأرسل عليهم، وقطع أمرهم، وقتل منهم، وصدهم عن قصدهم، وسَلِمَتْ القافلة من شرهم.

وفي ذي القعدة منها وصل الخبر إلى اليمن بخروج عساكر من مصر إلى مكة، وتجهزهم مع الحاج كثيرة قيل: أربعة آلاف.

وفي هذا الشهر طلع محمد بن الحسن من إبّ وجِبْلَة إلى البلاد العليا[٣] فاستقر بيَرِيمْ أياماً، ثم تقدم إلى ذمار، وعيَّد عيد الأضحى فيه، ثم سار إلى ضُوران لزيارة ضريح والده، ثم تقدم صنعاء اليمن، والنهج الذي هو حسَن. وكان وصوله صنعاء في شهر محرم من السنة الآتية سنة تسع وسبعين وألف. وكان وقت تحويل هذه السنة بدخول الشمس أول درجة الحمل آخر شهر شوال، وحصل قران بين المشتري والزهر في برج الثور، والمريخ كان في العقرب، وزحل في أول برج الدلو.

وفي هذه الأيام أرسل الإمام رسالة في النهي عن الرِبَا في البيع والشراء، والبيع بأكثر من سعر يومه لأجل النَّسَأ[٤]، والنهي عن صرف القروش بالدراهم، وعدم تحليل الجريرة، فحصل مع التجار مشقة «٢٤٩أ» من أجل ذلك الأمر، وكلفة عظيمة، لاضطرارهم إلى الإبدال بالدراهم للقروش، إذ بيعهم في اليمن للبِزُوْز[٥] لايكون إلا

---

(١) وردت في الأصل بدون إعجام ولعلها كما كتبناها.

(٢) هُذَيْل: من قبائل الحجاز المهمة. تنقسم إلى قسمين: شمالي وتقع ديارهم في أطراف مكة من جهة الشرق والجنوب، ويتألف هذا القسم من سبعة أفخاذ، وقسم جنوبي يُدعى هذيل اليمن ويتألف من خمسة أفخاذ. (عمر كحالة: معجم قبائل العرب، جـ٣، ص١٢١٣).

(٣) البلاد العليا، المقصود بها المناطق الشمالية.

(٤) النِّسأ: هو بيع الشيء بأكثر من سعر يومه، مقابل تأخير دفع الثمن. (أحمد بن يحيى المرتضى: الزهار في فقه الأئمة الأطهار، ص١٥٥).

(٥) البزوز: جمع بز، وتعني الأقمشة. سبق ذكرها.

بعـدي[1]، وشراهـم في المخـا لايكـون إلا بـالقروش النقـدي، واضـطرارهم أيـضاً المعاملات للبيع بأكثر من سعر يومه؛ لأجل النظرات والسياقات، فلـم يـتم مـن ذلـك الأمر ما أمر به، ولم يحصل منه مراده إلا القليل من الناس، وكسد البيع والشراء بحيـث انكسر كثير من التجار، وخسروا، وباعوا في صنعاء بـدون مـا أخـذوا في بنـدر المخـا، والرابح منهم من باع بسعر المخا وخسر الملاحيق[2] والربح،غير ذلك.

وفي هذه المدة مرض رجل أدنف[3] فيه، ثم إن الله أقالـه، وأخـبر عنـد صـحته: أنـه حضر ملكان فأراد أحدهما قبض روحه، فقال له الآخر وهو يسمعه: ليس هو المقصود المأمور بقبضه، وإنما هو فلان جاره، وبيته جنب بيته، كذلك كان مريضاً، قال: فـذهبوا عنه، وأنزل الله عليه حال ذلك العافية، وسمع الصراخ في ساعته في بيت جـاره، قـال: وسمع ذلك الملك يقول للآخر: بقي من أجله قدر خمس وعشرين سنة أو نحـو ذلـك، فبقي بعده مدة كما رواه المذكور والله أعلم فالقدرة لله تعالى[4].

ودخلت سنة تسع وسبعين وألف[5]:

كان زحل بالدلو.

وفي أول محرمها جاء خبر الحاج أنه كان دون العادة لاسيما حاج الـيماني. والعراقـي انقطع وصوله هذا العام. أخبرني بعض الحجاج لما سألته فقال: كـان حـج هـذه الـسنة أكثر عسكر وسلاح من الجهات المصرية؛ لأجل ما اختل في الحجاز وراح. ولمـا وصـل

(١) العددي: النقود الصغيرة.

(٢) الملاحيق: ما يدفعه التاجر من تكاليف لنقل البضائع أو خزنها وغير ذلك.

(٣) أَدْنَفَ: أدنف مريض: أي ثَقُل ودنا من الموت. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص١٠١٩).

(٤) كُتب في الحاشية بخط مختلف عن خط المؤلف ما يلي: (وفي أوائل دولة المنصور بالله الحسين بن المتوكل على الله اتفـق مثل هذه القضية بعينها، روى السيد حسن بن زيد الشامي، المتفـق ذلـك أنـه رأى ملكـين متربعـين في الهـواء وبيـد أحدهما شفرة، وقال أحد الملكان للآخر: المقبوض غير هذا، وإذا بسراج بدا بـدار جـاره، رجـل مـن بنـي الفـضلي، حافته الجامع الكبير بصنعاء، بذلك الخبر المذكور).

(٥) ١٠٧٩هـ= ١٦٦٨م.

حاج اليمن وهو الآغا سعيد بن ريحان أرسل إليه سعد بن زيد إلى الطريق بأنه يدخل والعسكر بغير سلاح، ولا يظهرونه في الغدو والمراح، ولا يصلون على العادة إلى بيت الإمام الذي بمكة ولا ينزلونه وقت الاسترواح، فإن الأمر متغير، «٢٤٩ب» والحال متقلب، والعساكر كثيرة، والأمراء جزيلة، فيُخشى من جانبهم الاستنكار، والتعرض والاشتجار، فامتثل للأمر، وفعل ما ذكر، ودخل الناس حجاجاً، واستقروا بالشُّبْيكَة[1] على الصورة الخفية، والحال السكوتية. ولَمَّا استقر أجناد العساكر السلطانية، وتلك الأمراء الخاقانية بمكة أمروا منهم جماعة بالنزول في دور الشريف حمود لأجل ما صدر منه إلى تلك الجنود في بلاد ينبع والصفراء، وتلك البلاد البيضاء. وكان حمود يومئذ قد هرب وانتقل من البلاد الينبعية حال مرور الجنود السلطانية إلى مشرق الحجاز وجباله، وسكن في حدود جبال خيبر وأغواره، ودخل بلاد البدوان، وحل في مرابع عنزة وتلك الجيران. ولما انقضى الحج في المواقف، وقضوا الأركان، توجهوا إلى قصد حمود إن بقي في الأرض التي كان، وإلا فالمناجزة لتأديب بلاد ينبع ومن أعان، وأمروا سعد بن زيد بالصدور معهم، والسير في جملتهم «٢٥٠أ» فساروا الجميع بجنودهم وخيولهم حتى دخلوا البلاد الينبُعية، وقبضوا على جماعة من المشائخ الذين أعانوا حموداً، وساروا معه في تلك النجود الحجازية، وحضروا وقعته وحربه، وتحزَّبوا معه، فأذاقوهم كل عسرة وبؤس، والضرر والحبوس، وقتلوا ثلاثة عشر شيخاً بقطع الرؤوس، وخاض سعد بن زيد يومئذ بتسكين الأمور، والتخفيف عن الجمهور، والإصلاح، والتدرك بما اختل وراح. وسارت الجنود المصرية إلى جهاتهم، وبقي بعض العينات في ديارهم، وسكنت الأمور. وأما حمود فما ظفروا به، ولا استطاعوا لملاحقته، فبقي في البدو والوهاد على حالات عسرة، وأمور شاقة، وذاق التعب والحاجة.

وفي أول محرمها قصد أصهار صاحب قلعة دثينة في بلاد بني أرض إلى تلك القلعة،

---

(١) الشُّبْيكَة: واد قرب العرجاء بين مكة والزاهر على طريق التنعيم. ومنزل من منازل حاج البصرة. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجـ٣، ص٣٢٤).

وأظهروا زيارتهم لأرحامهم ومن فيها، «٢٥٠ب» ثم أنهم قتلوا الشيخ الذي فيها منهم وولده، وأغلقوا بابها، وسكنوها ظناً منهم أنهم يملكونها، فأرسل عليهم الحسين بن الحسن من رداع جماعة عسكر، فحاصروهم وأرادوا القبض عليهم، فلما فطنوا بالقهر، وعدم الظفر، وتمام الأمر استلوا من القلعة وهربوا، والعسكر دخلوا القلعة، وحفظوها، وقتلوا واحداً كان ما قد خرج منها من الذين دخلوها.

وفي هذه الأيام وصل واصل من الهند من التجار، فأخبر أنه كان بالبصرة، ثم خرج إلى الهند، ثم إلى اليمن للحج، فأخبر عموم القحط في السنة الماضية والتي قبلها في بلاد العجم وما وراء النهر إلى أقصى المشرق وبلاد التتر وفي الهند وبلاد الترك بالمشارق، وأنه خرج في الهند خارج على سلطانه[1]، فجهز عليه سلطان الهند جنوده وبنوده[2]، وأنها وقعت هزيمة في أصحاب السلطان من الخارج عليه، وسار والحرب مستحر بينهم، والحرب مستمر.

وفي آخر محرمها أو صفرها حصل انتهاب في العمشية «٢٥١أ» لضعف بلاد سُفيان، وارتحال كثير من أهلها في الأرض لطلب المعاش؛ لِمَا حصل من القحط والركة من الجوع والارتعاش، فجهز بعد ذلك صاحب صعدة مع القوافل عسكراً حتى تخرج إلى عيان.

وكان غرة شهر صفر ابتداء مطر الخريف، فحصل مطر يسير أول الصُلْم[3]، ثم اكْتَفَّ[4] بحكمة الله بالمرة في جميع معالم الخريف، وشحت السحاب وانقطع القُطُر الغزير والخفيف، ويبس بعض ماكان قد بذره أهله على ذلك المطر القليل، ولم ينزل التهائم شيء من السيول ولا غيرها ما ينتفعون به من المطر وماء العيون، والسعر في

---

(١) هو السلطان أورنكزيب، وقد سبق ذكره.

(٢) البُنُود: البند هو العلم الكبير. (المنجد ص٤٩).

(٣) أول الصُلْم: يقال له: طلوع الصلم: وهو أحد معالم أو منازل الزراعة في اليمن ويبدأ من ١٦ حزيران ويستمر حتى ٢٩منه. ومدته ١٤ يوم. وهو مع منزلة الذراع.

(٤) اكتف: أي توقف نزول المطر.

الضعف إلى زيادة يومئذ، والشدة والضيق في الغاية، والأحوال في الضعف إلى زيادة، وظهرت الركة والضعف للناس، وسقطت أثمان السلع في التجارات، وأثمان الأموال في جميع الجهات، وكثر الموت من الجوع والمرض، فراح عالم لا يحصيهم إلا الله تعالى، وبلغ القدح إلى قرشين.

وفي صفرها صال قبائل بني حبيب، وآل كثير، الذين مستقرهم شرقي بلاد صَبْيَا مما يلي جبال الحسر ومساقط بلاد فَيْفا وحقارهم إلى حدود خَبْت البقر[1]، وتلك الأماكن والمقر، فأخذوا بلد «٢٥١ب» بِيْش بأجمعها، وأخذوا ما فيها ونهبوها، وشردوا أهلها منها، ثم أقبلوا إلى جهات عتود، والشُّقَيْق[2]، ومحل النائب[3] للأشراف، وقتلوا من أهلها، ووقع الحرب فيها، ونهبوا أطرافها، وأخذوا القرى حولها، وأكلوها حتى انتهوا في هذه الهيجان والطغيان إلى محاصرة صَبْيَا وأشرافها، فوقع بينهم القتال والدفاع والنزاع، ثم لمَّا طال ذلك ورأوا كثرة أولئك استغاث أهل صَبْيَا بالإمام، والمبادرة بالغارة ودفع الآثام. وكان الإمام قد وصل إلى صنعاء في آخر شهر محرم منها. ومحمد بن الحسن طلع من ذمار ودخل صنعاء، واتفق هو والإمام فيها. وفي هذه الأيام هبت ريح عظيمة ببلد بحضور يقال لها القذف[4] حمل بعض من أهلها وحَبِّها وقذف، وكذا حملت الريح ثيابهم، وساقطتهم على جنوبهم ووجوههم، وحملت الريح جميع الحَبّ لأمر اقتضته الحكمة، وسبب ذلك: أنه وفد إليهم حال «٢٥٢أ» الحصاد، وجمع الحب والرواح كثير من الغربة، أهل الجوع والفاقة في هذه الحطمة، فتعاقد أهلها على أنهم لا يعطون أولئك شيئاً منها، فخيَّب الله نيتهم، وأذاقهم حرمانهم؛ لأن إغاثة هؤلاء الذين على هذه الصفة ممن وجب إنقاذهم بما يسد الفاقة، وفيه تأكيد وجوب سد

---

(١) خَبْت البقر: من قرى العارضة بمنطقة جازان (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، جـ١، ص٣٨٤).

(٢) الشُّقَيْق: بلدة على ساحل البحر الأحمر، تقع شمال غرب صَبْيَا على بعد ٥٠ كيلو متراً منها. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص١٣٥).

(٣) لم أجدها في مابين يدي من مصادر.

(٤) القذف: قرية بعزلة حزة سهمان، ناحية بني مطر. (الجمهورية العربية اليمنية، الجهاز المركزي للتخطيط: التعداد السكاني لعام ١٩٨٦م، محافظة صنعاء، ص٦٧).

الرمق، وإعانة الحاضر ولو باليسير، مما ليس فيه تبذير، بل هو في التحقيق زيادة، ونمو وبركة ووقاية، وما أشبه بما قصَّه الله تعالى في سورة نون من حرمان أولئك المساكين حيث قال تعالى حكاية عنهم ﴿أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾[1] ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾[2] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾[3].

وجاء خبر أنه حصل إعانة من مصر إلى مكة، فنقص السعر فيها عما كان أولاً بها.

ولما بلغ سعيد بن ريحان حال الرجوع من الحج إلى حَلْي وقع بينه وبين أهل البلاد شجار، وأرادوا[4] انتهاب القافلة، فدفع العسكر، وقتلوا واحداً؛ والسبب في ذلك أن أهل البلد وجدوا واحداً من أصحابهم «٢٥٢ب» في الطريق مقتولاً، فادَّعوا الحجاج، فأنكروا، فوقع القتال لهذا السبب.

وفي ثامن عشر محرم منها كان توفي القاضي العارف أحمد بن سعد الدين المسوري، الذي كان كاتباً مع الإمام المؤيد بالله، ثم استمر بآخر مدته مع الإمام المتوكل، وقد كان بايع صنوه أحمد كما سبق ذكره. وكان بينه وبين المؤيد بالله حسن ألفة، وصحبة، وزيادة مودة، وسماع كلمته، وتعظيم شوره، وقبول خصمته، والاحتمال له. وكان اعتراضاته وخطاباته وأمثاله إنما موجهة إلى الإمام، دون غيره من سائر الأنام، فمن أحسن ما وافق الحق قوله: إن الناظر الذي على أوقاف صنعاء حسَّن للإمام أن يزيد في الأجر للأوقاف على ماكان في عِريص[5] الحوانيت مما وضعه سنان التي هي أملاك للناس، وفي عريص البيوت، فقال القاضي للإمام: إمام بعد إمام، ودولة أظلم من سنان، فترك الإمام ذلك المرام، وكان ذلك منه حسنة للأنام؛ لأن العمارات كانت بمواطأة على ذلك القدر في ذلك الزمان، فالزيادة فيها ظلم وعدون، لأنهم بعد العمارة لا يحسبون في

(١) سورة القلم، آية: ٢٢.

(٢) سورة القلم، آية: ٢٤.

(٣) سورة القلم، آية: ٢٠.

(٤) وردت في الأصل: (أردوا).

(٥) عريص: جمع عَرَصَة وهي قطعة الأرض المعدة للبناء فيها.

تركها والخروج عنها مثل سائر الأجراء، فيكون ذلك جارٍ مجرى الإكراه والظلم كما لا يخفى، مع ما في كثير من الوقف من المظالم التي ظلم الناس (البوني)[1] زمان سنان، كما سبق في تاريخ زمن جعفر مما شكاه الناس كما مر.

وكان القاضي المذكور لا يكلم أحداً من الناس، ولا يبدأه، ذو انقباض كبير، ووحشة من هذا الرجل الشهير، وقد يتبسّط مع الإمام، ويسترسل في الحديث ويجهر بالكلام بإقبال واستمرار وإحدار[2]، ثم يقبض عنانه ويلجم لجامه، ويعرض عن خطابه، فيسكت كأنه أصم، وكأنه لايدري ما يقول ولا يفهم، كأنه يحصل معه نوع تلوُّن، وعارض وتَمَنُّن، بحيث يُعجب من حالته، ويتوهم من ليس يعرف بطبعه أن قد تغيَّر في وجومه، وقبض لسانه، «٢٥٣أ» واستنكر شيئاً من شأنه، وإنما هو طبعه وحالته. وكان غالباً لا يقضي لأحد غرضه، ولا يَدِلُّ[3] عليه بَشَر بشفاعته، لما يرى من وحشته وإعراضه، فالمذكور له زفرات وسكنات، وحالات مختلفات، له في العلم جمليات وسجعيات، وخطب ووعظيات، يأخذها غالباً من نهج البلاغة[4]، ونحوها من خطب أهل البلاغة، ويعتمد كتب الهادي[5] ولا يلتفت إلى غيرها، ويعرف بالفضائل والمناقب ويعرض عما سواها. وكان إذا سُئل عن شيء من المسائل الدقيقة، تخلَّص واحتال بالذم للمتوسعين في العلوم الجليلة، فكان ذلك منه تشبيه[6] على أهل المعرفة، وهو إنما يريد به المحذقة، وعدم ظهور أنه على غير المعرفة الكاملة، وليس هذا من الخصال الشريفة، فإن العلوم أجل من الجهل بها. وكانت خطبه يضمنها بالقرآن

(١) هو محمد بن أحمد البوني، ناظر الوقف في صنعاء في ولاية جعفر باشا. وقد قتله جعفر باشا بسبب ما شكاه أهل صنعاء من التعدي إلى أخذ أموالهم وإدخالها في الوقف سنة ١٠١٦هـ/ ١٦٠٧م. (يحيى بن الحسين: غاية الأماني، جـ٢، ص٧٩٤).

(٢) إحدار: أحدر الشيء أسرع فيه (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٤٧

(٣) يدل: من الإدلال، وهو ما يدل به على الصديق، فيقال: له عليه دالة، أي جرأة بسبب وجاهته عنده. (المنجد، ص٢٢٢).

(٤) نهج البلاغة: كتاب جمعه الشريف الرضي محمد بن الحسن المتوفي سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م) أودع فيه ما اختاره من كلام علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه. وقد أتم جمعه في سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م كما نص هو على ذلك في آخر الكتاب. وللكتاب شروح كثيرة. طبع من شرح محمد عبده في أربعة أجزاء فمن يحل واحد.

(٥) الهادي: هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين. سبق ذكره.

(٦) الكلمة غير معجمة في الأصل، ولعله يقصد: التشبيه بأهل المعرفة

الكريم، وذكر وعده ووعيده، وأشياء من آياته تعالى، ثم يتبعها من خطب نهج البلاغة، ولا يُثْني ولا يدعو لأحد من الصحابة، وظاهره في العقيدة عقيدة الجارودية، والتحامل على الصحابة، ويطرح كتب جميع أهل السنة وكتب المعتزلة. واعتنى المذكور بجمع فتاوى الإمام المؤيد بالله، وله الرسالة التي تقدم الإشارة إليها «٢٥٣ب» في الطعن في الحديث، وقد أجبتها، وذكرت أقوال الأئمة والعلماء في نقضها. وكانت وفاته بشهارة، وقبر فيها إذ هي وطنه ومستقره. ولم يعقب ذَكَراً بل بنت واحدة. وكان قد جمع كتباً بخطه، وأكثرها في المناقب والفضائل والرسائل، وله مختصر في (جلاء الأبصار)(١) الذي أصله للحاكم، قليل الفائدة. ومن غرائبه في تأويل لحديث [أن العبد يُكتب في بطن أمه شقي وسعيد](٢) فقال: الأم هي الأرض بعد الدفن في القبر. وهذا تأويل باطل، وتحريف عاطل مثل تأويل الباطنية من الرافضة؛ لأن الحديث في لفظه مصرح ببطن الأم حقيقة، وعلمه تعالى سابق للأشياء قبل خلقها، وكتابة اللوح المحفوظ مُعلن(٣) بها قبل وجودها. ومن غرائبه أنه سأله سائل فقال: صار المستحق هذا الزمان للصدقات هو المحروم، والغني يصير إليه من ذلك أوفر المقسوم، فأجابه القاضي وقال: عطاء الأئمة مثل المطر يصيب العاطش من الأرض وغير العاطش، والمحتاج منها وغير المحتاج. وقد اتصلت لي منه طريق في المرويات.

وفي هذه السنة والتي قبلها ظهر مع جماعات الأخذ في جانب الصحابة رضي الله عنهم، ولم يعرف لأحد في الزمان المتقدم، وكان سبب ذلك أبيات قالها الفقيه صالح المقبلي الثلائي(٤)، فحصل هذا الأخذ في الصحابة، والتَّجاري في السِبابة، وحصل مع

---

(١) كتاب (جلاء الأبصار): هو كتاب في علم الحديث مسنداً. لمؤلفه الحسن بن محمد بن كرامة الجشمي المعروف بالحاكم. وقد سبق ذكره.

(٢) ورد الحديث بألفاظ مختلفة في: صحيح البخاري، جـ١، ص٨٧؛ صحيح مسلم، جـ١٦، ص١٩٥؛ سنن الترمذي، جـ٤، ص٣٣.

(٣) غير واضحه في الأصل ونرجح أنها: (مُعلن).

(٤) هو العلامة المجتهد صالح بن مهدي بن علي بن عبدالله بن سليمان بن محمد بن عبدالله المقبلي الثلائي (١٠٣٨-١١٠٨هـ/ ١٦٢٨ - ١٦٩٦م)، علامه محقق مبرز في كثير من العلوم، مجتهد مطلق. حقق علوم الكتاب والسنة والأصولين والعربية والحديث والتفسير. وبرع في تجميع هذه العلوم، ونبذ التقليد. جرت بينه وبين علماء عصره بصنعاء مناظرات أوجبت المنافرة، فارتحل إلى مكة سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م ثم عاد إلى اليمن =

ذلك أيضاً الأخذ في الأئمة كالهادي والإمام المهدي، وقالوا: خالفوا زيد بن علي، ومن تأخر منهم معتزلي.. إلى غير ذلك. وكان السيد أحمد الآنسي[1] خبيث العقيدة، رافضي «٢٥٤أ» فقال:

إذا غضبت أمنا فاطمة ... وماتت بغُصَّتها الدائمة
فكيف نرضي عن المغضبين ... لها كالإبل السائمة
وفيم التحرج من لعن من ... على لعنه حجة قائمة
ومن كان خصماً لبنت الرسول ... فهي له في غد خاصمة

فأجبت عليه:

لقد رضيت أمنا فاطمة ... وماتت ولم تك باللائمة
فرضينا لرضاها[2] عن المغضبين لها ... لا كالإبل السائمة
فكيف التحرج عند الترضي بمن ... في اللعن له حجة قائمة
ومن كان خَلفاً[3] لبنت الرسول ... فهي له في غدٍ خاصمة

وقال أحمد الآنسي المذكور في قصيدة أخرى:

وترى النواصب كل نص ... في أبي حسن خفيَّا
فحديث يوم غدير خم ... لم يزل أبداً جليَّا

سنة ١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م ثم رجع إلى مكة وتوفي بها. له عدة مؤلفات منها: (العلم الشامخ في إيثار الحق على الآباء والمشائخ) و(الأرواح النوافخ) و(الأبحاث المسددة في مسائل متعددة) و(المنار في المختار من جواهر البحر الزخار(وغير ذلك. (الشوكاني: البدر الطالع: جـ١، ص٢٨٨ وما بعدها؛ زبارة: نشر العرف، جـ١، ص٧٨١-١٧٢؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ١، ص٢٧٠ ومابعدها).

(١) هو أحمد بن محمد الآنسي: شاعر أديب، مدح المتوكل إسماعيل بن القاسم ثم غاضبه، ورحل إلى مكة، فمدح أميرها الشريف زيد بن محسن. ولما ذهب أحمد بن الحسن للحج عام ١٠٦٣هـ/ ١٦٥٢م أرجع معه أحمد الآنسي. وكانت وفاته سنة ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م (المحبي: نفحة الريحانة، جـ٣، ص٥٨٥؛ أبو طالب: طيب الكسا، تحقيق: الحبشي، ص٣٢؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٣، ص١٧٦٦-١٧٦٧).

(٢) لرضاها: ليس لها لزوم.

(٣) شرح المؤلف هذه الكلمة في الحاشية بقوله: (أي مخالفاً).

لم يختلف فيه الأُلى   شهدوه نقلاً أوليا

ولوى الذي قد غدا   ب عنه لسانه للنصب ليَّا

واللفظ مشترك لديك   كنا نظنك ألمعيَّا

أنَسِيْت تخصيص المقا   م أراك يا الغوي نسيا

فأجبت عليه بشعر ضعيف:

قد رميت أئمة بالنصب   يا من نظنك ألمعيَّا

«٢٥٤ب» هم بأجمعهم يرون   ذاك النص نصاً خفياً

ابحث كتبْهم إن كنت تعرفها   تجدْ ما قلتهُ جليا

قد صرح المنصور[١] بالله وغيره   في كتبهم راجعها أوَّليا

انسيت تخصيص المقام بأنه   للدليل أى كان خفياً

هذي المعاني والأصول   إليك راجعها مَلِيَّا

في الفِرَقِ ثابت الدلالة   والدليل وما ذاك الجَلِيَّا

وكل هذا السب والقصائد من هؤلاء في هذا العصر نشأ من بيتين أنشأهما الفقيه صالح بن مهدي المقبلي، أصله من جبل تيس، ثم استقر بمدينة ثلا المحروسة، فقال فيها:

قَبَحُ[٢] الإلَه مُفرّقاً   بين الصحابة والقرابة

من كان هذا دينه   فهو الشقي بلا استرابة

فلما وقف عليها السيد أحمد الآنسي أنشأ هذه القصائد، وخص الجواب على هذين البيتين بقصيدة قال فيها:

تُربٌ بفيك وجندل[٣]   ماذا وَفَرتَ على الذُّؤَابة[٤]

---

(١) كتب في الحاشية مايلي: (عبدالله بن حمزة صرَّح بذلك في كتابه (الشافي) كما سبق نقله عنه. والإمام المهدي في (الغايات) وأطال المناداة في أن النص خفي غير جلي).

(٢) كُتب في الحاشية بخط مغاير لخط المؤلف: (صوابه قَبَح بالفتح للقاف والباء).

(٣) كتب المؤلف في الحاشية: الجندل: الحجر، تمت.

(٤) وردت في الأصل: (الذأبة).

مــــاذا خصـــصت أبـــا تُـــراب[1] بـــــه إذا سَــــاوى تُرَابَـــــه

وقال فيها:

أمـــا الـــذي آذى النبـــي فـــيهم قـــد جـــاد بهـــم ثيابـــه
ورقـــى منـــابرهم وقـــال أنـــا الـــولي وذو الحجابـــة

إلى آخرها، وفيه سب تحاشيت عن ذكره.

وجوابها ما أجبت به:

لاجهـــل أعظـــم مـــن جهـــل ذا المُـــستراب بـــما أرابـــه
أفـــك الـــصحابة بـــالفِرا فحـــسبه أخـــذاً بظـــاهر مـــا أصـــابه
جحـــد الـــذي أتـــى عـــن النبـــي وكـــذا القرابـــة
وخـــصوصه بالرفـــع عـــن الخطـــأ ولا خلابـــة[2]
«٢٥٥أ» إجـــماع آل محمـــد خالفتـــه فـــيما أتيـــت مـــن الـــسبابة
لاشـــك أن مخـــالف الإجـــماع هـــو الـــشقي بـــلا استرابـــة

وقال السيد أحمد الآنسي أيضاً:

أتحـــرق عـــم المـــصطفى ووصـــيه وفاطمـــة وابناهـــا كـــما جـــاء في النقـــل
فـــأين بحبـــل الله أو بنبيـــه تمـــسك مـــن يخطـــب لأهليـــه بالحبـــل
ومـــاذا الـــذي أبقـــى لأم جميـــل أو أبي لهـــب أو مـــا بقـــى لأبي جهـــل
وما الفرق في بين فعلين مستويين يـــا أخا العلم والإنصاف عـــن نظـــر قـــل لي
ومـــا فاعـــل إلا تـــراه كفاعـــل إذا اتحـــد الفعـــلان والمـــثلان كالمثـــل

---

(١) أبو تراب: المقصود به علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أورد البخاري في صحيحه حديثاً أن الرسول ﷺ سمّاه أبا تراب وكان أحب الأسماء إليه (صحيح البخاري: مجـ٢، جـ٥، ص٢٣).

(٢) أدخل حفيد المؤرخ وهو: يحيى بن مطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين ورقة بعد ورقة ١٥٤ب وأضافها للكتاب. نفى بها أن تكون تلك الأبيات للمؤلف. وقد تم كتابتها كملحق في آخر الدراسة.

جوابه هو ما أجبت به:

لا حريق صح لعم المصطفى ووصيه ... وفاطمة وابنيها كما جاء في النقل
به قال شراح البلاغة والأُلى ... ومن كان في العلم كامل في العقل
فما فاعل إذا صح كفاعل ... ولا اتحاد ولا مثل كالمثل
فذا الفرق في الفعلين يا ... أخا العلم والإنصاف في النقل

انتهى والله الموفق للصواب.

وزاد على السيد أحمد الآنسي حسن بن علي بن جابر الْهَبَل[1] بما هو أعظم وأكبر من قوله أخزاه الله، وعاد لعنه عليه فيما لعنه:

العن أبا بكر الطاغي وثانيه ... والثالث الرجس عثمان بن عفان
ثلاثة لهم في النار منزلة ... من تحت منزل فرعون وهامان
يارَبّ فالعنهم والعن مُحبَّهم ... ولا تُقِمْ لهم في الخير ميزانا
تقدموا صِنَو الرسولِ واغتصبوا ... ما أحلَّ ابنته ظلماً وعدوانا

«٢٥٥ب» وقد انزحف عليه هذا البيت الآخر عن ميزان ما تقدمه وقد أجاب عليه السيد لطف الله بن علي بن لطف الله بن مطهر بن شرف الدين[2] والفقيه حسن الفضلي الآنسي[3]. فمن جواب السيد لطف الله قوله:

تَبَّتْ يدا حسنٍ ثاني أبي لَهَبِ ... قد أُصْليَا لَهَباً مُحْمى ونيرانا

---

(١) الحسن بن علي بن جابر الهبل (١٠٤٨-١٠٧٩هـ/ ١٦٣٨-١٦٦٨م) شاعر بليغ، كثير التشيع. كان والده حاكم صنعاء. وهو من بيت علم. أصلهم من هجرة (بني الهبل) بخولان العالية. ظهر نبوغه مبكراً. واختص به المهدي أحمد بن الحسن، وكان له كالوزير قبل الخلافة. وصف الشوكاني شعره بأنه (يكاد يسيل رقة ولطافه وجودة سبك وحسن معان) وديوان شعره أخرجه محققاً الأديب الشاعر أحمد بن محمد الشامي عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م بعد أن حذف بعض الأبيات التي كان فيها مآخذ عليه. ومنها هذه الأبيات التي ذكرها يحيى بن الحسين في هذه المخطوطة. (الشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص١٩٩؛ الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٣٨٧).

(٢) لم أجد له ترجمة في مابين يدي من مصادر.

(٣) الفقيه الحسن بن علي بن علي الفضلي. ترجم له أبو الرجال ترجمة مختصرة قال فيها: (عالم كبير شهير ووالده العلامة المجاهد) ولم أجد له ترجمة أخرى في مابين يدي من مصادر. (أبو الرجال: مطلع البدور، جـ٢، ص٢٨).

أضحى مع الكافرين الطُّغم في سَقَرٍ مأواه من تحت فرعون وهامانا

يامية السوء مات الرجس فاضحة ولَّى مصراً على العصيان خوانا

قد خالف الله ثم المصطفى سَفَهاً والمؤمنين معاً ظُلماً وطُغيانا

إلى آخرها. ولهذا الرافضي ديوان[1] يتضمن الشتم للصحابة عليهم الرضوان، قد أضل به كثيراً من إخوانه الرافضة والطغيان والجهال، الذي قد ثبت أن أجهل الناس مَنْ سب الصحابة، وزاد هذا الرافضي بما لم يتفوَّه به رافضي قبله في قوله (والعن محبهم) لأن الله تعالى يقول: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[2] وبالإجماع من المفسرين أنها نزلت في أبي بكر لَمَّا قاتل أهل الردة من بني حنيفة وغيرهم، لأن الآية في المائدة في سياق قوله تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤] وهو خطاب للمؤمنين، وحصلت الردة بعد موته ﷺ ممّن كان أسلم في حياته، وهم مثل: بني حنيفة، وجماعة باليمن وعُمان ارتدوا فقاتلهم أبو بكر بسبب ذلك، لم يقاتلهم غيره رضي الله عنه. فالله تعالى حكم بأنه يحبهم، أعني الذين قاتلوا أهل الرِّدَّة، الذين منهم أبو بكر وقومه كأبي موسى الأشعري وأصحابه وغيرهم، فقد أتى هذا الرافضي شططاً عظيماً وقولاً جسيماً ما «٢٥٦أ» قد قال به أحد من الرافضة قبله، ولكن ماعصي بشيء أعظم من الجهل، فإن الرجل كان شاباً، ورأى بعض المتشابهات من أقوال الرافضة، فقال من حيث لايدري بالمقيدات، وبالمرويات الصحيحات، ولم يخالط العلماء، ويسأل ويأخذ الحقيقة، ويستكشف المُشكل، بل وقع فيما وقع فيه، فلا قوة إلا بالله، نعوذ بالله من الجهل ونسأله الثبات الذي وعد به تعالى بقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾[3] ونعوذ بالله من الضلال، ومما بلغ بهذا الرافضي من المزال، ونستغفر الله من حكاية لفظه وكَتْبِه، لكن ذلك كله لأجل لايغتر به من يغتر من الجُهَّال، لأن قد صار ديوانه وأقواله منقولة مع الجهال من إخوانه الرافضة والله أعلم.

---

(١) سبق ذكر ديوانه في ترجمته.

(٢) سورة المائدة، آية: ٥٤. والآية ﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾.

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٢٧ وتمامها: ﴿ويضل الله الضالمين ويفعل الله ما يشاء﴾.

والرافضة هذا الزمان الذين من الزيدية كثير، إلا أن منهم من يتستر بمذهبه، ولا يظهره عند سائر الزيدية غير الرافضة، ولم يُظْهِر الرفض إلا هذا حسن بن علي الرافضي والسيد أحمد الآنسي والسيد صلاح بن محمد العبالي(١) والفقيه أحمد بن عبدالحق الحيمي(٢) ويحيى بن المؤيد، فهؤلاء الذين أظهروا الرفض والشتم للصحابة رضي الله عنهم، وباؤوا بآثامهم، وكبيرهم الذي أفظع حسن بن علي بن جابر الهبل لا رحمه الله.

وعندما جرى هذا ترجَّح للفقيه صالح المقبلي الثُّلائي اليمني أن باع أملاكه، ورحل بأولاده إلى مكة، واستقر بها، ودخل في مذهب الشافعي رحمه الله(٣).

«٢٥٦ب» وللفقيه الفاضل حسن بن علي الفضلي في الرد على حسن بن علي بن جابر:

---

(١) صلاح بن محمد العُبالي: عالم في الفقه، سكن صنعاء وقرأ عليه جماعة من العلماء. توفي سنة ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م. (زبارة: نشر العرف، جـ١، ص٨٠٣).

(٢) هو القاضي العلامة أحمد بن ناصر بن محمد بن عبدالحق المخلافي (المخلافي نسبة إلى مخلاف الحيمة(مولده سنة ١٠٥٥هـ/ ١٦٤٦م نشأ بصنعاء. ولاَّه الإمام المؤيد الصغير محمد بن إسماعيل بلاد الحيمة، ولما توفي الإمام المؤيد سنة ١٠٩٧هـ صار صاحب الترجمة مع يوسف بن المتوكل إسماعيل عندما عارض المهدي صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن، فأخرب المهدي بيته، فسكن بعد ذلك في صنعاء توفي عدن في شهر محرم سنة ١١١٦هـ/ مايو ١٧٠٤م. وهو الذي جمع شعر حسن بن علي بن جابر الهبل في ديوان سمّاه (قلائد الجواهر). (الحوثي: نفحات العنبر، مخطوط، ق ٦٣-٦٤؛زبارة: نشر العرف، جـ١، ص٢٩٧).

(٣) كُتب في الحاشية من هذه الورقة رد على المؤلف، من المتأخرين -ولم يكتب اسمه- مايلي: (يقال للمؤلف إن الرافضة من رفض علوم أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ومال إلى أقوال العامة والنواصب. فليت شعري من أنى دخلت عليه هذه الدسيسة المنكرة من مثله، والتعصب مع المبغضين لأهل بيت النبوة. ولو روى هذا (كلمة غير واضحة) وترك إظهار تلك المقالات في الشيعة الأكرمين رضي الله عنهم لكان الأليق به، لكونه من تلك الشجرة القاسمية الذي أزال الظلمة ورفع ذكر هذا المذهب الشريف، أعزه الله ماتكررت العصور، وإلى الله ترجع الأمور، ولا قوة إلا بالله).

(وقد) أجاب على صاحب هذه الحاشية في أول الورقة نفسها وفي الحاشية أيضاً حفيد المؤلف وهو يحيى بن مطهر السابق ذكره بقوله: (انظر إلى جهل هذا الرجل الذي كتب حروف هذه التحشية كيف لايرعوي ويلتفت إلى إجابة الحق. وكفى له لو علم وعرف بقول الله تعالى ﴿فسوف يأتي الله بقوم﴾ الآية وبقول النبي ﷺ في أبي بكر وعمر وعثمان ما هو أشهر وأوضح من أن يرقم، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ومن تكلم بكلمة الحق يوشك أن يقال في جانبه كما قيل في جوانب الخلفاء الراشدين. حسبي الله ونعم الوكيل. ويقال للمحشي أيضاً: قف على (جامع آل محمد) عليه السلام حتى تعرف المؤلف هل مال إلى قول العامية والنواصب؟ أم إلى قول الآل الذرية والأصحاب؟ وقد روي في سبب هذه التسمية: أنه اجتمع جماعة إلى زيد بن علي عليه السلام وطلبوا منه التبرِّي من الشيخين فأبى عليهم، فرفضوه، فقال لهم: اذهبوا فأنتم الرافضة).

امـــدح أبـــا بكـــرِ الـــسّاميْ وثانيـــه | والثالـــث الحَــبر عـــثمان بـــن عفانـــا
ثلاثـــــة لهـــــم في الخُلـــــدِ منزلـــــةٌ | حُفَّـــت بمنـــزل موســـى ابـــن عِمرانَـــا
يـــارب فلْتجـــزِهم ولْتجـــزِ مَـــادحهم | يـــومَ القيامـــة فـــوق النـــاس بُنْيَانَـــا
قد آثـروا صـنو خـير الرسُـل واعترفـوا | بِكُـــل حَـــقٍ لـــــه سِراً وإعـــــلانا

تمت.

وقد جرى مع كثير ممن ولع بسبب الصحابة رضي الله عنهم سوء الخاتمة، نعوذ بـالله من سوء الخاتمة، ونسأله أن يرحمنا بصلاح الخاتمة والرضا والتوفيـق. أخـبرني الثقـة أن هذا حسن بن علي بن جابر لما ذُكر له في مرض موته التوبة، فقال: ذاك هو الذي يلقـى الله به، وأن ذاك سببه على علي بن أبي طالب، هو الذي ترك حقه، وأنه قد عَـصى بـترك حقه، وربما وسبه، فاعجب وانظر كيف خُتِم له سب الصحابة من أجل علي، ثم طغـى إلى سب علي رضي الله عنه.

وكان رجلاً يقال له الفقيه صلاح القاعي[1]، من رافضة الهدوية، لما حضرته الوفـاة قال لزوجته: أنها تنادي أن الفقيه صلاح القاعي مات كافراً، هكذا روى لي هذا الـسيد لطف الله بن علي عنها. وروى هذه الرواية الأخرى عن صهره محمد بن حسن الحيمي وهو ممن حَضَرَ مَوْتَ خاله صلاح القاعي المذكور. ولـما مـات محمـد صـالح العجمـي الرافضي من الاثنى عشرية قال الراوي: أنه ظهر في لسانه سواد عظـيم، قـال الـراوي: وكثير من الرافضة وغالبهم أو جميعهم تكون خواتمهم خواتم سوء، فنسأل الله السلامة والأمان من العذاب. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

وكان منهم السيد صلاح بن محمد العبالي، فأمر محمد بن المتوكـل بحبـسه «٢٥٧أ» لأجل تعصبه وامتناعه عن ترك ذلك، وأمر بإخراجه مـن القـصر[2] إلى حـصن ثُـلاء، فاجتمع كثير من عامة صنعاء وصبيانهم يقولون عند خروجـه: هـذا جـزاء مـن سـب

(١) لم أجد له ترجمة في مابين يدي من مصادر.
(٢) أي قصر صنعاء.

صحابة رسول الله ﷺ. مع أن زيد بن علي رضي الله عنه ممن حرَّم سبَّ الصحابة، وغلَّظ في النهي عنه، كما عُلم عنه بالتواتر ضرورة[1]، حتى أن بعض جهلتهم قال لبعض من راجعه فيهم، واحتج عليه بأنه يجب القدوة بالإمام علي فإنه قعد وسكن وحضر جماعاتهم وجُمَعِهِم، ولم ينكر أحوالهم، فقال عند ذلك: ترك عَلي خطأ وغلط، وإلاَّ فكان عليه القيام عليهم.

وهؤلاء الذين أخذوا في جانب الصحابة رضي الله عنهم كلهم أحداث صبيان، ما قد عرفوا العلم بالحقيقة، ولا أخذوا بالطريقة، فيعملون بالظواهر والإطلاقات، ولا يضمون الكلامات[2] بعضها إلى بعض، ويجمعون بينها ويوافقونها، فبسببه حصل هذا الأمر العظيم، نسأل الله التوفيق. ثم انجرَّ ذلك إلى كتابة اللَّعن في كل ما وقفوا عليه من الكتب في ذكر أحد من الصحابة، ويخالفون مقصد المصنفين: [والمؤمن ليس بلعّان][3]، وتلعبوا بكثير من هذه الكتب، وزادوا ونقَّصوا فيها فلا حول ولا قوة إلا بالله. «٢٥٧ب» ثم انجر إلى طمس بعض شيء من نصوص زيد بن علي رضي الله عنه في مجموعه[4] مما ظاهره موافقة أهل السنة في المشيئة والقَدَر وإمامة قريش، وقص ورقة بالمقاريض. فلا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم نقلوا على هذه النسخة المُغَيَّرة المنقَّصة المُحَرَّفة نسخاً، فيتوهم المتوهم ممن رأى اختلاف النسخ -والعياذ بالله- الدس بالزيادة، وليس كذلك، فإن التحريف حصل بالنقص كما هو في النسخ القديمة ثابت، والنقص باطل فليعلم ذلك إن شاء الله. وقد أحسن من قال في هذا الوقت والفعال وهو السيد إسماعيل بن محمد بن صلاح جحاف الحبوري[5]:

رَأيٌ طري عن سبيل الحق معدول ... ومذهبٌ حادثٌ لاشك مجهولُ
من خالف الناس طراً في مذاهبهم ... فإنه بسيوف العدل مخذول

(١) أي حتماً.

(٢) هكذا وردت في الأصل: أي الكلمات.

(٣) حديث شريف ورد في سنن الترمذي. وقد سبقت الإشارة إليه.

(٤) هو كتاب (المجموع) في الفقه. ويعتبر من أقدم كتب الفقه. يتضمن الأحاديث التي رويت عنه، والفتاوى التي قال بها. والروايات فيه كلها عن زيد عن آبائه من الأئمة.

(٥) لم أجد له ترجمة في مابين يدي من مصادر.

والـنهج أبْلَـج[1] معـروف طرائقـه فمـــن تعامـــاه قادتـــه الأباطيـــل
أفْرَطتُم في سِباب الصَّحب هـل لكـم في ذا دليـــل عـــلى ماقيـــل مَعْقـــول
جرتم ومِلْتم عن الحـق القـويم وعـن نهـج الـسَّبيل فـذا لاشـك تـضليل
الله أثنــــى علــــيهم في مُنَزَّلــــهِ وحَبْلُنـــا بكتـــاب الله موصـــولُ
مـــا قالـــه الله مـــن قـــول ونَزَّلـــه فإنـــه عنـــدنا بالرَّحـــب مقبـــولُ
وقـد أتـى عـن رسـول الله فـضلهم نــص كثـير عـن الأخبـار منقـولُ
«٢٥٨أ»فطمس ذاك لايستطاع[2] مـن هــل يــستطاع لبحــر المــاء تقليــل
لـولاهم لعـرى الإسـلام لانقطعـت وكـــان حـــق رســـول الله مبـــذول
ذادوا عـن الحـق وابتـاعوا بأنفـسهم جنـان الخلـد جـزاء منـه مبـذول
لـولا مـصابيح نـور مـنهم غلبـت عـلى الظـلام وجـنح الليـل مـسدول
لما استبانت وجـوه الـرأي وانكـشفت حُجُـبُ الـضلال وشـخص الحـق
قـاموا بـأمر رسـول الله واجتهـدوا ولـــيس مـــنهم لأمـــر الله تحويـــل
قَفـوا[3] الطريـق التـي سَـنَّها لهـم نبـيهم مـاجرى حَيـف ولا ميـل
ولاؤهـم واجـب حـق وملتـزم وكـــلُّ مـــا قَـــدَّر الـــرحمنُ مفعـــول

انتهت القصيدة الفريدة العظيمة لأهل البصيرة. وكـان انبعـاث هـؤلاء الرافـضة، الذين أشرَّهم وأجهلهم حسن بن علي بن جابر الهبل لَمَّا رأوا مـن يحيـى بـن حسين ابن المؤيد بالله[4] القابلية لما وضعوه وكذبوه، فجزاهم على ذلك ماصنعوه وابتدعوه.

وفي شهر ربيع الأول ليلة الخميس ثامن الشهر المذكور. تـوفي محمـد بـن الحسن ابن الإمام القاسم[5] بمحروس الروضة عقب وصوله من بلاد ذمار، وبعد طلوعه من

(١) أبْلَج: واضح.
(٢) العين ساقطة في الأصل.
(٣) قفوا: اتبعوا.
(٤) سبق ذكره.
(٥) كتب المؤلف في الحاشية: (بحث وفاة محمد بن الحسن رحمه الله).

اليمن الأسفل، بداره وبستانه، وكان قد بادر بالخروج من صنعاء عقب دخوله إليها بلا فصل لأجل الخريف، لأن ذلك الوقت كان أول الخريف؛ فمات هنالك رحمه الله ودفن في جانب من بساتينه تلك. وكان موته رزءاً كبيراً في الإسلام، لكونه العمدة في النظام، والمتفرد لرعاية أكابر الإسلام «٢٥٨ب» من الأعيان، والوفاء والقرب والانبساط والاحتفال وعدم الإهمال، وحفظ العسكر، والمحبة له من الأكثر، مع الاطِّلاع على الدفاتر، والمشارفة وقرب الحال والخاطر. وكان له مشاركة في العلم أخذ فيه على القاضي أحمد بن يحيى حابس في صعدة أيام سكونه فيها، ونيابة والده له بها، فأسمع (الكشاف) و (البحر) و (شرح الأزهار)، ومازال في سائر مدته وزمانه يفتح في قراءة السِّير والأخبار، وكتب المناقب الكبار. وحضر وفاته عمه الإمام المتوكل على الله، وصلى عليه. وكان رحمه الله أوصى بوصية متقدمة فيها تفصيل ما يخصه وما لبيت المال بتذاكر، ولم يحددها، فعُمل بها، ولم تؤخذ تلك الأمور التي كان عينها لتحولها والتصرف فيها بعد طول المدة من وقت تاريخها، فمُيز ذلك بعد نظر يحيى بن مهدي خازنه، وما قال خاص يُسلم لورثته، وماقال عام قُبِضَ لبيت المال، وصرفه الإمام. «٢٥٩أ» وله شرح صنَّفه على (المرقاة) التي للإمام القاسم، أعانه فيه الفقيه العارف مهدي بن محمد المُهلا، وفيه أوهام منها: في حقيقة الإيمان والإسلام، وأنهما شيء واحد بدليل قوله تعالى ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]. احتج به على أن الإيمان والسلام شيء واحد، وأنه لايُطلق على الفاسق، وهذا قول المعتزلة، وهو مخالف لأصل صاحب (المرقاة)[2] كما صرح به في (الأساس) حيث قال: الفاسق لا يخرج عن الإسلام، وقال ما لفظه: فاعل الكبيرة، غير معصية الكفر، مسلم فاسق، انتهى. وهو قول أهل السنة، فأما القول الأول فهو للمعتزلة، والآية حجة على أن الإيمان والإسلام شيء واحد، فأما أنه لايطلق على

(١) سورة الذاريات، آيات: ٣٥-٣٦.

(٢) صاحب المرقاة: هو الإمام القاسم بن محمد سبق ذكره.

الفاسق فلا حجة فيها أصلاً، فما ذكره الشارح (للمرقاة) مخالف لقول المصنف. ومنها: مسألة الترجيح فإنه ذكر الشارح، وأطلق التقابل بين الكتاب والسنة، والترجيح إذا تعذر الجمع والتعارض في الكتاب غير واقع إذ لا يصح ترجيح السنة على الكتاب أصلاً. ومنها تفسير «٢٥٩ب» [أنا مدينة وعلي بابها](١) الحديث الذي أخرجه الترمذي بلفظ عنه ﷺ: [أنا دار الحكمة وعلي بابها](٢) فجعل ذلك من الاستعارة بالكناية وليس الأمر كذلك، بل من التشبيه البليغ؛ لأنه ذكر المشبَّه والمشبَّه به مع حذف أداة التشبيه، وذلك هو حال التشبيه البليغ، ولعله قلد السيد أحمد الشرفي لشرح (الأساس)، فإنه ذكره كذلك وهو غلط، وغير هذه الأوهام للمذكور. وله أيضاً جواب على الشيخ أحمد بن علي مطير الشافعي فيما أورده على الحديث عنه ﷺ أنه قال [ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة] فقال الشيخ ابن مطير: هذا لا يصح لأنه لم يروه غير معاوية مع ظهور الأدلة على فضل هذه الأمة، وأنكر النسخ في الشرائع، فأجابه المذكور، وأعانه فيه الفقيه العارف عبدالرحمن الحيمي، والفقيه مهدي المُهَلاَّ. والأمر ظاهر فيه فإن ابن مطير ما عرف طرق الحديث، فإن الراوي له كثير غير معاوية، وقد بسطنا القول فيه في (المسالك)(٣). وله مختصر في أصول الدين(٤) على مذهب المعتزلة، ويجرى فيه مجرى الإمام القاسم في (أساسه).

وهو أول من جار في مطالب اليمن من أهل هذه الدولة، فإنه زاد فيها على المعتاد وأمر عُمَّاله بذلك حتى كان يصح مع أهل اليمن النصف، والنصف يأخذه، أخبرني جماعة أنه أمر العمال: أنكم لاتتركوا لهم إلا الثلث، وكان يسوء اعتقاده فيهم، وأنهم (جبرية) عنده. وجرى أيضاً على ذلك فيهم المتوكل بعده، فلا قوة إلا بالله. وفي هذه

---

(١) تكملة الحديث: (فمن أراد المدينة فليأت الباب) انظر الحاكم: المستدرك، جـ٣، ص١٣٧؛ الشوكاني: الفوائد المجموعة، ص٣٤٨.

(٢) ورد الحديث في: سنن الترمذي، جـ٥، ص٦٣٦

(٣) هو كتاب: (المسالك في ذكر الناجي بين الفرق والهالك).

(٤) اسم الكتاب: (سبيل الرشاد إلى معرفة رب العباد). (الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص١٦٠).

المدة، كان مضرباً عن الطلوع إلى البلاد العليا، فكان إلى هذه المـدة، واقتـضب الطلـوع اقتضاباً بهمة ومبادرة، ولم يقف بذمار مع أن فيه داره، وأهله وقراره، ولا بضوران، ولا بصنعاء، بل استقر بالروضة لما علم الله تعالى من الحفرة، حتى لقـد ذكـر لي بعـض مـن كان عنده يوم سار من إبّ وجِبْلَة قـال: لم يتحـدث بعزْمِـه إلا ليلـة سفره، قـال هـذا الراوي: وكان في الْسِنَة أهل اليمن يتحدثون: أنه إذا طلع من نقيل سُـمارة لم يعـد إليـه، قال: وكان العادة لايطلع إلا من نقيل صيْد[1] أو غيره إلى هـذه المـرة وطلـع مـن نقيـل سُمارة. وكان ملوك الأولين يطلعون في الغالب من غير سُمارة كنقيل صيد، لما يتحـدث به أهل البلاد في سُمارة من الثقل على الملوك حال الطلـوع والـسلوك، لا النـزول فـلا، فهذا من النوادر والعجائب، والحكم لله في كل الأمور. وله من المـآثر والـسبل توسـيع جامع ذمار[2] من جهة غربية قـدر الثلـث أو أكثـر، وخَـشْر[3] منارتـه، وإعادتهـا عـلى الصحة بعد أن شارفت على الخراب والذهاب[4]. وكان محمد بن الحـسن مطَّلعـاً عـلى جميع الأمور، حافظاً للجنود، فلما توفي انتشـرت أكثـر الأمـور، إلا أن الآداب والنفـائع يجوز فيها ولا يرد عن المشكى وإن انكشف غير مخطٍ.

وقبيل هذه المدة أرسل الإمام بهدية لباشا الحبشة[5] مصطفى عوضاً عن الهدية التـي وصلت إليه منه، فأكرم الرسول وأعزه «٢٦٠أ» وأجله وذكـر لـه محبتـه لأهـل البيـت وللإمام ولجميع الأشراف، وأنه قد عُزل ثلاث مرات ويعود.

وفي هذه المدة خرج إلى اليمن كثير من بلاد العجم يتعيَّشون لما وقع في بلادهـم مـن القحط والجوع العام الماضي، ومنهم من أكـل الميتـات، بـل ورجـل مـنهم حمـل طفـلاً

---

(١) صَيْد: جبل من ناحية المخادر وأعمال إبّ ويقع بين حقل يريم والمخادر. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٥٤٨).

(٢) يعد جامع ذمار من أقدم المساجد الإسلامية، فقد عُمِّر في أواخر حياة الرسـول ﷺ، أو في مطلـع خلافـة أبي بكـر. (الموسوعة اليمنية، جـ١، ص٤٧٢).

(٣) خَشَر: أي نقص وهدم.

(٤) كتب المؤلف في الحاشية: (بحث توسيع جامع ذمار).

(٥) كتب المؤلف في الحاشية: (بحث إرسال هدية إلى الحبشة).

صغيراً وأدخله بجرابه فتداركه أهله وقد أشرف على الهلاك لاغتمام نخْسه[1] وأنفاسه بالجراب، وآخر أيضاً، فضربوه ضرباً شديداً، وحبسوه وصاحبه، وطردوا الآخرين، فتفرقوا، وبقي منهم من كان أول لا يُعرف منه ذلك. وسألت واحداً منهم فقلت: من منكم يأكل بني آدم؟ فأجاب عليَّ: بأنا نقرأ القرآن، ونصوم، ونصلي، لا نستحل هذا، وإنما هؤلاء فرقة من السليمانيين من أطراف الهند يفعلون مثل هذا الفعل القبيح.

وفي هذه الأيام ظهرت أبيات في شأن ذلك النور الذي ظهر، والذَّنب العظيم الذي رؤى واشتهر يقول فيها:

إذا ما بدا نور من الغرب ساطعاً ... شعاع له في المغربين طويل
يدل على موت الأكابر إن بدا ... ويغلى بكل الأرض فيه مكيل
ويخرص موزون وتقبل عدة ... ولم يبق في أرض الحجاز مقيل
«٢٦١أ»وذلك من بعد النبي محمد ... بألف وسبعين وبعد قليل
ويقبل في الصفراء فارس عصبة ... كتيبته للناظرين تهول
وتخصب أرض الله خصباً مباركاً ... ويصلح فيها الكرم ليس يحول
وتحدث أرزاق وترفع شدة ... ألا إن أيام المضيق تزول
فخذ ثلثي عام ترى النور ظاهراً ... من الغرب للأقوال فيه نقول
وآخره الثلث الأخير مبارك ... وآخر ذلك العسر فيه يزول

انتهى ما وجد، ونسب إلى خط الإمام يحيى بن حمزة، ومنهم من نسبها إلى العرابي[2] عن ابن العماد[3]، والله أعلم.

---

(١) النَخْس: هو التَّنفُس.

(٢) لعله الشيخ أبو السعود بن إبراهيم بن عطية بن إبراهيم بن عبدالقادر، الشهير بالعرابي. ولد سنة ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م أخذ علوم التصوف من كثير من مشائخ مكة. وقد أُسند إليه العديد من الكرامات، وقال عنه معاصروه أنه انفتح له باب إلى الغيب. مات بمكة. (إبراهيم الصبيحي: الحجاز في القرن السابع عشر الميلادي، ص١٤٠-١٤١).

(٣) ترجم الزركلي في كتابه الأعلام لأكثر من شخصية تحمل اسم ابن العماد ولم يتضح لنا من هو المقصود.

ولما وقعت التعشيرة في بعض الجمع رمى أحدهم التعشيرة، فسقطت الفتيلة، فانحنى ليلتقطها ثم انتصب قائماً في تعشيرة الذي بعده، فوقعت الرصاصة في رأسه حال انتصابه على جهة الخطأ، فسقط في الحال ميتاً، وهو من أصحاب إسماعيل بن محمد بن الحسن[1]، هذا المرمي الذي وقع فيه الخطأ.

وأولاد محمد بن الحسن رجع بعضهم إلى عمهم أحمد بن الحسن، وهو يحيى الكبير، فرأى منه عدم كمال الإجابة فيما يريده، وكان طامح النفس، ربما يريد بلاد والده أجمع له، وأحمد بن الحسن رأى أن ذلك لا يتم فباعد الأمور، والإمام ذكر لأحمد بن الحسن وقال: هذه البلاد «٢٦١ب» التي قد ولاَّها محمد بن الحسن لأولاده لهم على جارى عادتهم، فالحُجرية وبلاد ذمار ليحيى بن محمد، والعدين إلى إسماعيل، وسائر البلاد لنا النصف وإليكم النصف، وعسكر محمد بن الحسن عهدتها إليكم قد ساعد أحمد بن[2] الحسن إلى ذلك ثم اعتذر عنه، وتمزق جنود محمد بن الحسن حينئذٍ وتفرقوا، فمنهم من سكن عند الإمام وهم الأقل، ومنهم عند أحمد بن الحسن، ومنهم ترك الملازمة من الأصل، ومنهم سار الجهات الشاميَّة، وتفرقوا، وتبددوا، ومات كثير منهم هذا العام مع من مات فيه من العالم؛ لأنه كان بآخر هذا العام ووسطه موت هائل، وفناء واقع في الناس نازل، بحيث عم جميع أرض اليمن، وهلك فيه أمم، منهم من الغرباء بسبب الجوع والقحط، ومنهم بسبب المرض من قبيل الحُمَّى المطبقة المسبعة، فلله الأمر من قبل ومن بعد، بحيث اجتمع في هذا العام الثلاثة الأشياء التي ذكرها الله من النقص في النفس والمال والأهل، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾[3]. الذي حُصِر من الروضة قدر ألفين «٢٦٢أ» ومن ضوران ثمانية آلاف،

(١) إسماعيل بن محمد بن الحسن. كان عيناً من الأعيان. وكان أصحاب والده بعد وفاته يجتمعون إليه. توفي سنة ١٠٨٠هـ حيث ذكر ذلك المؤلف في أحداث هذه السنة إلا أن الشوكاني يذكر أن وفاته ١١١١هـ ولعل الأمر اختلط على الشوكاني بينه وبين ابنه علي بن إسماعيل. (ابو طالب: طيب الكسا، تحقيق الحبشي، ص١١٥؛ الشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص١٥٥).

(٢) بن ساقطه في الأصل.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٥٥ والآية: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾.

بحيث خرج في يوم سبعون جنازة، وكان يخرج من صنعاء كل يـوم قـدر ثلاثـين نفـساً وأكثر من ذلك في أكثر هذه السنة، وكذلك بمكة والحجـاز عـالم لا يحـصى، وهلـك في سائر اليمن كالتهائم والحقارات، ثم الجبال والشروق أمم، وقَلّت المواشي.

وفي ربيع الثاني أرسل المتوكل ولده حسن بعساكر معه للغـارة عـلى شريـف صَـبْيَا، ودفع تلك القبائل التي صالت عليهم بالصباح والمساء، فـساروا إلى هنالـك، ونزلـوا ببِيْش خارج صَبْيَا، وهربت القبائل إلى بلادهـم وجبـالهم وأغـوارهم، ثـم أنـه حـصل تعرض منهم في الطريق عقب وصولهم، فجهز حسن ابن الإمام، محمـد بـن عـلي بـن جميل الحبوري في عسكر معه آخر النهار لأول الليـل، فـساروا ليلـتهم ثـم نهـار ثـاني، وظفروا بكثير منهم، فقتل منهم العـسكر خمـسة، ومـن العـسكر نفـر واحـد، وهربـوا وسـلب العـسكر علـيهم مواشـيهم، ولزمـوا جماعـة مـنهم، وهـرب القبائـل الجبـال «٢٦٢ب» وبعض هذا الذي نهبوه فيما كان انتهبه أولئك القبائل على أهـل صَـبْيَا تلـك الأيام السابقة.

وفي هذا الشهر مات القاضي العارف عبدالجبار قاضي لاعة، رحمه الله.

وفيه غزت قبائل بني نوف[1] من دُهمة إلى سفال الجوف، فأخذت شيئاً مـن الماشـية من أطراف مساقط بلاد نِهْم ومراعيهم، فتجرد نِهْم وغزوهم للقضاء عـما وقـع فـيهم، فظفروا بهم، وقتلوا منهم.

وفي هذه الأيام وصل أحمد بن باز المكي إلى الإمام من طريق البحر، وكان قد وصل إلى مصر يريد النفوذ إلى السلطان بالروم، فرده باشـا مـصر، وقـال: ارجـع مـن حيـث جئت إلى عند سعد بن زيد، قال: فَأَنِفَتْ نفسه، وخرج إلى اليمن على هذه الصفة، فلـما وصل صنعاء وهو متأثر من المرض مات بها عقيب وصوله، وقُبِر حيث قـبر الـشريف محسن بقبة باب السبحة.

(١) بنو نَوف: من قبائل بكيل بالجوف من بطون دُهْمَة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٧٤٤).

وفي يوم الثلاثاء عاشر شهر جمادى الأولى توفي[1] السيد العارف الهادي بن أحمد الجلال[2] في بيت صنوه الحسن بن أحمد الجلال «٢٦٣أ» بالجراف من متنزهات مدينة صنعاء. وكان هذا السيد أولاً ساكناً ومستقراً بأهله بمدينة ذمار مدة من الدهر، وكان يختلف إلى اليمن الأسفل لقبض أشياء من تقاريره التي كانت له بنظر محمد بن الحسن، ثم استقر بعد ذلك في اليمن الأسفل، وأنزل أولاده من ذمار إليه في العام الذي قبيل هذا، وطلع إلى صنعاء من جهة سبارة[3] وتحول أحواله وأموره بعد موت محمد بن الحسن لا غير، وكان مراده العود إلى ذلك المكان المقصود، فسبق الأجل، وحرمه ما يريده من الأمل. وكان سكونه هذه الأيام باليمن، سمع بعض كتب الحديث هنالك، ورجح من مذاهبه مذهباً منفرداً غير مذهب صنوه الحسن، وغير مذهب الهدوية، واعتقد اعتقاد الأشعرية، وصنف عقيدته في ذلك، وقفت عليها بخطه، وقرر ثبوت الرؤية، وزاد على الأشاعرة في جعلها رؤية حقيقية كمذهب أوائل الحنابلة، وجوَّز حصولها في الدنيا، والأشاعرة «٢٦٣ب» يمنعون الرؤية حقيقة ويمنعون الرؤية في الدنيا، وغير ذلك كقطعه بخروج العصاة من نار جهنم بالقطع، وأهل السنة مختلفون في ذلك فكثير منهم لا قطع بذلك، بل ظن فقط، فزاد السيد أشياء أُخر ذكرها في عقيدته يختص بها كقوله: بأن الظن يكفي في المسائل العلمية، وهذا لايقول به أكثر البرية. كان المذكور له معرفة في النحو ومشاركة في الحديث.

وقبله في الشهر الماضي مات السيد الهادي بن أحمد القُطابري الديلمي. هذا السيد من سادة قُطابر[4] بشام صعدة من ذرية أبي الفتح الديلمي، وكان له مشاركة في الفقه، وله مسكة بالنحو، وكان شاعراً، وفد إلى محمد بن الحسن قبل طلوعه، وطلع معه إلى صنعاء، ومات بها رحمه الله.

---

(١) كُتب في الحاشية بخط مغاير لخط المؤلف: (ذكر وفاة السيد العلامة الهادي بن أحمد الجلال رحمه الله.)

(٢) ترجم له الشوكاني في البدر الطالع، جـ٢، ص٣١٨ وذكر أن وفاته في أول القرن الثاني عشر.

(٣) سباره: المقرر له من النفقات.

(٤) قُطابر: هجرة مشهورة في جماعة وتعتبر من أقدم الهِجَر في نواحي صعدة. (إسماعيل الأكوع: هجر اعلم، جـ٣، ص١٦٩٢).

وفي هذه المدة تعطلت أكثر المدارس والمساجد من كثرة القراءة في الزمان السابق من الوافدين، والأغراب القاصدين؛ لعدم القيام بحالهم، وتناقص سباراتهم، وعدم نظم حالاتهم، مع تقاصر الهمم التي صارت في الإقبال أقرب إلى العدم، «٢٦٤أ» مع أنه كان قد وصل من الإمام إلى ولده محمد قبيل وصوله صنعاء من السُّودة يذكر فيه افتقاد ولده للمعالم الدينية ومصارف الوقف، ومن رأى منه الإقبال للعلم كفاه كفاية فاضلة لا تلجئه إلى اشتغال خاطره؛ لأجل يتفرغ للعلم، ويقرب له الفهم، فلما وصل الكتاب، وما فعله من الخطاب، كان كأنه سراب، ولم يخرج شيء لامن عتبة ولا باب، بل زاد الجِرَاف[1] على الدَّرَسَة وأهل التقارير من الأوقاف، والحرمان، وبعض ما كان لهم من التقرير في ذلك الزمان، بسبب من أحمد محمد بن الإمام[2] للطوارئ[3] والأوصال، على جانب الوقف في جميع الأعمال، فلم يبق لأهل التقارير إلا التافه اليسير، وقل طلبة العلم من الأغراب، وساروا بلادهم، واشتغلوا بكسبهم وأموالهم وأهلهم، وعزت الأسعار وغلت.

وفيها مات الفقيه علي بن يحيى القُمْلاَني[4] من بلاد قُمْلا[5] بشام صعدة. كان هذا الفقيه له مشاركة في العلم، وكان على مذهب زيد بن علي الأول، وكان عنده بعض (الجامع الكافي في مذهب أوائل أهل البيت).

وفيها خرج صاحب جمل هائج من باب السبحة من صنعاء، وصاحبه يقوده وهو راكب على حمار، والخُطَام[6] بيد صاحبه، فلم يشعر إلا وقد التقم رأسه ثم رفعه الجمل

(١) الجِرَاف: هو من لايوجد بحوزته أي نقود في فترة معينة. وهذا لايعني بالضرورة أنه فقير. وهي من الكلمات المتداولة في صنعاء.

(٢) هو أحمد بن الإمام المؤيد محمد بن القاسم. كان جواداً عفيفاً، له عند القبائل من حاشد وبكيل كلمة مسموعة. كان عاملاً على وادعة والعصيمات والشرف الأعلى على مدة آخر أيام الإمام المتوكل إسماعيل، ثم قرره الإمام المهدي وكذلك الإمام المؤيد محمد بن المتوكل. ولما دعا أخوه القاسم بن المؤيد لنفسه بالإمامة بعد وفاة المؤيد محمد بن إسماعيل ناصره. توفي سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م. (محمد بن عبدالله بن عامر: بغية المريد، ق٧١أ).

(٣) الطوارئ: لعله يقصد بذلك ماكان يعطيه من نفقات للأشخاص الذين لم تكن لهم مقررات شهرية.

(٤) ترجم له الجنداري في الجامع الوجيز، ق١٤٩ب ترجمة مختصرة.

(٥) قُمْلا: قرية عامرة من أعلى وادي يَسْنَم في الشمال الغربي من صعدة. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٣، ص١٧٦٢).

(٦) الخُطام: حبل من الجلد يلوى على رأس الدابة، وهو اللجام دون شكيمة. (أحمد شرف الدين: مختارات من شعر الخفنجي والقارة، هامش ص١٠٦).

في الهواء وخبطه إلى الأرض، وعَضَّه عَضَّة أخرى في فخذه، فمات المذكور من ذلك، بقي بقيَّة يومه وهلك.

«٢٦٤ب» ولما اجتمعت الغربة بجهة بلاد قُرَاضة بلاَعَـة، والجوع الشديد فيهم، فكثروا حال الصراب، انتهبوا من الزراعة للجوع والاضطرار الهائل فيهم، فدافعوهم أهل المال، وقتلوا اثنين لعدم اندفاعهم، وفات من الزراعة مافات.

وفي شهر جمادى الأولى في يوم الإثنين تاسع وعشرين منه أكسفت الشمس في برج العقرب بعُقدة الذَّنب في آخر ساعة من ذلك النهار، والطالع الثور.

وفي هذا الشهر مات السيد قاسم بن إبراهيم الديلمي،كان سيداً لا بأس به، كاملاً، خيّراً، وفياً، صادقاً ببلدة قرية القابل من وادي ضهر. وكان المذكور إليه ولاية بلاد نهم والنهر في الوادي. وكان سبب موته أنه طلع على سطح بيته فسقط على رأسه إلى الحِجْرة[١]، فاندقت عنقه فمات في الحال.

وفي وقت الظهر من يوم الثلاثاء في الساعة السادسة، والطالع أظنه الدلو فيه قران المريخ وزحل، غرة شهر جمادى الأخرى خرج الإمام من صنعاء عازماً إلى جهة ضوران.

وفي ليلة خامس عشر من جمادى الثاني «٢٦٥أ» خسفت القمر بالرأس في آخر برج الثور.

وفيها مات فقيه القاعدة[٢] بجهات تعز باليمن الأسفل. كان هذا الفقيه له معرفة بالرمل وبعض الفلك والحرْف كما روي، وكان أحمد بن الحسن استدعاه لمعرفة شيء من هذا، فعرَّفه ببعض شيء من ذلك، واعتذر عن غيره.

وفي جمادها الثاني وقع مطر باليمن في ليلة واحدة، والشمس في آخر برج العقرب،

(١) غير مشكّلة في الأصل. ولعله يقصد بذلك صحن البيت. ولاتزال الكلمة مستخدمة بهذا المعنى.

(٢) القاعدة: بلدة مابين إبّ وتعز مشهورة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٦٤٥).

بشهر تشرين الثاني[1]، آخر مطر الْوَسْمِي[2]، فانتفع كثير من البلاد به لثمرة الربيع والقياض، وتعقبه لين الشتاء وعدم البرد، وسقط ثلج كثير بجبل عَيْبَان[3] غربي صنعاء اليمن، وهو لايحصل فيه ولا يعتاده وإنما يقع الثلج في جبل القاهر بحَضُور.

وفي جمادها الثاني انتُهِبت قافلة بالعمشيَّة وهي داخلة صَعْدَة من صنعاء لتجار ومتسببين، والناهب ذو محمد من برَط، وقَتَلوا من أهل القافلة واحداً في حد سُفيان وآل عَمَّار[4] قبل أن يلتقفها آل عَمَّار، فغنم الفرصة دُهمة فانتهبوها، ثم غارت آل عَمَّار وسفيان فانتهبوا «٢٦٥ب» مع الناهبين، وكانوا الكل متعدين، ثم انتهب أيضاً بعض الذي نهبوا من برط بعضهم البعض فهذا من العجائب، وسببه الضرورة من الجوع، ونقص سبار من سفيان، لعدم الوفاء لهم بالذي يعتادونه من الدولة.

وفي جمادها الثاني سار عبدالله بن أحمد من جبل العر غربي صعدة وقصد آل سرح وآل حبيب من القبائل الذين صالوا في تهامة على بلاد صَبْيَا، وكان المذكورون قد ترفعوا عن بطن تهامة بعد (أن)[5] استقر حسن ابن الإمام ببِيْش خوفا منهم أن يقصدوهم فيأخذوهم فقصدهم المذكور من الجهة العليا، فظفر بهم، واستولى الذين معه على شيء من مواشيهم، وراح منهم كما روي نحو ثمانية، وهربوا، وكان قد أجاش معه حال غزوه لهم ببعض تلك القبائل التي بحدِّهم؛لأنهم خصومهم فأجاشوه.

وفي نصف هذا الشهر المذكور طلع حسن بن الإمام من بِيْش «٢٦٦أ» إلى درب ملوح[6]، ثم قصدوا تلك القبيلة المفسدة الباغية الصائلة في اليوم الثاني شرقي بِيْش من

---

(١) ظلت هذه الشهور معمولاً بها في جميع المسائل المالية لانتضامها.

(٢) مطر الْوَسْمِي: هو مطر الربيع الأول، وسمي بذلك لأنه يَسِم الأرض بالنبات. (القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٢، ص١٧٧).

(٣) جبل عيبان: في الجنوب الغربي من صنعاء، وبه آثار قلاع لحماية صنعاء، ويرتفع ثلاثة آلاف متر عن سطح البحر وعن صنعاء ٩٠٠متر. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص٩٤.

(٤) آل عمار: من قبائل دهمة في بلاد صعدة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٦١١).

(٥) تم إضافة (أن) ليستقم المعنى.

(٦) دَرْب مُلوَّح: يُعرف باسم درب بني شُعْبَة. نسبة إلى قبائل بني شُعْبَة التي تسكن قرية الدرب وقرية الدرب تقع على وادي عتود. يذكر العقيلي أنه عُرف في القرن الحادي عشر باسم درب ملوح. (العقيلي: المخلاف السليماني، جـ١، ص٣٨٠).

بني حبيب ومن إليهم، فتسنموا عليهم الجبال، وطلعوا عليهم من حيث كان لايخطر لهم ببال، ووصلوا إلى جبل قد تحصنوا فيه، والتجوا بما معهم إليه، فوقع الحرب في ذلك المكان، وأحاطوا بهؤلاء[(١)] العرب الطغيان، فقتلوا معهم ستين نفساً وانهزم الباقون، ولا يجدون لهم مفراً ولا منجا، يهيمون في الأوغار[(٢)] والشعوب، والشمال والجنوب، وراح من العسكر ثلاثة نفر في مضيق هنالك من آخر العسكر ثم عاد الناس إلى بِيْش، ووصل شيخ من مساقط بلاد فِيفا يخاطب بوصولهم، والحكم بما رأوه فيهم، ويطلب أمانهم، ومنعهم بعض تلك القبائل من بلاد فِيْفا عن دخول بلادهم حال انهزامهم لمَّا أرادوا الالتجاء إليهم «٢٦٦ب». ويحيى بن محمد بن الحسن لما أيس عن التولية لبلاد أبيه، وعرف عدم معونة عمه أحمد بن الحسن فيما يشتهيه سكن في دار المدرسة على الكمد والغيظ، وشده الغم والضيق، واحتجب أكثر أوقاته، ولم يسأل الإمام ولم يخاطبه في شيء مما يريده. والإمام قبض الزمام، ونقَّص على أهل التقارير مايعتادونه تلك الأيام.

وفي رجبها توفي يحيى بن محمد بن الحسن بصنعاء وهو في أثر الكظم لما كان يريد ويهوى، فاعتبر كثير من العقلاء بحقارة الدنيا والقناعة فيها. وكان أراد الحاضرون أن يُقبر في حوطة المدرسة وقد حُفر قبره، ثم رجح أحمد بن الحسن في جوابه الإخراج له إلى حوطة أبيه وجواره، فأخرج وقبر بالروضة عند أبيه بالزيلة قرب وادي النَعْجَة. وكان المذكور يحبه أصحاب والده لما يعلموا من سماحة كفه، وكرمه، وسعة بذله، ولمَّا مات لم يوجد بعده من الدراهم غير حرفين كما يروى، وأما الرخوت[(٣)] والفرش، وآلات الخيل والسلاح والحلى فشيء كثير.

«٢٦٧أ» وفي شهر شعبان توفي السيد أحمد الآنسي الشاعر، كان شاعراً مجيداً لكن

---

(١) وردت في الأصل: (بهلا).

(٢) الأوغار: الوَغرة: شدة توقد الحر. ولعل المؤرخ يقصد بذلك: الأوغار، لكنه أخطأ في كتابتها.

(٣) الرخوت: جمع رَخت وتعنى السروج المرصفه بالجواهر. والكلمة فارسية، انتقلت إلى العثمانية. (د. حسين المصري: معجم الدولة العثمانية، ص٩٤).

غالب شعره في الهجو حتى نفذ ذلك إلى سب الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن المذكور كان رافضياً جارودياً. وكان الإمام المؤيد محمد بن القاسم قد حبسه عنده بشهارة.

وفيها وصل حسن بن المتوكل إلى درب ملوح، واستقر فيه أياماً، وكان منتظراً لوصول مشائخ بني حبيب حتى قل عليهم الطعام مع الغلاء والقحط، فعاد صَبْيَا، وتزوج فيها، ووصل إليه -وهو بها- بعض المشائخ بتلك البلاد، فلما وصلوا أمر بربطهم وحفظهم، ثم سار في خلال ذلك طالعاً إلى الحضرة العالية، فوصل إلى حبور، فأرسل بأُولئك البدوان، وقد تعطفت أرجلهم في الجبال والوديان، والبرد أصابهم وضر أكثرهم ومات بعضهم، فلما وصلوا إلى الإمام عاتبهم في البغي والعدوان، وزجرهم عن العود إلى شيء من ذلك في جميع الأزمان، ثم كساهم وعادوا إلى بلادهم. وفيهم من الغباوة والجهل بالشرائع مايحار الإنسان منه ويعجب، فلا فرق بينهم وبين البهائم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1]. والإمام غضب وتغير وقال: لِمَ يطلع حسن من غير رأي ولا إذن؟ ماقد تمت الأعمال في تلك الأماكن والديار، وأمره بالعود. فعاد إلى صَبْيَا وقد تفرق عسكره، وساروا بيوتهم فلم يعد معه إلا اليسير «٢٦٧ب» من خاصة خدمه وأصحابه، وسكن بصَبْيَا وأبي عريش، ثم ظهر للإمام عدم الجدوى، ومشقة الاستئناف لإرسال العسكر، مع ما نالهم من المشقة في ذلك السفر، مع القحط وعسرة الأمر، فترك ذلك.

وفي هذه الأيام أخذ الإمام ماكان قد جمعه على دشيلة في بيته بالحصين من الفرش والحبوب والسلاح والنحاس وغيرها، ومنعه عن ملازمة ولده على بعدها، وأنكر على ولده التبذير بإعطاء مثله، وهو خدَّام من آحاد الناس لايُعطي لمثله ما أعطاه، ولا ماصيَّر إليه وأوفاه.

وفيها مات محمد الحطروم الصعدي التاجر، فانكشفت تجارته أكثر معاملة للناس،

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٤٤ وأولها: ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون...﴾.

وبيعت بيوته بصنعاء والجراف، وقطعت لأهل الدين والمعاملات وكان المذكور له حسنات وصدقات في حياته ومنها سمسرة وماجل للماء في نقيل عجيب، وماجل آخر في العمشية من بلاد سفيان على طريق صعدة.

وفي هذا الشهر انتهى زيادة السعر «٢٦٨أ» فبلغ القدح البر بصنعاء إلى قرشين، والذرة قرشين ونصف، والناس في هذا الوقت في الشدة العظيمة، عليهم الفترة[(١)]، والموت الذريع فيهم، والله تعالى اللطيف الخبير.

وفي هذه الأيام مع[(٢)] الجوع هاجت قبائل دهمة في أطرافها، فانقطعت الطريق بالعمشية الشرقية، وبقت الطريق العذرية.

وفي هذه الأيام تخطفت قبائل دهمة في أطراف بلاد الجوف، وكذا حصل تخطف في اليمن الأسفل، ووصل شكاة إلى الإمام من أجل ذلك من اليمن، فأرسل عسكراً إلى هنالك. وهَمَّ أهل بلاد الشوافي بالامتناع من بعض المطالب فأدبهم الإمام. «٢٦٨ب» وحسن بن الإمام استمر سكونه بعد عوده إلى صَبْيَا وأبي عريش في أبي عريش إلى وقت مرسم الحج، ثم سار بالناس للحج، وحج بهم.

وفي رمضانها سقط قرّ[(٣)] عظيم في وقت الظافر[(٤)]، أول معالم مطر الصيف بعد الصَّوَاب[(٥)]، وكان الناس قد قدموا الزراعة للقياض لما كان أول الشتاء قليل البرد ولمَّا رأوا الأسعار غالية، والحاجة إلى الحب حاصلة، فراح أكثر الزرائع بالضريب[(٦)]، ولم

---

(١) الفترة: أي الضعف والمرض.

(٢) مع: تعني هنا بسبب الجوع.

(٣) القرّ: البرد الشديد.

(٤) الظافر من المعالم أو النجوم الزراعية في اليمن. وهي: ظافر أول وظافر ثاني. ويبدأ ظافر أول من ٥ آذار وينتهي في ١٧ منه حيث يبدأ ظافر ثاني من ١٨ آذار ويستمر حتى ٣٠ من الشهر نفسه، أي أن كل منزلة ١٣ يوم.

(٥) الصَّوَاب: في المصطلحات الزراعية اليمنية هو أحد المعالم الزراعية التي يستدل بها بالنسبة للأمطار بدرجة أساسية وهي ثلاثة نجوم أو معالم، يسمى الأول، خامس الصواب: يبدأ في ٢٤ كانون الثاني إلى ٦ شباط، وسادس الصواب: يبدأ من ٧ شباط إلى ١٩ منه، وسابع الصواب: يبدأ من ٢٠ شباط إلى ٤ آذار. أي أن كل منزلة مدتها ١٣ يوم. (العنسي: الدائرة الزراعية).

(٦) الضَّريب: هو البرد الشديد الذي يصيب الثمار فيهلكها.

يَسْلَم إلا ماهو مؤخر بَذْرُه في وقوف الشمس لِمَا ماتقدم بذره.

وفي هذه الأيام غزا صاحب عُمان إلى بندر الدِيو[1] الذي مَصالحه[2] للفرنج، فدخله من طريق البحر على حين غفلة، ولم يكن فيه إلاَّ أهله من التجار من الفرنج، وغيرهم ممن سكنه من المسلمين، فانتهبه أصحابه، ثم سحبه[3] بحراً، وسار بذلك بلاده.

وفي هذه الأيام وصلت الأخبار أن الجنود السلطانية العثمانية استفتحت بلاداً في جهات مالطه من بلاد النصارى يقال لها: مراكش[4] «٢٦٩أ» وأظهرت البشائر في جميع بلاد السلطان بذلك الفتح والملابس، فلبست الأسواق، وزُينت الدكاكين بالأطواق، وتبعها أيضاً فتح لمكان هنالك يسمى الجريد، والله أعلم بغايات التحقيق.

وفي هذه الأيام كان رجلاً حاجاً عرض له مرض فكان رابع مرضه كما روى وطعن نفسه فمات، فقال الراوي: كان متغير العقل من البخارات الصاعدة في الحُمَّى المسبعة. وأعجب منه مارواه آخر: أنه يعرف رجلاً سخط على نفسه في بعض الأيام فوجأ[5] بطنه وهلك، قال: وهو رجل شامي فنسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة، فقد جاء في الحديث الصحيح: [أن من قتل نفسه فهو في نار جهنم خالداً فيها أبدا][6].

وفيها انتهب أهل حُبَاشة[7] من سفيان بعض قافلة من الزبيب، ولكنهم ما استهلكوا شيئاً منها، وهم من أهل عهدة الطريق وممن عليهم الدرك فيها، فأرسل عليهم الإمام السيد صالح عقبات «٢٦٩ب» بقدر مائة نفر، فأرجعوا الذي انتهبوه، وسلَّموه واعتذروا أن ذلك لأجل قطع سبارهم، فطلب الإمام شيخ حُبَاشة وحبسه

---

(١) ديو: جزيرة ومدينة برتغالية في الهند. تبعد عن بمباي ١٦٠ ميلاً إلى الشمال العربي منها. أرضها لاتصلح للزراعة، ومياهها مالحة. استولى البرتغاليون على الجزيرة سنة ١٥١٥م. (بطرس البستاني: دائرة المعارف، مجـ٨، ص٢٥٥-٢٥٦).

(٢) أي عائداته ومنافعه،

(٣) أي انتهبه أصحاب العماني وانسحبوا بحراً.

(٤) المعروف أن مراكش بالمغرب.

(٥) وجأ: ضرب أو طعن.

(٦) ورد الحديث بألفاظ مختلفة في صحيح البخاري، مجـ٣، جـ٧، ص١٨٠-١٨١؛ سنن الترمذي، جـ٤، ص٣٨٦؛ سنن الدارامي، جـ٢، ص١٩٢).

(٧) حُباشَة: بلدة في أعلى أرحب. (الهمداني: صفة جزيرة العرب، هامش ص٢١٨).

بضوران، بقي في حبسه أياماً ومات فيه. وأهل برط أرجعوا البعض وفات الأكثر منه وذهب.

وفي هذه الأيام فتح الإمام قراءة في كتاب (اللُمع)(١) فاستغربه كثير من الناس؛ لأنه من الكتب القديمة التي لاتعتمد هذا الزمان الآخر.

وفي هذه الأيام خرج من الهند أرز وحنطة، شاطوه هنالك لَمَّا بلغهم الغلاء في اليمن، فحصل لهم ربح كثير، أبلغ من البز، والمخرج له بانيان وغيرهم، ومازال يتواصل وصوله إلى المخا، وكذلك الذرة حتى نفع الناس كثيراً، وبلغ وصوله إلى مدينة صنعاء، وأثر النقص في سعره بالمخا، ثم خرج أيضاً من الحبشة إلى اللُّحية، انتفع به أهل تهامة وبعض المغارب.

وفي الثلث الآخر من ليلة الأحد سادس عشر شهر رمضان «٢٧٠أ» من هذه السنة توفي القاضي العارف شرف الدين الحسن بن يحيى حابس الدواري بمحروس مدينة ذمار بعد أن كان الإمام طلبه من بيته بصنعاء إلى حضرته بضوران، وأمره بالعزم إلى ذمار لافتقاد قسمة مخلَّف محمد بن الحسن، وإخراج ما هو لبيت المال، وقسمة الذي يختص به ورثته، فقضى الله وفاته بعد أن كان قد شرع في ذلك، وقبر بصرح حوطة الإمام يحيى بن حمزة. كان المذكور عارفاً، مشاركاً في كل فن، وكان يدَّعي الاجتهاد، وكان ظريف المحاضرة والمجالسة والأدب، وما يناسب المقامات، وبه تتعجب، يحب الراحة والاستراحة، والمؤانسة والمجابرة خصوصاً مع أصحابه الصعود(٢)، وغيرهم من الوفود، كثير الإطناب في المراجعات والمساءلة، والمحاججة والمجادلة، ولأجل محبته للراحة كان قليل الصبر على التدريس، فإنه تركه بالمرة، ولم يبق معه إلا مسألة

---

(١) هو كتاب: (اللمع في فقه أهل البيت) تأليف علي بن الحسين بن يحيى بن الناصر. (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) من العلماء المحققين في الفقه. وكان كتابه (اللمع) من مصادر فقه الزيدية ثم اختصره الحسن بن محمد النحوي وسماه (التذكرة الفاخرة) وجاء الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى فاختصر (التذكرة) وسماه (متن الأزهار) ومن ثم الاعتماد على كتاب (الأزهار((إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٣، ص١٦٩٠، شرف الدين: تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن، ص٢٦٨).

(٢) المقصود بهم أهل صعدة.

الشريعة، «٢٧٠ب» والقضاء وكان قد نصبه الإمام قاضياً بصعدة عقب موت صنوه أحمد بن يحيى حابس، لكنه لمَّا عرف صنعاء وتزوج فيها لم يرغب إلى غيرها، وسكن بها، فقضى فيها بعد وفاة قاضيها حسين بن يحيى السحولي، واستناب بصعدة من يقوم مقامه، وكان من محبته للراحة والاستراحة قد بنى له عند داره بالجراف مَفْرَجاً[1] وشَاذْرَواناً[2]. وكان المذكور له مشاركة في الحديث النبوي، آخذاً منه بالحظ الصالح القوي، بالنظر إلى هذا الوقت الذي عن الحديث عَرِي، قرأ (جامع الأصول) على السيد محمد بن عز الدين المفتي رحمه الله، واستجاز منه. ولي منه إجازة في جميع مروياته. بحمد الله عن السيد محمد بن عز الدين المفتي، عن الخاص، وعن عبد العزيز بهران[3] متصل الأسانيد إلى أصلها. «٢٧١أ» ووقع بيني وبينه مراجعة في مسألتين: أحدهما في إجماع أهل البيت وقول من قال أنه حجة، فقال القاضي مُحتجاً على عدم كونه حجة: إنهم بعض الأمة، ويدل عليه غزوة ذات السلاسل[4]، فإن النبي ﷺ صوَّب عمرو بن العاص في صلاته، والحديث كما أخرجه أبو داود عن عمرو بن العاص قال: [احتلمت في ليلة باردة في غزوة، فاشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: ياعمرو صليت بأصحابك وأنت جنب فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقال: إني سمعت الله عز وجل

---

(١) المفرج: الجمع مفارج، عبارة عن حُجْرة في أعلى البيت وهي مستطيلة الشكل ذات نوافذ واسعة منخفضة ليرى الجالسون فيها أثناء القيلولة حقول صنعاء وبساتينها. وتكون في أعلى البيت. (د.يوسف عبدالله: صنعاء المدينة العربية الإسلامية، مجلة الإكليل، العدد ٣، ٢، ١٩٨٣م، ص٢٨٩).

(٢) الشاذروان: هو البركة التي تتخذ في الحديقة أو في البيت الواسع والكلمة فارسية. (انستاس الكرملي: ملحق بلوغ المرام للعرشي، ص١٥٠).

(٣) هو القاضي الحافظ عبدالعزيز بن محمد بن يحيى بهران التميمي البصري الصعدي. (٩٤٨-١٠١٠هـ/ ١٥٤١-١٦٠١م) تلقى العلم على أبرز علماء عصره. وكان عالماً كبيراً متفنناً متضلعاً في كثير من العلوم. وأخذ عنه الكثير، منهم الإمام القاسم بن محمد. ومناقبه كثيره. توفي بمدينة صعدة. (أبو الرجال: مطلع البدور، جـ٣، ص١٤؛ زبارة: ملحق البدر الطالع، ص١٢٢).

(٤) غزوة ذات السلاسل: غزوة جرت إبان حياة الرسول ﷺ. ولم يشترك فيها. سميت كذلك نسبة إلى عين ماء بالقرب من المدينة المنورة تُعرف بالسلاسل. وكانت الغزوة عام ٨هـ/ ٦٢٨م. وقاد جيش المسلمين عمرو بن العاص على إثر إسلامه. التقى فيها المسلمون بالمشركين من قبيلتي (بلى وعذره). (ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدى خير العباد، جـ٢، ص١٥٧-١٥٨).

يقول ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[1] فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا][2] فدل هذا على تصويب المخالف لإجماع أهل البيت؛ لأن النبي ﷺ قد قرر اجتهاد عمرو بن العاص، ولم يقل بقوله واجتهاده أحد من أهل البيت الذين قد كانوا ذلك الوقت كعلي والحسن والحسين، فلما قرره النبي ﷺ عُلم على صحة اجتهاده واجتهاد من اجتهد مثله من بعده من غير أهل البيت، ولايُراعى الموافقة لهم كما لايُراعى موافقة علي والحسنين له، فكان تقرير النبي ﷺ لاجتهاد عمرو حجة على صحة الاجتهاد من غيرهم على كل حال. وهو كلام عجيب، وإن كان المسألة فيها خلاف ظاهر. والإمام الحسن بن عز الدين[3] في (قسطاسه)[4] قرر كونه[5] ليس بحجة كقول الجمهور. «٢٧١ب» المسألة الأخرى في اجتهاده ﷺ بأنه يصح اجتهاده في الأمور الدينية، فقلت له: نعم هذا على أحد القولين، والقول الآخر: قالوا لا يصح اجتهاده في الأمور الدينية؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[6] فقال: هذه الآية لاحجة فيها؛ لأن الضمير يعود إلى الإسراء ولا عموم في الآية، فقلت له: ما أحد قد قال من المفسرين بأن الضمير يعود إلى الإسراء في قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ فقال: بل الأمر هكذا، ولم أعرف من قاله، وإنما الذي يصح عَودَه إلى الإسراء قوله بعده: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾[7] أما قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا

(١) سورة النساء، آية: ٢٩ وأولها: ﴿يأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم...﴾.

(٢) ورد الحديث في سنن أبي داود، جـ١، ص٨١؛ السنن الكبرى للبيهقي، جـ١، ص٢٢٥.

(٣) هو الإمام الحسن بن عزالدين بن الحسن بن علي بن المؤيد الحسني، الناصر لدين الله (٨٦٢-٩٢٩/ ١٤٥٨-١٥٢٣م) دعا لنفسه في حصن كحلان بعد وفاة والده سنة ٩٠٠هـ، لكن أتباعه تحولوا عنه إلى الإمام محمد بن علي السراجي؛ لأنه كان أكثر عطاء منه. وقد عارضه عمه صلاح بن الحسن وولده علي بن صلاح وغيرهم. فترك الإمام الحسن أمر الإمامة واشتغل بالعلم. (محمد بن الإمام عبدالله بن علي: التحفة العنبرية، ص٣٠٢-٣٠٥؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٣، ص١٦٢٢).

(٤) القسطاس: كتاب اسمه كاملاً: (القسطاس المقبول على معيار العقول) في علم الأصول. لمؤلفه الإمام الحسن بن عزالدين السابق ذكره. استدرك فيه على كتاب (معيار العقول) الذي للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى باستدراكات. واعترض على بعض ماأورده المهدي فيه. (محمد عبدالله بن علي: التحفة العنبرية، ص٣٠٤).

(٥) غير واضحة في الأصل، ورسمناه كما وردت، ولعلها الأقرب إلى سياق المعنى.

(٦) سورة النجم، الآيات: ٣، ٤.

(٧) سورة النجم، آية رقم ١٢.

وَحۡيٌ يُوحَىٰ﴾ فإنما ذكر المفسرون أنه يعود إلى القرآن، وقيل: نطقه في الدين كما ذكر البغوي[1] وغيره. وأما العموم فقلت له: إن أُريد لفظه فنعم، وإن أردتم النفي إفادته للعموم فلا، بل يفيد العموم في الاستقبال، والحال أنه لاينطق عن الهوى، نظيره قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[2] فإنه يفيد النهي عن الغلو في كل وقت، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥ﴾[3] فإنه يفيد الاستغفار والتوبة في جميع الأوقات عند اقتراف السيئات، ولكنه ربما يقول هذا جمع مضاف وهو يفيد العموم لا الأول لأن ما هنا لنفي الحال في المضارع كما عُرف من النحو، ولكنه يفيد الإطلاق للنطق مرة بعد مرة، فيكون هذا مطلق حاصل في المعنى لكل الأمور الدينية في جميع الحالات كما لا يُخفى. وقد ذكر سراج الدين[4] في حاشية (الكشاف) إفادة ذلك العموم. «٢٧٢أ»، وكان المذكور صاحب تجارة، وله تعلق بالبضاعة، يشارف[5] عليها بنفسه رأس السنة. وكان يتساهل في وضع المحاضر لمن طلبها، يذكر صورة الدعوى والإجابة بحق وباطل قبل ظهور الحق، فيتمسك بذلك المدعى ويشتد[6] به على الدولة، ويقول هذا وضع القاضي وعلامته وشهادته على حكمه، فتجري بسببه المظالم. كما رأيت في بعض الوضوعات للمذكور بأنه ادعى رجل على آخر عيناً[7] وجدها عند دلاّل[8]، فبيَّن عليها المُدَّعي أنها حقه، وأنها مسروقة عليه،

(١) البغوي: هو الحسين بن مسعود بن محمد، المعروف بالفراء، البغوي (٤٣٦-٥١٠هـ/ ١٠٤٤-١١١٧م) يلقب بمحيي السنة، فقيه، محدث، مفسر. نسبته إلى (بغا) من قرى خراسان له: (التهذيب) في فقه الشافعية و (شرح السنة) في الحديث و (معالم التنزيل) في تفسير القرآن. وغير ذلك. (أبي الطيب الحسيني: التاج المكلل، ص٤١، الزركلي: الأعلام، جـ٢، ص٢٨٤).

(٢) سورة النساء، آية: ١٧١.

(٣) سورة المائدة، آية: ٧٤ وتمامها: ﴿والله غفور رحيم﴾.

(٤) لعله محمد بن عبدالله بن محمد المخزومي الرفاعي الحسيني، سراج الدين (٧٩٣-٨٨٥/ ١٣٩١-١٤٨٠م). له عدد من المؤلفات منها: (البيان في تفسير القرآن) و (جلاء القلب الحزين) و (رحيق الكوثر) و (سلاح المؤمن) وغير ذلك. الزركلي: الأعلام، جـ٧، ص١١٦).

(٥) أي يشرف عليها.

(٦) غير واضح في الأصل والأرجح أنها يشتد: بمعنى يحتج بها على الدولة، أو تكون له حجة قوية.

(٧) عين: المقصود بها الجنبية كما يتضح من السياق.

(٨) الدلاَّل: هو المتوسط بين البائع والمشتري.

وأنه ثابت اليد عليها، فقال الذي بيده: هو شراها من فلان، فقال المدعي: هؤلاء هم الذين سرقوها، وأنهم سرقوا معها غيرها بكذا من الدراهم عيَّنها، مع أن هذا الذي عزاها إلى غيره أنه شراها مشارك لهم في التهمة بمخالطة ذلك الرجل المسروق عليه كمخالطتهم، فالتهمة متعلقة به مثلهم، فكتب القاضي عند هذا على تقرر الجَنْبِيَة[1] عند فلان، وأنه صحت سرقة لفلان، وأنه ذكر المُدَّعي أنه سُرق معها كذا من الدراهم، وذكر المشتري للجَنْبِيَة أن السارق لها فلان، فحفظها المُدَّعي بيده ثم بعد «٢٧٢ب» مدة، وقد قبض تلك العين، أظهر التمسك، وذكر للحاكم أن الذي عُزي إليهم سرقوا سرقة أخرى، وأن هذا حكم القاضي أنهم السَّرَقْ وأن عليهم بقية من ذلك وهي الدراهم، فاغتر به الحاكم الآخر، فهذا من المظالم العظيمة، والتساهل من المذكور وقع بإدراجه في حكمه بتلك العين التي قامت بها الشهادة على انتزاعها من الذي بيده غيرها مما لم تقم به شهادة في الزايد من الدراهم، ولاقامت شهادة أيضاً بأن الفاعل لها هم أولئك الذين أضيف إليهم اسما[2]، لأنه إنما أَضافه الذي وجدت بيده. وكان طريق الشريعة في مثل هذا أن يقال للمدعي للزائد على الجنبية بيِّن عليه، فإن لم يجد بيِّنه حلف له هذا الذي وجدت عنده الجنبية، وأولئك الذين أُضيف إليهم إن كان للمدعى دعوى عليهم في الزائد أحضرهم فإما بيَّن عليهم أو حلفوا له؛ ولا يذكر وصفاً قبل معرفة ذلك وأحوالهم الذي في يده المصادر والواضح لها عند الدلاَّل. هذا طريق الشريعة، وهذا تساهل من المذكور فيه خلل عظيم. وكان له هوى نفس في أحكامه كما جرى في مطالبة مال عند بعض أهل بلاده وأصحابه، وهو متمكن من تسليمه في ذلك الوقت، فقال: يمهل إلى وقت آخر، وأفتى المُطَالَبْ بأنه لايسلم ذلك الوقت شيئاً، فلا قوة إلا بالله. «٢٧٣أ» وكان المذكور آخر مدته يأخذ من الزكاة فقيل له، فقال: مع المصلحة تجوز، وهو قول القاضي عبدالله الدواري[3]. وكان يعامل كثيراً محمد بن الحسن

---

(١) الجَنْبِيَة: خنجر أو نَصْلَة. سميت كذلك لأنها تثبت في حزام وتوضع في الجنب. وتشتهر اليمن بصناعة الجنابي.

(٢) غير واضحة في الأصل ورسمناها كما وردت.

(٣) هو عبدالله بن الحسن اليماني الصعدي، الملقب الدواري، باسم أحد أجداده. (٧١٥-٨٠٠هـ/ ١٣١٥-١٣٩٧م) قرأ =

بتجارته، وله صبر على مخالطة الدول في كثير من أوقاته، ولم يوص بوصية مع كثرة ما بنظره، ومعه من المعاملات كما روي. وكان كثير الولوع بالنظر القياسي، وضرب الأشباه بعضها ببعض، وكان له ميل إلى مذهب أهل السنة.

وفيها مات القاضي العارف محمد بن جعفر قاضي بلاد رَازِح.

وفيها أيضاً مات القاضي العلامة الصديق بن ناصر بن رسام السّوادي[1]. كان محققاً بالنحو والفقه، وكان إليه القضاء بجهة صعدة وساقين، يتنقل فيهما على القدم والساقين، وكان عارفاً أيضاً بالأصلين أخذ على السيد داود بن الهادي المؤيدي[2] (الكشاف)، و (مقدمتي ابن الحاجب) في النحو والتصريف، وكذا (شرح نجم الدين)[3] على الشيخ العلامة لطف الله بن محمد الغياث، وكذا في (العضد) في أصول الفقه على المذكور. وعلى الجملة أن المذكور كان عارفاً واستفاد عليه من بجهات صعدة كثير من الطلبة، رحمه الله تعالى.

وفي أول شهر شوال كان ابتداء مطر الصيف، فوقع بأكثر اليمن شرقاً وغرباً،

على علماء عصره، وتبحر في معظم العلوم، وصنف التصانيف المفيدة. كان الطلبة يرحلون إليه. وكان عظيم الجاه بحيث كان الناس يتوقفون عن مبايعة الأئمة حتى يحضر. من مؤلفاته: (شرح جوهرة الرصاص) وهو أحسن شروحها، (الديباج النظير) و (الإرادات على الزيادات). وغير ذلك. (أبو الرجال: مطلع البدور، جـ٣، ص٤٩-٥٣؛ الشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص٣٨١-٣٨٢).

(١) ترجم له الشوكاني في البدر الطالع، جـ١، ٢٩٢.

(٢) هو داود بن الهادي بن أحمد بن المهدي بن الإمام عزالدين بن الحسن (٩٨٠-١٠٣٥هـ/ ١٥٧٢-١٦٢٥م) أحد علماء الزيدية وشيوخها. برز في عدة علوم. له مؤلفات عدة منها: (شرح على الأساس) الذي للإمام القاسم و (ذيل البسمة) الذي لإبراهيم بن محمد الوزير و (شرح على الكافل) في أصول الفقه. وغير ذلك من المؤلفات. كان مدرساً في هجرة فلله، يفد إليه الطلاب للأخذ عنه. (يحيى بن الحسين: المستطاب، أبو الرجال: مطلع البدور، جـ٢، ص٩٨-٩٩؛ الشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص٢٤٦-٢٤٧).

(٣) هو نجم الدين يوسف بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان اليماني الزيدي (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م) فاضل، من أهل خجرة العين من ثلا. له مؤلفات منها: كتاب في التفسير اسمه (الثمرات في تفسير آيات الأحكام) وهو من الكتب الشهيرة و (الجواهر الغرر في كشف أسرار الدرر) في الفرائض وغير ذلك. (الزركلي: الأعلام، جـ٩، ص٢٨٥؛ الحبشي: مصادر الفكر، ص٢١).

وشحت «٢٧٣ب» الأَصْيَاب[١] لغلاء الأسعار، وغلت مع ذلك اللحوم، والغنم والسمن إلى النصف مما كان سابقاً، ونزلت السيول في الجوف والعصيمات وخيوان. وحمل سيل وادي خيوان جماعة كانوا يطهفون الطهَف[٢]، فباغتهم السيل حتى حملهم، فعادت قبائل المشرق يومئذ إلى أوطانها ومساكنها.

ومات في شهر شوال منها الفقيه أحمد القوزي الآنسي، كان بضوران يتعرض للقضاء والأحكام، من غير أمر له ولا إلزام، وكان جارودياً، يتحامل على الصحابة، من الغلاة الرفضة. ومات معه السيد صلاح الديلمي من قرية القابل، كان ملازماً لعلي بن الإمام، وله بعض مشاركة في العلم. ومعه أيضاً السيد محمد الكحلاني مات بضوران، وكان جارودياً متحاملاً على الصحابة، من الغلاة.

وفي آخر شهر شوال منها مات القاضي محمد بن يحيى «٢٤٧أ» العنسي ثم البرطي بصنعاءاليمن، وكان ساكناً في السبحة غربي صنعاء وبير العزب. وكان عارفاً بالنحو والأصول، وله مشاركة في الفقه، حسن الاعتقاد، لا يكفر بالإلزام في مسائل الكلام[٣]. ووقع بينه وبين السيد محمد بن علي الغرباني الذي سكن برط مراسلة بقصائد، وقُبر القاضي بمقبرة خزيمة رحمه الله. وكان للمذكور لحية طويلة تبلغ إلى قريب سرته فسبحان الخالق.

وفيها مات الشيخ علي بن ناصر بن راجح الآنسي الذي وقع من الخلاف على الإمام المؤيد بالله في مدته كما سبق.

وفيها وقع من صاحب حلي أمير حلي والحرامية حرب بينه وبين بني كنانة[٤] في تلك الجهة، ثم أن حلي أخلاها أميرها وسار عنها إلى الجبال، بحيث أن حاج اليمن

(١) الأَصْيَاب: البذور.

(٢) الطَهَف: نبات يزرع عند نزول السيول، وهو نوع من الذرة، أصفر حباً من الدخن. لون حبوبه أحمر، وهو حار يابس. (نشوان الحميري: منتخبات من أخبار اليمن، ص٦٦؛ الواسعي: فرجة الهموم، ص١٥٨).

(٣) المقصود به علم الكلام.

(٤) كنانة: بطن من أهل حلي، يقيم في قرية حلي على البحر الأحمَر، وفي أطرافها. فيه أفخاذ أهمها: الشوار، وبنو يحيى. (عمر كحالة: معجم قبائل العرب، جـ٣، ص٩٩٦).

مرها وليس فيها أحد.

وفيها كما روي ابتلعت الأرض رجلاً في جبل رازح بما معه من بقر وغنم. قال الراوي: «٢٧٤ب» ولم تبق إلا يده خارجة من الأرض، ونسأل الله التوفيق.

ونزل سيل عظيم هذه الأيام في وادي مُور من أعاليه وذلك حتى ساقين وخولان، وبلغ إلى تهامة وربما البحر؛ لأنه كان قوياً شديداً عظيماً، وهو صلاح لتهامة، وحمل كثيراً من الأموال.

وفي ذي القعدة منها مات الفقيه الأديب المنشي المحاضر محمد بن حسن أفندي[1]، كاتب الإنشاء مع محمد بن الحسن، طالت ملازمة المذكور لمحمد بن الحسن، ونال منه بخدمته له وعدم مفارقته في السفر والحضر كل منال، وظهرت نعمته، وحصَّل كتب الآداب النفيسة بالخطوط العالية، وغير ذلك، ومازال في نعم رغدة، وأحوال حسنة وافية، من غير تنكيد ولا تنغيص، إلى أن مات محمد بن الحسن، ثم لازم الإمام بضوران، فمات هنالك وقبر بضوران. وكان له مشاركة في النحو قليلاً، وكان له معرفة بعلم الفلك والرمل. «٢٧٥أ» وكان له قصد صالح، بقضاء أغراض من غير تعب.

وفيها جُعل ولاية ظفار حضرموت إلى الشيخ زيد بن خليل الهمداني، فسار المذكور حتى بلغ إلى الشحر، ثم أرسل ولده إلى هنالك وهو بقي في الشحر. وعثمان زيد مولى الإمام وعتيقه خرج من ظفار، ووصل إلى حضرة الإمام وهو كاره لولاية تلك الديار.

والقحط والموت هذه الأيام في الغاية لا سيما بالحقارات[2]، وجهات حراز، والحيام حتى باع أهل تلك البلاد سلاحهم في الطعام من أهل حضور وغيرهم. وكان في هذه السنة من الناس من فقر، ومن الناس من غني، وسار يومئذ من اليمن وصنعاء جماعات، وانتقلوا إلى سائر الجهات، فمنهم من بلغ إلى مصر، ومنهم من تفرق وسافر

---

(١) ترجم له الجنداري في الجامع الوجيز، ق١٥٠أ ترجمة مختصرة.

(٢) يذكر الشرفي بأن الحقار هي: كبلاد ظاعن وعاهم وبلاد ابن زيد وجبل أسلم والخميس وبلاد نهم، وسائر الحقار كمحور أسلم وناشر وشمر ورفاعة وبني عامر وأسافل الشرف وأعاليه. وكذلك حقار جهات صعدة وتهامة. ولعل ذلك يجعلنا نميل إلى أن الحقار هو مصطلح استخدم للمناطق الجافة الحقيرة في مناطق اليمن المختلفة. (الشرفي: اللآلي المضية، جـ٣، ص٦٤٧).

في القرى والجهات.

وعند أول دخول الشمس أول درجة في برج الحمل بعشرين شهر شوال عم المطر الصيفي جميع اليمن، وماكان حال عنه المطر الأول، فاشتغل الناس بعمل الصيف[1]، فلله الحمد. وأما الأسعار فعلى حالها. وكان المريخ في برج الحمل مع الشمس يومئذ «٢٧٥» وفيها فُقِد رجل بجبل المحدد من بلاد مِسْوَر لاعة ثم داروا[2] له فوجدوا آثار حماره مأكولاً، وقيل إنما سقط في الحيد، وحماره أكلته السباع، والدراهم التي كانت معه على حالها، ولم يجدوا للرجل خبر، والظاهر -والله أعلم- أنه أكله سَبْع هو وحماره كما روي ذلك، ولاسيما مع الجوع فيقع مثل ذلك.

ووصل آخر شهر القعدة منها سلطان الأزباك إلى بندر المخا، وقال: إنه يريد الحج إلى بيت الله الحرام، ومعه من العسكر قدر[3] خمسمائة نفر ومن الزاد شيء كثير، فنزل بالمخا إلى قرب الموسم. وبلده تسمى كاشغر مما يلي بلاد فارس من شرقها، وهو من تحت نظر السلطان عبدالعزيز صاحب سمرقند وبخارى، والبلاد تلك متصلة، وهي بلاد الترك. ولما وصل المخا في هذا الشهر المذكور وكان قد فاته الموسم بقي ينتظر الموسم المستقبل، فسكن هنالك شهوراً، وحصل في أثناء سكونه بينه وبين بعض أصحاب السيد زيد[4] فرقة وخصام أفضت إلى القتال، فراح من جانب السلطان جماعة، ومن جانب السيد زيد أصواب ومجاريح، ثم فك الله ذلك وسلَّم السيد زيد دِيات، وخاض في الإصلاح، ثم أنه خرج السلطان عن المخا إلى جهة جدة ومكة، وحج في العام القابل «٢٧٦أ» وعاد بلاده.

وفيها وصل من الهند سؤال يتعلق بالفرائض والضرب والقسمة، ولفظه: تيمناً بذكره الأعلى ما قول أئمة الدين، رضوان الله عليهم أجمعين، إذا أوصى الرجل بمثل

(١) المقصود انشغالهم بالزراعة في الصيف.
(٢) داروا له: ويقال أيضاً: دوَّروا له: أي بحثوا عنه.
(٣) الراء ساقطة في الأصل.
(٤) هو زيد بن علي جحَّاف، متولي بندر المخا.

نصيب أحد بنيه، والآخر بمثل ما تبقى من الثلث بعد النصيب، وكان النصيب مثل جذر المال، وللآخر بمثل نصف ربع خمس سبع تسع عشر ذلك الجذر، ثم مات وخلف ثلاثة بنين؟ هذا أصل السؤال، وصل من حضرة محمد خان أمين من حضرة السلطان أَوْرَنْقِزيْب، انتهى، فعرضه الإمام على أهل الفرائض من ذمار وغيرهم، فقالوا لا يمكن خروجه على جهة الجبور في الحساب، بل لا بد من كسر على مقتضى الجبر والمقابلة. وأجاب عليهم القاضي مهدي بن عبدالهادي الثلائي[1] من ثلا، وأجاب عليه بعض الشافعية من جِبْلَة. ووقفت على جواب صاحب جِبْلَة، فإذا هو غلط واضح، وكذلك جواب القاضي مهدي صاحب ثلا غلط أيضاً، وقد أجبت بجواب صحيح ذكرته في بعض مصنفاتي ولله الحمد.

وفي غرة شهر الحجة منها تعرض العمانيون بسواحل عدن والمخا، وسدوا باب المخا، وصدوا عن المنتهى، وانتهبوا من بابه ثلاث جلاب «٢٧٦ب» كانت واصلة للفرنج في باب فرضة المخا، وقتلوا منهم جماعة، وانتهبوا الذي معهم، وساقوه إلى بلادهم، وكان جملة العمانيين قدر سبع براش. وطلب السيد زيد بن علي الغارات من زبيد وغيره مما يقرب إليه من الجهات، ظناً أنهم يقصدون المخا، ولم يكن لهم قصد إلاَّ في الفرنج لما بينهم من الحروب فيما مضى، وكتب السيد زيد أيضاً إلى الإمام، فجهز الإمام من ضوران ولده علياً ومن حضر من العسكر، فساروا إلى المخا ووصلوا وقد عاد العمانيون، ورجعوا بعد ما محقوا في البحر، ونهبوا، وضعف موسم هذه السنة بالمخا لهذا الحادث، ولِمَا حصل باليمن من القحط في جميع الجهات، وسار بعض المراكب إلى جدة، وحصل كثير من التحولات والتقلبات.

والإمام جعل في إبّ مملوكه بشير، وفي بلاد يَرِيْم النقيب سعيد بن ريحان.

وفيها توفي محمد بن بدر متولي حضرموت.

---

(١) هو القاضي برهان الدين المهدي بن عبدالهادي بن أحمد الثلائي. كان من العلماء البارزين، محققاً، يلحق بوالده في العلم والفضل. عارفاً بعلم الكلام. تولى القضاء في ثلا، وفيها توفي سنة (١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م). (الجرموزي: تحفة الأسماع، ق٣٢ب؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، ص٢٦٩-٢٧٠).

وفي هذه الإيام دخل محمد بن الإمام من الجراف بخيله راكضاً، وكان من الملازمين للمذكور رجل يقال لـه: النقيـب سراج مـن جبـل عيـال يزيـد[(١)]، فتلقـاهم المـذكور «٢٧٧أ» إلى رأس ميدان البكيرية، يريد السير تجاه صاحب أمره والخدمة ببندقه في جملة الخيل راكضة في الميدان، فصدمه حصان أولها، وسقط ثـم تعقبتـه الخيـل الأُخـر بعـده فدَعَسَتْه[(٢)]. بحوافيرها حتى هلك، ومات وفات.

في آخر شهر الحجة منها جاء الخبر أن أصحاب العماني لما عـادوا وبلغـوا إلى حـدود سواحل بلاد المهري دخلوها ونهبوها، وعاثو بجزيرة سُقُطْرَى[(٣)] بـلاد المهـري، وقُتـل شيخها، واستقام بعده آخر من بني المهري، ثم نفذ قوم العماني بلادهم.

ودخلت سنة ثمانين وألف[(٤)]

استهلت بالجمعة بالرؤية وبالحساب معاً، واجتمع ببرج الجوزاء: الشمس والزهـرة وعطارد والمشتري والقمر.

وفي العاشور[(٥)] وصل أول الحاج، فأخبروا بأن الحج كان مباركـاً، وقفـوا الجمعـة، والعيد السبت، وكان الحاج مجتمعاً من العراق، والشام، ومـصر، والـيمن. وحـصلت الأمطار بمكة[(٦)] والحجاز،«٢٧٧ب» فزال الجداب[(٧)]، ونبتت الريف، وتهـون الـسعر

(١) عيال يزيد: من قبائل بكيل في ناحية عمران. لهم بلاد واسعة تعرف بجبل عيال يزيد، وتشمل عدة قُرى. (الحجـري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٤، ص٧٨٢).

(٢) دَعَسَتْه: داسته.

(٣) سُقُطْرَى: جزيرة يمنية كبيرة تقع في بحر العرب. تبعد عن رأس فرتك على الساحل الجنوبي لليمن ١٩٣ ميلاً بحرياً. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مجـ٣، ص٢٢٧؛ الموسوعة اليمنية، جـ٢، ص٥١٩).

(٤) ١٠٨٠هـ = ١٦٦٩م.

(٥) العاشور: هو العاشر من شهر المحرم.

(٦) كتب في الحاشية، بأسفل الورقة وبخط مغاير لخط المؤلف مايلي: (يذكر هنا في طبق الحلوى رفع يد يحيبين عليا الـذي خلف حسين باشا على البصرة، ينقل مما مضى من حوادث سنة خمس وسبعين).

(٧) الجداب: الجَدْب: المَحْل نقيض الخِصْب ويقال: أَجْدَبت الأرض، أي أصابها الجفاف نتيجة لقلة الأمطار. وقد جـاء في الأمثـال والحكم الزراعية اليمنية: لاتقل جِدَاب وباقي في الخريف ليلة. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٤١١).

بعض تهون فيها، فبلغت الكيلة[1] ثمانية كبار وهي سدس قدح.

وخرج في هذا الموسم مع ركب الشامي الباشا حسن مطهر للولاية على مكة والحجاز وجِدَّة، ومعه من العسكر الذي يخصه قدر مائة نفر، ووَلِّي المدينة من قبله، وقرر أحوالها حال مروره فيها، وعزل متوليها الأول، فحصل في النفس مع الشريف سعد بن زيد ما حصل، وتعب من هذا العمل ولما دخل حسن باشا مكة اجتمع عساكر الشريف في باب سعد بالسلاح، والأتراس والرماح، فحصل من أجل ذلك تشويش في مدينة مكة على المتسببين والناس، والحجاج أيضاً وجميع الأجناس، وهرب من هرب من الحرم، وغُلِّقت الدكاكين في الأسواق. فلما بلغ الباشا ذلك أمر الباشا حسن بالصالح بأن الناس آمنون بأمان السلطان، وسكنت الأمور على خوف ومحذور، وأظهر الباشا برفع المجابي مما لا يُعتاد في مكة وجِدَّة والمدينة، وقال للشريف: هذا بأمر السلطان،وإن الصُرَّ عوض المجابي، ووعد الشريف بإظهار الأمر بعد الحج.

«٢٧٨أ» ولَمَّا استقر علي بن الإمام بالمخا حصل مرض في العسكر، ومات فيه من انتهى أجله، وأكثرهم من أهل الحيمة.

وكان هذه الأيام حال خروج عُمان[2] إلى باب المخا قد طاس[3] بعض جلابهم إلى حدود بندر جازان، ودخلوه، واستقوا منه، وهرب عنه أهله حال دخولهم نحوه، وكان سبب وصولهم إلى هنالك أنهم تبعوا مركب بايزيد صاحب الديو، لما بلغهم أنه جاوز المخا إلى جدة، فلم يظفروا به لتقدم مروره، ورجعوا، وبايزيد توفي بجدة كما روي.

وفيها مات القاضي صلاح بن يحيى الحيي قاضي المحويت، وجلس في القضاء بعده عبدالحفيظ النزيلي الشافعي.

---

(١) وردت في الأصل: (الكليلة).

(٢) أي العمانيون.

(٣) طاس: أي وَطِئه. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٦٢٤).

وفيها وصل حسن بن الإمام إلى حضرة والده بعد تمامه للحج وعوده.

وحسن باشا فرَّق الصُرَّ بمكة، وتولى أمره، فوجد الزائد منه لعدم وجود أهله؛ لأجل مانال مكة من الضعف والموت هذه السنة.

وسعد بن زيد مازال هذه الأيام تاعب الخاطر من أجل الباشا حسن، خائف وجل، واستخدم من العساكر، واستمال جماعة من عسكر[1] الإمام قدر مائة، منهم بشر بن شبير مملوك الإمام «٢٧٨ب» حتى أن سعد بن زيد كان أراد أن يستقر حسن بن الإمام عنده هذا العام؛ لِمَا رأى من الباشا، وما يخشاه منه من الانتقام والبأساء، فلم يساعده المذكور، وقال: إنما نحن حاجون وراجعون. وسار الباشا حسن إلى جدة، واستقر بها بالعدة، وما زال يحوِّل الخارج من مصر من الحبوب والمادة بقصد المضارره للأشراف والضعف والرِّكَة[2].

وفي صفرها مات المقرئ للقرآن في السبعة[3] محمد السُلاخ بضم السين المهملة ثم خاء معجمة، الصنعاني. كان عارفاً بالقراءات السبع، وكان مكفوف البصر، وقد جرت العادة هذا الوقت أنه لايعتني بالقرءات إلا مكفوف البصر غالباً.

وفي صفرها أمر الإمام لولده علي بالطلوع من المخا واليمن إلى حضرته، فوصل وأذن الإمام لهبوط إسماعيل بن محمد[4] إلى ولايته العدين ومعه أخوه أحمد بن محمد بن الحسن، وجاءت طريقهم وادي النائجة، ورِمَاع، وتهامة، وعطفوا من تلك البلاد النائية إلى العدين، فمات أحمد بن محمدبن الحسن في الطريق وقد دخل وادي العدين، وقبر بالمُذَيْخِرَة[5]، رأس العدين.

---

(١) هم العسكر الذي كانوا مرافقين لحسن بن الإمام إسماعيل عند ذهابه للحج. يتضح ذلك من السياق.

(٢) الرَّكَة: تعني أيضاً الضعف.

(٣) المقصود بذلك القرآءات السبع. سبق ذكرها.

(٤) هو إسماعيل بن محمد بن حسن بن القاسم، سبق ذكره.

(٥) المُذَيْخِرَة: مدينة أعلى جبل ثومان بالعدين. (المقحفي: معجم البلدان، ص٦٠٤).

وفي صفرها قتل السيد صالح بن خيران[1] المَحْنكِي، من سادة «٢٧٩أ» الشام، وهو بداره بصنعاء، غيلة، وكانت قد ماتت زوجته وبناته، فلم يبق في البيت إلا هو برأسه وخادم معه من بلاده الشام، وكان السيد هذا ملازماً مع محمد بن الحسن. وكان سبب قتله أن خادمه هذا خانه وخادعه ومكر فيه، وهو واثق به، وآمن له، على طمع الدنيا، واتفق عند ذلك خصام من السيد للمذكور، فَصَاحَبَ المخذول رجلين من قليلين الخير بصنعاء، أحدهما ابن الحاج ريحان الشهاري، كان أبوه ريحان من خدم الإمام القاسم ومماليكه ثم المؤيد بالله، وكان هذا ولد الحاج ريحان ملازماً مع محمد بن الإمام متولي صنعاء، وآخر معه عبد دَلاَّل لا خير فيه أيضاً، فأدخلهم المذكور البيت على خِفْيَة ثم خَلاَّ[2] السيد حتى نام بمجلسه ومنزله آمناً فيه، فاتحاً لبابه، ثم لَمَّا نام وهو في كِيْس[3] من ثوب جاء الثلاثة: قعد أحداهما على رأسه، وآخر على رجليه، وآخر طعنه في نحره ومات في الحال، وسعد المذكور بشقاوتهم[4]، وكان السيد لما أحس بهم فز من مرقده وانتبه، فغلبه الثلاثة، وكان المباشر له بالطعنة والفوات -كما قيل- ولد ريحان، ثم أنهم جمعوا دراهمه وأودعوها عند إخوان لهم من أهل صنعاء «٢٧٩ب» وبيوتها وظنوا أنهم قد ظفروا بها، والشامي هرب بلاده الشام. وكان رجلاً مكارياً[5] في صبل[6] الدار قد وعده السيد من العَشِي[7] للسفر وحمل الأثقال، ولم يشعر به إلاَّ ثاني يومه، وهو منتظر لسفره وباديه، فانكشف أمر السيد وإذا هو تحت أثوابه وفراشه

(١) الكلمة غير معجمة في الأصل. وقد تكون: (جبران). ترجم له الجنداري في الجامع الوجيز، ق١٥٠أ باسم صالح بن حسين المَحْنكي. وأورد ماذكره يحيى بن الحسين في قتله. والمَحَنكي: نسبة إلى مَحْنَكَة: وهي قرية عامرة بأسفل وادي حيدان، على مسافة خمسه كيلومترات جنوباً من حيدان تقريباً، من مخلاف خولان بن عمرو وأعمال صعدة. كانت هجرة مقصودة لطلب العلم. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٤، ص١٩٦١).

(٢) خَلاَّ: أي ترك.

(٣) الكِيْس: هو تجويف من القماش ذو فتحةواحده، يلج الإنسان إلى جوفه عند النوم ليقيه لسعات البق والبعوض وغيرها.

(٤) أي أن المقتول سعد بقتله شهيداً، بينما القتلة أصبحوا أشقياء بقتله.

(٥) المكاري: الذي يؤجر دابته.

(٦) صبل: هو الاصطبل.

(٧) العَشِي: الليل.

ميتاً، فعرف به محمد بن الإمام، فسألوا المكاري، فقال: لا أعلم بشيء من الجاري، غير أنه أخبرهم بذهاب خادمه الشامي، فلحقوه إلى الطريق، وظفروا به في بلاد الظاهر[1] وجاءوا به على الحال المضيق، وأُمِرَ به الحبس، وسألوه عن الحادث وقتل النفس، بعد أن ناله من الضرب والمس، فأخبرهم بالقضية، ودلَّهم على أصحابه الشَّقيَّة، فجيء بهم، وضُبِطَ أمرهم. فلما شعر به أهله بالشام، وصلوا إلى صنعاء لأخذ الحقيقة وكيفية هذا الإلمام، وعرَّفوهم بالإقرار وعرضوا عليهم القصاص والإبرام، فأنِفَتْ نفوسهم وقالوا: لا نستقضي بصاحبنا من هؤلاء النجوس الطغاة، إذ هم غير أكفاء، ولا فخر بقتلهم على قاعدة بلادهم وعُرْفِهم، فخلَّوا سبيلهم بعد طول حبسهم. هذا تحقيق قضيتهم، فلا قوة إلا بالله. وأما المال فإنه بعد البحث عليه وُجِد ورُدَّ لأهله وأبيه، فلا حصل معهم بذلك لادين ولادنيا.

«٢٨٠أ» ولما مات أحمد بن محمد بن الحسن -كما ذكرنا سابقاً- تعقبه موت صنوه إسماعيل بن محمد بن الحسن بدون شهر بعد وصوله العدين، محل ولايته، وقُبِرَ جنب صنوه بالمُذَيْخِرَة. وكان صاحبه وكاتبه ووزيره السيد جعفر بن مطهر الجرموزي[2] معه، فجعل الإمام نظر البلاد إليه فاستقر هنالك، وبنى السيد جعفر على إسماعيل بن محمد وصنوه قُبة جزاءً بالإحسان؛ لأنه كان من أخلائه وأصحابه كما ذكرنا[3].

ولما بلغ السيد إبراهيم بن محمد المؤيدي موت المذكور تَرَكَّب[4] عليه القول بسبب اشتباه الاسم، فظن أنه الإمام إسماعيل، فخرج من صعدة في الحال ومعه أعوان حطام

---

(١) الظاهر: قرية من عزلة بني سعد وأعمال خولان ابن عامر بصعدة. (المقحفي: معجم البلدان، ص٤١٩).

(٢) هو جعفر بن مطهر بن محمد الجرموزي. وصفه الشوكاني بقوله: الرئيس الكاتب الشاعر. ولاَّه الإمام المتوكل بلاد العدين. وبعد ذلك صار كاتباً مع السيد عبدالله بن يحيى بن محمد بن الحسن بن الإمام القاسم لَمَّا استولى على بلاد العدين وغيرها. وكان متشبهاً بالصاحب بن عبَّاد وأبي إسحاق الصابي، مكثراً من ذكرهما حتى في شعره. كانت وفاته في حدود سنة ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م بالعدين. (المحبي: نفحة الريحانة، جـ٣، ص٣٩٧-٤٠٥؛ الشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص١٨٣).

(٣) كتب المؤلف في الحاشية: (بحث انقراض دولة محمد بن الحسن وأولاده رحمهم الله).

(٤) تَرَكَّب: أي اشتبه عليه.

الدنيا يمرون أنجاده[1] حتى استقر ببلد العَشَّة[2] ورغافة. وطلب من أصحابه الحاضرين البيعة، ثم ظهر له بعد ذلك خلل التركيب، فبطل عمله، وزال ما كان أبرمه، فانظر شدة هذا اللهج في الملك لهذا الخلق، فلا قوة إلا بالله.

وحصلت العبرة العظيمة لكثير من الناس بتحوُّل حال محمد بن الحسن، وتعقب أولاده بعده بسرعة في حول واحد، وكذا أعيانه وخواصه، وانقلاب أمره، ومُضي دهره ومدته، مع طول ملكه، وولايته، وأمره ونهيه، ولذة حاله ووقته، وعدم مُنكده حتى سارت أيامهم، ومرت أوقاتهم، وعدم في الجديدين[3] ذواتهم وصفاتهم، فكأنها وكأنهم أحلام، فما أحقر الدنيا، وما أعظم غرورها، وما أقرب زوال طويلها. وكان مدة المذكور في الولاية فوق أربعين سنة من حال استخلاف أبيه له -لما خرج من صعدة- لبلاد صعدة إلى هذا التاريخ. «٢٨٠ب» فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وفي صفرها مات السيد الشريف العارف الحسين بن علي بن صلاح العُبالي الحرجي القاسمي، أصل المذكور ووالده وأهله من سادات الحرجة[4] بالشام، وهو قاسمي، ثم سكن والدهم بالعُبال[5] من بلاد حجة. وكان هذا السيد المذكور جاروديًا، متحاملاً على الصحابة فيه غلو واحتراق ويطعن فيهم، ويجرح في حقهم. وله مصنف على (كافية ابن الحاجب) حاشية[6]، وتعليق على (الأزهار) ينقل فيه من (البحر) ويأتي فيه باختيارات، له فيها أشياء خارقة للإجماع. وكان المذكور يطعن في كتب المعتزلة، ويخطئهم، ويظللهم، ويطعن أيضاً في من تبعهم من الأئمة: كالإمام يحيى بن حمزة والمؤيد بالله والإمام المهدي.. وغيرهم، فلا قوة

---

(١) الكلمة غير معجمة في الأصل. ولعلها أنجاده: جمع نجد.

(٢) العَشَّة: قرية عامرة في وادي العَشَّة، تقع إلى الشمال الشرقي من صعدة على بعد نحو ١٥ كيلو متراً تقريباً. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٣، ص١٤٣٢).

(٣) الجديدان: الليل والنهار. سبق ذكرها.

(٤) الحرجة: قرية من جُماعة شمال صعدة. (الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد الأكوع، هامش ص ١٥٣).

(٥) العُبال: قرية عامرة في الضاحية الشمالية من حصن مَبْيَن، تقع في الشمال الغربي من مدينة حجة. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٣، ص١٣٨٧).

(٦) تسمى حاشية السيد.

إلا بالله. وكان المذكور ينكر وجود الدجال آخر الزمان، ويكذِّب ماجاء فيه من الأحاديث، فقلت له مرة: الأحاديث في حصوله متواترة، فانقطع وسكت. وكان يرى مذهب الحسينية العيانية[1]، ويعتقد اعتقادهم مع انقراضهم، وضعف قولهم. وعلى الجملة أنه كان يخالف الأمور الضرورية، ويطعن بجهله في كتب السنة وأهل السنة، وكان يعتمد كتاب الحسين بن القاسم[2] «٢٨١أ» (المُعْجِز)[3]، ويعتقد ما فيه، وكذا تفسيره. قال لي مرة: الدابة[4] غير موجودة على الحقيقة وإنما هي المهدي المنتظر آخر الزمان. وقال لي مرة: ﴿الٓمٓ ۝١ غَلَبَتِ ٱلرُّومُ﴾[5] بفتح الغين. قال: وهو مذهب الحُسين بن القاسم، فقلت: هذا لم يكن في القرآءات المشْهوُرة، وإن كان قد رُوي في (الكشاف) ذلك فليْست السبع[6]، فلا يُعْمل به، فانقطع وسَكت. كان موته بظفير حجة. ومن نوادره أنه مرّه قال لي: لو كان هذه الأجناد مع الإمام تقصد مكة، فأما التبختر في الأسواق فليس فيها منفعة، وإذا لم يكن فيهم همة جهزهم الإمام معه، وهو يدخل بهم عنوة، فقلت له: هذا لا يصلح في الحرمين الشريفين، ولا يتركه السلطان ويُخشى منه تحريك فتنة عظيمة، وعواقبه عند

(١) مذهب الحسينية العيانية نسبة إلى الحسين بن القاسم بن علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل، إلى أن وصل إلى علي بن أبي طالب يرى أتباع الحسين بن القاسم هذا أنه حي لم يمت، ولايموت حتى يملأ الأرض عدلاً. وأنه القائم المهدي المنتظر عندهم. واستمر وجود هذه الفرقة إلى حدود القرن التاسع الهجري. (نشوان الحميري: الحور العين، ص٢١١،٢٠٨؛ مفرح الربعي: سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، تحيق: د.عبدالغني محمود، د.رضوان السيد، ملحق ص٣٥٥-٣٦٥).

(٢) الحسين بن القاسم العياني، السابق ذكره ولد سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م وقتل على يد همدان ندي عرار بجانب ريدة عام ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م ترك مؤلفات كثيرة، يقال إنها بلغت ثلاثة وسبعين كتاباً ورسالة أكثرها في أصول الدين (علم الكلام) لافي الفقه. وهو يصر -رداً على خصومه- على أنه موافق في المذاهب للهادي. (مفرح الربعي: سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين، تحقيق: د. عبدالغني، د.رضوان السيد، ص٣٦-٣٩).

(٣) المعجز: اسم الكتاب: (المعجز الباهر في العدل والتوحيد لله العزيز القهار) للحسين بن القاسم العياني السابق ذكره. والكتاب عبارة عن إجابات على أسئلة عن وجود الله وذاته وصفاته، على طريقة البغدادي من المعتزلة. (مفرح الربعي، سيرة الأميرين، مقدمة ص٣٨-٣٩، ملحق ص٣٥٥ وما بعدها).

(٤) يذكر القرطبي أنه اختلف في تعيين هذه الدابة وصفتها ومن أين تخرج اختلافاً كثيراً. وأن الأقوال وأصحها: أنه فصيل ناقة صالح. ثم أورد الأقوال المختلفة. وقد ورد ذكر الدابة في سورة النمل، آية: ٨٢ في قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون﴾. (تفسير القرطبي، جـ٦، ص٤٩٤٩-٤٩٥٤).

(٥) سورة الروم، آيه: ١، ٢.

(٦) أي القرآءات السبع.

ذوي الأحلام وخيمة، فانقطع وسكت.

وفيها توفي القاضي بدر بن حُمَيْد الكحلاني[1] من ذرية الفقيه حُمَيْد الشَّهيد[2]. كان المذكور له معرفة في الفقه، وكان قاضياً وخطيباً في مدة محمد باشا وفضلي[3] باشا في جهات جبل عفَّار بكُحلان. ولما كان دولة الإمام المؤيد بالله استمر على ذلك ثم عُزِل بآخر المدة، وكان المذكور متواضعاً يلبس الشُّقَّة[4] السوداء قميصاً، ولاتتوق نفسه إلى شيء من المراتب العليا. قال لي: مرَّة دخل وهو صبي دون التكليف مع والده أيام الوزير حسن باشا «٢٨١ب» إلى مدينة صنعاء للفرجة يوم العيد، قال فرأى جمع الوزير حسن وخيوله وجنوده، فقلت له: ما رأيت ياقاضي؟ قال: قوة عظيمة، وحالة جسيمة، وملابس مع الجنود غالية، وحُلي فاخِرة، فلما بلغ الجنود المصلى على تلك الزينة الغالية تقدم سنان الكيخيا إلى حيث ينزل الباشا في باب المصلى وحضنه بيده من سرج الحصان، وأنزله على حاله بالقفطان[5]، وكان سنان ضخم البدن، قوي الجسم، والوزير حسن ليس مثله، لطيف البنية، صغير الجثة. ولما تمت الصلاة أركبه سنان كذلك إلى فوق سرج الحصان، وضُرِبت الأرياح[6] والطبول، وسارت الركبان، ودُقت خلفه النوبة بصفائحها وزَمْرها، ونُشرت الصناجق معها، قال: وكان بعض عسكره من سايلة صنعاء ولهم بيرق يختص بهم عن غيرهم فيها، فاتفقت فُرْقَة حال الدخول بينهم وبين بعض الأبلاق، فهرب الناس من المتفرجين، وانثالوا إلى المدينة داخلين منهزمين خائفين. قال القاضي المذكور: وكنت «٢٨٢أ» في جملة أولئك الهاربين وأنا

---

(١) ترجم له الجنداري في الجامع الوجيز، ق١٥٠أ ترجمة مختصرة.

(٢) هو حُمَيْد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالواحد المحلي النهمي الوادعي الشهيد. عاصر الإمام المهدي أحمد بن الحسين وناصره. وجاهد معه، وتوفي شهيداً بعد سنة ٦٥٢هـ/ ١٢٥٤م. وهو عالم ومؤرخ وفقيه. ألَّف الكثير من الكتب القيمة منها: (الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية) و (محاسن الأزهار في فظائل إمام الأبرار) و (العمدة) أربع مجلدات في أصول الدين وغير ذلك.

(٣) أحمد فضلي باشا: تولى الولاية بعد عزل محمد باشا سنة ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م وعُزِل بحيدر باشا عام ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٤م. (د. سيد سالم: الفتح العثماني، ص٣٩٢).

(٤) الشُّقة: كلمة تطلق على الثوب الأسود المختص بالمرأة. (اسماعيل الأكوع: هجر العلم، جـ٢، هامش ص٨٨٤).

(٥) القفطان: كلمة تركية وتعني اسم كل مايُلبس فوق الثياب وهي في العربية (حُلَّة). (د. حسين المصري: معجم الدولة العثمانية، ص١٥٣).

(٦) سبق ذكرها.

صغير السن صبيا، فدخلت بستان قَـشَّام[1]، تلك المدة الماضـية والأيـام، وافقـت فيـه القشام، وهوكبير السن يومئذ شيخاً، وآخبرته بهربي خائفاً، فقال لي: اقعد عندي حتـى ينفك هذا الحادث الجاري، قال: فقعدت عنده كما أمر، وتحاكيت[2] وهو عن حال هـذا الدهر، فقلت:ما هذه القوة لهذه الدولة العظيمة؟ والخيول الواسعة؟ والجنود الكثـيرة؟ فقال لي القَشَّام: فلو رأيت يا ولد مارأينا في مدة الإمام شرف الدين ودولتـه، لأَنـستك بهذه الأيام وحالته. قال القاضي: وكيف ذاك؟ فقال: كان يوم العيـد يجتمـع عنـده مـن الخلائق ما لايُحصى بِعَدِّ يد، وكان لايسعهم الدخول إلى القصر والديوان، بـل يمـدون السماط والصيوان خارج بـاب القـصر في الميـدان، وكـان حـوائج الـسماط الكبـزرة[3] والبصل والثوم يفرقه علينا في المقاشـيم معونـة لحـوائج الـسماط الممـدود، فنلـف مـن الكبزرة وحدها «٢٨٢ب» قدر زبدي بزبدي ذلك الوقـت، وهـو عـن نـصف زبـدي اليوم. قال: فهوَّن عليَّ شيئاً مما رأيت من هذه الجنود، وقلت: لا إله إلاَّ الله الملك المعبود يعطي الملك من يشاء. قـال القـاضي: ثـم أن الأوامـر خرجـت إلى العـساكر بالتأهـب للحربة[4] ثاني العيد، إلى رأس الحَصَبة[5] بلا ترديد، وأُمر في اليوم الأول اليهود بتبريح الطريق من الحصى، ورشها من الحصبة إلى داخل القصر بصنعاء. ثـم خـرج النـاس في زي عظيم، وحال جـسيم، فكـان أول النـاس بالحـصبة ورأسـها وآخـرهم في صـنعاء وبابها. هذا ماروى لي من خبره، وماقال مـن لفظـه. وكـان عـودهم مـن طريـق بـاب السبحة كما هو عادتهم في تماشي العيد كل مرة.

وفيها جاء خبر من حضرموت بأن الفرنج غـزوا بـلاد العـماني عوضـاً عـن مغـزاه الماضي إلى الديو، فدخلوا أطراف بلاده وسواحل جهاته، وانتهبـوا منهـا، وقتلـوا مـن أصحاب العـماني كثـيراً، يقـال: فـوق عـشرين قتـيلاً، وكـان جملـتهم في البحـر فـوق عشرين برشة.

---

(١) سبق ذكره.

(٢) أي تحدثت معه.

(٣) الكَبْزَرة: هي الكُزْبرَة.

(٤) وردت في الأصل بدون إعجام. والمعنى من خلال السياق هو العرض العسكري.

(٥) الحَصَبة: موضع شمال صنعاء. وهو الآن من الأحياء الجديدة بها.

وفي هذا الشهر رفع الإمام عن أهل الذمة الآداب والسّبار بعد أن أسلم كثير منهم ومات بعضهم من الجوع المفرط مع الغلاء، وأَخْذ ما جمعوه في أيديهم.

وفي هذه الأيام وسط الخريف عند أول طلوع سُهَيْل[1] رحم الله بالمطر العام بجميع اليمن، فاخضرت «٢٨٣» الأرض عن كمل، ولو تأخر المطر نصف شهر لاشتد الأمر، لما قد نالهم من الحاجة وما مسهم من الضر.

وفي شهر ربيع من هذه السنة كانت فرقة بين أصحاب السيد زيد بن علي بن إبراهيم بن جحاف وبين سلطان الأزبك بالمخا، كما تقدمت الإشارة إليه أولاً، ثم تعقب خروجه عنه لأجل ما جرى.

وفي هذا الشهر غزت دهمة إلى حدود بَرَاقِش[2] بالجوف، فانتهبت طرفاً من إبلها وهي ترعى فيها.

وفي هذه الأيام عرض إسماعيل على ابن أخيه قاسم بن أحمد[3] ولاية بلاد صنوه محمد بن أحمد، فأباها وقال: كيف يحسن مني منافسته إياها؟ فارتفع بذلك محله عند أخيه، وزاده محبة بما آثره فيه.

وفي ليلة الثلاثا ثامن وعشرين شهر ربيع الثاني من هذه السنة رأيت قبيل الفجر وأنا

---

(١) سُهَيْل: من النجوم الزراعية. والمراد به هنا أحد منازل فصل الخريف، وليس المراد به النجم اليماني المعروف وفي سهيل تهطل الأمطار الغزيرة، فمن الأمثال الزراعية التي توضح أهمية منزلة سهيل وهطول الأمطار وغزارتها: (إذا جاء سهيل فابشر بسيل بعد سيل).

(٢) بَرَقِش: مدينة يمنيته قديمة، وموقع أثري في وادي الفرضة على الجانب الأيسر من الطريق المُعَبَّد الذي يصل طريق صنعاء -مأرب بوادي الجوف. وكان اسم المدينة قديماً (هجرن/ يَثُل(أي مدينة يَثُل، كما جاء في النقوش اليمنية القديمة التي عُثر عليها في خرائب المدينة. (الموسوعة اليمنية، جـ١، ص١٥١).

(٣) هو قاسم أحمد بن الإمام القاسم. كان سيداً كريماً، ذو ذكاء وفهم. وكان يبالغ في صلاح ذات البين، بين آل المنصور. وله شفقة تامة على المسلمين. كانت له قريحة وقادة وتطلع إلى الآداب. عرضت عليه الولاية من الإمام المتوكل إسماعيل والإمام المهدي أحمد بن الحسن وكذلك الإمام المؤيد الصغير محمد بن إسماعيل، فرفضها بلطف. توفي في ربيع الأول عام ١٠٩٣هـ/ مارس عام١٦٨٢م بالروضة. (محسن أبو طالب: طيب أهل الكساء، تحقيق: عبدالله الحبشي، ص١٨٥-١٨٦).

بين النائم واليقظان ورقة مكتوب فيها: مدة هذه الدولة إلى ثلاث وسبعين[1] سنة ثم تعود إلى أصلها، بهذا اللفظ.

وفي عاشر شهر جمادى الأولى منها كان ابتداء أوائل «٢٨٣ب» الحصاد للثمار، فانحط السعر إلى النصف في جميع الأقطار. كانت الذرة الوعد الأول[2] بآخر ربيع بأربعة أحرف عن قرش ونصف باعتبار صرف وقته، ثم انحطت إلى تسعين بقشة، والشعير كان بثلاثة أحرف وربع عن نصف قرش، فانحط إلى سبعين، وتقالل المرض والموت، وزال معظم الشدائد، وإن بقي بواقي هي بالنظر إلى ما كان خفيفة، بعد أن كانت بلغت القلوب الحناجر، من شدة ما جرى من الضرائر.

وفي نصف ربيع الثاني غزت دهمة من برط ومعهم بنو نوف إلى حدود بلاد معين من بلاد الجوف، وانتهبوا عليهم، ومن أطراف صافية أحمد بن حسن، وسببه شدة الجوع معهم، فلما بلغ أحمد بن حسن أرسل ولده حسين بن أحمد[3] في جماعة عسكر إلى معين، فوصل (و)[4] قد سارت القوم، ثم تعقب ذلك مغزى جماعة من برط إلى أطراف المراشي وصحبتهم السيد محمد الغرباني، وطالبوا أهلها الزكاة فمنعوها عنهم، وأبوا التسليم إليهم، وقالوا: لانُسَلِّم إلا القضاة الذي يعتادونها منهم وهو القاضي علي بن محمد العنسي، وأَصْناه[5]، فوقع بينهم قتال، قتلوا واحداً من أهل القرية، فحمل عليهم أهل القرية وأوقعوا بهم جنايات بسبب هذه العملة، «٢٨٤أ» ووقع رصاصة في عصا السيد منهم، وانهزموا هم والسيد معهم. وكان السيد المذكور قد

(١) كتب المؤلف: ثلاث وسبعين، ثم شطب كلمة: (ثلاث) وقد كتب في حاشية الورقة: (يحتمل ثلاث وسبعين، لأنها خدشة ماتبينت). وكُتب في نفس الحاشية بخط مختلف عن خط المؤلف: (بحث مفيداً جداً في رؤيا المولى العماد رضوان الله عليه).

(٢) الوعد الأول: الأسبوع الماضي. وهي من اللهجة الدارجة.

(٣) حسين بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم. كان عوناً لوالده ووصيته، ثم بايع المؤيد محمد بن المتوكل وقام بنصرته دعاه إلى حرب يافع عندما أعلنوا الخلاف. وكان يشارك في تهدئة القبائل المتمردة. توفي في تعز سنة ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م. (محمد بن عبدالله بن عامر: بغية المريد، ق١١٦أ-١١٧ب».

(٤) تم إضافة حرف الواو ليستقم المعنى.

(٥) أَصْناه: جمع صِنْو: أي إخوته، سبق ذكرها.

شرط للغزاة معه أن الزكاة تكون لهم، فلم يتم شيء من ذلك، وخاب أملهم، ثم استقر السيد بالمَرَّانَة[1] من المراشي يومئذ، وأنكر عمله سائر برط والقضاة آل العنسي.

وفي شهر ربيع الأول منها وصل كتاب من سلطان بن سيف صاحب عُمان إلى الإمام ولفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من إمام المسلمين سلطان بن سيف بن أبي العرب اليعربي إلى عالي ذروة جناب المعظم، الهمام المكرم إسماعيل بن القاسم القرشي، العربي، أما بعد: فإنّا نحمد الله على سوابغ آلائه، وجميل صنعه وبلائه، ونسترشده إلى سلوك سبيل رضائه، ونستزيده من خزائن مواهبه وعطائه، إنه بيده مفاتيح كل خير، وكفاية كل بئس وضير. وإن سألت أيها المحب عنا، ورُمْت كُنْه[2] كيفيّة الحال منا، فإنّا بحمد الله في حال يُسَر به الوَدود، ويُساءُ به الحسوُد، «٢٨٤ب» ثم لتعلم أيها الملك المبجل، والسيد المبجل أنه قد وصل إلينا في مدة أيام تصرَّمت[3]، وشهور قد تخرَّمت[4] رجل من جنابكم، يزعم أنكم أرسلتم بيده طروساً بها دُرر من رائق لفظكم وخطابكم، غير أنه يقول: إن المركب الذي أقبل فيه عابه الانكسار، فغرق في اليم، فأدرك الطروس المُسَطَّرة حكم التلف، ثم بيد أنه قد تَفَاهَا[5] إلينا من نتائج لسانه، واتضح لنا من مواضح نطقه وبيانه أنكم علينا عاتبون، ومِنَّا واخذون؛ لأجل قطع خُدَّامنا في العام الماضي للمشركين على بابكم، وأخذهم لسفنهم القاصدة إلى جنابكم، ولعمري إنَّا ندري أن العتاب بين الأَخِلاَّء عنوان المودة الخالصة، وزائد محض المحبة الصادقة، والوفاء، غير أنه يَجُبُّ عن اقتراف الجرائم، وانتهاك المحارم، فأما نحن فلم نسلك إلى ارتكاب ذلك سبيلا، ولا نجد لك

(١) المَرَّانَة: عزلة من برط بالجوف. (المقحفي: معجم البلدان، ص٦٠٨).

(٢) الكُنْه: جوهر الشيء، وكنه كل شيء: قدره ونهايته وغايته. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٣، ص٣٠٦).

(٣) تصرَّمت: انقطعت بمعنى انقضت وانتهت. ويقال للليل والنهار: الصريم، فالصريم: الصبح لانقطاعه عن الليل، والصريم، الليل لانقطاعه عن النهار. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٤٣٥).

(٤) تخرَّمت: ذهبت وانقضت. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٨٢٢).

(٥) تَفَاهَا: فاه الرجل يَفُوه فَوْهَاً إذا كان متكلماً. وتفاها: بمعنى تكلم وأجاد القول. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص١١٥٠).

على إلزامنا فعل ذلك دليلاً، إذ أنَّا لم نجهز مراكبنا ونحشد مخالبنا لسيارة[1] رعيتك، ولا لاستباحة «٢٨٥أ» أهل حكمك وقصبتك، لكن جهزنا الجيوش والعساكر وأعددنا من المهازم والبواتر لتدمير عبدة الأوثان، وأعداء الملك الدَّيَّان، تعرضاً منا لرضا رب العالمين، وإحياءً لسنة نبيه الأمين، ورغبة في إدراك فضل الصابرين المجاهدين، وحاشا مثلك أن تغضب[2] لقتال عبدة الأصنام، وأعداء الله والإسلام، أَلسْتَ من سلالة أبي طالب، الساقي للمشركين وبِّي المشارب، وأنت تدري بما جرى بيننا وبينهم من قبل في سواحل عُمان، وفي سائر الأماكن والبلدان من سفك الدماء، وكثرة القتال، وتناهب الأملاك والأموال، وإنَّا نأخذهم في كل موضع تحل به مراكبهم وتغشاه، حتى من كنج وحميروه بندري الشاه[3]، ولم يظهر إلينا لأجل ذلك عتاباً ولانكيراً، فإن كنت في شك من ذلك فاسأل به خبيراً. ألاَ وإنَّا نذكر لك أيها الملك والذكرى تنفع المؤمنين، وإنَّا لك من المنذرين، وعليك من الحذرين، إنَّا لَمَّا ملكنا تلك الأيام بلدة ظفار، وهي عنَّا نازحة الفيافي والقفار، «٢٨٥ب» لم نرَ في تملكها صلاحاً لشيء أوجبه منا النظر، وحاكته الأذهان والفكر، فتركناها لا من خوف قوة قاهرة، ولا لكلمة علينا ظاهرة، ولايد غالبة، ولا كف سالبة. وساعة خرج منها عاملنا خَلَّف بها شيئاً من مدافع المسلمين؛ لغفلة منه جرت عن حملها في ذلك الحين، ولما ملكتم أنتم زمام عِيسها[4]، واجتليتم ضوء بدرها وشمسها، لم تدفعوا إلينا تلك المدافع، كأن لم يكن من ورائها ذائد ولادافع، فاعلم أيها الملك (أن البعل غيور، والليث هَصُور[5]، والحُر على غير الإهانة صبور، ومن أنذر فقد أعذر، وما غدر من حذَّر، على أنَّا لإصلاح ذات البين بيننا وبينك طالبون، وفي استيفاء صُحبتك راغبون، ولإطفاء الفتن وإخماد الإحن بيننا وبينك مؤثرون، فإن كنت راغباً في الذي فيه رغبنا، وطالباً لما هو

---

(١) كذا في الأصل، لم يتضح معناها.

(٢) كذا في الأصل، صحتها يغضب.

(٣) حميروه: لم أجد لها تعريف في مابين يدي من مصادر، ولعله يقصد (ببندري الشاه((بندر عباس): وهو مرفأ في إيران. مشرف على مدخل خليج العجم وخليج عُمان. من أهم مراكز الساحل الفارسي. (المنجد في الأعلام، ص٨٥).

(٤) العِيس: بالكسر جمع أعْيَس وعَيَسْا: الإبل البيض يخالط بياضها شيء من الشقرة.

(٥) الهَصْور: الأسد الشديد الذي يفترس ويكْسِر، والجمع: هوصر. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٣،ص٨٠٨).

طلبنا، فادفع -لك الخير- لنا إيَّاها، ولا تبخس بسرعة الاعتداء حماها، وإن «٢٨٦أ» أبيت إلاَّ الميل إلى اغتنامها، وعلى أمر خبط ضلامها، ففي الاستعاذة بالله ممن اعتدى فسحة وسِعة، ومن كان مع الله كان الله معه، والسلام عليك ورحمة الله.

انتهى بلفظه وحروفه من غير زيادة ولانقصان. والإمام أجاب بإطلاق المدفعين.

وفي شهر جمادى الأول سار سلطان كاشغر أزباك من المخا متوجهاً إلى مكة كما سبق الإشارة إليه وبقي في المخا من ذلك التاريخ الذي دخل فيه إلى هذا التاريخ.

وفيها صَالَح حمود[١] سعدَ بن زيد[٢]، لكنه لم يدخل مكة خوفاً من الأروام وجنود السلطان بن عثمان فسكن في البدو، أطراف الحجاز، والباشا حسن استقر ببندر جدة، وسار يحوِّل السياقات إلى مكة، ويقبض تارة ويبسط أخرى.

وفيها لبس السيد محمد بن عبدالله العياني غِرَارَة[٣] سَّلَب[٤]، وخرج إلى سوق الروضة، وسببه أنه وقع بينه وبين ناظر وقف صنعاء شجار في صَّلَب[٥]. وخرج عسكر من قبل محمد بن الإمام إلى شركاء نهبوهم. وربما أن ذلك من التناصف للماضي، فإنه كان جرى من السيد حال استقامته على غير الوريد، ضرب لبعض خدم الإمام من العبيد، على سبب قَضْب[٦] كان مقرراً من شرف الإسلام، الحسن بن الإمام تلك الأيام، والدنيا دار عبر في جميع الأوقات والأيام.

وفي جمادها مات حسين بن أحمد الوادي[٧] المنجم، كان له معرفة «٢٨٦ب»

---

(١) المقصود به حمود بن عبدالله بن حسن بن أبي نمير. سبقت الترجمة له.

(٢) المقصود به الشريف سعد بن زيد بن محسن. سبقت الترجمة له.

(٣) غِرَارَة: الغِرارة: الجوُالِق، واحدة الغَرائر التي للتِّبنْ. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٩٧٤).

(٤) سَّلَب: السَّلَب: نوع من الشجر ينبت متناسقاً، ويَطول، يُعْمَل أجود أنواع الحبال. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص١٧٨).

(٥) الصَّلَب: الأرض البور، وهي الأرض قبل أن تُصَّلح للزرع.

(٦) الكلمة غير معجمة، فتُقرأ قَضْب: وهو نبات أخضر له ساق طويلة معروف في اليمن، يتخذ علفاً للحيوانات، وهو البرسيم في مصر. (حوليات الجرافي، تحقيق: د. حسين العمري، هامش ص ١٠٥). وتقرأ أيضاً. قَصَب: وهو كل نبات كان ساقه طويلاً مثل: القمح والشعير والذرة، حيث تتخذ سيقان مثل هذه النباتات علف للحيوانات.

(٧) ترجم له الجنداري في الجامع الوجيز، ق١٥٠أ، كما ترجم له المحبي في نفحة الريحانة، جـ٣، ص٥٢٤-٥٢٦. ذكر فيها أنه من شعراء اليمن الفائقين، وكان أديباً لطيف الطبع. وأورد بعض من أشعاره.

بالفلك والنجوم وحسابها وأوقاتها وأحكامها، ومعرفة وقت الخسوف والكسوف قبل وجودها وحصولها، وكان مستقراً بمدينة صنعاء، ثم أنه سار إلى قُعار باستدعاء واليها الحاج عاطف الآنسي للمداواة. وكان للمذكور طرف معرفة في الطب، فسار إليها، وكان خروجه من صنعاء في ساعة اختارها إلى مسجد وهب[1] أمسى في السمسرة ثم سار منها صبح اليوم، ولم يلبث هنالك ومات. وكان شيخه في هذا الفن الفقيه حسن بن عبدالله السرحي[2] وغيره من أهل الفن. وللسرحي المذكور (زيج)[3] جديد صنَّفه في هذه الأيام.

وفي هذه الأيام دار الخطاب بين الإمام وأحمد بن الحسن من أجل ولاية العدين بعد موت إسماعيل بن محمد. وكان قد حضر وفاة إسماعيل ولده محمد بن أحمد بن الحسن[4] وبه استقر. وكان محمد هذا قد أَمِلَ أنه يقطعه المتوكل العدين، فعاد محمد بن أحمد إلى بلاده، وسكن بجُحَاف[5] فلم يرجح الإمام إلاَّ ولاية جعفر الجرموزي ومطالبها إليه.

وفيها كتب الإمام للمجزبي بالوصول إليه وهو في كَمَران، وإليه اللُّحَيَّة والضِّحِي، فاعتذر النقيب سعيد «٢٨٧أ» المجزبي بالعجز والكبر، وأرسل ولده، والإمام عذره،

(١) مسجد وهب: من المساجد العامرة خارج صنعاء في الجهة الجنوبية، داخل العرضي الشرقي. عمره وهب بن منبه، من مشاهير التابعين. توفي سنة ١١٤هـ وقبره بجوار المسجد. (الحجري: مساجد صنعاء، ص١٢٩).

(٢) حسن بن عبدالله السرحي: لم أجد له ترجمة في مابين يدي من مصادر. ذكره الاستاذ عبدالله الحبشي في كتابه (مصادر الفكر) باسم (احمد) ثم قال: وفي بهجة الزمن. (حسن) ونقل ماذكره مؤرخنا هنا. (الحبشي: مصادر الفكر، ص٤٨٦).

(٣) زيج: كتاب في علم الفلك، وقد سبق شرح كلمة زيج.

(٤) هو الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد. (١٠٤٧-١١٣٠هـ/ ١٦٣٧-١٧١٧م) عُرف بصاحب المواهب، وهي المدينة التي اتخذها مقراً لحكمه ولي الإمامة بعد وفاة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل بعد نزاع شديد وحروب طويلة. وتمكن من قهر جميع المخالفين له، وسجن بعضهم. ثم عارضه المتوكل على الله القاسم بن الحسين، وأخرج البلاد عن مملكته، حتى اضطر إلى خلع نفسه سنة ١١٢٩هـ. كانت فترة إمامته أكثر من ٣٠ سنة. (الشوكاني: البدر الطالع، جـ٢، ص٩٧-١٠١).

(٥) جُحَاف: جبل مشهور بالجنوب من مدينة قعطبة. وجحاف: بليدة في مبين حجة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ١، جـ١، ص١٧٩؛ المقحفي: معجم البلدان، ص١٢٥).

غير أنه أخذ بعض بلاده وهي الضِّحِي ومُوْر، وولاَّها من قبله، وبقي النقيب لـه بنـدر اللُّحَيَّةَ وكَمَران فقط، فحصل مـع المجـزبي المقـيم المقعـد مـن العـزل كـما هـو غالـب عادة البشر.

وفيها وصل كتاب من عيسى بن علي باشا صاحب الحسا بهدية للإمام، وأحمد بـن الحسن، وحسين بن الإمام المؤيد، فكافأوه عليها، وأجابوا عليه فيها.

وفي آخر رجبها سار السيد علي بن حسن المكي من أشراف مكة إلى جهاته بلاد مكة بأولاده وحريمه لِمَا حصل معه من التقاصر عما كان يعتاد سابقاً. وكان جملـة اسـتقراره بصنعاء اليمن قريب عشرين سنة، وأحسن من أعطـاه حـال سـفره وعزمـه أحمـد بـن الحسن مثل: جمال تحمل ثقله وخيام ودراهم، وسار وهو شاكر لـه. وأمـا الإمـام فغـير راض منه، بل يسخط عطاءه. وجاءت طريقه -في غير الموسم- تهامـة وبـلاد الحراميـة ترفق منها إلى حَلي، ثم دخل مكة، واستقر بتلك المحلة، وعاد وطنه، وبعد ثلاث سنين من دخوله مكـة قتلـه بعـض أقاربـه المـسمى الـشريف حيـدر، «٢٨٧ب» ويقـال أنـه ابن عمه بسبب أنه طالب في ميراثه.

وقد كان هذا السيد علي أعرج بسبب أنه حال وصوله إلى اليمن سقط به حـصانه في صفا[١] بلاد خمر في الظاهر، فكسر رجله، فبقي مدة لا يحمـل نفـسه، ثـم جَـبَّر رجلـه، وبقي كذلك مدة بقاه باليمن إلى تاريخ وفاته. والسيد كان حديـد اللـسان. والـشريف الذي قتله خرج إلى اليمن عقب ذلك خشية من ورثة الشريف علي بن حسن.

وفي شعبانها وصل مشائخ برط إلى حضرة شمس الدين أحمد بن الحسن بالغراس.

وفي نصف هذا الشهر جاء الخبر أن الفرنج لَمَّا خرجوا في الشهر الماضي إلى سـواحل بلاد العماني كما سبق، ووقع منهم فيه مـا وقـع، فـساروا في البحـر، ورجعـوا يريـدون استخراج أصحاب العماني وراءهـم في البحـر، فـصدقت حيلـتهم في ذلـك، ولحقهـم

(١) الصَّفاء: العريض من الحجارة الأملس، جمع صَفة. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٤٥٥).

أصحاب العماني في البحر، فلما توسطوا فيه وخرجت لهم زيادة[١] من بلادهم فوقع الحرب والمقاتلة، والمراماة والمصادمة، فقُتِل من الفريقين كثيراً جداً حتى قذف البحر بالقتلى إلى ساحله، ثم انعطف الفرنج على العمانيين مع ما خرج لهم من الزيادة من بلادهم، فقتلوا منهم قتلاً كثيراً، يقال: قدر مائتين أو أكثر، وانهزموا إلى بلادهم. والفرنج رسوا في البحر، وما زالوا يهيجون فيه ويجولون إلى آخر هذا العام، وكان خروجهم إلى المخا.

وفي عاشر شعبان حصل قران بين «٢٨٨أ» زحل والزهرة بأول برج الحوت.

وفي هذه المدة حصل خارج بلاد ظفار بغي وعدوان من القبائل، فقتلوا من العسكر قدر سبعة وعشرين رجلاً، وصاحب ظفار ولد زيد بن خليل صار كالمحتار بظفار لايتم له نفوذ أمره ولا نهيه.

وفي هذا الشهر حصل مغزى إلى أطراف بلاد برط وسهوله بالخيل والمطا[٢]، فظفروا بكثير من إبل برط وهم في صرم لهم يرعونها في بلادهم، فأخذوها جميعاً، وهي قريب مائة أو أكثر، وقتلوا من برط جماعة، واخْتلِفَ في هؤلاء الغازين: فقيل من نهد من أطراف بدو حضرموت، وقيل من بلاد المعضة والعرصان، عوضاً عن مغزى برط ونهبهم لهم حال أن أمرهم المتوكل بذلك عند فتح حضرموت. ثم ثَنَوا[٣] مرة أخرى فلم يظفروا بشيء.

وفي هذه الأيام لمّا بلغ الإمام الحادث مع عسكر ظفار جهز عثمان زيد إلى حضرموت لولايته، بعد أن مات محمد بن بدر. وقد كان زيد بن خليل حال استقراره فيه يتصرف في أعماله، فلما وصل عثمان زيد طلب زيد بن خليل الهمداني ولده من ظفار، وقال: يتركه ويخرج بحراً، «٢٨٨ب» فخرج عنه إلى اليمن، وكذلك زيد بن

(١) أي مدد وقوات لمساعدتهم.

(٢) المطا: كذا في الأصل، وهي المطايا، مفردها مَطِيَّة، وتعني: البعير أو الناقة التي يركب مطاها، أي ظهرها. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٣، ص٥٠١).

(٣) ثَنَوا: أي أعادوا الكرة.

خليل، فأما ظفار فأُهمل أمره، وربما سكنه بعض آل كثير، وانتسب في النسبة إلى الإمام، وتصرف فيه بما شاء من الحل والإبرام، وخرج في التحقيق عن أمر الإمام. وأما حضرموت فإنه استقر به عثمان برهة من الشهور والأيام، ثم اعتذر عنه وطلب الإذن في الوصول، فخرج في العام الذي بعد هذا العام، ثم أراد الإمام ولايته إلى حسين بن الحسن، وأنه يدخل تلك البلاد، فما ساعده، ولكنه أرسل إليه بعض مقادمته، ولم يتم لهم فيه أمره، كما سيأتي إن شاء الله ذكره. وكان الحسين بن الحسن قد استشار صنوه أحمد بن الحسن، فأجاب عليه بأنه لايرى له بذلك؛ لأن تلك البلاد بعيدة، ولا يحكم عليها إلا بقهر أهلها بعساكر عديدة، مما لا يقوم محصولها بهم. وذكر له ما أنفق حال دخوله إلى جهتهم من خزائنه وذخائره، ولم يحصل منها فائدة غير الخسارة، مع أنه كان في ظهره[1] صنوه محمد بن الحسن يمده منه من غير ما احتاج إليه[2]، فسمع شوره، وترك رأي الإمام وقوله.

وفي عيد الفطر من هذا العام فرّق الإمام صدقة، واجتمع لها عالم من بلاد ضوران وغيرها، فحصل زحام في الباب، فهلك من الضعفاء جماعة قيل ثلاثة أو أربعة.

وفي رمضانها مات الشيخ العارف زين العابدين بن عبدالقادر الطبري المكي، إمام مقام الشافعية بالحرم الشريف، وكان المذكور له معرفة بالحديث، وله أسانيد عاليه اتصل إسناده بي بحمد الله تعالى، وأجازني لمروياته وسنة رسوله ﷺ في سنة أربع وسبعين «٢٨٩أ» وألف كما تقدم ذكره، وهو أعلى إسناده وقع لي.

وفي رابع وعشرين شهر شعبان سار أحمد بن الحسن من صنعاء إلى الحضرة العالية بضوران، ثم عاد بسرعة.

وفي نصف رمضان منها أمر الإمامُ محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين أن يسير بعسكره إلى بلاد عِيان وسفيان وبرط لتقرير أعمالها، وإصلاح طرقها وخللها، فتجهز إلى خمر ثم سار إلى هنالك واستقر بعيان.

---

(١) في ظهره: أي مُعيناً ومسانداً له. وهي من اللهجة الدارجة التي لاتزال مستخدمة حالياً.

(٢) أي: على الرغم من أن أحمد بن الحسن لم يكن في حاجة لمساعدة أخيه.

وفي رمضانها مات النقيب سعيد بن ريحان في يَرِيم فجأة عقب الصلاة، وهو واليها في هذا الأوان، وكان من قبل متولياً لبندر المخا في مدة شرف الإسلام الحسن بن القاسم، ثم وقت المؤيد بالله، ثم أول دولة المتوكل، وعزله المتوكل عنه ثم ولاَّه يريم. وبعد موته فَقِرَ أولاده، وبقوا يسألون الناس الصدقات. وقد قيل: إن كل من تولى بندر المخا الغالب عليه الفقر آخر موته، ويصدق هذا أنه تولاَّه بعد سعيد بن ريحان السيد محمد بن أحمد بن الإمام الحسن المؤيدي، فبقي فيه حتى مات، ففقر أكثر أولاده بعده، وبقوا في غاية الحاجة، ثم تولاه السيد زيد بن علي بن جحاف كذلك ظهر عليه الحاجة، وباع أكثر أمواله. وأيضاً أن من تَعَوَّض[1] من المخا من التجار يلحق فيه الخسران بخلاف غيره من البنادر.

وفي هذه السنة جاء الخبر إلى اليمن الميمون أن السلطان محمد بن إبراهيم بن أحمد خان بن عثمان استفتح مالطة بحدود الأندلس وأطرافه، وقد كان أخذ بلاد مالطة شيئاً فشيئاً. وهذه بلاد مالطة تشتمل على بلدان وسيعة أكثرها للمسلمين، وكانوا حال استيلاء الفرنج عليها عندهم مؤمنين لايتعرضوهم في أديانهم، ثم أن السلطان مازال يحاربهم ويستفتح تلك البلاد شيئاً فشيئاً من أيديهم -كما سبق تاريخه- حتى استكملها في هذه السنة، ولم يبق إلا القلعة وماوراءها من بلادهم في البحر، ويقال فيها معدن الذهب، وعسر فتحها لكونها في البحر، ووضعوا سلاسل حديد جوانبها لتقطع المراكب ومن يريد غزوها. «٢٨٩ب» هذا جاء الخبر به وتواتر، ولبست الأسواق بجدة ومكة في هذه الأيام. وكان مدة الحصار والحروب ببلاد مالطة ونواحيها قدر سبع وعشرين سنة إلى هذا التاريخ، وعند هذا الفتح زادت القوة للسلطان محمد (بن)[2] إبراهيم بن عثمان، وتوسعت مملكته في الغرب الجوان في جزيرة الأندلس، وأما سائر بلاد الغرب كبلاد فاس فهي للسيد الإدريسي وهو مصالح للسلطان.

---

(١) تَعَوَّض: اشترى بضائع.

(٢) ساقطة في الأصل، وتم إضافتها.

وفي شوالها حرق بعض جوانب من بيت السيد علي بن خالد والي عفَّار، وهو يومئذ بصبرة[1]، وعقرت عليه بعض خيله، ولم يعيِّن السيد علي له خَصْماً، وأرسل حسين بن الإمام بأدب على البلد لأجل ذلك. وقال السيد علي: الصواب رفع الآداب والعسكر، فإن هذا شيء اشتبه عليه فاعله، وقيل: سببه أن بعض ولده كان ربما يتطفل إلى بعض بيوت البلد، فتضرروا من ذلك والله أعلم بحقيقته. واتفق أن الحريق لما ظهر أَمَرَ سَقَّاءً معه، فغرف الماء في قربته ثم «٢٩٠أ» أراد صبه على النار من أعلى السقف، وكان قد حرقت خشبة من تحت، فخرب السقف من تحته، فسقط السَّقاء في النار وهلك في الحال.

وفي شوالها عُزل السيد زيد بن علي بن إبراهيم بن جحاف عن ولاية المخا، وكان السيد زيد في الحضرة العالية، والإمام أرسل عند ذلك للولاية السيد حسن بن مطهر الجرموزي[2] على صورة مكتومة إلى المخا، فدخله على حين خفى، واستقر فيه على هذا الوجه الذي جرى؛ لأجل عدم المحصول، والتناقص وما صار به يحول؛ ولأجل وصول الهندي إلى الإمام الخواجا المسمى نور الدين، وما حقق له من المدخول، والتفريط وكثرة الإدلال في المحصول. وفرح أهل البندر بالسيد الحسن؛ لما كان قد جرى له من الزوائد عليهم والمحن. أخبرني دلاَّل من صنعاء ينزل المخا كل موسم يقال له: حنجف[3] قال: نزلنا إلى المخا وحصلنا قدر ستين قرشاً، فأخذ السيد زيد بن علي علينا النصف منها. وتظلَّم من المذكور «٢٩٠ب» وشكا، غير أنه حكى لي بعض من يتعلق بالسيد أنه جرى على ما زاده السيد زيد، ولم يتعظ منه.

---

(١) لم أجد لها تعريف في مابين يدي من مصادر، غير أن الحجري ذكر أن بني الصبري من مشائخ بلاد المخادر وأعمال إب. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، ص٤٦٢).

(٢) هو الحسن بن مطهر بن محمد بن أحمد الجرموزي. (١٠٤٤-١١٠٠هـ/ ١٦٣٤-١٦٨٩م) برع في النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والفقه والحديث. وكان قد تتلمذ على أبرز علماء عصره. له مؤلفات منها: (شرح نهج البلاغة) و (نظم الكافل) وله شعر حسن. اتصل بالإمام إسماعيل، فولاَّه حراز ثم المخا. وعظمت رئاسته، وطار صيته. (المحبي: نفحة الريحانة، جـ٣، ص٣٩٠-٣٩٦؛ الشوكاني: البدر الطالع، جـ١، ص٢١٠-٢١١).

(٣) كتبها المؤلف بدون إعجام كما هو الحال في معظم المخطوطة، غير أنه أعاد كتابتها في الحاشية مُعْجمة.

وفي شهر ذي القعدة وصل السيد إبراهيم بن يحيى بن جحاف[1] إلى الحضرة العالية، وعاد في الحال، وقال: الإمام ما أنصفه.

وفيها وصل رجل من غامِد[2] شرقي القُنْفُذَة ودَوْقَة من بلاد الأشراف وهم شافعية، وحَلْي ودَوْقَة[3] زيدية هدوية، وقال: مراد أهل بلاده يكونون إلى جنابه. وكان في هذه الأيام وصل جماعة من بلاد شَهْرَان[4] بحدود بلاد الحَرَجَة[5] وما بين بلاد بِيْشَة، فقالوا يرسل الإمام معهم من يقبض زكاتهم، فأرسل سيد من بني الكبسي إلى هنالك.

وفي هذا الشهر مَحَق[6] الشيخ منصر العولقي في طريق حضرموت، وانتهب قافلة واصلة من الشحر، أكثرها للإمام وأحمد بن الحسن.

وفي هذه الأيام رفع الإمام ولاية السيد علي الضلعي من ولاية كحلان وأرجعها إلى السادة آل الهادي بن الحسين بن الإمام شرف الدين.

وفي شهر الحجة منها مات الشريف «٢٩١أ» صلاح بن أحمد بن عز الدين المؤيدي بجهات بلاد صعدة. كان المذكور أديباً شاعراً، يكتب الإنشاء مع محمد بن الحسن مدة من الزمان، ثم كان بآخر أيامه وأصابه ألم النقرس في أقدامه فتقالل[7] معه المواظبة إلا

(١) لم أجد له ترجمة في مابين يدي من مصادر. وهو غير العلامة إبراهيم بن يحيى الهُدى بن إبراهيم المهدي بن أحمد بن جحاف الذي ورد ذكره في المخطوطة أكثر من مرة. من حيث أنه توفي سنة ١٠٥٦هـ.

(٢) غامد: من أعمال هروب، بمنطقة جازان. وهي من قبائل اليمن في عسير. وقبائل غامد بن عبدالله بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن مازن بن الأزد. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجـ٢، جـ٣، ص٦٢١؛ حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، جـ٢، ص٨٨٦).

(٣) دوقه: سبق تعريفها.

(٤) شَهْرَان: قبيلة من اليمن موطنهم شمال عسير. (الويسي: اليمن الكبرى، جـ١، ص١٨٩).

(٥) أورد حمد الجاسر الكثير من المناطق التي تحمل اسم الحرجة. والمقصود هنا الحَرَجَة التي من قرى رجال المع، منا حرجة المغامدة في إمارة بلاد عسير. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، جـ١، ص٣٠٦-٣٠٧).

(٦) مَحَقَ: المحْق: كل شيء أبطلته حتى لايبقى منه شيء فقد محقته. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٣، ص٤٤٥).

(٧) تقالل: أي قَلَّ.

في بعض أوقاته. وكان قد سار إلى بلاده من صنعاء بأهله قبيل هذا العام بنحو ثلاث سنين، فقضى الله وفاته هنالك، وكان يقول الشعر، ولايعرف بالعَرُوض[1]. سمعته مرة لما قال له قائل: ماوزن هذا البيت؟ فقال: لانزن ولا نكيْل. وكان المذكور يميل إلى مذهب أهل السنة.

وفي هذه المدة ظهرت أحكام الشريعة في أكثر بلاد اليمن، بل في جميعه في السهل والجبل، وعُرضت كتب الطواغيت والمنع[2] في الأسواق، وصلَّب[3] بها المجلدون، فلله الحمد على ذلك.

وفي هذه الأيام نزل سيل عظيم بمكة المشرفة قبيل موسم الحج، ودخل المسجد حتى بلغ باب الكعبة.

وفي هذا العام خرج من البز إلى «٢٩١ب» المخا ربع العادة، قدر عشر مراكب، لضعف اليمن وعدم الجازة[4] وبعضها جاوز جدة.

وفي هذا الشهر[5] سلخ سنة ثمانين وألف انحط السعر كثيراً، بلغ قدح الشعير والعَلَس إلى عشرين بقشة، والبر إلى حرف، وهذا السعر انحط عند ثمره القياظ وحصادها لصلاح مطر الربيع في جميع أنحائها مع كبر القدح وزيادته على ما مضى بقريب الثلث أو فوق. وكان هذا السعر ببلاد صنعاء والبلاد العليا، فأما المغارب فعلى

---

(١) العَرُوض: عَرُض الشعر وهو فواصل أنصاف الشعر وهو آخر النصف الأول من البيت. وهو ميزان الشعر لأنه يُعارض بها. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ٢، ص٧٤٤).

(٢) الطواغيت والمنع: المقصود بها هنا الأعراف والتقاليد التي يلجأ إليها أبناء القبائل لحل مشاكلهم مما كان يخالف أحكام الشريعة الإسلامية مثل المبالغة في تقدير الدية أو عدم توريث النساء. وقد أُطلق على الأعراف هذا التعبير للتمييز بينها وبين الأحكام الشرعية، حيث أن بعضها يتعارض مع هذه الأحكام، كما نظر إليها أحياناً من الناحية السياسية بأنها إبعاد للقبائل عن السلطة القائمة التي تتمسك بأحكام الشريعة. (د.سيد سالم: وثائق يمنية، ص٥٤).

(٣) صلَّب: جلَّد الكُتب.

(٤) وردت في الأصل بدون اعجام. ولعل المؤلف يقصد بذلك المَجَازَة: وهي الطريق إذا قَطَعْت من أحد جانبيه إلى الآخر. والمجازة: الطريق في السَّبَخَة. (ابن منظور: لسان العرب، مجـ١، ص٥٣٢).

(٥) أي شهر الحجة. وسلخ: تعني نهاية سنة ١٠٨٠هـ.

حالها في الغلاء؛ لأن ثمرتها إنما هي الذرة.

وفي سلخ شهر الحجة وصل ولاة ظفار وحضرموت، وفرغ لآل كثير الذين كانوا فيه من أول، إلا الشِّحر ففيه أمير الدين العلفي، والإمام لَمَّا رأى مشقة أحواله، وقلة محصوله وبعد دياره، جعله في ولاية علي بن بدر[1] من آل كثير، وسار من حضرته إلى هنالك، واستقر الحال على ذلك، ولله در الشاعر حيث يقول:

ماكل مايتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن[2]

والله يصلح أحوال الإسلام والمسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

وإلى هنا انتهى الدور الثالث من أول الإسلام، وهو كل دور ثلاثمائة[3] سنة الذي يذكره أهل الحكمة عن المفلكين[4].

---

(١) هو السلطان علي بن السلطان بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق. تولى شئون حضرموت بكاملها بإقرار من الإمام المتوكل إسماعيل عام ١٠٨٠هـ بعد ضعف الوجود القاسمي هناك. وكان حسن بن عبدالله بن عمر الكثيري متولياً على الشحر بأمر الإمام محمد بن إسماعيل، الذي أقره عليها سنة ١٠٩٣هـ، فأراد الاستقلال وخلع طاعة الإمام، فتوجه إليه السلطان علي بن بدر من حضرموت، وهجم على الشحر براً، وأخرج منها حسناً. وللسلطان علي ملكة قوية في قرض الشعر الحميني .توفي في الشحر سنة ١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م. (محمد هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، جـ١، ص٧٦-٨٧).

(٢) من شعر المُتنبي. وقد سبقت ترجمته.

(٣) وردت في الأصل ثلثماة.

(٤) أي الفلكيين أو عُلماء الفلك.

الجزء الثاني من

كتـــاب

بهجة الزمن في تاريخ اليمن



[١/ ب]الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

لمَّا تم الجزء الأول من البهجة، ذيل تاريخ اليمن[١]، وكان ذلك اتفاق دور كامل لثلاثين سنة، دخل الدور الذي بعده، فكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى.

دخلت سنة إحدى وثمانين وألف[٢]

كان استهلالها بالثلاثاء بالحساب، وبالرؤية الأربعاء، والشمس بالجوزاء[٣] في القيظ[٤] وكان دخولها مباركاً بالثمار، وتهوُّن الأسعار، من بعد مضي الشدة الواقعة في هذه الأقطار، ثم حلها الله تعالى وذهب ما كان وسار، وإن بقي منه بواقي وتكرار.

واتفق غرة هذه السنة بشهر محرم منها، خروج طائفة الفرنج[٥] الملاعين، بعد قضاياهم مع العماني في هذه الأحايين، كما سبق ذكره، فلما فرغوا عن حربهم له، وهزيمتهم إياه إلى أرضه غفل عنهم، وَتَدَيَّر[٦] ببندر[٧] مسكت، وهدأت فورته وقتاله لهم وسكت، كان منهم هذا الخروج إلى بندر المخا، والقصد لبابه من غير خفا، عقب دخول البضاعة الهندية على قلتها إليه[٢/ أ]، وشروع البيع والشراء فيه. وكان قد ظفروا في بابه، قبل الإتصال بجنابه، بثلاثة أغربة[٨] أحدها: خرج من بندر عدن[١] إلى

---

(١) المقصود به: أنباء الزمن في تاريخ اليمن، حيث اعتبر المؤرخ (بهجة الزمن) ذيلاً له.

(٢) ١ محرم ١٠٨١هـ = ٣٠مايو ١٦٧٠م.

(٣) برج الجوزاء: يبدأ من ٢٢ مايو حتى ٢٢يونيو، وهذا دليل على معرفة دقيقة للبروج لدى المؤرخ، حيث بدأت السنة في ٣٠ مايو (انظر. أكرم حسن العُلَبي: التقويم، ص ٣٦).

(٤) القَيْظ: صميم الصيف، وهو حافُّ الصيف. وهو من طلوع نجم الثريا إلى طلوع سهيل والجمع: قياظ وقيوظ، وقد قاظ يومنا: اشتد حره. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٢٠٢،٢٠١).

(٥) المقصود بالفرنج: البرتغاليون، وسبق أن تناول حروبهم مع العمانيين في الجزء الأول من هذا الكتاب.

(٦) تَدَيَّر: بمعنى تحصن.

(٧) البَنْدر: هو ميناء مدينة ساحلية أو المرسى.

(٨) الأغربة والغربان: مفردها غراب، من أقدم السفن الحربية، كانت معروفة للرومان وغيرهم، عُرفت بهذا الاسم لرقتها وطولها وسوادها، ورد ذكرها على لسان الكُتَّاب الأوربيين. (محمد عبد العال: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، هامش ص ١٠٣؛ وزارة الإعلام، سلطنة عُمان: عُمان في التاريخ، ص ٣٥٠).

المخا لأحمد بن الحسن بحراً، وفيه دراهم وهدايا، والآخران: من عدن وجهته، فانتهبها الفرنج وحازوه، واستولوا عليه وقبضوه، والبعض منه حرقوه واستهلكوه، فلما كان الأمر كذلك، واتفق هذا هنالك، أمر صاحب المخا يومئذٍ الحسن بن المطهر الجرموزي[2] بالمصانعة[3] للفرنج والخطاب، وبذل الضيافة وتسكين الحالة حتى يتصل إليه جنود الغارة، والتحسس لأخبارهم وكثرتهم وقلتهم وعدتهم وحقيقة مقصدهم، فجاؤوه الرسول[4] بالخبر عنهم، والسبب الحامل لهم فقالوا: موجب الوصول ما جرى مع أصحابهم العام الأول في باب المخا من القتال، وما راح عليهم من المال من أصحاب العماني، وعدم دفع صاحب المخا لذلك الفعل الصادر والجاري، وأنه كان به راضياً[٢/ ب] وعليه معيناً، فبذل السيد الحسن لهم عوض ما راح مالاً، وقال: ليس له فيه سعاية ولا قصداً، فأبوا إلا القتال، والإهتمام بالدخول إلى البندر والإحتمال، فأخذ منهم الصلح قدر ثمانية أيام عشرة أيام كل ذلك منه للإنتظار لوصول الغارات، مما يقرب إليه من الجهات، فوصلت الغارات من زَبِيْد ومن مَوْزَع[5] ومن جُحَاف[6] بعد أن كان قد انجفل أكثر أهل المخا، عنه بأموالهم، ومنهم من دفنها في

---

(١) عدن: شبه جزيرة بركانية، تقع على خليج عدن، على الساحل الجنوبي للجمهورية اليمنية، وتهيمن على الطرق البحرية المارة من المحيط الهندي إلى أوروبا (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٦٤١.

(٢) هو الحسن بن مطهر بن محمد بن أحمد الجرموزي (١٠٤٤-١١٠٠هـ/ ١٦٣٤-١٦٨٩م) بَرَع في النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والفقه والحديث. تتلمذ على أبرز علماء عصره. له مؤلفات منها: (شرح نهج البلاغة) و(نظم الكافل) ولاَّه الإمام إسماعيل حراز ثم المخا، وعظمت رئاسته، وذاع صيته. (المحبي: نفحة الريحانة، ج٣، ص٣٩٠-٣٩٦؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج١ ص٢١٠-٢١١).

(٣) المصانعة: المداهنة والمداراة، وصانعه: بمعنى داراه وليَّنه وداهنه (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٤٨٣).

(٤) كذا في الأصل، لعل صحتها فجاءه الرسل، أو فجاءه الرسول.

(٥) موزع: من مدن تهامة، تقع شمال شرق ميناء المخا بمسافة ٣٠كيلومتر، وجنوب غرب مدينة تعز (الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٩٥) العرب، تحقيق: محمد الأكوع، هامش ص٩٥.

(٦) جُحَاف: سلسلة جبلية شاهقة الارتفاع، تقع جنوب غرب قعطبة، وجبل جُحاف هو المركز الإداري الخامس من مديرية الضالع، ويضم ما يقارب المائة قرية. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٢٩١).

التراب، خشية من الذهاب وسكَّن السيد الحسن من سكَّن من أهل المخا وقال: هذه الغارات واصلة فلا نخاف منهم إن شاء الله ولا نخشى. وكان جملتهم قدر سبع خشب[1] ما بين برشة[2] وغراب فيها الرجال، ومكاحل الرمي والمدافع والمال. والإمام لما وصل إليه خبرهم وقادمهم بادر إرسال ولده علي بن أمير المؤمنين في الحال بمن حضر عنده من عسكر الرجال جملتهم قدر خمس مائة، وساروا حيث الإنتقال، وكان وصول الغارات[٣/ أ] الأولة هي التي نفعت البندر من الصدمة، فلما كان سابع وصولهم أو سادسه قصد الفرنج المخا، وكان كل خشبة من خشبتهم فيها بيرق[3] وعدة الحرب والضرب، ولعل جملتهم قدر ثلاثة آلاف؛ لأن الغراب تسع قدر مائتين وخمسين مع الأزواد والآلات، فأول عمل منهم قصدهم إلى قلعة فضلى التي مقابل للمخا من خارجه، وكان فيها جماعة من المسلمين رتبة فصابحهم جماعة من الفرنج خرجوا إلى الساحل فجراً، وركزوا السلاليم القنا[4]، وصعدوا من أعلا، فهرب من القلعة بعضهم وثبت البعض لهم، فكان القتل في الدرب[5] في المسلمين قتل منهم ثمانية، ووقع القتال بينهم، واشتد وحمي وطيسهم، ووصلت غارة المخا إليهم فانهزموا حينئذٍ، وقتل من الفرنج قدر عشرين نفساً حال الهزيمة ومن المسلمين الثمانية، وجنايات آخره. وكان جملة الخارجين من الفرنج إلى القلعة من الساحل قدر ثلاثمائة نفر وقيل أقل، وأكثرهم في البحر بغربانهم وبراشهم، وأخذ عسكر المسلمين بيرقهم

---

(١) لعله يقصد بذلك السفن بأنواعها.

(٢) البرشة: نوع من القوارب منها الصغير ومنها الكبير، من أصل إيطالي (BARCA) كانت تحمل الأموال والزاد والمدافع. وتجمع على برشات وبرش، وتعمل بالمجاديق. (د. محمد عبد العال: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية، هامش ص ١٠٣؛ عُمان في التاريخ، ص ٣٥٠).

(٣) البيرق: اصطلاح من أصل تركي فارسي، ويعني العلم. (د. حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص٤٣).

(٤) السلاليم القنا: السلاليم مفردها سلم (معروفة) والقنا ارتفاع في أعلى الأنف، ولعله يقصد بذلك: السلاليم العالية المرتفعة (ابن منظور: لسان العرب، مج٣،ص١٧٨).

(٥) لم أجده فيما بين يدي من مصادر.

الذي خرج معهم في البحر؛ لأن صاحبه قتل في باب الدرب[٣/ ب] وهزموهم إلى البحر، فدخلوا غربانهم وسنابقهم[(١)]، واجتمعوا بأصحابهم، وأرسل بالبيرق الذي أخذ عليهم إلى صنعاء فركز في سوقها بأعلا سمسرة[(٢)] خان خليل[(٣)]. ثم كان اليوم الثاني من هذا الحادث المذكور، وزحفت الفرنج بأجمعهم إلى باب المخا، وشنوا عليه المدافع والزبارط من جميع براشهم، فكانت تقع في وسط المخا كالمطر الملقا، ولم تضر مع كثرتها أحداً غير رجل واحد هلك منها، وأخربوا بذلك الرمي جانباً من قصر المخا المطل على البحر بعد أن كان خرج عنه الجرموزي إلى جانب الأقصى وأخلاه عن السكون لكثرة الرمي المشنون، ثم رمى أهل المخا بالمدفع الكبير، فوقع في دقل[(٤)] البرشة معهم، ويقال أنه راح منهم ثلاثة نفر وكان بسببه تأخرهم. وكان قد تقدم جماعة من الفرنج إلى داير المخا من جانب آخر يريدون إلقاء الحريق، ففطن بهم بعض المسلمين رموهم فردوهم على أعقابهم، وزال جميع حيَلِهم، ثم إنهم ساروا إلى باب المندب[(٥)]، ثم عادوا إلى باب المخا، ثم ما زالوا كذلك في البحر يسيرون ويرجعون في البحر، ولم يقع قتال مدة أربعة أشهر، ثم ساروا وكل ذلك لأجل استخراج أهل المخا، واللحوق في البحر ليأخذوا منهم الغرض الأقصى[٤/ أ] لعلمهم بقلة أجسامهم في أعمال البحر وتصرفهم، فلم يخرج إليهم أحد في مدة لبثهم، فلما أيسوا عن ذلك عادوا

---

(١) السنابق: جمع سنبوق، من أشهر المراكب في الخليج العربي والبحر الأحمر (عُمان في التاريخ، ص ٣٤٧).

(٢) السمسرة: هو المكان الذي كانت تجري فيه عمليات السمسرة والتجارة، ويتبادل فيه التجار البيع والشراء، وقد تكون نُزلاً للتجار وغيرهم (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٥٢٨).

(٣) خان خليل: لم أعثر على أي ذكر أو إشارة عنها، كما أنه لم يعد لها ذكر في الوقت الحالي في سوق صنعاء.

(٤) الدقل: معناه في الأصل جذع النخلة، دلالة على المادة الأصلية للصواري، حول سواحل الجزيرة العربية، ويبدو أن الدقل والتي عرفت أيضاً بالصواري كانت أطوالها تصل إلى ارتفاع بعيد بالنسبة إلى أطوال السفن (عُمان في التاريخ، ص٣٤٣).

(٥) باب المندب: معروف كممر بحري شهير، وهو يصل المحيط الهندي بالبحر الأحمر، ويفصل الشاطئ اليمني عن الشاطئ الإفريقي في أضيق أجزائه. ويعتبر البوابة الجنوبية للبحر الأحمر. يقابل في أهميته (قناة السويس) (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص١٩٩).

راجعين بلادهم، وزال شرهم، ودخلوا بلادهم في شهر رجب منها[1].

وحصل للفرنج هذا العام هيجان في البحر عظيم، وسببه تحريك العماني لهم لما غـزا بندرهم الديو العام الأول.

وفي العاشور من محرم وصل خبر الحاج بأنه كان العراقي هذا العام قوياً زائـداً عـلى عادته، وكذلك الشامي، وأما المصري فعلى عادته. وحج بالناس الباشا حسن، واستقر بمكة بعد عزم المحامل شهراً ثم عاد جدة.

وأحمد بن الحسن لما بلغه أفعال الفرنج، وخطاطهم في البحر، ومضاررتهم، لم يقر به القرار بالغِرَاس خشية على بندر عدن والمخا من صولتهم وضررهـم، فجمـع عـساكره جميعاً والوِطَاق، وسار إلى حضرة الإمام بضوران، وسار معه أيضاً محمد بـن الإمـام[2] من صنعاء. وطلب والده زيادة بلاده له، فزاد له الإمام بلاد حَرَاز. وعـلي بـن الإمـام وصل إلى عدن واستقر، لما بلغه هزيمة الفرنج، وهؤلاء فرنج الهنـد طوائـف مختلفـون، فمـنهم إنجريـز[3] ولونـده[4] وبرتقـال[5] وفرنـصيص[6] [٤/ ب]، والبرتقـال هـم الحاكمون عليهم، وسائرهم رعايا لهم.

وقد ذكر المـسعودي[7] في (مـروج الـذهب): أن فـرنج الهنـد أصـليون مـن قبـل

---

(١) أي من سنة ١٠٨١هـ/ ١٦٧٠م.

(٢) محمد بن الإمام: هو محمد بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل، تولى الإمامة مـن سـنة (١٠٩٢-١٠٩٧هــ/ ١٦٨١-١٦٨٦م) ترجم له المؤرخ ترجمة كاملة عند وفاته، واهتم بمتابعة الأوضاع السياسية في عهده في ثنايا هذا الكتاب.

(٣) انجريز: (كذا في الأصل) وهم الإنجليز.

(٤) لوندة: الهولنديون.

(٥) برتقال: البرتغاليون.

(٦) فرنصيص: الفرنسيون.

(٧) المسعودي: هو علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي (ت٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) مؤرخ ورحالة وباحث مـن أهـل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها، من مؤلفاته: (مروج الذهب -ط) و(أخبار الزمان ومن أباده الحدثان) تاريخ في نحو ثلاثين مجلداً و(ذخائر العلوم) و(أخبار الأمم من العرب والعجم) وغير ذلك، وهو غير المسعودي الفقيه الشافعي. (الزركلي: الأعلام، مج٤، ص ٢٧٧؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، المقدمة، ج١، ص٦-٨).

الإسلام، ساكنون في تلك البلاد[1] وذكر قطب الدين في تاريخ بني عثمان (الإعلام)[2] و(البرق اليماني)[3] أن طائفة الفرنج في الهند خرجوا القرن التاسع، وضربوا في سواحل اليمن.

قال: وكان خروجهم من وراء جبل القُمر [4]- بضم القاف- من خلف الحبشة بحراً استطرقوا من أصل بحر المغرب[5] من بلادهم، ثم بحر الحبشة[6] ثم بحر الهند[7] إلى هذا المحل الذي سكنوه في الهند، ولهم قلعة في الهند تسمى كُوة-بضم الكاف- هي محل أميرهم وسلطانهم، والجمع بين القولين: أن هؤلاء الذين خرجوا هم طائفة البرتقال الذين حكموا على فرنج الهند، وسائر طوائف فرنج الهند هم الأصليون، وقد صاروا الآن رعايا للبرتقال الذين خرجوا من فرنج المغرب، والله أعلم. وكلهم نصارى وهم فرق ذات بينهم، وأحد طوائفهم[٥/ أ] ينكر أن عيسى ابن الله، والطائفة الأخرى تثبت ذلك وهم على دينين.

وفي شهر صفر أو ربيع حال رجوع الفرنج من باب المندب اتفقوا بجماعة من تجار

---

(١) من المعروف أن التواجد الأوروبي في بلاد الهند وغيرها من تلك المناطق لم يبدأ إلا بعد حركة الكشوف الجغرافية، وبالأخص بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨م.

(٢) هو كتابه الموسوم بـ(الإعلام بأعلام بلد الله الحرام) مطبوع.

(٣) هو كتابه (البرق اليماني في الفتح العثماني) اهتم فيه بتاريخ اليمن منذ القرن العاشر الهجري، وتاريخ فتح العثمانيين لها، وأهداه إلى الوزير سنان باشا.

(٤) جبل القُمر: لعل المؤلف يقصد جزر القُمر (الكومور) وهي الآن جمهورية تتكون من ثلاث جزر تقع في مضيق الموزمبيق في الساحل الشرقي لأفريقيا (أطلس العالم الصحيح، ص١٤٨).

(٥) بحر المغرب: يقصد به البحر الأبيض المتوسط. وأُطلق اسم بحر المغرب على القسم المجاور لأسبانيا وبلاد المغرب، وسمي كذلك نسبة إلى الشعوب الأوروبية التي تسكن شواطئه، وأطلق على القسم الشرقي منه اسم (بحر الروم) (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج١، ص ٢٧٦).

(٦) بحر الحبشة: يقصد به البحر الأحمر، حيث كان يُسمى في كل موضع يمر به باسم ذلك الموضع، وبلاد الحبشة على ساحله الجنوبي (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج١،ص٣٤٤).

(٧) بحر الهند: المقصود به المحيط الهندي.

الحسا[1] وعُمان وغيرهم في مرسى بالرُّوم[2] ما بين الشِّحْروبين أحْوَر، فقصدوهم فهرب عسكر العماني، وكانوا في غراب قدر ثلاث مائة نفر إلى الساحل، وانكسر غرابهم، ودخلوا برّوم، وكذلك أهل الحسا الذين معهم البضاعة من البن، وتركوا المركب في البحر، فوصل الفرنج إلى قربه فحرقوه جميعاً. وعسكر العماني رموا إلى جهة الفرنج إلى البحرمن ساحل بروم، فما عرفوا هل أصابوا أحداً أم لا، وأصيب واحد من العمانيين برصاصة من الفرنج في ساحل بروم، ثم إن عسكر العماني بقوا كذلك حتى حصل لهم غراب آخر، بعد أن سار الفرنج ورجعوا بلادهم، والفرنج ذهبوا في البحر جهاتهم.

وفي صفرها لما استقر محمد بن أحمد[3] بعِيَان طلب مشائخ بَرَطْ إليه وذكر لهم من أجل الذين[٥/ ب] نهبوه في طريق صَعْدة بطريق العَمَشِية العام الأول، فقالوا ذلك قد حصل، وتلاشى أمره وانفصل، وما هو باقي يعاد، وما قد استهلكوه فيسلم فيه العوض، فدخلوا في ذلك وسلموا من الغنم والبنادق بما قيمته قدر ألفين حرف وخمس مائة أو ثلاثة آلاف قيمة الجميع وسلموه إليه، وقالوا: النهب شاركهم فيه غيرهم، وهذا العوض جهدهم، وعاد أحمد بن الحسن من ضُوران[4] هذه الأيام.

وفي شهر ربيع الأول ظهر نور عظيم في مسجد النهرين[5] الذي في سائلة وادي

(١) الحسا: أو الأحْسَاء: أشهر مدينة في شرق الجزيرة العربية، (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ج١، ص٦٥).

(٢) كذا في الأصل، وهي بُرُومْ: ميناء صغير غربي مدينة المكلا بمسافة ٣٠ كيلو متر، كان بندراً مشهوراً، مأموناً للسفن الشراعية أيام الرياح الموسمية. ثم خمل دوره بعد عمارة المُكلاّ، إلا أنه أُعيد إنشاؤه حديثاً. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص١٦٢).

(٣) هو محمد بن أحمد بن الإمام القاسم. ترجم له المؤرخ عند وفاته سنة ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م في النص، ج٢،ق٢١٣أ-٢١٤أ.

(٤) ضُورَان: بلدة تقع في السفح الشمالي لجبل ضورات. كان اسمها (الحُصين) ثم تغلب عليها اسم الجبل. أسس مدينة ضوران الحسن بن الإمام القاسم، وجعلها مقراً لإمارته، وبنى جامعها ومرافقها حتى توفي فيها، ثم اتخذها الإمام المتوكل إسماعيل عاصمة له. (محمد بن محمد زبارة: نزهة النظر، ج١، هامش ص ١٢٨؛ بروس بالوك-ريا الصكار: جامع الحسن بن القاسم في ضوران، ص١٥).

(٥) مسجد النهرين: من المساجد العامرة بصنعاء، يقع إلى الغرب من سائلة صنعاء. (الحجري: مساجد صنعاء عامرها وموفيها، ص ١٢٥).

صنعاء، لهبة خضراء داخل المسجد بقت من صبح ذلك اليوم الذي ظهرت فيه إلى العصر، والناس يتكحلون بالميل من ذلك، وأهل المكان يقولون أن هذا المسجد فيه بركة.

[٦/ أ] وظهر في هذه المدة براهين وكرامات للشيخ فليح بن مفلح، الذي مقبور في طرف سَعْوان، وعليه مسجد قديم ومنارة وبركة ومطاهر، وذكر أهل الجهة أنه قديم، وأن هذا المسجد كذلك قديم الأساس، وأنه مشهور البركة.

ولا تزال براهينه ظاهرة، وكان يقرب إليه قرية هي خراب الآن، فمنها هذا الزمان كما وصفه الواصف أن رجلاً أخذ من قَضْب[١] له شيئاً لغنم معه معلوفة، فهلكت أجمع، ومنها أن رجلاً من نِهْم سرق من كسوة تابوته شيئاً، فأصبح يابساً مكفوتاً، فأرجعها وتاب، ومنها أن جماعة خرجوا من صنعاء إلى مسجده فتَمَخْلَع[٢] واحد منهم ولعب جنب حوطته[٣] ولم يأخذ أدبه، وطلع منارته أطل من موشق[٤] فيها، فالتم عليه الموشق، ولم يستطع لإخراج رأسه حتى استغفر، ومنها أن رجلاً ادهن بشيئ من السَلِيْط الموضوع للتسريج[٥] فسقطت لحيته إلى يده، ومنها أن النساء دخلن المسجد زائرات، كانت واحدة حائض، فلما وصلت الباب لم تستطع الدخول، وجاء شيء ما منعها، ومنها أن رجلين لم يأخذوا أدبهم في حوطته وهم بجنب بركة الماء التي جنب مسجده، فلم يشعروا إلا وهم في الماء أحدهما فوق الآخر، لم يستطيعوا على الخروج،

---

(١) القَضْب: البرسيم.

(٢) تمَخْلَعْ: يقوم بأداء حركات وأفعال أو تلفظ بألفاظ غالباً ما تكون لا إرادية تدل في مجملها على الخروج عن المألوف مع اتهام مؤديها بالسفه أو المس في تلك اللحظة.

(٣) الحوطة: تعني البلدة التي تكون مركز علم وتدريس، لكنها هنا ربما تعني المكان المحاط بالجامع المذكور أو ساحة قبر الولي الموجود بها.

(٤) الموشق: مصطلح محلي يطلق بشكل عام على مختلف الفتحات صغيرة الحجم في المباني، وهي أصغر من النوافذ بشكل كبير.

(٥) للتسريج: أي للإضاءة، وسَرَّج: أضاء.

ولصق أحدهما على الآخر، لم ينفكوا حتى تابوا واستغفروا وتوسلوا ببركة الشيخ في إطلاقهم[٦/ ب]، ومنها أن رجلاً نهب على راعي غنم للشيخ فليح، بنظر ولي مشهده رأساً من الغنم، بقى ثلاثة أيام، وجن السارق وأرجع الرأس الغنم على حاله. وإذا وصل أحد إلى باب المسجد وله اعتقاد بالشيخ انفتح له الباب، وإذا لم يعتقده لم ينفتح له الباب، هذا كله في هذا الوقت.

قال أهل البلد: وكم له من براهين لا تزال متكررة متواصلة، ومن أعظم ذلك أن المسجد لا يزال مفروشاً بالبُسُط الرَدَاعِية[1] والكسوة على تابوته في مكان قافر وخلاء وقرى سعوان عنه نائية، ويضع القَيِّم الحب في مكان حوله يدخله كل أحد، ويضع جميع ما جاء له من النذور من دراهم وشمع وحب وغير ذلك في حوطته، ولا حارس لها، ولا يقدر أحد أن يمسها ولا يقربها، فهذا من أعظم الكرامات لهذا الشيخ.

قال الراوي: إنه قديم، ولم أجده أنا في تاريخ، بيد أنه روي لي أنه من قبل النبوة، وأنه كان من أصحاب عيسى بن مريم، والله أعلم. وبعد هذه الكرامات فإنها دالة على فضله. وفي اليمن أولياء ومشاهد لم تعرف في تاريخ ذكرها في هذه البلاد العليا، لعدم اعتناء الشيعة بذكر تاريخ الفضلاء كما يعتني أهل السنة بهم، فمنهم الشيخ مياس[2] في طرف بلاد آنس إلى ما يلي بلاد عُتُمة وذَاهِبْ، عليه مقام ومزار، ولم يعرف تاريخه في كتب التواريخ، ومنهم السيد الذي في السُّودة وآخرون مغمورون. ولكن نعلم أن الأولين ما وضعوا هذه الأساسات والأبنية والمساجد والمشاهد إلا وهم من الفضلاء نفعنا الله بالصالحين.

---

(١) البُسُط الرَدَاعية: البُسُط: ما يُبسط على الأرض. ويقصد به المؤرخ السجاد المفروش في الجامع، وهو عادة يصنع من صوف الأغنام والماعز، والرداعية: نسبة إلى مدينة رَدَاع، تقع شرقي ذمار، على مسافة ٥٠كم، وتعرف برداع (العرش) تمييزاً لها عن رداع (الحوامل). (الموسوعة اليمنية،ج١، ص٤٧٨).

(٢) الشيخ مياس: تكلم عنه المؤرخ في الجزء الأول بأنه من الأولياء، عليه مقام عظيم، وكيف تصل إليه النذور من مختلف الجهات. (النص، ج١، ق٢٦ب).

والباشا حسن حج مع الناس، وأراد تكون الحربه له دون سعد فلم يتم، فبقى بمكة إلى آخر شهر الحجة، وعاد جدة. وكان أرسل إلى فرحان(1) بأنه يكون دخول مكة صفة حجاج، ويتركون الدخول [٧/ أ]بالسلاح والأرماح، فأجاب فرحان: أن الأمر للشريف سعد، إذ هو الوالي بمكة، والناس داخلون إلى بابه، وكان دخل إلى جدة بحراً ياقوت إسماعيل(2) من أصحاب أحمد بن الحسن ومعه جماعة بسلاحهم، فانتهبه الباشا عليهم وقال: يدخلون مكة حجاجاً، ثم إن ياقوت إسماعيل سار إلى حضرة الباشا وعرفه في ذلك فأطلق له السلاح.

وفي صفرها وصل العولقي(3) والواحدي(4) إلى رداع، ثم إلى حضرة الإمام بضوران، وكان أحمد بن الحسن قد رجع عنه بعد جمعه لجنوده وجنود صنوه محمد بن الحسن هنالك، وأراد أن الإمام يعرف بها في وجهه من الناس، وما يتوجه لهم من الإيناس، ولما وصل الواحدي والعولقي إلى حضرة الإمام عرض عليهم القافلة التي راحت فأصلحوا فيها، ثم تناظروا فيما بينهم من القتول(5) الجارية معهم في قبائلهم فتساقطوها، وزاد عند العولقي للواحدي قدر خمس وعشرين قتيلاً، وكل هذه القتول التي حسبت لهم من بعد فتح المشرق ودخول أحمد بن الحسن إليه، فأما قبل فلم يجر

---

(١) هو الحاج الصالح فرحان عبد الله. كان هذا المولى عبداً للإمام المتوكل على الله إسماعيل، خدمه من سن الصغر إلى المشيب، وكان آخر مدته أمير الحج، فتردد أعواماً كثيرة أيام المتوكل، ربما خمسة عشر حُجة، واشتهر ذكره في مكة وعرفته الأشراف، عاش إلى دولة الإمام الناصر، وقبره في حجرة المشهد التي للإمام المتوكل. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط ق٤٠٦).

(٢) ياقوت إسماعيل: هو مولى للإمام المتوكل إسماعيل.

(٣) العولقي: شيخ بلاد العوالق، وتنقسم بلاده إلى العوالق السفلى والعوالق العليا، وهي منطقة واسعة تقع بين الواحدي شرقاً ودثينة غرباً، والفضلي جنوباً وبيحان شمالاً. (حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، ص٢٧٩؛ صلاح البكري: حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي، ص٢٧٧).

(٤) الواحدي: تحتل بلاد الواحدي مساحة محدودة على الساحل الواقع غربي حضرموت، وتبعد عن عدن نحو مائتي ميل. (صلاح البكري: عدن وإمارات الجنوب، ص٣١٦).

(٥) القتول: تعني القتلى.

فيها حساب[٧/ ب] لكثرتها فيما بينهم، وكان خروج العولقي من بلاده في عسكر كثير من قبائله فوق ألف نفر وبيارقه، فلما وصل طرف بلاد الرَّصَّاص[١] منعه الشيخ صالح الرصاص وقال: ادخل بمائة نفر، فدخل كذلك.

وفي شهر ربيع وصل إلى الحضرة العالية رجل من الإمامية الإثني عشرية يتعرض للطلب، وجعل للإمام من شعره قصائد كثيرة على الحروف المعجمة، وخرج أيضاً بصراوي يذكر أن له معرفة في أدوية البواسير[٢] يقال له: الشيخ يعقوب، فيحصل من الدواء هذا معه زوال ذلك، ولكنه يتعقبه من بعد الانتقاض وضعف البدن والعود، فلم يحصل منه كثير فائدة، وكان يرسم على الذي يداويه دراهم كثيرة قدر خمسة وعشرين قرشاً وفوق، فمنهم من يبرأ، ومنهم من لا يحصل لدواه جدوى.

وفي ربيع الأول وصل شيخ برط من ذي محمد[٣] قاسم بن علي ومعه قدر أربعين نفراً، والقاضي علي بن محمد العنسي معه، فوصلوا إلى حضرة أحمد بن الحسن الغراس، ثم ساروا إلى حضرة الإمام ومن معه من الناس، وسبب وصولهم أن محمد بن أحمد طلب منهم أنه سيقدم بلادهم، فأرادوا العذر عن ذلك، فصرفهم إلى الإمام، فأمرهم الإمام بأنه لا بد من دخولها ومشَّاهم وزَجَّهم من عنده على ذلك الكلام. وفي خلال وصولهم وعودهم تعرض جماعة من ذي حسين لطريق خَيْوَان، فصادفوا فيها سيداً وولده من حُوْث في الجبل الأسود[٤] فرموهما، فأصيب ولد السيد وسلم أبوه[٨/ أ]

(١) بلاد الرَّصَّاص: يطلق عليها بلاد بني أرض، وهي منطقة تقع ما بين رداع وبيحان، وكان آل الرصاص زعماء ومشائخ هذه المنطقة. (المقحفي: معجم البلدان، ص٢٦).

(٢) البواسير: جمع باسور (أعجمي) داء معروف، وهي علة تحدث في المقعد وفي داخل الأنف أيضاً. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٢١١).

(٣) ذو محمد وذو حسين: فرعان من قبائل بكيل في برط، وهما أبناء غيلان بن محمد بن شعبان بن بشر بن عمرو بن دهمة، وتنقسم ذو محمد إلى خمسة أقسام، وذو حسين إلى ثمانية أقسام. (زبارة: أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة، ص٢٤-٢٥).

(٤) الجبل الأسود: يقع في بني جُماعة إلى الشمال الغربي من مدينة صعدة. (ابن الوزير: طبق الحلوى، تحقيق: عبد الرحيم جازم، هامش ص ٢٧١).

وهربوا، تعدياً وظلماً وتمرداً وعناداً. ثم إن محمد بن أحمد تحرك حينئذٍ إلى بلد الخراب، رأس وادي المراشي، وهي باب برط وطريقه، وأهل برط صاروا مختلفين فمنهم راضي بدخوله، ومنهم كاره، فمن الراضين: ذو محمد، قالوا: حيث قد رجح الإمام ذلك فعلى ما يراه، ولا خلاف. ثم تحرك أحمد بن الحسن من الغراس بجموع كثيرة بعسكره، وضم معهم من قدامهم من القبائل كَنِهْم، ومن الجَوْف، وجاءت طريقه الجوف، فلما بلغ بَرَط جاؤوا إلى محمد بن أحمد واهتموا بالطلوع والنفوذ إلى بلادهم، وأرادوا بذلك أو تحصل الكفاية بدخوله عن حركة أحمد بن الحسن، وكتبوا إلى الإمام بأن محمد بن أحمد قد دخل البلاد حسبما أمر، وأحمد بن الحسن تقدم إليهم وجاءت طريقه بطن الجوف مشرقاً، في بلاد قافرة ضعيفة شاقة، سار إلى مَعين، ثم خرج منه إلى أبْرَاد[1] وأخذ العسكر من [٨/ ب] أطراف مواشي بني نَوف بعضاً جزاءً بما فعلوه العام الأول في الجوف، وخرج أحمد بن الحسن إلى وادي خَبّ[2] في بلاد بني نوف من دهمة[3] واستقر في طرفه مما يلي برط قدر شهر، فحصل التضرر مع أصحابه فيه، لبعد القوافل والطعامات عن الوصول إليه وكثرة الناس، ثم طلع برط، فأول دخوله بلاد ذي حسين قهراً، واستقر في بلد رَجُوزة[4] وسط بلاد ذي حسين، فبقي فيها أياماً، وكان قد نالهم بهذه الطريقة مشقة وكثرة حيَّات[5] وعسرة الطريق وكثرة الأشجار، حتى هلك بعض من هلك منها يقال: حُرمة[6] من جواري أحمد بن الحسن، وآخرون لدغتهم الحيَّات، ومات كثير من الخيل والقُرَاش[7] يقال: قدر سبعين حصاناً فأكثر،

(١) أبراد: وادٍ في الشرق الشمالي من مدينة مارب. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص١٤).

(٢) وادي خَبّ: وادٍ وواحة واسعة شمال الجوف وشرقي جبل بَرَطْ، وهو موطن قبائل (يَامْ) العنسية المذحجية. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٥٥٨).

(٣) دُهْمة: قبيلة كبيرة نسبت إلى دُهْمة بن بكيل، منها: ذو غيلان أهل برط والجوف، وفروع أخرى في صعدة ومأرب. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص ٢٣٦).

(٤) رُجوزَة: من قرى برط. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١،ج٢، ص ٣٥٩).

(٥) الحيَّات: كلها ثعبان الصغير والكبير والإناث والذكران. ويقال: كل حيَّة ثعبان. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٣٥٧).

(٦) حُرْمَة: أي امرأة.

(٧) القُرَاش: مصطلح محلي يطلق على مختلف الحيوانات التي يستفيد منها الفلاح وأسرته بشكل مباشر في المنزل أو في الحقل.

ومحمد بن أحمد حال دخوله برط حصلت فرقة بين ذي محمد وذي حسين، وارتجام[1] فيما بينهم.

ولما استقر أحمد بن الحسن ببرط بعد دخوله شق بأصحابه وجموعه، لضعف البلاد، وعدم ما يقوم بهم من الطعامات والزاد، تفرقوا وسار أكثرهم وعادوا، ولم يبق مع أحمد بن الحسن إلا خاصة أصحابه وعبيده، وأهل[٩/ أ] برط منهم من تشرَّق في المحطة، وصار اليأس معه ومن بقى عنده في الحاجة والضرورة، وعدم وجود الحبوب المجلوبة، حتى بلغ القدح قريب خمسة حروف وأربعة.

وفي هذه الأيام أخرب محمد بن أحمد بيتاً كان في طرف بلد الأوساط[2] التي سكنها؛ لأجل أنه كان مع برط مجمعاً للفساد، وأصله بيت قري جمعه التركي[3] أيام دخل برط، عَمَره أيام دخوله فيما سبق[4].

وفي هذه الأيام اعتنى صاحب المخا بعمارة القليع[5] عند المخا وتصليحها وافتقادها؛ لأجل ما وقع من الفرنج وفسادها.

وفي خامس عشر شهر جمادى الأولى خسفت القمر، أكثر جرمها في برج الحمل، وغربت خاسفة.

وفي هذا الشهر مات محمد كاشف ببرط حضرة أحمد بن الحسن، وهذا المذكور كان أول رياسته مع شرف الإسلام الحسن بن الإمام آخر أيامه، ثم ولده أحمد إلى أن مات

(١) ارتجام: قذف بعضهم البعض بالحجارة.

(٢) الأوساط: يذكر الحجري جبل الأوسط أنه قائم بين أودية جزر ورحوب والبلسم والملحم في برط، ولم أعثر على الأوساط، ولعل هذا الجبل هو المقصود هنا. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص١٠٨).

(٣) قرى جمعة: يذكر يحيى بن الحسين بأنه أحد مماليك الأروام (العثمانيين) كان في صعدة، فأمره سنان باشا أن يتقدم هو ومن معه من الأمراء في صعدة إلى برط، فدخلوه، ولم يقدر أهله على منعهم، وكان ذلك سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م. (يحيى بن الحسين: أنباء الزمن في تاريخ اليمن،ج٢، مخطوط ق٣٦١).

(٤) يقصد المؤرخ بقوله فيما سبق: ما سبق ذكره في كتابه أنباء الزمن، ج٢، مخطوط، ق ٣٦١.

(٥) القليع: القِلاع: جمع قلعة.

في التاريخ المذكور، وكان متولياً في المدة السابقة بأصاب، وهو ممن خرج مع أحمد بن الحسن في الحوادث تلك المدة السابقة، في مدة الإمام المؤيد بالله، ثم عزله أحمد بن الحسن، ولم يترك رعايته، وكان شافعياً في مذهبه، رأيت بخطه في بعض كتبه يقول محمد كاشف الشافعي مذهباً، الشيعي [٩/ ب] معتقداً.

وفي يوم السبت ثالث عشر شهر جمادى الأولى مات السيد العارف علي بن يحيى بن أحمد بن المنتظر الغرباني بظفير حجة، كان هذا السيد في عشر الثمانين، وكان قد اختلط عقله آخر عمره، وقبيل وفاته سنة موته. انتقل جده المنتظر إلى ظفير حجة في مدة الإمام شرف الدين، وأصلهم من غُرْبَان [(١)] وله في تلك الجهة مال ودار. وقد تولى القضاء برهة أيام في مدة الإمام المؤيد بالله، ثم ترك لحدَّة طبعه، وحِرَّة مزاجه، وأخرجه أهل الظفير في بعض الأيام إلى حَجَّةْ، ثم رجع وعاد وانعزل في بيته وماله.

وفي هذه الأيام وصل خواجا تركي بهدية للإمام، وهو وطاق من جهة بلاد الحبشة، وسكن بحضرته قدر شهر تام، وزلجه الإمام، وأعطاه قياس ثمن وطاقه وزيادة في الإنعام، فمرَّ صنعاء، وحضر جمعتها، فقال: ليش ما يذكر الصحابة خطيبها.

وفيها ظهر رجل قيل أنه يدعي أنه شريف، وإذا سئل ما إسمه؟ قال: عبد الله، وأصله فقيه قيل من بني الخيشني، كان قَبَّاضاً مع أحمد بن الحسن في بعض البلاد، كان قد قرأ على حي القاضي حسن الحيمي بعض قراءة، لم يحصل له فيها فائدة. وكان له[١٠/ أ] صناعة في كتب الإنشاء، فظن من لم يكن له معرفة أن عنده علماً، ولما وصل إلى بلاد كُحْلاَن وحجة حصل له من الناس الضيافات والإحسان، ثم إن صاحب حجة محمد بن حسين بن جحاف[(٢)] استماله إلى الوصول إليه، فوصل، فباحثوه فلم

(١) غُرْبَان: بلد من حاشد، مركز إداري من مديرية خمر وأعمال محافظة صنعاء (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١١٧٠).
(٢) محمد بن حسين جحاف: هو السيد محمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم بن جحاف، ترجم له المؤرخ يحيى بن الحسين عند وفاته سنة ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م. (النص،ج٢،ق٢٧أ).

يجدوا عنده في العلم معرفة، وأدب بعض أهل بلاده عن ما فعلوه إليه من الإكرام والضيفة ونهاهم عن ذلك وزجله، وأمره بعدم البقاء في بلاده، ثم أنه ركب البحر وصار إلى حضرة حسن باشا ولازمه، ثم بعد ذلك سار إلى جبل الطائف واستقر فيه هذه المدة.

وفي نصف جمادى الأولى لما تمت أعمال دخول برط، وكان علي بن أحمد صاحب صعدة قد استقر في بلاد أمْلَح [1] عاد إلى صعدة، لما بلغه أن أحمد بن الحسن وصنوه محمد بن أحمد يريدون دخول صعدة، لما يحتاجون من التأهب للوصلة وكراهته دخولهم في البَطِنَة، ثم إن الإمام ذكر لأحمد بن الحسن ومحمد بن أحمد بالعود، وعدم دخول مدينة صعدة، والطرق التي كان تدخل برط الملوك السابقون من جهات صعدة؛ لأنها سهلة لا يخشى فيها حوزة، ولا يوجد فيها عقبة ولا تعب ولا معرة[2] [١٠/ب]، بخلاف طريق وادي النيل والمراشي التي تخرج من عِيَان، فإنها مرافض[3] وعقيب وملاوي غير صالحة لدخول الجنود، لما يخشى فيها من الخديعة عند التلاقي في الحدود. وقد دخل برط كثير من الأولين في زمان العباسية[4] وفي زمان الهادي دخله بنفسه، والإمام شرف الدين، وقرى جمعه في مدة سنان باشا هؤلاء دخلوه جميعاً عنوة، ودخله صلحاً الإمام أحمد بن سليمان والمنصور.

ومات على أحمد بن الحسن لما جاء هذه الطريق الشاقة -طريق المشرق- قريب سبعين حصان من الجوع والضمأ وعسرة الطريق والحفا[5].

---

(١) أمْلَح: وادٍ كبير واسع، يقع شرقي مدينة صعدة، وينتهي في الرمال شرقي منطقة البقع. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص١٠٣).

(٢) المعرة: الأذى (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٧٢٩).

(٣) مرافض: مرافض الأرض: مساقطها من نواحي الجبال ونحوها، مفردها: مرفض، وأرض رفوض: أي متفرق بعيد بعضه عن بعض. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص١١٩٧).

(٤) المقصود بها الدولة العباسية.

(٥) الحفا: الحَفَف: خلاف الرخا والخصب، أو الضيق وقلة المعيشة. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٦٧٤).

وأحمد بن الحسن لما بنى[1] على الحركة والإرتحال قال لأهل برط: السيد محمد بن علي الغرباني النظر في أمره، فقال برط: هو جارهم، وعليهم الدرك لا يحصل شيء من جانبه ما دام عندهم، ولا يرضون أن يحصل من جهته ما فيه محق[2] ولا أحد من قبائلهم يجيبه ما دام ساكناً وعليهم حفظه، فقال أحمد بن الحسن: لا بد من ضمانات[١١/ أ] من كباركم على صغاركم في هذا الأمر، وعدم حصول الخلل، فدخلوا في الضمانة وضمنوا بعضهم على بعض وقالوا: هذه أمانة ولا يجري منا لما يخالف ذلك خيانة. وأنشأ بعد ذلك السيد محمد الغرباني قصيدة وجهها إلى والده بصنعاء، وذكر في ضمنها إليه على من يعرفه بها بعد أن بالغ في مدح أبيه بالعبادة والزهادة، ثم ذكر عند ذلك قوله:

صلاة الإله ورضوانه
عليه نوافحها تنفح

وقد جرت عادة أهل الوقت من أهل الزمان التصلية على غير النبي عليه الصلاة والسلام، كما ابتدعه خطيب صنعاء محمد بن إبراهيم السحولي في خطبه، بعد أن لم يكن ذلك معروفاً لأحد من قبله، وقد عرف العلماء أن الصلاة تختص سيد الأنبياء لا غيره من سائر الناس، إلا على وجه التبع من الآل بعد ذكره ﷺ، فأما على الإنفراد فلم يقل به أحد من العباد، وإنما يقول بذلك الرافضة.

من قصيدته هذه بعد أن خرج من مدح والده والتوجيه إليه ذيلها بقوله:

وعج ببني القاسم الأكرمين
ومن لهم في العُلا أودج[3]

---

(١) بنى: بمعنى نوى.

(٢) مَحْق: المَحْق: كل شيء أبطلته حتى لا يبقى منه شيء فقد محقته. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٤٤٥).

(٣) الأودج: جمعها أوداج: وهي ما أحاط بالحلق من العروق، وقيل هي عروق في أصل الأذنين يخرج منها الدم. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣،٨٩٦).

واتحفهم شريف السلام
وعاتبهم إن هم عرَّجوا[١١/ ب]
وقل ما لكم يا بحور الحجى
أتيتم بشيء بكم يسمج[1]
جنودكم أقبلت
إلى رجل واحدٍ مزعج
وليس ثروة ولا ولد
ولا أوس ولا خزرج
ولم يأتكم منه ما تكرهون
سوى أنه قال ذا المدرج
وما قال إني إمام ولا الإ
مامة عنكم لها مخرج
ولكنه قال إن كان ما
ذكرت هو المنهج الأوهج
فحي إليه إذا شئتم
والإ فما شئتم فانهجوا
وردوا عليَّ إذا شئتم
مقالي إن كان مستسمج

وهذه القصيدة هي من البلاغة بمراحل بعيدة، كما لا يخفى على أهل البصيرة، مع ما فيه من اللحن في قوله (سوى أنه قال ذا المدرج) برفع القافية مع عدم الضرورة، فإنه

(١) يسمج: سَمُج الشيء بالضم، قَبُح. ويسمج سماجة، إذا لم يكن فيه ملاحة. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص١٩٧).

كان يمكنه رفعه على وجه لا يكون العامل ناصباً له، وكذلك بعده البيت الآخر، ثم أوعد بعد ذلك بالفتن، وأن الدهر لا يؤتمن، وقد أشار بما ذكر هو ما اعترضه على الإمام وولاته وسيرته، وأكثرها غير قادحة، إذ من لازم الداخل فيها الجري عليها كما ذلك معروف لأحوال الأئمة، ممن مضى وخلف في هذه الأمة، وسواء كان هو متوليها أو غيره من أدانيها وأقاصيها، والسعي في جميع الأمور لصلاح المسلمين، لا للتفريق بين المؤمنين، فقد علم ما في الإجتماع من الخيرات وما في التفرق من المحق والشتات، والله يجمع المسلمين على الخيرات والبركات، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾[1] وقد ظهر من قصيدة السيد محمد المشار إليها استحلال الخروج على هذه الدولة، وأنه إنما سكن لعدم القدرة [١٢/ أ]. وقد كان أرسل السيد محمد الغرباني في هذه المدة قبل دخوله برط برسالة إلى أحمد بن الحسن أو بعض أصحابه فيها مطاعن كثيرة في تكثير الجوار معه، ويجعلهن أمهات أولاد، وأنه تهور في تكثير الجوار، واتباعه للهوى فيهن والمبالغة في محاسنهن، ومتى كبرت الأولى بذلها وأخذ أخرى غيرها، وما زال في كل سنة بل كل شهر له سُرِّيَة[2] وصار يتخيرهن ويستبدل بهن ويلبسهن الملابس الفاخرة، حتى لا يزال يبلغن أربع مائة خمس مائة، ثم يخرج هذه ويخرج هذه، وهذا شيء لم يعرف بغيره من الماضيين ولا من غيرهم من السلاطين.

وخرج أحمد بن الحسن من برط ومحمد بن أحمد في غرة جمادى الآخرة منها، فكان سكون محمد بن أحمد ببرط قدر شهرين ونصف، وأحمد بن الحسن شهر وعشرة أيام، وجاءت طريق أحمد بن الحسن الزَاهِر، ثم خرج الخَارِد والغراس، ومحمد بن أحمد

---

(١) الأعراف:٥٦.

(٢) السُّرِّيَةُ: الجارية المتخذة للملك والجماع. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص ١٣١).

جاءت طريقه خَمِر.

وفي هذا الشهر لما ولي الإمام بلاد الضِّحي ومور [1] وخرجت عن ولاية النقيب سعيد المجزبي[2] فسح لبعض عسكره، واستبقى بعضهم عنده، وسكن في كَمَران [3] محله، وولده باللُّحيَّة [4] لبعض الأعمال، وقد معه في النفس بعض انكسار.

وفي هذه الأيام طرد الحضارم الرسول الذي أرسله حسين بن حسن [5] متولياً، وردوه راجعاً ومن معه، وقيل: أنه قتل من أصحابه رجلان أو رجل، فلما كان كذلك قال الإمام: الصواب ولاية الشيخ علي الكثيري[6] وكان يومئذٍ عنده [١٢/ ب] فجهزه إليها، ونظر أن تعبها أكثر مما يأتي من مصلحتها.

وفي يوم الجمعة ثاني وعشرين شهر رجب حصل قران المريخ وزحل ببرج الحوت.

وفي هذه الأيام ترجح لرجل، وهو أبو مؤذن مسجد الأبهر [7] بصنعاء، أصله من

---

(١) مُوْر: أكبر أودية تهامة، وأكثرها خصباً، يقع شمال مدينة الزيدية. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٨١).

(٢) النقيب سعيد المجزبي: كان مملوكاً للحسن بن القاسم، وقد عُين على اللحية والضحي نحو أربعين عاماً، توفي سنة ١٠٨٦هـ/ ١٦٧٥م بصنعاء، ترجم له يحيى بن الحسين في النص، ج٢.

(٣) كَمَران: جزيرة من الجزر اليمنية في البحر الأحمر، تقع مقابل الحديدة، على بعد نحو خمسة أميال غرباً. (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٧٨٩).

(٤) اللُّحَيَّة: مدينة تهامية على ساحل البحر الأحمر، تقع عند مصب وادي مور في الوسط بين الحديدة جنوباً وميدي شمالاً. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٤، ص٦٧٩؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٤، ص١٩٢٩).

(٥) حسين بن حسن: هو الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم، تلقى العلم على يد أبرز علماء عصره، كان كثير الأناة لا يستعجل في كثير من الأمور، شاعراً بليغاً في المكاتبات. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٢٨٥) وتابع مؤرخنا دوره السياسي في هذا الكتاب.

(٦) الشيخ علي الكثيري: هو السلطان علي بن السلطان بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق، تولى شئون حضرموت بكاملها بعد أن أقره الإمام المتوكل عليها هذا العام، وللسلطان على بن بدر ملكة قوية في قرض الشعر الحميني، توفي في الشحر سنة ١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م. (محمد بن هاشم: تاريخ الدولة الكثيرية، ج١، ص٧٦-٧٨).

(٧) مسجد الأبهر: من المساجد العامرة بمدينة صنعاء، في الجهة الجنوبية من السائلة. (الحجري: مساجد صنعاء، ص ٢٥).

سَيَّان [١] سَنْحَان [٢] أن وجأ[٣] بطنه بالسكين، وقد كان في عشر السبعين، وولده اسمه الفقيه صالح السياني، بعد أن كان أولاً شرع بذبح نفسه بيده، وسببه أن زوجة ولده وولده ما زالوا يخاصمونه ويستثقلونه ويتمنون موته وهلاكه، لأجل بخلهم بنفقته، والقيام بحاله، فغضب المذكور على نفسه، فختم له بأشر خاتمة، نعوذ بالله من ذلك، وإلا فكان أرض الله واسعة، وأرزاقه شاملة، ولا بد من نصيب عند غيرهم وسواهم.

وفي هذه الأيام أمر الإمام بأنه لا يرجع من الدراهم إلا ما هو أحمر، فأما المقصوص[٤] فماض.

وفي هذه الأيام غزا الشيخ الجيد إلى أطراف بلاد دَثِينة(٥) فقتلوا نفرين من عسكر حسين بن الحسن.

وفي هذه [١٣/ أ]الأيام جاء خبر أن سيواجي رئيس الرازبوت[٦] ببلاد الهند من المجوس عضد بعض أقارب السلطان الهندي سلطان الإسلام، وغزا، الجميع بندر سرات[٧] فانتهبوه جميعاً، وأظهروا الخلاف على سلطان الإسلام، وهذا البندر هو

---

(١) سَيَّان: بلدة بالجنوب الشرقي من مدينة صنعاء بمسافة ٢٥كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٨٣٣).

(٢) سَنْحَان: قبيلة ومديرية من مديريات صنعاء، تقع بالشرق الجنوبي من صنعاء، متصلة بها. (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٥٢٩).

(٣) وجأ: الوجءُ: اللكز، ووجأه باليد والسكين، يقال: وجأته بالسكين وغيرها وجأ إذا ضربته بها. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٨٧٧-٨٧٨).

(٤) لم تتضح الكلمة، ورسمناها كما وردت.

(٥) دَثِينة: تقع ما بين حضرموت وعدن، تبعد عن عدن بحوالي ١٣٠ ميلاً، يحدها شرقاً العوالق السفلى وجنوباً وغرباً بلاد الفضلي وشمالاً بلاد العوالق العليا والعواذل (حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، ص٢٤٣).

(٦) الرازبوت: هم الراجبوت: شعب يقيم معظم أفراده في ولاية راجستان في الهند، وهم من طبقة المحاربين، ويزعمون أنهم من سلالة الآلهة، سادوا إقليم راجبوتانا في الهند منذ القرن السابع. (الموسوعة العربية الميسرة، ص٨٥٠).

(٧) سرات: هي سورات: مدينة في الهند، تقع شمالي مقاطعة بومباي، من أقدم مدن الهند، أقام الإنجليز فيها وكالة لهم سنة ١٦١٣م، فكانت أول مركز لهم على شواطئ الهند الغربية وأهمها. (بطرس البستاني: دائرة المعارف، مج١٠، ص١٩٣).

أقرب البنادر في سمك البحر إلى بنادر اليمن، المسافة مع صلاح الريح قدر عشرين يوماً ما بينه وبين عدن، ومنه إلى محل سلطان الهند قدر شهريين براً.

وفي رمضان آخر الشتاء حصل مطر الربيع بأكثر اليمن.

وفي هذه الأيام جاء الخبر أن سيواجي اصطلح هو وسلطان الإسلام بالهند، وسكن خلافه، وأن الهند فيه خير كثير، وصلاح واسع ومطر غزير.

وفي هذه الأيام وقع في جهات البحرين في حدود البحر الفارسي(١) فتنة، قيل من الفرنج الهند خالفوا وانتهبوا البندر، وقيل: من جهة الفرنج انتهبوا أشياء في البحر قربة ولعلَّ الخبر الأول أصح.

وفي غرة شوال خرج جماعة حجاج من العجم من بندر كنج(٢) إلى المخا وأخبروا أن الفرنج يُخشى منهم [١٣/ ب] فإنهم مروا والعماني متحرز(٣) على أطراف بلاده منهم.

وفي هذه السنة تسَلَّط مارد(٤) في بعض بيوت صنعاء يقال بيت السيد أحمد التاجر، وكان يؤذيهم ويحمل عليهم بعض مفاتيحهم ويردها قال: فطلبوا منه مرة طعاماً من طعام الزلابيا(٥) قال الراوي: فلم يشعروا إلا وهو بين أيديهم، فأكلوا منه.

وفي شهر الحجة سعرت أسواق مدينة صنعاء في المكاسير(٦) ومن قبل لم يعرف

---

(١) البحر الفارسي: هو الخليج العربي، ويطلق عليه الخليج الفارسي، من عبادان على مصب نهر دجلة إلى عُمان. (دائرة المعارف الإسلامية، مج٣،ص ٣٨١).

(٢) بندر كنج: مدينة صغيرة على ساحل منطقة لنجة في إيران، إلى الشمال الشرقي منها. (ج.ج لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج٢، ص ١١٢١-١١٢٢).

(٣) متحرز: الحِرْز: الموضع الحصين، ويقال: هو في حرز لا يوصل إليه، ويقال: حرزت الشيء إذا حفظته وضممته إليك وصنته عن الأخذ. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٦٠٦).

(٤) المارد من الرجال: العاتي الشديد، وأصله من مردة الجن والشياطين، وجمعه: مردة. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٤٦٣).

(٥) الزلابيا: عجين من دقيق القمح، يُمد على شكل دوائر أو أي شكل آخر، ويُغلى في الزيت.

(٦) المكاسير: البضاعة التي تُباع بالتجزئة.

تسعير الدولة بل بالتراضي، فحصل بسبب ذلك رِّكَة[1] مع الكسارين في البيع والشراء، بحيث ترك بعضهم ذلك الإبتغاء، وغلق الحانوت[2] ومضى، ومنهم من صبر على ما به من البلوى.

وفي حادي عشر القعدة كان تحويل السنة الرومية[3] فكان عند دخول الشمس أول درجة الحمِل، والمريخ في الثور، وزحل بالحوت، والمشتري بالأسد،والشمس والزهرة وعطارد بالحمل، والجوزهر الذنب بآخر درجة من الميزان، ثم تدخل السنبلة.

وفي هذه الأيام وصلت من صاحب عمان إلى المخا رصاص قدر ألفي رطل معونة لحرب الفرنج إذا خرج أحد منهم في السواحل، كل ذلك منه لأنهم خصومه، وكثرة ما جرى بينه وبينهم من الحروب.

وفي هذا العام حصل مطر الصيف واستمر إلى شهر محرم وصلحت الأرض.

وفيها مات الشيخ العارف الصوفي محمد بن الشيخ طاهر بن بحر ببلدة المُنْصورِية[4] بتهامة، وكان على طريقة والده الشيخ طاهر بن بحر في إكرام الضيف والثروة، وخلَّف ولده عبد الباري[١٤/ أ].

وفيها مات الشيخ السيد إسماعيل بن إبراهيم الحضرمي ببلدة لَكَمة [5] بن سليم، ما بين الحَيْمة وحَرَاز وكان ساكناً فيها من مدة مع ضعف هواها ووباها، وكان مكرماً للضيف، ما أحد يمر إلا وأغاثه لأنه على طريق حراز، وكان كثير النذور من القبائل،

(١) الرِّكَة: تعني الضعف.

(٢) الحانوت: جمعها حوانيت، وهي المحلات التجارية.

(٣) السنة الرومية: ويقال أيضاً الشهور الرومانية، وهي السنة الميلادية، وكانت في نشأتها عشرة شهور وأضيف لها شهران هما يناير وفبراير، وأُعيد ترتيبها مراراً حتى استقرت على ما هي عليه اليوم. (أكرم حسن العلبي: التقويم، ص٢٥).

(٤) المَنْصُورِية: مدينة شمال بيت الفقيه، تبعد عن الحديدة جنوباً بشرق مسافة ٤٥كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٦٦٠).

(٥) اللَّكَمة: هي الأَكَمَة، وهي الموضع الذي هو أشد ارتفاعاً مما حوله. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٧٩).

وما دخل يده أنفقه رحمه الله، واتفق مع رجل أنه لما عبر الطريق وهذه البلد صادف بعض جواري الشيخ تغرف الماء من المورد فكأنه راودها عن نفسها، فبلغ الشيخ، فدعا عليه، فجن في الحال والوقت وتغير عقله، وبقى كذلك برهة من الأيام مكبلاً بالحديد، ثم إنه عَكِبَ[1] أيضاً بعد ذلك ثم لم يلبث أن مات.

ودخلت سنة اثنتين وثمانين وألف[2]

استهلت بالأحد بالرؤية، وحصل قران المريخ بالزهرة، في نصف محرمها بأول برج السرطان.

وفي مدخل يومين أو ثلاث وصل الخبر إلى صنعاء من طريق السراة[3] أنه وقع بمنى عند جمرة [١٤/ ب]العقبة واقعة عظيمة، وذلك أن اثنين قيل: أحدهما من هُذَيل[4] وآخر من أصحاب الشريف رميا الباشا حسن، قيل: ذلك بأمر الشريف سعد وهو أنكره، فرميا الباشا حسن وكان غافلاً ساكناً حال رمي جمرة العقبة من رأس اللكمة التي جنوبي الجمرة يقعد فيها أهل اليمن للفرجة على الناس حال الرمي للجمار، رمياه في حالة واحدة برصاصتين أصابته إحداهما في فخذه ونفذت إلى حصانه فسقط في الحال،، والتفت أصحابه الحاضرون عنده للضرب بسيوفهم فيمن عندهم، فقتلوا في الحال قدر ثلاثين نفساً، وانهزم الناس وهربوا، وحصلت فيهم صولة شديدة

(١) عَكِبَ: العَكَب: تداني أصابع الرجل بعضها إلى بعض. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٨٥٠).

(٢) ١ محرم ١٠٨٢هـ= ٩مايو ١٦٧٠م.

(٣) السراة: اسم يطلق على السلسلة الجبلية التي تمتد من مشارق فلسطين إلى اليمن، محاذية ساحل البحر الأحمر الشرقي، فمن ثم عُرفت جبال السراة باسم الحجاز،؛ لأنها حاجز طبيعي بين تهامة ونجد. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٣، ص٢٠٤-٢٠٥؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مج٣، ص٢٩٤).

(٤) هُذَيل: من قبائل الحجاز المهمة، تنقسم إلى قسمين: شمالي ويتألف من سبعة أفخاذ، وقسم جنوبي ويدعى هذيل اليمن، يتألف من خمسة أفخاذ. (عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، ج٣، ص ١٢١٣).

وحالة كبيرة،ومنهم من زال عقله لحصول ذلك الحادث على حين غفلة، وقتلوا من كان في المقهاية[1] التي تجعل عند جمرة العقبة تحت هذه اللكمة، ومن جملتهم مقهوي من صنعاء كان فيها. وكان هؤلاء القتلى مجموعين حجاج وفقراء، فالذي عرف منهم من اليمن المقهوي المذكور، وآخر من بلاد عتمة، وآخر من بلاد رداع، والآخرون من حُفَاش[2] [١٥/أ]، ثم من سائر الأرض، وحصل النهب في أطراف منى، والشريف كان في محطته يومئذٍ، فجاءه الخبر أن الباشا قد قتل، فركب وركب أصحابه ودرَّع وخوَّذ[3] فلما قرب منهم رأى القتال واقعاً والضرب بالسيوف لامعاً، قهقر ورجع إلى محله، وضم من عنده، وفي محطته. والباشا أدخله أصحابه التختروان[4] وتقدموا إلى مكة بالعساكر والركبان، فدخلوها في النفر الأول وسكنوها، والشريف دخل بعد ذلك وحده، وأمر أصحابه وجنده قبله. واختلفت الأخبار في شأن الباشا حسن، فمنهم من قال: قتل ومات في الحال، ومنهم من قال: إنما اصتاب[5] فقط وسلم وهو الأكثر، والأخبار بعدبه[6] أشهر. ومن الحجاج الذي شهد هذه الوقعة وسلم بعد أن كان رأى نزيف السيوف، والأمر المسلم وصل إلى اليمن وعاد بعد حجه، وقد تغير عقله، وما زال يهذي في نومه ويقظته بالسيف السيف، حتى لم يلبث أن مرض ومات

---

(١) المقْهاية: تُطلق الكلمة على السماسر، التي كانت بمثابة النُزُل، تديرها بعض الأُسر، وتؤجر فيها غرفاً بسيطة للنوم، وتقدم الطعام والقهوة، وأُطلق على صاحبها (مُقَهْوي) وزوجته (مقهوية) لأنه غالب ما يطلب هو القهوة. (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٥٢٨).

(٢) حُفَاش: من أشهر جبال اليمن، غرب صنعاء، يطل على تهامة، قريب من جبل مِلْحان، يذكرهما الهمداني كجبلين مشمخرين، مشرفين على تهامة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١،ج٢، ص٢٧٧-٢٧٨؛ الموسوعة اليمنية، ج١، ص٤١٠).

(٣) دَرَّع وخوَّذ: أي لبس الدرع والخوذة.

(٤) التختراون: سرير يشبه الهودج، يحمل على الأكتاف. (ابن الوزير: طبق الحلوى، تحقيق: عبد الرحيم جازم، هامش ص ٢٧٨).

(٥) اصتاب: بمعنى أُصيب بجروح.

(٦) رسمناها كما وردت. لم يتضح معناها.

بعد عوده. وهذا الأمر الذي جرى في حرم الله وأمنه ما كان[١٥/ ب] يحسن فعله والله يقول: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾[1] ولا سيما في هذه الأيام الشريفة، والمواقف المباركة، والأيام المعلومة على تلك الحال والصفة، ولا سيما ما كان سبب ذلك من قتل هذه النفوس، في ذلك المحل المأنوس. وكانت هذه الواقعة يوم الأربعاء وقت الظهر النفر الأول، إذ كان عرفة هناك يوم الأحد والعيد يوم الإثنين. وكان الباشا ما تم الرمي للجمرة، وإنما كان رمى ثلاث حصى، فلما اجتمع الناس بمكة حصل الخوف والحذر من ثائرة الفتن، وبطل أكثر البيع والشراء والأسباب[2] لعدم الأمن على الأنفس والأموال، حتى ينفصل أمر ذلك الحال، مع أن هذا الفعال لا يبعد أن يكون سبباً لتحريك السلطان وإيقاظ الفتنة وهي نائمة، ولله قول الشاعر:

أمور يضحك الجهال منها

ويبكي من عواقبها الحليم

وقال الأول: من لم يفكر في العواقب فما الدهر له بصاحب، ومن أراد عظيماً خاطر بنفسه وماله، وقد جاء في الحديث عنه ﷺ: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»[3] ولكن إذا جاء القدر عمى البصر. ومن الناس من قال: إن الشريف قال: أن الباشا حسن ظهَّر له بالإمارات أنه كان يريد بعد دخول مكة القبض[١٦/ أ] عليه وإزالة ملكه وأمره ونهيه، وصرف الأمور إليه، والله أعلم، وتأخر الحجاج الذين يصلون من البحر، ولم يصل من الحجاج في هذه الأيام إلا أهل السراة فقط، وسببه عدم التمكن للسفر من مكة إلى جدة للخوف، ثم وصل أهل البحر عقب ذلك. وأخبروا أن بعد ثامن عشر

---

(١) آل عمران: ٩٧.

(٢) الأسباب: جمع سبب، وهو العمل الذي يُتوصل به إلى الرزق.

(٣) رواه الرافعي في أماليه عن ابن أنس. (الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجرَّاحي: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، ج٢، ص٨٣).

شهر الحجة الحرام اجتمع حجاج اليمن الذين بمكة ودخلوا إلى الشريف سعد يشكون التضرر بالنفقات، وأنهم يريدون السفر فوعدهم بالجواب ثاني النهار، ثم إن الشريف طلب أمير حاج الشامي وجلس هو وإياه في الخلوى، ثم إنه خرج من عنده وسار إلى بيت الباشا حسن، ثم تعقب اليوم الآخر وأمر الناس بالنفير، وفي صحبتهم من قبل الباشا حسن آغا[1] ومن قبل الشريف آغا، وعسكر وساروا إلى جدة، وسكن الأغا بمحل الباشا والذي من قبل الشريف بمحل آخر، ثم إن الباشا بعد هذا الأمر خرج مع أمير الشامي في التحتروان وظهر للأشراف أنه عازم بلاده، وراجع إلى حضرة السلطان [١٦/ ب] واعتاده[2] فلما وصل الباشا إلى المدينة النبوية دخلها وسكنها واستقر بمن معه فيها، وقال لا ينفصل عنها حتى يصل جواب السلطان، فاستقر الأمر كذلك هذا العام جميعه. وخرج له من مصر مادة استدعاها خشية من سعد لا يتعرض ويقصد بجموعه إليها، فخرجت الزيادة والإمداد، وقوي جأشه بذلك وبما خرج من الطعام والأعداد، والشريف بقي بمكة على حاله.

واتفق قران المشتري والزهرة في برج الأسد والزهرة كثيرة القران لسرعة سيرها.

وفي هذا الشهر ولدت امرأة للحوتره من أهل شعوب عجلاً فبقي قدر يومين ومات.

وقد كان بعض جيش سعد خرج من مكة إلى جهة المدينة يقال: رئيسهم حمود، فلما وصلوا بدر بلغهم خروج زيادة من مصر، فلم يبلغوا إلى المدينة، قيل رجعوا إلى مكة. وأخبر الحجاج بصلاح الحجاز ونجد جميعاً وتهون الأسعار بمكة والأعلاف بعد تلك الشدة، وأن الخير متصل من مكة والمدينة إلى صَبْيَا[3].

---

(١) الآغا: هو السيد أو الرئيس، وهو لقب من ألقاب التعظيم. (د. حسين المصري: معجم الدولة العثمانية، ص٢٤).

(٢) هكذا وردت في الأصل.

(٣) صَبْيَا: مدينة من مدن منطقة جازان (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ج١، ص٦٨١).

وفي شهر ربيع الآخر طلع علي بن الإمام إلى حضرة والده الإمام.

وفي هذا الشهر اتفق أن السيد جعفر بن مطهر الجرموزي(١) متولي العدين(٢) هرب بعض أصحابه إلى مشهد الشيخ [١٦/ ب] صلاح، فأمر السيد بإخراجه من الحوزة(٣) فلم يساعده أحد فسار بنفسه وأخرجه.

قال الراوي: فخرج عليه جيش عظيم في مجلسه ومكانه، وما زال يراه في كثير من أوقاته فسار إلى المُذَيْخِرَة(٤) فلم يشعر إلا بذلك الجيش أطل عليه من باب مكانه، فصاح وحصل معه بعض طيش ووحشة.

وكان السيد جعفر قد تَقَبَّل(٥) بلاد العدين هذا العام بقبال كثير يقال: كل شهر ستة آلاف، فجار على الناس بسبب القُطْفَة(٦) والقبال.

وانتهب هذه الأيام قافلة خرجت من جدة إلى عند الباشا حسن مجموعة طعام ورصاص، مع أنه صار يخرج السياق إليه من مصر بحراً إلى يَنْبُع(٧) ثم يصل إليه.

وروى لي بعض أهل مكة يسمى لطف الله يقول: أن الشريف ادعى أن الباشا حسن ما أظهر مرسوم التولية، وأنه حضر مجمعه أول وفوده وطالبه في المرسوم يحضر إلى هنالك ومشائخ الحرم فلم يظهره قال ولو أظهره سلم له الأمر.

---

(١) هو جعفر بن مطهر بن محمد الجرموزي، ولاَّه الإمام المتوكل بلاد العدين، وبعد ذلك صار كاتباً مع عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن بن القاسم عندما أصبح والياً لبلاد العدين وغيرها. وصفه الشوكاني بقوله: الرئيس الكاتب الشاعر. كانت وفاته بالعدين سنة ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م. (المحبي: نفحة الريحانة، ج٣، ص٣٩٧-٤٠٥؛ الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص١٨٣.

(٢) العُدين: منطقة واسعة في الجنوب الغربي من صنعاء (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٥٩٠).

(٣) الحوزة: هنا ربما تعني الحِمَى، وليس معناها الحصار كما في اللهجة اليمنية.

(٤) المُذَيْخِرَة: مدينة أعلى جبل ثومان بالعدين. (المقحفي: معجم البلدان، ص٦٠٤).

(٥) تَقَبَّل: أي تولاها مقابل دفع مبلغ محدود يُرسل لخزينة الدولة.

(٦) القُطْفَة: ورقة يُكتب بها البيانات الخاصة بتسليم ما يجب علي أي منطقة من خراج، وهي بمثابة (سند استلام) ما زالت مستخدمة إلى الآن، وهي من اللهجة العامية في اليمن.

(٧) ينبع: ناحية واسعة في الحجاز، غرب المدينة المنورة، تبعد عنها بمسافة تقرب من ١٥٠كم. (حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص١٠).

قال المذكور: وكان قد ظهر للشريف وأهل مكة أن الباشا حسن باقي في تلك السنة القبض على الشريف سعد بالقهر، ولذلك دخل من جدة بقوة العسكر والمدفع وإظهار الأمر، وأمر الخطيب برفع ذكر سعد، وأظهر الأمر جميعه له، وما يفعل ذلك إلا بأمر السلطان.

وفي هذه الأيام ارتفع سعر مكة؛ لأجل تناقص السياق من جدة، فقيل: أنه بلغ القدح إلى خمسة حروف. وتفرق كثير من أهل مكة يومئذٍ في الآفاق، وكذا من أهل[١٦/ ب] المدينة أيضاً والحجاز، فمنهم من سار إلى تهامة [(١)] وزبيد وبيت الفقيه[(٢)] ومنهم من طلع الجبال بأولادهم، ومنهم من طلع بلاد الطائف ونجد.

وفي شهر جمادى الأولى خسفت القمر في برج الحوت بعد طلوعها بساعة، فطمس الخسوف جميع جرمها أوله بسواد ثم تغشاها بحمرة، وكان الخسوف بالرأس[(٣)] بمصاحبة زحل، ومقابلة المريخ للكسوف بالسنبلة، واستمر الخسوف وقتاً طويلاً، منهم من يقول: ست ساعات، ومنهم من يقول: خمس.

وفي هذه السنة تغير حساب أهل الذمة[(٤)] من اليهود -لعنهم الله- في مواقيت أعيادهم على الشهور الرومية، فقدموه على وقته بقدر شهر كامل، جعلوا سبت السبوت[(٥)] هذه السنة في أول شهر جمادى الأولى، وهو في آخره على حساب جدول الحاصي وغيرها، فدل على تخليط حصل معهم، ورجعوا في العام الثاني إلى الواقع،

---

(١) تهامة: هي القسم الواقع بين جبال اليمن والبحر من جهة الغرب والجنوب، ويقال له غور اليمن. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص١٥٦).

(٢) بيت الفقيه: من مدن تهامة، ما بين زبيد والحديدة، وهي في وسط بلاد الزرانيق، نسبت إلى الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل (ت٦٩٠هـ). (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٤، ص ٦٣٦).

(٣) الرأس: المقصود بها: رأس الشمس في حركتها في الفضاء. (أمين فهد المعلوف: المعجم الفلكي، ص٢١).

(٤) أهل الذمة: هم المعاهدون من اليهود والنصارى الذين يقيمون بدار الإسلام.

(٥) سبت السبوت: قيام اليهود بأمر سُنَّتِها. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ﴾. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٨٠).

والعام الثالث رجعوا إلى التقديم، كهذه السنة بشهر، وكذلك عيد الفطر خلطوا فيه تخليطاً كثيراً، فهو يكون مستمراً بعد فصل الصيف، فجعلوه في بعض هذه السنة آخر الصيف عند سقوط الثريا[1] وغروبها، وإنما يكون عيد الفطر عند غروب الظافر[2] وطلوع السماك[3] بعد الصيف.

وفي شهر جمادى الثاني وصل السيد عبد الكريم بن باز من عتود[4] ومعه قدر ثلاثين نفراً وافداً إلى الحضرة العالية للإمداد بالسلاح والمال، ليستعين به على البقاء في عتود ودفع القبائل وتنفيذ أمر الشريف؛ لأنه ولاّه هذه السنة لعتود وأمره بالبقاء فيها، فبقى عند الإمام خمسة أشهر، ثم زلجه الإمام في شوال، وأعانه بما طلب وسار[١٧/ أ].

وفي هذا الشهر عرض الإمام على ولده أحمد[5] ولاية بلاد ذَمَار فأباها وقال: يريد الإذن له في عودة شِهارة وتوليته لبلادها، لمحبته للوطن، كونه نشأ فيها، فولاه نصف بلاد عِذَر[6] وامتدت يده في الآداب أينما نهى وأمر، وعارض بذلك حسين بن الإمام المؤيد[7] في أمور كثيرة، وصار يقالـــله[8] فيما يفعله من السيرة، حتى أن الشاكي إذا

---

(١) الثريا: من الكواكب، سميت لغزارة نوئها، وقيل: سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل. (ابن منظور: لسان العرب: مج١، ص٣٥٦).

(٢) الظافر: من النجوم الزراعية في اليمن، وهي ظافر أول وظافر ثاني، يبدأ ظافر أول في ٥ آذار وينتهي في ١٧ منه، حيث يبدأ ظافر ثاني من ١٨ آذار حتى ٣٠ من الشهر نفسه، أي أن كل منزلة ١٣ يوم.

(٣) السِمَاك: نجم معروف. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢،ص٢٠٥).

(٤) عتود: وادٍ أعلاه في عسير وأسفله في تهامة. (الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد الأكوع، هامش ص ٢٧١).

(٥) أحمد: هو أحمد بن الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، كان من حسنات الزمان، محقق في العلوم، جمع من العلوم أصولاً وفروعاً ونحواً ومعان، وبيان وتفسير، بايع القاسم بن المؤيد، وعندما تقدم أحمد بن الحسن إلى شهارة نزل إليه وبايعه، توفي سنة ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م(ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٤٣٧-٤٤٣).

(٦) عِذَر: قبيلة من حاشد، تقع شرقي الأهنوم، وهي إلى الشمال الغربي من صنعاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص ٥٩٥؛ الويسي: اليمن الكبرى، ج١،ص١٩٤).

(٧) الحسين بن الإمام المؤيد محمد بن القاسم، ولد في حياة جده الإمام القاسم، لازم أبيه واخذ عنه علماً كثيراً في جميع العلوم، وأجازه بعض العلماء، وسمع على الإمام المتوكل إسماعيل (الغيث المدرار شرح الأزهار) وغيره، أخذ منه جماعة من العلماء، ترجم له المؤرخ يحيى بن الحسين في كتابه (بهجة الزمن) في سنة وفاته ١٠٨٤هـ/ ١٦٧٣م (النص، ج٢،ق٥٢ب-٥٣أ).

(٨) يقالله: يقل بمعنى يحط من قدره.

شكى إلى حسين بن المؤيد، وفرض عليه من الأدب والأخذ باليد نقض ذلك أحمد المذكور عمل ابن المؤيد، فحصل في نفس الحسين كظم الصدر من هذا الأمر، وعدم التوقير للكبير، وما يتوجه من المراعاة من الصغير، حتى بلغ به الحال أنه لما وفد عيد الأضحى في بعض السنين خرج عن شهارة، كراهة للإجتماع لما رأى من هذه الأمور المنهارة، وأظهر التمشية بذلك قبيل العيد، وعيَّد في قرية الصَّايَة [1] ودخل بعد مضي العيد. وقد صار هذا الأمر في هذه العالة الآخرة[2] هو الغالب لهم والسجية، حتى لقد قوض بيارقه وطبوله توقياً من ثائرة الإشتجار والفتنة لما رأى من شدة النخوة[3] وكتب إلى الإمام يعذره عن الأعمال وكان ظنه، أن الإمام ينهي ولده عن المعارضة له، فجاء الأمر، خلاف ظنه فاغتم من ذلك الأمر وأمر الإمام لولده أحمد حينئذٍ يريح وطبوله والعَلَم لعسكره.

ويروى أن الإمام كان أمره بالخروج على الحرامية[4] بتهامة، فاعتذر، فما زال حاله إلى الإنصياع، حتى مات أمره وضاع.

وفي هذه الأيام سار كثير من أهل كوكبان وشبام إلى الحضرة العالية شاكين من الأمير عبد القادر[5] بأنه تأخر بعض ما يعتادونه من التقارير لهم من الماضي والحاضر، فأرسل الإمام معهم الفقيه محمد بن عز الدين الأكوع، الذي كان مع الحسن بن

(١) الصَّايَة: قرية في بني مديخة بالشرف الأسفل، تحت جبل شهارة، بها كان مولد الإمام المنصور القاسم بن محمد. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص٨٩٢).

(٢) العالة الآخرة: أي الجيل اللاحق لجيل المؤلف.

(٣) النخوة: أي المروءة والشهامة.

(٤) الحرامية: يقصد بهم بنو حرام، حُكام (حلي بن يعقوب) التي تقع على بعد حوالي ٦٠كم إلى الجنوب الشرقي من مدينة القنفذة، وهو من أشهر وأخصب أودية تهامة عسير. (أحمد بن عمر الزيلعي: بنو حرام، حكام بني حلي، وعلاقاتهم الخارجية (ق٤-٩هـ/ ٧-١٥م) مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود، هامش ص ١٢٢).

(٥) الأمير عبد القادر: هو عبد القادر بن ناصر بن عبد الرب. عالم مشارك، تولى إمارة بلاد كوكبان بعد أبيه، دعا إلى نفسه بالإمامة بعد وفاة أحمد بن الحسن، ثم تخلى عنها للمؤيد محمد بن إسماعيل، ترجم له يحيى بن الحسين عند وفاته في محرم ١٠٩٧هـ/ ديسمبر ١٦٨٥م (النص، ج٣، ق١١٤ب-١١٥آ).

الإمام[١٧/ ب] القاسم خازناً ومعاوناً، فأراد العذر لكبر السن، فألح عليه الإمام وقال: المراد إنما هو المشارفة على محصول البلاد، فسار المذكور واطلع على الدفاتر، ورقمها للإمام، لمعرفة الماضي والحاضر. وكان خرج مع الخارجين من شبام وكوكبان السيدان محمد بن إبراهيم بن مفضل(١) والسيد يحيى بن أحمد الحمزي(٢) واستنكرا ما كانا يألفان من الأمير ناصر من الإحسان وقبول الشفاعات والإجلال، غرراً منهما، وعدم معرفة حال غيرهما، فوصل السيد محمد إلى وادي ضَهْر(٣) سكن وعمر فيه داره، والسيد يحيى شراء داراً بصنعاء وسكنه، ثم ندما بعد شرى ذلك وتأسفا لما عرفا بالحالات، وأن التقصير من عبد القادر إحساناً كما قال الشاعر(٤):

وبـــــضدها تتبـــــين الأشـــــياء

وفي هذا الشهر جاءت الأخبار بأن القضية الواقعة في مكة لما وصلت مسامع السلطان، وعرف حقائقها بالتقرير والبيان، اغتاض من ذلك وأبرزت أوامره إلى مصر بأن بينه عاد(٥) جدة والباشا حسن حتى ينظر، فأمر صاحب مصر بعينه إلى جدة.

وفي هذه الأيام سُرق بيت القاضي علي بن جابر الهبل(٦) قاضي الشريعة بصنعاء،

---

(١) محمد بن إبراهيم بن المفضل (١٠٢٢-١٠٨٥هـ/ ١٦١٣-١٦٧٤م) عالم محقق في الفقه والحديث وعلوم العربية، شاعر أديب مؤرخ، ترجم له المؤرخ يحيى بن الحسين ترجمة مطولة عند وفاته (النص،ج٢، ق٨١ب-٨٢ب).

(٢) لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

(٣) وادي ضَهْر: من الأودية المشهورة، وهو من ناحية همدان، يبعد عن صنعاء حوالي ١٥كم في الشمال الغربي منها. (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص٨٧).

(٤) الشاعر هو المتنبي، والبيت هو:

وتـــديمهم وبهـــم عرفنـــا فـــضله   وبـــضدها تتبـــين الأشـــياء

(عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، ج١، ص١٤٩).

(٥) وردت هكذا في الأصل، ولم يتضح معناها.

(٦) علي بن جابر المعروف بالهبل، القاضي العلامة، اخذ عنه جماعة من العلماء، كان عالماً حاكماً بصنعاء في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل. (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، مج٢، تحقيق: عبد السلام الوجيه، ص٧١٤-٧١٨)؛ وترجم له المؤرخ يحيى بن الحسين عند وفاته نهاية ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٧م. (النص،ج٣، ق١٧١أ).

وكان المذكور في الخريف بأولاده، فراح بعض شيء كان وديعة لأيتام قاصرين، فحصل اشتجار بين الوارم المحتسب[1] على المدينة وبين أصحابه، أرادوا قسمتها بينهم، فغلب المحتسب عليها، فأخبر أصحابه والي المدينة أنها مع المحتسب، وأنه السارق لها، وأنها في موضع كذا، فوجدت كما وصفوا، هذا هو الأصح في خبرها، وقيل: أنه عرض أمرها على الفقيه أحمد[١٨/ أ].

وفي هذا الوقت يسر الله لي تمام تبييض مصنفي (الإقتباس) إلى آخره بحمد الله، الذي اشتمل على خمسة فنون: النحو، والصرف، والبلاغة، وأصول الفقه، وأصول الدين، في أربعة مجلدة، وكان الفن الآخر توسعت فيه، فكان في مجلدين، نصف الكتاب أو يزيد عليه، واستوفيت الكلام في أصول الدين، ونقل أقوال العلماء من أهل السنة وأقوال السلف وأقوال المعتزلة[2] والأشعرية[3] والحنفية والمالكية والحنابلة، مما ساق الدليل إلى قوة مذهب السلف ووافقه أهل السنة، ولما كان المنصف من أهل هذه البلاد كالعدم، والتقليد قد لصق بالأكثر، وعم. قلت:

في مثل تقريري لا يحسن العذل
وإنما الناس أعداء لما جهلوا
رأوا تخير قولي في علومهم
فأوسعوا القول إذ ضاقت بي الحِيَلُ

---

(١) المحتسب: المقصود به المشرف على شؤون المدينة وأسواقها وطرقاتها، ويحافظ على الآداب العامة، وتطبيق القوانين المرعية، وكان له نواب لهذا الغرض، وهو غير المحتسب الذي يتولى بعض مهام الإمام في فترة عدم وجوده. (الموسوعة اليمنية، ج١، ص ٣٨١-٣٨٢).

(٢) المعتزلة: هم أتباع مذهب فلسفي، فتح المجال للاجتهاد، وهم عدة طوائف، ويسمون أيضاً: أصحاب العدل والتوحيد. (الشهرستاني: الملل والنحل،ج١، ص٤٣، أحمد بن يحيى المرتضى: المنية والأمل في شرح الملل والنحل، تحقيق: د. محمد جواد مشكور، ص٢٩).

(٣) الأشعرية: هم الأشاعرة، أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، مؤسس علم الكلام. (الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ١٠٠،٩٤).

لــو أنهــم عرفــوا في الحــق معرفتــي

لــشأنهم عــذروا مــن بعــد مــا عَــذَلُ

ياجــاعلى خــبري بــالهجر مبتــذلاً

لا عطــف مــنكم ولا لي عــنكم حِــوَلُ

رفعــت حــالي ورفــع الحــال ممتنــع

إلــيكم وهــو للتمييــز محتَمِــلُ

كــم كتمــت حقــائق علمــي لا أبــوح بــه

والأمــر يظهــر والأخبــار تنتقــلُ

كيــف الــسبيل إلى إخفــاء ســته

والقلــب منقلــب والعقــل مقتفــلُ

وبــت أخفــي أنينــي عــن أن أبــوح بــه

توهمــاً أن ذاك الجــرح ينــدملُ

لأننــي في بــلاد لا يعرفــون ســته

ولا مــا يقــول الرســول والكمــلُ

وسرت أراجــع مــسترشداً دفــاترهم

لا يصدق القول حتى يصدق العملُ [١٨/ ب]

غــابوا وألحــاظ فكــري تمــثلهم

لأنهــم في ضــمير القلــب قــد نزلــوا

وخلفــوني أعــض الكــف مــن نــدم

وأكثــر الــذكر لمَّــا قلــت بي الحيــلُ

مع أن الإتفاق بين أهل السنة والمعتزلة ومن وافقهم من الهدوية [(١)] أنه لا يجوز التقليد في أصول الدين، وقد أمعنت النظر في الآيات القرآنية والتفاسير الأثرية والمعاني العربية والأحاديث النبوية والنقل للأثار عن الصحابة والتابعين وعلماء السلف الماضين من أهل البيت الأولين، وغيرهم من العلماء العاملين، فلم أجد عقائدهم إلا على مقتضى عقائد أهل السنة المحققين، كما نقلنا أقوالهم، وتتبعنا آثارهم أجمعين. وقد جريت على ذلك المنوال، باتباع الأدلة والآثار في المسائل الفقهية، وصنفت أيضاً في ذلك كتابي (الدلائل)[(٢)] في ثلاثة مجلدة والله الموفق للصواب[(٣)] [١٩/ أ].

وفي هذه الأيام دخل جماعة من الفرنج الملاعين إلى جزيرة سقطرى [(٤)] من بلاد المهري[(٥)] فصالحهم، وسكنوا في مكان منها يقال له: (قَشَن)[(٦)] وكان قد أهم الإمام بتجهيز زيد بن خليل الهمداني، ودفع الفرنج عن القرار بساحل بلاد المهري، ثم أنه بلغه في خلال ذلك الأمر المذكور تجهيز محمد شاوش من مصر إلى جهات مكة وتلك الثغور، فترك ما كان أهم به أولاً وطوى شأنه طياً.

وفي خامس شهر ذي الحجة وصلت كتب من الشُّقيقْ[(٧)] وجازان [(٨)] يذكرون أنه

(١) الهدوية: أو الهادوية: فرقة من فرق (الزيدية) في اليمن، تُنسب آراؤها الفقهية إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم (ت٢٩٨هـ/ ٩١٠م) مؤسس دولة الأئمة الزيدية. (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص ٩٧٥-٩٧٦).

(٢) الدلائل: هو كتابه الدلائل الشرعية والعطايا السنية شرح المسائل الفقهية، مخطوط في ثلاثة مجلدات، مكتبة الأوقاف، جامع صنعاء برقم ١١٠٣، ١١٠٧، ١١٠١. (الحبشي: مصادر الفكر، ص٢٢٤).

(٣) بعد هذه الكلمة ترك المؤلف حوالي نصف الصفحة بياض في الأصل.

(٤) سُقُطْرى: جزيرة يمنية كبيرة تقع في بحر العرب، تبعد عن رأس فرتك على الساحل الجنوبي لليمن ١٩٣ ميلاً بحرياً. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، مج٣، ص٢٢٧، الموسوعة اليمنية، ج٢، ص ٥١٩).

(٥) المهري: يقصد به صاحب المهرة، وهي تقع في الزاوية الشرقية من اليمن، فيما بين حضرموت وعُمان. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٧٤).

(٦) قَشَنْ: مدينة ساحلية في بلاد المَهرة، تقع بالشرق الشمالي من سَيْحُوت. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٧٦).

(٧) الشُّقَيقْ: بلدة على ساحل البحر الأحمر، تقع شمال غرب صَبْيَا على بعد ٥٠ كم منها. (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص١٣٥).

(٨) جازان: تعرف حالياً (بجيزان) بلدة على ساحل البحر الأحمر من جهة صبيا وأبي عريش. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ج١، ص٤٥٩-٤٦٠).

بلغهم خروج محمد شاوش من مصر بجنود معه، وأصل محمد شاوش هذا من اليمن.

وفي عشرين ذي الحجة وصل كتاب من جازان يخبرون أن حال عزمهم من جدة ووصل محمد شاوش بقدر ثلاثة آلاف، سابع عشر شهر القعدة، وطرحوا خارج مكة قيل: بالعمرة وقيل: ببركة ماجد[١٩/ ب]. والشريف سعد عند ذلك أمر بلال من المماليك إلى محمد شاوش لأجل الكسوة، فأعطاه محمد شاوش المعتاد، وسكن بذلك الوهاد، وذكروا أن حال عزمهم من جدة، وقد بلغهم تجهيز الوزير حسين مع المحمل الشامي.

وفي آخر يوم من شهر الحجة وصلت كتب الحاج فرحان ومن الحجاج يذكرون أنهم وصلوا إلى السعدية [١] المباركة ومحل الإحرام، للدخول إلى البيت الحرام، ووصلتهم كتب الشريف سعد بن زيد صاحب مكة فيها التحذير عن الدخول والرجوع من ذلك المكان من غير تراخي ولا توان، وأكد بذلك رسولاً آخر بمثل ذلك، وكان البعض قد أحرم، فلم يسع الجميع إلا العود والمسارعة، وشد العزيمة للسفر من غير مراجعة. وذكر الشريف سعد أن السبب أنه دخل مكة حال تصدير كتابه حسن بيك في عسكر كثيرة وخيل عديدة، وقد كان تقدم محمد شاوش بتلك المحطة، وأن المحامل في أثره ما قد وصلت، وأن الجملة للخيل الداخلة حول ألفين، ومن العساكر[٢٠/ أ] على المطا[٢] حول خمسة آلاف راجل، على كل مطية راكبان معهما بندقان ومعهم من الدِباب.

---

(١) السعدية: تقع إلى الجنوب من مكة، إلى الشمال الغربي من ميناء الليث. (زبارة: نشر العرف، ج١، ص٣٢).

(٢) المطا: كذا في الأصل، وهي المطايا، مفردها مَطِيَّة، وتعني البعير أو الناقة التي يركب مطاها، أي ظهرها. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٥٠١).

قال في القاموس[1]: الدبَّابة مشددة آلة للحرب وقد كان يتخذها بنو أيـوب [2] وبنـو رسول [3] باليمن في مدتهم، وعلي بن صلاح[4] كان يتخذها كما في سيرته. ووصف لي بعض من كان حاضراً بمكة وقاطناً بها هذه المدة يقول: جملة عدد عسكر الوزير حسين لما أقلموا للعدد بالقلم عقب الموسم إحدى عشر ألفاً من غير الخيل والخـدم، فرجعـوا من السعدية يوم رابع شهر الحجة،وكان أرسل فرحـان بـبعض الوديعـة التـي معـه إلى الشريف سعد، بعد أن أرسل لها وهو يومئذٍ بمكة فقبضها، ووقع مع أصحاب فرحـان بالهضب وقعة، فراح من القبائل أربعة أو خمسة، وسببه أنهم أغـاروا عـلى آخـر القافلـة حال الشداد، وقد سار أولها، فارادوا الإنتهاب لآخرها، فمنع أهلها وارتجموا، ثـم عـاد فرحان عليهم ورماهم بالبنادق، فراحـوا بعـد ذلـك وهربـوا، وسـلمت القافلـة مـن النهب. واستمر سير الحاج فرحان ومن معه في الليل والنهـار حتـى بلغـوا القُنْفُـذَة [5] وكتبوا الكتب إلى اليمن بحراً منها وهم جاؤا بـراً، وخرجـوا إلى أبي عَـرِيْش [6] ولحـق

---

(١) القاموس: المقصود به القاموس المحيط، فيشرح مؤلفه الدبابة، بقوله: الدبابة، مشددة: آلة تتخذ للحرب، فتـدتفع في أصل الحصن، فيثقبون وهم في جوفها، ومؤلف القاموس المحيط هو الفيروز ابادي.

(٢) بنو أيوب: حكموا اليمن من سنة ٥٦٥ إلى سنة ٦٢٦هـ/ ١١٧٣-١٢٢٩م. كانوا يتبعون الدولة الأيوبيـة في مـصر. (الموسوعة اليمنية، ج١، ص١٤٥-١٤٦).

(٣) بنو رسول: حكموا اليمن بعد الأيوبيين، واستقلوا به عن مصر، وحكموا كـل الـيمن مـن حـضرموت حتـى مكـة، استمرت فترة حكمهم من سنة ٦٢٦ إلى ٨٥٨هـ/ ١٢٢٩-١٤٥٤م، عرفت البلاد في عهدهم فـترة ازدهـار علمـي وأدبي ومعماري ميزها عن غيرها من الدول التي سبقتها. (الموسوعة اليمنية، ج١، ص١٧٣).

(٤) علي بن صلاح هو الإمام المنصور علي بن محمد (صلاح الدين، ابن الإمام المهدي عـلي بـن محمـد بـن عـلي الحسني (٧٧٥-٨٤٠هـ/ ١٣٧٣-١٤٣٦م) تولى الإمامة بعد وفاة والده سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩٠م، وطالت أيامه وعظم شأنه، وأضاف إلى صنعاء (صعدة). واستولى على حصون الإسماعيلية وأخرجهم من ذي مرمر، وصـفت لـه تلـك الـبلاد حتى مات بصنعاء، وأما سيرته المذكورة هنا فقد جمع بعضها يحيى بن قاسم بن عمر العلوي، و هو شيخ الإمام عـلي بن صلاح، ثم أكملها ابنه ناصر بن يحيى. (زبارة: أئمة اليمن، ج١، ص ٢٨٠-٣١٠).

(٥) القُنْفُذَة: ميناء يقع على ساحل البحر الأحمر، وهي من مدن سـاحل المخـلاف الـسليماني. (الحجـري: مجمـوع بلـدان اليمن، مج٢، ج٤، ص٦٠٣).

(٦) أبو عَرِيْش: بلدة عامر مشهورة في المخلاف السليماني، في الشرق من مرفأ جيزان بمسافة ٣٥كم. (إسـماعيل الأكـوع: هجر العلم، ج٣، ص ١٤٢٣؛ حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ج٢، ص٥١).

وزير سعد إلى حَلْي[1] [٢٠/ ب] هارباً ببعض أولاده ومماليكه، واجتمع بفرحان حتى وصل معه إلى حضرة الإمام بضوران. وهذا هو السبب الذي أشرنا إليه سابقاً من الجاري من الأشراف بمكة المحروسة، وما غرسوه من هذه المحنة على جملة المسلمين كافة في حرم الله وأمنه، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي هذا الوقت والحين وصل الخبر من بندر المخا، وذلك المحل الأقصى يذكرون أن الفرنج الذين تقدم ذكرهم وصلت خشبها، وركزت في ساحلها، ومنعت الداخل إليها وجملتهم أحد عشر مركباً، فكتب السيد الحسن بن مطهر صاحبها إلى ما قرب منه من العساكر للتحفظ على البندر من ثائرة الساكن، فوصل إليه صنوه[2] من العدين في أربع مائة نفر، ومن زبيد حول مائة نفر، ومحمد بن أحمد بن الحسن[3] استقر بحيس[4] إذا احتيج إلى غارة وصل، فاستقر الأمر هكذا. وأهل المخا محافظون على دواير البندر في الليل والنهار، وقلعة فضل فيها رتبة من قبل السيد الحسن قدر شهر كامل لا يدخل إلى البندر داخل من [٢١/ أ]البحر، ثم وقعت المراسلة بين السيد الحسن وبين الفرنج للصلح. وكان أول مطلبهم أن يسلم السيد الحسن جميع قيمة ما راح على أصحابهم فيما مضى لما قصدهم أصحاب العماني إلى باب المخا، فأجاب عليهم السيد: إنكم سلموا ما أخذتم في باب المخا على المسلمين ونحن نسلم ما راح عليكم من المسلمين، فقالوا:

---

(١) حَلْي: هي حلي بن يعقوب، كانت مدينة عامرة تتبع مخلاف عثَّر، تقع على ساحل تهامة، وموقعها الآن جنوب القنفذة، حيث كانت تمثل الفاصل بين تهامة اليمن والحجاز. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص٢٨٠؛ الموسوعة اليمنية، ج١، ص٤١٥).

(٢) الصنو: الأخ الشقيق، والجمع أصناء. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٢٨، ويقصد المؤرخ بكلمة صنوه: جعفر بن مطهر الجرموزي، أخو الحسن بن مطهر، وكان والياً على بلاد العدين، وقد سبق ترجمته.

(٣) هو الإمام محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم (١٠٤٧-١١٣٠هـ/ ١٦٣٧-١٧١٧م) عُرف بـ(صاحب المواهب) تولى الإمامة بعد وفاة المؤيد محمد بن المتوكل بعد نزاع شديد وحروب طويلة، وتمكن من قهر جميع المخالفين له، وسجن بعضهم، ثم عارضه المتوكل على الله القاسم بن الحسين، وقد تابع يحيى بن الحسين في كتابه (بهجة الزمن) في الجزأين الثاني والثالث دوره السياسي منذ تولى بلاد المنصورة حتى السنوات الثلاث الأولى من إمامته.

(٤) حَيْس: مدينة مشهورة من تهامة، بالجنوب من زبيد. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص٣٠١).

بعد ذلك يسقط على من دخل المخا منهم بسبب ما زاده السيد زيد(١) من المأخوذ عليهم، ويجري ما كان سابقاً من وقت الحسن بن الإمام لهم، فأجابهم السيد الحسن إلى مطلبهم، وعقد الصلح بينه وبينهم ودخل منهم البعض الذين معهم، وسار الآخرون بلادهم. هذا جملة خبرهم، وقيل: أن السيد الحسن بذل لهم شيئاً من المال، والله أعلم.

وفيها شرع أحمد بن الحسن بإخراج غيل عند الحمرا(٢)، فلما استمر العمل في ذلك المجرى انهدم على الحفَّارة، فهلكوا فيه على تلك الحالة، قدر سبعة رجَّالة، فترك عند ذلك تمام أعماله.

ودخلت سنة ثلاث وثمانين وألف(٣)

في غرة محرمها كان استهلالها بالخميس بالحساب، ولعله بالرؤية كذلك، واتفق عند ذلك حلول زحل آخر برج الحوت، واتفق قران[٢١/ ب] الزهرة وزحل ببرج الحوت.

والشريف سعد يومئذٍ خاف من الأمور التي وقعت، والأفعال التي صدعت مما وقع في البيت الحرام، ومن جعله الله أماناً للإسلام، وما وقع فيه من الآثام، وقتل النفوس تلك الأيام، وتروع باله، وخشي من الوثوق به وقطع حباله، فما زال أيام الحج يبعد ويقرب وهو على حذر، خشية أن يقع به الظفر، فوصل عرفات وهو غير آمن ثم نزل إلى منى، وأصبح يوم النفر الأول هارباً إلى جبل الطائف، ولم يتفق بأحد من

---

(١) السيد زيد: هو زيد بن علي بن إبراهيم بن جحاف، عالم، شاعر، أديب. كان الإمام المتوكل إسماعيل قد ولاَّه بلاد المخا، ثم عزله عنها سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م، وعين بدلاً منه الحسن بن مطهر الجرموزي. (المحبي: نفحة الريحانة، ج٣، ص٤١٠-٤١١؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج١، ص٤٢٣.

(٢) الحمراء: اسم مشترك بين عدد من المناطق، غير أن الأقرب هي ما تُعرف بحمراء العلِب، قرية في السفح الجنوبي لجبل نقم، شرقي مدينة صنعاء بنحو٥كم، أما بقية المناطق التي تحمل اسم الحمراء فهي بعيدة عن مركز ولاية أحمد بن الحسن الذي قام بإخراج الغيل. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٥٠٣).

(٣) ١ محرم١٠٨٣هـ=٢٨إبريل ١٦٧٢م.

الأمراء والبوايش[1]، للخوف معه والوجل، وما قد حذره بعض أصحابه من الوقوع في الخلل. فلما هرب حصل عند ذلك من قبائل هذيل النهب لمن لحق في أعقابه بوادي نعمان[2]، وكان من جملة اللاحقين النافرين بعد تمام الحج إلى عصبة من حجاج اليمن، فانتهبتهم قبائل هذيل وخلسوهم حوائجهم وقتل منهم جماعة، لم يسلم ما عليه من ثيابهم. وكان زيد بن محسن[3] لا يرضى ساعة الدخول بأمير حاج من اليمن[٢٢/ أ] إلا أن الإمام أرضاه بما يدفع إليه من الهدية صحبة الحاج اليماني من المال، فسكت عند هذا وتغاضى، وأجاز الداخل مع كراهته في الباطن توقياً من ظهوره عند السلطان وما يخشاه منه إذا تحقق أمره وبان، غير أنه ما زال مع ذلك يكاتب السلطان، ويدفع عنه جميع الأوهام ويدري كل ما ظنه في جميع الأزمان.

وكان بينه وبين باشا مصر مصافاة كاملة، وأحوال صالحة، فكان عوناً للشريف زيد في مقاصده وسد خلله، وكان الشريف زيد عاقلاً قد بلغ عمره إلى عشر السبعين. ولقد حكى بعض من كان يخالط الأمير المصري رضوان تلك الأيام، وكان رضوان هذا كبير السن أيضاً، فقال الأمير رضوان لذلك الرجل: ما سبب هذا العسكر من صاحب اليمن؟ فإن هذا البيت من دخله كان آمناً فلا يحتاج إلى مثل ذلك، ولا يخشى يُصد عن الدخول ولا شيء من المهالك، فأجاب الرجل بأن قال: ليس هذا لأجل دخول مكة وحجها، ولا لشئ من أمرها، فإن الأمر كما ذكرتم، وإليه أشرتم[٢٢/ ب]، وإنما ذلك لأجل حفظ الحاج في الطريق من الحرامية ومن يريد الأذية، فسكت الأمير. وكان

---

(١) البوايش: أي الباشوات، جمع باشا.

(٢) وادي نعمان: وادٍ بين مكة والطائف. (ابن الوزير: طبق الحلوى، هامش ص ٢٨٢).

(٣) زيد بن محسن: هو الشريف زيد بن محسن بن حسن بن أبي نمي (١٠١٦-١٠٧٧هـ/ ١٦٠٧-١٦٦٦م. ولي مكة سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م، وتوالت في أيامه عدة فتن، خاصة في إقليم نجد، حاول قمعها بالشدة، استمر إلى أن توفي بمكة. (يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، تحقيق: الباحثة، ق٢٤٥ب-٢٤٦أ؛ أحمد زيني دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، ص٩٤-٩٧).

الشريف زيد يداري الأمراء، فطفي ذلك في وقته الخلل وصفى بعد ذلك السبب الأصلي، سبب آخر وهو ما جرى من قضية حمود في الصفراء(1) عقب موت زيد بن محسن من تلك الفعلة التي تقدم ذكرها وشرحها(2). وكان قبلها ما جرى بين سلطان البصرة حسين وبين باشا الحسا عيسى بن علي باشا من الإختلاف، كما سبق ذكره(3)، وما رفعه الباشا عيسى من العروضات(4) والشكوى بعد هربه إلى مكة أيام زيد بن محسن، فكان هذا أول أسباب انقلاب نظر السلطان محمد بن إبراهيم بن عثمان إلى الجهات الجنوبية والجهات الحجازية المكية، فأزال الباشا حسين صاحب البصرة، كما سبق ذكره، ثم لما كان قصة حمود في الصفراء كما سبق ذكره فأرسل الباشا حسن إلى مكة، وهو من جملة من كان بمالطة [23/ أ]، فكان من أمره ما كان، وكان السبب الثالث: هو ما وقع معه من تلك القضية المتوجبة لهذه الأحوال المتغيرة لأشراف مكة السابقين، وإزالة دولة سعد عنها وتحويلها إلى من ذكرنا فيها. ولله الأمر من قبل ومن بعد، وما قد علم الله وسبق كان.

ولما وصلت هذه الأخبار المكية، والحركات الرومية، وبلغت البلاد الحجازية إلى الإمام وأولاده، وكانوا في غفلة عظيمة، وذهول عن شيئ من هذه الحوادث التي لا تخفى على أهل الفِكَر السليمة، فانتبهوا عند ذلك من الغفلة، وظهر معهم كواذب تلك الآمال المتقدمة، بعد أن كان قبل ذلك إذا قيل لهم الأروام لا ينبغي تحريك جهات السلطان، أجابوا بأنهم قد ركوا وضعفوا وليسوا الآن كما كانوا. وهكذا أجاب به الإمام عليَّ لما نصحته نصيحة هي في التحقيق عامة لصلاح الإسلام وقلت له: الأولى

---

(1) الصفراء: وادٍ ذو قرى كثيرة، منها بدر، مقر إمارة تلك الجهة بمنطقة المدينة. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ج1، ص698).

(2) يقصد بذلك أنه قد سبق أن ذكرها في الجزء الأول من كتاب (بهجة الزمن) ق 230أ-230ب.

(3) سبق ذكر هذه الأحداث بالتفصيل في الجزء الأول من الكتاب ق 218ب-220ب.

(4) العروضات: تعني الشكاوى.

طي الأسباب الفاتحة لأطراف بلاد السلطان، فلما كان الأمر كذلك حارت بهم الأفكار، وتبلدت[٢٣/ ب] القرائح والأنظار حتى أن الإمام كتب إلى أحمد بن الحسن وولده محمد يطلب شورهم وما يكون من أمرهم، فأجابوا عليه أن التغافل أولى، والسكون والتسكين أحرى، وغاية الأمر أن يسكن فرحان بعد عوده من الحج بأبي عريش، فأصابوا من الرأي بعضه بعد من وطاهم أوله[١]. ولما وصل فرحان إلى أبي عريش سار الذين معه من الحجاج بيوتهم، ولم يبق معه إلا جماعة قليلة فتقدم، فلما وصل فرحان إلى حضرة الإمام من طريق تهامة وطلع من بيت الفقيه إلى ضوران هدأت الأمور يومئذٍ، ووصل خبر تحقيق الحج بمكة، فأخبروا أن الحج تم للناس، والبيع والشراء والأمان أحسن مما كان؛ لأجل ضبط العساكر.

ووصل ثاني عشر شهر محرم أول بني عَضِيَّة[٢] من حجاج الجبال، وأخبروا بما حدث معهم بوادي نعمان من الإنتهاب، واستقرار سعد بالطائف، وأن المحامل عادت، وعاد الوزير حسين مع الشامي[٢٤/ أ] ومهد الحجاز وشد الوطأة على عَنَزة[٣] ولام[٤] ممن ظهر منه الفساد في الإنتهاب للشامي من العام الماضي، ووصل عقب ذلك الزوار فأخبروا بقوة الأمان في المدينة المشرفة والحجاز وما بين مكة والمدينة في الغاية وزال الخوف الذي كان فيما مضى، وصلحت الأحوال بعدما قد جرى، وأن المحق والتغيير إنما هو فيما وراء مكة وخلفها إلى جهة اليمن، فالبلاد متغيرة، والقبائل عاصية مخوفة، هذا ما تقرر الخبر. وذكروا أيضاً أن حال مرورهم، والذين بقي بمكة من

(١) لم تتضح لأنه مشطوب عليها في الأصل.

(٢) عَضيَّة: جبل وواد في خولان العالية بمشارق صنعاء، يقع ما بين جبل الطيال وجبل اللوز). (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٠٧٩).

(٣) عَنَزة: قبيلة عربية ضخمة في شمال ووسط الجزيرة العربية، المقر الأصلي لقبيلة عَنَزة شمالي المدينة المنورة. (ج.ج لوريمر: دليل الخليج، القسم الجغرافي، ج١، ص١١١-١١٢).

(٤) لام: قبيلة تُنسب إلى لام بن عمرو، وهي بطن من جديلة، كانت مساكنهم المدينة المنورة وما حولها، وجبل آجا وسلمى. (عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، ج٣، ص١٠٠٧).

عينات العساكر العثمانية السلطانية في نية التقدم إلى قصد سعد لمناجزة أمره، وأن سعداً يبلغهم[٢٤/ ب] أنه يريد الخروج من الطائف متوجهاً إلى بلاد بجيلة [١] والله أعلم. وسألوا عن حسن باشا، فاختلفت الأخبار، منهم من يقول: أنه كان قد مات بالمدينة في شهر شعبان من السنة الماضية، ومنهم من يقول: أنه عاد إلى حضرة السلطان، والله أعلم بحقيقة ذلك.

وفي شهر محرم وصل واصل من التجار إلى مدينة صنعاء من طريق البحر الشرقي إلى بندر عدن وأخبر أنه كان في العام الماضي بمحروس مدينة حلب بالشام، وجاء الخبر إلى هناك بواقعة مكة، وما جرى فيها من تلك الفعلة، قال: فأخبر الناس هنالك أن حسن باشا قُتل، مثل الخبر الأول الذي جاء إلى اليمن سواء.

قال: وشاع بمدينة حلب أن مكة استولى عليها إمام اليمن، وتعاضد هو والشريف سعد بن زيد وأذن فيها بحيَّ على خير العمل. ثم وصلت الكتب من حسن باشا عقب ذلك بالتحقيق من المدينة المنورة بعد استقرار حسن باشا بها، وكتب بكتاب إلى باشا حلب وآخر إلى السلطان، فكان ما جهزه السلطان.

وفيها انتهبت سِحار [٢] وآل عَمّار [٣] قافلة كانت خارجة من صعدة فيها دراهم كثيرة؛ لأجل الموسم مصدَّره إلى المخا وصنعاء، وسببه أن صاحب صعدة [٤] كان هذه الأيام عند المتوكل بضوران، وكان في صحبته عنده شيخ البلاد، لم يقض له غرضه وطال عليه المقام، فسار بغير زلاج، وفعل هذا عند وصوله قيل: ولعل صاحب صعدة سعى به فيه.

---

(١) بجيلة: يقول يحيى بن الحسين: هذه البلاد بين الطائف وبين بلاد بيشة، وهي من القبائل اليمنية التي سكنت إقليم السراة جنوب مكة، وإلى الشمال الغربي من نجران. (النص،ج٢، ق٢٧ب؛ الموسوعة اليمنية، ج١، ص١٤٨).

(٢) سِحار: من قبائل خولان بن الحاف بن قضاعة في صعدة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢،ج٣، ص٤١٦).

(٣) آل عَمّار: بطن من قبيلة دهمة ابن شاكر من بكيل، يسكنون مديرية الصفراء بجنوب صعدة. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١١١٥).

(٤) صاحب صعدة: المقصود به واليها علي بن أحمد بن الإمام القاسم.

وفيها عزل أحمد بن الحسن فرحان عن ولاية بندر عدن وولّى غيره[٢٥/ أ].

ولما سار علي إلى صعدة سعى في رد البعض مما أخذوه وما استولوا عليه وما حفظوه، فرد البعض وراح البعض، ثم ما زال عقب ذلك التخطف خارج صعدة للغادي والرايح، وكف أكثر التجار عن الإرسال بالمال، خشية من نهب القبائل وعدم الاحتفال.

وأحمد بن المؤيد(١) صاحب عيان أرسل مع بعض القوافل جماعة من عسكره إلى باب صعدة.

ووصل الخبر أن صاحب الشحر أمير الدين العلفي(٢) لا ينفذ له أمر في غير البندر، فصالح القبائل وسكن.

وفيها مات الشيخ المسمى شلوبع -بالشين المعجمة ثم باء موحدة- كان المذكور بمدينة صنعاء اليمن مجذوباً مخلوعاً(٣)، له رواتب يرتب بها من الأسماء لله الحسنى، يدعو بها في كثير من أوقاته وصلواته ويلحن(٤) فيها لأنه رجل عامي، قيل: أصابه الجذب بسبب الأسماء، وكان يبيت بالليل في سمسرة(٥) وهب التي خارج باب

---

(١) أحمد بن المؤيد: هو أحمد بن محمد بن القاسم بن محمد، الرابع من أولاد الإمام المؤيد بالله. كان جواداً كريماً متفقهاً، له عند القبائل من حاشد وبكيل كلمة مسموعة مجابة، وكان عاملاً على وادعة والعصيمات، والشرف الأعلى مدة آخر أيام الإمام المتوكل، ثم أخره المهدي أياماً، وأخره محمد بن المتوكل، ناصر أخاه القاسم بن المؤيد حين دعا لنفسه بالإمامة معارضاً للمهدي أحمد بن الحسن.

توفي سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٧م. (ابن عامر: بغية المريد، مخوط، ق١٦٨-١٦٩).

(٢) أمير الدين العلفي: هو أمير الدين بن أحمد العلفي، نسبة إلى عُلُفة، قرية من خارف، إحدى بطون حاشد، ولاّه الإمام المتوكل على عدن والشحر، وفي عام ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م أرسله الإمام المهدي أحمد بن الحسن إلى تهامة، فلما وصل إلى صبيا توفي بها في التاريخ المذكور. (أبو طالب: طيب أهل الكساء، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص٦٣).

(٣) سبق شرحها.

(٤) يلحن: اللَّحْن: ترك الصواب في القراءة والنشيد ونحو ذلك، وألحن في كلامه، أي: أخطأ. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٣٥٢-٣٥٣).

(٥) سبق شرح السمسرة.

اليمن[1]، ويستأجر واحداً من الذي في السمسرة بربطه وحراسته حال نومه، لئلا يخرج شارداً من الذي يعتريه من الجذب منها، ويدخل النهار المدينة يطلب الصدقة في الأسواق، ويصلي في بعض الحالات بجامعها. وكان قد شاخ وكبر وضعف. ولباسه[٢٥/ ب] قميص من ثوب خشن، وعمامته خِرَق[2] وخيوط، وقد يستحد لسانه ويشتم من عانده بالكلام الفاحش، نسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة.

وفي ربيع الأول من هذه السنة لما بلغ دُهمه من برط فعل آل عمار من الإنتهاب بباب صعدة جزاهم على فعل مثل فعلهم، فخرج جماعة منهم إلى رأس المصراخ وسط برط ونوروا[3] للسيد محمد بن علي الذي عندهم، والسيد فرح بذلك؛ لأن الدعوة مضمرة في خاطره إن أمكن، ولما اعترضه في ذلك من اعترض قال: مذهبه صحة إمامين في وقت واحد، وقد سبقه إلى ذلك السيد محمد بن علي الحيداني[4] كما تقدم ذكره فلا قوة إلا بالله. مع أن السيد محمد المذكور قد أنشأ في هذه الأيام قصيدة باعتقاده إمامة الإمام، وعدم الخروج على الإسلام. وكان سبب هذا أن الإمام كتب إلى برط أن يسلموا زكاتهم إلى ابن أخيه أحمد بن المؤيد إلى عيان، وأن من له تقرير من القضاة كان من عنده، فلم يساعدوا في ذلك الأمر وقبضوها القضاة، وفي خلال ذلك غزاهم قبائل وايلة[5]، فقتلوا من برط اثنين وانتهبوا عليهم مواشيهم مرتين، وغزا برط طريق

---

(١) باب اليمن: احد أبواب صنعاء الأربعة التي يحتويها السور، وينفذ منه إلى الجهة الجنوبية، ما زال قائماً، ويعتبر من المعالم الحضارية في صنعاء.

(٢) الخِرَق: جمع خِرْقَة: وهي القطع الصغيرة من أنواع مختلفة من الأقمشة.

(٣) نوروا: أي أشعلوا النيران تأييداً لمحمد بن علي الغرباني، ويقال: نَصَّروا.

(٤) السيد محمد بن علي الحيداني: كان قد دعا إلى نفسه بالإمامة في عهد الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، ثم توقف عن ذلك، وفي مدة الإمام المتوكل إسماعيل أعاد الدعاء إلى نفسه مرة أخرى، توفي سنة ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م. (النص، ج١، ق١٦٣ب).

(٥) وايلة: بناحية همدان، وهي بلاد وايلة بن شاكر مركزها محل كتاف. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٧١٣).

العمشية، استعاضة لما راح عليهم من هذه الطائفة اليامية[1]، فنهبوا منها وعادوا إلى بلادهم، وكل هذا من أصحاب صلاح بن كول[2] شماليها، والقضاة وقبائلها[٢٦/ أ] قالوا هذا لا يصلح ومخالف لما جرى من الزمان الماضي، وما مر من وقت الإمام القاسم إلى هذا الوقت الآتي ومعهم خطوط[3] بذلك من جميع الأئمة، ولا ينبغي منه أن يفعل معهم هذه الملمة، ويدخلهم في جملة العشاير ولهم حرية ومزية، مع أنها بلاد حقيرة ما كان ينبغي من الإمام المناقشة في واجباتها، فقد ذكر لي بعض قضاتها أن في بعض السنين جملة ما يحصل منها قدر ما يقوم بكيلة القضاة فيها. وفي بعض السنين حصل منها قدر مائتين زبدي[4] زكاة، وللقضاة مع تفرقهم هذا القدر. ثم إن كبار أهل برط وعقالهم نهوا صغارهم عن أفعالهم، والسيد محمد الغرباني قال: لا يصلح في هذا الوقت خروج، ولا محق على المسلمين فسكن أمرهم.

وفي هذه الأيام غزا آل حبيب[5] من بلاد الحقار قرب خبت البقر[6] مساقط جبال الحشر غربي بلاد فَيْفَا[7] وإلى محل الغازي لهم الشريف ابن باز، ولاه سعد شريف مكة، فتسرعوا في نهب مواشيهم وساقوها، فصاحوا إلى بلادهم واجتمعت القبائل ولحقوا

---

(١) الطائفة اليامية: يقصد بها قبيلة يام، كانت تسكن جبل يام، ما بين بلاد نهم والجوف، وهو جبل واسع، انتقلت هذه القبيلة إلى نجران، وهي من ولد يام بن آصبا بن رافع بن مالك بن جشم بن حاشد. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٧٧٤؛ المقحفي: معجم البلدان، ص٧٥٤).

(٢) صلاح بن كول: فرع من قبيلة ذي محمد، وهم آل صلاح بن كول بن أحمد بن سويدان، وهم أيضاً ينقسمون إلى عدد من الفروع. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص١٠٩-١١٠).

(٣) خطوط: بمعنى أوامر خطيَّة.

(٤) زبدي: نوع من المكاييل، لم نعرف مقداره، ويذكر يحيى بن الحسين في الجزء الأول بأن المكوك ستة أزبود صعدي. (بهجة الزمن، ج١، ق ٣٦أ).

(٥) آل حبيب: تقع بلادهم شرقي بلاد صَبْيا. (يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ج١، تحقيق: الباحثة، ق٢٥١أ).

(٦) خبت البقر: من قرى العارضة بمنطقة جازان. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ج١، ص ٣٨٤).

(٧) فَيْفا: منطقة جبلية واسعة في عسير، تُنسب قبائلها إلى خولان بن عمرو في صعدة. (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص ١٣٤).

الشريف وأصحابه، فقتلوا منهم من قاتلهم ونهبوهم وحرقوا أكثر بلدهم[٢٦/ ب]، وسبب ذلك أن الشريف غزا إلى أطراف بلادهم وانتهب من مواشيهم، مع ركة أيدي الأشراف وتحول دولتهم الأولة إلى غيرهم.

وفي هذه الأيام وصل إلى الإمام شكاة من أطراف بلاد سنحان إلى ضوران، فأرسل الإمام على المشكيين جماعة عسكر ونفاعة[١]، فبلغ ولده محمد متولي صنعاء وسنحان، فأرسل على العسكر وطلبهم إلى حضرته، ثم نهبهم وأمر بحبسهم، فعجب من ذلك كثير من الناس ممن إطلع على ذلك واستغربه كثير لعظم أمر الإمام، وكون هذا لا يليق في حقه، ولو كان من غير ولده لكان خلافاً وبغياً وخروجاً، والإمام سكت عن ذلك وصفح، فلا قوة إلا بالله. والسبب حدة طبع المذكور فيعتريه عند بادرة الأمر حدة مزاج وانحراف، ثم يفيق بعد ذلك إلى المعقول، ولعله الإدلال، والله يصلح الأحوال.

وفي هذه الأيام بشهر ربيع الأول وصل من جبل صبر[٢] بعض مشائخها يشكون من واليهم الشيخ راجح الآنسي، ويذكرون للإمام إزالته عنهم وتولية غيره عليهم، فلم يساعدهم إلى ما طلبوه، ولم يسعفهم فيما قصدوه. ثم إن أهل جبل صبر والحِجَرِّية[٣] عند ذلك منعت[٢٧/ أ] المطالب وقالت: لا نسلم إلى الشيخ راجح شيئاً من المعتاد، حتى يولي علينا غيره وينقاد، وحصل بينهم وبين أصحاب راجح ما حصل، وقتلوا ثلاثة من العسكر، وامتنعوا من التسليم إليهم عن كمل، وأرسلوا بما عليهم إلى حضرة الإمام، ووصل إليه جماعات من المشائخ لأجل ذلك الإلمام، وحذف

---

(١) نفاعة: النفاعة والنفعية والمنفعة: اسم ما انْتُفع به. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٦٩٣) ولعل المؤرخ يقصد الأجرة التي يدفعها الأهالي للعسكر لينتفعوا بها.

(٢) جبل صَبِر: جبل مشهور، تقع في سفح منحدره الشمالي مدينة تعز. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨٩٤).

(٣) الحِجَرية: وطن كبير جنوب مدينة تعز، كان يعرف قديماً (المعافر)، ومركز بلاد الحجرية اليوم هي مدينة (التربة) من ذبحان، يتبعها عدد من الوحدات الإدارية. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٤٢٢).

المؤذن بمدينة تَعِز[1] (حي على خير العمل)من الأذان، كما هو مذهب أهل الشافعية وسائر أهل السنة في جميع الأزمان. وشكى قبائلهم محمد بن أحمد بن الحسن، وأرسل الإمام عليهم السيد صالح عقبات بجماعة عسكر بأدب[2] لأجل ذلك الأمر، وعمر محمد بن أحمد المَنْصُورة[3] رأس جبل الحجرية، وجرى فيها المدفع، فبذلك حصل منهم الردع.

وفي شهر ربيع الآخر توفي السيد الأكرم الأعظم محمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم بن جحاف، متولي بلاد حجة بمعرة حصن مَبْيَن[4]، وهو معتاد محل واليها، وخير مربع فيها. وكان السيد المذكور قد زاد في قصر مبين أبنية وسيعة، وقصوراً رفيعة في مدته، وجعل الإمام بعده في الولاية صنوه جمال الدين علي بن الحسين[5].

وفي هذه الأيام وصلت كتب من مكة يذكرون خروج بركات[6]، ومعه أمير العراقي[٢٧/ ب] ومن معه من العينات إلى محروس المبعوث[7]، فلما شعر به سعد بن زيد وهو يومئذٍ في الطائف المبعوث[8] خرج عنه وسار إلى بلاد بجيلة، واستقر بها مع

---

(١) تَعِز: مدينة واسعة تحت جبل صبر، جنوب صنعاء، وهي مركز اللواء. (زبارة: أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة، ص٧٩).

(٢) جمعها آداب: وتعني الغرامات المالية، حيث كان الولاة والحكام يفرضونها على القبائل لمعاقبتها إذا صدر منها أي عصيان لأوامر الدولة أو تمرد.

(٣) المَنْصُورة: قرية في أعلى قمة جبل الصُلْو، محافظة تعز. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٥٦).

(٤) مَبْيَن: بلدة في الجبر، شمال غرب مدينة حجة بمسافة ١٠كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٣٩٦).

(٥) علي بن الحسين: هو علي بن الحسين بن إبراهيم جحاف، ترجم له المؤرخ عند وفاته. (النص، ج٢، ق٥٨أ).

(٦) بركات: هو الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي. تولى الشرافة بمكة في ذي الحجة ١٠٨٢هـ/ إبريل ١٦٧٢م بأمر من السلطان العثماني محمد بن إبراهيم بعد الخلاف الذي حدث بين الوالي العثماني والشريف سعد بن زيد السابق ذكره. (إبراهيم محمد الصبحي: بلاد الحجاز في القرن السابع عشر، رسالة ماجستير، ص٤١-٤٢).

(٧) المبعوث: من قرى آل عبيد من سفيان من ثقيف، بمنطقة الشَّفا في إمارة الطائف؟. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ج٢، ص١٠٨٢).

(٨) المبعوث: من الموارد لمختلف القبائل في منطقة الطائف، بقرب ركبة، وهو غير الذي قبله. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ج٢، ص١٠٨٢).

نفس وجيلة. وهذه البلاد بين الطائف وبين بلاد بيشة [1]. وسارت هذه البلاد متغيرة أحوالها، خائفة رجالها، والله أعلم بمنتهى حالها. ووصل كتاب الشريف سعد بن زيد إلى الإمام يستحث منه الغارة، فبنى الإمام على الإجابة، وكتب إلى أحمد بن الحسن بالوصول إليه للمفاوضة، وكذلك إلى ولده محمد، ومحمد بن أحمد فساروا إلى هنالك.

وفي يوم السبت خامس شهر ربيع الثاني سار أحمد بن الحسن من الغراس، فبات بداره بصنعاء على خفى من الناس، ثم سار إلى ضوران بطلاب وصل إليه من الإمام فيه استعجال له وعدم توان، فوصل إلى ضوران في اليوم الثالث، والموجب لهذا الطلاب من الإمام مفاوضة لا تقوم بها الأقلام[٢٨/ أ]، وكان سبب هذا التحرك من المتوكل بعد رجوع فرحان ما زاد حركة من مثل قصيدة إبراهيم بن صالح المهتدي الهندي [2] بعث بها إلى حضرة المتوكل مستهلها قوله:

أظلما عن البيت الحرام نذادُ

على مثلها الخيل العتاق تقادُ

تدافعت البيدا موامى [3] بقومكم

تدافع ذل في ظماه ضمادُ

وردوا حيارى خائبين بصفقةٍ

ينال بها ريح الردى ويقادُ

(١) بيشة: وادٍ في عسير، يسيل في ناحية نجد شرقاً. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص١٣٣).

(٢) إبراهيم بن صالح المهتدي الهندي، البليغ الفصيح، ذو الشعر الجزل، كان والده قبل إسلامه من البانيان، فأسلم على يد أحد أولاد الإمام، له ديوان شعر، مدح أئمة عصره. توفي حوالي سنة ١١٠١هـ/ ١٦٩٠م. (الحوثي: نفحات العنبر، مخطوط، ق٤٨).

(٣) موامي: جمع موماة، وقد تجمع موام: وهي المفازة الواسعة الملساء، وقيل: هي الفلاة التي لا ماء بها ولا أنيس. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٥٥٠).

قـــد شـــارفوا أرجـــاء مكـــة واثنـــوا

بفـــاقرة[1] تفـــري الأديـــم وعـــادوا

حتى قال فيها:

وخيـــل صـــفي الـــدين تمـــضي بهمـــة

بأشراكهـــا نـــسر الـــسماء تـــصاد[2]

ولو حقق النظر العاقل لم يكن الظلم إلا في قتل الباشا حسن في حرم الله، الذي جعله الله آمناً، وأما رد حاج اليمن فلم يحصل منهم، بل باختيارهم، مع أن كثيراً منهم حج ولم يصدهم أحد، وإنما كان خروج عسكر السلطنة لأجل سعد بن الشريف زيد للإنتقام منه في ما وقع في بلده.

وقصيدة أخرى بعث بها علي بن المتوكل إلى والده يقول في مستهلها:

لعمـــرك لـــيس يُـــدرك بـــالتواني

ولا بـــالعجز غايـــات الأمـــاني

إلى آخرها.

نعم: ولما وصل أحمد بن الحسن إلى حضرة عمه فحال وصوله أفاض عليه وعلى ولده محمد صاحب صنعاء لما وصل صحبته ما في نفسه، وما اهتم به في أمنيته، وقال لهم: أمر مكة صرت مفكراً فيه، مشغولاً ببادیه وخافيه، والمراد أنكم ترحلون إليها[٢٨/ ب] وتأمون نحوها وتناصرون سعد بن زيد بمن معكم من العساكر،

---

(١) بفاقرة: الفاقِرة: الداهية الكاسرة للفِقَار، ويقال: فقرته الفاقرة، أي كسرت فقار ظهره. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص١١١٧).

(٢) وردت القصيدة كاملة لدى زبارة: نشر العرف، ص ٣٢-٣٤.

ونضيف إليكم سائر الأتباع ومن قدرنا لحمله من العشائر، فأوجم الحاضرون عن الجواب، وثقل عليهم هذا التحمل والخطاب، لما يعلم العاقل بأن القصد لبلاد السلطان ابن عثمان، خصوصاً الحرمين الشريفين، الفتح للأمر العظيم والقتال الجسيم. وأن صاحب اليمن وغيره لا يقدرون على مقاتلته، وإن أمكن الدخول مكة بجرده[1] فلا يقدرون من بعد على دفعه، لقوة عساكر السلطنة، وأن صاحب اليمن لا ينبغي له إلا الموادعة والإقتصار على اليمن لا غيره. وأجمع الحاضرون أن الرأي السكوت، وأما الحاج ودخوله واستمراره فيراجع صاحب مكة في شأنه. وهذا التحمل من المتوكل وإظهاره من أعجب العجب في التطور لأمثاله، ففي الحديث الذي رواه الديلمي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا أراد الله نفاذ قضائه وقدره يسلب ذوي العقول عقولهم ووقعت الندامة»[2] انتهى الحديث، ولله قول الشاعر:

وكم قضايا علي غير الصواب مضت

حكماً ولله في تنفيذها حكم

ثم لما رأى المتوكل بعض الحاضرين على غروره جاؤا بشيء مما فيه تعجيزه، فقال له: إذا قد بنيت على هذا الأمر المحال، فاشتري أولاً قدر ثلاثة آلاف من الجمال، واجمع ثمنها من الخزانة لتحمل الأثقال، فجاء وثمن مجرد الجمال بكثير من المال، فحار فكره، وتهون بعض عزمه.

ووصل كتاب محمد شاوش يذكر فيه للمتوكل أنه بلغه رجوع بعض الحاج اليماني، وأنه ليس برضاء منه، ولكنه ربما الخوف من الباشا حسين، وأن سعد بن زيد إذا أراد الوصول إليكم فلا تساعدونه إلى ذلك.

---

(١) بجرده: هكذا وردت، لم يتضح معناها.

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أنس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما. (إسماعيل العجلوني: كشف الخفاء، ج١، ص٧٩).

وفي شهر جمادى الأولى مات السيد إبراهيم بن محمد المؤيدي ببلدة العشة، خارج صعدة، وهو الذي كان ادَّعى الإمامة، وعارض المتوكل كما سبق ذكره، وإنما ترك ذلك للقهر له والغلبة[٢٩/ أ]. والدنيا أحوالها غرور، وأفعالها زور. وللمذكور (شرح لهداية ابن الوزير)[١] جمع فيه حواشي المصنف والحق من (شرح الأزهار) ما هو من تحصيل الحاصل والنقل للحاضر. وله رسائل كثيرة في الطعن على الإمام في السيرة، والإعتراض عليه كما هو عادة أهل الزمان، وأهل اليمن في جميع الأحيان، فأجاب أكثرها الإمام، وغيره من العلماء تلك الأيام. وله في الأنساب كتاب (الروض الباسم في نسب آل القاسم)، كما روى أبي القاسم الراسي[٢] ممن ينسب إليه من أولاده.

وفي هذا العام تخمر[٣] البَزْ[٤] على أهل الهند بالمخا وعدن، فنفق بعضه وبقى بعضه، فوكل أهل الهند لبيعه وساروا، وبعضهم بقي عنده إلى الموسم الآتي ليبيعه.

وفي هذه الأيام وصل محمد عامر من الحبشة إلى ساحل المخا مطروداً، لما وصل عمر باشا إلى سواكن. وكان جرى من محمد عامر هذا المخالفة وهزم عساكر السلطان، وأخرج الباشا مصطفى الأول من سواكن، وأراد التغلب وبقى محمد عامر متردداً في ساحل المخا، لم يدخله، بل عرج عنه في البحر لا يدري أين استقر.

---

(١) ابن الوزير: هو محمد بن إبراهيم الوزير (٧٧٥-٨٤٠هـ/ ١٣٧٣-١٤٣٦م).

(٢) أبو القاسم الراسي: كذا وردت، والأصح الرَّسِّي: وهو الإمام المرتضى لدين الله أبو القاسم محمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، دعا إلى نفسه بعد وفاة أبيه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، ثم بايع أخاه الإمام الناصر أحمد بن يحيى بن الحسين، واعتزل عن الإمامة. له مؤلفات كثيرة منها: (كتاب الأصول في التوحيد والعدل) و(الإيضاح في الفقه) وغيرها. توفي سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م، وله من العمر اثنتان وثلاثون سنة. (مجدالدين بن محمد المؤيدي: التحف شرح الزلف، ص ١٩٠-١٩١).

(٣) تخمر: بمعنى كثر وزاد، فقد ورد اللفظ عند ابن منظور، خمر الناس: جماعتهم وكثرتهم. وهنا من سياق المعنى تعني كثرة الأقمشة، لأنه لم يباع منها إلا القليل. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٩٠٠).

(٤) البَز: جمعها بِزُوز، وهي الأقمشة بمختلف أنواعها.

وفي هذه الأيام بالشهر المذكور في الخريف وقع مطر جود[1] بجبل أَرْتِلْ[2] وبيت بَوْس[3] جنوبي صنعاء، فنزل سيله جارٍ ذيله بوادي المدينة، فاتصل بغيل خندقها الذي أحدثه الإمام في المدة السابق تاريخها فدفنه، وخربه من أعلاه إلى أسفله، وهذه المرة الثالثة بخرابه، وكذلك معه غيل العلفي المستخرج بالسد، وغيل الحسين بن المؤيد بالله في السد أيضاً. وسلم غيل الجراف[4]، وغيل جمال الدين علي بن المؤيد بالله[5]، وهو أحسن الغيول، لا تضره السيول لتجنبه وميلانه من مجرى[٢٩/ ب] الوادي.

وفي هذه الأيام أمطار الخريف كانت قليلة، وفي أماكن يسيرة، فبلغ السعر للحنطة إلى ثلاثة أحرف، والذرة مائة بقشة، والشعير إلى حرفين. ونجع[6] أهل المشرق مثل خَوْلان صنعاء[7] وسَنْحَان وبلاد نِهْم وجميع المشارق إلى بلاد المغارب وإلى اليمن الأسفل[8] والتهايم، ونضبت الأنهار في بلاد سنحان والآبار، وكذلك في أودية

---

(١) مطر جَوْد: يقال جاد المطر جَوْداً، وبل فهو جائد، والجمع جَوْد، ومطر جَوْد: بيِّن الجَوْد غزير: وهو المطر الواسع الغزير. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٥٢٩).

(٢) أرْتِلْ: قرية في الجنوب الغربي من مدينة صنعاء، في السفح الشرقي لجبل عيبان، جوار قرية بيت بوس. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٥٠).

(٣) بيت بَوْس: قرية في الأطراف الغربية لمدينة صنعاء بأسفل جبل عيبان. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٢٠٤).

(٤) الجراف: كانت بلدة عامرة من ناحية بني الحارث، تقع إلى الشمال الغربي من صنعاء على بعد ٥كم منها. أما الآن فقد أصبحت من أحياء مدينة صنعاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص ١٨٢).

(٥) علي بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، ولد سنة ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م، وتوفي سنة ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٧م. مدحه يحيى بن الحسين بقوله: كان صاحب تواضع للصغير والكبير، وكان زاهداً كثير النوادر، وكان في مدة والده متولياً لصنعاء وما حولها، وفي عهد عمه الإمام المتوكل استمر على ولاية صنعاء، حيث استمر في ولايتها أربعين عاماً. (النص، ج١، ق٢٤٠ب-٢٤٢ب).

(٦) نجع: النُّجْعة عند العرب: المذهب في طلب الكلأ في موضعه، وفي المثل: من أجدب انتجع. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٥٨٧).

(٧) خَوْلان صنعاء: من القبائل اليمنية الكبرى، ويقال: (خولان العالية) وخولان الطيال، تقع في الجهة الشرقية من صنعاء. (الحجري: مجوع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص٣١٣؛ الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص٨٨).

(٨) نطلق كلمة (اليمن الأسفل) على الجهات الجنوبية من اليمن، واليمن الأعلى على الجهات الشمالية منه.

المشارق وبعض أودية المغارب بحيث يبس بعض الأبنان[1]، لانقطاع الغيول عن الجريان، وظهرت الركة لكثير من الناس، لتلاحق القحط والجوع الذي جرى في سنة تسع وسبعين[2]، فلم يكن معهم بعد أساس، حتى أنه بلغ شبكة التبن[3] سبعة حروف،ووزن رطل التتن[4]، فإذا هو بخمسة كبار، وهذا شيء لم يعهد، ولولا اليمن الأسفل ما زال يرحل منه الطعام إلى صنعاء لبلغ السعر عشرة حروف. والتهايم هذه السنة صالحة وإنما الغلا في الجبال فقط، ولله في كل أفعاله حكمة، والله لطيف بعباده. وما زال الغلا وقلة الأمطار من سنة سبع وسبعين وألف يتردد، ولا يعلم إتفاق مثل ذلك، بل قد يحصل في سنة أو سنتين أو ثلاث.

وفي العشر الآخرة من جمادى الأولى هرب جماعة من أصحاب سعد بن زيد بعد وصوله هو وهم إلى بيشة قدر أربعين نفراً، ومنهم الأغا شعبان تركي، فوصلوا إلى صنعاء، ثم إلى حضرة الإمام، وقد سُلب أكثرهم السلاح، والحوائج قد راح،وذكروا أنهم تفادوا أرواحهم ببذله للقبائل في طريقهم بالقُوْت[5]، حتى خرجوا إلى صعدة على هذه الحالة[٣٠/ أ].

ووصل الخبر في هذا التاريخ بوصول محمد حبشي إلى جدة، ودخل مكة. وكان خروجه من مصر بحراً في عينة من العسكر قدر ثلاث مائة فأكثر، ومعه جوامك العسكر، ودخل مكة واستقر، ولما استقر رِكَاب محمد شاوش بالطائف جمع مشائخ هذيل وغيرهم وحبسهم واسترهبهم فيما اختل من التخطف حول الحرم

(١) الأبنان: المقصود أشجار ثمار البن.

(٢) ذكر المؤرخ القحط والجفاف الذي حدث في سنة ١٠٧٩هـ وما ترتب عليه في الجزء الأول من كتابه هذا.

(٣) التبن: عصيفة الزرع من البرِّ ونحوه، وهو علف الدواب. (ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٣١١).

(٤) التتن: هو التبغ، شجرة أمريكية الأصل، ويذكر يحيى بن الحسين في كتابه (أنباء الزمن) أن شجرة التتن ظهرت في اليمن سنة ١٠١٣هـ/ ١٦٠٤م. (يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، مخطوط، ق٣٦١).

(٥) القُوْت: ما كانوا يحملونه معهم من طعام.

الشريف منهم.

وفي هذه الأيام مما يعتبر به الأنام، أنه وصل شامي إلى صنعاء ببغل[1] سعد والخطام[2]، مع غيره مما بذله من خيل الشام، وقال: أنه شراه من سعد بحب وقشر[3] بأرخص الأثمان.

نعم: وفي هذه الأيام قبض محمد بن الإمام مُخَلَّف[4] سعيد بن ريحان، لما استكثر ما خلفه من النقود والذهب من مدة ولايته لبندر المخا تلك الأيام، وترك لورثته اليسير، وقيل: أنه أوصى بوصية وعيَّن لبيت المال ما عين. وكان حال ولايته وهو مملوك لشرف الإسلام الحسن بن الإمام، ثم أن المذكور كاتب نفسه، واعتقه أسياده.

وفي جمادى الآخرة مات الشريف علي بن حفظ الدين بسحلة اللاعي[5] بضوران. وكذلك مات الشريف محمد بن عبد الله الغبا بالروضة[6]، ودفن بخزيمة غربي صنعاء. وكان الأول: قد تولى بلاد حراز ثم عزل، والثاني: كان مع شرف الإسلام الحسن عمدة، وفي كثير من أموره عليه فيها عهده، وكان قد ولاَّه شرف الإسلام الحسن بلاد اليمانية من سنحان، فبقى في ولايته مدة من الزمان، ثم لما ولي الأمر الإمام إسماعيل، وصارت بلاده لأحمد بن الحسن زال نظره عنها، ولم[٣٠/ ب] يبق له أمر ولا نهي فيها.

وفي شهر رجب منها عاد محمد شاوش بعساكره من جبل الطائف، ونزل إلى مكة

---

(١) البغل: الحيوان السَّحّاج الذي يُركب، والأنثى بغلة، والجمع بغال. (ابن منظور: لسان العرب، مج١،ص٢٤٠).

(٢) الخِطام: جمعها خُطُم: وهو الحبل الذي يقاد به البعير. (ابن منظور: لسان العرب،مج١،ص٨٦٢).

(٣) القِشْر: قهوة مشهورة في اليمن، تصنع من القشرة الخارجية لثمرة البن.

(٤) مُخَلَّف: أي ما خلَّفه لورثته.

(٥) سحلة اللاعي: في جبل ضوران بآنس. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٧٧٤).

(٦) الرَوضَة: منتزه صنعاء في موسم الأعناب، تقع شمالها، على بعد٩كم. (الموسوعة اليمنية، ج١، ص٤٨٤).

بمن معه من الجنود والطوائف، وهو على مسافة يومين من مكة، وخلف فيه عينة من الرتبة، وجعل بالقنفذة أيضاً عينة قدر المائتين بنظر الشريف بركات. والشريف بركات استقر بمكة، ومحمد شاوش يختلف من مكة إلى جدة هذه المدة.

وفي هذا الشهر حصل حال التعشِّيرة(١) في مدينة صعدة رصاصة أصابت بيرق حسن بن الإمام(٢) فانكسر عوده، والرامي من أصحاب علي بن أحمد وجنده، فكادت تحصل فرقة بين العسكرين، ثم أنه حبس الرامي، وحصل في نفس السيدين ما حصل من هذا الأمر الجاري. وسيفان في غمد لا يصلحان، ولا يكاد في الغالب يتفقان(٣).
ولما استقر حسن بن الإمام بصعدة طلب مشائخ آل عمار وسحار، ومن أجل ما راح من القافلة على التجار، فاجابوا أن أكثر الفاعلين[٣١/ أ] قد هربوا وهذه بيوتهم وأموالهم بين أيديكم افعلوا فيها الذي تروا، فأمرهم بتسليم الأدب الذي فرض والده الإمام عليهم، فسلموه وأمر بخراب بيوت الذين هربوا. وقد كان قبض على سبعة نفر من الناهبين، وأمر بتعزيرهم في أسواق صعدة وضرب المرفع(٤) فوق رؤوسهم لأجل تلك النهبة، ثم لما خرج من صعدة -كما سيأتي تاريخه- أمر بضرب عنق ثلاثة منهم، وأرسل بباقيهم في الزناجير(٥) إلى حضرة والده لما جرى منهم وبسببهم. وأنكر بعض

(١) التعشِّيرة: عشَّر: أطلق القوم الرصاص دفعة واحدة ابتهاجاً أو قتالاً أو تحدياً على حسب المناسبة، ولعلها جاءت من كلمة جاء القوم عشار، عشرة عشرة على دفعات. (محمد بن إسماعيل الكبسي: جواهر الدر المكنون، ص٢٧٩).

(٢) حسن بن الإمام: هو الحسن بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، الثالث من أولاد الإمام، أديباً عالماً بالعربية، محكماً للقراءات السبع، خطَّاطاً بليغاً، قائداً للجنود، كان من أحب أولاد أبيه إليه، أرسله إلى المناطق الشمالية (صعدة وما إليها) ودخل في خلاف مع واليها علي بن أحمد بن القاسم، ثم ولاَّه والده اللحية ومور وبيت الفقيه والزيدية والضحي، وقد تابع المؤرخ دوره كأحد مراكز القوى في تلك الفترة حتى بداية عهد صاحب المواهب، توفي سنة ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٤٢٤-٤٢٩).

(٣) المثل سيفان في غمد لا يصلحان: ورد في إسماعيل الأكوع: الأمثال اليمانية، ج٢،ص٥٩٦، أحمد الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٣٠).

(٤) المرفع: آلة تشبه الطبل، تصنع من جلود الأغنام، ولها صوت أرق من صوت الطبل، يضرب عليها بعصاتين من الخشب.

(٥) الزناجير: جمع زنجير، وهو الغِلّ، ويقال له أيضاً القَيْد.

الناس على المذكور قتله للثلاثة، وقالوا: هذا كان بعد الأمان لهم والطاعة، والقتل لا يكون أيضاً إلا بعد تحقق قتل صدر منهم كما هو شرط المحاربين والمفسدين والناهبين.

وفي يوم الأحد سابع شهر شعبان، وقع قران بين المريخ وزحل في أول برج الحمل، وكان المريخ في بيته وقوته حال هذا القران، وزحل كان في بيت هبوطه. وكان المريخ المرتفع على زحل حال هذا القران من الأفق الشمالي بقدر ذراع، على مقتضى حساب الزيجات[1] على تقسيم المتأخرين.

وفي هذه الأيام أرسل[٣١/ ب] الإمام بصدقة الهند إلى سعد بن زيد، بعد وصول رسول سلطان الهند إلى حضرة الإمام، واستفهامه في شأنها، وكيف يكون أمرها؛ لأنها كانت مصدرة إلى سعد بن زيد، قبل أن يبلغ إلى صاحب الهند تحول الدولة، وزوال الحالة، فقال الإمام: نرسل بها إلى من صدرت إليه. وكان الواصل بها السيد عثمان الحلبي الأصل، فادعى السيد أنه كان قدم سعد بن زيد العام الأول وهو بمكة، وأنه لا يرسل إلا بما بقي بعد الذي له، فأخذ ذلك وبقي حول النصف مما هنالك، فأرسل به إلى سعد، وهو يومئذٍ ببيشة فكانت أعظم واصل عنده.

وفي آخر شهر رمضان منها وصل الخبر بخروج قلياطة[2] من باشا مصر بحراً، فيها جوامك[3] العسكر وطعام وخلعتان، أحدهما: للشريف بركات، والأخرى: لمحمد شاوش ونوبة[4] وصنجق[5]، وزيادة عسكر قدر مائتين، وطلب قضاة مكة[٣٢/ أ]

---

(١) الزيجات: أي الأزياج، وهي كما يقول ابن خلدون: علم الأزياج هو من فروع علم الهيئة، وهي صناعة حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته، و ما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع، ولهذه الصناعة قوانين في معرفة الشهور والأيام والتواريخ. (ابن خلدون: المقدمة، ص٤٧٩).

(٢) قلياطة: لعلها من السفن. ولم أجد لها تعريف.

(٣) الجوامك: هي رواتب الجند ومصروفاتهم، مفردها جامكية. (محمد التونجي: المعجم الذهبي، فارس عربي، ص١٩٨).

(٤) النوبة: الاسم الذي يطلق في البلاد الإسلامية على فرقة الموسيقى العسكرية وثكناتها في المعسكرات أو في المدينة، وهو أيضاً من الأسماء التي تُنسب إلى الطبول، التي كانت عماد فرقة الموسيقى العسكرية. (دائرة المعارف الإسلامية، مج١٥، ص٨٦).

(٥) الصنجق: تعني هنا العلم أو الراية. (محمود شوكت: التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية، ص٤٨).

هكذا جاء الخبر به، واختلفت الأخبار في سببه والله أعلم.

وجاء خبر أيضاً هذه الأيام أن أسواق مكة وجِدة لبست بشرى صلاح ما كان انتقض على السلطان أطراف بلاده.

وفي هذا الشهر جاءت جوابات محمد شاوش والشريف بركات على الإمام بأن الحج ثابت، ولا منع لأحد عنه، ولكن لا يدخل إلى هنالك إلا على الحالة الأولة، صفة حجاج، بغير سلاح، ولا بيرق ولا رماح، وطلب بركات إرسال بالدراهم التي كان يرسل بها إلى سعد، وكان أراد الإمام أن يأمر فرحان بالعزم مع الحاج على العادة الماضية والحالة السالفة، ثم أن أحمد بن الحسن أرسل كاتبه السيد صلاح بكتاب وتوصية بأن إرسال فرحان خطأ، فأرسل الإمام السيد أحمد بن صلاح صاحب جازان وأبي عريش على العادة التي كانت في مدة المؤيد بالله، وكان يومئذٍ في حضرة الإمام، إلا أنه عين معه حول ثلاث مائة نفر ودراهم للشريف بركات قدر عشرة آلاف قرش وقيل: أربعة عشر ألفاً[٣٢/ ب]، فسار المذكور من ضوران طريق تهامة، فلما وصل العسكر إلى أبي عريش حصل بينهم افتراق، ومضاربة وشقاق فيما بين أصحاب السيد أحمد وبين الآخرين، ورجع بعضهم إلى بيته، وبعضهم اعتذر بعروض[1] علته. ثم تقدم السيد أحمد بمن بقى معه ومن انضم من الحاج على قلته، وساروا في أمان الله وبركته.

وفي هذه الأيام شاع نادرة غريبة وحكاية عجيبة وهي أن صورة امرأة ظهرت لرجل من أهل كُحْلاَن تاج الدين[2] عند بعض أهله من الفلاحين، وحتمت عليه ضيفة وعشاء، وذبح رأس بقر لها متى جاءت تأكله في المساء، ففعل ذلك المذكور، وجعل من

---

(١) عروض: من أحداث الدهر من الموت والمرض وغير ذلك، والعرض ما عَرَض للإنسان من أمر يحبسه من مرض أو لصوص. (ابن منظور: لسان العرب،مج٢، ص٧٣٨).

(٢) كُحْلاَن تاج الدين: وهي كحلان عفار، سبق شرحها.

الطعام معه الميسور، وأقبلت إليه فأكلته عن آخره، وقالت له هي الحَطْمَة[1] التي كانت في اليمن، وأنها خارجة في هذا الشهر والزمن. وهذه لعلها صورة شيطانية ليعتقد العامة أنها المؤثرة في الحطمة الربانية، والمؤثر والمحطم والقابض والرازق الله تعالى، المتصرف بها يشاء سبحانه.

وفي شهر شوال منها أصبح فقيه يقال له بدر الدين وهو[٣٣/ أ] من أولاد الفقيه مهدي بن محمد المهلا[2] بحانوت بصنعاء ميتاً، وقد حرق فراشه وحوائجه، فقيل إنه يجعل كل ليلة مستوقداً عنده لأجل شرب التتن، فحرق من ذلك وغم نفسه الدخان المستكن.

وفي رابع وعشرين شهر شوال وقع قران الزهرة لزحل ببرج الحمل على حساب المتأخرين والزيجات، وعلى تقسيم البروج للأولين كان برج الحوت،وكانت الزهرة هي المرتفعة على زحل.

وفي هذا الشهر استخرج محمد بن الإمام بجبل ثايبة [3] من بلاد نهم معدناً حديداً، إلا أن فيه قساوة كبيرة، وأعماله عسيرة وأدخلوا منه إلى صنعاء فلم يصلح للحدادين بل يكسر حال الوقيد والمطارق، فتركوه وأهملوه لأنه غير مطابق، ولعله أحد أخوي الفضة، لكنهم ما عرفوا جمعه وعقده. وكان أمر الوالي أن يعتنى بمعدن الفضة الذي كان فيها، ولم يحصل على طائل لعدم معرفة الإكسير[4] فيها. وكان هذا المعدن في مدة

---

(١) الحَطْمَة: السنة الشديدة؛ لأنها تحطم كل شيء، ويقال أصابتهم حَطْمَةَ: أي سنة وجَدْب، وسنةَ الحَطْمة: هي الشديدة الجدْب. (ابن منظور: لسان العرب، مج١،ص٦٦٤).

(٢) هو الفقيه مهدي بن محمد بن عبد الله بن المهلا بن سعيد النيسائي الشرفي، عالم أصولي مؤرخ، تتلمذ على يد الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، من مؤلفاته: (ذيل البسامة). (عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص١٠٥١).

(٣) جبل ثايبة: في الشمال الشرقي من صنعاء في بلاد نهم التي سبق تعريفها. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٢٥٢).

(٤) الإكسير: إكسير الفضة: وهو ما يُلقى على الفضة فيحوله إلى ذهب خالص وهذا من خرافات أصحاب الكيمياء القديمة. (جبران مسعود: الرائد، ج١، ص٢١٢).

المنصور بالله عبد الله بن حمزة[1] يستخرج منه شيخ البلد، ويأخذ الإمام فضه منه الخمس فيما حصل من العدد كما ذكره صاحب سيرته[2]، ولم يبق له هذا الزمان من يعرف صنعته، لأمرٍ لله فيه حكمة، وإنما يصنع في هذا الجبل الرصاص.

وفي هذا الشهر جاء الخبر مع العمانيين وأهل البصرة والحسائيين من التجار المسافرين أن صاحب عمان صالح الفرنج[٣٣/ ب] وأمن البحر.

قال الراوي: وكل ذلك لأجل أن صاحب عمان قد ولع بالتجارة والأسباب، وأن أكثر الخارج في البحر وكلاء له في السبب[3]. والفرنج كانوا يخافونه قبل ذلك، فلما عرفوا أنه قد ولع بالسبب لم يختلفوا به؛ لأنهم كانوا يتحسسون لخروج جلابه[4] وبراشه ويلقونها؛ لأنها لا تخرج إلا للحرب وشحنها.

وفي خامس شهر الحجة كان تحويل سنة العالم والشمس في أول درجة للحمل على حساب الزيجات والمتأخرين في تقسيم البروج، وكذلك عطارد وزحل في الحمل أيضاً، والزهرة في الثور، والقمر في الجوزاء، وكذلك المريخ، والجوزهر في الأسد، والمشتري في الميزان[٣٤/ أ].

---

(١) هو الإمام عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة (٥٦١-٦١٤هـ/ ١١٦٦-١٢١٧م) من أشهر العلماء الأئمة، فقيه، شاعر، لم يكن راغباً في الحكم حتى كُلف بالإمامة، وبويع له سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م، واستولى على صنعاء وذمار، وله مؤلفات كثيرة. (د.حسين العمري: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، ص١٥١).

(٢) تناول سيرة الإمام عبد الله بن حمزة العديد من الكتاب منهم: علي بن نشوان بن سعيد الحميري كتابه سيرة الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، وأبو فراس فاضل بن عباس بن علي بن محمد دعثم(السيرة الشريفة المنصورية في سيرة الإمام عبد الله بن حمزة) ولعله المقصود وقد حققه الأستاذ الدكتور عبد الغني عبد العاطي، وهو في جزأين، ومحمد بن أحمد القرشي له أيضاً: (سيرة الإمام عبد الله بن حمزة). (عبد الله الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي، ص١٠٥، ص٤٠٩

(٣) السبب: ما يتوصل به إلى الرزق، وقد سبق شرحها.

(٤) الجلاب: مفردها جلبة، وهي نوع من السفن يسمى الجلبوط أو الجلبوت. اسم مشتق من التسمية البرتغالية (جالبوت) وفي عُمان كانت تستخدم في التجارة البحرية، ويشبه القوارب الأوروبية المسماة (جولي -بوت) التي كانت تستخدم في البحرية البرياطنية (عُمان في التاريخ، ص٣٤٧).

وجاء خبر هذه الأيام حصول حرب ما بين الأشراف خارج مكة حدود الطائف، فقتل جماعة من الفريقين، وكان الحرب فيما بين الشريفين أحمد بن زيد بن محسن[1] وحمود، وأما سعد بن زيد فصار في بيشة وحدودها.

وفي خامس شهر الحجة خرج حسن بن الإمام من مدينة صعدة إلى جبل رَازِح[2]. وكان علي بن أحمد بن الإمام بصعدة قد ظهر تضرره بطول بقاء حسن بن الإمام، وثقل عليه ذلك الإلمام، وأهمه في اليقظة والمنام[٣٤/ ب] وعطل في نفقاته الحبوب التي قد جمعها بصعدة من سابق الأعوام، وكان سالماً من معاد الضيافات، لعدم من يدخلها من أهل الأمر في هذه الأوقات.

وفي هذه السنة أو غيرها حصل بصبيا في تهامة الشامية حريق، فحرق فيها المنسكي التاجر هو والعبد الذي معه، وحرق عقبه من ماله بعضه. وكان قد كبر في السن وعمي آخر مدته، فكان موته بالحريق لم يقدر على التخلص من النار، وكان في مربعته[3].

وفي هذه الأيام وصل خبر موت الأمير العادل، المتولي لأطراف بلاد الشام من الجهة التي تلي بلاد الهند وأقصاه، وكان سلطان الهند قد تصالح هو وإياه حتى زوجه بعض النساء من قراباته اتقاءاً لشره وضرره، وترك أطراف بلاده، فبقي كذلك مدته مصالحاً لصاحب الهند إلى أن توفي في هذا التاريخ.

---

(١) هو أحمد بن زيد بن محسن بن حسن بن حسن بن أبي نمي. كان قد طلب من أخيه الشريف سعد السابق ذكره أن يكون شريكاً له في مكة، فوافق وفوض إليه ربع دخل مكة، وأمر أن يُدعى له على المنبر معه، ووافق السلطان العثماني على ذلك، وأرسل لكل منهما خلعة بهذه المناسبة، ولما خرج الشريف سعد إلى بيشة بعد الأحداث السابقة التي ذكرها المؤرخ اضطر أخوه الشريف أحمد بن زيد إلى مغادرة مكة إلى خارجها ديرة بني حسن. (إبراهيم الصبحي: بلاد الحجاز، ص٤١).

(٢) رازح: ناحية مشهورة من بلاد خولان بن عمرو، ومن أعمال صعدة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص٣٥٥).

(٣) مربعته: الرَّبع: المنزل والدار بعينها، ويقال: الرَّبع: المنزل ودار الإقامة. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص١١١٠).

وفي عيد عرفة منها كان يوم الثلاثاء استند فيه إلى حاكم تعز الفقيه علي المخلافي الشافعي، وشهد على مثل ذلك في الروضة من أعمال صنعاء باليمن الأعلى عند القاضي عبد الواسع العلفي[1]، وأخبروه أنهم رأوا الهلال ليلة الأحد فلم يحكم بها ولم يعول عليها قال: رؤيتهم يركبون في الليلة فيعنون بالليلة المستقبلة لليوم الماضي، وحكم بها علي بن جابر الهبل، والهلال رأيناه ليلة الإثنين عشية الأحد صغيراً بحيث لم يلبث أن غرب بسرعة قبل أن يتمكن المغرب، والمؤذن يؤذن[٣٥/ أ] ولا شك أن ذلك لا تستقيم فيه الرؤية عشية السبت أصلاً؛ لأنه كان يومئذٍ في قدر ست درج من الشمس، لا يمكن رؤيته في سهول اليمن والشام[2]، فضلاً عن المواضع التي بين الآكام مثل صنعاء والروضة وتعز ونواحيها، لارتفاع الجبال عليها، وإنما يكون أوله هذا اليوم الذي ذكروه بطريق الحساب، لتعقبه لحجم الشمس من غير إمكان الرؤية بلا ارتياب. والشرع طريقه الرؤية، ولا يمكن إلا فيما زاد على ست درج للمعرفة. فحصل مع كثير من الناس اضطراب واستبعاد، ومنهم من أخرَّ العيد، ولم يعمل بهذه الشهاييد[3]. وقد وقع مثل هذا في بعض السنين الماضية مما حكم به القاضي حسن حابس[4] كهذه القصة الحادثة والله أعلم.

---

(١) عبد الواسع بن عبد الرحمن بن محمد العلفي: القاضي الحافظ، ولد سنة ١٠٢٦هـ/ ١٦١٧م، تلقى العلم بصنعاء على يد أبرز علمائها، برع في النحو والصرف والفقه والفرائض، كان من مشائخه الإمام المتوكل إسماعيل، وكان شيخاً لعدد من طلبة العلم، اشتغل بالتدريس حتى وفاته سنة ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م وقبره بالغراس بجوار الإمام المهدي أحمد بن الحسن. (زبارة: نشر العرف، ج٢ ص١٥٠).

(٢) اليمن والشام: يقصد بهما المؤرخ الشمال والجنوب، وفي اللغة اليمنية القديمة يمناً وشاماً أي شمالاً وجنوباً، ولا زالت مستخدمة.

(٣) الشهاييد: جمع شهادة، أحياناً يضطر المؤرخ إلى نحت الكلمة للحفاظ على السجع.

(٤) القاضي حسن حابس: هو القاضي العارف شرف الدين الحسن بن يحيى حابس الداوري، كان عارفاً مشاركاً في معظم العلوم،و كان ظريف المحاضرة والمجالسة والأدب، ترك التدريس واهتم بالشريعة والقضاء، كان الإمام المتوكل إسماعيل قد نصبه قاضياً بصعدة عقب موت أخيه أحمد، لكنه وبعد أن توفي قاضي صنعاء حسن السحولي تولى حسن حابس القضاء بها، وترك بصعدة من ينوب عنه، توفي سنة ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م. (يحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ج١، تحقيق: الباحثة، ق٢٧١ب-٢٧٣أ).

وفي هذه السنة فتح الإمام قراءة في المشكاة[1] في السُّنة النبوية فأصاب، غير أنه أمر القارئ لا يملي شيئاً من الأحاديث المتشابهة، وما كان مثل ذلك يصلح؛ لأن المتشابه مردود إلى المحكم كمتشابه القرآن، وكذلك كان فعل في قراءته في صحيح مسلم المدة الأولة.

ودخلت سنة أربع وثمانين وألف[2]

في يوم الجمعة خامس شهر محرم وصل خبر الحاج فذكروا أن الحج كان مباركاً، والأمان على جميع الوافدين موافقاً، وأن الوقوف بعرفة، وتلك المواقيت المشرفة كان[٣٥/ ب] يوم الأربعاء بالشهرة، كما هو مقتضى الإستهلال والرؤية، وأنه وصل الباشا محمد من طريق الشام ومعه من العسكر ما يزيد على خمس مائة فارس من الخيل الجياد، وحول ألفين فأكثر من الأجناد، وخيم ببركة ماجد. وحاج المصري فيه قوة عظيمة. وأن الباشا محمد الخارج المذكور شدد في التأمين لحجاج بيت الله الحرام، وتوعد على من غدر أو سرق أو نهب بالعقاب التام. وحج الناس أحسن الحج، مع الكثرة للخلق، وأخبروا مع ذلك تهون الأسعار، وكثرة الخصب والكلأ والهلف[3] والعلف في جميع تلك الأقطار.

قال حجاج اليمن: وظهر في عسكر السلطان السؤال عن أحمد بن الحسن، والإمام مع الحجاج من المشاة والركبان، والسيد أحمد بن صلاح بلَّغ ما معه من الدراهم التي صدَّرها الإمام معه إلى يد الشريف بركات[٣٦/ أ] وأخبروا أن الباشا محمد أخرج من مكة من بقى من الذين كانوا مع سعد بن زيد، ومنهم من اعتقله، ومنهم من أرسل به

(١) المشكاة: هو كتاب (مشكاة المصابيح) للخطيب التبريزي، المتوفى سنة ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م.

(٢) ١محرم١٠٨٤هـ= ١٧ إبريل ١٦٧٢م.

(٣) الهلف: الهلوف من الابل المُسِنّ الكبير الكثير الوبر. ولعله المقصود، فلم أجد معنى آخر. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣،ص٨١٩).

إلى حضرة السلطنة، ورفع المجابي[1] من جميع أسواق مكة، وأمر بتوريث من مات بمكة وجدة، ولا طريق لأحد فيما تركه ممن كان يفعله أشراف مكة.

وفي نصف شهر المحرم حصل قران بين الزهرة والمريخ في برج السرطان، على مقتضى تقسيم البروج للمتأخرين وعلى تقسيم الأولين، كان في برج الجوزاء وكان المرتفع حالة القران هو المريخ من جهة الجنوب، ثم انفكت الزهرة عنه قليلاً في ذلك البرج، ورجعت القهقرى فقارنت المريخ المذكور في نصف شهر صفر قران آخر.

وفي هذه المدة كان وقت الصيف فحصل فيه أمطار مستمرة من أول الصَّوَاب[2] إلى آخر الصيف عند سقوط الثريا، فصلحت ثمرة الدثا[3] على هذا المطر زرعوا في أوله، واستمر المطر عليه إلى حصاده، فتهون السعر بعض التهون، ونقص حول الثلث مما كان قبل ذلك[٣٦/ ب].

ولما وصل السيد أحمد بن صلاح في حدود بلاد ذَكْوَان[4] خرج من مكة الشريف حسن بن زيد بن محسن هارباً من مكة، فانتُهِب بالليث[5]، ولما دافع وقع فيه صائبة مثخنة مات منها، وبلغ السيد أحمد بن صلاح ذلك وهو بذكوان، وكان ربما يريد الخروج مع السيد أحمد بن صلاح إلى اليمن، فسبق الأجل، قيل أنه بسعاية من صاحب مكة أرسل إلى تلك الجهة في الأثر وصده عما كان أمَّل.

---

(١) المجابي: المقصود بها جباية أي نوع من الضرائب أو الخراج أو الزكاة الذي تجمعه الدولة من الرعايا. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٣٥٧-٣٨٥).

(٢) الصَّواب: في المصطلحات الزراعية اليمنية هو أحد المعالم الزراعية التي يستدل بها بالنسبة للأمطار بدرجة أساسية، وهي ثلاثة نجوم أو معالم، وكل منزلة مدتها ١٣ يوم، ويبدأ من ٢٤ كانون ثاني حتى ٤ آذار. (العنسي: الدائرة الزراعية).

(٣) ثمرة الدثاء: ويقال الدثيء: الدثيءُ من المطر: الذي يأتي بعد اشتداد الحر. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٩٤٥). وفي اليمن الدثا أحد المواسم الزراعية.

(٤) ذَكْوَان: قرية في سائلة سورق من مديرية ماوية وأعمال تعز. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٦٤٨).

(٥) الليث: بلدة ذات قرى كثيرة، وإمارة ذات فروع من إمارات منطقة مكة. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ج٢، ص١٠٧٤).

وفي شهر صفر غزا جماعة من بني نوف، من قبائل دهمة إلى أسافل الجوف، فانتهبوا منه وقتلوا، وكذلك تعقبه مغزى إلى أطراف مساقط بلاد خولان وبِدْبِدة [1]، لما نجع أكثر خولان هذه السنة، وكذلك لحق مغزى من برط إلى أسافل الجوف، بحدود بَرَاقِش [2]، فوقع بينهم وبين من نهبوهم قتال، راح من برط نفران، ومن أهل الجوف خمسة. وأحمد بن الحسن لما بلغه ذلك أرسل حول ستين نفراً من أهل البنادق، لحفظ الصافية[3] له في الملتقى، فمنعوها. ولم يصل أحد إليها، وبقي من حضرته ممن[٣٧/ أ] كان متعلقاً به من برط وقال ما بقي بيننا وبينكم ثقة ولا كُنْه[4]، ولا نفعت المداواة لكم كما لا ينفع الدواء الجروح الفاسدة. وأهم بغزوهم، إلا أن الإمام قرره وقال: لا تزر وازرة وزر أخرى وهم قبائل، لا يحكم عاقلهم على جاهلهم، ولا قائد لهم، بل كل منهم رمحه ببابه وانتصافه لنفسه، والأمر كذلك ولا ننفع منهم إلا حفظ أطراف البلاد الجوفية، كون بلادهم لا تحمل العسكر، ولا تقوم لمن بها استقر.

وفي عاشر شهر صفر وصل إلى الإمام إلى محروس ضوران محمد عامر، الذي سبق ذكره وذكر ما جرى بالحبشة منه، وتغلبه عليها، وإخراج عسكر السلطنة منها، حتى خرج عليه عمر باشا، فهرب في البحر من شدة الخوف والبأساء، وما زال يدور فيه وينظر هل بقي له مدخل أو من يناصره ويجانبه حتى لم يجد له ما يريد، ولم يقع إلا على الأمر الشديد، ثم إنه عاد ينظر هل يتم له السكون في أطراف بلاد سواكن [5] أم لا

---

(١) بِدْبِدة: ناحية في محافظة مأرب تضم عدة عزل، وهي من المناطق الأثرية. (الجمهورية العربية اليمنية، الجهاز المركزي للتخطيط: التعداد السكاني لعام ١٩٨٦، محافظة مأرب، ص١٤).

(٢) بَرَاقِش: مدينة أثرية هامة في وادي الجوف كانت العاصمة الدينية لمملكة معين. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص١٥٠).

(٣) الصافية: هي الأراضي التي جلا عنها أهلها أو ماتوا ولا وارث لهم، وفي اليمن صوافٍ كثيرة واسعة هي من أحسن الأراضي الزراعية، ويوجد في الجوف صوافٍ واسعة مشهورة. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٤٥٤-٤٥٥؛ الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٥٥٨).

(٤) الكُنْه: جوهر الشيء، وكنه كل شيء قدرته ونهايته وغايته. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٣٠٦).

(٥) سَوَاكِن: مدينة في السودان تطل على البحر الأحمر، ما بين (بور سودان) في الشمال وبلدة (طوكر) في الجنوب، وهي أكبر وأقدم موانئ السودان حتى تأسيس بورسودان عام ١٩٠٦م. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مج٣، ص٥٤٧).

فوصل إلى حضرة الإمام، نابهاً من ذلك المنام[٣٧/ ب] قائداً نفسه باللجام، معرضاً عن تلك المعارضة، مقهوراً عن المناصبة، وفي صحبته قدر عشرين نفراً. وكان هذا محمد عامر له رياسة ونيابة من تحت نظر الباشا في مصَوَّع [1] وهو تركي، ووصل جماعة حول عشرين نفراً من حضرة الباشا عمر ببعض هدية للإمام، ومعهم أيضاً واصل بكتاب من أمير المدينة يذكِّر الإمام طلب أوقاف الحرمين الشريفين الذي باليمن، قيل فأجاب الإمام: أنه ما يعلم بشئ من ذلك.

وفي هذا الشهر اتفق لرجل يقال أنه من بني بنيان من صنعاء اليمن أنه سار إلى حضرة الإمام، للطلب منه والسؤال والرفد والنوال، فطال به المقام الكثير من الأيام، فانحرف مزاجه، وغلب عليه كلامه، واستحدَّ به لسانه، وتبلبل بلباله، وذلك عقب صلاة الجمعة في الإجتماع من المسلمين والحضرة، وقام على قدميه كالخطيب يقول بأعلا صوته: هذا الإمام قد صار عطاه لمن أتى من الهند والعجم، وحرم من زكاة مدينة صنعاء لأمير الحاج، والفقراء حرموا منها، ولم يصر إليهم شيئاً منها، ولكن سيرى سبب ذلك، وما تحركه من هنالك، ولا يكون آخر هذا أولاده مثل عيال شرف الدين[2]. وسار المذكور ولم ينتظر لشيء، انتهى كلامه.

وللمجيب أن يجيب عليه هنا: أن أولاده لصلبه فيهم كما ذكر هذه المدة في النعم الشاملة وغيرهم ممن له الولاية، وأما غيرهم فقد صار الآن حالهم كمن ذكر من أولاد شرف الدين يكسبون على أنفسهم، ويحترفون ويبيعون ويشترون[٣٨/ أ] لا يصلهم الإمام ولا غيره بشيء من المال، بل سعيهم في نقص من كان له بعض شيء على كل

---

(١) مَصَّوع: من أشهر الموانئ على الساحل الغربي للبحر الأحمر وأعرقها، احتله العثمانيون سنة ١٥٥٧م. وظل تحت سيطرتهم أكثر من ٣٠٠ سنة حتى استولى عليها الإيطاليون سنة ١٨٨٥م. (ممتاز العارف: الأحباش بين مأرب وأكسوم، ص ٣٨٩-٣٩٠).

(٢) شرف الدين: المقصود به الإمام المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين. سبقت الترجمة له.

حال، ومن كاشح[1] منهم وكثر في السؤال صار إليه النزر اليسير على أشق حال. ولكن أيها الفقيه المنافسة كلها في غير هذا، فالدنيا عاطلة، وأحوالها زائلة، والسعيد من رزق منهم أدنى الكفاف، وقنع بما جاء منها وما فات، فالله يختم لنا بالخير ويغنينا بفضله وكرمه عن غير بابه الواسع، الذي وسع كل شيء.

وفي العشر الآخرة من شهر صفر توفي السيد الشريف العارف علي بن الحسين الحسيني الحوثي ثم الصنعاني، وهو من ذرية الإمام يحيى بن حمزة الحسيني[2]، يتصل نسبه بالحسين بن علي بن أبي طالب. وكان مكفوف البصر، وكان حافظاً للقرآن مجوداً، ناقلاً لكثير من المختصرات كـ(الشاطبية)[3] في القراءت (والكافية)[4] لابن الحاجب[5] (والمنتهي)[6] في أصول الفقه له، و(التلخيص) للقزويني[7] في المعاني والبيان. ويحفظ كثيراً من المنقولات، وله مشاركة في الحديث لا سيما لسنن أبي داود يحفظ أكثره غيباً ويذاكر في باقيه، ويحفظ[٣٨/ ب] مجموع زيد بن علي[8]

---

(١) كاشح: الكاشح العدو المبغض، والكاشح الذي يضمر لك العداوة. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣،ص٢٦١).

(٢) هو الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم (٦٦٩-٧٤٩هـ/ ١٢٧٠-١٣٤٨م) عالم مجتهد، تبحر في جميع العلوم. كان من الأئمة العادلين الزاهدين، من أكابر أئمة الزيدية. له الكثير من المصنفات، بلغت مائة مصنف. (زبارة: أئمة اليمن، ج١، ص٢٢٨ وما بعدها).

(٣) الشاطبية: قصيدة في علم القراءات اسمها: (حرز الأماني) اشتهرت بالشاطبية نسبة إلى كاتبها: أبو محمد القاسم بن فيرة بن خلف الشاطبي الضرير، كان إمام القُرَّاء في عصره. (ت٥٩٠هـ/ ١١٩٤م) وكانت وفاته بالقاهرة. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مج٤،ص١٢).

(٤) الكافية: كتاب في النحو، من الكتب التي لابد لطلبة العلم أن يقرؤوها.

(٥) ابن الحاجب: هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمر (٥٧٠-٦٤٦هـ/ ١١٧٤-١٢٤٩م) فقيه مالكي من كبار العلماء بالعربية، كان أبوه حاجباً، فعرف به، له تصاينيف كثيرة منها: (الكافية) في النحو و(الشافية) في الصرف و(مختصر الفقه) وغير ذلك. (الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٣٧٤).

(٦) المنتهى: هو كتا بمنتهى السؤل في علم الأصول، لابن الحاجب السابق ذكره.

(٧) القزويني: هو محمد بن عبد الرحمن، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (٦٦٦-٧٣٩هـ/ ١٢٦٨-١٣٣٨م) قاضي، من أدباء الفقهاء، اشتغل في القضاء في مصر ودمشق وتوفي بدمشق، أما كتابه التلخيص فهو (تلخيص المفتاح) في المعاني والبيان، مطبوع. (الزركلي: الأعلام، مج٦،ص١٩٢).

(٨) مجموع زيد بن علي، هو كتاب (المجموع) في الفقه، ويعتبر من أقدم كتب الفقه، يتضمن الأحاديث التي رويت عنه، والفتاوى التي قال بها، والروايات فيه كلها عن الإمام زيد عن آبائه من الأئمة.

غيباً، وله عناية به. ويرجح مذهبه على مذهب الهدوية. وكان يرى رفع اليدين ووضع الكف على الكف في الصلاة، كما هو قول أكثر العلماء ويفعله، إلا أنه ربما تركه إذا صلى جنب أحد من المتعصبين من الهدوية، رحمه الله تعالى، وقد صلى جنبي مرة فرفع.

وفي هذه الأيام وصل خبر مع أهل الهند أن سيواجي رئيس الرازبوت بالهند عاد إلى الخلاف في بعض أطراف بلاد السلطان أورنقزيب، وأثار فتنة في جهته.

وفي هذه الأيام مات الأمير عبد الله الغفَّاري -بغين معجمة وتشديد الفاء- الحمزي. كان المذكور من أصحاب شرف الإسلام الحسن بن الإمام، ثم لازم ولده محمد بن الحسن تلك الأيام، وكان المذكور في المدة السابقة حال بقا مصطفى[1] وقانص[2] بزبيد قد هرب من حضرة شرف الإسلام ودخل إلى زبيد، فرفع شأنه قانص ومصطفى، وجعلوه أميراً من جملة الأمراء، في ذلك الوقت الذي مضى. وأصله من أشراف عقبات[3].

وفي هذه الأيام وصلت كتب من المهري صاحب جزيرة سقطرى والساحل الحضرمي[4]، الذي بين بلاد الشحر وبين ظفار[5]، يذكر للإمام أنه يرسل بعينة من العسكر، وأنه قد بنى[٣٩/ أ] على الإنقياد والإئتمام، وسبب هذا من المذكور، وما كتب به في ذلك المصدور أنه كان انتهب الأيام الأولة بعض من وصل إلى ساحل جزيرة

---

(١) مصطفى: هو أحد الأمراء العثمانيين، بقي بعد خروج الوالي قانصوه باشا من اليمن في ألف وخمسمائة من أتباعه، ثم طلب الخروج بأمان، والمساعدة في حمل أثقاله، فساعده أبناء القاسم على ذلك وخرج من اليمن عن طريق المخا. (يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، مخطوط، ق٣٩٠).

(٢) قانص: هو أحمد قانصوه باشا، كان آخر الولاة العثمانيين في الفتح الأول لليمن، مكث في اليمن من ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م حتى ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م. (د. سيد سالم: الفتح العثماني، ص٤٠٠).

(٣) عقبات: من قرى عيال سريح، إليها يُنسب الأشراف آل عقبات. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٦٠٧).

(٤) الساحل الحضرمي: نسبة إلى مدينة حَضْرَموت: تقع إلى الشرق والشمال الشرقي من مدينة عدن. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص٢٦٣-٢٦٤).

(٥) ظفار: اسم مشترك بين عدد من المناطق، المقصودة هنا ظفار حضرموت، مدينة على ساحل حضرموت، بالقرب من عُمان، وتسمى ظفار الحَبُوضي. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٥٦٤).

سقطرى من جهة بلاد العماني لشيء من البضاعة، فتحمل العماني، وجهَّز عينة إلى ذلك النادي، فلما شعر بذلك المذكور هرب من الجزيرة إلى ساحل الشحر للجيرة، ودخل أصحاب العماني سقطرى فلم يظفروا بشيء من ذلك الأمر الذي جرى، فأشار على الإمام بترك إجابة المذكور، والإشتغال بغيره برعاية مصالح الجمهور، والقريب من البلاد والأمور، ولا سيما مع تغير حالة الأشراف، وهو يستدعي منكم الإستئناف بحفظ الأطراف، واضطراب أعمال مكة وتلك الأطراف. وأصحاب العماني لم يجدوا ما طلبوه، وفاتهم الأمر الذي قصدوه، وعادوا بلادهم، وسكنت أعمالهم.

وفي هذه الأيام ظهر رجل من بلاد شَظَب [1] يقال له الفقيه حسن بن صلاح بن الفهد يعرف بالخبايا، ويخرج على قوله الأسحار بتربيع ضرب الرمل[2] في الظاهر وهو يحتمل التعمية والتمثيل، ويظهر أنه يكتب إلى رؤساء الجان فيأتيه الجواب منهم[٣٩/ ب] بخطوطهم على قوله، وقد يضع ورقة منه في طاقة[3] المنزل بابتداء الكتاب [٣٩/ ب] والعرض فتأتي ظهر ورقته بالجواب على مقتضى من جعل الإبتداء له، يقول له: ضع هذا الابتداء هنالك، يأتيك الجواب، فيكون كذلك، هذا جملة ما عنده. والمذكور يلبس الجوخ[4] واللباس الغالي، وذكر أنه أخذ ذلك على رجل كان بتهامة قد مات يسمى الفقيه محمد بن الولي. وظهر آخر أيضاً حضرمي له من المعرفة مثل هذا الشظبي، والله أعلم.

وكان في شهر شعبان قد ظهر ثلاثة أنفار بجهة لاعة [5] لهم هذا الشأن قد استخفّوا

---

(١) شَظَب: جبل فوق مدينة السودة غربي مدينة خمر من بلاد حَاشِد. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨٦٦).

(٢) ضرب الرمل: المقصود به علم الرمل، ويسمى علم الزايرجة، وهو ضرب من التنجيم مبنية على أسرار الحروف في الدلالة على المستقبل. (محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين، ج٤، ص١٢٧).

(٣) طاقة: أي نافذة.

(٤) الجوخ: نسيج من الصوف. وهو لباس خاص بالعلماء والقضاة.

(٥) لاعة: بلدة معروفة من أعمال حجة، تقع جنوبها، إليها تُنسب عدن لاعة. (الحجري: مجموعه بلدان اليمن، مج٢،ج٤،ص٦٧٧).

عقول كثير من العامة والخاصة، وجمعوا منهم أموالاً كثيرة، فبلغ الإمام شأنهم وأعمالهم، فكره مثل ذلك، وأرسل جماعة عسكر بأدب عليهم، فوصل إليهم أولئك العسكر، وعادوا بغير أثر. وكان الإمام ألزمهم بحبسهم، فلم يتم شيء في شأنهم، ثم أرسل الإمام غيرهم فرجعوا كذلك، ثم أرسل ثالثاً إليهم وأمر بحبسهم بحصن غولي[1] فحبسوا جماعة من أقارب الرحايل[2]، وأمروهم بمنع الرحايل.

وأما أولئك الثلاثة فخرجوا عن تلك الجهة وأعيا الناس أمرهم، واستحوذوا عقولهم[٤٠/ أ]، لكنهم تركوا لاعة، وداروا في غيرها من الجهات الواسعة. ولعل هذا المذكور والحضرمي الآخر من أولئك الذين كانوا بلاعة. ووصل الشيخ المذكور إلى صنعاء في شهر ربيع من هذه السنة، فأظهر عمله واستخف عقول كثير من الناس، وأظهر لهم فعله، فعجبوا من إخراجه الأسحار ومن المكاتبة الصادرة منه للجان، ولازمه يحيى بن حسين بن المؤيد بالله[3]، وأخذ عنه الصنعة، وطلب منه المعرفة، فعلمه المذكور، وقال: إنه قد ربما يدرك ذلك المسطور، ويحتمل أن تكون هذه الأمور من الشعبذة والتمويهات والمخرقة[4] فلا ينبغي الإغترار بذلك، إذ قد تكون هذه الصنعة من صنعة قلب الأعيان، وهي من أنواع السحر كما قرره العلماء فيما مضى من الزمان. وقد كان رجل سيد في المدة السابقة صبياً شاباً فاسقاً متهتكاً قد حُد مراراً في

---

(١) غولي: لعله يقصد الغول، وهو اسم مشترك بين عدد من المناطق، غير أن الأقرب إلى لاعة التي تقع جنوب حجة كما سبق هو الغُول الذي من قرى بني الذّواد في جبل بني العوام، جنوبي حجة (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١١٨٩).

(٢) الرحايل: المقصود بهم من يتنقلون من مكان إلى آخر، والمفرد: رحيلة ورحيل: وهو القوي على الارتحال والسير. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص١١٤٢).

(٣) يحيى بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم (١٠٤٤-١٠٩٠/ ١٦٣٤-١٦٧٩م) من العلماء البارزين، له معرفة بالطب، كان مشهوراً بسرعة الحفظ، ولاّه الإمام المهدي أحمد بن الحسين يريم وذمار وعفّار. (الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص٣٢٩).

(٤) المَخْرقة: مرادفة لكلمة التمويه والشعوذة.

الشراب وغيره، يقص البياض[1] قطعاً ويتلو أشياء وإذا هي بقشا[2] بيضا يراها غيره، فقد تكون هذه الخطوط في الأوراق التي يظهرها[٤٠/ ب] من هذا الوادي، وما يقوله من إخراج ورق السحر من هذا الأمر الجاري، والله أعلم.

وكذلك كان يفعل هذا رجل يقال له السيد ياسين، ويرجع البياض إلى أصلها الأول من بعد ذلك. وكان فقيراً فقراً مدقعاً، ومنهم أيضاً هذا الزمان الفقيه أحمد الأسنافي، لكنه يستخطف الدراهم، فلذلك يبقى ولا يغير عن أصلها، وهو لا يجوز الإستخطاف لأموال الناس، وكل ذلك من أعمال السحر وأبوابه.

وذكر الشظبي المذكور أنه يتصل بالجان ويهاديهم ويكاتبهم، ورأيت مكاتبته في بعض الورق إلى الأحمر من بهاء الدين قال: وهو الساكن فيما بين بَرَاش[3] ونُقُم[4]، وأنه ملك على جميع جن اليمن. ورأيت جوابه عليه في ظهر ورقته على قوله، وفيها علامته، بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله، غير أن الخط مثل خط الكاتب في الإبتداء، وذلك أنه كتب إليه المذكور الفقيه حسن بن صلاح الفهد الشظبي الساكن في جبل بني حجاج شرق السودة أنه أخرج إرصاداً على بعض ما سأله من بيته، وذكر هل بقى شيء ينبهه به، فأجاب أنه بقى واحد بالباب، فأخرجه المذكور.

هذا ما قاله، وعرف من حاله، فطلبه بعض من أعلمه من الجان، فسار إلى ذلك وكتب من أجله إلى الأحمر[٤١/ أ]، فأجابه في ظهر ورقته أن هذا مارِد من مرَّاده وقال: المَرَدَة يهربون، ولا يكاد يظفر بهم إلا بتعب.

قال المذكور: وإن رجمه بحجر فأخطأه لما أراد منعه وطرده عن الإتصال بذلك الإنسان.

---

(١) البياض: الورق الأبيض.

(٢) بقشاً: يقصد بذلك نقوداً من المعدن، مفردها: البقشة.

(٣) بَرَاش: جبل عظيم متصل من جهة الشرق بجبل (نُقُم) المطل على مدينة صنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص١٤٩).

(٤) نُقُم: جبل يطل على صنعاء من جهة الشرق. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٤،ص٧٤٤).

قال: ولا بد ما ننظر في الإستعانة من صالحي الجان بالقبض عليه. هذا ما ظهر عنه، ووثق هذا المذكور جماعة من القضاة مثل قاضي ثلاء[1] مهدي عبد الهادي[2] وقال: إنه عارف، وله خدام وأنصار لذلك، والله أعلم.

لذلك قال المذكور لما سأله سائل أنه يسير معه إلى عند الأحمر، شرقي نقم، ويطلعه على الجان في ذلك المقر فقال: يصلح ذلك غير أنه لا يمكن إلا بكحال يعطيك هو تكتحل به، فتراهم هنالك والكحال قد ذكروه مشهور لمثل ذلك قال: وهم يأكلون هنالك من الشجر، هذا كما وصفه المذكور ولم يظهر منه أكثر من هذا من المكاتبة، وإخراج أرصاد يقول: أنها سحر، وأنه يضرب في الرمل للتربيع لاخراج ذلك فيخرجه، فيحتمل الأخذ بالعيون في الأوراق والكتابة، ويحتمل أن له ...... [3] الجان يأتيه بالجوابات ويتصل بهم، والله أعلم.

وبعضهم شكا إليه رجل اعتراه الجنون بسبب أنه كان يتعلق بقسم قل هو الله أحد للإستحضار[٤١/ ب] فحصل معه تغير وهذيان فقالوا لهذا الرجل الشظبي من أجل ذلك فقال: هناك إرصاد وسحر، فأخرج من بيته ذلك كما يخرجه من سائر البيوت، وهو يحتمل التعمية، ولم يحصل تأثير في ذلك الذي اعتراه الجنون، ولا زال عنه ما كان به، فلأجل هذا دل أنه من قلب الأعيان في الكتابة معه فقط، والله أعلم بالغيب. ولقد كان في أول دولة الإمام المؤيد بالله في رأس[4] الأربعين وألف بصنعاء اليمن رجلاً مظهراً لمخاريق عجيبة، وأحوال غريبة يخرج من تحته الطيور والحمام، في تلك الأيام،

---

(١) ثُلا: إحدى مديريات محافظة صنعاء، تقع في الشمال الغربي لها، بلد حميري قديم، بها آثار حميرية وإسلامية كثيرة. (الموسوعة اليمنية، ج١،ص ٢٩٨).

(٢) هو القاضي المهدي بن عبد الهادي بن أحمد الحسوسة الثلائي، قرأ على والده، وتلامذته كثر، منهم القاسم بن الإمام المتوكل، وهو من أبرز العلماء، توفي بثلا بعد سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٩م. (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، مج٢، تحقيق: عبد السلام الوجيه، ص١١٥٤-١١٥٥؛ زبارة: نشر العرف، ج٣، ص٢٤٦-٢٤٧).

(٣) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٤) في رأس: أي في بداية.

وجار في عمله كثير من الأنام، وقطع كثير من العقلاء والعلماء أنه من السحر والتمويه العاطل، والتخييل الباطل، ويلقط الحصا الصغار إلى يده وتكون حباً إما بِرّاً[1] أو شعيراً.

وكذلك روى الثقة في هذه الأيام أن رجلاً يقال له الفقيه عبده له معرفة بمثل هذه المخرقة، فإنه كتب رُقية[2] أو تلاها في بياضة فإذا فيها بعض شيء من الدراهم، وأخذ مرشاً ليس فيه من الماورد[3] شيئاً، فإذا الماورد يخرج منه ويرش به. وغير ذلك كثير، كامرأة قالت هي حاسبة، كانت تضع نفس الملح بباطن يدها ثم تفتح يدها فإذا هو لبان. وقد[٤٢/أ] كان رجل بشهارة في الأيام السابقة مشهوراً بالسحر، له أفعال عجيبة، حتى أنه مره طالب رجل آخر في دين له فسحره ورأى غريمه وقد ذبحه ونزع رأسه.

وفي أول ربيع الثاني لما رَتَّبَ[4] أحمد بن الحسن سفال الجوف لأجل ما حصل من الضرر من غزوات دهمة غزا بعض العسكر إلى أطراف دهمة من بني نوف، فانتهبوا بعض شيء من مواشيهم.

ووصل الخبر هذه الأيام بخروج الحسن بن الإمام من جبل رازح إلى تهامة.

وفي نصف ربيع الثاني وصل الخبر بأن النقيب سعيد المجزبي متولي اللحية وكمران ظهر منه ما يقضي بالمخالفة للأوامر، والإستقلال في هذا الوقت الآخر، وصار يكثر عليه الكلام عند الإمام، وأنه يخشى منه إن خلى الإنخلاع والإنصرام، وأنه ربما قد كاتب إلى جهات جدة ومصر وسواكن وجرت له الأقلام. وكان مع هذا الوهم، وما

---

(١) البر: القمح.

(٢) رُقْيَة: الرُّقْيَة: العوذة التي يُرْقى بها صاحب الآفة، والجمع رقي، لكن هنا معناها مختلف. لم أجد له تفسير. (ابن منظور: لسان العرب، مج١،ص١٢١٢).

(٣) أي ماء الورد. ويختصرها اليمنيون بقولهم: ما ورد.

(٤) رتَّبَ: الرتبة: فرقة من الجنود (العسكر) وهي عامية. (زبارة: نزهة النظر، هامش ص٢٤٢).

جرى للإمام من النقل أن المذكور قبض على جماعة كان وصلوا إلى الحديدة[1] وبلادها بحوالة من حسن بن الإمام، وكان المذكور بعد عزله من بلاد الضحي الأيام الأولة قد حول أكثر أثاثه وخزائنه إلى كمران، واستقر فيه هذا الأوان، وما زال يحصنه ويعمره ويقويه ويؤكده، فكان سبب حصول الأوهام مع الإمام، وتصديق ما ينقل إليه من الكلام، مع ظهور الاشتجار بينه وبين المحبشي متولي الضحي، والمراكزة والمناصبة. فكتب في هذا التاريخ إلى ولده الحسن بأنه يقصده ولا يظهر أين يريده حتى يدخل اللحية فيحفظها [٤٣/ ب]بجميع من معه، فسار المذكور من أبي عريش يطوي المراحل بتهامة، ولا يدري أحد بمقصده حتى بلغ إلى منتهى مرامه. فلما بلغ المجزبي وهو بكمران هذا الأمر والشأن سُقِطَ في يده، وتلاشى أمره. وكان من الإتفاقيات أن حال وصول المذكور بندر اللحية، وجد الغربان التي للمجزبي بساحلها مجموعة لافتقادها ودهنها فقبضها حسن بن الإمام واحترس بها، ولم يكن مع المجزبي ما يقوم مقامها، ولم يشعر المجزبي حال دخول حسن بن الإمام اللحية حتى وصله رسوله بالوصول إلى الحضرة، فتلكأ عند ذلك، وأراد الإمتناع هنالك، فقال له العسكر الذين من اليمن: نحن عسكر الإمام، فلم يسع المذكور إلا المبادرة بإرسال الضيافة والمكاتبة في الوصول وبذل الأمان، وأنه من جملة الخدم غير متكبر على الإمام، وأن البلد بلده والبندر بندره، فخرج المذكور ودخل حسن بن الإمام يطوف جزيرة كمران، وقبضها وولاها من يثق به في السكون فيها. ثم استدعى الإمام المجزبي، فوصل إليه إلى محروس ضوران، وحال وصوله أمر باللقيا له بالعسكر والأعلام، وبذل له الإكرام، واستقر بحضرته[٤٣/ أ]، وفسح برأي الإمام لمن وصل معه من عسكره، وبقي هو وخاصته من خدمه. وذكر الإمام أن جميع ما في جزيرة كمران من السلاح مع العسكر والمدافع

---

(١) الحُدَيْدة: مدينة وميناء على ساحل البحر الأحمر، تبعد عن صنعاء غرباً بمسافة ٢٥٠كم. وهي مركز المحافظة. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٤٣٦).

قبضها ولده وسلمها إليه، ولم يحمل إلا ما يخصه من أثاثه، وخرج أولاده إلى بيت الفقيه. وكان المذكور قد طالت مدته في ولاية هذه الجهة من مدة شرف الإسلام الحسن بن الإمام، وفتحه لتلك الجهات تلك الأيام، فاستمر إلى هذا التاريخ، وقد صار المذكور كبيراً في السن واعتذر إلى الإمام، وأنه لم يجر منه مباينة ولا محاربة، وإنما كان يعتذر تلك المدة عن الطلوع لكبر سنه وعجزه، ويحسن الظن في قبول عذره، وتلا عند وصوله قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]. وكان المذكور في الحقيقة غير آمل للعزل من تلك الجهة، والأمر جرى على مقتضى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[2]، ويحكى أنه كان عنده حساب، يقضي [٤٣/ ب]الحساب أنه لا يعزله من ذلك الموضع إلا من كان اسمه اسم الذي ولاه الحسن.

قال الراوي: فكان ذلك من الموجبات للمسارعة بالخروج منه من غير مراجعة.

ومن الأمر الغريب أن جميع السواحل تحولت أمورها، وتغيرت أحوال ولاتها، وتبدلت أعمالها، هذا المذكور والسيد زيد بن علي بن جحاف[3] الذي كان بالمخا وفرحان والي عدن، والسيد أحمد بن صلاح متولي جازان، ومدينة زبيد عزل واليها عبد الله بن سراج المحبشي، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وفي هذه الأيام ولد مولود عجيب الخلقة خرج من مشيمته وغشايته، ولا أظفار له ولا شفاة ولا دبر، ثم ظهر له دبر ثم أظفار ثم شفات شيئاً فشيئاً، وتكامل خلقه لخمسة أشهر. وكذلك اتفق أيضاً مولود آخر في هذه المدة من هذه السنة له رأسان ثم مات عقب ولادته، كأنها شخصان متلاصقان، فسبحان الخالق لما يشاء، والأول كان لرجل

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) آل عمران: ١٤٠.

(٣) سبقت الترجمة له.

من القبائل، والثاني لرجل آخر من العسكر[٤٤/ أ].

وفي يوم الأحد ثاني وعشرين شهر ربيع الثاني منها مات السيد الشريف العارف الحسن بن أحمد الجلال[١]، كان المذكور مستوطناً للجراف شمالي صنعاء في الخريف والشتاء، ودفن جنب صنوه بَرَسْلان[٢]. وكان المذكور قد اختار سكون ذلك المكان على صنعاء في جميع الأوقات والأزمان، وأصل داره وأهله جهات صعدة، ثم إنه ارتحل إلى شهارة في أول دولة الإمام، فقرأ فيها تلك الأيام على الشيخ العلامة لطف الله بن محمد الغياث الظفيري[٣]، وعلى شرف الإسلام الحسين بن القاسم، ثم ارتحل إلى صنعاء عقب خروج حيدر[٤] عنها، ودرس على السيد العارف محمد بن عز الدين المفتي المؤيدي، وتأهل ببنت من بنات السيد صلاح الحاضري السراجي[٥]، وما زال كذلك بصنعاء، ثم طاب له سكنى الجراف آخر مدة الإمام المؤيد بالله إلى أن مات فيه، وكان يدعي الإجتهاد وأنه ترجح له مذهب داود الظاهري[٦]، ويعول عليه

---

(١) الحسن بن أحمد الجلال: ترجم له المؤرخ هنا ترجمة كاملة، وألف الأستاذ الدكتور حسين العمري كتاباً عنه أسماه (العلامة والمجتهد المطلق الحسن بن أحمد الجلال حياته وآثاره) (دراسة ونصوص محققة) وكان من بين النصوص وأهمها النص الذي أورده يحيى بن الحسين هنا في هذه الأوراق من كتاب (بهجة الزمن).

(٢) رَسْلان: ربوة في الشرق الجنوبي من مدينة الروضة. (المقحفي: معجم البلدان: ج١، ص٦٨٧).

(٣) هو لطف الله بن محمد الغياث بن شجاع بن الكمال بن داود الظفيري، عالم كبير، اشتهر وبرز غي علوم العربية كما شارك في كثير من العلوم كالمنطق وأصول الفقه وغيرها، توفي بظفير حجة سنة ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م، وله العديد من المؤلفات الهامة. (يحيى بن الحسين: المستطاب، مخطوط، ق٢٦٥؛ أبو الرجال: مطلع البدور، ج٤، مخطوط، ق٨٠).

(٤) حيدر باشا: عُين والياً على اليمن أوائل سنة ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٥م. وقد تخبطت سياسته منذ البداية، وساءت سيرته بين الأهالي، عُزل سنة ١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م. (د. سيد سالم: الفتح العثماني، ص٣٩٢-٣٩٣).

(٥) هو صلاح بن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الله، يصل نسبه إلى الإمام سراج الدين الحاضري، نسبة إلى (حاضر) من ضواحي صنعاء، كان عالماً فاضلاً بليغاً، لكنه كان مغموراً، لم يشتهر لخموله، كان ملازماً للعلامة محمد بن عز الدين المفتي المؤيدي. (يحيى بن الحسين: المستطاب، مخطوط، ق٢٦٥؛ أبو الرجال: مطلع البدور، مخطوط، ج٢، ص١٧٧).

(٦) داود الظاهري: هو داود بن علي بن خلف الأصبهاني، الملقب بالظاهري (٢٠١-٢٧٠هـ/ ٨١٦-٨٨٤م) تُنسب إليه الطائفة الظاهرية، سميت كذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة، وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس. (عز الدين بن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب، ج٢، ص٢٩٧؛ الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٨).

في أقواله في الأصول والفروع[٤٤/ ب]، ويقول: أن الإجماع ليس بحجة، ويقول بالمتعة(١) موافقة للرافضة الإمامية(٢)، ولا يحتج بالآحاد(٣) موافقة للقاشاني(٤)، وإن صح بالإسناد، ولا يحتج إلا بالمتواتر وما لم يجده فبالبراءة الأصلية، وقال: أنه على رأى ابن حزم(٥) في العمل بالبراءة، وله أقوال عجيبة، ونوادر غريبة فيها ركة وإباحة ومخالفة لجمهور الأمة، وللإجماعات المنبرمة فلا قوة إلا بالله. ولو توقف على مذهب داود نفسه لكان أقل من تلك النوادر والمخالفات، لكنه خرج عن أصل داود في موافقة الرافضة في المتعة، وفي سب عثمان رضي الله عنه، وفي موافقة الخوارج(٦) في منصب الإمامة، فقال: إنها في جميع الناس عربي وعجمي فيها على سواء وإنما يشترط فيهم التقوى. وكان يرى في خلق الأفعال(٧) مثل قول أهل السنة وثبوت الخروج لأهل الكبائر من النار بالشفاعة، والرؤية، وكان لا يُكَفِّر بالإلزام كما يقول به محققوا علماء الإسلام.

---

(١) يقصد بذلك زواج المتعة.

(٢) الإمامية: هم القائلون بإمامة علي كرم الله وجهه بعد النبي÷ نصاً ظاهراً، من غير تعريض بالوصف بالإشارة إليه بالعين، وهي فرقة من فرق الشيعة، وقد انقسمت إلى عدة طوائف التي منها الاثني عشرية. (الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٦٢).

(٣) الآحاد من الحديث الشريف مختلف في الأخذ بها عند الفقهاء. (د. حسين العمري، القاضي محمد الجرافي، الحسن بن أحمد الجلال، هامش ص ٤٦).

(٤) القاشاني: هو أبو بكر محمد بن إسحاق، يُنسب في مذهبه إلى داود الظاهري، توفي سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م. (إسماعيل البغدادي: هدية العارفين، مج٢، ص٢٠).

(٥) ابن حزم: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٣٨٤-٤٥٦هـ/ ٩٩٤-١٠٦٤م) عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. (الزركلي: الأعلام، ج٥،ص٥٩).

(٦) الخوارج: نواة الخوارج هم الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعد وقعة صفين عام ٣٨هـ/ ٦٥٨م، ثم انقسمت إلى عدة فرق لكنها متفقة في مسألة الإمامة، وهي: أن الخلافة حقاً لكل مسلم ما دام كفأً لها، ووجوب الخروج على السلطان الجائر. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مج٢، ص٢٩٢).

(٧) خلق الأفعال: أي أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة، والله منزه أن يضاف إليه شر وظلم. (الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص٤٥).

قال السيد ما لفظه: إلزام الجبر(١) مع عدم صحة نقله عن المرمى به تواتراً مما لا يجوز أن يبنى عليه حكم ظني، فضلاً عن قتال واستباحة النفوس وأموال؛ لأن الجبر لا يعرفه مدققوا علمائهم، مدعياً أنه ذا وهم عن الإعتزال قائم البرهان، ولا قائل بتكفير الأشاعرة لقولهم بالكسب، ولا يكفر أهل الكسب فيما يعلم إلا مجازف، لا يعرف العلم ولا أهله؛ لأن الكسب هو الفعل الذي يقول به المعتزلة، وإنما الخلاف للعبارة بعد التحقيق، إلى آخر ما ذكره في بعض رسائله[٤٥/ أ]. وللسيد الحسن الجلال المذكور اعتراض وجواب حسن على أرجوزة القاضي إبراهيم بن يحيى السحولي(٢)، التي وضعها في إسناد جملة مذهبه إلى علي إلى النبي ﷺ، وكان فيه مجازفة ظاهرة، فقال السيد الجلال مجيباً عليه في هذا المجال:

بسم الله الرحمن الرحيم:

اطَّلع الفقير إلى الله الحسن بن أحمد الجلال على الأرجوزة التي نظمها القاضي العارف إبراهيم بن يحيى السحولي، التي جعلها نظاماً لفروع مذهب الهادي، وقد كان اطَّلع عليه في إسناد الإمام شرف الدين، ولكنه كان في النفس منه شيء، فعاق عن استجادته، ورأيت إسناد القاضي لم يخلص أيضاً من ذلك وهو بحثان:

الأول: أن الإسناد المذكور قد تجاوز إلى النبي ﷺ، فمروي الهادي إلى النبي ﷺ بتلك الطريق المخصوصة هو أما علم روايته -أعني

(١) الجبر: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الله، والجبرية أصناف منها: الجبرية الخالصة والجبرية المتوسطة. (الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص٨٥).

(٢) هو العلامة إبراهيم بن يحيى بن محمد الشجري السحولي. كان عالماً بالفقه وعلم الكلام، وكان حاكماً بمدينة صنعاء وخطيباً وإمام جامع صنعاء للصلاة، لم يعرف عنه أنه ترك التدريس في الفقه وعلم الكلام حتى وفاته سنة ١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م، والأرجوزة هذه هي المعروفة بـ(الطراز المذهب في إسناد المذهب) ضمنها مسند المذهب الزيدي بتفريعات الإمام الهادي يحيى بن الحسين. (النص، ج١، ق١٢٤أ-١٢٤ب؛ د. حسين العمري: الحسين بن أحمد الجلال، هامش ص ٤٧).

متون أحاديث النبي ﷺ، أو علم درايته -أعني مستنبطاته منها ومستخرجاته-، أو كلا الأمرين، الأول باطل؛ لأنه لم يكن في كتبه (المنتخب)[1] و(الأحكام)[2] و(الفنون)[3] مدوناً بتلك الطريق التي تضمنتها الأرجوزة -أعني عن الحسين بن القاسم عن [٤٥/ ب]إبراهيم عن إسماعيل عن الحسن عن الحسن عن علي عن النبي ﷺ إلا حديث واحد لفظه في كتاب الطلاق من (الأحكام): «يا علي يكون في آخر الزمان قوم لهم نبز يعرفون به يقال لهم الرافضة، فإذا أدركتهم فاقتلهم قتلهم الله فإنهم مشركون»[4] وما نقله غير تلك الطريق يعلم ذلك من استقصى بحث كتبه المذكورة.

والثاني: أعني علم درايته بالحل باطلاً أيضاً إذْ لم يقل عالم بجواز إسناد التلميذ دراية نفسه قولاً لشيخه، مثلاً قياس النبيذ على الخمر في الحرمة لا يصح أن يقال فيه قال النبي ﷺ النبيذ حرام، إذن لبطل القياس وعاد نصاً، ولا قال النبي ﷺ: «لا زكاة في المعلوفة» إذن لَبطْل كونه مفهوماً وعاد منطوقاً، وكذا سائر الاجتهادات.

والثالث: باطل بمثل ما بطل الأولان. الثاني أن ما في كتب الهادي رواية ودراية لا يبلغ العشر مما صار الآن في كتب فروع مذهبه، وقد قدمت أن دراية التلميذ لا يحل روايتها قولاً للشيخ، وإنما يحل روايتها قولاً لراويها، بل قال الإمام

(١) المتخب: هو كتاب (المنتخب في الفقه) فيه أجوبة للإمام الهادي يحيى بن الحسين عن أسئلة راوي سيرته أبي جعفر محمد بن سليمان الكوفي، الذي قام بتصنيفه وتبويبه. (د. حسين العمري: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، ص١٣٩).

(٢) الأحكام: هو كتاب (جامع الأحكام في الحلال والحرام) في فقه الزيدية، وهو للإمام الهادي أيضاً..

(٣) الفنون: (كتاب الفنون) ذكره المؤرخون باعتباره كتاباً للإمام الهادي الفقهية. (د. حسين العمري: مصادر التراث اليمني، ص ١٣٨).

(٤) لم أجد الحديث فيما بين يدي من كتب الأحاديث.

القاسم بن محمد في آخر إرشاده[1]: وبلغنا عن بعض العلماء -يعني المهدي[2] والفقيه يوسف[3]- أنه قال ما لفظه: أن هذا الحكم الذي يعد أنه مخرج ليس بقول لمن[٤٦/أ] خرج على قوله ولا قول للذي خرَّجه من قول المجتهد، فحينئذٍ يكون هذا الحكم لا قائل به، فكيف تجري عليه الأديان والمعاملات؟، وهذه ورطة تورط فيها الفقهاء برمتهم، إلا من لزم النصوص، وكذا في بعض كتب الأصول لأهل المذهب كالجوهرة[4] إنكارها، وقرأت بخط شيخي أمير الدين عبد الله، وأظن أني سمعته منه عن بعض السادة من أهل البيت أنه قال: كثير من التخاريج مصادمة للنصوص، ولهذا يمتنع كثير من أهل التحري من العمل بالتخريجات والإفتاء بها لمخالفتها لنصوص الأئمة من غير ضرورة ملجئة إلى مصادمتها. وسمعت الإمام الحسن بن علي ينكرها، وقال ما معناه: كان مذهبنا سليماً إلى زمان كذا، وذكر بعض أول المخرجين في مذهب الهادي، وكذلك اتباع الفقهاء الأربعة، فإن استطاع القاضي أن يخلص هذا الإسناد من هذين الإشكالين تفضل به جاز به لنا، وإلا وجب عليه الحذر من هذه المجازفة التي

---

(١) الإرشاد: أحد مصنفات الإمام القاسم بن محمد في الفقه، اسمه كاملاً (الإرشاد إلى محجة الرشاد في طرق أعمال العباد عند فقد الاجتهاد).

(٢) المهدي: هو الإمام أحمد بن يحيى المرتضى الحسيني(٧٦٤-٨٤٠هـ/ ١٣٦٢-١٤٣٧م) الإمام، العالم، الفقيه، المجتهد، ولد بمدينة ذمار، وادعى الإمامة بصنعاء سنة ٧٩٣هـ/ ١٣٩١م) عقيب وفاة الإمام الناصر صلاح الدين الذي خلفه ابنه (علي) وبعد صراع دام أكثر من عام أُلقي المهدي في سجن قصر صنعاء. ثم خرج منه سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٨م وأكب على العلم وتفرغ للتصنيف إلى أن توفي بالطاعون، وخلف الكثير من المؤلفات في مختلف العلوم. لعل أهمها مؤلفه (الأزهار) وشرحه (البحر الزخار). (د. حسين العمري: مصادر تاريخ اليمن في المتحف البريطاني، ص١٩٢).

(٣) الفقيه يوسف: هو نجم الدين يوسف بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عثمان اليمني الزيدي. (ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م) فاضل، من أهل هجرة العين من ثلا، له مؤلفات مفيدة، منها: كتاب (الثمرات) في تفسير آيات الأحكام، وهو من الكتب الشهيرة، و(الرياض) على التذكرة الفاخرة، وغير ذلك. (زبارة: أئمة اليمن، ج١، ص٣٠٥).

(٤) الجوهرة: يقول الدكتور حسين العمري: لعله يقصد الجوهرة المنتقاة من كُتب الرواة فيما بني عليه من مسائل الأزهار لمعاصر الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم. (الحسن بن أحمد الجلال، هامش ص ٤٨).

وقعت للإمام شرف الدين، ونسب في هامش الفصول[1] مثلها للمؤيد بالله والإشكالات واردات للجميع. وقد وجدت في إجازات جدي العلامة صلاح بن الجلال[2] استشعار خلل هذا الإسناد جملة[٤٦/ ب]، والإعتذار بأنه إسناد معنوي تسامحاً لا تحقيقاً، وما أدري ما جدوى هذا العذر عنها، وقد علمتم ما في الكذب على رسول الله ﷺ وعلى علماء أمته من الوعيد الشديد، الذي بسببه ترك أكابر الصحابة الرواية عن رسول الله ﷺ، وامتنع كثير من أهل التحري بالعمل بالتخريجات كما ذكرنا عن الإمام القاسم حذراً منه، وخرج أئمة الحديث بالتجاوز في رواية لفظه أو نحوه زائدة، ونسبوا روايتها إلى الوضع، فما ظنكم برواية ما لا نهاية له من أقوال الرجال قولاً لرسول الله ﷺ ولأهل بيته، والله تعالى يوفقنا إلى ما يرضيه.

انتهى كلامه وهو كلام جيد وارد.

وقد كنت أجبت على السيد بأن هذا يرد على القاضي لأنه أطلق، وأما على مقتضى ما هو ملصق أول شرح التجريد[3] فإنه يقتضي أنه أراد الرواية في الحديث لا الدراية، ولكن فيه إشكالات قد ذكرتها في جواب رسالة القاضي أحمد بن سعدالدين[4] على أن

---

(١) الفصول: هو كتاب: (الفصول اللؤلؤية) في أصول الفقه لصارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن الهادي الوزير (٨٣٤-٩١٤هـ/ ١٤٣٠-١٥٠٨م) (عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٦٩).

(٢) العلامة صلاح الجلال: هو العلامة صلاح بن جلال بن صلاح الدين، احد علماء القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، مشارك في شتى الفنون، أخذ من مشاهير علماء عصره، وشارك في الأحداث السياسية، من مؤلفاته (تتمة شفاء الأوام). (عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية،ص ٤٩٩).

(٣) شرح التجريد: مخطوط للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) منه نسخ في مكتبة الجامع الكبير الغربية. (د. حسين العمري: الحسن بن أحمد الجلال، هامش ص ٤٩).

(٤) القاضي أحمد بن سعد الدين بن الحسين بن محمد بن علي بن غانم بن يوسف (١٠٠٧-١٠٧٩هـ/ ١٥٩٨-١٦٦٨م)، كان من العلماء البارزين في عصره، وكان كاتباً مع الإمام المؤيد، ومن رجال دولته، وبعد وفاته استمر مع الإمام المتوكل من رجال دولته، اعتنى بجمع فتاوي الإمام المؤيد بالله، له مؤلفات منها: مختصر في (جلاء الأبصار) ومؤلفات أكثرها في المناقب والفضائل والرسائل. (النص، ج١، ق٢٥٢ب-٢٥٣ب).

كلام القاضي إذا كان في جملة أصل الدين فليس بخاص لدينه ومذهبه، فإنه قد ذكر ابن أبي الحديد[1] في (شرح نهج البلاغة): أن كل مذهب أسند أهل مذهبه إلى علي بن أبي طالب المعتزلي، والأشعري، والرافضي، والزيدي[2] فلا مخصص حينئذٍ في هذا الأمر الإعتباري إن أراده، وإن أراد الإطلاق فهو كما قال السيد ابن الجلال ظاهر البطلان، والله أعلم.

وله رسالة تضمن الإعتراض على المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم في دخول عساكره المشرق[3]، وأنه لا يجوز ذلك في كلام طويل تضمن ذلك رسالته[٤٧/ أ]، وله قصيدة في الأصول يذكر فيها الحث على ما عليه السلف من الطريقة الأصولية علخى مقتضى مذهب الحنابلة، وله تصانيف على القلايد[4] حاشية وتتمة حاشية سعد الدين[5] على الكشاف[6] وشرح على الأزهار[7]، ما في فنه بالإيرادات على مقتضى مذهبه، وكذلك تعليق على

---

(١) ابن أبي الحديد: هو عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد. (ت ٦٥٦هـ/ ١٣٥٨م) عالم معتزلي، أديب، شاعر، واسع الاطلاع على التاريخ، وشرحه لكتاب (نهج البلاغة) مشهور مبطوع. (د. حسين العمري: الحسن بن أحمد الجلال، هامش ص٤٩).

(٢) الزيدي: هو من يُنسب إلى المذهب الزيدي، ويُنسب أتباعه إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها وهم عدة فرق، وقد تميز المذهب الزيدي في اليمن عن بقية فرق الشيعة والمذاهب الأخرى بالاعتدال والحرية الفكرية، والحرص على ضرورة حث العلماء على الاجتهاد، فهم أعظم الشيعة اعتدالاً، وأكثرهم التصاقاً بالسنة. (الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٥٤-١٥٥؛ د. حسين العمري: الإمام الشوكاني رائد عصره، ص ٩٥-٩٦).

(٣) عنوان رسالته: (براءة الذمة في نصيحة الأئمة) حققها الأستاذ الدكتور حسين العمري في كتابه: الحسن بن أحمد الجلال من ص ٤٢٨ إلى ص٤٤٤).

(٤) القلائد في تصحيح العقائد: كتاب في علم الكلام للمهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت ٨٤٠هـ/ ١٤٣٧م). (د. حسين العمري: الحسن بن أحمد الجلال، هامش ص ٥٠).

(٥) هي (منح الألطاف) في تكميل حاشية السعد التفتازاني. (د. حسين العمري: الحسن بن أحمد الجلال، هامش ص٥٠).
وسعد الدين: هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني. (٧١٢-٧٩٣هـ/ ١٣١٢-١٣٩٠م) من أئمة العربية والبيان والمنطق. (البغدادي: هدية العارفين، مج٢، ص ٤٢٩-٤٣٠).

(٦) هو كتاب: (الكشاف عن حقائق التنزيل) لمؤلفه أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الشهير بالزمخشري. (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م).

(٧) الأزهار: كتاب في الفقه للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، أما شرحه المقصود هنا فهو كتاب الجلال: (ضوء النهار) في أربعة مجلدات، مطبوع.

الفصول[1] في أصول الفقه يورد فيه تشكيكات على الأصل وإيرادات، وله شرح على التهذيب[2] في المنطق، ورسالة له في تحريم قصد البغاة إلى ديارهم، وله تقرير في تحليل الزكاة لبني هاشم، وله شواذ كثيرة تعد أشياء منها في الخرافات لا ينبغي الإلتفات إليها والإغترار بها، بل كان التقليد له أولى من القول بها[3] وقد أوردت بعضها في كراريس وبينت ضعفها، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وله في الشعر اليد الطولى وفي الغزليات أيضاً، وله في المجون قوله:

أنـــــا للعاشــــــقين إمـــــام
غــــــــير أني ذو صـــــــــبابة
أرشـــــف الريـــــق وأهـــــوى
كـــــل مجـــــدول الذؤابـــــة[4]

وله قصيدة نظم فيها مقامات الصوفية مستهلها قوله:

للقـــــوم ألفــــاظ بهـــــا
سر الهــــــوى داع لنـــــا
وكــــان يخفـــى عـــنهم
فــــصار مـــــن ذا علنـــا

(١) هو كتاب: (الفصول اللؤلؤية) للعلامة إبراهيم بن أحمد الوزير، وقد سبق ذكره.
(٢) هو شرحه على كتاب (تهذيب المنطق) لسعد الدين التفتازاني السابق ذكره، مطبوع.
(٣) فند الأستاذ الدكتور حسين العمري الأقوال التي نسبها يحيى بن الحسين للحسن الجلال، من خلال ما ورد في النص السابق من هذا الكتاب، موضحاً بأن معظم ما نُسب إليه غير صحيح، وقد اعتمد الدكتور العمري في ذلك على مؤلفات الجلال، والتي من أهمها كتابه (ضوء النهار). (د. حسين العمري: الحسن بن أحمد الجلال، ص٥٨-٨٤).
(٤) مجدول الذؤابة: الجَدْل: شدة الفتل، والذُّؤابة: الناصية، وقيل: منبت الناصية من الرأس. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص١٠٥٢).

منهـــــــا لأربـــــــاب العـــــــلا

جمـــــــع وفـــــــرق وفنـــــــا

وهي طويلة والله أعلم.

وفي هذا الشهر اتفق مغزى جماعة من العسكر قدر سبعين نفراً الذين جعلهم أحمد بن الحسن رتبه في معين إلى بلاد بني نوف من مساقط جبل برط وسهوله مما يلي الجوف والمشرق، فانتهبوا من مواشيهم[٤٧/ ب] عوضاً عما فعلوه من قبل من نهبهم، ثم إن بني نوف صاحوا وتغاوروا[١] بأجمعهم ولحقوهم، فاقتتلوا، فراح من العسكر حول عشرين نفراً ومن بني نوف أربعة فقط، واسترجعوا مواشيهم لأجل كثرتهم وقلة العسكر. وهذه البلاد لاخير فيها ولا مهبط ومستقر لمن يقصدها من الدولة، لعدم ما يقوم بها، ولأنهم بدوان، لا قرار لهم ولا أطيان، بل رعاة للإبل والمواشي، وأكل اللحوم في تلك القفار والفيافي، فلذلك تركها الدول الماضون، وعرضوا عنها أجمعون. وكان استقرار تلك الرتب في معين ونحوه من أطراف العرار[٢] من الجوف كفاية لحفظه لأنه يحتمل العسكر ويقوم بهم، وكان الزمان الماضي مقطعاً للأمراء من أشراف الجوف، فلم يحصل فيه من هذا الإنتهاب مع الرعايا من أهله والخوف، حتى لم يبق فيه رئيس هذا الزمان، ورفعت مطالبه[٤٨/ أ] إلى المحران[٣]، فحصل هذا الخلل وأهمل عن العسكر.

وفي تاسع وعشرين شهر ربيع الثاني يوم السبت حكم بعض المنجمين بكسوف الشمس، قدر أربع أصابع في برج الأسد والطالع العقرب ضحوة النهار، وأن مدة الكسوف ثمان درج ونصف عن نصف ساعة، ولعله كان كما ذكر، فإنه روى جماعة

---

(١) تغاوروا: استنجد بعضهم ببعض، والغارة: تعني النجدة والمساعدة.

(٢) العرار: اسم مشترك بين عدد من المناطق. ولم أعثر على العرار التي في الجوف.

(٣) لم أجدها في ما بين يدي من مصادر.

أنهم رأوها كاسفة، ولم أرها لأنه كان بالسماء سحاب متراكم وهو ممكن؛ لأن الذنب يومئذٍ في نحو ثلاثة عشر درجة من برج الأسد والشمس في نحو تسعة عشر درجة من الأسد وكسور. وكان من جملة الخابر بالكسوف الشريف محمد، وصل من الروم، له معرفة بالنجوم.

وفي هذه الأيام هاج السَّرَق بمدينة صنعاء وكثروا، وكنسوا بيوتاً ونهبوا على ضوء القمر في نصف الشهر، ولم ينتظروا الظلام، لذلك الحرام، ودخلوا من البيوت الخالية التي أهلها في الخريف، وسرقوا ما وجدوا فيها [٤٨/ ب]من الأواني، وعبروا منها إلى البيوت المحلولة[١] من فوق الأجبي[٢] فضروهم وتسوّر منهم من تسوّر بالسلاليم التي يجدونها في تلك البيوت الخالية. وكان من الإسباب أن محمد بن الإمام صاحب المدينة أقام محتسباً وأمره أنه يطوف على المدينة فاستخدم معه أعوان من السرق وأهل الطغيان فحصل منهم ما حصل من هذه الأعمال، ويقال في المثل: السرق إخوان وتجرأ معهم سائر السرق لما سمعوا أن محمد بن الإمام قال: لا يحبس أحد من السرق، وإن قد اشتهر سرقهم إلا بشهادة، فجرأهم على ما ألفوا من العادة، بحيث أن تاجراً من بني كُبَاس [٣] كبسوه إلى بيته، فأراد الدفع والصياح، فسلوا عليه الخناجر والسلاح، فحملوا من بيته ما شاؤا، وهم جماعة يقال خمسة. وكان من سبق من الولاة بصنعاء من اشتهر بالسرقات حبسوا وبقوا في الأماكن البعيدات إذا لم تقم عليه شهادة نصاب القطع، بل مجرد الشهرة[٤] [٤٩/ أ]، فلهذا وقع الخلل من الجانبين المحتسب وأصحابه والسرق من غيرهم كل من جانبه والشهادة إنما تعتبر في القطع لليد، لا النفي والطرد

---

(١) البيوت المحلولة: أي البيوت التي لم يخرج عنها أهلها، وهم ساكنين بها.

(٢) الأَجْبِي: جمع جُبا: وهو سطح المنزل، من اللهجة العامية.

(٣) بني كُبَاس: لا زالت أسرة بيت كُباس تعمل في التجارة حتى الوقت الحاضر، وهي من الأسر الصنعانية.

(٤) الشهرة: بها التشهير.

والحبس والكرد[1] فإنه يكفي فيه الشهرة، وظهور الأمارات المتكررة، فإنهم لا يخفون.

وفي أول هذا الشهر نزل سيل عظيم هائل غير معهود من جبل مَسْور [2] إلى بني مهدي[3] وبني مهند[4]، فحمل من أموال البن وغيرها كثيراً جزيلاً، حتى فقر بعضهم لحمله لجميع ماله، وراح منه ثلاثة مساجد حملها، وحمل خمسة رجال كانوا فيها، وحمل تالوقة[5] عظيمة لها مدة طويلة، وكان قد هرب إليها شيء من الرُّباح[6] فقلعها بعروقها وقرودها، بحيث أخبر أهل الجهة أنهم لا يعلمون مثل هذا السيل مدة أعمارهم، ولا أخبرهم أحد من كبارهم، فالقوة لله، ونزل سيل فخرب بيت شيخ بني مهدي؛ لأنه كان في رأس الوادي، فهربوا عنه، ثم نزلت صخرة عظيمة من الجبل عمته بالخراب، فعمر الشيخ في موضع آخر في وسط الوادي، ونزل سيل أيضاً بوادي ضِلاَع[7] كبس أموالاً كثيرة.

وفي هذه المدة بشهر ربيع وصل خبر من الحجاز (بأن الشريف أحمد بن زيد بن محسن) استقر عند[٤٩/ ب] الشيخ ابن معيان، من مشائخ بلاد الصفراء ورؤسائها وما بين مكة والمدينة وهي طريق المدينة من مكة، وأنه والشيخ تعرضوا المحمل المصري انتهبوا وقتلوا جماعة حال عودهم من مكة آخر شهر الحجة، فحصل في نفس الشريف بركات ما حصل وكذلك محمد شاوش، وكتب إلى الشيخ ابن معيان من أجل هذا

---

(١) الكرد: تعني الطرد.

(٢) جبل مَسْوَر: جبل عظيم يطل على بلاد حجة وتهامة، تقع شمال غرب مدينة ثُلا، غلب عليه اسم (مسور المُنْتاب) لسكون آل المنتاب فيه. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٥٢٤).

(٣) بنو مهدي: اسم مشترك بين عدد من المناطق، ولعل المقصود هنا إحدى قبائل حَجُوْر، يسكنون مديرية (كحلان الشرف) من أعمال محافظة حجة. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٧٢).

(٤) بنو مُهَنَّد: بلدة في جبل مسور المُنْتاب. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٧٨).

(٥) تالوقة: نوع من الأشجار الكبيرة.

(٦) الرُّبَاح: القرود.

(٧) ضِلاَع: بلدة ووادٍ في الشمال الغربي من مدينة صنعاء، بمسافة نحو ١٠كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٩٤٦).

الحادث، وأنه يخرج الشريف أحمد بن زيد عن بلاده، فأجاب في كتابه: بأن بقاء المذكور عنده ولا يحسن منه صده فتقدم الشريف بركات إلى تلك الجهات، وخرج عن مكة بمن معه من العينات واستقر ببدر مدة، ثم إنه تقدم إلى تلك الجهة، فوقع الحرب. وكان قد أحاش ابن معيان قبائل حرب[1]، فقتل من أصحاب الشيخ ابن معيان جماعة ومن أصحاب الشريف أيضاً جماعة، واختلفت الأخبار في العدد فقيل: قدر أربعين من الطائفتين وقيل: أكثر، ثم بعد ذلك اختلفت الأخبار أيضاً فقيل: إن الشريف أحمد بن زيد هرب بلاد نجد العلياء والشيخ بن معيان احتاز في جبل من بلاده بعد أن خرج مع الشريف بركات عينة من مصر، وأن الهزيمة أولاً كانت ببركات، وكان الشريف سعد [٥٠/ أ]قد أهم بالتقدم إلى جهات الحجاز لما بلغه أول هذه الحادثة، فلم يتم له ذلك ورجع إلى بيته، وكان وصول الخبر إلى اليمن في شهر شعبان، وقد كان غَلَبَ أحمد بن زيد وقبائل الشيخ ابن معيان على بركات، ومنعوه عن نفوذ الأوامر والتصرفات.

وفي سلخ جمادى الثاني عاد الحسن بن الإمام إلى أبي عريش، ثم طلع جبل رازح حيث كان بعد أن قد قبض اللحية وكمران كما سبق ذكره.

وفي هذا الشهر أنفذ محمد ابن الإمام الأمر في خَرْص[2] الثمار من الحبوب في بلاد سنحان، ولم تكن عادة من قبل هذا الزمان، ثم تركه بعد ذلك.

وفي شهر ربيع الثاني من هذه السنة وصل الفقيه صالح المقبلي الثلائي اليمني من مكة المشرفة، بعد أن استقر فيها هذه المدة، فذكر تحقيق[٥٠/ ب] موسم حج هذا العام الماضي، وقال: الخارج مع حاج الشامي محمد باشا صاحب حلب، وهو مملوك

---

(١) قبائل حرب: قبيلة بنو حرب تُنسب إلى حرب بن علة، وهو جد جاهلي من كهلان باليمن، ومن بطونها بنو سالم، وبنو مصروح. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٢، ص٦١).

(٢) الخَرْص: هو حَرْز ما على النخل من الرطب تمراً ومن العنب زبيباً، وهو من الظن؛ لأن الحرز إنما هو تقدير بظن. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٨١٣).

للسلطان ولاَّه مدينة حلب هذا العام، ورجع مع المحمل الشامي عقب تمام الحج، ومحمد شاوش بمكة [1] يتردد منها إلى مكة.

وذُكر أن مالطة تم استفتاحها، والإستيلاء على قلعتها، والحكم عليها ودخولها في مملكة السلطان محمد بن إبراهيم بن أحمد خان، ورفع عنها العساكر وبقى فيها من يحفظها، وفيها المعدن الذهبي، فكان ذلك زيادة قوة للسلطان.

قال: ووقع ذلك الصلح الذي بلغك في الأيام الماضية وهو على البلاد الداخلية للنصارى من الفرنج، وليس على القلعة، إذ دخولها كان عنوة، قال: والجاري من الإنتقاض الذي جاء به الخبر في أطراف بلاد السلطان من جهة أخرى اختلف فيه الخبر، قال: وكان شاع الخبر[٥١/ أ] بمكة أن القاصد هو السلطان بنفسه، قال: فلم يمض إلا برهة أيام حتى وصلت البشارات إلى مكة بالإستيلاء عليها، وعود السلطان من تلك الجهة التي أمها.

قال: ويقال أنه ما قد كان خرج بنفسه قبلها، وزال الخلل فيها وزينت الأسواق بمكة وجدة إظهاراً للبشارة.

وفي نصف شهر جمادى الآخرة خرج محمد بن الإمام من صنعاء، بعد العصر، طريق الجراف، ثم ذَهْبَان [2]، ثم سار إلى ضلع، صلى فيها المغرب والعشاء، وسار ليلاً حتى بلغ إلى ثُلا آخر الليل، ولبث فيه نصف شهر، ولم يكن في المدينة من مآثر الدولة الأولة، لخراب أساس قصر عامر بن عبد الوهاب [3] من المدة السابقة، فإنه كان هذا

(١) وردت العبارة هكذا في الأصل، ولعله خطأ غير مقصود وقع فيه المؤرخ ويقصد أنه بجدة يتردد منها إلى مكة؛ لأن مقر الوالي العثماني في جدة.

(٢) ذَهْبَان: قرية تقع فيما بين ثقبان والجراف بشمال صنعاء، وقد اتصلت بمدينة صنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ص٢٦٢).

(٣) هو السلطان عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر (٨٦٦-٩٢٣هـ/ ١٤٦١-١٥١٧م) آخر ملوك الدولة الطاهرية وأبرزهم، امتد حكمه من صعدة وجيزان شمالاً إلى عدن وحضرموت جنوباً، ثم قُتل على يد المماليك. (د. سيد سالم: الفتح العثماني، ص٥٠-١٠٩).

القصر عامراً في مدة المطهر(١) إلى دولة السلطنة(٢)، وخُرب وعمر بحجاره أهل البلد، ولم يبق إلا عمارة الحصن على حالها الأول دون قصر المدينة، إلا ما فيها عمارة لأهلها، ثم استدعاه صاحب كوكبان للضيافة فسار إلى هنالك، واتفق من بعض الخدامين(٣) قتل بواب شبام حال الدخول بسبب خصام أدى إلى عدم الإحترام والإحتشام، فطلع الجبل، ولم يبق فيه إلا قدر ثمانية أيام.

[٥٢/ ب]وفي آخر نهار السبت، تاسع وعشرين شهر جمادى الآخرة مات شرف الدين الحسين بن الإمام المؤيد بالله بوطنه ومستقره حصن شهارة، كان المذكور له معرفة بمنازل الناس والرعايات، وبقية من الطبقة الأولة بالنظر إلى هذه الأوقات، ولكنه كان يجور في الآداب(٤)، قد تبلغ نفاعته إلى المائة الحرف فأكثر في الشكايات، حتى أنه قد يتلطف المُشكى به في ترك المشكى، وتسليم الحق من دونه على الوفاء، وكان إلى ولايته بلاد عفَّار وعاهم(٥) وضاعن(٦)، بمساقط الشرف الأسفل(٧). وكان أصحاب والده يحبونه، وكثيراً من الأعيان في جهات القبلة(٨) من المشائخ والرؤساء يودونه، بما يرون منه من الإنصاف لهم والإكرام مع أحوال الوقت وكانت وصيته

(١) المطهر: هو المطهر بن الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين، اشتهر بحروبه مع العثمانيين في الفتح العثماني الأول، نال منهم ونالوا منه إلى أن توفي سنة ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م. (الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص٣٠٩-٣١٠). للمزيد عن حروبه مع العثمانيين انظر د. سيد سالم: الفتح العثماني الأول لليمن.

(٢) دولة السلطنة: أي الدولة العثمانية وفترة وجودها في اليمن.

(٣) أي الخَدَم.

(٤) سبق شرحها وهي للغرامات المالية التي كانت تفرض على القبائل.

(٥) عاهم: وادٍ في شمال جبل كُشر من بلاد حجة. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص٩٩٤).

(٦) ضَاعِن: جبل واسع كثير القرى يتبع مديرية (وشحة) الواقعة في الطرف الشمالي من بلاد حجة. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٩٣٥).

(٧) الشرف الأسفل: الشرف بلاد متسعة تقع شمال غرب صنعاء، وبها جبال شامخة والعديد من الحصون، وتنقسم إلى الشرف الأسفل والشرف الأعلى. (زبارة: نزهة النظر، ج١، هامش ص١٦٣).

(٨) جهات القبلة: أي الجهات الشمالية.

مسندة إلى صنوه القاسم بن محمد[1]، قيل: وأوصى بالثلث من تركته للعلماء والمتعلمين. والله أعلم.

ودفن بحصن شهارة جنب الجامع [٥٣/ أ] بين القبتين رحمه الله. وكان المذكور له سياسة عجيبة، اتفق أن مسافراً أمسى في سمسرة الرباط فراحت عليه دراهم كثيرة في خُرْج[2] أو مَسَب[3]، فشكاه المَقْهوي؛ لأنه الذي يغلق السمسرة، فأنكر ذلك، فلم يقر بشيء، ثم إنه سار إلى عند الحسين بن المؤيد، فطلب المذكور وحبسه، ثم أمر الرَّسَمي[4] يسوسه بأخذ خاتمه من يده، فأخذه، فكتب على لسان المحبوس إلى ولده والخاتم الأمارة يذكر منه أنه يرسل بالخُرْج بما فيه من الدراهم، فسار ولده بذلك إلى حضرته، وتقرر عليه أمره، ورجعت الدراهم لصاحبها.

وفي هذه الأيام بعد وصول مشائخ بلاد خولان صعدة شُكاة من علي بن أحمد أرسل معهم الإمام والياً السيد علي بن مهدي النوعة[5]، فحصل مع علي بن أحمد ما حصل، وتكدر خاطره واشتغل.

وفي غُرة رجب نزل علي بن الإمام من حضرة والده إلى اليمن الأسفل، بلد ولايته

---

(١) هو القاسم بن الإمام المؤيد محمد بن القاسم، ولد سنة ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٢م تلقى العلم على يد أبرز علماء عصره. وله تلامذة أجلاء وفضلاء، وبلغ في العلم مبلغاً عظيماً، تابع المؤرخ يحيى بن الحسين في كتابه هذا دوره السياسي باعتباره من المراكز القوية في الدولة وأورد معارضته للإمام المهدي أحمد بن الحسن مفصلاً. (الحوثي: نفحات العنبر، مخطوط، ق٣٢٠-٣٢٣؛ ز بارة: نشر العرف، ج٢،ص٣٣٠-٣٣٤).

(٢) الخُرْجُ: من الأوعية، معروف، عربي، وهو جُوالِق ذو أذنَيْن. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٨٠٩).

(٣) المَسَبّ: عبارة عن كيس من الجلد، يُحمل على الكتف.

(٤) الرسمي: الجندي.

(٥) هو السيد العلامة الرئيس علي بن مهدي بن الهادي بن علي بن أحمد النوعة، والنوعة نسبة إلى جبل النوعة في جهات ساقين من بلاد صعدة، كان سيداً عارفاً وأميراً وماجداً، تولى ولاية العديد من المناطق إلى أن توفي سنة ١١٠٨هـ/ ١٦٩٧م. (زبارة: نشر العرف،ج٢،ص٢٨٦).

فسار واستقر بمدينة إبّ [1].

وفي هذه الأيام خرج محمد بن عامر الذي كان خالف على عساكر السلطنة بسواحل الحبشة، كما مضى ذكره، فدخل المخا هارباً في قدر خمسة عشر نفراً، وخرج عقبه غرابان إثنان لاحقان له في البحر حتى وصلوا إلى قريب المخا، ثم رجعوا على القفاء، وخرج زيادة عسكر إلى سواكن؛ لأجل محمد عامر مما حركه من الأمر الساكن، وانتهب على المذكور خزانته، وما قد جمعه مما استولى عليه وأخذه، وهو الذي أخرج مصطفى باشا من الحبشة وحاربه، ولعله كان قران المريخ والمشتري في برج العقرب.

ووصل في هذه الأيام بآخر شهر رجب وأول شعبان مركب كان متوها [2] في البحر من الهند، وقد له في البحر حول أربعة أشهر من أول الموسم[٥٣/ ب]. وكان السيد الحسن الجرموزي صاحب المخا قد جهز المحصول من البندر إلى حضرة الإمام وبلغ صحبته، فوصل إلى حضرة الإمام بأول شعبان بحول مائة وخمسين حملاً.

وفي هذا الشهر أهم الإمام بضريبة [3] جديدة، ويكون الصرف للقرش بحرفين، فتضرر التجار من ذلك الأمر خشية من الخسران في قضاء الديون هذا الأوان؛ لأن صرف القرش هذه الأيام الأولة بثلاثة أحرف وكسور فينقصون في المعاملات وقضاء الديون الثلث، فسار إلى الإمام جماعات للمشكى، فأجابهم الإمام وترك ذلك الذي كان أراده فيما مضى، وأطلق يومئذٍ لليهود أموالهم وبيوتهم من ذلك الترسيم [4] الذي جرى، وقال ليس عليهم إلا الضريبة متى احتاج إليها من غير أجرة، وحط عنهم ما كان زاده على الجزية، وقال: ليس عليهم إلا الجزية المعتادة.

---

(١) إبّ: مدينة مشهورة إلى الجنوب من صنعاء بمسافة ١٤٠كم، بها مركز اللواء. (المقحفي: معجم البلدان، ص٦).

(٢) متوهاً: أي تائهاً.

(٣) الضريبة تعني هنا: سك عملة نقدية.

(٤) الترسيم: بمعنى فرض الرسوم المختلفة من ضرائب وغيرها، وجاءت من فعل رَسَم، بمعنى أمر، ومنها المرسوم أو المراسيم. (الموسوعة اليمنية، ج١، ص٤٧٩).

[٥٤/ أ] وفي هذه السنة ظهرت مصنفة في بعض كراسة سماها واضعها (الجلسات)، فيها تخليطات ذكر فيها: أن المُريد أول ما إليه يريد من الطريقة أن يربط رجليه بحبل ويعلقها في سارية، ثم جلسة أخرى بعد ذلك متربعاً ويربط قدميه ويبقى على ظهره ملقى، وخرافات وجهالات لا يقول بها أحد من البريات، ولعل صاحبها اعتراه شيء من الخيولا، نعوذ بالله منه من أعمال السوداء، فصنفها وافتعلها من غير معرفة، ولا يعرف منشيها .

وفي هذه السنة كثرت الخيانات في الأمانات بين الناس، ممن لم يظن أنه يفعل ذلك فلا قوة إلا بالله، وغفلوا عن قول الله تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾[1] ﴿وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾[2].

وفي هذه الأيام كان كمال الصِّراب(٣) والحصاد للثمار، فتهونت الأسعار، بلغ القَدَح[4] الصنعاني مع زياداته بعشرين بقشة، والبر بحرف، والذرة من خمسة وعشرين، ودون ذلك.

والإمام هذه الأيام توجع من أعمال أهل برط[٥٤/ ب] وبني نوف من دُهمة، وكان أكثره من أهل جبل برط في عدم نفوذ أمره وخطه، فإنه كان أمرهم بتسليم الزكاة إلى أحمد بن المؤيد إلى عيان، والنصف يصير إلى القضاة، علي بن محمد العنسي وأصناه. وعاتب بذلك صنوه حسن بن محمد بن علي العنسي وقال: لم يمتثل القاضي على أمرنا وخطنا في سوق[5] النصف إلى عيان، وقبض الجميع بالأكف والبنان، حتى وادي

---

(١) البقرة: ٢٨٣.

(٢) البقرة: ٢٨٢.

(٣) الصِّراب: موسم من المواسم الزراعية، ويطلق عليه في اللغة اليمنية القديمة (ذو صربان) وهو شهر (العلان) الذي نعرفه اليوم. (مطهر الإرياني: ديوان فوق الجبل، ص ١١٨).

(٤) القَدَح: وحدة مستعملة في الكيل، وهو يساوي ملء صفيحتين من صفائح الجاز (الكيروسين). (قانون صنعاء، تحقيق: حسين السياغي، هامش ص٣٧).

(٥) سَوْق: بمعنى إرسال.

المراشي، وهو في العادة الماضية إلى عيان إلى مدة الإمام المؤيد بالله، فإنه كان يقبضه أشراف الجوف، وكان عم علي بن محمد بن علي بن قاسم وهو القاضي أحمد بن علي يرسل بالفضلة إلى الإمام المؤيد بالله، مع أن المراشي كان مخرجاً عنه، وهذا الوقت يقدر ذلك كله، ومن جملة قوله في العتاب: أنه قد أهم أن يسير بنفسه إلى بلاد ظَفَار [1] وذِيبِيْن [2]، وينظر من هنالك ما ينتهي به الحال والتبيين، وإن اقتضى المخالفة والشقاق[٥٥/ أ]، كان النظر من ذلك المكان وتلك الآفاق، مع ما أخذوا ونهبوا على الضعفاء من أهل الجوف، ثم أنه انبرم القول أن صنوه المذكور أرسل بعض أقاربه إلى هنالك، والنظر فيما يصلح في ذلك، وما يردوه من الذي أخذوه، فأرجعوا إلى المذكور ما بقي بعينه وسلموه إلى رسول أهل الجوف بأصله. وذكر لي بعض أقاربهم أن شبهة القاضي علي المذكور في قبضه للزكاة أنه قال: لا ولاية للإمام في تلك الديار؛ لأنها لا تنفذ فيها أوامره، والإمام صار متردداً في شأنهم، يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، لأجل أعمال مكة، وما يخشى من تلك الجهة، فإن أحوال الأشراف بها ما انتظمت، والتقوية من جهة السلطان ما زالت. ثم إنه وصل جماعات من أهل برط لقبول عيد رمضان، فشكى بعض ذلك الذي[٥٥/ ب] كان، وزلج الإمام القاضي حسن، وعرج عن ما كان قد أمر.

وفي أول شوال وصلت أخبار من الجهات الشامية والبلاد المصرية والحجازية فأخبروا أنه يتجهز الوزير للسلطان، ومن يعتمد عليه في الأمور العظام إلى مصر وعزل عنه الباشا الأول، وقيل: أنه مأمور أن ينفذ فيه الأمر. ولم تصل كتب من محمد شاوش إلى هذا التاريخ مثل العادة، وأنه خرج بعد وصوله إلى مصر بعض عيناته إلى ينبع،

---

(١) ظَفَار: المقصود هنا هو ظفار داود: حصن في بلاد همدان، في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة ذيبين، سمي بداود بن الإمام عبد الله بن حمزة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٥٦٤).

(٢) ذيبين: مدينة شرقي خمر وشمال ريدة بمسافة ٢٠كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٦٥٧).

فكان بسببها التنفيس على بركات، ومحاصرة الشيخ ابن معيان، وهرب أحمد بن زيد، هذا ما اتفق من الخبر هذا الشهر. وهذه الحركات كلها أسباب الأشراف آل زيد بن محسن، أولها ما سبق ذكره وآخرها عمل أحمد بن زيد والشيخ ابن معيان من قطعه لطريق ينبع ومخالفته للشريف بركات[٥٦/ أ]، وأرسل الوزير جماعة من الذين يصلحون الطرق ويعمروا مناهلها ومنشقها من مصر إلى مكة، وأمر بعمارة سمسرة جدة.

وفي العشر الآخرة من شوال سقط الأغا فرحان من فوق الحصان بالغراس، من أعمال حصن ذمَرْمَرْ [(١)] حضرة أحمد بن الحسن، بعد عوده من التمشية في ذلك الوطن، وذلك أنه جرى بالحصان، فكُدِف[(٢)] به، وانقلب عليه، فهلك في الحال، في ذلك المقام، وقبض أحمد بن الحسن تركته وما جمعه أيام ولايته لبندر عدن ورسم على بيته بصنعاء؛ لأنه مملوكه.

وفي يوم الإثنين آخر يوم من شهر شوال توفي الشريف العارف صالح بن أحمد السراجي صنعاء، كان المذكور له معرفة بالفقه وبعض مشاركة في غيره. وكان من الراغبين إلى العلم وتحصيله وفوائده. وكان ناقلاً للقرآن الكريم غيباً، وأول قراءته على السيد العلامة محمد بن عز الدين المفتي رحمه الله وغيره من العلماء بصنعاء، وأصله من قرية الضَبَعات[(٣)] [٥٦/ ب] من بلاد سنحان. ودفن بمقبرة باب اليمن رحمه الله.

وفي ذي القعدة منها زلج الإمام السيد الحسن بن مطهر الجرموزي إلى محل ولايته

---

(١) ذمَرْمَرْ: حصن مشهور إلى الشمال الشرقي من صنعاء، على مسافة ٢٥كم. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٢، ص ٧٨٨-٧٨٩).

(٢) كُدِف: بمعنى سقط على الأرض،

(٣) الضَبَعَات: قرية في وادي الأجبار من مديرية سنحان، بالشرق الجنوبي من صنعاء، بمسافة ١٠كم، وهي محل (بنو السراجي). (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٩٣٩).

بندر المخا، بعد أن كان طلع إلى حضرته، كما سبق ذكره.

وفي هذه المدة كثر من الناظر يحيى بن حسين السحولي[1] على الوقف بصنعاء التضييق على المسلمين في الطرقات والمفاسح في الأسواق والشوارع والطرق، وعمر فيها للوقف، وصار يقطع من طلب عمارة فيها للوقف، طمعاً في الدراهم، والعامر طمعاً في الإنتفاع، وصار خط الناظر ذريعة إلى عدم تعرض الناس؛ لأن العامة يعتقدون أن الطرق والحواثر[2] التي لا يد عليها للوقف، وهو جهل ظاهر، لأن ذلك لا يكون للوقف، وإنما هو لمصالح المسلمين كافة، لا يجوز إحداث ما يضر عليهم، فأما الوقف فلم يقل أحد من علماء الإسلام، وصار يطلب زيادات على العريص[3] في الأجر، فيما كانت العمارة مقررة على ذلك القدر، ولكن لهوى النفوس سريرة لا تُعلم. وقد استولى المذكور ووالده على ازدراع مقبرة في المحاريق[4] تتصل بأعنابهم وينكرون العامة عليهم، ولا يستنكروا على أنفسهم. فكان هذا مظلمة من المذكور، ومن تقدمه قبله من النظار يفعلون ذلك، جهلاً منهم، لكنهم ما أفرطوا إلى إفرط هذا الناظر، ثم من مظالمه أنه صار يدعي على كثير من أهل الأملاك الوقف [٥٧/ أ] ويأذيهم[5] في شيء ما قد جرت عليه يد من قبله، حتى صار حاله يقرب مما كان من البوني[6] في مدة سنان باشا، وكثر شكا الناس منه على جعفر باشا[7]، وعمل معه ما عمل من الأمر

---

(١) هو القاضي العلامة يحيى بن الحسين بن يحيى بن محمد السحولي، أخذ عن أبيه حاكم صنعاء وعن عمه إبراهيم في أكثر العلوم، كان عالماً في الفقه، مات سنة ١١١٣هـ/ ١٧٠٢م. (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، مج٣، ص١٢٢٣؛ زبارة: نشر العرف، ج٣، ص٣٢٨).

(٢) الحواثر: هي قطع الأرض التي يذكرها المؤرخ هنا بأنها لمصالح المسلمين كافة.

(٣) العريص: جمع عَرَصَة، وهي قطعة الأرض المعدة للبناء فيها.

(٤) المحاريق: من أحياء صنعاء، يقع في الجهة الشرقية. ويوجد بها محاريق الآجور.

(٥) كذا في الأصل،

(٦) البوني: هو محمد بن أحمد البوني، ناظر الوقف في صنعاء في فترة ولاية سنان باشا وجعفر باشا،، وقد قتله جعفر باشا بسبب كثرة شكوى أهل صنعاء من التعدي إلى أخذ أموالهم وإدخالها في الوقف، وذلك سنة ١٠١٦هـ/ ١٦٠٧م. (يحيى بن الحسين: غاية الأماني، تحقيق: د. سعيد عاشور، ج٢، ص٧٩٤).

(٧) جعفر باشا: كان والياً على اليمن في الفترة من (١٠١٦-١٠٢٥هـ/ ١٦٠٨-١٦١٦م) (للمزيد انظر: د. سيد سالم: الفتح العثماني، ص٣٧٧-٣٨٤).

الذي لا يخفى، وصار المذكور يضلل بالعلل، ويغر الدولة بهذا العمل ويقول: مع فلان من الوقف، فحصل من جهته الضرر، فقد يصادق في قوله، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصار يدعي الحواثر التي لا يد عليها للوقف في المدينة وخارجها وطرقها ومقاشمها[1]، ومن ذلك ما جرى منه مع السيد محمد بن عبد الله العياني في أملاكه، كما سبق ذكره، وصار أيضاً يصادقه بعض حكام المدينة وهو القاضي علي بن جابر الهبل، غرراً منه من غير حضور بيّنة وشريعة، وإذا حقق للقاضي بعد ذلك ندم وقال غرّه المذكور.

وفي العشر الآخرة من شهر القعدة الحرام وصل كتاب إلى حضرة الإمام، وغيره من الأعيان، بأن العماني سلطان بن سيف اليعربي[2] جهز من بلاده في البحر حول عشر برشة، وأن مراده القطع على البانيان في البحر، حال خروجهم إلى اليمن من الهند، إذ هم أول من يخرج من هنالك، وذكر للإمام: أن لا يكون قصده إلى التمحيق في سواحل اليمن بعد صحة تجهيزه في البحر، فأمر بالتحفظ في بندر المخا، ثم أنه بعد ذلك وصل كتاب من العماني كما روى أن قصده لا إلى سواحل اليمن، وكان وصول الكتاب في خلال ما حصل منهم من يقول إلى سواحل الهند، والله أعلم ما انتهى إليه قصده.

وفي هذه الأيام حصل في جهات آل عمار غزوهم من دهمة، فقتلوا منهم في قتل متقدم من آل عمار جرى في دهمة، وحصل في بلاد العولقي في المشرق ما حصل من قبل السَبَار[3] في بلادهم، والإستقلال بأمرهم وخلافهم[٥٧/ ب].

---

(١) المَقَاشِمْ: جمع مِقْشامَة: من معالم التخطيط الحضري لمدينة صنعاء القديمة تخصيص مساحة من أرض الأوقاف الزراعية بجوار المساجد، وتسمى مقشامة، وتُسقى من ماء المسجد بعد استعماله من قبل المصلين، يتعهدها شخص يسمى القشام يزرع البقوليات بأنواعها إلى جانب عدد من أشجار الفواكه. (الموسوعة اليمنية، ج٢،ص٨٩٨-٨٩٩).

(٢) سلطان بن سيف اليعربي: تولى السلطنة في عُمان سنة ١٠٥٩ هـ/ ١٦٤٩م بعد وفاة السلطان ناصر بن مرشد. (عُمان في التاريخ، ص٣٨٣).

(٣) السَبَار: السَبْرُ: في اللغة استخراج كنه الشيء، وفي لهجة أهل صنعاء (السبار) فعل الشيء، ومنها (السبارات) أي: إعداد الطعام، وتعني هنا: (وجبات غذاء الجنود) أو النفقة اليومية. (د. حسين العمري: مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، هامش ص١٣٧).

وفي هذا الشهر أظهر الإمام الإجازة لولده أحمد للبلاد التي كانت لشرف الإسلام الحسين بن المؤيد بالله، وهي: بلاد عفَّار وبلاد عاهم وضاعن، فتصرف فيها، وأمر القباض إليها، ولم يبق للولاة الأولين ما كان من إطلاق اليد والنظر عليها، وكان ولد شرف الإسلام الحسين بن يحيى بن الحسين بن المؤيد وصنوه القاسم بن المؤيد طامعين وراجين إلى توليتها، وتبقيت أحدهم فيها، وحصل التغير على أهل المقررات من الفقهاء وسادة كحلان وغيرهم من الفقراء، ومن يعتاد العطاء منها كسائر الناس، فإن ذلك قد حصل وعم الخاص والعام من جميع الأجناس، فالمُلِّح ما ترك الإلحاح والمطالبة، ولم يحصل له إلا التافه اليسيرة مع المشقة، والصابر صبر وترك المشاحجة[1]. ولقد استحد بعض السادة من بني عشيش فقال للإمام: هذا الجمع لا مصلحة فيه، فلعله كجمع المؤيد بالله، وصار أكثره لحسين ولده.

وقال السيد عبد الرحمن بن أمير الدين للإمام: إذا قد عجزت عن أمور المسلمين تركت الناس ينظرون فيمن يصلح لهم، واحتمل الإمام كلامهم، وأعرض عنهم، والدنيا لله تعالى، لا ينبغي للعاقل التكالب عليها، غير يأخذ السهل منها، والأرزاق مقسومة، ولن يعدو كل واحد ما كتب له، لكن ينبغي الإلتفات إلى ما أمر الله به من الحركات، والكسب والإبتغاء من فضل الله، وإصلاح النيات؛ لأن الأرزاق مقرونة بذلك، إما بتجارة أو زراعة أو حركة له للكسب كما قال تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾[2] وقال الشاعر[3]:

(١) المشاحجة: الفعل شحج، والشحاج: رفع الصوت. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٢٧٦).

(٢) الملك: ١٥.

(٣) هو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وإذا رأيــــت الـــرزق عـــز[1] ببلـــدة

وخــشيت فيهــا أن يــضيق المكــسب[٥٨/ أ]

فارحــــل فـــأرض الله واســـعة الفـــضاء

طـــولاً وعرضـــاً شرقهـــا والمغـــرِبُ

ومدارس العلم هذا الزمان غلق أكثرها في مثل صنعاء وصعدة وغيرها، لعدم الإقامة من الوقوفات بها، ولله قول الشاعر:

أصـــبح وجـــه الزمـــان منقلبـــاً

ووجهــــه قفـــاه يـــا عجبـــان

ولكن التسليم هو الأولى كما قال الشاعر:

لا تـــسأل الـــدهر إنـــصافاً فتظلمـــه

ولا تلمــــه فلـــم يخلـــق لإنـــصاف

خــذ مــا بــدا لــك وارم الهــم ناحيــة

لا بــد مــن كــدر فيــه ومــن صــاف

وفي سادس عشر شهر الحجة كان دخول الشمس أول درجة الحمل وهو تحويل السنة وتقويمها، وكانت الزهرة وعطارد معها في برجها، والمريخ في برج الجدي بيت شرفه، وزحل في برج الحمل بيت هبوطه، والمشتري في برج العقرب، والجوزهر في آخر برج الأسد، والرأس مقابل له في السابع الدلو. وكان هذا الوقت الأمطار كثيرة،

---

(١) قد ورد صدر البيت الأول في ديوانه كما يلي:

وإذا رأيـــت الـــرزق ضـــاق ببلـــدةٍ

(ديوان الإمام علي، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ص٥٢).

في جميع اليمن غزيرة، فصلح بسببه ثمرة القياض[1] بالروي، وأعلق الفلاحون معه ثمرة أخرى يقال لها ثمرة الدثا، وتهونت الأسعار في جميع الأسواق، وانحطت وزالت المشاق.

وفي هذه الأيام بهذا الشهر المذكور وصل إلى حضرة أحمد بن الحسن جماعة من مشائخ خولان الشام يشكون إليه من جور حصل معهم من ولاة بلادهم أول هذا العام، مع جور أيضاً من حسن بن الإمام، واستعانوا به في تعريف الإمام، وكذلك سادة بني المؤيد[٥٨/ ب] يشكون الإنقطاع للمقررات التي لهم.

وفي آخر هذا الشهر وصلت الأخبار إلى تجار صنعاء من بندر عدن والمخا يذكرون أنه وصل حول اثني عشر برشة من أصحاب العماني إلى قريب سواحل البندرين، ثم رجعوا إلى باب المندب ظاهر حالهم الضرر وقطع الوافدين من المتسببين في البحر، وأن منهم جماعة نحو المائتين كان قد دخلوا المخا قبل وصول هؤلاء، وأظهروا أن معهم بضاعة من التمر وغيره مما ظهر وخفى، ثم تعقبهم في البحر هؤلاء، وظهر من حالهم أن قصدهم البانيان والكفار.

وفي هذه الأيام بعض هذا العام وبعض العام الذي بعده ظهر أنين صفته آه آه، يمد فيه من مقابر باب اليمن يسمع إلى داخل داير[2] صنعاء، سمعته كذلك قريب سبعة أشهر أو ثمانية أشهر، والظاهر أنه من عذاب القبور لبعض الموتى ممن شاء الله إظهاره، فنعوذ بالله من غضب الله، ونعوذ بالله من عذاب القبر، ونعوذ بالله من عذاب جهنم، ونسأل الله تعالى أن يرحمنا.

---

(١) القياض: هو من المواسم الزراعية الشتوية في المناطق الباردة بالمرتفعات. ويرزع فيه القمح والشعير والبقوليات، وعلى رأسها الفول (القِلاَّ). وشهر ذو القياض: هو أحد الأشهر الحميرية. (د. عبد الله المجاهد: أسس زراعة المحاصيل الحقلية في الجمهورية اليمنية، ص٩٠؛ المعجم السبئي، ص١١٢).

(٢) أي سور صنعاء، فهي (صنعاء القديمة) محاطة بسور لا زال قائماً حتى اليوم.

ودخلت سنة خمس وثمانين وألف [1]

لعلها استهلت بالسبت، وفي ثالث محرم وصل مكتب الشام، وسار إلى حضرة الإمام، وأخبر بتمام الحج للإسلام والأمان التام، وأن سعد بن زيد وصنوه أحمد بن زيد قد تحيزوا إلى بلاد نجد العلياء[٥٩/ أ]، وأن بركات قد عاد من بدر إلى مكة وصحبته الشيخ ابن معيان رأس مشائخ بلاد قبائل حرب وبلاد الصفراء ما بين مكة والمدينة، وهو الذي جرى معه ما جرى من معاضدة أحمد بن زيد والخلاف كما سبق، فصار معه تحت الحفظ بعد أن وقع ذلك الحرب، ثم تعقبه من بركات القصد، فانحاز إلى جبل هنالك وطلب الأمان وواجه، وراح من أصحابه جماعة، وأدب الشريف أهل بلاده وصلح عمل الحجاز، وخمدت ثائرة القبائل، وامتنعوا عن مناصرة سعد وصنوه خوفاً من السيف الطائل، والعسكر الصائل، قيل: فلما لم يجد الشريف سعد وصنوه ملجأً يلجؤا إليه، وينتصروا به، ويعتمدوا عليه عزموا على طرح أنفسهم بين يدي أمير الشامي، والدخول معه إلى حضرة السلطان محمد العثماني[٥٩/ ب] ويكون من أمره ما كان إن عفا أو واخذ[2] بما جرى من الفعال مع كثرة الأمان مع سعد، وأنه يرجو عود الملك له في المال والله أعلم بما يصير إليه وما تنتهى به الأحوال. وأنه كتب إلى السلطان بالأمان والتبري مما جرى من الفعال، ثم إنه سكن هذا العام وبقى مع البدوان، ولا يملك من نفسه القطمير[3]، ولم يبق عنده لا قليل ولا كثير، وباع أهله حليتهم في النفقة، وتضرروا أهله بمكة، وأولاده في غاية الحاجة، فالدنيا عبر لمن اعتبر، أمس وهو ملك كبير، والآن وهو فقير ذليل. وأخبر الحجاج أنه زَيَّد في سقايات مكة وسُبلها على

---

(١) ١ محرم ١٠٨٥هـ= ٦ برايل ١٦٧٤م.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها آخذ بمعنى لاَمَ.

(٣) القطمير: شق النواة، وفي الصحاح: القطمير الفُوقة التي في النواة، وهي القشرة الدقيقية التي على النواة بين النواة والتمر، وما أصبت منه قطميراً أي شيئاً. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣،ص١٢٣).

معتادها، وظهرت دَّبا[1] جراد بأودية منى ومكة. وأصحاب العماني الذين خرجوا في البحر كان استطرقوا جزيرة سقطرى من بلاد المهري، وقتلوا من أهل الجزيرة، وكان دخولهم في صورة زي النصارى، لئلا يهربون عنها كما هربوا العام الأول منها[٦٠/ أ]. وانتهبت قبائل عنزة ولام من مركب الشامي لقلتهم هذا العام.

وفي يوم الجمعة ثامن وعشرين شهر محرم وصل الخبر إلى صنعاء أنه وصل إلى باب المخا برشه لاحقة لبانيان وصلوا ببضاعة، فواقعوهم وأسرعوا في انتهاب ما معهم، فأنكر عليهم أهل عدن ومن يقرب إليهم من جبل صِيْرة[2]، وقالوا: هؤلاء قد صاروا في الأمان والجيرة، فقالوا: إمامهم أمرهم بانتهابهم. وكان بعض البانيان قد قفز البحر، فغرق من خوفهم، فلما رآهم أهل صيرة وعدن لم ينتهوا صبوا عليهم البنادق النافعة، والزبارط[3] التي عندهم حاصلة، فقتلوا منهم حول ثلاثين فأكثر، قذف بعضهم من البحر إلى ساحل البحر، وانهزم الخوارج هاربين، وانهزم بانهزامهم سائر براشهم، حتى استقروا في المندب وخلفه، وكذلك انهزم البراش التي كانت أيضاً قريب المخا، وكذلك خرج العمانيون الذين كانوا قد دخلوا المخا، كما سبق، لما علموا بما جرى مع أصحابهم، ولم يقفوا بقرب البنادر، ثم منعوا جميع من وفد في المندب من الهند من مسلم وكافر، فلم يدخل[٦٠/ ب] إلى البندرين شيء من ذلك غير الذي قد وصل عندهم الحاضر. وجهز أحمد بن الحسن عند أن بلغه هذا الأمر الصادر جماعة من العساكر، وكذلك ولده محمد بن أحمد الساكن في الحجرية إضافة إلى من تقدم وزيادة في التقوية، فبقى كل منهم في البنادر لعدم صنعتهم للأعمال البحرية، والله أعلم[٦١/ أ].

---

(١) الدَّبى: الجراد قبل أن يطير، الواحدة دباة، وقيل: الدَّبى: أصغر ما يكون من الجراد والنمل. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٩٤٥؛ مختار الصحاح:، ص١٩٨) وقد كتبها المؤرخ في هذه المخطوطة (الدبا).

(٢) جبل صِيْرَة: جزيرة ترتبط بمدينة عدن من ناحية الشرق ما بين جبل حُقَات وجبل المنصوري. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٩٢٩).

(٣) الزبارط: سبق شرحها.

وقد كان جهز السلطان محمد بن عثمان وزيره وجنوده إلى اليمن، ثم عاقه عن ذلك ما حصل من الحدث من الفرنج، وسيأتي ذكره، وعند هذا تحقق خطأ الرأي الذي كان أراده الإمام من مفاتحة مكة المحروسة، كما سبق ذكره، وصواب شور من أشار بالسكون وتقرير أمره، لأنه لو تم له رأيه كان مع هذا المخرج من المشرق، والعسكر في جهة الشام والمغرب، ولا ينبغي لصاحب اليمن إلا الاقتصار على حفظه ونظم أمره وأطرافه، ولا يشتغل بغيره، مع أن مكة المحروسة لا موجب للحركة إليها، ولا ينبغي قصد الحرب فيها، لحرمتها وصلاحها من جهة السلطان، والقيام بها منه في جميع هذه الأزمان، مع أنه لا يقوم بما يعتاد لها ولأهلها غيره على كل حال من الأحوال.

وفي أول صفر وصل الخبر بوفاة السيد الأمير أحمد بن صلاح، الذي يرسله الإمام مع حاج اليمن هذا العام والعام والعام الأول[1]، وكان موته رحمه الله بعد قضاء الحج حال خروجه بمحروس القنفذة. وخرج مع الحاج اليماني الشريف محمد يحيى بن زيد بن محسن[2] بجميع أولاده وحرمه وأخدامه، ووصل إلى اليمن لأجل ما حصل عليهم[٦١/ ب] من كثرة المحن، وكل هذا منه لأن المذكور مغاير لأخيه سعد من أول ولايته لصغر سنه، ولم تطمئن نفسه بالسكون بمكة؛ لأجل ما جرى منه هو وحمود من تلك النكبة السابق ذكرها في الصفرا مع طائفة عسكر السلطان، ولذلك ما زال المذكور متخوفاً في هذه السنين بجبال الطائف هو وحمود.

وفي هذا الشهر ظهر مع رجل في صنعاء لقيَّه[3] من الدراهم القديمة، كل بقشة منها تأتي ببقش اليوم مثل الخمس، فأكثر وزنها قياس الدرهم، وحملها في صرة كبيرة

(١) يقصد المؤرخ بتكرار كلمة العام ثلاث مرات: هذا العام وهو عام ١٠٨٥هـ والعامين الماضيين.

(٢) الشريف محمد بن يحيى بن زيد بن محسن: هو الأخ الكبير لسعد بن زيد. ولعل اسمه مركب (محمد يحيى) وقد طلب أن يكون له ربع مكة بشعار الدعاء له مع الشريف سعد، فرفض الشريف سعد مطلبه، فخرج مغاضباً لأخيه ولحق بالسيد حمود في ينبع، واتفقا على معارضة الشريف سعد بن زيد. (إبراهيم الصبحي: بلاد الحجاز في القرن السابع عشر الميلادي، رسالة ماجستير، ص٣٨).

(٣) لقيَّه: اللِّقى: كل شيء مطروح متروك كاللُّقطة. (أي وجد لقيطة).

تأتي ببقش اليوم مثل الخمس، فأكثر وزنها قياس الدرهم، وحملها في صرة كبيرة ثلاث مائة درهم رسمها قد انطمس، وبعضه بقش لم يفتهم، وكان لقياها لرجل من قَبَّان[1] في جدار داره، لما أخربه وأراد إصلاحه لقدمه، فأخذها عليه الدولة وقالوا هي غنيمة، وكان العرض عليه منه الخُمس، أو تكون لقطة ولايتها إلى اللاقط[٦٢/ أ].

وأحمد بن الحسن زاد زيادة نحو المائة من العسكر غير من تقدم إلى بلاد عدن، وقد كان أرسل ولده محمد بن أحمد من محله المنصورة بالحجرية زيادة عسكر إلى عدن والمخا، لأجل المحاذرة من أصحاب العماني وما جرى. ولما وقع ذلك الحادث انكمش أصحاب العماني وولوا هاربين إلى خلف باب المندب خائفين، غير أنهم منعوا جميع الداخلين، ونهبوا بعض الواصلين من الوافدين، ثم لما طلعت الثرياء فجراً من المشرق رجعوا بلادهم، لأجل تغلق بحرهم؛ لأن هذا البحر يتغلق قبل البحر الهندي، وينفتح قبله بنحو شهرين، والبحر الهندي يتغلق فيه الآن الخروج، وتصلح الريح للعود، والبز[2] ما زال هذه الأيام سعره في تناهي، ولولا ذلك المركب الذي خرج التواهي لكان هو في غاية الإرتفاع والغلا والإنتهاء[٦٢/ ب]. وكان بعض المراكب الهندية الخارجة حال وصول العمانية لما قاربت المخا عرجوا عنه إلى بندر جدة، وساروا إلى ذلك الموضع والمنتهى.

ورأيت كتاباً من مكة من بعض من يطلع على حقائق الأخبار، من الشريف بركات وغيره من أهل تلك الجهات يقول فيه أن الحج كان مباركاً آمناً صالحاً، وكان الشريف بركات قد أصلح الحجاز وعاد مكة وصحبته الشيخ ابن معيان، والشريف حمود اتفق ببركات وصلح هو وإياه، وكذلك أحمد بن الحارث انتظمت لهم جميع الحالات. وأنه

(١) آل قَبَّان: أسرة معروفة في وادي سعوان بالشمال الشرقي من مدينة صنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٢٤٣).

(٢) البز: سبق شرحها.

حصل في عرفات فرقة بين القبائل من هذيل الذين يبيعون العلف، فقتل منهم جماعات، وراح من المغاربة أربعة، وقبض الشريف بركات مشائخهم وأدبهم في فعالهم. وأن السلطان كان قد جهز إلى اليمن تجهيزاً كبيراً صحبة الوزير الأعظم، وبلغ أول العسكر إلى مدينة قاهرة مصر، ثم حصل خلال ذلك خلاف في بلاد[٦٣/ أ] الفرنج الكافرة المارقة، فقتلوا من المسلمين ألوفاً، وانتهبوا من المال كثيراً، بحيث كان أمراً هائلاً وخطباً جسيماً، فلما طرق السلطان محمد بن إبراهيم خان هذا الحادث العظيم اغتاظ من ذلك وضاق، وحمله على الإسلام الإشفاق، واسترجع من قد كان وصل إلى مصر من عساكره ورحل بنفسه يؤم تلك الآفاق.

قال صاحب الكتاب: ولما كان عقب الموسم خامس وعشرين شهر الحجة أمر الشريف بركات ومحمد شاوش حاكم جدة بالإجتماع للدعاء في الحرم الشريف، فاجتمع المذكورون، وأعيان علماء مكة المشهورون، وانضم إليهم أمير الشامي، وفتح باب الكعبة ورقى الخطيب إليه ودعا للسلطان بالنصر، والمذكورون يُؤمِّنُون ويضجون حتى بكى الخطيب وبكى الحاضرون، وقرأوا شرف[١] الفاتحة.

قال: وكل ذلك لهول ما جرى، وانتهبوا من البحر على السلطان بعض المراكب، قال: وكان قد أخبر بهذا التجهيز من السلطان إلى اليمن جماعات منهم خواجا وصل إلى صنعاء في شهر شوال، وكذلك شريف رومي قبله[٦٣/ ب]، قالوا: ولولا هذا الحادث شغله، لقد خرج حيث السلطان أمره، إلا أنه لما حدث ذلك الحادث خلال التجهيز قدَّم الأهم، وشغلهم ذلك الأمر الأعظم، وكان هذا التجهيز المذكور في أول عام أربع وثمانين، كما تقدم ذكره، برواية الشيخ ابن معيان. فلما حصل انتقاض صلح الفرنج ونكثهم في نهجهم عرج الوزير نحوهم وتبعه السلطان، فالله أعلم ما يكون بعد ذلك الأمر وما إليه المنتهى.

---

(١) شرف الفاتحة: أي قراءة الفاتحة.

وأما مالطة فقد صارت بيد السلطان، لم يجر فيها الخلاف بل في غيرها.

قال بعض الوافدين إلى اليمن ممن كان من أهل ذلك الوطن: أن مالطة هذه في ساحل الأندلس[1] بعضها في البحر، وقد كان عمَّرها وحصَّنها وقوَّاها طائفة الفرنج من النصارى، وسائر البلاد حولها المتصلة بها. فيها إسلام كثير وجوامع ومساجد. وكان الفرنج تاركين لهم لا يتعرضونهم، إلا أنه لا يدٌ لهم، بل الأمر القاهر للفرنج عليهم، فما زالوا كذلك في ديارهم حتى استفتحها السلطان في تسع وسبعين، وصالحت الفرنج على سائر بلادهم.

قال علي بن بسام[2] في كتابه[٦٤/ أ] (الذخيرة في تاريخ الجزيرة) يعني جزيرة الأندلس[3]: آخر الفتوح الإسلامية وأقصى المآثر العربية، ليس وراءهم وأمامهم إلاَّ البحر المحيط[4] والروم، وأوسط بلاد الأندلس مدينة قرطبة[5]، والجانب الغربي من جزيرة الأندلس اشبيلية[6]، وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي، والجانب الشرقي من جزيرة الأندلس هو أعلا الأندلس، انتهى ما ذكره.

---

(١) مالطة ليست في ساحل الأندلس، فهي جزيرة في البحر المتوسط بين صقلية وأفريقيا.

(٢) هو علي بن بسام الشنتريني الأندلسي، أبو الحسن: أديب من الكُتَّاب الوزراء، اشتهر بكتابه المذكور هنا (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» في ثمانية مجلدات، يشتمل على ١٥٤ ترجمة مسهبة لأعيان الأدب والسياسة، ممن عاصرهم أو تقدموه قليلاً، توفي سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م. (الزركلي: الأعلام، مج٤، ص٢٦٦).

(٣) كانت الأندلس تُطلق على القسم الإسلامي من أسبانيا، وهي تقع في الجنوب منها، افتتحها موسى بن نصير وطارق بن زياد، وهي مقابلة لبلاد المغرب. (البلاذري: فتوح البلدان، القسم الثاني، ص٦٩٠؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص١٦٥).

(٤) البحر المحيط: قصد به جغرافيو العرب الحزام المائي الذي يحيط بالقارات. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج١، ص٢٧٨).

(٥) قرطبة: عاصمة مقاطعة قرطبة بجنوب أسبانيا على نهر الوادي الكبير. وصلت أوج عظمتها في العهد الأموي. (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٣٧٦).

(٦) اشبيلية: عاصمة مقاطعة اشبيلية بجنوب غرب اسبانيا، تتصل بالمحيط الأطلسي بنهر الوادي الكبير. (الموسوعة العربية الميسرة، ص١٦٤).

وهذا المصنف علي بن بسام قد ترجم له ابن خلكان[1] في تاريخه، وكتابه هذا في مجلدين كبار، إلا أنه لم يكن التاريخ فيه إلا النزر اليسير لحوادث ما جرى في الأندلس ومن ملكها في الدولة الأموية، وإنما كُبر كتابه ذلك وكُثْره يذكر كلامات الأدباء من أهل الأندلس والوزراء، وما ذكروه من المكاتبات والرسائل وقصائد الشعراء[٦٤/ ب].

وفي شهر صفر منها جهز المتوكل إلى بندر الشحر من سواحل بلاد حضرموت عثمان بن زيد من موالي المتوكل بقدر ثلاث مائة من العسكر، وأمرهم أن يكونوا حفظه للبندر من أهل عمان، لأجل ما حصل منهم في سواحل عدن.

وفي أول هذه السنة توفي الفقيه العارف أبو بكر بن يوسف بن محمد راوع الخولاني الأصل ثم الصنعاني، كان المذكور له فائدة في الفقه لا غيره من الفنون، فلم يكن له فيه معرفة. وكان شيخه السيد العلامة محمد بن عز الدين المفتي المؤيدي رحمه الله، وكان المذكور على طريقته في الإعتقاد، والميل إلى السنة النبوية والإنقياد، وكان جمَّاعاً للحواشي والتعاليق على الهوامش في الفقه، وأكثرها مما أملاه شيخه السيد محمد المفتي.

وفي هذا الشهر ترك القاضي أحمد العيزري الأهنومي صلاة الجمعة بسبب إبطال أحكامه، وما جرت به أقلامه، وعدم تنفيذها من ولاة زمانه، واحتج عليه سائر الحكام بأنه صار يحكم بخلاف مذهبه، ولا ولاية له من الإمام في حكمه. وكان المذكور بشهارة أولاً ثم عارضه بعض من عارض فيها، فانتقل منها إلى صنعاء واستقر فيها[٦٥/ أ].

---

(١) ابن خلكان: هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر، ابن خلكان البرمكي الإربلي (٦٠٨-٦٨١هـ/ ١٢١١-١٢٨٢م) مؤرخ حجة، وأديب ماهر. أما كتابه التراجم فهو (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) مطبوع. وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً، ولي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وتوفي بها. (الزركلي: الأعلام، مج١، ص٢٢٠).

وفي يوم الخميس ثالث ربيع الأول منها سار المتوكل من ضوران إلى مَعْبَر جَهْران[1]، ثم عاد ضوران اليوم الثاني.

وفي العشر الأولى من هذا الشهر وصل الخبر أن برشه من عمان وصلت إلى ساحل أحور، حال رجوعهم من ساحل عدن، فانكسرت عليهم وغرق في البحر بعضهم، وراح عليهم منها حوائجهم وما فيها من سلاحهم ومدافعهم، وخرج آخرون ممن سلم منهم إلى ساحل أحور، فانتهب ما عليهم أهل أحور مما بقى معهم، وقتلوا منهم.

وفي هذا الشهر أعاد الإمام ما كان أراده سابقاً من الضريبة الجديدة، وجعل القرش صرفة من حرفين إلى تسعين، وصرفه يومئذٍ بالدراهم القديمة بثلاثة أحرف وعشرة كبار، فحصل عليهم النقص بقدر الثلث من أموالهم، فتضرر التجار وأهل الأسباب من ذلك الأمر لما ينالهم من الخسران، بحيث سخط من سخط منهم لما تفوت عليهم من أموالهم، وارتفع سعر البضائع يومئذٍ لأجل هذه الضريبة، ولأجل ما حصل في البنادر من انقطاع الخارج من الهند وسائر الجهات القريبة، فلم يخفف ذلك المتوكل ترك الضريبة، ولحصول شدة ألمه من خلاله كان سبب عدم تمام قصده[٦٥/ ب].

وظهرت في هذه الأيام في عشرين الشهر المذكور جراد من جهة الشام، ومرت اليمن إلى جهة الجنوب، ولعلها من الدبا الذي أخبر به الحجاج بمكة تلك الأيام.

وفي يوم الخميس سادس وعشرين شهر ربيع الأول جاءت كتب إلى محمد بن الإمام مزعجة من بعض أهل بيت والده، يذكرون له الوصول لأجل حصول مرض مع أبيه اشتد به، فسار في الحال إلى ذلك المكان، فلما خرج من صنعاء في ذلك اليوم حصلت الأوهام مع أهل صنعاء وغيرهم، فشرت التجار الطعامات من الأسواق والحطب والملح والمصالح، حتى ارتفع ذلك اليوم السعر لكثرة المشترين. وأخبر بعض

---

(١) مَعْبَر جَهْران: مدينة تقع وسط قاع جهران، تقع في منتصف طريق السيارات بين صنعاء ومدينة ذمار، اختطها الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل إسماعيل، واتخذها عاصمة لدولته. (المقحفي: معجم البلدان: ج٢، ص١٥٧١).

من وصل إليها كتاب[1] أن الإمام اقتصر من بعد صلاة الجمعة، ثم تنفس يوم الإثنين، ودخل الزائرون إلى محله بالدار الخضراء في الحُصَيْن[2]، ورأوه قد أثر مرضه في بدنه، وظهر ضعفه وركته[٦٦/ أ]، وما زال مريضاً متألماً إلى آخر شهر ربيع الثاني ومنَّ الله عليه بالعافية. وظهر في مرضه هذا نيات كثيرة من السادات، وأهل الأمر القادات، مما يصدق أقوال أهل الفراسات، التي تحدثوا بها فيما مضى من الأوقات، كجمال الإسلام علي بن المؤيد بالله رحمه الله فإنه قال: في هذا الإمام بركة للأنام، من جمع الكلمة في هذه الأيام، فإن هذه العالة يظهر من حالها تفرق الكلمة، وادعاء المملكة والخلافة، ولعل حالتهم ستكون كحالة أولاد مطهر بن شرف الدين، فكان كما قال المذكور، وصدق قوله فيما ظهر منهم هذه العصور، فإنه لما بلغ أحمد بن المتوكل صاحب شهارة وزادوا في الرواية، وأخبروه بأن والده قد انتقل حاله، فأظهر النية للدعوة، فحفظ الخزانة، وتواصى أهل النقابة، وكتب إليه أحمد بن الحسن كتاباً فلم يجب عليه فيه، قيل: ومضمونه التوصية له بحفظ الخزانة، وعدم التفريط فيها على كل حاله. وكان قد طلب مفاتيح جميع المخازين من الفقيه حسين بن يحيى حنش الخازن للإمام والأمين فقال له: هي مبذولة إلا أنكم لا تعجلوا قبل أخذ الحقيقة.

ويحيى بن حسين بن المؤيد بالله خرج عن شهارة بأهله إلى الهَجَر[3]، ثم إلى هجرة عُذر، ولم يستقر، وأظهر أنه يريد الدعوة، والقاسم بن المؤيد بالله طالبه[٦٦ب] بعض أهل الأهنوم في البيعة، وأحمد بن الحسن كاتب إلى جماعات من الأعيان، وبعث إليهم بشيء من الدراهم في هذا الأوان، وكاتبوه أهل رتبة جبل ضوران، وبعض الملازمين للإمام والسكان، وصاحب صعدة علي بن أحمد ظهرت حركته في بلاده ونواحي

(١) كذا في الأصل.

(٢) المقصود بها ضوران، والحصين هو الاسم السابق لها. وسبق ذكرها.

(٣) الهَجَر: بلدة وسوق، تقع في جبل ذَرَى، أحد جبال شهارة، ويوجد العديد من المناطق تحمل اسم (الهجر) غير أن الأقرب إلى شهارة التي ذكرناها آنفاً. (المقحفي: معجم البلدان،ج٢،ص١٠٨١).

مشائخ البلاد وأعيانه، وكذلك صاحب برط وولد السيد إبراهيم بن محمد المؤيـدي[1] في العِشَّة[2].

والإمام جعل ولده محمداً ولي عهده بعده، وقبَّضه مفاتيح خزائن بيت المال، وقـال: العهدة عليك في الأعمال، وقرر ما فعله الإمام السيد زيـد بـن عـلي جحـاف وغـيره، وحصل في جميع الجهات بعض ارتجاف من التفرقات، وانتهب سوق الثلـوث في بـلاد الأهنوم[3]، وحصل مع الجاهل الفرح بهذه العلوم، وحصل مع العاقـل الغمـوم، والله يخمد ثائرة الفرقة[٦٧/ أ] ويصلح أحوال السلمين، ويسكن الفتنة.

وفي هذه الأيام وصل خبر بوفاة الشريف حمود مـن أشراف مكـة وكبـارهم، وكـان موته بالطائف، وأوصى أن يقبر بعيداً عن المقابر وحده لكثرة ذنوبه. هكذا روى بعـض من يختص به من أهل حضرته، فقال أراد أن لا يؤذيهم، والله أعلم.

وفي ليلة رابع عشر شهر ربيع الثاني وقع خسـوف قمـري في بـرج الجـدي بـالرأس تغشاها بالسواد المظلم، ولم يبق من جانبها ورأسها الغربي إلا قدر النجم، وكـان شروع خسوفها من أسفلها من جهة المشرق في الساعة الرابعة والطالع الحوت[٦٧/ ب].

وفي هذا الشهر حصلت فرقة فيما بين بيت لقط في بلاد جُنُـب[4] بحَـضُور[5] وبـين

---

(١) ولد السيد إبراهيم المؤيدي: هو أحمد بن إبراهيم المؤيدي المعروف بحورية، ولد سنة ١٠٥١هـ/ ١٦٤١م، كان سيداً وعالماً فاضلاً، هاجر بمدينة صنعاء، ظهرت دعوته سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م ثم تنحى عـن الـدعوة وبـايع الإمـام المهدي أحمد بن الحسن. توفي سنة ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٦م. (زبارة: ملحق البدر الطالع، ص١٩-٢٠).

(٢) هناك الكثير من المناطق يحمل اسم العشة، والمقصودة هنا هي: قرية في جبل سحار بالغرب الجنوبي من صـعدة، مقـر آل المؤيدي. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٠٧٣).

(٣) الأهنوم: ناحية معروفة في الشمال الغربي من صنعاء، وهي بطن من همدان. (الحجري: مجموع بلدان الـيمن، مـج١، ج١، ص٢٩٥).

(٤) جُنُب: مركز إداري من مديرية بني مطر، وأعمال محافظة صنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٣٥٩).

(٥) حَضَور: جبل يُعرف أيضاً بجبل النبي شعيب، يقع على بعد ١٨كم إلى الغرب من صنعاء، وهو أعلى جبـل في الـيمن وفي شبه الجزيرة العربية. (الموسوعة اليمنية، ج١، ص٤١٠).

الجبارنة من شَعْبان[1] من أهل اللَكَمة، بسبب كثرة مواشيهم ومعرقها[2] في أملاك أهل بيت لقط وأموالهم، فدفعوها عنهم فلم يندفعوا، وقاتلوهم، فوقع في الفريقين أصواب ومراجيم، وتراسل الجبارنة إلى حلفهم من هَمْدَان[3]، وأهل بيت لقط إلى حلفهم من بني الحارث[4]، وأرادوا فتنة بينهم، فأدبهم والي البلاد، فحصل بينهم وبين العسكر خصام على السَبَار، ورفع ذلك إلى أحمد بن الحسن، فأرسل من عنده جماعة عسكر فيهم الشيخ ابن مذيور الحيمي، بمن حضر وزاد لهم من الأدب القدر المعتبر، فغدر في الليل بحصان ابن مذيور، ولم يعرف قاتله من الحضور، فدخل أهل بيت لقط في قيمة الحصان، وحصل معهم معرة بسبب هذا الشأن، وقد يحتمل أن قَتْل هذا الحصان مكيدة من العسكر الأولين الذين وقع بينهم الاشتجار على السبار، إذ قد يجري هذا من بعض العسكر الذين لا خير فيهم، كما وقع من رجل كان عسكرياً مع شرف الإسلام، حكى لبعض أصحابه في سابق الأيام وأنا أسمعه بما تحدث به من الكلام فقال: أنه خرج هو وجماعة عسكر بأدب على بعض البلدان، قال: فأهملهم أهل البلد عن السبار والمكان، وبقوا تحت شجر خارج البلد ذلك الأوان، قال فقلت: لأصحابي نبيت نحن وأنتم هذه الليلة بين هذه الشجر والحطب، فمتى كان الليل أحرق كل منا ما عنده من الحطب والشجر، فإذا أصبح الصباح قلنا: أهل البلد أحرقونا، وكتبنا إلى الدولة، فيخرج عليهم أدب آخر أكثر من الأول، وعسكر مع العسكر.

وفي شهر ربيع وصل خبر عثمان بن زيد الذي أرسل إلى الشحر بأنه دخله، وخرج

---

(١) شَعْبَان: قرية في بني سوار من مديرية بني مطر في غربي صنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨٦٧).

(٢) معرقها: العروق: الجذور.

(٣) هَمْدَان: بالشمال الغربي من صنعاء، واسم همدان قديماً يشمل بين صنعاء وصعدة إلى نجران، ومن تهامة إلى دهم، ومنها حاشد وبكيل. ويطلق هذا الاسم حالياً على المنطقة المجاورة لصنعاء. (الويسي: اليمن الكبرى،ج١،ص٩٢).

(٤) بنو الحارث: قبيلة من ولد الحارث بن كعب. وتقع ديارها شمال صنعاء بمسافة ٥كم، وهي خمسة أقسام. (المقحفي: معجم البلدان، ص١٥٥).

عنه أمير الدين العلفي[٦٨/ أ].

وفي شهر جمادى الأولى وصل الشريف محمد بن يحيى بن زيد بن محسن المكي إلى حضرة المتوكل بأولاده، فأنزله في بيت الفقيه بتهامة، وقرر له من السبار ما يكفيه ومن معه.

وفي أول جمادى الثاني وصل الفقيه أمير الدين العلفي الأموي الذي كان متولياً لبندر الشحر، بعد وصول عثمان بن زيد إلى ذلك المقر، فوصل المذكور إلى ضوران بهذا الأوان، ومعه قدر مائة وخمسين من الأصحاب وخاصة الأعوان، لم يشعر به الإمام إلا بالوصول عقب الفجر من محل مبيته بالمَنْشِيَّة(١)، تجنباً منه للقيا المتعبة.

وشكاة العدين من الجرموزي، وشكاة الشيخ راجح، طال بقاهم بحضرة الإمام من أول هذه السنة، ولم يقض غرضهم. وشكواهم الجور من المذكورين[٦٨/ ب] والمطالب الزائدة على ما كان من الماضين.

وروي أن الإمام قد أمر معهم من يناظر بينهم بعد أن قام من المرض، وإلا فكان معرضاً عنهم، والشكوى في الحقيقة عائدة من الإمام عليهم؛ لأنه المرخص للعمال في الذين يأخذونه من الأموال، وكان حالهم تحكيه ما قاله المتنبي، حيث يقول:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدواً له ما من صداقته بدُ

وفي هذه السنة روى أنه ولد مولود للفقيه يحيى بن حسين السحولي الناظر على الوقف بصنعاء له رأسان وفمان، فسبحان الخالق لما يشاء.

وفي آخر شهر جمادى الآخرة كان قران الزهرة والمشتري في آخر برج العقرب.

---

(١) المَنْشِيَّة: نقيل يفصل بين قاع جهران وبين قرية سِمْح، من قرى ضوران آنس. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٥٣).

ووصل يومئذٍ كتاب من العماني إلى الإمام يذكر فيه العتاب فيما جرى في أصحابه في ساحل عدن وعند بابه، وكان يتوعد تغليقه البحر من جهاته، وغير تارك أمره، وربما أن في كتابه إرعاد وإبراق من نحو كتابه السابق الذي شاع ذكره في الأفاق.

وفي العشر الوسطى من شهر جمادى الأخرى وقعت رجفة وزلزلة في ضوران، ولم تقع في غيره من البلدان، فحصل مع الإمام والناس خوف من ذلك الشأن، وفيه عبرة وموعظة كما قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[1] خصوصاً حيث خص الله به ذلك المكان دون غيره من سائر البلدان، وتتابعت تلك الرجفات، كانت عشية الخميس وليلة الجمعة رابع عشر الشهر المذكور، حتى بلغت نحو ثلاثين رجفة متتابعة، ولم يحصل من ذلك انتباه بإنصاف الشكاة في تخفيف المطالب التي زادت في اليمن الأسفل[٦٩/ أ]، وهي مطلبة التبن لمن شَرَم[2] أو لم يَشْرِم، ومطلبة الصلاة لمن صلى أو لم يصل، ومنها مطلبة الرياح[3]، ومنها مطلبة البارود والرصاص، ومنها مطلبة سفرة الوالي، ومنها مطلبة دار الضرب، ومنها ضيفة العيدين والمعونة: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾[4] ولم يكن في اليمن الأعلى من هذه المطالب إلا مطلبة ضيفة العيدين والمعونة، وإن كان اليمن الأسفل كثير الخيرات والمحصولات بالنظر إلى اليمن الأعلى، لكن كان الواجب الرفق والعدل، ولا نزيد على الطين بله، كما ذكر السُّبْكي[5] من الشافعية في معيد النعم ومبيد النقم)، وفي الحديث: «ارحموا من في

---

(١) الإسراء: ٥٩.

(٢) شَرَمْ: الشَرْم: قطع الشيء من اعلاه بشيء يسير، والمقصود هنا قطع الأعلاف للحيوانات. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٣٠٧).

(٣) الرياح: لعلها طبول كانت تستعمل في المناسبات وفي الأغلب كانت الدولة تستعملها وكذلك القبائل.

(٤) النجم: ٢٣.

(٥) السُّبْكي: هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السُّبْكي (٧٢٧-٧٧١هـ/ ١٣٢٧-١٣٧٠م) قاضي القضاة، المؤرخ، الباحث. له العديد من المؤلفات منها كتابه المذكور هنا (معيد النعم ومبيد النقم) طُبع في ليدن بهولندا عام ١٩٠٨ بإشراف المستشرق ميرمان مع مقدمة إنجليزية. (الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٣٣٥؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٣، ص٣٥٠).

الأرض يرحمكم من في السماء»[1].

وقد ثبت في الأحاديث أن سبب الزلازل المعاصي والظلم والكبائر، كما ذكره السيوطي[2] في كتابه (الصلصلة في الزلزلة)، ثم إن هذه الزلزلة عادت في ثالث شهر رجب أيضاً في ذلك المحل[٦٩/ ب].

ووصل إلى الإمام كثير من الجهات للزيارة والهدايا والضيافة ما يكثر، وترادف الواصلون، وامتلأت الأماكن.

وفي هذه المدة لما بلغ مرض الإمام إلى اليمن الأسفل، وما زادوه في الزيادة من الخبر رفعت الحجرية رؤوسها، وقتلوا عبداً من عبيد محمد بن أحمد بن الحسن، وربطوا بعض غلمان الخيل في الليل وهم نيام إلى أيديها، ولولا سكون محمد بن أحمد في رأس جبلهم لكان طردوا عُمَّالهم عنهم، وخافت الطريق فيما بين عدن ولَحْج[3] من التعويق، فلم يمرها أحد إلا في الجمع الكبير الوثيق.

ووصف واصف أن الجور أيضاً من أصحاب علي بن الإمام في اليمن الأسفل كإب وِجْبلة[4] حاصل بسبب إرخاء العنان لأصحابه، يفعل كل منهم ما أراد في جهاته، ويحبسون من شاؤوا ويعملون ما أرادوا.

وفي هذا الشهر غضب أحمد بن الحسن على جارية مملوكة له، فضربها بالدبوس كان

---

(١) الحديث: ورد في سنن البيهقي، ج٩، ص٤١، رواه البخاري وأحمد وأبو داود والترمذي. (إسماعيل العجلوني: كشف الخفا، ج١، ص١٠٩).

(٢) السيوطي: هو عبد الرحمن بن أبي بكر، محمد بن سابق الدين بن عثمان السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ/ ١٤٤٥-١٠٠٥م) عالم مشارك في العديد من العلوم، تنقل لطلب العلم بين كثير من عواصم العالم الإسلامي، منها اليمن، بلغت مؤلفاته ثلاثمائة بين كتاب ورسالة، يقدر عدد المطبوع منها بنحو مائة. (مصنف السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج٤،ص٦٥-٧٠؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي،ج٣،ص٦٢٤).

(٣) لَحْج: منطقة واسعة في الشمال الغربي من عدن، وعاصمتها الحوطة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٤، ص٦٧٧).

(٤) جِبْلَة: مدينة مشهورة في الجنوب الغربي من (إبّ) بمسافة ٧كم. (المقحفي: معجم البلدان، ص١٢٢).

فيه هلاكها، وأخرى ضربها فزال عقلها وجُنَّت وصارت في الشوارع وإذا ذكروا لها العيال أحمد بن الحسن شتمته، فلا أحد يعتب عليها لجنونها.

واتفق مع حسين بن حسن لما خرج من رداع سائراً للإمام فبات بالعقبة(١) أضافه أهلها من بعض بيوتهم بها، فلما كثروا في مجلسهم سقط السقف بينهم، فهلك منهم ثلاثة أنفار، والآخرون حثوا في الفرار، ووقع في بعضهم أصواب(٢) من حجارات الخراب.

[٧٠/ أ]وفي يوم الإثنين غرة شهر رجب من السنة المذكورة مات السيد الشريف العلامة العارف محمد بن إبراهيم بن مفضل بن علي بن الإمام شرف الدين بمستقره شبام كوكبان. كان المذكور من أوعية العلم، وفي كل فن له نصيب، مع الوقار، وحسن العبادة والتهذيب، أول قراءته على القاضي العارف أحمد بن صالح العنسي في النحو، وعلى الفقيه العلامة عبد الرحمن الحيمي بصنعاء؛ لأنه رحل من كوكبان لطلب العلم فيها، فاستفاد في علم النحو، والعربية، والمعاني، والبيان والأصول الفقهية، وأخذ على الفقيه محمد بن علي الجملولي بكوكبان في الفقه، وكان شرع في سماع صحيح البخاري عن الشيخ عبد الواحد النزيلي رحمه الله، واستجاز منه، ولم يزل على ذلك مدرساً في مدينة شبام، مدة هذه الأعوام، حتى ختم الله تعالى له بأجله المحتوم في شبام كوكبان رحمه الله تعالى. وله من التصانيف تهذيب سيرة جده الإمام شرف الدين في مجلد لطيف(٣)، اقتصر فيه على الحوادث بأخصر عبارة مهذبه بالتسجيع، محققة في التجميع، وله نظم ورقات الجويني(٤) في أصول الفقه،، وكان كاملاً بالمعرفة، حائزاً لخصال

---

(١) لم أجدها في المصادر التي بين يدي.

(٢) الأصواب هنا تعني: الجروح، مفردها صَوْب.

(٣) هو كتابه السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية اليحيوية: في سيرة الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين، سبق ذكره.

(٤) الجويني: هو عبد الملك بن الإمام عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، ثم النيسابوري، ضياء الدين، الشافعي، إمام الحرمين (٤١٩-٤٧٨هـ/ ١٠٢٨-١٠٨٥م) أشعري العقيدة، شافعي المذهب، تولى =

جده، واستفاد عليه كثير من الآخذين عنـه رحمـه الله. وكـان في الفقـه أيـضاً[٧٠/ ب] مشاركاً مفيداً فيه ومفتياً. وكان قد ارتحل بأهله قبل العام الأول إلى وادي ظهر، وسكنه بأولاده وبنى به داراً، واشترى فيه عنباً وبستاناً، وسكنه مدة عامين اثنـين، ثـم عـاد إلى محله شبام كوكبان. وكان عزمه إلى وادي ظهر متنكداً، لما تغير ما يعهـده مـن الحـال السابق في قبول الشفاعات والمطالب مدة الأمير ناصر بن عبد الرب، وأول أيـام ولـده عبدالقادر، مع أن المذكور ما يترك له الحق، إلا أنه دون ما كان عليه في الزمان الأسـبق، فلما مضت تلك الأيام بأخذ نزهته، وزال عنه ما اعتراه من كربته، وما في نفسه عاد أول هذا العام. وكان عوده إلى بيته بمحروس شبام، ثم طلع في الشهر الماضي إلى بيت والده بكوكبان، وزيارة كريمته وأقاربه فآنسه عبد القادر، ثم عاد إلى بيته بـشبام، ومـات فيـه بألم الإسهال، وقبر بشبام، والله أعلم.

وكان المذكور يميل إلى الـسنة[٧١/ أ] كـما رواه لي الفقيـه محمـد بـن أحمـد النـزيلي الشافعي[(١)] مدة حياته، وهو من جملة الآخذين عنـه، ومـن تلامذتـه في أصـول الفقـه والعربية، ومن جملة من استفاد عليه. قال المذكور: إلا أنه لا يحب أن يظهر ذلك لأهـل زمانه، ولذلك لا يكثر في المماراة في مراجعته، وهو الذي يظهر من حاله، وله طريـق في علم الحديث، أخذه عن بعض بني النزيلي، أظنه عبد الواحد النـزيلي، وقـرأ عليـه أول فواتح البخاري، والله أعلم.

وفي ثالث شهر رجب عادت الزلزلة في ضوران أيضاً بعد الزلازل الأولة[٧١/ ب] من آياته تعالى التي قـد تـضمنها قولـه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾[(٢)]، ولكـن

التدريس مكان والده وهو لا يزال طالباً، رحل إلى بغداد وأقام بمكة والمدينة يدَرِّس ويفتي، له العديد من المؤلفات منها ما ذكره المؤلف هنا وهي(الورقـات) في أصـول الفقـه. (محمـد أحمـد عـثمان الـذهبي: سـيرة أعـلام النـبلاء، ج١٣، ص٥٦).

(١) القاضي العلامة محمد بن أحمد النزيلي اليمني. من العلماء البارزين، ولم يقتصر على فن، بل له في جميع الفنون عرفـان، إلا أن قدمه في المنطق أرسخ. (زبارة: نشر العرف، ج٢، ص٣٩٦).

(٢) الإسراء: ٥٩.

أشكل اختصاص ذلك المحل بها دون غيره من سائر الأنحاء، فلعله لحكمة يعلمها تعالى، ولما حصل من الجور في اليمن الأسفل بالمطالب، أو لحكمة يعلمها الله تعالى، فإن الله على كل شيء قدير: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

وفي عاشر شهر رجب هذا وصل الخبر بدخول أصحاب العماني البحر، وخروجهم من مسكت عن البر، لما تحركت ريح الشرق وسَبَرَ[2] لهم ظهر البحر، وحصل الوهم أن قصدهم سواحل اليمن إلى جهة المخا وعدن، وكان الإمام وأحمد بن الحسن مهتمين بهم في غاية الشجن، فلما طرقهم الخبر بالخروج زادوا من عندهم من العسكر رئيسهم حسين مبشر، غير من قد كان في تلك النهوج، فأرسل أحمد بن الحسن من صنعاء الشيخ ابن مذيور وأصحابه من عسكر الحيمة وغيره، وحثهم على الصدور، خشية لا يحصل في عدن ما يحصل عند الوصول والحضور، وقد صار حال أهل هذين البندرين وهما المخا وعدن في هاتين السنتين كما قال الشاعر[3]:

لقد خفت حتى لو تمر حمامة
لقلت عدواً أو طليعة معشر [٧٢/ أ]
فإن قال خير قلت هذه خديعة
وإن قال شر قلت حق فشمر

فإنهم ما زالوا هذين العامين خائفين من الجهتين: جهة الشام من السلطان محمد بن عثمان؛ لأجل ما كان أهم به من قصد اليمن، كما سبق ذكره، ومن جهة صاحب عمان

---

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) سَبَرَ: بمعنى صَلُح.

(٣) الشاعر: هو عبيد بن أيوب العنبري، وقد ورد البيت الثاني كالتالي:

إذا قيل أمنٌ قلت هذي خديعةٌ   وإن قيل خوف قلت حقاً فشمرِ

(الجاحظ: كتاب الحيوان، تحقيق: فوزي عطوي، مج٢، ج٦، ص٤٤٤).

سلطان بن سيف اليعربي، لأجل ما حصل في العام الماضي، وما جرى في أصحابه من ذلك الجاري، وإن كان العماني في العادة ليس ضرره في غير البنادر في تلك الساحة، وإلا فإن جملة جنده كما حققه الحاضر من جهته قدر أربعة آلاف، وإن بعد من بلاده فيخشى من الفرنج الغارات، لكن ضرب السواحل حاصل منه، كما قال الشاعر[1]:

لا تحقـــرن عـــدواً رمـــاك

وإن كـــان في ســـاعديه قـــصر

ولذلك قال الأولون من الحزم أن لا يحتقر الرجل عدوه، وإن كان ذليلاً، ولا يغفل عنه وإن كان صغيراً، فكم برغوث أسهر فيلاً، ومنع الرقاد ملكاً جليلاً.

وقد ضر في البنادر هذه السنين، ومحق البيع والشراء للبائعين والمشترين[٧٣/ ب]. ولما خرج أصحاب العماني عن بلاده، وركب البحر وسار أجناده جاء خبر آخر أنه قصد بعض جزائر البحر، وانتهب من أموالهم، وحمل أشياء من أثقالهم فإن صح هذا الخبر فقد انصرف أمره، واشتغل ما إليه قصده؛ لأنه إن عاد متوجهاً إلى ساحل عدن فلا بد أن تلحقه الفرنج وتخلفه إلى بلاده، ويقع منهم الصولة على سواحله فقد يرجع إلى دفعهم، ويشتجر الحرب بينه وبينهم، كما وقع ذلك عام ثمانين وألف، فإنهم بعد ما وقع منه ما وقع في بلاد الفرنج خرجوا عليه حتى هزموه إلى بلاده، وقف فيها وإن كان الخبر على قصد غيرهم من أهل الجزائر فلا يخشى منهم، فلا بأس عليه لقلتهم وعدم استقلالهم والقدرة على دفعهم.

وحسن بن الإمام سار من جبل رازح إلى صعدة هذه السنة، واستقر بها هذه المدة، ولما لقاه علي بن أحمد وقد جمع من القبائل وعساكره أمره حسن بن الإمام أن يكون

(١) الشاعر: هو ابن نباتة السعدي عبد العزيز بن عمر.

أول صدر البيت: فلا تحقرن. (عبد الله بن محمد: حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، تحقيق: محمد جبار المعيبد، ج١، ص٢٠١؛ النويري: نهاية الأرب، ج٣، ص١٠٨).

دخول كل منهم من باب، لئلا يحصل افتراق وشقاق. واتفق مع القاضي يحيى جباري[1] نكتة عجيبة وهو أنه ركض رجلاً برجله، فشكاه إلى محمد بن الإمام، فأرسل إليه للمناصفة فيما وقع من الإلمام، فاتصل القاضي وقال له هو قاضي الإمام، فبعث إليه نفرين للوصول قهراً من غير كلام[٧٣/ أ] يأتون به إلى حضرته بالقهر والإبرام، فأتوا به إلى حضرته وقال للشاكي: استقضي منه في ركضته، فحصل مع القاضي المقيم المقعد، واستحال ما أمله من أن الأمر إلى والده، فعجب بعض الحاضرين في شأنه، وأن القاضي إنما فعل ذلك لعله من قبيل التأديبات أو نحوها، مع أن الركضة لا قصاص فيها، لعدم العلم بقدرها إلا في قول شاذ لبعض العلماء، فحضر الحاضر، وحامل ذلك الأمر الصادر، وطلب الصلح، والصلح خير، وبذل لذلك الرجل بعض شيء من الدراهم، والله أعلم.

وفي أول شهر شعبان اتفق كسوف للزهرة بمقابلة القمر وحجابها لها بالمشاهدة، فسبحان الخالق لما يشاء، وكان ذلك في أول ليلة رابع الشهر المذكور، في برج القوس، ورؤي أيضاً بالمشاهدة المريخ رجع في برج الثور قد كان قارب سيرة الثريا، ثم تراجع واستمر رجوعه إلى نصف القعدة، ثم سار ودخل الجوزاء[٧٣/ ب].

وكان عند دخول أحمد بن الحسن من الروضة إلى صنعاء من باب السبحة[2] ومعه نحو أربعين من الخيل ومثلهم من الرجل فصفت الخيل في بابه عند دخوله وكان قد ازدحم أهل صنعاء للتفرجة حوله، فاتفق أن ركض حصان السماوي رجلاً من أولئك

---

(١) القاضي العلامة يحيى بن إسماعيل جُبَاري، نسبة إلى قرية جُبَارة في بلاد آنس من قضاء ذمار. تلقى العلم على أبرز علماء عصره، وكان شيخاً لعدد من طلبة العلم، كان عالماً محققاً إماماً في الفقه، وكان قاضياً لدى الإمام المؤيد محمد بن المتوكل، ثم ولاّه صاحب المواهب القضاء في أبي عريش وما إليه من بلاد تهامة، فلم يزل حاكماً بها حتى توفى سنة ١١٠٤هـ/ ١٦٩٣م. (زبارة: نشر العرف، ج٣، ص٣١١-٣١٢).

(٢) باب السبحة: من أبواب مدينة صنعاء، يقع في الجهة الغربية منها، وهو من الأبواب التي فُتحت، وهدم سورها، ولم يبق له إلاّ الاسم.

المتفرجين إلى جنب جدار هنالك، حتى سقط في ذلك الحين وهلك، لم يبق إلا بقية ذلك اليوم.

ولأهل صنعاء لهج بالتفارج وغيرهم من البشر لا يشبعون منها، ولا يملّون عنها كبارهم وصغارهم، ومزاحمة الخيل لا تصلح للعاقل، ولكن البشر أميل إلا الملاذ، والنظر في أكثر البلاد، فلا قوة إلا بالله.

وأهل الخيل أيضاً يركضون في الطرق والشوارع، فيصدمون من يصدمون، فذلك مما يجب على ولي الأمر منعهم.

وفي يوم الجمعة عقب ذلك أيضاً سقط عبدٌ عند اللعب حال المجرى.

وفي هذه الأيام حال سكون أحمد بن الحسن بصنعاء بدار الجامع(١) قيل: أنه كان يسمع في الليل صوتاً من سطح الجامع يقول: الظلم شهير، والفساد كثير، ثم أرسل من ينظر ذلك فلم يجدوه وأخبر أهل الجامع أنه لم يكن فيه أحد، فأثر مع أحمد بن الحسن ذلك الكلام، ووقع معه الإهتمام، والظلم الذي اشتهر في اليمن الأسفل بالمطالب من ولاتهم، والإجحاف بحالهم، وعدم الإصغاء إلى إنصافهم فلا قوة إلا بالله[٧٤/ أ].

وتمشى أحمد بن الحسن إلى سفح جبل نقم، ودخل مسجده ورأى خرابه، وعدم سقفه، أمر بسقفه وإقامته، ويروى أنه كان مقاماً في مدة محمد باشا(٢)، وأنه بنى بيتاً جنبه لأجل سدانته(٣)، وخرابه كان عند حصول الفتنة في زمن حيدر باشا، ثم اتصل ذلك إلى هذا الوقت، لم يكن معموراً منه غير جدره دون سقفه، ولو أن أحمد بن الحسن

---

(١) يقصد به جامع صنعاء الكبير: أول مسجد عمر باليمن في صدر الإسلام سنة ٦هـ، ثم قام الكثير بزيادة الجامع وتحسينه وتوسيعه. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٢٣).

(٢) محمد باشا: كان والياً على اليمن في الفترة من سنة ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م إلى ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م. (د. سيد سالم: الفتح العثماني، ص٣٨٣).

(٣) السِّدانة: إقامة الجامع والاهتمام به من حيث فتحه في أوقات الصلاة ونظافته وحفظ المصاحف والكتب والأذان في مواعيده. (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٥٢٩).

أمر بأن يكون جملولاً[1] بالحجارة ليدوم سقفه، فأما بالخشب فإنه يخرب ويسقط عيدانه ويسرق؛ لأنه في خلا وفضاء، إلا أن يجعل عنده من يقوم به. وكان هذا المسجد زمان الإمام صلاح الدين[2] مقاماً، والطريق إليه لا تزال محتركة بيضاء مدة أياماً، ويقولون أنه من المساجد القديمة المباركة، والله أعلم.

وأمر أحمد بن الحسن في هذا التاريخ لما صلى بمسجد علي[3] الذي في السوق بصنعاء بإجراء ساقية للماء، تخرج من السوق ليكون ماؤه طرياً، فاتفق أن دلاَّلاً نظره، فدفل[4] وفي يده جنابي[5] مسلولة، يدور بها في السوق مدلولة، فلم يشعر إلا وهو في حفرة تلك الساقية والحفَّار تحته، فوقعت الجنبية في ظهره[٧٤/ ب] فلا قوة إلا بالله.

وفي هذه المدة جاءت الأخبار بأن سعد بن زيد بن محسن الذي كان أميراً بمكة بعد أن قصد إلى باب السلطان، كما سبق ذكره، مات بالطريق، وعاقة التعويق، وزال ملكه وجميع أولاد زيد، وتولت أيامهم، وانتقلت دولتهم.

وفي شعبانها حصل قتل رجل من بلاد نهم، والقاتل له بنو حشيش[6] من بني الحارث، فحصل تحمل النهمي على الحارثي، وأظهروا المغزى للحارثي، فرتبوا أطراف بلادهم، وحموا جهاتهم ببنادقهم، فغزا النهمي وهو غير متَعَبِّي[7] فرماهم بنو حشيش

---

(١) جملولاً: لم نجد لها تعريفاً.

(٢) الإمام صلاح الدين: هو الإمام الناصر لدين الله صلاح الدين محمد بن علي (٧٣٩-٧٩٣هـ/ ١٣٣٨-١٣٩٠م). بويع بالإمامة بعد والده الإمام المهدي محمد بن علي في ذمار وقيل في ظفار. كان من العلماء الأعلام. وقد تتلمذ عليه مجموعة من الفقهاء والأدباء والمفكرين، منهم الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى. (الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، ص٥٧٧-٥٧٨).

(٣) مسجد علي: من المساجد العامرة، شرقي الحلقة من أسواق صنعاء. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٨٦).

(٤) دَفَلَ: بمعنى بصق في وجهه.

(٥) جنابي: مفردها جَنْبِيَة: وهي خنجر أو نصلة، سميت كذلك لأنها تثبت في حزام وتوضع في الجنب، وتشتهر اليمن بصناعة الجنابي.

(٦) بنو حِشَيْش: من خولان العالية، من نواحي صنعاء في الشرق منها، وهي الآن تابعة للواء صنعاء، وهي ثمانية أقسام. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص٢٦٠).

(٧) غير مُتَعَبِّي:: أي غير مستعد ومجهز، ليس لديه ما يكفيه من البنادق والذخيرة.

من البيت الذي قد رتبوه لما قصدوه، فقتلوا واحداً من نهم، فلما وقع هذا الحادث وصارت العيون بأجمعها في نهم تحملوا لهذا الأمر الكادث وضربوا الطبل في جهاتهم، والقصد بأجمعهم، فجهز عند ذلك أحمد بن الحسن جماعة من العسكر إلى بلاده......[1]، محمد بن الإمام من صنعاء إلى نهم جماعة من أجناده.

وفي هذه السنة اشتدت العسرة على أهل وادي السر[2] شدة عظيمة، ونضبت الآبار، ويبست الأعناب حتى قطعوا أصول أكوالها[3]، ورحل أكثرهم عنها للمعاش، وتتابع عليهم عدم المطر من سنة تسع وسبعين، بحيث أنه صار عبرة لمن اعتبر، ولم يسلم منه، خصوصاً وسط الوادي.

قال بعض أهله وسببه كثرة التجاري على الأيمان، والمحاسدة بينهم والعدوان.

وفي هذا الشهر خرج حسن بن الإمام من صعدة إلى بلاد خولان لتقريرها، والمناظرة فيما بين مشائخها وبين واليها، لأن الإمام لما سكن مشائخ خولان واليهم، وأرادوا عزله عنهم، ولم يساعدهم، بل قال:[٧٥/ أ] يتناظرون فإن صح عند النوعة[4] المتولى حجة عزله وحوله، وأمر ولده حسن بن الإمام بالمناظرة بينهم، وتقرير الكلام عندهم، واستقر بحَيْدَان[5] من بلاد خولان ونفوس خولان غير راضية في الباطن بحسن بن الإمام، ورغبتهم عادت إلى علي بن أحمد هذه الأيام، ثم سار حسن بن الإمام إلى جبل رازح حيث كان، وعلي بن أحمد حصل معه التعب لأنه لم يكن قد قطع

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) وادي السِّرْ: وادٍ معروف، يشتمل على قرى عديدة في ناحية بني حشيش، على مسافة ٣٠كم شمال شرق صنعاء. (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص٨٧؛ الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٥١٧).

(٣) أكوال: مفردها كَوْلَة: وهي غرسة العنب، والجمع غُروس.

(٤) هو علي بن المهدي بن الهادي النوعة. سبق ترجمته.

(٥) حَيْدان: بلدة عامرة في ناحية خولان بن عمرو، من ناحية أعمال صعدة، وهي مركز الناحية، تبعد عن صعدة بنحو ٧٣كم. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج١، ص٥٣٧).

اليأس عن خولان. وكان يدفع إليه أهله في ولاية النوعة هذا الأوان، ولا يراعون رأي النوعة في بعض تلك المطالب المأخوذة حال مشائخهم عند الإمام، فكان الأمر يومئذٍ قد اختلف، ورفعت كثير من القبائل رؤوسها، لما ظهر لهم من مثل علي بن أحمد في تلك الجهة وغيرها[٧٥/ ب]. وأحمد بن المؤيد صار بوادعة[1]، وفي نفسه أمور واسعة، وقال من قال منهم ولسان حالهم: هذا الإمام فيه الركة، لما اعتراه من الألم هذه المدة، وأحمد بن الحسن هو الذي يُخشى منه قد اشتغل بتجهيزه إلى عدن بعض عساكره. وكان هذا كله في شهر شعبان، فأجهز أحمد بن الحسن بن خليل الهمداني إلى عدن بجماعة من العسكر بعد التجهيز الأول، للتحفظ على البندر من طارق يحصل من جهة العماني من البحر. وحصلت رجفة في ضوران في هذا الشهر بعد تلك الرجفات الأول، فحصل مع الدولة بعض ارتجاف، والله يسكن الفتن ويؤمِّن مما نخاف، فلينظر العاقل، ويعتبر بفكره الحاضر هذا الإختلاف والمنافسة على الدنيا بين أقارب الإمام، ثم من بعدهم من السادات، ثم من بعدهم من قبائل مذهبهم في هذه الحالات، فإذا كان هذا فيما بينهم يريدون الخلاف، ويثير الفتنة والإجتحاف، فما ظنك بمن كان من الملوك البعيدة عنهم، فلا يكون اللوم عليهم وحدهم في الخروج عليهم، والتفريق والبغي منهم، إذ أقل حالة التسوية فيما بينهم[٧٦/ أ].

وفي شهر رجب تجددت الأخبار بصحة ما جرى في الفرنج واستيلاء السلطان عليهم، وسبي كثير منهم، والقتل فيهم كثير.

وفي شهر شعبان منها جاء الخبر الصحيح من جهات مكة أن السلطان محمد بن عثمان حال صدورها وهو باق في بلاد الفرنج، وسيوفه ما زالت في أعناق المشركين

---

(١) وادعة: قبائل تتوزع في اليمن على جهات مختلفة منها: (وادعة حاشد) وهي المقصودة هنا، وتقع شمال غرب مدينة خمر بحوالي ١٧كم. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٤، ص٧٦١؛ الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٩٨٦).

ضاربة وقاطعة، فأخذ منهم بالسيف عالماً كثيراً، وسبى منهم سبياً كثيراً، وصارت مالطة وبلادها تحت وطأته بأجمعها.

وصدق هنا ما تقدم ذكره من الكلام عند طلوع ذلك الذنب كما نقل من الجفر بغير شك ولا اختلف كلامه ولا اضطرب، حيث يقول فيه ما لفظه: محمد بن عثمان عبدٌ صالح خيرٌ من حر طالح، شعر:

سيطلع من مغيب الشمس نجم
له ذنب كمثل الرمح عالي
بوجه مستدير مثل ترس
علامة ما يكون بلا محال

وهو بالسيف يقتل. انتهى بلفظه.

فهذا دليل صدق ما وقع، إلا أنه كان الوجه المستدير في الوجه الثاني الذي مثله طلع أولاً من المشرق، ثم طلع من المغرب، فظهر النجم كالترس في آخر سنة إحدى وتسعين وألف، كما سيأتي إن شاء الله، فأما الأول فلم يظهر نجمه، بل كالرمح، وهو مغروس في المغرب.

وفي هذه السنة أُحدث معصرتان[1] للسليط بصنعاء، بعد أن لم يكن فيها هذه المدة شيئاً، وإنما كان فيها في المدة السابقة مدة بني العباس كثيراً، وصنع أهلها لها حجارة[2] جديدة من الحجر الحَبَش، نُقر وسطها، وجُرّت إلى صنعاء على العجيل بالبقر، جر كل واحدة منها ثمان بقر لكبرها وثقلها، وعصروا فيها الخشخاش والخردل؛ لأنه يزرع في

(١) المعاصر: هي عملية عصر الحبوب الزيتية كالسمسم والخردل على وجه الخصوص.

(٢) معاصر الحجر: هي المعاصر التي يكون فيها صهريج العصر من الصخر المنقور، وهو منقور من صخرة واحدة، له امتداد أصم عند قاعدته يستقر على الأرض، ومعاصر الحجر تمييزاً لها عن معاصر الخشب، التي يكون فيها الصهريج من الخشب. (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٨٨٥).

أرض الجبل، فأما الجلجلان[1] فلا يصلح إلا في التهائم واليمن الأسفل، فكان[٧٦/ ب] في ذلك بعض رفق لأهل المدينة في سعره، مع ما يطلع من اليمن الأسفل من سليط الجلجلان مصنوعاً، ومن جهات الجوف محمولاً.

وفي غرة رمضانها وصل ثلاثون رجلاً من العدين شاكين على الإمام ما تقدمت لهم من الشكية من الجور عليهم في المطالب الثقيلة، وما صار يأخذه عليهم السيد جعفر بن مطهر الجرموزي مما استجحف أكثر محصول ما لهم، وما يحصلونه من غلاتهم، وأن رسوله الذي أرسله معهم في الشكوى الأولة لم يحصل منه جدوى، ولا نفع ولا ارعوى[2]، فيقال: أنه ربما يحدث بتعويض الوالي وإبداله بآخر ووعدهم بما ينظر فيه وإليهم يأتي، وفي التحقيق ليس مطلبهم مجرد الوالي، وإنما مطلبهم إزالة التخفيف عنهم من الزوائد في المال؛ لأنه حصل بسبب السيد جعفر الزيادة في التقرير الشهري، كما سبق ذكره، بقريب النصف مما كان في المدة الماضي فحاق عليهم الجور من ها هنا؛ لأنه نمّق للإمام وسوَّل له المقاطعة في كل شهر على صفة الشروة[3] بزائد على ما كان له، لتتم له المساعدة، فساعده الإمام فكان ذريعة للجريرة لهم في هذه الأعمال. ولا ينبغي مساعدة المزايدين في القطاع من الولاة؛ لأنهم بذلك يستحلون أموال الرعايا بما شاؤوا، ويعملون فيهم ما أرادوا، ويطلقون الزيادة من ظهورهم، فلو أن الإمام[٧٧/ أ] إن تم عزله لهذا والإبرام يحط عن نفسه طلب الزيادة، ويقرر الوالي الثاني إن حصل على ما كان أولاً من غير زيادة، لكان هو العدل والإنصاف والحكم بالحق وعدم الإجحاف.

هذا سوق الحطابين بمدينة صنعاء اليمن، دخل فيه مُزايد في المجبا[4] في كل شهر، فلعب بالسوق، وجمع من الحطب كثيراً مع الدراهم، حصَّل بعضه لمطابخ القصر،

(١) الجلجلان: السمسم.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) الشروة: أي الشراء.

(٤) المجبا: المقصود به جباية الضرائب، سبق شرحها.

وبعضه له في القطعة فزاد بسببه ثمن الحطب؛ لأن الحطابين زادوا ثمن ما أخذه عليهم على المشترين، بحيث حسب في هذه الأيام عند رخص الطعام، فجاء حِمْل الحطب بِحِمْل من الحب؛ لأن الحِمْل بستة أحرف وخمسة وأربعة، وأضعف حمل بمائة بقشة وثلاثة، لأن السعر بلغ هذه المدة إلى عشرة كبار والحمل قدر ستة عشر قدحاً، لكبر القدح، وكان الزمن الأول الحمل من الحطب بحرف وخمسين بقشة إلى ستين، وما كذب من قال: صنعاء أم اليمن، فإن غلاء أثمان الحطب ارتفع في كثير من البلاد، بلاد كوكبان وثلاء ومسور وشهارة وعفار، وحوزة الحطب فيها أرفع من صنعاء.

وفي هذه الأيام[٧٧/ ب] أمر الإمام ولده بالعود إلى بلد ولايته بصنعاء والمبادرة إليها؛ لأجل توهمات حصلت عنده، وهو أنه أخبره المخبرون أن أحمد بن الحسن حال دخوله صنعاء هو ومحمد بن أحمد بن القاسم طافوا الأسواق، ودخلوا إلى القصر يوم الجمعة بالأجناد، فحصل مع الإمام توهمات، وأظهر التجلد عن ألمه، وركب الحصان يوم الجمعة، وانكشف أن ألمه من قبيل الباسور[١].

وفي شعبان قتل رجل بمدينة شبام كوكبان، وهرب القاتل، وبعده في أوائل شهر رمضان قتل ثلاثة بشمات[٢] قتلهم أهل بلدهم لعدوى بينهم، فأدب الجميع الدولة فيما جرى بينهم.

وفي هذه الأيام تناهى ثمن الثياب البيض المتينة لعدمها بسبب منع العماني لها.

وفي رمضانها وصلت المراكب الهندية التواهية إلى حدود بندر المخا وساحله، ووصل[٧٨/ أ] معها من الحسا بضاعة من الأعبى ونحوها، فأما الذي من الحسا فدخل المخا وأما المراكب التواهية فرست في البحر، وشرطوا تخفيف المأخوذ عليهم[٣]،

---

(١) الباسور: جمعه بواسير، سبق شرحه.

(٢) شمات: عُزلة من بلاد الطويلة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢،ج٣، ص٤٥٦).

(٣) أي الجمارك.

والحط مما كان زاده السيد زيد(١) والسيد حسن(٢)، وإلا عرجوا عنه إلى جدة، فقيل: أن السيد حسن استأذن الإمام، وأنه حط عنهم بعض شيء.

ووصل الخبر في هذا الشهر بخروج والي لبندر جدة يسمى يوسف آغا، وعزل عنها محمد شاوش.

وفي ثاني عيد رمضان بشهر شوال وصلت كتب من أبي عريش، ثم تعقبه من حسن بن الإمام من جبل رازح يذكرون أن هذه الأيام جهز جماعات من العساكر السلطانية إلى الجهات الحجازية، وخرج إلى مكة ثلاثة أعوان أحدهم: ناظراً على إصلاح السبل منها وإصلاح العيون، وآخر يقال له محمد بن سليمان(٣)، له معرفة بالعلم، أمر بانه يطلع على من في مكة من أهل المقررات[٧٨/ ب] والصدقات والأوقاف وأن صرفها يكون على يده الذي للأشراف، والذي للعلماء، والذي لأهل الوظائف. والعسكر السلطانية انكشف توجههم إلى بغداد بالعراق والبصرة زيادة لمن فيها.

وروى الشيخ محمد كزبر الدمشقي(٤) أن الرتبة ببغداد المعتادة قدر اثني عشر ألفاً من الإبحارية، وأن السلطان جددهم بآخرين، وزاد مثلهم فهم هؤلاء الذين ساروا إليها خارجين. وخرج من البحر هذه الأيام خزانة من البارود والرصاص، فلما قاربت جدة حرقت بسبب نار اتصلت بالبارود، فغرقت.

---

(١) هو السيد زيد بن جحاف، الولي السابق للمخا. سبقت الترجمة له.

(٢) السيد حسن الجرموزي، والي المخا. سبقت الترجمة له.

(٣) هو الشيخ محمد بن سليمان المغربي، فوضه السلطان العثماني محمد بن إبراهيم بالنظر في أمور الحرمين الشريفين وإصلاحها، والتصرف في أحوالها. وصدرت منه تصرفات ظالمة من مصادرة أموال الناس وطرد بعضهم، والاستيلاء على الغلال الآتية لأهل الحرمين، حتى ضاق الناس ذرعاً بتصرفاته. ترجم له المؤرخ عند وفاته. (النص،ج٣، ق٩٤ب-٩٥أ؛ إبراهيم الصبحي، بلاد الحجاز في القرن السابع عشر، رسالة ماجستير، ص٤٢).

(٤) الشيخ محمد كزبر الدمشقي، ترجم له المؤرخ في هذا الكتاب. (النص، ج٣، ق٦٦ب).

وفي ليلة السبت خامس عشر شهر شوال منها خسفت القمر لجميع جرمها في برج السرطان، وكان أول شهر شوال بالإستهلال السبت، وعند أهل الحساب والمنجمين بالجمعة والخسوف على ذلك كان في سادس عشر[٧٩/ أ].

وفي هذا الشهر توفي الفقيه محمد بن عز الدين الأكوع في بيته بالحصين من ضوران، وكان قد شاخ وتعمر، وكان عليه المخازين مع شرف الدين الحسن بن الإمام القاسم مدته وولاية بلاد آنس هو وصنوه عبد الله، واستمر كذلك مدة الإمام المؤيد محمد بن القاسم .

وفي رابع وعشرين شهر شوال سقط من السماء حجر بغَضْرَان[١] من بلاد وادي السر وقت العصر، والشمس شارقة، فسمع لخريرها في الجو صوت كصوت الرعد العظيم، سُمع ذلك إلى صنعاء، وكان وقوعها بباب بيت في قرية غضران بوادي السر من بلاد بني حشيش، ونزلت في الأرض، قالوا: ولونها كلون الحُطُم[٢]، فسبحان القادر على كل شيء وذلك من آيات الله التي يخوف الله بها عباده ﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾[٣] واشتد بالسر الجوع، ويبست عليهم الأعناب، وأصبح ماهم في الآبار غوراً لا ماء فيها كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾[٤]، ونجعوا عنها، وتفرقوا في الأرض، ولم يبق إلا البعض منهم، ثم قطعوا أصول العنب بالشُرُم[٥] وأدخلها أهلها يبيعونها.

وروى لي بعض فقهائهم أن ذلك من عقوبات الله بهم؛ لأنهم كانوا يتجارون على بذل الأيمان الكاذبة عند شريعتهم، وكثر منهم المغادرة والأذية لبعضهم البعض، حتى نزل بهم ما نزل.

---

(١) غَضْرَان: قرية أثرية في وادي بني حشيش، بالشرق الشمالي من صنعاء، بمسافة ١٥كم، (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١١٧٩).

(٢) أي لونها أسود.

(٣) الزمر:١٦.

(٤) الملك: ٣٠.

(٥) الشُرُم: جمع شريم: المنجل الذي يُشرم به الأرض (سبق ذكره).

واتفق بهذا الشهر لبعض بيوتات بصنعاء أن شخصاً من الجان شغلهم، وكسر عليهم من أوانيهم، وكان يرى شخصه امرأة منهم لا غيرها من أهل بيتهم، وكان يحرق ثيابها ويطرحها بيرهم[1]، ومرة سل عليها السلاح، ومرة ذبح عليهم دجاجة وهي تراه، ومرة صاحت منه وقالت: سل عليها السلاح ثم سكتت، وكان بعض المُعَزِّمين[2] يعَزِّم لها ويكتب لها فيحرقها، ومع هذا فحسن تلك المرأة لم يتغير، وذكر صاحب البيت أنه كسر عليه بعض سلاح، وتضرر منه وذكر أن صورته صورة امرأة ومعها خادمان تأمرهما بما تريده، وغفل بعض أيام ثم عاد ومعه كتابة عجمية وصورة ووضعها في عتبة الباب، فرأته تلك المرأة حين وضعها، ولم يره غيرها، فأخرجوها، فدل ذلك أنه ساحر وأن السحرة من الجن والإنس نعوذ بالله منهم[٨٠/ أ].

وفي شهر الحجة منها أرسل محمد بن المتوكل صاحب صنعاء جماعة من العسكر والخيل إلى شعوب لمنع جِمال محمد بن أحمد صاحب الروضة عن حمل أَثْل[3] كان فيه شجار، دعوى للفقيه يحيى بن حسين السحولي ناظر الوقف، فأبرز محمد بن أحمد حكماً شرعياً من القاضي علي بن جابر الهبل، فلا وجه لرد الجمال، ووضع الأثل من ظهورها من غير وجه فبرَّده الفقيه بن جميل، وقال: الأمر جميل فيكون الصبر منكم، والصفح لكم، لئلا يحصل ما يحصل من الإشتجار في هذا الأمر الحقير، الذي ما كان مثله يكلف لا قليل ولا كثير، فحصل المعقول من جهة ابن جميل، ووضعت الأحمال وترك باقي الأثل في موضعه بلطف منه ومداركة وحال جميل، وظهر بين الرجلين كوامن الأحقاد والاستيحاش إلى غير المراد، وطلب محمد بن الإمام عقب ذلك علي بن جابر وقال له:

---

(١) كذا في الأصل: أي البئر.

(٢) المعزِّمين: هم المشعوذون الذين يعملون ما يُعرف بالعزائم أو الرُّقا.

(٣) الأَثْل: شجر يشبه الطرفاء، إلا أنه أعظم منه وأكرم وأجود عوداً. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٢١).

لِمَ تحكم بغير أمرنا وبغير حضور ناظرنا ووكيلنا؟ فأجاب القاضي أن هذا الحكم جرى من بعد تقرير بطلان دعوى جانب الوقف لما طلبنا، والأمور فيها بعض من الرَّبْش[1] بين السيدين، فإن محمد بن أحمد وإن كان أبرد في حرارة الطباع، والجميل والرعاية والإتساع، فقد ظهر منه بعض كلام شاع في الناس[٨٠/ ب] من جهة صنعاء، فإنه لما مرض الإمام ظهر من محمد بن أحمد أنه لا يترك صنعاء، فربما بلغ محمد بن الإمام فيحصل في النفوس، وإن كان قد شُوحِجَ محمد بن أحمد وأزيل عنه ما كان يعتاده من بلاده فإنه أخذ عليه محمد ابن الإمام لما تولى صنعاء زكاة أموال أهل صنعاء في الروضة والجراف، وكان ذلك أولاً إليه، وأخذ خطاً من والده الإمام عليه، فلم ينفذ عند ولده، وقرره والده ونقض خطه، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولم يدخل محمد بن أحمد بيته بصنعاء عقب العيد لما في النفوس، وحصل عقب ذلك غيار بقطع عنب الناظر على الوقف يحيى بن حسين السحولي بالمحاريق.

وفي هذه المدة روي أن رجلاً حَمَّالاً مشتاطاً[2] نزل إلى اليمن الأسفل، فلما بلغ إلى بلاد الجَنَد[3] اضطر إلى السؤال لطعام من بعض بيوت في تلك الجهة بعد أن أظلم عليه الليل ودق الباب، ففتحت له امرأة وقالت: ادخل، وهي خارجة، فدخل وإذا فيه جماعة من الشماة[4]، وسلاحهم بين أيدهم ملقاة[٨١/ أ] فقالوا له: اقعد، فقعد، ثم إنهم خرجوا وأمروه بحمل شيء معهم في غِرَارَة[5]، فحمل ذلك معهم إلى البرية وحفروا حفيرة ألقوه فيها، وإذا هو مقتول قتلوه بها، ثم حفروا حفيرة أخرى فقال: لمن

---

(١) الرَّبْش: هنا بمعنى الاختلاف والخلط بين الأمور.

(٢) مشتاطاً: من الكلمات المحلية الخاصة ببيع وشراء الحبوب الزراعية بمختلف أنواعها.

(٣) الجَنَد: مدينة مشهورة بالشمال الشرقي من تعز بمسافة١٧كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٣٥٩).

(٤) الشُماة: لعل المؤلف يقصد المناطق الشمالية، والكلمة جمع شامي.

(٥) غِرَارَة: الغرارة: الجوُالِق. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٩٧٤).

هذه؟ فقالوا: لك نلقيك بها لئلا تخبر بخبرنا وتشيع أمرنا يظفر بنا، فسقط في يده وأيقن بالهلاك، فألهمه الله إلى الدعاء والاستغاثة بالشيخ أحمد بن علوان نفع الله به، والتوسل إلى الله ببركته، ونذر له بها على جمله قال: فلم يشعر إلا بشيء أقبل عليهم بحربته دفعهم بها، فحمد الله تعالى على النجاة منهم وسلامته عنهم. هكذا روى بعض القبائل، وهذه الرواية لا تعرف إلا من مثلهم لأنه رجل حمال من جنسهم؛ فإذا صحت فهي من كرامات الشيخ أحمد نفع الله به.

ووصل الخبر هذه الأيام برجوع أصحاب العماني، الذين كانوا قد بلغوا إلى حدود الشحر[٨١/ ب].

وفي هذه المدة انكسرت جلبة كانت داخلة من اليمن فيها حجاج ومن البن، فهلكوا، لم يسلم منهم إلا اليسير ممن خرج مع صاحبها في سمبوك[١]، ومن تعلق بشيء من صروفها[٢] على مشقة في ذلك، فإنه وصف الواصف: أنه تعلق بصرف، فلبث في البحر فوق ثلاثة أيام لا يذوق شيئاً من الطعام ولا الماء، وهو في معاناة مع ذلك الصرف لأجل الموج، فتارة يكون على ظهره وتارة يغلبه فيقبض عليه ويتعلق به لئلا يغرق، فما زال كذلك تسوقه الريح الغربي حتى قذفته في ساحل جازان بعد الإياس منه، وكان إنكسارها مقابل لبندر جازان وهم قدر سبعين نفراً لم ينج منهم[٨٢/ أ] إلا نحو خمسة عشر رجلاً.

وخطب خطيب صنعاء محمد بن إبراهيم السحولي بخطبة الرافضة يوم الغدير[٣]،

(١) سبق ذكرها، وكتبها المؤرخ سنابق: جمع سنبوق، وهنا كتبها سمبوك.

(٢) صروف: يذكره صاحب لسان العرب باسم (صريف) ويقول: هو ما يبس من الشجر. واللهجة المحلية قريبة من هذا المعنى، حيث أن كلمة (صروف) تعني الألواح الخشبية. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٤٣٣).

(٣) يوم الغدير: الغدير، نسبة إلى الموضع المعروف باسم (غدير خم) بين مكة والمدينة، نزل فيه النبي÷ حين رجع من حجة الوداع، فأمر الصلاة جامعة، فأخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فهذا ولي من أنا مولاه. اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه». (حديث ورد في سنن ابن ماجة، ج١، ص٤٣).

ثامن عشر شهر الحجة يوم الجمعة، وحث الناس على الصيام فيه، وإظهار الشعار الذي للإمامية الإثني عشرية[1]، ولم يخطب أحد قبله من أهل مذهبه.

وأُدخل جماعة بمكة الحبس لأجل شراء جماعة من أهل اليمن البنادق، وربما مطل بعضهم في شيء من الثمن، فشكى إلى الباشا، فأرسل للشيخ راجح أمير حاج اليمن، فوصل إليه إجابة للداعي، وقال الباشا حسين: ما موجب الشراء للبنادق منكم أهل اليمن؟ فقال: يا مولى السعادة لأجل الحرامية ولحفظ الحاج في الجادة، فأمر بإطلاقهم من الزناجير، وسلم الشيخ توفية من مطل الثمن، وانجبر الأمر، وكان قد قطع الباشا أيد بعضهم.

وفي سادس وعشرين شهر الحجة منها كان تحويل سنة العالم بدخول الشمس في أول دقيقة في برج الحمل، كانت الزهرة وعطارد في الحمل، والمشتري في القوس، والقمر في الدلو، والذنب وهو الجوزهر في السرطان، وكذا المريخ وزحل في أول برج الثور. وكانت هذه السنة الداخلة سنة ست وثمانين الآتي ذكرها أيام سنة خمس وثمانين شمسية؛ لأنه حصل فيها ازدلاف[2]، إذ لا يكون تحويل سنة العالم[٨٢/ ب] بدخول الشمس أول دقيقة في الحمل إلا في أول شهر محرم من سنة سبع وثمانين وألف، وهي مع ذلك بالنظر إلى القمرية لا تسقط بل هي سنة ست وثمانين بعد الخمس والثمانين الماضية، وإنما هذا السقوط والازدلاف باعتبار السنة الشمسية والزحلقة بأيام البين، وهي إحدى عشر يوماً وكسور في كل سنة، والله أعلم[٨٣/ أ].

وفي هذه الأيام كان مزيناً حلاقاً معه مرآة من بلور عوجا فيمرِّي القبائل بها فيرون وجوههم عوجاً فيقول لهم: ما رأيتم؟ فيقول: معه علاج لذلك، فيأخذ شيئاً من الجلود

---

(١) الإثني عشرية: فرق من فرق الشيعة الإمامية أخذت إسمها من اعتقادها في وجود اثني عشر إماماً من سلالة الإمام علي بن أبي طالب، الذي هو أول الأئمة الاثني عشر. (حسن الأمين: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية، ج٢، ص١١٧).

(٢) ازدلاف: ازْدَلَف: دنا منه، والازدلاف القُرب. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٣٩).

يسوي بها وجهه على زعمه، ويخرج مرآة أخرى صحيحة فيقول: ما رأيتم؟ قالوا: زالت العوجة، فيعطونه شيئاً من الأجرة، وكان هكذا يفعل، وإنما فطن به من يفطن، فكان آخر أمره أن أصيب بشيئ من الطَّرش وبقي في حالة ضعيفة. وأولاد جبل الهمداني الذين كانوا بصنعاء، لهم من البيع والشراء، والثروة والغنى، فلما كان منهم من الفساد، وظهر عليهم القبائح، وقُبضوا غير مرة على ذلك عوجلوا بالعقوبة وتفرقوا وخسروا، فراح واحد منهم إلى مكة ظهرت عليه فيها سرقة، فقطعت يده.

والآخر كان في أعظم مما جرى له. وشيخ برط يقال له: الشيخ قاسم، كان شريراً قد قتل نفوساً، ونهب أموالاً، فأصيب ببطلان نصفه، فبقي كذلك مدة، ثم صار أعرج يسير على العصا، وسلم الناس شره، وسار في أعظم حالة.

وفي هذه المدة ترجح للقاضي مهدي الحسوسة الثلائي بأن حبس فقيراً من فقراء الشيخ أحمد بن علوان -نفع الله به- في حصن ثلا، لأجل منعه من دق صدره بالدبوس حال جذبه، فترجح له بأن قفز من رأس الحصن من الحيد[٨٣/ ب] فوقع فوق غرارة قشر في سوق ثلا، وسار على قدميه لم يضره شيء مما جرى، وسلمه الله تعالى ببركة الشيخ أحمد بن علوان، نفع الله به، فلما رأى ذلك القاضي مهدي اعتقد بركة الشيخ أحمد وخلَّى سبيله، ولم يعترض له ولا لغيره من الفقراء، والله أعلم.

وإلى هنا انتهى الدور الثالث من أول الإسلام الذي يدور على ثلاث مائة وستين سنة، لكنها سنة شمسية، فيزيد على هذا بخمس سنين، فيكون انتهاؤه في سنة خمس وثمانين وألف، وعند أهل الفلك أنه يكون فيه انقلاب الدولة في بعض الجهات، واستيلاء بعض الملوك على بعض والقدرة لله تعالى.

[٨٤/أ] ودخلت سنة ست وثمانين وألف [١]

قيل: أنها استهلت بالخميس. وجاء الخبر أنه وقع بين الحجاج حال دخولهم مكة وبين الحرامية من أهل بلاد الحجاز فيما بين الشقيق وحلى، وأنه راح من الطائفتين مقتلة.

والإمام هذه الأيام حمل بعض خزانة ضوران إلى صنعاء، وظهر أنه في النية للإرتحال إليها، والحجاج من الأولين وصلوا في العاشور وأخبروا أخباراً إجمالياً بأن الحج مبارك، والشامي فيه قوة والمصري دونه، وظهر خبر بأن سعد بن زيد جاء له طلاب إلى حضرة السلطان، وأنه قد كاتب إليه يطلب الأمان، فقيل: أنه سار مع أمير الشامي، وهو بين الخائف والراجي، وخاف القبائل من الباشا في إيواء المذكور، فاضطر إلى ذلك.

وفي الجملة أن هنالك ربش [٢] في بلاد الحجاز، وشدة وطأة من عساكر السلطان، حتى دوخوا تلك البلاد، وأمنوا سبيلها وزال الفساد. وأصبح يوم ثاني الشهر المذكور حال وصول[٨٤/ ب] أول كتب مكة دخل أحمد بن الحسن من الروضة إلى صنعاء، ولقاه محمد بن الإمام إلى الجراف، وسار إلى الروضة وافق محمد بن أحمد للإعتذار، من أجل ما كان صدر من جانبه إلى جانب محمد بن أحمد في منعه من حمل الأثل، ومصادقة محمد بن الإمام للناظر على الوقف، وما جرى من ذلك العمل،ثم دخل الجميع صنعاء وكان من الحاث له على ذلك والمعاتب أحمد بن الحسن، فإنه لام محمد بن الإمام، وقال: مثل هذا الشيء الحقير مدروك مع الأناة على الوجه الجميل،والحق أحق أن يتبع، وليس لأحد مخالفة له ولا مطيع، ومحمد بن أحمد قد معه حكم شرعي في ذلك، وانه مما

(١) ١ محرم ١٠٨٦هـ = ٢٧مارس ١٦٧٥م.

(٢) ربش: هنا تعني عدم استقرار.

يتصل بأملاكه وتحت يده، مع أنكم لو طلبتموه هبة لوهبه لجانب الوقف، ولم يبخل بـه لحقارته، ولا يجري في الوسط بسببه.

وروى بعض الحجاج أن الشامي خرج فيه باشا بقوة قيل نحو عـشرة آلاف، وقـال آخر: إن الخارج الوزير، وهو حسين الذي خرج في عام ثلاث وثمانين وألف.

[٨٥/ أ] وفي شهر المحرم منها توفي الشريف السيد محمد بـن صـلاح بـن جحـاف الحبوري بحضرة الإمام بضوران، وكان من الملازمين لـه لا يفارقـه في جميـع الأوقـات والأزمان، وعليه في الكتابة والإنشاء عهده، ويعتمد الإمام قوله وشوره.

وكان قد بلغ المذكور في الكبر ما أعجزه آخر مدته عن الكتابة، كما كان أولاً يعتاده. وكان في المدة المتقدمة ملازماً لشرف الإسلام الحسين بن القاسم في هذه الوظيفة، ثم لما مات الحسين لازم الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، ولما دعى أحمد بن الإمام القاسـم بشهارة بايعه من جملة غيره، ثم لما استقرت الـدعوة للإمـام إسـماعيل وصـل إليـه إلى ضوران، فلامه وقال له: لم بايعت الصنو أحمد؟ فقال: بغير اختيار منـه، وكـان يظـن أن الأمر مجتمع له، وبينه وبين الإمام إسماعيل نسبة وصهارة، فإنه ابن خالته، وكان الـسيد أولاً قد جعل له الإمام[٨٥/ ب] ولاية ظُلَيْمة[١]، وبلاد شظب، فكان فيهـا ولاة مـن تحت نظره، والكلام فيها والأمر يعود إليه، ثم لما مات شرف الدين الحسين بـن المؤيـد بالله بن القاسم وصارت شهارة وبلادها إلى يد ولد الإمام إسماعيل أحمد بسط اليد على تلك الجهة، وتصرف فيها، وأمر قبَّاضاً إليها.

وفي آخر هذا الشهر خالفت بلاد الحجرية، ومنعوا بلادهم عن المتصرفين فيها باليد القوية، وكان أول حادث ما سبق ذكره من قبل العشرة الأنفار من أصحاب محمـد بـن

(١) ظُلَيْمة: جبل واسع من بلاد حاشد، يشكل في أعماله (مديرية) مركزها مدينة حَبُوْر. (المقحفي: معجم البلدان،ج١، ص٩٧٨).

أحمد بن الحسن، ومنهم النقيب ابن جومر من الأهنوم، كما سبق ذكره، فأرسل الإمام إليهم رسولاً برسالة يطلب منه الديات، وتوعدهم إن خالفوا أمره بالعقوبات، ثم قال الرسول: إن لم يتم هذا فالسيف إليكم مكان ذلك، فقتلوا رسوله ومن معه، ثم أرسل جماعة عسكر بأدب، فردوهم عن دخول بلادهم، ومحمد بن أحمد قد كان أهم أن يخرج عنها إلى يَفْرُس[1]، فلما حدث هذا الحادث أرسل الإمام بأول شهر صفر ولده علي، وكذلك أحمد بن الحسن أرسل السيد صلاح بجماعة عسكر.

وفيها توفي الفقيه علي بن محمد البحيح [٨٦/ أ] الذي كان كاتباً للبصائر بمدينة صنعاء من مدة حيدر باشا إلى هذا التاريخ، وقد كبر في السن، وكان في مدة حيدر باشا قد جعلوه فندياً[2] بمدينة عَمْران[3] في البَوْن[4] بأمر الباشا، فبقى هنالك برهة على هذه الوظيفة.

وفي شهر صفر منها توفي الفقيه بدر الدين محمد بن علي المرواحي الشافعي، كان المذكور ساكناً بصنعاء من مدة دولة السلطنة، وله وظيفة في محراب مسجد عقيل[5] أول المدة، ثم نائباً عن الفقيه هادي العولقي، ثم صارت وظيفته في مسجد جناح[6]، حتى مات في التاريخ المذكور يؤم بالشافعية من الساكنين صنعاء، وكان فقيهاً.

(١) يَفْرُس: مركز مديرية جبل حبشي، من بلاد الحجرية، تقع على بعد حوالي ٢٠كم إلى الغرب من مدينة تعز. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٤، ص٧٨٥، الموسوعة اليمنية، ج٢، ص١٠٢٤).

(٢) فندياً: أي أفندي: كلمة تسربت من البيزنطيين إلى الأتراك السلاجقة، فاندمجت في التركية. وقد أُطلقت على الأمراء العثمانيين وضابط الجيش إلى رتبة البيك باشى. (د. حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص٣٤-٣٥).

(٣) عَمْران: مدينة مشهورة، تقع في شمال صنعاء على بعد نحو ٥٠كم، وهي من بلاد همدان. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٦١١).

(٤) البَوْن: حقل واسع في بلاد همدان، شمالي صنعاء، يبعد عنها حوالي ٤٨كم. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص١٣٠).

(٥) مسجد عقيْل: من المساجد العامرة في مدينة صنعاء، يقع شمال سوق الملح. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٨٣).

(٦) مسجد جناح: من المساجد العامرة بالقرب من سوق الملح، غربي مسجد المذهب. (الحجري: مساجد صنعاء ، ص ٤٢-٤٣).

وفي نصف صفر الآخر جاء الخبر بأن محمد بن أحمد غزا إلى الزَّرَّيقة[1]- بتشديد الزاي ثم الراء-، لما وصل إليه أوائل الغارة، وهم أحد قبائل الحجرية الذي وقع منهم الحدث السابق ذكره من تلك القضية، فواقعهم، وقتل منهم ثلاثة انفس وثمانية مجاريح، وانتهب عسكرهم عليهم نحو مائة وخمسين رأساً من الغنم.

وراح من العسكر أربعة أنفار وقيل: خمسة، وأخبر من حضر الوقعة من الذي راح من أصحاب محمد بن أحمد قدر عشرين نفراً، وأن الحرب استمر أربعة أيام، فلما بلغهم وصول علي بن الإمام إلى يفرس هربوا في الليل في الأودية والشعاب والجبال، فلحق من آخرهم يوم ثاني هربهم، انتهب عليهم ذلك النهب وقتل منهم ثلاثة أنفار وثمانية مجاريح[٨٦/ ب].

وقال الراوي: وتميل إلى الصَبيَّحة[2]، إلى قريب بلاد بن شَعْفَل[3]، وكان سائر الحجرية في الباطن مع أصحابهم.

وفي هذا الوقت جاء خبر من بلاد شام صعدة بأن حسن بن الإمام غزا إلى قبائل بني مِنبِّه[4] ونحوهم، لأجل حدث أحدثوه، وفعلاً فعلوه، وهو أنهم غزوا من بلادهم إلى بطن تهامة من ما يقرب من بلاد ظهر الجمل، وأنهم نهبوا قرية فيها يقال لها: العِرة[5]، ورجعوا بلادهم بعد هذه الغزوة، فقصدهم المذكور من جبل رازح فلم يظفر

(١) الزَّرَّيقة: جبل ووادٍ يشكلان مركزان إداريان من مديرية القبيطة هما: زَرَّيقة اليمن وزريقة الشام. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٧٤١-٧٤٢).

(٢) الصبيَّحة: من أصابح المعافر، تمتد بلادهم على الساحل من باب المندب حتى رأس عمران، في غربي وادي لحج. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٧٩٧).

(٣) بلاد ابن شعفل: من قبائل حالمين في يافع، كانت لهم الإمارة على بلدة خرفة. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨٧٠).

(٤) بنو مِنبِّه: مديرية بالطرف الشمالي الغربي من محافظة صعدة، تبعد عن عاصمة المحافظة بمسافة ٩٠كم. سميت باسم إحدى قبائل خولان قضاعة وهم بنو منبه بن يعلى بن عمر. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢،ص١٦٤٨).

(٥) هناك الكثير من المناطق تحمل اسم العرة، غير أنه لا يوجد هذا الاسم في تهامة.

بهم لعسرة الجبال، وقيل: ظفر بقرية أخرب جانباً فيها وعاد رازح.

وفي عشرين من شهر صفر وصل الزوار من المدينة المشرفة، فذكروا أن الباشا حسين مستقر، وأنه ما رجع مع المحامل بل سكن بمكة، وأنه تمشى وطاف إلى جدة في جند واسعة، وعمل آغا جده له سماطاً[1] كبيراً.

وفي هذا الشهر هجم الفقيه حسين بن يحيى حنش على جماعة من السادة في شهارة وهم سكارى، فقبض منهم البعض وهرب البعض.

وفي آخر صفر جاء الخبر المحقق مع بعض الوافدين من الحجاج الحقيقين الثقات المحققين، فأخبرني من لسانه أن الخارج[٨٧/ أ] حسين باشا مع الشامي، وأن جملة خيله التي خرج بها ثلاثة آلاف وخمسمائة، حسبما حصره الأشراف، من غير الأتباع والعساكر من الرجال.

قال: وكان عقب تمام الحج ووقت السفر للحجاج إلى كل نهج جهز أمير محمل الشامي مع حاج الشام والروم، وهو بمن معه من الخيل الململوم استقر بمكة، وطرح بوطاقاته في المعلاة رأس مكة.

قال: وكانت الأوامر والنواهي بمكة أيام الحج له حاكماً على أمراء المحامل،وعلى الشريف بركات وجميع الوافدين والأطراف، قال: وحال أن عزم هو هنالك، ثم أكد قوله الواصلون من الزوار في أول شهر ربيع الأول، فذكروا جميعاً: أن الباشا حسين بمن معه رجع إلى الشام، ولم يكن بمكة ما يوجب البقاء، والله أعلم.

وفي أول شهر ربيع وصل الخبر إلى صنعاء بأن بعض أهل برط من ذي حسين قصدوا إلى حصن الزاهر بالجوف غازين وإليه باغتين وصائلين، فخرج فيهم الأشراف

---

(١) السِّماط: كل ما يُمد ليوضع عليه الطعام في المآدب، وهي عبارة عن موائد كبيرة. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مج٣، ص٤٨٧).

من أهل الزاهر، ووقع بينهم الحرب والقتال، فقتل من برط جماعة ومصاويب[1]، واصتاب[2] من الأشراف ومن معهم جماعة سلمهم الله، ثم انهزمت برط ورجعت بلادهم، وكان من جملة المصابين ابن الأمير على[3] صاحب الزاهر، فتحمل الأمير علي وكتب إلى الإمام في هذا الحادث والإلمام، وإنهم إن عادوا أجاش بالقبائل والأحلاف مثل سفيان ونهم، ويغزي أطراف برط للإنتصاف.

وفي آخر صفر وصل الزوار وأخبروا أن حسين باشا، عاد إلى الشام بعد أن لبث بمكة هذه الأيام[٨٨/ أ].

وانظر أيها الحليم والعاقل الرصين الفهيم ما أرثه قضية حسين باشا في حرم الله وأمنه، وما جر فيه من البأساء فإنه ما زال جميع هذه السنين من حال فعلته إلى هذا التاريخ أحوال مكة لا تزال متغيرة، والمخارج إليها لا تزال متلاحقة، والله أعلم ما يكون منتهاها، وما يبلغ إليه أقصاها، وكذلك ما لحقها من الأسباب من جهة اليمن، كما سبق ذكره، ورأيت في أبيات ذُكرت في ملحمة أنها مأخوذة من الجفر في قضايا مكة فذكر فيها أحوال سعد بعد موت أبيه وما يجري معه، فقال الشيخ بدرالدين المصري[4]:

إذا مر بعد الغين جعد فقد يكن
حوادث أحوال فكن متأولا

---

(١) المصاويب: أي المصابين أو الجرحى (عامية).

(٢) اصتاب: أي أُصيب. وقد سبق ذكر ذلك.

(٣) هو الأمير علي بن الحسين الجوفي الحمزي. تولى إمارة الزاهر وما إليها في الجوف بعد وفاة أخيه الأمير صالح بن الحسين الجوفي سنة ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م. (النص، ج١، ق١٥٩ب).

(٤) الشيخ بدر الدين المصري: لم أعثر عليه في ما بين يدي من مصادر.

يكـــون بمـــيم ضـــجة وتخـــالف

بـــساكنها والوافـــدين ومـــن عـــلا

قال بعض من حسب على قوله (بعد ألغين جعد) أي سبع وسبعين وألف سنة.

وهو كـذلك لأن الغـين المعجمـة ألْـف في حـروف أبجـد، والجـيم ثلاثـة والعـين المهملة[٨٨/ ب] سبعين سنة، والدال أربعة يكون الجملة ألف وسبع وسبعين كما ذكر، والميم مكة والحوادث في مكة حصلت من هذا التـاريخ، وقـال في هـذه الملحمـة: بعـد ذكره لسعد بن زيد قال ابن بسطاهر[١] ما لفظه:

ومـــن بعـــد قـــل يليهـــا الفتـــى

وصـــاحب مـــصر يكـــون ابـــن قـــر

يردهـــا مـــن الغـــرب جـــيش العـــريم

وزرق العيـــون وحمـــر الـــشعر

وهـــذا يكـــون إلى عـــام قـــاف

ومـــن بعـــد قـــاف يكـــون الفخـــر

وفـــا بعـــدم زمـــرى بهـــا

يكـــون مليـــك بأقـــصى هجـــر

يبيـــد الأئمـــة وأوطـــانهم

ويخـــرجهم مـــن حـــصون شـــذر

---

(١) ابن بسطاهر: لم أعثر عليه في ما بين يدي من مصادر.

وقال فيها:

وهـــا قـــاف بهـــذا أراه

تـــوارى مهـــديها قـــد ظهـــر

وقد خرج في سنة ثمانين حسين باشا، كما سبق تاريخه، وقد أباد أمراء مكة الأولين كسعد وإخوانه، وإن أريد بهجر هجر الحجاز، فقد صدق عليه أنه كان بمكة مليك بأقصاه، وإن أريد بذلك غيره فالله أعلم بغيبه.

وقوله: (يردها من الغرب جيش العريم)، يريد به مصر[٨٩/ أ]، وقد وردها بعدما جرى بمكة محمد شاوش بجيوشه، ثم جيوش حسين باشا السابق ذكره، ثم لحق هذا العام حسين باشا كما ذكرناه، والله أعلم ما يكون من أمرها، وما يتعدى عنها.

وقوله: (يكون إلى عام قاف)، قال بعض المحسبين: أي مائة سنة بعد الألف، ولعلها تواصل المخارج كذلك في هذه السنين.

وقوله: (وها قاف) أي بعد خمس مائة سنة وألف يكون ظهور المهدي المنتظر الذي يقوم آخر الزمان من مكة المحروسة، وينصره منصور حمير(١) الأَجْبَه(٢) الرعيني من اليمن، ومدته متأخرة عن هذا الوقت بحول أربع مائة سنة فأكثر، والله أعلم بالغيب.

وجاء الخبر من مكة أن العبادية الذين طلبوا من مكة بلغوا إلى مصر، وتحقق خبرهم صاحب مصر وأعادهم إلى أماكنهم ومستقرهم، ووصلوا مكة في هذا الموسم آخر السنة الماضية، وسكنوا بيوتهم على سالف أحوالهم.

وجاء خبر أن يوسف بيك متولي جدة توفي.

---

(١) كان منصور حمير عند اليمنيين بمثابة المهدي المنتظر عند المسلمين. (الهمداني: الإكليل، تحقيق: محمد الأكوع، ج٨، ص١١٥-١١٦).

(٢) الأَجْبَه: العريض الجبهة. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٣٩٨).

وفي يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الأول وقع قران الزهرة وزحل ببرج الثور.

وفي هذه الأيام هرب جماعة من عسكر حسن بن الإمام من جبل رازح، فبعضهم سكن في بيته بالأهنوم وغربان، وبعضهم وصل إلى حضرة الإمام، وكذلك أيضاً هذه خرج إبراهيم بيك إلى جدة متولياً.

وفي هذه الأيام وصل إلى حضرة المتوكل إجماعة من عسكر زبيد يشكون من واليهم السيد حسين بن زيد بن جحاف[1]، وكذلك وصل إلى أحمد بن حسن عسكر من عدن يشكون من واليهم السيد حسن الحرة.

واتفق بين ولد يُسمى علي بن محمد بن أحمد بن الحسن[2] وكان شاباً وبين سيد من بني عامر يُسمى حسن بن علي بن محمد بن عامر قضية وهو أن ابن عامر كان وافداً في الغراس أن طعن علياً بالجنبية فبقى خمسة أيام ومات، فبقي عند أحمد بن الحسن، وإنما حبسه وشفع إلى ولده محمد بن أحمد أن يعفو عن القَوَد[3][٨٩/ ب].

وفي هذه الأيام هرب عسكر زبيد ووصلوا إلى حضرة الإمام وشكوا من ولد السيد زيد بن جحاف واليهم، وكذلك وصل إلى حضرة أحمد بن الحسن عسكر من عدن يشكوا من الشريف حسن الحرة، قصّر في أحوالهم بالمرة، وخلا هذان الموضعان من العسكر في وقت واحد مما يقضي بالعجب والعبر.

وفي[4] أول هذا الشهر وقع فيما بين ولد لمحمد بن أحمد بن الحسن يسمى علياً وبين

(١) الحسين بن زيد بن علي بن إبراهيم جحاف، ولد سنة ١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م، قرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته بقراءة الأئمة العشرة على شيخه عفيف الدين عبد الله المزجاجي الزبيدي، كان سيداً عالماً محققاً، ولم يزل مقرئاً بمدينة زبيد حتى توفي بها سنة ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م. (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، مج١، تحقيق: عبد السلام الوجيه، ص٣٦٠-٣٦١؛ زبارة: نشر العرف، ج١، ص٥٥٣).

(٢) هو ابن الإمام صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن.

(٣) القَوَد: القصاص.

(٤) من هنا أعاد المؤرخ ذكر الحادثة التي سبق أن ذكرها في الحاشية، فأعاد ذكرها في متن الورقة التي تليها بتفصيل أكثر.

شريف من بني عامر عم الإمام القاسم يسمى حسين بن علي بن محمد بن السيد عامر قضية وهو أن السيد المذكور كان وافداً إلى الغراس حضرة أحمد بن الحسن طالباً منه ومسترفداً، فكان تصاحب هو وعلي بن محمد الحسن فاتفق بعض الأيام بينهما صفاط[1] ومزاح في خلوة، فكان من السيد ابن عامر أن طعن علي بن محمد بن أحمد بن الحسن بالجنبية بين جنبيه، ودلقه من سطح حتى أرداه، فبقى متالماً قدر ستة أيام ثم مات، وذلك أن الطعنة خرقته إلى باطنه، فدخل الدم باطنه، فما زال يخرج من فيه ومن مخرج طعامه[٩٠/ أ]، والشريف بن عامر أمر أحمد بن الحسن بحبسه وقيده، ومنع عن التقدير إليه حتى يأتي ما يقول والده، وكان علي بن محمد المقتول في سن البلوغ أو يراهقه، والقاتل شاب عاضل[2].

وفي هذه الأيام ظفر محتسب صنعاء برسول من كوكبان وشبام قد أوقر[3] حماره خمراً، شراه من شيخ اليهود بصنعاء، وقبض كتبه التي إليه من هنالك، صادف أنها من سادة وشيعه، فأحبس ذلك الرسول وشيخ اليهود.

وفي هذه المدة أخبر بعض من سكن في الطائف السنة الماضية فذكر أن أهل الطائف تحول مستقرهم إلى جنب مشهد عبد الله بن العباس[4]، بحيث أن بعضهم بنى على القبور، كل ذلك لأجل المجاورة لعبدالله بن العباس والدخول في حوطته، لأجل احترامه، لأنه حصل عقب وفاة زيد بن محسن ما حصل من التخطفات من القبائل

---

(١) صفاط: تعني مزاح، مرادفة للكلمة التي بعدها.

(٢) العضلة: كل عصبة معها لحم غليظ، وعضل إذا كان كثير العضلات. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٨٠٦).

(٣) أوقر: أي حَمَّله مقدار ما يستطيع حمله، من اللهجة العامية في صنعاء.

(٤) عبد الله بن العباس (٣ق هـ-٦٨هـ/ ٦١٩-٦٨٧م) هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. ابن عم النبي ÷، لازمه وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع علي الجمل وصفين. كف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف وتوفي بها. (الزركلي: الأعلام، مج٤، ص٩٤).

وعدم الأمان مثل ما كان في ما مضى من الزمان وتكرر الصايل[1].

وفي هذه الأيام وقع بين ذَيْبَان وعيال عبد الله[2] مغازي.

وفي ثامن عشر شهر ربيع الأول يوم الثلاثاء توفي النقيب سعيد المجزبي بمدينة صنعاء، بعد وصوله من ضوران في أول هذا الشهر، وهو مريض، وكان باقياً بضوران بعد العزل له هذه المدة، فلم يأذن له الإمام بالعزم إلى صنعاء إلا عند مرضه.

وفي ثامن عشر شهر ربيع الأول توفي النقيب سعيد المجزبي[3] فوصل صنعاء حال كونه مريضاً، ثم توفي وقبر بخزيمه غربي صنعاء، وصار فريداً وحيداً، ليس له أنيس غير عمله الصالح، بعد أن كان استمر في غرة الدنيا ورياستها هذه المدة الطويلة، في ولاية بندر اللحية والضحي وما إلى ذلك من تهامة حول أربعين سنة فأكثر، من وقت حسن بن الإمام[4] وفتحه لذلك البندر في تلك الأيام.

وأصله كان مملوكاً لشيخ من مشائخ شام صعدة يقال له: ابن مجزب فوهبه لحسن بن الإمام أيام ولايته لصعدة في مدة الإمام القاسم، فترقى أمره، وارتفع شأنه مع شرف الإسلام الحسن حتى ولاّه اللحية، وبقي بها حاكماً لها هذه المدة الطويلة آكلاً لصفوها، ولذة رياستها وأمرها ونهيها، ثم كان عاقبة أمره العزل وانحطاط علوه[٩١/أ] حتى توفي.

ومن عجائب الدنيا وكون الملك يعطيه الله من يشاء أنه كان مع الشيخ ابن مجزب

---

(١) الصايل: السطو، ويقال: صال على قرية صولاً وصيالاً: سطا. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٤٩٥).

(٢) ذَيْبَان وعيال عبد الله: من قبائل أرحب، وأرحب ناحية مشهورة من نواحي صنعاء، في الجهة الشمالية الشرقية منها. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص٦٤).

(٣) المؤرخ كرر خبر وفاة المجزبي بعد الخبر الأول مباشرة.

(٤) المقصود الحسن بن الإمام القاسم، وليس الحسن بن المتوكل الذي تولى مناطق تهامة التي كانت تابعة لسعيد المجزبي.

قبل أن يهبه لشرف الإسلام حراثاً يلحق البقر وَيتْلِم[1] المال[2]، إن في ذلك لمعتبر.

وفي هذا الوقت أقبلت جراد من جهة الشام، فمرت بصنعاء وحضور والبون، وهبطت إلى جهات وادي سُرْدُد[3]، وتبعها جراد آخر وفي أذنابها مكتوب........[4] والله أعلم بحكمته.

وفي هذا الوقت مال بعض قبائل البَرَويَّة[5] إلى محمد بن الإمام، وقالوا: إنهم يسوقون زكاتهم إلى قصر صنعاء، فجعل لهم خطاً مثلما قالوه، فتغير خاطر أحمد بن محمد[6]، وأرسل عسكر إلى بلدهم فوصلوا شكاة على محمد بن الإمام، فلم يسع محمد بن الإمام إلا ترك ما كان أهمَّ به، واعتذر بأنهم الذين طلبوا ذلك منه[٩١/ ب]، وبعد ثمانية أيام وجاء أمر الإمام بأنهم يسوقون على العادة، وأن ما أُخذ من الأدب يرده العسكر لأهل البروية، فصالحهم أحمد بن محمد واستطاب نفوسهم، وأنهم يبقون على عادتهم، وجعل لهم الوفاء بما كان لهم وزيادة لمشائخهم، فلم تطب نفوسهم.

وفي العشر الآخرة من ربيع الأول وقع بين الحَدَا[7] بعضهم البعض قتال بسبب فرقة على مرعى، فراح جماعة قتلاً قيل: سبعة أنفار.

---

(١) يتلم: التَّلَمُ: مَشَقُّ الكراب في الأرض بلغة أهل اليمن، والجمع أتلام، والتَّلم: خط الحارث، ويتلم، بمعنى يحرث الأرض. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٣٢٨).

(٢) المال يقصد به المؤرخ الأرض الزراعية.

(٣) وادي سُرْدُد: وادٍ مشهور في شمال مدينة الحديدة، يسقي أراضي الضحي والزيدية. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٧٨٥).

(٤) حوالي أربعة أسطر مشطوب عليها لم يتضح منها شيء.

(٥) البَرَويَّة: صقع كبير من بني مطر، في الغرب الجنوبي من مدينة صنعاء، بمسافة ٢٨كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص١٦٣).

(٦) هو أحمد بن محمد بن الحسين بن القاسم، أقامه الإمام المتوكل مقام والده في ولاية بلاد البستان بعد وفاته، وجعل له مساعداً الشيخ فارع بن جبران، وعندما مات الإمام المتوكل إسماعيل كان قد تولاها بمفرده. توفي مقتولاً في حرب يافع في عهد الإمام المؤيد محمد بن المتوكل. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٣٤٦).

(٧) الحَدَا: ناحية وقبيلة مشهورة تتبع محافظة ذمار، تقع في الجنوب الشرقي منها، على مسافة ٣٠كم. (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص٨٧؛ الموسوعة اليمنية، ج١، ص٣٥٣-٣٥٤).

وأعمال الحجرية سكنت، وأما الزَّريقة الذي الحذر منهم، فهربوا كما سبق.

وعلي بن الإمام وصل إلى يفرس بقي بعض الأيام، واتفق هو ومحمد بن أحمد، وعاد إلى تعز ثم إلى إب، ومحمد بن أحمد عاد إلى المنصورة.

وفي غرة شهر ربيع الآخر وصل حضرة الإمام بضوران خواجا[1] هندي، أمير المراكب التي تصل من بندر سرات، ومعه من الخدم جماعات قدر خمسين نفراً، فوصل إلى الإمام وأعطاه هدية من البزوز[2] الهندية، فأجازه فيها ثم وصل إلى أحمد بن الحسن وهو بالغراس، فدخل صنعاء المذكور في خمسين نفراً من الخدم، في هيئة غريبة، لم يعلم بمثلها في العصور القديمة وهو أنه يسير في محمل يحمله أربعة رجال، ويسيرون به على الجنوب، عند دخوله صنعاء وخروجه إلى شعوب[٩٢/ ب]، وأهل صنعاء يتفرجون على هذه الحالة الغريبة العجيبة. وأهدى لأحمد بن الحسن أيضاً هدية، ولعل الحامل له على ذلك فترة[3] الشراء في بندر المخا، كما يعتاد فيما مضى، فأراد إنفاق البضاعة على هذه الصفة، وإلا فإنه يخرج في المواسم الأولة إلى المخا، ويرجع بعد بيعه فيما مضى، ولما قيل له كان الأولى لك عدم الإتعاب لهؤلاء الذين يحملونك، أجاب: بأنهم إنجريز كفار لم يسلموا فهم يستحقون ذلك، فلو أنهم أسلموا لما أتعبوا ولخليو.

ووصل عقب المذكور تركي إلى عند الإمام ومعه جماعة الخدم حول عشرين عبداً، وهو من الحبشة مهدية.

وأخبرني الشيخ العارف محمد كزبر الدمشقي وهو ثقة من أهل العلم على مذهب الحنابلة وصل إلى صنعاء اليمن بحقيقة سفر السلطان وتجهيزه على الفرنج في العام الماضي، وما انتهى إليه أمره، فقال من لسانه وخطابه: أن هذه البلاد[٩٣/ أ] التي

---

(١) الخواجا: لفظ فارسي بمعنى المعلم أو الكاتب أو التاجر أو الشيخ أو السيد. (د. حسن باشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص٢٧٩).

(٢) البزوز: جمع بز، سبق شرحها.

(٣) فترة الشراء: أي ركود الحركة التجارية وضعفها.

قصدها السلطان، وحصل فيها الخلاف في هذا الزمان في أطراف الروم شمالاً، وأنه ليس بجهات مالطة، فإن مالطة بعد استفتاح السلطان لها وعلى قلعتها في التاريخ السابق سنة تسع وسبعين وألف استمرت في مملكته، ولم يحصل بعد ذلك فيها خلل على عسكره ورتبه، وأن هذه بلاد أخرى مشرقة عن تلك الجهة المغربة[1].

قال: وكانت لهم قلعة مرتفعة فيها الأبنية المحكمة تسمى قلعة عمارية، فلما قصد إليها السلطان وعساكره وبواتره ومدافعه ومكاحله بقي السلطان رداً للعساكر قدر مسافة ثلاثة أيام، وتقدمت عساكره لقتال الفرنج الطغام، فاحاطوا بها جميع جهاتها وقتلوا من حولها، واحتفروا تحتها سراديب، وشحنوها[٩٣/ ب] من البارود كثيراً مما يحملها، ثم جعلوا فيه النار، فاحتملت القلعة بمن فهيا وقلبتهم من أعاليها، ودخلوها بالسيف قتلوا من بقى فيها، وأمر بخراب ما بقى منها، فخربوها جميعاً، وعاد السلطان إلى محله وتخت مملكته بالروم إلى اصطنبول[2]، وجعل في حدود تلك البلاد التي استفتحها سبعة من الباشات أمرهم بحفظ تلك الأطراف، وأنهم يلحقون من بقى من الفرنج إلى باب اسكندر[3]، ومهد البلاد وكسر شوكة الفرنج الكفرة بالسيف الباتر الحاد، وعباد الصليب والإلحاد. وكان رجوعه وعوده في شهر رجب من السنة الماضية،

---

(١) في هذه الفترة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م والسنوات التي تلتها كانت الدولة العثمانية تتمتع بشيء من القوة بفضل أسرة كوبريللي التي تولت الصدارة العظمى فيها من الفترة ١٦٥٦-١٦٨٣م، ولعل المؤرخ يقصد بالانتصارات التي حققتها الدولة العثمانية في سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م وما بعدها هو احتلال جزيرة كريت التابعة للبندقية، ومحاربة النمسا، وفرض سلطة السلطان محمد بن إبراهيم على المناطق الواقعة غرب البحر الأسود، واحتلال بود وليا وجنوب شرقي أوكرانيا، مما يدل على أن الدولة كانت لا تزال قوية في أواخر القرن السابع عشر. (أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص١٥٤).

(٢) اسطنبول: وردت كذا، وهي: استانبول، أو الأستانة، العاصمة التجارية للجمهورية التركية، وتقع على رأس مثلث تحيط أضلاعه ببحر مرمرة والبوسفور والقرن الذهبي، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام. ظلت العاصمة السياسية للدولة العثمانية حتى نقل الكماليون العاصمة إلى أنقرة سنة ١٩٢٣م بأمر مصطفى كمال. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج١، ص٨٣).

(٣) باب اسكندر: لم أعثر عليه فيما بين يدي من مصادر.

وهو الآن غير مشغول بشيء من الحروب في تلك الجهات النائية، وذكر المذكور أنه[٩٤/ أ] ربما كان بلغكم تجهيزه إلى اليمن العام الأول، وإنما شغله هذا الحادث من الخلاف من الفرنج، فالله أعلم ما يكون من الأمر في المستقبل.

وفي هذا الشهر توفي صلاح نصار في بلدة الظَّهْرَيْن[١] من حجة، وكان تاجراً كبيراً وحصل معه التأثر والمرض والألم من حال انكسرت الجلبة عليه في البحر، وراح عليه من المال ما يقابل حول ثلاثين ألفاً من القروش، وما لحقه من الخسارة في صافي البن[٢] العام الماضي بسبب الهَجْوة[٣] وتحارقه في الغرائر وعفنه لشحنه قبل جفافه ويبسه، فلم يصل إلى جدة إلا وقد بطل بسببه، والمال الذي معه له وللسيد علي بن حسين جحاف والي حجة، وكان قد تضرر منه كثير من الزرعة والمتسببين، من أجل أنه كان يجمع الصافي بالصَّلبة[٤] في المخازين، فإذا وصل تجار الشام[٩٤/ ب] إليها وشرع البيع والشراء فيها باع من الواصلين بناقص بعض شيء مما باعه سائر الناس، لوسعة ما معه لأجل الترغيب أن يشتروا ما قد جمعه، فيشترون منه جميع ما قد معه، ويتركون الشراء من الزرعة وسائر المتسببين، ثم يشترون ويستغنون، فبعد ذلك يبقى حق الزراع مُتَخمناً، لا يجدون من يشتري منهم ولا يبذل ثمناً وهو يشق بهم عوده إلى بلادهم، فيتحكم فيهم ابن نصار في الثمن، ويشتري به منهم بدون ما باعه، ويخزنه في السمسرة ينتظر لمن يصل من التجار من الشام، هذا كان دأبه وحاله في بيعه وشرائه، وهذا منه خداع للمسلمين، فكان الواجب عليه أن يعرض البضاعة من جملة غيره، ويبيع معهم[٩٥/ أ] من غير أن يستميلهم ويجرهم إليه ويطمعهم، بل يبيع من طرف ماله، ويشارك غيره، وما جرى به السعر مع طرح البضاعة، فالله المسعِّر، وليس له أن

---

(١) الظَّهْرَيْن: بلدة عامرة، تقع شمال مدينة حجة بأقل من نصف ميل تقريباً منها. وقد اتصل عمران كل منهما بالأخرى، وصارتا مدينة واحدة. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٣، ص١٣٨٢-١٣٨٣).

(٢) صافي البن: البن الذي نُزع منه القشر.

(٣) الهَجْوَة: الغيم أو السحب الكثيفة التي تحجب الشمس، وقد تكون ممطرة.

(٤) الصَّلَبَة: حصن في جبل لاعة، الواقع في جنوب مدينة حجة. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٩١٥).

يتحجَّرهم، بل عليه الرعاية للمسلمين، والإشتراك مع غيره من البائعين المشترين، فلهذا السبب ما زال الواصلين بالبن من الصافي إلى الصلبة يدعون عليه.

وظهر في هذا الوقت نقص بيع بني نصار وشراهم عما كان، لأجل ما انكسر فيه المذكور، ثم تفرقهم من بعده.

وفي هذا الشهر نَقّص أحمد بن الحسن في عُدد[1] أصحابه وأجناده، وجعل لهم ثلاثة أحرف على السوية، فمنهم من ترك قبض ذلك، ومنهم من قبض إلا أن الحاضرين عنده الذين لا يفارقونه يلحق بتوفيتهم، فأما الغائبين فلم يزدهم على الثلاثة سواء قربوا منه بصنعاء أو بعدوا، وإنما قصر إلحاق التوفية لمن في ديوانه فقط لا يغيبون عنه، وقيل: أن ذلك بأمر الإمام له؛ لأنه يفعل ذلك، والمنكسر يحاسبه وقت الحساب ويقطع له البز بناقص ثلاثة أرباع، ويصح معهم الربع.

ووصل إلى الإمام هذا الشهر طالب العماني الذي يخرج[٩٥/ ب] في المدة الماضية بالأعبي من جهاته، وهو رسول من عمان إلى الإمام، لم يكن معه بضاعة؛ لأنه غير وقتها، وإنما يخرج متى سكن سير البحر في أواخر فصل الشتاء، والله أعلم.

وفي هذه الأيام اتَفَقْتُ[2] بالحاج محمد بن أحمد كزبر الدمشقي الشامي الحنبلي، الواصل إلى صنعاء ببضاعة من جهات الشام، بعد أن حج إلى بيت الله الحرام، وزار النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، وكان قد وصل العام الماضي وتزوج في صنعاء بزوجة ثم لم يلبث العام الماضي أن عاد وتعوض من البن الصافي، وسار يؤم تلك النواحي، من طريق البحر، وحج بيت الله الحرام، ثم دخل مع المحمل الشامي، واتفق لبعض من أدخله من البضاعة من الصافي الانتهاب من الحرامية من بلاد عنــزة غرب الحجاز، ثم لما دخل مع من دخل بعد ما حصل من الانتهاب استقر بوطنه دمشق إلى

---

(١) العُدد: هنا تعني ما يُصرف للجند من مرتبات وغير ذلك.

(٢) أي المؤرخ.

قريب الحج إلى بيت الله الحرام، وعاد مع الحج الشامي، فحج أيضاً هذا العام، وكان وصوله صنعاء في الشهر الماضي، يستقر فيها إلى موسم الحج، ثم يسافر، وكان وصوله[٩٦/ أ] ببعض شيء من بضاعة الشام، ثم يدخل بعوضه من الصافي هذا العام، حسبما ذكر لي، وله معرفة في العلم على مذهب أحمد بن حنبل، مذهب الحنابلة، واستنسخنا على كتاب له يسمى (منتهى الإرادات)[١] في فقه الحنابلة.

قال: إنه المعتمد في جهاتهم، وعليه مدار الفتوى لأهل مذهبهم، فمما وصف لي المذكور أنه قد حج إلى هذا العام نحو خمسين حجة مع الزيارة، كون طريق الشامي على مدينة النبي ﷺ، قال: ووالده في الحياة في قدر تسعين سنة، وذكر أن الشام عامر، وذكر المذكور أن الشام وغيره فيه الفواكه المثمرة، وأنه يكون في الخريف حاراً شديد الحرارة، ولا يقع فيه مطر وإنما مطره، يكون في الربيع في كانون وشباط[٢]، وأنه يشتد فيه البرد شدة قوية، وقد ينزل في الجبال بعض شيء من الثلج في تلك الأيام، وذكر المذكور أن فيه من الصحابة جماعات[٩٦/ ب]. وذكر المذكور أن المعتزلة الذين يختلطون بأهل السنة في جهة العراق هم الآن الإمامية الإثني عشرية؛ لأنهم في الأصول معتزلة وفي الإمامة اثني عشرية، وأما غيرهم فلا نعلم بأحد، وهو كما قال.

وذكر المذكور أن سعد بن زيد بن محسن الذي كان والياً بمكة الأيام الأولة، وجرى عليه ما جرى من التخويف والإزالة لقاهم في شهر القعدة من السنة الماضية بدومة الجندل[٣] في حدود تبوك[٤] قريب الشام، وأطراف بلاد بني لام، وأنه وافق الباشا

---

(١) كتاب (منتهى الإرادات في جمع المُقْنع من التنقيح وزيادات) لمؤلفه محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي. وهو مطبوع.

(٢) كانون وشباط: من أسماء أشهر التقويم السرياني، يقابلها في التقويم الميلادي يناير وفبراير. (الموسوعة العربية الميسرة، ص٥٣٩).

(٣) دومة الجندل: موضع بين نجد وبادية الشام، يعرف اليوم باسم جوف السرحان، واحة تقع في الطرف الجنوبي لوادي السرحان. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٢، ص٤١٢).

(٤) تبوك: بلدة في المملكة العربية السعودية بشمال الحجاز على طريق المدينة إلى فلسطين، موقعها اليوم بالقرب من الحدود الأردنية. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج١، ص٤٣٩).

حسين حال خروجه بعد استئذانه وأمانه، وأنه أخذ رأيه في القصد إلى الأبواب السلطانية، فقال له: لا بأس عليك، فمر وأتم النية والقصد، فسار المذكور وصنوه أحمد صحبته والآغا زالفقار[1] التركي الذي كان معه، وجماعة من خاصته ومماليكه نحو الثلاثين، وأعطاه بعض شيء من المصروف، وكذلك أمير حاج الشام أعانه ببعض شيء، لما شكا من الضرورة نحو خمسين[٩٧/ أ] أحمر، ومن أمير الشامي في قدر عشرين أحمر.

وأخبر المذكور أن هذا الباشا حسين هو باشا مدينة دمشق وبلادها، وعليه جميع أعمالها، خرج إلى مكة مع المحمل الشامي بقوته مع الأمير للحج لأجل ما جرى من النهب من الحرامية والبدوان العام الماضي.

قال: وهو غير حسين باشا الذي خرج الأيام السابقة حال إزالة سعد بن زيد عن مكة، كما مضى خبره، فإن ذلك كان خروجه من حضرة السلطان لذلك الشأن، وأن الهزيمة والقتل الذي وقع العام الماضي في أصحابه، وأن الذي فات حول ثمانية آلاف من المسلمين، قال: وسببه أن الوزير الأعظم كتب إليه أنه يتوقف في مكان عينة من أطراف بلاد الفرنج حتى يأتيه رأيه، ثم إنه حصل إليه القصد من الفرنج، واجتمعوا في جهاتهم، ورجعوا بأجمعهم، فحصل ما حصل[٩٧/ ب] وانهزم عن ذلك المحل، وأن السلطان لما بلغه ذلك الحادث تغير واحتمل بنفسه، كما مضى ذكره، وأهم بقتل حسين باشا؛ لأجل اهتزامه، فشفع فيه جماعات من الأعيان والباشات، فترك قتله، وعدل إلى حبسه.

قال: وجملة وزراء السلطان سبعة، وأن أعلاهم في الدرجة الوزير الأعظم وأنه الأن

---

(١) كذا في الأصل، صحتها: ذو الفقار: وهو مملوك تركي، كان شيخاً للعسكر، وأوصاه الشريف زيد بن محسن على أبنائه فقام عليهم أحسن قيام، وكان ذا هيبة ورأي سديد، فرتب العسكر من المواضع الحصينة. (زيني دحلان: خلاصة الكلام، ص٨٠).

يسمى أحمد[1] له بعض مشاركة في فقه أبي حنيفة وعلم النحو والأدب، قال: والباشا بمصر الآن له حول سنة وعزل عنها الأول في العام الماضي، وأن السلطان زاد في عساكر بغداد العام الماضي بمثل النصف، فإن عسكر المعتادة قدر اثني عشر ألف، فزاد مثل ذلك، وعوض الأولين غيرهم، فكانوا الآن قدر أربعة وعشرين ألفاً.

قال: وبلاد فاس[2] من أرض المغرب مالكية، وهم في الولاية إلى الأشراف الإدريسية[3] وكذلك بلاد التكرور[4] فيها أشراف فاطمية، قال: وفي الشام جماعات[٩٨/ أ] من الصحابة كأبي الدرداء[5] وغيره مزور مشهور.

وأما قبر معاوية فمختلف فيه غير متيقن، وأن قبر يزيد بن معاوية قد صار مهملاً مهاناً، لا يلتفت أحد إليه، بحيث ذكر أنه قد يطرح عليه بعض الأوساخ، وذكر انتظام عمل مكة، وأن السلطان جعل المشارفة فيها للشيخ العلامة محمد بن سليمان المالكي الفاسي المغربي[6] في النظر على مقرراتها وما يصل إليها وقسمتها، ووضع كل شيء في

(١) هو فاضل أحمد باشا. كان والياً على دمشق أثناء تولي والده محمد كوبريللي للصدارة العظمى، ولما أحس الأخير بتقدم سنه أقنع السلطان محمد بن إبراهيم سنة١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م بأن يعطي المنصب لابنه، فتولى منصب الصدارة العظمى لمدة خمس عشرة سنة، وقد واصل سياسة والده من حيث تقوية الدولة والجيش وتركيز السلطة في يده، استمر في منصبه حتى وفاته سنة١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م. (أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص١٥٤).

(٢) فاس: مدينة في بلاد المغرب العربي.

(٣) الأشراف الإدريسية: نسبة إلى إدريس الأكبر بن عبد الله بن حسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وكان دخوله إلى المغرب سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م، وأقاموا الدعوة بعده لابنه إدريس الأصغر، الذي افتتح جميع بلاد المغرب. (ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج١، ص٢١٠،٨٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص١٨٠-١٨١).

(٤) بلاد التكرور: التكارير شعب خليط من عدة أجناس زنجية ولهم لهجة سودانية خاصة بهم، ويسكنون ضفاف نهر السنغال، وأعالي نهر النيجر، وخاصة في إقليم سوكوتو. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج١، ص٤٨٨).

(٥) أبو الدرداء: عويمر أبو الدرداء، مشهور بكنيته وباسمه جميعاً، أسلم يوم بدر، وشهد أُحد وأبلى فيها، ولاَّه معاوية قضاء دمشق في خلافة عمر بن الخطاب، وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنهما. (الحافظ بن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص٤٠).

(٦) سبق ذكره.

مصرفه، فانتظمت أمورها، وإن كان حصل، مع الأشراف ما حصل فلم يسعهم إلا الامتثال في كل ما فعل. وذكر المذكور مزيد قوة يد السلطان محمد بن إبراهيم بن عثمان، وامتداد يده في كثير من بلاد الفرنج هذا الزمان، وذكر أن في بعض أطراف الشام باطنية[1] زنادقة، من بواقي القرامطة الردية، إلا أنهم مدوخون عن إظهار قبائحهم بدولة السلطان، وأما فيما بينهم فهم عليه يتركون صيام رمضان[٩٨/ ب] ويستحلون الحرام، ويعتقدون تناسخ الأرواح، وينفون البعث، قاتلهم الله، وكأنهم من طائفة الباطنية الغلاة. وذكر أن من دمشق إلى محل السلطان قدر أربعين يوماً براً.

وفي هذه السنة انحسر بحر[2] صنعاء وقارب الرجوع إلى حالته الأولة قبل الردة،ونقصت الغيول المحدثة، ونزل سيل عظيم في الخريف من جبل الحِفا[3] وحَدَّة[4] إلى وادي صنعاء، فأخرب غيل خندقها الذي أحدثه الإمام ودفنه جميعاً، وكان هذا في خرابه رابع مرة، فتركوه، وأهملوه ولم يصلحوه، لمشقته وكثرة خرابه وتغيره.

وفي هذه الأيام قد كان توجه إلى جهة جدة بعض شيء من المراكب الهندية، فلما وصلت إلى حدود جازان تغيرت عليهم الريح فردتهم، وهاج عليهم البحر، فرجعوا إلى المخا، والسبب أن أيام الخريف من أوله يهيج البحر اليماني مدة قدر شهرين، فيعسر مروره بالجلاب، إلا على خطر، ثم يصلح[٩٩/ أ] بعد ذلك، ولكن لما تقارب على أهل

---

(١) الباطنية: فرقة دينية فلسفية، اشتقت اسمها من الباطن، ضد الظاهر، حيث تطلق على الشيعة الإسماعيلية وعلى القرامطة، ومن مقولاتهم: أن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويل. (الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٩٢؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج١، ص١٥٦).

(٢) بحر صنعاء: المقصود به المياه الجوفية ومنسوب المياه فيها.

(٣) الحِفَا: جانب من سهل صنعاء الجنوبي. (المقحفي: معجم البلدان، ص١٩٣).

(٤) حَدَّة: قرية عامرة من مخلاف بني شهاب، من منتزهات صنعاء المشهورة، تقع على بعد ١٥كم في الجنوب الغربي منها. (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص٨٧؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج١، ص٤٤٧).

الهند العود إلى بلادهم، وتضيق وقتهم دخلوا المخا، ولما رأوه من خسارة البيع فيه والشراء.

ووصل من الهند إلى حضرة الإمام أمير المراكب الهندية السراتية، وكان وصوله في محمل يحمله أربعة، ومعه قدر أربعين نفراً في الخدمة، واعتُرض عليه في ذلك، وأنه كان يجعل له محفة على شيء من الدواب، ويترك حمل الرجال وإتعابهم، فقال: هم كفار أسرى، ليسوا من المسلمين الأُجراء، ولم يلبث أن عاد إلى المخا، ليقارب سيرهم، وتوجه مراكبهم وشرى خيلاً من صنعاء، وبالغ في قيمتها أولاً، ثم كثر عرضها عليه، فنقص النصف في قيمتها.

وفي ثاني عشر شهر جمادى الأولى منها وصل السيد صلاح وزير أحمد بن الحسن من بلاد الحجرية، بعد أن لحق بعض الهاربين، وظفر بهم، وانتهب من إبلهم ومواشيهم، وقبض جماعة منهم، ووصل بهم إلى حضرة محمد بن أحمد بن الحسن بالمنصورة فحبسهم.

[٩٩/ ب] وكان بجمادى الثاني وصل تركي إلى حضرة الإمام ثم إلى صنعاء، ولم يظهر منه خبر، بل قال إنه خرج إلى سواكن ببشارة من السلطان، وأخبرني الثقة أن معه كتاباً من صاحب سواكن، اطلع عليه يتضمن إخباره بأن سعد بن زيد وصل إلى السلطان، ودخل في مذهب الحنفية، وأنه اعتذر عن سعايته في شأن حسن باشا، وأنه لم يكن منه فقبل السلطان عذره. ثم تعقبه تركي آخر خرج من اللحية قاصداً إلى حضرة الإمام، وظهر أنه رسول قاصد، فاتفق بالإمام وزجله الإمام بسرعة وعاد إلى اللحية وركب بحراً، فمن قائل: أن معه كتاب من باشا مصر، ومن قائل أن معه وصاية، ولعله من أجل هذه الأمور الجارية والأحوال الماضية، والله أعلم بحقائقها.

وروى لي بعض المطلعين على الأخبار أن المتوكل هذه الأيام أهم ببعث هدية إلى

باب السلطان محمد بن عثمان، ليكون بسببها ترك ما عرفه من التحركات هذا الزمان، حتى انه أشار عليه من أشار بأنه قد يراها السلطان عادة مستمرة إذا تركها، لم يترك طلبها، فلأجل ذلك تركها، لعلمه بعدم الوفاء بها.

واتفق عند ذلك وصول جماعة من أطراف بلاد عمان من المشرق على مطايا، فاخبروا الإمام أن سبب وصولهم إليه هذه الأيام أنهم كانوا في سالف الزمان مستقلون في بلادهم، وأنهم مشائخ على أصحابهم، ثم إن صاحب[١٠٠/ أ] عمان طالت يده إليهم، وقهرهم وتسلم منهم وعشَّرهم[1] وأنهم يريدون الإعانة على تقوية بلادهم ومنعها منهم، فما زال يواعدهم ويماطلهم؛ لأن هذه البلاد نائية ولا مصلحة فيها ولا عائدة، لا تصلح إلا للبدوان، ومن قرب إليهم كصاحب عمان.

فأما صاحب اليمن فبينه وبينهم مقاطع ومسافات، لا تقوم بالنفقات، لحقارتها، ولا فيها خير ولا بركة، تقوم بغير أهلها، وكان وصول هؤلاء المذكورين بأول شهر جمادى الآخرة.

وفي هذا الوقت بغرة هذا الشهر أو آخر الأول اتفق عند حسن ابن الإمام بجبل رازح فرقة، فقتل من القبائل خمسة ومن العسكر نفر واحد. وسببه أن بعض القبائل[١٠٠/ ب] كان يبيع في العنب بالسوق، فاختصم هو وعسكري في القيمة، فقتل القبيلي العسكري، والعسكر قتلوا عند ذلك الخمسة بإشارة حسن بن الإمام، فلما حصل ذلك الإلمام، أغارت القبائل من القرى والآكام، وقصدوا محل حسن ابن الإمام، فهزموهم إلى القلعة، واحتازوا فيها هم وحسن بن الإمام، حتى صالحوا ذلك الشأن وسكنت الفورة والخصام. ثم تعقب ذلك نزول حسن ابن الإمام إلى أبي عريش في هذا الشهر بجمادى الثاني، فاستقر فيه وأراد الغزو إلى أطراف بلاد الحرامية من بني حبيب ونحوهم، وكتب إلى والده بإرسال عسكر وعينة، فأجاب عليه بترك ذلك هذه

---

(١) عشَّرهم: أي فرض عليهم العُشْر من أموالهم.

الساعة، ولعله حتى يتحقق أخبار ما يصل إلى مكة وهل هناك من جهات السلطان[١٠١/أ] حركة، وكون التحريك في تلك الجهات الشامية يوهم ما يوهم على عساكر السلطان، فالأولى طي هذا الشأن وهو الذي أشار به أحمد بن الحسن وغيره على الإمام.

واتفق بصعدة في شهر جمادى الأولى قضية، وذلك أن السيد أحمد بن إبراهيم بن محمد المؤيدي وجماعة من السادة والفقهاء في صعدة من الدَّرسة استنكروا على أهل فندق الحديد مناكير من المعازف والغناء ونحوها، حال عملهم في الليل للحديد، فرفعوا ذلك إلى علي بن أحمد والي صعدة، فحبسهم، فوصل إلى علي بن أحمد الفقيه عمر المتولي على الفندق من قبل الإمام، فقال لعلي بن أحمد: هؤلاء أمرهم إليَّ، فاخرجهم من الحبس، فتغير السيد أحمد وسائر درسة صعدة، وقالوا: هذا منكر قد رضي به[١٠١/ب] هذا الفقيه، فاجتمعوا جميعاً عليه وضربوه بجامع صعدة ضرباً مبرحاً، ثم خرجوا عن صعدة إلى محل السيد أحمد بن إبراهيم وبلده، وكتبوا إلى الإمام أنه إما أزال ذلك الفقيه وعزله، وإلا هاجروا عن صعدة، فأهمل الإمام ذلك الأمر بعد أن كان أهم بإرسال القاضي عبد الله التهامي[١] في شأنه. والمنكر إذا قد ثبت يجب إزالته مهما أمكن على الوجه الواجب الحسن، غير أن مجرد الغناء فيه خلاف بين العلماء، والمختلف فيه على العامي لا ينكر عليه.

واتفق عُقْبه[٢] بصنعاء أن القاسم بن محمد بن الإمام[٣] خرج من مسجد

---

(١) هو القاضي عبد الله بن جابر التهامي، تلقى العلم على يد أبرز علماء عصره، منهم المهدي بن الهادي الحسوسة، كان عالماً محققاً في كل فن، تولى الوقف والقضاء بمدينة حبور بأمر من الإمام المتوكل إسماعيل. توفي بحبور سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م. (زبارة: ملحق البدر الطالع، ص١٢٨-١٢٩).

(٢) عُقْبه: أي بعد ذلك.

(٣) القاسم بن محمد بن الإمام المتوكل إسماعيل، مات في حياة والده في مدينة رداع، وقبره في مسجد العوسجة. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط ق ٤١٧).

الحميدي[1] فوافق ابن صائم الدهر الخمري ومعه خمر حامل له، فأمر القاسم خدمه بقبضه، فسل عليهم جنبيته، فأمرهم بكفه وضربه بيده ضرباً مبرحاً حتى سال دمه، فشكاه إلى والده وقال: إن الخمر له[١٠١/ ب] ثم إن والده محمد بن الإمام لم يعجبه ذلك بعد شكا إليه المضروب مما جرى له.

وفي آخر شهر جمادى الآخرة وصل كتاب من جدة إلى التجار أنه خرج إلى جدة والي يقال له إبراهيم بيك، فتولاها [١٠٢/ أ] ومعه بعض عسكر وزيادة إلى مكة.

وفي هذه الأيام اطلق الشيخ الهيثمي[2] الذي كان محبوساً بحصن كوكبان بحبس الإمام فأكرمه صاحب كوكبان غاية الإكرام، وأركبه حصاناً، وسار شاكراً بعد أن حصَّل في الحبس قراءة القرآن، وهو في الأصل من البدوان، وطال حبسه إلى هذا الأوان.

وفي نصف جمادى الآخرة وقعت زلازل بضوران، تتابعت قريب مما حصل في العام الماضي.

وفيه اتفق قتل رجل سَلاَّط[3] في شارع بالقطيع بصنعاء في الليل ولم يعرف قاتله.

وفيه اتفق خصام بين حمالين يقال لهم: العوبسات الساكنين في جبل الحفا، خارج صنعاء، وبين بني قرمان فقتل من العوبسات واحد ومصاويب من الجميع، كان ذلك بقاع الحفا على حمل حب لبعض من اكترى[4] من الصراب إلى صنعاء.

---

(١) مسجد الحميدي: أحد المساجد العامرة في الجنوب الشرقي من مدينة صنعاء، وحارة الحميدي إلى الشمال الشرقي من باب اليمن.

(٢) الهيثمي: من قبائل بلاد الحواشب، والحواشب يحدها من الشرق منطقة الفضلي ومن الغرب أراضي قبائل الصبيحي، ومن الشمال ردفان والضالع، ومن الجنوب منطقة لحج. (حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، ص٨٤).

(٣) سَلاَّط: هو الذي يبيع السليط. وسبق تعريف السليط.

(٤) اكترى: بمعنى استأجر، والكراء والكروة: أجر المستأجر. (ابن منظور: لسان العرب، ج٣، ص٢٥١).

[١٠٢/ ب]وفي شهر رجب سار علي بن أحمد من صعدة إلى نَجْرَان[١] لتغلب أهله عن المطالب، فقبضها منهم قهراً.

وفي هذا الشهر وقعت فرقة بين عسكر حسين بن الحسن بـرداع، فقتـل واحـد مـن أهل الشام[٢].

وفي هذه الأيام ظهرت جراد جاءت جهات لحج وأبْين[٣] ومرت في اليمن غير ضرر.

وفي سلخ شعبان وصل طلاب[٤] لمحمد بن الإمام من والده الإمام، فسار إلى ضوران.

وفي هذه الأيـام وقـع بـين بنـي أسـد[٥] ومرهبـة[٦] خـصام وقتـال عـلى حـدود المرعى،فقتل من مرهبة رجل وامرأة، ومن بني أسد رجل وامرأة، فخـرج علـيهم أدب من الدولة.

وفي هذه الأيام طلع السيد حسن الحرة من بندر عدن إلى حضرة أحمد بن الحسن بـما معه من محصول البندر، وكذلك لحقه السيد حسن الجرموزي صاحب المخا، ووصل إلى حضرة الإمام لمحصول الموسم فيه يقال: فوق مائة حمل من البز والـدراهم، فاسـتقل[٧] ذلك المحصول الإمام، فإنه كان والسيد زيد يحصل قريباً منه، ولم يكـن في مدتـه لـه إلا نصف محصوله، ونصفه لمحمد بن الحسن في أيامه.

---

(١) نَجْرَان: تقع بالجهة الشرقية الشمالية من صعدة، على بعد ١٠٠كم، وهي من بلاد يام. (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص١٣٣).

(٢) الشام: المناطق الشمالية. وقد سبق ذكرها.

(٣) أبْين: تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة عدن. (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص١٧٨).

(٤) طلاب: أي طلب استدعاء.

(٥) بنو أسد: هناك عدد من المناطق تحمل هذا الاسم، ولعل الأقرب إلى مرهبة آل أسد، من قبائل بني صريم من حاشـد. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٦١).

(٦) مَرْهَبَة: قبيلة من بَكِيْل، منازلها غرب مدينة ذيبـين، وجنـوب بنـي قـيس حاشـد. (المقحفـي: معجـم البلـدان، ج٢، ص١٤٩٥).

(٧) استقل: كان قليلاً من وجهة نظره.

[١٠٣/ب] وفي هذا الشهر زَلَّج[١] الإمام الشيخ الدرع من مشائخ المشرق، الذي ضمن عليه الهيثمي، أعطاه عطاءً واسعاً، وسار بلاده بعطاءٍ فوق قدر حالهم ومنازلهم، وأما الهيثمي فمنع من عزمه الحسين بن الحسن.

وانقطع هذا العام والذي قبله ما كان يرسل به من حضرموت وهو شيء يسير لا يكاد يقوم بما ينفعه على من وصل من مشائخه، مع أنه لم يبق منه إلا الإسم بعد الثمانين وألف، لعوده إلى آل كثير الذين كانوا أولا به، كما سبق ذكره، وكان حاله ذلك كما قال ابن المقرِّب[٢] في ديوانه:

أمــــوالهم لــــذوي العــــداوة نهبـــة

وعـــن المكـــارم في نـــدا الجـــوزاء

لا يعـــرف المعـــروف في ســـاحاتهم

إلا كـــما يحكـــى عـــن العنقـــاء[٣]

وقوله أيضاً[٤]:

ولا يعـــد كـــريماً مـــن مواهبـــه

تمـــسي وتـــصبح في أعدائـــه ديـــمَا[٥]

---

(١) زَلَّج: جهزه بما يحتاج للسفر وأرسله. (سبق تعريفها).

(٢) هو علي بن المقرب بن منصور بن المقَرَّب العيوني (٥٧٢-٦٢٩هـ/ ١١٧٦-١٢٣٢م) شاعر مجيد نسبته إلى العيون (موضع بالبحرين) اجتمع في الموصل بياقوت الحموي. له ديوان مطبوع. (د. علي بن عبد العزيز الخضيري: علي بن المقرب العيوني حياته وشعره، ص٧٨-٩٨).

(٣) العنقاء: طائر خرافي في الأساطير، يقال أنه لما بلغ ٥٠٠ سنة من عمره أحرق نفسه وبرزت من رماده عنقاء أخرى. عرفه العرب وعدّوه في شعرهم أحد المستحيلات الثلاثة (العنقاء والغول والخل الوفي). (الموسوعة العربية الميسرة،ص،١٢٤١).

(٤) وردت الأبيات لدى الخضيري: ابن المقرب حياته وشعره، ص٢٥٢-٢٥٨، وقد أوردها يحيى بن الحسين كما وردت في الديوان.

(٥) ديما: الديمة: المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق، أو يقال: المطر الدائم في سكون. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص١٠٤٢).

والبخـل خـير مـن الإحـسان في نفـر

أبـرهم بـك مـن أغـرى ومـن ختـما

وواســع الجــود في أعــداء نعمتـــه

كمـــودع الـــذيب في بـــر لـــه غـــنما

مـــن اســـتخف بأربـــاب العـــلى ســـفهاً

وســـامها الخـــسف أدمـــى كفـــه نـــدما

والإمام عذره التأليف لهم، لمصلحة سكونهم عن الفساد، ولكـن فـسادهم في تلـك الأطراف على أنفسهم لا تزال بينهم.

والجراد عادت من الشام إلى الجنوب[١٠٤/ أ] ولم تضر لظهورها في فصل الـشتاء، بعد رفع الناس للثمار، مع أنها صارت تأكل من الحشيش والمراعـي، ولم يحـصل ضرر منها، مع سقوط الأسعار إلى الغاية، بلغ قدح صنعاء إلى اثني عـشر بقـشة، وهـو زائـد بالنصف على ما كان أول هذه الدولة، فيكون سعر القـدح القـديم الـذي كـان في مـدة المؤيد بالله سبعة كبار ستة كبار.

وفي هذه الأيام لما طال بقاء الذين وصلوا من أطراف بلاد عُمان عند الإمـام طلبـوه الزلاج والإمداد، وإن لم فهم عازمون إلى بلاد السلطنة، وباشا البصرة وبغـداد لطلـب المعونة، وأن بلاد السلطنة إلى بلادهم أقرب من تلك الجهة، وأنها ما بين عُمان والعراق.

وروى بعض البدو من المعَضَّة[1] الذين في سفال الجوف أن بيـنهم وبيـنهم مـسافة سبعة أيام في الرمال، وبينهم وبين العـراق مثلهـا، وكانـت بـلاد عُـمان مـن أول[2] إلى

(١) المعَضَّة: طائفة من قبائل متفرقة، أهل ماشية، يتنقلون ما بين الجوف ونجران. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٤٧٧).

(٢) من أول: أي في السابق أو في الزمن الأول.

سبعة، كل جهة يليها شيخ بلادها وقبيلتها، ثم أنه استولى على الجميع هذا الزمان الذي فيها، فهؤلاء[1] ممن كان[١٠٤/ ب] الأمر في بلاد لهم، فمرادهم في الظاهر رفع يد سلطان بن مرشد العماني اليعربي عنهم. ولم يكن هناك مصلحة للإسلام من أهل اليمن، لدخولها، لبعدها ومشقة طرقها والمقاطع فيها فيما لا تحمل القاصد[2] إليها بل ولا هي تحمل من سكنها لغير أهلها.

وقد قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[3] فإن هذه الآية نزلت في النهي عن إلقا النفس في التهلكة في المقاطع والآفاق، من غير نفقات فيها وما يحملهم من أرادها، وهذا كالمتعذر، والبحر لا صناعة لأهل اليمن في عبوره وحروبه، ولأن اليمن كثير المعارضات من أهله والمخالفات، فإذا سارت عساكر إلى تلك الجهات رفعت رؤوسها من كانت المخالفة مضمرة في خاطره، فالأولى طي ذلك، والإشتغال بالموجود عن طلب المعدوم، والسعي في الإصلاح.

[١٠٥/ أ] وفي ليلة الأربعاء نصف شهر شوال خسفت القمر فجراً في برج السرطان بعقده الذنب، وغربت خاسفة. وكان خسوفها العام الماضي في هذا البرج، إلا أنه كان عند طلوعها.

وكان في هذا الشهر أيضاً بأوله اجتماع الخمسة الكواكب برج الجدي الشمس والقمر والمريخ والزهرة وعطارد.

وجهز الإمام مع حاج اليمن الذين يعبرون طريق تهامة النقيب فرحان، فسار آخر الشهر.

---

(١) وردت في الأصل فهلا.

(٢) وردت في الأصل: القاسط.

(٣) البقرة:١٩٥.

وفي هذه الأيام وصلت أخبار بأن العماني خرجت جلابة إلى البحر، وفيها عساكر، ولم يتحقق قصده بها، والله أعلم.

وفي هذه الأيام قالت عجوز من عجائز صنعاء أنها تعرف زمان الإمام شرف الدين[١٠٥/ ب] وزمان أولاده المطهر وعلي بن الإمام(١) حيث كان في حصن ذمَرْمَرْ من قبل نزوله إلى اليمن، وجميع الباشات، وأن عمرها إلى الآن قد صار في نحو مائتين نة.

وفي الشهر الماضي حصل في بلاد هِزَم(٢) قتل امرأة بضربة في رأسها من زوجها بسبب تهمة فيها في فاحشة تعدي عليها، بغير طريقة الشرع ظلماً وطرحها في ماجل(٣) فاستجاش أبوها عليه فوقع مقاتلة راح جماعة من نساء ورجال، بسبب ذلك الفعال، فخرج عليهم أدب وعسكر من جهة الدولة.

وفي وقت السحر من ليلة السبت ثالث شهر شوال، وقعت زلزلة بصنعاء وغيرها، انتصب النائم من نومه، وتبعتها أخرى مثلها، فلله الأمر.

وفي هذه السنة والتي قبلها أصاب رجلاً في يده آكلة(٤) ما زال معذباً بها مدة طويلة، لا يذوق فيها المنام، ولا يهنيه الشراب والطعام، حتى أجافت(٥) ولا يقدر أحد

---

(١) هو علي بن الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين. عالم مجتهد، مشارك في العلوم، مولده بكوكبان، أخذ عن والده، وشاركه في الحكم، فكان أميراً محنكاً، استشهد في حصن حب مسموماً من قبل بهرام باشا سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م، وله العديد من المؤلفات. (الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص٤٥٨-٤٥٩؛ عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٧٣٠-٧٣١).

(٢) هِزَم: قرية كبيرة في أرحب، شمال مدينة صنعاء بمسافة ٣٨كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٨٢١).

(٣) الماَجِل: بناء لحجز أكبر كمية ممكنة من مياه الأمطار، أو الغيول الجارية، لإعادة استغلالها وتوزيعها في مجال الري الزراعي وفقاً للحاجة، وهو تقليد يمني عريق. ورد ذكرها في عدد من نقوش المسند. (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٨٠٤).

(٤) آكلة: نوع من الأمراض الجلدية، ولعله مرض الجُذام.

(٥) أجافت: أي أصبحت رائحتها كريهة.

يدخل منزله، الذي فيه مسكنه. وكان المذكور سنادارا[1] أولاً في مسجد الخراز[2] ثم في مسجد الأبهر[3] وكان شاباً طويلاً عظيماً، ويقال: أنه من القبائل، ليس من أهل المدينة، ثم أنه لما طال به ذلك ولم ينفعه الدواء قطع يده اليمنى باختياره، أمر من يقطعها له[١٠٦/ أ] ودملها بالسمن والقُطْرَان[4] وكان قد أشرف على الموت، ونحل جسمه، وصار عبرة لمن رآه. وسبب ذلك كما وصف الواصف أنه أفسد وجنى هو وآخر معه، وكان قد طال عمله وفساده، ثم إن والي المدينة محمد بن الإمام طلبه، فاعترف صاحبه، فأقام عليه حد الزنا وهو مد يمينه لليمين فيما وقع منه وجنى، وربما قد فعل غيره من السيئات والعظائم من نحو السرقات، فوقع فيه تعجيل العقوبة، فنعوذ بالله من سخط الله، ونسأل الله الحماية وحسن الخاتمة، فمن رأى حالته هالته، وعلم أن التجارئ على الأيمان وسائر الكبائر والعصيان عظيم الشأن، وأما الأيمان الفاجرة فالأغلب فيها المعاجلة، فقد رأينا عقاب أهل وادي السر بأيمانهم الفاجرة، كما سبق ذكره فالحذر الحذر من التساهل في الأيمان والطغيان.

وفي هذه الأيام أمر الإمام[١٠٦/ ب] في جميع اليمن أن تقوَّم أموال الذميين وأملاكهم، ويؤخذ منهم العشر[5] فجُمع للإمام شيء كثير من ذلك.

وفي هذه السنة سار حسن بن الإمام إلى جهات فيفا، أخذ منهم شيئاً من

---

(١) سنادارا: أي قيِّماً للمسجد، وقد سبق شرحها في سادن المسجد.

(٢) مسجد الخراز: من المساجد العامرة بالقرب من السائلة في الجهة الشرقية منها. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٥١).

(٣) مسجد الأبهر: من المساجد العامرة بمدينة صنعاء، في الجهة الجنوبية من السائلة. (الحجري: مساجد صنعاء، ص٥).

(٤) القُطْرَان: عصارة الأبهل والأرز ونحوهما، يطبخ فيتحلب منه ثم تهنأ به الإبل. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص١١٤).

(٥) العُشْر هنا: هو ما يؤخذ من أهل الذمة من أموال تجارتهم دون الصدقات، ما صولحوا عليه، فإن لم يصالحوا على شيء فلا يلزمهم إلا الجزية. (المبارك بن محمد بن الأثير الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمد محمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ج٣، ص٢٣٩).

الطعامات؛ لأنهم لا يسلمون الزكاة، ثم طلع جبل رازح.

وفي يوم الخميس ثالث الشهر سار الإمام إلى معبر من ضوران، لما كثرت الزلازل فيه والرجفات، ولا سيما رجفة ليلة السبت، فإنها كانت رجفة عظيمة في ضوران، حتى تشققت أكثر البيوت هنالك وخربت زريبة غنم أو بيت على الغنم، وانشق دار الحصين شقاً عظيماً، ودعموا الدار الخضراء بالدعائم، وسقطت غرة بالجامع، وانشق دار السيد حسن الجرموزي الجديد وكثير من سائر البيوت، ولم يبق بينها وبين الخراب إلا اليسير، وتساقط من جبل ضوران كثير من الحجارة، وكانت هائلة عظيمة، وهي التي امتدت إلى صنعاء في سحر ليلة السبت كما سبق، إلا أنها كانت بصنعاء خفيفة، والله يرحمنا.

روي أنها لما وقعت بضوران دامت قدر قراءة شرف يس، تزلزلهم زلزالاً شديداً حتى خاف منهم من خاف بانهدام البيوت عليهم، وسقطت أواني الصين من الطاقات والعلايق، ومنهم من أراق الماء(١) ومنهم من أجراه بطنه دماً[١٠٧/ أ] فأفزعتهم إفزاعاً عظيماً، وكذلك سقط التراب من الجدرات، ثم تبعها أخرى يوم الجمعة في ضوران حال خروج الإمام، ثم تبعها أخرى بضوران ومعبر يوم الإثنين، ولم يكن في غير هذه المواضع شيء منها.

وفي خلال هذا وصل الخبر إلى الإمام بوصول برشات إلى حدود باب المندب، في البحر أو ما يقرب منه. قيل: من عسكر العماني، فأرسل أحمد بن الحسن من صنعاء السيد الحرة متولي بندر عدن بالمبادرة بالنزول إلى جهات عدن، وكان عهيداً بعرس، وزواجة في الغراس، فسار بجماعة من الناس، وأحمد بن الحسن أيضاً خرج من الغراس إلى الروضة، ورفعت قبائل المشرق رؤوسها مثل بلاد العولقي، وبلاد برط من

---

(١) أراق الماء: تبول بدون إرادته من شدة الخوف.

دهمة،وأرسل أحمد بن الحسن ابن مذيور الحيمي إلى جبل الفضلي [1] عقب الحرة، [١٠٧/ ب]وانتهبت برط من دهمة قافلة بالعمشية هذا الشهر فيها بز وحمولة مصدرة لتجار من صنعاء إلى صعدة، فسار أهلها يشكون على الإمام، فكتب إليهم بردها، والله أعلم ما يكون في شأنها.

ثم تعقب منهم مغزى لقافلة أخرى إلى بلاد آل عمار وأطرافها، فتواقعوا فتوافقوا، ووقع في الفريقين مصاويب، وسلمت القافلة، ولكنهم استفردوا بعد ذلك برعاة من آل عمار انتهبوا عليهم بعضها، ثم غزوا ثالثاً إلى الجوف، فلم يظفروا، وشعر بهم أهل الجوف فهربوا وقال من قال منهم: إن الإمام يجعل لهم مع السبار الذي للعسكر بعيان، وعليهم درك العمشية، ولا يجرى منهم فيها خلل ما دامت الجامكية.

ولما استقر الإمام بمعبر طلب شرف الدين الحسين بن الحسن من بلاد رداع، فوصل إليه، وذكر أن سبب وصوله مراودة في شأن الشيخ الهيثمي، فإن حسين بن الحسن قال ما يصلح رجوعه بلاده؛ لأنه يخشى منه التمحيق هنالك، وقيل: أنه حصل بعض خلل في المشرق، من بلاد العوالق ونحوها، والله أعلم.

وذكروا في هذا الشهر أيضاً لحقت زلازل أُخر بضوران، إلا أنها خفيفة، والإمام كما وصف الواصف في تلك الزلزلة الكبرى استرجع، وظهر عليه استقام الأمر، حتى روى الراوي الثقة أنه استعبر وبكى.

[١٠٨/ أ] واعلم أيها المعتبر أن هذه الزلازل دوامها وتكريرها في هذا الموضع هذا العام والعام الماضي، كما سبق ذكره، حتى أنه في العام الماضي شرعوا في تعداد حصرها

---

(١) الفضلي: تحتل بلاد الفضلي جزءاً كبيراً شرقي عدن، ومعظم أراضي الفضلي سهل قاحل، والمنطقة الخصبة في بلاد الفضلي تسمى (أبين). (صلاح البكري: حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي، ص٢٧٥).

وتجميلها، فلما كثرت وبلغ عددهم لها إلى سبعين زلزلة ملوا تعديدها، ثم ما لحقت هذا العام في هذا التاريخ، له شأن عظيم، وأمر من الله تعالى جسيم؛ لأنَّـا لم نعلـم بحـصول مثل هذا الإستمرار من الزلازل في التـواريخ والأزمـان، وإن حـصلت في مكـان دون مكان لكن لا يبلغ تكررها إلى هذا المقدار، ولا استمرت إلى مثل هذه المدة المـستمرة في هذا الزمان، وإن لها لشأن عظيم، والذي ظهر لنا في أقوى أسبابها ما تواتر لنا عن كثـير من الناقلين للفساد ببلدة ضوران، والإصرار عليه وتكاثره وتكرره من الفـساق حتـى غلب أهل ذلك البلاد[1].

(١) المؤرخ يهتم بإبراز العظة والاعتبار في مثل هذه الظواهر ويعيد كل ذلك إلى الفساد والظلم. وهـذه المنطقـة معـروف عنها أنها تكثر بها الزلازل، ولا أدل على ذلك إلا زلزال عام ١٩٨٢م، الذي تركز في هذه المنطقة أكثر من غيرها.

الأوضاع السياسية في اليمن

في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي

١٠٥٤ - ١٠٩٩هـ / ١٦٤٤ - ١٦٨٨م

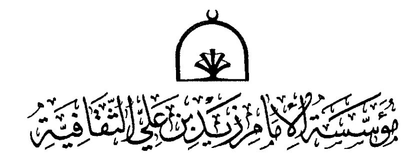
مع تحقيق

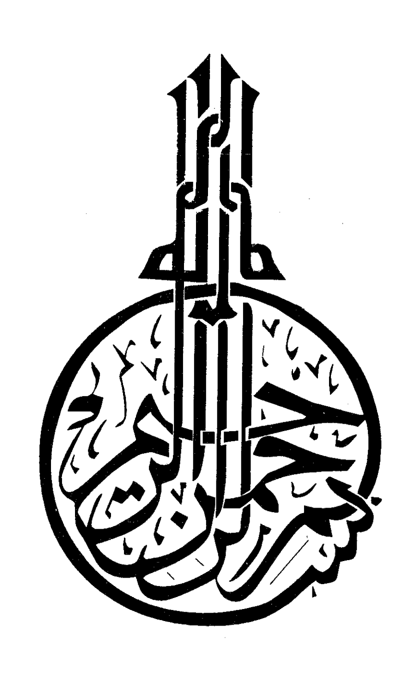
بهجة الزمن في تاريخ اليمن

للمؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد

د. أمة الغفور عبد الرحمن علي الأمير

المجلد الثالث




بسم الله الرحمن الرحيم

ودخلت سنة سبع وثمانين وألف(١)

في محرمها توفى القاضي عبد الله التهامي، قاضي السُّودة.

وفيها وصلت رسالة من الهند من بعض الصوفية الحلولية الذين فيه إلى مكة، وفيها فلسفة، فأجاب عليها بعض علماء أهل السنة، وكفَّر المنشئ لها، وكتبوا إلى سلطان الهند أنه يحرق كتب المنشئ لها.

وفيها وصل العولقي إلى حضرة المتوكل شاكياً من حسين بن حسن.

[١٠٨/ ب] وفي سابع محرم كان تحويل السنة عند المنجمين، دخول الشمس أول دقيقة بالحمل، وزحل كان بالثور، والمشتري بالدلو، والمريخ في أول درجة من الأسد، وعطارد مع الشمس إذ لا يفارقها، والزهرة بالثور.

وفي يوم الخميس نصف ربيع الآخر خسفت القمر ببرج الجوزاء، قدر أصبعين، وتجلت بسرعة.

وفي هذه السنة وصل جواب السؤال الذي بعث به المتوكل إلى مكة في العام الأول، وهو في بيان اللطيفة في قوله تعالى: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ﴾(٢) كيف جمع بنات العمات وبنات الخالات وأفرد بنات العم وبنات الخال، فأجابوا بجوابات متفقة المعنى مختلفة الألفاظ، كما رواه الحاج محمد الحلبي الكتبي المصري ثم المكي الذي أودعه المتوكل ذلك السؤال، قال الحلبي: فوصلت بجواب إلى المتوكل، وقد كان مريضاً فوقف عليه، قال: وكان أحد المجيبين الشيخ العارف محمد بن سليمان المالكي المغربي، ولم يعرفني بلفظ جواباتهم، وكنت قد أجبت بجواب ذكرته في كتابي (الأطراف).

(١) ١ محرم ١٠٨٧هـ= ١٥ مارس ١٦٧٦م.
(٢) الأحزاب: ٥٠.

ووصل إلى المخا أول المراكب، وفيها هدية من سلطان الهند للمتوكل وصدقة لأشراف اليمن، وحصلت فتنة في البحر بين العماني والفرنجي[١٠٩/ أ].

وفيها كثرت الفلوس من المناقير التي ضربها أحمد بن الحسن بالغراس، فأمر المتوكل أن تكون البقشة بثمانية مناقير، فلم يسعد أحمد بن الحسن، وقال: لا تكون إلا بأربعة؛ لأنها كبار، فاختلفت الناس في التعامل بها، فمن الناس من أخذها بثمانية ومنهم بأربعة.

وفيها حصل انتهاب في طريق العمشية، وأهل الطريق أهملوا حفظها، قالوا: لأن الدولة ما زاد أعطتهم ما يعتادونه فيها، وانتهبت الحرامية في مراحل الحجاز من وسط القطر للجمال، ولم ينفعهم الأغا فرحان؛ لأنه تقدم أول الجمال. ووقعت فرقة بشهارة بين أصحاب أحمد بن المتوكل.

والمتوكل زلج البدو الشكاة الذين وصلوا من أطراف بلاد عمان، الذين شكوا من العماني أنه استولى على بلادهم، وهي في أطراف جهاته، وكانت طريقهم الرمل طريق المشرق من شَبْوَة وحدود حضرموت، وقال: بلادكم بعيدة، وطرقها مقاطع عن عيون الماء، لا يمكن نزولها ولا المرور فيها لغير أهلها، مع بعد عُمان أيضاً.

وفي شهر ربيع الآخر منها أرسل حسن بن المتوكل من[١٠٩/ ب] رازح إلى صعدة بحُلَّة[١] من أهله، وأنهم يسكنون بدار مطهر بأمر من الإمام، كان ظهر، فتغير خاطر علي بن أحمد من وصوله ودخوله، لأجل ما قد جرى من مضاررته له حين قدومه، ولأجل إخراجه من دار مطهر، فإنه شق به الأمر، وعظم عليه الخطب والقهر، لما كان الله تعالى قد قرن بالخروج القتل، كما قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ**﴾[٢] وكان نية الإمام تضعيف يد علي بن أحمد والعزل، من جميع نواحي ما إليه في صعدة من النهي والأمر والعقد

(١) الحُلَّة: من اللباس، ويكُنى به عن النساء. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٧٠٣).
(٢) النساء: ٦٦.

والحل، وأن بلاد الشام تكون كلها إلى ولده الحسن، فعند ذلك أمر بردهم، وكتب إلى الحسن بن الإمام وقد صار في مَجْز[1] كتاباً مضمونه: أني كنت قد نهيتك عن دخول صعدة، والوصول هذه المدة فأنت مخير إما رجعت من حيث جئت، أو وصلت وعلينا تأمينك في الطريق إلى اليمن عند والدك، أو الحرب بيننا[١١٠/ أ] وبينك ومناجزتك، فسعى الساعي بينهم أنه لا ينبغي رد أهله وقد وصلوا إلى باب صعدة، غير أنهم يدخلون ويسكنون في دار محمد بن الحسن، فأدخلوهم إليه وسكنوا فيه، وأما حسن بن الإمام فإنه عاد من مجز يريد إلى سَاقَيْن من أجل حوائجه التي قد بلغت إليه، فمنعه عن ذلك أهل عُرْو[2]، لما وصل إليهم، وقالوا له:يكون المبيت عندنا ولك النظر من بعد. وكانت وصلت كتب علي بن أحمد إلى أهل عرو بمثل ذلك، وأنهم يمنعونه النفوذ إلى هنالك، فلما أصبح الصباح كثرت عليه الأراجيف والقبائل، فامتنع عن دخول ساقين، وسار راجعاً إلى جهة رازح، لا يريد إلا النجاة، وترك الأمر الذي كان يهواه، وسار صحبته جماعة من بني بَحْر[3] على صفة الرفقاء له، حتى تخلص إلى بلاد رازح، ثم قصد علي بن أحمد إلى ساقين، لأجل الإستيلاء على أصحاب حسن المتأخرين[١١٠/ ب] ومعهم فيها خزانة حسن بن الإمام التي جاء بها من رازح، فوقع الحرب بين الفريقين، أصحاب حسن وعلي بن أحمد، فراح أربعة من أصحاب علي بن أحمد، ومن أصحاب حسن واحد، ثم استولى علي بن أحمد عليهم وأمَّنهم وأُسَرهم، وانتهب الخزانة .

وكانت هذه القضية أعظم حادثة في مدة هذا الإمام وإيقاظ الفتنة وهي نائمة ولا سيما بين الأقارب والأرحام. ولما وقع هذا الحادث الذي جرى، بعد أن قد كان جمع القبائل من سحار وآل عمار حال خروجه من صعدة، وأخبرهم بما هو سائر فيهم من

---

(١) مَجْز: مديرية من أعمال محافظة صعدة، مركزها الرئيسي مدينة مَجْز، شمال صعدة بنحو ٣٠كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٤٠٧).

(٢) عرو: جبل بالغرب من مدينة صعدة بمسافة ٣٧كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٠٥٤).

(٣) بنو بَحْر: بطن من خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، منازلهم في صعدة. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص١٣٧).

العدل، وعدم الجور عليه، وما عليه حسن بن الإمام من السيرة المكروهة، وأن الإمام قد اشتدت به الآلام، واختلت إمامته هذه الأيام، وأنه يريد الدعاء إلى نفسه بالقيام[١١١/ أ]، وأنه طالب منهم المناصرة والنصح التام، فأجابوه إلى ما طلبه منهم، وعقدوا له البيعة وأنه الإمام فيهم، وتلقب بالمنصور بالله، ثم أمر جماعة إلى بلاد رازح لمضاررة حسن بن الإمام، وإخراجه من ذلك المحل، ولا يبقى له فيها نفوذ كلام، وخلع إمامة الإمام إسماعيل وأجابته قبائل الشام[1]، ودخلت في أوامره ونواهيه إلى حدود بلاد سفيان وما إليه. وانقطعت أوامر الإمام إسماعيل فيه بالمرة، وتغلق حكم الشام أجمع في هذه المدة، ففرح بهذا كثير من الناس، لما قد نالهم من التقصير من جانب الإمام وأولاده في هذه الأيام، وقبلها وما قد كابدوه من الصبر والتقصيرات الكثيرة في أكثر أوقاتها[١١١/ ب].

ووصل من علي بن أحمد كتاب إلى أحمد بن الحسن يومئذٍ، من جملة قوله: قد عرفتم ما صار يجري في هذه السيرة من الأمور المخالفة للكتاب والسنة، وأن الإمام المفترضة طاعته لها شروط معتبرة، من اتصف بها وجبت طاعته، ومن خالفها فليس بإمام مفترض الطاعة. ثم إن في هذا الأوان طرئ على الإمام -لو فرضنا استقامة السيرة- ما هو مبطل لإمامته وذلك هو الزَّمانة[2] المفرطة والعجز والركة، حتى ضاعت بسبب ذلك أمور المسلمين، وأهملت حقوقهم، فحينئذٍ نهضنا بعد الإستخارة والدعا إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسيرة الأئمة الراشدين، والدعاء إلى الرضا من آل محمد، فإن وجدنا من هو أرضى منا وأقوم بحق الله اتبعناه وبايعناه، وإلا فنحن قائمون بما يجب بحسب جهدنا وطاقتنا، وأنتم بأمر الله يجب عليكم القيام بما يجب غير معرجي على ما يفوت من الملك والدنيا، وصدرت من ساقين بعد الوصول إليه، وقد أجابنا إلى ما دعونا إليه كافة أهل الشام من سنحان وخولان وهمدان ومن جُماعة[3]

(١) قبائل الشام: قبائل المناطق الشمالية، صعدة وما إليها.

(٢) الزَّمانة: العاهة، الجمع زُمْنَى؛ لأنه جنس للبلايا التي يصابون بها، ويدخلون فيها وهم لها كارهون. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٤٩).

(٣) جُماعة: من كبريات قبائل خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، مساكنها في الشمال الغربي من مدينة صعدة. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٣٤٨).

وسائر أهل الشام، وفي ملحق بخط يده المراد أن النظر في هذا الأمر متعين عليكم، وقد عرفتم وتحققتم أن الأمور على غير طريقة، والوجوب متعين عليكم، فإن عرفتم من أنفسكم النهضة بهذا نهضتم وأظهرتم الدعوة، ونحن متبعون على البر والتقوى.

ثم في ملحق ذكره آخر يقول فيه: إلى الصنو أحمد بن الحسن -حماه الله- المقصود أن الأمور قد صارت مختلة بلا شك، ولا يجوز للجميع من جهة الله السكوت عليها والحال هذا، والصنو[١١٢/ أ] العلامة قاسم بن المؤيد بالله ذكر لنا أنه قد كتب إليكم، وأشبع لكم الفصل ومنتظر لجوابكم، ولا تزال المكاتبة بيننا وبينه في هذا الشأن، وكذلك الصنو يحيى بن حسين بن المؤيد بالله لما وصل إلينا إلى صعدة قد حصل التراود بيننا وبينه في هذا الشأن، ووجدنا عنده ما لم يكن عندنا من الأمور القادحة، فإن بنيتم على اجتماع الكلمة حصل التراود فيمن يقوم بهذا الأمر، وإن بنيتم على ترك القيام بحق الله فقد بنينا على استدعاء السيد محمد بن علي الغرباني صاحب برط، ونختبره وننظر ما عنده.

وأجاب عليه أحمد بن الحسن بأن كان عليك المراجعة قبل هذه الخرجة.

وعند ذلك وصل كتاب المتوكل إلى أحمد بن الحسن بنهضة إلى الشام على علي بن أحمد يقول فيه: بعد الترجمة وبعد فإنه احتاج الحال إلى تدارك هذه الأمور العظيمة، والحسم لمواد مفاسده الجسيمة، قال: وقد سبق إليكم صحبة السيد صلاح بما فيه كفاية، ولكن الحال كما بلغ إلينا قد بلغ الغاية، فالبدار البدار البدار[١] بالإرتحال، والسرعة السرعة قبل أن يقع والعياذ بالله الإخلال.

وذكر أبياتاً من الشعر متمثلاً بها، ومادحاً لأحمد بن الحسن، ومشيراً لعزيمته فيها، وقال: حرر تاريخه ثالث وعشرين شهر جمادى الأولى سنة ١٠٧٧هـ[٢].

(١) بدرت إلى الشيء: أسرعت، وكذلك بادرت إليه، وتبادر القوم أسرعوا. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص١٧٤).
(٢) ١٠٧٧هـ= ١٦٦٦م.

وعند هذا الجاري من الخروج على الإمام المتوكل صدق قولنا بأن اليمن لا ينبغي لصاحبه أن يتشاغل بالقصد إلى غزو إلى بلاد غيره والخروج عنه؛ لأنه كثير الإختلاف والمعارضات والدعوات، والكثير من أهله كامنة فيهم طلب الرياسات، ولذلك صح قول[١١٢/ ب] بعض ملوك بني رسول لما اطلع بعض خاصته على ما جمعه من الخزائن والمحصول، فقال ذلك الرجل للملك: لو تريد فتح مصر بهذه الخزائن الكثيرة فما الذي يصدك عنه وهي هكذا مجموعة، فقال مجيباً عليه: هذه تحتاج لمن يعارض في اليمن بأقداح الشعير من الخارجين فيه عند الإهمال والتقصير، فاستصوب رأيه ورجع إلى قوله.

والكل إخوان وأقارب، لكن الملك عقيم والمحملين عليه لا يزالون في كل وقت لهم فيه القول الجسيم، لا سيما أهل الأطماع والرعاع من الناس الذين يحثون إلى الأهوى، والله يصلح كل فساد ويلم شعث المسلمين.

وسبب هذا الأمر من علي بن أحمد أن الإمام لما وقع[١١٣/ أ] منه الكتاب إلى ولده الحسن أنه يتقدم إلى جهات صعدة ويقرب من ضبط القبائل الذين صاروا يفسدون في طريق العمشية لإهمال علي بن أحمد لهم وعدم مبالات القبائل لأمره فيهم لما هو عليه من مصالحتهم والإستظهار لأمره بهم، وصار ما يجري منهم من الفساد ونهب أموال العباد يتغاضى له أو يرضى به لأول مطابقته لهواهم والاستظهار بهم وهم مالوا إليه واستنصروا به لما أحسوا بأن الإمام صار في نفسه عليهم من جهة سوء أعمالهم، فحملوه على الدعوة وأن يكون إمامهم، وصار كما قال شاعرهم(١):

هوى النفوس سريرة لا تُعلم(٢)

---

(١) الشاعر: هو المتنبي، سبقت ترجمته.

(٢) عجز البيت:

كم حار فيها عالم متكلم

ولم يجبه من الفضلاء من يعتمد عليهم، وإنما انقاد له هؤلاء ممن ذكرناهم، وكانوا ممن دخلوا في سلك الحديث عنه ﷺ: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»(١) [١١٣/ ب]

واتفق عند هذا أن أحمد بن الإمام أراد إخراج رصاص من المخزون في حصن شهارة، كون أمرها ونهيها إليه، فاعترضه قاسم بن المؤيد، وعَصَّب معه أهل شهارة، وقالوا هذا معدود بشهارة لا يخرج عنها، فافترقوا على غير طيبة نفوس بينهم.

وفي سلخ جمادى الأولى أخرج أحمد بن الحسن الوطاق، وبرز به خارج الغراس لقصد علي بن أحمد على مقتضى أمر الإمام إلى تلك الآفاق.

وفرق محمد بن الإمام على أهل سوق صنعاء دراهم لمن يسير منهم، معهم فتضرر من تضرر منهم بما فرق عليهم، لما حصل من الزائد والناقص لا على قدر أحوالهم.

وفي ليلة الجمعة وقت السحر وأول الفجر خامس شهر جمادى الآخر سنة سبع وثمانين وألف(٢) مات الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم بن محمد بجبل ضوران، وكان مرضه وانحطاط قوته يوم الثلاثاء والأربعاء، والخميس تنفس، واتفق به جماعات وابتهج وبش، وكان ضعفه قد أوهاه وقل قواه من ذلك الألم الذي طال به من الباسور، وكان وصول الخبر مدينة صنعاء صبح يوم السبت بوفاته ومضي دولته وأيامه. وقبر صبح يوم السبت في جبل ضوران، وكان مولده كما ذكره[١١٤/ أ] السيد إسماعيل بن إبراهيم جحاف(٣) ونظمه بقوله:

أوفى البريـــة عنـــد الله ميزانـــا   خليفـــة الله إســـماعيل مولانـــا
في ليلـة النـصف مـن شـعبان مولـده   فهـــاك تاريخـــه في شـــهر شـــعبانا

---

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) ٥ جمادى الآخر ١٠٨٧هـ= ١٤ أغسطس ١٦٧٦م.

(٣) هو إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن المهدي جحاف (١٠٢٤-١٠٩٧هـ/ ١٦١٥-١٦٨٥م) عالم محقق في الأصول والفروع والعربية والطب، شاعر أديب، تولى القضاء للإمام المتوكل. (ترجم له يحيى بن الحسين في الجزء الثالث من هذا الكتاب، ق١٣٦ب؛ زبارة: ملحق البدر الطالع، ص٥٥-٥٦).

يريد بذلك سنة تسع عشرة وألف[1].

وكان في مدته أحوال الناس ساكنة في غالب وقته، لم تحصل له معارضة في أمره؛ لأجل قيام أولاد إخوته بنصرته، وحفظهم لما أمرهم به من البلاد بعساكرهم وعساكره.

فلما مات محمد بن الحسن، تقاصرت أحوال كثير من الناس، وتغيرت عليهم الأحوال، وما ألفوه من العطا والقرب لبعض الأغراض والموافاة والعادات، فشق على كثير تلك الحالات، وعسرت عليهم كثرة المراجعة والملاحقات، فمنهم من صبر وأخذ بعد العسرة ما صدر، ومنهم من زرع ماله[2] واشتغل عن الطلب في أكثر أحواله، وكثر منهم التشكي والتوجع ولكن لا يجدي ذلك، كما قال المتنبي شعراً:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسادِ

وحصل بسبب ذلك بعض الإهمال وعدم النفع، ولولا أن مملكة اليمن لم يبق فيها من المعارضين، والملوك الذين كانوا فيما مضى كائنين، لكان بسبب ذلك الخلل العظيم، ولمال من الناس عنه من يميل، إلا أن الأمور لما اجتمعت لأولاد إخوته وهم معاضدون له استقامت لهم الأمور واجتمعت الكلمة في هذه الدهور.

[١١٤/ ب]وللسيد أحمد بن محمد الآنسي الشاعر قصيدة طويلة منها قوله:

أما الإمام أصلح الله دولته

وزاده بسطة ما أورق العود

فقد أجاع ذويه ثم قال لأبناء

العراق عودوا للنديم عودوا

---

(١) ١٠١٩هـ= ١٦١٠م.

(٢) المال: بمعنى الأرض الزراعية (سبق ذكرها).

وفي الخـــزائن مـــالا عـــد يحــصره

ولا حـــواه ابـــن مـــودود[1] ومـــودود

مـــا بالخليفـــة مـــن قـــل ولا بـــذوي

الحاجـات مـن قبـل لـو يـسعد الجـود

كم فارق البـاب مـن شـيخ ومـن حـدثٍ

بـــاك وكـــم آب بالحرمـــان مطـــرود

وكـــم تلونـــت الحربـــاء بوجـــه فتـــى

فـــؤاده مـــن هـــوان البـــاب مفـــؤود

وإن ســـمعت بفـــتح البـــاب آونـــة

فـــلا تلجـــه فبـــاب البـــذل موصـــود

تجـــاوز النفـــر الأدنـــى بنائلـــة

وفـــاز منـــه بحـــظ الأبـــيض الـــسود

فكـــم مـــن الـــشحر أوبغـــداد أوبلـــد الــــ

إحـــساء لعمـــرك مـــذروع ومعـــدود

ولا تقـــل أنـــا مـــن أبنـــاء فاطمـــة

ولا ذرى يمـــن آبـــائي الـــصيد

أتجمـــع المـــال بعـــد المـــال معتـــبراً

بمـــن مـــضى ولجمـــع المـــال تبديـــد

---

(١) لعله يقصد مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين، أبو الفتح الغزنوي: من ملوك آل سبكتكين بغزنه (٤١٢-٤٤١هـ/ ١٠٢١-١٠٤٩م) تولى السلطنة بعد أبيه، وسار سيرة جده (محمود) فافتتح كثيراً من حصون الهند، واستمر إلى أن توفي. (الزركلي: الأعلام، ج٧، ص٣١٨).

جمـــع المكـــارم أولى مـــا همـــت بـــه

ولـــن تكـــن وســـيف البـــذل مغمـــود

وكـــل بـــذل أتـــى مـــن بعـــد مـــسألة

وطـــول مطـــل فمـــذموم ومنكـــود

مـــا يـــصنع المـــرء بالـــدنيا وزخرفهـــا

وجمعهـــا وهـــو في الأطيـــان ملحـــود

بمـــن مـــضى لـــذوي الألبـــاب معتـــبر

غالـــت جمـــوعهم الـــسودان والـــسود

هـــذا يناهبـــه الحـــساد والـــسفل الأ

وغـــاد وهـــو لا ترثـــي لـــه الـــدود

الله أنـــــزل آيـــــات مبينـــــة

فيهـــا المطلـــق مـــا يأتيـــه تقييـــد

فـاعرض عـلى حكمهـا مـا أنـت فاعلـه

تلقـــى الإلـــه غـــداً والـــسعي محمـــود

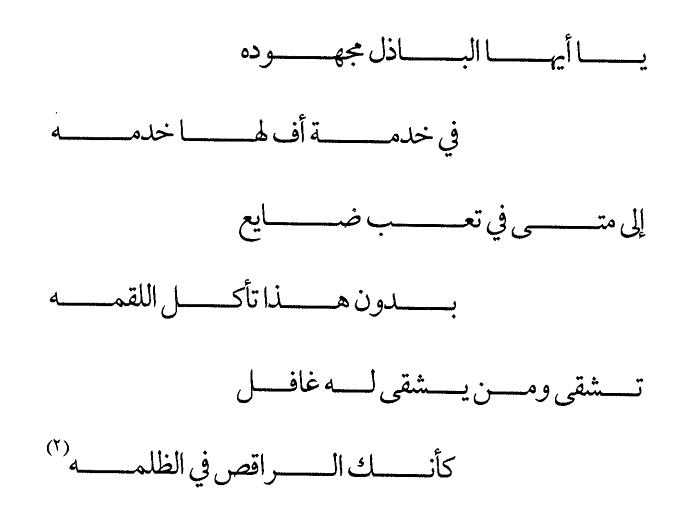
[١١٥/ أ]وأراد الشاعر المذكور أن البذل كان للبعيد دون أهل البلد القريب فمطرود وفي حيز التشريد، والأمر كما قال بلا إشكال، وكان الولاة العمال معه هم المقدمون في الأقوال والحجة على غيرهم من الرجال، ولا ينال أحد من أرحامه صلة ولا عطية حسنة، ولا أخلاق إليهم مرضية، إلا من كان منهم من ولاته، بل استأثر بالأموال، وأعطاها أولئك الرجال، للتخيل معه أنه يستميلهم إلى مذهبه وطاعته من طلب المحال، والعلماء لا يبذلهم بالعطاء ولا يذكرهم بالإحسان، كما كان عليه سلفه فيما مضى، بل هم عنده في حيز الإهمال، يريد تبعيدهم عنه لا يقربهم، لأجل يسلم من الإعتراض عليه في أوامره ونواهيه منهم، فلا قوة إلا بالله، واقتدى به في أيامه سائر

ولاته وكذلك من بعده، حتى بلغ بهم الحال النقص في المقررات والعادات التي كانت جاريات. وخطيب صنعاء أيضاً أنشد القصائد في الهجو لمحمد ن المتوكل لما نقص عليه ما كان يعتاده، ولم يعطه ما طلب من قضاء دينه، كما كان يعطيه والده، وسافر إلى اليمن الأسفل وأنشد القصائد في مدح أمرائه، للتعرض لعطاهم خصوصاً بعد وفاة المتوكل وأحمد بن الحسن، وهذا الخطيب يسمى محمد بن إبراهيم السحولي- بالسين المهملة المضمومة وضم الحاء المهملة -نسبة إلى أصل بلدهم سحوله بأطراف قاع جهران[١١٥/ ب].

وكانت العادات السالفة، والتقارير التي كانت أولاً ماضية جارية، لا هو أوفى الناس ولا هو عدل في الرعايا بل زاد عليهم المطالب، مع النقص في الغالب، فلا قوة إلا بالله.

وأخبر السادات والأغنياء أن الزكاة محرمة عليهم وأنها لا تحل لهم، فالورع منهم تركها وابتغى من فضل الله تعالى عوضها ممن كان له منها وهم اليسير، والأكثر ما عذروه عن الطلب ممن هو ملازم لمقامه ما هو له، وكذلك الأغنياء كما أخبر أنها لا تحل لهم، فمنهم من أعطاه، ومنهم من حرمه وأقصاه. ولا شك أن الزكاة حرام على بني هاشم وعلى الأغنياء إلا أن منهم ابن سبيل وغارم ومجاهد ومؤلف وفقير. ومع الزكاة من البلاد مرتفعات غير الزكاة كالمعاون والضيف وهي تقوم بالجانبين[١١٦/ أ] إلا أن المذكور جعله عذراً في الحرمان زكاة، مع أنه زاد على ذلك في أيامه في المطالب الكثيرة في اليمن الأسفل من غير الزكاة المفروضة، بما يكثر محصوله، ويجتمع الكثير مدخوله. وكان كما قال بعضهم إنما الناس مسخرون لهذا الإمام، وإلا فمن رأى الأحوال عجب في الإستمرار. وكان القائم معه محمد بن الحسن، وإليه أكثر اليمن فكانت الأمور في أيامه جميلة، وأحوال الناس مستورة.

فلما مات ظهرت العجائب، وما زالت الأمور إلى نقص وفيها غرائب، مع أنه ناقض قوله في الزكاة، فإنه قال: اليمن خراجي[1]، مع بطلان قوله ومخالفته لإجماع من قبله، فكان على قول مذهبه تحليل الزكاة لمن منعه[١١٦/ ب]، ولعله إنما أراد بذلك التحيل على الناس وإلا فلا يخفى ذلك، فأما الولاة فصاروا يفعلون معه ما شاؤوا وكان المقصود في الجمع والتحصيل منهم من غير معرفة، بما صاروا يقبضون ويزيدونه على الرعايا في المطالب، وكل من شكاهم فلا سماع له؛ لأنهم عرفوا طباعه في محبة التوفير، وكذلك الجلساء، ومن يتصل به من الأعوان والسادة والأغنياء لم يعذروه في الطلب، وصار يسلم لهم ذلك على أوفر الأقسام، وإنما الذي اتضع عنده عن الصرف من أهل العوائد الماضين سائر الناس المخرجين، فكان لا يصير إليهم إلا التافه الحقيرة، وبعضهم ممطول بالجملة الكافية، خصوصاً من لم يكن إليه كثرة الحاجة ومطالبه -ولله در البهاء- زهير، حيث يقول:


يا أيها الباذل مجهوده
في خدمة أف لها خدمه
إلى متى في تعب ضايع
بدون هذا تأكل اللقمه
تشقى ومن يشقى له غافل
كأنك الراقص في الظلمه[2]

---

(١) خراجي: الأرض الخراجية هي التي فتحها المسلمون عنوة، فملكوها وصالحوا أهلها على أن يتركوهم فيها بخراج معلوم يؤدونه لبيت مال المسلمين، وبما أن الأئمة انتزعوا اليمن من العثمانيين وأجلوهم عنها، لذلك ربما اعتبروا تلك المناطق التي استولوا عليها منهم خراجية؛ لأنهم من وجهة نظرهم كفار تأويل

(٢) وردت الأبيات في ديوان البهاء زهير، ص٢٤٧.

وقال أيضاً:

كــــم أنـــاس أظهـــروا الزهـــد لنـــا
وتجـــافوا عـــن حـــلال وحـــرام
قَلّلـــوا الأكـــل وأبـــدوا ورعـــاً
واجتهـــاداً في صـــيام وقيـــام
[١١٧/أ] ثـــم لمـــا أمكنـــتهم فرصـــة
أكلـــو أكـــل الحرامـــي[(١)] في الظـــلام[(٢)]

وكان للمتوكل اختيارات في مسائل غريبة خالف فيها الإجماع، منها الولاية للأم على أولادها في البيع والشراء وجميع التصرفات، وهو خلاف الإجماع، لكنه رجع عن ذلك في حياته.

ومنها قوله بأن الأولياء إذا أنكحوا الصغيرة حال صغرها فلا فسخ إذا بلغت، ولو كان المنكح لها غير الأب من سائر الأولياء[(٣)]، وهو خلاف للإجماع في غير الأب.

ومنها أن المشروط بعلم الله فاسد، خلاف الإجماع.

ومنها أن الخيار للمشتري مدة معلومة، إذا انتفع به في مدة الخيار يكون من الربا الحرام، وهذا خلاف الإجماع. ومنها أن الغروس التي يغرسها الأجير يملكها صاحب

---

(١) وردت في الديوان: (الحَرَانَى).

(٢) وردت الأبيات في ديوان البهاء زهير. ص ٢٤٧.

(٣) ورد في الحاشية تعليق على ما أورده يحيى بن الحسين في ذلك قائلاً: (رواية يحيى بن حسين عن الإمام الأعظم المتوكل على الله عادت بركاته باطلة، فإنه لم يقل بها في نكاح الصغيرة إذا زوجها غير أبيها لا تفسخ إذا بلغت، بل لفظه في (المسائل المرتضاة فيما يعتمده القضاة): أن نكاح اليتيمة نافذ ولو اختلف المذهب، وأنه لا فسخ لصغر ولا لاعسار ولا عيبة، ولم يعرف المذكور ما مدلول لفظه عليه السلام في ذكر الفسخ لجهله المركب، مع أنا لو فرضنا أن الإمام المتوكل سلام الله عليه قال بذلك لم يكن ذلك خلاف الإجماع، فإنه من مذهب أبي يوسف رحمه الله من الحنفية، واستدلوا بأحاديث صحيحة....) وكلام آخر لم يتضح.

الأرض يعني إذا كان لا بأمر من المالك بل الأجير غرسها في مال صاحب الأرض، وهذا خلاف الإجماع.

ومنها أن الكلا لا يمنع طالبه من ملك الغير على وجه لا يضر، وهو خلاف الإجماع.

ومنها أمره لولاته وحكامه وقضاته بإرجاع الزوجة إذا طلقها الزوج ثلاثاً بلفظ واحد متتابعا، وإن كان مذهبه التحريم أمره بإرجاعها، وهذا خلاف الإجماع؛ لأن الملتزم للمذهب لا يجوز له الإنتقال عنه.

ومنها أن المشتري إذا اشترى لنفسه في عقد الشراء وكانوا شركاء قبل القسمة أنه يكون المشتري للجميع من الشركاء، وهذا خلاف الإجماع، فإنه لمن وقع العقد له وعليه إن استهلكه في الثمن على الشركاء غرامة مثله فقط[١١٧/ ب].

ومكن أولاده في الولايات، وأجاز لهم التصرفات، فأحمد بشهارة وبلادها جميعاً، وحسن برازح وتهامة، ومحمد بصنعاء، وعلي باليمن الأسفل، وحسين[١] بحضرته متولياً لبلاد آنس[٢]، متصرفاً بما شاء.

وذكر في وصية له لأولاده ما لفظه: وأوصيكم أيها الأولاد ذكركم وأنثاكم وسائر قرابتي، وسائر بني هاشم أن تجتنبوا الزكاة ولا تأكلوا منها شيئاً، ولو أكلتم الشجر فإن الذي خلقكم هو الذي يرزقكم، ولا تفعلوا كما يفعل كثير من الناس من التمسك بالشبه في ذلك. وابتغوا من فضل الله ولا يحملكم التقيد بالسكون في البيوت على ذلك، فاطلبوا الرزق من فضل الله، وتنقلوا ولا تتخذوا السؤال حرفة، فبئست الحرفة

(١) حسين: هو الحسين بن الإمام المتوكل إسماعيل، كان سيداً كريماً سخياً شجاعاً، كان الإمام المتوكل قد ولاَّه أياماً على شهارة وبلادها، ثم عاد إلى ضوران وبقي نائباً لوالده، ولما توفي الإمام المتوكل لم يكن أحد من أبنائه عنده سواه، ولاَّه الإمام المؤيد محمد بن المتوكل صنعاء، ثم ناصر أخاه يوسف عندما دعى لنفسه بعد وفاة أخيه المؤيد. توفي سنة ١١١٢هـ/ ١٧٠١م، وقد تابع المؤرخ في كتابه هذا ما سبق بالتفصيل. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٤٣٠-٤٣٢).

(٢) آنس: قضاء واسع من أعمال ذمار، وهو في الجنوب الغربي من صنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ص٥).

هي، وإنها معينة على الفقر، ولكن اطلبوا الرزق الحلال بإحياء الأموال، وإن أمكن أن تجعلوا لكم نواباً في البيع والشراء فهو حسن نافع، وإن لم يكن إلا بأنفسكم فافعلوا، فلأن يؤجِّر أحدكم نفسه خيرٌ له من أن يأكل الحرام. انتهى ما ذكره المتوكل.

وكلامه صدق وحق لا شك فيه، وكان في نفسه لا يأكل الزكاة، يقتصر بخاصته على تجنبها مما[١١٨/ أ] يصل إليه من النذور والهدايا ومستغلات الصوافي[(١)]، وكانت حالته في ذلك حسنة، إلا أنه لو كملها بالعدل باليمن الأسفل في مطالبه وجور ولاته الجور المفرط، وأزال عنه الشبهة في تكفيرهم بالجبر والتشبيه الذي لا يقولون به ولا يلتزمونه، لكان كاملاً بأوصاف الخيرات جامعاً للأحوال السنيات، لكنه قصر في النظر، وقلد في الأصول والأثر، ولم يعرف بحقائق أقوال أهل الخلاف وتفاصيل محققي علماء السنة، ليعرف بذلك أقوالهم البينة، كما عرفه غيره من الأئمة، والله أعلم.

وله وصية أخرى ذكر فيها أن كتبه على كثرتها كان وقفها وصية، ثم رجع عنها، ثم رجع إلى أنها للمصالح، وأوصى بأن جميع ما في مخازين بيت المال لبيت المال من النقد والسلاح والخيل والعبيد، إلا ما هو يختص به لنفسه، وقد بينه، ولولا طول وصيته هذه لذكرتها هنا، وفيها شهادة السيد محمد بن صلاح الجحافي[(٢)] وعز الدين القاصر والوصي ولده محمد، تاريخها جمادى الأخرى سنة ١٠٨٧هـ[(٣)]. ومحمد بن المتوكل قسم كتب والده بين ورثته من فيها رسم والده، والباقي بقت تحت يده لبيت المال.

وفي وصية أخرى لولده محمد بن أمير المؤمنين لما ولاَّه بلاد ضوران ما لفظه: واترك الإكثار من المتعلقين الذين همهم الدنيا، ويكفيك القيام بأهل الحصين، فإنهم عدة إن

---

(١) الصوافي: جمع صافية، سبق ذكرها. ١٧٧

(٢) السيد محمد بن صلاح بن أحمد بن صلاح بن يحيى بن المهدي الجحافي. ولد بحبور سنة ١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م. تلقى العلم على يد أبرز علماء عصره، خاصة الفقه. وتلقى العلم على يديه جماعة من طلاب العلم، كان ورعاً في دينه. (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية الكبرى، مج٣، تحقيق: عبد السلام الوجيه، ص٩٨٩-٩٩٠).

(٣) جمادى الآخر ١٠٨٧هـ = أغسطس ١٦٧٦م.

شاء الله، واستصلحهم بالرغبة والرهبة، وأحبب حبيبك هوناً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، فلعل الحبيب لا يدوم حبه وما أكثر ذلك فيمن محبته لأجل الدنيا، ولعل البغيض يكون حبيباً، وما أكثر فيمن كان بغضه لأجل الدنيا، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وأكثر من ذكر الله.

وفي وصية أخرى له إلى أولاده يقول فيها ما لفظه وأوصيهم بإصلاح ذات البين، فإنه أفضل من عامة الصلاة والصيام، كما جاء بذلك الأثر، قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[1] ولا يتم ذلك إلا بالإحتمال والصبر، والتغاضي من كثير والعفو، والله يأخذ بنواصيهم ويتولى إعانتهم، آمين.

[١١٨/ ب] وكانت هذه الأعوام التي قد مضت في أكثر زمانه من الشدة العظيمة وشح الأمطار، وغلا الأسعار، تصديقاً لحديث الصحيحين عنه ﷺ إنه قال: «لا توكي فيوكى عليك»[2].

وكانت قد جارت ولاته في اليمن الأسفل الجور العظيم، والبلاء الذي نالهم الجسيم مثل بلاد العدين وبلاد بُرع[3] وبلاد تعز وجبل صبر[4]، بحيث فقر منهم جماعات كثيرة، ورحل منهم من رحل إلى الجهات النائية البعيدة، ولم يرعوي المذكور لشكوى الشاكين، ولا رحمهم وتعطف عليهم بحيث بقوا للشكوى سنين.

وفي الحديث عنه ﷺ كما في أبي داود: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» [١١٩/ أ] وكان لو أنه لم يرض بما زاده الولاة في هذه الجهة من الزيادات، وأمرهم على ما كان من المقررات والعادات، لكان فيه العدل التام، والسلامة من الآثام.

---

(١) الأنفال:١.

(٢) ورد الحديث في أحمد بن حنبل، ج٦، ص٣٤٤، النسائي: كتاب الزكاة، ص٦١، البخاري،ج٢، ص١٠٠.

(٣) بُرع: ناحية وجبل معروف من الجبال المشرفة على تهامة، في الجهة الغربية من صنعاء، ينقسم إلى عدد من العُزل. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١،ج١، ص١١٥).

(٤) جبل صَبر: جبل مشهور، تقع في سفح منحدره الشمالي مدينة تعز، يرتفع بمقدار ٣٠٠٠متر عن سطح البحر. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨٩٤.

ولما عرف حاله الولاة باستراحته بالتوفير في الدفعات، جاروا على الرعايا في المطالبات، وفرضوا الزيادات، ولفقوا فيها التلفيقات وساعدهم فيما يذكرونه من الزيادات، فحصل بسببه الجور من هذا الباب. ولقد حكى من يعرف زمن الأتراك أنه عرض رجل من أهل سوق صنعاء على سنان باشا زيادة بالنصف على الأسواق فقال له سنان: من أين هذه الزيادة تجيء بها، إنما تكون من ظلم الرقاب وأمر بحبسه وتأديبه والله يتجاوز عنه ويرحمه.

ولما وصل خبر وفاته إلى صنعاء، وكان قد أمر أولاده بالتهيء إلى الحادث الذي حدث بصعدة وتلك البلاد الأقصى، والناس غير راغبين إلى السفر لما نالهم من التقصيرات فيما مر من الملازمين، فضلاً عن القاصين، سكنت تلك الأمور وقرت، واشتغل بغيرها، فكان من محمد ابن الإمام أنه كتب إلى أحمد بن الحسن تعزية وذكر له أنه يصلح دخوله صنعاء للخوض فيمن يصلح للمسلمين، وما يكون عليه[١١٩/ ب] البناء هذا الحين، فالله يصلح أمور المسلمين، ويختار لهم ما فيه الخير، فإنهم إن اجتمعوا على الصلاح ولم يتبعوا هوى أنفسهم ومحبة الرياسة وآثروا صلاح المسلمين كما هو الواجب عليهم صلحت الأمور لهم وللناس، وإن تفرقوا وتنازعوا كان الأمر كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾[1] وكان الضرر والفساد عليهم وعلى المسلمين، والله يتداركهم إلى صلاح ذات البين.

وكان قبره في رأس جبل ضوران، وكان المذكور كثير التشديد في التكفير بالإلزام في مسائل أصول الدين، وشبهته في عدم إنصاف المظلومين من أهل اليمن الأسفل هو هذا، مع أنهم لا يلتزمون ما ألزمهم، ولا يقول أحد من أهل السنة بالجبر والتشبيه[١٢٠/ أ] بالجملة في جميع كتبهم، يعرف ذلك، من عرف منهم، وقد روجع بمثل ذلك فلم يرجع. وكانت جواباته كلها بمحل النزاع، كما ذكرناه فيما سبق، في جواب السيد العارف أحمد بن علي الشامي، وفي جوابه للقاضي عبد القادر

(١) الأنفال: ٤٦.

المحيرسي[1]، وقد أجبنا على أقواله وعارضناها بالأدلة، ولكن لما عرفنا عدم قبوله بها لم نراجعه فيها، وطوينا خافيها وباديها. وكان في زمانه قد أهدى إلى صاحب الهند نسخة التهذيب في التفسير للحاكم المحسن بن كرامة المعتزلي[2]، وهو في قدر ثمانية أجزاء، يريد يدعوه إلى مذهب الإعتزال، فأرسل إلى المتوكل هدية إليه بتفسير ابن الخطيب الرازي في عشرين جزءاً؛ لأن فيه الردود على المعتزلة ومناقضة أقوالهم.

وكان يوم ثانيها وهو يوم الأحد، وطلب أحمد بن الحسن قضاة صنعاء، ومحمد بن أحمد[3] صاحب الروضة، ومحمد بن الإمام، وأحمد بن محمد[4]، فساروا الجميع، وكان مضمون طلب المذكور لمن ذكر أنهم يحضرون للنظر فيمن يقوم بهذا الأمر، وكان محمد بن الإمام قد ذكر إليه في كتاب التعزية أنه يدخل صنعاء، ويجتمع هو وإياه وسائر القضاة والأشراف للنظر فيمن يصلح لهذا الأمر، ويقوم بأمانة أهل العصر، فكان جواب أحمد بن الحسن بأن الإجتماع يكون بالغراس، وأنه يصل إليه وكافة القضاة وأعيان الناس، فخرج المذكور إلى الغراس وكافة القضاة والأشراف مثل القاضي علي بن جابر الهبل قاضي صنعاء، والقاضي محمد بن علي العنسي، والقاضي محمد بن علي قيس الثلائي[5]، وهو كان غير راض، لكنه لزمه المحضر، فكان قريب القهر،

---

(١) هو عبد القادر بن علي المحيرسي: من أبرز علماء عصره، كان حاكماً في بلاد الشاحذية وناظراً على أوقافها. وكان فقيهاً أصولياً عالماً مشاركاً في كل فن، تلقى العلم على يد العالم محمد بن عز الدين المفتي المؤيدي وغيره. جرى بينه وبين الإمام المتوكل مراسلات حول التكفير بالإلزام، ذكرها المؤرخ في الجزء الأول من هذا الكتاب. له العديد من المؤلفات. توفي سنة ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م ببلدة المحيرس. (النص، ج١، ق٢٣٢ب-٢٣٣أ).

(٢) هو المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي، حنفي ثم معتزلي فزيدي (٤١٣-٤٩٤هـ/ ١٠٢٢-١١٠١م) عالم بالأصول والكلام، وهو شيخ الزمخشري. اشتهر بصنعاء، وتوفي شهيداً بمكة، له ٤٢ كتاباً، منها كتابه الذي ذكره المؤلف هنا وهو (التهذيب) في تفسير القرآن، ثمانية مجلدات. (الزركلي: الأعلام، مج٥، ص ٢٨٩).

(٣) هو محمد بن أحمد بن الإمام القاسم. سبق ذكره.

(٤) هو أحمد بن محمد بن الحسين بن القاسم. سبق ذكره.

(٥) محمد بن علي قيس الثلائي: من العلماء المبرزين، عاش في قرية القابل بضواحي صنعاء، كان من تلامذة السيد محمد بن إبراهيم بن المفضل، وأخذ عنه جماعة من العلماء. توفي سنة ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م، وقبره بقرية القابل. (ترجم له المؤرخ في النص، ج٣، ق٩٥أ-٩٥ب؛ إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، ج٣، تحقيق: عبد السلام الوجيه، ص ١٠٤١).

والقاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال، والسيد غوث الدين بن يحيى، والسيد عبد الله الكبسي[1]، هؤلاء أعيان علماء الوقت في صنعاء، وانضم إليهم القاضي عبد الواسع قاضي أحمد بن الحسن، فكان المجلس الأول في الحضرة العامة النظر فيمن يصلح للمسلمين[١٢١/ أ ويقوم بأمرهم في هذا الحين، فأوجم الحاضرون، ثم تكلم فيهم السيد عبد الله الكبسي بأن أولى قائم أحمد بن الحسن، بعد أن تكلم أولاً محمد بن الإمام، وكان كلامه أن أمر الإمامة عظيم لا يدخله إلا من علم نفسه[2] الكمال، وأن هذا -يريد أحمد بن الحسن- الأكبر سناً، من علم أنه يصلح نصبه اتبعناه، وإن علم من نفسه الكمال نصبناه وقدمناه، ثم تكلم الحسن بن الحاج أحمد الأسدي من بيت أحسابة ومن أعوانه فقال: لا يصلح لها غير أحمد بن الحسن، لأنه المجرب للأمور وله الصيت في البلاد النائية كما هو مشهور وبه مذكور، وتكلم محمد بن أحمد بن القاسم فقال: قد تقدم صنوه علي بن أحمد في جهات الشام، ولا ينبغي العجلة حتى يجتمع الكلام ولا تكون كبيعة أبي بكر فلتة، فتغير أحمد بن الحسن من قوله، وقال: إنما حمل الإمام المتوكل على دعوته انتصاب والدك أحمد بن القاسم، وإلا فكان تاركاً لذلك حتى يحصل الإجتماع، فعند ذلك انصرم[١٢١/ ب] المجلس الأول على هذا لا غيره.

ثم إنه جعل لهم مجلساً خاصاً لمحمد بن الإمام، ومحمد بن أحمد، وأحمد بن محمد، والقضاة، وأبرموا الأمر على العقد لأحمد بن الحسن بشرط عدم قيام أصلح منه وأعلم، فإن قام من هو كامل الشروط تنحى له، وعرق الشجرة إذا قد غرس لم يمكن نزعه إلا بتعب، ثم بايعوا الجميع، وكان أول مبايع لأحمد بن الحسن محمد بن الإمام، بذلك الشرط والكلام، ثم محمد بن أحمد، ثم القاضي محمد بن علي العنسي، ثم سائر القضاة من الحاضرين، فمنهم من شرط الشرط، ومنهم من لم يشرط، وأما القاضي

---

(١) عبد الله بن محمد الكبسي. ترجم له المؤلف في هذا الجزء من الكتاب، بأنه توفي سنة ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م في جدة حال عودته من الزيارة للنبي ﷺ، وكان قد نوى الإقامة في مكة والمدينة. (النص، ج٢، ق٢٢٦أ).

(٢) كذا في الأصل، صحتها: من علم في نفسه.

أحمد بن صالح أبي الرجال فإنه اعتقد إمامته، قال أنه يقول بإمامة المقلد[1]، وخطب أول جمعة له وقال: هو الرضى، وبعض من راجعه أجاب عليه بأن المتوكل إسماعيل كان مقلداً، وإن الإجتهاد قد تعذر، ثم خرج بعد ذلك إلى الديوان العام، بايعه سائر أصحابه من العسكر ومن عنده له الإحسان والإنعام، وكتب الولايات لمحمد بن الإمام وغيره من أقاربه وسائر ولاته وإلى صنوه[١٢٢/ أ] حسين بن الحسن، وكتب إلى سائر أولاد إخوته بشهارة وإلى علي بن أحمد صاحب صعدة وإلى حسن بن الإمام صاحب جبل رازح وصاحب كوكبان[2].

وكانت هذه البيعة عشية الأحد سابع شهر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين[3] بعد العشاء ليلة الإثنين، والطالع الحمل، وسرير الملك الجدي، خال عن النحوس في وسط السماء، والمريخ وزحل كانت في الثور بوطنه، ومسكنه الغراس بحارة قلعة حصن ذمرمر.

وفي هذه الأيام استمرت الأمطار الغزيرة المتصلة في فصل الخريف، وعمت جميع اليمن، وأقبلت الزرائع، واخضرت البلاد والبقائع، إلا أن الجراد أخذتها، ولم تتم ثمرتها كما تأتي، ولو تمت لبلغ السعر إلى خمسة عشر بقشة، لصلاحها وقوة تحملها.

وصاحب كوكبان كان حال بلوغه الخبر في شبام، ثم أمر حال وصول الخبر بالطلوع إلى قلعة كوكبان بأهله وخزانته وخاصته، وكان شرعت صنعاء تقلق ظناً أن محمد بن الإمام يبايع وأنه إذا بويع له يحصل ما يحصل من أحمد بن الحسن[١٢٢/ ب]، فحصل المعقول من محمد بن الإمام، بعد أن كان طلبه للبيعة من يريد التفريق بين المسلمين والعجلة وإثارة الفتنة، فوقى الله شر ذلك، وسكنت الأمور في هذا الوقت ببلاد صنعاء، والله أعلم ما يكون من أهل شهارة وصعدة.

---

(١) المقلد: العالم الذي لم يصل إلى مرتبة الاجتهاد.

(٢) هو عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب (سبق ذكره).

(٣) ٧ جمادى الآخر ١٠٨٧هـ = ١٦ أغسطس ١٦٧٦م.

وأرسل محمد بن الإمام للحيمة وغيرهم، فأخروا الوصول لحضورهم وقالوا لا يكون إلا عند معرفة من يستقر لهذه الأمور، ويتفق عليه الجمهور، ومما شرطه في البيعة القاضي محمد بن علي قيس الثلائي القرب من الناس، وترك الإحتجاب والإيناس، وتسليم الديون اللازمة في المشتريات، وتقريب أهل الفضل وتبعيد غيرهم من الأجناس، وعزل الجَوَرة[1] من الولاة في اليمن الأسفل، هذا ما بلغ به الخبر، ولم نحضر ذلك المقام، ولم نشاهد فيه الكلام.

وأكثر من بالغ في المبايعة الفقيه أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وأعلن بالخطبة على المنبر بصنعاء والغراس، وكان هو أول من خطب وحرض، ولما انعقد هذا العقد اختلف الناس، فقال كثير من العامة والخاصة: أحمد بن حسن غير كامل لشروط الإمامة من العلم التام، وإنما هذا ملك وسلطنة، وبعضهم يقول: هذا صحيح، إلا أنه نصب للمصلحة لجمع الكلمة وتسكين الدهماء والفتنة لأنه إذا قام غيره حصلت الفتنة، لما بيده[١٢٣/ أ] من العساكر والخزائن، والنظر في المصالح ودرء المفاسد أمر مهم، مع أن سائر المترشحين لها من السادات الغالب عليهم أيضاً عدم كمال شروطها، فكان هذا الرجل ترجيحه مع كبر سنه في آل القاسم أولى بها.

ومنهم من قال: هذا كله يجيء على قواعد أهل السنة، من ترجيح المصلحة مع خشية الفتنة، ولكن العقد عند أهل السنة لمجرد المصلحة غير معتبر، وإنما المصلحة إذا غلب وقهر، أو كان والياً وفي نزعة تقع ثائرة فتنة، فإما العقد ابتداءاً لمجرد المصلحة عندهم فلا يعتبر بها، بل قد قال في البحر[2]: الإجماع على أنه لا يعقد له لمجرد المصلحة، ولكن هنا خشية ثائرة الفتنة حاصل، مع عقدها لغيره، وحصول مفسدة عظيمة وفتنة جسيمة، ودرء المفسدة أولى من جلب المصلحة، كما ذكره العلماء، فهو كنزعه عن

(١) الجَوَرَة: جمع جائر، أي من يظلم في فرض الضرائب المختلفة على الأهالي.

(٢) البحر: المقصود به كتاب (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى.

التولية، ومنهم من قال: إنما هذا على قول من قال بإمامة المقلد، وقد قال به الدواري[1] من المتأخرين، لكنه مسبوق بالإجماع على اشتراط الإجتهاد، ومن قال بجواب خُلُوٌّ الزمان عن المجتهد، كما هو قول بعض أهل السنة، فلم يجعلوا القيام عند تعذره قيام إمامة تامة، بل حسبة وملك وسلطنه، وظاهر أهل الزمان الأغلب أنهم في مقام التقليد، فالمقصود قيام أمثل مقلد ....[2] المنصب لجمع كلمتهم إن اجتمعوا.

وجاء في مختصر بعض المطالب من جفر الإمام أبي طالب ذكر أحمد بن الحسن بعد دولة الإمام إسماعيل. وخرج السيد علي بن حسين المسوري من صنعاء إلى خولان مباعداً نفسه وهارباً عن مبايعة أحمد بن الحسن[١٢٣/ ب]. وخرج أيضاً خارج يقال له السيد ناصر الدين من بلاد آنس وزعم أن الخل حرام، أن أصله الخمر، وأن البقول كالفجل والكراث حرام، وأن تقبيل اليد حرام، وغير ذلك من البدع في الإسلام، ولعله يعتقد دين الخوارج من إبطال سنة النبي عليه الصلاة والسلام، فانتظم في جملة الدجالين الذين يحرمون ما أحل الله ويحلون ما حرم الله، ولكن لم يجبه أحد إلى دعواه، ولم يمل أحد من المسلمين إلى هواه، واضمحل أمره وزال خدعه.

وجاء الخبر بأن القاسم بن محمد المؤيد بالله ابن القاسم دعا إلى نفسه بشهارة، وأجابه الأهنوم وغيره من تلك البلاد.

وكذلك خبر آخر أن حسين بن حسن دعا إلى نفسه في بلاد ولايته بجهة رداع، فالأول أجابه الأهنوم وغالب أهل شهارة، ولم يجبه أحمد بن الإمام المتوكل،ولكن كانت الغلبة لقاسم، فلما طلبه البيعة[١٢٤/ أ] امتنع منها وخط جانبه مجازاة له بما كان يصدر من عدم الرعايات لآل المؤيد من المذكور ولما كان يحصل من التقصيرات، وهكذا الأيام والليالي تأتيك بالغرائب المعجبات، والثاني بايعه أصحابه، وكتب كل إلى

(١) الدواري: هو عبد الله بن الحسن اليماني الصعدي الزيدي الملقب بالدواري. درس على علماء عصره، وتبحر في غالب العلوم، وصنف التصانيف الحافلة في الأصول والفروع، وليس لأحد من علماء عصره ماله من تلامذة. وما زال مكباً على التصنيف حتى وفاته سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٧م. (الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص٣٨٢).

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل.

سائر الجهات الرسالات. وظاهر هذا إنما هو إمارة ورياسات، فأما كمال الإمامات فإن شروطها كالمنتفيات في جميع من ادعاها هذه الأوقات، والله بجمع كلمة المسلمين على واحد ويدفع التعصبات والتفرقات.

وكان عقد قاسم لبيعته بشهارة يوم الإثنين ثامن شهر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وألف، وبايعه السيد يحيى بن أحمد الشرفي[1]، والسيد يحيى بن إبراهيم[2]، وصنوه إسماعيل بن جحاف الحبوري، وكذلك زاد لحق لما وصل إلى شهارة القاضي محمد بن علي قيس الثلائي، بعد أن كان بايع لأحمد بن الحسن، والسيد علي بن صلاح الضلعي العلوي صاحب ضلع الأشمور، هؤلاء الذين بايعوا قاسم من الأعيان، ودعوا الناس إلى إجابته وتحريم مخالفته، وجعل السيد يحيى الشرفي بيعته في ورقة طويلة أطنب في مدحه وتزكيته ووصفه، حتى قال: إن موافقه سعيد ومقتدي، ومخالفه شقي وباغ،وكل ذلك منه وهو في بيته بالشرف، لم يصل إلى شهارة، بل مكاتبة، وقد هؤلاء إلى الآن أربعة دعاة مع علي[3] المتقدم في الجهات الصعديات، والله أعلم بالزيادات، وما تنتهي إليه معهم الحالات، وهذا قد جرى كما جرى مع أولاد مطهر بن شرف الدين من الاختلافات، وعدم الإنصافات والإجتماعات، بل زاد هؤلاء عليهم بدعوى الإمامات[١٢٤/ ب] فإنهم إنما بسطوا على ما تحت أيديهم من الجهات، وما لهم من الولايات، من غير دعا الإمامة إلى أنفسهم، فكانوا بهذا الإعتبار أَعْقَل[4] من اللاحقين

---

(١) هو السيد يحيى بن أحمد بن محمد الشرفي القاسمي، عالم فاضل، أخذ عن والده العالم الشهير، وعن الإمام المؤيد محمد بن القاسم، أرسله الإمام المتوكل على الله إسماعيل إلى مكة للتدريس. ترجم له المؤرخ عند وفاته ق ٢١٩ب من هذا الجزء.

(٢) السيد يحيى بن إبراهيم: هو السيد البليغ الشاعر الناثر الكاتب الشهير يحيى بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن المهدي الجحافي. وهو الشاعر المشهور، لازم علي بن المتوكل إسماعيل وكتب له. ولما دعا يوسف إلى نفسه بالإمامة كتب له صاحب الترجمة وأنشأ الرسائل، وحبسه صاحب المواهب في تعز مدة ثم أفرج عنه. توفي سنة ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م بريمة. (زبارة: نشر العرف، ج٣، ص٢٨٧-٢٨٨).

(٣) هو علي بن أحمد بن القاسم صاحب صعدة.

(٤) أَعْقَل: يعني أكثر عقلاً.

بهم، فإن الإمامة لا يدعيها إلا من أحرز نصاب الإجتهاد فيها، وإلا فليس ذلك إلا من قبيل السلطنة لمن غلب، والأمر كما قال صاحب الحماسة(١) من قول المساور بن هند بن زهير(٢)، من العرب، حيث يقول شعراً:

لمـــا رأيـــتُ النـــاس هـــرَّوا(٣) فِتنـــةً
عَمْيـــاءَ توقَّـــد نارُهـــا وَتَـــسعَّرُ
وَتَـــشعَّبوا(٤) شُـــعَباً فكـــل جزيـــرةٍ
فيهـــا أمـــير المـــؤمنين ومِنْـــبَرُ

[١٢٥/أ] وكان لقب أحمد بن الحسن المهدي، ولقب علي بن أحمد المنصور، ولقب حسين بن حسن الواثق، ولقب القاسم بن محمد بن المؤيد المنصور، فأعجب لهذا التفرق بينهم، وكان لو جمعوا قولهم على أحدهم بجمع أمرهم، لكان الأصلح لهم، وتكون حسنة معهم.

فأما التفرق على هذه الصفة معهم خلل عليهم وعلى المسلمين، أما عليهم فقد يخرج إلى غيرهم بسبب تفرقهم أما من اليمن أو من السلطنة، ويحصل أيضاً كثرة الشقاق فيما بينهم، وتغلبات جهات اليمن بسببهم، وأما على غيرهم فما يحصل من المفسدين من الفساد والتغلب وعدم الأمان، ولكن لله في كل وقت شأن، والأمر لله تعالى في جميع الأوقات والأحيان.

وجاء خبر دعوة السيد محمد بن علي الغرباني صاحب برط، وجاء معه خبر دعوة للسيد أحمد بن إبراهيم المؤيدي، واستولى أولاد عبد الله بن الإمام القاسم على قصر

(١) صاحب الحماسة: هو أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي. والحماسة اسم ديوانه.
(٢) هو مساور بن هند بن قيس بن زهير العبسي، شاعر معمَّر، قيل ولد في حرب داحس والغبراء، قبل الإسلام بنحو خمسين عاماً، وعاش إلى أيام الحجاج، وهو من المتقدمين في الإسلام، توفي حوالي٧٥هـ/ ٦٩٥م. (الزركلي: الأعلام، مج٧، ص٢١٤).
(٣) هَرَّوا: أي كرهوها. (ديوان الحماسة، لأبي تمام، ج١، ص١٨٢).
(٤) وردت في الديوان: (وتشيعوا). (ديوان الحماسة لأبي تمام، ج١، ص١٨٣).

ذمار وانتهبوه، وانتهب عسكر علي بن المتوكل سوق جبلة، وقطعوا طريق اليمن إلى سُمَارة[1]، وحصل بين حسن بن محمد بن أحمد المؤيدي وبين السيد جعفر الجرموزي بالعدين فتنة، وقتل نفوس على سبب المملكة، يريد السيد حسن أن يتولى البلاد كما كان عليه والده، وحصل بصعدة انتهاب من العسكر الذين بها ومن أهل سحار دخلوها من دوائرها، فراح كثير من الحوانيت قريب المائتين انتهبوها، وعلي بن المتوكل لما سار إلى تعز استولى على خزانة الشيخ راجح متوليها، وكان الشيخ راجح يومئذٍ في بيته بلاد ضوران.

ووصل كتاب من قاسم صاحب شهارة إلى أحمد بن حسن يذكر فيه أنه غير[١٢٥/ ب] كامل لشروط الإمامة، وغير صالح للزعامة، واحتج عليه بأنه دعى إلى الرضى، وأنه لم يرض به، وكان قد خطب القاضي أحمد بن أبي الرجال بمنبر صنعاء لأحمد بن الحسن بأنه دعى الرضي وهو الرضى مع أن قاسم بن المؤيد أيضاً كانت دعوته إلى الرضى ولكن هو عند نفسه الرضا والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[2] وأحمد بن الحسن أجاب عليه بأن الأولى الإجتماع، وذكر ما قد سبق من دعوته بحضور جماعة من العلماء والأعيان والأتباع، وما أحسن قول المتنبي حيث يقول:

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة
بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم[3]

وقال أيضاً:

ما كل من رام المعالي ناقداً
فيها ولا كل الرجال فحول

---

(١) سُمَارة: قلعة ونقيل فيما بين مدينة أبّ ومدينة يريم، في الطرف الشمالي لحقل قتاب، مشهور قديماً بنقيل صيد. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨٠٩).

(٢) النجم: ٣٢.

(٣) ورد البيت الشعري في ديوان المتنبي، مج٢،ج٤، ص٢٩٣.

وحسين بن المتوكل إسماعيل بن القاسم بضوران، فصرف فيما عنده من الخزانة وأعطى منها جماعة، وتغير بسبب ذلك خاطر صنوه محمد بن الإمام، لكونه الوصي والمسند إليه في الخزانة الكلام، وخزائن الإمام مفرقة في ضوران وصنعاء والسودة وشهارة، بحيث أن منها ما أخذه بعض من يتعلق بهم على كثرتها، فإنه أخذ الفقيه حسين الجملولي صندوقاً ذهباً وهو نسب ابن الإمام ومن أصهاره، ولما حازه في يده وفرح بأخذه سرق عليه من يده، وهكذا أرزاق الحرام ممحوقة، كما قال الله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾[1] ووصلت كتب صاحب حجة[١٢٦/ أ] السيد علي بن الحسين بن جحاف إلى أحمد بن الحسن، وأرسل له بدفعة وأرسل ببعضها إلى قاسم بن المؤيد يتقي بذلك أمره.

وخرب في هذا الشهر بيت بصنعاء قريب مسجد عقيل، فهلك فيه أهله قدر أربعة أنفس، وخرب بيت آخر في بير العزب من بيوت اليهود فهلك فيه أهله، ومن جملتهم معلمهم في التوراة.

وفي ضوران خرب بيت على سبعة أنفار، فهلكوا جميعهم، وخرب من البيوت والحدرات[2] كثير لقوة المطر الذي وقع في الرابع الأول، ورخصت أكثر المجلوبات مثل السمن والغنم وغيرها، فلله الحمد.

وأجاب قاسم مع بلاد الأهنوم بلاد وادعة والشرف وظفير حجة وعفار وظليمة إجابة غير كاملة سوى الأهنوم فإنهم مخلصون، واشتبه على كثير من الناس أمرهم وتفرقهم، وكل منهم توقف على البلاد التي أجابته، وتصرف في الأوامر والنواهي بالإستقلال، يدَّعي الإمامة، ونفوذ الكلام والزعامة.

[١٢٦/ ب] واتفق أن غريباً من الذين يطلبون الصدقة أنشأ معه مديحة يقول فيه:

---

(١) البقرة: ٢٧٦.

(٢) الحدرات: يقال جبل حادر يعني مرتفع، ويقصد بذلك كل موضع منحدر. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٥٨٥).

وأمـــا قاســـم بـــشهارة قـــد نـــشر

وأحمـــد حـــسن تعـــب مـــن ذاك الخـــبر

فأعجب حيث لم تنطق العامة إلا بذلك، مما يتعجب منه، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

وسار محمد بن المتوكل إلى جهة ذمار يريد الإصلاح فيما بين حسين بن حسن وبين وصنوه أحمد بن الحسن، وأنه يدخل في البيعـة فـاتفقوا في مَنْقَـذة[1] ورجـع حـسين إلى بلاده رداع، ولم يسعد في البيعة، إلا أنه قال: لا يحصل منه خلـل بـل يـسكن في بـلاده. ومحمد بن المتوكل سار ضوران، ثم عاد صنعاء.

وأرسل أحمد بن الحسن يحيى بن الحاج أحمد إلى شهارة، حـضرة قاسـم بـن المؤيـد الداعي بها، يخوض في أمره، ويصلح شأنه، ويحيى بن حسين بن المؤيد وصل كتابـه إلى أحمد بن الحسن صدره من عيان، ورجع من صعدة.

وجاء الخبر بأن السيد يحيى بن إبراهيم بـن جحـاف وصـل الجمعـة برسـم قاسـم والدعاء له، وكان في الجمعة الأولى متوقفاً عنها، إلا أنه لم يطلع إلى شهارة.

ولما وصل الحاج العلامة يحيى بن أحمد الأسدي إلى حضرة أحمد بن الحـسن يقـال: أنه كان رسولاً من قاسم، أو مريداً للصلح، وطلب المناظرة، فأجـاب عليـه أحمـد بـن الحسن بجواب وعاد إليه للمخابرة والمصالحة، وطوى ذكر المناظرة.

وعلى الجملة[١٢٧/ أ] أن أحوال الناس صارت مضطربة، وأقـوالهم مختلفـة، هـذا محمد بن الإمام بعد المبايعة يضطرب كلامه، وهـذا محمـد بـن أحمـد كـذلك، والـسيد حسين بن صلاح[2]، والفقيه حسين بن يحيى حنش[3] بايعوا بعد أن كان امتنعـوا أولاً،

(١) مَنْقَذة: قرية كبيرة شمال مدينة ذمار بمسافة ١٤كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٦١).

(٢) الحسين بن صلاح بن عبد الرحيم بن الباقر الهدوي العلوي الحسني، كان سيداً عالماً ورعاً. ترجم له المؤرخ يحيى بن الحسين في كتابه هذا عند وفاته سنة ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٣م. (النص، ج٣، ق٩٤ب-٩٥أ).

(٣) الحسين بـن يحيى حـنش: تـرجم لـه المؤرخ يحيى بـن الحسين في كتابـه هـذا (بهجـة الـزمن) عنـد وفاتـه سـنة ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م. (النص، ج٣، ق٥٤أ-٥٤ب).

قيل أنها بيعة اضطرار لقاسم بن الإمام، وقيل: لم يبايعوا وأنه عذرهم عنها، وإنما دخلوا تحت أمره ونهيه اضطراراً، والسيد يحيى بن أحمد الشرفي وصل جوابه من الشرف بإجابة دعوة قاسم من جملة تلك الجهة، وكذلك أحمد بن المتوكل لم يبايع، غير أنه دخل تحت الأمر اضطراراً.

وجاء كتاب من أحمد بن المؤيد ويذكر أنه أجاب إلى أخيه القاسم، وكذلك رتبة ضوران وبلاد الشَرَف والأَهْنُوم وسُفْيان والعُصَيْمات ووادَعَة وحَجَة وظُلَيْمَة وسادة حبور، والسيد يحيى بن أحمد الشرفي، وأنه الخطيب يوم الجمعة بشهارة، وحث الناس على المناصرة لقاسم.

وحصلت فرقة بين بلاد خِيَار[1] فيما بينهم على سبب سوق الدبا من الجراد، لما أحله بعضهم إلى أموال البعض، فاقتتلوا راح من الفريقين تسعة أنفار.

والحرب الذي جرى فيما بين السيد حسن بن محمد بن أحمد المؤيدي في العُدَين راح فيه سبعة أنفار من الجانبين[١٢٧/ ب]، ويحيى بن حسين[2] خرج من صَعْدة مطروداً، قيل: نفره علي بن أحمد عنها؛ لأجل أن منازعة حصلت منه له فيها، وقيل خرج بنفسه، لما رأى ما جرى فيها من الإنتهاب، وركة الأمر والنهي لصاحبها، وكان قد طلب إلى حضرة علي بن أحمد على وجه القهر بجماعة عسكر، فخرج هارباً على مشقة نالته من ذلك الأمر، وإنما تنجى ببعض قبائل آل عَمَّار، وكان يريد علي بن أحمد البيعة منه في القيام الجديد، فأباها يحيى بن حسين، فهذا سبب خروجه عنها.

وعلى الجملة أن حال هذه الدعوات المنازعة المنهي عنها والتفرق الذي هو عين الإختلاف، ودرجهم فيما بينهم متقاربة بعد تعذر الإجتهاد معهم، فلو أنهم جمعوا كلمتهم على أحدهم وسلم الناس من الفتن، وإن حصل النقص بالمنصب الكامل الشروط، فأما إذا[١٢٨/ أ] أصروا على هذا النزاع والإختلاف وشبوا الفتنة فيما بينهم

---

(١) خِيَار: أحد قبائل بني صريم الحاشدية، منازلهم في نواحي مدينة خمر، شمالي عمران. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٥٨٨).

(٢) هو يحيى بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم. سبق ذكره.

فيا لها من مصيبة عليهم وعلى المسلمين، نعوذ بالله من ذلك. وبعد ذلك أمورهم إن الفتنة استمرت بينهم إلى نقص وخلل عليهم وتقوية لخروجها عنهم إلى غيرهم، وقد يطمع فيها غيرهم.

وسارت كتب محمد بن علي الغرباني الذي سكن برط يدعو الناس إليه، ويخبر أنه قد دعا إلى نفسه وتلقب بالمهدي، فكان المتلقب بالمهدي هو وأحمد بن الحسن، اتفقا في عصر واحد بهذا اللقب.

وممن لقب المنصور علي بن أحمد وقاسم، وتلقب أحمد المؤيدي بالهادي، وكذلك حسين بن حسن تلقب بالواثق، شل لك يا شلال، ولم يتفق ذلك قبلهم لأحد، وجاء في كتب صاحب صعدة أحمد بن إبراهيم المؤيدي في كتبه بالآية وهي قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ.......... وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[1]، وهذه الآية إنما هي في النبي ﷺ، وليست لغيره من سائر الناس، فهذا تحريف لكتاب الله.

[١٢٨/ ب] وفي يوم الأحد ثامن وعشرين شهر جمادى الآخرة وصل جواب أحمد بن الحسن من قاسم بن المؤيد، الذي سار مع يحيى بن الحاج[2]، فيه محاججة على مساوي، وعتب على ما جرى من المبايعة، وثلب لمن بايع أحمد بن الحسن من السادة والقضاة وسائر المبايعين من الملازمين، فتغير أحمد بن الحسن[١٢٩/ أ] من كلامه وخطابه.

وحسن بن الإمام خرج عن رازح إلى تهامة، لا لموجب بل حصل معه فشل وجبن كثير، وإلا فإنه قد صار في قلعة حصينة رأس جبل رازح، بين السحاب والعسكر، وأهل البلاد بين يديه، والمخازين معه مملؤة من الحبوب وغيرها، وعلي بن أحمد بعيد

---

(١) الأحقاف: ٣١، ٣٢.

(٢) المقصود به يحيى بن الحاج أحمد الأسدي، القاضي عماد الدين، مولده سنة ١٠٢٨هـ/ ١٦١٨م، عالم، فقيه، محقق، زاهد، تنقل بين صنعاء وصعدة، وقرأ في كتب الفقه والحديث والتفسير على علماء عصره، ومنهم الإمام المتوكل إسماعيل. ومن تلامذته الإمام المؤيد محمد بن المتوكل. توفي سنة ١١٠٦هـ/ ١٦٩٤م. وله العديد من المؤلفات. (عبدالسلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص ١٠٩٠).

عنها، فترجح له انسل عنها من غير محاصرة له ولا حرب، ونزل تهامة إلى أبي عريش، فلما بلغ علي بن أحمد ذلك فرح بها، وأرسل ولده إليها، وقبضوا ما فيها ونهب العسكر أثاثه وحوائجه، وتصرفوا في قصره وخزانته، واستولى على بلاد رازح جميعها.

وكان بهذا الأمر عاقبته إلى الحرب فيما بينهم، ويكون حدوده جدود الحروب التي جرت فيما بين الإمام القاسم وبين محمد باشا؛ لأنه كان إلى الإمام القاسم إلى حدود عفار، فكانت الحروب في أطراف هذه البلاد، وفي خمر ووادعة، فالله يكفي المسلمين شر مضلات الفتن، ولله قول الشاعر[1] حيث يقول:

دع المقادير تجري في أعنتها
واصبر فليس لها صبر على حالِ
ما بين نومة عين وانتباهتها
يحول الدهر من حال إلى حالِ
يوماً تراك خسيس الحال ترفعه
إلى السماء ويوماً تخفض العالِ[2]

وقول الآخر[3]:

ما اختلف الليل وما دار النهار وما
دارت نجوم السماء في الفلك

(١) الشاعر هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي، أنشد إبراهيم بن المهدي حين حُبس، ولم يورد البيت الثاني. (شهاب الدين بن محمد الأبشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق:فؤاد علي منصور، ص٣١٦).

(٢) ورد البيت لدى الأبشيهي في المستطرف كالتالي:

يوماً تريك خسيس الأصل ترفعه ... إلى العلاء ويوماً تخفض العالي

(٣) الشاعر هو أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني العنزي. وقد ورد البيتان في كتاب الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، مج٤، ص١٠٥ كالتالي:

ما اختلف الليل والنهار ولا ... دارت نجوم السماء في الفلك

إلا لنقل السلطان عن ملكٍ ... قد انقضى ملكه إلى ملك

إلا لنقـــل النعـــيم مـــن ملـــك

إذا انقــــضى ملكـــه إلى ملــــك

والـسيد أحمـد بـن إبـراهيم[1] تحـول مـن بلـده إلى قُـرَاظ لأن النـاس مـال أكثرهم[١٢٩/ ب] إلى علي بن أحمد في جهات صعدة، وفرغت له تلك الـبلاد قاطبـة، وانفرد فيها أمره ونهيه:

هــــذا عــــلى ناقوســـــه

وهــــذا عــــلى جبـــل يـــصيح

كـــل يـــصحح دينـــــه

يــا ليــت شــعري مــا الــصحيح[2]

وما هي إلا نيات أهوية، وحالات غير مرضية، قد بنوا على ارتكاب ما نهى الله عنـه من التنازع والإختلاف، وترك النظر في التسكين والإنصاف.

ووصل السيد حسن بن محمد بن أحمد بن الإمام محسن المؤيـدي مـن العـدين، لما نزلت ولاية أحمد بن حسن لجعفر الجرموزي وتوليته، وأبقاه عـلى حالتـه، وكـان ظـن حسن أنها تنتقل إليه.

وبلغت الإجابة لقاسم إلى عمران وإلي ذيبين، فكان أول تحريك أن أرسل أحمد بـن الحسن فقيهاً وأمره بالخطبة في بلاد ذيبين، فلم يحـضر الجمعـة أهـل الـبلاد، وقـالوا في أعناقهم بيعة قاسم بن الإمام.

(١) أحمد بن إبراهيم المؤيدي.

(٢) البيتان لأبي العلاء المعري، وقد وردا كالتالي:

هــــذا بناقوســــه   وذا بمأذنــــة يــــصيح

كــــل يؤيـــد دينـــه   يــا ليــت شــعري مــا الــصحيح

(رشيد يوسف عطا الله: تاريخ الآداب العربية، تحقيق: د. علي نجيب عطوي، ج١، ص٣٠٠).

وفي يوم الثلاثاء سلخ شهر جمادى الآخرة منها دخل محمد بن أحمد بن الحسين إلى دار أحمد بن الحسن لموعد بينهما في طلب[١٣٠/ أ] ولاية، فتأخر الأذن له في درج داره، فخرج المذكور وطلع بيت رَدَمْ ولحقه أصحابه، ثم إن أحمد بن الحسن لحق له للعود، وكان وعده في الولاية، ويقول: لا ينبغي في ذلك العجلة، لرفع التهمة بالبيعة، فإنه قد يقال كانت في مقابل زيادة ولاية، ولئلا يناظر غيره.

والأمور عجيبة فإنه كغيره ممن شرطها في دعوة الإمام المتوكل الأيام السابقة، وهو من جملتهم والله يصلح المسلمين، قال بعض من سمع من خواصه: أن سبب هذا منه أنه لما كان قد طلب من أحمد بن الحسن زيادة ولاية على بلاده الأولة، وأن أحمد بن الحسن كان وعده ثم طال مطله، وكان وصل عند ذلك جواب من قاسم بن المؤيد بأنه قد ولاه بلاد أبيه جميعاً، عرضه على أحمد بن الحسن ظاناً نجاز الوعد، وأن هذا الكتاب محركاً له في ذلك الأمر، فعاود لذلك، ثم حصل من صاحب الباب الداخلي صاحب الحجرة والدرجة التحيير(١) له في بابه لاستئذانه، فكان سبباً في إزعاجه.

والحسن بن المتوكل بايع للمهدي أحمد بن الحسن وبنى على الوصول إلى حضرته، فلما وصل قريب الصلبة لقاه أولاد النقيب سعيد المجزبي بخط بأيديهم من المهدي إليه أن يرد لهم ما أخذه من مراكب والدهم التي أخذها عليهم، فتحامق من ذلك، وقال: هذا أول فائدة من المهدي يقصد قاسم صاحب شهارة ترك بيعة هذا، فسار إلى شهارة، وبايع القاسم ثانياً بعد البيعة الأوله التي لأحمد بن الحسن، ثم نزل إلى حبور، ثم أمره قاسم بالعزم إلى حصن مبين بحجة ليكون رداً للرتبة الذي أرسلهم إلى الصلبة، فسار إليه.

وظهرت دبا واسعة حتى دخلت من داير صنعاء من سوائل نقم، وطلعت إلى سطوح البيوت في القطيع، ودخلت قصر صنعاء[١٣٠/ ب] وانتشرت في كثير من الجهات اليمانية في بلاد الظاهر والجوف في بلاد صنعاء وبلاد الحيمة والعرشي وبني

(١) التحيير: أي التأخير.

مطر وسائر الجهات، وشرعت في أكل الزراعة، فضرت مع كثرتها، فلله الأمر، والجراد الكثيرة التي انتشرت في الأغلب تكون للفتن المنفتحة.

وأحمد بن حسن ومحمد بن أحمد اجتمعوا على بعث السياق إلى خمر، ليكون موضع المطرح على شهارة، إما أن قاسم يسلم الأمر وإلا فتحوا الحرب، وأحمد بن محمد كان جواب أحمد بن حسن على مطلبه بأنه لا تولية هذه الساعة غير ما معه من ولاية حضور من أول، إلا أنه يعُد لعسكره كل شهر من جملة أصحابه، ثم إنه جعل له بلاد حفاش ومِلْحَان، وكان واليها قد مال إلى قاسم بن المؤيد، فهرب عنها، والله أعلم ما يتم منها. وحمل جميع ما قد جمع إلى قاسم، وأما والي حفاش فوصل إلى صنعاء.

وأولاد حسن بن الإمام وصل بهم من صعدة عبد الله بن أحمد[1] وأدخلهم شهارة، وخلصت الشام لعلي بن أحمد:

خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري[2]

ويقال أن حسن بن الإمام بلغ إلى كمران وهو حيران، فلله الأمر من قبل ومن بعد[١٣١/أ] مع أن علي بن أحمد يده ضعيفة في بلاد الشام؛ لأنه إنما صار يراشي[3] القبائل، ويستعين بهم على هذه الأفعال والعمايل، ولم تكن له قوة قاهرة عليهم، ولذلك حصل النهب في صعدة منهم، وكل ذلك في صحايفه والمشارك فيما ينشأ، لا هو ضبط البلاد، ولا هو خلاَّها[4] لغيره من الولاة يصلحها ويزيل عنها الفساد. وزاد مع ذلك

(١) عبد الله بن أحمد: هو عبد الله بن أحمد بن القاسم، كان سيداً صالحاً شجاعاً. وكان ديناً مجاملاً للأئمة جميعاً، توفي في أيام الإمام الناصر، وكان من مقادمته وذوي الرأي فيهم. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٣٩٠).

(٢) البيت الشعري للشاعر المشهور طرفة بن العبد، وقد ورد صدر البيت في الديوان كما يلي:
قد رفع الفخ فماذا تحذري
(ديوان طرفة بن العبد، ص٧١).

(٣) يراشي: يداري.

(٤) خلاَّها: أي تركها.

ادعى أنه إمام، فتضرر كثير من المتسببين والتجار الذين بصعدة من دولتـه، وإنـما مـال إليه وأحبه في الغالب المفسدون المتمردون من أهل جهته، فلا حـول ولا قـوة إلا بـالله العلي العظيم.

وفي غرة شهر رجب منها غزا السيد محمد الغرباني الداعي ببرط إلى سفال الجـوف، فوقع المدافعة لهم وقتل جماعة من برط وانهزم أصـحاب الـسيد ولـزم مـنهم ملازيـم، ودفع الله شرهم، والسيد هرب معهم ورجع بخفي حنين، لم يظفر بها قصده.

[١٣١/ ب]والجراد عمت بلاد القبلة[1] وشهارة وأكلت زروعها جميعـاً في سـفيان والأهنوم ووادعة، فخيب الله أمل أهل شهارة في جمع الثمـرة فيهـا، وتوجهـت الجـراد بعد ذلك إلى ظليمة وعذر وما إليها، ثم سارت منها إلى بلاد الشرف وعفار وحجة، ثم إلى لاعة، ثم حراز والحيمة وبلاد عتمة وآنس وضـوران والـسحول بـاليمن الأسـفل، وانعطفت راجعة إلى بلاد ذمار، ثم إلى بلاد رداع، ودخلت المشرق، فلم تبق هذه الجراد في جميع هذه البلاد إلا اليسير، بحيث أكلت طفلاً، فطلـع الـسعر في جميـع هـذه الـبلاد النصف في الزيادة على ما كان قبل مرورها: الشعير إلى خمسين والذرة إلى حرفين والـبر إلى مائة بقشة وأكثر، وسلّم الله بلاد صنعاء، فتمت الثمرة، وحصدت قبل مرورها، إلا أن السعر ارتفع فيها كغيرها، وقد كان في الثمرة تجهز عظيم قربة الـصراب، بحيـث أن من كان معه من الحب من العام شـاطه[2] بـأبخس الأثـمان، وأقرضـه لتفريـغ المـدافن والمخازن للثمرة الجديد، ثم انتشرت هذه الجراد، فندموا غايـة الـندم. وسـائر الـدبا في الجهات أكل جانباً وما قد احتمل، وأهل ذمار وفدوا إلى صنعاء بغنم باعوها واشـتروا بها طعاماً، ولم يعهد أن أهل ذمار يشترون من صـنعاء الطعـام أصـلاً، بـل العكـس في الرخص له وحين يغلا وينقص على صـنعاء أسـعاره في أكثـر أوقاتـه، ولله الحكمـة في صنعه وأحكامه.

---

(١) بلاد القبلة: المناطق الشمالية.

(٢) شاط: بمعنى باع، وهو خاص بالحبوب الزراعية، وقد سبق ذكرها.

وفي يوم الخميس سابع عشر شهر رجب[١٣٢/ أ] خرج أحمد بن الحسن من صنعاء إلى الغراس، مظهراً للغضب على قاسم ابن الإمام ومن إليه من الناس، وعاتباً على من لم يقل بإمامته، وذكر لهم اجتهاده في العلم، فلا يعتقدون أنه على طريق الحسبة[١] في إمرته، لما رأى في بعض الجوابات التي أرسل بها قاسم إليه ممن حضر حضرته، وأن في بعضها أنهم نظروا في قيام المذكور من باب الصلاحية على جهة الحسبة وجمع كلمة المسلمين. والمذكور إذا وردت عليه الفتاوى لا يجيب في شيء منها بل يتركها أو يحيلها على من يجيب فيها ثم يضع علامته عليها، وقد يجيب في شيء منها كيف اتفق الجواب. والقاسم بن المؤيد وصل إليه بعض الفقهاء من جهات صعدة لخبرته والنظر في معرفته، فلم يجد عنده في الأصول معرفة، ولا قدر يجيب عليه فيه بالحقيقة، بل وهم في مسألة العموم، وقال: إنه قطعي، ولم يظهر عنده التفاصيل فرجع المذكور هو وآخر معه وامتنعوا من بيعته وقالوا: (تسمع بالمعيدي خير من أن تراه)[٢]، والظاهر أن بعد قيام هذه الدعوات لا تنحسم إلا بحكم قاهر[١٣٢/ ب] للخصمين، وإنما ينبغي السعي للمعترفين في الصلح إن علم أنهم يدخلون فيه أو ظن وإلا فالترك لذلك أولى، ولا يجب غيره لمن عرف بتفرق الأهوى. ألا ترى أن أحكام الشريعة لا تتم إلا بيد منفذة لها وهي الدرجة العلياء فكيف ولا يد منفذة هناك وإنما هي فرقة، ولذلك أن التحكيم الذي حصل بين علي ومعاوية بعد الفرقة لم يتم له، وبطل أمره، وغيره قد جرى مع الأئمة، فإنهم يتناظرون ولا يرجعون في الغالب إلى ترك ما يطلبون، ومنهم من يرجع

---

(١) الحسبة: تعني أنه في حالة عدم وجود شخص مستوفي لشروط الإمامة يقوم العلماء وأهل الصلاح بتعيين من يقوم بمهام الإمام ممن تتوفر فيه بعض الصفات التي تؤهله للقيام بتلك المهام، مثل: العدالة وجودة الرأي وحسن التدبير والقدرة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويسمى (المحتسب) وقد يقوم المحتسب بالدعوة لنفسه بوصفه محتسباً، فيبايع على ذلك، ويقوم المحتسب مقام الإمام، ويتنحى المحتسب تلقائياً بمجرد انتصاب الإمام. (أحمد بن محمد الشرفي: عدة الأكياس، ص٤٦٩-٤٧٠).

(٢) تسمع بالمُعيدي خير من أن تراه: من الأمثال المشهورة، والمعيدي: تصغير مَعَدِّي، منسوب إلى مَعَدّ، يضرب للرجل الذي له صيت وذكر في الناس، فإذا رأيته ازدريت مرآته. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٧٠٤).

ببذل شيء من الدنيا.

وقد طلب قاسم بن المؤيد المناظرة أولاً والتحكيم، وينفذ تمامه بعد الفرقة والمراكزة، إلا أن يحصل مع أحدهم غلبة وقهر له أو بذل لما يطلبه.

[١٣٣/ أ] وأمر أحمد بن حسن بدار الضرب للدراهم وصغر بقشها. وحسن بن الإمام لما مر ثالث عشر شهر رجب في حجة طالعاً من تهامة بعد أن نزل من رازح أراد يدخل الظفير، وكتب إلى هنالك كما قيل، فقالوا يدخل بخمسة عشر نفراً أو عشرين نفراً لا غير، فترك دخوله، وعرج عنه إلى طريق شَرِس[١] وخرج إلى حبور، وأجاب قاسم صاحب شهارة وطلع إليها، قيل وسببه أن أحمد بن الحسن جعل خطاً لأولاد المجزبي في إرجاع السفن التي كانت لوالدهم يَكْروها، وكان حسن بن الإمام قبضها يوم نزل إلى اللحية كما مر سابقاً، وكان المذكور قد بايع لأحمد بن الحسن في قريب حَرَضْ[٢] وهو خارج من ساقين. ويحيى بن حسين بن المؤيد بالله لما وصل إلى خمر بعد هربه من صعدة وأمن كتب إلى بعض القبائل في تلك الجهة بأنهم ينصرونه إلى القيام، وأن قاسم وأحمد بن الحسن لم يحصل منهم التئام، فلم يساعده أحد، فكتب بعد ذلك إلى قاسم يجبه على الاجتماع.

فاعجب من سادة اليمن ما أكثر محبتهم[١٣٣/ ب] إلى الرياسات، والدخول في الإمامات والتكليفات، والله يقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٣] ولما وصل حسن بن الإمام إلى حدود حجة انجفل البدوان بالهرب بالبقر والأغنام إلى الجبال ظناً منهم أنه أحمد بن الحسن وأرسل أحمد بن الحسن قاسم بن أحمد بن القاسم[٤] إلى صنوه علي بن أحمد صاحب صعدة بأن يسعى في صلحه، وله ما

(١) شَرِس: وادٍ أسفل مدينة حجة من جهة الشرف. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨٥٨).

(٢) حَرَضْ: مدينة ووادٍ شرقي ميناء ميدي في الشمال الغربي من بلاد حجة. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٤٤٦).

(٣) الأحزاب: ٧٢.

(٤) قاسم بن أحمد بن القاسم: سيداً جليلاً فاضلاً عارفاً ورعاً، له اطلاع في العلوم، لازم الإمام المهدي أحمد بن الحسن خلال إعلان إمامته، وكان ملازماً للدرس والتدريس. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٣٩٠).

طلب من توليته، فسار المذكور إلى تلك الجهة.

وأرسل بعض القضاة إلى عند قاسم بن المؤيد عسى يحصل الصلح بينهم، ولا شك أن الصلح خير، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾[1]، وكما وفي الحديث الصحيح في حق الحسن بن علي أنه قال ﷺ: «إن ولدي هذا سيدٌ وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين دعواهما واحدة»[2]، فدل هذا الحديث الصحيح المتفق عليه بين الأمة أن ترجيح المصلحة هو الأولى رعاية لسكون الدهما وسكون ما هو[١٣٤/أ] الأعظم من مصالح المسلمين وحسماً للأهواء.

ومن العجيب الذي قل أن يتفق مثله أن فقيهاً من بني النزيلي من الشافعية يقال له: محمد بن أحمد صار[3] شهارة عند قاسم ولازمه، وصار عمدة لديه بل وكاتبه، لما يعرف من عادات شهارة وساداتها وفقهائها من التشديد في عقائدهم وكراهة مذاهب من يخالفهم. وهذا الفقيه محمد بن أحمد له معرفة في علم النحو وسائر العربية وكذا في أصول الفقه وفروعه على مذهب الشافعية.

وظهر من كثير عدم الميل إلى أحمدبن الحسن حتى من أهل صنعاء وجميع أهل المغرب عن بكرة أبيهم، غير أنهم بين البين يظهرون أنهم غير مخالفين لأحمد بن الحسن لخوف جانبه أن يقوى، وقلوبهم عنه مايلة والأهوى، ولم يخلص في بيعة الاختيار من الأعيان لأحمد بن الحسن غير اثنين: أحمد بن صالح بن أبي الرجال[١٣٤/ب] المرهبي وغير القاضي عبد الواسع العلفي صاحب أحمد بن الحسن، وسائر الناس غير راغبين ولا مختارين، بل مضطرين إليه ومتقين. وقاسم أكثر من بايعه من الخاصة والعامة بالإختيار واليسير منهم بالإضطرار، وأما العامة من الناس والقبائل فالأكثر يقول لمن

---

(١) النساء: ١٢٨.

(٢) ورد الحديث في صحيح البخاري، مج٢، ج٦، كتاب فضائل الصحابة، ص٣٢، سنن الترمذي، ج٥، مناقب، ص٦٥٨.

(٣) كذا في الأصل، صحتها سار.

استقر أمره وغلبت دولته لا يميلون إلى أحد الرجلين، والله يصلح أحوال المسلمين.

ومنهم من هو غير قابل بإمامة الرجلين إمامة إختيارية أصلاً، أما أحمد بن الحسن فلأن سيرته سيرة الملوك، مع عدم المعرفة بالعلوم، وأما قاسم فلعدم كمال علمه واجتهاده، وإنما العمل منهما لمن تم أمره من باب القهر والغلبة، دولة اضطرارية، وملك على جهة القهرية لمصلحة الإسلام وسكون الدهماء، مثل دولة علي بن صلاح، ودولة المطهر بن الإمام شرف الدين، ودولة الحمزات(١) من دول الأشراف لا غير ذلك.

وعلى رأي من قال بإمامة المقلد، وخصوصاً عند تعذر وجود المجتهد الكامل لسائر الشروط.

وفي هذا الشهر توفي السيد شرف الدين بن مطهر بن عبد الرحمن بن مطهر ابن الإمام شرف الدين بوطنه الذَّنوب من بلاد حجة، كان هذا السيد أميراً مع الإمام المؤيد بالله، متولياً لبلاد رداع في مشارق ذمار، وكذلك أول دولة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، ثم عزله عنه بسبب أن رداع ولي لحسين بن الحسن بن القاسم، فلما عُزل سار إلى وطنه بالذنوب، واستقر فيه مجللاً، وله سبارات وجاريات من والي حجة مع ما له من الصوافي ومن الأملاك التي كانت لعبد الرحيم(٢) كالحَوْضَيْن(٣) تحت مبين فإنه بيده ويتصرف فيه وفي غيله، وفيه من القات والبن وغير ذلك من الأشجار والمزارع مدته. وكان يتنقل من الذنوب إليه حتى توفي هنالك، وهو الذي كان وليَّ بلاد يافع في دولة إسماعيل بن القاسم، ثم لما حصل الخلاف بعد فتحه الأول وأخرجوه عنه عذر[١٣٥/ ب] عن الولاية، واستقر في البلد المذكورة.

---

(١) دولة الحمزات: يُنسب الأشراف (الحمزات) إلى الأمير (حمزة) بن أبي هاشم بن الحسن بن عبد الرحيم، من أحفاد القاسم بن إبراهيم الرسي. وكان للأشراف الحمزات أدوار مختلفة في الحياة السياسية اليمنية. (الموسوعة اليمنية، ج١، ص٤٢٠).

(٢) هو عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر بن شرف الدين، أحد أمراء آل شرف الدين. كان يعين الدولة العثمانية على محاربة القاسم بن محمد، ثم اصطلح معه، وانضم إليه في محاربة العثمانيين، وأسره جعفر باشا وسجنه، ثم نفاه إلى الأناضول سنة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م، وتوفي هنالك سنة ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م. (الشرفي: اللآلئ المضيئة، ج٣، مخطوط، ق٢٧٣).

(٣) الحَوْضَيْن: منتزه تحت حصن مبيَّن، في شمال مدينة حجة. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٥٣٣).

وقاسم بن الإمام المؤيد لما كثر الوفد عليه من بلاده، واستقر منهم عنده البعض من أنجاده، وكانوا لا يزالون مع قرب بلادهم يصابحونه ويماسونه، فما زال يحتاج لهم الطعامات والإقامات، مع قل المدخول فاستمد أكثر مدافن[1] شهارة، ثم استمد بمدافن السودة ومخازينها لمن عنده. ولم يكن من البلاد التي يستمد منها إلا الشرف وعذر والسودة وظليمة بلاد حقيرة أكثرها، وزاد الجراد أحطبتها[2]، وأكلت جميع الذرة من ثمرتها، فإذا استمر على هذه الحالة انفق ما لديه وما جاء له ويضطر بعد إلى التقصير في أكثر الذين هم أنصاره، فيتفرقون عنه ويقل منهم اتباعه.

[١٣٦/ا] ويبلغ أن أحمد بن الحسن صارالآن يبذل لمشائخ من تلك البلاد من الدراهم التي يجذب بها كبارهم، ويفسد عليهم بسببها أمرهم.

ولما كان أحمد بن الحسن قد ظهر له بعض ما غفل عنه من كتب بعض الذين بايعوه بما ذكروه من بعض الشروط وما قصدوه، وإن ذلك إنما هو بيعة حسبة لا إمامة، وتغير من ذلك وظهر عليه الغضب، وكان خروجه الغراس مغاضباً، وبنى أنه يقصد إلى تلك البلاد، غير مراع إلى ما شرطوه، وعلى العمل بمقتضى الإمامات لا الإحتساب، فصار الناس والقضاة بين بين لا يقدرون على أمر من الأمور، فعاد حالهم إلى الإنخراط ظاهراً من التقية، واضطروا إلى إمرار إمامة الغلبة على مذهب أهل السنة والعلماء الذين في غير الحضرة، لم يصل منهم أحد، ولم يجب منهم بجواب صريح إلا بمجاملات: كالسيد علي العلفي، والقاضي مهدي صاحب ثلا، ويحيى صالح صاحب ذمار وغيرهم، والله يصلح الحال للمسلمين.

[١٣٦/ ب]وفي شهر رجب من هذه السنة وصل كتاب من القاسم بن المؤيد، وهذا لفظ كتاب القاسم بن المؤيد بالله إلى محمد بن الإمام وهو:

---

(١) المدافن: عبارة عن مخازن منقورة في الصخور، وبعض المدافن كانوا يقومون بقضاضها (سيأتي شرح القضاض) لحمايتها من التشقق والحشرات ويتم فيها خزن الحبوب الزراعية بأنواعها لسنوات عديدة.

(٢) أحطبتها: أي جعلتها كالحطب؛ لأنها أكلت كل ما هو أخضر فيها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، من عبد الله أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن أمير المؤمنين المؤيد بالله ثبته الله تعالى إلى الصنو السيد العلامة الأوحد رضيع المحامد والفخامة، ربي حجر الخلافة والإمامة، عز الإسلام[1] والمسلمين سليل الأئمة المطهرين محمد بن أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين، حفظه الله وحماه، وحرسه ووقاه، وأهدي إليه شريف السلام، وسنى التحية والإكرام ورحمة الله وبركاته على الدوام. وبعد: فصدور هذا السلام وإنه قد سبق إليكم حماكم الله كتاب، وعرَّفناكم الوجه المقتضى لتأخير الإتفاق، إلى آخر ما ذكرناه لكم، وإلى تحرير هذه الأحرف ولم يعد الجواب، ثم إنا بحمد الله الذي لا إله إلا هو ونسأله أن يصلي ويسلم على محمد وآله وأن يجعل الأعمال خالصة لوجهه الكريم، ومقربة إلى جنات نعيم، وإنه لما طلب الصنو صفي الدين[2] أحمد بن الحسن حماه الله المفاوضة والإجتماع، ونحن كنا طلبنا ذلك لما كنتم ذكرتم سابقاً أن الدعوة على تلك الصفة، وأن المراد وجه الله سبحانه والنظر في صلاح المسلمين، ثم تعقب من قبله جملة ما ذكرناه لكم في الكتاب السابق، والكتاب هو مما يحسن، إلا أن في النفس أشياء نذكرها لكم صار من في جانبنا من أهل النظر يطلبون معرفة المخلص عنها حتى نكون نحن وهم على بصيرة، وذلك أنه قد[١٣٧/ أ] كان من الصنو أحمد حماه الله هفوات ليس عندنا ولا عندهم معرفة المخلص منها ومن تحقق التوبة عنها، وذلك بَغْيه على إمام الزمان المؤيد بالله مرتين فإنه خرج في الأولى إلى الحوادث[3]، وتولى حربه الوالد الحسين بن القاسم رحمه الله، وحصل فيها قتل كثير من أهل آنس وريمة ووصاب، وذلك بفعله وسببه على ما شاع هو وسرور شلبي[4]، وتلك دماء محترمة، لأنهم من جند الإمام وهي مضمونة

(١) عز الإسلام: لقب يطلق على من اسمه محمد.

(٢) صفي الدين: لقب يطلق على من اسمه أحمد.

(٣) ذكر المؤرخ هذه الحروب بالتفصيل في الجزء الأول من كتابه هذا (البهجة) ق٥٨ب وما بعدها.

(٤) هو سرور بن عبد الله شلبي: من موالي الحسن بن القاسم بن محمد.

بالإجماع؛ لأن الباغي يضمن الدم بلا إشكال إلا أن يهدرها الإمام لوجه شرعي، ولم يبلغنا انه تخلص وودى دية ولا ظهر أمر، وإنما سكن لما أسر. والثانية خروجه إلى نقيل الشيم، وتولى حربة حي الإمام المتوكل على الله رحمه الله وكان فيه قتل كثير، ولم يحصل تخلص ولا علمنا، وأيضاً فإنه خرج بالأموال التي كانت مجموعة مع والده وهي تجل وتعظم فنهبها العساكر وبذل منها في مقابل قطع الرؤوس من أصحاب الإمام شيئاً واسعاً، فإن كانت تلك الأموال بيوت أموال، فهل تخلص منها بالغرامة إلى إمام زمانه، ولا نكتفي في هذا إلا بإظهار أوجه شرعية تكون فيها عليه النفوس طيبة، وإن كانت الأموال ملكاً لوالده، فهل أصلح ما بينه وبين ورثة أبيه بالغرامة أو البرا، فنحن نعرف بعض الزوجات ما ذكر لهن شيء من ذلك. ومن ذلك ما حصل مع التجار كالحُطْروم وقاسم سبحة[١٣٧/ ب] وغيرهما فإنه أجحف بأموالهما كلها، وصارا من جملة الفقراء والناس كالمجمعين انه استدان منهما ولم يقض شيئاً، ومنها على ما وقع -والله أعلم بالحقيقة- أنه ضرب أمة من إمائه حتى ماتت عدواناً وكسر يد أخرى ووضع يدها على خشبة وضربها؛ لأنها ناولت ولداً صغيراً كتاباً طلبه الصنو أحمد، فسأله من ناولك الكتاب؟ قال: فلانة، فطلع من الديوان وفعل هذا الفعل، ولعله استمر على تسرِّيها[1] بعد ذلك.

ومنها أنه بلغ أن معه داراً تسمى دار المحجبات، وفيه إماء منتخبات من مكة بذل فيهن أموالاً من أموال المسلمين، وقيل: -والله أعلم- أنهن من أهل السماع والملاهي، ولا يترك أحداً يتصل بهن أبداً، ومنها قضية الفلوس هذه التي كانت قبل موت الإمام، فإن الإمام أراد أن يمضي كلامه فيها، فامتنع الصنو أحمد أشد الإمتناع، مع أن أمر السكة إلى الإمام وغير ذلك من قتل النفوس التي قتلت في زمن حي المتوكل على الله بغير حقها، وتولى قتلها بيده فهذا في النفس ونعيذه بالله من الإصرار على ذلك. ويجب أن يطلعنا ويطلع من شاركنا في وجه هذا على وجه الخلوص[2] إما بأحكام شرعية

(١) تسرِّيها: سبق شرح معنى السرية.
(٢) الخلوص: التخلص من.

يبرزها أو بشهادة عادلة، فإن هذا المقام الـذي ارتقـاه يحتـاج إلى العدالـة المحققـة، ولا يعرف حقيقتها إلا بعد الخلوص من هذه التي شاعت وتناقلها الناس، وبعد أن يعـرف إصلاحه لذلك الوجه الصحيح في ذلك الوقت وبعده لا في هذا الوقت[١٣٨/ أ] بعـد الدعوة فإنه غير مقبول، لأنه مع ذلك الدعوة غير صحيحة، فـإذا صـح لنـا ولأتباعنـا حسن الإجتماع وطوت هذه الأشياء وكان النظر للعلماء وأهل الخـير والفـضل ونحـن أحب الناس للحق، وما لنا في القيام بهذا الأمر غـرض دنيـوي، الله يعلـم النيـة، وإنـما كلفنا عليه.

واعلم يا صنو محمد حماك الله أن هذا واجب عليك تبحث عنه وعـن وقوعـه وعـن كيفية إصلاحه، ثم ترشدنا إلى طريق تسكن به النفس. ومـا كنـا نحـب ذكـر شيء مـن هذا، ولكن المقام صار لله سبحانه وتعالى والدخول فيه والخروج عنـه مـسؤول عنهـا، ونعوذ بالله من الهلاك. وقد أوجب الشارع البحـث عـما يوجـب الـشك حتـى يـزول فاعرف هذا. ويجب منك -حفظك الله- أن تطلع هذا على الوالد زيد بـن عـلي[١] حمـاه الله؛ لأنه حضر في حرب الحوادث وكذلك الفقيه بدر الدين محمد بـن عـلي جميـل فإنـه حضر في حرب نقيل الشيم، وقد عرفتم أن التوبة الصحيحة لا تكون إلا بالتخلص من الدماء والأموال على الوجه المشروع كما لا يخفى، وقد طوينا غير ذلك مما تلهجـون بـه، وحـــسبنا الله ونعـــم الوكيـــل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[٢] ولقد سبق لك القصد إنا حمَّلناك وألزمناك هذه الأمانة تبحث عنها وعـن التخلص عنها ثم تعرفنا لأنه ينبني على ذلـك إتمـام سرعتـه، ثـم ذكـر آخـره أنـه بلـغ وصولكم، فإني بريء من الوصول هذه الساعة[١٣٨/ ب] لما يحـصل مـن التَـشْعبَة[٣] على القبائل، ولأجل الجراد التي أكلت الثمار، فأرسل به محمد بن المتوكل إلى أحمـد بـن الحسن، وهذا جواب أحمد بن الحسن على المذكور، قال فيه ما لفظه:

---

(١) المقصود به زيد بن علي جحاف الذي كان حاضراً تلك الحرب كما يذكر يحيى بـن الحسين في الجـزء الأول، ق٢٩أ. وقد سبقت الترجمة له.

(٢) محمد:٧.

(٣) التشعبة: الفعل شعَّب بمعنى أصر على فعل شيء ما.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُ﴾[1] من عبد الله أمير المؤمنين المهدي وفقه الله إلى الصنو العلامة النبيل علم الدين القاسم بن أمير المؤمنين المؤيد بالله حفظه الله وأصلح حاله وسدده إلى الخير وأرشدنا له، وعليه أفضل السلام ورحمة الله. وبعد: فإني أحمد الله الذي لا إله سواه وأصلي على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإني وقفت على كتابين منكم أحدهما إلى الصنو السيد الجليل العلامة محمد بن أمير المؤمنين والآخر إلى السيد الولد النجيب أحمد بن محمد بن الحسين، مضمونهما واحد في أمور قلتم بعد ذكر الإتفاق الذي طلبناه منكم أن في النفس أشياء نذكرها لكم، إنه صار من في جانبنا من أهل النظر يطلبون المخلص إلى آخر كتابكم فأقول مستعيناً بالله: إني كنت فعلت هذه الأفعال في وقت إمام صادق لله فيما أمر ونهى ذي عزيمة وشكيمة معروفة وصلابة ظاهرة، ورجعت إليه ومضت مدة مديدة وأنا عنده وبين يديه وختم آخر عمره بأن ولاّني بلاد وصاب،وكان لي معظماً مجللاً وهل الإمام المؤيد بالله دَاهَن[2] صنوه الحسين في شكوى شيخ واحد من مشائخ[١٣٩/ أ] الحيمة؟ وهو ابن مفضل، فرفع يد صنوه من جميع بلاد الحيمة وما بالى بقدره الجليل، ولا نظر إلى سابقته مع والده ومعه، ولا استحى من أخيه شرف الإسلام الحسن بن القاسم، فكيف يداهني فيما ذكرت جميعه وأنا ولده ولا سابقة لي معه، فهل داهنني في جميع ذلك، فاستحى مني، فما هذه الغفلة منك الكبيرة، ثم أنت في نفسك أصلحك الله أنه الذي كان يجب عليك عند أول

(١) الحجرات:١٢.

(٢) داهن: المداهنة: المصانعة واللين، وقيل المداهنة إظهار خلاف ما يضمر. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص١٠٢٩).

سماعك هذه الأمور عني أن تخرج من واجب أوجبه الله عليك بالقول لي بما عندك في هذه القضايا، ولا تسكت حتى تعرف ما عندي فيها، وأنت تعلم قول الله سبحانه: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَـٰلِدُونَ﴾[1] وقول رسول الله ﷺ: «لا يحل لعين ترى الله يُعصى فتنظر حتى تغير أو تنتقل»[2]، بل كنت عندك أصلحك الله مرضياً بالأمس، فلما قمت بهذا الأمر الآن قلت فيَّ ما قلت، فما عدا مما بدا، أليس كتابك إليَّ بخطك في مرض الإمام رحمه الله ما لفظه سيدي مولاي صنوي بركتي السيد الإمام العلامة شمس الملة والدين، وسيد سادات العترة الأكرمين، فلما قمت هذا العام صار المخاطب بالإمام وسيد سادات العترة الكرام من ألأم الأنام، ومرتكب الفجور والآثام.

وأما قتل النفوس في زمان المتوكل فهي عندي من أقرب القرب، فإذا أنكر على من قتل علي بين يدي رسول الله صلى الله[١٣٩/ ب] عليه وسلم يوم بدر وأحد، وفتح خيبر والخندق ويوم حنين أنكر عليَّ بمن قتلت يوم أبين ويوم نجد السَّلف، ويوم يافع ويوم بَحْران[3] بحضرموت، وأرجوا أن يبلغني الله ما بلغه بعد دعوتي هذه من القتل يوم الجمل[4] وأيام صفين[5] ويوم النهراوان[6]. وأما أمر الفلوس وإني امتنعت من أمر

---

(١) المائدة: ٧٩، ٨٠.

(٢) لم أجد الحديث فيما بين يدي من كتب الحديث.

(٣) بَحْرَان: موضع في منطقة حورة، من مديرية القَطْن في وادي حضرموت. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص١٣٨).

(٤) موقعة الجمل: معركة حدثت بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعبد الله بن الزبير، وأخذت المعركة اسمها من الجمل الذي كانت تركبه عائشة رضي الله عنها، حيث خرجت مع عبد الله بن الزبير. (أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج١، ص٤٣٦ وما بعدها).

(٥) أيام صفين: موقعة حدثت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان ثم لجأوا إلى التحكيم المعروف. (أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج١، ص ٤٤٧وما بعدها).

(٦) يوم النهروان: موقعة حدثت بين الإمام علي بن أبي طالب وبين الخوارج في منطقة النهروان (بين بغداد وواسط). (أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٢، ص٢٣٤-٢٣٥).

الإمام، فلو نطق المعترض بالحق لما قال هكذا، وإنما راجعته أشد المراجعة رحمة مني، لضعف رعيته لأنهم ضجوا من كسرها وتعبوا تعباً شديداً، فلما لم يتراجع لي نفذت أمره والأمر ظاهر ويكفيك إنما مات حتى أمرني بالتجهيز إلى شام صعدة(١) كما علمت، وجعلني أمير أمرائه الذين أمر بتجهيزهم، وفوضني تفويضاً كاملاً، وولاَّني بلاد خولان، والحرجة(٢) فهل هذا الفعل لعصيان مني أو لطاعة له؟ ووصلني خبر موته وأنا بأول مرحلة متجهزاً في طاعته. وأما أمر الحطروم وقاسم سبحه، فالحطروم لم يعاملني مدة حياته، وأما قاسم سبحه فهو عميلي الآن، وطلع بأشياء من المخا، أكثرها صارت إلينا فلو كان فقيراً كما ذكر لما طلع بشيء، وعملتي له وغيره مثل عملة سائر الناس إن وجدوا قضوا وإن لم يجدوا صبر الغريم، وأنت كذلك بلا شك،وهذا دأب الناس في هذا الزمان وغيره. ومات مولانا المؤيد بالله ودَيْنه يفيق على أربعين ألف قرش، فهل ذلك قادح في إمامته. وأما ذكر[١٤٠/ أ] القتيل الذي أراد الفتنة بين العسكر فلم يقع من ذلك شيء، ولو يقع من أحد من الناس الآن إرادة إثارة الفتنة بين العسكر لقتلته، فإنه روى لي إمامنا المتوكل على الله وحي الصنو محمد(٣) رحمه الله أن الإمام القاسم كان يقول: من قال يا حاشداه أو يا بكيلاه(٤) فقد حل قتله، فإنه من

---

(١) ورد في الحاشية بخط حفيد المؤلف ما يلي: هذا الصدق لما ذكره بعضهم من أن أعيان حضرة الإمام نفروا من أحمد بن الحسن وكاتبوه وبايعوهم وغيرهم قاسم بن المؤيد بعد أن امتنع السيد محمد بن المتوكل خشية المفاتنة، وأنهم حثوا الإمام على أمره بالعزم إلى جهات ليسلموا من شغلته ففهم وجعل يتشاغل حتى توفي الإمام بغتة، وقد خالف أمره بعد أن أمره مراراً وكتب بخط يده وهو في أول المرض، وقد أشار إليه المؤلف رحمه الله فيما لم يرتض تقاة هذا من مسوداته.

انتهى من حفيد المؤلف يحيى بن مطهر بن إسماعيل بن يحيى بن الحسين رحمه الله.

(٢) يوجد كثير من المناطق تحمل اسم الحرجة. لم نصل إلى ما هي المقصودة.

(٣) هو أخوه محمد بن الحسن بن القاسم، سبق ذكره.

(٤) يا حاشداه أو يا بكيلاه: نسبة إلى قبيلتي حاشد وبكيل، وهما اسمان لولدي جُشم بن خيوان بن نوف بن همدان بن أوسلة بن ربيعة. وهما من أكبر قبائل همدان. وحاشد تمتد أراضيها من صنعاء شمالاً إلى بلاد صعدة، وتنقسم إلى أربعة أقسام: صريمي وخارفي وعصيمي وعذري، وتنقسم بكيل إلى أربعة أقسام: أرحب ونهم ومرهبة وشاكر. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص١٩١، ص٣٨٩).

الساعين في الأرض فساداً، ومذهبي في ذلك مذهبه، وأما ذكر الخزايا والبلايا على مختلفها، عدا من ذكر قتل جارية وكسر يد أخرى، وجعل بيت مختص بالغناء لا يدخله أحد فلو تأدبت بما أدب الله عباده من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[1] وذكر من قول الله في قصة الإفك[2] والجامع الإفتراء وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾[3] وقوله ﷺ: «لا تتبعوا عورات المسلمين»[4]، وقول أمير المؤمنين: (من عرف من أخيه وثيقة فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال)[5]، والله أعلم.

انتهى الأصل من القاسم والجواب من أحمد، وفي كل من الأصل والجواب قوة وضعف والرجوع إلى قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[6] هو الأولى في ذلك، كما ذكر بعض الفقهاء أنه بقى حائراً في هذه الأحوال مهتماً بها في بعض الأيام والليالي، فرأى في المنام أنه يقول: النفس علينا من ذاك الإمام من هؤلاء السادة، فتليت عليه الآية، والله أعلم.

وجه القوة والضعف في هذين الكتابين، أما كتاب القاسم فمنه قوله: أن الباغي يضمن الدم بالإجماع، ولم يبلغنا أنه ودى دية ولا تخلص، فهذه مسألة خلاف بين العلماء، منهم من لم يوجب الدية، فلو قال على قول من قال بوجوب ذلك[١٤٠/ ب]، ومنه قوله: وكذلك النفوس التي قتلت في زمن حي المتوكل على الله بغير حقها، فما قتل

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) قصة الإفك: هي إشاعة السوء التي بثها بعض المنافقين حول السيدة عائشة رضي الله عنها بعد غزوة بني المصطلق عام ٦هـ حين بلغت المدينة عن القافلة التي فارقها الرسول ﷺ قبيل دخولها المدينة، وكان يقود بعيرها صفوان بن المعطل، فاتهمها دعاة السوء في حصانتها إفكاً وبهتاناً. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٢، ص٥٥).

(٣) الإسراء: ٣٦.

(٤) ورد الحديث لدى: جلال الدين السيوطي: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٦، ص٩٣، وورد بلفظ مختلف في سنن أبي داود (باب في الغيبة).

(٥) قال الإمام علي كرم الله وجهه من وصية له في دفع الظنة: (أيها الناس من عرف من أخيه وثيقة دين وسداد طريق فلا يسمعن فيه أقاويل الرجال). (أحمد علي دخيل: مائة وصية للإمام علي عليه السلام، ص٤٨).

(٦) آل عمران: ٢٦.

في الحروب مع المتوكل للبغاة، ومن امتنع من تأدية الزكاة، بعد استقرار إمامة المتوكـل، فهي ساقطة بإجماع العلماء.

وأما كتاب أحمد بن الحسن في جوابه إن كنت فعلـت هـذه الأفعـال في وقـت إمـام صادق لله فيما أمر ونهى ذي شكيمة وعزيمة معروفة وصلابة ظـاهرة، ورجعـت إليـه، ومضت مدة مديدة وأنا عنده وبين يديه، وختم آخر عمـره بـأن ولاَّني بـلاد وصـاب، وكان لي مجللاً معظماً، إلى آخر ما ذكره، فهذا ليس بجواب عـلى الـسؤال والإعـتراض، وطلب المخلص منه ما جرى من تلك الأفعال، فإن سكوت ذلك الإمام عما جرى مـن تلك الأفعال وما مضى من تلك الأعمال ليس بحجة في سقوط الحقوق للعباد فإن حقه قد أخذه منه قسراً وقهراً، وأسره وأمنه، وبقي حق العباد متـى طـالبوه في رقبتـه، هـذا ضروري لا يخفي أهل البصائر، ومنهم المطالب له، ومـنهم الخـائف لـه عـن مطالبتـه، فليس بحجة ما قاله تسقط الأمور اللازمة له.

وأما ولاية وصاب له فهو كان قبل أن يخرج عليه إلى الحوادث، فإنه كان وضـع لـه ولاية وصاب، فلم يقبل ذلك منه، وسار مغاضباً من ذَمَرْمَرْ إلى ذمار عنـد صـنوه، ثـم دخل وصاب، وتقدم على عُتُمة يحارب السيد مطهـر واليهـا مـن قبـل الإمـام المؤيـد، وجرى ما جرى.

وأما تزويجه المؤيد لبنته، فليس بحجة؛ لأن رضى الولي يكفي في ذلـك ، وقـد غلـط أحمد بن صالح بن أبي الرجال في رسالته، حيث قال: أن المؤيد والمتوكل زوجـا مـن لا يحل تزويجه بإجماع العترة، كيف؟ وهو عند هذا مصرح بتصويب فعله في خروجه عـلى المؤيد بالله، فإنه ذكر الثقة أنه سمعه يقول: ولم يجازي المؤيد فيما فعلـه معنـا، وقـد كـان روى رجل من أصحابه أنه ذكر أحمد بن الحسن مـا جـرى معـه في الخـروج عـلى عمـه المؤيد ومحاربته، وذكر أن سببه إنعام والده عليه، وبره له، فتاقت نفسه إلى ما كـان ألفـه وليس فيه غير ذلك.

وأما تأخير قوله إلى هذا الوقت، فعذره ما يترتب عليه من الأحكام للرياسة العامة للإسلام، بخلاف قبل ذلك في مدة الأئمة السابقين، فالعهدة عليهم، وأما خطه بما ذكر في كتابه ففيه حجة عليه، كما ذكره.

وأما قياسه على من قتل بين يدي رسول الله ﷺ يوم بدر وأحد، فلعل قاسماً أراد مما قتله في غير القتال للبغاة على الإمام[١٤١/ أ] وذكره للقياس على من قتل بين يدي رسول الله ﷺ لا حجة فيه؛ لأن ذلك جهاد كفار بين يدي نبي من الأنبياء، فأين هذا من هذا؟ والله المستعان.

وأما الفلوس التي ذكرها فإنه استمر فيها إلى أن توفي الإمام، ولعله قصد المراجعة في ذلك، كما ذكره، والإنتظار فيها حتى ينظر ما ينتهي إليه قول الإمام، كما ذكره، وفيه ما فيه. وأما المطل بالديون فالأمر ظاهر مشهور عنه ضرورة، ولقد شكى عليَّ يتيم قماط[1] في الغنم أنه مات والده وعليه دين ما أوفاه أحمد بن الحسن ولا سلم إليه إلا مائة حرف من أصل تسع مائة حرف وأكثر، ومضت أعوام وهو يطالب أبوه حتى مات أبوه، وكذلك شهد معه على قوله بعض قرابته، وقالوا: نشفع لهم بتعريف إلى أحمد بن الحسن، فقلت لهم روحوا إلى قاضيه عبد الواسع وهو لا يترك ما يجب عليه. ومطل حسن الطحم في ألف قرش صار يدَّعيها عليه، ولم يحصل شيء له وأيس منه، وغيرهم كثير.

وأما قوله إن وجدوا قضوا وإن لم يجدوا صبر الغريم، فمخالف للإجماع في الأغنياء مع الجدة، وأنه لا يستثنى له إلا ما يستثنى للمفلس، وأنت ليس بمفلس بل واجد[2]، والخزائن مملوءة معك بالضرورة.

وأما الإحتجاج بالمؤيد أنه مات وعليه ذلك القدر، فاتفاق موته أنه استدان قبل القضاء في عامه وفي قدر مهلته، وأما المطل الطويل والخارج عن التأجيل فحرام قطعاً.

---

(١) كذا في الأصل، ولم نعرف معناها.

(٢) الواجد: هو الغني الذي لا يفتقر. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٨٨٠).

وقوله: من قال يا حاشداه أو يا بكيلاه[1] فإنه يقتل لأنه مفسد، فهو قول باطل؛ لأن المفسد في الأرض لا بد أن يكون قد قتل، وإلا لم يجز عنه قتله أصلاً، فلا حجة فيه بل التأديب له.

وأما إنكار قتل الجارية فقد اشتهر ذلك وصح، وهي جارية كانت لبنته، زوجة إسماعيل بن محمد بن أحمد بن القاسم[2] بالروضة، وكذلك تواتر قتل أفراد في المدة السابقة بالضرب بالدبوس، كالذي قتل بعد صلاة العيد في باب شعوب لما رمى إلى الداير للنصح بعد منعه له وخالفه، فالتخلص واجب عليه من جميع ذلك، والله يغفر ويرحم.

هذا في المجمع على لزومه من غير المختلف فيه، مما جرى في بغيه على المؤيد بالله مرتين في الحوادث ونقيل الشيم.

[١٤١/ ب] وكذلك أجاب على السيد يحيى بن أحمد الشرفي أحمد بن صالح بن أبي الرجال لما ذكر وصف قاسم بطهارة المنشأ، فقال أبي الرجال: التعريض بغيره -يريد أحمد بن الحسن- لا يحل، فإن العصمة منتفية عن الجميع، وقال: إذا كثرت السيئات وتاب كثرت الحسنات، ثم ساق ذلك، ولكن يقال التوبة من حقوق العباد لا بد من شرطها التخلص وإرضا الخصوم، فالأمر مشكلاً.

ومن عجائب هذا القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال أنه أكثر الذب والنضال عن أحمد بن الحسن، وأول من خطب، ثم انقلب بآخرة في أول سنة١٠٨٩هـ[3] راجعاً

---

(١) أعتقد أنه ليس من المعقول والمنطق عند أي إنسان أن يبيح قتل من قال أو يقول: يا حاشداه، يا بكيلاه، فالمسألة فيها نظر.

(٢) إسماعيل بن محمد بن أحمد بن القاسم: يذكر صاحب بغية المريد بأنه كان قد سافر إلى بلاد الروم، ورحل إلى بلاد العجم، وبقي مدة، وطاف في هذه الجهات. وأخبر بعجائب، ثم رجع إلى اليمن في أيام الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٣٦٨).

(٣) أول سنة ١٠٨٩هـ= بداية عام ١٦٧٨م.

إلى الهجو والذم، فإنه قال: ما أعظم مما وقع منا -مخاطباً نفسه- من مبايعة أحمد بن حسن رجل غير صالح، وسخط حالته لما أرجع من بابه مراراً لما وصل إلى جنابه، وبقى أكثر وقته في عَافِش[1]، وله بعض اتصال بعيال المتوكل، فلا قوة إلا بالله، بعد أن كان هو أول من خطب ومدح وعظَّم المهدي، بحيث أنه لم يكتف بخطبه وجواباته، بل جعل كراسة مستقلة في المسلمين في تصحيحه لدعوة أحمد بن الحسن، وذكر أعيان من عقدها له من السادة والقضاة وغيرهم عقد اجتماع محضرهم بالغراس، ولقد ذكر كاتب الأحرف فيها وكذب عليَّ فيها، فإني لم أحضر محضرهم، ولا بايعت بيعتهم.

وفي آخر شهر رجب وصلت رسالة من السيد أحمد بن إبراهيم المؤيدي الملقب ابن حورية، من أولها قوله: وبعد فيقول العبد الفقير إلى مولاه الهادي إلى الحق المبين أمير المؤمنين أحمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد بن عز الدين بن علي بن الحسين بن أمير المؤمنين عز الدين بن الحسن بن أمير المؤمنين علي بن المؤيد وفقه الله، حتى قال: ومن دين الله الواجب وحقه الواضح الواجب أن أوجب على الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ينصبوا إماماً عادلاً لإقامة الحدود والجهاد والجمعات، وتأمين الطرقات، ودفع المظالم من غير فرق بين قوي وضعيف، ووضع الحقوق في مواضعها في الثمانية الأصناف[2]، وشرط الفقير أن يكون غير هاشمي، والتسوية، وفي نهج البلاغة: وجوب القسم بالسوية، ثم قال: ولما رأى رسم الدين قد عفى، وعلم أن هؤلاء الذين دعوا مع فرض الكمال واجتماع الشروط المعتبرة فيهم ظاهر الإختلال، لا يسيرون إلاَّ هذه السيرة، ولا يميلون إلا نحو هذه العادة الماضية التي تخاف في السكوت عليها في مضي الأخذ بالجريرة[3]، فإنا رأينا المسكين محروماً، والضعيف مدحوضاً ومظلوماً، والفقراء من بني هاشم وغيرهم لا يجدون في

(١) عَافِش: قرية في بلاد الروس جنوب مدينة صنعاء بنحو ٢٠كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص٩٩١).

(٢) الثمانية الأصناف: ذكرهم الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠].

(٣) الجريرة: الذنب والجناية يجنيها الرجل. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٤٣٧).

أكثر الأوقات ما يسد جوعهم ويستر عورتهم، وصارت حصتهم من الفيء[1] والمصالح دولاً[2]، وقد تكلمنا في الماضي فلم يلتفت إلى أقوالنا[١٤٢/أ] ولم يعول على شيء من أعمالنا، كذلك رأينا الأخذ من الرعية غير متوقف على كتاب ولا سنة، قال: فلما رأينا الأمر هكذا وجب عليه القيام بأمر الله، والدعاء إليَّ أو من هو أصلح علماً وعملاً وزهداً وورعاً، وبقية الشروط المعتبرة، إلى آخر ما ذكره، مما محصوله هذا ونحوه. وقال: حررت تاسع عشر شهر رجب الأصب سنة سبع وثمانين وألف[3]، فلم يرفع لهذه الرسالة أحد رأساً، ولا تلقاها أحد بقبول، ولا ظهر لها عند الناس نفوذ؛ لأن صاحبها كان مناقضاً لما فيها، فإنه ما زال يفد إلى الحضرة المتوكلية مسترفداً وطالباً من الحطام المالية والكسوات الهندية كل عام ويسير بها إلى بلاده، وكان مع ذلك مقطعاً إقطاع أبيه من قبله بلاد العشة وما إليها في سباره وأصحابه، وهي من عين الزكاة التي نهى عنها وقال بتحريمها، وناقض ما ذكره من الإستيثار والمساواة، فإنه استأثر بإقطاعه عن غيره من فقراء بني هاشم وغيره من الفقراء من أهل جهته، فكان أمره لنفسه بالمعروف ونهيه عن منكره أَقْدَم[4] وأحرى، فإنه يقول الله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[5] ومرفوعات اليمن أكثرها زكاة قد حصلت البلوى بها لأكثر الخلف من الأغنياء وبني هاشم، وعزة الشروط في الفقراء الجائعين، ولا يخلو منهم من يصير إليه منها ما يصير، على أن المطالب التي ليست بزكاة كثيرة تصير إلى بعض بني هاشم والأغنياء منها جانباً وهم في ذلك وغيرهم على سوى.

وأما الأخذ من الرعية بالمطالب الكثيرة فكلامه حق، خصوصاً باليمن الأسفل مما

---

(١) الفيء: الغنيمة والخراج. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص١١٥١).

(٢) دولاً: مفردها دولة، أي يتداولونه، يقال: صار الفيء دولة بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص١٠٣٤).

(٣) رجب ١٠٨٧هـ = سبتمبر ١٦٦٧م.

(٤) أَقْدَم: بمعنى أولى وأهم.

(٥) البقرة: ٤٤.

هو لا شك من متنكر على الماضي والمستقبل، وأما القسم بالسوية ففيه الخلاف بين العلماء.

[١٤٢/ ب] وهذه الرسالة سببها لما بلغه أن عقدهم كان مشروطاً للرضى والصالح لها ففرح السيد بهذا الشرط، وكان ذريعة له في إقامة الحجة والفرض، وقالت نفسه: عسى يتأتى هذا، وكذلك قاسم بن المؤيد صار يحتج عليهم بهذا، والأمر فيه اختلاف كثير واضطراب شديد، الكل منهم بين طرفي النقيض، والحال بينهم العجيب المستفيض، مما يتعجب منه.

وفي هذه المدة التي مرت بعد موت المتوكل من هؤلاء السادة المتعارضين لم يرفع أحد منهم مظلمة ولا مطلبه زائدة، ولا عزل والٍ جائر، ولا إصلاح خلل حاصل[١٤٣/ أ] بل الأمور على ما كانت عليه في العدين وبلاد جبل صبر، وبلاد بُرَع وقُعار من الزوايد التي زادها الولاة الذين كان شكوهم، والولاة أولئك أبقوهم.

ولقد انكشف لمحمد بن الإمام لما وصل ضوران من الخزائن التي لا تنحصر بعدد، ولا يوقف فيه على حد من الذهب الأحمر والقروش والنقد، فعجب يحيى جباري قاضي الإمام من ذلك وقال: ما كنت أظن أن في خزائن الإمام هذه الممالك. يريد فما الوجه للمطالب والجور في اليمن الأسفل؟ ولا حاجة هنالك على من يقول بجواز المعونات في الهُدَن[1] فكيف لمن منعها؟ إلا عند الحاجات وعدم المكن، وهو يقال للقاضي ففي شهارة والسودة وصنعاء غير ذلك من النقديات، والله أعلم لمن تصير تلك المجموعات.

وما دار على أكثرها ثلاث سنين إلا قد راح منها الجزيل في فتنة شهارة، ثم في الجوع الحاصل بعدها والغلا في الأسعار بسبب الجراد، فإنه احتاج محمد بن الإمام إلى كثير منها، وتمزق بعضها مع حسين بن المتوكل وبعضها مع غيره من المتصرفين، حتى أن منها ما سرقها بعض الخدم[١٤٣/ ب].

(١) الهُدَن: جمع هدنة، الصلح لمدة معلومة، فإذا انقضت عادوا للحرب.

وكانت الخطب في شهارة متضمنة للحث للجهاد للبغاة الخارجين عليهم مع زيادة في الإستحداد، ويذكرون الآيات النازلة في قتال المشركين، وفي وقت الأنبياء عليهم السلام الماضين، وما عرفوا فيمن نزلت الآيات، ولا من تضمنه تلك الصفات المتلوات، كأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، وأن هذا من الغلو في الدين الذي نهى الله عنه، واقطع من عنده من الرؤسا ولا يأت وعدهم بها، وجعل بأيديهم الخطوط فيها من أرض اليمن وهو لا يمر خطه فيها، لكن أراد الترغيب لهم يعدهم ويمنيهم،وجعل لكل من وصل من الرعايا خطوط الجبريات.

وزلج أحمد بن الحسن الشيخ منصر العولقي إلى بلاده وأرجعها[١٤٤/ أ] إلى نظره، وقد كان له مدة عند حي الإمام المتوكل، منعه حسين بن الحسن عن إرجاعه، وكان ولّى صنوه بلاده، وكانت طريقه الجوف، تجنب طريق رداع لأجل الحسين بن الحسن، وجهز أحمد بن الحسن يومئذٍ حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم[(١)] إلى خمر لحفظه.

وأرسل أحمد بن الحسن القاضي جعفر بن علي بن تاج الدين[(٢)] الظفيري للسعي في الصلاح، فسار إلى شهارة وذكر له الإجتماع وسكون الدهما، وأنه إن أحب المناظرة فتصلح في أي مكان يليق بها. فلما وصل المذكور لم يقابل بقبول، وسمع خطبهم وما صاروا يأخذون في جانب أحمد بن الحسن ومن معه. وأجاب بتعذر الإجتماع في الأقوال، وأنه يدَّعي الكمال، وغيره في حيز الإهمال، والتخطئة لمن قال بانتصاب

---

(١) حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم: كان سيداً جليلاً، تقياً صالحاً، غير قاصر من العلوم، له دعوة عند وفاة الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل، ثم تنازل عنها ليوسف بن المتوكل، ولما طلع الإمام الناصر (صاحب المواهب) من اليمن الأسفل اتجه إليه الحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم مبايعاً له، فأقره الناصر على ولايته بلاد عمران وما إليها إلى أن توفي سنة ١١٠٢هـ/ ١٦٩١م. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٣٦٧-٣٦٨).

(٢) هو جعفر بن علي بن تاج الدين الظفيري، علامة أصولي، فقيه ورع، مولده ونشأته في حصن الظفير حجة. أخذ العلم عن مشاهير عصره، وأصبح عالماً محققاً، وتولى القضاء بأمر من الإمام المؤيد، ورجع إلى بلاده الظفير، ولم يزل بها حاكماً ومدرساً حتى توفي في شعبان سنة ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م. (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، مج١، تحقيق: عبدالسلام الوجيه، ص٢٧٨-٢٨٠؛ عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٢٨٢-٢٨٣؛ زبارة: ملحق البدر الطالع، ص٦٤).

أحمد بن الحسن ومن إليه مال. وكان من المحرضين لقاسم السيد يحيى بن أحمد الشرفي[١٤٤/ب] فإن السيد يحيى بن أحمد الشرفي صح عنده إمامة قاسم، ولهذا قال في جوابه على قاسم لما بعث إليه الدعوة: وذكرتم ما اهتديتم إليه من الإنتداب إلى ما ندب إليه سيد الأولين والآخرين من تحمل أعباء هذه المرتبة الجليلة، وذلك إظهار الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله وإلى الرضى من آل محمد، فذلك الفضل من الله، ولأنت الرضى من أهل هذا البيت الطيب.

وقال في جواب أحمد بن الحسن بعد أن ذكر أول الكتاب ما لفظه: هذا والمرفوع إلى مقامه العظيم ما قد أحاط به علمه الكريم من تقدم دعوة من مولانا أمير المؤمنين القاسم بن أمير المؤمنين المؤيد بالله وجهها إلى جميع الجهات، فأسرع الناس جميعاً إلى إجابتها أفراداً وثنايا، وجاءنا خصوصاً منه كتاب يخبر بها اختاره، وبها أجمع عليه أهل شهارة من أهل الحل والعقد من تحمله للأعباء، وهو لما كنا عالمين بما هو عليه من طهارة المنشأ واستكمال الشرايط[1] المعتبرة[١٤٥/أ] في ذلك الباب والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لم نجد عذراً عند الله من التوقف عن إجابة دعوته،ولا دفعاً إلا الكون في جماعته مثل قوله ﷺ: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم»[2]، ويقتضي هذا وجوب الإجابة إلى المبادرة مع انتفاء الأعذار المرخصة في التراخي، إذ الفاء للتعقيب، وهذا الكتاب من المذكور يخالف ما نقله كثير من العلماء الذين وصلوا إليه وأخبروا عن حاله فاتفقوا أنه ليس يكمل بالإجتهاد أصلاً وإنما له مسكة[3] في الفقه، ولم يكن له في الأصول معرفة هكذا أخبرنا به جماعة من العلماء منهم السيد العارف عبد الله بن محمد الكبسي قال: وهو عارف بقراءته من قبل هذه المدة وتحصيله. وكذلك الشيخ القاضي الفقيه العارف جعفر بن علي الظفيري قال: الإجتهاد ما بلغه ولا حام حوله، وغيرهما، فقول السيد باستكمال الشرائط لعله يريد في

(١) الشرايط: بمعنى الشروط.

(٢) ورد الحديث في: القاسم بن محمد: الاعتصام بحبل الله المتين. مج٥، ص٤٣٢.

(٣) مُسْكة: أي ما يتمسك به، فيقال: ولي فيه مُسْكة. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٤٨٥).

العدالة والتقوى، ولعله يريد إلى إمامة المقلد على قول الدواري المسبوق قوله بالإجماع، وبهذا حكم أيضاً الفقيه أحمد بن صالح أبي الرجال بإمامة أحمد بن الحسن، وأن الرضى بني على مذهبه؛ لأنه يقول بإمامة المقلد، وحيث كانا مقلدين، فكان دعوة المتقدم أوجب على قول مذهبهما، ودعوة أحمد كانت متقدمة بيوم وليلة على دعوة قاسم، مع ضعف هذا القول ومخالفته للإجماع، والملك لله يؤتيه من يشاء.

وأما احتجاج السيد يحيى بن أحمد الشرفي بأنه[١٤٥/ب] وجب عليه إجابة قاسم بن الإمام لحديث روى عنه ﷺ أنه قال: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه يوم القيامة»، وهذا الحديث باطل موضوع، لا أصل له ولا يسند عليه تعويل ولا رجوع، وإن كان بعض الهدوية قد ذكره بالسند المقطوع فهو بناءاً على قبول المراسيل، ورواية المجاهيل، وهو مخالف لما عليه الجماهير، منهم ومن غيرهم من العلماء النحارير[1].

وجاء الخبر يومئذٍ في عاشر شهر شعبان بأن علي بن أحمد تفرقت عليه آراء قبائل الشام، ورفع كثير منهم رؤوسها واستخفوا بما يصدر منه من الأوامر والكلام فيها، فتضعف أمره ونهيه، وانكسرت نفسه وبقي في حيرة من هذا ولا سيما مع ميل بعض جهاته إلى إجابة قاسم، والمشي إليه بالعزم الجازم، وبعضهم إلى السيد أحمد بن إبراهيم المؤيدي، وبعض بلاد الشام عن بدء، وهكذا الأيام تلعب بالفتى وتتقلب فيها تارة على الوجه، وتارة على القفا، ولله قول الشاعر:

وما الدهر إلا مجنوناً بأهله

وما صاحب الحاجات إلا معذبا

فحدثته نفسه أن يترك ما عقده من الإمامة في أمسه، أو أنه يساير من بقي معه من القبائل، ويرضى بالحاصل منهم والزايل، والله أعلم ما ينتهي إليه حاله، وما يضطر إليه مآله.

(١) النَّحارير: جمع نَحْرير، وهو الحاذق الماهر العاقل المجرب، وقيل الرجل الفطن المتقن البصير في كل شيء. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٥٩٥).

ووصل في هذا التاريخ شكاة العدين الذين أضعفهم[١٤٦/ أ] الجور والظلم لحسن. ظن بهم للإنصاف من هذا الآخر[١] بعد مضي الإمام الأول الذي لم ينصفهم في شكواهم، وما جرى عليهم من الإسترسال في أموالهم، فلما وصلوا إلى أحمد بن الحسن صاحوا بالأصوات وقالوا: هل أنت ممن يزيل الجور والظلمات؟ وتخفف ما صار عليهم من المطالب المحدثات المخترعات؟ فأرسل أحمد بن الحسن على واليهم جعفر الجرموزي، ولا يُعرف ما إليه أمرهم ينتهي.

ووصل في أثرهم شكاة من بلاد قعار من واليهم الحاج عاطف أنه استأصل أموالهم بالظلم، فطُلِب إلى حضرة أحمد بن الحسن، واستقر هؤلاء السادة متباينين ومتفرقين غير مجتمعين ولا مؤتلفين لم يتَّضعُ[٢] أحدٌ منهم للثاني، ولم يسمع المكاتبات بعضهم لبعض ولا من قاصي ولا داني، وكل منهم ادعى الإمامة على هذه الصفة المذكورة والحالة، وخطب له في حضرته ومن أجابه، فكان حالهم كما يقول القائل[٣]:

وتفرقوا فرقاً وكل قبيلة
فيها أمير المؤمنين ومنبر

وكم سعى الوسائط في الصلاح فيما بينهم، واجتماع كلمتهم، فلم يقبل نصحهم ولا صلحهم لأمر قد علمه الله فيهم، وكان حالهم كما قال بعضهم: [١٤٦/ ب]

ولا تصرفوها عن هواها وسؤلها
بعذلكم فالعذل يمنعها الصرفا
ولا تعتبوها فالعتاب يزيدها
هياماً ويسقيها مدام الهوى صرفا

ولله قول الشاعر حيث يقول:

---

(١) المقصود به الإمام المهدي أحمد بن الحسن.

(٢) يتَّضع: من التواضع، يقال: دخل فلان أمراً فوضعه دخوله فيه فاتَّضَعَ. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٩٤٢).

(٣) القائل هو مساور بن هند بن قيس بن زهير، سبق ذكره، كذلك سبق ذكر هذا البيت.

واستيقظوا فالسيل قد بلغ الزبا
وعلت عواريه على العربان
وذروا التحاسد والتنافس بينكم
وكلاهما نزغ من الشيطان
واستعملوا الإنصاف واغضوا كاشحا
لفسادكم والضم لكل لسان
وتداركوا إصلاح ما افسدتموه
ما دمتم منه على الإمكان
فتحدثوا في لم شعثكم فما
الساعى لفرقة قومه بمعان

وقد أبلى أحمد بن الحسن في العتاب غاياته وأنذرهم بأنه لا يتركهم على مخالفاته، كما قال الشاعر[1]:

لا تنكري عتبي عليك فإنه
جميل وشر الناس من لا نعاتبه
أعاتب من أهوى على قدر وده
ولا ود عندي للذي لا أعاتبه

ثم قال لسان حالهم:

فعزما فقد طالت مداراتنا للعدى
وطال بسوء العتب فينا ولوعها
فلا دار إلا حيث يهتضم العدى
ولا عز إلا حيث يبدو خضوعها

(١) الشاعر هو ابن المقرب العيوني، سبق ذكره.

فجردوا الهمة على كشف القناع، والتهيء للحرب والوقاع، ذاك من تلك الجهة، وهذا من هذه الجهة، وكان أول باديهم أن أرسلوا الحسين بن محمد بن أحمد إلى خمر، كما سبق ذكره، يوم الخميس نصف شعبان.

[١٤٧/ أ] وفي يوم السبت سابع عشر شهر شعبان وصل مشائخ الحيمة إلى حضرة محمد بن الإمام، فاستلقاهم بالتجليل والإعظام، ومن أفرادهم من سار إلى شهارة عند قاسم بن الإمام.

وفي هذه الأيام ظهر في البحر المقابل للمخاء جلاّب انكشفت فيها طعام وصل من سواحل الحبشة، لما بلغهم الجراد باليمن وارتفاع السعر.

وفي عشرين شهر شعبان غزا السيد محمد بن علي الغرباني الساكن ببرط بجماعة معه من أهل برط إلى حصن الزاهر بالجوف، فدخل جانباً منه، ووقع بينهم القتال فقتل من برط من كبارهم إثنان، وصوايب كثيرة من الجانبين، وانهزموا وأخرجوهم من الحصن بعد أن كان دخلوا.

ولما بلغ أحمد بن الحسن ذلك الحادث بعث[١٤٧/ ب] إليه غارة بجماعة من العسكر، فساروا وقد عاد أولئك النفر.

وأرسل قاسم بن المؤيد إلى مبين بحجة جماعة عسكر، ومعهم فقيه من بني الغفاري ولد أحمد هادي، وأمرهم بسياق الطعام من مدافن مبين إلى شهارة للحاجة إلى الطعام ومن معه في هذه الأيام، لعدم الثمرة بسبب الجراد وغلاء الأسعار، فشرع المذكور في السياق، وتضرر السيد علي بن حسين جحاف متولي حجة، وحصل معه بسبب ذلك المشقة.

وفي هذه الأيام بهذا التاريخ في يوم الإثنين عشرين شهرشعبان خرج إبراهيم بن حسين[1] من شهارة بأمر قاسم له إلى جهات ذيبين، ومعه من العسكر عينة.

---

(١) هو إبراهيم بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، سادس أولاد أبيه، كان سيداً جليلاً مقداماً شجاعاً، رئيساً كاملاً. شارك مع عمه القاسم بن المؤيد في الحرب ضد أحمد بن الحسن في ذيبين والأبرق. وسيتناولها المؤرخ فيما بعد بالتفصيل. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق١٦٦).

وأحمد بن حسن لماّ كان قد أمر ابن خليل باللحوق إلى خمر بلغه عند ذلك هذا الأمر، فاسترجعهم[١٤٨/ أ] وبنى على التجهيز والتأكد، وتحركت عليه الأمور الساكنة والتأكيد، واختل عليه الأمر الذي كان يظنه، فإنه كان قال: ما يظن أن أحداً يخالفه أو يخرج عن أمره.

وعند هذا انتبه أحمد بن الحسن عرف أن الدهر يتقلص، وأن الأوقات قد تنغص، وأيس عن رجوع أحد من هؤلاء الدعاة المعارضين له إلى طاعته، والإصرار منهم على مخالفته ومنابذته، تعب باطن خاطره وكثر الشاغل معه، غير أنه مراعي لجانب بعض من اتباعه لما شرطوا عليه في إجابته وبيعته وهو محمد بن الإمام وغيره، فإنه شرط أن تكون السيرة سيرة الحسبة[١]، فلا يبدي بالغزو، وعامة الناس وخاصة أصحابه ما زالوا يحرضونه على الغزو وهو عند نفسه ليس بمحتسب، فوافق قولهم ما يهواه.

[١٤٨/ ب] وفي يوم الثلاثاء سابع وعشرين شهر شعبان جهز المهدي أحمد بن الحسن الشيخ زيد بن خليل الهمداني إلى عمران، وأمر محمد بن أحمد بتجهيز من عنده من غير توان.

وجهز عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن[٢]، ومعه جماعة من الأعيان إلى جهة بلاد ذيبين، فسار الجميع إلى تلك الجهة التي إليها أمروا، فوصل عبد الله بن يحيى إلى المقضضة من بلاد الصَيَد[٣] وبها استقروا، ووصل ابن خليل إلى عمران، وسبب هذه الحركة وصول إبراهيم بن حسين إلى ذيبين، كما سبق ذكره، ووصول حسن بن

---

(١) سبق ذكر مهام المحتسب في عدم وجود إمام تتوفر فيه شروط الإمامة، والمحتسب لا يحق له أن يغزو إلى منطقة أخرى، غير أن أحمد بن الحسن كان قد نصب نفسه إماماً وليس محتسب.

(٢) عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن بن القاسم: كان سيداً نجيباً طاهراً، وكان عاملاً في العدين من قبل الإمام المؤيد محمد بن المتوكل، ولما دعا الإمام الناصر (صاحب المواهب) حصل منه خلاف عليه، وكان من المحاصرين له في المنصورة مع بقية معظم آل القاسم. ولما هُزموا هرب إلى مكة فبقي أياماً ثم عاد وحبسه الناصر في قصر صنعاء، فبقي أياماً وتوفي. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٢٣١).

(٣) بلاد الصَيَد: أحد فروع قبيلة خَارِف الحاشدية وهي خمسة أقسام. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٩٢٨).

حسين[1] إلى العر، ومحمد بن الإمام جهز إلى حصن ثلا ابن ناجي لحفظه عن دخوله والتقدم على أهله؛ لأنهم أظهروا الميل إلى إجابة السيد قاسم، ووجه عقبه أحمد بن الحسن أيضاً ولده علي بن أحمد[2] بجماعة من العسكر فمروا ثلا ثم نزلوا وادي لاعة يريدون الصلبة وحجة.

ووجه أحمد بن محمد بن حسين إلى الصلبة وحفظ بلاد ملحان وحفاش، فسار الجميع إلى حيث أُمروا به، وكانت طريق أحمد بن محمد من الأهْجِر والمحْويت، والأمير عبد القادر كان وصل إلى بلاده من قبل قاسم بن المؤيد بعض أصحابه، [١٤٩/ أ] فمنهم من وصل إلى مسور، ومنهم إلى بيت عِذَاقة، ومنهم إلى الطويلة، فجهز الأمير إلى مسور السيد صلاح بن يحيى بن أحمد سند في جماعة من العسكر، للسكون في مسور، وحفظه عن أحد يصل إليه، فقبضه وطرد من قد وصله، فسار الجميع إلى هنالك، وأزالوا من وصل من أولئك.

وعبد الله بن أحمد بن القاسم لما وصل من صعدة إلى شهارة بأولاد حسن بن المتوكل سكن وبايع القاسم، ويحيى بن حسين بن المؤيد وصل إلى أحمد بن الحسن إلى الغراس، وباين[3] عمه القاسم، ولم يدخل شهارة لما خرج من صعدة، فكان حالهم كما قال الشاعر:

سارت مشرِّقة وسرت مغرِّباً
شتان ما بين مشرِّق ومغرِّب

---

(١) حسن بن حسين: لعله الحسن بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم. وهو ثاني أبناء أبيه الحسين، وشقيق يحيى بن الحسين بن المؤيد. وهو ابن أخو القاسم بن المؤيد، لذا استعان به كما استعان بأخيه إبراهيم بن الحسين كما سبق معنا. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ١٦٤).

(٢) علي بن أحمد: هو علي بن أحمد بن الحسن بن القاسم. أورد المؤرخ يحيى بن الحسين دوره في حياة والده أحمد بن الحسن ومساعدته له خلال تتبعه للأوضاع السياسية في هذه الفترة. ولم أجد له ترجمة أخرى.

(٣) باين: فارق، والمُبَاينة: المفارقة، وتباين القوم: تهاجروا. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٣٠٠).

وفي هذا الشهر بالعشر الأولى منه وصل القاسم بن محمد بن أحمد بن القاسم[1] من عند صنوه علي بن أحمد صاحب صعدة بجواب الرسالة، وأنه داخل في الجماعة، ومجيب لأحمد بن الحسن على كل حاله. فاغتاظ صاحب شهارة من ذلك، وضاق صدره، وعيل[2] صبره، وكَلَّ[3] جهده فيما قد عاناه من الناس، وطلبه، فلم يجبه غير أهل[١٤٩/ ب] بلده ومن بقربه، بعد أن كانت طارت كتبه إلى جميع النواحي، وفيها من التخطية والخط في جانب من لم يدخل في أمره ونهيه وإجابته.

ولما كثرت الكتب إلى صنعاء والرسل خرج عليها المهدي، ومنع عن كل من وصل بها، فتقالل أمرها، وسكن كثرة ما كان يصل منها.

وفي يوم الإثنين ثالث رمضان سار محمد بن الإمام إلى ضوران، يعتذر بتنفيذ وصايا الإمام وافتقاد بيوت أبيه، وحفظ المخازين عن تصرفات أخيه، ويباعد نفسه عن المخارج إلى جهات شهارة بعروض الشك معه في الأحوال، ومحبة أن يكون انتظامها بواسطة غيره، والداخل في الأمر غير معذور، لكن المهدي أحمد بن الحسن ربما يعذره لجلالة قدرة عنده، وكونه القائم ببيعته أول أمره، واعتذر المذكور بأنه ما كان يظن أنه يؤدي إلى التفرق والمحذور، وأنه أما إذا أدى إلى الشرور والحروب فحاله يكره ذلك، وأحمد بن الحسن المهدي ذكر له أن بعد ابتداهم في المخارج، وإرسال[١٥٠/ أ] جنودهم في المشارق والمغارب ليس بعده ترك ملاقاتهم.

ووصل كتاب من السيد يحيى بن إبراهيم من جحاف إلى من قرأه من الناس فيه تعظيم الإختلاف، وما يجري بسببه من الفساد وعدم الصلاح والإئتلاف، وانتهاك الحرمات، ولاوح السيد بل صرح بأنه كان يجب أن يبقى السيد قاسم بشهارة على حالة الإمامة،

---

(١) كذا في الأصل، الأصح: القاسم بن أحمد بن القاسم؛ لأن المؤرخ يقول: وصل من عند صنوه علي بن أحمد بن القاسم، والقاسم هذا كان سيداً جليلاً فاضلاً عارفاً ورعاً. له اطلاع في العلوم ومذاكرة، لازم الإمام المهدي أحمد بن الحسن خلال دعوته بالإمامة. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٣٩٠).

(٢) عِيْل صبره: فهو معُول: غُلِب. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٩٣١).

(٣) كَلَّ جهده: أعْيا. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٢٨٧).

والمهدي على حاله، وأنه قد كان يوسف الداعي[1] والقاسم بن علي العياني[2] كذلك أيامهم.

وهذا قول غير صحيح، واحتجاج غير مليح، لأن انتصاب قائمين في قطر واحد مع تقارب الديار، لم يقل به أحد من العلماء، ولا يتم به صلاح المسلمين، فإن الأهواء للناس مختلفة، وطباع البشر غير مجتمعة، مع طعن هذا في هذا وكل يدعي أنه الإمام المحق[١٥٠/ ب]، وإنما ذلك يتم لو لم يتسمَّوا بالإمامة ويجعلوها حسبة، وأنهم في درجة، فكل يبقى متصرفاً على جهاته وحوزته، غير قاصد لجهة غير ولايته.

وفي هذه الأيام سار أهل الغصيرة من بلاد خمر إلى حضرة قاسم صاحب شهارة وبايعوه وسلموا إليه واجباتهم، فأرسل عليهم المهدي ومحمد بن أحمد والي البلاد من أول بأدب.

ووصلت يومئذٍ هدية من حضرموت وكتاب إلى المهدي وأنهم إليه منتمون.

ووصل الشيخ جعفر الذي أرسله محمد بن المتوكل إلى السودة بالدراهم التي كانت في خزانة أبيه مجموعة، فوصل بها إلى ولده محمد بصنعاء.

وفي هذه الأيام اشتدت الأزمة والغلا ببلاد الأهنوم، ولولا سياق حصن مبين من بلاد حجة إلى قاسم لما وجد شيئاً، فإنه قد كان أرسل قدر ألف نفر رتبة في مبين وحجة، وبقى السياق إلى شهارة هذه المدة منها ومن الشرف.

وفي سادس عشر رمضان وصل الخبر بدخول أحمد بن محمد إلى حفاش واستقراره

---

(١) يوسف الداعي: هو الإمام يوسف بن يحيى بن الناصر بن يحيى بن الحسين، الإمام الداعي: دعا إلى نفسه بالإمامة من ريدة سنة ٣٦٧هـ، وقيل سنة ٣٣٨هـ/ ٩٤٩م ودخل صنعاء. ودخل في حرب مع الإمام القاسم العياني، ثم مال إليه عامل صنعاء من قبل القاسم العياني، وخطب له فيها، وتوفي بصعدة سنة ٤٠٣هـ. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٢، ص٩٢٢-٩٢٣).

(٢) القاسم بن علي العياني: هو الإمام المنصور بالله القاسم بن علي بن عبد الله العياني (٣١٠-٣٩٣هـ/ ٩٢٢-١٠٠٢م). دعا إلى نفسه بالإمامة في شوال سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م كان أكثر مكوثه في بلاد خثعم، دخل صعدة، ثم توجه إلى نجران، وخالف عليه أهل صعدة، فاستعان في حربهم بقبائل همدان، وخرج منها الإمام يوسف بن يحيى بن الناصر، وولاها ابنه جعفر بن القاسم، بينما كان يوسف الداعي قد خطب له القاسم الزيدي في صنعاء حين قدم إليها. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٣، ص١٥١٠-١٥١١).

بالضفتين[1]، واتفق قتل واحد من عسكره على سبب الخِطَاط، في بعض بيوت البلاد.

وفي هذه الأيام جهز المهدي ولده علي بن أحمد بن الحسن إلى ثلا، فدخل ثلا وسكن بحصنه، وأصحابه بالمدينة؛ لأجل أنه بلغه ميلهم إلى صاحب شهارة، ثم توجه نازلاً إلى بلاد الصلبة، بعد أن نزل أيضاً صاحب كوكبان إلى قراضة[2]. وكان القاسم قد رتب[١٥١/ أ] في الصلبة رتبة قوية، فسارت عليه الأجناد الأحمدية والتقت من حفاش أحمد بن محمد، ومن قراضة صاحب كوكبان عبد القادر بن الناصر، ومن بلاد علي بن أحمد بجنودهم وعساكرهم وقصدوا إلى الصلبة.

وكان صاحب شهارة قد أرسل ولده إسماعيل[3] بعساكر معه من الأهنوم ومن ظليمة، وقد كان اسماعيل بن قاسم في حبور، فسار إلى حجة، ودخل حصن مبين بحجة، وكان دخوله يوم الأحد ثالث وعشرين شهر رمضان، وتقاربت جنود المهدي إلى الصلبة[١٥١/ ب]، فأول داخل إليها أحمد بن محمد بن الحسين نزل من حفاش بعد دخوله إليه واستقراره بعض أيام فيه، فلما وصلها راسل إلى رتبتها، وكان بعضهم في بيوت بني قُطَيْل[4] فوق سوقها، وبعضهم في سوقها، وهم قدر مائة نفر، منهم قدر ستين نفراً في بيوت بني قطيل والباقي بسوقها، فراسلهم أحمد بن محمد بالإجابة وعدم المخالفة، وأنهم يريدون دخول الصلبة، وكان رئيسهم النقيب أبو راوية من ظليمة، يقول في جوابه: لا يمكن الدخول، ولا يصدر منا مواجهة ولا وصول. وكان من جملتهم جماعة من أهل الحيمة ومن الشرف، فواجه أهل الحيمة، وأهل الشرف هربوا بلادهم، وثبت النقيب وأصحابه من ظليمة والأهنوم فكان قدرهم في بيوت بني قطيل قدر ستين نفراً، ولما كان جوابهم كذلك تقدم أول أصحاب أحمد بن محمد في الطريق

(١) لم أجدها في المصادر المتوفرة لديّ.

(٢) قُراضة: قرية في نواحي مدينة المحويت. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٢٥٨).

(٣) لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من المصادر، ولم يذكر صاحب بغية المريد اسم إسماعيل من بين أبناء القاسم بن المؤيد.

(٤) بنو قُطَيْل: بطن من حجور بن أسلم بن عليَّان بن زيد بن عُرَيْب بن جُشم بن حاشد. لهم بقية في جبل عيال يزيد غربي مدينة عمران. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٢٨٦).

يريدون[١٥٢/ أ] دخول الصلبة، فدفع الرتبة إليهم البنادق، فأصابوا منهم جماعة، ثم تلازم الحرب في يوم الأربعاء سادس وعشرين شهر رمضان من أول شروق الشمس إلى قريب آخر النهار، ووصل عند ذلك جنود كوكبان، وعلي بن أحمد بن الحسن، وحسن بن محمد بن أحمد بن القاسم[١] وهم الجميع حول أربعة آلاف، ولفوا عليهم من جميع الجهات على البيوت والسوق، فاستولوا عليهم وقتلو منهم أكثرهم.

قيل: جملة الفايت[٢] منهم قدر ستة وثلاثين نفراً، منهم النقيب أبو راوية الظليمي، والذي قتل من أصحاب المهدي أحمد بن الحسن قدر عشرة وصوايب في جماعات، وانتهب العسكر سوق الصلبة من الدراهم والبز، ولم يتركوا فيه لأحد ما يدخر، وأكثر النهب على البانيان الذين فيه؛ لأنهم ما رفعوا الذي معهم قبل الدخول إليه[١٥٢/ ب] فراح مالهم وأسبابهم[٣]، وخرجوا منها فقراء لا يملكون شيئاً، وكان جماعات من التجار قد رفعوا أموالهم، قبل وقوع الحرب، فسلمت أموالهم فلا قوة إلا بالله.

وباع الناهبون الشقة بعشرين بقشة والثوب بنصف ثمنه، رزق الحرام حرام، لا هم انتفعوا به الإنتفاع التام، ولا هم تركوه لأهله وسلمو من الآثام.

ووصل إلى صنعاء من ضوران يوم الجمعة ثامن وعشرين شهر رمضان حسين بن المتوكل بأصحابه وهم قدر أربعمائة ومن أصحاب والده، وخرج يوم ثاني إلى حضرة أحمد بن الحسن إلى الغراس وكان عيد الفطر بحضرته معه، فاظهر أن موجب وصوله انه يريد السعي في الإصلاح، وانه كان برأي من صنوه محمد وحسين بن الحسن وعلي بن المتوكل لما اجتمعوا بذمار، وأنه يريد العزم إلى شهارة.

وظهر أن مضمون هذا الرأي أنهم الجميع يجتمعون ويختارون من يجمع عليه

(١) حسن بن محمد بن أحمد بن القاسم: ذكره صاحب بغية المريد بأنه ثالث أبناء أبيه، وأن له ولد اسمه محمد بن الحسن، ولم يذكر له ترجمة أخرى. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٣٦٨).
(٢) الفايت: أي الذين قُتلوا من أتباع القاسم بن المؤيد.
(٣) مالهم وأسبابهم: أي أموالهم وتجارتهم. وقد سبق ذكر ذلك.

الحاضرون، فلم يعجب هذا الرأي أحمد بن الحسن.

[١٥٣/ أ] **وقيل**: إنما اعتذر بذلك، وإلا فسيره مغضباً لصنوه لما منعه من التصرف في المخازين وضيق عليه وحمل من خزانة بيت المال بضوران من الدراهم كثيراً، وكان صنوه محمد يومئذٍ غائباً في ذمار، وسار بها من ضوران، وأن ميلته في الباطن إلى القاسم صاحب شهارة.

وفي يوم الثلاثاء ثاني يوم في شهر شوال خرج أحمد بن الحسن من الغراس إلى موضع يسمى الحِمَا[1] طرف الرَّحَبَة، وخيم فيه بالخيام، وجمع فيه القبائل من بني الحارث وبني حشيش، وحثهم على السير معه والإرتحال مع من جمع من ذيبان وعيال عبد الله وهمدان، فاجتمع عنده خلق كثير. وحسين بن المتوكل فارقه من ذلك المقام، بقصد ما قاله من ذلك الكلام، وسار جهة شهارة. وكان قد وصل القاضي محمد قيس الثلائي من شهارة إلى حضرة أحمد بن الحسن ليلة العيد، واتفق وصوله عند وصول خبر الصلبة وما جرى فيها من الفعلة، فاستنكر ذلك القاضي، وكان قد أراد الصلح بين الرجلين، وأنه يكون القاسم إماماً في جهات شهارة والبلاد التي قد أجابته، ولا ضرر هناك في هذه الساعة كما هو مذهب الجارودية فإنهم صححوا الإمامة[١٥٣/ ب] في العصر الواحد المتضايق لإثنين فأكثر، وهو قول باطل بحصول الإختلاف المؤدي إلى الفساد، فلم يسعد أحمد بن الحسن، وقال: إن هذا ما قد جرى مثله في أرض اليمن من السابقين، وهو مظنة التنازع والفتن (وسيفان في غمد لا يصلحان ولا يتفقان) في قطر واحد ولا يجتمعان، ولكن إذا أرد إقطاع تلك البلاد التي أجابته وتوليته والإعتزاء إلينا فعلنا ذلك وأجبنا، وكان يوم ثاني خروجه كما ذكرنا. وعند ذلك الحادث في حجة واجه أكثر بلاد حجة ووصل مشائخهم، وطلبوا الأمان على بلادهم، فهم في ذلك وقد وصل عبد الله بن أحمد بن القاسم من جهة القاسم بن محمد[2] بعساكره خارجاً من

---

(١) الحِمَا: مركز إداري من مديرية بني الحارث في شمالي صنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٤٩٦).

(٢) أي القاسم بن المؤيد محمد بن القاسم.

السودة، فدخل إلى حَوْرَة[1]، فحصل مع أهل البلاد الخوف العظيم والوجل الجسيم، لأجل ما قد جرى منهم من المواجهة إلى جهة أصحاب أحمد بن الحسن[١٥٤/ أ]، فعند ذلك سلموا الأمر وتوقفوا وعبدالله بن أحمد حجر عليهم، وغلق على بلادهم بسكونه في حَوْرَة، ولو كان أرادها عساكر أحمد بن الحسن بعد دخولهم الصلبة كانت البلدة مفرغة، إلا أنهم سكنوا عقب الحرب بالقرى حول الصلبة مثل المرواح والمحاضة.

وجاء الخبر يوم العيد أن أحمد بن المؤيد صنو القاسم أجاش القبائل، ونَكَّفهم[2] وأرسل إلى بلادهم، وغزا إلى خمر، فأحاط بالدار التي فيها حسين بن محمد بن أحمد، ومنع عنهم الماء، فاحتازوا قدر يوم ورموا إلى أولئك، أصابوا أربعة أو خمسة ثم اضطروا إلى الخروج لعدم الماء، فطلب حسين بن محمد ومن معه الأمان والخروج عن ذلك المكان فوضع لهم الأمان، وسلَّموا له الدار[١٥٤/ ب] بما فيه من المال، وسار حسين بن محمد إلى حَمِدة[3]، وكتب إلى والده وإلى أحمد بن الحسن. ولما دخل أحمد بن المؤيد تصرف في الطعامات الجميع وأنفقها على نفسه ومن معه من العسكر والقبائل، كأنه لا رحامة بينهم ولا صداقة، فإن أحمد بن المؤيد أخته زوجة محمد بن أحمد في الدار، حصل معها الفزع وتعذر عليها الفرار، ولله قول الشاعر:

ونهاية الدنيا وغاية أهلها

مُلْك يزول وستر قومٍ يهتك

فلا قوة إلا بالله من هذه الأفعال.

---

(١) حورة: هناك الكثير من المناطق تحمل اسم حَوْرَة، والمقصودة هنا: الساحة الغربية لمدينة حَجَة. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٥٣١).

(٢) نَكَّف: استدعاهم وطلبهم (من اللهجة العامية) وقد وردت لدى ابن منظور بمعاني مختلفة. غير المقصودة هنا.

(٣) حَمِدة: مدينة أثرية تقع في ناحية جبل عيال يزيد من محافظة صنعاء، وتبعد عن ريدة بحوالي ٦٠كم باتجاه الشمال. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، ج٢، ص ٢٨١، الموسوعة اليمنية، ج١، ص٤٢٠).

وعند ذلك جهز محمد بن أحمد جماعة غارة قبل أن يشعر بخروج ولده، فوصلوا إلى نقيل عَجِيْب[1]، ولقاهم الحسين، فعادوا معه، وأحمد بن الحسن هو الذي حمله على الخروج من الغراس والمبادرة بالإرتحال بالناس، ثم سار إلى ذيفان[2] يوم السبت سادس شهر شوال، وسار معه محمد بن أحمد بن القاسم وخيم في ذيفان هذه الأيام[١٥٥/ أ]، فلما وصل إليه أقبلت قبائل البون مواجهة.

وأرسل محمد بن الإمام إلى صنوه حسن الشيخ العارف جعفر بن علي تاج الدين إلى مبين بدراهم.

وفي هذه الأيام ارتفعت الأسعار بسبب ضعف الثمرة، وأكل الجراد لها بالمرة، لم يبق إلا القليل في بعض الجهات، فبلغ القدح البر إلى أربعة والشعير إلى حرفين ومائة واشتدت الحاجة مع الكافة، فالحكمة لله تعالى فيما شاء وأراده.

واجتمع على الناس عُسرين الغلاء وهذه الفتنة، فالله يرحم العباد.

وفي أول شهر شوال منها رجع زحل في آخر برج الثور بالمشاهدة له، كان قد حاذى الثريا ثم رجع عنها إلى الورى.

وفي هذه الأيام أرسل القاسم بن الإمام رتبة من العسكر[١٥٥/ ب] إلى رأس نقيل عجيب لحفظه وَرَدَّ من وصله، وكثر العسكر إلى حجة من جايش القبائل، وأحمد بن الحسن تقدم من ذيفان إلى الماجلين، وكان قد أرسل يوم العيد بدراهم ومصروف لأهل شهارة ولقاسم بمثل ذلك وكسوة، وهم في طرفي نقيض، يريد أن لها عندهم أثر في التقريب، وهم إنما صاروا يستعينون بذلك على ما هم بصدده والإهتمام به، وصار في هذا الجوع كلما وصل إليهم استغاثوا به، فلقد حصل معهم من المعونة بذلك وبما نهبوه من قصر خمر ما لا يزيد

---

(١) نقيل عَجِيْب: منطقة بالقرب من مدينة ريدة جنوباً ويطلق على النقيل: (غولة عجيب). (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٠٢٣).

(٢) ذيفان: مركز إداري من مديرية رَيْدَة وأعمال عَمْران. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٦٥٧).

عليه، حتى بلغ القدح بخمر عند خروج الطعامات بدون الحرف كل قدح بعد أن كان بثلاثة، فجاء الجمع والتعب من أحمد بن الحسن ومحمد بن أحمد للناس، وأن هذا من العجائب، ومما يستغرب من الغرائب [١٥٦/ أ]فكان هذا كما قال ابن المقرب:

والبخل خير من الإحسان في نفر
أبرُّهم لك من أغرى ومن شتما
واضع الجود في أعداء نعمته
كمودع الذيب في برية غنما[١]

وزاد أحمد بن الحسن عزز بمكاتبة ظناً منه أنه يؤثر، لأجل نهضته والمقاربة، فكان جوابه المعاتبة والشدة في المخاطبة.

وأقطع أحمد بن الحسن يحيى بن حسين بن المؤيد بالله ولاية يَرِيْم وما حولها من البلاد لمطالبته له وملاحقته لشدة رغبته إلى الولاية والعلو والرياسة؛ لأجل ما قاساه من التضرر بعدم توليته في زمن المتوكل، فما زال من ذلك التاريخ بعد وفاة عمه علي بن المؤيد صاحب صنعاء يتعرض للولاية، والمتوكل أعرض عنه، ولم يساعد رأيه، فلم يستقر به قرار، وما زال في الحركات والأسفار إلى مكة يعتذر بالحج المرة بعد المرة، ومرة يقول" يدخل العراق، ويجاور مشهد علي [١٥٦/ ب] ومرة يقول يريد الدعوة فلم يجبه أحد إلى ما طلب، وكان آخر أمره دخوله بلاد عفار، ثم خروجه عنه إلى صعدة ونيته كانت بدخوله مكة، حتى وقع موت الإمام، فعاد وسكن وحصل له أمنيته من الولاية والرياسة واطمأن. واحمد بن الحسن أحب التركيز به على بني المؤيد بالله؛ لأنه منهم.

ومحمد بن الإمام وحسين بن حسن وعلي بن الإمام اتفق رأيهم الجميع أنهم ينتظرون ما يكون بين الرجلين ومن يغلب منهم الآخر ولا يشاركون في الحضور في

(١) سبق أن ذكر المؤرخ هذين البيتين.

الحرب لأنه إنما أقام أحمد بن الحسن إقامة حسبة لا إمامه تامة، هذا قول محمد بن الإمام، وأن الإمام ليس له أن يغزو إلي غير جهته التي أطاعته، كما قرره علماء الإسلام، فلذلك تباعد المذكور إلى ضوران، وترك ذلك[١٥٧/ أ] المرام.

ونزل من شهارة علي بن قاسم بن المؤيد بالله[١] أرسله والده إلى الأمروخ من بلاد الشرف، سكن فيه وكتب إلى أصحاب أحمد بن الحسن: بأنه لا يجوز لكم الإقدام إلى هذه البلاد، وأنكم إن طلبتم من القاسم من البلاد ما أردتم فعل لكم مطلوبكم وولاَّكم. وكان قد وصل أمر من أحمد بن الحسن بالتوجه إلى حجة والقصد لتلك الجهة، ثم كان خلاله وصول كتاب من محمد بن الإمام إليهم أنه قد أرسل صنوه حسين بن الإمام إلى شهارة للخوض في الصلح، فلا يفتح شيء حتى يعود الجواب، وكان قد أرسل علي بن أحمد بن الحسن الخياطي بجماعة عسكر رتبة في وعيلة[٢] طرف بلاد لاعة غربي مسور فوق بلاد هربة[٣] من حجة، فكتب إليه عبد الله بن أحمد[١٥٧/ ب] من حورة انه يرتفع من وعيلة، فلم يسعده إلى قوله، ولم يلتفت إلى أمره ثم إنه توعده إن لم يخرج عنها، فكتب إلى حضرة علي بن أحمد وهو بنواحي الصلبة يطلب منه زيادة في العسكر والمادة، فأرسلوا إلى ذلك المكان رتبة قوية، وأرسل الأمير عبد القادر أيضاً إلى شَهمة السيد يحيى بن إبراهيم في جماعة لحفظ أطراف بلاد لاعة، وأرسلوا الفقيه محمد بن نجم الدين في صلح خمسة أيام آخرها يوم الأربعاء عاشر شهر شوال، بينما تعود الجوابات من السيدين أحمد وقاسم، وأرسل علي بن المهدي أحمد بن الحسن من الصلبة رتبة إلى الطور[٤]. وبلغ خبر الإشتجار بين النقيب ابن جلا الأهنومي وبين المحبشي في بلاد[١٥٨/ أ] الضحي من تهامة، لأن المحبشي اعتزى إلى

---

(١) علي بن القاسم بن المؤيد بالله، ذكره صاحب بغية المريد بأنه أكبر أبناء أبيه، وله من الأولاد زيد بن علي، ولم يذكر له ترجمة أخرى. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ١٧٣).

(٢) وَعيلة: شرح المؤرخ موقعها.

(٣) هَرْبة: مركز إداري شرقي مدينة حجة، يقع أسفل وادي شرس. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٨١٥).

(٤) الطَّور: وادٍ في السفوح الغربية لبلاد حجة، على بعد نحو ٣٥كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٩٦٤).

أحمد بن الحسن وابن جلا إلى القاسم بن المؤيد، وصاروا متراكزين هنالك.

وفي هذه الأيام حال وقوف الشمس ورجوعها زادت الأنهار، وغالت[1] كثير من الأودية الغيول الخيرية مثل وادي سعوان قرب صنعاء اليمن فإنه ظهر غيله وسقى أمواله، وهو قد يخرج في غزر الأمطار، وينتفع به أهله في حال ذلك، لكنه لا يستمر ظهوره بل يخرج في أوقات.

ولما بلغ القاسم ومقادمته[2] في حجة خروج أحمد بن الحسن ارتجفوا وقهقر عزمهم وتصميمهم الأول وانقبضوا وسقط في أيديهم.

[١٥٨/ب] وفي هذا الشهر توفي السيد يحيى بن إبراهيم صاحب عارضة[3] كوكبان، كان مع صاحب كوكبان أميراً كبيراً، وله قطعة بلاد، وكان صاحب ثروة ورياسة، وكانت وفاته بمنابر تهامة في محل يقال له: الطور بجوار تهامة مما يلي جبال لاعة، وكان نزوله إلى هنالك مع علي بن أحمد بن الحسن، لأجل ما جرى من ابن جلا في تهامة من قبل القاسم، ومات جماعات في الطور لما فيه من الوباء الحاصل في الحقار[4] بآجالهم.

وفي يوم الجمعة عقب الصلاة عشرين شهر شوال سار عبد الله بن يحيى والسيد صلاح بن محمد من المقضضة التي في بلاد الصيد بعد أن استقروا فيها قدر شهرين إلى بلاد بني جُبَر، ونزلوا في مكان يقال له: العيانة، وصلَّوا فيها الجمعة، فلم يشعروا وهم كذلك حال الصلاة إلا بحضور الغزاة وهم: السيد إبراهيم بن حسين بن المؤيد بالله بمن معه من ذيبين والقبائل من عيال أسد[5] والأهنوم ووادعة مجموعين، ورموا بالبنادق إليهم، ولم تأخذهم رحمة عليهم، فقتلوا منهم نقيباً وآخر معه وصوايب في

(١) غالت: غير معجمة في الأصل، ولعله يقصد كَثُرت الغيول وزادت في الأودية.

(٢) مقادمته: مفردها مَقْدَمي: وهو القائد، والمقادمة: القادة.

(٣) عارضة كوكبان: قرية في عرض جبل كوكبان، وينفتح سفحها الشرقي والشمالي على منحدر يطل على مدينة شبام. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ٩٨٩).

(٤) الحقار: مصطلح يعني المناطق الجافة الحقيرة. (الشرقي: اللآلئ المضيئة، ج٣،ص٦٤٧).

(٥) عيال أسد: سبق ذكرهم.

آخرين، ثم إنهم دافعوا على أنفسهم وقاتلوهم، فقتلوا منهم قدر ستة ومصاويب، ثم انهزموا إلى ذيبين لما دنا عليهم الليل ورأوا من أصواب الحرب فيهم والمقتولين ما كانوا عنه غافلين.

وبلغ أحمد بن الحسن وهو بالماجلين هذه القضية بعد أن جاء تحقيقها من السيد عبد الله بن يحيى والسيد صلاح وطلبهم للمادة، فأرسل أحمد بن الحسن في الليل عقب العشاء بغارة نافعة من همدان، وساروا في الليل إلى تلك الوديان، فلما اجتمعوا بأصحابهم[١٥٩/ أ] وتحققوا خبرهم وما جرى فيهم قصدوا إلى بلد ذيبين، لمناجزتهم في الحرب في ذلك الحين، فصابحوهم بكرة يوم السبت ثاني ذلك اليوم الذي جرى فيه ما جرى بالأمس، فلما عرف بنو أسد بوصول الغارة هربوا آخر ليلهم، وكان قد أرسل إليهم أحمد بن الحسن وبذل لهم بعض شيء. وبقى إبراهيم بن حسين بمن بقى من خاصته، واحتازوا في البيوت، ولم يبرزوا إلى الخروج عنها إلى الخبوت[١]، وشنوا على الواصلين البنادق، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وفعلة جسيمة، وكان أكثر القتل في همدان، لما حملوا أول القوم في تلك الهضبان، يقال: إن قدرهم نحو ثلاثين أو أكثر للإختلاف في جملتهم، ثم غشيهم القوم ودخلوا البيوت، وعلوهم منها بالحتوف، وانتهبوا البلد لما حصل فيهم من الذي فيها، وقتلوا منهم نحو ثمانية وكفوا عنهم. وبقى إبراهيم بن حسين [١٥٩/ ب] محتازاً[٢] في دار المشهد، فلما لم يبق له طاقة في هذه الحالة خاطب بالأمان وأنه يخرج إلى شهارة، فأمنوه وسار إليها وقد جرى ما جرى فيها، وأسروا جماعة حال الحرب من أولئك الفعالة، وأتوا بهم إلى الحضرة الأحمدية المهدية، فأطلق رقابهم وعفى عنهم وساروا بلادهم.

وكان المباشر لأكثر القتل بالرمي إبراهيم بن حسين ونقيب من وادعة، واشتهر عن إبراهيم بن حسين أنه ممن يعتمد الشراب بشهارة، وأنه قد ظهر عليه السكر غير مرة،

---

(١) الخبوت: الخَبْتُ: ما اتسع من بطون الأرض، عربية محضة، وجمعه أخبات وخبوت. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٧٨١).

(٢) احتاز: حوصر، ومحتازاً: محاصراً.

وأرسل المهدي أحمد بن الحسن حينئذٍ بيوم الأحد بلقاً[1] وعسكراً إلى بلاد الكِلْبيِّين[2] شرقي بلاد خمر، وهو سار من الماجلين يوم الإثنين، وجاءت طريقه ما بين حمدة وبين نقيل عجيب طالعاً إلى بلاد خمر، فلم يشعر أحمد بن المؤيد إلا بدخول أحمد بن الحسن إلى بلد يشيع غربي خمر، ورأى خيامه ووطاقاته وبلغه وصول العسكر إلى الكلبيين من شرقيه، فبقى حائر الفكر في أمره وكيف يكون عمله، وسقط في يده، ودارت عليه دوائر محنة، مع مواجهة مشائخ وادعة إلى أحمد بن الحسن ووصولهم إليه عند وصوله، فلم يسعه عند ذلك إلا يذكر ما قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[3] وخرج صبح يوم الأربعاء إلى الحضرة الأحمدية للمواجهة، وتسليم الأمر وعدم المنازعة، بعد أن كان قد أنهى في مناصبته أوامره، وكان قد رتب نقيل عجيب برتبة ورتب فوق حمدة رتبة وعينة، فانقشعت جميع هذه الرتب عند طلوع المذكور من الطريق الوسطى، وحصل معهم الريب.

وبقى قاسم في شهارة يشاهد هو والأهنوم ما كان أشار عليه أهل النصائح، ووقع فيما حذروه منه لعدم استنصاحه النصائح[١٦٠/ ب]. وخرجت عينة من العسكر الذين بعمران ودخلوا الخَدْرَة[4]، فأحاطوا برتبة المضلعة من خلفها، وطلعوا إلى الهجر بني قطيل، وأشرفوا على رأس الجبل المطل على كحلان والمعازب، فهرب بعض رتبة العرة في الأشمور حينئذٍ وكذلك المضلعة، وواجهت بلاد كحلان وغيرها من تلك الجهة.

---

(١) بلقاً: البلق أو البُلَيق اسم فرس كما أورده ابن منظور، ولعل المؤرخ هنا يقصد أن أحمد بن الحسن أرسل خيولاً وعسكراً. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص ٢٥٩).

(٢) الكِلْبيُّون: بطن من قبائل خارف من حاشد، وقد شرح المؤرخ موقعهم. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٣٥٠).

(٣) آل عمران: ٢٦.

(٤) الخِدْرَة: من أكبر قرى جبل عيال يزيد، شمال غرب مدينة عمران بمسافة ١٢كم. (المقحفي: معجم البلدان، مج١، ص٥٦١).

ووصل محمد بن الإمام من ضوران إلى صنعاء يوم الاثنين ثالث وعشرين شهر شوال وصنوه على أمره بالسكون بمدينة ذمار، وفرحان عاد من شهارة إلى حضرة أحمد بن الحسن وأمره بالعزم لموسم الحج إلى بيت الله الحرام، على مقتضى عادته، وأمر محمد بن الإمام بزلاجه.

وكان قد وصل السيد أحمد بن إبراهيم المؤيدي الذي كان دعا في بني جماعة بشام صعدة إلى شهارة، وابن جلا صاحب حسن ابن المتوكل سكن في بيت الفقيه [١٦١/أ] [و][1] الزيدية[2] بتهامة، معتزياً إلى جناب القاسم صاحب شهارة، وخرج عند وصول المحبشي من بلاد الضحي وتلك الجهة، وسار إلى بيته بجبلة، وساق ابن جلا من تهامة الطعامات إلى شهارة، فلما عرف بذلك الذين بالصلبة قصدوا إلى طريقهم في بلاد بني قَيْس[3] مساقط حجة، فمنعوهم وانتهبوا عليهم، فانقطع السياق حينئذٍ من تهامة إلى شهارة، فحصل التضرر معهم، وكان قد أرسل أحمد بن الحسن إلى تلك الجهة السيد حسين بن معل، وجاب[4] طريق ضوران وبلاد آنس.

ووصل خبر بأن الهياثم[5] في بلاد مشرق رداع دخلوا إلى حصن دَثِينة[6]، وقتلوا من رتبته نفرين، واستولوا على جملته، فتغير حسين بن حسن؛ لأنها موجهة إليه، وفي حوزته، وفسح أحمد بن الحسن للشيخ الهيثمي بالعزم إلى جهاته.

ودار هذا الوقت الغلا في الأسعار مع الأمطار في فصل الشتاء، والله يفيض [١٦١/ب][على][7] المسلمين بالخير الشامل برحمته.

---

(١) أُضيف الواو ليستقيم المعنى.

(٢) الزيدية: من المدن الحديثة في بطن تهامة، بالقرب من وادي سردد، في الجهة الشمالية الشرقية من الحديدة. (الموسوعة اليمنية، ج١، ص٤٩٩).

(٣) بنو قَيْس: مديرية من مديريات محافظة حجة، عاصمتها مدينة الطور. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٣٠٩).

(٤) جاب: قطعها، يقال جاب المفازة والظلمة جوباً واجتابها: قطعها، وقد يقال: جاب البلاد، قطعها سيراً. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٥٢٦).

(٥) الهياثم: بلاد الهيثمي. سبق ذكره.

(٦) سبق ذكرها.

(٧) أُضيفت [على] ليستقيم المعنى.

ونزل هذه الأيام بصنعاء ثلج من السماء في فصل الشتاء عند رجوع الشمس، أصبح على الأرض مفروشاً، وعلى ساحاتها مبسوطاً كالملح المدقوق، فإذا حمت الشمس ماع[1] وقل ما يتفق فيها، فلذلك يؤرخ ذكره لندوره، وأما محل عادته فهو جبل قاهر حضور، يقع فيه كثير من السنين.

وجاء الخبر عاشر شهر القعدة بأن أحمد بن الحسن تقدم إلى جهة شهارة فبات في غربان ثم سار إلى البطنة اليوم الثاني ودخل وادي أَقَرَ المعروف ببيت القابعي. وكان خروجه من خمر يوم الإثنين ثامن القعدة ودخوله بيت القابعي يوم الأربعاء. وظهر الخبر من المهدي أن القاسم إن نزل من شهارة فهو المقصود وسكنت الحالة، وإن لم طلع شهارة، فإن واجه فهو المطلوب وإن حاربوا تحاربوا، والمحطة التي كانت بذيبين من أصحاب المهدي لحقت[١٦٢/ أ] إلى بيت القابعي، فكان جملة الذين بحضرته حول سبعة آلاف وقيل أكثر.

والسيد أحمد بن إبراهيم المؤيدي عزم من حضرة القاسم يومئذٍ، وأحمد بن الحسن في غربان، وولاه القاسم بن المؤيد جبل رازح ولاية ما لها أصل ولا صحة؛ لأن أمرها والحكم فيها إلى علي بن أحمد يومئذٍ، لتغلبه عليها بعد خروج حسن بن المتوكل عنها.

وفي هذه الأيام أرسل القاسم إلى الشَّاهِل[2] بالشرف جماعة من القبائل الأهنومية، ومن معه من غيرهم من البلاد الشامية، فدخلوا إليه وكشفوا أهل البلد ودخلوا بيوتهم قهراً عليهم من أشراف وغيرهم، ولم يسلم إلا بيت السيد يحيى بن أحمد الشرفي فكان ذلك أعظم حادث على بلد الشاهل، وسبب دخولهم إليه[١٦٢/ ب] وإرسال القاسم عليه أنه بلغ القاسم بن المؤيد أن محطة الصلبة تريد الطلوع إلى الشاهل؛ لأجل الإستيلا على الشرف بالأمر القاهر، فأرسل هؤلاء إليه لحفظه وإصلاحه وما هو في التحقيق إلا لإفساده وهتكه؛ لأن سبب ما صار يرسل من الرتب يحصل فيها الحرب، فتقع على

(١) ماع: أي ذاب الثلج.

(٢) الشَّاهِل: جبل في بلاد الشرف، يقع بالشمال الغربي من مدينة حجة بمسافة ٣٧كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨٤٢).

البلد الذي فيها الضرر والنهب فما هذه الأفعال من صلاح الإسلام، ولا من الرحمة لهم والدفع عنهم، ولكن بعد دخول أحمد بن الحسن بيت القابعي لم يبق لهم تابعي، والعجب من السيد يحيى بن أحمد الشرفي الشاهلي ما يذكر إنكار والده على مرجان شاوش في مدة دولة أولاد مطهر، فاذكر أن أصحابه دخلوا [١٦٣/ أ] بيوت الشرايف في الشرف، وأن سبب ذلك كان قيام السيد علي العالم والسيد علي العابد لإنكار ذلك المنكر، وأنه جهز عليهم عساكر السلطنة فطردوهم ولم يثمر فعلهم[١]، فكيف رضى السيد يحيى بن أحمد الشرفي من صاحبه القاسم بهذا؟ فالحق لا يحابى مع تشدده في الأمر للناس بفعل الواجب، وإلا فكان من كلمة الحق التي يراد بها الباطل، مع أن السيد صار يشدد ويحرج في تحريم التتن الذي لا دليل صحيح على قوله، فكيف ترك الواجب بالإجماع وتعاطى ما لا يقول به من عرف العلم بزعمه ووسعة الباع. وكان يجب عليه أن يقول لهم: اذكروا لقاسم يخرج لكم الخيام لتسكنوا فيها وتتركوا بيوت أهلها، كما هو قاعدة عساكر السلطنة، والأئمة أولى بفعل الخير والمحسنة: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٢] وحسن بن المتوكل بعد أن بلغه دخول المهدي إلى بيت القابعي خرج من حصن مبين مواجهاً إلى حضرته، وأهل حبور بظليمة خطبوا لأحمد بن الحسن واسقطوا ذكر القاسم[١٦٣/ ب]، فلما رأى ذلك منهم وما وقع من ميلهم بقى حائر الفكر هائماً في أمر الإمامة غاصاً بريقه في بلع ما قد جرى إلى قلبه من تحمل الزعامة، تقول نفسه كيف تطرح نفسك بعد العلو ويسقط ذلك السمو؟ إن النفس لأمارة بالسوء.

ولكنه لما ضاقت عليه مجاري نفوذ الكلام، وصار في حبل الزمام، وحكمت عليه المقادير وليس لأحد من قضاء الله اعتصام، فإن الملك ملكه يعطيه من يشاء من خلقه، اضطر إلى

(١) أورد المؤرخ يحيى بن الحسين في الجزء الأول رسالة لأحمد بن محمد الشرفي، الذي هو والد يحيى الشرفي المذكور هنا، وهذه الرسالة أرسلها للحسن بن القاسم يدعوه إلى نبذ الاختلاف مع الإمام المؤيد، ويذكره بأجداده ودورهم في حرب العثمانيين وإصلاح ذات البين ومنهم علي بن إبراهيم العابد السابق ذكره. (يحيى الحسين، ج١، تحقيق: الباحثة، ق٢٠أ-٢١ب).

(٢) البقرة: ٤٤.

الإلتقاء والنزول إلى حضرة أحمد بن الحسن لينتظره ما يقول، وكان نزوله يوم السبت ثاني عشر شهر القعدة، ووصل يومئذٍ ولد علي بن أحمد صاحب صعدة إلى بيت القابعي واجتمع بتلك الحضرة ومعه قافلة من الطعام؛ لأن جهات صعدة كانت صالحة الثمرة سالمة من الجراد بالنظر إلى غيرها، السعر فيها بحرف مع وسعة الحب فيها والكثرة.

وعند هذا سكنت بعض أحوال العباد وقرت عن ما كان من الإختلاف والفساد، وخضع أهل الأهواء[١٦٤/ أ] ودانت رقابهم إلى الدخول في جماعة المسلمين كرهاً.

رضيت قسر وعلى القسر رضا[١]

والله يجمع كلمة المسلمين ويصلح أمورهم.

قالوا: وكان وصوله إلى بيوت والده المؤيد بالله التي ببيت القابعي، وكان أحمد بن الحسن في وطاقه في الحدبة الشرقية التي قريب مصلى الجمعة، ولما دخل المذكور إلى محل والده وصل أحمد بن الحسن إلى حضرته، ولم يحصل من القاسم التنحي عن ما دخل فيه، غير أنهم يريدون المراود والأمل أن أحمد بن الحسن يواليه وهم على ذلك.

واتفق أنه جرى بين بعض أصحاب المهدي وأصحاب قاسم خصام، ومهاوشة وكلام، فانتهب بسبب ذلك سوق قاسم بن الإمام، ثم إن أحمد بن الحسن عند ذلك[١٦٤/ ب] اجتمع هو والقاسم بن المؤيد وصنوه أحمد بن المؤيد وأحمد بن المتوكل وحسين بن المتوكل وحسن في الوطاق العام. وذكر أحمد بن الحسن ما يكون عليه حزم الكلام وما ذاك الذي يبني عليه في التمام، فأجاب القاسم أنه يريد المحاكمة فيما بينهم، وأنه لا ينزع نفسه مما دخل فيه إليهم. فأجاب أحمد بن الحسن بأن هذا الذي طلبت كان يصلح قبل أن يجري ما جرى بيننا وبينك من الحروب، وقبل الحركة

---

(١) عجز البيت:

من كان ذا سخط على صرف القضاء

(النص، ج١، ق١٠٦ب).

والجمع للجيوش والخطوب، وأما الآن فما بقي عندي مناظرة ولا محاكمة غير الدخول فيما دخل فيه الجماعة، فأوجم القاسم عن الخطاب، وسكت عما يجاب، وتكلم صنوه أحمد بن المؤيد ببعض الكلام، ثم إنهم طلبوا من أحمد بن الحسن المهلة إلى عقب العيد، وصار القاسم[١٦٥/ أ] حائر الفكرة متبلد القريحة مغضباً، لو أنه يجد قوة، وكان ذلك يوم الخميس سابع عشر شهر القعدة. وطلب أحمد بن الحسن عند ذلك من القاسم تسليم السلاح من الذين معه من الأهنوم مما أصله لوالده الحسن بن القاسم، وأنه معهم في حكم المغصوب، كل ذلك لأجل إقامة الحجة عليه.

وفي هذه الأيام خرج الداعي الغرباني، الذي ببرط، يؤم بلاد نجران، يريد العزم إلى الأطراف خشية من أحمد بن الحسن لا يقصده، لأجل ما جرى منه من الخلاف وأحب ذلك أهل برط، لئلا يحصل عليهم بسببه من المعرة في بلادهم، والدخول للجنود إلى جهتهم. فلما وصل المذكور إلى بلاد نجران منعه الأمير أحمد الجوفي المتولي هنالك، وقال له: لا يمكن مرورك، وأراد القبض عليه وشفع فيه الجماعة الذي سايروه من بلاد برط وقالوا: يرجع من حيث جاء.

والقاسم طلع شهارة يوم الإثنين حادي وعشرين شهر القعدة بمن معه، وأحمد بن الحسن بقي بمكانه، وكانت مع صلاة الجمعة الماضية القاسم غربي بيت القابعي، وأحمد بن الحسن شرقيه، كل منهما وحده بأصحابه وبعض العسكرين ما صَلَّوا لحفظهم للآخرين، لخوف بعضهم بعضاً. وعلي بن أحمد بن الحسن سار من محطة الصلبة إلى الطور لأجل النقيب بن جلا، فضايقه في الضحي ثم استأمن وبذل له الأمان وسار بلاده الأهنوم، وقبض علي بن أحمد الضحي وبيت الفقيه.

[١٦٥/ ب]وفي ثالث شهر الحجه نزل حسن بن حسين بن المؤيد من غرة الأشمور إلى كحلان تاج الدين، وسكن بيت الهوسي(١)، وسط البلد، وجرت يده بالسبار

(١) ذُكرت لدى المقحفي: بنو هوس: قرية في جبل عَفَّار، تقع جنوب بلدة الصاية، وعدادها من مديرية كحلان عفار وأعمال حجة. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٨٣٣).

للعسكر مع طول المستقر.

وفي هذه الأيام اشتد الجوع بمخلاف جعفر[1] بإب وجبلة وبلادها بسبب الجراد التي حصلت فيها مع الجور من الولاة بها، فمات كثير منهم جوعاً، وبعضهم نجع ورحل عنها إلى تهامة، وبعضهم إلى اليمن الأعلى في أشد حالة.

وانقطعت طريق شهارة من الباب العدني[2] ومن طريق سوق الثلوث ووادي رجم وبقي لهم الباب الغربي والطريق التي تنزل من نجد بني حمرة[3] وهنوم إلى صومل ومور وجهة الشرف، وحجة مستمرة، إلا أنه قد نفد ما في الشرف من المدافن وحصن مبين. وانقطع السياق الذي كان من تهامة بعد الإستيلا عليها من علي بن أحمد، وطرد ابن جلا عنها، والحكم على بيت الفقيه والضحي، وزوال أوامرهم منها فرجع سبارالرتب والعسكر على القبائل، فتضرروا من ذلك، وفتر بسببه الإعتقاد الأول الذي كان معهم للقاسم، وشاهدوا عياناً ما حل بهم من الضرر بمن عندهم.

والقاسم صار يتعلل بحضور القضاة، فأمر أحمد بن الحسن إليهم السيد عبد الله الكبسي وقال: لا تعذرهم، فسار القاضي علي بن جابر الهبل قاضي صنعاء والخطيب محمد بن إبراهيم السحولي وقاضي ضوران وذمار يحي جباري[١٦٦/ أ] وقاسم طلب قضاته السيد يحيى بن أحمد الشرفي من الشرف والقاضي محمد بن علي قيس والسيد يحيى بن إبراهيم بن جحاف وإسماعيل[4] من حبور، فاعتذر السيد يحيى الشرفي، وأرسل برسالة بتصحيح إمامة قاسم عنده، وحضر ابن قيس وبني جحاف إسماعيل ويحيى إلى شهارة في نصف شهر الحجة، وما زال الخوض في ذلك هذه المدة، ولم تظهر له ثمرة.

---

(١) مخلاف جعفر: هو ما يُسمى اليوم العُدين وإبّ والمذيخرة والسحول. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٣٣٧).

(٢) العدني: أي الجنوبي.

(٣) نجد بني حمرة: يقع إلى الغرب من شهارة. (النص، ج٢، ق ١٧٦ب).

(٤) هو إسماعيل بن إبراهيم جحاف أخو يحيى بن إبراهيم السابق له. وقد ورد ذكره وترجمته.

وهذه الأيام ظهر عن جماعات من فقهاء صنعاء المكاتبة والميل إلى جناب القاسم صاحب شهارة ومنهم الناظر على الوقف يحيى بن حسين السحولي، فإنه نقل عنه أن أرسل ببعض شيء من الدراهم من الوقف وخطب للقاسم بشهارة خطبة العيد، بتحريض أصحابه على الجهاد، وحثهم على الصدق والإنقياد، وخرج يوم الغدير مظهراً التعظيمة وأعطى جماعات من الأهنوم من بنادقه، وأظهر تغليظ التخطئة بجناب أحمد بن الحسن. وظهر منهم من الأقوال والأفعال ما هو سبب في الوحشة والإشتجار، فإنه بعد طلوع قاسم شهارة حصل رمي إلى وطاق أحمد بن الحسن ببيت القابعي من الجبل في الليل، وكان يصدر أصوات فيها الشتم والميل، فكان سبب ذلك انتقاله إلى المطرح الآخر؛ لأجل أن ذلك كان قريباً[١٦٦/ ب] من جبل شهارة ليزول ضررهم، وكان قد جرى في بيت القاسم ببيت القابعي قبيل طلوعه حريق خرب جانب الثلث، وما وقع من الفرقة ونهب سوقه وتلاقحت من الجانبين أسباب الشحناء والعداوة والبغضاء، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأحمد بن الحسن بعد طلوع القاسم تحول من بيت القابعي إلى قريب مسور، شرقي جبل شهارة كونه أنزه من بيت القابعي، فاستقر فيه في شهر القعدة منها وظهر من الخواص من أصحاب أولاد الإمام المتوكل هذه الأيام أنهم ما عدلوا إلى جناب أحمد بن الحسن واتبعوه في أمرهم وتقليدهم إلا وصية الإمام إسماعيل لهم لَمَّا حصل الحاصل من علي بن أحمد واشتد الألم بالمتوكل مع ما حصل من الغم، فقال لمحمد ولده في وصيته الآخرة: إن وقع عليه حال، فلا تعدل عن أحمد بن الحسن لأجل تباشر علي بن أحمد وغيره من أولاد[١٦٧/ أ] المؤيد. هكذا ظهر الخبر به عنهم مع أنه أولاً قبل قضية علي بن أحمد قد روي أنه أوصى إلى ولده محمد بأنه خليفته وولي عهده، فنقضه هذا الأمر الآخر لما حركه عليه ما جرى من علي من الأمر الساهر ولكل شيء سبب، فلله الأمر من قبل ومن بعد والملك لله يعطيه من يشاء من أهل النهي والأمر، وهو المذكور في مختصر الجفر.

وأخبر السيد عبد الله الكبسي عن حقائق حالات القاسم، وأن العلم والإجتهاد غير حاصل فيه ولا كامل، وإنما له مشاركة في الفقه لا يخرج به عن التقليد، وأنه يعرف حاله من قبل هذه المدة مع الإتصال به في هذا الوقت والحضور عنده، وذكر ما نصحه به من الإجتماع بأحمد بن الحسن وترك الإفتراق؛ لأجل صلاح الإسلام[١٦٧/ ب] وتأثيره عن الشقاق، مع كثرة المائلين إلى أحمد بن الحسن والإتباع، وحصل له فرض مسألة للترجي في الإنخراط إلى المساعدة بأن قال له: حيث ذكرت أنه لم يكن لك عذر في التنحي، فانظر إلى حالة الحسن[1] في تنحيه، وخلع نفسه وترك إمامته ومصلحته لمعاوية صيانة للمسلمين، وهو ممن قال النبي ﷺ فيه: «سيصلح بولدي هذا بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[2]، وقال فيه: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[3] الحديث كما في الصحيحين، قال: فلم يجد ذلك عنده ولا ظهر معه ثمره، قال والحرب بذيبين الجاري سببه أمر القاسم لمن فيه بالقصد إلى حرب عبد الله بن يحيى ومن معه، فهو البادي[١٦٨/ أ].

قال: والمهدي ما كان عزمه وخروجه من الغراس بنية الحرب، بل الإصلاح والقرب من القاسم للترجي في الإتفاق، وترك الإفتراق، ولما سُئل عن الأمر الذي شاع مع الناس من إباحة القاسم لأموال المسلمين لأصحابه، ووعدهم بانتهابه، وتحويلات في بعض بيوتهم لأتباعه قال: هو شائع، قال: وعلى الجملة أن أحوال القاسم وصنوه أحمد ومن معه من أهل شهارة موحشة في سوء الإعتقادات بالمسلمين، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال السيد عبد الله الكبسي والسيد أحمد الملقب ابن حورية[4] المؤيدي لما كان قد بايع القاسم قبيل وصول المهدي أحمد بن الحسن، ونزل السيد عن شهارة اتفق وصول

---

(١) يقصد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

(٣) ورد الحديث لدى الحسين بن إسماعيل الجرجاني: الاعتبار وسلوة العارفين، تحقيق: عبد السلام الوجيه، ص ٦٦٣.

(٤) هو أحمد بن إبراهيم المؤيدي، سبقت الترجمة له.

المهدي، فاضطر إلى لقياه، فأعطى وأحسن إليه وعذره أحمد بن الحسن[١٦٨/ ب] من البيعة وقال له: ليس عليك بعد بيعة القاسم إلا السكون في بيتك، والتوقف حتى يستقر الأمر، وزلجه ومن معه وسار جهته، فلما وصل إلى العمشية ببلاد سفيان، قصده جماعة من قبائل سفيان، واقعوه وانتهبوه واصتاب بصوب وصنوه معه، ثم لما قارب صعدة أرسل له علي بن أحمد جماعة أدخلوه صعدة واعتقله فيها وسقطت إمامته ودعواته التي سبقت، وتلاشت اعتراضاته، وردوه، فعاد إلى حضرة أحمد بن الحسن على هذه الحالة. فانظر أسباب الخفة ومن يريد الفتنة، فإنه أولاً كان دعا لنفسه، ثم ثانياً قصد إلى قاسم بايعه، ثم ثالثاً سار إلى حضرة أحمد بن الحسن.

قال السيد: وظهر أن المسبب لذلك أحمد بن المؤيد كتب إلى صُبَارة[1] بذلك لما حصل من السيد المرور على المهدي وعدم تنفيذ أمر صنوه، والله أعلم.

وعلى الجملة أن الأمور عجيبة[١٦٩/ أ] قال: وأشار عليه القاضي محمد بن قيس لما سار إليه أنه يماطل أحمد بن الحسن في المهل وأن مع ذلك لعله يرجع الأمر إليه، لما كان قد أراد الصلح بأنه يبقى إمام في بلاده التي قد أجابته، وهذا إمام في الجهة التي إليه، وهذه قسمة ضيزى[2]، ومخالفة للإجماع واتباع الأهواء، ولذلك لما قام سعد بن عبادة[3] في الأنصار وقام أبو بكر قال الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فقال عمر: سيفان في غمد لا يصلحان، وإنما كان فرضهم الجميع لو أنهم اتبعوا الواجب عليهم وتركوا أهواء أنفسهم وصلاح المسلمين أن يجمعوا كلمتهم على نصب واحد منهم، ويتركوا التفرق، وينظروا بذلك صلاح المسلمين[١٦٩/ ب] إذا وجدوا احداً منهم كاملاً بالإمامة، قالوا: فإنا متبعون له غير خارجين عن منصبه؛ لأن كمال الإمامة هو الواجب اتباعه إذا وجد وحصل أهله، وإن لم يوجد المجتهد الكامل بشروطها، وقالوا أما

(١) صُبَارة: من قبائل سفيان في شمال مدينة حوث. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٨٩٣.

(٢) ضيزى: أي قسمة جائرة.

(٣) سعد بن عبادة: هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن حرام بن خزيمة. سيد الخزرج، يكنى أبا ثابت وأبا قيس. شهد العقبة، واختلف في شهوده بدراً، وكان سيداً جواداً، وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها. وكان وجيهاً في الأنصار، ذا رئاسة وسيادة. (المبارك بن محمد بن الأثير الجزري: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج٢، ص ٢٩٩).

الإجتهاد فغير معلوم في أحد أو وجد مجتهد وامتنع فيرجع مع تعذره إلى نصب أمير حسبة يجمع شمل المسلمين ويلم شعثهم ويدفع ظالمهم من مظلومهم، ولا إمامة ولا بيعة، بل انتصاب؛ لأن البيعة إنما تكون لكامل الشروط، هذا كان عليهم أولاً، وكان عليهم ثانياً بعد صدور هذا الإفتراق وعدم المساعدة إلى الإجتماع والإتفاق[١٧٠/ أ] أن يقولوا لهم الواجب عليكم أن تمحوا التسمي بالإمامة وينتصب أحدكم حسبة من فيه صلاح الأمة، أو يكون انتصابكم حسبة في البلاد التي قد أجابتكم، وتقرر الأحكام هكذا، وتبرم على هذا.

ولكن حصلت الطامة الكبرى أن كل منهم غير مُسَلِّم أنه يكون محتسباً وأنه إمام كامل الشروط، وهو لا يستنبط مسألة ولا يجيب بعرفان في حادثة، فهذه القضية الكبرى، والحالة التي تزاحمت فيها الأهواء، وكل من أصحابهم قائم معهم، غير معترف بنقص مراتبهم، وبعضهم مضطر إلى كتم ما يكرهه من نزع الأمر عنه خشية واتقاءً فعند هذا وتعذر انخراطه رجع القول إلى قول أهل السنة في تقرير مدعي الإمامات القهرية بالغلبة القسرية، فمن غلب منهم جرى عليه أمرهم[١٧٠/ ب].

وفي هذا الشهر اشتد الجوع والغلا في الأسعار مع جميع المسلمين، بلغ القدح البر إلى خمسة حروف والذرة إلى أربعة ونصف والشعير ثلاثة وربع، وعم الغني والفقير، والله لطيف بعباده.

وزادت الشدة مع أهل شهارة بقل الطعام، لما نفد حصن مبين هذه الايام انقطع السياق من تهامة وعدم الثمار في حجة والشرف هذه المدة إلا ثمرة حقيرة من الربيع لا تكاد تكفي إلا أهلها، مع ما نالهم من المشاركة للرتب بمطالباتهم لهم فيها، فضاقت أنفا سهم من ذلك الأمر.

وجاء الخبر من الجهات الهندية أنه خرج خارجي على سلطانها من الرازبوت، وفعلوا مع عساكر سلطان الإسلام فعلة عظيمة ومكيدة جسيمة عليهم فكسرهم فهلك منهم طائفة، ثم انعطف عساكر سلطان الإسلام عليهم، فكسروهم وقتلوا منهم، وكسروا شوكتهم.

وفي هذا الشهر[١٧١/ أ] فرق محمد بن المتوكل إسماعيل بن القاسم الصدقة الهندية التي كانت وصلت، وهي من سلطان الهند للشرايف والأشراف تفرق، وعلى الفقراء من أهل اليمن تنفق، فوافقت هذه الأزمة الشديدة، فصارت في محلها، وكان للسلطان بها الثواب الجزيل، خصوصاً مع موافقة الحاجة إليها، فانظر هذه الصدقة التي جاءت من الأقطار البعيدة من غير سؤال خالصة نافعة.

وهذه الدولة كانت هي الأولى بالصرف لفقراء جهاتها، وأنه لا يضيع عمل عامل، والله يقول: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾(١).

ودخلت سنة ثمان وثمانين وألف(٢)

استهلت بالجمعة بالرؤية وبالحساب، وفي هذا اليوم اتفق قران المشتري والزهرة في برج الدلو، وكانت الزهرة المرتفعة على المشتري.

وفي هذا الشهر اتفق أن رجلاً من أهل الظهرين بحجة مات وغسل وكفن وحمل على نعشه، فبينما هم في قبره ويريدون إدخاله إذ قد[١٧١/ ب] انتعش وجرى فيه روحه، فسبحان المحي المميت، فأعاده أهله إلى بيته حياً.

وأرسل أحمد بن الحسن بكتاب إلى سادة شهارة وفقهائها، يقول فيه:



السادة العلماء الأخيار، زادهم الله صلاحاً وفلاحاً وسلام الله عليهم ورحمة الله وبركاته ومرضاته، وبعد: فإني أحمد الله الذي لا إله سواه، وأصلي وأسلم على نبي الله

(١) الحديد: ٧.

(٢) ١ محرم ١٠٨٨هـ = ٥ مارس ١٦٧٧م.

وآله، وأعرِّفكم أني قد وصلت إلى هذه الجهة أريد جمع الكلمة وتمام الألفة، وكان الصنو قاسم قد طلب مني أن أجمع جماعة من السادة والفقهاء أهل العلم ليحكموا بيننا بما يريهم الله، أسْعدته لذلك طلباً لحقن الدماء، وسكون الدهما، واقتداء برسول الله في قبوله صلح الحديبية على غيظ من أصحابه، وبأمير المؤمنين، لما طلب منه معاوية التحكيم بعد أن قال علي: كلمة حق يراد بها باطل، فلما رأوا أن في ذلك حقن دماء وسكون دهما أجاب وإن كنت وكان صنوي -أصلحه الله- ليس فينا من هو كقريش أهل مكة ولا كمعاوية وأهل الشام وكان الأجل لوصول العلماء إلى خمر بعد العيد، فما وصل ذلك الوقت إلا وبلغ أن الصنو أصلحه الله كتب إلى القبائل يستنهضهم عليَّ، وأمر أهل هذه الجهات أن لا تجلب إلى هذه المحطة التي أنا فيها شيء، مع إيهامات توجب تخطفاً في الطرقات[١٧٢/ أ] وحسبنا الله من هذه الأفعال الموصلة إلى المقاطعات. وما أجر هذا الأمر منه على ما أراه إلا التسرع منه إلى ما يوجب سفك دماء محترمة ونهب أموال معظمة، فإن الهجر[(١)] هذا رتبة، وفيه أموال لأهله ولأهل صعدة إذا أثار الصنو الفتنة توجهت إليه عينه، وكان أمره كأمر ذيبين، وكأني به يرسل عينة إلى حبور، فيكون فيه ماكان في الصلبة، ثم يقول نهبت أموالاً وسفكت الدماء، ولا ينظر من المسبب لذلك، فإن قد أجابني من صعدة إلى حضرموت، وما زال يكتب إلى الناس ويقول ما يقول حتى كادت الأمور تنهار، وجهز على غير نظر ولا اختيار، فنهضت وكان ما كان إلى الآن، وبقي في نفسي هؤلاء الأهنوم فإنهم أهل سوابق عظيمة، فيجب عليكم مناصحة أخي هذا أن يتقي الله في هذه النبذة التي مالت إليه، فإني أكبر منه سناً، وأشهر كلمة، وأكثر إجابة ورأياً وخبرة، والعلم إن أراد أن يختبر فله الإختبار، انتهى.

أخبرني القاضي أحمد بن علي العنسي وهو من المائلين إلى القاسم قال : سأل أحمد بن الحسن سائل في الخطيب يوم الجمعة إذا قهقه، فقال يتوضأ قال وقال له السيد عبد الله بن محمد الكبسي: أن فتوى جاءت إلى أحمد بن الحسن في دين لازم لغريمه، وليس

---

(١) توجد العديد من المناطق تحمل اسم الهجر، إلا أن الأقرب إلى الأهنوم: هي التي في جبل ذَرَى، أحد جبال شهارة بالأهنوم. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٨٠٠).

معه إلا أطيان، قال: فأجاب: نظرة إلى ميسرة، فقال له السيد: هذا خلاف الإجماع، فإن الواجب مع المطالبة، ثم يقطع له من ماله ولا يبقى له إلا ما يبقى للمفلس. والقاسم ذكر أنه سُئل في أصول الفقه في بحث العموم، فلم يجد عنده السائل فيه معرفة. ويقال: أن له بعض شيء في الفقه، والله أعلم بحقيقة ذلك، ومتحمل هذه الزعامة إن أراد كمال لشروط الإمامة لا بد له من المعرفة الكاملة في مسائل الفقه وخلاف العلماء، وأما مجرد دعوى الإجتهاد، وأنه يقول كذا أو يقول فلان كيفما ما اتفق وظهر له ولم يرسخ قدمه في الفقه مجازفة ظاهرة[١٧٢/ ب]. ورأيت فتوى له في أن امرأة باعت في مرض موتها من مالها بغبن في حجة، فهل ينفذ؟ أجاب بأن البيع لا يصح مع الغبن، وهذا غلط فاحش على جميع الأقوال، أما ما على قول الهادوية والحنفية فلأن الوصية بالحج والبيع تنفذ في مرض الموت من الثلث، وفي الغبن من الثلث أيضاً، وأما على قول الشافعية وغيرهم حيث قالو: بأن الحج من رأس المال فينفذ في الغبن من الثلث، وأما قيمة المثل فينفذ من رأس المال.

أخبرني بعض السادة أن المهدي أفتى بأن الفقير إذا حج قبل الإستطاعة لا يصح حجه وعليه الحج وهو خلاف الإجماع.

وأخبرني بعض السادة أنه وقف على كتاب إلى أحمد بن الحسن من بعض الناس يقول فيه: أنها وصلت فتوى منكم وعليها علامتكم في مسألة واحدة مختلفة فيها خمسة أجوبة ينقض بعضها بعضاً، وهذا تخليط منكم ومن أهل حضرتكم، وصار الحال كما قال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾[(١)]، قال: فتغير المهدي من ذلك، وسألته هل له معرفة؟ وكيف القراءة معه في شرح التجريد[(٢)]،

(١) الزخرف: ٨٣.

(٢) شرح التجريد: الكتاب لمؤلفه الإمام المؤيد بالله أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين الهاروني (٣٣٣-٤١١هـ/ ٩٤٤-١٠٢٠م) والكتاب في أربعة مجلدات، وهو شرح لكتابه (التجريد) الذي حرر فيه فقه الإمامين الهادي يحيى بن الحسين وجده القاسم الرسي. (عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص١٠١).

فقال: مجرد حضور وما رأينا هناك شيئاً من العلم إلا مجرد الحضور.

وأخبرني بعض الفقهاء الثقات أنه سأله سائل وهو بحضرته في مال ابتاع بقروش والصرف يوم البيع بثلاثة أحرف، وجاء شافع يشفع والصرف من أربعة أحرف، فأجاب: الشفعة قد بطلت، قال: وغير ذلك من المسائل يكفي فيها الإشارة، قال: وهو مع هذا مصرح بالإجتهاد، وسائر الدعاة المعارضين له بينهم وبين الإجتهاد مسافات ومراحل، ولو أنهم اعترفوا بأنهم منتصبون للاحتساب ولصلاح المسلمين وجمع كلمتهم[١٧٣/ أ] لكان الأولى منهم، وأن العلم والجوابات ما عرفوا أجابوا فيه، وما لم يكن لديهم معرفته أحالوه على غيرهم من القضاة والحكام من المتفرغين للعلم، فإن عهدة العلم وثيقة، وعراه شديدة، وما كان عليهم لو اعترفوا وتواضعوا وصدقوا واتبعوا حالة العلماء الذين: ﴿صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلاً﴾[١]. ولم يزكوا أنفسهم اتباعاً لقول الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[٢] ولم يدعوا العلم الكامل، اتباعاً لقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٣] فما رأينا حالات العلماء من العارفين إلا إظهار القصور، وعدم دعواهم الكمال اتباعاً لقول الله تعالى: ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٌ﴾[٤] وماذا عليهم لو قالوا بذلك، وقالوا: إذا سُئلوا ولم يعلموا لا نعلم وماذا عليهم لو قالوا: نحن قمنا لصلاح المسلمين وصلاح ذات البين، وما علمناه قلناه، وما لم نعلم أحلناه، لكن لما كان المذهب الهادوي والزيدي لا ينصبون إلا من كان إماماً عالماً مرجوعاً إليه، وعلموا أنهم إذا لم يدّعوا ذلك لم يجابوا إليه، احتاجوا إلى الدعوى لذلك، لأجل يجابوا إلى ما هنالك بخلاف سائر المذاهب، فإنهم وإن كانوا قائلين بشروط

(١) الأحزاب: ٢٣.

(٢) النجم: ٣٢.

(٣) الإسراء: ٨٥.

(٤) يوسف: ٧٦.

الإمام الكامل، لكنهم إذا غلب غير الكامل قرروه، لأجل مصلحة الإسلام، وسكون الدهما، ولا يتسمون بالإمامة بل بالسلطنة والإمارة، مع أن المتغلب منهم لا يدعي ما ليس في وسعه، ولا يعلم به بل يَكِلُ ما تعلق بالشريعة إلى القضاة والحكام، والله يرحم الجميع، ويختم بالخير، ويصلح أمور المسلمين.

[١٧٣/ ب] وكثير من الذي نصب أحمد بن الحسن قالوا: ما نصبناه إلا حسبة لا إمامة، والسيد محمد بن علي الغرباني الذي دعا أفتى في مسألة المحتاج أنه يبيع مال الوقف الذي على الذرية ولا قائل به، فأراد الذي اشتراه التخلص فسألني وقال: البائع فقير فكيف في ثمن المال الذي سلمه؟ فأجبت عليه أنه يستغل هذا المال المشترى وبحسب قدر قسام الشرك المعتاد في الجهة، حتى يستوفي الثمن ثم يعيده على البائع الموقوف عليه، فقال: إنه سيفعل ذلك.

ووصل ولد السيد مبارك بن شبير، وكان بتهامة ساكناً، فلما وصل إلى وادي جيزان يريد القصد لأحمد بن الحسن انتهب في ذلك المكان، وذلك بأمر من صاحب شهارة، فإنه كتب إلى بلاد العصيمات وبرط وسفيان أنهم ينتهبون من وجدوه قاصداً إلى أحمد بن الحسن.

وفي نصف هذا الشهر أرسل أحمد بن الحسن من المحطة شرقي شهارة إلى حاشف[١] جنوبها مما يلي بلاد ظليمة.

وفي هذه الأيام لما قل على علي بن المتوكل المحصول من اليمن الأسفل لخُلْفه[٢] وشداد أهله سار إلى ضوران، أخذ من خزائنه بعض شيء من المال، فلما بلغ صنوه محمد بن المتوكل ذلك تغير منه كونه وصي والده، وقال: لِمَ يأخذ ذلك من غير إذنه؟ ولم يلبث أن عاد إلى ذمار بها، وتصرف منها.

---

(١) حاشف: مركز إداري من مديرية العشة، وأعمال محافظة عمران، يقع في غربي مدينة حوث. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٣٩٢).

(٢) لخُلْفه: الخُلف: اختلاف الموسم الزراعي، وقلة المحاصل الزراعية بسبب قلة الأمطار في هذا العام.

وفي تاسع عشر شهر محرم كان تحويل السنة ودخول الشمس أول درجة في برج الحمل، وزحل[١٧٤/ أ] في الجوزاء راجعاً، ورجوعه هذا استمر من شهر رمضان والمشتري في الدلو والزهرة والمريخ فيه أيضاً، والذنب في الثور، والرأس في القوس وكذا القمر، هذا على حساب المتأخرين، وأما على حساب المتقدمين فتتقدم برج من هذا، والزهرة راجعة يومئذٍ وهي ستقارن المريخ والشمس في شهر صفر قران آخر، وكانت الزهرة قد قارنت المريخ، كما سبق ذكره.

وفي شهر محرم منها وصل كتاب تعزية من أبي العرب سلطان بن سيف بن مالك اليعربي، صاحب بلاد عمان إلى محمد بن المتوكل في والده، مضمونه أنه لما بلغه وفاة والده صدَّره، وذكر فيه أنه بلغه قيامه في مرتبة والده، وأنه استخلف خليفته، ووصَّى في أصحابه الذين يخرجون بالبضائع العمانية بالرعاية، فأجاب عليه محمد بن المتوكل بجواب التعزية، وذكر له أن الأمر صار إلى أحمد بن الحسن.

وكام يوم الثلاثاء عشرين شهر الحجة قد وصل كتاب المهدي أحمد بن الحسن إلى محمد بن الإمام، ووصل عقبه يوم الخميس كتاب قاسم وفي طيه كتاب من السيد يحيى بن أحمد الشرفي، والكل اختار ما اتفق من اجتماع القضاة بالرحبة ما بين شهارة وبيت القابعي، وأن الحاضر من أصحاب قاسم السيد يحيى بن إبراهيم بن جحاف وصنوه إسماعيل ومحمد قيس، ومن قبل أحمد بن الحسن القاضي يحيى جباري الذماري والقاضي علي بن جابر الهبل، ومحمد بن إبراهيم السحولي الخطيب بصنعاء، وكان ابتدء قول الحاضرين من أهل شهارة طلب الصلح في هذه الساعة، واما الخلع فمتعذر فيه المقالة[١٧٤/ ب] وأنه يبقى كل من السيدين إمام في جهته التي قد أجابته، فلم يجبهم إلى ذلك قضاة أحمد بن الحسن، وحصل بين جباري وبين السيد يحيى بن إبراهيم جحاف هدار[1] وخصام، ثم افترقوا على غير تمام شيء، فكان حالهم كما يقال:

---

(١) هدار: وقيل هو بالذال المعجمة من الهذر، وهو الكلام الكثير. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٧٨٣).

إن القـــــــــضاة تجمعـــــــــــوا
يريـــــــــدون صـــــــلحاً أحمـــــــــداً
قـــــــصدوا عـــــــن ذاك المقـــــــام
وعنـــــــه تفرقـــــــوا ولم يحمـــــــد

ولم يحضر من قضاة شهارة الفقيه حسين بن حنش ولا السيد حسين بن صلاح. والسيد يحيى بن أحمد الشرفي كتابه كان مضمونه صحة إمامة القاسم عنده وعند ابن حجاف وقيس وإسماعيل، وبعثوا برسائل الجهات بحكم أولئك الحكام بإمامة قاسم، فتغير محمد بن الإمام من ذلك، وطلب قضاة صنعاء يكتبون أن الذي صح عنده وعندهم إمامة أحمد، وأرسلوا بذلك إليه، وكتاب آخر إلى القبائل وقام وقعد. وكان قد طلب القاسم عقد صلح مدة معلومة ويبقى على الإمامة[١٧٥/ أ]، فلم يجب إلى ذلك، ونبح عند ذلك نابحه وهو أن محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم تصرف في موزع واستولى عليه في أوامره ونواهيه ومرجوعاته، وقال: هو يحتاج إليه ولا يرضى بمصيره إلى غيره ولا يسامح فيه، وظهرت التربشات، فنعوذ بالله من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

ووصل أول الحجاج على قلتهم إلى اليمن، وكان وصولهم متأخراً عن عادتهم، فلم يصل المُخِفُّون[1] منهم إلا خامس وعشرين شهر الحجة والعادة يصلون العاشور وقبله، فسألت حاجاً منهم فقال: كان الحج مباركاً، وقف الناس الجمعة، وأقواهم الشامي ثم بعده المصري ثم العراقي، قال: وخرج مع الشامي ولد الشريف بركات، وأنه كان دخل العام الماضي وخرج هذا العام بكسوة لوالده وتقريرات يده[١٧٥/ ب]، وخرج أمير مع المحمل الشامي وكان الشامي معتمدهما لكونه من

---

(١) المُخِفُّون: المُخِفّ: القليل المال، الخفيف الحال، وتدل على سرعة السير؛ لأن المُخِفّ لا يحمل أثقالاً تؤخره عن السرعة في السير. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٨٦٧-٨٦٨).

باب السلطان، وفرحان ساروا وهو بمكة ما كان قد خرج عنها،وكان دخولهم من طريق تهامة مع فرحان لأجل قلتهم هذا العام، وضعف حج اليماني عن سائر الزمان، قال: وكانوا في نية العود مع فرحان من طريق تهامة لأجل قلتهم عن العادة، فانتظروه، ثم لمّا طال انتظارهم اضطروا إلى السير وحدهم من طريق السراة معتادهم متوكلين على الله، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1] فاجتمعوا نحو خمسة وعشرين نفراً، ومروا طريق السراة، فلم ينلهم مكروه، إلا أنه تأخر وصولهم.

قال: وكان سعر مكة مرتفعاً، بلغت الكيلة إلى ستة عشر بقشة مصري، وأما الأعلاف والحشيش والكلأ فخير كثير وكذلك اللحوم، بسبب جراد ظهرت في الحجاز ومصر فارتفع السعر، بلغ الإِرْدَب[2] بمصر إلى ثلاثة قروش، وهو يأتي اثني عشر قدحاً[3] حساب كل قدح بحرف بدراهم اليمن، لأن القرش بلغ إلى أربعة حروف في الصرف.

وانتقل أحمد بن الحسن من محطة مور إلى حاشف. وجاء الخبر بأن أحمد بن المؤيد توجه إلى وادعة، وكان نزوله يوم الجمعة ثامن وعشرين شهر محرم من شهارة، وتأهب أحمد بن الحسن للقياه، فعرج عن الوصول إليه وسار من طريق وادعة ومعه نحو ثلاث مائة، ووصل إلى قرية السوق الحض[4] ودخل بيته الذي فيها له، فالتقاه أهل وادعة جميعاً، ودخل مدخلاً عظيماً وأكثرهم أو كلهم مائلاً إليه، وهو مظهر للمباينة، غير مقترف لأهل تلك الطائفة، وذكر أهل بلاد وادعة أنهم مائلون إلى القاسم لقرب جنابه إليهم، وبشاشته بهم، وكذلك بلاد الأهنوم مثلهم أو فوقهم، وأن أحمد بن الحسن تحرك يومئذٍ وبنى على مقابلتهم بالحرب، وكذلك محمد بن أحمد قد بنى على

(١) الطلاق: ٣.
(٢) الإِرْدَبُّ: مكيال ضخم لأهل مصر، قيل يضم أربعة وعشرين صاعاً. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص ١١٤٨).
(٣) القدح: سبق شرحه.
(٤) كذا في الأصل، لم تتضح.

ذلك، وكذلك العساكر الذين بحجة، وانفتحت يومئذٍ بينهم المباينات، وانتهت بينهم المخاطبات، وعاد القضاة الذين، ساروا إلى أماكنهم بعد ذلك.

[١٧٦/ أ] وأظهر أصحاب القاسم بن المؤيد بأن محمد بن أحمد بن الحسن صاحب الحجرية كاتب إلى القاسم صاحب شهارة، وكذلك حسين بن حسن وأنه في شهارة أشاع البشارة، وضرب بالحرانى(١) للإشاعة، فأرسل محمد بن الإمام السيد محمد بن حسن بن حميد الدين إلى حسين بن الحسن -إذ هو أخوه من قبل الأم- عسى أنه يرجع إلى أخيه أحمد بن الحسن للمساعدة، ويطلب منه ترك المشاقة.

وفي يوم الثلاثاء ثالث شهر صفر وصل الخبر إلى صنعاء بمواجهة بلاد ظليمة، وعند ذلك جهز القاسم من شهارة إبراهيم بن حسين بن المؤيد الذي كان خرج أولاً إلى ذيبين إلى مساقط الأهنوم ليحفظه ويفاتح أن أمكنه، فبلغ إلى موضع يقال له الأبرق(٢)، ما بين الأهنوم وظليمة، وهو من أطوار(٣) بلاد ظليمة فوق سوق الثلوث، فجهز أحمد بن الحسن عليه جماعة من عساكره، فردوه إلى بعض القرى من معاقله، واستدعى أحمد بن الحسن أحمد بن محمد من الصلبة بمن معه، فطلع منها طريق وادي لاعة، ثم طلع إلى الطويلة وخرج إلى حبابة غربي كوكبان، ونفذ إلى عمران، وسار إلى حيث طلعه[١٧٦/ ب] هذا الأوان، وعرج عن طريق حجة، وإلا فهي كانت قريبة؛ لأجل ما فيها من الرتب من قبل القاسم الوثيقة، وكان قد أراد أولاً أنه يطلع الظفير، فمنع أهله دخوله، وقالوا هم إلى القاسم لا يخالفونه.

وفي ليلة الجمعة سادس شهر صفر توفي الشيخ المقام عامر بن صلاح الصايدي، بداره بصنعاء اليمن، وقد كبر سنه، وكف بصره آخر مدته، فبقى في بيته كذلك حتى توفي.

---

(١) كذا في الأصل: غير معجمة، لم يتضح معناها.

(٢) الأبرق: شرح موقعها المؤرخ.

(٣) الطُّور: الجبل ولعله يقصد أن الأبرق من جبال بلاد ظليمة (ابن منظور: لسان العرب، منج٢، ص٦٢٤) ونجد المؤرخ في ق ١٧٩ب يقول: جبل الأبرق المطل على سوق الثلوث وهو من بلاد ظليمة.

وهذا المذكور كان من أصحاب شرف الإسلام الحسن بن القاسم ومن أمرائه، وكان له عنده وجاهة مدته، وكان المذكور ظاهر الصلاح متنزهاً عن دخول الأسواق، وكان نادرة في وقته؛ لأن من كان مثله يدخل الأسواق من الأمراء خالفهم، وكان له عبادة سيما آخر مدته رحمه الله تعالى.

وفي يوم السبت سابع شهر صفر وصل الخبر إلى صنعاء بأنه وقع حربٌ شديد بين إبراهيم بن حسين بن المؤيد وبين أصحاب أحمد بن الحسن، فقتل من الجانبين كثير، وظفروا به ولزموه أسيراً، وعند ذلك طلع أحمد بن الحسن الأهنوم، وتسور تلك البلاد بجيوشه، ومن عليهم من بعض قراه وبيوته، فأمر أحمد بن الحسن بإخراب تلك البيوت التي وقع منها الرمي بعد الحملة عليهم والقهر، فخربها وحرق بعضها، فلما رأى ذلك الأهنوم أقبل إليه كثير منهم مواجهين فأمنهم، وطلع إلى نجد بني حمرة، غربي شهارة، وهو وسط الأهنوم، وهو مجمع الطرق القريبة من شهارة[١٧٧/ أ] واختلف في خبر القتلى، فقيل: قدر ثلاثين نفراً ومن أصحاب أحمد بن الحسن ستة أنفار، قالوا: وسبب قلة القتل في أصحاب أحمد بن الحسن أنهم حملوا عليهم وترَّسوا[١] بِشِمَال[٢] مبلولة بالماء، فكانت الرصاص إذا وقعت في الشِمَال تطفي ويبطل فعلها، كذا يروى، وأسروا كثيراً من الأسرى.

وجاء الخبر يومئذٍ بأن محمد بن أحمد بن الحسن صاحب الحجرية لما خالف على والده ومال عن جانبه أمر عليه ولده علي بن أحمد بن الحسن بأنه يتوجه من تهامة إلى جهاته فسار حتى بلغ إلى نواحي تعز ويفرس، وعند ذلك انسل أكثر أصحاب محمد بن أحمد بن الحسن وتفرقوا، وكان قد وصل إليهم كتاب من المهدي يحذرهم من إعانة ولده في أمره لهم ونهيه، والذين معه هم من عسكره، وعليهم نظره، فخافوا

(١) تَرَّسوا: تترس بالترس بمعنى تَوقّى، وترسوا بمعنى وضعوا ما يقيهم من الرصاص وهي الشِمَال (سيأتي شرحها). (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٣١٧).

(٢) شِمَال: الشَمْلَة عند العرب مئزر من صوف أو شعر يؤتزر به، فإذا لُفق لفقين فهي مشملة يشتمل بها الرجل إذا نام بالليل. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٣٦٢).

وتفرقوا، وبعد تفرقهم وعدم الميل إلى رأي محمد بن أحمد وإقبال أخيه علي بن أحمد سقط في يده، وندم على ما جرى منه، وترك ما كان أراده.

وفي يوم الإثنين تاسع شهر صفر وصل الخبر إلى صنعاء بأن القاسم يريد أن يواجه[1] [١٧٧/ ب].

وجاء خبر آخر أن الحرب بالأهنوم شديد، استمر من الأبرق بظليمة إلى نجد بني حمرة، وأوله كان بالأبرق علي بن إبراهيم بن حسين[2] ومن معه، وأن بعض ظليمة اختلت بعد المواجهة، وقاتلوا مع أصحاب القاسم في جملة المقاتلة، وبرق عليهم من الأبرق وحوادثه، ثم استولى عليه ومن معه بالقتل والأسر، لم ينجل إلا بقتول كثيرة من الجانبين، وأن بعضهم هلك بالحجارة وبعضهم فقد خبره، وكانت حادثة عظيمة، ثم لما تقدم أحمد بن الحسن من سوق الثلوث طالعاً إلى الأهنوم عاطفاً رموا عليه من القرى فوق الطريق، فأمر بخرابها وانتهابها، وخربت قرى في سَيْرَان[3] ونحوها وحرقوها بالنار، وأنها حصلت معرة عظيمة في الأهنوم، ومن النساء من هرب حاجاً[4]، ومنهن من راح في الحِيْود[5]، وانتهب مع ذلك ما في تلك البيوت، وكذلك سلاح المحاربين الحاضرين، ثم انعطف راجعاً بعد هذه العملة إلى محطته بحاشف، وقد انجلت على قتول كثيرة.

ولما حصل ذلك الحادث، وشاهده القاسم من شهارة وما جرى من ذلك الأمر الكادث، وأسر إبراهيم[١٧٨/ أ] بن حسين وجماعة من أعيانه جاء كتابه وأحمد بن المتوكل بأنهم لا يخالفونه كما قال أبو تمام:

---

(١) يواجه: أي يبايع ويعلن اعترافه بالمهدي أحمد بن الحسن.

(٢) علي بن إبراهيم بن الحسين بن الإمام المؤيد. يذكره صاحب كتاب بغية المريد بأنه أكبر أبناء أبيه، ولم يذكر له ترجمة أخرى. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ١٦٦).

(٣) سَيْرَان: جبلان في الجنوب الشرقي من الأهنوم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨٣٥.

(٤) لم يتضح ما يريد المؤرخ من كلمة حاجاً، ويذكر ابن منظور أن الحج: القصد إلى مكان معين، حَجّه يحجّه حجّاً: قصده، ولعلها المطلوبة هنا. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٥٦٩).

(٥) الحِيْود: جمع حَيْد: ما شخص من نواحي الشيء، وهو كل نتوء في الجبل، أو ما شخص من الجبل واعوج. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص ٧٦٦).

السيف أنطق أنباءاً من الكتب

في حده الحد بين اللهو واللعب[1]

ووصل الأسرى إلى صنعاء معهم السيد صالح عقبات، وفيهم السيد إبراهيم بن حسين وفقيه من بني الأكوع، ومن الأهنوم جملتهم أربعة عشر نفراً من مشائخهم، وخرج عامة أهل صنعاء للتفرجة عليهم، خرج أولهم إلى أن بلغ الحصبة[2]، والطرق ممتلئة، فجنبوا بهم إلى الجراف للعشاء والتغليس[3] لدخول صنعاء خشية من كثرة المتفرجين، فكان دخولهم وقت العشاء، ولم يترك الكثير من أهل صنعاء التفرجة من الصغار والكبار، واجتمع في ضوء القمر للتفرجة خلق كثير وصاح عليهم الصبيان بالأصوات والتنصيرات والصولات، حتى دخلوا بهم قصر صنعاء على تلك الحالات، وكان الصبيان يقولون لرئيسهم: أين جيت بعقلك؟ وبقو تحت الترسيم.

وجاء خبر أن القاسم استدعى السيد زيد بن علي جحاف للوثاقة والشروط بينه وبين المهدي أحمد بن الحسن وإلاكادة، فطلع[١٧٨/ ب] المذكور إليه، وأمر عند ذلك بارتفاع رتب بلاد حجة وكحلان، وكانت هذه القضية رادعة لأهل شهارة والأهنوم، لم يصدقوا بحقيقتها حتى رأوها مشاهدة؛ لأنهم أهل غباوة مشهورة لا ينظرون في العاقبة، ولا يعرفون الأمور الغالبة، فما صدقوا لأجل غباوتهم حتى شاهدوا ذلك بأعيانهم وأبصارهم، فكان حالهم وحال القاسم كما قال ابن المقرب:

علام تجشم الأهوال فرداً

تغير البيداء أو لجج البحار

---

(١) ورد البيت في ديوان أبي تمام كما يلي:

السيف أصدق إنباءً من الكتب   في حَدهِ الحدُّ بين الجد واللعب

واللهو واللعب بمعنى واحد، وهو خطأ غير مقصود وقع فيه المؤرخ. (ديوان أبي تمام، شرح وتعليق: د. شاهين عطية، ص١٤).

(٢) الحَصَبة: حي في الجانب الشمالي من مدينة صنعاء.

(٣) التغليس: الغَلَس: ظلام آخر الليل، والتغليس: السير بغلس. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢،/ ص١٠٠٥).

آمـــــالاً تحـــــاول أم علـــــواً

هـــــديت أم اجتـــــواء للـــــديار

وأما أهل شهارة فإنهم مع ذلك أقاسوا على الإمام القاسم بن محمد بن علي، والإمام القاسم ما قام تلك المدة إلا بملاحم معزَّوة إلى علي من منقولات الجفر[1] وغيرها، مما ليس عنده يخفى.

وأما عمل هذا القاسم فإنه مخالف للملاحم، فإن المعروف في المنقولات الجفرية أن المُلك يصير بعد المتوكل إلى أحمد بن الحسن، والأمور السابقة في علم الله لا تنقلب جهلاً ولا خلفاً، فلله الأمر من قبل ومن بعد، له الملك يعطيه من يشاء، [١٧٩/أ] وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وجاء خبر آخر فيه تحقيق أن الحرب كان يوم الخميس خامس شهر صفر، وأن القاسم كان قد أمر الأهنوم وظليمة وسائر القبائل أنهم يقطعون الميرة[2] إلى محطة أحمد بن الحسن بالمرة، وأنهم يمتنعون عن إيصال شيء من المصالح إلى المحطة الأحمدية من علف وطعام وحطب وغير ذلك، قال: فمنعوا ذلك كما أمرهم القاسم، وتقرب إبراهيم بمن جمعه من قبائل الأهنوم وأهل شهارة وظليمة إلى جبل الأبرق المطل على سوق الثلوث، وهو من بلاد ظليمة وحد الأهنوم.

فلما خرج أحمد بن الحسن وأصحابه وأجناده إلى حدود أسفال ذلك الجبل رموهم بالبنادق البالغة من أعلاه حتى وقع بعضها بين أيدي أحمد بن الحسن، فأمر أجناده عند ذلك بالحرب، فطلع عليهم[١٧٩/ ب] همدان وبنو الحارث حملة رجل واحد وترَّسوا بالشِمَال في أيديهم اليسار، ولم يبالوا بالبنادق حتى بلغوا رأس الجبل وأعلاه، واقتتلوا بالسيوف والسلاح ضرباً وأسراً، وحرقوا بيوت قرى الأبرق بالنيران،

(١) الجفر: سبق ذكره.

(٢) الميرة: المؤن من الحبوب والطعام وغيره.

وخربوها ونهبوها واستولوا عليها عنوة وملكوها، وأسروا إبراهيم بن حسين ومشائخ الأهنوم وظليمة فيها، وكان القتل كثيراً، والقليل من أصحاب المهدي قيل حول ثمانية، وأما من أولئك فجماعة كثيرة، قيل: نحو خمسين، وقيل: أكثر، وكانت هذه الحملة لبني الحارث وهمدان أعظم نجدة، وكل ذلك لما بلغهم أن الأهنوم قالت أنهم غير شيء، وأنهم من القصَّابين[1] استحقاراً لهم واستخفافاً بجنابهم، واستكباراً عليهم وعُجباً والعجب[١٨٠/ أ] مهلك والكبر مردي مربك.

قال الراوي: ممن كان حاضراً في تلك النواحي: أنهم قد جمعوا كثيراً من الجمع في ذلك الجبل وجهدو بغاية مقدورهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد، والملك ملكه يعطيه من يشاء من خلقه.

والمهدي أحمد بن الحسن حال الحرب عطف من طريق وادي رجم، ثم أنفذ الجيوش في تلك الطريق حتى بلغوا إلى نجد بني حمرة، ووقع بعض مراماة من تلك القرى والجبال، كانت سبباً لخراب القرى التي صدرت منهم الإعتداء.

ووصل خبر يوم الخميس الثاني ثاني عشر شهر صفر إلى صنعاء بكتاب من أحمد بن المتوكل إلى أخيه محمد يذكر فيه: أنه صدر والقاسم قد استخار الله وبنى على تسليم الأمر إلى أحمد بن الحسن وأنه في نية النزول إليه يوم الإثنين، وأنه لم يبق إلى جنابه أحد مائل حتى أهل شهارة، هذا خبره.

[١٨٠/ ب] ففرح الناس بسكون هذه الفتن المضلة، والأحوال المشتتة المتعبة، والمنازعة المفشلة التي نهى الله عنها.

والله يجمع كلمة المسلمين على الصلاح.

والسيد محمد بن حسن بن حميد الدين الذي أرسله محمد بن الإمام إلى حضرة الحسين بن الحسن وإلى حضرة علي بن المتوكل وصل وأصلح أمرهما، وتدارك به ما قد

---

(١) القصَّابين: لعله يقصد بائعي القصب.

كان حصل من الخلل معهما، وما كان أشفوا[1] عليه من الأمر العظيم الذي هو عين الغرر، فإنه ذكر أن حسين بن الحسن وعلي بن المتوكل كانا قد بنيا وأزمعا وتواطيا على إعلان الخطبة للقاسم صاحب شهارة في رداع وذمار، من غير مخالفة في تلك الجمعة الآتية، فأنسد بوصول السيد محمد بن حسن بن حميد الدين ذلك الأمر الذي كان أرادوه وبنوا عليه ونووه، وتراجعوا عنه وأضربوا فيه.

فلو كان حصل منهما لكانت فتنة عظيمة، وفعلة جسيمة ضارة للمسلمين قاطعة للطريق اليمنية عن المصالح إلى صنعاء بالكلية[١٨١/ أ] مفرقة للمسلمين، مقوية للفتنة، موجبة لطولها ما حقه على صغيرها وكبيرها، فوقى الله شرها بتدارك أمرها قبل حصولها، لأن تلك البلاد لو تم ذلك المراد رفعت القبائل رؤوسها، وتقوت به البلاد الشهارية، وهاجت بسببها الفتنة النجدية، ولكن الله لطيف بعباده، والملك لا بد أن يكون لمن يشاء الله وأراده، فما شا كان وما لم يشاء لم يكن.

وقد حصر ما راح هذه السنة والتي قبلها في الصلبة وذيبين وهذه في ظليمة والأهنوم قدر مائتين نفس، بل قد قيل أكثر من ذلك لا سيما في هذه القتلة الآخرة بظليمة والأهنوم فإنه على ما قيل هم كثير غير منحصرين، فمنهم من يقول مائة ومنهم من يقول أكثر؛ لأنهم طلعوا عليهم جملة بالسيف، فقتلوا معظمهم ولم ينج إلا من هرب في أول القتال، ومن احتاز حتى أُسر واستأمن، والأسرى هم اليسير وتفرقوا في العوادر[2] وأكلتهم النسور والسِّبَاع[3] في تلك الجبال والعوابر[4].

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) العوادر: يذكر ابن منظور أن العدر: المطر الكثير، وأرض معدورة: أي أرض ممطورة، ولعل ذلك ما يقصده المؤرخ. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٧٠٤).

(٣) السِّبَاع: مفردها سَبُع: يقع على ماله ناب من السِّبَاع ويعدو على الناس والدواب فيفترسها مثل: الأسد والذئب والنمر والفهد وما أشبهها. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٨٩).

(٤) العوابر: لعله من كلمة المعبر وهو المكان الذي يُعْبَر منه، والمعبر: هو ما عُبِر به النهر من فُلْك أو قَنْطَرة أو غيره. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٦٦٨).

وكان أحمد بن المؤيد بوادعة يترقب الفرصة فيهم والهزيمة، وأنها إذا وقعت فيهم بادر بالحملة بمن معه وبقبائل[١١٨١/ ب] وادعة والعصيات للإنتهاب والغنيمة من المحطة التي بحاشف، والتلقي لهم إن اهتزموا بالقتال بالسلاح والمعاطف، وكان قد اجتمع بحبور جماعات من المغارب الشرقية والحَجِّية ينتظرون ما ذاك يتم من الحرب الواقع فيما بين ظليمه والأهنوم، وإن الهزيمة إذا حصلت لفوا عليها من جهتهم وأحمد بن المؤيد من خلفهم والاهنوم من قدامهم، هذا كان هو غرضهم ومقصدهم، ولذلك فإن المهدي لما عرف بعض هذا الأمر منهم الجاري أرسل لأحمد بن محمد(١) من الصلبة إلى خمر، زيادة لمحمد بن أحمد(٢) وقاسم بن المتوكل(٣)؛ لأجل المحاذرة من طارقات أحمد بن المؤيد إذا تحرك من وادعة، فيتبع أثره ويلحق من خلفه، فلما وقع هذا الحرب الجاري، وكان على ما وصف من الظفر بهم والغلبة لهم على الوجه الماضي، سُقط في أيديهم الجميع وكفوا عن قصدهم الذي عليه نياتهم، وطفت لذلك الحاصل جمراتهم. وعند ذلك أقبل أحمد بن[١٨٢/ أ] المؤيد مبادراً بالمواجهة والمبايعة والدخول تحت الطاعة، ولا سيما بعد أن بلغه أن عساكر خمر توجهت نحوه، وتفرق الذي كان وصل إلى حبور من قبائل المغرب ورجعوا من حيث جاؤوا وشاهدوا ما لم يشاهدوه في زمانهم، مما جرى في الحرب أمامهم، وواجهت المغارب جميعها، وخطبوا للمهدي فيها، ونزل أهل شهارة إلى الحضرة الأحمدية طائعين مسلمين، وتفرقت رتبة الهجر التي كانت للقاسم، والقاضي محمد بن علي قيس الثلائي رجع بيته وترك القاسم بعد إياسه، ورتب أحمد بن الحسن الهجر ونجد بني حمره وتحت شهارة الفيش خشية لا يخرج القاسم، ثم رحل أحمد بن الحسن بنفسه من حاشف وطرح بمحطته بحديه(٤) الهجر،

---

(١) هو أحمد بن محمد بن الحسين بن القاسم.

(٢) هو محمد بن أحمد بن القاسم.

(٣) القاسم بن المتوكل: هو العلاَّمة القاسم بن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم. كان عالماً ورعاً تقياً، له معرفة في الحديث. تولى في عهد الإمام المهدي حصن ثلا وكحلان وعفار، ولازم صاحب المواهب، توفي سنة ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٤٥٦؛ زبارة: ملحق البدر الطالع، ص ١٨٧).

(٤) كذا في الأصل، لم نتمكن من قراءتها.

ولم يبق إلا قاسم بن المؤيد فريداً وحيداً حليف هم وحزن في شهارة، وأحمد بن المتوكل بشهارة يأمر وينهي، ولم يبق للقاسم أمر فيها.

واتفق تاريخ زوال دولة القاسم هو هذا اللفظ الجاري[١٨٢/ ب]: زالت دولة قسمي[١] فلله الأمر من قبل ومن بعد، يؤتي ملكه من يشاء، وينزعه عمن يشاء وعند ذلك ارتفعت رتب حجة وعفار والشرف وتفرقوا، وفرغت البلاد، وواجهت[٢]، والله أعلم.

وحصل مع الذين مالوا إلى القاسم من البؤس والكدر والحزن غاياته، ومن الضيق والإنكسار نهاياته، مع ما كانوا عليه من اعتقاد نصرهم ونصره وتزكية أنفسهم وتزكيته ما لا يوصف، ومن المبالغات التي لا تعرف، ولقد وصف لي من مبالغتهم بعجائب يحيلها العقل، منها: وصف لي بعض الفقهاء أنه حاكاه[٣] جماعة من القبائل المائلين إلى القاسم بأنه أكل أربع مائة نفر من مقلا[٤] واحد بين يدي القاسم. ومنها أن تيساً نُذر به إليه فغلط صاحبه بذبحه أو رجع في نذره، فهرب التيس وقد حُزت رقبته إلى بين يدي القاسم من سوق الثلوث والدم يسيل فيه من أثر ذبح الجزار له فباعه من جزار، وقال أنه يسلم لقاسم ثمنه لمشقة إطلاعه إلى شهارة؛ لأنه ما زال يهرب عليه.

ومنها أن الجراد فيها مكتوب قاسم بن محمد في رقبتها، فأما الجراد فشاهدنا فيها رقها الذي لا يزال في كل جرادة برقبتها أشبه شيء بالألفين مختلفين هكذا(x)، وهو في جميع الجراد، إلا أنه يظهر[١٨٣/ أ] بيناً في الجراد الصفر.

والقاسم المذكور تعلقت به ديون واسعة، استدانها وتكلف من الناس لطلبها

---

(١) كذا في الأصل، وكتبها المؤرخ بخط كبير، ويقصد به القاسم بن المؤيد صاحب شهارة.

(٢) واجهت: أي أطاعت وسلّمت.

(٣) حاكاه: أخبره أو قال له.

(٤) المقلا: جمعها مقالي: وهو نوع من الأواني المستخدمة للأطعمة، تصنع من مادة تُعرف بـ(الحَرَض) من أهم مميزاتها أنها تحتفظ بدرجة الحرارة لفترة طويلة.

وسؤالهم إياها، ولا يفي ماله بالقضاء لها، فإذا لم يقضها له أحمد بن الحسن من بيت المال والأعشار[1] ارتبك في المضيق، وناله إثم التفريط، فإن حقوق العباد شديدة وقد شدد النبي ﷺ في الدين ما شدده لمن أوفى به، فكيف إذا لم يحصل الوفاء له؟ والورع لا يدخل في تكثير الديون، وإن دخل في شيء للضرورة فاليسير، مع العلم من نفسه أن ما له في القضاء يفي به من ماله أو مما هو تحت تصرفه ويده، فإما تجشم ما لم يعلمه، وتوهمه أنه يقضيه مما سيفتحه فمن الغرور الذي لا يخفى على أهل المعقول، وقد قيل أن ديون القاسم هذا بلغت إلى نحو مائة ألف.

وفي هذه المدة ظهور نجم وقت السحر له شعاع من قدامه قدر نصف ذراع من مجرى الثريا ومكان طلوعها، بقي كذلك قدر ثلاثة أيام ثم اضمحل، والله أعلم.

والمهدي عند ذلك فرق اليمن بين أولاد المتوكل أكثرها وبين أولاد أحمد بن القاسم وغيرهم، وبقى معه بلاده الأولة وزيادة معها اليسير، وكل منهم قال ما يكفيه إقطاعه، ولله قول الشاعر[2]:

ما كل ما في[3] البسيطة كافياً

فإذا قنعت فكل شيء كافي

وكل منهم مد يده في رعايا بلاده في غالبهم[١٨٣/ ب]، وبعد تقضي عمل شهارة، وسكون ما وقع فيها من الأمور المنهارة سكن المهدي أحمد بن الحسن بالهجر مبرزاً لوطاقه وخيامه بميدانه وحدبته، واستقر جميع أصحابه بجنابه، فكانت محطة واسعة لأجل اجتماع أهل الناحية ومواجهة القبائل العذرية والبلاد الأهنومية قهراً عليهم وخوفاً أن يجرى فيهم ما جرى في أصحابهم.

ولما أيس القاسم بن محمد صاحب شهارة عن تمام إمامته وما دعاه إلى نفسه وما

---

(١) الأعشار: لعله يقصد بذلك العشر من الزكاة.

(٢) الشاعر هو أبو فراس الحمداني.

(٣) وردت في الديوان: ما فوق. (ديوان أبو فراس الحمداني، ص١٩١).

شاهده من الحروب بعينه لم يسعه إلا الهبوط من جبل شهارة والنزول إلى المحطة، فاتفق بالمهدي وقفة المسالمة، وتمثل لسان حاله بقول المتنبي في ديوانه:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدواً له ما من صداقته بدُّ[1]

وجعل له قطعة من بلاد الشرف يتمتع بها هو وخاصته وأتباعه وجماعته، ثم سار إلى قرن الوعر[2] وقاسم عاد إلى جَبَلِة[3]، وعرج المهدي عن طلوع شهارة لما في النفوس، وما ظهر له من حالات القاسم وأصحابه من الكمد الذي نزل بهم والبؤس، ووصل إلى قرن الوعر قبائل العصيمات مواجهين فتوثق عليهم في صلاح الطرقات، وترك التعديات، ثم سار عنه إلى الفُقْم[4] طرف العمشية، فسكن به قدر نصف شهر، ثم سار إلى بركة مداعس وسط العمشية، وسكن بها بعض أيام وأكد على سفيان في الطريق، وشرطوا عليه الموافاة لهم ما يعتادونه في حفظها من الملوك السابقين، وإلا فليس عليهم دَرَك[١٨٤/ أ] فصلحت، وإن حصل على النذور بعض تخطف فيها من قبل دهمة لمن انفرد عن الرفقة. ثم تقدم يؤم جهات صعدة، فلما وصل إلى العيون[5] وقدم وطاقه إلى رَحْبان اليوم الأول خرج صاحب صعدة علي بن أحمد لاقياً له ومهنياً ومرحباً، ثم تقدم إلى رحبان، وسكن فيه هو ومن معه من الجنود والأعوان، ثم دخل صعدة لمجرد الضيافة والصلاة فيها للجمعة، وكان استقراره برحبان في نصف ربيع الأول من سنة ثمان وثمانين وألف[6] سنة.

---

(١) ورد البيت كما هو في شرح ديوان المتنبي، مج١، ج٢، ص٩٣.

(٢) قَرْن الوَعِر: قرية في غربي قفلة عذر من بلاد حاشد. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٢٦٧).

(٣) المقصود جبل شهارة، وليس جِبْلة المدينة المعروفة.

(٤) الفُقْم: وادٍ في شمال القفلة على بعد ٣٠كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٢٢٠).

(٥) العيُون: موضع في صعدة. أشار الحجري إلى أنه مكان مقتل إسماعيل بن الإمام الناصر (صاحب المواهب). (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٦١٩).

(٦) ١٠٨٨هـ= ١٦٧٧م.

ووصلت إليه قبائل صعدة من البلاد الشامية والخولانية رغبة من القليل والأغلب فيهم الرهبة. وجهز الفقيه أمير الدين بن أحمد العلفي الأموي إلى تهامة، وأمره أن يبني البرك في أطراف بلاد الحرامية، فوصل المذكور إلى صبيا وسكن فيها، وتعذر عليه النفوذ إلى حيث أمر إليها، ثم لم يلبث أن توفي بصبيا، وكان المذكور قد بقى متولياً مدة طويلة لعدن، وعمر فيه مسجداً قريب الساحل باسطوانتين وثلاثة عقود. وكان المهدي أحمد بن الحسن قد كتب إلى البلاد النجدية وإلى شريف مكة يطلب منهم الطاعة، فكان جواب الشريف بركات الإجمال، وأنه مثل واحد من أشراف اليمن لا يجهل الحق ولا يترك ما فيه الصلاح للمسلمين ولا يرضى بالمحق، إلا أنه يخشى إذا حصل تغيير من السلطان[١٨٤/ ب]. ثم تحرك بعد ذلك في شهر رجب إلى بلاد نجد ويقال: أنه بلغ إلى بيشة، كل ذلك منه لتسكين بلاده، وخشية لا يحصل تغيير عليه في جهاته.

وكتب إلى باشا سواكن بسواحل الحبشة يدعوه إلى الطاعة وهو عمر باشا، وهذا كله عين الخطأ، لامتناع من بحضرته عن تبليغه، وأراد الكتابة إلى مصر فلم يجد له رسولاً. وأحمد بن الحسن أقطع بلاد صعدة لعلي بن أحمد، فطاب بها خاطره، ورغب بسبب ذلك إلى جانبه، ولم تطب نفوس بلاد خولان بولايته؛ لأجل أنه كان جعل لهم خطوطاً برفع ما عليهم من المطالب أيام مخالفته على عمه إسماعيل، وقال لهم: أنتم عون على عمي المتوكل وجعلت لكم بالنصرة رفع المطالب عنكم في هذه المدة، فلما انقضت تلك الأمور الماضية ومات المتوكل وصارت الأمور إلى هذه الحالة الثانية طالبهم في الذي عليهم من أول من العادة، فأبوا عنها ولم يمتثلوا أمره فيها وشكاهم إلى المهدي، فطلبهم إلى رحبان وقال لهم: يسلمون ما عليهم من المطالب، ولا يخالفون علياً في شيء من المآرب، فقالوا: إذا لم يحصل منه الوفاء بما وقع، فليس لنا بولايته مطمع، ونولي بلادنا[١٨٥/ أ] غيره، ونسلم ما علينا له، فبقي علي بن أحمد بذلك تاعباً. وأحمد بن الحسن صار مُعْرِضاً؛ لأجل ما عرف من علي من اتباع الهوى، وعدم مراعاته لما يصلح المسلمين فيما مضى، فبقى الأمر كذلك وليس عليه في التحقيق إلا أن يقول له: قد

صارت البلاد الشامية الصعدية إليك، فخيرها وشرها عليك، وإلا تركت أمرها ومصالحها وأصلحناها.

وفي آخر شهر جمادى الأولى عادت الجراد التي كانت توجهت إلى اليمن الأسفل تؤم جهة القبلة من حيث جاءت أولاً، فضرت في هذه البلاد التي مرت بها في الزراعة، أكلت منها بعضها وهي نبات، وعند ذلك غلت الأسعار في الجهات لا سيما مع قل المطر في الخريف، فبلغ القدح بصنعاء أربعة حروف والشعير إلى ثلاثة وأما الذرة فمعدومة لأجل جراد العام الماضي، واشتدت الأزمة مع أهل اليمن الأسفل، ورحلوا إلى البلاد العليا، وخلت بالسحول قرى كثيرة، وصلبت أموال عديدة وعرضت بأبخس الأثمان، فلم يشترها أحد لعدم من بقي من الساكنين لإقامتها فلله الأمر. ومات في اليمن الأسفل عالم لا يحصون، بحيث أخبرني رجل[١٨٥/ ب] أنه دخل بيتاً في قرية فوجد فيه سبعة موتا، قد ظهرت رائحتهم ونتنهم، ثم دخل مكان آخر فوجد رجلاً في آخر رمق وامرأة ميتة وطفل يرضع منها وقد هي ميتة، قال: فسأل ذلك الرجل ما شأنكم، فقال الجوع وأمر الله الذي قضاه، قال: فاستعبرا وحمل الطفل إلى راعي غنم قد رآه فمكّنه[1] الطفل يرضعه من غنمه، وسار فارّاً من الأمر الذي رآه وأفزعه. ووصف لي أخر من أهل جبلة وصفاً عجيباً وقال: ما قد رأينا مثل هذا الزمان في اليمن، خلت قرى وصلبت[2] أموال ومات عالم لا يحصى، وفقر في الناس كثير وغني آخرون ممن معه من الحب.

وعلي بن الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم نزل من ذمار في شهر جمادى إلى اليمن، فاستقر بإب على ضعف اليمن الذي ينبغي الفرار منه فأزداد مع أهله التضرر لما قد نالهم من الحاجة والخُلف في بلاده، ووصلوا إليه شكاة، وقالوا:[١٨٦/ أ] المطالب

---

(١) مكّنه: أي أعطاه.

(٢) صلبت: الصَّلَب: الأرض الزراعية التي اهملت فأصبحت موات.

متعذر جمعها لضعف البلاد وتفرق أهلها، فأمهل بعضهم إلى الثمرة، ولم يكن فيه إلا اليسير من الذرة، فلما وصلت الثمرة فرَّق عليهم المطالب، فسلم من معه منها شيئاً وهرب الآخرون عن اليمن، فلما رأى ذلك الحال، وعاد عليه البعض في مرتفعات الأموال، طلع منه إلى ذمار بعد أن كان جرت يده في اليمن الأسفل مع خُلْفه، فلم يحتمله أهله ورده وهم العدم له؛ لأنه أراد طلب ما قد جرى عليه من زمن والده، فكان مع كثرة المطالب يحتمله الناس لبركة اليمن، والخير الذي لا يزال فيه في أغلب الزمن، وكان طلوعه إلى ذمار في شهر شعبان.

وكان قد مات بيفرس في جمادى الأولى منها علي بن أحمد بن الحسن بن القاسم، وقبر في حوطة النقيب علي، وزال عن صنوه محمد بن أحمد صاحب الحجرية ماكان يخشاه من صنوه، فإنه كان أنفق جميع ما عنده، وتغيرت أحوال قرية يفرس وخرب فيها ما خرب.

قال الراوي: بسبب ما كثر فيها من الفساد من أهلها، والراوي من أهل اليمن من بني الكاظمي من أهل إب قال: وكذلك اليمن الأسفل الذي وقع فيه الحطمة والموت والرحلة إنه اجتمع عليهم الجور والفساد، لعدم الغيرة منهم والقدرة على الدفع عن حرمهم وبيوتهم من عساكر الدولة، فإنهم ينزلون بيوتهم ويختلطون بحريمهم وأولادهم، ويقع ما يقع من الفساد وعدم قدرتهم، وضعفهم عن الدفع وضعف أهلهم، وترك الصلاة الواجبة لله، فلا حول ولا قوة إلا بالله[١٨٦/ ب].

ومحمد بن أحمد بن القاسم عاد من خمر إلى عمران بالبون، فسكن في دار له هنالك، ووصل إليه متعينات بلاد حجة وذلك جميع الدفعة، وتصرف في بلاد كحلان، واستمدت يده في المشاكي إلى بلاد عفار، وفتح عند ذلك دار الضرب، فتعب من ذلك محمد بن المتوكل، واستثقل أمره، وكتب إلى المهدي أن ضريبة عمران كثر فيها الغش وأن الأولى رفعها. وأودع محمد بن المتوكل إلى محمد بن أحمد بذلك، وأنه ينبغي إزالة ما

هنالك، فلم يسعد محمد بن أحمد، وأجاب: بأن الأمر قد تغير عن الوقت الأول وقد زال الأمر وانتقل، وأن الضرايب إذا زالت كلها أزلناها، وما المخصص لنا دون غيرنا في إزالتها، ولكن ضريبة عمران لا سيما بآخرها حصل فيها غش كبير بسبب أن محمد بن أحمد يقبض من التجار الحصة التي للدولة على الضريبة قروشاً ثم يتركهم يضربون على ما شاؤا فلذلك غشوها لأكثر من نصفها من النحاس.

وأحمد بن الحسن هذه المدة برحبان ما زال يتحدث بالتقدم إلى البلاد النجدية، أو إلى الجهات الحسائية والمكية والحجازية ويقول: إن في بعض الملاحم التي أظهرها الإمام القاسم في دولته وأنه يملك إلى عَقَبة مصر الثالث من ولده، وربما كتب إلى محمد بن المتوكل بهذه النية[١٨٧/ أ] وما هو عليه من الهمة العلية، فأجمع الناس عاقلهم وجاهلهم أن التعدي عن اليمن إلى غيره، ومفاتحات بلاد السلطنة عين الخلل في عواقبه. وأن السلطان قد صار في مزيد قوة في هذا الزمان على ما كان فقد يؤدي تحريك تلك الجهات إلى تحريكه، والعزم والإلتفاف إلى تخريجه.

وكتب محمد بن المتوكل إليه بمثل هذا الرأي، وأن الناس كافة غير منخرطين، مع ضعف اليمن أيضاً في هذه السنين، وتعقب ذلك أن تفالت[1] أصحابه من حضرته، وانسلوا من حوزته، فلم يبق عنده برحبان غير خاصته، ونفسه غير مائلة إلى غير - مشورته حتى أنه بلغه في خلال ذل تحرك الشريف بركات، أو طلوعه إلى جهات بلاد نجد وأمور من جهات السلطان متوهات، انقلب المذكور راجعاً إلى عيان، أطراف بلاد سفيان في شعبان، واستقر به رمضان، وفترت[2] تلك النيات واضمحلت تلك الإرادات، واجتمع عنده في العيد قبائل سفيان في العصيمات، ووصل إليه صاحب صعدة.

ومحمد بن أحمد[١٨٧/ ب] سار من عمران إلى خمر، وكان عنده في عيان بجميع من

---

(١) تَفَالَت: ترك بعضهم بعضاً.

(٢) فترت: ضعفت أو تلاشت.

تعلق به ومن حضر، وأردفه أحمد بن المؤيد عيَّد بعيان معه.

وفي هذه المدة حصل اختلاف النظر في بلاد يريم التي ولاَّها أحمد بن الحسن، يحيى بن حسين بن المؤيد بالله، فإن علي بن المتوكل وحسين بن حسن وحسين بن المتوكل جرت أيديهم فيها، وكل واحد منهم شارك فيها. وتغير خاطر يحيى بن حسين بن المؤيد، ولم يصل إليه من مطالبها إلا بعضها، واختلف النظر أيضاً في بلاد عفار بين أحمد بن المتوكل صاحب السودة وبين محمد بن أحمد، وكذلك بين قاسم صاحب شهارة وبين صاحب السودة، حتى أنه خرب بسبب ذلك بيت في الهجر من الأهنوم لما حصل اختلاف بين عسكر أحمد بن المتوكل وبين عسكر قاسم صاحب هارة.

وكان قد أرسل أحمد بن الحسن من رحبان ابن أخيه[1] عبد الله بن أحمد بن القاسم إلى حجة، فسار إليها فرحاً مسروراً طامعاً في ولايتها، مؤملاً لها، واستقر[١٨٨/ أ] بمبين عند واليها السيد علي بن حسين بن جحاف، والله أعلم.

ومحمد بن أحمد صنوه كان عزمه من عمران لما بلغه وصول صنوه إلى حجة، كما سبق ذكره.

وفي غرة شهر شعبان منها وصلت كتب أحمد بن حسن إلى محمد بن المتوكل صاحب صنعاء يذكر له فيها أنه رأى أن اليهود كثرت ضريبتهم المشبهة على دار الضرب، وفيها نحاس كثير وغش وكثر منهم بيع الخمر من المسلمين وأعمال السحر، وأنه قد رأى إخراجهم من جزيرة العرب لما ثبت في الحديث عنه ﷺ أنه قال: «أخرجوا اليهود من جزيرة العرب»[2]، وأنه مع هذا الذي رآه لا يستغني عن استمداد الرأي في مثل ذلك، فعرض محمد بن المتوكل الكتاب على جماعة من الحاضرين،

---

(١) كذا في الأصل، صحتها ابن عمه؛ لأن عبد الله بن أحمد بن القاسم هو ابن عم أحمد بن الحسن بن القاسم، وهو خطأ غير مقصود، حيث يذكر في الفقرة التي تليها قوله: ومحمد بن أحمد صنوه: أي أخو عبد الله بن أحمد.

(٢) ورد الحديث في: البخاري، ج٤، ص١٨٥؛ أحمد بن حنبل، ج١، ص٣٢٢؛ البيهقي، ج٩، ص٢٠٧.

فأجاب الفقيه أحمد بن صالح بن أبي الرجال بأن الرأي إخراجهم عن جزيرة العرب، ولا يبقى منهم أحد، وصنف في ذلك كراسة كل حججها مقلوبة معلولة، ووافقه يحيى جباري قاضي ذمار، فاستحسن إخراجهم، مصانعة مسايرة للمهدي ويحيى بن حسين بن المؤيد كثر في تحريض المهدي بإخراجهم.

وقال القاضي محمد بن قيس: الأمر كذلك، وأنه لا ذمة لهم في اليمن وليس من مساكنهم، لكنه يجب عليكم تأمينهم وحفظهم من تخطفات القبائل إلى مأمنهم لقوله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[1] وأجاب القاضي محمد بن علي العنسي بأنه (يخرج المفسد لا غيره).

[١٨٨/ ب] وأودع محمد بن المتوكل إلى كاتب الأحرف ما ترونه في هذا؟ فقلت للرسول: ما أقول بشيء غير ما قال العلماء السابقون والعلماء المحققون: فهذه المسألة قد فرغوا عنها وقرروها في كتبهم وحرروها، فلا ينبغي منا قول يخالف ذلك، وهذا كتاب (البحر)[2] أجمع كتاب في الخلاف، وأقوال العلماء في آخره في السير يقول فيه أن المراد بجزيرة العرب، هو الحجاز لا غيره وإن مراد النبي ﷺ بالجزيرة لحديث آخر رواه البيهقي وغيره أنه قال ﷺ: «أخرجوا اليهود من الحجاز»[3] وأن قوله في الحديث: أخرجوا اليهود من جزيرة العرب من تسمية البعض باسم الكل، من المجاز المرسل.

فأجاب محمد بن المتوكل على أحمد بن الحسن المهدي: أن الحاضرين بصنعاء اختلفوا في ذلك، فمنهم من قال: يخرجون ومنهم من قال لا وجه لإخراجهم، وإن من صدر منه ضريبة وغش وبيع خمر وجب تأديبه.

---

(١) التوبة:٦.

(٢) هو كتاب البحر الزخار: للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، سبق ذكره.

(٣) ورد الحديث في: سنن الدارمي، باب إخراج المشركين من جزيرة العرب.

ثم جاء أمر منه بعد ذلك بأنه تُخَرب جميع الكنائس، فأخرب في البون على طريقه لما عاد ما أخرب، وكذلك أخرب ولاته باليمن الأسفل بعضاً من الكنائس وأمر بإخراب كنيسة صنعاء[1]، فراجع عليها محمد بن المتوكل، وقال: هي قديمة غير محدثة ووجد في سيرة صنعاء للرازي[2] أنها من زمان النبي ﷺ، وذكر أنها قبلي المدينة قريب الباب، وأنها التي نزل بها وبر بن يخنس الصحابي[3] الذي أرسله النبي ﷺ على أبي الأسود العنسي الكذاب[4]، وذكر الرازي في تاريخه الكنيسة الأخرى التي كانت للنصارى، وأنها خراب بقى منها عقود ولعلها التي كانت في القليس[5]، وكنيسة اليهود غيرها في الربع القبلي من المدينة يلي الضرب، باقيه الآن، والله أعلم ما يتم من أمر أحمد بن الحسن فيها.

وخربت كنائس كوكبان وشبام وتلك الجهة، وروي عن الفقيه أحمد بن أبي الرجال أنه ذكر أن القاضي زكريا من علماء الشافعية قرر وجوب إخراجهم من جزيرة العرب وهو كذب من أحمد بن صالح على القاضي زكريا، فإننا رأينا مصنفاته في شرح

---

(١) كنيسة صنعاء: كانت محاذية بما كان يعرف ببيعة اليهود، وتقع فيما يعرف اليوم بحارة الجلا، في الجهة الجنوبية الشرقية لصنعاء. وقد حولها الإمام المهدي أحمد بن الحسن سنة ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م إلى مسجد يُعرف الآن بمسجد الجلا. (الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: د. حسين العمري، ص٩٠، ص٦٧٦، ٦٦٢).

(٢) الرازي: هو أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الرازي الصنعاني، ولد بصنعاء، ونبغ فكان عالماً مُحَدِّثاً فقيهاً، توفي سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٨. لم يُذكر له من الكتب سوى هذا الكتاب الذي ذكره المؤلف وهو (تاريخ مدينة صنعاء). قال الرازي في مقدمته: (وفيه ذكر قِدم صنعاء وفضلها، وذكر بنائها وعمارتها وأساسها وطيبها ...). (الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: د. حسين العمري، مقدمة ص٢٥).

(٣) وبر بن يخنس الصحابي، كان من الأبناء الذين كانوا باليمن، فقدم على النبي ﷺ وأسلم، وقدم من عند النبي ﷺ على الأبناء باليمن وأسلم بعض من دعاهم إلى الإسلام، مثل فيروز الديلمي، وأسلم باذان وبعث بإسلامه إلى النبي ﷺ في السنة العاشرة للهجرة. (ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٥٦).

(٤) أبو الأسود العنسي: هو عبهلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، متنبئ مشعوذ، من أهل اليمن، أسلم لما أسلم أهل اليمن ثم ارتد إبان النبي ﷺ، وكان أول مرتد في الإسلام، ادعى النبوة واتبعته مذحج، ثم أُغتيل قبل وفاة النبي بشهر واحد في ١١هـ/ ٦٣٢م. (الزركلي: الأعلام، مج٥، ص١١١).

(٥) القُلَيْس: الكنيسة التي بناها أبرهة الحبشي، وسميت القليس لارتفاع بنائها وعلوها، وهي في شرقي السوق بالقرب من مسجد موسى، معروفة الآن بغرفة القليس. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٥٠١، ص٥١٢).

الروض[1]، وشرح مختصر المنهاج[2] له أن الإخراج مختص بالحجاز لا غيره، كما يقول سائر الشافعية والعلماء.

والعلماء جميعاً مقررون الحنفية والشافعية والحنابلة في كتبهم أن الأمر من النبي ﷺ بإخراجهم إنما[١٨٩/ أ] هو من الحجاز، وقد أخرجهم عمر امتثالاً لأمر النبي ﷺ لا غيره، ولم يخالف في ذلك إلا المالكية فقالوا: يخرجون من جميع اليمن. وأما قول القاضي محمد بن قيس بأنه لا ذمة لهم ولا عهد فمصادم لما في سيرة ابن هشام[3] بمعاهدتهم في كتاب عمرو بن حزم[4] إلى اليمن وكتاب معاذ بن جبل[5] لما أرسلهما النبي ﷺ، والكفار مما ينبغي إبعادهم وتفسيرهم، إلا أن الذمم بعد عقدها لا يخفى ما في نقضها، ولأن ظلم أهل الذمة سبب إلى زوال الدولة، كما ذكره ابن هشام في السيرة وغيره عن النبي ﷺ.

وعلى الجملة فإن المتورع في هذه المسألة لا يجيب بلا ولا بنعم؛ لأن ولاية الكفار منقطعة عن المسلمين فلا يكونن ظهيراً للمجرمين وإنما حكينا حكاية ما قاله العلماء الماضين في العهد لا غير ذلك، ولذلك لما طلبنا نقد في جواب القاضي أحمد بن صالح في رسالته كان الجواب معلوماً، لكنا تركناه تورعاً، وقلنا أقوال العلماء ظاهرة، فقلدوهم وأفعلوا فيهم ما ذكره العلماء في أمرهم.

---

(١) هو كتاب (شرح الروض مختصر الروضة) لابن المقري.

(٢) لعله كتاب (منهج الطلاب). (الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٤٦).

(٣) ابن هشام: هو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م) مؤرخ، كان عالماً بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر. أما كتابه المذكور هنا فهو (السيرة النبوية) المعروف بسيرة ابن هشام، مطبوع. (الزركلي: الأعلام، مج٤، ص١٦٦).

(٤) عمرو بن حزم: عمرو بن حزم بم زيد بن لوذان الأنصاري، أبو الضحاك، والٍ من الصحابة، شهد الخندق وما بعدها، استعمله النبي ﷺ على نجران وكتب له عهداً مطولاً، فيه توجيه وتشريع، وهو الذي يقصده المؤرخ هنا. توفي سنة ٥٣هـ/ ٦٧٣م. (الزركلي: الأعلام، مج٥، ص٧٦).

(٥) معاذ بن جبل: هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، أسلم وهو فتى، وآخى النبي ﷺ بينه وبين جعفر بن أبي طالب، شهد المعارك كلها مع النبي ﷺ. بعثه النبي ﷺ قاضياً ومرشداً لأهل اليمن، وأرسل معه كتاباً إليهم. مولده ٢٠ق هـ/ ٦٠٣م، ووفاته ١٨هـ/ ٦٣٩م. (الزركلي: الأعلام، مج٧، ص٢٥٨).

ولما طلعت الحمولة من المخا وجاءت طريق تهامة حتى خرجت إلى الهجر لقاها المهدي برحبان قبيل نزوله إلى عيان جماعة عسكر، لحفظها في طريق العمشية، فاتفق أنهم لما شدوا[1] من حباشة تأخر العسكر للغداء في حباشة، فقصدها دهمة عند الضيق هنالك لما رأوها لا رفقة معها، فدافع عنها الجمالة وصاحت الصوايح حتى وصلت الغارة[١٨٩/ ب]، وكان أحمد بن الحسن قد بلغه ذلك وهو في التمشية فقصد إلى العمشية، ثم تعقب خروجه إلى عيان واستقراره فيه.

وفي هذه المدة انقطع الفقيه أحمد بن عبد الله الجِرْبي[2] في بيته بالروضة من منتزهات صنعاء وتزهد، ولم يقبل من الدولة عطا، واكتفى بدرس القرآن والختم يهديها لمن أعطاه فيها، بحيث أنه مرة سرقت حوائجه وثيابه، فأرسل له صاحب الروضة بكسوة، فردها وصار يكتفي بالبلغة فيها، وقد كان قرأ في الفقه كتباً مثل: (شرح الأزهار)[3]، (والتذكرة)[4]، وكان له إمامة بعض المساجد، فترك ذلك كله، وصنوه الذي اعتراه الجذب، وخرج من صنعاء، ظهر هذه المدة أنه الذي سكن بجبل جُبَع ما بين حُفَاش والمحويت، وصار متوارياً هنالك، يتصل به جماعة، ويقبضون له الفتوحات[5] والله أعلم.

[١٩٠/ أ] وفي يوم السبت ثاني شهر شوال مات الشريف محمد بن عبد الله بن عامر بن علي بقصر صنعاء، كان في الدار التي فوق باب القصر الخارجي دار علي آغا

---

(١) شَدُّوا: سافروا منها أو انتقلوا عنها.

(٢) الفقيه أحمد بن عبد الله الجِرْبي: هو العلامة الزاهد التقي، كان ساكناً بالروضة، بالقرب من دار القاسم بن الحسين (الإمام المتوكل) كان عالماً ورعاً لا يقبل من أحد شيئاً. وكان من العبادة والتقوى بمحل عظيم. توفي سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م. (الحوثي: نفحات العنبر، مخطوط، ق٨٩؛ زبارة: ملحق البدر الطالع، ص٣٧).

(٣) الأزهار: هو كتاب (الأزهار في فقه الأئمة الأطهار) للإمام المهدي بن أحمد بن يحيى المرتضى، اختصر فيه كتاب (الانتصار) ليحيى بن حمزة، وكتاب (التذكرة الفاخرة) للحسن النحوي، وقد حظى الكتاب بعدد كبير من الشروح والحواشي، كان أولها شرح المؤلف نفسه، ولعله المقصود هنا. (الموسوعة اليمنية، ج١، ص٩٦؛ د. محمد الحاج حسن: الإمام أحمد بن يحيى المرتضى، ص١٢١-١٢٥).

(٤) التذكرة: هو كتاب (التذكرة الفاخرة في فقه العترة الطاهرة) لمؤلفه الحسن بن محمد العنسي (النحوي) (ت٧٩١هـ/ ١٣٨٨م) ويُعد كتاب التذكرة من أهم كتبه، وصفه العلامة الشوكاني بقوله: (أودعه من المسائل ما لا يحيط به الحصر مع إيجاز وحسن تعبير). (الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص٢١٠).

(٥) أورد المؤرخ قصته وما قام به من ادعاء أنه المهدي المنتظر في الجزء الأول، ق٢١٣أ-٢١٣ب).

بقصر المذكور، ساكناً بها هو وأبوه من وقت دخولهم صنعاء وخروج حيدر باشا عنها، وكان المذكور محترقاً جاروديـاً، يتحامـل عـلى صـحابة المصطفى، ويأكـل لحـومهم بـالأهوى، فـلا قـوة إلا بـالله، اسـتعار منـي كتـاب(الاسـتيعاب)[1] للحـافظ بـن عبد البر[2]، وضع في بعض هوامش الكتاب من الشتم ما يقشعر الجلد عنـه، فطمسته وأزلته؛ لأنه كتبه من غير معرفة ولا احترام لكتب غيره وهو أعظم معصية، ثـم طلـب بعد ذلك عارية فلم أعره، لمحقه للكتب وتغيير مقاصد المصنفين، وما لا يحل ذكره مـن السب، وذكرت عند ذلك قول إسماعيل المقـري في الـروض[3] في بـاب الوصـايا: أن أجهل الناس من تعرض للصحابة بالسب[١٩٠/ ب] مع أنـه لم يكـن لـه مـن المعرفـة بدقائق العلم وحقائقه، وكان إذا اتفقت شيء مـن المسائل موجهـاً إلى غـيره عارضـها بالوهم الباطل، والغلط العاطل، والخروج عن مقصد السائل، وكان عـاطلاً عـن غـير معرفة المثالب والمناقب كما هو حال الإمامية وغلاة الشيعة فإنهم يجتهدون في تقـول مـا وجدوه من المثالب والمناقب، وما شجر بين الأوائل، هذا غايـة مرمـاة، وصـيده الـذي كان يهواه.

ومرة اتفق أنه صلى بجنبي جماعة، فأحصر الإمام في الركعة الثانية، ففتح عليه فقلت له بعد تمام الصلاة هذا فتح بعد تأدية الواجب على قول من قـال بـالفتح، وهـو مفسد للصلاة، فقال: رحمته، فاعجب!.

ومرة قلت له ما ينبغي سب الصحابة، فأجاب عـلي بقولـه تعـالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[4] فتجارى على تحريف القرآن كـما تـرى،

---

(١) الاستيعاب: يسمى (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) ويسمى: (الاستيعاب لمعرفة الصحابة) وهو للحافظ بن عبد البر الذي ستأتي ترجمته بعد هذا الهامش. (محمد عبد القادر با مطرف،الجامع، مج٢، ج٤، ص٦٦٥).

(٢) الحافظ بن عبد البر: هو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي المالكي (٣٦٨-٤٦٣هـ/ ٩٧٨-١٠٧١م) من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة، يقال له حافظ المغرب. له العديد من المؤلفات. (الزركلي: الأعلام، مج٨، ص٢٤٠؛ محمد عبد القادر بامطرف: الجامع، مج٢، ج٤، ص٦٦٥).

(٣) الروض: هو مختصر لكتاب (الروضة) فكان الاسم مختصراً من اسم الأصل، وقد سبق ذكره.

(٤) الأنعام: ١٠٨.

وجعل الصحابة رضى الله عنهم ممن يدعون من دون الله بمثابة الكفار، فاستوحشت من عقيدته هذه، ونَفَرَتْ نفسي عنه، فلم أكالمه بعد ذلك إلا جواباً.

[١٩١/أ] ودفن في جربة باب اليمن في الكناسة التي يضع فيها أهل المدينة الكناسات، لقربه من الباب والطريق.

ومن العجائب أنه استعار مني نسخة سنن أبي داود وقال: يريد السماع فيها، فبقيت عاجباً ورجوت أن إسعافه إلى ذلك فيه أما رجوع عن قوله أو مزيد حجة تقرر عليه في نظره، فسمعها على الفقيه علي بن محمد بن سلامة(١) عن الفقيه هادي بن عبد الله القويعي الحضرمي الشافعي عن مشائخه إلى آخرها ولم يتعرض لمحق شيء فيها، فكانت حجة عليه قائمة، وسنة على بدعته قاهرة، والله أعلم.

وفي هذه الأيام بمدينة عيان حضرة المهدي أحمد بن الحسن، اتفق أن الفقيه يحيى بن حسين الجمالي الحيمي دق جبهته رأس حصانه لما رفعه إليه لقوة صدمته، فمات وهو مع أحمد بن الحسن، والخيل التي ترفع رؤوسها وسلمها مالها إلا السباق يمنعها إلى حرامها. وكان المذكور شاعراً وله قصائد في مدح أحمد بن الحسن كثيرة، وعمل ترثية في المتوكل إسماعيل لما مات، وتهنية لأحمد بن الحسن، مستهلها قوله شعراً:

أحسن الله يا زمان عزاكا

قد ثوى في الثرى هلال سماكا

وفي سابع عشر شهر شوال يوم الأحد توفي السيد العارف عز الدين بن علي بن عز الدين بن حسن بن علي بن مطهر العُبالي الحجي نسبة إلى بلد العُبال(٢) ببلاد حجة

---

(١) هو القاضي العلامة المحقق الأصولي علي بن محمد بن يحيى سلامة، تلقى العلم على يد أبرز علماء عصره، منهم الإمام القاسم بن محمد وولده الإمام المؤيد، كان عالماً كبيراً، متفنناً في العلوم، خدم الإمام المؤيد في الكتابة، له العديد من المصنفات، توفي بصنعاء سنة ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م. (زبارة: ملحق البدر الطالع، ج٢، ص١٧٩؛ ترجم له المؤرخ ق ٢٣٥أ-٢٣٥ب من هذا الجزء).

(٢) العُبَال: قرية في الشمال الغربي من مدينة حجة، بالقرب من حصن مبين. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص٩٩٨).

وكانت وفاته بمدينة صنعاء، وهـو وأقاربـه يقولـون أنهـم هدويـة مـن أولاد الهـادي، ويقول غيرهم أنهم علوية وبعض السادة الذين سكنوا الأهجر أولاد السيد حسين بـن علي بن شرف الدين بن عز الـدين بـن مطهـر الأهجـري، وذكـروا أنهـم ينتـسبوا إلى جدهم مطهر هذا من علي بن محمد بـن هـادي بـن أحمـد بـن محمـد بـن سـليمان بـن قاسم بن يحيى بن حسين بن قاسم بن حسين بن قاسم بن يوسف بن الإمام الـداعي، ولم أجد هذا النسب في المشجرات أصلاً، وكذلك السادة بنو العوامي ويزعمـون أنهـم مـن أولاد الإمـام أحمـد بـن سـليمان[1] فلـم أجـد نـسبهم الـذي ذكـروه في شيء مـن المشجرات أصلاً والله أعلم.

وسبب ذلك أنهم أرادوا نكاح من سادة فاطميين من أهل كوكبان، فمنعوا وقـالوا: لا بد من معرفة النـسب، لأجـل الكفـاءة، فـأتوا بتـدريج إلى أحمـد بـن سـليمان أو إلى أحمد بـن الحـسين[2]، فلـم يوجـد في الأنـساب ذكـر تلـك الأسـماء جميعـاً حتـى ولـد ذلك الإمام.

كان له معرفة بعلوم العربية من نحو ومعـاني وبيـان ومنطـق وأصـول فقـه، وكـان الرجل فيه التسليم مع مداخلة لبعض الدولة، وكان يدرس في فنه مع حسن العقيدة في الصحابة والأصول، يعتمد على كتب السنة وكتب المعتزلة، جمع بينها وعرفهـا، ولـه في التصوف أيضاً معرفة وحسن ظن بهم وبالمسلمين[١٩١/ ب]، وكان آخر مدته سريـع الدمعة رحمه الله تعالى.

ورفعت هذه الأيام الضرايب التي كانت لعلي بن المتوكل باليمن الأسفل، وضريبـة صنوه حسن بحبور، وضريبة محمد بن أحمـد بعمـران، وضريبـة كوكبـان، واسـتقرت

---

(١) الإمام أحمد بن سليمان: سبق ذكره.

(٢) هو الإمام المهدي أحمد بن الحسين بن أحمد بـن القاسـم، الملقـب بـأبي طـير. دعـا إلى نفسه مـن حـصن ثـلا سـنة ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م وانتشر نفوذه في المناطق الواقعة شمال صنعاء. لـه رسـائل عديـدة وأبحـاث مفيـدة، ويعـرف بصاحب ذيبين. (زبارة: أئمة اليمن،ج١، ص١٥٢-١٦٠).

ضريبة محمد بن المتوكل بصنعاء، وضريبة الغراس بذمرمر.

وكان علي بن المتوكل أراد النفوذ من ذمار إلى صنعاء، فكتب إليه صنوه محمد أنه يتأخر هذه المدة، فعند ذلك سار إلى ضوران؛ لأن له فيه حلة[(١)]، واليمن الأسفل قد بلغ في الغاية من الركة، ولم يلبث أن عاد إلى ذمار.

وفي شوال وقع [في][(٢)] قَرْوَى[(٣)] من بلاد سنحان قتال فيما بينهم، فراح منهم جماعة ومصاويب، الغالب قيل أربعة.

وجهز أحمد بن الحسن المهدي مع الحجاج طريق تهامة السيد صلاح بن عز الدين كاتبه، وأمر معه من الصُّر ما كان قد فعله المتوكل.

وفي شهر القعدة سرج[(٤)] مسجدة النهرين الذي جنب سايلة وادي صنعاء كما سرج الأيام السابقة.

وفي عاشر شهر القعدة اقترن المشتري والزهرة في برج الدلو، وكان المشتري المرتفع.

[١٩٢/ أ] وفي هذا الشهر خرج المهدي من عيان إلى خيوان راجعاً إلى وطنه الغراس فما زال يترجل قليلاً قليلاً إلى أن وصل الروضة أول يوم بشهر الحجة.

وفي هذه الأيام ظهر مصنف في أصول الفقه سماه صاحبه (زبدة الأصول) لبهاء الدين العاملي الرافضي[(٥)]، أبان فيها بجهله إظهار مشاركته وأصحابه الإمامية للعلماء، وهو بجهله

---

(١) الحلة: يكنى بها عن النساء، وقد سبق ذكرها والمقصود أنه له في ضوران زوجة.

(٢) [في] أضفناها ليستقيم المعنى.

(٣) قَرْوَى: بطن من قبائل بني جبر من خولان العالية في شرقي مدينة صنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٦٨).

(٤) سَرَّج: أُضيء.

(٥) بهاء الدين العاملي وكتابه (زبدة الأصول): هو محمد بن حسن بن عبد الصمد الحارثي العاملي، ولد في بعلبك (٩٥٣-١٠٣١هـ/ ١٥٤٦-١٦٢١م) صحب والده إلى فارس، وبعد رحلات وأسفار عاد إلى فارس واستقر بأصفهان إبان حكم الشاة عباس الأول، ودخل في حاشيته. انصرف إلى التأليف، وصنف في الفقه والحديث والأدب واللغة والرياضيات، من أشهر مؤلفاته الكشكول. أما كتابه المذكور هنا فهو (زبدة الأصول) وهو في الفقه الشيعي. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج١، ص٣٧٥، ج٣، ص٢٠).

متناقض عليه. فمن جهله ما ذكره فيها أن خبر الآحاد معمول به، ثم قال في زبدته هذه: وما لا ينتهي إلى المعصوم لا يكون خبراً عندنا، فانظر واعجب من هذا القول الذي لم يقم عليه برهان، لما علم منه البطلان، فإن المعصوم على زعمهم قد قبل رواية الحديث من غير المعصوم وقبل شهادته ويلزم المصنف لا يقبل شهادة غير المعصوم، وهو خلاف المعلوم، ويلزم أيضاً أن لا يحتاج إلى حديث يروى للمعصوم، بل يحتج بقول المعصوم مطلقاً على أصولهم الفاسدة، وهذه مناقضة لأقوالهم بأقوالهم، ويلزمه أيضاً امتناع الإجتهاد منهم؛ لأن الإجتهاد إنما هو للمعصوم فيما يحدث من المسائل لمنعهم لقول غيره، وإن قال بصحة الإجتهاد من أصول الإثني عشر وما جاء من طريقهم، فنقول: الأحق بالإجتهاد من أقوال الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ أن يجتهد ويستخرج الحكم لا من أقوال المعصوم، ونحن نجد ذلك مبيناً ظاهراً مع تسليمكم للإجتهاد من الأصول، فعرفت بطلان أقوالهم. وهذا العاملي له أيضاً لشرح أربعين حديثاً أسندها من طرق الإثني عشر، وزعم أن المهدي المنتظر في مستتر[١٩٢/ ب] ما قد ظهر، على قولهم الفاسد. وقد ترجم لهذا العاملي الخفاجي[(١)] في كتابه (الريحانة)[(٢)] ورماه بالزندقة والإلحاد واعتقاد الرفضة، فلا يعتبر بقول العاملي، فإنه من المبتدعة، وما ذكره الخفاجي حقاً فإنه من أهل السنة. ورأيت للعاملي هذا المذكور الرافضي قصيدة ملحونة ضعيفة، تدل على أنه ليس له معرفة في علم العربية، والله أعلم.

وفي هذه الأيام ذكر الفقيه حسن بن محمد المغربي بصنعاء أنه لم يجد دليلاً متواتراً قطعياً في الحجة على إجماع أهل البيت غير آية التطهير[(٣)] على من احتج به في ذلك، وإجماع أهل البيت لا يقول به إلا الإمامية ومرادهم بأهل البيت الإثني عشر لا غير، كما

---

(١) الخفاجي: هو شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، فقيه وأديب لغوي (٩٧٧-١٠٦٩هـ/ ١٥٦٩-١٦٥٨م) درس علوم اللغة والفقه، وألف فيها.

(٢) الريحانة: هو كتاب الخفاجي: (ريحانة الألِبَّاء وزهرة الحياة الدنيا) وهو كتاب في فنون الأدب، يشتمل على تراجم كثير من الشعراء والأدباء في عصره، مقسمة بحسب الأقاليم، وتشمل مصر والشام والمغرب والحجاز واليمن، وتضمن الكتاب ترجمة لحياة مؤلفه وهو محقق مطبوع. (أحمد الخفاجي: ريحانة الألِبَّاء وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ج١، ص٣٢-٣٣؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٢، ص٢٦٥).

(٣) آية التطهير هي: قال تعالى: ﴿... إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[الأحزاب:٣٣].

عرف من قاعدتهم، وعند الزيدية جميع علمائهم، وبعض الزيدية وافق أهل السنة أنه ليس بحجة، وبعضهم قال: وإن كان حجة لكن أدلته ظنية، والمسألة مختلف فيها، وإنما الحجة إجماع الأمة مع ما فيه أيضاً من الكلام في كونه ظنياً، والله أعلم.

وفي هذه الأيام لما وقف أحمد بن الحسن على سيرة السيد أحمد الشرفي التي صنفها في سيرة الإمام القاسم وولده المؤيد، وذكر فيها قول الإمام المؤيد ببغي أحمد بن الحسن عليه أيام خروجه، وذكر كتبه ونصوصه، فتغير أحمد بن الحسن من ذلك وقال: هذه السيرة لا يلتفت إليها، فأمر السيد يحيى العباسي[1] الشاعر أن يصنف سيرة أخرى تكون ألفاظها موافقاً للهوى، ففعل السيد يحيى العباسي العلوي ذلك على ما يهواه، وما اشتبه عليه، عرضه عليه وهو يكتبه بخطه، كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى

فوافق قلباً فارغاً فتمكنا

ولما وصل العباسي إلى وفاة المؤيد بالله وقيام صنوه أحمد بعده قال العباسي لأحمد بن الحسن: ما سبب عدم القيام بدعوة أحمد؟ وما عرفنا ما نكتب حال دعائه لكم، وترك ذكره بياضاً، فطلبها منه وكتب بخطه أن السبب أنه ادعى العصمة، وأن الولاة يكونوا مثله، وليس كذلك، وإنما السبب الذي عرف أنه وغيره من الرؤساء طلبوا ولايات، فلما لم تحصل منه وأجاب بتعذر مطلبهم لم يتم منهم له الإجابة.

وفي شهر القعدة منها أرسل السيد محمد بن علي الغرباني الساكن ببرط رسالة يقول فيها بعد الترجمة وذكر القاسم بن المؤيد وأحمد بن الحسن وأنهما غير كاملين بما عنده ما لفظه:

---

(١) هو يحيى بن أحمد العباسي العلوي اليماني: عالم أديب، شاعر، رئيس، ماجد، من نبلاء صنعاء وأعلام القرن الحادي عشر. آزر الإمام الناصر (صاحب المواهب) ثم نكبه فلزم زاوية الخمول، لعل وفاته بعد سنة ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م، أما السيرة التي صنفها فهي: (نفخ الصور بذكر آل القاسم المنصور) منظومة اشتملت على ذكر الإمام القاسم بن محمد وأولاده وبعض أولادهم في ١٩٣ بيتاً. مخطوطة بمكتبة الأوقاف. (عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص ١٠٨٩).

وكنت دعوت لما عليه من كمال نظامها فيّ، وعدم علمي أنه فيها وفيّ مع كثرة من المرجحات، ووفرة من المصححات، لما رأيت البدع قد حمت على الأبدان صروحاً، وزرّت على البلدان مسوحاً، ولم يبد عالم في حَنْدسها[1] شعاعاً، ولا بلّ كاتب بمداد إنكارها يراعاً، بل عميت عليهم يومئذٍ، فهم لا يتساءلون، واشتد العمى على الأكثر منهم عن إنكارها يتهازلون، فدعوت رغباً في الفوز بدرجات السبق الفاخرة، وما أكرم الله به ذويه في الدنيا والآخرة، وترهباً من ظهور الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وتضييع: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2] وقول أولي الأمر: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[3] وتصميمهم على تلك البدع وهم يحسبون أنهم مهتدون، وكان كثير من الأنام من العلماء والعوام متوقفاً في صحة إمامتي، متردداً في شمول زعامتي، توهماً لسبق دعوته، ويستمد من المجد لذروته ولم يدر أن دعوتي العادية ضبحاً، المورية قدحاً، المغيرة صبحاً، المثيرة نقعاً، الواسطة جمعاً، السابقة قطعاً، إذ دعوتها إلى الرضا من[١٩٣/ ب] آل محمد، ودعوتي إلى نفسي لم تتردد، كما مر جوابه عن نفوسهم، وبعثوا به إلى الآفاق في طروسهم[4]، فدعوتي خاصة لي بعيني، ودعوتهم مردودة بينهم وبيني، فقد شاركتهم إلى غير المعين، واختصصت بسبق الدعوة إلى من يعين، وهل يختص بالسبق من أنا بشريكه فيه، أو يدعي مدع خلاف ما حذر عن فيه، كيف وأنا مدع إلى التفرد باسم الرضا، والمحكوم له في الكتاب والسنة بذلك القضاء، ومن شك في كمال الخلال[5] خلال الكمال فيا لله قل له ليختبرني فيما أراد، فأما أهان الفتى أو أجله، فهذا الحصان يلوك العنان[6]، وهاك الرهان وهات التعلي، فلست

---

(١) حندسها: الحِنْدِس: الظلمة، وفي الصحاح: الليل الشديد الظلمة. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٧٣٥).

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) الزخرف: ٢٣.

(٤) طروسهم: الطِّرْس: الصحيفة، ويقال هي التي مُحيت ثم كُتبت. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص ٥٨١).

(٥) الخِلال: مفردها: خِلَّة، وهي الخصال. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٨٩٤).

(٦) يلوك العنان: أي يمضغ اللِّجام في فمه، ويقال: لاك الفرس اللجام. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٤١٣).

بأمعة[1] في الرجال بسائل هذا وذا إن يدله، ولا أجد لي في الله لومة لائم، ولا مداهن للأجله، إلى أن قال: والإمامة إنما جعل مناطها التقوى، وشرطها السوي العلم.

الثاني أوضحه الكتاب أنه الشرط الثاني قصد به الألباب فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[3] والآن جددت الدعوة التي لم تبلى إلى العباد ورددت ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[4] ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ [١٩٤/أ] وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[5] ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾[6] ثم قال:

فليعلم كل من بلغته هذه الرسالة، وبرق بصره في هذه المقالة، من أهل العلم والجهل، وسكان الجبل والسهل، إني لا أعذر أحداً من الأنام، من العلماء والعوام ممن صححت لديه إماماً، أو صحت عنده باغياً ظلاماً، عما لا يشك في وجوبه عليه من كان عاقلاً، ولا يمترين في العقاب على تضييعه وإن كان جاهلاً، من الراوي ومنازعي الحوض الروي، الذي لا يظمي وراده، والمرعي المرى الذي لا يطوى رواده، من بين يديه تنزيل من حكيم حميد، وسنة رسوله المروية عن كل ضابط من سند الذين أوجب الله إليها الرجوع عند النزاع، وجعله شرطاً لإيمان به تنزيلاً، فقال: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[7] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا

---

(١) إِمَّعَة: لا رأي له ولا عزم، فهو يتابع كل أحد على رأيه. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص١٠٠).

(٢) الزمر: ٩.

(٣) يونس: ٣٥.

(٤) غافر: ٣٨.

(٥) غافر: ٣٢، ٣٣.

(٦) غافر: ٣٩.

(٧) النساء: ٥٩.

تكن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[1] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[2] فمن تولى منا عن تحكيم الكتاب والسنة رد إليه، ومن أبى قضائه حل القسر عليه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ [١٩٤/ ب] وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3] وإني داع إلى المحاكمة إلى كتاب الله، مستعين بكم يا جميع خلق الله، منقاد لحكم الله بأضعف الشعر، مضمن في إمضائه على من أريد من البشر ولا يقال: هذه كلمة حق أريد بها باطل، إذ أنا عن المال والقوه بغير الله عاطل، وإني أنشدكم الله الذي خلقكم وسوى، وألهمكم سبل الفجور والتقوى هل أكون باغياً وأنا أدعو إلى تحكيم كتاب الله؟، وهل يحل لكم تردوا الشارد حتى يفيء إلى حكم الله: ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[4] هذا مضمونها وأكثرها بلفظها، وقال: حررت يوم الإثنين لتسع خلت من شوال سنة ثمان وثمانين وألف[5]، ثم عقب ذلك بقصيدة مستهلها قوله:

أحمد ربي المهيمن القاهر
ذي النعم الغر والسنا الزاهر

أيها الناس فاسمعوا ثنائى
سماع خاش لربه حاذر

ها قد دعا خمسة وكلهم
قد ادعى أن سهمه العامر

(١) النساء: ١٠٥.

(٢) النساء: ٦٥.

(٣) المائدة: ٦٨.

(٤) البقرة: ٤٤.

(٥) ١٠٨٨هـ= ١٦٧٧م.

يـــا أكثـــرهم جاعـــل المكـــوس[1] لـــه
دينـــاً لديـــه مـــضيعها خـــاسر
يمكـــس في الـــسوق والطريـــق جميـــ
ـــع النـــاس مـــن مـــؤمن ومـــن فـــاجر
فالجـــل قـــدفاً عـــن تقدمـــه
ويـــؤ الـــوفر ذروة الفـــاطر
وقلـــدوا الأمـــر مـــنهم رجـــلاً
مـــن دون رُب حاجـــب بـــاسر
مـــستأثر مـــؤثراً لأسرتـــه
كـــأنما مـــال ربـــه هـــادر
ولـــيس في العلـــم راســـخاً قـــدماً
إلا أمـــاني يقـــرح الخـــاطر
مقـــسم للـــبلاد بـــين ذوي
قربـــاه كـــل بقـــسمه حـــاجر
أكثـــرهم جاهـــل ولايتـــه
خيانـــة للإلـــه الحـــاشر

مع ما فيها من الإزحاف وعدم الفصاحة، وقد جعلها ساكنة القافية، وإلا فكان فيها لحن ظاهر، والإنزحاف في قوله يا أيها الناس صوابه أيها الناس، وقوله اسمعوا ثنائي[2] الثناء إنما هو المدح في اللغة العربية والوصف الحسن، وهو قد جعله للشتم والذم.

[١٩٥/أ] وساق في القصيدة، وذكر أن هذه الدولة كدولة كسرى وقيصر، ثم بعد

---

(١) المكوس: المكس: الجباية، والمكس: دراهم كانت تؤخذ من بائع السلع في الأسواق. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٥١٥).

(٢) كتب في الحاشية بخط مختلف عن خط المؤرخ ما يلي: إنما هو نبأي -بالنون والباء- أي خبري، فلا زحف.

ذلك ذكر في هذه القصيدة الثناء على نفسه بالكمال، والصفات المرتضاة في الرجال، وأن غيره في حيز الإهمال، وإنما تشدده لإنشاء هذه الرسالة، والتفوه بهذه المقالة ما ظهر له من عزم أحمد بن الحسن على ترك القصد إليه، وأنه قد صار يريد التعريج والإرتحال من حدود تلك البلاد التي لديه، فأمن ذلك الجناب، وجدد الدعوة ومد في الخطاب، واعتقد في هذه الدولة ومن معهم البغي والعناد، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم. ولكنها شنشنة[1] في البلاد اليمنية معتادة، وأحوال الملك لمن أراده من يحط لجانب من خالفه وتزكية نفسه ومن أجابه، والدنيا لو عرفها الإنسان غرارة، والدخول في تكاليفها لا يكمل بها العبد الضعيف ولا يتم له فيها مراده، ولو عرف معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[2] لكان عند ذلك يعرف عجزه عن الوفاء بها ولو عرف بقوله تعالى[١٩٥/ ب]: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[3] لكان ذلك رادعاً له عن مدح نفسه وتزكيته، ولو عرف بمعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾[6] ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[7] وغير ذلك من الآيات القرآنية والسنة النبوية التي يضيق ذكرها هنا لأن هذا تاريخ لا يراد فيه إلاَّ الأخبار، لا المحاججة والجدال، على أن قوله واحتجاجه بقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾[8]

---

(١) شَنْشَنَةُ: الشَنْشَنة: الطبيعة والخليقة والسَّجيَّة. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٣٧٢).
(٢) الأحزاب: ٧٢.
(٣) النجم: ٣٢.
(٤) الأعراف: ٥٦.
(٥) آل عمران: ١٠٥.
(٦) لقمان: ٣٣.
(٧) القصص: ٦٠.
(٨) يونس: ٣٥.

خطأ فاحش من هذا السيد وجهل منه رابش[1]، لأن الآية لا يجوز لأحد من البشر أن يحتج بها؛ لأنها في سبب خاص، إذ هي في سياق قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[2] فالهادي الله تعالى لا غيره من هذا العالم المخلوق، فليس إليه هدىً أصلاً إنما الهادي الله تعالى، وكذلك في تلاوته لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[3] فهو خطاب من الله تعالى إلى اليهود والنصارى، ومن لم يعرف بدلائل الخطابات، كيف يدعي الإمامات، فأين وغيرك من هؤلاء الدعاة أيها السيد بمعزل عن شروط الإمامة الصحيحة. وأما طعنك في أحمد بن الحسن فهو قد قام أميراً محتسباً، وجمع كلمة المسلمين، وصلح بسببه كلمة المسلمين، وزالت الفتنة التي كانت ثائرة[١٩٦/ أ].

وبعث السيد محمد الغرباني هذا بتلك القصيدة الأولة إلى بعض الجهات، ويحثُ على الدعا للناس إلى الإجابة له مع تطلبات، وأن الهجرة إلى حضرته كالواجبة على زعمه والقيام بنصرته، وفيها بعض تحويل للقصيدة السابقة، وذم فيها دولة أحمد بن الحسن وولاته وأتباعه، وهو لم يشعر أن هجرته التي هو فيها مما يجب بالإجماع الهجرة عنه لأن فيها أحكام الطاغوت ظاهرة شاهرة، والشريعة فيها إنما هي لمن شاء من أهلها على سبيل المراضاة لا القهرية، ولا الأخذ من الحاكم إن وجد فيها عليهم باليد القوية، فالعقود بينهم على هذه الصفة لا تحل؛ لأن أحكام الطاغوت كفرية، بنص الله تعالى في كتابه العزيز، حيث قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[4] ونحوها من الآيات الكريمة في الطاغوت، والصفات الذميمة هذا حيث كان دعاك إلى الهجرة أيها السيد لغيرك، فأنت المدعو لها المخاطب بها إن كنت تعرف وتعقل، مع ما في

---

(١) الربش: الخلط، سبق ذكره.

(٢) يونس: ٣٥.

(٣) المائدة:٦٨.

(٤) المائدة:٤٤.

التفريق بين المسلمين من المخالفة لنهي رب العالمين، ولكن الأمر كما قال الشاعر[1]:

هـوى النفـوس سريـرة لا تعلـم

وفيها بعض القضاة من بني العنسي تراهم يتدينون وينكرون على غيرهم بزعمهم وهم[١٩٦/ ب] المستنكر عليهم بقعودهم في بلاد تجب الهجرة عنها، فإن بلاد برط وسفيان التي صاروا فيها يحكم فيها بالطاغوت على رؤوس الملا لا ينكر ذلك أحد ويقطعون السبيل، وقد ذكرت لبعضهم ذلك، فقال: ما يكره تركه لها إلا أن له منها زكاة تصرف إليه، فانظر كيف آثر الدنيا على الدين، فلا قوة إلا بالله، وأمثلهم قال: لما اعترضته إن محلته وجيرانه شارط عليهم أن لا يحكم أحد منهم بالطاغوت في بلده، ولكنهم يحكمون به في غير حوطته، وهذا غير مصوغ[2] له في التخلص من العذر في ذلك، كما لا يخفى.

ولما كثر منهم هذه السنين النهب وأذية المسلمين ابتلاهم الله بالقحط والجوع، حتى خلت أكثر بلادهم وطاسوا[3] في الأرض، وأما طعن السيد في أحمد بن الحسن، فأحمد بن الحسن قام أميراً محتسباً، وإن كان عند نفسه إماماً، وأما شروط الإمامة فهي في الجميع غير حاصلة، والملك لله يؤتيه من يشاء وأهل اليمن هم كثير في الإختلاف والدعاوي، فلعل هذه لكون يده قوية في مصلحة صدم أولئك، وحسم شجارهم واختلافهم[١٩٧/ أ]، ووجدنا الدلائل القرآنية، والسنة النبوية دالة على أن مقصود الشارع حسم الهرج والفتنة، والسعي في إصلاح الأمة، وفي الخروج بعد هذا الإستقرار ما لا يخفى من الهرج والتهييج للفتنة والأشرار، وكل احد ممن يخاف الله ويتقيه يتورع عن إشعال نار الفتنة ولا يبتغيه، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»، ثم إنا رأينا في الجفر المنقول عن الإمام علي ذكر أحمد بن الحسن بإسمه، بعد موت عمه بحروفه في مختصر بعض المطالب من جفر الإمام علي بن أبي طالب، الذي

---

(١) الشاعر: هو المتنبي، وقد سبق ذكر البيت كاملاً.

(٢) كذا في الأصل، وصحتها: مسوغ.

(٣) طاسوا: طاس الشيء طوساً: وطئه. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٦٢٤) ولعل المؤرخ هنا يقصد: تفرقوا في الأرض.

أخرجه الشيخ طاهر المغربي لوالده الحسن بن القاسم، ورأينا أيضاً في جفر آخر الذي فيه الملاحم لمحمد بن سالم[1] يذكر فيه صفة إسماعيل بن القاسم ثم محمد بعده خادمه الملك بن الحسن، حيث قال ما لفظه: المائة الحادية عشر يظهر فيها الظلم، ويبطل فيها الشرع، فتصير الأرض هملاً كأيام الفترة، ولا تجود السماء يومئذٍ بقطرة، وفيها يظهر الإمام الرحيم صاحب القلب السليم فينفي الغين، وينهي عن كل شين، وبعده سبطه القوام المعروف بالإمام، يعاديه أقاربه، ويحبه وزيره وصاحبه، وبعده خادمه المنسوب إلى الحاء وهو الملك الزاهر، فيقرر المقررات ويعود العوائد.

وفي سنة ٩٣[2] يظهر الخراب، ويمزق الكتاب، والله أعلم بالصواب إلى آخر ما ذكره، فقد أفادك ذكر الإمام القاسم ظهوره وقلة المطر في هذه المائة وكثرة القحوط وهو كذلك وبعد سبطه أي ولده وهو إسماعيل تطول مدته، وتمكن بسطته وأسقط المؤيد وبعده خادمه، هو أحمد بن الحسن المذكور خادمة، ومناصره والقائم بدعوته وأوامره في أيامه، وهو ملك كما وصف، فبعد ذكره في الجفر، لا يمكن أن يتم لأحد معارضته أصلاً، وهو ملك من الملوك أعطاه الله ذلك كما أعطى غيره قبله: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾[3] والله يصلح المسلمين. ويقال للسيد محمد: أما يكفيك ما قد جرى بين المهدي أحمد بن الحسن والسيد قاسم بن المؤيد من الفتنة العظيمة، وطول المكاتبة بينهما، والمناظرة، وإرسال الحكام لقصد جمع الكلمة، فلم يحصل بين الرجلين تسليم الآخر، حتى وقع بينهما التناحر، وكان المحكم بينهما السيف الذي جرى، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد[4]، ولم يكن للأقلام بينهما جدوى، وقد سكنت الأمور بعد ما جرى، فما الفائدة في رد الفتنة جذعاً، أما تعتبر أيها السيد إلى ما مضى، وتقول على الدنيا العفا، وأن الملك

(١) لم يتضح لي من هو محمد بن سالم الذي يقصده المؤرخ، ولم أجد في الأعلام ما يدل على أن واحداً منهم له ملاحم في الجفر.

(٢) ١٠٩٣هـ= ١٦٨٢م.

(٣) آل عمران: ٢٦.

(٤) لا شك أن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يريد، إلا أن أفعال العباد منهم وباختيار منهم سواء حرب أو صلح أو ظلم أو تقصير... إلخ.

لله تعالى يؤتيه من يشاء.

وحيث قد تم إعراض المذكور عنك، فذاك عُدَه أعظم غنيمة واسكن كما سكنت في المدة السابقة[١٩٧/ ب] في مدة المتوكل، إن كنت تحب تأثير المصلحة.

ولو رجع السيد إلى داره وبين أهله وأرحامه، وخمل وسار سيرة أمثاله، لكان هو الأولى له من تجشم المهالك، وقد جرى عليه قلمه بجوابه وهو لا يشعر في قوله وكنت دعوت لما علمته من كمال نظامها فيّ، وعدم علمي أنه فيهما وفّيّ، فنقض قوله لفظه كما ترى؛ لأن المعطوف حكمه حكم المعطوف عليه في الخطابات اللغوية، فإنه نفي بقوله وعدم علمي أنه فيها وفيّ، أي وعدم علمه أنها فيه أي الإمامة بعد أن أثبت أولاً، فناقض كلامه، وجرى في نقضه عليه أقلامه، مع أنه كان في هذه الرسالة التي بعثها إلى الحكام بعضها يقول في مستهلها وفي كتاب عنوانها إلى من صدرها، أنه بعد وصول كتابكم إلينا، كما رأيته في كتاب صدره إلينا، ولم نكتب إليه بكتاب، ولم نذكر في شفة ولا خطاب، فتعمد الكذب مما يقدح في قائله وينقض ما يدعيه من كماله، ودعوى الكمال خطأ في أحوال هذا العالم، لا يجوز لأحد التفوه به؛ لأن القدر لا تفي به، ولا يتم لأحد دعواه، ولا يطيق له ولا يحواه، فإن المتفرد بالكمال إنما هو الله تعالى الذي لا شريك له، فأما هذا البشر المخلوق فهو ناقص على كل حال والله يبصرنا بعيوب أنفسنا ويغفر لنا.

وفي هذه الأيام خرج محمد بن أحمد[(١)] من عمران، فصعق عند حال خروجهم في أبي سعيد مطر فهلك هو وحصانه جميعاً.

وفي نصف شهر القعدة وصل علي بن المتوكل وصنوه حسين من ذمار إلى صنعاء وسكنا عند صنوهما محمد فخطب صاحب المدينة[١٩٨/ أ] إلى آخر شهر الحجة، وعادا إلى بلادهما. وكان أصحابهم قد استدانوا من العمانين بالمدينة حول ثلاث مائة

(١) لم يتضح من هو المقصود، حيث أن محمد بن أحمد بن القاسم قد توفى في هذا العام نتيجة لمرض ألم به كما يذكر المؤرخ في ق ٢٠١ب من هذا الجزء.

حرف، فلما سار صاحب أمرهم لحقوه، فلحقهم الغرماء، فمنعوا عن التسليم لهم، وضربوا بعضهم على القاعدة التي ألفوها باليمن الأسفل، لعدم الضبط عليهم من أميرهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفي هذه المدة رحل من شهارة الحِلل[1] التي كانت فيها ساكنة من مدة الإمام القاسم وولده المؤيد بالله من أول الفتنة لما تقاصرت أحوالهم، وتقاللت مقرراتهم فاضطروا بالعود إلى بلدانهم، واستقروا حيث كانوا قبل، وسكنوا بأوطانهم، وقر فيها قرارهم كما قال الشاعر، وهو ابن المقرب:

ولكنها الأيام تبعد تارة
وتدني ولا بعد يدوم ولا قرب[2]

وكان ذلك أول تغير على أهل شهارة من حالهم ووضع عليهم من افتخاراتهم، والتعاظم على غيرهم واستخفافهم بالمسلمين، واستحقارهم، وسوء الظن بهم، والعُجب قد نهى الله عنه، وتزكية النفوس، كما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾[3] وكانوا يعتقدون أن الأمر كله ينتشر من شهارة، وأن القائم فيها هو الغالب لكل غارة، ولم يعرفوا أن أمورهم منهارة، ولله قول الشاعر، حيث يقول:

هي الدنيا تقول بملء فيها
حذار حذار من بطشي وفتكي
ولا يغرركم مني ابتسامٌ
فقولي مضحك والفعل يبكي

ثم بعد هذا بأيام تبع الضرر سائر أهل شهارة، من الفقهاء والسادة، فوصلوا إلى

(١) لعل المؤرخ يقصد بهم الذين حَلّوا أو سكنوا بشهارة لفترة مؤقتة، ثم انتقلوا عنها، ومفردها حِلّة.
(٢) ورد البيت في ديوان ابن المقرب كما ورد هنا. (ديوان ابن المقرب، ص ١٨٤).
(٣) النجم: ٣٢.

صنعاء في غاية الحاجة، وبعضهم خرج عن شهارة، وتمزقوا كأيدي سبأ[١٩٨/ ب] وملك عليهم من هو عندهم غير موافق لهواهم، ليعلموا أن الأمر لله لا لهم (قل اللهم مالك الملك).

وفي شهر القعدة سار علي بن أحمد صاحب صعدة إلى بلاد رازح، والعسكر يقبضون منهم المطالب، ويجرون عليهم ما كان عليهم من المراتب، فمنعوهم عن تنفيذ ما طلبوه، ولم يمتثلوا لما أمروه، وقالوا: لا نسلم إلى صاحب صعدة، ولا نرضى أحداً يأتي إلينا من عنده. وقال خولان: خطوطه عليه شاهدة برفع مطالبنا، وما وضعه لنا، فلم يقررهم أصحاب[١٩٩/ أ] علي وقالوا: لا بد من التسليم منكم، لما به أمرتم، فقالوا هذا السيف بيننا وبينكم، فاقتتلوا وراح من الجانبين نفوساً، وردوا أصحاب علي يؤوساً، فلما أن بلغ علي قصدهم، ودخل قلعة رازح. وعيال المتوكل إسماعيل بن القاسم قد كان استراحوا بهذا الصد منهم، والمنع لهم، لما في نفوسهم وقالوا: تلك البلاد لحسن صنوهم، والمهدي أحمد قالوا: ما كان ينبغي منه تخلية[١] علي يتولاهم، ولكل منهم هوى والميل لمحبة الرياسة من الجميع، والمنافسة في هذه الدنيا وهو عين المحق عليهم، مع اختلاف نياتهم، فإن نيات الملوك مؤثرة في رعاياهم وبسببها يعود المحق عليهم.

وفي أول يوم شهر الحجة رحل أحمد بن الحسن من قاع الرقّة[٢] إلى الروضة، وكان قد لقاه صاحب صنعاء محمد بن المتوكل وغيره اليوم الأول إلى الرقة، وعادوا بيومهم، وأحمد بن الحسن دخل صنعاء من الروضة من باب السبحة مجرداً[٣]، بُعَيد شروق الشمس.

[١٩٩/ ب] وفي شهر الحجة العشر الأولة انتهبت دهمة من برط بعض حمولة

(١) تَخْلِيَة: يُخَلِّي: يترك، وتخليته: بمعنى تركه يتولاهم.

(٢) يوجد عدد من المناطق تحمل اسم الرقة، غير أني لم أجد في المصادر المتوفرة لدي منطقة بهذا الاسم قريبة من الروضة أو شمال صنعاء.

(٣) مجرداً: بدون سلاح.

خارجة من صعدة يقال ستة أحمال، وغزوا إلى الجوف، أطراف بلاد معين، انتهبوا على أهلها إبلاً، قيل: وذلك بأمر السيد الغرباني إمامهم، فهو الذي أفتاهم بذلك وأغراهم، ولا يخفى ما في السعي لانتهاب أموال المسلمين والمساكين من الأمر العظيم، فلا قوة إلا بالله.

وفي شهر القعدة مات السيد حسن الحرة، صاحب عدن.

وفي هذا الشهر طلعت القمر ليلة سابع عشر من الشهر حمراء، ظن كثير من العامة أنها خاسفة، فالحكمة لله تعالى.

وفي هذه الأيام ظهرت زلازل في بلاد ريمة وأصاب[1] وقعار وحراز، لم تظهر في غير هذه الجهة، فالحكمة لله تعالى.

وكتب القاضي محمد بن علي قيس إلى صاحبه قاسم صاحب شهارة رسالة يعظه وينهاه عن الجور في بلاد الشرف، لما استفاض الجور فيها مما تضرر منه أهلها، وهذا من عجائب أحوال الزمان، فإن القاضي كان قد بايعه ومال إليه وغلا فيه وشهد بإمامته، ثم شاهد بعد ذلك ما شاهد من الخلل والجور الذي هو رأس الإمامة في القول والعمل. وزال بسبب ذلك مع أهل تلك البلاد بعض الإعتقادات في السيد قاسم الأولة، وزال بما رأوه من الذي نالهم منه العقائد الماضية.

وأحمد بن الحسن لما بلغه ما جرى من آل دُمَيْنة[2] من برط من النهب للقافلة من العمشية تغير خاطره، وبعث إليهم برسالة يتوعدهم فيها.

[٢٠٠/ أ] وفي هذه المدة قد كان تقالل السرق بصنعاء من السُرَّاق، ثم تحرك، فسُرق حانوت في السوق، ثم بعده ثلاثة بيوت، فتربص الحراس بصنعاء إلى دخول السَّرَق بيتاً، ثم أجمعوا عليه من خارجه مع زيادة من العسكر، فحازوه حتى لم يتمكن السراق من الهرب، فسلموا أنفسهم وطلبوا الأمان، فوجدوا اثني عشرة رجلاً عشرة من

(١) أصاب: وصاب، سبق ذكرها.

(٢) آل دُمَيْنة: فخيذة من قبائل ذو محمد، منازلهم في مديرية برط العنان. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٦٢٣).

الحراس واثنين من السرق الذين يقال لهم بنو الرعدي من بني قرمان من سنحان. وقد تكرر منهم السرق، فحبسهم والى المدينة، ولم يقم عليهم الحد فيما قد سرقوه، وكان هو الواجب شرعاً عليه فيما فعلوه.

وفي غرة شهر الحجة وصل الخبر إلى صنعاء بالأمر العظيم الجاري بالمسجد الحرام كعبة الإسلام، ومحل الأمن والإحسان، والقبلة التي فرضها الله على الأنام، وذلك أنها أصبحت في بعض تلك الأيام وإذا في جدراتها وبابها الشريف وأركانها ومطافها وزمزم ومقام إبراهيم وسائر المقامات للحنفي والشافعي تلطيخ النجاسة، التي نزهها الله عنها وشرفها وطهرها من الوسخ والغائط، فلما أشرف الصباح وظهر ما فيها من تلطيخ تلك الأوساخ، حملت الحمية العينة التي فيها من العسكر الإنجشارية[1] وقتلوا فيها قدر ستة أنفار وجدوهم فيها من طائفة العجم، وحصل فيها بعد ظهور القتل من أهل مكة الخوف والإحتياز بالبيوت، فأغار سائر أصحاب الشريف، وبلغ الخبر إلى جدة، فأغار أميرها إليها. وكان إذ ذاك الشريف بركات متولي مكة غائباً في بلاد نجد، فلما بلغه ذلك الخبر بعد حصول ذلك الواقع وصل إليها وقد انصرم ذلك الأمر الذي جرى فيها، فسكَّنوا فيها الأمر وأَمَّنوا طوائف العجم الذين بها من الإثني عشرية، ولم يعرف بحقيقة الفاعل بذلك الأمر، فمنهم من يقول من القرامطة[٢٠٠/ ب] ومنهم من يقول لعله من اليهود، ومنهم من يقول من النصارى. وأما العسكر فقالوا هم العجم وهو يبعد ذلك منهم، لأنهم من المسلمين ما يفعل ذلك إلا من كان من الكافرين، وإن فعل ذلك أحد من المسلمين فقد كفر به وخرج عن الإسلام بعمله.

وعلى الجملة فإن ذلك الأمر عظيم، وفعل جسيم، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم، ما قد جرى مثله، ولا اتفق فعله، والسلطان إذا بلغه ذلك يتغير منه، وكل مسلم من المسلمين، ومن يتق الله رب العالمين.

---

(١) الإنجشارية: هم فرقة الإنكشارية وهي من كلمة (يكى جري) بمعنى الفوج الجديد وهو الجيش العثماني النظامي. (د. حسين المصري: معجم الدولة العثمانية، ص٢٤٣).

إلا أن الراوي روى أن هؤلاء الذين وجدوا صبح ذلك اليوم الذي ظهر فيه الحادث في المسجد ستة نفر من الرافضة العجم، فأخرجوهم إلى باب العمرة وقتلوهم فقد يمكن أنهم الفعلة فإن القرامطة أحد فرق الرافضة، ويظهرون الإسلام في الجملة، وأصلهم من طوائف العجم أو من غيرهم، والله أعلم بحقيقة حالهم، فقد روى بعضهم أنهم وجدوا هؤلاء الرافضة الذين قتلوهم في أيديهم أثار القذر.

ويحتمل أن يكون الفاعل من النصارى، فأما اليهود فهم كما قال الله تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾[1] ولأنهم يعظمون البيت الحرام في كتبهم، ولأن النصارى من الفرنج قد دوخهم السلطان ودمغهم بأخذ مالطة وهي قاهرة لبلادهم وكسر ثائرتهم وشوكتهم وقتلهم وشردهم، لم يبق لهم قدرة على شيء من النكاية للإسلام. وقيل: أن السلطان كسر صليبهم في بلادهم، ففعلوا هذا لأجل ذلك، نكاية للإسلام.

ثم بلغ مع بعض الحجاج في السنة الثانية أن الفاعلين لذلك من النصارى، وظفر بهم في المغرب الجوان[2] لما تحدثوا هنالك بما فعلوه، فقتلوا، والله أعلم.

واليهود في اليمن هذه الأيام صاروا في حيص بيص من أمر المهدي أحمد بن الحسن بإخراجهم من اليمن، مع ضعفهم والشدة والقحط العام بالمسلمين وبهم، والأمر بإخراب كنيستهم بصنعاء، فصار محمد بن المتوكل يراجع عليهم، والرجل مصرٌّ في شأنهم، واعتل بأن المتوكل قد كان يريد ذلك فيهم مع فتوى أحمد بن صالح بن أبي الرجال، والتحريض منه بنفيهم، وكذلك يحيى بن الحسين بن المؤيد بالله.

وفي هذه السنة اعترض المهدي أحمد بن الحسن بعض الفقهاء في التمشية وقال: لو كان واجهت في مصالح المسلمين وقضيت الغرض كان أقدم، فهز رمحه عليه

---

(١) البقرة: ٦١.

(٢) المغرب الجوان: يقصد به المغرب الأقصى.

[٢٠١/ أ]وقال: هذا جوابك، فسكت الفقيه، والتمشية لا تنافي المصلحة مع إبلاغ الجهد في القيام بأحوال الناس.

وفي آخر شهر الحجة خرجت قافلة من بلاد حيدان، الطريق الغربية في العمشية، وفيها طعام وغيره قدر أربعين حملاً، فلما وصلت إلى حدود بلاد عذر قاصدين طريق الهجر انتهبها قبائل سفيان والعصيمات.

وفي هذه الأيام اعتذر يحيى بن حسين بن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد بن علي عن ولاية بلاد يريم، وقال: إنها ما قامت به وخدمه وأهل بيته وأصحابه، وأن فيها مقررات كثيرة، ثم لم يلبث إلا نحو أربعة أشهر ورجع إلى طلبها من المهدي، وشرط على المهدي ترك التحويلات والطوارئ من أهل المطالب، وإسقاط بعض المقررات، فساعده إلى مطلبه وأرجع ولايتها له، بعد أن كان المذكور حلف الأيمان لا تولاها، وحلف بطلاق زوجاته وإعتاق عبيده كما رواه الرواة عنه، واقتصر في هذه الولاية الثانية على خواصه. ولم يرجع العسكر الذي قد كان في الولاية الأولة جمعه، وكان يجتنب صلاة الجمعة في صنعاء، ويخرج إلى الجراف أو نحوه يتغافل عنها لئلا يحضرها ثم حضرها بعد هذه الولاية الآخرة[(١)].

---

(١) أكمل المؤلف هذه الفقرة في الحاشية، إلا أن يداً أخرى شطبت عليه بحيث لم يقرأ منه شيئاً، وكُتب في الحاشية أيضاً، ولكن بخط مختلف عن خط المؤلف والحبر أحدث ما يلي: (سيدي ما حملك على هذا البهتان إلا عداوتك لوالدي، حيث بلغ شاؤه في العلم والفضل والعبادة، فأنت كما قيل:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه

فلقد كان كل ما نقلت عن المتوكل وغيره من ....وأقوى بهتك لوالدي أنه خالفك في دعوات التمسك بمذهب الأشاعرة، وليتك عرفت من هو الأشعري وما هو مذهبه، وحالك في بهتك كما قال المتنبي: (ومر فالشمس..........الضياء).......ليت..........) من علمك الكلام).

ودخلت سنة تسع وثمانين وألف(1)

استهلت بالثلاثاء، والأسعار في الشدة والغلاء: القدح الحنطة بسبعة حروف، والذرة بخمسة، والشعير بأربعة[٢٠١/ ب] والشبكة التبن بسبعة، والرطل السمن بستين بقشة، واستوى هذا السعر في جميع اليمن، إلا أنه قد ينقص حرفاً ويرجع إليه.

ووصل بعض شيء من الطعام من بلاد الحبشة، لما بلغهم الغلاء، فدخل إلى اللحية وغيرها واستمر هذا السعر إلى آخر هذه السنة، إلا أنه استقر من بعد على الثلاثة الحروف للشعير، والذرة إلى أربعة، والبر إلى خمسة، وسبب ذلك قلة أمطار الخريف، فكانت ثمرة الصراب ضعيفة.

وفي خامس هذا الشهر وصلت كتب الحجاج إلى اليمن يخبرون بأن الحج كان مباركاً، وأن السعر الكيلة المكية بعشرة كبار مصري، والخارج من الشام ومصر والعراق العادة، والشامي أقوى من المصري والعراقي. وخرجت أوامر من السلطان إلى الشريف بركات أنه يخرج من مكة، ويكون استقراره بالحجاز؛ لأجل قبائل عنزة، فخرج عن مكة بعد أن أراد الإعتذار، فلم يعذره، وأخرج أهله وحريمه وخزائنه وأكثر عساكره، وجاء الخبر بعد ذلك بأن الزوار وافقوهم في المدينة، وحصل مع الشريف أوهام من ذلك الأمر بالخروج من مكة، وإن كان ظاهره لإصلاح الطرق، لكنه كان العادة لوالي مكة الإستقرار بها، ويكفيه غيره في تلك الجهة.

وجاء خبر وفاة الوزير الأعظم(2) للسلطان بالروم وأقيم آخر في مقامه، ولما بلغ محمد بن سليمان الذي كان انتصب بمكة بتصريف المقررات، وكان المولي له ذلك الوزير خرج عنها إلى المدينة النبوية، ولعله يرجع بلاده، إذ هو من بلاد فاس بالغرب

---

(1) ١ محرم ١٠٨٩هـ = ٢٢فبراير ١٦٧٨م.

(2) الوزير الأعظم: هو فاضل أحمد محمد كوبر يللي. وقد سبق ترجمته. ولم يكن وفاته في هذا العام، حيث توفى سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٦م. أما الآخر الذي أُقيم مكانه فهو أخوه بالتبني (قره مصطفى باشا) ومنن المرجح أن الأخبار لم تصل إلى يحيى بن الحسين إلا في هذا العام (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م). (أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص١٥٤-١٥٥).

الجوان، وهو من أهل العلم والعرفان.

وفي هذا الشهر طلع السيد جعفر بن مطهر الجرموزي متولي العدين، واطلع معه حمولة للمهدي قريب ثمانين حملاً، وطلع في أثره جماعة من مشائخ العدين يشكون على المهدي من كثرة المطالب، فاستبقى المهدي جعفر عنده وزجلهم.

واشتد الغلاء في الأسعار والقحط في بلاد عمان لأجل الجراد، وضعف الثمار.

وفي آخر نهار السبت سادس وعشرين شهر محرم عند الغروب توفي بدر الدين الأمير محمد بن أحمد بن القاسم بوطنه ومحل ولايته الروضة، قبلي صنعاء، ودفن بها عند جامعها الذي من مآثر والده[1]. وكان علته ورم برأسه وقروح ظهرت بوجهه، وكان ابتداء علته من الطريق حال رجوعه مع المهدي من الجهات الشامية، وكان دخوله صنعاء[٢٠٢/ أ] عقب وصوله تكلفاً منه، ثم لما عاد إلى الروضة انقطع مريضاً، وأقعد في داره أليماً، وانطفئ ملكه، وتحول أمره، بعد أن كان لهجاً في الولاية، وطامعاً في الزيادة، لما كان معه من البلاد الأولة، لتمكين الرياسة، فغلبت عليه الأقدار ولم يظفر من مقصده إلا بمخالفة إرادته، فإنه كان طالب أحمد بن الحسن أول إمرته وقيامه في ولاية حجة، فوضع له ولاية، واستراح بذلك بعض الاستراحة، وحسب أن ذلك هو البغية المقصودة، والحاجة المطالب فيها المرغوبة، وموانع الأقدار تعمل في عدم الهناء بذلك الذي صار. وأول حاسد له ومعاند أخوه عبد الله بن أحمد بن القاسم الذي من جهة صعدة، فإنه لما عانده أخوه علي بن أحمد وغلبه على أمره واستضعفه ومنعه أيس عن ولاية في الشام، ولم يبق له طوالع الأمل إلا فيما كان قد عرفه من حال قيامه مع صاحب شهارة وصهارته له. وكان صاحب شهارة تلك الأيام قد بعثه في مقادمته رئيساً إلى حورة بحجة، فلما انعكست على قاسم أموره، ولم يتم لها مقصوده، كما سبق ذكره، وصل عبد الله بن أحمد مواجهاً[٢٠٢/ ب] إلى المهدي بعد فتحه لشهارة كما تقدم

(١) المقصود به الجامع الكبير الذي بناه أحمد بن الإمام القاسم في الروضة.

إلى ذكره الإشارة. وكان قد نظر إلى حجة، وعرفها هذه المدة، مع تهالكه في الولاية والرياسة، فما زال يعمل الحيلة والتزويف للمهدي في أن يبعثه إلى عمل في حجة، فاتفق من المقدور أن ساعده أحمد بن الحسن المهدي على العزم إلى تلك الجهة، وأنه يمنع صنوه محمد بن أحمد عن إمتداد اليد، لا يكون له منها إلا ما عينه، وقيل: بل محمد بن المتوكل عرَّف أحمد بن الحسن في أن عبد الله بن أحمد تصلح ولايته لحجة ونظره على بعض منها لكون محمد بن أحمد استأصلها، ولا يدفعه إلا مثل ذلك الرجل كونه أخاه. وقيل: أن المهدي انثنى عن ولايتها لمحمد بن أحمد، وأن هذا صنوه أرسله مناصباً له، ومانعاً من تصرفه فيها، فأول ما جرى من المذكور وقد معه من الظفر والسرور، بالطمع في ولاية ذلك المخلاف المشهور أن قبل صاحب الدفعة لما سار بها إلى جهة محمد بن أحمد، ولم يتبع أمره، وأخذها عليه قبله، واستقر بمبين، واسترسل في الآداب وجرت اليد على الرعية، واليد القوية، فأوجسوا منه خيفة، وقالوا: هذا بلية، لما كانوا آلفين من السادة بني جحاف من البرارة، والمسايرة لهم على الصفة المعقولة، العادة الجارية معهم المقبولة[٢٠٣/ أ]فكان المذكور كذلك في تلك الجهة منهم يقول إنه متولي، ومنهم من يقول هو مأمور بأوامر، وأن الولاية باقية لابن جحاف وهو الثابت، ولكنه زاحمه المذكور في سياسات البلاد والمشكى والآداب، فصارت بلاد حجة متشاجر فيها بين المذكور وبين واليها، وبعض إلى محمد بن أحمد منهارة أعمالها، مختلف أحوالها، متضرر من ذلك أهلها. وأحمد بن الحسن قد كرر الطلب لعبد الله بن أحمد المذكور وصار يواعده ويماطله.

وكان تحويل السنة الشمسية بدخول الشمس أول درجة الحمل في تاسع وعشرين شهر محرم، والمريخ والمشتري في برج الحوت، وزحل في الجوزاء، والزهرة وعطارد في الحمل، وكذا القمر.

وفي هذه الأيام بآخر شهر محرم انتهب في العمشية بعض القافلة الخارجة من صعدة، وتركوا الحديد والجلود، واشتغلوا بالحاصل والنقود، وهاجت تلك القبائل

بين صعدة وشهارة من دهمي وسفياني وعصيمي، حتى حصل التخطف في البطنات[1] وأطراف بلاد عذر وحول حصن شهارة، لمن يختلف إليها وفي طرقها من المارة.

وفي نصف صفرها وقع مطر جود على جبل نقم، فنزل سيل عظيم إلى شعوب، من وادي فروة[2]، فعمه جميعاً، ودفن غيل الروضة القديم الذي يخرج من الصفاء، ودفن سائر الغيول، وخرب في شعوب بعض بيوته التي[٢٠٣/ ب] في الحافة مما لا يعتاد خرابه، وكان هذا بفصل الصيف، وصلح بسببه ثمرة الذرة في جميع اليمن، وشرع السعر ينحط، بعد أن كان قد بلغ القدح أربعة حروف.

وفي هذا الشهر حصل شجار بين أهل الديون وبين التجار، لما طالبهم أهلها امتنعوا عنها بسبب فتوى أحمد بن الحسن لهم بإنظارهم إلى ثمارهم وغلاتهم، وأدب المهدي المطالبين من التجار، وأجبرهم على الإنتظار، وأمر القضاة بأنهم يحكمون بذلك عليهم، ويجرونه فيهم. وكان القاضي محمد بن علي قيس من الجارين على قول العلماء الماضين من وجوب التسليم مع المطالبة للميسرين، وأن الإنظار إنما هو للفقراء المعسرين، فأمر ببيع العروض مما كان حاضراً للغريم، إما شراه الغريم أو شرى شيئاً من مال المدين بالتقويم، أو باعه في ذلك اللازم من الدين، فتحامق عليه المهدي أحمد بن الحسن وطلبه إلى صنعاء. وكان القاضي قد أرسل إليه برسالة فيها حجج العلماء، مثل الحديث الذي[٢٠٤/ أ] رواه الحاكم والدار قطني والبيهقي عن أبي بن كعب بن مالك أن النبي ﷺ: حجر على معاذ ماله وباعه في دين كان عليه ونحوه. فكان جواب المهدي: أنه أرسل عليه وعذره عن القضاء، وهذه مسألة ما أحد قد قال بها قبل هذا المذكور، واستنكر ذلك جميع علماء عصره، إلا إن الرجل ملك يريد إمرار قوله كيفما كان، وبعض من لا معرفة معه من الفقهاء قال: إن السبب نزول الآية كما

(١) لعله يقصد البطنة، وقد سبق ذكرها.

(٢) فروة: أصبح من أحياء صنعاء، يقع في الجهة الشمالية، نسبة إلى أحد الصحابة وهو فروة بن مسيك المرادي الذي بنى الجامع وأصبح باسمه. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٥١٤).

ذكر الواحدي[1] يقضي بقول المهدي، فإنه قال عن الكلبي[2]، وهو محمد بن السائب الكلبي بعد نزول آية الربا، قالت بنو عمروا بن عمير لبني المغيرة: هاتوا رؤوس أموالنا ولكم الربا ندعه لكم، فقالت بنو المغيرة: نحن اليوم أهل عسرة، فأخروا لنا إلى أن ندرك الثمرة فأبوا أن يؤخروها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[3] فالرواي الكلبي، وهو ضعيف الرواية، ثم إنه مخالف لما رواه غيره، فإنه روى السيوطي في تفسيره عن كثير من المفسرين والحفاظ أنها نزلت في الربا، ولم يذكر مثل قول الكلبي أصلاً، ثم إن العُسْرة في اللغة: الفقر، والقرآن عربي، فكيف يصح قول الكلبي مع مخالفة العربية؟ ثم فعل النبي ﷺ ببيعه في مال معاذ لدينه وغير ذلك من الدلائل. ثم إن قد روى بعض العلماء أن هذه المسألة إجماعية أن من معه عروضاً أو عقاراً وجب تسليمها في الدين مع المطالبة بثمن مثلها، كما ذكره النووي[4] في منهاجه وغيره، وقد روى الإجماع صاحب البحر[5].

وفي الحديث عنه ﷺ كما في الصحيحين: «مطل الغني ظلم»[6]. ولهذا الإشتباه مع المهدي أحمد بن الحسن[٢٠٤/ ب] كان أصل الشبهة معه في مطل الديون التي في ذمته لكثير من المسلمين، فكم في ذمته لهم وكم وكم!، وكانوا يشكون على مخدومه المتوكل إسماعيل، فلم يقدر أن يؤثر فيه بأمره له، فاجتمعت عليه ديون كثيرة أيام دولة المتوكل

(١) الواحدي: هو الإمام العلامة أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الشافعي، إمام علماء التأويل. كان طويل الباع في العربية واللغات، صنف التفاسير الثلاثة (البسيط) و(الوسيط) و(الوجيز) وله كتاب، (أسباب النزول) توفي سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥م. (محمد أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٥٦٠).

(٢) الكلبي: هو محمد بن السائب الكلبي بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبد الحارث، أبا النضر، كان عالماً بالتفسير وأنساب العرب وأحاديثهم، صنف كتاباً في (تفسير القرآن، توفي سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣م. (ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٦، ص٣٤١).

(٣) البقرة: ٢٨٠.

(٤) النووي وكتابه (المنهاج): هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا (٦٣١-٦٧٦هـ/ ١٢٣٣-١٢٧٧م) علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في (نوا) من قرى حوران بسورية، وإليها نسبته، تعلم في دمشق، وأقام بها زمناً طويلاً، أما كتابه المنهاج فهو: (المنهاج في شرح صحيح مسلم) في خمس مجلدات، مطبوع، وله العديد من المؤلفات الأخرى. (الزركلي: الأعلام، مج٨، ص١٤٩).

(٥) المقصود به الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وكتابه (البحر الزخار).

(٦) ورد الحديث في البخاري، ج٢، ص١٢٣، ١٥٥؛ الترمذي، ص ١٣٠٨-١٣٠٩؛ النسائي، ج٧، ص ٣١٧؛ أحمد بن حنبل، ج٢، ص٧١.

وأيامه، والمطل ظلم، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وله شبهة في المطل أيضاً أخرى بأنه قال لبعض المطالبين له أنا مشتري لبيت المال، فلا يلزمني لكم شيء، فانظر هذه الغفلة العجيبة، فإنه يقال له: إذا كنت ولي بيت المال فهو لازم لك القضاء منه، وإلا فلِمَ تشتري ذلك؟ والوكيل قد قالوا: أنه يتعلق به الحقوق فيما اشترى لموكله، فما فائدة هذه الأعذار التي لا تجدي ولا تنفع، ولكن الرجل قد أعجب برأيه، فتراه يتساهل أمر العلم، ويدخل نفسه فيه، ويتشبه بتدريس أهل الدنيا الذين يحابوه على سببها ويميلون إلى هواه لأجلها، ويصدرونه ويأخذون عنه وهم في الباطن يعتقدون أنه ليس كذلك، إلا أنهم لما رأوا تأثير ذلك إلى بذله لهم من الدنيا وضعوا عنده الكذب، وقد جاءت أحاديث أن آخر الزمان يجري مثل هذا الكذب عند الملوك، وأنه يكثر الجهل ويكثر أبناء الدنيا، والواضعين للكذب عند الملوك للتوصل إليها، والله يوفقنا إلى رضا رب العالمين، إلا أن المهدي المذكور لو كان اكتفى بما قد أصر عليه في نفسه، ويترك معاملة الناس للناس ويَكِلِ الأمر إلى الشريعة الجارية عند الحكام. وفي حديث رواه الطبراني والبزار عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سترون قبل أن تقوم الساعة أشياء تستنكرونها عظاماً يقولون هل كناحدثنا بهذا الحديث»، وأخرج ابن أبي شيبة عن عبادة بن الصامت عنه ﷺ قال: «سيكون عليكم أمراء يؤثرونكم بما تعرفون ويعملون ما تنكرون وينكرون عليكم فليس لأولئك عليكم طاعة» [٢٠٥/ أ]. وهو أيضاً من أوائل مصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً، لأن قضاء الدين للغريم من المعروف ومطله من المنكر، وهنا قد انقلب حكمه، فصدق ﷺ. وأخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون بعدي خلفاء يعملون بما يعلمون ويفعلون بما يؤمرون وسيكون بعدهم خلفاء يعملون بما لا يعلمون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن أنكر عليهم برئ ومن أمسك يده سلم ولكن من رضي وبايع» انتهى. وجعل في ذلك رسالة مزخرفة بالباطل والحجج التي لا صحة لها ولا معنى، وكيف وضعها؟ منها إنه احتج

بأخبار موضوعة فيها مثل الحديث الذي قال:إنه جاء في الحديث الصحيح: «إذا ضيق الأغنياء على الفقراء أذن الله بهلاك القرى» بعد أن زعم أن سبب الغلاء والقحط هو إلحاح التجار في المقضا من أهل الدين. ومن الحجج الضعيفة المعلومة التي لم يعرف بها المسكين أنه جعل مطالبة أهل الدين للغريم وبيعه لماله من بيع المضطر الذي نهى النبي ﷺ عنه، وقال عن أبي داود قال: خطبنا علي فقال: «سيأتي على الناس زمان عضوض يعض الموسر فيه على ما في يده ويبايع المضطرون ولم يؤمروا بذلك».

فهذا لا أصل له وهو حديث مقلوب محرف مزيد في آخره ما ليس فيه، وإنما الحديث على غير هذا اللفظ. وقال في رسالته هذه محتج على غيره وهو حجة على نفسه بقوله تعالى:﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾[1] قال: فبادروا بالرجوع إلى الله بالتوبة الصادقة والإقلاع عن المعاصي والتخلص عن المظالم لله وللعباد، فهذا حجة عليه بتخلصه من المظالم التي عليه، وما جرى منه سابقاً من البغي على الإمام المؤيد والقتول واستهلاك خزانة والده جميعاً ولا صار ما هو لبيت مال إلى الإمام، ولا صار ما هو ملك للورثة، وما هو مطالب فيه أيضاً من الديون من كثير من التجار ولم يسلمها لهم، وكذلك مطالب بأشياء من الجنايات التي صدرت منه[٢٠٥/ ب] في بغيه بغير حق وتهوره من بعد ذلك في بيوت الأموال، فإن مصروف بيوته في الشهر على ما روى أربعة آلاف حرف من غير الطعام والكسوات، ولو كان جزءاً يسيراً لكان بيت المال يحتمله في خاصتة، فأما هذا القدر فما قد اتفق لأحد قبله ولا يتفق لأحد بعده في ملوك اليمن: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2]. وذكر في رسالته هذه في التتن التشديد على ولاته وقضاته في تحريم بيع الشيء بأكثر من سعر يومه لأجل النسا، وقال: ما لم[3] يمتثل

(١) الروم: ٤١.

(٢) البقرة: ٤٤.

(٣) كذا في الأصل، ولعلها من لم.

رفعوه إلينا، وسيرى من لم يمتثل سيف الإنتقام بأيدينا التي هي قادرة وشدة شكيمتها لدين الله القاهرة، فهذا من الجهل حيث أوجب فيمن باع الشيء بأكثر من سعر يومه يستوجب القتل، مع إجماع العلماء أنه لا يستوجب ذلك في الربا المجمع عليه المتفق وإنما يضرب ويؤدب، فكيف هذه المسألة وهي بيع الشيء بأكثر من سعر يومه الذي في الحقيقة القائل بأنها من الربا مخالف للإجماع إن لم يقل به غير الهادي، وإجماع كافة العلماء أنها ليست من الربا. ثم ذكر التتن فقال: التتن من المضار في الأبدان، ومن القبائح المفسدة والمانعة عن الأديان، واجتناب ذلك واجب، فمن يرجع إلينا ويعول في أمر دينه علينا فليترك ذلك ولا يقاربه، فمن لم يمتثل فقد برئ منا وبرئنا منه، انتهى.

فانظر وأعجب من هذاً فإني لما ذكرت له ما وجه تحريم التتن فلم يجد حجة، فقلت له: مكروه، ولا دلالة على التحريم، فقال : نعم مكروه.

[٢٠٦/ أ] وفي هذا الشهر بعث الملك المهدي كتباً إلى اليمن الأسفل بأن التتن يترك إطلاعه إلى البلاد العليا، وأنه يرجح التحريم لتلك الشجرة المباحة التي توهم فيها من توهم ممن يعرف المعرفة التامة، فما كاد يتم به أمره كل التمام، ولا امتثل له أحد فيما أمر به ورام؛ لأن الحلال بين، والحرام بين، والله غالب على أمره، لا يمكن أحد أن ينفذ أمره في المخالفة لإجماع الإسلام، والأقوال الشاذة شاذة تضمحل فيها الأحكام.

وفي هذه المدة بشهر صفر ما زال التخليط في البلاد الشامية في طرقها وعدم انتظام أمور ولاتها وأمرها ونهيها، وتفرغ الحرامية للنهب، خصوصاً العصيمات، ومن إليهم من أهل الحرامات، فاستباحوا تلك الجهات. والقاسم عند ذلك صاحب شهارة أظهر بعض ما كان عليه من دعوته وعلامته إلى من كان يجيبه من أهل نصرته، فيكتب إليهم بالمنصور، وأما إلى غيرهم فبالقاسم، ومن كان بايعه أوأجابه لا يسميه إلا بالمنصور.

وحجة ظهر فيها تغلب عبد الله بن أحمد، وامتنع عن الوصول إلى المهدي. وزيد بن

علي بن يحيى بن المؤيد[1] لما استقر بظفير حجة أمر ونهى، وأدب وتصرف في مخازين الوقف لمن شاء، وقبض من زكاة أهل الظفير ومخلافه، وتصدر فيه للمشكى. واتفق هو والقاضي مهدي ووافق غرضه، لما كان حصل مع القاضي من أهل[٢٠٦/ ب] الظفير من الحاصل الماضي، فحصل مع مشائخ الظفير التضرر من ذلك الأمر الصادر، ومازال عنهم من المصالح في الزمن الغابر؛ لأن مثل الأداب اليسيرة كان النظر لهم فيها في بلدهم، وما استحسنوا مخالفة المذكور بمنعهم، ثم بعد ذلك لما كثَّر أهل الظفير الشكوى به أرسل له المهدي من يطلعه، فطلع إلى حضرته، سكن عنده حول سنة، ثم زلجه وشرط عليه أن لا يحصل منه تعرض إلى ما لا يعنيه.

وفي هذه الأيام تفوَّه المهدي بأن البلاد قد تقسمت مع عيال المتوكل، والأمر كذلك، ومحمد بن المتوكل وأخوته لا يسمحون بشيء يفوت عنها، بل قد زاد لعلي بلاد تعز، وهم إذا انتقص عليهم شيء لم يسامحوه ولو أدى إلى الخلاف عليه عندهم، كما أنه مع والدهم لو نقص عليه مما وضع له المتوكل شيئاً خالف عليه، فكان ذلك من عجائب الدنيا والتعارض فيما بينهما، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[٢٠٧/ أ] وفي ليلة سادس عشر شهر ربيع الأول خسفت[2] القمر طلعت خاسفة بالرأس في برج العقرب بحمرة، طمستها جميعاً، ثم تعقب الحمرة سواد، فالحكمة لله، وقيل: أنها أكسفت عقب طلوعها بسرعة بنحو درجة.

وفي هذا الشهر هرب جماعة من عسكر علي بن المتوكل من تعز إلى حضرة محمد بن أحمد المهدي إلى المنصورة في جملتهم خيل وأعيان أصحابه، وشكوا تقاصر أحوالهم، وأن علي بن المتوكل قال: ما يُسَلِّم لهم من الجامكية إلا النصف، فأنصفهم وقررهم عنده وأوفاهم بحوامكهم، وأخذ أيمانهم أنهم منه وإليه مع الوفاء لهم، فضاق علي بن المتوكل من ذلك. وهرب من عند محمد بن المتوكل أيضاً جماعة عسكر إلى حضرة المهدي في هذا الشهر

(١) هو زيد بن علي بن يحيى بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، ذكره صاحب بغية المريد بأنه من أولاد علي بن يحيى وأنه خلَّف من الأولاد علي فقط. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق١٦٨).

(٢) كذا في الأصل يؤنث القمر ويستمر في التأنيث إلى نهاية الفقرة.

لعدم العدد[1] لهم من جملة أهل حضرته وهم أيضاً أعيان عسكره وجمهورهم، فقررهم وعدَّ لهم[2] المهدي وقال لهم: هم منه وإليه، فتغير أيضاً محمد من ذلك الأمر.

وفي هذا الشهر كَتَبْتَ إلى محمد بن الإمام، لَّما حصل بعض ظن بقبول الكلام الشفاعة في تخفيف مطالب اليمن الأسفل، فقلت فيه ما لفظه: لا يخفاكم كثرة مطالب اليمن الأسفل، والولاة صار عذرهم التشديد عليهم في عدم نقص المرسوم من الدفعات، وهي قد زادت على المدة السابقة في زمن شرف الإسلام الحسن بن الإمام القاسم بقدر النصف، فالأولى الرجوع إلى الأصل المتقدم، مع أن الأولين كانت أحوالهم متكافئة، والبركات معهم والرعايا متكاثرة، فإذا أمكن سعيكم في حط[٢٠٧/ ب] نصف المطالب فهو الواجب، ولقد بلغ أن من جملة المطالب مطلبة الصلاة، فإذا قيل للجاهل صلّ قال: قد سلمت دراهم الصلاة. ومنها مطلبة أدب التتن، مع أنه يؤخذ فيه الزكاة، فهذه مناقضة، ثم بعد ذلك افتقاد فقراء كل جهة يصير إليهم من كل بلد ومن كل وال بقدر حالهم، ولا يلجأوون إلى الطلب كما كان يفعله الأئمة المتقدمين مثل الهادي[3] وشرف الدين وغيرهما، ويستمر ذلك على الوجه الذي فيه الهنا، والله يصلح أحوال المسلمين، ويجمع أمورهم على الخير ورضا رب العالمين.

وفي الحديث عنه ﷺ أنه قال: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» كما في السنن لأبي داود وغيره، وحديث الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «لا توكى فيوكى عليك» والله أعلم، انتهى بحروفه.

وكتبت إلى الملك الزاهر بن الحسن[4] بكتاب أيضاً نحو هذا، وذكرت له التخفيف على اليمن الأسفل والعدل، لتحصل رحمة الله بالمطر وصلاح الثمر، وذكرت

---

(١) العُدد: النقود، وهي المرتبات التي كانت تصرف لهم، سبق ذكرها.

(٢) عَدَّ لهم: بمعنى صرف لهم نقوداً.

(٣) سبقت الترجمة له.

(٤) المقصود به الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم.

الحديث: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وأنه ينبغي رفع الزائد على ما كان في زمان والدكم شرف الإسلام الحسن، ويبقى الأصل أو يزاد عليه اليسير مما يحتمله الرعايا، ويسقط الزوائد، فإنها زائدة النصف على ما كان وأكثر.

وفي آخر شهر ربيع الأول وقع قران الزهرة والمريخ في برج الحمل في سابع وعشرين الشهر المذكور[1].

وفي هذه الأيام جمع محمد بن المتوكل كتب والده فجاءت ثلاثة عشر ألفاً، وقسم منها بعضها مما وجد فيه رسم والده، رأيت وصايا والده، أول وصية بوقفها، ثم رجع عنها في وصية أخرى، ثم جعلها في آخر وصية للمصالح وأطلق، وإنما استحسن ولده إخراج ما هو مرسوم. وكان فيها كتب الإمام القاسم، وهي ثمانمائة، وهي وقف ذرية اختلطت بكتبهم، ولم ينتفع ورثة الإمام القاسم منها بل ذهبت مع المتوكل، فإن الفقيه حسين بن محمد قيس خزان الإمام المؤيد بالله بشهارة ذكر أنه قبضها المتوكل جميعاً من خزائن المؤيد بالله بشهارة، فهي بين كتبه، ومات وهي في يده، وبعضها لورثة القاسم مطالبون فيها وهي معهم غير نازلين فيها، والله الموفق.

[٢٠٩/ أ] وفي هذه المدة عارض قصيدة البردة[2] في مدح سيدنا محمد ﷺ الفقيه مطهر بن الحسين بن عبد الله مسعود بقصيدة حسنة، ما قصر فيها، وشرحها شرحاً وافياً بعقودها ولغتها وإعرابها ومعانيها وبيانها، ومستهلها قوله:

يا حادي الركب عرج نحو ذي سلم

عسى يوافيك أهل البان والعلم

---

(١) كتب المؤلف الورقة ٢٠٧/ ب ولكنها غير واضحة، وشطب عليها وبعد قراءتها بصعوبة وجدت الباحثة أنها نفس المعلومات التي أعاد كتابتها في الورقة التي تليها (٢٠٨/ أ) أي كررها بخط واضح نوعاً ما، وترك في (٢٠٨/ ب) بياضاً في الأصل.

(٢) قصيدة البردة: قصيدة في المدائح النبوية لأبي عبد الله محمد بن سعيد الصنهاجي البوصيري (٦٠٨-٦٩٦هـ/ ١٢١٢-١٢٩٦م) وعنوانها: (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) تتكون من ١٦٢ بيت، وقد عارض هذه القصيدة كثير من الشعراء. (محمد أحمد الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٢، ص٥٦٠).

ومــر ســلعاً ولا تخـشى وقيــت أذىً

فيـه وسـل عـن بـدور الحـي في الأكـم

إلى آخرها وجملتها ثمانية وثمانون بيتاً، استطرد فيها معجزاته ﷺ، وشرحها شرحاً بديعاً، وقرَّض هذا الشرح الذي هو في مجلد الفقيه محمد بن حسن الحيمي[1] بقوله:

إن تـــرد مطلبـــاً رفيعـــاً كـــريماً

وكلامـــاً مـــنظماً تنظـــيما

ورياضـــاً فيهـــا زهـــور وربيـــع

مـــن بـــديع يـــشفي الفـــؤاد الكلـــيما

فتأمـــل هـــذا الـــذي ألَّـــف النَّـــدب

وكـــن بالـــذي حـــواه علـــيما

إلى آخرها وسمى ناظم القصيدة المذكورة (المطلب الرفيع في شرح أزهار الربيع).

وفي ربيع الأول حصلت زلزلة في ضوران، فلله الحكمة.

وفي شهر ربيع الثاني أزال محمد بن المتوكل قِبَال[2] سوق الحب بمدينة صنعاء كان عليه كل يوم أربعة عشر حرفاً، فأزالها، ولم يبق إلا أجرة الكيالة أجرة المثل قرش على القدح..............[3] من غير دراهم، وقبال على الكيالة، ليحصل بذلك الصيانة وإزالة المظلمة. وقد زادت القبالات في الأسواق[٢٠٩/ ب] على ما كان في دولة الأتراك زيادة كبيرة، كان على سوق الحب في دولة الأتراك في كل يوم حرف واحد وللكيالين أجرتهم قدر ثلاثين كبيراً وعشرة كبار لشيخ السوق، وكذلك سائر الأسواق

(١) الفقيه محمد بن الحسن بن أحمد الحيمي الكوكباني: القاضي الأديب، كان قاضياً بكوكبان، وله نظم منسجم. وله شعر كثير، توفي سنة ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م. (الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص ١٥٣-١٥٤).

(٢) القِبَال: هو ما تفرضه الدولة من ضرائب على الأسواق.

(٣) غير واضحة في الأصل.

بصنعاء هذا القدر وأقل منه. وكان سوق الحطب عليه في دولة الأتراك مائة بقشة، والآن عليه كل يوم أربعة عشر حرفاً فأكثر، لا قوة إلا بالله، والعدل كان هو الواجب على هذه الدولة، فإنهم يقولون أنهم ينهون عن المنكر والمظالم، فأقل حالة أن يردوا ذلك إلى ما كان زمن دولة الأتراك، فإنه عدل كبير لو فعلوه، أو إلى ما كان أول دولتهم، وكان هذه الزيادة أكثرها من سنة سبعين وألف في المطالب، وإلا فإنها كانت قبل أقل. زادت على أول الدولة هذه بمثل النصف، وزادت على دولة الأتراك مثل ثلاثة أرباع، والبلاء في هذه المظالم إنهم صاروا يرضون بمن يزيد في القبال ويتوهمون أن ذلك مصلحة لهم، ولا يعرفون أن الذي يزيد هو يزيد على الناس في المظلمة من هؤلاء المتقبلين والولاة، فلو كان حسموا جميع ذلك وأخذوا المطالب المعتادة في جميع اليمن الأعلى والأسفل ليحصل العدل ويزول الجور، كان هو الواجب عليهم.

وفي هذا الشهر بيوم السبت[٢١٠/ أ] رابع عشر الشهر المذكور خرج المهدي من الغراس إلى شُرَع بالرحبة مما يلي بلاد الخَشَب، فبات فيه وأمر حال خروجه من الغراس بتحريق التتن الذي فيه، وتكسير المديع على ساكنيه، فلما بلغ المتسببن بصنعاء من البياعين للتتن خبوه(١) في البيوت، وخافوا عليه الفوت، وغلا سعره على ما كان قبله حتى بلغت الأوقية إلى ثمانية كبار سبعة كبار.

وفي نصف ربيع الآخر مات محمد صالح، الطبيب العجمي الإمامي الإثني عشري الرافضي بصنعاء،كان المذكور محترقاً رافضياً غالياً، سبَّاباً للصحابة رضى الله عنهم، قال: وأصله من الجيل(٢) والديلم(٣) من بلاد العجم، قال: وتلك الجهة قد صار أهلها رافضة اثني عشرية بعد [أن](٤) كانت زيدية ناصرية(٥) في الزمان القديم، وأنه على دين

(١) خبوه: أي أخفوه.

(٢) الجيل: (جيلان) إقليم فارسي إيراني، يقع في الجنوب الغربي لبحر قزوين. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج١، ص٦٦٧).

(٣) الديلم: يطلق على الإقليم الذي يسكنه شعب الديلم ويجاور إذربيجان من الغرب وطبرستان وجيلان (الجيل) من الشرق. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٢، ص٤٢٢).

(٤) تم إضافة النون ليستقيم المعنى.

(٥) الزيدية الناصرية: نسبة إلى الإمام الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بـ

أصحابه في الرفض، وكان يستريح لمن في اليمن من الزيدية الجارودية، لأن الجارودية يوافقون الرافضة في القول بالنص الجلي في علي، ويتحاملون على الصحابة رضى الله عنهم، ويذم الواقفية من الزيدية الذين يتوقفون في المشائخ.

قال مرة لواحد منهم: لا بد أن تقول الإمام علي وغيره من الصحابة ليس كذلك، أو تقول المشائخ أئمة كمذهب أهل السنة، ولا واسطة كما لا واسطة بين درهم مليح ودرهم نحاس، أين الواسطة بينهما؟ فانقطع ذلك وغلبه بالحجة[٢١٠/ ب] لأنه لا واسطة، بل خلفاء أو غير خلفاء، وكان قد بلغ في السن على قوله فوق مائة سنة، وأقعد آخر مدته، وكان لا يستر مذهب الرافضة، مرة قال إمام اليمن إسماعيل بن القاسم غير إمام عندهم، وإنما هو سلطان ملك وأمير كما أن الشاة عندهم كذلك؛ لأن الأئمة إنما هم اثني عشر لا غير، وكان لا يغسل رجليه بالماء للوضوء للصلاة بل يمسحهما من غير خف على مذهب الإمامية، وكان يقول أنه طبيب فيقصده بعض الناس فيطلب منهم دراهم كثيرة إن سلموها وإلا قال: ما عنده شيء أو فعل له من الدواء ما يزيد في علته، قاتله الله.

روي أن مرة تداوى عنده رجل كان اسمه عمر، فأشار عليه من شار أنه إذا سأله عن اسمه فيقول: محمد، لئلا يفعل له ما يضره لكراهية التسمية بعمر، فداواه حتى برئ، ثم جاء آخر فقال: يداويه بمثل ما داوى عمر فقال: من هو عمر؟ اسمه محمد قال: بل اسمه عمر فأرسل له بمعجون يهلك منه، وقال له: بقي فيه بقية من ألمه يستعمله، فاتفق أن وضعه الواضع في بيته أكلته شاه، فهلكت في الحال، وهذا من شدة خبثه، قاتله الله، وسلَّم الله ذلك الرجل.

أبي طالب، أبو محمد الناصر الأطروش (٢٣٠-٣٠٤هـ/ ٨٤٤-٩١٦م) هو إمام الزيدية، إليه تُنسب الناصرية من الزيدية. أقام بأرض الديلم أربع عشرة سنة، ثم دخل طبرستان سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م، فملكها ثلاث سنوات، وتلقب بالناصر للحق. (إبراهيم بن القاسم: طبقات الزيدية، مج١، مخطوط، ق٣٦٣؛ عبد السلام الوجيه: معجم المؤلفين الزيدية، ص ٣٣٠-٣٣٢).

وفي هذه الأيام ظهرت ضريبة الملك الزاهر المهدي، وهي ذهب أحمر في حجم الدرهم جعل صرفه بحرف، من العددي[1] من حساب الدينار سبعة حروف وليس بذهب خالص بل فيه غش فضة، وكذلك قطعة فضة في حجم ربع القرش جعلها بصرف حرف من العددي، وسماها رُبية، وكتب في وجهها: «لا إله إلا الله محمد رسول الله علي خليفة حقاً المهدي لدين الله» وما أحد تقدمه في هذه الضربة باليمن أصلاً ولا في هذه الكتابة، ولكنها اضمحلت بسرعة، وزاد غلت الأسعار بسبب هذه الضربة، وزيادة القدح قدر الثلث فأكثر.

وفي آخر شهر ربيع الآخر وصل عبد الله بن أحمد بن القاسم من حصن مبين بحجة لما تكرر طلبه من المهدي، وشدد عليه وتوعده إن لم يجيء.

ووصل السيد أحمد بن إبراهيم المؤيدي من بلاد صعدة.

وفي شهر جمادى الأولى جاءت جراد من المشرق من بلاد عمان، وأخبروا بأن بلاد عمان حصل فيها قحط، وغلا وجراد في شهر جمادى الثاني.

[٢١١/ أ] وحصل في أول هذا الشهر قران الزهرة والمريخ في برج الجوزاء، وكذلك قران زحل والمريخ في آخر برج الجوزاء أو أول السرطان.

وفي هذه الأيام أظهر القاسم بن المؤيد أنه يسير إلى صعدة، ثم إنه بقى يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، وهو إن كان علي بن أحمد يساعده ويعاونه فعل إن له هناك نفس، وإلا فإن البلاد لغيره. واضطر إلى أنه يقدم كتاباً إلى صاحب صعدة، فأرسل صاحب صعدة بكتابه إلى الملك المهدي أحمد بن الحسن، فلما بلغ قاسم ذلك فتر عزمه وخاب أمله.

ووصل في هذا الشهر والي حجة السيد علي بن حسين جحاف، فاستخف المهدي بجنابه، ولم يتلقاه عند وصوله ولا وافقه، بل خرج له بعض أولاده، ولم يوافقه إلا في اليوم الثاني في المجلس العام للقاصي والداني، ووصل بشيء من الدراهم، فاستقلها فزاد مثلها.

---

(١) العددي: النقود، سبق ذكرها..

وفي آخر هذا الشهر تفضل الله بالأمطار العامة في وسط الخريف، فصلحت الثمار.

ووقعت صاعقة بذهبان أصابت سيداً من بني المؤيد، وكذلك بسعوان أصابت امرأتين، وكان في المطر شدة ريح اقتلعت سيَّالة[1] كانت خارج باب اليمن، وأخربت حدرات، وساق ذلك المطر إلى أقاصي المغرب وعم المشرق والمغرب، فلله الحمد.

وحصل نكتة من بعض أولاد محمد بن أحمد بن القاسم بالروضة[٢١١/ب] ومعهما المهتدي الهندي الشاعر يسامرهم وينشد أشعار المجون لهم، فبلغ المهدي أعمالهم وعادتهم أمر عليهم عسكراً للقبض عليهم. وكان قد وقع منهم تعدٍّ على ساقي الغيل في الليل وهم سكارى وجناية فيه وهم ثمالى فوجدوهم العسكر على الشراب وغيره من الفواحش والإنكار وقبضوهم وكتفوهم، وساروا بهم إلى الحضرة المهدية، فكبلهم في الحديد وأمر بهم حصن ذمرمر للتشديد، وحبس البغية التي كانت تسامرهم، وهرب المهتدي.

وفي رجبها مات القاضي أحمد بن علي العنسي الأصل ثم العياني ثم الصنعاني ببيته بير العزب غربي صنعاء، وقبر بخزيمة، وكان عارفاً بالفقه لا غيره من فنون العلوم، فلم يكن له فيه معرفة ولا لمسه، إنما كان فقيهاً بحتاً، مقرراً للقواعد لا يميل عنها على قاعدة المذهب، ودخل آخر مدته في بلوى القضاء. ولما مات المتوكل إسماعيل وقام بعده أحمد بن الحسن لم يقل بكماله، ولا اعتقد إمامته، ولا حضر الجمعة في مدته.

وفي جمادى الآخرة مات الشريف لطف الله بن علي بن لطف الله بن مطهر بن شرف الدين بالروضة وهو في الخريف، وكان المذكور له معرفة وبعض مشاركة، ولكنه كان جامد القريحة[2] بعيد الهمة، بحيث أنه أسمع بعض الجزء الأول من صحيح البخاري على بعض الواصلين إلى صنعاء من دمشق وهو الحاج محمد كزبر مدة سنة كاملة، ولم يبلغ إلا إلى صلاة الجماعة، وهذا شيء ما قد اتفق في قراءة فيما علمناه،

(١) سيَّالة: نوع من الأشجار الطويلة.

(٢) القريحة: قريحة الإنسان: طبيعته التي جبل عليها، وجمعها قرائح. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٤٨).

وسبب ذلك أنه يعسر عليه الإملا ويتلكأ فيه ويختل عليه مجاريه[٢١٢/ أ] ولأن شيخه المذكور الحاج محمد كزبر الحنبلي الدمشقي الواصل إلى صنعاء هذه المدة ببضاعة من مكة كان يملي عليه جميع شرح ابن حجر العسقلاني فتح الباري على البخاري، فطالت القراءة بسبب ذلك. وكان هذا السيد قد دخل في مذهب الشافعي، ولبس لباس الفقراء، ثم إنه بعد ذلك تأهل بزوجه، وله منظومة في معتقده يذكر فيها أنه شافعي، وترك مذهب الهدوي وخرج عنه.

وكان يعتقد تكفير الرافضة والجارودية من الزيدية لأجل سبهم للصحابة، لردهم آيات كثيرة في مناقبهم، ومع ذلك كان لا يزال متجرماً من بني زمانه وبغضهم وغلوهم في بعض الصحابة رضى الله عنهم. وكان يشكو عليّ من حالاتهم، ويصف لي من أوصافهم، وأهم بالإرتحال إلى مكة والمدينة للمجاورة والسلامة من سماع أقوال هؤلاء الذين يتعرضون للسلف الصالح بما لا ينبغي بمقامهم، وما فيه من الرد لكثير من الآيات الواردة في القرآن بفضائلهم ومناقبهم، مع تواتر الأخبار من السنة المنورة فيهم، وعند ذلك أنشأ رحمه الله هذه[٢١٢/ ب] القصيدة الفريدة، والأبيات الرائعة المفيدة للسيد الماجد، علم الآل الفراقد، لطف الله بن علي بن لطف الله بن المطهر بن أمير المؤمنين يحيى شرف الدين، قاطعاً مادحاً لجده سيد المرسلين وآل بيته الميامين، وصحابته الأطهار الصادقين، وهي هذه:

رب يسر وأعن يا كريم

أحرق البين فؤادي المستهاما
وجفا جفني لذكراك المناما

كلما لاح على ربع لكم
بارق أنحل جسمي والعظاما

أو نشرت ريح صباً من نحوكم
ملأت قلبي ولوعاً وغراما

عــز عنــي يـــا حبيبـــي وصـــلكم

بعـــد مـــا صـــار فـــؤادي مـــستهاما

كيـــف أســـلوا بعـــدما يـــا منيتـــي

قـــد ســـقاني ســـحر عينيـــك الـــسقاما

وكـــساني الحـــب وجـــداً فـــيكم

هـــيج الـــشوق وأشـــجاني دوامـــا

وســـباني حـــسنكم بـــين الـــورى

فلـــذا يـــا فـــاتني همـــت هيامـــا

إن نـــوى قلبـــى ســـلواً عـــنكم

لا ســـلا القلـــب ولا رمـــت مرامـــا

حـــبكم مـــا بـــاح لحمـــى ودمـــى

فعـــن العـــذال قلبـــى قـــد تعامـــا

فأنـــا المـــضنا بكـــم يـــا جـــيرتي

وهـــواكم في حِمـــا قلبـــى أقامـــا

وحيـــاة الحـــب يـــا أهـــل الحـــما

إن وجـــدي لمـــواكم قـــد ترامـــا

وودادي وغرامـــــــى فـــــيكم

وولـــوعى واشـــتياقى قـــد تـــساما

وتـــلافي مهجتـــي في حـــبكم

أنـــا راضـــيةً وإن كـــان حرامـــا

أهـــل ذاك البيـــت جـــار لكـــم

مـــن ذوي القربـــا أتـــا يرجـــوا الـــذماما

وجـــاءكم يـــا ســـادتي معتـــذراً
يخـــش أوزاراً تناهـــت وأثامـــا
[٢١٣/ أ] كلـــما رمـــت وصـــالاً مـــنكم
عـــاقني الـــذنب فـــهالي والملامـــا
فمتـــى أحـــضى بكـــم يـــا ســـادتي
وأطـــوف البيـــت ركنـــاً والمقامـــا
ثـــم آتي زمزمـــاً قـــصدي بهـــا
أغـــسل الـــذنب وأوزاراً عظامـــا
فـــإذا جاوزتهـــا أرقـــى الـــصفاء
وإلى المـــروة أســـعى يـــا نـــداما
يـــا رفـــاقي مـــن معـــي نحـــو منـــى
نقـــصد الموقـــف نـــدباً والتزامـــا
نقـــف[١] آثـــار كـــرام ســـلفوا
ذكـــروا الله قعـــوداً أو قيامـــاً
فـــإذا نلنـــا بـــه كـــل المنـــى
ورأينـــا الخطـــب للخطبـــة قامـــا
وحَـــدَى حـــادي المطايـــا مـــسرعاً
وإلى وادي منـــى يبنـــي الخيامـــا
لليـــالٍ بمنـــى قـــد شرعـــت
وغـــدت للحـــج يـــا صـــاح ختامـــا

(١) كذا في الأصل، وهي نقفوا: أي نتَّبع.

يـــا إلهـــي إن قـــصدي طيبـــة

فــــإذا بلغتنــــي نلـــت المرامــــا

لأزور المـــصطفى خـــير الــــورى

وكــــذا آلاً وأصــــحاباً كرامـــاً

وأعفـــر صـــفحات انخـــدفي[1]

عرصـــات لهـــم تـــبري الـــسقاما

يـــا رســـول الله يـــا أشرف مـــن

نـــصر الحـــق ومـــن صـــلى وصـــاما

اصـــطفاك الله نـــوراً للهـــدى

ولأهـــل الـــشرك حتفـــاً وانتقامـــا

كـــم لكـــم مـــن آيـــة بينـــة

وصـــفات قـــد تعالـــت إن تـــساما

كـــم لكـــم مـــن معجـــزات ظهـــرت

مـــثلما الـــشمس غـــدت تجلـــو الظلامـــا

فعلـــيكم صـــلوات الله مـــا

غـــرد القمـــري ومـــا نـــاح وحامـــا

وصـــلاتي وســـلامى سرمـــداً

مـــا جـــرى دهـــر ومـــا دار ودام

صـــل يـــا رب عليـــه دائـــماً

صـــلوات طيبـــات وســـلاما

---

(١) كذا في الأصل، لم تتضح.

وعـــــــلى آل وأصـــــــحاب غـــــدا

بهــــم الــــدين عزيــــزاً لا يــــضاما

أهـــــل بيـــت المــــصطفى أنــــتم لنــــا

ســــفن الأمــــن إذا خفنـــا المقامـــا

كـــــل مــــن جــــاء إلــــيكم يعتــــزي

يـــأمن الخـــوف إذا خـــاف الخـــصاما

وكـــــذا أصـــــحابكم أضـــــحوا النــــا

مثـــل مـــا الإنجـــم لا نخـــشى ظلامـــا

حجــــــة الله عــــــلى كــــــل الــــــورى

بهـــداهم يهـــدى مـــن رام اعتـــصاما

بــــــــذلوا الله مــــــــنهم أنفــــــــساً

وكـــذا أهــــلاً وأمـــوالاً جـــساما

ســــورة الفــــتح بــــذا شــــاهدة

وبــــذا التوبــــة والأنفــــال قامـــــا

ورســــول الله أضــــحى مخــــبراً

إنهـــم خــــير مكانـــاً ومقامـــا

وعــــــلي الفــــــضل والى برضـــــا

ورعـــا الأصـــحاب حبـــاً واحتـــشاما

وكــــذاك الآل مــــن بعــــدهما

حفظـــوا الـــود ومـــا قـــالوا أثامـــا

أخــــذوا الأخبــــار عــــنهم حجـــــة

ولـــدين الله عـــدّوهم إمامـــا

قـــد أمرنـــا بالـــدعاء منـــا لهـــم
حيـــث جئنـــا بعـــدهم عامـــاً فعامـــا
عـــرف الحـــق مـــن استهدى بـــه
وعـــن الحـــق تعامـــا مـــن تعامـــا
يـــا رســـول الله في جاهـــك مـــا
نحمـــل الكـــلَّ إذا خفنـــا القيامـــا
يـــا رســـول الله مـــالي شـــافع
غـــيركم يرجـــى إذا خفـــت الخـــصاما
يـــا رســـول الله يـــا مـــن قـــد غـــدا
لكـــرام الرســـل ذخـــراً وختامـــا
فـــصلوا حـــبلي بكـــم يـــا ســـادتي
واجـــبروا كـــسرى فتعـــذيبي ملامـــا
واصـــلوني واقبلـــوا عـــذري فقـــد
أحـــرق البـــين فـــؤادي المـــستهاما

تمت كما وجدت.

كتب الفقير إلى الله عبد الرحمن بن محمد الحيمي[1] لطف الله به هذه الأبيات الرقيقة الرائعة، والمعاني البديعة الفائقة، وكان السبب في إنشائها أن قائلها رضى الله عنه وشكر مساعيه، وأعانه على حسن مقاصده الحسنة بما يؤمله من مراضيه أراد الحج سنة خمس[٢١٤/ أ] وخمسين بعد الألف على قدم التحديد، فعاقه عائق عن ذلك القصد الذي يحبه ويريده. هذا وقد كان عزم إلى محروس كوكبان، فسلم الأمر لما قضاه الكريم

(١) لم يتضح من هو المقصود، حيث أن عبد الرحمن بن محمد بن نهشل الحيمي قد توفى سنة ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م، وترجم له المؤرخ ترجمة مطولة في الجزء الأول، ق١٥٧أ-١٥٩ب) وقد سبقت الترجمة له.

المنان، وأقام بمحروس كوكبان لطلب العلم الشريف، وقاطعاً شكية إلى الله وإلى جده رسول الله ﷺ يطلب منهما الإعانة على ذلك المقصد العالي المنيف فجلب بحمد الله كل الحظ، وما ذاك إلا لحسن النية والمقصد، أقام الله حقها في هذه الجهة اليمنية وعظم شأنها في المدينة المشرفة المحمية، حتى أنه ذكر السيد الجليل العلم النبيل هادي بن محمد الحمزي النزيل في الحرم النبوي، المجاور للقبر المنير المصطفوي إنها خطيب الحظ الأكبر الفخيم، وحصلت كرامة يطول شرحها: ﴿ **ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ**﴾[1] وما ذلك إلا لسلامة صدر منشيها من العصبية والسلوك منا للسنة الحنفية النبوية، فسلك فيها طريقة آبائه الأئمة الهادين، وتبع فيها ما سنَّه سلفه الأبرار الصادقين، مبايناً للغلو في المحبة والتعصب، مجانباً للحقد والغل على أصحاب جده البرره الكرام غاية التجنب ممتثلاً ما أمر به الكريم الرحمن في قوله عز من قائل:﴿**وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ**﴾[2] منتهياً عن الغل الذي أرشد إليه القرآن العظيم في قوله تعالى:﴿**وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[3] ولما اطَّلع عليها الشيخ العلامة الأوحد الصمصامة إمام حرم المدينة المشرفة، ونزيل تلك الربوع الزاهرة المكرمة تشكر للسيد تلك المساعي الحميدة[٢١٤/ ب] والمقاصد المباركة الرشيدة، وقال: مثل هذا السيد لا يجهل شرفه وقدره ولا ينكر فضله وفخره، وأمر الشيخ العلامة الأديب الألمعي والفقيه الفهامة المحقق الأريب، اللوذعي عبد الواحد الدوقي[4]، حفظ الله ذاته وأبقى حياته بالجواب على السيد فخر الدين، فقال ممتثلاً، وشرع وأنشد وأبدع شعراً:

(١) الحديد: ٢١.

(٢) الحشر: ١٠.

(٣) الحشر: ١٠.

(٤) هو عبدالواحد بن أبي بكر الأنصاري الشافعي، قاضي من أهل الحجاز، كان رئيس القنفذة وما والاها من أرض الحجاز. له تصانيف منها: (شرح الرحبية) في الفرائض، و(شرح عقيدة الإمام المتوكل على الله إسماعيل) وغير ذلك، توفي سنة ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م. (زبارة: ملحق البدر الطالع، ص ١٤٣؛ الزركلي: الأعلام، مج٤، ص١٧٥).

جــرد الــصب مــن الحــب حــساما

وبـــه وَفَّ مـــن الفـــضل المقامـــا

وصريـــــح الحــــق إذ لاح لـــــه

لم يخـــف رداً ولا يخـــشى ملامـــا

نـــصر الـــدين بقـــول أبلـــج

خـــذل الله بـــه مـــن قـــد تعامـــا

أظهـــــر الله بـــــه حجتـــــه

وأزال الـــشك عنـــه والظلامـــا

حبـــه مـــن عـــالم مـــن فـــضله

قـــد أقـــام الـــوزن منـــه فاســـتقاما

ثـــم امـــضى صـــارماً مـــن قولـــه

قطـــع الخـــصم ولم يبـــق اختـــصاما

يـــا لقـــومي هـــل رأيـــتم فاضـــلاً

أنـــصف الحـــق مـــن الـــنفس ودامـــا

لـــيس إلاَّ هاشـــــمي بطـــلٌ

لـــوذعي[1] خـــير مـــن طـــال وقامـــا

إنـــه مـــن فتيـــة خالـــصة

وبهـــا المجـــد تعـــالى وتـــساما

(١) اللوذعي: الحديد الفؤاد واللسان، الظريف، كأنه يلذع من ذكائه. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٣٦١).

مـــن بنـــي عبـــد منـــاف قـــد نفـــى
شـــبهة الجهـــل لزومـــاً والتزمـــا
وأتـــاه بالنـــصح منـــه قـــيما
لـــيس فيـــه عـــوج شـــأن الكلامـــا
قـــد تـــولاه ألمعـــي بـــالتقى
زاد في تلـــك علـــواً واحترامـــا
لم يـــزل فينـــا شريفـــاً قـــدوة
يهـــدي الله بـــه ثـــم إمـــام
مـــترض عـــن صـــحاب ســـبقوا
جعـــل الله لهـــم أبـــداً قـــداماً
صـــدقّ القـــرآن في آياتـــه
بـــالرضى عـــنهم وللأعـــداء أضامـــا [٢١٥/أ]
شـــهر الفـــضل بـــنص المـــصطفى
وبآيـــات لمـــن رام اعتـــصاما
حـــج خـــصماً بحجـــاج قـــاطع
وعـــلى ذلـــك برهانـــاً أقامـــا
فأدمـــه يـــا إلهـــي للـــورى
واعطـــه ذلـــك برهانـــاً أقامـــاً
وأبقـــه فينـــا إمامـــاً ســـننا
ثـــم زد ذاك وبلغـــه المرامـــا

واغنـــــه لهبـــــات لـــــيرى

مــا بقـــى في مثلهـــا عامـــاً فعامـــا

لـــــيقم بالفـــــضل فينـــا منــــصفا

ويعــــدل مــــستو يرعــــى الــــذماما

إن هـــــذا فـــــاطمي علـــــم

عـــالم للفـــضل قـــد صـــار ختامـــا

مـــن بنـــي حيـــدرة[1] أســـد الوغـــا

ويـــه الهيجـــاء هاجـــت ثـــم عامـــا

بحرهـــــا المظلـــــم في تيارهـــــا

وأثـــار النقـــع بـــل أســـقى الحمامـــا

ســـيد مـــن ســـادة بـــل ســـند

شـــيد المجـــد ومـــا قـــال لمامـــا

خـــير مـــن قـــال ومـــن صـــال ومـــن

نـــال فخـــراً يمنـــاً منهـــا وشـــاما

يـــا لـــه مـــن عـــصبة منـــصورة

وســـيف الحـــق مـــا أبقـــى خـــصاما

أيـــدوا بالـــسنة الغرامـــــا

بعـــدها رســـم امـــن ســـما وســـاما

(١) حيدرة: من ألقاب الإمام علي بن أبي طالب، وتعني: الأسد. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٥٨٦).

ثـــم كـــانوا حيـــث قـــال المجتبـــى

وعـــلى مـــا كانـــت الـــصحب قيامـــا

لم يـــــسموا أهلهـــــا إلا لمـــــا

تـــابعوا فيـــه بهـــا الرســـل الكرامـــا

لـــــيس فينـــــا فرقـــــة ناجيـــــة

غـــير مـــن تـــابع منـــا واســـتقاما

ســـــنة الهـــــادي بـــــذا قاطعـــــة

إن مـــــن تـــــابع لم يلـــــق أثامـــــا

وكتـــــاب الله أعـــــلا حجـــــة

بـــل هـــو الـــوثقى فلـــم يخـــشى انفـــصاما

إنـــــه ســـــفن النجـــــا كـــــلا ولا

بعـــــده قـــــط نجـــــاة التزامـــــا

مـــا لأقـــوام رضـــوا مـــن أمـــرهم

كـــل مـــا لايـــم خرقـــاً لا التآمـــا

جهلـــــوا ذلـــــك أم هـــــم علمـــــوا

فعمـــــو أزيـــــد واصـــــطلاما وانبكامـــــا

فـــانظروا أهـــل بـــما جـــرى ونـــصرو

أودعـــوا مـــن بعـــد مـــا جـــا واهتمامـــا

هـــل نفـــى فـــضلهم كـــلا ولا

عـــرف الحـــق الـــذي للـــصحب دامـــا

واســـألوهم هـــل لهـــم مـــن ســـند

وإلا مـــا كـــان هـــذا وعلامـــا

فـــارض يـــا رب عـــن الـــصحب

تـــرضى عـــنهم واخـــز اللئامـــا[1]

وعـــن الخـــبر الـــذي مـــا شـــأنه

غـــير مـــا أولاه ســـادة عظامـــا

وصـــلاة الله تغـــشى أحمـــداً

خـــير مـــن أولاهـــم طـــراً ودامـــاً

وعـــلى آل كـــرام حفظـــوا

جـــدهم في صـــحبه ثـــم احتكامـــا

وعلـــى الـــصحب ومـــن تـــابعهم

صـــل يـــا رب صـــلاة وســـلاما

[٢١٦/أ] تمت كما وجدت. والحمد لله رب العالمين .

وفي هذه الأيام وصل اعتراض في صورة سؤال بعث به العماني إلى ولي الأمر باليمن، يذكر فيه أن القهوة لا ينبغي استعمالها، وأنها حرام عنده، محتجاً أن فيها شبهة بالإدارة بأعمال الخمر، وأنها مسكرة، وأن بعض الشافعية حال خروجها أفتى بتحريمها، هذا محصول اعتراضه وسؤاله. وهو اعتراض باطل، وسؤال عاطل خالف فيه إجماع العلماء وأهل السنة وغيرهم، ولم يكن فيها من أدلة التحريم شيء لا إسكار ولا غيره، فإنها من جملة الطيبات التي تضمنها قوله تعالى:﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ

(١) كذا في الأصل، البيت ناقص.

﴿ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾[2] والأمر واضح فيها، لا ينبغي التطويل في دلالتها، وأما الإدارة فليس بمجرد حجة في التحريم فقد يدار الماء للشرب، وقد يدار شرب اللبن كما ثبت في شمائل النبي ﷺ[3] أنه كان يديره على يمينه. وعلى الجملة أن القول بالتحريم من الجهل الذي لا يخفى. مع أن العماني كان الأولى له نهي نفسه من قطع الطريق في سواحل بلاده إلى اليمن، وفي البحر بحيث أنه تعدى إلى سواحل اليمن وانتهب من أموال المسلمين[٢١٦/ ب] ما لا يزال في هذه السنين، حتى كان سببه ذهاب أموال عظيمة على تجار من بلاد الحسا وبلاد العجم والهند وغيرها، بحيث أنه قطع مسيرة البن إلى تلك الجهات في هذه السنة والتي بعدها، ولم يخرج فيها من بلاد العجم والحسا أحد بسببه، وقطع الطريق أعظم شيء في التحريم فلو نهى نفسه أولاً عن ذلك لكان هو الأولى له، والله الهادي إلى سواء الطريق.

وقطع أيضاً طريق البصرة وتجارها إلى بلاد الهند واليمن، والله يسلط سلطان الإسلام ابن عثمان على زواله ودماره، فإنه صار من المفسدين في الأرض بغير الحق، مع بدعته التي هو فيها من اعتقاد مذهب الإباضية من الخوارج الردية.

وفي هذه الأيام أطلّع علي بن أحمد بن القاسم صاحب صعدة على كتاب بلاغة بخط الفقيه حسن المتميز، الذي كان وكيلاً للمتوكل على الله إسماعيل على مخازين بيت المال، بصعدة يذكر فيه إلى المتوكل أموراً كثيرة على علي بن أحمد، فطلب علي بن أحمد المتميز إلى حضرته وقال له: هذا خطك؟ فقال: نعم.، فقال له: ما حملك على هذا الذي نقلته إلى المتوكل وكشفته؟ فقال الفقيه: الغيرة عليكم يا أهل البيت، فأمر بحبسه في الحال ونهبه فنهبوه، في الديوان، وخرج إلى الحبس وهو عريان[4] وكبله بالحديد، ثم أنه

---

(١) المائدة:٨٧.

(٢) النحل: ١١٦.

(٣) هو كتاب: (الشمائل المحمدية) للترمذي.

(٤) الله أعلم بصحة هذه الرواية.

تشفع فيه من تشفع بإطلاقه، فأطلقه ولم يقر بالفقيه قرار، ووصل إلى صنعاء بقي فيها مدة من الزمان فوق السنة، ثم إنه عاد إلى بلاده، وكان المذكور من المشيرين على المتوكل بعزل علي عن صعدة وتولية ولده الحسن، فلم يُقدر الله ذلك، وحال بينه موت المتوكل.

[٢١٧/ أ] وفي آخر شهر رجب منها رأيت حجارة مكتوباً فيها كتابة خلقة ما لفظه محمد بن إبراهيم بهذا اللفظ، فقلت: لا يعلم أحد بهذا الإسم من المشهورين إلا السلطان محمد بن إبراهيم بن عثمان.

وفي هذه الأيام كتب القاسم بن محمد بن المؤيد صاحب شهارة إلى محمد بن المتوكل أنه يطلب له من صنوه أحمد بن المتوكل ولاية بلاد عذر، ما كفته بلاد الشرف، فذكر لصنوه أحمد ذلك، فلم يسعد.

وفي هذه الأيام بشهر جمادى الثاني خرج أحمد بن المتوكل إلى عند المهدي يطلب منه ولاية حجة، وخرج معه صنوه محمد بن المتوكل فلم يسعد المهدي إلى ذلك، فجعل له محمد بن المتوكل من بلاده بلاد ثلا، وما اكتفى ببلاد عفار والسودة وعذر، ولذلك طلب أحمد بن محمد بن الحسن زيادة بلاد إلى بلاده، فلم يسعد المهدي إلى مطلبه لكنه زاد له دراهم من حضرته.

وفي هذا الشهر تم بناء مسجد النهرين بصنعاء، عمارة عظيمة، ومطاهر واسعة، لأجل ما ظهر من تسريجه كما مضى تاريخه، ظهر لأهل المدينة بركته، وكان مسجداً صغيراً وله مطاهر قليلة، والمعتني بذلك جيرانه، وأعانهم بالبعض ناظر الوقف. وهذا المسجد الذي في بطن وادي صنعاء قريب باب السبحة.

وفي هذا الشهر اشتجر حسن بن المتوكل، وقاسم بن المؤيد على سوق أحدثه قاسم بمساقط بلاد الشرف بتهامة، فأراد حسن خرابه، فأرسل المهدي من يطوفه، وأنه إذا كان قديماً بقي على حاله. وكذلك أحدث حسين بن حسن صنو المهدي سوقاً في

الحرشة، فأمره صنوه المهدي بإزالته، فامتنع[٢١٧/ ب] وقال إنه لم يحصل منه تغيير في بلاده فيتركه على حاله، فتغير المذكور من ذلك ورد تحويل حول به عليه من المعتاد لأهل جبل ضوران ورتبته، وأهم بالتقدم عليه، فعند ذلك طلب المهدي من صنوه الحسين الإتفاق والوصول، فلم يسعد إلى ذلك، وما زال يواعده ويماطله، فأهم المهدي التقرب إلى جهته، فإن وصل وإلا تقدم عليه إلى حضرته، والكتب ما زالت بينهما وبين ولده محمد بن أحمد صاحب المنصورة، وهم يواعدونه ويماطلونه ويعتذرونه، وإنهم يخطبون له ويمضون سِّكَّته، لكنه يترك لهم بلادهم وحالهم.

واتفق في شمسان بني عكاب[١] أن جماعة ساقوا الدبا من وادي الصلبة، فطلعت إلى مال أخرى، فلقتهم حُرْمَة[٢] رجمت أحدهم فسقط ميتاً لوقوعها في رأسه ثم رجمت آخر كذلك، وبقى الثالث منهم حمل على الحرمة قتلها، فسقط القود[٣] بها.

وفي هذه الأيام ظهر سَبْعٌ أخاف الحميان للذرة[٤] بجوار جبل نقم وسعوان، وهو أكبر من الضبع في حجم الصعب[٥]، وله عقيق كعقيق البعير الصغير، فقيل: أنه السمع[٦] وقيل: السبسب[٧] والله أعلم.

[٢١٨/ أ] وفي هذه المدة حصلت نفضة في الناس، بحيث يعم المرض بعض البيوت، فلا يجدون من يصنع لهم الطعام، وقد يصنعه لهم رجالهم ثم يمرضون، ويقوم الأولون، ومنهم من يقضي عليه أجله، وكان هذا في فصل الخريف.

وفي نصف شعبان ظهرت الجراد من تهامة، وهي التي أثرت فيها الواصلة من عمان

---

(١) عُكَاب: جبل وأودية غربي مَبْيَن من بلاد حجة، يسيل إلى وادي مور، من سكانه آل شمسان، وهم المقصودون هنا. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١١٠٠).

(٢) حُرْمَة: امرأة، سبق ذكرها.

(٣) القَوَد: القصاص، سبق ذكره.

(٤) الحُمْيَان للذرة: هم من يقومون بحماية الذرة من الطيور حتى لا تأكلها.

(٥) الصعب: من الدواب وهو الجحش. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٤٣٨).

(٦) السِّمْع: هو ولد الذئب من الضبع. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٢٠٤).

(٧) السبسب: لم أجده.

كما مضى ذكرها، فأخذت على طريقها مواضع، وحضر كثير من الناس في مثل جهة المغارب، وسلم عنها اليمن الأعلى والمشارق، وصلحت الثمار في أكثر اليمن لولا حصول النقص بالحضر بسبب الجراد، وخلف في أطراف المشرق كَنِهْم والجوف وبرط، فبلغ الشعير إلى ثلاثين بقشة وحرف، والبر إلى حرفين.

وفي هذا الشهر سار علي بن أحمد صاحب صعدة إلى نجران لاستخلاص المطالب، فتلقاه أهله بالحرب، فراح من أصحابه سبعة ومن أهل البلاد أربعة، ومنعوه عن دخول بلادهم، وأخذ وجه المحاصر منهم في التزام ببعض شيء من المال، وجعلوا معه رهائن وعاد صعدة. وكان قد استجاش بجماعة من ذي محمد من برط، فلما عاد صعدة وهم معه قتل واحد منهم بباب صعدة، فطلبوا من علي بن أحمد أن يرسل معهم عسكر عينة لقتل واحد من سحار بصاحبهم، فأرسل وقتلوا واحداً لا يعلم أنه القاتل، فلا قوة إلا بالله، بل قتلوه في باب بلده من كبارهم، وكان هذه المعونة من علي بن أحمد من الأفعال العظيمة والموافقة للجاهلية، وإطراح الأحكام الشرعية، وإنما كان عليه أن يقول لبرط لا أعينكم على الضلالة ومخالفة الشريعة، بل لكم ما تحكم به الشريعة من القسامة أو غيرها في صاحبكم، ولا[٢١٨/ ب] يجوز أن أعينكم في باطلكم، وفتنة أخرى، بعدها شكوا جماعة إليه من قبائل بلاده بقتل حصل من قبيلة فقال لهم: اقتلوا واحداً منهم بصاحبكم، وهذا من الأحكام المخالفة للشريعة.

وفي شعبانها مات القاضي محمد بن أحمد الشظبي، كان المذكور له معرفة في الفقه، وكان حاكماً في مدة المؤيد بالله بكوكبان، وأول دولة المتوكل، ثم عزله وانتقل إلى صنعاء وقل سمعه، ولم يخرج آخر مدته من بيته، وكان حافظاً لكتب أجداده وأهله، وهو من جملة من أخذ على السيد محمد بن عز الدين المفتي بصنعاء في زمان دولة جعفر باشا.

وفي هذا الشهر مات الفقيه عبد الله بن حسين بن يوسف بظفير حجة كان المذكور

عارفاً بالنحو والتصريف، مدرساً فيهما، وأصله من حيز حجة، من بلد القذف[1]، ولكن والده دخل الظفير خوفاً من جانب عبد الرحيم أيام دولته بحجة، فخشى من فتنته وتسليطه، وأخرب بيته بعد دخوله الظفير.

وفي هذه الأيام بآخر شعبان طلع السيد حسن بن مطهر الجرموزي بحمولة من المخا إلى حضرة المهدي.

وفي رمضانها طلب أحمد بن الحسن جماعة من اليهود من صنعاء إلى الغراس، وأمرهم بالخروج من جزيرة العرب، وأنهم قد تراخوا بعد الأمر الأول، فطلبوا المهلة حتى يبيعوا من أموالهم، فأمهلهم خمسة أشهر.

وفي ليلة رابع عشر شهر رمضان خسفت القمر ببرج الثور، طمسها الخسوف جميعاً، وكان الخسوف بسواد ثم انقلب بحمرة، عكس الخسوف السابق، فإنه أوله كان بحمرة، فالحكمة لله تعالى.

[٢١٩/ أ] وقد كان السرحي المنجم ذكر الكسوفين في هذه السنة عند تقويم أولها، كما وصف الواصف قبل حصول خسوفها، فاتفق كما ذكره فيها.

وفي آخر شهر رمضان وصل الخبر أنه وصل إلى جدة متسلم، وعزل الذي كان فيها، وأنه خرج صحبته قدر أربعة عشر مركباً فيها طعام من مصر، ولحق عقبها اثني عشر مركباً طعاماً أيضاً في شوال، وقووا جدة وزادوا في العسكر على العادة.

وفيها سرقت سرقة من بيت المتوكل بضوران، دراهم وسلاح وغيره، وفرحان اتَّهم جماعة، حبسهم وضرب بعضهم، فاعترف أحدهم، أرجع بعض شيء يسير من السلاح والباقي ذهب. وهم جماعة قد لهم أيام يستخرجون السرقة من طاقة مفتوحة ويردونها على حالها. وكان من جملة المتهمين من الملازمين في ضوران في جبل ضوران، فلما طلبه

---

(١) القَذَفْ: لم أجد منطقة باسم القذف إلا القرية التي بعزلة حازة سُهْمَان، ناحية بني مطر. (الجمهورية العربية اليمنية، الجهاز المركزي للتخطيط، التعداد السكاني لعام ١٩٨٦، محافظة صنعاء، ص٦٧).

فرحان للضرب أمر الخادم بضربه، فحمل على الذين أرادوا قبضه، طعن أحدهم ومات من جنايته.

وطلع ثاني العيد علي بن المتوكل من اليمن الأسفل إلى صنعاء، ثم لم يلبث أن عاد إلى ضوران وتبعه صنوه محمد.

[٢١٩/ ب] وفي آخر يوم من شهر شوال مات الأمير علي بن حسين الجوفي صاحب الزاهر، وكانت وفاته بصنعاء عقب طلوعه من الجوف، فقبر في حوطة جده المطهر ابن الشويع بخزيمة غربي صنعاء.

وفي شهر القعدة الحرام مات السيد العارف يحيى بن أحمد بن صلاح الشرفي في بيته بالشاهل من بلاد الشرف، كان المذكور له معرفة ومشاركة في بعض الفنون، وكان جاروديا على طريقة والده. وكان نظر أوقاف الشرف إليه. كان موته فجأة، وكان يحرم التتن، وفعل في تحريمه رسالة، وزعم أنه من الخبائث، واحتج بقوله تعالى: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾(١) ولا حجة له؛ لأن الخبائث دلالته مجملة، والمجمل لا يحتج به على شيء إلا بعد البيان، وقد بين النبي ﷺ الخبائث، وبعض البيان أيضاً في الكتاب العزيز مثل تحريم الميتة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وكل مسكر ونحو ذلك، وبين تعالى الطيبات، ثم إن التتن لا تستخبثه النفس.

وفي هذا الشهر عاد حسن بن المتوكل من أبي عريش إلى الضحي وبيت الفقيه الزيدية(٢) بتهامة واستقر هنالك، ووقع بين أصحابه فرقه على سبب بندق عرفه رجل من الأهنوم وقال: هو له من النهبة التي وقعت فيها أيام الحرب الواقع بها، فحصل خصام بينه وبين الذي هي معه، وعصب مع أصحابه من الأهنوم.

[٢٢٠/ أ] وفي هذه المدة أخبرني بعض السادة من الهدوية أن رجلاً سأل الله أن يريه

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) كرر المؤرخ كلمة بيت الفقيه الزيدية في الأصل.

من أهل الفضل والكرامة ومن عنده الحق والخلافة بمكة، فترأى له في المنام أن أول من يلقاه بكرة ذلك اليوم فهو المطلوب، فرآه فسأله عن حاله، والآخر كذلك والرجل الذي طلب ذلك، ورآه في المنام ممن اعتقاده اعتقاد المعتزلة والهدوية، وذلك الرجل الذي رأه لما سأله فتحاقره وأعرض عنه والهدوي كذك أعرض عنه. وقال: هذا ليس الغرض لما ترسم من مذهبه أنه لا يكون من وافقه، ثم سأل المرة الأخرى فرأى في المنام كذلك، فأصبح الصباح بالرجل الأول أول من لقاه، فلم يعجبه ثم الليلة الثالثة، فحرم الفائدة ولم يعترف بأن الحق مع ذلك الرجل أصلاً، والرجل ذلك كان من أهل السنة والحنفية أعني الذي طلب رؤيته من الحق في الإعتقاد معه، فلم يمكن الرائي أن يعتقد فيه ذلك أصلاً لمحبة المذهب، هكذا أخبرني السيد المذكور مع تعصبه وغلظته في مذهب المعتزلة، فذكرت هذا هنا لما فيه من الغرابة، [١٢٠/ ب]. وما نعلم به أن الإنصاف يجب على كل مسلم، وأن الرجوع إلى السواد الأعظم هو الأولى لكل مسلم، لا سيما مذهب الأنبياء جميعاً عليهم السلام والصحابة والتابعين من السلف الصالحين.

وفي شهر القعدة اختطفت دهمة من برط قافلة في العمشية في الطريق الغربية في حد العصيمات حولي الفقم وحصل بينهم وبين العصيمات قتال، فراح من العصيمات ثلاثة قتلى منهم وجنايات في أهل القافلة من عذر، وانتهبوا القافلة وشارك برط في الطغيان بنو رُهم من سفيان، وذكروا أن المهدي ما سلَّم لهم إلا دون ما يعتادونه، وأنه نقص عليهم نحو ثلاثين خرقة من الكسوة.

واتفق هذه السنة أو التي بعدها أن فرحان لما وصل بلاد الحرامية طريق الحج أعطى بعض المعتاد لأهل الطريق، ثم مطل آخرون، وقال: لم يبق شيء عنده مما يعتادون مقابل المجبا، فكان إلى الليل وسرقت الحرامية أطراف المحطة، وانسل بعض مشائخهم إلى خيمة فرحان في صورة كلب يستر على بدنه بشعر على ظهره حتى دخل طرف الخيمة، فانتبه الحراس لذلك وقبضوه، فوجدوه رجلاً، فربطوه وساروا به معهم إلى عند الشريف بركات، فأمر بشنقه، وقد كان تفادوه بمال من فرحان، فقبض ذلك فرحان ولم يتم تخليته.

ولما اتفق ما اتفق في العمشية وتعدي نهم وبرط فيها وغزوهم إلى البراغشة أطراف بلاد عذر، أمر أحمد بن الحسن بالتبريز[1] إليهم والخروج عليهم[٢٢١/ أ]، وكان هذا التبريز في آخر شهر الحجة، وأظهر أن المراد السير إلى بلاد برط والعمشية.

وكان في هذه الأيام اجتمع جماعة من مشائخ بلاد خولان صعدة يطلبون والياً عليهم غير علي بن أحمد في بلادهم خاصة، فوعدهم بالنظر في أمرهم وعلم أن علي بن أحمد لا يطابقه إخراجهم عن يده، وأنه يكون سبب ذلك ثائرة فتنة من قبله، فلما طال عليهم البقاء ساروا بلادهم، وصارت بلاد الشام غير منتظمة لصاحب صعدة.

وفي هذه الأيام بأول شهر الحجة دخل المهدي صنعاء، وأمر بتسمير كنيسة اليهود بصنعاء وقبض ما حولها من البيوت المحصولة من اليهود لها، وأخرج اليهود من حوانيت سوق صنعاء وشدد عليهم في بيع أموالهم وبيوتهم وخروجهم، فباع القليل منهم ما باع من المنقولات واليسير من غير المنقولات، وقبض الحَمَّام[2] الذي لهم وشراه منهم، وصنوه شرف الدين الحسين بن الحسن قال لليهود الذين لديه: أنتم على عادتكم لا تبيعون شيئاً من أموالكم، وقال لا وجه لإخراجهم.

وخرج جماعة يسيرة من صنعاء من اليهود إلى بلاد ضوران.

وفي هذه الأيام نجع كثير من بلاد برط بأغنامهم، وداروا في الأرض[٢٢١/ ب] للمعاش لخلو بلادهم وضعف أنجادهم، فمنهم من وصل إلى ضوران وجهران، وكلهم من ذي حسين من برط، والنَّهابة كانوا من ذي محمد من أصحاب صلاح بن كول، هذا والله أعلم.

وفي هذه الأيام أرسل المهدي جعفر الجرموزي والياً لبلاد العدين على عادته الأولة

---

(١) التبريز: بمعنى الإعداد والتهيء للخروج.

(٢) هو المعروف حالياً بحمّام الجِلاَ.

وكان قد سكن عنده قدر سنة، فزاد في قطفته في بلاد العدين قدر ألف حرف فكان كل شهر ثمانية آلاف، وأرجعه إليها وشرط عليه أنه لا يصل إليه شاكي منها. وكذلك ولّى بلاد وصاب السيد صالح حيدره الغرباني وعزل الفقيه عامر عنها لما زاد السيد قدر ألفين على ما كان أولاً منها، فإنه كان أولاً في زمان والده الحسن كل شهر ثلاثة آلاف كل شهر[1]، ثم زاد الفقيه عامر ألفاً، فكانت أربعة ثم زاد هذا الألف فكانت خمسة، وهذه القطفة في مقابل زكاة البن والأسواق وزكاة التتن، والمعونات ونحوها من المطالب. وأما الطعام فهو يقبض رأس السنة عند الثمر، وكان لو أنهم جعلوا ذلك بالأمانة، وأكدوا على العامل في عدم الخيانة كان هو أعدل ما حصل من قليل أو كثير فهو الواقع. فأما هذه القطفة فإنها ذريعة إلى زيادة الوالي، وقد تزيد الثمرة فتصير له، وما نقص فإنه يأخذها من الرعية، فتكون عليهم ظلماً بسبب ذلك، وسبب هذه الزيادات صغر هذه الضريبة التي ضربها أحمد بن الحسن، ولذلك طلع صرف القرش، فإنه الآن بأربعة حروف وأكثر. وكان في الزمان القديم صرفه بحرفين وكسور[٢٢٢/ أ] فحصلت الزيادة في هذه الدراهم على المدة الماضية بحول النصف ولذلك كان يبيع البن والبز الهندي بقروش على العادة لم تزد وإنما الزيادة بالنظر إلى صغر الضريبة، فمع ذلك الزيادة تحتملها البلاد، لكن دون هذه الزيادة التي جرت في هذه المدة بالنظر إلى صغر الدراهم وزيادة صرف القروش بسبب الضريبة، فإن الذي كان دفعته ثلاثة آلاف مثل العدين باليمن في مدة محمد بن الحسن عن ألف قرش والصرف بثلاثة حروف فكان الزيادة إلى أربعة آلاف لما بلغ الصرف إلى أربعة حروف الآن نهاية الزيادة. فأما هذه الزيادة التي جعلت في آخر مدة المتوكل إلى سبعة آلاف، وزيادة الألف الثامن في دولة المهدي أحمد بن الحسن، فلا شك أنها زيادة بالنصف فيها جور، وكذلك غيره من سائر الجهات، والله يرحم المسلمين. ومحمد بن المتوكل كان

---

(١) كذا في الأصل كرر الشهر مرتين.

شرع قي تخفيض المطالب حتى رفعها جميعاً غير الواجبات، فشكره أهل بلاده بالعدل، حتى قال بعض جهال الفقهاء من الشيعة أن هذا فعله من المنكر بالتخفيف، فذكرت الحديث عنه ﷺ أنه قال: «سيكون آخر الزمان المعروف منكراً والمنكر معروفاً» فلا قوة إلا بالله، ولكنه لم يدم على ذلك بل أعادها. والمهدي أمر بإجرائها على عادتها، وما زاده الولاة في القطع قيل منهم، فلا قوة إلا بالله.

وهذه الدراهم التي تؤخذ في مقابل زكاة الأبنان[1]، وسائر المطالب والأسواق.

[٢٢٢/ب] ودخلت سنة تسعين وألف[2]

استهلت بالأحد، وجاءت الأخبار من الجهات المكية والبلاد الشامية في سابع الشهر المذكور، فرأيت كتاباً كتبه بمحروس منى يقول فيه: أن الحج كان هذا العام قوياً والركب كثيراً. وكان الحج المصري والشامي متوفراً، وكذا العراقي مجتمعاً، وأن جملة الأمراء قدر أربعة وعشرين أميراً، وأن اليماني حجاجه أيضاً كان واسعاً، وأن المحطة بلغت للجميع إلى وادي محسر وجمرة العقبة، والأسعار مع الكثرة رخية، الكيلة[3] بستة كبار، وأن في عسكر الشامي زيادة على العادة، الخيل كانت قدر ألف مع الأمير الشامي من غير العسكر، وأما الأمير المصري فعادته، وأمير الشامي يسمى خليل، وكان الأوامر في مكة له حال دخوله لا للشريف. جاؤا بحرامية إليه فأمر بقطع رؤوسهم لديه، وكانت هذه الزيادة لأجل الأوهام التي قد بلغتهم في سابق الأيام، ورجع الشريف من الحجاز داخلاً مكة بعد أن سكن فيه قدر سنة متردداً فيه وفي المدينة، وزادوا في رتب العراق وتلك الأفاق لما بلغهم أن العماني في العام الماضي حكم على بعض تلك البلاد التي بين عمان والإحساء ولأجل لا يحصل من اليمن خلل، أو من

---

(١) زكاة الأبنان: زكاة البن.

(٢) ١ محرم ١٠٩٠هـ = ١١ فبراير ١٦٧٩م.

(٣) وردت في الأصل الكليلة.

غيره من بلاد العجم، وجاءت الأخبار بأن عساكر السلطان استفتحت بعض الجهات في أطراف بلاد الفرنج وهزموهم وكسروا شوكتهم.

وأمر الملك المهدي الولاة الذين كانوا عنده بالعود إلى بلادهم كبني الجرموزي وغيرهم.

وفي نصف محرم توفي القاضي العارف العلامة صالح بن محمد العياني[٢٢٣/ أ] العنسي، وكان المذكور عارفاً بأصول الفقه والعربية، أديباً محاضراً، صاحب أخلاق حسنة، وكانت قراءته على جماعة من العلماء مثل عمه أحمد بن صالح، والفقيه العارف عبد الرحمن بن محمد الحيمي وغيرهما ورحل إلى مكة، فسمع صحيح البخاري والموطأ وأكثر صحيح مسلم على الشيخ محمد بن علي علان الشافعي المكي، وسمعت عليه صحيح مسلم قراءة ضبط وإتقان وتصحيح مع إنجار في الشروح والغريب وعرفان، ثم أجازني في جميع مروياته ومستجازاته التي من الشيخ ابن علان بإسناده إلى الشيخ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، وكان يحب السنة ويميل إليها ويعتمد عليها ويحب مذاكرتها وقرائتها. وكان قد أخذ على شرف الإسلام الحسين بن القاسم وعلى السيد محمد بن عز الدين المفتي، وكان كثير المذاكرة لأهل العلم منبسطاً متواضعاً أديباً، وقبر بخزيمة غربي صنعاء.

وفي هذه الأيام انكسرت جلبة فيها حجاج وبضاعة، فغرقت بمن فيها في باب جدة، وكان قد خرج البعض منها ثم تبعها جلبة أخرى انكسرت حال خروجها منها فيها أيضاً بضائع الشام وجماعة حجاج هلكوا فيها.

وفي آخر شهر محرم وصل خبر بأنه ظهر جلبة قريب المخا[٢٢٣/ ب] ووصل عندها كتب من صاحب عدن والمخا يخبرون أن في البحر جلاب من عمان في باب المندب، يريدون قطع الطريق للموسم، وأنهم ما زالوا يكثرون حتى بلغت جلابهم إلى فوق العشر، فقال المهدي: العسكر الذي بتهامة والبنادر، فيهم كفاية لحفظ البنادر لا سيما المخا لسهولته، وأما البحر فلا طاقة لهم به، فوصل من أول المراكب الهندية بعضها

فمنها ما قبضوه ورسموا عليه ومنها ما رجع من البحر قبل وصوله، ومنها ما دخل المخا ببذل مال لهم، وارتفع ثمن البز بسبب ذلك، ولم تخرج الأعبي الحساوي معهم من طريق البحر العماني الفارسي؛ لأجل ما قد جرى معهم في السنين الماضية من ذهاب أموالهم من الفرنج بسببهم ومنهم، فلم يخرج هذه السنة من الحسا أحد من طريقهم، وصاروا ساكنين في باب المندب، مانعين جميع شهر صفر ربيع الأول والثاني.

واتفق في العمشية انتهاب لقافلة[٢٢٤/ أ]، وكان الناهب لها من بلاد وايلة وبلاد شاكر[(١)]، واتفق معها أن العصيمات غزوا إلى بلاد سفيان فقتلوا منهم أربعة وانتهبوا منهم غنماً عوض ما جرى منهم من قتل أصحابهم في النهبة السابقة. والمهدي مر عنده جماعة من برط من ذي حسين كانوا ناجعين في بلاد ضوران وجهران بغنمهم لخُلف بلادهم، فأمر بقبضها عليهم وحبسهم ثم اطلقهم بعد أن قالوا له ليس النهبة السابقة في العمشية منهم وإنما هي من ذي محمد.

ووصلت كتب من صاحب صعدة علي بن أحمد فيها كلام يائس يقول فيها: بيننا وبينكم شروط ما تمت ومعونة دراهم تبذلونها ما وصلت، فإذا اختلت الشروط اختل المشروط، وكتب أحمد بن الحسن إلى برط بوصول الفاعلين للنهبة السابقة أو الوصول بالسيد محمد الغرباني الذي عندهم، لأنه ربما السبب في إغرائهم وأنه منتظر لتأديبهم إن وصلوا، وإلا تقدم عليهم.

وفي ثاني عشر شهر صفر وصل الزوار وأخبروا بأمطار في الحجاز حصلت بأول الصيف قوية غزيرة، وسيول كثيرة شديدة، بحيث حملت طائفة من الحجاج بوادي الصفراء، وانقطعوا[٢٢٤/ ب] عن دخول المدينة بسبب سيل وادي قبا[(٢)]، وخرب في

---

(١) بلاد شاكر: بطن من قبائل بكيل، وتعتبر وايلة إحدى الفخائذ فيها. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٨٣٩).

(٢) وادي قبا: قبا: أصله بئر، عُرفت القرية بها، وهي مساكن بني عمر بن عوف، من الأنصار، وهي قرية على ميلين من المدينة. وفيها بُني مسجد التقوى، نزل بها الرسول ﷺ عند هجرته إلى المدينة. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٣٠١-٣٠٢).

المدينة بعض بيوتها لقوة المطر النازل فيها، وصل السيل من جبال الطائف؛ لأنه ينزل إلى المدينة، كما ذكره السمهودي في خلاصة الوفاء بدار المصطفى ﷺ.

وأرسل أحمد بن الحسن خطيب صنعاء إلى صنوه الحسين بن الحسن إلى رداع يستدعيه فاعتذر، وكان بذل له الشحر، والشحر صار بعيداً، ومع خروج العماني قد محق طرقه ومصالحه، بل قد قيل أنه استولى عليه، وأن صاحبه وادعه وصالحه.

وفي ثالث عشر شهر صفر منها كان تحويل الشمس ودخولها أول درجة في الحمل، وفيه الزهرة وعطارد، وزحل في الجوزاء، والمريخ في السنبلة، والمشتري في الحوت والجوزهر في الثور، والقمر في السنبلة.

وفي هذا الشهر دخل إلى جبل ضوران بعض السادات وزار مشهد المتوكل إسماعيل بن القاسم، وقال: إنه يريد الخلافة فأمره أهل الجبل والأمير فرحان بأنه يترك مثل هذا الكلام، ويرجع إلى حيث يريد، ويخرج من الحصن لئلا يكون عليه الملام، فسار إلى وادي الحيرة تحت ضوران، وأظهر لجماعة من الحاضرين عصا طرحها الأرض ثم أمرهم بحملها فلم يقدروا على ذلك، فلما عجزوا حملها بيده، ولا يخفاك التباس الكرامة بالمخرقة والسحر، وأنه لا بد من الخبرة للرجل الذي يظهر عليه ذلك، فإن كان صالحاً يأتي بالواجبات الشرعية فهي كرامة، وإلا كانت[٢٢٥/ أ] استدراجاً وبلوى، فمثل هذا العصا يمكن الإستعانة بالجن في رَزْم[1] العصا حتى لا ينزعها أحد غير ذلك الرجل الذي له اتصال بهم، فإن الساحر يتصل بمردتهم فهو ممكن من غير الولي. كما اختبر حال سيد يقال له السيد علي بن الجلال، من آل الجلال السادة ببلاد صعدة، فإنه يظهر على يديه من المخاريق كثير من جملة ذلك أنه أعطى شاش فحرقه وقطعه ثم جمعه في يده وفحسه ثم مده فإذا هو على حاله، فهذا من السحر ممكن لأن المذكور كان لا يصلي في كثير من أيامه، شاهده كثير من الناس، فهو يكون من القلب لعينه كما يفعله

(١) رَزْم: الرزم: الذي قد رَزَم مكانه، والأسد يُدعى رُزماً، لأنه يرزم على فريسته. (ابن منظور: لسان العرب، مج١٤، ص ١١٦١).

السحرة بالتخييل، ثم يعود إلى أصله بعد، أو بإبداله من الجان بغيره وهم لا يرونه، فيدوم هذا المبدل إلى أن يبلى دون الأول.

وقد تقدم ذكر شيء من حكاياته فمثل هذا يجري من السحرة أو الممخرقين، مثل الذي يجري مع الأولياء الصالحين، غير أن الصالحين يختصون بمزيد ما لا يدركه الساحر بسحره مثل إقامة المقعد على حاله ودوامه وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى، كما كان لعيسى عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام.

[٢٢٥/ ب] وفي العشر الآخرة من هذا الشهر توفي يحيى بن حسين بن المؤيد بالله محمد بن القاسم بعد عوده من الحج بجهة شهارة، وكان المذكور له بعض معرفة بعلم النحو، وكان جاروديا في عقيدته، متحاملاً على الصحابة رضى الله عنهم، غالياً في الرفض لهم، محترقاً داعية، وكان جماعاً لكتب المثالب فيهم، مطرحاً لكتب المناقب، مبالغاً في إحصاء عثراتهم، معرضاً عن فضائلهم، آخذاً للمثالب من كتب الرافضة والكذابين مثل كتاب المناقب والمثالب لأبي حنيفة محمد بن النعمان[1] الرافضي الإسماعيلي العبيدي قاضي العبيدية الذي كان بمصر أيام العبيدية، وهو من الرافضة الباطنية، ومن كتب غيره من الرافضة، وكان يطعن في مذهب الهدوية والمعتزلة وأهل السنة وينتصر للإمامية، ويدَّعي أن زيد بن علي رحمه الله كان رافضياً سباباً للصحابة، وحاشاه من ذلك، فإنه متواتر عنه خلافة، بل كان بسببه رفض الرافضة له وترك بيعته؛ لأنهم كانوا طالبوه بالكوفة لما وصل إليها أن يتبرئ من المشائخ، فامتنع وأملى فيهم حديث الرافضة المشهور، وهذا ظاهر عنه في جميع كتبه[٢٢٦/ أ] -رحمه الله- وفي التواريخ لا يمكن رده، وطمس من مجموع الفقه الكبير له بعض مسائله مثل: مسألة إمامة قريش وما ذكره في الأصول وذمه للقدرية[2] وإثبات المشيئة لله وغير ذلك، فلا قوة إلا بالله.

---

(١) هو النعمان بن محمد بن منصور، أبو حنيفة، كان مالكياً، ثم تحول إمامياً، وولي القضاء للمعز العبيدي صاحب (مصر) فصنف لهم التصانيف على مذهبهم. مات بمصر سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م، من مؤلفاته: (تأويل القرآن). (ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج٦، ص ٢٤٠).

(٢) القدرية: هم المعتزلة، سبق ذكرهم.

ودخل بآخر صفر جماعة من عُمان الذين في البحر إلى ساحل العَارَة[1] والعمارة بها بين المخا وعدن، انتهبوا منها بعض المواشي وهربوا بها البحر وباب المندب.

وفي هذا الشهر توفي السيد العارف عبد الله بن محمد الكبسي في البحر، خارج جدة حال عوده من الزيارة للنبي ﷺ فأرسب في البحر، وكان قد نوى الإقامة بمكة والمدينة، فلما عرض له ذلك المرض لم يتم له ما نواه وما كان عليه عزم.

والحمَّام الذي بخبان الذي يقال له غيل الحرضة[2]، وكان غيلاً قليلاً يخرج من أكمة عالية وحولها أحواض متفجرة فيها الحمَّام، فكان إلى هذا الشهر وانفتح من ذلك الموضع ماء واسع كثير وسار في الوادي لا يعهد مثله من قوته، ثم نقص بعد تمام خروجه من احتباسه وكبس الحمام وتلك الأحواض التي كانت وزالها، ثم انقطع خروجه بالمرة، ولم يبق إلا الغيل المعتاد من تحته، وهذا الوادي والمناحي يصير إلى بلاد لحج ثم الساحل إلى البحر.

وفي ليلة سادس عشر خسفت القمر في برج[٢٢٦/ ب] العقرب بنصف الليل وكان الخسوف قدر ثلثها، فالحكمة لله في ذلك[3].

[٢٢٧/ أ]وأنشد هذه القصيدة هذه الأيام الفقيه الأديب علي بن صالح بن أبي الرجال[4]، أو بعض أصناه[5]، يقول فيها في شأن أحمد بن الحسن:

لا تحسبن وللزمان عجائب

إن الخليفة صادق لا يكذب

---

(١) العَارَة: منطقة شرقي باب المندب، وهي مركز إداري من مديرية طور الباحة، واعمال محافظة لحج. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص٩٩٠).

(٢) الحَرَضَة: جبل كلسي في منطقة (حَمَّام علي) في النادرة، وفي داخله حوض للمياه الحارة، وفي سفوحه تجري عيون كبيرة، منها معادن حمضية تصلح للاستشفاء. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٤٧).

(٣) بقية الورقة مشطوب ما ورد فيها لم يتضح منه شيئاً.

(٤) هو القاضي علي بن صالح بن محمد بن علي بن أبي الرجال، ولد بصنعاء، وشارك في العلم، ومهر في الشعر، حتى أجاد فيه، ومدح جماعة من آل القاسم، وله قصائد مستجادة، وعُمِّر طويلاً، ومحاسنه كثيرة. (الحوثي: نفحات العنبر، مخطوط، ق٣٠٤).

(٥) أصناه: أي إخوته، مفردها صنو.

فلقـــد نزلـــت بـــسوحه إذ قـــادني

طوعـــاً إليـــه لـــسوء حظـــي أشـــعب[1]

أســـعى إليـــه عـــلى الجهالـــة سـعي مـــن

صـــاد الغـــزال ولم تفتـــه الأرنـــب

فنزلـــت في خـــيش الخـــزائن وفرهـــا

تثنـــي عـــلى شـــح النفـــوس وتطنـــب

ويحيـــث ربـــع الـــصدق قفـــر مجـــدب

والـــيمن معمـــورٌ حمـــاه ومخـــصب

وعـــلى الخـــزائن ســـور مميـــز[2] محكـــم

عـــال محـــل الـــنجم منـــه أقـــرب

قـــد أحكمـــوا بنيانـــه ولعلـــه

عـــما قريـــب يـــضمحل ويخـــرب

فرمـــى الإلـــه الجاهليـــة والحـــما

حيـــث الجهالـــة والـــضلال مطنـــب

بفـــواقر تـــدع الـــديار بلاقـــع

يـــضحي الغـــراب بهـــا يـــصيح وينـــدب

---

(١) أشعب: طريف من أهل المدينة المنورة، نشأ في صحبة أولاد الخلفاء الأول، وعُمِّر طويلاً، كان حسن الصوت، شديد الطمع، ضُرب به المثل، فقيل: (أطمع من أشعب) أخباره كثيرة في كتب الأدب. توفي سنة ١٥٤هـ/ ٧٧١م. (المنجد في الأعلام، ص٤٨).

(٢) كذا في الأصل.

ورمـــى الغـــراس وســـاكنيه بجمـــرة

تـــشفي البعيـــد ويـــشقى الأقـــرب

فلطـــال مـــا نـــزل الغنـــي بـــسوحة

فـــصفت مـــوارده وطـــاب المشرب

وإذا الفقـــير ثـــوى بـــه مـــستجدياً

ضـــاقت مذاهبـــه وعـــز المطلـــب

وتـــرى الغنـــي لـــدى الخليفـــة مـــائس

غرثـــان يرتـــع في النعـــيم ويـــشرب

وأخـــا الخـــصاصة لا يـــزال مجـــلا

عنهـــا يـــذاد كـــما يـــذاد الأجـــرب

يغـــضي عـــلى وخـــز القنـــا وفـــؤاده

يمـــشي عـــلى جمـــر الغـــضى[1] يتقلـــب

وإذا تكـــون كريهـــة يـــدعى لهـــا

وإذا يجـــاش الجـــيش يـــدعى جنـــدب

فعـــلى الغـــراس وســـاكنيه وكـــل مـــن

يـــأوي إليـــه مـــن الأنـــام ويقـــرب

غـــضب مـــن الله الغيـــور وفتنـــة

في كـــل آونـــة تجـــل وتـــصعب

---

(١) جمر الغضى: من أجود الوقود عند العرب. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص ٩٩٦).

بلــــد إذا مــــا رمـــت تعـــرف أهلــــه

فإليـــــك مــــا يبـــــدوا ومــــا يتغيـــــب

قـــــاض يـــــداهن والـــــوزير معربـــــد

والجنـــــد تفـــــسد والخليفــــة يكـــــذب

وإذا الخطيـــب رقـــى المنـــابر واضـــياً

نقـــض الوضـــوء بـــما يقـــول ويخطـــب

يـــدعو ويطنـــب عنـــد ذكـــر إمامـــه

غلـــط الخطيـــب ومـــات فـــيما يطنـــب

ولـــسان حـــال الـــشرع يـــدعو للـــذي

يـــأتي إلى تلـــك البقـــاع ويقـــرب

يـــا طالبـــاً للـــشرع غـــير مقـــصر

تطـــوي المـــشارق تـــارة وتغـــرب

لا تطلـــبن الحـــق عنـــد إمـــامكم

القـــول مـــا قالـــت ســـماة ومجـــزب

إن الإمـــام يقـــول مـــا قـــالا لـــه

كالببغـــاء ولكـــل عبـــدٍ مـــذهب

ولديـــه أســـفار تكـــاثر عـــدها

محبوســـة في جلـــدها لا تقلـــب

ولـــربما أمـــلا ومخـــف بعـــضها

لزعـــانف تقـــرأ عليـــه وتكتـــب

وتـــراخ يرخـــي الـــشدق فـــوق كتابـــه

كـــالبكر أزعجــــه همــــام مغـــــضب

فلقــــد أقـــول لمـــن يـــشيَّد ذكـــرهم

ويطيـــل في مــــدح الأمـــير ويـــسهب

إقـــصر بفيـــك الـــترب إنـــك كـــاذب

والمـــرء إن يـــك مؤمنـــاً لا يكـــذب

أيقـــول بهتانـــا ويـــشهد بـــاطلاً

والله يكـــره مـــا يقـــول ويغـــضب

وتـــروم أن يـــصغي لقولـــك مؤمنـــاً

لا أم للمـــــصغي إليـــــك ولا أب

فـــدع التطـــاول والتعـــصب لـــذي

تلهـــو بلحيتـــه الجـــوار وتلعـــب

و.........(1) بجاريـــة لديـــه ألـــذ مـــن

قراتـــه لـــديك بـــل هـــي أطيـــبُ

ويكـــاد يتخـــذ الرجيـــع طعامـــه

ويغـــوص في أبـــوالهن ويـــشرب

وتـــراه يـــضحك للجـــوار مقهقهـــاً

مثـــل الغـــراب عـــلى الخنـــافس ينعـــب

ويبيـــت في علـــم النجـــوم مفكـــراً

وتـــراه منهـــا خائفـــاً يترقـــب

---

(1) غير واضحة في الأصل.

ويقـــول تـــأخير النجـــوم حقيقـــة

وفعالهـــا في العـــالمين مجـــرب

ومقالـــه في البعـــث مثـــل مقـــالهم

يرويـــه عنـــه شـــقيقه والأقـــرب

فلـــك يـــدور عـــلى شـــموس بعـــدها

في الأوج أقـــمار تنـــير وتغـــرب

ولـــذاك يعتقـــد الـــشريعة مظهـــراً

والرســـل تهـــزل والـــرواة تكـــذب

[٢٢٨/أ] فعـــلى القرامطـــة الأســـاس لأنهـــم

شـــهروا عقيـــدتهم وبـــان المـــذهب

يـــا صـــاحبي وللزمـــان نـــوادر

تـــأتي عـــلى مـــر الليـــالي وتـــذهب

لا غـــرو إن أضـــحى الجـــواد مـــضللاً

والقطـــر يحـــبس في الـــسماء ويحجـــب

فلكـــم وكـــم مـــن بدعـــة وافى بهـــا

والله يـــأنف للعبـــاد ويغـــضب

أيقـــول للتـــتن المبـــاح جهالـــة

هـــذا حـــرام لا يبـــاع ويـــشرب

ويبـــيح للـــذكر الحريـــر فلـــم تـــرد

أبـــدأ أمـــا.........[1] لمـــن لا يرهـــب

---

(١) غير واضحة في الأصل.

ألا بـــدفع مـــضرة يعطـــى بهـــا

ثبـــت الدرايـــة في العـــلاج مجـــرب

وقـــضى بـــإخراج اليهـــود ولم يكـــن

إلا إلى بلـــــد ألـــــذ وأطيـــــب

إن رام تطهـــير الجزيـــرة مـــنهم

فعـــلام حلـــوا في ذمـــار وطنَّبـــوا

أو رام تخطئـــة الأئمـــة قبلـــه

فـــالأمر أشـــنع والقـــضية أعجـــب

وإذا تطالـــب بالـــدليل وجدتـــه

حـــيران في حـــب الـــضلالة يخطـــب

وإليـــك يـــا بـــدر الـــشريعة نفثـــة

للغـــيظ أنفـــذها الأديـــب المغـــضب

واعلـــم هـــديت وللزمـــان عجائـــب

والعمـــر يـــذهب والـــضحائف تكتـــب

إن المقـــام عـــلى الهـــوان هـــو الأذى

والـــرزق عادتـــه يجـــيء ويـــذهب

فـــإلى متـــى جـــد الأكـــارم نـــاكص

والجهـــل يعمـــر والـــشريعة تخـــرب

أيـــن الفـــرار مـــن الـــديار فقـــد دنـــا

منهـــا العـــذاب وأيـــن أيـــن المهـــرب

ولقـــد ذكـــرت الـــبعض مـــن أفعالـــه

وتركـــت منهـــا الجـــم وهـــو المتعـــب

انتهت القصيدة للفقيه الشيخ الأديب علي بن أبي الرجال، ويشهد له والله إنـه عـلى دين الرافضة من الباطنية، ما جرى منه من البغي على الإمام المؤيد مـرتين، ومـا جـرى منه من قتل النفوس بيده ظلماً، ولم يتخلص مما يجب عن ذلك شرعاً، ومطلـه بالـديون، وكذلك شعار يوم الغدير شعار الرافضة، وكتابته في بعض الضربة بما يتضمن الغلـو في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، [٢٢٨/ ب]وإذا صح ما ذكره صـاحب القـصيدة هذه أن المذكور عقيدته عقيدة الباطنية في نفي البعث فهذه بلية عظيمة على من بايع هذا السيد، وقد تحملوا في أعناقهم آثامهم، فلا قوة إلا بالله.

وأما كونه رافضي في أصل الإمامة وأن النص في علي جلي فهو مصرح به، قائـل بـه، معتقـد معـه متـبجح بـذلك، ولتهـوره في اللـذات الدنياويـة وخـصوصاً في النكـاح، ويستعين على زيادة الباءة وتحريك المباضعة بأكل الزرنباد المشهور، ويأمر من يفعـل لـه معجونه، وهو مشهور بقوة الإنعـاظ، وتحريـك الـشهوة، وكثـر المعـاودة للنكـاح لمـن استعمله، حتى أنه مرة أعطى من البنايين شيئاً مـن معجونـه لأجـل يتعجـب عـلى مـا يحصل معه من تأثيره، فخرج عن البناء وأقل الحياء، ومثل هـذا اسـتعمال هـذا المحـرك للهوى لا يفعله إلا المسرف على نفسه. وقد نهى كثير من العلماء عن كثير مـن اسـتعمال المحركات إلى مثل هذه الأدوية إلى زيادة الباءات؛ لأن ذلـك يكـون مـن طلـب زيـادة البلوى في التكليف، وقد يقع -والعياذ بالله- صـاحبه في المحظـورات والإنـسان يـود قمع ذلك.

وبهذا صار سراري هذا المذكور أحمد بن الحسن ثلاث مائـة جاريـة مـا بـين سـودا وبيضاء، مما لا يفعله إلا من تهور في اللذات والشهوات، والوصايف معه مـثلهن، بلـغ

عددهن فوق عدد ما كان مع الصليحي[1] من الباطنية الذي كان ملك اليمن في المدة الماضية، ويلبسهن لباس الرجال[٢٢٩/ أ] بالأزينة الحرير والقوايق[2] القطيفة كلباس الصبيان، والبريمات[3] على أحقاوهن ويجعل المخازين معهن وأعداد الدراهم بأيديهن، ويجتمع لغير واحدة منهن، يتنقل معهن مجتمعات ومتفرقات، ويجعل على رؤوسهن كالعمامة التركية وسطها مفروق، ولا يتهور في اللذات ويتبع النفس هواها إلا من أمن عقباها، والتشبه بالرجال حرام. ولقد أخبرني بعض الثقات أنه مرة حضر في الكشك[4]، فوصل إليه خواجا ببريمات من ذهب وفضة فشراها جميعاً بتقويم دلاَّل طلبه، فقومها بثلاثة آلاف قرش وأدخلها بيته.

وفي هذه الأيام بآخر شهر ربيعها الأول وصلت أول المراكب الهندية إلى المخا فتلقاهم العمانيون، رسموا عليهم وعشروهم[5] في باب المندب، واستقروا فيه وصاروا يجولون حواليه.

وفي نصف ربيع الآخر وصل كتاب منهم إلى أصحابهم من التجار الذين بلغوا إلى صنعاء ومن جملتهم مملوك لأميرهم صار يشتري من السفياني، ومضمون الكتاب المبادرة بالنزول فقد آن السفر معهم. فلما بلغ المهدي طلب التجار ومملوك العماني وعاتبهم في الذي صار يجري من أصحابهم وقطع الطريق ومحق السواحل اليمانية،

---

(١) هو علي بن محمد بن علي الصليحي. (٤٠٣-٤٧٣هـ/ ١٠١٢-١٠٨١م) رأس الدولة الصليحية، وأحد من ملكوا اليمن عنوة بالحزم والقوة، ولد في مدينة (قتر) من أعمال حراز، نشأ في بيت علم وسيادة، فقيهاً تواقاً للرئاسة. مال إلى المذهب الفاطمي، وصار إماماً فيه، ملك اليمن كله من مكة إلى عدن إلى حضرموت، واتخذ من صنعاء مقراً له، وعمر بها قصوراً. وقتل وهو في طريقه إلى الحج على يد سعيد الأحول النجاحي. (زبارة: أئمة اليمن، ج١، ص٩٢-٩٤؛ الزركلي: الأعلام، مج٤، ص٣٢٨).

(٢) القوايق: جمع قاوق: وهو مصطلح تختص به اللهجة الصنعانية، والذي رُبما أُخذ عن اللغة التركية أو الفارسية لما يسمى حالياً بالطاقية، أو الطربوش، وهو منسوج بخيوط متماسكة كثيرة الألوان، يكون أكثر صلابة وقوة من الطاقية.

(٣) البريمات: البريم: حبل فيه لونان مزين بجوهر تشدُّه المرأة على وسطها وعضدها، أو خيط فيه ألوان تشده المرأة على حقويها. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٢٠٣).

(٤) الكُشْك: لعله يقصد الرواق الذي يبنى بارزاً عن بقية المنزل، واللفظ غير عربي.

(٥) عَشَّروهم: أي فرضوا عليهم العشر من أموال تجارتهم.

فأجابوا بأن هذا ليس لهم فيه سعاية وإنما هم متسببون. فكتب المهدي إلى صاحب عمان بمعاتبته والتلويم عليه في ذلك وأن كل من قد وصل إلى سواحل البنادر اليمانية من مسلم وكافر من الفرنج، فقد صار في أمانه، وأنه إن لم يترك أفعاله قصده وناجزه.

وفي هذه الأيام بتاسع وعشرين شهر ربيع الآخر اتفق قران بين زحل والزهرة في برج الجوزاء، ووصل مع بعض حاج اليمن تقويم لبعض المنجمين من بلاد[٢٢٩/ ب] مصر يذكر فيه تقويم هذه السنة، وأنه يحصل في اليمن فتنة، ولم أقف على تقويمه، لكنه كان في برج السنبلة المريخ والقمر.

قال أبو مَعْشَر(١) **في تحاويله**: إذا كان المريخ بالسنبلة دل على كثرة القتال والحروب بناحية الجنوب، وسقوط بعض الأشراف عن مراتبهم مع فساد الهوى ويبوسته. ومثله ذكر ابن حبيب(٢) في تحاويله، فقال: إذا كان المريخ في طالع السنبلة دل على كثرة الحروب تلك السنة، وزحل في الجوزا كثرة الجيوش ومغازيهم وإفسادهم تلك السنة. وقد كان في السنة الأولى في هذا البرج أعني زحل، لكنه كسره تربيع المشتري وغيره، والمشتري في الحوت غزارة المطر في أول الربيع السنوي مع فساد المطر للزروع والثمر، والقمر في السنبلة سلامة الناس والحيوان ورخص الدواب وكثرة المطر والطعام والثمار والزروع، وكون كسوف القمر وقع في العقرب فحرك كسوفها في السنة السابقة في برجه السابق وهو طالع اليمن دل على تحريك شواهد المريخ بالسنبلة، والله أعلم[٢٣٠/ أ].

وفي هذا الشهر خرج مركبان من الواصلة من الهند إلى المخا، فرآهم العمانيون، فلحقوهم، فمال أهل المركبين إلى الساحل يريدون الخروج إليه والتقرب، وكان فيه أخلاط من المسلمين والفرنج، فنجوا عنهما إلى الساحل، وتكسر أحد المركبين بما فيه

---

(١) أبو مَعْشَر: المنجم جعفر بن محمد البلخي، صاحب التصانيف في النجوم والهندسة، قيل كان محدثاً فمُكِر به ودخل في النجوم وقد صار ابن نيف وأربعين، وصنف كتاب (الزيج) وكتاب (المواليد) و(القرانات) وغيرها، توفي سنة ٢٧٢هـ/ ٨٨٦م. (محمد أحمد عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٤٩٩؛ الزركلي: الأعلام، مج٢، ص ١٢٧).

(٢) ابن حبيب: هناك الكثير ممن يحملون اسم ابن حبيب، ولم أعثر على صاحب كتاب التحاويل.

من المال في البحر بسبب مصاككته[1] بساحل البر، وسلم أهلها وهربوا عنها، وانتهب العمانيون المركب الآخر جميع ما فيه من البضاعة، ونالتهم بسبب ذلك الخسارة، ثم تبعهم آخر الموسم المراكب السلطانية الهندية ومعها أخلاط فواعدوهم بتسليم العشر فسلموا إليهم بعض شيء ثم ساروا إلى المخا، فلم يتعرضوهم إلا بعض مراكب لحقتهم فرموا عليها من المخا وأسلموهم[2].

وفي تاسع شهر ربيع الآخر وصلت هدية إلى محمد بن المتوكل من علي باشا[3]، صدرها من جهات البحر، وذكر في خطه الولد السيد محمد بن المتوكل إسماعيل هذا لفظه، ولم يلبث رسوله وهو تركي ومعه خمسة من الخدامين إلا نحو ثمانية أيام وزجه بمكافأة هديته.

وفي نصف شهر ربيع الآخر جد المهدي على التجهيز إلى البلاد الشامية البرطية، وقد كان وطاقاته[4] في الرحبة لها مدة في مكان يسمى بير الدرج[٢٣٠/ ب] بحدود بني الحارث وهمدان مما يلي قاع الرقة من الجهة الشرقية، فجهز محمد بن المتوكل وأحمد بن محمد وولده حسين بن المهدي[5] وغيرهم وساروا طريق البون، فساروا في هذا التاريخ إلى عيان سكنوا فيه بعض المدة وهم يكاتبون إلى برط بالوصول بمشائخها وقاضيها، والسيد محمد الغرباني الذي فيها، ووصول الناهبين منها. فوصل المشائخ بضيافة والقاضي علي العنسي معهم، ولم يصل السيد محمد، ووصلوا بأعواض

(١) مصاككته: الصَّكُّ: الضرب الشديد بالشيء العريض، وهو الضرب عامة بأي شيء كان، (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٤٥٩).

(٢) أسلموهم: أي لم يتعرضوا لهم بأذى.

(٣) علي باشا: كان والياً في الحبشة كما يذكر يحيى بن الحسين، وعزل في هذا العام، فلجأ إلى اللحية، وسكن بها. (انظر: ق ٢٣٢أ من هذا الجزء).

(٤) وطاقاته: جمع وطاق، سبق شرحها.

(٥) الحسين بن المهدي: هو الحسين بن الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم، ثاني أولاد أبيه. كان من عيون آل محمد علماً وعبادة، تلقى العلم على يد مشائخ أجلاَّء. وكان عمدة والده الإمام المهدي ووصيه. ولما توفي والده كان الناس يعتقدون دعوته لكنه بايع وشايع الإمام المؤيد، وكان مؤازراً ومساعداً له حتى وفاته في تعز سنة ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٢٧٧-٢٨٠).

الطاعات القدر الذي عليهم، وقالوا: النصف هو مع سفيان، ثم شدد عليهم محمد بن المتوكل في وصول الفاعلين، فقالوا: لا قدرة لهم عليهم، لأنهم قبائل لا يقدر يحكم أحد على أحد منهم إلا بالمعروف، وأنهم يسعون جهدهم، ثم ذكر لهم الدخول إلى بلادهم، فاعتذروا بضعفها، وأنها لا تحملهم، خصوصاً هذه المدة لخلفها، فلم يعذر عن الوصول إليها، وقال إنه أمره بذلك المهدي. ثم رحل إلى رأس وادي المراشي وحط فيه، ووصل يومئذٍ إلى حضرته السيد محمد الغرباني، ثم تقدم محمد بن المتوكل ومن معه، وبقت المحطة في مكانها، سكن ببرط قدر شهر. ومات وهم هنالك القاضي علي بن قاسم العنسي الذي كان[٢٣١/ أ] فيها، ويميل القبائل إلى قوله ويسلمون له زكاتهم، ويتحاكمون فيما شجر بينهم إليه في بعض أعمالهم، ثم خرج عنها ونزل إلى عيان في أول شهر شعبان. ووصل طلاب المهدي له بالعود، ووصل إلى عيان عقب نزوله إليه صاحب صعدة علي بن أحمد، لبث قدر ثلاثة أيام أربعة أيام وعاد بلاده. وعاد محمد بن المتوكل وجميع من معه في نصف شعبان، وكان قد حصل أيام سكونهم هنالك جنايتان من سفيان على حطابين وجناية أخرى على عسكر كانوا هاربين فقتلوا واحداً منهم، وجنايات أخرى في الباقين.

وفي الشهر الماضي كان استأذن قاسم بن المؤيد صاحب شهارة المهدي في قبض زكاة بلاد عذر أيام سكونه في قرن الوعر، فأذن وقبضها، فلما بلغ أحمد بن المتوكل وهو واليها أرسل من حضرته وهو بالسودة عينة من عسكر لقبضها، وأنه لا يحتسب بما سلموه إلى قاسم منها، فسلَّم من سلَّم وامتنع من امتنع، وتضرروا من تسليم زكاتين. ثم إن أحمد بن المتوكل خرج من السودة للقيا صنوه إلى البون حال عزمه إلى تلك الجهة العيانية، في الشهر الماضي في ربيع، ثم تقدم إلى حضرة المهدي، وحال وصوله أصابه البرسام(١) وسقط على فراشه لا يقوم من مرقده، ومات في يوم الأربعاء لعشرين[٢٣١/ ب] خلت من شهر جمادى الأولى بالروضة وقبر فيها، وكان أصحابه

(١) البرسام: علة معروفة، وكأنه معرب، وبر: هو الصدر، وسام: من أسماء الموت. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص١٩٤).

الذين يطلبون الزكاة في عذر ما قد أتموها فنفس الله على من لم قد سلَّم بتركها.

وظهرت هذا التاريخ جراد في اليمن، وكان المطر أول الخريف قليلاً.

وفي هذا الشهر وصل كتاب من صاحب عدن الشيخ راجح بأنه وصل إلى سواحل عدن مركب من ....[1]، فأرسلوا أهله إليه أنه يرسل إليهم في الليل جماعة من أعيان العسكر يدعون بينهم قصد عمان لهم وهم لا يشعرون بمن فيه من التضمين معهم، فسار جماعة كما طلبوه في الليل، واتصلوا بهم ودخلوه، فلما أصبح الصباح ولاح أقبل العمانيون إلى المركب يجرونه بالكلاليب[2]، فخرج فيهم الذين داخله بالقتال والسلاح، والرمي بالبنادق والكفاح، فأخذوا منهم خمسة وعشرين رجلاً وانكسر الباقون وسلم المركب بمن فيه ودخل عدن، ولما عرف العمانيون انهم لا قدره لهم على عدن، وقرب عليهم وقت السفر، وطلعت الثريا فجراً من المشرق عادوا بلادهم.

وفي [٢٣٢/ أ]آخر هذا الشهر أرسل صاحب المخا بجماعة نحو العشرة من عساكر السلطنة، وقالوا: أنهم هربوا من بندر جدة، وكان جملتهم نحو الخمسين، فبعضهم سكن بالمخا، وبعضهم كان مريضاً، ثم تفرقوا.

وفي يوم الأربعاء ثالث عشر شهر جمادى الأولى وصل كتاب من حسن بن المتوكل من بندر اللحية يذكر فيه أنه دخل إليها علي باشا ومعه أصحابه من العسكر نحو ثلاث مائة بنادقية، ومعه صنجق ونوبة، وقال: أنه كان متولياً في الحبشة، عُزل فسكن في اللحية، وأنزلوه في سمسرة الفرضة[3]. قال الرسول بالكتاب أنه كان وصوله حاضراً، ووصف هذا الوصف وقال: أنه أول كتب يوم الخميس وهو في البحر بالإستئذان وأنه هارب، فأذن له حسن ولم يعرف أن معه هذا الجمع.

قال: وكان دخوله إلى اللحية عقب صلاة الجمعة، ثامن شهر جمادى الأولى.

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) الكلاليب: مفردها كَلُّوب وكُلاَّب: حديدة معطوفة كالخطاف. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص ٢٨٤).

(٣) الفرضة: يذكر الحجري بأن اللحية: فرضة وادي مور وفرضة البحر: محط السفن، أما فرضة النهر والوادي ثلمته التي منها يُستقى. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص ٦٧٩؛ ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص ١٠٧٩).

وفي هذه الأيام بعد تسمير كنيسة اليهود، كما سبق، فتحت الكنيسة، وأخرج ما لليهود فيها، من الكتب والتوراة، وأراق الخمر الذي كان في مخزان لها يباع مع اليهود[٢٣٢/ ب] في مصالحها، وأمر بخروج اليهود، فخرجوا عنها إرسالاً، وباعوا ما ابتاع من بيوتهم، وخربوا منها ما لم يبتاع وباعوا خشبها وأحجارها، وجعل الكنيسة مسجداً ورفع سقفها؛ لأنها كانت نزلت في الأرض كثيراً لقدمها، ومحرابها إلى بيت المقدس لم ينحرف عن القبلة؛ لأن بيت المقدس مقابل للكعبة، وأدبهم بالآداب من الدراهم، فساروا إلى موزع. واليهود أكثرهم الذين كانوا بها نزلوا إلى بلاد ذمار واليمن الأسفل، وأمرهم بالسكون في بلاد موزع، وكانت هذه الكنيسة قديمة من قبل النبوة. ومقابرهم غربي صنعاء بقدر نصف ميل من باب السبحة غربي الأعناب التي هنالك في القاع الغربي يدل على قدمهم وكونهم من اليهود الذين قررهم النبي ﷺ في اليمن وأمر معاذ بن جبل بأخذ الجزية منهم، كما في سيرة ابن هشام.

وفي هذا التاريخ أمر أحمد بن الحسن بالتحريج في التتن، وأن الناس لا يشربونه، ورسم على المتسببين الذين يبيعون فيه، فتضرروا بذلك، وقالوا له: تذهب أموالهم فيه وهي جزيله، فإنه حصر الذي بصنعاء من التتن مع التجار ما قيمته قدر مائة ألف، وأرسل إلى اليمن الأسفل يأمرهم بأنه لا يغرس فيه ولا ينبت، والنقص على بيت المال حاصل لأن بعض دفعات اليمن ومحصوله من التتن، والله أعلم ما يتم من قوله فيه.

وجاء الشهر الثاني ونقص نصف الدفعات من أماكن مزارع التتن في مثل بلاد شَرْعب والدِمْنَة[١] ووصاب وحفاش وملحان، فبقي المهدي حائراً من ذلك، وهو يسمى[٢٣٣/ أ] في كتب الطب الطباق، شجرة لا إسكار فيها ولا شيء مما يقضي بتحريمها، لكنها مكروهة فقط، لكونها مجرد دخان يقل الإنتفاع بها، ولكنها ماكانت تستعمل الزمان القديم بشرب الدخان منها، بل استعمالها بالأدوية بالسفوفات[٢] والمعاجين.

---

(١) الدِمْنَة: اسم مشترك بين عدد من القرى والمواضع، والمقصودة هنا دِمْنة خَدير: بلدة كبيرة بالجنوب الشرقي من مدينة تعز بمسافة ٣٠كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ٦٢٢).

(٢) السفوفات: كل دواء يؤخذ غير معجون فهو سَفوف، مثل سفوف حب الرمان ونحوه، والسفوف: اسم لما يُستف

وفي هذه الأيام وقع بَرَد[1] كبار في حيز حجة والعبال، وُزِنت كل بَرَدَة ستة أرطال.

وضرب الملك الزاهر ضربة جديدة مثل البقش الأولة وأصغر، إلا أنها كانت أقل خلطاً من النحاس.

ولما سكن محمد بن المتوكل ببرط أقبلت إليه قبائل برط بالضيافة من الغنم، ولم يحمل الناس بلادهم بل طلعت القوافل من ورائهم، وارتفع السعر في برط بلغ القدح إلى ستة حروف والعلف ارتفع ثمنه، ونال الناس المشقة فيه، إلا أن محمد بن المتوكل بذل لهم، والقاضي علي بن محمد بن علي بن قاسم البرطي توفي ببرط، وأصله من قضاة عَنْس، وإنما جدودهم من زمان المنصور عبد الله بن حمزة نقيلة في جهات عيان، كانوا في المدينة لما خربت في مدة الإمام القاسم، تفرق أهلها فطلع جده علي بن قاسم إلى برط، سكنوه من ذلك التاريخ في زمان محمد باشا فمال قبائل برط إليهم، وسلموا إليهم زكاتهم، وكان غير مبايع لأحمد بن الحسن، واستمر على ذلك مدته حتى مات بعد اتفاقه بمحمد بن الإمام إلى عيان، وكانت وفاته بشهر رجب ومحمد بن المتوكل يومئذٍ هنالك عندهم.

وفي هذا الشهر قطع المهدي رأس اثنين من الحرامية بمحطته في بير الدرج بالرحبة، وذلك بسبب قتلهما لرجل في المنزل من بلاد سُمَارَة وأخذ ما معه.

وفي نصف رجب توفي الحكيم الطبيب محمد لطفي بن الأمير الحرار، كان بمدينة صنعاء من الحكماء العارفين[٢٣٣/ ب] بالطب وعلى يديه يقع الشفاء، وكان عارفاً بأنواع العلل وأسمائها، والمعاجين ومجموعاتها.

وفي هذه الأيام بشعبان لما بلغ علي بن أحمد صاحب صعدة حركة محمد بن الإمام بالعود إلى بلاد عيان، وزال عنه الأوهام، ووصل إلى عيان بقي نحو ثلاثة أربعة أيام، ثم رجع بلاده صعدة.

(ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص ١٥٨).

(١) البَرَد: يكون البَرَد في الغالب حبيبات من الثلج تنزل مع المطر.

وفي نصف شعبان خرج محمد بن المتوكل من عيان وعاد إلى صنعاء، بعد صلاح تلك الجهة، وقبض جميع ما راح من النهب من سفيان ومن برط وأكدوا عليهم الأيمان، وولّى في قصر عيان والياً وجعل معه عينة من العسكر إذا صبروا على الإستمرار في ذلك المكان، واستمر الدولة على الوفاء بمالهم من السبار كما كان أول الزمان في مدة السلطان، وكانت أيام السلطنة صالحة والدولة عليها حاكمة، حتى خربت وزال عنها الولاة، فما زال يحصل فيها ما يحصل، فلا قوة إلا بالله، وصار حالهم فيها كما قال الشاعر[(١)]:

خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

ولا يكاد يصلح إلا باستمرار الدولة فيها وعمارة المدينة إذا حصل لها كما كانت أولاً، فأما بلاد برط العليا فلا مصلحة فيها ولا طريق هناك يحتاج إليها، والله يصلح البلاد. رأيت مرسوماً سلطانياً تاريخه سنة عشر وألف للشيخ قاسم من آل سليمان[(٢)] والشيخ فلحان من أهل عيان بالأمان لهم والضمان والوعيد لمن تعدّى عليهم من سفيان.

وأما الداعي السيد محمد بن علي الغرباني فبعد اتفاقه بمحمد بن المتوكل وضيافته له وصار على حاله في دعوته وعلامة اسمه ولقبه، وكان بعض أهل برط قد تبرى من جيرته وسكونه مثل الشيخ الذي يقال له: أبو عروف وأصحابه، ولكنه سكن عند أنسابه الردسة[(٣)].

---

(١) الشاعر: هو طرفة بن العبد، وقد ورد البيت في ديوانه كالتالي:

قد رفع الفخ فماذا تحذري ونقري ما شئت أن تنقري

(ديوان طرفة بن العبد، ص ٧١).

(٢) آل سليمان: بطن من قبائل دهمة من بكيل، ديارهم في شرقي برط العنان. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٨٠٨).

(٣) غير واضحة في الأصل، رسمناها تقريبياً.

ووصل هذه الأيام إلى صنعاء[٢٣٤/ أ] الشريف العارف إسماعيل بن إبراهيم الحنفي الحسيني، وذكر أن صنوه كاتب مع السلطان محمد بن إبراهيم بن عثمان سلطان الروم، وأنه وصل إلى زبيد هذا العام بعد الحج إلى بيت الله الحرام، ووضع بعض كتبه وديعة بزبيد، وطلع إلى هذه الجبال متنفساً، وراجعه من راجع فوجده عارفاً بعلوم العربية والمنطق والحديث وفقه الحنفية، واتفقت به غربي صنعاء، باحثته في فقه الحنفية، فوجدته عارفاً، وسألته عن قول الحنفية في الماء الكثير أنه عشرة أذرع في عشرة بذراع الكرباس، ما الكرباس؟ فقال: الكرباس الثوب باللغة الفارسية ومراده بالذراع الذي يذرع به الثوب، ومعه من الكتب الخبيصي، حاملاً له على ظهره، ولم يكن معه أحد من الخدم، بل يدور في البلدان يسكن في المساجد، وكان سكونه حال وصوله إلى خارج صنعاء، سكن ببعض مساجد بير العزب، ولما طالع المجموع الكبير لزيد بن علي قال: ليس بين أبي حنيفة وبين زيد اختلاف إلا القليل في نحو اثني عشر مسألة.

وفي يوم الثلاثاء ثاني وعشرين شهر رجب وقع قران المريخ والزهرة ببرج العقرب.

ووقع في بلاد خولان صنعاء فتنة بين بني جبر وبني سِحَام[1]، وخصام أفضى إلى الحرب والقتال[٢٣٤/ ب].

وأمر المهدي السيد الحسن بن مطهر الجرموزي صاحب المخا بعمارة باب المندب والتحصين له، فشرع السيد في ذلك، وكان في ذلك المحل آثار خراب عمارة كانت من زمان بني زريع[2] الذين كانوا ملوك عدن ثم خرب، وهو مجمع طريق التجار الذين يخرجون من البحر الكبير[3] إلى حدود بلاد المخا.

---

(١) بنو سِحَام: قبيلة من خولان العالية في شرقي مدينة صنعاء على بعد ٣٥كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٧٧٣).

(٢) بنو زريع: الدولة الزريعية: قامت في اليمن للفترة(٤٧٠-٥٦٩هـ/ ١٠٧٨-١١٧٤م) وكانت عاصمتها عدن. (أحمد محمد الشامي: تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي، ج١، ص٢٢).

(٣) البحر الكبير: هو البحر المسمى ببحر تيران، ومعناه الذي يشق دائرة الأرض، وهو البحر المتوسط الخارج إلى بلد الشام، ويسمى البحر الكبير. (أحمد محمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، ج١، ص١٣١-١٣٢).

وأهدى للملك الزاهر بعض الواصلين من أهل الهند عربة صروف على عجيل، ويجرها بقر من بقر الهند، وفيها حلي وتزويق في العربة وعناية، وكان أحمد بن الحسن يركب عليها وتجرها البقر في التماشي وهو فيها، ولما دخل صنعاء مرة لقوها له إلى خارج الباب وركبها.

وفي عشرين شهر شعبان انتقل أحمد بن الحسن من المحطة الأولى التي غربي بني الحارث إلى محطة أخرى، خيمها في مكان يقال له بير زاهر من الرحبة، ولم يلبث أن انتقل بعد ذلك إلى الغراس مستقره، وقَوَّض[1] جميع خيامه.

قال الواصلون من البلاد البرطية: لما وصل علي بن أحمد إلى عيان، ووافق محمد بن الإمام ومن معه من الأعيان جرى بين محمد بن الإمام وبينه المعاتبة، وكان المعاتب محمد بن المتوكل فيما جرى منه إلى والده تلك الأيام، ثم جرى ذكر مسألتين أوردها علي على محمد أحدهما: إطلاق جميع الكثرة على القلة يعد من المجاز، والأخرى قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا﴾[2] فلم يتفق حضور جواب في المقام عند المسؤول بذلك وهو محمد بن الإمام، ولكن علي بن أحمد لم يكن في العربية بذاك، فإنه ادعى أن الممتنع ينصرف، ولا قائل به.

[٢٣٠/ أ] وأما السيد محمد بن علي الغرباني فإنه لما آن خروج محمد بن الإمام من برط أرسل بالحصان الذي كان قد عينه له يوم قدم إلى المراشي وآذنه بالإرتحال، فأرجع إليه الحصان، وقال إن له عذر بسبب تأثر معه عما كان وعد به في المقال، فعذره محمد بن الإمام وقال: لا تخرج عليه سواء صدق أو لا فيما تحدث به وقال، والمهدي لما وصل محمد بن الإمام كان ما يكره وصوله إليه، وذكر الواصلون أن السيد لم يكن في العلم كما يوصف، وإنما له بعض مشاركة في الفرائض يسيرة غير معتدة، أورد عليه بعض الحاضرين مسألة في النحو، فلم يجب عليها، واستبهم عليه إفادة السائل حلها.

---

(١) قَوَّض نقضه من غير هدم، وتقوض: انهدم مكانه، ومنه تقويض الخيام. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص ١٨٧).
(٢) الإنسان: ٢٤.

وأما الفقه فلم يكن له فيه معرفة ولا في الحديث ولا في السنة ولا في الأصول، والله أعلم.

وفي يوم الأحد عاشر شهر رمضان منها مات الفقيه العارف علي بن محمد بن سلامة بصنعاء، كان المذكور في المدة السابقة ملازماً للأغا عبد الله المعافا[1] صاحب السودة بشظب، وكان متى نزل عبدالله المعافا متنزهاً إلى بساتينه التي بجوار السودة عند الغيل الذي كان له هناك قوة في ماجله، ويحصل بينهم المزاح والدعاب، ويحصل منه لهم الإعجاب، ثم إنه حصَّل العلم من بعد تلك الأيام، وكرع فيه بعد زوال دولة ابن المعافا وما جرى عليه من الباشا. ولما زالت دولة حيدر باشا من صنعاء، وصارت ولايتها إلى علي بن المؤيد بالله فيما مضى تعلق به ولازمه في كتابة الإنشاء، وكان [٢٣٥/ ب]بارعاً في الكتابة، سريع الجري للقلم مع الوقاعة[2]، فكان قد أخذ في العلم على جماعة من مشائخه، وكان مشاركاً في علم العربية والأصول، وله أيضاً مشاركة في الفقه إلا أنه كان طارحاً لنفسه متواضعاً، بحيث يقضي حاجته من السوق بيده، وكان قليل المراجعة في العلم إذا درسه أو قرئ عليه، بحيث القارئ عليه إذا قرأ لا يستفيد منه إلا مجرد السماع دون المراجعة والأبحاث والمناقشة فلا يحوم حولها ولا يستفيد منه طالبها. وكان مع ذلك قليل التصدر للتدريس، وكان قد أخذ في علم الحديث على الفقيه عبد الهادي القويعي الحضرمي الشافعي، ولكنه مع ذلك كما روى عنه كان جارودياً، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم، وكان ظن مخايله خلاف ذلك لأمرين:

أحدهما: كونه كان ملازماً للأمير عبد الله المعافا، الأمر الثاني: أخذه في بعض علم الحديث، وله من التصانيف (شرح الفصول) في أصول الفقه، شرح نقل لا شرح نظر؛ لأن الرجل كان نقالاً لا نظاراً، وله مختصر في علم اللطيف، وله سيرة للإمامين

---

(١) عبد الله المعافا: تُنسب إليه السودة، فيقال لها أيضاً بسودة ابن المعافا، وكان قد بنى لها سور، ثم أمر الإمام القاسم بن محمد بهدمه، ذكره القاضي إسماعيل الأكوع نقلاً من هذه المخطوطة. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٢، ص٩٨٥، ج٤، ص٢٠٥٣).

(٢) الوقاعة: الأناة.

القاسم بن محمد وولده المؤيد في جزئين[1]، وله شرح على الأزهار، تحصيل حاصل نقله من شرحه المعروف، ولم يكن في مصنفاته فائدة، ومن جملة ما رأيته في شرح الفصول في باب الإجماع تخطئة الإمام يحيى[2] والإمام المهدي أحمد بن يحيى في قولهم بأن حكم أبي بكر في فدك[3] صحيح، وأن قولهم هذا مخالف لإجماع أهل البيت وإنهما مسبوقان بالإجماع، وهذا قول ساقط باطل فإنه لا إجماع بل قول زيد بن علي ظاهر في تصحيح ذلك وهو إمام الزيدية وقائل: بأن الإمامة في قريش يعرف ذلك من عرف، لكن الفقيه علي المذكور حمله الميل إلى مذهب الجارودية. ومن غرائبه أنه سأله سائل عن كفارات وصية معه يدله إلى من يصرفها فقال له:[٢٣٦/ أ] اصرفها في بني هاشم، فإنهم أحق بها، وهذا مخالف لنصوص العلماء؛ لأن الفقراء من بني هاشم تحرم عليهم الزكاة والكفارات باتفاق العلماء، بحيث أن السائل لم يعمل بقوله؛ لأنه حنفي المذهب، وقال لي السائل: إنه قال له عند جوابه اصرفها كذلك ولا تقل لأحد أني قلت لك به، ولا دليل له عليه، بل ذلك من رأيه الذي لا يلتفت إليه استناداً منه إلى أن فقراء بني هاشم في ضرورة فهم أحق، ولكن لا تحقق الضرورة معهم، فإن من قال بجوازها للضرورة حيث تحققت معهم، مع أن الجمهور على خلافه.

وفي هذا العام حصل في الموسم الهندي حركة في البيع والشراء بالمخا، حتى راح الآخر بلا شيء من التجار، ونقص فيه سعر الذهب عن العادة، قالوا: ما يأخذوا الحرف الأحمر إلا بقرشين إلا ثمن.

وفي النصف الآخر من شهر رمضان ظهرت نار عظيمة[4] في الجبل المقابل للمخاء

---

(١) لم نجد ذكر لهذه السيرة في المصادر التي ترجمت له، غير أن الحبشي ذكرها في مقدمة سيرة الإمام القاسم العياني، وقال: لا نعرف عنها شيئاً. (عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص ٧٢٠).

(٢) أي الإمام شرف الدين يحيى بن شمس الدين.

(٣) فدك: الأرض التي تركها النبي ﷺ، وكانت سبب الخلاف بين فاطمة بنت النبي ﷺ وبين أبي بكر الذي رفض إعطائها إياها مستدلاً بقول النبي ﷺ: «لا نورث ما تركنا صدقة». (ابن سعد: الطبقات الكبرى: ج٢، ص ٢٣٨-٢٣٩).

(٤) يقصد بذلك ظهور براكين.

في البحر تلتهب وترمي بالشرر إلى البحر وتصعد في السماء كالمنارة العظيمة، يرونها كذلك في الليل من الجبال اليمانية البعيدة كجبال وصاب وغيرها وفي النهار يرون دخانها كالسحاب، وظهر في خلالها نتن في البحر بسبب موت كثير من الحوت المقارب من الجبل، لما حصل من حرة وهجها وقذف البحر بشيء منها إلى ساحل المخا، وحصل في المخا زلازل شديدة ثم تعقبه حريق حرق فيه النصف فأكثر. وركب السيد حسن[1][٢٣٦/ ب]، الوالي عليه في البحر بأهله وأولاده، وفات عليه من المنقولات بالنار كثير وعلى غيره من الساكنين، والنار يومئذٍ في الجبل المقابل للمخا باقية، يقال للجبل سُقار- بضم السين المهملة ثم قاف ثم راء- مشهور هنالك، حتى إذا كان أول شوالها نزل عليها مطر من السماء أطفأها وزال بسببه لهبها واضمحل أمرها، فلله الحكمة فيما يشاء.

وقد كان اتفق من النار نار عظيمة في الجبال السبعة بين كمران ودَهْلَك[2]، كان يرى من جبال سردد كحفاش وملحان وفي النهار يرى دخانها كالسحاب وذلك في المائة الثامنة[3]، وكان بعدها ما حصل من الفناء[4] العظيم باليمن المشهور، نسأل الله العفو والعافية.

وكذلك ظهور النار التي ظهرت قرب المدينة بالحجاز التي كان وعد بها النبي ﷺ، كانت تأكل الحجر ولا تأكل الشجر، وحصل عقبها فتنة التتار المشهورة.

ورأى في شهر رمضان كثير من الناس السماء منشقة وخرج منها نور أضاءت له الأرض، هكذا رواه من رآها كذلك من الثقات وذلك في العشر الآخرة من رمضان، ولعلها ليلة القدر لأنه قد روي أنها قد تظهر كذلك، والله أعلم.

وفي آخر رمضان[٢٣٧/ أ] وصل كتاب من الشريف بركات إلى المهدي، يذكر فيه

(١) المقصود به السيد حسن الجرموزي، والي المخا حينذاك.

(٢) دَهْلَك: جزيرة في البحر الأحمر ما بين اليمن والحبشة، وهي شديدة الحرارة. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٦٢٧).

(٣) ذكر المؤرخ هذا البركان في أحداث سنة ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م، في كتابه: (أنباء الزمن في تاريخ اليمن، ج٢، مخطوط، ق ٢٣٩).

(٤) يقصد بذلك مرض الطاعون الذي ذكره المؤرخ في أحداث سنة ٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م في كتابه أنباء الزمن، ج٢، مخطوط، ق ٢٤٠).

أنه بلغ خروج كثير من باب السلطان هذا العام، فكان كما قال، امتلأت مكة من عساكر السلطان أيام الموسم، وذلك أنه حج كثير من الكبراء والأمراء وبعض خاصة السلطان من أولاده وبعض الوزراء والأمراء والأعيان.

وفي يوم الخميس ثاني عشر شهر شوال توفي السيد الشريف العارف غوث الدين بن يحيى بن غوث الدين بن مطهر بن الإمام شرف الدين بمدينة صنعاء، كان سكونه ومستقره بها من دولة السلطنة، وكان عارفاً بالعربية، ومشاركة في غيرها، قرأ على الفقيه عبد الرحمن الحيمي وعلى السيد محمد بن عز الدين المفتي المؤيدي، وعلى الفقيه أحمد بن سعيد الهبل، وكان قد لقي كثيراً من العلماء الأولين مثل السيد صلاح الحاضري السراجي، والقاضي إبراهيم السحولي وغيرهما، والرجل كان حسن الطريقة إلا أنه دخل عليه آخر مدته عقيدة الجارودية، فلا قوة إلا بالله.

وفي هذا الشهر هرب جماعة من العبيد الخيالة من أصحاب المهدي إلى عند صنوه حسين صاحب رداع، وقال: ما كساهم المهدي في عيد رمضان، ولا عدَّ لهم جوامكهم.

وفي شهر القعدة وصل جواب[٢٣٧/ ب] المهدي من العماني إلى عدن ثم إلى حضرته، ولم يعرف ما لفظ جوابه إلا رواية أنه قال عساكره مأمورة بالكفار من الفرنج والبانيان، أينما وجدوهم في البحر أخذوهم، ولم يأمرهم بتعدي إلى بنادر اليمن كما أجاب به على المتوكل.

ووصل خبر في هذا الشهر حصول قضية بالمدينة المشرفة فرقة بين عساكر السلطنة، راح فيها جماعة، وقتل فيها حاكم الشريعة، فطلبهم باشا مصر وقتل بعضهم ومحى الباقون من الدفتر ونكل بهم، وأبدلهم بغيرهم.

ودخل المهدي صنعاء في شهر الحجة عقب العيد، وبقى قدر نصف شهر وأراد جمع قاسم بن المؤيد وصنوه حسين وولده محمد، فاعتذر الجميع وقالوا: يلزمهم نفقات ولا موجب، فعاد الغراس.

وفي هذا الشهر غزا برط إلى البراغشة من بلاد عذر، فقتلوا منهم ستة، وقتل: من برط اثنان، وغزوا بعد ذلك إلى سفيان، وقالوا: ذلك الجميع لقتول بينهم.

وفي هذه الأيام ظهر مجنونان أحدهما: ادعى النبوة وأنه قد رفع عن الناس الصلاة والصيام، وأن السماء قد امتلأت من الصلاة والصيام، فلم يبق بها اتساع، والآخر قال: إنه يطلع السماء[٢٣٨/ أ] ومعه بيرق يسير به مع العسكر، وخرافات المجانين كثيرة، نسأل الله العفو والعافية.

وفي شهر الحجة منها مات محمد بن زيد بن محسن[1] المكي ببيت الفقيه بتهامة؛ لأنه سكنه منذ خرج هارباً من مكة حال أن طرد سعد عنها، ولما مات طلع أصحابه إلى المهدي، وانضم إليهم بعض أولاد سعد بن زيد يطلبون السبار، ورأيت من أصحابهم من يطلب الصدقة في الأبواب.

وفي هذه الأيام أرسل المهدي إلى اليمن الأسفل أن الولاة الذين قد اكتسبوا فيه الأموال كالشيخ راجح وولده، والسيد جعفر الجرموزي صاحب العدين وغيرهم يسلمون الذي على ما لهم من المطالب، بعد معرفة ذرعه، فتضرر أولئك، وقالوا بأيديهم مراسيم وخبريات[2] من المتوكل وغيره.

ووصل خبر في هذا الشهر بأن العماني سلطان بن مرشد توفي ببلاده، وأقيم بعض أولاده.

---

(١) محمد بن زيد بن محسن، سبقت الترجمة له.

(٢) لم تتضح هذه الكلمة ورسمناها كما وردت.

بهجة الزمن
في
تأريخ اليمن

ليحيى بن الحسين بن القاسم

الجزء الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[١/ ب]

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ودخلت سنة إحدى وتسعين وألف(١)

في محرمها جاء خبر الحاج أنه كان فيه كثرة وقوة، خلاف العادة السابقة، وأن القوة كانت للشامي، وفيه كثير من الأمراء والأعيان من الروم. وقيل: إن فيه كان حاجاً ولد السلطان محمد بن عثمان، وبلغ الناس في منى إلى وادي محسر، واستغرق العسكر كثيراً من بيوت مكة، حتى بيت المتوكل الذي بمكة، كان شراه في المدة السابقة، وكان ينزل فيه الحاج فرحان في أيام سعد بن زيد. وأما الحاج اليماني فكان ضعيفاً إلى الغاية، وخرج حاج اليماني قبل عزم الركب الشامي والمصري، ولبث حاج الشامي والمصري زيادة على عام قبله بمكة، ثم ساروا بعد عزم اليماني.

وفي يوم السبت آخر شهر محرم مات القاضي أحمد بن جابر العيزري الأهنومي بمدينة صنعاء. كان المذكور له معرفة بفقه الهدوية، لا غيره من الفنون العلمية. وكان متنسكاً يتشبه بالصوفية، ويخدم نفسه من السوق بالحاجات السوقية، ويحملها بيده وعلى جنبه، وكان كثيراً من أيامه يخرج بطعام في جرابه(٢) ويطوف به في السكك يطعم منه من تبعه من الغرباء والكلاب، حتى أن الكلاب تتعلق بثيابه وهو يلقي لها ما تأكله، وكلما رأته كلاب المدينة تكاثرت عليه وتبعته، وسأله بعض السائلين كيف يصلي في ثيابه وقد تنجست من الكلاب التي تعلق[٢/ أ] بأطرافه وأهدابه، فأجاب بأنه يطرح عباية حال صلاته ....(٣) في المَصَر(٤) وغيره على رأي إمامه الهادي، وقد كان آخر أيام

---

(١) ١ محرم ١٠٩١هـ= ١ فبراير ١٦٨٠م.

(٢) جرابه: الجراب: هو وعاء يضع فيه الرجل ما يحتاج إليه. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص ٤٢٩).

(٣) هنا شطب قدر سطرين لم يتضح منه شيء.

(٤) المَصَر: قطعة قماش مربعة الشكل توضع على رأس المرأة، وقد توضع أو تُصَرُّ فيه الثياب.

المتوكل إسماعيل بن القاسم أيضاً لا يصليها، قال: لتغير سيرته فيها، فتركها، وقبر بخزيمة جنب القاضي إبراهيم بن حسن العيزري، وكان من آخر يوم الخميس ويوم الجمعة، ومات بكرة يوم السبت.

روي عن زوجته أنها قالت: كان يقول حال مرضه هذا وشدة ألمه مخاطباً: لِمَ تقتلوه؟ ولا يدري من يخاطب بذلك.

قال الراوي: فيحتمل أن يكون من قبيل حديثه من الجان، لأنه كان يقول أنه مخدوم وأنه سيحضرهم، والحكمة لله، فإنه قد ورد في قوله تعالى: كـ﴿ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾[1] أن الصرع أحد أنواعه من قبل الجان، ومنهم من يموت من ذلك، وأحد أنواعه ألم من قبيل البخار، والتخلية قد تحصل لمن أراد الله، كما قال تعالى في سياق الحفظة من الملائكة: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[2].

﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾[3]، ونسأل الله العافية والكفاية. وهذا أحد الأشياء الذي ينبغي ترك تعاطي طلب الإستخدام بالرقى[٢/ ب]، فإن ذلك يحتاج إلى كمال شروط التقوى، لتكون اليد قاهرة وشروط الولاية والعصمة عسرة، نسأل الله الثبات على السنة. وكان المذكور مع هذا يحكم بالقضاء، ويتولى فصل الشجارات لمن إليه أتى، من غير ولاية له من المتوكل ولا من بعده، وقال مرة لمن سأله عن ذلك وكيف تقضي من غير ولاية؟ فقال: إنه لا يحتاج إليها، فإن ولايته من الله تعالى.

وفي هذه الأيام اتفق أن رجلاً رقد النهار بجامع صنعاء، فخرج حنش من الحيات يسعى في المسجد حتى دخل سروال ذلك النائم، فقال الذين رأوه: دعوه لا تحركوه لئلا يضره ولا تنبهوه، ثم خرج من سرواله لما لم يجد منفذاً، والرجل نائم فلما قام من نومه أخبروه بالقصة، فحمد الله على السلامة.

(١) البقرة: ٢٧٥.
(٢) الرعد: ١١.
(٣) الرعد: ١١.

وفي شهر صفر جَدَّ المهدي أحمد بن الحسن بإخراج اليهود من اليمن، وأرسل عليهم مترسَّمين ومتقاضين لهم ومخرجين، فخرج يهود صنعاء وجميع بلادها ما بين شهارة وسمارة، ونزلوا إلى جنوب موزع، حسبما أمرهم بأهليهم وأولادهم. وكان نزولهم إلى هذا المحل بمشورة محمد بن المتوكل، فإنه لما عرض أحمد بن حسن عليه الكلام في حديثهم، وكان محمد بن المتوكل غير راض بإخراجهم، ورأى أن المهدي قد أصر على إخراجهم أشار بأنه إذا كان ولا بد فإلى أطراف اليمن كبلاد السواحل، ولم يعرف أن ذلك لا يتم لهم لتفرق معايشهم في أرض اليمن لحرفهم وأشغالهم، واجتماعهم في محل واحد لا يحصل نَفَاق لمهرهم وصناعاتهم[٣/ أ] ونفعهم وانتفاعهم، فكان أرادوا بالخروج إلى سواحل تهامة في الجهة الغربية مما يلي بلاد المَهْجَم[١] والكدر[٢]، فمنع أهلها عنهم وقالوا: عليهم ضرر بتضيق مراعيهم وحقوقهم وبلادهم، وأن ذلك لا يتم لهم، فعدلوا إلى تهامة الجنوبية بنواحي بلاد موزع. وتضرر أهل البلاد منهم، وهم أيضاً تضرروا لعدم تمام نَفَاق معايشهم، فرجع أكثرهم إلى حيث كانوا، والقليل منهم تفرقوا في اليمن الأسفل وقرُّوا. وكان قد باعوا بيوتهم بصنعاء وغيرها بنصف قيمتها إلا اليسير منها، وكان بعض من اشتراها قد خربها وباع مؤنتها وحجارها وأخشابها. ولما تفرق اليهود كما ذُكِر كتب أحمد بن الحسن إلى صاحب أوسة بسواحل الحبشة أنهم يخرجون إلى جهاته وله جزيتهم، فأبى ذلك، وأجاب على المهدي أن البلاد للسلطان، فأمر لهم في السكون حيث كانوا، فمنهم من رجع إلى تلك البلد التي كان فيها، ومنهم إلى قريبها. ويهود صنعاء عمروا لهم غرب بير العزب خارج صنعاء دياً وبيوتاً في أطراف أصلاب كانت بجانب الوقف استأجروا أرضها وعمروها.

---

(١) المَهْجَم: مدينة تهامية مشهورة، عدادها اليوم في قرى بني محمد من مديرية المِغْلاَف، شرقي مدينة الزيدية. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٧١).

(٢) الكدراء: قرية في وادي سردد من فضاء الزيدية. (الحجرية: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٤، ص٦٦٤).

وضرب أحمد بن الحسن ضربة جديدة فيها بعض أخلاص[1] مع صغر البقشة، حتى بلغ الصرف لأجلها القرش بأربعة.

وفي هذه الأيام وقع سؤال بحبور في كتابة الترضية على الصحابة رضي الله عنهم كيف تكون فيمن خرج على علي بن أبي طالب كمعاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة[2] وأشباههم فيمن كتبها من الشافعية في الأصل على مذهبهم؟ وكان الناسخ لا يروي مقالهم، فأجاب السيد يحيى بن إبراهيم بن جحاف: أنها تكتب من الأصل على حالها حكاية لقول المصنف ولا ينبغي تغييرها، وأجاب صنوه إسماعيل بن يحيى جحاف[3] بحذفها[٣/ ب]. والجواب الأول هو الصواب؛ لأن كتابة ما لم يكتبه المصنف أو حذفه من الكذب عليه والتحريف لكلامه وتغيير قصده ومراده؛ لأن المصنف إنما يضاف إلى مصنفه، فلا يغير مقصوده وما قرره، والله أعلم.

وفي شهر صفر وقع فيما بين أهل صبيا وبني حبيب من القبائل التي حولها مما يلي الجبال شرقيها، وذلك أن السيد صاحب صبيا غزا بعض صرومهم[4] فيها، فانتهبهم وسار بمواشيهم، فتغاور القبائل وصاحت عليهم، فتبعوهم، فوقع بينهم مقتلة، راح من الأشراف جماعة، واستردوا حقهم[5] منهم، ثم صالوا من بعد على أطراف صبيا قصاصاً بما جرى معهم على زعمهم، فلم يقدر الشريف إلى دفعهم لركة[6] يده، فكتب إلى المهدي

(١) أخلاص: أي فضة، ويقال أيضاً: مُخْلاص.

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي، أبو عبد الله (٢٠ ق هـ-٥٠هـ/ ٦٠٣-٦٧٠م) أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم، صحابي، أسلم سنة ٥ هـ وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام وغيرها، ولاَّه عمر بن الخطاب على البصرة. ثم تولى الكوفة وحضر مع الحكمين عندما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية، له ١٣٦ حديثاً. (الزركلي: الأعلام، مج٧، ص٢٧٧).

(٣) لعل المؤرخ قد أخطأ دون أن يقصد إذ أن أخا يحيى بن إبراهيم جحاف هو إسماعيل بن إبراهيم جحاف وليس إسماعيل بن يحيى جحاف. وقد سبقت ترجمته.

(٤) صرومهم: أي مزارعهم.

(٥) حقهم: أي ما يملكونه.

(٦) الرِّكة: الضعف وهنا يعني ضعف موقفه وعدم وجود ما يكفيه لصد الغزاة.

أحمد بن الحسن بالإمداد لهم، فكان أَهَمَّ ثم ترك ذلك ووعدهم.

وفي هذا الشهر وصل إلى صنعاء جماعة من عساكر السلطنة الذين كانوا مع الباشا علي، الذي سكن في اللُّحَيَةَ بعد أن عزم الباشا وبقي بعضهم فيها، فلما وصلوا باب السبحة وقفهم والي المدينة حتى يستأذن لهم، ثم دخلوا صنعاء وهم قدر ثلاثين نفراً بسلاحهم وبنادقهم، ثم خرجوا إلى حضرة المهدي الغراس.

وفي يوم السبت تاسع وعشرين شهر صفر أكسفت الشمس على مضي سبع ساعات أو ست في برج الحمل، وكان المنكسف منها يسيراً بحيث لم يدرك كسوفها[٤/ أ] أكثر الناس، وصُلي لها صلاة الكسوف بالروضة لمشاهدتهم لها، ولم يصل لها في صنعاء لاتفاق سحاب حجبها.

وخرج يومئذ محمد بن المتوكل إلى الغراس، ووصل يومئذٍ محمد بن المهدي صاحب المنصورة التي باليمن الأسفل بعد تكرر الإستدعاء له من والده وكثرة المواعدة له، فكان وصوله صنعاء نصف ربيع الأول. وكان خروجه من المنصورة وهو في غمرة التردد وتقديم رجل وتأخير أخرى، وسار إلى السواحل الجنوبية والبلاد التهامية ما بين عدن وموزع، ثم عاد إلى قعطبة، ثم طلع إلى الجهة الرداعية وافق عمه حسين بن الحسن، ثم تقدم إلى حضرة والده، وكان المتوسط والساعي بينه وبينه محمد بن المتوكل، وجعلوا له بلاد حيس، وكانت في ولاية السيد زيد بن علي جحاف. ولم يلبث عند والده بالغراس إلا دون الشهر وعاد إلى بلاده، إذ كان قد رحل من البلاد العليا بجميع أهله وأولاده. وأطلق والده يده في الأوامر والنواهي باليمن الأسفل في إنصاف الشاكي. ووالده المهدي خرج عقبه من الغراس يوم الإثنين رابع عشر شهر ربيع الثاني إلى الشَرَفة[1] ما بين بني حشيش وبين بلاد نهم، فاتفق وصول نهم وهم يضربون الريح تجاه أصحابهم[٤/ ب] فمنعهم بنو

(١) الشَرَفة: مركز إداري من مديرية بني حشيش وأعمال صنعاء، بالقرب من بلاد نهم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٨٦٢).

حشيش من ضرب الريح في بلادهم، كما هو عادة القبائل منهم، وقالوا: يدخلون بغير طاسة[1]، فحصلت بينهم الفرقة، ولولا دخول خيل أحمد بن الحسن لفك الفتنة لحصل ما حصل منهم من المحنة. وعقر حصان السيد صلاح الديلمي بضربة، فلما اتفق هذا منهم تثاقل المهدي فوقهم وخطط عليهم الحاضرين بالأقوات حتى حصل الضرر معهم، ثم خرج عن بلدهم بعد مرور أيام.

وفي خلال ذلك وصل رتبة جبل ضوران شكاة من حسين بن المتوكل وما نالهم منه من التقصير فيهم، فطلب حسين إلى صنعاء وعوتب في ذلك الذي جرى، وخصوصاً مع أجرة يده في بلاده واعتلاقه، ولوم على محمد صنوه، ولا تأثير له معه فبقي بعض المدة بصنعاء حول نصف سنة، ثم عاد إلى ضوران على ما يعتاده من البلاد، وكان حسين هذا يسمر في الليل طويلاً وينوم آخره، فيثقله النوم حتى تفوت عليه صلاة الفجر في بعض أيامه.

وفي هذه الأيام بشهر ربيع زاد المهدي في دفعة بلاد حجة قدر ألفين حتى أوفاها إلى السبعة، وكانت من قبل أربعة، فدخل فيها السيد علي بن حسين[2] والي حجة، ورفع أحمد بن الحسن عن بلاد حجة مع هذه الزيادة[٥/ أ] زائد الربع، وكذا زَيَّد على والي ريمة السيد إبراهيم بن علي بن جحاف، وأزيلت يده عن ولايتها وتولاها حسن ناجي من الكلبيين، ودفع إلى محمد بن المتوكل كل شهر ستة آلاف بعد أن كان يدفع السيد إبراهيم ثلاثة.

وأزيلت يد السيد زيد عن ولاية بيت الفقيه بعد حيس، ولم يبق مع السيد زيد إلا بلاد زبيد، والسيد قد توسع كثيراً في بيوته وجواريه وخدامه، فحصل معه ومع بني جحاف ما حصل من الشدة والضرر هذه المدة. وكذلك تقاصرت أحوال تقاريرهم في بلاد حبور

(١) طاسة: نوع من أنواع الطبول يضرب عليها بعصاتين.

(٢) هو علي بن حسين بن جحاف، سبق ذكره.

وما يعتادونه من سباراتهم ، وكذلك بلاد شهارة حتى رحل كثير من أهل شهارة عنها من الذين كانوا في الأصل من غيرها، والدنيا تقلب بأهلها، وفيها عبر لمن اعتبر فيها.

وفي سابع وعشرين شهر ربيع الآخر كان خروج المهدي من الشَرَفَة، بعد أن لبث فيها قدر نصف شهر، وجاءت طريقه إلى بلاد سنحان من خلف جبل نقم، ثم خرج إلى سوق الجمعة ثم إلى ثوبان[(١)]، ووصل إليه صنوه حسين من رداع والتقوا في ذلك المكان. وقبض المهدي جماعة من أهل المشرق من المتشاجرين، وضرب في أعناقهم الزناجير، وحصل في مروره هذا على بلاد بني بهلول[(٢)] ومسور معرة مع ضعف بلادهم هذه المدة، وطاف المهدي وادي نيعة، ولم يستقر فيها لأنها وبيَّة[٥/ ب]، وفيها حيات كثيرة، وكان وصول صنوه إلى ثوبان يوم الخميس ثالث وعشرين شهر جمادى الأولى، ولم يتلفق بينهم كلام في شأن إرادة المهدي بدخوله معه إلى صنعاء، واعتذر عن ذلك المجرى، ثم سار حسين إلى ذمار واعداً له باللحوق. وأحمد بن الحسن سار إلى زيلة يكْلاَ[(٣)] وانتظره فيها، ثم وصل إليه صنوه حسين إليها، وأصدق الإعتذار وأن دخول صنعاء يشق عليه النفقات واللوازم فيها فعذره يومئذٍ ومنها تفرقا، فرجع حسين إلى بلاد رداع، وأحمد بن الحسن دخل صنعاء ثم خرج الغراس مستقره.

وفي هذه الأيام ظهر في أيدي الناس.........[(٤)]

وفي هذه الأيام وافقني رجل من جند السلطان الذين طلعوا من اللحية، فذكر انه أسلم بالمصوع، ثم دخل مكة وحج وزار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرأ القرآن، ثم

---

(١) ثَوْبَان: قرية ومركز إداري من مديرية الحدا، وأعمال محافظة ذمار، (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٢٦٧).

(٢) بنو بُهْلُول: مديرية من مديريات محافظة صنعاء تقع في الجهة الجنوبية بمسافة نحو ٢٢كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٢٠٠).

(٣) زيلة يكْلاَ: كذا في الأصل، وهي زيلة يَكْلي: مدينة في الحدا، يسمى موضعها اليوم (النخلة الحمراء) وواديها يسمى (الزيلة). (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٩٢٢).

(٤) كذا في الأصل، لم يكمل المؤرخ الفقرة.

دخل الروم، ثم خرج مع الباشا علي، فلما عزم الباشا بعد أن استقر باللحية قدر ستة عشر شهراً، سنة وأربعة أشهر طلع صنعاء.

قال: وكان خيَّالاً معه حصان مات عليه في الطريق عند طلوعه حولي[1] بلاد المحويت، ومعه زوجته وأولاده، وكان تأهل[2] بالحبشة، وإنما رحل الروم برأسه.

قال: وبقى عند حسين بن المتوكل[٦/ أ] من أصحاب الباشا الأتراك قدر سبعين نفراً من غير الذين رجعوا مع الباشا علي، ووصف قوة السلطان محمد بن إبراهيم بن عثمان هذا الأوان، وكثرة استفتاحه في بلاد الفرنج النصارى، واستيلائه على بلاد مالطة وبلاد الجريد[3] وغيرها.

قال: وهو يقرب لصاحب الحبشة الذي كان وصل إليه القاضي حسن الحيمي[4] أيام المتوكل، الذي أرسله في الأيام السابقة، وأنه حال وصوله وهو هنالك قبل أن يسلم، وخرج من بلاده محبة في الإسلام. وأن ملك الحبشة العليا في جبالها من النصارى كان محباً للإسلام، لكنه لم يقدر على إظهاره خوفاً من النصارى أهل بلاده، وأنه كان في الباطن مسلماً، ومات على الإسلام، هذا خبره الذي أخبر به.

وفي هذه الأيام ظهر في أيدي الناس ذهب أحمر، ضربة الدينار، ووزنه وزنه ، ولكن رسمه مخالف، فيه: بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله، توكلت على الله، وداخلها الله حق ناصر الحق المبين، وفي الجانب الثاني :أحد وتسعين وألف، ضرب بحضرة أو ....[5] حاطها الله، هذا لفظه، ولم يصرح باسم الضارب على هذا، ولم يعرف

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) تأهل: تزوج.

(٣) المقصود بها كريت: جزيرة في البحر الأبيض المتوسط.

(٤) أورد المؤرخ رحلة القاضي حسن الحيمي إلى الحبشة كاملة في الجزء الأول من الكتاب من ق ٨٩أ-١١٤ب وذلك نقلاً من كتاب الحيمي صاحب الرحلة والتي أسماها: (حديقة النظر وبهجة الفكر في عجائب السفر).

(٥) غير واضحة في الأصل.

من ضاربه أصلاً، ولكن خروجه مع موسم الهند وظهوره من المخا، وقيل :إنه فهم ضربة فاس وهو في المغرب الجوان صاحبه الشريف الإدريسي، وعنده معدن الذهب الشريفي الذي يضرب منه في مصر، وهو هناك أمير مستقل شريف مالك، يهادي السلطان، والسلطان له أكثر المغرب الجوان كتونس وجزيرة الأندلس.

[٦/ ب] وفي شهر ربيع الآخر هذا لما دخل أول المراكب الهندية إلى بندر المخا دافع الفرنج بآخرهم في أطراف باب المندب قدر مركبين من مني بار[١] ثم عادوا، وكان مرادهم بمراكب أهل عمان، إلا أنهم فاتوا عليهم.

ووصل رجل خواجا من الرافضة الإثني عشرية إلى حضرة المهدي، أعطاه من الهدايا وجازاه فيها، وعاد إلى بلاده.

وفي يوم السبت خامس وعشرين شهر جمادى الأولى مات القاضي العارف أحمد بن يحيى السحولي بصنعاء، وكان له معرفة بالفقه ومشاركة يسيرة بالنحو، وكان خطيباً بجامع الروضة، ويتولى بعض الأشياء في القضاء بعد أن كان أمره المتوكل بعد وفاة صنوه حسين قاضي صنعاء، فاعتذر عنه، وكان يتولى الأمور الخفيفة لا غيرها، وكان نشوءه وقراءته في زمان محمد باشا، وهو يعرف جعفر فمن بعده. وقبر جنب إخوته إبراهيم وحسين بالمحاريق، خارج باب اليمن.

وفي شهر جمادى الثاني غزت دهمة إلى الجوف، ولم يتم لهم النهب[٧/ أ] بل دفعهم الجوف، ثم أرسل المهدي الجوف لدفعهم، فجاؤا وقد هربوا. وكتب المهدي إلى محمد بن المتوكل كيف هذا جرى من برط؟ بعدما قرره عليهم من المواثيق والعهود عند دخوله إليهم، فأجاب محمد :أن الذي جرى إنما هو في التعرض لطريق العمشية من صعدة

(١) كذا في الأصل.

وصنعاء، وأما غير ذلك فلم يذكره. واتفق أنه كان عند المهدي هذه الأيام جماعة من برط، فقبض من كل حبل واحداً وحبسهم حتى يعود ما أخذوه من الجوف؛ لأنهم عادوا إلى مكان آخر انتهبوه، فأعادوا بعضه، وبقوا في الحبس مدة.

وفي هذه الأيام ترسل قاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال إلى المهدي في شأن اليهود فيما جرى لبعضهم من الإنتهاب، وأنه لا ينبغي، فأجاب عليه المهدي: إنما ذكرتم لعله لتأخر المصروف، فصدرت حصة ثلاثة أشهر. والقاضي المذكور كثير التلون والآراء البعيدة والمناقضة، فإنه هو الذي حرض وشدد وترسل بإخراج اليهود من جزيرة العرب رسالة ثم ناقضها، كما ترى. كما قال شاعرهم[1]:

يـومٌ بحُـزْوى[2] ويـوم بـالعقيق[3] ويـــ

ــــوم بالعُـــذَيب[4] ويــوم بالخُلَيْـصَاء[5]

واليهود قد............[6]

[٧/ ب]وفي شعبان عادت النار بجبل سُقار، التي كانت فيه العام، بقت مدة ثم زالت، والحكمة لله تعالى.

---

(١) هو عبد الله بن أحمد بن الحارث، شاعر بني عباد من أبيات أوردها ياقوت الحموي في معجم البلدان، ج٢، ص ٣٨٦).

(٢) حُزْوى: موضع بنجد في ديار بني تميم، وأيضاً جبل من جبال الدهناء، وقيل: حزوى باليمامة. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٥٥).

(٣) العقيق: ذكر ياقوت الحموي أن في بلاد العرب أربعة أعقة، وهي أودية عادية، شقتها السيول، والأعقة: الأودية، منها: عقيق عارضة اليمامة مما يلي العرمة، وعقيق بناحية المدينة، وعقيق ببطن وادي ذي الحليفة، وعقيق في بلاد بني عُقيل. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ١٣٨-١٣٩).

(٤) العُذَيب: تصغير العذب، وهو الماء الطيب، وهو ماء بين القادسية والمغيثة، وقيل هو وادٍ لبني تميم، وقيل هو حد السواد. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص ٩٢).

(٥) الخُلَيْصَاء: تصغير الخَلْصاء: موضع، ولم يذكر ياقوت الحموي أين يقع. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٨٦).

(٦) كذا في الأصل ولم يكمل المؤلف الخبر.

وفي هذه الأيام بشهر شعبان أرسل المهدي أحمد بن الحسن رسالة فيها عقيدته، وقال الخطيب يخطب بها يوم الجمعة، وخطب بمثلها بالغراس حضرته، فخطب بها الفقيه محمد السحولي عقب الصلاة يذكر فيها عقيدة الهادي، فعجب فقهاء الهدوية منها، وقالوا :هذا من تعريف المعروف، لا حاجة إليه، فإن الفقهاء الهدوية يعرفونها، وظن بعضهم أنه ربما رفع لمن ....[1] بعقيدة الرافضة، كما سبق من قصيدة الفقيه علي بن أبي الرجال، ولكنه صار يعظم يوم الغدير، ولم يعرف في عقيدة الهدوية، والله أعلم بحاله، لكنه قيل: أن أول من أبدعه المتوكل وهو بحبور، أعني يوم الغدير.

وفي هذا الشهر أظهر المهدي التجهيز إلى بلاد صبيا، معونة لصاحبه في غزو بلاد بني حبيب؛ لأجل ما قد كان وقع منهم أول السنة، كما تقدم ذكره، وطلب محمد بن المتوكل لأجل ذلك وأمره به، فلم يطابق رأي محمد بن المتوكل ما ذكره له، ولكنه لما لم يحسن في مخالفة أمره، قال: هذا شهر رمضان داخل لا يصلح فيه حركة، ويكون هذا من بعد إن شاء الله فساعده. ولما عاد محمد إلى الجراف ودخل من حضرة المهدي من الغراس طالبه العسكر في الجامكية والحساب، فاستحمق عليهم وأخذ الجريدة لضربهم لما في نفسه، وعند هذا فتح[٨/ أ] المهدي العدد لعسكره ووعدهم بالحركة لعقب العيد من غير مخالفة. ووصل إلى حضرته أحمد بن المؤيد من بلاد وادعة بمن معه من بلاد الظاهر، لما حصل بينه وبين صنوه القاسم صاحب شهارة التشاجر والتنافر، ويطلب من المهدي أن تكون جميع وادعة إليه مع غيرها، فوعده بذلك وطابق غرضه، لمنافرته لصنوه القاسم؛ لأجل ما يحصل من ركة شوكته.

ولما كان غرة شهر القعدة الحرام جهز ولده حسين بن المهدي وصنوه إبراهيم إلى تهامة، فساروا، وجمع معهم من العسكر نحو ألفين، وأمر بني عمه وولده صاحب

---

(١) غير واضحة في الأصل.

المنصورة كل واحد منهم بعيِّنه، فبعث كل واحد منهم مائتين وساروا غرة الشهر المذكور. واقترن حال خروجهم ظهور نجم الذنب من المشرق وقت السحر، فبقى نحو سبعة أيام، ثم طلع إلى قرينه نجم آخر، كان بينهما نحو المنزلة، فلما قاربه لم يبق إلا نحو ذراع، بينه وبينه أسفل النور وهو الذنب الذي بالأعلى إلى الأسفل وتباعد عنه به وسلب ذلك الذنب من الأعلى ثم غرب، فبقى في الغروب بقية الشهر، ثم ظهر من المغرب غرة شهر الحجة بذنب[٨/ ب] عظيم وشعاع كبير جسيم معتدل نحو الشام، وكان أصل ابتدائه بالمشرق ببرج العقرب، ثم قطع القوس في الغيبة، وظهر من المغرب في آخر برج الجدي، ثم ارتفع وظهر من أسفله النجم ودخل برج الدلو ثم الحوت واضمحل في آخر الحوت في أول محرم من السنة الآتية، فالحكمة لله والقدرة له، وهال الناس ما رأوه من ذلك.

ولما سار أولاد المهدي بمن معهم طريق بلاد الظاهر وبلاد عذر والهجر، ثم خرجوا إلى عقبة القيرة ووادي جيزان ثم تهامة طريق الحاج، إلى أن بلغوا إلى أبي عريش وصبيا واستقروا بها، وكانوا مجتمعين هم والحجاج، فترجح لحسين النفوذ للحج وبقى هنالك بالعسكر صنوه إبراهيم. وأمر المهدي بالسياق من جوار جبال حراز ومساقط لاعة وحجة والشرف ومن غرابيها إلى هنالك، لضعف تهامة الشامية هذه السنة، وقبائل بني حبيب ترفعوا إلى جبال الحشر وشعابها.

واشتد الجوع يومئذٍ ببلاد برط من دهمة، ونجعوا وتفرقوا بعضهم إلى بلاد صعدة وبعضهم إلى بلاد صنعاء، وخلت في بلادهم قرى، تعجيل عقوبة لهم بإضرارهم بطرق المسلمين.

[٩/ أ]وفي هذه الأيام بشهر الحجة الحرام حصل بقدرة الله تعالى زلزلة في بلاد ثلا وبلاد عفار واتصلت إلى بلاد همدان، فالقدرة لله تعالى فيها، وكانت بالثلث الآخر من الليل، وآخره شيء يسير بنواحي الرحبة والغراس منها.

وفي آخر شهر الحجة مات الشيخ راجح متـولي بـلاد همـدان، ولاّه المهـدي بعـد وفـاة الحرة، وكان قبل ذلك متولياً في زمان المتوكل لبلاد تعز وجبل صبر ، وكان المذكور جائراً، طالما شكاه أهل جبل صبر إلى المتوكل، فلم يشكهم ولم ينصفهم بعزله ولا حط عـنهم مـا زاده من المطالب، وقرره، وضعفوا وركوا كثيراً للجور فيهم وشاجرهم، وأخذ كثيراً مـن أموالهم بأبخس الأثمان، ثم قضى الله وفاته بصنعاء بعد طلوعه من عدن، مما عليه للمهدي من مال البندر، وأصله من بني الكينعي، جنوبي جبل ضوران وغربي ذمار.

وفي هذه الأيام اتفق أن رجلاً من أهل الشرف لما رأى القاسم صـاحب شـهارة يكثـر الآداب بالدراهم على كل من شكاه من الآداب بحـق أو باطـل، ويـصادق قـول الناقـل، فكتب إليه شكوى من مسعود أنه قال: يأكل عليه من عنبه ويغـيره، فأرسـل بـأدب عليـه قدر عشرة حروف، فوصل إلى البلد فلم يجد واحداً اسمه مسعوداً غير كلـب، قـال ذلـك الناقل إنما هو أراده، وقال لقاسم: أنا أردت بهذا...... [1] تكفوا عن تصديق الناقلين.

ودخلت سنة اثنتين وتسعين وألف[2]

في أول محرمها جاءت أخبار الحجاج بأن الحج كان مباركاً على العـادة، وأن الـسلطان أرسل بدراهم واسعة في تنفيذ العين الزرقاء المباركة عين مكة إلى وادي فاطمة، ثم تجـر إلى بندر جدة.

وفي محرمها وصل الخبر مع الحجاج بنو عضبَّة أن حال مرورهم الـسراة وبنـو حبيـب الذين بجوار جبال [٩/ ب] بلاد صبيا ومساقط جبال الحشر لقوهم هاربين طالعين جبل الـسراة، وذكـروا أن أصـحاب المهـدي قـصدوهم إلى بلادهـم، فاستأصـلوا ....[3]

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) ١ محرم ١٠٩٢هـ= ٢٠ يناير ١٦٨١م.

(٣) مشطوب عليها، وغير واضحة في الأصل.

وهربوا عنها. وكان ولد المهدي هو رئيس القوم قد استقر أولاً بدرب ملوح ما بين صبيا وبينهم، ثم تقدم عليهم، فهربوا عن بلادهم إلى جبال السراة.

وفي هذه الأيام قرر المهدي الجزية على اليهود، الذين كان حرج عليهم وشردهم وأراد إخراجهم، فلما لم يستقر لهم القرار في البلاد الموزعية وعادوا متفرقين في البر لطلب المعيشة أهملهم هذه المدة، وراحت عنهم الجزية حول سنة، بسبب تنقلهم من جهة إلى جهة وعدم طلبه للجزية، ثم قررها عليهم هذه المدة، فاستأنفوا العمارة لهم والشراء والكراء للمساكن في القرى، كل رجع إلى محله أو ما يقرب منه، ويهود صنعاء قال: يعمروا لهم جنوبي بير العزب خارج صنعاء، فعمروا لهم بيوتاً هنالك.

ومما اتفق أن رجلاً يقول أنه شريف، أصل جده من المغرب الجوان، وأن والده سكن الحجاز، وأنه انتقل إلى اليمن، وأنه سكن في بُرع ثم صنعاء ثم كوكبان،[١٠/ أ] ويسأل من التأريخ وقال: أن جده ذكر الشرجي في الطبقات[1] بعد أن ذكر أنه مات بالمغرب وقال: اسمه إبراهيمذ، ولا أصل له، لأن الشرجي إنما يذكر في طبقاته من كان باليمن الأسفل لا غيرهم. وقال المذكور: أنه يعرف تأريخ الشيخ حسين الأهدل[2]، فقلت له: نعم التأريخ له مشهور، وله غيره من المصنفات مثل شرح (دعاء أبي حربة)[3]، فقال لي

---

(١) الشرجي: هو الشهاب الزبيدي أحمد بن أحمد يعرف بالشرجي، نسبة إلى موضع بالقرب من مكة، وبالزبيدي نسبة إلى زبيد مسقط رأسه، وولد بها سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م وكان محدث اليمن في عصره، توفي عام ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م.
أما كتابه الطبقات فاسمه: (طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص) وهو كتاب جامع في تراجم أهل الصلاح في اليمن. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٣، ص٢٨).

(٢) هو الحسين بن عبد الرحمن بن محمد بن علي الأهدل، الحافظ المحدث، كان من مشاهير علماء عصره، رحل إليه طلاب العلم بعد أن طار صيته، كان عليه مدار التدريس والفتوى في أبيات حسين حتى توفي بها سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م، له العديد من المؤلفات.
أما تاريخه المشهور الذي يذكره يحيى بن الحسين هنا فهو: (تحفة الزمن في أعيان سادات أهل اليمن) اختصره من السلوك للجندي مع زيادات وإضافات تراجم للمتأخرين حتى عصر المؤلف. (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج١، ص٤٦- ٤٧).

(٣) شرح دعاء أبي حربة: أبو حربة هو محمد بن أبي بكر بن أبي حربة، من كبار صوفية اليمن، له جمع كبير من التلامذة توفي سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٣م، وأما الكتاب المشهور بدعاء شرح أبي حربة فهو (دعاء ختم القرآن) وله شروح كثيرة، منها

المذكور: ليس شرح دعاء أبي حربة له بل لغيره، فعرفت جهله. ثم قال: والشيخ حسين الأهدل سيد، قلنا: نعم، يذكر مثل ذلك، وقد أشار في ترجمة جده أنهم سادة، ثم قال: والشيخ أحمد الرفاعي[1] العراقي المشهور سيد وهو -بضم الراء- وكل من كان بضم الراء فهو سيد، ومن كان بالكسر فهو غير سيد، فقلت له: المذكور قد ترجم له ابن خلكان في تأريخه، فضبطه فقال:لم يضبطه ابن خلكان، فعرفت جهل المذكور، وأنه يجادل بالباطل، فإن ابن خلكان ضبط الشيخ أحمد الرفاعي بالكسر للراء، ولم يذكر أنه سيد.

ورأيت رجلاً وخبره مُطلِّب[2] في أبواب كثير من الناس بالتسبيح، وعلى جنبه إزار وسبحة طويلة، وتارة يقول :أنهم فقهاء، وتارة يقول: أنهم أشراف، وتارة يطلب عند سفر الحاج فيقول حجاج ، وكل هذا كذب منه وتارة يقول: هو من بلاد القبلة[3] وتارة[١٠/ ب] من بلاد آنس، وطلَّب مرة فقلت له: ما بالكم تقولون مرة أنتم أشراف ومرة فقهاء ومرة حجاج ومرة من بلاد كذا ومرة من بلاد كذا، الكذب لا ينبغي لكم، فاستحى وتوارى، وأجاب صاحبه بأن لعله غيرنا.

وجاء الخبر مع الحجاج الواصلين الآخرين بآخر شهر محرم يذكرون أنه كان آخر الحجة والحجاج في هذه الرحلة، فانصب مطر غزير في جبال مكة، فلما رآه الناس شدوا جمالهم يريدون الهرب من السيول، لما رأوا الجبال تنصب إلى أعالي مكة، فانحدرت

شرح حسين الأهدل المذكور: (كشف الغربة في شرح دعاء أبي حربة). أو (مطالب أهل الغربة في شرح دعاء أبي حربة) (إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج١، ص٤٦-٤٧؛ عبد الله الحبشي: مصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن، ص١٨).

(١) الشيخ أحمد الرفاعي: هو أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني، أبو العباس الإمام الزاهد، مؤسس الطريقة الرفاعية، ولد في قرية حسن بالعراق، وتصوف فانضم إليه كثير من الفقراء، كان لهم به اعتقاد كبير. وقد صنف كثيرون كتباً خاصة به وبطريقته وأتباعه، وجُمع بعض كلامه في رسالة سميت (رحيق الكوثر) توفي سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م. (محمد الذهبي: سيرة أعلام النبلاء، ج١٣، ص٥٦؛ الزركلي: الأعلام، مج١، ص١٧٤).

(٢) المُطَلِّب: المتسوِّل.

(٣) بلاد القبلة: المناطق الشمالية، سبق ذكرها.

السيول من كل جانب، ولم تمهلهم، فحمل السيل كثيراً من الناس والجمال والأحمال، ودخل السيل المسجد الحرام، حمل من كان فيه وبلغ إلى باب الكعبة وتراجع السيل فيه وكبس إليه كبساً كثيراً وخرب من جوانب الحوانيت بعضاً ومن البيوت كثيراً في المسجد الحرام كبساً كثيراً، وعم المطر جبال مكة وكثيراً من الحجاز، وبلغ إلى القنفذة، وكان ذلك آخر شهر كانون وهو مطر الوقوف[1] والربيع. وضرب مما يلي الغادي وخصوصاً الشبيكة وخرج السيل من العمرة، وكان خروج الحجاج على حالة شاقة، فأهل اليمن خرجوا إلى الناحية الجنوبية وشاهدوا السيل وهم في وجل عظيم بعد من راح منهم وعليهم، وباتوا خارج مكة، والشامي يقال: أنه كان قد خرج إلى جوار وادي فاطمة ، وأما المصري فدارت عليهم الدائرة وتعثكلوا[2] بمكة، وحمل منهم وعليهم.

[١١/ أ] وفي عاشر شهر صفر وصل الخبر من عند إبراهيم بن المهدي من كلامه يذكر أن آل حبيب الذين يقربون جهات صبيا في حواز الجبال من شرقيها قد واجهوا وأصمتوا، وارتفع إبراهيم عنهم[3] بجامع صنعاء، وحث الناس على إجابته وصحة إمامته، ورضاه به، ثم بعد ذلك نقض ما كان أبرمه، وأعلن فيه إلى إبطاله وندمه على ما سبق له من بيعته، وأظهر لكثير من خاصته كراهة ما تحمله، وأنه ليس بأهل لذلك، ولا يصلح لمنصب الإمامة، وتحمل الزعامة، في أقوال كثيرة، نعلم منها عدم كمال تحرير البصيرة، والتخليط والمجازفة، واتباع هوى النفوس، ولهوى النفوس سريرة لا تُعلم.

ومن مجازفاته اختباط أقواله في النقول عن أهل السنة، فإني...[4] رأيت له شرحاً على

---

(١) مطر الوقوف: من أمطار الشتاء، وهي نادرة الحدوث، وأمطار الوقوف أي الإنقلاب الشتوي الموافق ٢١ديسمبر. (يحيى بن يحيى العنسي: المعالم الزراعية في اليمن، ص٤٦٨).

(٢) تعثكلوا: العثكلة: الثقيل من العَدْو. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٦٨٥).

(٣) بعد هذه الفقرة لم يتضح شيئاً ويبدو الكلام ناقصاً، ويتضح بأن المؤرخ هنا يتكلم عن أحمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال.

(٤) كلمة غير غير واضحة في الأصل.

عقيدة المتوكل إسماعيل[1] يذكر فيه أقوال علماء السنة والمعتزلة، واختلافها بنصوصها وألفاظها، ويحتج بها على أنها متفقة في المعنى مختلفة لفظاً، كما هو القول المعتدل، ثم نقض ذلك، وندم على ما هنالك، ورد ذلك الكلام إلى الإبطال، والترك لتلك الأقوال.

وكان قد ولاَّه المتوكل في أول دعوته لبلاد الروس[2]، ثم عزله آخر مدته. وكان قد بنى له محلاً ما بين عافش[3] وبين سامك[4]، وسكنه آخر دولة المتوكل، وفي مدة أحمد بن الحسن، وله اختلاف إلى الروضة وصنعاء. وكثر في النساء، فتزوج أربعاً بالروضة وصنعاء وعافش، وشق به النفقات، واستثقل سؤاله الأمراء، ولم يمدوه إلا بدون[١١/ ب] ما يطلب ويهوى، فلأجل ذلك أقال نفسه من البيعة، وغضب في نفسه من تلك الحضرة. وظهر من ذلك أن الأعمال ليس فيها تحرير النية، وأنها دنياوية، وحراسة العمل أشد من العمل، والقلم حجة على من يحمله إن........[5] مع الهوى، بل يصونه ويتبع الهوى، والله الموفق.

ومن جملة اضطراب حاله وأقواله أنه بعض سنين حجة اتفق بالشيخ العارف البابلي أيام سكونه بمكة، فطلبه إجازة في الحديث، ففعل البابلي حال عزمه ورجوعه إلى بلاده جهات مصر، وأثنى عليه وعلى الحديث والسنة، كما سمعته منه غير مرة. ويكفيك بتحقق اضطراب حاله، ومناقضة أقواله ما علم عنه من التشديد حال قيام المهدي أحمد بن حسن، وتحريضه على نصرته، وتولي الرسائل بخطه إلى الجهات والغلو فيه بكمال الشروط والصفات. وأن أحمد بن حسن الإمام الرضى المرتضى. وصنف أيضاً عند ذلك كتاباً في

---

(١) شرح عقيدة المتوكل هي: (الدر النظيم بشرح العقيدة الصحيحة) للعالم والمؤرخ أحمد بن صالح بن أبي الرجال، السابق ذكره.

(٢) بلاد الرُّوْس: مديرية من أعمال محافظة صنعاء، في جنوبها بمسافة ٣٠كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٧٠٩).

(٣) سبقت ترجمتها.

(٤) سَامِكْ: بلدة وواد جنوب صنعاء بمسافة ٢٠كم، ووادي سامك يفصل بين سنحان وبلاد الروس. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٧٦٣).

(٥) كلمة غير واضحة في الأصل.

صحة إمامة المقلد، واحتج على من سأله وعلى غيره، وجدواجتهد في إعلان أمره، ثـم مـا كان بآخره من انحطاط ما عقده بأمسه، والرجوع إلى نقضه، فعرف من ذلك إنـما هـو الاتباع للهوى، وأن جميع ما يرسل به وصنفه مـن كتـب إلا هـوى، والله عنـد لـسان كـل قائل. وله أنه اعتدل عن ذلك الطور مثل غيره وجامل[١٢/ أ] وترك ذلك الأمر وأعرض عنه، واتبع قول رسول الله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (١) وتكلم بها........ (٢) وماله لكان له فيه مندوحة، لكنه غلا غلو الروافض والخوارج، وتعدى الطور إلى التطور في الجانبين، والله أعلم بالسراير، وإنما قيام أحمد بن الحسن على التحقيق من باب الإمارة والملك.......... (٣) في سائر الجهات، وخرجوا من الغلبة على رأي أهل السنة رضي الله عنهم في اتباع المصلحة وسكون الدهماء. وأما كمال الشروط فمن ورائها........... (٤) ومع اتفاق الزمان بمعارضيه إن اتفق لهم بعض الشروط واختل الآخر، فلأجل ذلك كان ذلك هو الذي سكن الدهماء. ويولي الله ملكه من يشاء، والله الموفق.

وكان تحويل السنة ثالث ربيع الأول هذا بدخول الشمس أول درجة .... (٥) والزهرة في الشمس، والقمر في الحمل، وكذا عطارد وزحل في السرطان، والمشتري في الجوزاء، والمريخ بالسنبلة وجاء في ذلك والبلاد اليمانية صاحية من المطر أجمعه من اليمن الأعلى والأسفل والمغرب وتهامة. والسعر ارتفع والوقت وقت الصيف، آخر شهر آذار، فلله الحكمة. بلغ القدح يومئذ البر ثلاثة أحرف[١٢/ ب] والذرة بحرفين، وفي المغارب بأكثر، والشعير بسبعين كبيراً. والغنم غالية، الرأس أصبح يبتاع بثمن الأضحية، والسمن

(١) سبق تخريج هذا الحديث.
(٢) كلمة غير واضحة في الأصل.
(٣) كلمة غير واضحة في الأصل بسبب الشطب.
(٤) كلام غير واضح بسبب الشطب.
(٥) كلمة غير واضحة.

الرطل بستين بقشة، فلله في ذلك حكمة.

وفي شهر ربيع الأول وصل إلى حضرة المهدي بالغراس حسين بن عبد القادر[1] صاحب كوكبان شاكياً من أبيه وأخيه على سبب الوزارة لأبيه عبد القادر بعد موت أخيه علي بن عبد القادر في الشهر الماضي، وكان صنوه هو أخوه من أبيه وأمه، فلما عين الأمير عبد القادر أخاه حسناً، وكان لأنه أكبر من حسين في السن تغير خاطر حسين، لكونه أقرب إلى أخيه علي؛ لأجل أنه من الأم والأب، فاشتجروا. فلما وصل إلى حضرة أحمد بن الحسن غاضباً زجره المهدي، وقال :الأمر على ما فعله والدك، وعليه فالأمر والولاية له، والحق للأكبر في السن، فلا يصلح منك مخالفته، وزجله في بعض أصحابه من خاصة خدمه، واستبقى عنده من وصل معه وقال :سر إلى والدك فرداً، وكان قد كتب والده بسبب عزمه إلى المهدي، فحصل الرضى بذلك والسكون.

[١٣/ أ] وفي غرة شهر ربيع الأول وصل إبراهيم بن المهدي ومن معه من تهامة وكان متأثراً بمرض، ووصل معه جماعة من مشائخ بني حبيب وواجهوا، وقرروا بينهم وبين أهل صبيا بعدم الفساد والتقدير والسلوك على الطريق المرضي.

وفي هذه الأيام خرج السيد محمد الغرباني من برط لأجل ما ناله من الجوع فيه والقحط إلى البلاد الشامية، فبلغ إلى قراض، ونجع كثير من برط وخلت فيه قرى واشتتوا في الآفاق بعضهم في بلاد صعدة وبعضهم في بلاد صنعاء وضوران وبعضهم بقي في بلاده. ومع هذا صار السيد الغرباني يدعو الناس في تلك البلاد إلى جانبه والخروج معه،

(١) الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين الكوكباني، من أشهر شعراء عصره، أمير كوكبان، عالم مجتهد، قام مقام والده أمير كوكبان بعد وفاته سنة ١٠٩٧ هـ/ ١٦٨٥ م، ثم دعا إلى نفسه بعد وفاة الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله إسماعيل، ثم تغلب عليه (صاحب المواهب) محمد بن أحمد بن الحسن، فهرب إلى مكة ثم عاد إلى اليمن وتوفي سنة ١١١٢هـ/ ١٧٠٠م، تابع المؤرخ يحيى بن الحسين دوره السياسي في هذا الكتاب. (الشوكاني: البدر الطالع، ج١، ص ٢٢١-٢٢٢؛ عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٣٧٤-٣٧٥).

فلم يرفع أحد منهم لكلامه رأساً، وأعرضوا عنه.

وفي عاشر هذا الشهر انتهبت سفيان قافلة بالعمشية قرب عيان وهي سائرة إلى جهات صعدة، فيها دراهم وبز وبضاعة خارجة من صنعاء أكثرها لـشُماة[1] من الذين يبيعون الخيل ولغيرهم من التجار، فقاتلهم أهل القافلة ودافعوهم بمجهودهم حتى قتلوا منهم رجلاً وهزموهم، فانعطفوا عليهم وجمعوا معهم غيرهم[١٣/ ب] وأخرجوا عليهم البنادق ورموهم، فقتلوا منهم سبعة أو ثمانية، وصالوا على الحمولة انتهبوها أجمع دراهمها وبزها ومصاويب في آخرين، وفعلوا فعلة عظيمة، فلا قوة إلا بالله. فلما بلغ أحمد بن الحسن وهو بالغراس أرسل في الحال ولده إسحاق بمن حضر في المقام، وأمر محمد بن المتوكل بالتجهيز، فأرسل ولده القاسم بجماعة عسكر. وقد كان وصل إلى عيان أحمد بن المؤيد من وادعة واستقر بعيان، ثم خرج صاحب خمر في الأثر وهو حسين بن محمد بن أحمد بمن معه واجتمع الجميع بعيان، وكثر العسكر فيه حتى بلغوا إلى نحو ألفين، وتقدم حسين بن محمد بن أحمد وإسحاق وقاسم إلى البلاد، فخربوا فيها قرية الحرمة وقرية الحيفة[2]، وانتهبوها أجمع. وهربت سفيان إلى وادي مذاب[3]، وبعضهم في أطراف بلادهم، فلما بلغ أحمد بن الحسن أن هؤلاء الذين هربوا جاؤوا مذاب -ووادي مذاب قريب بلاد ظفار-[4] خرج من الغراس بنفسه يوم الخميس تاسع ربيع الثاني ملتقياً لهم خشية من بني أسد لا يأووهم لأنهم من سفيان، ولما بلغوا إلى الملتقى -بين مذاب ووادي هران[5]- حطوا فيه واجتمع معهم بنو نوف من دهمة وسكنوه. وأحمد بن الحسن لما وصل صلبة ظفار -ما بين ظفار وهران- بادر بالقصد لهم بعد أن جاؤوه الدليل عليهم

---

(١) الشُماة: هنا تعني المناطق الشمالية (الشامية) صعدة وما يليها.

(٢) الحَيْفَة: قرية في أرحب شمال ميدينة صنعاء، بمسافة ٤٢كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٥٤٩).

(٣) وادي مذاب: من أودية الجوف. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٤، ص ٦٩٩).

(٤) ظفار: المقصود به (ظفار داود) سبق ذكره.

(٥) هران: بلد ووادٍ من بلاد بكيل في ناحية ذي بين. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٤، ص ٧٥١).

والجاسوس، فغزاهم إلى محلهم ، وقد كان ابن وارع شيخ بني أسد أراد إيـواءهم فحبسه المهدي وتهدده، ثم استحر القتـال[١٤/ أ] في هـذه الغـزوة. وكـان مـن جملـة القـتلى ابـن سننان[1] السفياني الحاكم بالطاغوت لسفيان المرجوع إليـه معهـم في الطغيـان. وكـان قـد اجتمع بهم في ذلك المكان من بني نوف جماعة وانحازوا في وادي مذاب، فواقعهم المهدي غازياً من صلبة ظفار إلى ذلك المكان، صابحهم بالـدليل، وقـدم مقدمـة مـن نهـم لأجـل يشاغلوهم عن النفور وليظنوا أن الغازي لهم منهم، فلما شرع ذلـك فـيما بيـنهم واسـتحر القتال معهم انصبت عليهم الخيل تحاوشهم، وباشر القتـال المهـدي بنفـسه، وأراد واحـد منهم أن يزرقه[2] بعوده، فسلمه الله منه.

قيل: التقاه بيده ياقوت إسماعيل وقيـل: أخطـأه، ثـم عطـف عليـه أحمـد بـن الحـسن وياقوت إسماعيل فضربوه بالسيوف، وأذاقوه الحتوف، ثم لم يسعهم إلا الهرب في الجبـال، والتسور للآكام، وتركوا ما معهـم وأولادهـم وحـريمهم، فمنـع المهـدي عـن حـريمهم وأولادهم، وحوزهم إلى شعب هناك وأباح انتهاب ما تركـوه مـن حـوائجهم، فوجـدوا كثيراً من البز الذي انتهبوه على أصله، فضمه معه، وقال لمن حضره من عـرف بالـذي لـه أخذه، ووجد سلب الذي قتلوه أيضاً فيها، فأرجعه إلى أهله. وكان جملة القتلى منهم اثنـي عشر نفراً، قطعت رؤوسهم، وحملت إلى المحطة معهم، وقتل من أصحاب المهدي نفـران وعبـد للـسماوي لمـا تحـير بـشداد حمـاره وانفـرد قلـيلاً في الـوادي عــن أصـحابه، فانصب[١٤/ ب] عليه جماعة قطعوه أوصالاً بالخناجر، ومثلوا به.

وفي شهر ربيع الثاني هذا بآخره ترجح لجماعة من أهل برط مـن ذي محمـد مـنهم ولـد الشيخ قاسم البرطي شيخهم، وهبطـوا إلى الجبـل الأسـود، الحـد مـا بـين سـفيان وبـين

---

(١) كذا في الأصل، لم يتضح الاسم.

(٢) يزرقه بعوده: أي يرميه بسهمه.

العصيمات، وترصدوا هنالك للمارة، فجاء الرسيسة[(١)] إلى عيان يخبرون بأنهم صاروا كامنين لمن مضى في الطريق للإنتهاب، لما أمنوا جانب سفيان، فأرسل الحسين بن محمد جماعة مسافرين، وأرسل خيلاً كميناً في جانب آخر فقال: انظروا ما يفعلوا بالمسافرين، وكونوا في أثرهم سائرين، حتى تباشروهم عند تعديهم. فلما رأى أولئك الحرامية المارة في الطريق وهي آمنة وجدوهم للسلب فدافعوا عن أنفسهم بينما وصلت الخيل إليهم، فقبضوا عليهم وكفتوهم وضربوهم وأسروهم إلى بين يدي حسين بن محمد بن أحمد، ووجدوا ابن الشيخ البرطي معهم. وكان أبوه الشيخ قاسم عند أحمد بن المؤيد يسبهم، فقال :هذا ولدك مع هؤلاء كيف ترضوا بهذا؟ فقال :هو مغير شعوره والجهل معه أوقعه في ذلك، ثم أمر بهم الحسين بن محمد إلى حضرة المهدي جميعاً، فأوثق عليهم وحبسهم وقال لهم[١٥/ أ]:كنا نظن فيكم غير هذا يا برط. واعلم أن هذه القبائل التي حفت بلاد عيان الغالب عليهم الشرارة[(٢)] من قديم الزمان، ولا يزال منهم التعدي في الطرق والسرق من غير خوف ومراقبة لله لغلبة الشيطان، ولكن كانت مدينة عيان ودولها في قديم الزمان معللة بمثل هذا الطغيان؛ لأن الجاهل لا يزال يشاهد الدولة قريبة آمنة فيقل منه العدوان. وأما هذا الزمان فلخراب عيان وعدم قرار دولة فيه ولا إقامة شريعة كثر فيه منهم الطغيان، وهذا العمل في سفيان إذا لم يتعقبه دولة بعيان مستمرة فالفساد عائد إلى أصله، والله يصلح البلاد والعباد.

وقصد حسين بن محمد بن أحمد الباطنة[(٣)] من سفيان، فخرب قراها ونهبها أصحابه، ثم تعقب قصدهم، فوقع القتال بينهم، فقتل منهم ستة وقطع رؤوسهم، وأرسل بها إلى

---

(١) الرسيسة: الرَّيس: الإصلاح بين الناس والإفساد أيضاً، وهو من الأضداد، ولعله يقصد هنا من كانوا ينقلون الأخبار إما للإفساد أو للإصلاح. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص١١٦٣).

(٢) الشرارة: أي الشر.

(٣) البَاطِنة: قرية في مديرية حرف سفيان، شمال مدينة حوث. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ١٢٨).

المهدي، ثم التقاهم صاحب صعدة لما هربوا إليه، فأسر منهم جماعة وانتهب أصحابه ما ظفروه عليهم، وصاروا في أضيق من حلقة الفاس، وصار الخوف معهم بعد أن كان أخافوا غيرهم. وكان قد قبض علي بن أحمد أيضاً جماعة من الشُمَيْلات[1] من سفيان، وهم كما يروى ألفين، ووقع منهم ما وقع أولاً وأرسل بهم إلى المهدي، فضرب رأس واحد بيده.

[١٥/ ب] وفي هذه الأيام بآخر ربيع الثاني آخر الصيف ارتفع السعر، البر بلغ إلى أربعة أحرف بصنعاء، والشعير ثلاثة، والذرة كذلك، ثم حصل مطر عند سقوط الثريا، وكان قد باع كثير من القبائل بقرهم وغنمهم بنصف القيمة حتى منَّ الله بهذا المطر، ونبتت المراعي وتراجعت المواشي، بعد ضعفها من قل المرعى، ونقص السعر، القدح البر إلى مائة بقشة والشعير إلى سبعين وكذلك الذرة، فلله الحمد، وذلك بغرة جمادى الأولى منها.

وفي أوائل هذا الشهر تمنع جماعة من البعاجرة من سفيان، وتعصبوا وأرادوا قطع الطريق، فقصدتهم محطة عيان، واستولوا عليهم، وانتهبوا مواشيهم جميعاً، فهربوا بنفوسهم، ووصلوا إلى المهدي مواجهين.

وروي أن هذا كله الذي زاد في فساده والإغراء في هذه القبائل من سفيان فيما سبق هو السيد الغرباني، فإنه صار يحرض هذه القبائل على قطع الطرق، واستباحة أموال المارة من التجار وغيرهم من أصحاب الدولة، وقال :إنه الإمام الداعي، وأن الولاية له في الزكاة والحقوق، وأن هؤلاء الدولة لا ولاية لهم، وأن الزكاة باقية على الناس، لا يجزيهم ما قبضته الدولة، فزاد هذا في الإغراء لهم لاستباحة أموال المسلمين، فإنا لله وإنا إليه

(١) الشُميلات: فرع من قبيلة صبارة من سفيان بن أرحب. ديارهم في مديرية الحرف شمال حوث. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٨٧٨).

راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فإذا ثبت هذا بل قد روى لي كثير مثله، فكل ما جرى فهو في صحائف السيد المذكور، ومطالب به، ومشارك في العقاب عليه.

[١٦/ أ] وهذه البلاد البرطية والسفيانية لم يكن ينفذ فيها الأحكام الشرعية، بل يحكم فيها بالطاغوت. ولقد ذكرت لبعض فقهاء من بني العنسي الساكنين عندهم كيف يحل لكم المقام وأنتم توجبون الهجرة من دون هذه الآثام وما يفعلونه من الإنتهاب في الطرق في كثير من الأيام؟ فلم يجد جواباً واعترف بأنها بلاد لا خير في أهلها. وقد حصل معهم هذه السنة من القحط والخلف الذي لا مزيد عليه حتى خلت في بلادهم القرى، وتفرقوا في الأرض، وخربت بعض تلك القرى الخالية، لما لم يكن فيها بعدهم من يسكنها، ولم يبق في برط إلا القليل في بعض القرى، والله تعالى قد عجل عقوبتهم في طغيانهم.

وفي أول جمعة في شهر جمادى الأولى غفل خطيب صنعاء الفقيه محمد بن إبراهيم السحولي، فأمر محمد بن المتوكل القاضي جباري يخطب، فخطب الواجب منها بالحمد والصلاة على النبي ﷺ ثم نزل وأقام المقيم، ثم رده محمد بن المتوكل، وقال :بقي عليك الشهادة، فقال القاضي :قد أتى بالواجب ، فقال محمد: لا، فرجع مساعدة له، وإلا فالأمر كما ذكر القاضي، وقد كان قام الناس للصلاة، فقعدوا ثم قاموا مرة أخرى، فاستنكر الناس ذلك، خصوصاً العامة؛ لأنهم لا يعرفون إلا الخطبة المعتادة الطويلة، مع أن قصر الخطبة من مئنة[1] فقه الرجل، كما في الحديث[2].

وفي رابع هذا الشهر سار أحمد بن الحسن إلى الباطنة سفال سفيان، وواجه إليه جميع سفيان، ووصل إليه بنو رهم وتبرؤوا من القافلة التي راحت، وأنه لم يكن فيها من قبلهم؛

(١) مئنة: علامة أو دلالة.

(٢) ورد الحديث في صحيح مسلم (باب تخفيف الصلاة والخطبة).

لأن بلادهم مائلة عن الطريق الشرقية، وعهدتهم في الطريق الغربية ووسط العمشية، فعذرهم أحمد بن الحسن، ولم يخرب شيئاً من بيوتهم، إلا أنه قد جرى انتهاب بعض شيء من مواشيهم[١٦/ ب]. أما صبارة فجرى فيهم النكال وخربت بيوتهم وعقرت أغنامهم وانتهبت مواشيهم، وعم ذلك المجرم منهم وغير المجرم، ووقع فيهم من المعرة مالم يكن لهم في حساب، حتى فقر غنيهم. وكان لو اقتصر على الفاعلين منهم فإنهم كانوا معروفين عندهم لكان هو الواجب عليه، لكنه حصل ما حصل لأمر قد علمه الله تعالى، ثم إنه جمع منهم جماعة من الفاعلين وزنجرهم. وجاءت طريقه الجوف حتى طلع من بلاد نهم، ونزل من الشرفة ودخل الغراس يوم الأحد قبل الشروق ثالث وعشرين شهر جمادى الأولى، وتبعه حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم المتولي على بلاد خمر بجماعة معه كانوا تحت الحفظ، فدخل عقب أحمد بن الحسن، وكان دخوله إلى صنعاء والمزنجرين معه نحو أربعين رجلاً، فأدخلهم القصر، ثم خرج الغراس.

ووصلت القافلة إلى صنعاء عقب هذا من بلاد صعدة، ولم يعترضهم أحد، ولا طلب منهم مجبى، وأمر أحمد بن المؤيد بخفظ عيان، وأنه لا يخليها عن الرتبة كلام من غير أصل؛ لأن أحمد بن المؤيد قال :تحتاج إلى جامكية للساكنين، فقال أحمد بن الحسن :معك بلاد في ذلك، وهو قال ما تكفيه كما قال له من أول. وعيان لو أنها مُدَوَّلة[١] لكانت الطريق صالحة لتوسطها، ولكن عجزوا عن الجامكية وتواكنوا[٢] بها صاحب صعدة والمتوكل وأحمد بن الحسن، فهذا سبب هذه الأمور التي جرت فيها.

وفي هذه الأيام اتفق لناس بصنعاء أن بخشوا[٣] في بيت مقهوي قريب باب شعوب، ما بين مسجد المدرسة والأخضر[٤] عن كنز، قالوا يبديه واحد من جبل بيت خولان،

---

(١) مُدَوَّلة: يعني بذلك وجود ممثلين للدولة فيها لغرض سلطتها عليهم.

(٢) تواكنوا: لم يتضح المعنى.

(٣) بخشوا: حفروا.

(٤) الأخضر: مسجد الأخضر: من المساجد العامرة بمدينة صنعاء، ويعرف الآن بمسجد خضير، يقع في الجهة الشمالية

ومعهم وجد السيد حسن الأحمر، قال إنه يعرف استحضاره وصار يدلهم عليه، فوجدوا حروفاً وقصاصات تحت الدبا[1]، وثبتوا في الحفر فوق ثلاثة أشهر. وشعر بهم والي المدينة، فقال تستمرون، وليس عليكم إلا الخمس إذا وجدوه، وحصل معهم مراجيم من الجان لبعض الحفارة، وقضايا عجيبة، والسيد يصدمهم ويكتب لهم أرصاداً على زعمه، ويعدهم بظهوره، ولم يتم شيء من ذلك.

[١٧/ أ] وفي آخر شهر جمادى الأولى دخل المهدي أحمد بن الحسن صنعاء، وحضر هو ومحمد بن المتوكل، وعاتبه من جهة الضريبة أن فيها الكثير زيوف وتشبيه، وقال ابن المتوكل :لم يعلم بشيء في ضريبته، فحضر جماعة من التجار والقاضي محمد بن علي قيس، وقالوا في الحضرة بل في ضربة القصر ثلاث ضرائب، واحدة لمحمد طيبة، والأخر التي لأحمد النعماني ولعلي اليمني وللفقيه جابر ضعيفة، ضرب الأولة التي لمحمد أربعة حروف، وهذه خرجت من خمسة حروف، القرش بزيادة النحاس. ولما تحقق محمد ذلك الذي كان غائباً عنه أقسم بالله لا زاد ضرب بعدها، وأمر برفعها، وذكر أنه لم يشعر بذلك وكله لعدم التنبه منه عليهم وافتقادهم.

وفي ليلة الأربعاء ثالث وعشرين شهر جمادى الأخرى منها مات الملك المهدي أحمد بن الحسن، بوطنه الغراس، وقبر جنب مسجده هنالك، وكان قد حصل له ما يهواه من الملك، وهذه الدنيا الناهية ابتسم له دهره من عبوسه، وأعطته الدنيا عفوها، وسقته صفوها، وماشته مع جماعة من أتباعه ومتقبلي باعه وأهل نعمته. وطابت له أيامه في مَشِيْده[2]، وأطربه الأنس ببسطه ونشيده، وساعدته أيامه فيها من أول قيام المتوكل إلى هذا التأريخ. واجتمع له ما يريده فيها، فكان متوسعاً مسرفاً على نفسه في الجواري والسراري،

الشرقية من باب شعوب، بناه أبو مطر منيع بن ماجد الهمداني في القرن الثاني للهجرة. (الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: د. حسين العمري، ص٢٦٧، ١٥١؛ الحجري: مساجد صنعاء، ص٩).

(١) كذا في الأصل ولعله: الدبب، ويقصد به ما يشبه الخندق الذي يُحفر له تحت الأرض.

(٢) المَشِيْد: العالي الشامخ.

بحيث بلغن إلى سبعمائة ما بين سرية ووصيفة وخدامة، لا يفارقهن في الحضر والسفر، وكان يلبسهن أغلى الملابس الغالية، ويشتري لهن الأحزمة والبريمات[1] المفضضة المذهبة[2] بأغلى الأثمان.

وكانت سيرته سيرة السلطنة، فأما العلم فلم يكن له فيه معرفة، بحيث أنه قبيل موته لما أقسم محمد بن المتوكل من الضربة أعتق عنه من مماليكه رقبة وأمر محمداً أنه يرجع إلى الضربة وقد كَفَّر يمينه، وبالإجماع أن الكُفَّارة لا يصح التحمل فيها من غير الحالف، ولكن كان أصحابه يماشونه في مطابقة هواه[١٧/ ب]، كما قال الصفي الحِلِّي[3] في ديوانه شعراً:

فصرت إذا خَطيتُ جميل رأيي
أشير بما أرى فيه هواك
ولم أتبع خطاك لضعف رأيي
ولا أني أريد به رداك
ولكني أحاذر منك سخطاً
فأتبع كل ما فيه رضاك[4]

وكان المهدي سلطاناً وملكاً، ولما حصلت المشاجرة له أيام قيامه من قاسم صاحب

(١) البريمات: سبق شرح معناها.

(٢) المفضضة المذهبة: أي المطعمة بالفضة والذهب.

(٣) الصفي الحِلِّي: عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم السنبس الطائي(٦٧٧-٧٥٠هـ/ ١٢٧٨-١٣٤٩م) ولد ونشا في الحلة. (بين الكوفة وبغداد) واشتغل بالتجارة. رحل إلى القاهرة ومدح السلطان الملك الناصر وتوفي ببغداد. له ديوان شعر (مطبوع) ومؤلفات أخرى. (الزركلي: الأعلام، مج٤، ص١٨).

(٤) وردت الأبيات هنا كما في الديوان. (ديوان صفي الدين الحِلِّي، ص٤٣٤).

شهارة وغيره، وسار المعارضون له السيرة المطابقة لسيرة أمثالهم، قال لبعض خواصه :إن معه ولاية من السلطان ابن عثمان في أرض اليمن وعلامته. وأنه كاتبه في تلك المدة الماضية، ولعل ذلك كان أيام حروبه للمؤيد بالله وعدم توليته، ولذلك سماه الأتراك أحمد مراد، لما كاتبه السلطان مراد[1] في أيامه بما أراد، هكذا روى عنه. ولكنه قد روى عنه عقيدة الجارودية، بل عقيدة الإمامية بل عقيدة الرافضة فاشتبهت. وكان يظهر شعار يوم الغدير في جميع مدته، فاشتبه حاله ومذهبه، ولعله كان مع هواه وما يوافق صلاح رئاسته ويستعين به. فذلك الكتاب إلى السلطان وتوليته تكون عند حصول إهماله من الإمام المؤيد بالله، وما جرى له معه مستنصراً به، وإن كان مذهبه في نفسه غير ذلك المذهب كما هو الظاهر. وكان في مدته كثير الحجاب من الناس، لا يبالي بأحد من الكبير والصغير، لا سيما في مدة المتوكل، كان يبقى بين جواره من الصبح إلى العصر في غالب أوقاته، ولا يوافقه أحد إلا آخر النهار إن حصل، وكان لا ينال معه من الفقراء ما كانوا ينالون من المتوكل، وعدوا لجهله أن سيرته كانت عجيبة. نعم وكان لا يُقَرِّب من يصل إليه بسفرة[2]، ولا يصرف له لقمة، بل يصرف الواصل على نفسه من كيسه. وكان يعتمد مراعاة النجوم في أسفاره، ويرجع إلى سؤال المنجمين، كالفقيه أحمد الذيبة الملازم معه.

ودعا بعده[١٨/ أ] المؤيد بالله محمد بن المتوكل، وكان المحرض له والمطالب القاضيان القاضي يحيى جباري الذماري، والقاضي محمد بن محمد العنسي، وكان أول مبايع بعد إشارة القاضيان بالقيام والإنبرام الحسين بن المهدي، ثم من بعده سائر القضاة والسادة أجمع.

وأجاب أحمد بن المؤيد عليه لما وصله كتابه وعلامته أعلاه بوضع علامته أعلاه،

(١) السلطان مراد: هو السلطان العثماني مراد الرابع ابن السلطان أحمد الأول (١٠٣٢-١٠٤٩هـ/ ١٦٢٣-١٦٤٠م).
(٢) هي سفرة الطعام.

وادعى مثل دعواه، وترّبه[1] وإلى رسوله أعطاه، مع أن أحمد بن المؤيد لم يقم في هذه الفورة، واكتفى بمن قام غيره، وله ميل إلى محمد بن المتوكل، إن تم أمره، وتوقف عن الإقدام والعجلة، إلا أنه أراد بذلك الأمر غيره من هضم علي في كتابه. وكذلك وصل كتاب حسين بن حسن إلى أولئك، وقال في دعوته: أنه قد دعا إلى نفسه لما كانت الدرجة واحدة، والإجتهاد قد انختم بالمتوكل إسماعيل بن القاسم في المدة السابقة. وكذلك وصل إلى الولاة والرؤساء من صاحب المنصورة مثل ذلك، واختلفت كتبهم، هذا يكتب إلى هذا يدعوه إليه، والآخر يكتب إليه يدعوه وعلى هذا وصار الناس عاجبين في حالهم وإقداماتهم لهذا الأمر العظيم. والاشتجار فيه وعدم الإتفاق، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم، واستقر حسين بن حسن بيريم، وأرسل علي بن المتوكل عسكراً إلى إِرْياب[2] رأس سمارة وطرف بلاده. وذمار فيه فرحان من قبل صاحب ضوران حسين بن المتوكل، والكتب صارت من هؤلاء تختلف وتفترق، فمنهم المجيب لهذا، ومنهم لهذا، ومنهم[١٨/ ب] المتوقف، ومنهم الراضي، ومنهم الكاره.

[وجاء كتاب علي بن أحمد أنه دعا، وكذلك علي بن المتوكل، وكذلك القاسم صاحب شهارة، وكذلك حسين بن حسن، وكذلك حسن بن المتوكل ، وأحمد بن المؤيد بالله، وكل واحد يحجر الآخر عن التصرف إلا بأمره ونهيه، وكل منهم يركز نفسه، ويذم غيره][3].

فكان جملة الدعاة أولهم محمد بن المتوكل بصنعاء، ثم عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن شرف الدين بكوكبان، ثم قاسم بن المؤيد بن القاسم صاحب شهارة، ثم حسين بن حسن صاحب رداع، ثم علي بن المتوكل صاحب إب

(١) تَرَّبه: تَرَّب: لزق به التراب، يقال: ترَّب الكتاب تتريباً، وترَّبت القرطاس. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٣١٤).

(٢) إرياب: عزلة واسعة من بلاد يريم، تشمل كثير من القرى. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص٦٨).

(٣) بين المعقوفين أضافها المؤلف في نهاية الورقة [١٨/ أ] وللحرص على عدم اختلال السياق أضفناها بعد نهاية الفقرة التي سبقتها.

وجبلة ومخلاف جعفر، ثم حسين بن المتوكل صاحب اللحية والضحي وتهامة الشامية، ثم علي بن أحمد صاحب صعدة، ثم آخرون في تلك الجهة. وكل منهم ولاه أجابهم من إليهم، وأصحابهم يطمعون في قيامهم كما يطمع الروافض في انتظار ظهور القائم[1] منهم، ولم يعلموا أن فيه الخلل عليهم في العقبى، والخبط والقتال بالراية العمياء، ولكن الحكمة لله في ذلك، فقد يكون سبباً لشيء لا يعلم، كما قال الصفي الحلي:

في فساد الأحوال لله سر
والتباس في غاية الإيضاح
فيقول الجهول[2] قد فسد الأمر
وذاك الفساد عين الصلاح

فلكل شيء سبب، [ولما رأى محمد هذا الإختلاف قد جرى عظم عليه الخطب واشتد عليه التعب، وبعث بالكتب إلى هؤلاء الدعاة يحثهم على الإلتقاء والإجتماع، والمراودة[١٩/ أ] فيمن يرجع إليه الكلام، فأجاب حسين بن حسن: أن ذلك الصواب لكن إذا كان الكلام بظاهره ليس فيه بواطن فالإختلاف على حاله، ، وكذلك أجاب القاسم وعلي بن أحمد، وطلب حسين الإلتقاء إلى حدود ذمار، وكان حسين بن حسن قد كرر الكتب إلى محمد بن أحمد ابن أخيه صاحب المنصورة في إجابته، فلم ينخرط له في شيء من مطلبه، فلما أيس عنه تحمل عليه، ونزل إلى خارج إب ما بين المخادر وسمارة لموافقته لعلي بن المتوكل باجتماع الكلمة، وأنه يكون هو وهو عوناً على صاحب المنصورة محمد بن المهدي، وانبرم الأمر على ذلك، وعادت الصداقة بينهما عداوة على حسب الملك، وانقطعت الرحامة؛ لأن الملك عقيم لا رحامة له][3] ، ثم رجع حسين بن حسن إلى

(١) القائم: هو المهدي المنتظر.

(٢) وردت في الديوان: (الجُهَّالُ) (ديوان صفي الدين الحِلِّي، ص٦٦٦).

(٣) ما بين المعقوفين كتب المؤلف في المتن، ثم أعاد كتابته مرة أخرى في الهامش بنفس الصيغة تقريباً.

رداع وأمر بالمحاربة على بلاد لحج وأبين بمن فيه من أصحاب محمد بن المهدي، فوقع الحرب هنالك وقتل من الجانبين جماعة، وانتهب سوق أبين وحرقوه، وكان جملة القتلى .... [1] وعلي بن المتوكل نزل من إب وجبلة إلى تعز، فبلغ صاحب المنصورة ذلك، فجهز عساكره إلى باب تعز، وكان وصولهم بعد دخول علي إلى تعز، فاتفق الحرب، وسيأتي تأريخه إن شاء الله.

[١٩/ ب] وفي هذه الأيام بشهر رجب استولى محمد بن المهدي على بيت الفقيه ابن عجيل وزبيد، وجميع البلاد التي حولها من تهامة الجنوبية.

وفي هذه الأيام لما فتح حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم مخازين الصلبة التي كانت للمهدي فقر أولاده الذين بالغراس، وأرادوا الغزو إلى الروضة والإستيلاء على مخازين حسين بن محمد فيها من باب المعارضة، فامتنع عقال العسكر معهم وقالوا :لا يصلح هذا لهم، مع أن الروضة من بلادهم؛ لأن أكثر عسكر المهدي كانوا من بني الحارث والروضة من بلادهم، وأشار عليهم خواص والدهم بأن يذكروا إلى محمد بن المتوكل في شأنها، وهو الذي يكتب إليه في أمرها، فكتب إلى حسين ونهاه عن تصرفه فيها، وتركهم لها، حتى يستقر الأمر فيها، مع أن عزمه كان من صنعاء بغير أمر محمد، بل قال أنه يسير يحفظ بلاده جملة من غير تفصيل، فسار إلى حجة.

وفي عاشر شهر رجب حصلت هوشة[2] بسوق صنعاء ما بين أهل الحيمة وعيال السوق فارتجموا، وسببه أن واحداً من أهل الحيمة ضرب واحداً من أهل السوق، فأغار أهل السوق عليه وفكوه[3]، ثم إن أهل الحيمة مالوا عليهم، فحصل بينهم ما حصل من

(١) بياض في الأصل.

(٢) هوشة: بمعنى الفتنة والإضطراب والهرج والإختلاط. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٨٤٤).

(٣) فكوه: خَلَّصوه.

المراجيم. وأغار جماعة من القصر فيهم قاسم بن محمد بن المتوكل، ولما كثرت المـراجيم في أهـل الحيمـة والجنايـات رمـى جماعـة مـنهم بالبنـادق [٢٠/ أ] ببـاروت وواحـدة منهـا مرصصة، وسلم الله. ووقع مرجام في ظهر قاسم بن محمد بن المتوكل، وأهل الحيمة متـى اجتمعوا يحصل منهم ما يحصل، مع أن أكثرهم قد كان عادوا بلادهم.

ووصل خبر من جهات مكة أنه حصل فيها فرقة بين عـسكر الـسلطان وبـين عـسكر الشريف على سبب قتل وقع في رجل تركـي، قتلـه بعـض أصـحاب الـشريف، فهاجـت الأتراك على أصحاب الشريف، ثم تدارك الأمر بركات بقتل القاتلين من أصحابه.

وفي هذه الأيام زاد محمد بن أحمد صاحب المنـصورة في ترقـي العـسكر في الجامكيـة، وأقلم[1] من العسكر من وصل.

وجاء كتاب محمد بن المهدي إلى أخيه حسين وإخوته بالغراس يذكر لهم أنهـم عجلـوا في البيعة لمحمد بن المتوكل، وما كان يصلح منهم، وكيف ومحمد بن المتوكـل لم يخـرج إلى الغراس ويحضر في قبر والده، وغير هذا من المعاتبة.

وحاول محمد بن المهدي في قبض بندر المخا هذه الأيام، فصار السيد حسن الجرموزي يلين له في المكاتبة، ويرسل له بما طلب من المحصول من الدراهم والبز والمـاردة[2]، حتـى كتب إلى محمد بن المتوكل بإرسال من يمنع إذا مراده يبقـى البنـدر لـه. وكـان قـد أرسـل بدراهم وصلت إلى زبيد قبضها حـسن بـن محمـد بـن أحمـد بـن الحـسن الـذي دخلـه، فانقطعت الطريق للمرفوع من البندر لبيت المـال وللعـسكر. ولم يتعـرض لـسائر النـاس التجار وغيرهم ممن مر،[٢٠/ ب] فأرسل محمـد بـن المتوكـل جماعـة عـسكر مـن طريـق المحويت يخرجون إلى اللحية، ثم يركبون بحراً من اللحيـة إلى المخـا زيـادة للـسيد حـسن

(١) أقلم: لعله يقصد بذلك أنه دونهم أو سجلهم في دفاتره ضمن عسكره السابقين.

(٢) كذا في الأصل، لم يتضح معناها.

الجرموزي في البندر، فساروا إلى هنالك، وكتب محمد بن المهدي كتبه إلى سائر البلاد فمن وصلهم أكرمه الولاة وآنسوهم وأطعموهم وزجوهم باللطف كبلاد ريمة ونحوها، وأثبت اليد محمد بن المهدي على زبيد وبيت الفقيه ابن عجيل وبلاد والده كعدن والدمنة، ولحج وذي السفال[1] وبلاد المنصورة وشرعب وتلك الجهات جميعاً إلى باب تعز وإلى قعطبة. وفتح دار الضرب بالمنصورة، وفتح الأعداد، وأرسل لإخوته بالغراس شيئاً من الطعام لما بلغه تضررهم بقدر مائة حمل، وصار حسين بن المهدي يشتاط[2] الطعام توافى[3] من الأسواق.

وكان في سابع شهر شعبان اتفاق حسين بن حسن وعلي بن المتوكل لما نزل حسين بن حسن من يريم إلى قريب إب، بعد اضطراره إلى ذلك، وإجابة من ابن أخيه، وعاد إلى رداع وكتب إلى محمد بالإتفاق إلى نواحي ذمار، فسار محمد بن المتوكل يوم الإثنين حادي عشر شهر شعبان، وصار صحبته أحمد بن محمد بن حسين إلى زراجة[4]، وكان استقر فيها منتظراً لحسين بن حسن على وعده، فأجاب أنه يتقدم إلى مشهد الديلمي[5]. وكان قد وصل القاضي جعفر الذي أرسله، [٢١/ أ]بكتاب إلى محمد بن المهدي، ولم يحصل من محمد بن المهدي مطابقة له فيما طلبه أصلاً، بل كان عند وصول القاضي جعفر مشدداً، وبحيث أنه ما أجاب على محمد بن المتوكل كما روي. وأما جوابات أخوة محمد، وهو علي بن المتوكل، وحسن بن المتوكل فجاءت مطابقة لرأيه وأنهم من أعوانه، وإنما قاموا إذالم يقم هو وقام غيره، فاطمأن عليهم خاطره. وكذلك كتاب صاحب كوكبان مثل

---

(١) ذي السفال: بلدة عامرة فيما بين إبّ وتعز، بالسفح الجنوبي من جبل التعكر، وتتبع لواء إبّ. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٤٢١-٤٢٢).

(٢) يشتاط: بمعنى يشتري، سبق ذكرها.

(٣) توافي: وفّى: أي أضاف إلى الشيء الناقص ليكون كافياً لما يريده صاحبه.

(٤) زِرَاجَة: مدينة في الحدا، تبعد عن معبر شرقاً بنحو ١٣كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٧٣٨).

(٥) مشهد الديلمي: يقع في ردمان من بلاد عنس على بعد نحو ثلاثة أميال شرقاً من مدينة ذمار. وهذا المشهد نسبة إلى الإمام الناصر أبو الفتح الديلمي (٤٣٠-٤٤٤هـ/ ١٠٣٨هـ/ ١٠٥٢م). المقبور هناك. (زبارة: أئمة اليمن، ج١، ص٩٣).

كلامهم، ولكن أما الخطبة فما تركوها إلا بعد اتفاق محمد وقاسم وعلي بن أحمد في خمر، كما سيأتي تأريخه إن شاء الله. وكلهم أقرب إلى محمد بن المتوكل بالمطابقة إلا محمد بن المهدي فيبعد منه له الموافقة، ويعسر عليه له المحاربة؛ لأن البلاد المحصلة[1] قد صارت بين يديه، والعساكر صاروا ينجذبون إليه، لأجل العطاء والمال، والناس مع الدنيا كما قال الشاعر[2]:

وإذا امرؤ ملك الدراهم أطلقت
شفتاه ألوان الكلام فقال
وتقدم الأقوام فاجتمعوا له
ورأيته بين الورى مختالا

ولما صل محمد بن المتوكل بعد خروجه من صنعاء إلى زراجة استقر فيها منتظراً لحسين بن حسن، فلم يبدو منه حركة، فكتب إليه محمد بن المتوكل أنه منتظره على وعده، فأجاب أنه يتقدم إلى مشهد الديلمي شرقي ذمار قريب[٢١/ ب] رداع ويكون الإتفاق فيه، فتقدم المذكور إليه وهو غاصاً بريقه، باعثاً في الناظر من جهته إلى حيث ذكره ليزيل عذره، فسكن فيه أيضاً منتظراً بعض أيام، وشق بهم السكون في الخيام، والإنقطاع من جلب السبار والطعام.

وفي خلال ذلك نزل علي بن المتوكل من إب إلى تعز وأرسل حسين بن حسن عينة من أصحابه مع جماعة من أهل يافع إلى لحج وأبين للمحاربة عليه، وإخراج الرتب الذي في

---

(١) المُحَصِّلة: أي الغنية والخصبة.

(٢) الشاعر هو محمد بن القاسم الهاشمي، وقد ورد البيتان كالتالي:

من كان يملك درهمين تعلمت ... شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدم الفصحاء فاستمعوا له ... ورأيته بين الورى مختالا

(أحمد فيش: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، ص٤٩٦).

أبين والتي على باب تعز، فحصل الحرب بأبين وقتل من الجانبين من الرتبة التي فيه قيل: أربعة، وقيل: سبعة، وقيل: أكثر. ومن أصحاب حسين بن حسن مثلهم، وانتهب أصحاب حسين السوق وحرقوه وعادوا بلادهم، وانقطعت طريق أبين، وغلا السليط، بلغ الرطل بصنعاء إلى حرفين؛ لأن مداره وطلوعه من تلك الجهة.

ولما وصل محمد بن المؤيد إلى مشهد الديلمي وصل حسين بن حسن

وأما حرب تعز فإنه لما وصل علي تعز في رابع شهر شعبان جهز محمد بن المهدي زيادة للرتبة الذي منه خارج تعز بقدر ثلاثمائة أو أربعمائة، فوصلوا[٢٢/أ] إلى ثعبات[1] والتقاهم علي من تعز بعساكره جميعاً فاحتربوا واقتتلوا قتالاً شديداً بالبنادق أولاً ثم بالسيوف والرماح آخراً. وقتل من الجانبين حول أربعين، من أصحاب علي حول عشرين ومن الآخرين مثلهم، ومن جملتهم بيرق دار حق علي بن المتوكل، وأسر من لم يفر من أصحاب محمد بن المهدي كالسيد حسن بن محمد بن أحمد بن الحسن المؤيدي بعد أن قتل برمحه جماعة، وأسر ولد محمد بن المهدي المسمى إسماعيل[2] وجماعة من الأعيان والرؤساء، وكانت وقعة عظيمة، واتفق حصولها بنصف شعبان وصباح خسوف القمر في برج الدلو، ووقعة أبين بلحج كذلك في ذلك اليوم والأسرى أولئك من أصحاب علي رسم عليهم بتعز إلا ولد محمد بن المهدي فزلجه إلى عند والده المنصورة، وكانت جملة الأسرى حول المائة من أصحاب محمد بن المهدي.

ومحمد بن المتوكل لما وصل إلى مشهد الديلمي انتظر وصول حسين بن حسن فوصل إليه، وفي خلاله وصل إليهم الحادث بتعز وأبين، فتغير خاطر محمد بن المتوكل وأرسل

---

(١) ثَعَبَات: منطقة أعلا مدينة تعز من الناحية الشرقية، في جبل صبر. (المقحفي: معجم البدان، ج١، ص ٢٥٥).

(٢) إسماعيل بن محمد بن أحمد بن الحسن. تابع المؤرخ ما قام به من مساعدة والده ومؤازرته منذ إعلان إمامته وخلال حروبه مع مراكز القوى من آل القاسم حتى توفي مقتولاً في صعدة، ولم يذكر صاحب بغية المريد عنه شيئاً سوى أنه أحد أبناء الإمام الناصر، ويطلق عليه الشهيد إسماعيل. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٢٧٥).

عبد الله بن أحمد بن القاسم والقاضي[٢٢/ ب] جباري للخوض في الإصلاح بينهم، فساروا ومعهم عينة من العسكر. ووصل عند ذلك كتاب من محمد بن المهدي إلى حسين بن حسن فيه كلام شديد، وتوعد له لما فعله بالحديد، ويذكر له أنه كيف انقلب في كلامه الأول الذي جرى منه بالذم لعلي بن المتوكل إلى المدح المنقاض[1] لما جرى من قبل، وأن هذا من اتباع الهوى وقلة الدين، بكلام صليب، وخطاب عجيب، لم يدر حسين بن حسن فيه بما يجيب. وكان بعد ثلاثة أيام اجتمع بين حسين بن حسن ومحمد بن المتوكل الكلام بأنه تابع لما فعله قاسم صاحب شهارة، وأنه إن بايع محمد فقد بايعه وإن بايع محمد لقاسم فقد وكله يباعه[2] عنه. وبقي حسين على أصل دعواه واستقلاله وخطبته وافترقوا على هذا. [وقد كان علي بن أحمد يومئذٍ في خلال خروج محمد بن المتوكل من صنعاء قد خرج من صعدة إلى خمر، واجتمع بقاسم[3] في وادعة، بعد أن كتب إليه بالإتفاق والمبايعة. فاستقر قاسم عند صنوه أحمد[4] بوادعة وعلي بخمر ببيت والده، وكتبوا[٢٣/ أ] إلى محمد بالوصول للمناجزة، فتراخى محمد بمشهد الديلمي لتمام ما وقع بينه وبين حسين بن حسن وما اشتغل به من الحادث اليمني. فأهم علي بن أحمد بالوصول إلى الروضة وصنعاء، فكتب إليه حسين بن أحمد بن الحسن من الغراس بالتوقف حتى يصل محمد بن المتوكل؛ لأنه يحصل من أهل الجهة الصنعانية التشويش إلا أن يصل في جماعة مختصرة قدر العشرين أو العشرة فترك ذلك وبقي في خمر، وإن حصل تراخي فربما هو يأتي يتقدم إلى ثلا، فلما بلغ محمد بن المتوكل هذا بادر بالعود إلى صنعاء.

وعجب كثير من الناس في هذا الإختلاف وما وقع فيه وما قبله من الحروب وهم

---

(١) المنقاض: كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل لم تتضح.

(٣) هو قاسم بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم.

(٤) أحمد بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم.

أقارب، وتعذر بينهم الإئتلاف واتفاقه في وقت واحد، فإنه لما مات المؤيد بالله محمد بن القاسم وقع بين الأخوين أحمد وإسماعيل الحرب بخدار[1] وبثلا وحوزة[2] صنعاء في آخر شهر شعبان ورمضان][3].

ولما مات المتوكل اتفقت الحرب بالصلبة وذيبين كذلك في آخر شعبان ورمضان، وتعقبه الحرب الكبير بشهارة، وكذلك هذا بعد موت الملك المهدي أحمد بن الحسن اتفقت بشعبان ورمضان.

ولما حدث ذلك الحادث بتعز وانكسر أصحابه إلى المنصورة وأسر من أسر منهم تغير محمد بن المهدي وطلب الرتب القريبة الذي بموزع وحيس، واستجاش بقبائل الحجرية، وقصد إلى جبل صبر فوق تعز. وكان قد فيه رتبة لعلي بن المتوكل، فيها النقيب ابن أمير الكلبيين ابن الأبيض، فوقع بينهم الحرب، فقتل من أصحاب علي خمسة ومثلهم من أصحاب ابن المهدي، ووقع الصلح في خلاله بسعاية عبد الله بن أحمد[4] والقاضي جباري الذين أرسلهم محمد بن المتوكل حسبما سبق فإنهم وصلوا حال هذه الوقعة وكانوا يريدون الفتح على تعز والتقرب منه وإزالة الرتب. وقد كان حط محمد بن المهدي بالزيلعي[5]، وكان أهل تعز غلقوا أبواب المدينة فعقد الصلح إلى بعد رمضان.

وأما محمد بن المتوكل فإنه لما عاد من مشهد الديلمي بعد اتفاقه بحسين بن حسن إلى صنعاء في آخر شعبان خرج يوم الإثنين ثالث رمضان إلى خمر، فكان أول استقراره

---

(١) خِدار: قرية مشهورة من بلاد الروس، جنوب صنعاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص٣٠٥).

(٢) حوزة صنعاء: حصار صنعاء.

(٣) ما بين المعقوفين أعاد المؤلف كتابته في هامش الورقتين ٢٢/ ب،٢٣/ أ.

(٤) هو عبد الله بن أحمد بن القاسم.

(٥) الزيلعي: لعل المؤرخ يقصد الزيلعية: من قرى البعجيَّة من مديرية اللحية وأعمال الحديدة. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٧٥٦).

ومحطته وخيامه في السِّنَتين[1]، ثم انتقل منها إلى خارج خمر فوق الغيل والتقى قاسم[2] وعلي[3] هنالك، وما زالوا يتفقون المرة بعد المرة من غير ثالث لهم[٢٤/ أ]. ولما رأوا محمداً قد بنى على ما هو فيه وكان قد تكررت الموافقة بينه وبين القاسم وعلي بن أحمد من غير حضور حاضر، ورأوا خلو ما بيد قاسم من الخزائن وضعف بلاد الأهنوم، وما قد جرى منهم من الميل إلى محمد بسبب ما بذل لهم من الذهب الأحمر والدراهم، فرأوا عند ذلك الإتفاق والتسليم لمحمد. فكان أول مسلم لمحمد علي بن أحمد، وصار مع محمد علي قاسم كالمعين، فلم يسع القاسم إلا التسليم والإتفاق، وترك المحاربة والشقاق، فترك عند ذلك اللقب وطواه عن ذكره، ورجع إلى اسمه كما فعل لأحمد بن الحسن في أمسه. وطلب زيادة في البلاد، فجعل له محمد بلاد عذر وظليمة وبقية الشرف، وجعل له بيت الفقيه ابن عجيل بتهامة وبلاد زبيد، ولكن زبيد وبيت الفقيه ابن عجيل لم تكن تحت تصرفه، ولا جرى فيه أمره ونهيه، إذ قد المتولي عليها محمد بن أحمد ورتبها من عنده لولده حسن بن محمد، وبذل لعلي بن أحمد الذهب وجعل له جبل صبر في اليمن الأسفل، وهو أيضاً قد حكم عليه محمد بن أحمد بن الحسن قبل. وكان من جملة كلام محمد بن المتوكل للقاسم: أن هذا الأمر إن سلمناه لكم فأكثر هؤلاء الذين قد تبعونا لا يسلمون الأمر إليكم، بل هو الشرط الذي جرى من أولاد المهدي الذين بالغراس ومن معهم من العسكر وقبائل بني الحارث وهمدان، وأنه يكون سبب ذلك الإختلاف، فكان الإتفاق على هذا في يوم الإثنين سادس عشر شهر رمضان بخمر، وعاد القاسم إلى شهارة، وعلي بن أحمد إلى جهاته بلاد صعدة.

ولما بلغ صاحب كوكبان[٢٤/ ب] هذا الإجتماع خطب عنده بشبام وكوكبان

---

(١) السِّنَتين: قريتان متقابلتان أعلا نقيل الغولة، تطلان على قاع البون من شماله. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨١٧).
(٢) قاسم بن المؤيد صاحب شهارة
(٣) علي بن أحمد صاحب صعدة.

لمحمد بن المتوكل وترك ما كان خطب لنفسه أولاً. ومحمد بن المتوكل سار إلى السودة استقر فيها بقية رمضان وعيد فيها.

وفي خلال هذا الإتفاق من محمد بقاسم خالفت بلاد يافع جميعاً وبلاد العولقي وبلاد الهيثمي على حسين بن حسن، وطردوا واليه منها، وقتلوا بعض أصحابه، وكان قد كاتبهم محمد بن أحمد صاحب المنصورة. وبقي حسين بن حسن في حيرة عظيمة من أجل خلافهم عليه، وتعذر تمكنه من القدرة وحده على قصده إليه، فبقي في بلاد رداع لا ينفذ له فيها أمر ولا نهي، وتعذر عليه ما كان تصوره من فتحه لبلاد أبين ولحج، وصار في رداع كالمحتار، واشتغل بمكاتبات إلى محمد بن المتوكل وغيره في المعونة له، مع أنه ما قد تم انخراطه في إجابة محمد ولا أزال عن اسمه لقبه، ومحمد يومئذٍ مشغول بالسداد[1] بينه وبين صاحب شهارة.

والسعر هذه المدة في اليمن مرتفع، والوقت وقت الصراب آخر الخريف، بلغ القدح من البر إلى أربعة حروف والشعير[٢٥/ أ] في حرفين إلى تسعين[2] والذرة كذلك وتبلغ إلى مائة بقشة وثلاثة حروف، وفي صعدة القدح في خمسة حروف وأكثر، مع أن المكيال فيها افتر[3]، والسبب قل الأمطار في الخريف في أكثر بلاد اليمن، فالحكمة لله. والرطل السليط بلغ إلى سبعين بقشة والسمن مثله، وكثير من المشارق يدورون وظهر عليهم الجوع، فلله الأمر من قبل ومن بعد.

ولما حصل الخلاف على حسين بن حسن من البلاد التي كانت إليه جهز بضرورة جماعة من عسكره، فلما وصلوا أطرافها أقبلت عليهم القبائل بما لا قبل لهم بها فأخذوا منهم مقتلة فوق العشرة ورجعوا مغلوبين، وصار أهل بلاده عليه متغلبين. ومن الأمور

(١) السَّدَاد: الإتفاق.

(٢) أي إلى تسعين بقشة.

(٣) أفتر: بمعنى أضعف.

التي ظهرت فيها الحكمة في هذه التي قد جرت باليمن الأسفل من هذه القضايا بين حسين بن حسن، وبين علي[1] ومحمد[2] من الفتنة أن علياً لما جرى منه جرة اليد[3] في بلاده وإهماله لأصحابه في الإضرار برعيته سلط الله عليه محمد بن المهدي، وحسين بن حسن لما جرت منه المغادرة[4] واختلال النية سلط الله عليه إخلاف بلاده.

[٢٥/ب] ومن الأمور التي ظهرت حكمتها في البلاد البرطية والسفيانية مما جرى منهم من التعدي في الطرق والقتول التي ما زالت بينهم في المغازي والنهب والتخويف والمحق المرة بعد المرة والكرة بعد الكرة، وما كان قد جروا عليه من الأحكام الطاغوتية والأمور المخالفة للشريعة المرضية، وما بذله الذين ظلموا عليهم من الدعاء فيما راح عليهم، انتقم الله منهم بالقحط والجوع الذي أصابهم وأخلى قراهم، فصارت بلاد برط خالية وتفرقوا في الأرض، ومات من مات منهم بالجوع في السهل والنجد وأكلوا الميتات، وحاقت بهم الحرامات والظلامات، فالله سبحانه يمهل الكافر على كفره ولا يمهل الظالم على ظلمه تعجيلاً لعقوبته في إضراره، ونسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة.

وفي هذه الأيام عاد محمد بن أحمد من الزيلعي إلى المنصورة بعد عقد الهدنة بينه وبين علي بن المتوكل بواسطة عبد الله بن أحمد والقاضي جباري الذماري.

وفي هذه الأيام بشهر رمضان أرسل محمد بن المتوكل السيد حسن بن محمد بن حميد الدين يخوض في صلح محمد بإقطاعه من تلك البلاد ما يقوم به، فسار إليه. وكان محمد بن أحمد بن الحسن قد عين لإخوته الذين في الغراس جانباً من بلاد أبيهم، وأمر ولاتها بإرسال محصولها[٢٦/ أ] إليهم، فما رضوا بها. ولما جرى ما جرى من الخلاف وعرف حسين بن حسن عدم طاقته على استرجاعها كتب إلى حسين بن أحمد بن الحسن

(١) علي بن أحمد صاحب صعدة.
(٢) محمد بن أحمد صاحب المنصورة.
(٣) جرة اليد: بمعنى زيادة المطالب التي كان يأخذها.
(٤) المغادرة: أي الغدر.

بالغارة، فأرسل[1] حسين بن حسن بكتبه إلى محمد بن المتوكل إلى السودة، فقال محمد بن المتوكل :يتوقف في ذلك حتى يكتب إلى يافع فكتب إليهم أن إذا كان مرادكم بتحويل الوالي وأنه غير صالح وجائر في مطالبكم عُزل، وهو الفقيه الملقب مسمار الأهنومي[2]، وولي واحداً يكون واسطة بينكم وبين حسين بن حسن، وإن لم تطيعوا أمرنا جهزنا عليكم، وكتب إلى مسمار ينتظر الجواب.

وفي هذه الأيام أخبرني السيد محمد بن حسين الحوثي أنه كان أرسله المهدي قبيل وفاته بافتقاد أوقاف المساجد باليمن الأسفل، والتنبه عليها ويصف إقامتها.

قال: فطاف في مساجد مخلاف جعفر بنواحي جبلة أولاً ، قال: فوجد ما كان نظره من المساجد لأهل البلاد فهو مقام في الغاية بالفراش والمواجل وما يتبع ذلك، وما كان نظره إلى والي البلاد وجده مهملاً لا فراش فيه ولا إصلاح، قد شعثت[3] عمارته وتعطلت الصلاة فيه لأهله، بل وجد بعض المساجد قد صار صبلاً[4].

قال: ونزل إلى المخلاف الأسفل بنواحي ذي السفال من بلاد المهدي أحمد بن الحسن فوجد الأمر كذلك، ما كان نظره إلى أهل البلاد فهو مقام، وما كان نظره إلى الوالي خراب، فهذا ما اطلع عليه، حسبما كان أمره المهدي.

[٢٦/ ب] وكذلك هذا جاري في اليمن الأعلى فإنا قد شاهدنا ما كان منها نظر وقفه إلى الوالي مهملاً، وما كان نظره إلى أهل البلاد مقاماً بالفراش والقضاض.

وفي نصف شهر شوال سار حسين بن المتوكل بعد إرسال أخيه له من السودة غارة على حسين بن حسن، لما كثرت كتبه في استمداد الغارة، وما قد جرى من الحرب بينه وبين

---

(١) كذا في الأصل، صحتها وأرسل.

(٢) هو صلاح مسمار الأهنومي، عينه الحسين بن الحسن والياً على يافع.

(٣) شعثت: بمعنى تفرقت أجزاؤه، وهو منه. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص ٣٢٢).

(٤) صبلاً: لعله يقصد اصطبلاً للحيوانات.

أهل تلك الجهة، وأنه صار في الحوزة، وأنه إذا لم تصله غارة نافعة لم يكن له فيهم طاقة، فسار المذكور وفرح به، إذ ناله في عوده إلى ضوران، وبقى فيه، ويعتذر بأنه ينتظر العسكر إذا وصلوا إليه. وأمر محمد بن المتوكل عسكر الحيمة بلحوقه والعزم معه، وغيره من مقادمته أمرهم بالغارة. فأما حسين بن المهدي وإخوته فصاروا مترددين في إعانة عمهم لما حصل منه من المحاربة على جانب بلادهم بأبين ولحج، فهم صاروا بين الإقدام والإحجام، وحسين بن حسن تجشم المفاتحة لهذه الجهة والمغالبة في الوقت الذي ما ينبغي فيه تحريك الفتنة.

وهو صار كما قال ابن المقرب في ديوانه:

والمرء يسعى بلا رهط ولا جدة

كالسهم يرمى بلا ريش ولا عقب

مع أن حسين بن حسن قد صار بين عدوين له بلاد يافع وما إليها، وابن أخيه محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة فهو إما بها وإلا عليها، وقد وقع الحربان الأول في أبين ولحج وتحريق سوقه، والآخر هذا الذي قد وقع في يافع بينه وبين قبيلته، وما أثمر له نفعاً بل هو صار عليه نقصاً[٢٧/ أ]. ووصلت كتب أخرى من حسين بن حسن إلى محمد بن المتوكل وإلى أحمد بن محمد بالمعاجلة بالغارة، فإنه لما تقدم من رداع مغيراً على أصحابه الذين احتازوا بأطراف يافع لمسجد النور(١) إلى الحَلَقة(٢)، وتعذر عليه النفوذ والعبور والصعود إلى جبل يافع، وبقى كالمحاصر في الحلقة وأصحابه في غاية الحوزة والضرورة فتثاقلت الغواير. وكانت قلوبهم مختلفة، وأحوالهم غير مؤتلفة، والرؤساء يقولون وما لهم من مصلحة في هذه الحركة، فإن البلاد تلك لحسين بن حسن متوجهة وضررها ونفعها له، مع ما كان منه أولاً من الدعوة، فصاروا يظهرون الحركة

---

(١) مسجد النور: يوجد في الموسطة، من مراكز بلاد يافع، والمسجد بناه أحمد بن الحسن بن القاسم. (الويسي: اليمن الكبرى، ص٣٢).
(٢) الحَلَقة: قرية في جبل المفلحي من مديرية يافع وأعمال محافظة لحج. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٩٢).

ويأمرون الناس بالسعي والحركة، وكل أحد متثاقل فيها ورؤساؤهم يعتذرون بعدم المعاجلة لأجل حضورهم. والعسكر يعتذرون بعدم تسليم حاجاتهم، وكل منهم يحب ظهور العذر لِيُعذر، فصاروا على هذا الحال مدة الشهر. وحسين بن حسن مشغول بالخلاص من تلك الأقفاص، حيث لم يتم منهم الغارات، ولعلها تكون معه آخرها كما جرى مع عسكر السلطنة من الهزيمة من الخلقة والقتال في نجد السَّلف والإنتهاب والفعلة الجسيمة، لأن هذه البلاد اليافعية جبال[٢٧/ ب] منيعة إذ هي أطراف البلاد اليمانية، لا تتم اليد عليها إلا بتأكيد أمورها وسكون الأمر الشاغر لدولة صاحب اليمن فيها، ليكون ظهيراً لولاتها. وأما مع تفرق مملكة اليمن، والإشتجار فيه هذا الزمن، فهو لا يتم لهم فيه قوة الأثر، كما جرى فيما سبق لمن مضى وغبر.

وفي هذه الأيام شهر شوال أرسل القاسم بن محمد المؤيد رسله لقبض زبيد وبيت الفقيه ابن عجيل وما إليه حسبما ولاه إياه محمد بن المتوكل، وفيها الرتب من قبل محمد بن المهدي، فردوهم، وقالوا :البلاد لغيرهم، فرجعوا بخفي حنين وقالوا: الأمر قد برم بليل وساروا ولم يحصل لهم ما قصدوا، ولله قول المقرب الشاعر في ديوانه:

فيا أيها الساعي ليدرك مجده

أفق إن هذا السعي منك إضلال

ودع عنك ما لا تستطيع فقد ترى

مساعي ما لا تطيق ليس تنال

ولله قول المقرب الشاعر:

ومن لم يدبر أمره ذو بصيرة

بكته عن قريب ثواكله

وكم من[1] همام ضيع الحزم فالتقت

عليه عداه بالردا ودخائله

وصار يغريهم ويقوي أمرهم محمد بن مهدي بإتمامهم الخلاف على حسين بن حسن، وأنهم لا يخافون، فإنه لا يجد حسين ما يدفعهم، كما قال الأول[2]:

مصائب قوم لقوم فوائد

والسيد زيد بن جحاف الذي كان متولياً لزبيد ذهب عليه ما كان يستقطعه من بلاده هذه، فصار[٢٨/ أ] عاضاً على يده، حائراً في توسع نفقاته والمتعلقين معه وتوسعه في بيته وكثرة إمائه وعبيده، فإنه كان سراريه أربع وعشرين جارية من غير الخدم. فلما ذهبت هذه البلاد بعد أن كان حظه من المتوكل فيها الإبعاد، وعلم أن ذلك الحال الأول قد صار إلى نفاد، إذ كانت تلك البلاد نصف محصولها فأكثر له من غير مطالبة ولا محاسبة، مع ما كان إليها غيرها له، فهبط حاله الذي كان فيها وزال، والدنيا تقلب من حال إلى حال.

[هذه الأيام بشهر شوال أرسل القاسم بن المؤيد رسله لقبض زبيد وبيت الفقيه ابن عجيل وما إليه حسبما ولاه إياها محمد بن المتوكل، وفيها الرتب من قبل المهدي فردهم، وقالوا: البلاد لغيرهم، فرجعوا بخفي حنين ولم يحصل لهم مما قصدةا، ولله قول المقرب الشاعر:

فيا أيها الساعي ليدرك مجده

أفق إن هذا السعي منك ضلال

---

(١) ورد صدر البيت الثاني كالتالي:

وكم همام ضيع الحزم فالتفت

(أحمد فيش: مجمع الحكم والأمثال، ص ٤١٩).

(٢) الشاعر: هو المتنبي، وقد سبق. والبيت ورد كالتالي:

بذا قضت الأيام ما بين أهلها   مصائب قوم عند قوم فوائد

(عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مج١، ج١، ص٣٩٩).

ودع عنك ما لا تستطيع فقد ترى

مساعي ما لا تطيق ليس تنال][1]

وفي هذه الأيام كثر الوفد إلى محمد بن المهدي ممن يريد الملازمة في العسكر، مع حاجة السنة مع أصحاب والده الأولين الذين كانوا في الغراس ومن القبائل المستجدين، فسار من بلاد برط جماعة كثيرة لازموه واستعدوا من الجامكية، لضعف بلادهم ومن غيرهم.

وأرسل هذه الأيام زيادة في رتب بيت الفقيه ابن عجيل[٢٨/ ب] وزبيد، وسار إليه صنوه إبراهيم ومعه جماعة من أصحاب والده، وتنافر هو وصنوه حسين، وخرج من الغراس يريد اليمن الأسفل.

ومحمد بن المتوكل رحل من السودة إلى صنعاء، فدخلها عند شروق الشمس يوم الأربعاء سادس وعشرين شهر شوال، والشمس حالة في برج العقرب في آخر شهر تشرين الأول، والله أعلم.

وفي هذا الشهر استولى محمد بن المهدي على العينة التي من قبل حسين بن حسن في أبين، وهو السيد الحبشي ومن معه وأدخلهم المنصورة.

وفي هذا الشهر لما ضاقت على حسين بن حسن الأمور، وصار في الحلقة طرف بلاد يافع الرعينيين تحت العقبة[2]، وتعذر عليه النفوذ إلى صعود الجبل لإنقاذ من فيه من الرتبة، وبلغه ما جرى من تجمع القبائل اليافعية، ومن انضم إليهم من البلاد المشرقية، وأنهم استولوا على أصحابه وولده وحازوهم[3] في دورهم، ولم يبق لهم من أنفسهم مخرجاً

(١) ما بين المعقوفتين مكرر في الأصل، وقد أثبتناه كما كتبه المؤلف.

(٢) العَقَبة: من قرى مركز يَهَر في يافع. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٨٩٥).

(٣) حازوهم: حاصروهم، سبق ذكرها.

وحار في إنقاذهم، فاضطر إلى إرسال الشيخ ابن هرهرة[1]، وكان عنده في الحضرة بالسعي، باستخراج ولده وتخلية بلادهم لهم، فسار كما أمره وأخرج ولده عنهم، وبقي في الحلقة ينتظر الغارة. وما زال يكاتب إلى محمد بن المتوكل بالإنقاذ [٢٩/ أ]له، وهو ما قد استقر أمره إلا في هذه البلاد العليا فإن اليمن الأسفل كله محكوم عليه من محمد بن المهدي، فبقي في محارة كلامه أن اجتمع له أحد مع حسين بن حسن حتى من صاحب اليمن الأسفل لا ينقلب إلى البلاد التي تحته، فصار بين الإقدام والإحجام بالغارة والناس مستبقون الحركة مع الغلاء في الأسعار وما يحتاجونه.

وأخبر من حضر الوقعة ببلاد يافع أنه لما وقع أولاً مع مسمار ما وقع من الإشتجار بينه وبين الشيخ ابن العفيف[2]، وكان قد جار عليهم في مطالبهم مع ما كان سبق معهم، فاستولوا على مسمار، وحازوه في بعض تلك الديار، وقتلوا من أصحابه سبعة أنفار، وراح من أهل يافع أكثر بالبنادق من داخل الدار، ثم أنهم عقروا عليه أشجار البن التي كانت معه، وخربوا محاميه ودياره، ونهبوا جميع ما معه من سلاح وغيره. فلما أغار ولد حسين بن حسن بمن معه من العسكر وكانوا نحو سبعمائة أقبلت يافع كالجراد وقد تعاقدوا على الحملة عليهم إلى البيوت التي سكنوها في مسجد النور، ولا يبالوا بالرصاص ولا بمن قتل من الناس.

قال: فحملوا عليهم إلى البيوت، ودخلوا عليهم من حافاتها، وتماسكوا بالأيدي طعناً وضرباً، ولم يبالوا بمن قد راح بالبنادق منهم، حملة عنترية[3]، ووقعة عظيمة

---

(١) الشيخ ابن هرهرة: من مشائخ يافع بني مالك المعروفة بيافع العلياً. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٨٩٤).

(٢) ابن العفيف: من مشائخ قبائل يافع السُفلى، ديارهم في منطقة (القارة) من مديرية رصد وأعمال محافظة أبين. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٠٨٩). يقول المؤلف: (وهذا ابن العفيف اسمه معوضة بن محمد بن معوضة، وجده هذا معوضة هو الذي كان في مدة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، الذي كاتبه في مدة دخول أحمد بن الحسن مستجيراً بهم. (انظر النص من هذا الجزء، ق٦٧ب).

(٣) عنترية: نسبة إلى عنتر بن شداد العبسي.

غضنفرية[1][٢٩/ ب]. ولم يبق إلا البيت الذي فيه ابن حسين بن حسن لا غير، وصاروا تحت أيديهم، وفي قبضتهم، ولم تنفعهم البنادق التي معهم، لأنهم لكثرتهم طفحوا على عددهم، ولم يبالوا بمن قتل بها منهم.

قال الراوي: وانكشف الحرب والقتل من يافع بالبنادق حال حملتهم قدر خمسين قتيلاً ومن العسكر دونهم، هذا صفة الواقع الذي جرى بينهم.

ثم خرج ولد حسين بن حسن برفاقة الشيخ ابن هرهرة، كما سبق ذكره، إلى حضرة والده وهو بالحلقة، وأخرجوهم من يافع لا يألون على شيء إلا السلامة لمن بقى منهم. وحسين بن حسن أيضاً في الحلقة محوزاً، وهي حد تحت عقبة يافع وهو طرفه، ومنها ابتداء بلاد الرصاص ونجده، وصار حسين بن حسن يستغيث بالغارة الكتاب بعد الكتاب إلى محمد بن المتوكل، وقد خالفت جميع البلاد اليافعية وما خلفها من البلاد الحضرمية من نجد السلف إلى أقصى حضرموت وخلف، ورجعت هذه البلاد لأهلها وسلاطينها ومشائخها، وتعقب ذلك خلاف بلاد الرصاص، وانتهبوا البيوت في البيضاء، وما فيه لحسين بن حسن أيضاً[٣٠/ أ].

وفي هذه الأيام أنشأ السيد زيد بن محمد بن حسن بن القاسم[2] قصائد عظيمة، وأشعار بليغة، ورقائق لطيفة، مع تضمينها المعاني القويمة التي لا يدركها إلا من قد مارس في الفكرة وكثر في المطالعة. فما هي إلا منحة له عجيبة، وحالة في هذا الزمان غريبة، على ما هو عليه من صغر السن فإنه أنشأ مثل هذه القصائد وهو في نحو عشرين

---

(١) غضنفرية: الغضنفر من أسماء الأسد.

(٢) زيد بن محمد بن الحسن بن القاسم (١٠٧٥-١١٢٣هـ/ ١٦٦٤-١٧١١م) علامة، حافظ، شهير، أديب، شاعر، بليغ، نشأ بصنعاء والروضة والجراف، وأخذ عن مشاهير علماء عصره، وأخذ عنه عدد من العلماء، وله عدة مؤلفات. (الحوثي: نفحات العنبر، مخطوط، ق٥٠-٥٧؛ عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص ٤٤٨).

سنة من يوم ولادته، إذ مات والده وما قد تم ختانه وإعذاره، وإنما ختن بعده، ووالده مات سنة تسع وسبعين كما سبق، وبلغ هذا السن وقد أحرز علم العربية، وقرأ العلوم النحوية، وقرئ عليه فيها، ومما أنشأه من القصائد قوله:

نحوكم قلبي المعنى جنحا
فلذا لوم عذولي قبحا
آح كم أشكو تباريح الهوى
وزماناً للقاء ما سمحا
ورقيباً قد غدى يرقبني
في الهوى قد نلت منه البرحا
آح من دمع غزير هامل(1)
كلما مر بخدي جرحا
آح من نار بقلبي أحرقت
وزنادٍ لفؤادي قدحا
آح من صد وهجر وقلا(2)
حره في وسط قلبي لفحا
وإذا عرض لي في حبهم عاذل
أعرضت عنه أن لحا
يا أحبابي ومن ذكراهم
كلما مر بسمع شرح

(1) هَامِل: هملت: فاضت وسالت، ويقال: هَمَل دمعه. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص ٨٣٠).
(2) قَلاَ: أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص ١٥٧).

وأعيـــــــدوا لي أيامــــــاً مـــــــضت

خــــــصنا الله فيهــــــا(١) بالمنحــــــا [٣٠/ ب]

فاذكرونـــــــا(٢) كـــــــذكرنا لكـــــــم

رب ذكـــــر قـــــرب مـــــن نـــــزح

ووصـــــال قـــــد حـــــلا لي مـــــثلما

قـــــد حـــــلا يعقـــــب ملحـــــا

وغيرها من القصائد كثيرة مع صغر سنة وحداثته، فما ذاك إلا منحة وعطية قل من يدركها، فلذلك توجه(٣) ذكرها، والإشارة إليها، وقد جمع قصائده في ديوان.

وفي هذه الأيام وصل الخبر من الهند أنه خالف ولد السلطان على أبيه، واستعان بالإنجريز من النصارى وسيواجي على والده السلطان، فوقعت بينهم حروب شديدة، وفتنة عريضة طويلة.

وفي هذه الأيام رجع رسول أحمد بن الحسن من بلاد المهري وهو السيد أحمد القطابري، الذي كان أرسله قبيل موته إلى المهري صاحب جزيرة سقطرى وسواحل بحرها ما بين الشحر وظفار بأنه يؤهب الضيافة وأنه يأتي بالإرتحال إلى بلاد العماني لاستفتاحه، فسبق الأجل عن ذلك الأمل، مع أنه كان يجري على اليمن المشقة، لأجل طول المسافة البرية، وعدم إدراكهم للأعمال البحرية ومع ما عرف من حال أحمد بن الحسن من تضييع من معه كما فعل عند دخول حضرموت[٣١/ أ].

وفي سلخ شهر شوال منها لما خرج أصحاب حسين بن حسن من يافع الداخلي برفاقة

(١) لايستقيم وزن البيت إلا إذا (بها) بدلاً عن (فيها).

(٢) لا يستقيم وزن البيت والأصح: واذكرونا مثلما ذكرنا لكم.

(٣) توجه: أي وجَبَ ذكرها.

ابن هرهرة، واجتمعوا بحسين بن حسن بالحلقة اجتمعت يافع وقالوا: نقصد حسين بن حسن ونخرجه من حدود بلادنا. والحلقة هي حد بلاد يافع، فتعاقدوا جميعاً على القتال كالمعاقدة الأولى، وقالوا: نحمل عليهم للقتال بأجمعنا، ولا نبالي بالبنادق، وأن من سقط منها ندعسه[1] بأرجلنا، ونلاحمهم بالسلاح، ويروح من راح فقصدوهم على هذه الإشارة والنية، وسلوا سلاحهم وفتئت رؤوسهم، واختلجت للقتال أجسامهم وقصدوهم. فكانت حملة عظيمة، ووقعة جسيمة، وقتل من الجانبين مقتلة شديدة بعد أن خرجت الخيل التي لحسين للمقاتلة والطعان بالرماح والمصاولة، وبنادق حسين تحميهم من الحلقة لمن حمل عليهم، والتحم القتال، وطال النزال ثم انقضى الحرب الأول على هذه المقتلة. وكان القتل في يافع أكثر في هذه المرة، ثم لما أصبح الصباح وظهر ولاح قصدوهم بزيادة قد جمعوها، ووفرة فيهم قد لقوها، منهم من يقول سبعة آلاف ومنهم من يقول أكثر، ولفوا عليهم وأحاطوا بهم إحاطة الهالة بالقمر فكهلوهم[2]. وانتهبت[٣١/ ب] بيرق الخيالة بعد قتله وجماعة معه، وقتلوا فيهم أكثر من خرج من الحلقة عليهم، ثم انكسروا واحتازوا فيها، ولم يبق لهم طاقة على مقاتلتهم لكثرة جمعهم وعدم وصول غارة لحسين بن الحسن تعينهم، فلما أيس عن القدرة عليهم خاطب في الخروج عنهم وطلب الأمان، فبذل له الشيخ ابن العفيف، وهو يومئذٍ رأسهم والمتبوع فيهم. وخرج من الحلقة مكسوراً مهضوماً في الليل خشية من قبائل الرصاص؛ لأن قد صاروا في الطريق بعد إظهار الخلاف حتى وصل إلى الزهراء[3] حد بلاد بني الرصاص، وكان قد وقع حرب ما بين الزهراء وبين نجد السلف بينهم وبين الغارة التي كانت وصلت إلى الزهراء من قبل صاحب صنعاء. وكان أيضاً بعد ذلك الحرب الذي جرى قد وقع ما هو أعظم منه من الموجب للخذلان، وعدم تمام الغارة التي كانوا قد أرادوها لحسين بن الحسن من الحريق

(١) ندعسه: نطؤه بأقدامنا، وهي من اللهجة العامية في اليمن.

(٢) كهلوهم: لم نعرف معناها.

(٣) الزَهراء: من قرى ذي ناعم بالبيضاء، تقع بجوار بلدة الرباط. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٧٤٧).

العظيم، والأمر الشديد الهائل الجسيم، وذلك أنه كان حسين بن المتوكل وأكثر أصحابه الذين ساروا معه نزلوا في دار هنالك لحسين بن الحسن. وكان قد وضع في سفال هذه الدار أحمال[٣٢/ أ] من البارود وبقت مطروحة في غرائرها وبعضها في مخزان فيها، فكثر الداخل والخارج من عسكر حسين بن المتوكل، والواصل منهم يصل إليها والفتايل مع بعضهم ملصاة[(١)] ومنهم من يحكها في دهليز الدار بعد تعشريته، فلكثرة الناس وأكثرهم لا يعرفون ما في تلك الغرائر الملقاة فلم يحاذروا أحداً منهم عن شرار النار والفتايل ونحوها من الداخل والمار، فلعله في علم الله، اتصل من ذلك شيء من النار إلى أحد تلك الغرائر البارود فاشتل شلة واحدة، ونفض[(٢)] الدار نفضة هائلة بمن فيه من السادة والفقهاء والعسكر في ضوء النهار، أوان العصر عند أن صارت الشمس للإصفرار، على حين غفلة من أولئك الذين فيها، فكانت أعظم مصيبة وقعت عليهم بها. فقيل: أن جملة الذي حرق بالنار خمسمائة من سادة وفقهاء وعسكر وخدام، ومنهم سادة بني عامر وحسين بن المتوكل حرق أيضاً، وخرج من جانب من الدار، وقد علق به شيء من النار[٣٢/ ب] فكان هذا الأمر العظيم.........[(٣)] من هذا الحريق هو الموجب لخروج حسين بن حسن من الحلقة، وطلب التأمين......[(٤)] ومن الإدبار. والعلم السابق الذي سبق في هذا الأمر الذي فيهم صار أنهم وضعوا بأيديهم ما هو سبب إلى حتفهم وهلاكهم من البارود بأسفل الدار، مما يحاذره الناس ولا يضعوه قربهم ولا تحتهم لجميع الملوك في الأقطار لكنها ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾[(٥)] وكيف يحاذر من دون البارود كوضع الأعلاف آحاد الزراع فإنهم يضعونه في مكان مفرد

---

(١) ملصاة: مُشْتَعلة.

(٢) نفض الدار: أي تهدم نتيجة لانفجار البارود.

(٣) غير واضحة في الأصل.

(٤) غير واضحة في الأصل.

(٥) الحج: ٤٦.

خشية من شرر النار، فأما البارود فهو أعظم في المحاذرة وأبعد في المجاورة، ولكن إذا حضر القدر عمي البصر، وقد يكون ذلك بحكمة الله عقوبة فيما جرى من حريق أصحاب حسين بن حسن لمن في أبين.

وهذه الحروب التي جرت من يافع ما قد جرى مثلها من القبائل؛ لأنهم حملوا على البنادق والرصاص، ولم يبالوا بمن رمى وفات.

وإنما تقع الحملات مع الملوك الكبار الذين يسوقون العساكر بالحملات، بالسيوف المرهفات، وبذل المال والأعطيات، وقد جرى من يافع نحو هذا مع عسكر السلطنة في مدة الوزير حسن[1] لما خالفوا عليه وقتلوا الأمير أحمد واليهم وأخرجوه وهزموا الغارة التي وصلت والأمراء الذين بلغوا إلى نجد السلف وانتهبوهم، وبعد ذلك تركهم الباشا حسن ومن بعده ولم يتعرضوا لهم في جميع مدتهم مع ما اشتغلوا به من الغزوات التي جرت معهم.

وعند ذلك في عاشر[٣٣/ أ] القعدة أمر المؤيد محمد بن المتوكل أولاد المهدي بالعزم إلى بلاد ذمار، فسار إسحاق بن المهدي وحسين بن محمد بن أحمد صاحب الروضة واجتمعوا بذمار، وأمرهم أن يكون بقاهم في تلك الجهات، فساروا يوم السبت حادي عشر شهر القعدة. وكان قد طلب من حسين بن المهدي دراهم من الخزانة التي خلَّفها المهدي، فأجاب حسين أن والده أوصى بديون عليه كثيرة في ذمته لبيت المال وهي تستغرق أكثرها، وإذا بقي اليسير منها فالحاجة إليها. ولما وصل حسين بن حسن إلى الزهراء، لم يلبث فيها وتقدم إلى محل قراره ووطنه وبيوته برداع، وكذلك من بقي من أصحاب حسين بن المتوكل بعد الحريق الذي حصل معهم، وفرغت جميع البلاد المشرقية لأهلها وزالت دولته عنها.

---

(١) حسن باشا: من الولاة العثمانيين الذين تولوا في اليمن في خلال الفتح العثماني الأول في الفترة من ٩٨٨-١٠١٣/ ١٥٨٠-١٦٠٥م. (أ.د. سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص ٣٣٢).

وبقت المحاذرة للمؤيد صاحب صنعاء من محمد بن المهدي صاحب المنصورة ومن المشرق لا يحصل في رداع مع حسين بن حسن قضية لقربة من بلادهم، فلذلك أرسل هؤلاء إلى ذمار يبقون فيه مما يجي من الجانبين.

وفي القعدة غزا الشيخ ابن شعفل إلى قعطبة فانتهبها وأخذ ما في أسواقها، وقال: قد هو أولى بنهبها؛ لأنها في حدود بلاده، و هو يخشى من غزو يافع إليها، فيستأثروا بها عليه وأصحابه، وأن الدولة قد صارت[٣٣/ ب] مفترقة وقد حصل ما حصل من خلاف قبائل يافع، وأخرجوا عنها حسين بن حسن. وحكى الراوي أن هذه الدار التي حرقت وشلتها النار بمن فيها، كما ذكر، كان عمرها حسين بن حسن واعتنى بها في أحسن أماكن تلك القرية وأرفعها، وجعلها ملتقى فيما بين رداع وبين تلك البلاد، لما يحتاج إليه وما يساق من المصالح من البلاد عليه. وكان فيها يومئذٍ دراهم وحبوب ومدافن ودقيق، حرق جميع ذلك، وما بقى من المدافن انتهبه قبائل الرصاص وغيرهم، وصارت تلك الدار خراباً كما وقع في بلاد يافع من خراب بيت الوالي مسمار وخراب بيوته التي كانت على المال الذي له ولحسين بن الحسن مما اكتسبوه من الأبنان، وغيرها من الأطيان، وراح على حسين بن حسن أكثر ما جمعه من الخزائن والبلاد، ولم يبق معه إلا ما في رداع، وهو فيه على وجل من أن يحصل غزوه من قبائل الرصاص لقربهم، فإنه لم يبق بينه وبينهم إلا مسافة اليوم.

قال الراوي: وكان الحريق عقب وصول أصحاب حسين من الحرب الذي جرى خارج الزهراء وقد أقبلوا إلى حسين بن المتوكل ومعهم بعض شيء من رؤوس القتلى، وانتظار الجمالة وتعاشير[1] الوصلة، فكان الأمر العظيم[٣٤/ أ] الحريق حال هذه الوصلة[2] على حين غفلة بسبب الفتائل حال دخولهم الدار وهم يطفونها في الجدار،

---

(١) تعاشير: إطلاق الرصاص ابتهاجاً، وقد سبق ذكرها.

(٢) الوصلة: أي الوصول.

فكان الحريق ذلك الحال فصدمهم هذا. وكان وصول حسين بن حسن أيضاً حال ما جرى، فكان سبب انكسار نفوسهم الجميع، واختذالهم السريع، ولم يبق لنفوسهم ثقة ولا رغبة بالبقاء في هذه البلدة وساروا منهزمين إلى رداع، مضربين عن ما ورائهم، مبتلدين[1] مما هالهم، وقال بعضهم لبعض :ما بقي فينا لهذا اتساع.

وفي غرة هذا الشهر أطلق علي بن المتوكل الأسرى الذين كانوا عند علي بن المتوكل[2] من أصحاب محمد بن المهدي، وكان جرى لهم من الإهانة ما لا مزيد عليه، فإنهم بعد الحرب الذي حصل معهم قد كان أمَّنهم علي، ثم إن أصحابه سلبوهم سلاحهم ولباسهم، وبقوا عراة، لم يبق إلا ما ستر عورتهم وزنجروا بعضهم وحبسوا البعض، وبقوا في الحبس إلى هذا التأريخ وأخرجهم، ومحمد بن المهدي ما زال محمد بن المتوكل يراسل إليه المرة بعد المرة ويكاتبه، حتى انصرم هذه الأيام جواباته بأنه لا يدخل تحت الطاعة إلا بشرط عزل علي بن المتوكل عن الولاية، ولكنه لا يقدر عليه[٣٤/ ب] صنوه، ورتب المراتب، وقوى بيت الفقيه ابن عجيل بولده حسن وجملة من العسكر، وكذلك زبيد. ولوَّم على محمد بن المتوكل في تولية علي بن أحمد صاحب صعدة لجبل صبر، وقال كيف هذا؟ وجبل صبر في حوزة بلدي، وجنب المنصورة عندي، هذا محال أن يتصرف فيه عمال علي وهو تحتي، مع أن علياً قد معه جميع الشام، مع ما انضم إليه من جبل رازح في تلك الأيام.

وصارت الأمور بين محمد ومحمد[3] مشتجرة مختلفة، وصار أمره من ذلك في حيرة، مع قلة المدخول معه من البلاد، لاستيلا محمد بن المهدي على محاسن اليمن الأسفل، وللقطع التي قطعها لمعارضيه في اليمن الأعلى مع قلة محصوله. وقد أنفق خزائن والده وصار الآن يطلب من التجار قرضة، والتجار تعبوا من طلبه، وقالوا: يشق عليهم

(١) مبتلدين: أي مذهولين مستغربين.

(٢) كذا في الأصل كرر علي بن المتوكل مرتين.

(٣) هما الإمام المؤيد محمد بن المتوكل ومحمد بن أحمد بن الحسن (صاحب المنصورة).

يطلب من التجار قرضة، والتجار تعبوا من طلبه، وقالوا: يشق عليهم مطالبته، ولما رأوه من تفرق محاسن اليمن مع غيره، فمن أين يقضيهم إن تمت قرضته؟ ولما تقاصرت عليه الأموال والبذل في الجوامك والرجال هرب كثير من أهل الحيمة الذين كان جهزهم إلى ذمار فمنهم من رجع بلاده ومنهم من نزل إلى اليمن الأسفل عند محمد بن أحمد لملازمته، لِمَا بلغهم الوفاء لأصحابه.

[٣٥/ أ] وقد كان بعض مشائخ يافع مثل الشيخ ابن هرهرة وغيره كتبوا إلى محمد وهو بالسودة التجرم من الوالي مسمار، وأنهم ما وقع بينهم وبينه إلا بسبب تعديه عليهم وجوره، وكل ذلك تبريداً لمحمد عن مادة وتغوير غارة، حتى يتم له ما تم مما بنوا عليه في شأنه، وشكوا عليه ما سار من الزوائد على بلادهم في المطالب الكثيرة، وأنهم لا يصبرون على ذلك الوالي ولا يرتضونه، وطلبوا منه عزله وعزل حسين بن حسن معه، ثم أنهم أبرموا الأمر وأجمعوا على إخراج الوالي والحرب لمن غوره حسين بن حسن وأصدقوا، فوقع الذي وقع. ولقد انتهبوا محطة حسين بن حسن في الحلقة، لم يبقوا فيها شيئاً، وسوروا البيوت وأخذوا الخيام والسلاح. وكان جملة الواقع في الحلقة حربين اثنين الأول: كان فيه القتال العظيم، وقتل من يافع بالبنادق نحو السبعين والآخر: كانت الحملة من يافع الشديدة، والوقعة العظيمة. وكان خرج أصحاب حسين بن حسن وهو معهم للقتال لأول القوم، فقتل أكثر الخيل وبيرق الخيالة وانتهبوا المظلة والراية وجميع المحطة، وراح من أصحابه نحو خمسين نفراً، فطلب حسين بن حسن الأمان عند ذلك، وخرج عنها مكسوراً، وطاساته وطبوله مجفية[1]، وقتل[٣٥/ ب] من أصحاب حسين بن حسن كثير، قيل: أن جملة القتل من يافع ومن أصحاب حسين بن حسن نحو المائتين، من غير المصاويب والحريق الذي اتفق في الزهراء.

---

(١) مجْفية: أي مقلوبة إلى الأسفل أو مُنكَّسة.

ولما وقع هذا الحادث العظيم وانكسار حسين بن حسن على هذه الصفة وزوال خزائنه والحريق الذي وقع عقبه سقط في يده وانكسرت نفسه، وأما يافع فإنهم جمعوا بلادهم، وأنفذوا كلامهم، وتقوت قلوبهم.

ولما كان نصف شهر القعدة الحرام، وتحقق ابن شعفل ما وقع من هذه القضايا على التمام، وهو في مساقط بلاد يافع مما يلي بلاد قعطبة وأبين، قال: ونحن نغزي قعطبة ونجيش عليها للنهبة، فقصدها وانتهبها، وهرب أهلها بعد أن راحت عليهم أموالهم من سوقها وبيوتها، وكشفوا حريمها، ولم يأمنوا سكونها، خصوصاً ما قاربها من البلاد، بعدما شاهدوا الواقع فيها كبلاد مُرَيْس[1] والعثارب وغيرها، حتى بلغ الهارب عنهم من البلاد بعد أن خشيت من قصدهم وفعلهم فيهم مثلما فعلوا في قعطبة.

ومحمد بن أحمد صاحب المنصورة أرسل بعض زيادة من جنده إلى عدن لحفظه، خشية من أن يصول عليه أهل يافع؛ لأن بلادهم قُرْبه. ومحمد بن المتوكل بصنعاء صار يرسل ما وصله من العسكر إلى نواحي ذمار ورداع على ضعف همة وقل مادة؛ لأن البلاد قد صارت مفرقة وأكثر البلاد المحصلة مع ابن المهديمحفوظة، وفرحت هذه القبائل بما جرى في هذه الدولة من الفرقة[٣٦/ أ].

وفي هذا الوقت وهو خامس وعشرين شهر القعدة الحرام وصل كتاب من العولقي يذكر فيه أنه ناوٍ على الأمر الماضي، وأنه لم يكن منه مع هذا الخلاف والواقع من يافع والرصاص تعدي، فأمر محمد بن المتوكل بإشاعة البشارة، والظفر والتنصير بالنيران لذلك.

وفي هذا الشهر أمر محمد بن المتوكل بالضربة[2] بصنعاء، وربما أنه كَفَّر عن يمينه التي

(١) مُرَيْس: جبال بالشرق الشمالي من قعطبة. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٥٠٠).
(٢) الضربة: أي سك العملة.

كان حلفها، ورسم أن يكون صرف القرش بثلاثة حروف ونصف، فتضرر الناس من هذا النقص بهذه العشرين البقشة في كل قرش لما يحصل على بعضهم من الخسران.

وأما ضربة محمد بن المهدي فكانت ضربته متقدمة على هذه، من حال انتصابه للأمر بجهته، ولم يرسم رسماً في صرفها، فكانت باليمن ضربتان: ضربة في اليمن الأعلى، وضربة في الأسفل.

وفي يوم الثلاثاء ثامن وعشرين هذا الشهر خرج عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن بن القاسم إلى جهة قعطبة، أمره محمد بن المتوكل لما طلب حسين بن محمد بن أحمد ذلك، فإنه استقر هذه المدة بعد عزمه في دمت[1]، واستقر قاسم بن المتوكل بمن معه في رداع تقوية لمن فيه، واتفق خروجه من صنعاء عقب العصر، والطالع الذنب في برج الحوت، وكذلك اتفق خروج حسين بن المتوكل قبله كما سبق في هذا الوقت وقت العصر والطالع الذنب في برج الحوت، وكذلك اتفق[٣٦/ ب] الحريق في الزهراء بدار حسين بن حسن وقت العصر والطالع الذنب في حال وصول حسين بن حسن منهزماً من يافع هذا الوقت، وهذا من عجائب الإتفاق في طوالع الذنب لذلك مما لا يكاد يتفق مثله، والقدرة لله تعالى.

وفي هذا الشهر وصل الخبر بأن قبائل الصبيحة والحواشب[2] الذين بجوار جبال يافع وأطراف بلاد عدن وأبين قصدوا إلى لحج، فانتهبوا في أطرافها وأخافوا طرقها، فأرسل صاحب المنصورة ولده وجماعة عسكر معه، فحازوهم ولم يقدر أحد للخروج من البيوت لشدة محاصرتهم. ثم إن صاحب المنصورة زاد بغارة أرسل نقيب العبيد وجماعة معه،

---

(١) دَمْت: مدينة بالشرق الجنوبي من يريم بمسافة نحو ٤٥كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٦٢٠).

(٢) الحَوَاشِب: قبيلة ووطن بأعلا وادي تُبَن في مناطق: المسيمير والراحة والحرور والدريجة وحول مدرم والملاح. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٥٢٥).

فالتقوهم إلى الطريق، احتربوا هم وإياهم، فهزموهم وظفروا بهم وانتهبوهم وقتلوا من قتلوا منهم، ووقعت بالنقيب منهم جنايات، وعاد الباقون إلى المنصورة، ولم يقدروا على النفوذ إلى عند أصحابهم. ووقع أيضاً في خلال هذا غزوة من ابن شعفل في طريق الدمنة انتهب فيها هو والقبائل الذين يقال لهم: الجحافل[1]، وهم الذين كان يقع منهم الخلاف آخر دولة بني رسول في تلك الجهات، كما ذكره المؤرخون. ومحمد بن أحمد بن الحسن ما أمكنه الخروج بنفسه إلى بلاد هذه القبائل خشية من قبائل الحجرية لا يخالفون بعده، فصار في حيرة وكتب عند ذلك إلى محمد بن المتوكل. وأرسل كاتبه أخص الناس به أنه يتفق به ويحضر الحكام والعلماء والقضاة، وتقام الشريعة فيما ادعاه، فأجاب عليه ابن المتوكل أن هذا هو المراد.

[٣٧/ أ]وفي أول شهر الحجة وصل السيد ناصر الديلمي رسول من عند محمد بن المهدي بكتاب إلى محمد بن المتوكل، يقول فيه: أن الإتفاق قد تعذر منه.

قال الراوي: وقد كان أولاً قال في كتابه الذي مع العيزري أنه يتفق هو وإياه والقضاة، ويحضر علي بن المتوكل وحسين صنوه، ويذكر بحضرتهم ما فيهم من الثلم[2] والسيرة، ويحكم بذلك الحكام وما حكموا به كان العمل به، ثم ترجح له بعد عود جواب محمد بن المتوكل الترك لذلك، لما أشار عليه الناس أن هذا لا يكون منه إلا السبب للفتنة، والقضاة قد لا يحصل منهم ما يطابق الغرض مع التحشيد فلا يتم ذلك.

وزاد محمد بن المهدي في الرتب على زبيد وبيت الفقيه وولاَّهما، أما زبيد فجعل فيه ابن الغفاري، وبيت الفقيه آخر من أصحابه، وأمرهم بإخراج الولاة الأولين الذين كانوا من قبل السيد زيد بن علي جحاف، وقطع ما كان يجري إليه منها من غير دفعتها.

---

(١) الجَحَافِل: بطن من مذحج لهم بقية في لحج وأبين. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٢٩٤).
(٢) الثلم: الخلل. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٣٧١).

وفي هذه الأيام قبيل عيد عرفة وصل جواب الرصاص، لما كان طلبه محمد بن المتوكل منه بالطاعة وترك الخلاف إلى محمد بن المتوكل، يذكر له أن حسين بن حسن قد خرج من بلاد يافع ومن بلادنا ولم نتعرضه في طريقه، بل خرج محملاً ومن الآن ما بقى إلى بلادنا سبيل في مطلبة ولا زكاة ولا شيء مما كان[٣٧/ ب] فلا يصل إلينا أحد، ومن وصل دافعناه وأخرجناه؛ لأنه صار يحصل من الولاة الجور في البلاد، وأما إذا مطلبكم الخطبة فعلناها لكم، وأن الولاية لنا في بلادنا.

وفي هذا الشهر الماضي كان ابتداء دخول زحل في برج الأسد من المثلثة النارية، وهو علامة للحروب وغلبة بعض الدولة على بعض، وتجددات كما ذكره أبو معشر[١] والفارسي[٢] في أحكامهما وغيرهما، وقد اتفق باليمن، فإنه كان عند حلوله فيه الحروب باليمن وظهور دولة المؤيد والحسن بن القاسم، ثم دخوله في الأسد حروب جرت في اليمن، واستناد[٣] بلاد يافع للمتوكل وحضرموت، ثم هذه الأيام استرجاع يافع لبلادهم والحروب التي اتفقت منهم، وزحل يومئذٍ في آخر السرطان، ودخوله الأسد في حال الحرب، واستيلائهم على حسين بن حسن. وقبل ذلك أول قيام الإمام القاسم وما وقع من الحروب، وقبل ذلك ما وقع فيما بين أولاد مطهر واستيلاء السلطنة عليهم، وقبل ذلك خروج الوزير الأعظم وحروب مطهر، وقبل ذلك استفتاح الزمر[٤] ويكون بعض ذلك أقوى في الإنفلات من بعض، كمثل هذا الوقت؛ لأنه اقترن بتمام المائة. وقد جرب بأن على رأس كل مائة أحوال مستجدة، واقترن أيضاً بالنيزك العظيم، وبمقارنة المشتري

---

(١) أبو معشر: سبق ذكره.

(٢) الفارسي: هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد الفارسي، ارتحل والده إلى اليمن وبها ولد ابنه هذا، فأخذ الابن على جماعة من علماء عدن، وبرع في علم المنطق والطب والموسيقى، له كتاب في الفلك يسمى (الزيج المظفري) توفي سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م. (الحبشي: مصادر الفكري، ص ٤٨٣).

(٣) غيرواضحة في الأصل.

(٤) الزمر: هو الوالي العثماني أزدمر باشا، الذي تولى اليمن في الفترة من ١٥٤٩-١٥٥٥م، رابع الولاة العثمانيين الذين ينتسب إليه الفتح العثماني الأول لليمن. (أ.د. سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص ١٧٠).

بزحل في ذلك البرج وغير ذلك، والقدرة لله تعالى في كل أمر، والله أعلم. [٣٨/ أ]وقبل ذلك زوال دولة الجراكسة[١] في مصر باستيلاء ابن عثمان عليها وزوال دولة بني طاهر باليمن، وملك الإمام شرف الدين لليمن، وهلم جراء.

وفي هذه الأيام بعث علي بن المتوكل بجماعة عسكر من تعز إلى مدينة إب يسكنون فيها لحفظها لما بلغه انتهاب قعطبة وخلاف ابن شعفل وتلك الجهة. وكان قد تخوفت بلاد بعدان منهم، لا يحصل إلى بلادهم دخولهم، وخالف هذه الأيام بلاد الشعر[٢] وألصوا[٣] في بلادهم النيران، وسبب هذا الخلاف هو الإختلاف فيما بين محمد بن المهدي ومحمد بن المتوكل مع ما كان يجري فيهم من الجور من الولاة في المطالب والاعتساف.

ووصل كتاب من حسين بن محمد بن أحمد إلى محمد بن المتوكل يطلب الجوامك للعسكر، وأنهم صاروا في الحاجة إلى الصُّرف، فبقى محمد حائراً في ذلك، مع كثرة المخروج لهم من غير مدخول يقوم بهم، وصارت التوافي معه من خزانة أبيه.

وعلي بن المتوكل صار في تعز كالمحبوس، وظهر عليه الملل والبؤس، وعلم أنه إذا خرج عنه دخله ابن المهدي ولم يتركه، وكثرت عليه الجوامك، وتضنك أهل تعز وسائر بلاده من المطالب مع غلا الأسعار التي عمت، فبقى الجميع في مشقة عظيمة، وأما محمد بن المهدي فهو متنفس؛ لأن خيرة البلاد المحصلة [٣٨/ ب]تحت يده فلم يكن معه مثلما مع هؤلاء من المشقة، والمدخول من الدفعات لا تزال مستمرة.

وفي هذه الأيام زاد جور ناظر وقف صنعاء الفقيه يحيى بن حسين السحولي الذي فيها، وكثر من تأجير مفاسح[٤] سككها[٥] والفاضل من عريص[٦] أسواقها، وأمرهما بالبناء

(١) الجراسكة: المقصود بهم المماليك.

(٢) الشَعِر: مديرية من أعمال محافظة إبّ، تبعد عن مدينة إبّ نحو ٤٥كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨٦٨).

(٣) ألصوا: أشعلوا النيران.

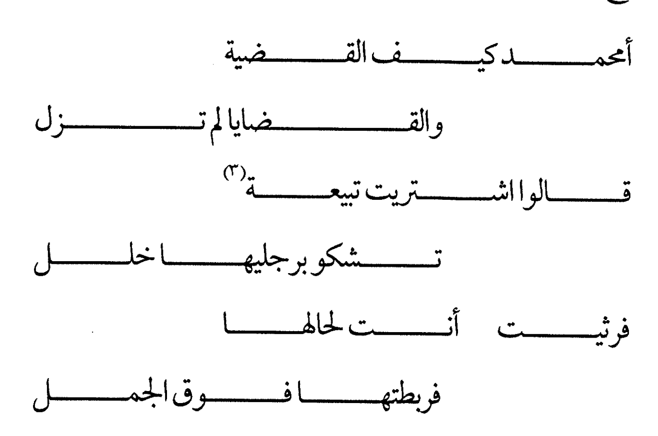
(٤) مفاسح: الفساحة: السعة الواسعة في الأرض. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص١٠٩٤).

(٥) سككها: السِّكَة: الطريق المستوية المصطفة. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص١٧٣).

(٦) العريص: جمع عرصة، سبق ذكرها.

فيها واستغلالها، مع الإجماع أنه لا يجوز التعرض إلى شيء من ذلك، وأنها لمصالح المسلمين مشروعة، ولا حق فيها لوقف ولا غيره من الأمور المبتدعة، حتى بلغ به الحال أن سد بعض السكك النافذة بالكلية، وبناها للوقف صبولاً[1] وبعضها أجَّرها وباعها. وصار يوهم الحكام والعوام وهم بين مجوز له فيما فعله من الأعمال، لعدم الشجار له من غيره وبين مجوز له فعله، وأمره مع علمه ببطلانه أو جهله بغروره وعدم كمال عرفانه، بحيث أن والده كان يستنكر ما يفعله النظار من التساهل في هذه الأعمال، وقال: لا يد مع الوقف في ذلك، وإنما صار يكتبونه في الوقف ظلماً بغير حق، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم.

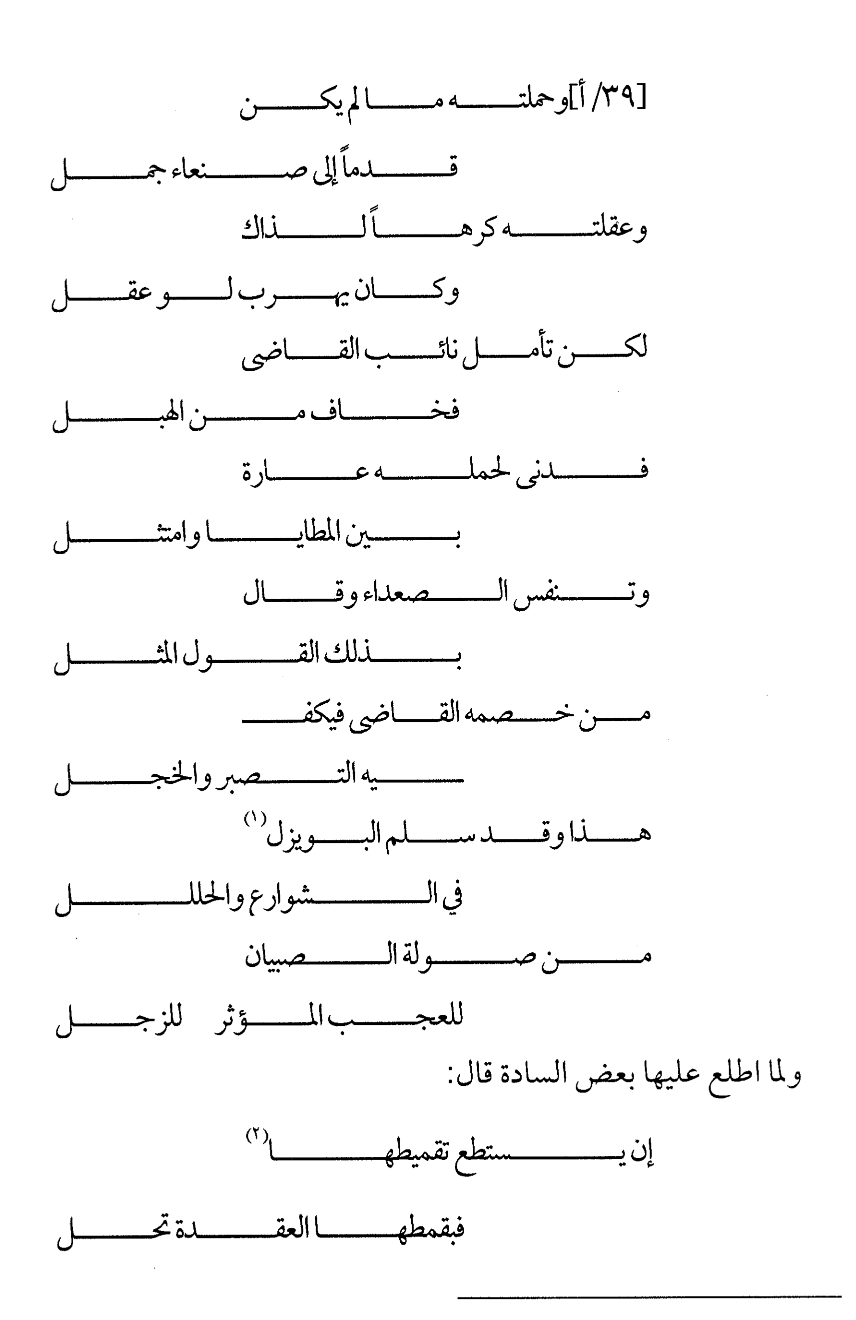
وفي هذه المدة اتفقت نادرة عجيبة وهي أن بعض الفقهاء من بني النحوي اشترى بقرة، فحفت من السير، فترجح له أن استأجر لها جملاً، وفرش عليها تحتها وحملها، فأنشأ أحمد بن علي الشارح[2] هذه الأبيات متعجباً:


أحمد كيف القضية
والقضايا لم تزل
قالوا اشتريت تبيعة[3]
تشكو برجليها خلل
فرثيت أنت لحالها
فربطتها فوق الجمل

(١) صبولاً: جمع صبل، وهو الإصطبل.

(٢) الفقيه العلامة أحمد بن علي بن جابر الشارح اليمني الصنعاني، أديب وشاعر، من السابقين في حلبة البلاغة، الماهرين في صناعة الصياغة. توفي سنة ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م. (الحوثي: نفحات العنبر، مخطوط، ق ١٧٩-١٨٠).

(٣) التبيعة: التبيع: الفحل من ولد البقر؛ لأنه يتبع أمه. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٣١٠).



[٣٩/ أ]وحملتـه مـا لم يكـن

قـدماً إلى صـنعاء جمـل

وعقلتـه كرهـاً لـذاك

وكـان يهـرب لـو عقـل

لكـن تأمـل نائـب القـاضى

فخـاف مـن الهبـل

فـدنى لحملـه عـارة

بـين المطايـا وامتثـل

وتـنفس الـصعداء وقـال

بـذلك القـول المثـل

مـن خـصمه القـاضى فيكفـ

ـيه التـصبر والخجـل

هـذا وقـد سـلم البـويزل[1]

في الـشوارع والحلـل

مـن صـولة الـصبيان

للعجـب المـؤثر للزجـل

ولما اطلع عليها بعض السادة قال:

إن يـستطع تقميطهـا[2]

فبقمطهـا العقـدة تحـل

(١) البويزل: تصغير بازل، يقال للبعير إذا استكمل السنة الثامنة وطعن في التاسعة. (ابن منظور: لسان العرب، مج١،ص٢٠٨).

(٢) تقميطها: القماط: ما يُشد به الصبي في المهد. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص١٦٣).

ويـــــدهنها أدهــــن رجلهــــا
منهــــا نعــــم العمــــل

ولــــربما وعــــسى عــــسى
نحــوي مــن النحــوي الأمــل

واحفــــظ مقامتهــــا لهــــا
ودع الأغــــاني والغــــزل

ومــــن ابتغــــاك ملامــــة
قــل لــست أســمع مــن عــذل

انتهى.

[٣٩/ب]ودخلت سنة ثلاث وتسعين وألف[١]

استهلت بالسبت، والشمس بالجدي بآخر كانون الأول، وفيه في أول يوم من محرم وصلت كتب الحجاج من مكة المشرفة بأن الحج كان مباركاً، وأن اليماني كان ضعيفاً، والأسعار متوسطة.

وأخبروا أنه اتفق للسيد محمد الغرباني حال الوصول إلى مكة، وكان قد ظهر أمره يدَّعي أنه المهدي، فقُبِض عليه بمكة، وكان أيضاً قد أظهر الدعاء من تحت الكعبة، ويدَّعي أنه المهدي المنتظر الذي يقوم آخر الزمان، والملاحم مطبقة على تأخيره عن هذا الزمان.

وفي هذا الشهر غزا صاحب صعدة علي بن أحمد إليالقبائل الذي كان وقع منهم قطع

(١) ١ محرم ١٠٩٣هـ= ٩ يناير ١٦٨٢م.

طريق تهامة إلى جبل رازح، قريب النار[1] فقتل منهم جماعة وانتهبهم.

وفي هذه الأيام أزمع محمد بن المتوكل على التحريك على محمد بن المهدي، فكتب إلى حسين بن محمد بن أحمد وإسحاق بن المهدي بأنهم يتقدمون إلى الدمنة وينتظرون ما يجري، وأنه سيكون في أثرهم إلى ذمار، وإنما يريد قربة تمام الشهر الحرام، فلا قوة إلا بالله، والأمر حري، كما قال الشاعر[2]:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة

على الحر[3] من وقع الحسام المهند

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة

بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم[4]

مع قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[5] [٤٠/أ].

ولكن الأمر كما جرى به العلم السابق والإرادة، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، والله يصلح ما فيه الصلاح.

وصار المؤيد هذه الأيام في حيرة عظيمة من جهة محمد صاحب المنصورة، وما من أمر يريد إبرامه هناك إلا انتقض.

ولو أنهم تقاسموا هذه البلاد وقال الأعلى لك أيها الأسفل ما قد ثبتت يدك عليه، ومع

(١) لم تتضح.
(٢) الشاعر: هو طرفة بن العبد.
(٣) في الديوان: (على المرء). (ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: فوزي عطوي، ص٥١).
(٤) البيت للشاعر المتنبي: وهو نفسه ما عدا (وإن كانوا) بدلها (ولو كانوا). (عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مج٢، ج٤، ص ٢٩٣).
(٥) محمد: ٢٢.

أنه إن والاه، فلا بد له من جعل تلك البلاد عطاه، ولم يبق الإشتجار إلا في مجرد العلامة واللقب، وأمرها سهل بالنظر إلى عاقبة الفرقة، وحصول الحرب والفتنة، ولكن الملك عقيم.

وأما البلاد اليافعية فإن كان مرادهم أنها لا ترجع إلا مع اجتماع الكلمة في اليمن لواحد، فنعم، لكن عيال المهدي غير محمد قد جعلهم ابن المتوكل أنصاره وأعضاده، وهم كما بلغ بواطنهم غير راضية بقتال صنوهم، فربما يختل مع ذلك أمرهم، ولا يتم النصح في قتاله ولا هو أن استولى عليه قهراً تم له النصح فيما قد خرج من البلاد المشرقية له، فالأمور منثورة، والله أعلم لمن تكون الغلبة.

ولعل هؤلاء كان السبب لهم في الإختلاف القياس على من مضى كالإمام المتوكل وصنوه أحمد بن القاسم فإنه جرى بينهما ما جرى وهما أخوان رحمان محرمان مما كان لا يظن أن يقع بينهما محجمة[1] دم لقرابتهما وكبر سنهما، فلما وقع ذلك الإختلاف والإشتجار حتى أدى إلى الحرب والنزال ولم يسلِّم صنوه أحمد لأخيه إلا بالغلبة، ولكنه لما انحسم بسرعة لم يحصل بسببه من القبائل ما حصل في هذا الزمان الآخر[٤٠/ ب]. وكان اتفاق هذا في الزمن الآخر في سنين قاحطة وأسعار مرتفعة لم يكن مثلها مما سبق فيما كان جرى في الأيام الماضية، ولعل لهذا أسباباً وهو ما كثر في هذا الزمان من الجور من الولاة والزيادات في المطالب من غير مبالاة. ويقال: إنه ولىَّ أنو شروان[2] عاملاً فأنفذ العامل إليه زيادة على الخراج ثلاثة آلاف درهم فأمر أنو شروان بإعادة الزيادة إلى أصحابها وأمر بصلب العامل. وكل سلطان أخذ من الرعية شيئاً بالجور والغصب وخزنه في خزائنه كان

---

(١) محجمة: أي حجامة: والحجامة مداواة بشيء كالكأس يفرغ من الهواء ويوضع على الجلد فيحدث فيها تهيجاً ويجذب الدم أو المادة بقوة. (المنجد في اللغة، ص١٢٠).

(٢) أنو شروان: هو كسرى الأول، وخسروا أنو شروان. ملك ساساني (٥٣١-٥٧٩م) حارب البيزنطيين، واحتل أنطاكية ولاذق، وأُجبر على عقد هدنة مع البيزنطيين عام ٥٥٥م. استولى على اليمن سنة ٥٧٠م، اشتهر بعدله. (المسعودي: مروج الذهب، مج١، ص٢٦٣-٢٧٠).

مثله كمثل رجل عمل أساس حائط ولم يصبر عليه حتى يجف، ثم أوقع البنيان عليه وهو رطب، فلم يبق الأساس ولا الحائط. وينبغي للسلطان أن يأخذ الذي يأخذه من الرعية بقدر وأن يهب ما يهبه بقدر؛ لأن لكل واحدٍ من هذين الأمرين حداً، ذكر هذا القضاعي[1] في منهج السلوك، وقال أيضاً في التوراة :كل ظلم علمه السلطان من عماله فسكت عنه كان ذلك الظلم منسوباً إليه، وأُخذ به وعوقب عليه، وقال ازدشير[2]: إذا كان الملك عاجزاً عن إصلاح خواصه ومنعهم عن الظلم، فكيف يقدر على رد القوم إلى الصلاح، وقال الأحنف ابن قيس[3]: شيئان لا تتم معهما حيلة إذا أقبل الأمر فليس للإدبار فيه حيلة، وإذا أدبر فليس للإقبال فيه حيلة، انتهى ما ذكره القضاعي، والله أعلم.

ولما اشتد الضرر لكثير من أهل مدينة تعز من أهل السوق والسماسر والجبارين خرجوا من تعز بأهلهم، وتركوا أعمالهم؛ لأنه صار أصحاب علي بن المتوكل يتدينون منهم، ولا يسلمون لهم القيمة بل يمطلونهم[4].

وفي نصف هذا الشهر دخل حسين بن أحمد بن الحسن من الغراس إلى صنعاء، وعرض عليه محمد بن المتوكل العزم إلى اليمن الأسفل، فأجاب بأن قد أرسل صنوه إسحاق ومن معه من العسكر، وعليه أعمال في بيوت والده بالغراس وحصن ذمرمر.

---

(١) القضاعي: هو محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون، أبو عبد الله القضاعي، مؤرخ، مفسر، من علماء الشافعية. تولى القضاء بمصر نيابة، وتوفي فيها سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م. له العديد من المؤلفات، منها: (تفسير القرآن) عشرون مجلداً، و(الشهاب في المواعظ والآداب) ولم يذكر صاحب الأعلام كتابه (منهج السلوك) ولعله يحمل اسم آخر. (الزركلي: الأعلام، مج٦، ص١٤٦).

(٢) أزدشير: من ملوك الفرس، ملك بعد أخيه (سابور بن هرمز) وهو أزدشير بن هرمز، وكان ملكه إلى أن خُلع أربعين عاماً. (المسعودي: مروج الذهب، مج١، ص٢٦٠).

(٣) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري السعدي التميمي، سيد تميم (٣ق هـ-٧٢هـ/ ٦١٩-٦٩١م) أحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان. يضرب به المثل في الحلم، ولد في البصرة وأدرك النبي ﷺ ولم يره، وفد إلى عمر بن الخطاب، وشهد الفتوح في خراسان، شهد صفين مع علي بن أبي طالب، وولي خراسان، وتوفي بالكوفة. له خطب متفرقة في كتب التاريخ والأدب والبلدان. (الزركلي: الأعلام، مج١، ص ٢٧٦).

(٤) كذا في الأصل: صحتها يماطلونهم.

وفي هذه الأيام تلاحقت الكتب من حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم من دمت يطلب جوامك العسكر، وأنه قد هرب جماعة لما تراخى عليهم العدد مع غلاء الأسعار، ومحمد بن المهدي صاحب المنصورة ما زالت المكاتبة بينه وبين صاحب صنعاء وهو يذكر فيه الشروط إن تمت سلّم لمحمد صاحب صنعاء وإلا فهو باق على ما هو فيه لإزالتها. وهي: عزل علي بن المتوكل وعزل السيد حسن الجرموزي والي المخا ومنع ولاة بيت المال عن قبض محصولات الأوقاف، فلم يدخل له محمد صاحب صنعاء في شيء من هذا وقال: إنما يكون مثل ذلك من بعد التسليم لنا، فتمانعوا، وما زالت الكتب دوارة، والرسل متلاحقة من صاحب صنعاء في الدعاء له وهو لا يجيب إلا بتمام الشروط أولاً، ثم كان آخر الجوابات منه أن قال: إذا قد بنيتم على عدم فعل شيء مما شرط عليكم كنتم على حالكم في البلاد التي قد أجابتكم ونحن على حالنا في البلاد التي تحت أيدينا[٤١/ب] ولنا النظر من بعد على ما اقتضاه نظرنا. فتغير محمد صاحب صنعاء من هذا الجواب الآخر، وطلب القضاة وغيرهم من الأعيان، وطلب مشورتهم، وكيف يكون الأمر في ذلك؟ فاختلفوا، فمنهم من أشار عليه بالتجهيز والمناجزة والمحاربة، ومنهم من لم يجب بنفي ولا إثبات، ومنهم من قال: يجعل له بلاده جميعاً التي كانت معه من أول وما زاد إليها من بلاد زبيد وبيت الفقيه ابن عجيل التي قد أثبت يده عليها وجميع بلاد المشرق، ويكون عهدتها عليه فيها، وهي بلاد يافع وبلاد ابن شعفل مع عدن، وهذا كله غير مطابق لمقصوده، فإن هذه البلاد قد صارت تحت يده من غير حاجة له إلى ولايته، وأما يافع فأهله قد تغلبوا عليه، ولا يد لأحد غيرهم عليه.

وفي هذه الأيام زاد محمد بن أحمد بن الحسن في رتب بلاده مثل بيت الفقيه ابن عجيل جعل فيه من الخيل والعسكر قريب ثلاثة آلاف فأكثر، وهرب إليه من أصحاب حسين بن محمد[1] من دمت جماعة من العسكر، وما زال أمره يقوى، ورتب بلاد الدمنة

(١) هو حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم.

لما بلغه تحرك حسين بن محمد بن أحمد بخروجه من دمت إلى بلاد الجند. وإسحاق بن المهدي[٤٢/ أ] صار في ذي أشْرَق[1] بمن معه وصاروا متراكزين ومتقابلين، كل منهم يراعي الفتح من جانبه، مع أن أصحاب إسحاق بن المهدي من أصحاب والده قلوبهم مع محمد صاحب المنصورة، لإحسان والده عليهم، وكونه من عساكرهم وجميع أولاده، وإنما أعمالهم مع هذا توجيهات. ولذلك صرح لمحمد بن المتوكل مشائخ الرحبة وهمدان بأنهم معه إذا كان المراد دخول بلاد يافع، وإن كان مراده قصد محمد صاحب المنصورة فلا يمكنهم حربه، فإنهم أصحاب والده. وهم معهم مع أن هذه الساعة شاقة على الناس، فبقي محمد هذه الأيام مضطرب أحواله، وكان قد كتب إلى صنوه حسن صاحب اللحية أنه يجمع العسكر معه، وكتب إلى حراز ينضمون إليه ويقصدون بيت الفقيه، فامتنع أكثر أهل حراز وهم الشافعية، مع أن قد صار في بيت الفقيه قوة، يقال: قريب مائتين من الخيل، ومن العسكر قدر ألف نفر[٤٢/ ب].

وفي هذه الأيام كان قد أرسل قاسم صاحب شهارة كاتبه وصهره السيد أحمد الشرفي إلى عند محمد بن المتوكل من أجل بلاد تهامة وزبيد التي كان جعلها إليه حال اتفاقهم بخمر، فلما بلغ القاسم أن محمد صاحب المنصورة رتبها بالعساكر علم تعذرها، فأرسل إلى السيد بعوده، وأنه قد استخار الله في طلبها.

وفي هذه المدة بأول شهر صفر وصل الشيخ ابن شعفل إلى حضرة محمد بن المهدي إلى المنصورة، لما رأى أصحاب حسين بن محمد بن أحمد قد أرادوا التوجه إلى بلاده، وقال لمحمد بن المهدي هو من أعوانه وأنصاره هو وجميع قبائله، فأمر أصحابه بحفظ أطراف بلادهم، واتفق حال خروج حسين بن محمد بن أحمد من دمت يوم الإثنين تاسع عشر شهر محرم، والطالع الحوت مع الذنب.

---

(١) ذي أشْرَق: قرية كبيرة، أعلا وادي نخلان من مديرية السياني، وأعمال محافظة إبَّ، وهي على مقربة من مدينة جبلة. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٧٠).

وفي هذه الأيام ذكر لي بعض خواص محمد بن المتوكل أن محمداً أودعه ما يكون الرأي في هذا الأمر، وأنه في حيرة في النظر، وأن محمد بن المهدي قال: لا يسلم الأمر إلا بتمام الشروط التي شرطها، وأن ابن المتوكل قال :يصلح ذلك لكن بعد تقديم تسليمه أولاً، فأجبت أن الرأي في هذا أحد أمرين، إما الدخول فيها شرطه أو تركه في بلاده على حاله، وأنه لا بد له من تلك البلاد التي ثبتت يده سواء وقع بينهم المعاملة[٤٣/ أ] أم لا، فما ذاك الفائدة، بل إن سلَّم له فلا بد له من زيادة عليها.

وقد قال النجري[١] في معياره وابن عبد السلام[٢] في قواعده :أن درء المفسدة أولى من جلب المصلحة، ثم إنهم أرحام وأقارب، فلا يكون هذا قطيعة فيما بينهم ، وقد نهى الله عنه ومع تباعد الديار ولم يفت شيء غير مجرد اللقب والنظر في المصالح والمفاسد مقدم خصوصاً مع تباعد الديار. فقال هذا الواصل المستمد للرأي: لكن علي بن المتوكل لا يقدر على عزله صنوه إلا بفتنة، فأجبت عليه أنه إذا كان هكذا وجب عليه أن يتبرأ من أفعاله، إلا إذا دخل في أوامره، فإنه بالإجماع جارت سيرته باليمن، وجار أصحابه ولم يكن له كلمة نافذة على أصحابه، ولا رفع بشيء مما شكاهم إليه أهل بلاده[٣]، فإنه إن لم يفعل

(١) النجري: هو عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن ثامر بن فضل بن محمد العبسي العكي، المعروف بالنجري (٨٢٥-٨٧٧هـ/ ١٤٢٢-١٤٧٣م) عالم شهير، مفسر، مشارك في أغلب العلوم، كان من شيعة الإمام المطهر بن محمد بن سليمان، ارتحل إلى مصر فدرس على شيوخها. ثم عاد إلى اليمن، وتوفي بقرية القابل وقبر هناك، اما كتابه المعيار فهو (معيار أغوار الأفهام في الكشف عن مناسبات الأحكام، جعله على نمط كتاب القواعد لابن عبد السلام الآتي ذكره. (عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص٦١٦).

(٢) ابن عبد السلام: هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي (٥٧٧-٦٦٠هـ/ ١١٨١-١٢٦٢م). الملقب بسلطان العلماء، فقيه شافعي، بلغ رتبة الاجتهاد، ولد ونشأ في دمشق، تولى الخطابة والتدريس بها، ثم انتقل إلى مصر، تولى بها القضاء والخطابة في عهد الصالح نجم الدين أيوب، إلى أن توفي بها.
أما كتاب القواعد فهو: (قواعد الأحكام في إصلاح الأنام) في الفقه، وهو مطبوع. (محمد عبد القادر بامطرف: الجامع، مج١، ج٢، ص٧٠٣؛ الزركلي: الأعلام، مج٤، ص٢١).

(٣) كُتب في حاشية الكتاب بخط مختلف عن خط المؤلف في هذه الورقة ما يلي: (والمؤيد بالله لم ير ما يوجب عزل صنوه الجمالي، ولا ما يوجب زيادة ما يُطلب إليه من صاحب المنصورة ، وقد وفَّى له بتقريره على ما كان له من والده).

ذلك كان مشاركاً في إثمه. ثم إنه يحتاج إلى التنبيه في أمور في بلاده العليا منها: خراب كثير من أوقاف مساجدها وإهمالها وتصرف غير مستقيم فيها وجمع بعض محصولها لغير مصرفها وتضييق سكك صنعاء بإدخال مفاسحها للوقف وهو لا يجوز وليس للوقف استحقاقها بالإجماع، كما ذكره السبكي في كتابه معيد النعم ومبيد النقم[1] وافتقاد مكاييل صنعاء، فإنه صار صانعها يزيد فيها في كل وقت مما يمحق أسعارها ويغيرها ويؤدي إلى الحرام المجمع لمن اقترض بالمكيال الأول وقضاه [٤٣/ ب]بالثاني بعد الزيادة فيه مما هو ربا حرام فيها، وأنه يفتقد تقارير الناس وإمرارهم على عوائدهم، وتنزيل الناس منازلهم، ورفع المظالم منهم لكي يحصل من الله الرحمة لهم، ففي الحديث: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، وفي حديث آخر: «لا توكي فيوكى عليك»، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[2].

وأن المطالب في اليمن الأسفل قد زادت وكثرت، مع الطوارئ الزائدة، وعدم التوقف على الحدود الشرعية، بحيث أخبرني بعض أهل تلك الجهة: أن الذي يصير إلى الدولة فوق النصف، وهذا أمر عظيم غير معروف في السابقين الأولين في كلامٍ هذا محصوله، ولولا طلب المشورة ما كنت أذكره لما في الحديث عنه ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه».

وقول الشاعر:

لا تبادي بالرأي من قبل أن
تسأل عنه ولو رأيت عوارا
أحمق الناس من أشار على النـ
ـاس برأي قبل أن يستشارا

(١) السبكي وكتابه: (معيد النعم ومبيد النقم) سبق ذكره.

(٢) الرعد: ١١.

وأخبر الحجاج أن المسجد الحرام تم فيه ما أمر به السلطان من رصه جميعاً، وتصليح مناهله، وجر عين الزرقاء إلى خارج مكة على طريق جدة.

وفي شهر صفر ظهر من إبراهيم بن المهدي الميل إلى صنوه، وأنه صار يكاتبه ويصل إليه دراهمه، وأنه جهز جماعة من[٤٤/أ] عسكره إلى حبيش لقبضه فمنع عنهم واليه السرى، ووقع بينهم طرف من المراكزة، فلم يتم دخولهم[١]، ورجعوا إلى يريم ثم تهيأ للنزول إلى بلاد المخادر، وكتب إلى واليها التأهب بما يحتاج إليه، فطلع جماعة من عسكر علي بن المتوكل إلى سمارة، لمنع المذكور عن النزول لما ظهر أنه يريد القبض على تلك الجهة، فترك عند ذلك.

وفي نصف شهر صفر ليلة خامس عشر خسفت القمر في الساعة السابعة ببرج السنبلة بالرأس، تغشاها الخسوف جميعاً بحمرة، وكان صاحب الخسوف زحل في ثانيه ببرج الأسد، وكان المريخ في المقابلة بالحوت مع الذنب، وهذا الخسوف قد كان ذكره صاحب التقويم المصري الخارج العام الماضي.

وكان بأول صفر وفاة السيد يحيى بن أحمد بن محمد العياني الحمزي المعروف بأحمد سيد بداره كوكبان، وأبوه وجده كانوا مع بني شمس الدين بن الإمام شرف الدين.

كان هذا السيد من الطلعة الأولة[٢] قد ناهز الثمانين السنة.

وفي هذه الأيام أرسل صاحب المنصورة محمد بن أحمد المهدي إلى بلاد يافع بأنهم يرسلون إليه جماعة من أصحابهم، فأجابوا أنهم حافظون بلادهم، فلا يتم خروج[٤٤/ب] أحد منهم.

وفي يوم الأحد ثاني وعشرين شهر صفر منها وصل كتاب محمد بن أحمد من المنصورة

---

(١) وردت في الأصل دخلوهم.

(٢) الطلعة الأولة: أي من الجيل السابق.

مصدراً في باطن كتاب من صنوه إبراهيم الساكن بيريم إلى محمد بن المتوكل المؤيد يذكر أنه قد سلَّم له الأمر صيانة للمسلمين، لكن بالشروط التي قد بذلها، والمواضع التي قد وضعها.

وفي خلال ذلك انتهبت قعطبة النهبة الثانية، ووقع فيها معرة عظيمة وفعلة جسيمة، والناهب لها الشيخ الجلاد بأصحابه من أهل يافع، بسبب كتاب وصل إليهم من صاحب المنصورة بالغارة في معاونته والقصد إلى قعطبة.

وفي آخر شهر صفر عند استكمال ربيع الأول اجتمعت الكواكب الخمسة الشمس، والقمر، وعطارد، والزهرة، والمريخ، والذنب أيضاً في برج الحوت، دليل الأمطار الواسعة.

وفي هذه الأيام ثاني يوم من شهر ربيع الأول وصل جواب صاحب المنصورة إلى صاحب صنعاء بالتسليم، وأنه يأمر برفع المحاط التي صارت مقابلة له في الجَنَد وذي أشرق.

وفي غرة هذا الشهر توفي القاسم بن محمد بن المتوكل برداع، وكان أرسله والده أميراً على العسكر الذي أرسلهم إلى هنالك، وتفرق أكثر عسكره من رداع من أهل الحيمة وغيرهم، وتحدث حسين بن حسن عند أن بلغه تسليم ابن أخيه لمحمد صاحب صنعاء بأنه يريد دخول بلاد يافع، وأن المحاط تدخل معه، فبلغ يافع حديثه، فاجتمعوا وقالوا[٤٥/ أ]: نغزوا إلى رداع قبل أن يجتمعوا ويغزونا، وكتبوا إلى قيفة أنهم يأذنوا لهم بالمرور في بلادهم، فامتنعوا وقالوا: لا تدخل قبيلة على قبيلة. وبلغ محمد بن المتوكل ذلك فخشى لا يحصل ما حصل، فكتب إلى محاط اليمن الذين كانوا حاطين على صاحب المنصورة بالطلوع إلى نواحي ذمار ورداع.

وفي هذه الأيام تفلَّس بعض البانيان وهرب وعليه ديون واسعة للمسلمين، ودخل في صورة يهودي متنكراً، وجاء طريق اللحية.

وفي يوم الإثنين ثالث عشر شهر ربيع الأول كان دخول الشمس أول درجة في الحمل، وزحل في الأسد، والمشتري في السرطان، والمريخ مع الذنب بالحوت ،والرأس بالسنبلة، والزهرة محترفة مع الشمس، وعطارد بالحمل والقمر في السنبلة، وسيكون قران الثقيلين زحل والمشتري في برج الأسد في آخر السنة، والله أعلم.

وإبراهيم بن المهدي قبض دفعة العدين لما وصلت يريم في الطريق، فتغير محمد بن المتوكل من ذلك تغيراً عظيماً، لأجل أخذه لها من غير إذن مع حاجته، واعتذر إبراهيم أنه احتاج ذلك لمن عنده من العسكر.

[٤٥/ ب] وفي هذه الأيام أمر محمد بن المتوكل بأن تكسر ضريبة صنوه علي بن المتوكل بتعز، وأنها لا تمر بصنعاء، فبقى الناس في حيرة من أجلها، ثم تراضى أكثرهم على قبولها وبعضهم لم يقبض شيئاً منها.

والمهدي صاحب برط المسمى محمد بن علي الغرباني من بني مكنَّى[1] من سادة غربان، عاد من البحر بعد الحج والزيارة للنبي ﷺ فوصل مع جماعة حجاج من أشراف كوكبان، وسكن بكوكبان حتى يتوثق في الوثاقة في الدخول إلى بيت والده بصنعاء، وربما تيسر له من السبار ما يهوى، فترك المؤيد بن المتوكل جوابه، وأعرض عن خطابه وأيس المذكور عن المناصر لدعوته التي دعا بها بالبلاد البرطية، لما أصابها الجوع وارتحال جميع أهلها عنها وتفرقهم في البلاد والأنحا للمعيشة خرج منها وقصد الحج من طريق الخوخة[2]. فوقع عليه في الطريق ما وقع من الإنتهاب لحوائجه وكتبه، والترسيم من صاحب بيشة لما أظهر نفسه باللقب فيها، وتخلص بمشقة حتى دخل مكة وحج فرضه وزار، وخرج بحراً مع

---

(١) بنو مكنّى: هم سلالة مكنّى بن الهادي بن القاسم بن يحيى بن مكنى بن حمزة بن عبد الله بن الأمير محمد ذو الشرفين، يصل نسبهم إلى الحسن بن علي بن أبي طالب. (زبارة: نشر العرف، ج٣، ص١٨٦-١٨٧).

(٢) الخُوْخَة: مدينة وميناء قديم على ساحل البحر الأحمر، شمالي المخا، وغرب مدينة حيس. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص٣١٢؛ المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٥٨٥).

حجاج كوكبان[٤٦/ أ]، وكان في صحبته أولاد الأمير ناصر صاحب كوكبان، اضطر إلى مرافقتهم لانقطاع زاده، فلما وصل كوكبان أعاد ما كان طواه من الدعوى في سالف الزمان، وقال: هو الذي يصلح وفيه كمال العلم التام، فعند ذلك باحثه من بكوكبان من العلماء والأعيان في المسائل العلومية والأحكام، ، فحصروه في عدة مسائل وظهر لهم كمال قصوره. وكان أكثر من تصدى لمراجعته ومباحثته الفقيه العارف محمد بن حسن الحيمي في النحو وعلم الأصول والفقه، ورأى من المسائل والمناقشة ما حار فيه فهمه، وتبلدت معرفته وقريحته، وما ذاك منهم إلا لما رأوه يطلب البحث ويدعي العرفان، فمن جملة ما أحصر عنه السؤال في فائدة قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾[1].

ما القصد في تخصيص توجيه سؤالهم للجلود دون سائر أعضاء الجسد التي شهدت؟ والمراد به، كما ذكره أبو السعود[2]، هو أنها لما كانت المباشرة لفعل القبيح، وكان المراد بها الفروج كما في تفسير ابن عباس[3] خصت بالسؤال لها فهي المباشرة الملتذة دون غيرها. وسؤال آخر فقهي وهو: ابتاعت أرض لها ساقية تمر في ملك ثم تخرج إلى مباح ثم تدخل الأرض المبيعة، هل فيها شفعة؟، فأجاب بثبوت الشفعة، ولا ينبغي كذلك لأنه يشترط ملك الساقية ولا ملك. ثم بعد ذلك انكسرت همته التي كانت في نفسه، وقنع بالإياب عما كان طواه بأمنيته، وصدق من قال: من لم يعرف قدره وقع في خطره، وما هلك امرؤ عرف قدره، وعند الإمتحان يكرم الرجل أو يهان. وعلموا عند ذلك أن علمه علم بادية، وعوارش غير خافية، كأنه سراب بقيعة يحسبه الضمآن ماءً.

---

(١) فصلت: ٢١.

(٢) أبو السعود: هو المولى أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (٨٩٨-٩٨٢هـ/ ١٤٩٢-١٥٧٤م)، فقيه تركي، تعلم اللغات العربية والفارسية وعلوم الفقه، وجلس للتدريس، ثم تقلد القضاء ثم منصب الإفتاء، عُرف بالعديد من الألقاب منها: العلامة، وخطيب المفسرين، ومفتي القبلتين، انصرف إلى وضع كتاباً في التفسير هو (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم). (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٣، ص ٢٤١).

(٣) هو عبد الله بن عباس، سبق ذكره.

مع أن التزكية للنفس لا ينبغي للعالم، فإن الله تعالى قد مقت على ذلك، وامتحن موسى عليه السلام لما أجاب السائل[٤٦/ ب] عن من أعلم في الأرض فقال: أنا فامتحنه الله بلقيا الخضر[1]، وطلبه والإتفاق به على مشقة، كما قصه الله تعالى في كتابه ووصفه النبي ﷺ ي روايته حتى ظهر له علم ما لم يعلم، وقد قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[2]، وقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[3].

فكيف حال من كان دون الأنبياء من هذا البشر، الله المستعان. ثم وصل السيد صنعاء، ورجع إلى حضرة والده وهو يهرول ويسعى. وأخذ عليه المؤيد محمد بن إسماعيل المتوكل البيعة لنفسه فلم يسعه إلا موافقته، مع أن محمداً ما طالبه لذلك إلا لما صار يدعو إلى نفسه، فأراد قطع حبله وذريعته، مع أنه قد أدبه الزمان، وصار مضطراً إلى ترك ما عليه كان.

وفي نصف شهر ربيع الأول وصل كتاب حسين بن حسن إلى المؤيد محمد يقول فيه: إنه بلغنا أنك اصطلحت أنت وصاحب المنصورة وأقطعته بلاد المشرق من يافع وغيرها، وهذا لا ينبغي منك وأنه لا يسمح ببلاده، وأنه باقي بالإرتحال إليها، وما يصلح منك إلا المعونة على إرجاعها وردها على حالها، وإن لم يكن منك ذلك فلا تتعرض لتوليتها.

وكذلك وصل كتاب من علي صنوه فيه معاتبة يذكر له أن الشروط التي جعلتها ما كان ينبغي فعلها منقوضة، ولا يتم أمرها لما بلغه أن شرط ابن المهدي رفع علي عنها، فجمع المؤيد صاحب صنعاء القضاة وحسين بن المهدي، وقال: ما ترون في هذا؟ فأجاب

---

(١) الخضر: اسم يتردد في بعض الروايات الإسلامية، واختلف الرواة في سنه وزمنه، قيل هو لقب رجل من بني إسرائيل، وقيل هو المسيح، وأنه كان من المعمرين وأنه عُرف بالحكمة. وفي رواية بعض المفسرين أنه العبد الصالح الذي التقى به موسى في طريقه إلى مجمع البحرين، وتحيط بشخصية الخضر الكثير من الأساطير. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٢، ص٢٤٨).

(٢) يوسف: ٧٦.

(٣) النجم: ٣٢.

البعض أن الشروط التي شرطها ابن المهدي أرجع عنها وقرر كلاً على بلاده، فأهم بذلك وراق في خاطره، فعارضه حسين بن المهدي، وقال :كيف ترجع في شيء قد وضعته وجهزته وقررته وأمرتنا بوضع شهادة مثل ذلك للصنو محمد بن المهدي؟ فهذا لا ينبغي، ومثله تكلم السيد أحمد بن إبراهيم المؤيدي والقاضي محمد قيس.

[٤٧/ أ] ولفظ الوضع الذي وضعه محمد بن المتوكل لمحمد بن أحمد بن الحسن هو ما لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ألف بين قلوب أصفيائه، وجمع شمل من اختار من أوليائه، لصلاح بلاده وعباده: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[1] بأمره وإنفاذه، والصلاة والسلام على محمد الذي جمع الله به شمل الأمة، وكشف به كل بؤس وغمة، وهدى الخلق من الجهالة، وأرشدهم من الضلالة وصلى الله عليه وعلى آله في كل وقت وحين. أما بعد: فإنه لما وصل إليَّ السيد النجيب العلامة النسيب بدر الدين محمد بن صلاح القطابري أسعده الله بذلك الوجه الذي وضعناه بخطنا وطلبنا فيه والشروط الدينية التي اشترطنا، وعاد الجواب في قفا[2] خطنا بخط الصنو الإمام المؤيد بالله داخلاً فيما اشترطنا، ملتزماً على نفسه بما ذكرنا، وأشهد الله على ذلك وهو خير الشاهدين، ثم أشهد على وضعه الصنو السيد الجليل الأوحد علم الدين القاسم بن أحمد بن أمير المؤمنين ومن حضر من الأصناء الكرام، والقادة الفخام، والعلماء الأعلام، بأسمائهم المعروفة في ذلك الطرس[3]، استخرت الله تعالى وهو المستخار،

(١) الأنفال: ٦٣.

(٢) قفا: خلف، ويقصد خلف الورقة.

(٣) الطرس: مفرد طروس، سبق ذكرها.

وتوكلت عليه وهو الملك القهار بموالات الصنو المؤيد بالله أيده الله، وواليناه وحللنا هذه القلادة[٤٧/ ب] بهذه الشروط الدينية، وحقن دماء المسلمين وأشهدنا على ذلك من حضر لدينا وجعلنا موضوعنا هذا شاهد يطلع عليه الأصناء الكرام، والعلماء الفخام، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

حرر بمحروس المنصورة حرسها الله تعالى، يوم السبت ثاني وعشرين شهر صفر، سنة اثنتين وتسعين وألف[1]، ثم ما أمر أيدينا، عليه من البلاد التي تحت أيدينا وما منَّ به علينا من أهل المشرق كافة ويافع حسبما تضمنه الموضوع الذي بأيدنا، وما اشتمل عليه من الموالاة، وأشهدنا من حضر ورقم اسمه في هذا الطرس، والمرجو من الله الوفاء بما شرطناه من الأمور الدينية، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم انتهى.

وفي هذه الأيام بقى المشرق تضطرب أحواله، وتغير أعماله، فبقى المؤيد مشغولاً بذلك، وتقوى في ذهنه أن مراده قصده، فأفاض على الفقير إلى الله كاتب الأحرف[2] هذا فقلت: وقد عزمتم على ذلك وحررتم النية، وإلا فما كان لفتح المشرق مصلحة، فقال :نعم قد بنى على ذلك، فقلت له: لا بد لكم من النصاب الكامل من العسكر وما يحملهم أقل حالة مثل عسكر بني طاهر، وهم قدر عشرين ألفاً، فأنتم تقدرون على هذا؟ وإلا فالترك أولى، فقال: نعم هو يحصل ربما إذا طلب من أولاد أعمامه وإخوته إذا لم يحصل مما كره منهم، فقلت: لكن قدَّموا اجتماع الكلمة بينكم وبين صاحب المنصورة أولاً، فلم يعجبه هذا بل قال: هو قد سلَّم الأمر لنا وظهر منه أن مراده إرجاع البلاد إلى حسين بن حسن على أنه خاب وهو عين المخاب، وما الأمر إلا كما قال الشاعر:

---

(١) الأصح ١٠٩٣هـ، لعله خطأ غير مقصود من المؤرخ؛ لأن الإمام المهدي أحمد بن الحسن توفي في شهر جمادى الآخر سنة ١٠٩٢هـ/ يوليو ١٦٨٠م.

(٢) كاتب الأحرف: المقصود المؤلف لهذا الكتاب يحيى بن الحسين بن القاسم.

إن صــــحبنا الملـــوك تـــاهوا علينـــا

واســـتبدوا بـــالرأس دون الجلـــيس

[٤٨/ أ] وليت هو رأي لا يرجع فيه، ولكن متى عقد الرأي لم يتم بل يرجع فيه وينقض في الحال فلا قوة إلا بالله.

قال السيد أحمد بن إبراهيم المؤيدي والقاضي محمد قيس: فسكت وتردد في ذلك الأمر، وعليه التبس، وبلغه ما قالته يافع، وكتبوا به إلى بلاد قيفة من أنهم يأذنون لهم في غزو حسين بن حسن إلى رداع لما بلغهم كلامه. وأنه يريد الدخول عليهم بعد شرطهم عليه حال إخراجه، وكل ذلك منهم إنما هو هنجمة[1] على حسين بن حسن، لأجل يعرف أنهم غير راضين به، ولأجل يكف عنهم دخوله.

واتفق عند ذلك أخذ إبراهيم بن المهدي لدفعة العدين، وكانت واصلة إلى صنعاء، فأخذها، وقال: هو في حاجتها لمن عنده من العسكر الذين في يريم، وكان محمد منتظراً لوصولها وواعداً للسيد أحمد بن إبراهيم المؤيدي بالزلاج منها. والسيد أحمد طلب الزلاج، فأجاب عليه محمد بالإنتظار حتى يدخل يده ما يمده به، واعتذر إليه أنه تعطل ما في يده، وأنه لا يعلم في الخزانة بغير مائة حرف، فعند ذلك استأذنه السيد في العزم، فقرره وسأله الإنتظار وسبب تعطيل خزائنه وقل ما في يده ضعف هذه السنين، وتفرق البلاد مع غيره.

وفي هذه الأيام تكاتب علي بن المتوكل وحسين بن حسن أنهم يد واحدة [٤٨/ ب] على محمد بن المهدي، وأنهم لا يدخلون في شرط محمد بن المتوكل في نزع أيديهم من بلادهم، وأنه أمر محال، ودونه خرط العناد والخلاف والجلاد. فعند أن بلغ صاحب صنعاء كتب إليهم أنه يريد منهم الجميع الإجتماع في ذمار أو غيره والإتفاق، وتقرير

(١) هَنْجَمة: الهَنْجمة: إظهار الغضب أو الجد.

الأمور على ما ينبغي وترك الشقاق. فبعث إلى صاحب المنصورة الرسمي بكتاب، وإلى صنوه علي حسن المحبشي كاتبه، وإلى حسين بن حسن محمد بن إبراهيم السحولي الخطيب بمثل هذا، فالله أعلم ما يتم من ذلك بينهم، وما يتلفق لهم.

وفي هذه الأيام وصل من كوكبان وشبام أعيان من السادة وغيرهم يشكون عبد القادر في الذي لهم، وأنه لم يسلم لهم تقاريرهم، واختص بالبلاد، وجعل التصرف للحريم، فأمر المؤيد عليه بالحجر عن التصرف حتى يوفيهم حقهم الذي لهم.

وفي هذه الأيام بآخر ربيع الأول اتفقت نادرة من النوادر وهي أن شيخاً جندياً من بني الرَّمَّاح[1] الذين يسكنون بني مطر كان ملازماً لأحمد بن محمد يركب الخيل، وكان له بيت بصنعاء يسكنه أكثر مدته لملازمته، وأهله في بلد النشمة[2] ببني مطر، وبيته بصرحة[3] الأبهر[4] أن قتل هو وخادمه الحَالّ[5] في بيته حرمة من بني هاجر[6] كان زوجها قد مات فأدخلتها امرأة الحَالّ مع الشيخ الرماح في بيته هذا إلى[٤٩/ أ] بيته ، ووقع معها هذه الفعال وقطع رأسها وأيديها ومثل بها، وحملت في باقي عباءة إلى شارع طلحة[7]، وطرحت قريب باب خالها، ثم لم يظهر ذلك إلا بعد يوم وليلة بعد تحسس خبرها. ولما ظهر ذلك الحادث هرب الغلام وأمسك الشيخ الرماح والحَالّ معه في بيته وامرأة هذا

(١) بنو الرَّمَّاح: من مشائخ بني مطر. (ناحية البستان سابقاً) غرب صنعاء، ديارهم في جبل بُقْلان. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٧٠٢).

(٢) يوجد كثير من المناطق تحمل اسم النشمة، غير أني لم أجد نشمة بني مطر.

(٣) الصَرْحَة: هي ساحة وسط الحي السكني تحيط بها المنازل من جميع الجهات، وهي من العلامات المميزة للتخطيط الحضري في مدينة صنعاء القديمة. (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص٥٦٧).

(٤) الأبهر: من حارات صنعاء القديمة في الجهة الجنوبية من السائل المعروفة بسايلة صنعاء.

(٥) الحَالّ: أي الساكن في البيت، الفعل: حَلَّ: أي سكن.

(٦) توجد عدد من المناطق تحمل اسم آل هاجر، لم يتضح من المقصود.

(٧) شارع طلحة: من شوارع صنعاء القديمة في الجهة الشرقية من السايلة.

الحَالّ، وحبسوا بعد أن ضربت امـرأة هـذا الحَـالّ وكـذلك الـشيخ وأوثقـوا في الحـبس. وكانت هذه الحرمة ببيت مجاور لبيت الشيخ هذا المسمى عبـد الله بـن عـز الـدين الرمـاح وخادمه يسمى شجير. كان أولاً بواباً مع أحمد بن الحسن، والله أعلـم بحالهـا وسـبب مـا وقع بها، فمن قائل: أنه عمل غير صالح كان بينه وبينها، ومن قائل :أنه لطمـع مـا معهـا، ومن قائل :أنه كان طلب معها ابنتها وبذل لها دراهم فلم يـتم قولهـا، فحـاق بهـم الجميـع أعمالهم. وذكرنا هذه القصة لندورها من أجل المثلة بها.

ووصل إلى المؤيد محمد صاحب صنعاء هذه الأيام بأول شهر ربيع الثـاني دراهـم مـن السيد حسن الجرموزي صاحب المخا من طريق تهامة وسِهَام والحيمة، وترك طريق اليمن خشية من إبراهيم بن المهدي الساكن بيريم لا يأخذها كما أخذ دفعة العدين أو غيره.

وفي غرة هذا الشهر تراجع أهل المواشي من بلاد برط الذين[٤٩/ ب] كان نجعـوا بهـا إلى بلاد جهران وضوران وبلاد رداع وعنس لطلب المرعى لـنعمهم بعـد أن بلغهـم مطـر بلادهم. وقد كان خلت بلادهم وتفرق أهلها وصارت خاوية بـما ظلمـوا فيهـا وقطعـوا السبيل بطرقها، وهلك منهم أمة في هذا الجوع الذي أصابهم، والله أعلم.

وفي شهر ربيع الأول أو الثاني توفي الشريف السيد علي بـن صـلاح الـضلعي في بلـده ضلع الأشمور، قريب كحلان تاج الدين عقب عوده من صنعاء حضرة المؤيد محمـد بـن المتوكل، وهو من العلويين أصلهم من سادة الماخذ(١)، ينتسب إلى عبد الله بن العباس(٢).

كان هذا السيد له ولاية القضاء وفصل الأحكام في تلك الجهة مـدة المتوكـل والمهـدي أحمد بن الحسن، وكان مع ذلك أيضاً قد ولاّه المتوكـل بـلاد كحـلان، وعـزل عنـه أولاد الهادي بن الحسن بن شرف الدين(٣) وبقي مدة طويلة جامعاً بـين الولايـة والقـضاء، ثـم

(١) المأخذ: من قرى عمران، وقد اتصل العُمران إليها. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١١١٨).
(٢) وهو العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام.
(٣) لم أجد له ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

أعاد المتوكل أولاد الهادي بن الحسن لولايتهم لكحلان، وبقي السيد له مجرد القضاء والشريعة، وزالت عنه الولاية رحمه الله. وكانت معرفته بالفقه لا غيره من الفنون، فإنه كان عارياً عن علم النحو بالمرة. وشيخه القاضي أحمد بن سعيد الهبل، فإنه قرأ عليه بصنعاء في مدة طلبه في زمان المؤيد بالله محمد بن القاسم، فلما دخلت دولة المتوكل ولاَّه تلك الجهة قضاها وفصل أحكامها وأوقافها.

وفي ثامن عشر شهر ربيع الآخر وصل حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم راجعاً من اليمن الأسفل إلى صنعاء، فقال له المؤيد بن المتوكل :لو كان بقيت بذمار، فقال: تحتاج العسكر إلى جوامك وسبار.

[٥٠/ أ] وأما إسحاق بن المهدي فاستقر بذي أشرق، واستمد من البلاد التي تليه له وأصحابه. وإبراهيم بن المهدي صنوه استقر بيريم تصرف فيها واستولى على ما فيها. وعبد الله بن محمد بن يحيى بن الحسن استولى على نقطة اليمن الأسفل العدين، ودخله وتصرف في محصوله. ومحمد بن المهدي أرسل أبا ريحان بعيِّنه لقبض ربع المخا حسبما وضع له محمد بن المتوكل في شروطه. وخلت يد المؤيد بن المتوكل عن جميع اليمن الأسفل بالمرة. ولم يبق له فيه إلا مجرد الخطبة وصار في أشد حاجة، وخلت خزائنه، ولم يبق له من البلاد إلا دون ما كان له منها في وقت والده؛ لأنه زاد خرج من بلاده الأولة قبل انتصابه بلاد حراز لأحمد بن محمد بن الحسين ، وبلاد ثلا لصنوه قاسم بن المتوكل.

وابن المهدي محمد صاحب المنصورة أرسل ولده إسماعيل إلى بلاد ابن شعفل لإصلاحها، وتسكينها، وصلاح طرقها، ورد ما نهبوه فيها، فلما دخلها وصل ابن شعفل وأبرز خطوط صاحب المنصورة بأنه الذي أمر له بدخول قعطبة والتقدم إلى إب وجبلة من خلفها وشرقها، فكان قد أراد ذلك بأمره. والذي وقع في قعطبة بإشارته[٥٠/ ب] وخطوطه وأوامره، فأجاب عليه بأن الأمر بدخول تلك الجهة لا بالانتهاب على

الضعفة[1]، فأمرهم بتسليم ما قد أخذوا، فأرجعوا ما بقي بأعيانه وأخذ منهم آداب وأعواض. وكاتبوا إلى يافع، فأجابت يافع بجوابات فيها مغالطة ومواعدة. وتفرق اليمن الأعلى والأسفل بين خمسة عشر دولة متفرقة، وكل منهم مع ذلك يقول ما حصل الوفاء لحقه، فكان بهذا التأريخ اتضاع كثير من الولاة والرؤساء وزوال دولهم، منهم حسين بن حسن بن القاسم، ومنهم السيد زيد بن علي بن إبراهيم جحاف الذي كان له بلاد زبيد وبيت الفقيه، ومنهم السيد حسن بن مطهر الجرموزي صاحب المخا، فتولى فيه أبو ريحان من قبل محمد بن أحمد بن الحسن، ومنهم جعفر بن مطهر الجرموزي صاحب العدين استولى عليه عبد الله ابن يحيى بن محمد بن الحسن بن القاسم، ومنهم الفقيه حسين الثلايا الذي كان متولي ثلا، ومنهم صاحب حجة السيد علي بن حسين بن جحاف، بسبب حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم، ومنهم السيد إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن جحاف زالت ولايته بريمة، كذلك والي حفاش الجملولي وغيرهم، تحولت حالاتهم، وزالت ولايتهم.

وفي هذه الأيام لما استقر عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن بن القاسم بالعدين قبض محصولاته، وتصرف من نفقاته وثمراته وقال معتذراً: إن الذي جعل له محمد صاحب صنعاء ثلاثة آلاف لأصحابه وأنه يقبضها من غير واسطة واليها، ويرسل بالباقي إلى صاحب صنعاء، فأرسل بالباقي وهو النصف، فلما وصل إلى يريم أخذها إبراهيم بن أحمد بن الحسن وقال: هو الذي جعل له محمد لأصحابه فانخلعت يد محمد[2] من فائدة العدين، وبقي في صنعاء صفر اليدين، ليس معه إلا الإسم، ودون ما كان معه وقت والده من محصول بعض بلاده، وكثر الإشتراك في المملكة بسبب الضعف، واختلاف الكلمة.

[٥١/أ] وفي هذه الأيام شهر جمادى الأولى استقرت دولة ابن المتوكل بعض

(١) الضَّعَفَة: أي الضعفاء.

(٢) المقصود: الإمام المؤيد محمد بن الإمام المتوكل إسماعيل.

الإستقرار، بعد البذل لأولاد إخوته ما طلبوه من البلاد، ولكن لم يبق معه إلا الجزء اليسير منها، وأعطاهم فوق ما يطلبونه، وأقطعهم البلاد كما شرطوه. وأما يافع فإنهم تغلبوا وامتنعوا، وكانت الأحوال لمن كان من أهل الرئاسة مع هذا المذكور في غاية النفاسة، وأما سائر أهل التقارير فصارت مجرد رسوم وأسماء ولا ظهور لها ولا جدوى، وما أحسن قول كما قال أبو حفص عمر بن علي المهدوي[1]:

ولقد رجونا أن ننال بأمركم
رفداً يكون على الزمان معينا
فالآن نقنع بالسلامة منكم
لا تأخذوا منا ولا تعطونا

ولم تحصل فائدة منهم إلا السلامة من ترك بيعتهم، والفائدة الثانية للمسلمين من اجتماع كلمتهم إذا حصلت وسكون الفتن هو الأولى، لأن البيعة إنما تكون لكامل الشروط، حيث كانت إمامة اختيارية وذلك مفقود فيهم، وبسبب تركهم المطالبة عدم طلبنا لهم في شيء من الدنيا، لأن القاعدة أن «من أكل حلواهم مال إلى هواهم».

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «أن من أخذ منهم دنياهم أخذوا أكثرمن ذلك من دين من أخذ منهم».

وكان الحال كما قال المتنبي:

إنا لفي زمن ترك القبيح به
من أكثر الناس إحسان وإجمال

قال الواحدي في شرحه: يقول من لم يعاملك بالقبيح في هذا الزمان فقد أحسن إليك

(١) يوجد الكثير من الأعلام الشعراء والأدباء من يحمل اسم عمر بن علي (أبو حفص) غير اني لم أعثر على المهدوي في ما بين يدي من مصادر. ولعله قد ذُكر فيها بلقب آخر.

لكثرة من يعاملك بالقبيح، وهذا المعنى[٥١/ ب] أراد أبو فراس في قوله:

وكنـــا نـــرى أن المتـــارك محـــسن

وأن خلـــيلاً لا يـــضر صـــديق

وقال المتنبي عقبه:

ذكـــر الفتـــى عمـــره الثـــاني وحاجتـــه

مـــا قاتـــه وفـــضول العـــيش أشـــغال[1]

قال الواحدي في شرحه: أي إذا ذكر الإنسان بعد موته ذلك حياة ثانية له، وما يحتاج إليه في دنياه قدر القوت، وما فضل من القوت فهو شغل، كما قال سالم[2] بروايته:

غنـــى الـــنفس مـــا يكفيـــك مـــن ســـد فاقـــة

فـــإن زاد شـــيئاً عـــاد ذلـــك الغنـــى فقـــرا[3]

وفي هذا الشهر رفع المؤيد بن المتوكل النائب للقاسم من المخا فيما كان عَيَّنه من البنـدر وهو ربع لمحصوله، وقال: إن السيد حسن متولي البندر يكفي وأنه يـسلم محـصول الربـع ويرسل بها إلى حضرته، ويكون عليه كسوة أهل شهارة، فتغير قاسم من هذا العمل وقال: هذا رجوع فيما قد كان فعل، ولمَ أبقى نائب محمد صاحب المنصورة وأخرج نائبه.

وفي هذه الأيام بنصف شهر جماد الأول وصل خبر من مكة المشرفة أنه تـوفي الـشريف بركات متوليها، وأراد ولده الإستقامة في الأمر بعد والده، فحصل نزاع بينه وبين الشريف

---

(١) ورد البيت في شرح ديوان المتنبي، لعبد الرحمن البرقوقي، مج٢، ج٣، ص ٤٠٧.

(٢) هو سالم بن وابصة بن معبد الأسدي، أمير، شاعر، من أهل الحديث، من التابعين، دمشقي، سكن الكوفـة، وولي إمـرة الرقة، لمحمد بن مروان، واستمر بها نحو ثلاثين عاماً. مـات في آخـر خلافـة هـشام، حـوالي سـنة ١٢٥هــ/ ٧٤٣م. (الزركلي: الأعلام، مج٣، ص٧٣).

(٣) ورد البيت في ديوان الحماسة، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، ج٢، ص١١.

ابن غالب[1] وغيره وبين عساكر السلطان، واختلاف حصل أيضاً بين الأشراف وعساكر السلطان، وأنهم بعد ذلك متوجهين إليها حيث هرب عنها بعض أهلها خشية من معرة تحصل فيها.

والمؤيد كان قد أراد الإجتماع هو وإخوته والنظر في تقرير أموره لتكاثر المخروجات[2] عليه، فبقي حائر الفكرة. ومن جهة عمل المشرق لما كثر عليه حسين بن حسن بالتقدم إليه وطلب المعونة، فكان قد أراد التقدم إلى ذمار والإجتماع هنالك بحسين بن حسن وصنوه علي وغيرهم، ثم إنه خير في ذلك وكتب إلى حسين بن حسن بالترك هذه الساعة. ومحمد بن أحمد صاحب المنصورة قد كان سعى في شأنهم -يعني أهل يافع- وما زالوا يغالطونه في جوابات، ويظهرون الميل إليه إذا كان ولا بد من قصدهم. وقد كان وصل إسماعيل بن محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة إلى قعطبة وراسل إلى الشيخ الجلاد أطراف بلاد يافع في رد ما انتهبه من قعطبة، وصار أيضاً يواعده.

ووصل هذه الأيام رجل ممن خرج إلى بندر المخا مع أهل الهند، ووصل إلى حضرة المؤيد بالله محمد بن المتوكل بهدية ذكر أنها من سلطان الصين وهي حقيرة مُجْمَرة من فضة وخمسة أَسِّنَة مزوقة ونحوها. وقال هذا الواصل :أن أصله من البصرة وأنه دخل إلى الهند، ثم ساقته المقادير إلى الوصول إلى الصين، فوافق سلطان الصين، فجرى منه سؤاله عن سلاطين الأقاليم، ثم ذكر اليمن فقال :سلطانه شريف من بني الحسن، فقال :قد هادينا سلطان الروم وما نزال نهادية، وهذا ينبغي أن نكتب إليه معك. قال: وباطنيته محبة الإسلام، إلا أنه لا يقدر بإظهاره خشية من أهل بلده[٥٢/ ب]، قال: وبلاد الصين كفار بين مجوس ونصارى ونحو ذلك، والسلطان هذا معه خمسمائة من عسكر المسلمين وهو

---

(١) الشريف ابن غالب: المقصود به أحمد بن غالب الذي تولى إمارة مكة عام ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٦م، ومكث عاماً وتسعة أشهر ثم خرج في ١١٠١هـ/ ١٦٨٩م إلى اليمن، (زين رشيد الشافعي: الروض الزاهر في سيرة التاريخ والنسب الظاهر، ص ١٣٨).

(٢) المخروجات: النفقات.

يجلهم ويعظمهم، وأرسل بصدقة إلى الحرمين الشريفين في المدة السابقة أيضاً والله أعلم.

قال: وكان خروجه من بحر الصين إلى الهند مسافة ثلاثة أشهر، قال :وخلف الصين من الجهة الشرقية البحر المحيط متصل به هذا خبره، ويستمد من صاحب اليمن في وصايته المسامحة لمن مرّ إلى الحرمين الشريفين من المسافرين الحجاج ومن المسلمين الذين بجهاته والتجار، وأنه يشق عليهم طريق البر، ومرادهم بطريق البحر، فأجابه المؤيد بالإسعاف، وأنه يمر منهم المار، وليس عليه في بنادر اليمن مشقة.

وفي هذه الأيام أرجع محمد بن أحمد صاحب المنصورة ربع المخا الذي كان وضعه له محمد صاحب صنعاء له، وقال: بلغنا حاجتكم فرجع ذلك إليكم. وقيل: إن المؤيد كتب إليه يذكر أن اليمن قد تفرق، وصار الوافد إليه ولا يجد ما يقوم فيهم، وأنه يشق عليه هذا الأمر، فأجاب المذكور بأنه قد أرجع له ربع المخا وبلاد زبيد بها قد اكتفيمع بلاده الأولى[٥٣/ أ]. وطريق عدن صارت مقطوعة من الصبيحة والحواشب لا يمر فيها عقال،فرجع بعض من كان وصل من الهند ولم يدخلها وعرج عنها إلى المخا. ولما بلغ حسين بن أحمد بن الحسن احب الغراس بأن صنوه أطلق ربع المخا إلى المؤيد محمد بن المتوكل كتب حسين المذكور إلى المؤيد إن الصنو بلغ إطلاقه لربع المخا فإذا هو عنه قد اكتفى فلا يسمح بخروجه عنه، وأنه يُرد إليه ويصير محصوله لمن لديه فعجب محمد بن المتوكل من ذلك وتردد في جوابه.

وفي آخر جمادى الآخرة خالفت بلاد قيفة على حسين بن حسن صاحب رداع جميعاً، وسببه أن أرسل حسين بن حسن عُمّاله لقبض العدة وما يعتاد من مطالبه فأرجعوهم، وقالوا: البلاد بلادنا وحكمنا حكم بلاد الرصاص في أوامرنا وعلينا إصلاح الطريق وعدم التعويق، وجعلوا لهم سوقاً، فبقي حسين بن حسن حائراً وطبق المشرق جميعه على الخلاف إلى باب رداع. وكتب إلى محمد صاحب صنعاء، ومحمد صار متردداً لأجل تفرق

البلاد، وعدم ما يحتاج إليه من الإمداد والإعداد، وطلب القضاة والأمراء للمراودة والإستشارة، فأجاب حسين بن المهدي أن دخول المشرق لا يكون إلا بعد انتهاء مكاتباتهم وبعد إنصافهم فيما يذكرونه من المظالم، ولا يجوز لنا القصد إليهم[٥٣/ ب] إلا عن النصيحة. وكذلك أجاب القاضي محمد قيس وقال: لا يجوز قتالهم، فتوقف محمد بن المتوكل واستحسن منهم هذا الخبر، وقال من قال: وكيف وهم مُؤَمِّنون للطريق المارة تسير في بلادهم على حالها الأولة إلى حضرموت في أمان؟ وهم ذكروا أنهم إليكم منتمون، وإنما الذي شرطوه إن تركتوهم ولم تولوا عليهم، وأنهم لواجباتهم مسلمون وإنما نقموا الجور عليهم من الولاة وعدم الإنصاف للشكاة.

ووصلت كتب من محمد بن أحمد بن الحسن من المنصورة إلى المؤيد وغيره يذكر فيها صلاح المشرق وأنهم مسَّلمون الواجبات ويخطبون الخطبة ولا يجري منهم تعرض لا طريق ولا إلى غير ذلك، لكن بشرط أن لا يتولهم حسين بن حسن، فتعقب ذلك.

وفي آخر نهار الخميس تاسع عشر شهر رجب بعد العصر خرج المؤيد من مدينة صنعاء إلى ضوران، وقال: إن مراده الإستقرار فيه هذه الأيام، وقال: هو أصلح للقرب إلى اليمن ومَرافقه أحْسن، وصار يظهر أن مراده الحركة إلى المشرق. وخرج في يومه ذلك إبراهيم بن المهدي طريق يريم خشية عليها من المؤيد؛ لأنه لم يوله إيَّاها.

وكان إبراهيم بن المهدي قد وصل إليه إلى صنعاء من يريم، واستخلف ياقوت إسماعيل، فأرسل المؤيد إلى يريم ناظراً لأجل محصوله.

ووصل هذه الأيام قبيل عزم المؤيد من صنعاء بيومين بواقي[1] العسكر الذين كانوا من الحيمة برداع، وشَكَوا عدم الوفاء بالجوامك والأقوات مع طول المدة بالبقاء من غير

(١) بواقي: بمعنى من تبقى من العسكر.

ثمرة، وهناك من الرتبة من يقوم بحفظ المدينة. وأما المشرق فإنهم إنما خالفوا في بلادهم، فإن أنتم مثبتون لهم تاركوهم فلا تخشوهم، وإن كنتم نية في الدخول إليهم فلا بد لكم من عساكر[٥٤/ أ] قوية مما يكمل نصابهم ونحن معكم، ففسح لهم إلى بيوتهم وقال: الأمر كما ذكرتم، وإذا احتجناكم كتبنا إليكم.

وفي يوم الخميس خامس شهر رجب منها توفي الفقيه العلامة العارف المحقق: حسين بن يحيى بن حنش في بيته بشهارة، كان عقب عوده من بلاد ذيبين. وكان في الأيام السابقة وصل إلى حضرة المؤيد بصنعاء، فاستقر عنده أشهراً ثم سار إلى ذيبين بيت أهله وأجداده، استقر فيه نحو ثلاثة أشهر وتقدم شهارة وبيته بها واستقراره بعد أبيه فيها. وكان شروع مرضه بذيبين، وكان بنظره مجاري شهارة في أيام الإمامين المؤيد محمد بن القاسم، والمتوكل إسماعيل بن القاسم، وإليه التصرف في الحبوب من التقارير. وكان وفياً عارفاً بالمقادير، ومن يرآه طالباً للعلم زاد في تقريبه وتأنيسه والإفاضة عليه في سباره. وكان حسن العقيدة منصفاً عارفاً مطلعاً حسن الإعتقاد في الصحابة، مرضياً عليهم من غير تعرض إليما صار يقع من الجهال فيهم. وكان من رآه من الفقهاء أو السادة المتغربين يظهر منه التعرض في جانبهم قطع سباره، وقال له :ما تستحق عندي شيئاً وأنت على هذه الحالة مع كثرة من يشطح[1] من أهل شهارة في الصحابة رضى الله عنهم[٥٤/ ب]. وكان المذكور فيها قامعاً لكثير من المتمردين ناهياً زاجراً. وله الشرح العظيم الذي جمعه على (البحر) في علوم الإسلام استوفى فيه الأدلة والتخاريج للحديث من أصولها وبيّن العزو والتخريج فيها مع شرح ما يحتاج إلى شرحه وبيانه وتكميله والمناقشة عليه فيها. وله أنظار دقيقة وأقوال سديدة تدل على عرفانه وإنصافه وتحقيقه، ويميل في ذلك مع الدليل وإن خالف مذهب الهدوية كمسألة رفع اليدين في الصلاة، ووضع الكف على الكف، فإنه ذكر الأحاديث المشهورة في مقابلة الحجة ووهيَّ حجة الهدوية، وكذلك غيرها من كثير من

(١) يشطح: يمعنى يبالغ.

المسائل التي يكثر تعدادها، ولا يتسع لها هذا التأريخ لكثرتها، يعرف ذلك من اطلع على شرحه، هذا مع وسعته فإنه بلغ ثمانية أجزاء مجلدة كبار، فلقد أفاد في هذا الكتاب وأجاد، وحقق فيه وبيَّن المراد رحمه الله. وذكرت له ذلك، وقلت له: شرحك هذا ما قصرت فيه وما كنت أظن أن أحداً يفعل عليه ذلك، وجزيته خيراً فيه، وناولني نسخته من شرحه رحمه الله تعالى، وكان لا يكفر بالإلزام في مسائل علم الكلام[٥٥/ أ]، وأمرت بتحصيل أكثره، وشريت بعضه لَّما رأيت كثرة فائدته وكماله.

ومات في هذا الشهر الفقيه العارف: صالح بن داود الآنسي، كان له مشاركة في علم النحو والفقه، إلا أنه يميل إلى التحامل على الصحابة، فلم يسلم من الملامة، وكانت وفاته وهو ببلاد صنعاء؛ لأنه استقر فيها بعد أن كان أول طلبه للعلم بصعدة على القاضي أحمد بن يحيى حابس وغيره، والله أعلم.

وفي هذا الشهر قتل رجل بالروضة في باب بيته، تَكَمَّن له جماعة....[1] أخذ نفسه هو وحرمه معه من أهل بيته، وذلك بعد العشاء، وحمل صاحبهم وإخفائه في الطريق، ثم لماوصل بلده دفنوه ولم يظهر، ثم ظهر لولي الأمر ذلك وأخرجوه.

وتتابعت القرانات[2] في هذه السنة جاءت في النصف الأخير من هذه السنة، فإنه اتفق قران الزهرة وعطارد والمشتري لسلخ جمادى الآخرة في برج السرطان، ثم سيكون برمضان قران المشتري والمريخ في نصف رمضان في ذلك البرج أيضاً، ثم قران الثقيلين المشتري وزحل في برج الأسد بآخر شهر شوال منها في الدرجة الثامنة من الشهر المذكور، ثم شهر الحجة منها، وهو دليل قوة سلطان الإسلام الأكبر كما ذكره المتخصصون المقومين من أهل علم الفلك والمؤرخون، والله أعلم.

(١) كلمة غير واضحة، بسبب أنه شُطب على هذا الحدث، ولم يُقرأ إلا بصعوبة.

(٢) القرانات: اقتران النجوم ببعضها.

وفي أول شهر رمضان ظهر نجم الذنب من المغرب ولكنه ليس بالطويل ولا بالعريض، عرضه نحو ثلاث أصابع أو أقل وطوله ثلاثة أذرع، ويقال: أنهم رأوه أولاً حال ابتداء ظهوره بالمشرق، والله أعلم.

وكان ظهوره هذا عقب الأمطار وصلاح ....[1] الثمار في الخريف والصيف، في جميع أرض اليمن، المشرق والمغرب، بعد أن كان تتابع عزة الأمطار في السنين الماضية، والله يصلح الثمار[٥٥/ ب].

وأرسل المؤيد محمد بن المتوكل من ضوران الشيخ جعفر بن علي إلى حضرة الرصاص للإصلاح، فتشرط الرصاص إبقاء بلاده بيده، ولا يدخل عليها أحد من الولاة، وأنه يسلم الواجبات بنظره وأن الطريق آمنة والبلاد صالحة.

وأما حسين بن حسن فصار يأكل يده[2]، ويحترق على ما جرى معه، وصار يكاتب إلى أولاد أعمامه بالنصرة له والدخول إلى إصلاح ما كان من بلاده ، فأجابوا عليه أن الأمر إلى المؤيد، ولا يصلح إجابتنا ودخولنا من غير أمره، والمؤيد ظاهره محبة الإصلاح ومراعاة ما هو أصلح للمسلمين في سكون الدهماء، والله يصلح الإسلام.

وإبراهيم بن أحمد بن الحسن لما وصل إلى يريم طرد واليها، فلما وصل إلى المؤيد بضوران حصل مع المؤيد التعب وأهم أن يقصده، ثم إنه تراجع، وكتب إلى صنوه حسين الذي بالغراس، فكتب إلى إبراهيم بالإنخراط في طاعة المؤيد، وإلا فهو عون عليه، وكتب إلى العسكر الذي عنده يتهددهم وهم من قبائل الرحبة التي تقربْ منه ، فتفالت العسكر من عنده وبقي وحده بخاصة عبيده وخدمه، فاضطر حينئذٍ إلى الوصول إلى ضوران[٥٦/ أ] حضرة المؤيد وسكن. ثم إن إبراهيم بن حسين الشهاري[3] طالب المؤيد

---

(١) كلمة غير واضحة.

(٢) يأكل يده: بمعنى يعضها ألماً وندماً وحسرة.

(٣) هو إبراهيم بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله، سبق ذكره.

في يريم، وقال: إنه كان وعد بها، وأنها كانت لأخيه من المهدي، وإلا عوضه غيرها، فما زال يماطله هو وإبراهيم بن المهدي في مطالبتهم حتى أصدقهم أن ما عنده شيء، وأن البلاد قد تفرقت، ولم يبق إلا اليسير منها بيده. وأهم أن يخلع نفسه إن لم ينخرطوا على طاعته، فسكت الإبراهيمان عن طلبه، وحسين صاحب الغراس تضرر من أخيه إسحاق الذي كان أرسله إلى اليمن الأسفل، فإنه منع عنه المطالب من البلاد التي كان تعينت له كَذِيْ أشرق وما إليها، وصار يهم بأنه يقصده إليها، فإنه لم يبق معه إلا بلاد وصابين[1] وبلاد الرحبة وبعض بلاد همدان وخولان، وصار يوفي السبارات لمن عنده وبيوت والده من الخزانة، والأحوال مع الجميع عجيبة.

وفي هذه السنة كثرت الضربة للدراهم ففعل علي بن المتوكل ثلاث ضرائب مع ضعفة الدراهم، وكثرة الغش فيها، ومع ضربة المؤيد وضربة حسين صاحب الغراس، ثم فعل حسين بن محمد بن أحمد صاحب الروضة ضربة في عمران، واستقر فيه ورحل عن الروضة، فمنعه المؤيد، فامتنع وتركها على مشقة. وأما صنوه علي صاحب اليمن[٥٦/ ب] فقال: فيها مصلحة للجند والحاجة إليها، فاستمر عليها البلاد والعباد، وكذلك محمد صاحب المنصورة مستمر عليها، فبلغ صرف القرش يومئذٍ إلى خمسة حروف لأجل كثرتها، وصغر الدراهم وغشها واعتمدوا فيها بقشة الخمس، وتركوا ضربة الصغار، لعدم خراجها؛ لأنها لا تجزى إلى خمس مع صغر الأصل، بحيث أن الضربة الأولة قلَّت وعدم أكثرها؛ لأنهم صاروا يصرفونها ويصوغونها لما فيها من الزيادة بالنظر إلى هذه الضربة الآخرة. والزيادة بعد هذه الضربة إذا فعلت ضرَّت الناس بانكسار يحصل عليهم. فلو أن الدولة يضبطون وزن الضربة لا تختلف كان أحسن، وكذلك المكيال فإنه قد حصلت فيه الزيادات الكثيرة شيئاً فشيئاً، وما كاد يستقر على قاعدة.

وفي نصف رمضان منها ختم على الفقير إلى الله صحيح الإمام مسلم بن الحجاج

(١) المقصود: وصاب العالي ووصاب السافل، سبق ذكرها.

القشيري قراءة محققة الضبط والحراسة من أوله إلى آخره، فلله الحمد، وذلك بصنعاء اليمن بعد سماعي له عام إثنين وسبعين وألف على الفقيه صالح بن محمد العنسي[1] بسماعه له على الشيخ العارف محمد بن علي علان الشافعي بمكة المحروسة. وفي السنة التي بعدها شرع لي قراءة سنن أبي داود، فسمع عليَّ أكثره، لم يبق إلا قدر الربع من آخره فلله الحمد، وذلك بصنعاء اليمن.

وكان هذا من جملة النعم؛ لأن هذا الكتاب والبخاري وغيرهما لم يعرفهما أحد بصنعاء من رأس الألف إلى هذا التأريخ، قدر مائة سنة، فلا قوة إلا بالله[٥٧/ أ].

وفي شهر شوال وصل الخبر بأن بندر الشحر استولى عليه علي بن بدر الكثيري[2] صاحب حضرموت، وطرد عنه الوالي الذي كان من قبل محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة، وهو ابن قاسم الرسمي، وما خرج منه إلا برفاقه. وحصل في البندر ما حصل من الإنتهاب بعد وقوع طرف حرب هنالك، وخرج جماعة من أهل البندر في جلاب طريق البحر بأهلهم وأموالهم فغرقوا في البحر؛ لأن البحر يومئذٍ ما قد هو وقت ركوبه إذا كان في تشرين وهو إنما يرتكب في كانون عقب رجوع الشمس. واستولى المذكور على البندر، ثم حصلت فتنة فيما بين علي بن بدر المذكور، وبين بعض أقاربه ويسمى حسن الكثيري بسبب أن محمد بن أحمد صاحب المنصورة ولىَّ حسن الشحر والمؤيد ولاَّه علي بن بدر. ثم تعقبه بآخر الشهر المذكور استولى العولقي على بندر أحور الذي بين عدن وبين الشحر، وكان وصل خبر أنه وقع بحضرموت قبل هذا الحادث مطر عظيم فيه بَرَد كبار، بحيث ذرع بعضها بالذراع في بعض بلاد حضرموت ومن وقع فيه شيء منه هلك.

ووصل زيد بن المتوكل[3] إلى صنعاء متولياً من قبل صنوه المؤيد، وكان وصوله إليها

(١)صالح بن محمد العنسي: لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر.

(٢) علي بن بدر: سبقت الترجمة له.

(٣) هو زيد بن المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم (١٠٦١-١١٠٤هـ/ ١٦٥١-١٦٩٣م) تاسع أولاد أبيه، كان أميراً كبيراً

ليلة ثامن عشر هذا الشهر أرسله من ضوران، فلما وصل إليها كان أول شيء أن منع الناس من أهل البيع والشراء أن لا يبيعوا إلا بنقد، فعظم ذلك على البائع والمشتري، وتضرروا. ومنع المصلحين من الإصلاح في البيوعات. وأمر أن النساء لا تدخل الحمامات[1]، ومنع من التصفر بالحناء، فبقي هذا قدر ثمانية أيام ورجع كل شيء إلى أصله الأول، ولم يتم من ذلك شيء.

وفي هذ الشهر أتم محمد بن أحمد بن الحسن دائر المنصورة الذي بناه.

وفي خلاله بأول شهر[٥٧/ ب] القعدة انتهب القبائل أبين وتصرفوا فيه بالنهي والأمر، وانقطعت طريق عدن، فأرسل محمد بن أحمد صاحب المنصورة ولده الحسن بجماعة من العسكر إلى بلاد الحواشب، ورفع الخبر بذلك إلى المؤيد وهو يريد بذلك الإستظهار على صلاح بلاده إن احتاج إلى شيء منه. فعند ذلك قال المؤيد: الصواب أن هذا المخرج يكون إلى بلاد يافع وأن هذا كله بسببهم، وكتب إلى إخوته وبني عمه بالتبريز والتأهب، فراجعوه بأن هذا يحتاج إلى نهضة قوية، فلا ينبغي فيه العجلة، فأجاب بأنه لا بد من ذلك، وأنه يعينهم بما يعين من خزائنه إن احتاجوه إلى شيء. فبرزوا جميعاً المؤيد في قاع بكيل، وحسين بن المهدي خارج الغراس، وأحمد بن محمد خارج صنعاء، وحسين بن محمد بن أحمد خارج عمران، وحسين بن حسن برداع، وعلي بن المتوكل باليمن الأسفل، ثم تقدم حسين بن حسن إلى ضوران، وفرح بهذه الحركة لما قد جرى من يافع معه، فوصل إلى ضوران لمزيد التحريض للمؤيد بتمام الحركة والهمة، وكذلك طلع عليه علي بن

أديباً، سيداً جليلاً، لازم صاحب المواهب الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن وشايعه، وكان معدوداً لديه من خاصته، وأورد المؤرخ في هذا الكتاب دوره السياسي في هذه الفترة. (زبارة: نشر العرف، ج١، ص٦٤٤-٦٤٨).

(١) المقصود بها الحمَّامَات الكبيرة الموجودة في صنعاء وبناؤها خاص بالإستحمام لكل الناس مقابل أجر معلوم، تحدد فيها أيام خاصة للرجال وأيام أخرى للنساء. (للمزيد انظر الموسوعة اليمنية، ج١، ص ٤١٥-٤٢٠).

المتوكل إلى ضوران. ولما وصل حسين بن المتوكل من رداع صحبة حسين بن حسن لقيه أولاده وشكوا عليه ما جرى معهم من التقصير في السبار بسبب عمهم المؤيد، فإنه قبض محصول البلاد، فتغير من ذلك وعاتب صنوه عند وصوله بمعاتبة طويلة.

وفي هذه الأيام لما حصل قلة الطالع من السليط من بلاد لحج وقعطبة بسبب ما جرى من القبائل وارتفاع ثمنه[٥٨/ أ] بصنعاء أحدث فيها سبع معاصر للسليط مخروطة من الحجارة، وبالغوا فيها لأجل غلاء السليط وقلة طلوعه من اليمن الأسفل، بسبب ما جرى في قعطبة وبلاد لحج وأبين من التغيرات والإنتهاب والفعلات، وعصروا فيها الخردل؛ لأنه الذي يزرع في البلاد العليا دون الجلجلان؛ لأنه لا يصلح إلا في البلاد الحارة دون الباردة.

وفي شهر القعدة مات السيد العارف علي بن حسين بن إبراهيم بن جحاف المتولي على بلاد حجة، وكان موته بمستقره في حصن مبين، وكان والده[١] هو المتولي لها من زمن الإمام المؤيد محمد بن القاسم ثم ولده محمد بن حسين ثم صنوه علي بن حسين هذا. وإبراهيم جدهم هو الذي كان متولياً للمطهر بن شرف الدين في بلاد الأهنوم وظليمة في أيامه، وخالف عليه، وقبض عليه المطهر وحبسه بحصن ثلا، ومات في حبسه، وأصل محل السادة من حبور في بلاد ظليمة.

وفي أول شهر الحجة قبل عيد عرفة وصلت كتب من محمد بن أحمد صاحب المنصورة إلى المؤيد يذكر أن بينه وبين المؤيد شروط ما تم منها شيء، وظهر منه أنه إن لم يوف له بها، رجع إلى ما كان عليه أولاً وحصل معه اضطراب في الرأي[٥٨/ ب] بحيث أنه عند ذلك أمر برفع الوطاق الذي كان برزه على جهة المشرق، فعند ذلك أرسل المؤيد صنوه إبراهيم

---

(١) والد علي بن حسين جحاف: هو السيد العلامة الحسين بن علي بن إبراهيم بن المهدي جحاف الحبوري، أخذ العلم عن السيد إبراهيم بن المهدي جحاف والمؤيد بالله محمد بن القاسم، كان عالماً كاملاً، مرجوعاً إليه في علوم العربية والفقه والأصولين، تولى بلاد حجة للإمام المؤيد محمد بن القاسم، ومات بحبور سنة ١٠٥٩هـ/ ١٦٤٩م. (زبارة: ملحق البدر الطالع، ص٨٧).

إلى عنده وأقطعه بلاداً من بلاده، قيل بلاد أبين ولحج وكل ذلك إرادة منه أن تكون يداً لـه عليه، فلما وصل إبراهيم إلى يريم بلغته كتب من صنوه بأنه يبقى بيريم ويبسط عليها، فهي تصلح له، وقد سكنها أولاً، وهي بلادهم في الأصل، وأما النزول والتولية على شيء من بلاده فلا سبيل إليها، فأراد السكون فيها، وعيَّد عيد عرفة بها، ثم طلع علي بن المتوكل من اليمن الأسفل قاصداً حضرة صنوه المؤيد، ولما مر بلاد يريم أمر إبراهيم بالنزول وتمام أمر المؤيد صنوه، فنزل المذكور واستقر بجبلة.

ولما أرسل محمد بن أحمد صاحب المنصورة ولده الحسن بجماعة من العسكر إلى الحواشب الذين حولي بلاد أبين ترفعوا عنهم واستدم[1] بعضهم وتركوا التغيير في الطريق. وأما أبين ولحج وخنفر فحصل فيها الضعف لأجل ما جرى فيها من القبائل من الفتن، وحصل يومئذٍ اضطراب الرأي واختلاف الأقوال فيما بين محمد ومحمد[2]، فحينئذٍ كتب المؤيد إلى حسين بن المهدي وأحمد بن محمد وغيرهما بأنهم يتأنون عن الحركة حتى يكون البادي منه فيها. وأما بلاد يافع فإنهم أجابوا على المؤيد مع رسوله أنهم يسلمون الواجبات بشرط أن[٥٩/ أ] لا يتولاهم حسين بن الحسن وأن بلادهم لهم.

وعلى الجملة أن الأمور صارت مضطربة.

وفي عيد عرفة حكم السيد مهدي الكبسي[3] بأن أول الحجة الإثنين والعيد الأربعاء، وكان الناس غير مترقبين لهذا لأجل المنازل، فعمل المؤيد وأهل صنعاء بحكمه وعيدوا الأربعاء، وأما سائر البلاد فعيدوا الخميس، ومن الناس من احتاط فضحى في يوم الخميس.

(١) كذا في الأصل.

(٢) هما محمد بن المتوكل ومحمد بن أحمد بن الحسن.

(٣) السيد مهدي الكبسي: هو الحافظ الزاهد التقي المهدي بن الحسين بن قاسم بن المهدي بن محمد الكبسي، مولده تقريباً سنة ١٠٤٥هـ/ ١٦٣٥م، أخذ عن الإمام المتوكل إسماعيل وغيره من كبار العلماء في عصره، وكان شيخاً للكثير من طلاب العلم، تولى القضاء بصنعاء للإمام المؤيد محمد بن المتوكل، وكانت أحكامه ماضية، وفتاواه نافذة، توفي سنة ١١٣٨هـ/ ١٧٢٥م بصنعاء. (زبارة: نشر العرف، ج٣، ص٢٤٥-٢٤٧).

وبعد الصراب للأثمار نزلت الأسعار في جهات صنعاء إلى ثلاثين بقشة الذرة والشعير مع كبر القدح عما كان سابقاً. وأما اليمن الأسفل فسعره مرتفع زائد على صنعاء، القدح فيه بخمسين بقشة خلاف العادات الماضية، فإنه يكون سعره دون اليمن الأعلى. وحصل في بعض الجهات في الذرة عسل[1] حصل بسببه النقص فيها، وهذه البلاد هي الحيمة وما يليها غربي صنعاء، بحيث أن بعض الناس أكل من العسل ذلك الذي فيها فهلك منه.

ودخلت سنة أربع وتسعين وألف[2]

في ثاني الشهر وصلت كتب الحاج من مكة بأن الحج كان تاماً، وكان الوقوف يوم الأربعاء والعيد الخميس، ورخص السعر، وصلاح الثمار وطيبها وكثرة الحاج الشامي والمصري، وأن العراقي هذا العام كثير، وأما اليماني فضعيف إلى الغاية. وأخبروا أن الولاية من السلطان تقررت لسعيد بن بركات[3]، ثم وصلت الحجاج فأخبروا بمثل ذلك. وأخبروا أن يافع اشتهر الخبر المستفيض بمكة بأنهم كتبوا إلى السلطان بما فعلوه من التغلب على بلادهم وإخراج ولاتهم وأن[٥٩/ ب] دولة اليمن قد صارت ركيكة، وأن السلطان يبعث طائفة من عساكره، وهم عون لهم في الإستيلاء على جميع اليمن.

قالوا: واتفق انهدام بعض الآبار في طريق الشامي لما ازدحم عليها الناس، فهلك جماعة فيها.

وفي شهر محرم خرج حسين بن أحمد بن الحسن من الغراس إلى صنعاء لمَّا طلبه المؤيد لأجل المخرج إلى المشرق، ووصلت الأخبار من يافع بأنهم قد خربوا رأس النقيل الذي

---

(١) عسل الذرة: العسال أو العسلة: هي المادة التي تفرزها إحدى حشرات المن التي تمتص العصارة النباتية.

(٢) ١ محرم ١٠٩٤هـ = ٣٠ديسمبر ١٦٨٢م.

(٣) سعيد بن بركات: هو سعيد بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات. تولى إمارة مكة بعد وفاة والده بركات عام ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٢م. (واستمر إلى عام ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٣م، ثم ولي بدلاً عنه أحمد بن زيد، فخرج متوجهاً إلى مصر وبقي فيها إلى أن مات. (زين رشيد: الروض الزاهر، ص ١٣٨).

في جبل العُرّ، وجعلوا فيه خنادق وبنوا فيه النُّوَب(١) والقليع(٢) وحصنوه، وأن قد صار ابن العفيف مستعداً بالمال والرجال والبنادق الكبار، وصار مظهراً للدفع والقتال وعدم الامتثال. وكان خروج حسين بن المهدي بعد أن اختار له الفقيه أحمد الذيبة الذي كان يعتمد والده، فقال له: يخرج يوم الأربعاء ثامن شهر محرم، فخرج من الغراس ضحاً، وكذلك خرج من صنعاء ضحاً في يوم الإثنين ثالث عشر شهر محرم، واتفق في ذلك جميعاً أن الطالع كان الدلو وفيه الذنب، كما اتفق في المخرج الأول لمن سبق، والفقيه أحمد اعتمد الساعة وحلول القمر في البروج، ولم ينظر إلى الطالع، مع أن التوكل في جميع ذلك كان هو الأولى، ثم إن في اختيارات الأيام لجعفر الصادق(٣) أن يوم ثامن الشهر غير مختار للأعمال، وكذلك الثالث عشر.

وأما بلاد بني أرض وهي بلاد الرصاص فلما بلغهم التبريز والحركة أرسلوا منهم جماعة أنهم مواجهون[٦٠/ أ] وأنهم غير مانعين لمَّا كانت طريق يافع في بلادهم، وهي وطا(٤) لا معقل مانع فيها، وقد عرفت قاعدتهم فيما مضى في خلافاتهم على عامر بن عبد الوهاب وعلى الوزير حسن أنهم تبع ليافع، ولكنهم ينظ وا ما يفعلوا، فإن أنهضوا ومنعوا كانوا من المباشرين لمن في بلادهم كائناً من كان، وإن كانت يافع إلى الغلبة أقرب كانوا من المتخلين.

---

(١) النُّوَب: جمع نُوْبَة: وهي بناء اسطواني يشبه البرج، ويبنى من الحجر أو الزابور، ونوب الزابور هي الأكثر شيوعاً في اليمن، وتستخدم بيوتاً للسكن وهي أيضاً أبراج للحراسة. (الموسوعة اليمنية، ج٢، ص ١٩٧٣).

(٢) القليع: أي القلاع.

(٣) جعفر الصادق: هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، الملقب بالصادق (٨٠-١٤٨هـ/ ٦٩٩-٧٦٥م) سادس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، كان من أجلاَّء التابعين، وله منزلة رفيعة في العلم، لقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط، مولده ووفاته بالمدينة. (الزركلي: الأعلام، مج٢، ص١٢٦).

(٤) وطا: الوطئ من كل شيء: ما سهل ولان. والمعنى أنه لا يوجد بها الجبال المنيعة وهي منطقة سهلة. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص ٦٤٥).

وفي هذه المدة وقع بين سفيان بينهم البين حرب قتل منهم جماعة، من جملة المقتولين شيخ بني رهم داود. وأخبر الحجاج من بني عضيَّة الذين جاؤا طريق السراة أنهم لما وصلوا قرية مضفاة[1] وجدوا جماعة على أبواب قريتهم مقتولين وذلك لغزوة غزتهم قرية أخرى بينهم وبينهم خصومة وفتنة لا تزال ثائرة، لعدم الدولة عليهم؛ لأن هذه البلاد بين دولة صاحب اليمن والشريف صاحب مكة ما بين الحرجة وبين تبالة وبين هذين المحلين نحو خمسة أيام، وهي البلاد المقابلة لبلاد الحرامية على طريق تهامة، ومن جملتها قرى وادي ذهبان شهران[2]، فهذه البلاد لا دولة عليها لانقطاعها وانفصالها بين الدولتين دولة صاحب اليمن وصاحب الشام.

قال الحجاج: فلما وصلوا إليهم قالوا لهم: بينهم حاسب يريدون يحسب لهم فيما صار يجري بينهم وبين خصومهم، وأن خصومهم صاروا ينتصرون عليهم ويضروهم، فقال الحجاج: ما بينهم حاسب، فرسموا عليهم وقالوا: لا بد[٦٠/ ب] فلم يطلقوهم إلا بعد أخذ أيمان بعضهم والتشديد عليهم.

قال الحجاج: وكان صرف القرش بالطائف من ثلاثة حروف ونصف مصري، وبمكة من ثلاثة حروف مصري.

وفي يوم السبت ثامن عشر شهر محرم في آخر الساعة الرابعة والطالع الحوت والمقابل لبرج السنبلة فيه المريخ خرج أحمد بن محمد[3] بمن معه، فبات بحدة بني شهاب، ثم سار ضوران. وخرج في هذا اليوم من عمران حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم إلى الروضة ثم إلى ضوران بأصحابه، ولعله كان خروجه من عمران ضحوة النهار، والطالع في ذلك

(١) قرية مضفاة: من قرى بالأسمر وبالأحمر في إمارة بلاد عسير. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ج٢، ص ١١٨٢).

(٢) شَهْرَان: قبيلة من اليمن، موطنهم شمال عسير. (الويسي: اليمن الكبرى، ج١، ص ١٨٩).

(٣) هو أحمد بن محمد بن الحسين بن القاسم.

الوقت يكون الدلو، وفيه الذنب، وتعقبهم صاحب كوكبان خرج يوم الإثنين عشرين شهر محرم، وإذا كان ضحوة النهار خروجه فكذلك الطالع الذنب.

وأكثر هؤلاء الرؤساء أسماؤهم حسين، أولهم: حسين بن حسن، ثم حسين بن المهدي، ثم حسين بن محمد بن أحمد، ثم حسين بن عبد القادر، وهذا من عجائب الاتفاق. وبذل حسين بن حسن من خزائنه معونة للمؤيد في سبار العسكر. ولما وصل حسين بن المهدي جهران قبض على ثلاثة أنفار عرفوهم بأنهم جواسيس من يافع وأمر بالزناجير في رقابهم، فلما وقع ذلك بهم اعترفوا من بعد وأخبروه بأخبار يافع، وأنهم قد حصنوه وغيروا الطريق قريب جبل العُرّ وخندقوه، ودفنوا في الطريق البارود على ضفة الساقية تصل إليهم، وبنوا على أنه متى وصل إليه العسكر اليمانية وسبر[1] الحرب أحرقوا البارود ليحرقوا فيه، وهذه مكيدة عظيمة وقد لا يؤمن أن يجعلوا في أطرف بلد من يافع في بيوتها شيئاً من البارود لأجل إذا دخلوها حرقوها بهم. فصار حسين بن المهدي يحذر أصحابه من ذلك متى دخلوا إليها[٦١/ أ]، وبنوا المتارس وحصنوا جبلهم بكل ممكن.

وفي آخر المحرم تكاملت العسكر للمؤيد ومن طلب معهم من الحوايش والغواير وساروا ضوران، وعند ذلك ظهر من أن حوزة خرجت من رداع أضافها أصحاب حسين بن الحسن إلى يافع، وأنها منهم مضمونها الإفتخار بها فعلوه من تغلبهم على بلادهم وإخراج حسين بن حسن منها بقهرهم، وأنهم يأتون على غيرها من اليمن إن لم يتركوا قصدهم، وأرعدوا وأبرقوا، ومن جملتها بمعناها:

ونستولي على ضوران قهراً

ونقسِّم المنهوب لكل دال

---

(١) سبر الحرب: سبر بمعنى صلح وهنا ربما تعني بدأ.

فقيل: إنها منهم على الحقيقة وقيل: إنما هي معمولة مزورة من أصحاب حسين بن الحسن؛ لأجل حمل الناس من أصحاب المؤيد على قصدهم، وأجاب عليها من أجاب على لسان حاشد وبكيل، وتوعدوهم بالإستباحة لبلادهم وبهذا تغيرت نياتهم. وعند هذا أثار للسيد محمد بن علي الغرباني من بني مكنى بالرجوع إلى عادته الأولة من الرسائل على هذه الدولة والطعن في السيرة، كما فعل مع المتوكل في المدة الماضية، فأظهر رسالته وخرج من صنعاء إلى بلاد خولان، فاستقر بعَاشِر[1]، فأرسل في الأثر زيد بن المتوكل جماعة لقبضه وإرجاعه، فلما وصلوا إلى خولان قال أهل خولان: نكتب إلى المؤيد، وما اقتضاه نظره كان، فجاء جواب المؤيد: أن السيد يبقى عندكم[٦١/ ب] بشرط أن تقيموه حيث اختار البقاء، وإن أحب الوصول إلينا وصلتم به، ويقام بما يحتاج إليه منا، فاختار البقاء عندهم هذه المدة يريد بفطانته أن ينظر ما يكون من أهل المشرق وفتنته، ويؤمل أنه إذا لهم غلبة أن يدعو إلى نفسه، كما قال الشاعر[2]:

مصائب قوم لقوم فوائد

وكما قال الآخر[3]:

لكل امرءٍ من نفسه ما تعود

ومن جملة ما يقول في رسالته التصويب لعمل يافع في الخروج على هذه الدولة، والمنع لبلادهم عن هذه الغزوة .

ولما وصل الرؤساء والأجناد إلى ضوران جمع المؤيد السادة القضاة، وقال لهم: المراد

(١) عَاشِر: وادٍ في بني سحام من بلاد خولان العالية في شرقي صنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص٩٩٠)

(٢) الشاعر: المتنبي وقد سبق ذكره.

(٣) البيت أيضاً للمتنبي، وقد ورد البيت كاملاً كالتالي:

لكل امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

(عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مج١، ج٢، ص ٣).

التجهيز إلى يافع لَمَّا أصروا على التغلب على بلادهم، وعدم الإمتثال لما أمرناهم، فما عندكم من الكلام؟ فتكلم الحاضرون بأن رأيكم حسن والناس قد وصلوا إليكم للإجابة، وقد أعذرتم إليهم، وما غدر من أعذر. وأجاب القاضي محمد بن علي قيس الثلائي بأن يافع تجرموا من الولاة عليهم وشكوهم ووصفوا الجور عليهم، فيجب عليكم إنصافهم وتحويل الولاة وإزالة المظالم التي زادت فيهم وقدحوا بها على الولاة عليهم، فأجاب[٦٢/ أ] عليه حسين بن المهدي في الحال بالجواب الحاد وقال :يا قاضي أنت أفتنت بين إمامين وبايعت بيعتين[1] وفعلت الذي فعلت، والآن بعد هذه الجموع لم يبق إلا التقدم عليهم، وإصداق الفعل فيهم فقد أظهروا المباينة على الإطلاق، وليس لمجرد إزالة الوالي بالإتفاق، فقال القاضي :المراد التوقف على أقوال العلماء، فقال حسين :ليس معنا إلا السيف، فسكت القاضي، وأصبح الصباح، وأمر بالسفر وراح، ثم تبعه الآخرون، وهم على مراده موافقون.

وأهل يافع لما كانت بلادهم جبالاً عالية وهي في جانب من اليمن وزاوية أعزتهم جبالهم ومنعتهم حصونهم، ولأجل عسرة الطريق من غير الطريق الشرقية إليهم ووعارة مسالكهم واجتماع كلمتهم وميل البلاد الشرقية المحاددة لهم إليهم مع وسعتها وامتدادها، فإن بلاد يافع جبال ممتدة من فوق دمت وقعطبة إلى فوق عدن، مسافة خمسة أيام مع ما يليها من البلاد المشرقية، فلهذا من قديم الزمان عسرت عن تناولها للدول لمن قصدها، فكانوا مع الدول الأولين[٦٢/ ب] في العالم لا تتصل بهم من الدول، وإن اتصل بهم أحد على مشقة ما زالوا يترقبون فرصة بسبب اختلافهم في ذات بينهم، ويتغلبون على بلادهم، ويطردون عنها واليهم، كما فعلوه مع الوزير حسن ومع بني طاهر، مع أن مذهبهم شافعية فكان مقتضى مذهبهم ومذهب أهل السنة الصبر على جور السلطان، وعدم الخروج عليه

(١) هما أحمد بن الحسن والقاسم بن المؤيد.

والظغيان. وهم مع ذلك قد كتبوا إلى السلطان ابن عثمان كما جاء الخبر به مع الحجاج، وأخبروه بضعف دولة اليمن، وأنهم قد تغلبوا على بلادهم وأخرجوا عنها حسين بن حسن بالسيف الضارب والقهر الغالب، وذلك إرادة منهم الإستنصار بهم، وإرادة أن يعينوا عليهم، وإلا فإنهم لا يريدون الدولة من حيث كانت.

وفي عشرين صفر وصل الزوار من المدينة المنورة فأخبروا أن سعر الحبوب كان بالمدينة مرتفعاً، وأما مكة وجدة فهو متهون دون ذلك. وذكروا أن النهر الذي أمر السلطان بجره من مكة إلى جدة بلغ إليها، وانتفع الناس به فيها، ودخل إلى داخلها وبني فيها مسجداً يدخل الغيل إليه، فكان ذلك من المحاسن العظيمة والصدقات السلطانية، وقوت جدة هذه المدة وزادت في عمائرها، وكذلك المدينة بسعاية السلطان، هكذا أخبر الزوار[٦٣/ أ]، وأخبروا أن أمير الشامي لما وصل إلى بدر توفي فيها.

وفي هذه الأيام بآخر شهر صفر وصل الخبر أن ابن العفيف صاحب يافع وصل جوابه على حسين بن المهدي إلى الزهراء بعدم المواجهة. وكان عند وصول الرسول وهو القاضي حسين بن يحيى المخلافي القبض عليه والترسيم لديه، وانتهب حوائجه، وقال: لولى أنك رسول لكان الأمر غير هذا فعند ذلك أزمع حسين بن المهدي بالإرتحال إلى جهاته، والبِنَا[(١)] هو ومن معه على قتاله، وعند ذلك اقترن من صاحب المنصورة إلى بلاد يافع حدود وإرسال معونة، وأرسل ولده الحسن بن محمد إلى مساقط بلاد يافع، والتقى هو وابن العفيف بعد المكاتبة فيما بينهم، قيل: واتفقوا على التظاهر على الواصلين من قبل المؤيد، فطلع إلى بلاد يافع من طلع، وتأهبوا معهم للحرب . وكان محمد بن أحمد صاحب المنصورة أقواله مضطربة، وكتبه ما زالت مختلفة، آخرها ينقض متقدمها، فإنه ما خرج صنوه حسين بن أحمد بن الحسن من الغراس إلا بعد وصول كتاب منه إلى أخيه بأنه قد بالغ من أجل يافع في الرجوع على ما كانوا عليه، والإذعان لما يطلب منهم من غير

(١) البناء: أي أنه قد نوى هو ومن معه على قتال يافع.

مشاققة[1]، فلم يجد منهم إجابة، ولم يبق هناك ما يصلح فيه المعاودة، فظن حسين بن أحمد بن الحسن أن الكلام عل ظاهره، فخرج من الغراس ظناً أنه لا [٦٣/ ب] يحصل نقض من جانب صنوه ولا مخالفة، حتى وصل إلى ضوران وبلغه ذلك الإجتماع والنية لقصد ذلك الشأن، وصل كتاب آخر منه بما ينقض ذلك وأن الشروط التي بينه وبين المؤيد ما تمت بعد أن كان وعده محمد بن المتوكل أنه يزيلها على التدريج مما يقدر عليه. فلما لم يتم حصل ذلك عذراً له وقال: أنه باق على ذلك الأصل ولا سيما بعد تحريك وقع من المؤيد عليه بكتاب كتبه ووصل إليه، مضمونه: طلب اللقيا له والمفاوضة، والإجتماع على حرب المشرق على اليد الواحدة. وربما فعل من الكلام بعض شيء مما نفره، فعاد الأمر الأول جذعة[2]، وجهز ولده الحسن إلى لحج ينتظر ما يكون، كما سبق ذكره، ووصل حينئذٍ إلى الزهراء صالح الرصاص وأولاده في حكم المواجهين، وأنهم معهم إلى ما يريدونه سائرين وماشين ومقاتلين. ثم لما كان ثامن وعشرين شهر صفر يوم الخميس خرجت العساكر المؤيدية من الزهراء قاصدين إلى البلاد اليافعية ، فلما بلغ المؤيد خبرهم وما جرى من محمد صاحب المنصورة معهم اشتغل بهذا الأمر، وتبلبل باله، واختلفت آراؤه وأقواله، وأمر عثمان زيد أنه يقصد إلى تهامة بجماعة عسكر، وقال له يظهر أنه رسول لافتقاد المقررات التي من زبيد وبيت الفقيه، وإذا وجد مجالاً للتغلب وطرد الولاة لمحمد فليفعل، وهي قد كان قبضها صاحب المنصورة من وقت موت والده أحمد بن الحسن[٦٤/ أ] وتغلب عليها بالقهر. وكتب إلى صنوه علي بن المتوكل أنه يتقدم إلى قعطبة أو ما يقرب إليها من تلك الجهة، وكتب إلى صنوه الحسن الذي باللحية بالسير إلى جهات زبيد وحدود اليمن.

وفي يوم الإثنين ثالث شهر ربيع الأول لما وصلت الجنود المؤيدية إلى طرف بلاد يافع

---

(١) مشاققة: من الشقاق، أي مخالفة.

(٢) سبق تعريفها.

طرحوا محطتهم في سفال جبل العُرّ، عند بلد يقال لها: حصن جوهر[1]، فيها مزارع وآبار وجبل العُرّ فوقها. وكانت طريقهم من الزهراء في وادي ضيق خرجوا منه إلى هذا المحل، وعرجوا عن طريق الحلقة بسبب الرصاص، فكان إلى يوم الجمعة سابع ربيع الأول وطلعوا جبل العُرّ لقصد الحرب والقتال حال توفر اجتماعهم ووصول غوائرهم. وقد كانوا بنوا المتارس القوية في عرض الجبل، فجروه من جميع طرقه ومداخله، وكانت تلك المتارس كالدوائر العالية فوق القامة، على جميع عرض جبل العُرّ من حيث منه المدخل طول تلك العمارة قدر ميل. فحمل أول العسكر من حاشد وبكيل ومن معهم من المغورين إلى جهة تلك المتارس، فرموهم من داخله، فقتلوا منهم كثيراً من فوقهم ومن جوانبهم؛ لأنهم جعلوا متارسهم مخلوفة، مقابلة لبعضها بعضاً معصورة؛ لأجل يكون الرمي من جهة المقابلة ومن جهة الدائرة بصفة محكمة. وكان من جملة المقتولين بيرق دار حق[2] حسين بن المهدي. وكان الرمي[3] من داخل يقتل لتظهرهم والذي من خارج لا يصيبون شيئاً، بل الرصاص تقع إلى أحجار الدوائر، مما لا يقع تحتها طائل، فعند ذلك انهزموا أول هزيمة من تلك الحملة إلى متارس أصحابهم[٦٤/ ب] وفترت عند ذلك همة المتأخرين خلفهم، لما رأوه من القتل لأصحابهم، فبنوا متارس ضعيفة وكانوا يرامون بلا طائل؛ لأن الرصاص لا يقع إلا إلى الدائر، والذين من داخل يأخذون فيهم لمن أشرف منهم، ورسى الحرب بالمراماة إلى العصر وعلي في منزله ومكانه حتى تعبوا وجاعوا، بحيث أن بعضهم جلس تحت الحجارة، لعدم تحصيل الفائدة، وعند ذلك اختلف رأيهم كيف يكون المخرج إلى المحطة أو المساء؟ فلما عرف الرصاص ذلك قال: نجعل لهم ذمة أربعة أيام ويعودون إلى محطتهم، فأسعد إلى ذلك حسين بن أحمد بن الحسن، وهو المرجوع إليه في أمرهم. وقال: لا بأس، ولم يكن لهم الجميع معرفة كيف خدائع الحروب،

(١) آل جوهر: من قبائل مديرية الطَفَّة في محافظة البيضاء. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٣٧٦.
(٢) حق: أي الخاص بحسين بن المهدي.
(٣) كذا في الأصل، لعله يقصد الرامي.

وكيف يكون صفة الرجوع، فانحرفوا للعود آمنين مطمئنين ثقة بكلام الرصاص، وإذ يروا جميعاً نازلين فما هو إلا أن رأوهم كذلك دفعت إليهم البنادق ضربة واحدة من كل جانب في ظهورهم، فسقط منها كثير منهم الهالك في الحال ومنهم المصاب، ثم خرج سائر القبائل الذين ليس معهم البنادق في أعقابهم يضربون ويقتلون ويرجمون ويصيحون، فحصلت عند ذلك رجة عظيمة، وكل هرب على رأسه لا يلوي على أحد، وتفرقوا في الأعتاب والشعاب والطريق، والقتل في الآخر. وكان من جملة من رمي أحمد بن محمد[1] [٦٥/ أ] لأنه كان آخر القوم والبنادق خلفه، وأصيب أحمد بن محمد، وقع فيه رصاصتان أحدهما هي القاتلة والأخرى في رجله دفعة واحدة عند ذلك، فحملوه أصحابه فوق بغلة إلى بعض الطريق وحسرت[2] البغلة والقتل عمال في الناس، فطرحوه أصحابه عند مسجد صغير على الطريق لما حصرتهم القوم، ولم يسع أحد منهم إلى حمل له ولا دفع. وقتلوا الحاضرين عنده جميعاً، فقتل من أصحابه من بقي حوله قدر سبعين نفراً من خلفه وقدامه وعنده، واحتزوا أكثر رؤوسهم، وكان من جملتهم أحمد بن محمد المذكور. واهتزم الناس إلى المحطة، ودخلوا حصن جوهر، وأظلم عليهم الليل وباتوا في أشر ليلة ممن قد فات ومن التعب ومن الخوف، وبنوا المتارس وحصنوا حصن جوهر بالحجار لما يخشوه منهم. وكان لما وقع هذا الحادث العظيم وقع في المحطة بعض انتهاب من أصحاب الهيثمي والجلاد، ومن بعض الأجناد، حال حمل الأثقال من المحطة إلى حصن جوهر الذي هو عندهم، فراح ما راح وحضر القتال أيضاً والمدافعة. وانتهب الهيثمي قافلة صاحب كوكبان كان قد شدها، فساقها بأحمالها وفيها خزائنه ووطاقه، وزالت عقول بعض أهل السوق وهرب الهارب في الليل على رأسه إلى الزهراء فالهارب الأول نجا؛ لأن أهل البلاد ما قد كان تحققوا القضية[٦٥/ ب]، والذي تأخر قتل في الطريق وانتهبوه، خصوصاً في

---

(١) هو أحمد بن محمد بن الحسين بن القاسم، ابن أخي المؤلف.

(٢) حَسَرت: الحَسْر: الإعياء والتعب، فيقال: حسرت الدابة والناقة حسراً: أعيت وكلت. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٦٣٢).

بلاد قيفة، فإنهم قتلوا كثيراً من الهاربين ونهبوهم، وكان أعيان المقتولين مع أحمد بن محمد بن الشيخ محمد فارع كاتب أحمد بن محمد ومن بيده دفتر العسكر، والشيخ علي دغيش شيخ بني حشيش من بني الحارث، والشيخ عبد الله بن سعيد العنبري شيخ الإسماعيلية في بلاد حراز، والصباحي من مشائخ شَمَات[1] وجماعة من سادة غربان، واختلف الناس في عددهم فمن المقل ومن المكثر؛ لأنهم ما عرفوا بحقيقتهم، فمن قائل: أن جملتهم سبعمائة في الحرب والطرق، ومن قائل :أربعمائة، ومن قائل :ثلاثمائة، وكل منهم يخبر على المعرفة، وأكثرهم لا يعرف؛ لأن منهم المغورين ليسوا في دفتر، والقتل الذي كان في أول الحملة منهم قبل البيارق من أَشْمَح[2] والغُرُب[3] وأهل بعيدان، ولعل جملتهم يكونوا إلى نحو ثلاثمائة ومائتين مصاب ومقتول حال الحرب وفي الطرقات، من باب الظن والجمع بين الروايات، والله أعلم.

ولما أصبح الصباح وظهر نوره ولاح نزلت يافع من جبل العُرّ كالجراد قاصدين أهل المحطة، فلم يخرج أحد من المحطة عن الحصن لما رأوه من كثرتهم، وما قد حصل معهم، ولم يبق لهم مطمع فيهم إلا الدفاع عن أرواحهم. فلما قاربوهم دفعوا فيهم بنادقهم، فقتلوا منهم نحو ستين نفراً وكان خرج أهل الحيمة من لكمة فرموهم من وراء أظهرهم وأهل المحطة من قدامهم، فاهتزموا عند ذلك. ثم كان[٦٦/ أ] يوم الأحد ونزلوا أيضاً للحرب فلم يأخذوا منهم شيئاً، وقتل منهم أيضاً، ثم يوم الإثنين ثم يوم الثلاثاء، ثم اكْتَفَّ[4] الحرب وخاضوا في الصلح بواسطة الشيخ عبد الغفار بن شيبان الجوفي فقال ابن العفيف: لا بأس بالصلح والأمان ويسيروا بلادهم، ولكن بشرط حط سلاحهم، فأبت العسكر من وضع السلاح، فقال حسين بن المهدي: نسلم عوضاً عنه من الدراهم، فسلم

(١) سبق ذكرها.

(٢) أَشْمَح: قرية من مركز مُقْنع الأعلا من مديرية النادرة وأعمال محافظة إبّ. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٧٣).

(٣) الغُرُب: حصن في منطقة بني السمحي من مديرية عتمة وأعمال محافظة ذمار. (المقحفي: المرجع السابق، ج٢، ص ١١٧٠).

(٤) إكْتَفَّ: أي توقف.

أربعة عشر ألفاً، ووضع لهم الأمان، وأرسل معهم ثلاثة أنفار رفقاء بالأمان إلى أن بلغوا الزهراء، فتم الأمر على هذا وساروا. وسبب العزم ما حصل معهم من ذلك الحاصل، وانقطاع الطرق خلفهم من المواد، ونفد ما معهم من البارود والرصاص وغير ذلك. وكان المؤيد قد طلب غواير عليهم بناءاً أنهم باقون حتى تصل إليهم، فتراخت الغوائر، وهم أحمد بن المؤيد ومن معه وغيرهم. وكان عند وصولهم ضوران وقد خرجوا من الزهرا وصاروا برداع، ثم تجدد ما شغلهم عن ذلك الأمر بما وقع من الخلل في بلاد الحجرية وحوزة صاحب المنصورة، كما سبق في تأريخه، ومكاتبته بالغارة عليه واستنقاذه فهذه جملة خبرهم.

وكان لما تغيرت الطريق ببلاد قيفة قد أراد علي بن جميل العزم بالجامكية، [٦٦/ ب]فوصل إلى نحو مرحلة من رداع، وبلغه ما وقع بمن يخرج من الزهراء من القبائل، فرجع خشية على ما معه من الطمع، فعند ذلك تضرر العسكر، وكان وصولهم إلى الزهراء في عشرين شهر ربيع الأول.

وفي يوم الثلاثاء حادي عشر شهر ربيع الأول مات الشيخ العارف محمد كزبر الدمشقي الحنبلي بمدينة صنعاء اليمن.

كان المذكور عارفاً بمذهب الحنابلة، وكان قد حج إلى مكة المشرفة قدر خمسين حجة؛ لأنه كان يسافر مع حاج الشامي ببضاعة من بضائع الشام، ثم كان آخر مدته وخرج إلى صنعاء ببضاعة من الجوخ والمصطكى[1] والزعفران وسائر بضائع الشام، وتزوج فيها وسكنها، ثم بعد عامين عاد إلى بلاده وقت موسم الحج وتعوض من البن وسار مع المحمل الشامي إلى دمشق، فبقي في دمشق عند أهله ذلك العام، ثم خرج في موسم الحج

(١) المصطكى: شجر له ثمر، يميل طعمه إلى المرارة، ويستخرج منه صمغ يُعلك، وهي كلمة يونانية الأصل. (المنجد في اللغة، ص٧٦٤).

المقبل إلى مكة، ثم إلى صنعاء، فسكن بصنعاء قدر سنتين أو ثلاث. وذكر أن أول خروجه وكان والده في الحياة قد بلغ عمره إلى تسعين سنة، ثم مات وولده باليمن، ولما وصل إلى اليمن طلبت منه عارية كتاب في فقه الحنابلة يسمى(منتهى المرادات) فنقلت عليه نسخة للإطلاع على فقههم وإليه مختصر في أصول الفقه على مقتضى أصولهم، وقبر رحمه الله تعالى بمقابر باب اليمن، والله أعلم.

وفيها مات السيد علي بن خالد المتولي على بلاد عفَّار بقي فيه مدة طويلة من قبل دولة المتوكل إلى أن مات، وكان سكونه بصبر، ومات فيها.

[٦٧/ أ] وفي آخر شهر ربيع الأول اتفق أن جماعة من أهل الحيمة ساروا من الزهراء لَمَّا قل عليهم السبار والأقوات، فلما وصلوا إلى ما بين رداع وبين الزهراء لقاهم في الطريق السيد مهدي الكبسي والسيد صلاح بن عز الدين الظفري ومعهم بعض شيء من الطعام وجوامك العسكر التي كانت متحيرة برداع يريدون الوصول بها إلى الزهراء فقالوا لهؤلاء العسكر عودوا فقد هذا معنا سباركم، فقالوا: لا يمكن ذلك، فقد اشتدت به الحاجة وأشرفوا على المهالك، فلم يعذروهم، فرجع بعضهم وسار بعضهم، ثم إن قيفة انتهبتهم وقتلوا منهم، ثم لما وصلوا إلى رداع زاد انتهب حسين بن حسن ما بقي معهم من السلاح، لأجل هربهم، فلا قوة إلا بالله.

ونصب العسكر والرؤساء عوض أحمد بن محمد صنوه يحيى بن محمد[1]، وأثنوا عليه، وقالوا: هو أحسن لهم من أحمد لما فيه من النباهة والرئاسة والوفاء، وحسن المعرفة والسخاء.

وفي غرة شهر ربيع الآخر خرجت الدولة من الزهرا إلى رداع، بعد أن خرج قاسم بن

(١) هو يحيى بن محمد بن الحسين بن القاسم: كان سيداً جليلاً، تولى المناطق التي كانت في ولاية أخيه أحمد بعد قتله في يافع حتى وفاته. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٣٤٦-٣٤٧).

المهدي[1] الذي كان أسيراً في البيضاء، بعد أن كساه الرصاص وأعطاه فرساً عوض حصانه الذي انتهبه الشيخ الهيثمي؛ لأنه الذي أسره ونهبه، فاستنقذه منه الرصاص، وسكنه عنده ثم أرسله إلى الزهراء.

وفي هذه الأيام انتهب الصبيحة والحواشب قافلة كانت خارجة[٦٧/ ب] من عدن، وقتلوا تجارها، وقلعوا لسان أحد التجار منهم فيها، وعبثوا بهم، وانتهبوا جميع بضاعتهم.

وهذه البلاد من بلاد محمد بن أحمد صاحب المنصورة، وكان أثار الخلاف فيها وقطع الطريق ثائراً من حال موت أبيه أحمد بن الحسن، ولم يقدر على الحكم عليها، ولا تأمينها، وهو يدل على ضعف يده هنالك، وإنما صار القبائل هم في الحقيقة أهل الغلبة له، وإلا فكان أقل حالة الحكم على الطريق مع قربهم من المنصورة. وهذا سببه الإختلاف للأنظار فيما بينه وبين المؤيد، وعدم اتفاقهم. ما زال هذا الأمر يجري في بلاده، وكذلك ما جرى في غيرها، فلا قوة إلا بالله.

ووصل خبر أن عثمان زيد لما أراد دخول زبيد منعه أصحاب صاحب المنصورة، وحاربوه، وردوه، ووقع فيه صائبة.

ووصل خبر أن عثمان زيد الذي كان أرسله المؤيد إلى تهامة لَّما وصل إلى بيت الفقيه بالزيدية منعه أصحاب صاحب المنصورة وحاربوه، ووقع فيه صائبة منهم.

وجاء خبر أن ابن العفيف لما راسلوه بالخروج من ذلك قال: لابد من وضع السلاح، فبذل حسين بن المهدي نحو .... [2] عشر .... [3]، فقبل المذكور وخرجوا، وهذا

---

(١) هو قاسم بن أحمد بن الحسن بن القاسم، ذكره صاحب بغية يالمريد بأنه تاسع أولاد أبيه. ولم يذكره بشيء. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٢٨٤).

(٢) كلمة غير واضحة.

(٣) كلمة غير واضحة.

ابن العفيف اسمه معوضة بن محمد بن معوضة، وجده هذا معوضة هو الذي كان في مدة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، الذي كاتبه في مدة دخول أحمد بن الحسن مستجيراً بهم.

[٦٨/ أ] ووصل كتاب من ابن العفيف إلى المؤيد بضوران يذكر فيه ما حدث من هذا الحاصل، والشجار والخراب والإفتتان، وأنهم إنما دافعوا عن أنفسهم وحريمهم وأولادهم.

ولفظ بعض كتابه هذا أن قال: إنا لو عرفنا منكم من الإنصاف ما حاربنا ولا جرى منا شيء، وأنتم قبلتنا، والقصد إنا مطيعون لله، ولكم مُسَلِّمون الحقوق الواجبة إلى من رأيتم غير سيدي الحسين بن الحسن، خاطبين لكم، ونحن مُسْلِمُون، ما يجوز لكم محاربتنا، فلا تجعلونا أعداء لكم، بل من أصغر الخدم.

هذا لفظ كتابه، وفيه كلام آخر، هذا مضمونه. فلما وصل هذا الكتاب إلى المؤيد جمع أهل مشورته وأعيان حضرته، وقرأ عليهم فاختلفوا في ذات بينهم، وقال أكثرهم: إن هذا خديعة منه وتسكيناً لثائرتكم.

وهذا الحرب وقع على غير قياس من أصله؛ لأن يافعاً كان مطلبهم رفع المظالم ورفع واليهم الأول، فلم يجابوا إلى ذلك أصلاً، فعلى رأي الهدوية أنه إذا لم ينصف ولي الأمر جاز الخروج عليه، فقد وافقوا قولهم وإن لم يوافقوا مذهبهم أنفسهم؛ لأنهم شافعية والشافعية لا يجيزون الخروج على الجائر، مع أن المؤيد هذا لا يرضى بالجور، لكن ماله أثر في ولاته أصلاً، فكان مع ذلك عليه أن يترك وكان قد طلب المؤيد محمد بن المتوكل من خزائنه قدر عشرة أحمال من الدراهم قبل وصول هذا الكتاب، ثم إنه عند ذلك ظهر منه تبريد الكلام، وقال للحاضرين من الذين كان طلبهم من الآخرين: ما شاء[1] منكم أن يسكن سكن ومن شاء أن يعزم عزم. وما زال يمد إلى صنوه علي الزيادات بالعسكر إلى العشارب

(١) ما شاء: كذا في الأصل، صحتها من شاء، وقد يكون خطأ غير مقصود.

قريب قعطبة. وعلى الجملة أن ما دام صاحب المنصورة وهـو غـير مجتمعـين في رأيهـم ولا متفقين في أفعالهم وأقوالهم فلا يكاد يتم له أمر في هـذه القبائـل المخالفـة؛ لأنهـم صـاروا يتقوّون بذلك، والله أعلم.

وفي هذه الأيام غزا أهل الجوف ومن إليهم من بلاد بيحان إلى أطـاريف[1] بـلاد بنـي أرض[٦٨/ ب] من حدود بلاد الرصاص، وأنهم ظفروا بكثـير مـن مواشـيهم فنهبوهـا وأخذوها وانتصروا عليهم فيها. وكـان قـد هـرَّب إليهـا الرصـاص كثـيراً مـن مواشـيه، وحصلت غزوة من بلاد عنس إلى بلاد قيفة أيضاً قتلوا منهم وانتهبـوا مـن بلادهـم، ولمـا وصلت الدولة إلى رداع حبسوا مشائخ قيفة في القلعة برداع وهو الشيخ مصعب والـشيخ عبد القادر، لما قد حصل منهم من الـضرر في الطريـق، والنهـب والقتـل والتعويـق، ولمـا خرجوا من رداع إلى بعض القرى حطوا فيها وقد هرب أهلها عنها فوجدوا امرأة عجـوز سألوها أين المدافن في البلد؟ وألاَّ تخبرهم قتلوها، فـدلتهم عليهـا، فـأخرجوا كثـيراً مـن الطعام وتصرفوا فيه وأكلوه، مع ما قد كان نالهم من شدة الجوع.

وفرحان دخل بلاد الشعيب[2] من مساقط جبل يافع واستولى عليها، لأنهم كـانوا قـد خالفوا أيضاً وانتهبوها واستولوا على طعاماتها، وابن شعفل ترفع إلى الجبـال فـوق جبـل حَرِيْر[3] وأخلى كثيراً من تواطي[4] البلاد خوفاً من الدولة.

وعلى الجملة أن المشرق قامت فتنته، واختبطت أحواله، وصار الدولـة يتقربـون منـه، ويحشدون عساكرهم إليه، وصارت قبائل......[5].

---

(١) أطاريف: أي أطراف.

(٢) الشُعَيْب: إخدود جبلي في الجنوب الغربي من الضالع. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨٧٠).

(٣) جبل حَرِيْر: سلسلة من الجبال في منطقة الحُصَيْن بالشرق من الضالع. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٤٥١).

(٤) تواطي: أي المنخفضات.

(٥) بقية الكلام شُطب عليه، ولم يتضح منه شيئاً.

[٦٩/ أ] وفي ثامن شهر ربيع الآخر أرسل المؤيد السيد صالح عقبات إلى صاحب المنصورة لتقرير الكلام والإجتماع على دخول المشرق. وخرج علي بن المتوكل من العثارب إلى قعطبة، وأرسل أحمد بن المؤيد إلى ذمار، وعلى الجملة إن بين الرجلين محمد ومحمد اختلاف الأنظار وبين طرفي نقيض، كلما أبرم كلام انتقض بسرعة ولم يتم منه شيء لأمر هناك، وحكمة قد سبقت في علم الله سبحانه.

وفي هذه الأيام ما زال الواصل من عسكر الدولة الذين خرجوا إلى رداع يصلون إلى ديارهم وبلادهم، ولم يبق إلا اليسير هنالك منهم، ووصل المصاويب أيضاً إلى جهاتهم، وإذا بنوا على دخول المشرق، فإذا جاؤوا من طريق جُبَنْ[1] فهي ميسرة أمورهم بعد إصلاح صاحب المنصورة، فإن من جبن إلى الحلقة مسافة مرحلة لا غير، وهو وادي ناحية مرونة، وهي طريق قريبة، وهي التي كانت يافع تغزي جبن منها في مدة عامر[2]، ودخل عامر عليهم منها حال استيلائه على يافع بعد خلافهم عليه.

وخرج قاسم بن المهدي الذي كان أسره الرصاص في الزهراء وقد أعطاه حصاناً وكساه عوض حصانه الذي انتهبه الهيثمي، وتقدم الجميع إلى رداع لمَّا عدم عليهم الطعام والحاجة وعدم الميرة من القبائل، وخرج الرصاص عليهم بالعزم من الزهراء فخرجوا كما ذكر والأراء مضطربة والأقوال مختلفة، كما قال ابن رشيق[3]:

[٦٩/ ب]ما دمت مستوياً ففعلك كله

عوج وإن أخطأت كنت مصيبا

---

(١) جُبَن: مدينة في الجنوب الغربي من مدينة رداع بمسافة نحو ٥٠كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ٢٨٦).

(٢) هو السلطان عامر بن عبد الوهاب، سلطان الدولة الطاهرية، سبق ذكره.

(٣) ابن رشيق: هو الحسن بن رشيق الأزدري القيرواني (٣٨٥-٤٥٧هـ/ ٩٩٥-١٠٦٤م) ولد بالجزائر وانتقل إلى القيروان، واتصل بالمعز بن باديس، ومدحه وكتب له، وخرج من القيروان مع المعز إلى المهدية ثم إلى صقلية. له شعر حسن ورسائل، وتأليف في التاريخ واللغة والشعر والنقد أشهرها (العمدة في صناعة الشعر ونقده). (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٦).

كـالنقش لـيس يـصح معنـى ختمـه

حتـى يكـون بنـاؤه مقلوبـا[1]

وقول الصفي الحلي:

لكنهـا الأيـام في تـصريفها

تقـضي عليـه بنحـسه ويـسعده[2]

إن أقبلـت وهبـت محاسـن غـيره

أو أدبـرت سـلبت محاسـن نفـسه

والآن صاروا في رداع بمن بقى من الجند وتفرق أكثرهم، والمؤيد صار الذين كان طلبهم غارة بعضهم عنده بضوران وبعضهم زلجه إلى عند صنوه علي بن المتوكل، وزلج أحمد بن المؤيد إلى ذمار بمن معه، وانقلب الأمر عليه بالمحاورة من جانب محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة وعد للعسكر، وصار ينتظر الرسل إلى صاحب المنصورة، ورسل يافع في جوابهم على ما كتبوه.

وعلى الجملة أن هذه الحركات مع المؤيد لا تتم له إلى يافع إلا بعد سد الخلل من جانب محمد صاحب المنصورة، فأما والحالات بينهم مبتورة فلا يكاد يتم له أمر، كما هو ظاهر والله أعلم.

وفي عشرين شهر ربيع الآخر وصل جواب صاحب المنصورة مع السيد صالح عقبات[٧٠/ أ].

---

(١) ورد البيت في مجمع الأمثال والحكم، ص ٣٤٠.

(٢) ورد عجز البيت في الديوان كما يلي:

تقـضي عليـه بـسعده وبنحـسه

(ديوان صفي الدين الحلِّي: ص ٦٦٢).

قال الراوي: إن مضمون كتاب المؤيد إلى صاحب المنصورة المعاتبة له في عدم المعونة في أعمال المشرق، وأنه كان يتوجه عليه ذلك، قال: فأجاب مع السيد صالح عقبات بأنه لم يؤمر بذلك، ولا وصل إليه كتاب بالسير إلى هنالك، ولكن الأمر في المشرق عليه سهل إن ترك نظره إليه، وأنه يرسل بعض أولاده ويكون الدرك فيه عليه، فأجاب المؤيد ثانياً عليه صحبة السيد صالح عقبات المذكور أنه يصلح ذلك، ولكن بشرط وصول ولده إلى حضرته ويكون من عنده الصدور، وزلجه وأعطاه البيرق المنشور. فما هو إلا أن عاد السيد صالح عقبات إلى بعض الطريق ووصل رسول صاحب المنصورة إلى محمد بكتاب يذكر فيه استمداد الغارة والمبادرة، فإن قبائل الحجرية صالت عليه، والتفت من جميع النواحي إليه، فأرسل محمد المؤيد إبراهيم بن حسين ببعض العسكر، وهو في الباطن قد فرح بهذا الخبر، وقال لسان حاله:

وواحـــــدة بواحـــــدة جـــــزاء

وإن كان الخلل عليهم الجميع، وقال لإبراهيم بن حسين: سيروا ولا تعجلوا، وتحققوا الخبر ولا تقدموا، لئلا يكون هناك خديعة تحصل في الطريق، أو شدة اجتماع قبائل مما مثلهم لا تطيق، واستحر الحرب فيما بين صاحب المنصورة وبين الحجرية ثلاثة أيام، فأول يوم كان تلقاهم إلى خارج المنصورة وحط بخيامه ووطاقه، فهزموه وانتهبوا جميع محطته ووطاقه وخيامه، واشتد الحرب، والبنادق والقتل والضرب، ثم جاءت الهزيمة في محمد صاحب المنصورة، حتى أدخلوه المنصورة وقتل من أصحابه جماعة من أعيانهم: الذانبي من عماله، والقاضي الشبيبي من قضاته وغيرهم من العسكر والمجاريح من غيرهم أكثر. وبعد ذلك اضطر محمد صاحب المنصورة إلى الرمي بالمدافع التي كان أدخلها من عدن إلى المنصورة فسحبها ورمى بها، فقتلت منهم جماعة كبيرة واهتزموا منها، وتركوا المنصورة من بعد ذلك على حالها. وكان في خلال هذا الحرب قد طردوا عمال صاحب المنصورة من بلادهم، وقتلوا من قتلوا منهم، واستولوا على الدمنة والجند والزيلعي، وبلغ حد الخلاف

من باب عدن من الصبيحة والحواشب إلى باب تعز، وغلقت أبواب تعز وعدن والمخا، وانقطعت الطريق إلى البنادر من باب تعز، وأرسل علي بن المتوكل من قعطبة زيادة لرتبة تعز لحفظه. وقد كان أهمَّ السير إليه بنفسه، وكان الذي قام معهم رجل يقال له: علي بن حسين الرجبي، صوفي حثهم على ذلك، وكان المذكور قد أرسل عليه صاحب المنصورة رسله فقتلوهم. والحجرية لولا توسطها في اليمن لكان شوكتهم أعظم من يافع، فإنهم لايزالون يخالفون إذا رأوا فترة في الدولة، أو اختلاف بينهم المرة، بعد المرة مع أن طريق البنادر في بلادهم، ولذلك خالفوا على محمد باشا في زمانه، وطالت الحروب فيما بينهم.

قال الراوي[٧١/أ]: وكان هذا الحادث في المنصورة يوم الثلاثاء ثالث وعشرين شهر ربيع الآخر، والحوزة للمنصورة يوم الأربعاء والخميس، وأنهم اجتمعوا على المذكور قريب عشرين ألف. وكان قد جرى على الحجرية الجور العظيم في مدة المتوكل، ثم استمر إلى الآن، فذلك هو الذي حملهم على الخلاف مع ما بلغهم من قضايا يافع والإختلاف. ومحمد بن أحمد بن الحسن هذا ما كاد يجتمع الكلام بينه وبين المؤيد بل كلما كاتبه ذكر شروطه، وزاد هذه الأيام في جوابه مع السيد صالح عقبات ذكر تلك الشروط. وزاد معها شرطين إخراج اليهود إلى المحل الذي كان أخرجهم والده إلى موزع، وتحريم التتن مع أن والده إذا كان متابعاً له قد قلده في هذا، فقد كان رجع عن ذلك، وقرر اليهود حيث كانوا أولاً، لما جاء ولا يتم ما كان أراده من جمعهم في محل واحد، لأن رزقهم مفرق في الأرض لا يتم باجتماعهم. ثم لو فرض اجتماعهم أنه يتم في محل واحد ففيه مفسدة ظاهرة، فإنه يخشى إذا اجتمعوا جميعاً حرموا الذمة وأفسدوا وتقووا[1]، ثم إنه لا وجه لنقض عهدهم الذي وضعه رسول الله ﷺ بتقررهم باليمن كما في كتابه إلى معاذ[2]، ونقض العهد لا

(١) وهو ما حدث في وقتنا الحاضر من ١٩٤٨م إلى الآن.

(٢) هو معاذ بن جبل، سبق ذكره.

يجوز كما عرف. والتتن أحمد بن الحسن قد رجع عنه أيضاً، وقال: أما التحريم فلا دليل عليه لما روجع، ولكن مكروه فقط.

[٧١/ ب] وكان في هذه الأيام بالنصف الآخر من شهر ربيع الآخر قد أمر المؤيد بني عمه أن يتفرقوا من المحط الذي كان حطوا فيه خارج رداع وهو السرير، فسار يحيى بن محمد إلى المعسال، وحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم المكنى بأبي طالب إلى مكان آخر. وحسين بن المهدي استقر في موضعه وتفرقوا، فكتبت قيفة وأرسلت إلى يحيى بن محمد أن لك مهلة ثلاثة أيام إما خرجت وإلا قصدناك، فبقي هنالك وبنى على القتال لمن قصده، مع أن العسكر قد تفرقوا وهربوا من عندهم الجميع، لم يبق مع كل واحد إلا اليسير، فهم في ذلك إذ جاءهم خبر الخلاف في الحجرية، فسقط في أيديهم وقال: بعد هذه القضية ننسى المشرق ونشتغل بغيره، ولا ينبغي إلا الرجوع إلى رداع والرحلة، فرحلوا إلى رداع مع قربهم منه، إنما بينهم وبينه نحو نصف مرحلة.

وقال كثير من الناس: هذا الجاري من محمد بن أحمد صاحب المنصورة من المناصفة؛ لأنه كان من المعاونين ليافع على القتال، وقد جاء في المثل السائر من حفر بئراً لأخيه سقط فيه، وعاد جانب محمد بن أحمد صاحب المنصورة أيضاً مغلولاً مكسوراً، وكان أمر الله قدراً مقدورا.

وفي خلال هذا الأمر وصل من جهة الشام الخبر وهو أن جنوداً خرجت من حضرة السلطان ابن عثمان إلى بلاد مصر، وفيها سبعة صناجق وأمراء وعساكر.

ورأيت كتاباً وصل إلى بعض أهل صنعاء من تلك الجهة فيه تحقيق هذه القضية قال فيه: ظهر رجل صوفي في الحجرية من المَعَافر[1] أقبلت إليه أهل اليمن بأجمعهم بالنذور،

---

(١) المَعَافر: قبيلة مشهورة من كهلان، ويمثلون جزءاً كبيراً من القبائل الساكنة بالمنطقة المعروفة اليوم باسم (الحجرية) في جنوب مدينة تعز. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٥٦٨).

وسلب الناس عقولهم[٧٢/ أ]، فلما بلغ محمد بن أحمد صاحب المنصورة كثرة الجمع لديه، والمال الذي ما زال يصل إليه، مع كثرة الجمع الحاصل بين يديه، أرسل بالوصول إليه، فلم يمكنه ذلك، ولا أسعد لما هنالك. فتغافل عنه بعض أيام ثم بلغه أن الصبيحة الذين نهبوا القافلة الخارجة من عدن من أهل النعمان[١] وغيرهم لديه، فأرسل إليه واليهم الشبيبي في عشرين نفراً صحبته من العبيد والتوابع. فلما وصلوا إليه وإليهم ذكروا لهم أنهم يصلون صحبتهم إلى المنصورة، فأجاب الصوفي عليهم أنهم يسيرون معهم، لكن بشرط لا يربطوهم وهو ضامن بهم، فساروا بهم إلى خلف بلده ثم ربطوهم، فبلغ الصوفي ما جرى منهم ومما خالفوا عليه ما شرطه عليهم، فأمر عليهم من حضرته جماعة من الجُعلا[٢] والشفاليت[٣] فوقهم، فقتلوا من العبيد ثمانية وكذلك القاضي الشبيبي وهرب الآخرون، وزاد قتل من الهاربين أيضاً جماعة، واستأصلوهم أجمع.

ولما وقع هذا الحادث المذكور، والأمر المقدور وصل إلى الصوفي المذكور الشيخ محسن صاحب قَدَسْ[٤] وابن مغلس صهر محمد بن أحمد صاحب المنصورة، متزوج صاحب المنصورة ابنته وأشاروا عليه بالحرب لصاحب المنصورة والغزو، وهم أنصاره وقومه، فاجتمعت الحجرية بأجمعها، فوصلوا إلى قريب المنصورة خامس وعشرين شهر ربيع الآخر[٧٢/ ب] والتقاهم محمد بن أحمد صاحب المنصورة، فاحتربوا حرباً شديداً، واقتتلوا قتالاً عظيماً بالبنادق وغيرها، فقتل من أصحاب صاحب المنصورة ثلاثة عشر نفراً ومن أهل

(١) هناك الكثير من المناطق تحمل اسم نعمان، لم يتبين لنا من هي المقصود.

(٢) الجُعلاء: الجعل: الأجر على الشيء، والجَعَالة: الرشوة، فلعله يقصد من يُعطى لهم أموالاً للرشوة. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص ٤٦٩).

(٣) الشفاليت: هم حثالة الناس أو أسوأهم.

(٤) قَدَسْ: جبل هرمي في مديرية المواسط بالجنوب من مدينة تعز بمسافة ٤٠كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٥٤).

الحجرية عدد كبير نحو أربعين بالبنادق. ثم كان يوم الجمعة فثنوا[1] الحرب، فقتل من أصحاب صاحب المنصورة نفران ومن أهل الحجرية جماعة، وبقوا يوم السبت ويوم الأحد مراكزين وحائزين المنصورة. ومحمد بن أحمد صاحب المنصورة يرميهم من داخلها بالمدافع والبنادق البالغة، وصاروا محتازين ومانعين لأنفسهم من داخلها، فلما كان إلى يوم الإثنين خرج الحاج قاسم الرسمي إلى عند الصوفي وإلى عند الشيخ محسن صاحب قدس يأخذ مهلة لصاحب المنصورة قدر ثمانية أيام، ويخرج من المنصورة بالأمان، وطلب منهم نحو خمسمائة جمل لخزائنه. وما طلب ذلك صاحب المنصورة إلا ريثما تصل غارة من المؤيد، إذا وصلت أوثق وإلا خرج، وخالف جميع اليمن الأسفل، وخرج عبد الله بن أحمد بن القاسم من شمير[2] إلى تعز برفق وسكن فيه. وجبل صبر خالف منه الجهة الغربي، وعبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن[3] كان يومئذٍ في جحاف فلما خالفت البلاد وصل إلى دمنة خدير، وقبض على جماعة من مشائخها ومن كان في هذا البلاد[٧٣/ أ] من العسكر، وأصحاب محمد بن أحمد صاحب المنصورة نهبوه وأخذوا سلاحه، ولم يبقوا معه إلا ما يستر العورة لا غير. بنو محبش أهل ترداد نهبوا جمال أهل القاهرة[4] وهي موقرة من البن، وأهل عريش نهبوا سوق جَبَا[5] وأخربوا فيه بعضه، أهل جبل حبشي[6] نهبوا سوق يفرس وبيوته، الشمريات[7] نهبوا سوق القاعدة والطريق ما يمضي فيها أحد.

---

(١) ثنوا: أعادوا الحرب مرة أخرى.

(٢) شَمِير: من جبال مقبنة في غربي مدينة تعز. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٨٧٨).

(٣) عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم: تابع المؤرخ دوره السياسي في عهد والده الإمام الناصر (صاحب المواهب) ومخالفته له، وانضمامه إلى يوسف بن المتوكل الذي عارض الناصر، وموقف والده منه في خلال شرحه للتطورات السياسية في هذه الفترة.

(٤) القاهرة: قلعة في تعز.

(٥) جبأ: بلدة خاربة في جبل المِسْراخ، جنوب جبل صبر. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٢٧٦).

(٦) جبل حبشي: من نواحي الحجرية فيه قرى كثيرة منها يفرس. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص ٢٢٧).

(٧) الشمريات: نسلة إلى شمير، سبق ذكرها.

انتهى تحقيق هذا الحادث ممن هو حاضر هنالك حال الحرب، وقال إن الحرب كان يوم الخميس بالبنادق خارج المنصورة، وفلت أهل المنصورة عليهم الحجارة في الشعب[1] الذي فيه الطريق، فقتلوا منهم، ثم رجموهم لكثرتهم فكسروهم إلى داخل المنصورة، كما سبق ذكره، وحمتهم المدافع بعد الحوزة، فلم يقربها أحد، ولولا المدافع لدخلوا عليهم إليها، ثم بقوا في الحوزة وجروا على ظهور أبواب المنصورة التراب ورصوه من داخل بالحجارة.

وفي عشرين شهر جمادى الأولى جاءت الأخبار وكتب إلى المؤيد من صاحب المنصورة، روى الراوي أن مضمونها: أن الحوزة طالت، وأنكم إذا معكم نهضة وغارة وقدرة بادرتم، وعند ذلك اتفق انتهاب سوق دمت، نهبه القبائل الذي حوله من الرياشي[2] وغيرهم، واحتربوا هم وعسكر الوالي فيه ثم حازوه، فلما بلغ حسين بن حسن كونه من بلاده أمر علي بن قاسم بن المؤيد بن القاسم بالغارة إليه بمن معه من العسكر، فسار إلى هنالك مغيراً وتبعه غيره.

[٧٣/ ب] وفي خلال هذا وصلت أخبار بأن في البحر أتراك، وأنها من جنود السلطان متوجهة إلى اليمن، وكان الخبر متلاحقاً بهذا، فأوله في نصف شهر جمادى الأولى، لكنه من صاحب صبيا إلى بعض أصحابه بصنعاء، ثم خرج خبر آخر مع دراويش كان في تلك الجهة، خرجوا إلى صنعاء، وقالوا أصلهم من بلاد سمرقند بخارى، كانوا في العام الماضي حجاجاً، فخرجوا بحراً وأخبروا أن وراءهم في البحر سلطان سمرقند كان حاجاً، وأنهم يريدون الخروج والمسمى عبد العزيز، وأنه خرج في العام الماضي حاجاً من طريق البر ويريد العود من طريق البحر وصحبته نحو ثلاثة آلاف، وقيل: قدر ألفين، وأنهم قد

---

(١) الشِعْب: الوادي.

(٢) الرياشي: نسبة إلى منطقة الرياشية، مقاطعة من أعمال رداع. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص ٣٧٣).

وصلوا إلى بندر المخا، وليس في هذا الخبر شك ولا مرية، وهؤلاء الذين أخبروا قدر اثني عشر نفراً، مما يفيد خبرهم مع الخبر الأول التواتر والله أعلم، وكان وصول هؤلاء إلى صنعاء في عشرين شهر جمادى الأولى.

وفي خامس وعشرين شهر جمادى الأولى اتفق القران الثالث لزحل والمشتري في برج الأسد في عود المشتري بعد رجوعه؛ لأنه كان قارنه، كما سبق ذكره حال سيره في الإستقامة القران الأول، ثم قارنه ثانياً حال رجوعه، ثم قارنه هذا القران الثالث حال عوده من الرجوع إلى الإستقامة، والمريخ يومئذٍ في برج العقرب راجعاً رجوعاً كبيراً، فالقدرة لله في جميع ذلك.

وفي يوم الإثنين حادي وعشرين شهر جمادى الأولى وصل الخبر إلى صنعاء بأن الذين خرجوا من رداع على بلاد دمت بعد حصول الواقع من انتهابه من قبائل الرياشي الذين حوله فتكوا فيهم واحتزوا منهم فوق المائة الرأس، واتفق مع ذلك أيضاً خبر وصل من الغارة وانتهبوهم عوضاً عما جرى منهم، كما سبق[٧٤/ أ]. واتفق مع ذلك أيضاً خبر وصل من الغارة التي أغارت على صاحب المنصورة بأنهم بلغوا إلى الجند، ثم تقدموا إلى حدود الدمنة والحجرية، فاستولوا على قرى من بلادهم وانتهبوها وهرب أهلها، ولم يقاتلوهم بحرب فيها، فعند ذلك تنفس صاحب المنصورة، وزالت عنه الحوزة.

ووصل في إثرها خبر أيضاً بأن الآغا فرحان أمره علي بن المتوكل من قعطبة لغزوه إلى بلاد ابن شعفل، فاستولى على شيء من بلادهم وهرب من هرب منهم وقتل من قتل، وكانوا قد استباحوا الطرق، وخالفوا وقطعوا طريق عدن إلى قعطبة ولحج وأبين وغيرها من تلك الجهة.

وكان وصول أحمد بن المؤيد إلى الجند بأصحابه وقبائل سنحان وغيرهم رابع شهر

جمادى الأولى، ثـم كتـب إلى الـشُرْمَان[1] وإلى بـلاد الـسلمي[2] أنهـم يـصلوا مـواجهين، ويرجعوا ما قد انتهبوا في الطرقات وغيرها، ويكونوا آمنين، حتى مضى قدر يومين ورجع جوابهم أن عقالهم والمشائخ وَصَّالون، وأما الأطماع فهي قليلة وإنما هي بينهم البـين، ثـم إنهم تباطأوا فأمر أحمد بن المؤيد عليهم عبد الله بن أحمد إلى الدمنة قدامه، فوصل إلى بـلاد السلمي وأخذوا منهم نحو أربعمائة من الغنم، وتقدم الدمنة فـدخلها. وأحمـد بـن المؤيـد خرج من الجند إلى بلاد الشرمان قريب الجند فلما وصلوا طرف البلاد حمل العسكر عليهم مرة واحدة ومعهم الخيل، فهرب الشرمان ولم يبق أحـد مـنهم، فلحقـوهم إلى حـد جبـل جحاف، وظفروا منهم بخمسة أنفار ملازيم، ولم يحصل شيء من القتل[٧٤/ ب] لا مـن هؤلاء ولا من هؤلاء، ثم عاد العسكر للإنتهاب، فانتهبوا منهم من البقـر والغـنم قريـب ثلاثمائة ومن الجمال قدر مائة، ومن أثاث بيوتهم، وأمـا الحـب فـشيء كثـير، ولكـن تركـه العسكر ورجع أحمد بن المؤيد ومن معه إلى الجند، فلما وصل إليه وصل الرسول مـنهم في الليل أنهم قد صاروا مواجهين ومسَلَّمين ما طلب منهم.

ولما بلغ سـائر بـلاد الحجريـة والمحـاصرين للمنـصورة ارتفعـوا وهربـوا إلى بيـوتهم، وتنفس صاحب المنصورة من الحصار، و ما قد جرى عليه من الشدة البالغة، وقد كـان في حيرة، وكيف يكون الخلاص من الأقفاص؟ وعنـد هـذا استبـشر النـاس بأمـان الطـرق وسافر الناس وشدوا أثقالهم إلى اليمن، ونزل التجار من صنعاء وغيرها إلى البنـادر، بعـد أن كان قد غلا البز بلغ الثوب الفـرَّادي[3] إلى ثمانيـة حـروف وعـشرة ، والفـصدي[4] إلى سبعة حروف وثمانية.

---

(١) الشُرْمَان: بلدة في ماوية، شرقي مدينة تعز. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٨٦٢).

(٢) السلمي: آل السلمي من مشائخ بلاد خدير. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٨٠٦).

(٣) الثوب الفرادي: لم أجد له تعريف.

(٤) الثوب الفصدي: لم أجد له تعريف.

ويقال: إنه اتفق أيضاً مغزى من عند علي بن المتوكل من قعطبة إلى بلاد ابن شعفل، واستولى على الشيخ وغيره وأتوا بجماعة إلى حضرته، فأمر بهم في الزناجير، وكان اتفاق هذا الحادث في جميع هذه الأماكن في وعد واحد من هذا الشهر.

[٧٥/ أ] وفي بعض الكتب أظهرها الفقيه أحمد القمادي الواصل بكتاب من محمد بن أحمد صاحب حصون الدُّمْلُوَة(١) أنه لم يقع له المرور والنفوذ إلى البلاد العليا إلا بعد أخذ خط من الشيخ علي الصوفي القائم في الحجرية، فجعل له خطاً محصوله: بعد حمد الله تعالى، ليعلم أهل الطريق وقبائل الحجرية أن الفقيه أحمد القمادي في أمان الله لا يعترض في سفره إلى اليمن الأعلى، ولا يتعرض في الطريق، ولا يجري عليه شيء من التعويق، وعلامته أعلاه لفظها داعي الله علي بن عبد الله، وهذا من العجائب كما قال الشاعر:

واللي‍‍‍الي م‍‍‍ن الزم‍‍‍ان حب‍‍‍الى

م‍‍‍ثقلات يل‍‍‍دن ك‍‍‍ل عجي‍‍‍ب

ولقد صالت الحجرية صولة عظيمة، ونهبوا ما نهبوا من القرى والأسواق والطرق، وتعدوا على نهب بعضهم بعضاً، فإن جبل حبشي قصدوا إلى سوق يفرس انتهبوه وانتهبوا بعض بيوته، ولم يحترموا حرمة الشيخ أحمد بن علوان وهم في بلده وحوطته، ولما حدث هذا الحادث بالحجرية وحوزتهم لصاحب المنصورة كتب المؤيد إلى فقهائهم، وخص ذلك بكتاب إلى الفقيه عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز المفتي(٢) صاحب تعز أن يعرفهم ما سبب هذا الخلاف ويسعى في الصلح والإئتلاف، فقصدهم واستكشف خبرهم، وأجاب على المؤيد أنهم ينقمون في هذا الخلاف على صاحب المنصورة الجور في المطالب، وأنه طال

(١) الدُّمْلُوَة: قلعة منيعة مشهورة، فوق قرية المنصورة، من جبل الصلو، على بعد ٦٠كم جنوب شرق مدينة تعز. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٦٢١).

(٢) عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز المفتي: القاضي العلامة، الحافظ الكبير، المحدث (١٠٤٢-١١١٠هـ/ ١٦٣٢-١٦٩٨م) كان من أبرز علماء عصره، قدم إلى معبر وأخذ عنه هناك الكثير من طلاب العلم، ثم عاد إلى وطنه باليمن الأسفل ولم يزل مدرساً فيه حتى توفي. (زبارة: نشر العرف، ج٢، ص٥٨).

بهم الصبر على ذلك حتى بلغت بهم القلوب الحناجر وأشرفوا على المعاطب، وأنهم يريدون الإنصاف وترك الإعتساف، وأنهم لما عرفوا عدم اجتماع الكلمة بينه وبين المؤيد أيسوا[٧٥/ ب] عن التأثير في الشكوى، وأنه لا يمكن المؤيد أن ينصف منه أو يعزله؛ لأنه دولة قائمة مستقلة بنفسها، فدافعوا عن أنفسهم وأموالهم، فمرادهم إزالة دولة صاحب المنصورة عنهم.

هذا مضمون جوابهم وأنهم يعلمون في المؤيد أنه لا يرتضي ذلك، لكنه عندهم معذور لعدم نفوذ الأمر لما هنالك. هذا وظهر على صاحب المنصورة التضرر من هذه الحوزة، وعدم ارتفاع شيء من المطالب المعهودة، وصار يستغيث إلى محمد بالغارة، ومحمد قد كان أمر أحمد بن المؤيد ومن معه حتى بلغوا إلى الجند، كما مر ذكره. فلما وصلوا إلى تلك الجهة وبلغ المؤيد جواب الحجرية وما ينقموه كتب إلى أحمد بن المؤيد أنه لا يفتك في الحجرية بحرب، وأنه يرد ما طمع عليهم منهم من الدمنة والشرمان، وأنه يسعى في الصلح والسداد لا غير ذلك، فسكنت الأمور في الحجرية بعض السكون، وتنفس صاحب المنصورة بعض النفس، وإن كان قد صار كالمسجون، وسلك في الطريق بعض من سلك على حذر، وصارت الأمور متراقدة[1] بين البين. ولما علم التجار في اليمن الأعلا كصنعاء بهذه الأمور، لم تطمئن نفوسهم بالسفر إلى المخا؛ لأنه كان هذا الوقت وقت الموسم الهندي قد خرجت المراكب إلى المخا وبقوا منتظرين للتجار، فلم ينزل منهم أحد إلى الآن، ولم يطلع إلى صنعاء شيء من البز في هذا التأريخ، وارتفعت أسعار البز لانقطاع طريق المخا.

[٧٦/ أ] ولما كان حادي عشر شهر جمادى الأخرى وصل أحمد بن المؤيد إلى سوق الخميس[2]، خاطب إلى بلاد الحجرية أنهم يدخلوا في يده ويطلعوا صحبته إلى المنصورة

(١) متراقدة: أي هدأت الأمور بينهم.

(٢) سوق الخميس: هو اسم مشترك بين عدد من الأماكن التي يقصدها الناس للتسوق يوم الخميس من كل اسبوع.

ويصلح بينهم وبين محمد بن أحمد بن الحسن، فأجابوا أنهم يشرطون إزالة ولاية ابن المهدي أحمد بن الحسن عنهم أو خروجه من ديارهم أو رفع المطالب الجائرة عنهم، وكان ذلك كالمتعذر عند أحمد بن المؤيد وعند صاحب المنصورة ، فسار أحمد بن المؤيد بمن اجتمع معه من سنحان وغيرهم من الأهنوم ووادعة قدر ثلاثة آلاف، وخرج من الدمنة من طريق يسمى العروق[1] شرقي المنصورة، وتلقاه كثير من أهل الحجرية في الطريق، فقتل في الطريق من الدمنة إلى المنصورة من أهل البلاد كثير، يقال: نحو الثلاثين، وكان الرجبي في مكان يسمى القعيد، قريب المنصورة حاكم عليها وعلى من فيها، فتلاقى الفتيان وحمل أصحاب أحمد بن المؤيد ومن انضاف إليهم من أصحاب صاحب المنصورة. وقتل من قبائل الحجرية وأصحاب الرجبي فوق المائة، وانهزم الرجبي وأصحابه، ودهم الناس الليل فدخلوا المنصورة، [٧٦/ ب] وانتهب الناس محطة الرجبي وخيامه ووطاقه، وقتل من أصحاب الدولة قدر خمسة عشر نفراً منهم ياقوت إسماعيل وغيره، وهذا الوطاق هو الذي كان انتهبه في الحرب الأول على المنصورة، كما سبق. ومحمد بن أحمد في المنصورة كان في حالة ركيكة من المحاصرة، فتنفس بذلك، وبات أحمد بن المؤيد عنده تلك الليلة، ولم يلبث فيها إلا يوم واحد، وخرج عنها إلى مكان يسمى القَدَسْ بيوت المشائخ بني مغلس، ثم تقدموا إلى بيوت الرجبي أخربوها وقطعوا أشجارها ورجعوا إلى قَدَسْ، ثم واجه إلى أحمد بعض بلاد الحجرية كالمقاطرة[2] وأهل الأعروق والركب[3] وبلاد اليوسفي[4]. وتخلف عن المواجهة بلاد الأحمدي وأصحابه وغيرهم، ثم تقدم أصحاب أحمد بن المؤيد إلى بلاد الأحمدي أخربوا بيوت الشيخ وأصحابه واحرقوها بالنار، وطمعوا ما وجدوا من الغنم والبقر والإبل والأثاث، ثم رجعوا إلى قدس.

(١) كذا في الأصل، صحتها الأَعْرُوق. وقد شرح المؤلف موقعها وكتبها بعد ذلك الأعروق.

(٢) المَقَاطِرَة: قلعة حصينة في الجنوب الشرقي من (تربة ذبحان) كانت سابقاً ضمن بلاد الحجرية من أعمال محافظة تعز، أما اليوم فهي معدودة من محافظة لحج. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٦٠٦).

(٣) الرَكَب: منطقة في جبل صبر المطل على تعز. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٧٠١).

(٤) بلاد اليوسفي: لعله يقصد بنو يوسف: قبيلة من المعافر تسكن مديرية المواسط في جنوب تعز. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٩٣١).

ثم لما كان إلى ثالث وعشرين شهر جمادى الأخرى خرج صاحب المنصورة بنفسه من بلده إلى بلاد ابن أنعم[1]، طمع أصحابه منها طماعات كثيرة، وقبضوا عشرة أنفار أسرى، وقتل خمسة منهم ثم رجع المنصورة. وأحمد بن المؤيد سكن في قدس ثم كان إلى آخر شهر جمادى الأخرى عادت الحجرية في الخلاف أجمع كالخلاف أول مرة من جبل صبر إلى البحر. وحازوا المنصورة ثانياً[٧٧/ أ] وخالفوا ما بينه وبين ابن المؤيد أحمد بن محمد بن القاسم. وكان قد تقالل عسكره لما سار بعضم بالأطماع من عنده ورجعوا بلادهم، وبعضهم سار مغاضباً من العسكر، لما أراد ابن المؤيد أن يقطع جامكية شهر في مقابل ما صار معهم من الأطماع، فقالوا: هذا لا يمكن ولا يعرف مع عسكر كل دولة أن يحسب عليهم الطمع، ثم إن بعض العسكر ما صار إليه شيء من الطمع، وبعضهم بعد خروجه من الدمنة مرضوا، فانتهز قبائل الحجرية الفرصة وخالفوا ثانياً. وكان ذلك أيضاً بسبب أن أحمد بن المؤيد أرسل بجماعة من المشائخ الذين قبض عليهم إلى عند صاحب المنصورة، فلما وصلوا إليه قتل بعضهم، وقَتْل الأسير حرام لا يجوز، مع أنه روى أن قد كان أمَّنهم أحمد بن المؤيد.

وعلى الجملة إن سيرة صاحب المنصورة عجيبة في ذلك، ولقد روى راوي أنه في الخلاف الأول وحوزته ومضايقته لما كان أهم بالخروج من المنصورة، إذا لم تحصل له الغارة من المؤيد محمد بن المتوكل أدخل جواريه في دار من دور المنصورة، وجعل تحته باروداً وقصباً، وقال: إذا دخل قبائل الحجرية[٧٧/ ب] عليه أحرق البارود ليهلك الجواري، لئلا تأسرهم قبائل الحجرية، فلما ظهر الخبر عند الجواري مات منهن من مات، لهذا الأمر العظيم.

قال الراوي وهو من الفقهاء: وهذا جهل مفرط من المذكور، وظلم بَيِّن على النفوس بغير

---

(١) بلاد ابن أنْعَم: من أعيان بلاد المعافر الحجرية. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص١٠٩).

حق، والأمر كما ذكره، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولهذا ونحوه ما زالت الفتنة ثائرة عليه في اليمن الأسفل، وما سد من خرق بدا غيره، فإن الخلاف ثائر هنالك. وكتب صاحب المنصورة إلى صنوه حسين بن أحمد بن الحسن وهو بيريم أن ينزل إليه، ويتقرب مغيراً عليه، فخرج من يريم من المحال أن بلاده تصلح له؛ لأن يده ضعيفة مع اجتماع كلمتهم عليه وتوسطه فيهم، وأما هذه الغوائر عليه فهم لا يدومون في البقاء حراساً عليه، فمتى رجعوا حصل الخلل عليه، وكيف؟ وهذا الخلاف ما انفصل مع سكونهم هنالك.

[٧٨/ أ] وفي خلال ذلك واجه ابن شعفل إلى علي بن المتوكل، ووصل إليه إلى قعطبة، واعتذر بأن بلاده صارت بلا دولة، والله أعلم.

والمؤيد محمد بن المتوكل كتب إلى عبد الله بن يحيى[١] الذي تغلب على العدين بأنه يرفع بعض المطالب عن أهل العدين، ويرفع الضريبة التي ضربها بغير رأي منه. فلم يلتفت عبد الله إلى أمره ونهيه، فتغير المؤيد من ذلك، وقال: قد عزله، قول بلا عمل، وهو الذي أراد توليته وغرس شجرته هنالك، وإلا فما كان العدين إليه من أول، وعزل الأقران كقطع الشجرة بعد العروق التي سرت للشجر، فلو كان من أول الأمر لسهل عليه من غير تعب، وإنما كان لعبد الله هذا بلاد قعطبة كما سبق تأريخه، ولكنه الذي أراد المؤيد لهذا، وأثنى عليه ثم رجع إلى ذَمه، ولقد ضرب ضربة ما أحد ضربها في صغر البقش، بحيث جعل الخمس مثل البقشتين، فغيَّر الدراهم.

وفي هذا الشهر حبس المؤيد المنجمين الذين بصنعاء لما كثر منهم الخطأ والوعد للناس بالأكاذيب في أوقات، وأشهر يحدُّوها ولم يتفق منها شيء أصلاً، وتكرر منهم هذا المرة بعد المرة، وكثر منهم التخليط على الناس والتمويهات والتعاطي لما لا يحسنوه ولا يعرفوه. وهم: سليمان الديعري والمهلا وغيرهما ممن لا معرفة لهم إلا من باب التعاطي، وكذلك المموهين غيرهما المهتدي والإسنافي وغيرهم من المشعوذين بأعمال السحر من قلب العصا

(١) هو عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن، سبق ذكره.

حية والورقة بقشة، ونحو ذلك، واغتر بهم الجهال.

[٧٨/ ب] وفي آخر جمادى الأخرى ترجح للسيد حمزة بن أحمد بن الحسن[١] أن تسودن[٢]، ودخل قبة والده بالغراس، وكتب إلى بني حشيش أنهم يصلون إليه لموجب البيعة له؛ لأنه بلغه أن المؤيد صاحب ضوران تنحى، فوصل إليه من استدعى وطلب البيعة فأنكر عليه القاضي عبد الواسع، وعلي بن حسين بن أحمد بن الحسن[٣] بن أخي المذكور، لأن الأمر في الغراس إليه باستنابة والده حسين بن أحمد بن الحسن، فعند ذلك لم يلتفت إليه أحد وأرادوا ربطه لَمّا سل السيف على القاضي عبدالواسع، وبقى في حالة جنون بعد ذلك، وخرج إلى السوق بسيفه وجنبيته، فقتل بغلة، ثم سكنوه، وقالوا له: إما سرت إلى ضوران وإلا سكنت عن هذا الأمر.

حالة عجيبة، مع أنه في سن التكليف، والشباب لا يحفظ من العلم باباً، ولا يعرف مسألة ولا خطاباً، فيا للعجب من ذلك! لو ادعى المملكة كان أستر له[٧٩/ أ]. وعند ذلك أرسل به ابن أخيه علي بن حسين بن المهدي النائب في الغراس عن أبيه وقبائل بني حشيش إلى المؤيد، فساروا به إلى ضوران بعد وصول رسول من المؤيد لمثل ذلك. واقترن به من العجائب أن رجلاً وصل إلى بلاد حراز خرج من اللحية، فلما وصل إلى حراز ادعى أنه من أولاد المتوكل إسماعيل بن القاسم، وأن اسمه أحمد بن المتوكل، وأنه استخطف من شهارة إلى بلاد الشام، وأنه يريد زيارة صنوه محمد بن المتوكل، فصدقه كثير من أهل حراز وأضافوه، فلما بلغ والي حراز وهو الفقيه أحمد بن محمد السلفي أرسل إليه أربعة عسكر، وقال لهم :انظروا هذا الرجل إن رأيتموه عليه سيماً وجلالة قبضتموه على الوجه الحسن،

---

(١) حمزة بن أحمد بن الحسن بن القاسم، ذكره صاحب (بغية المريد) بأنه العاشر من أبناء أحمد بن الحسن، ولم يذكر شيئاً آخر عنه. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٢٨٤).

(٢) لم نستطع الوصول إلى معناها.

(٣) علي بن الحسين بن أحمد بن الحسن: يذكر ابن عامر بأنه أكبر أبناء الحسين. ولم يذكر له شيئاً آخر. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٢٨٠).

وإن كان على غير ذلك فعلى وجه الإكراه، فلما وصلوا إلى بيت الشيخ محمد السهلي وجدوه عنده في بيته، وقالوا :المذكور مطلوب إلى عند الوالي، فساروا به ووجدوه بباقي صاية[1] وحزام بغير[2] جنبية ولا سروال، معه مصري تهامي، فسألوه فأخبر بمثل ذلك، وكان وصل إلى السلفي كتاب منه بخط فقيه من أهل البلاد يذكر للسلفي أنه ولد المتوكل، وأنه سيصل إليه، وأنه يتأهب[٧٩/ ب] له، وعلامته أعلاه بخط الفقيه، فأما هو فلا يقرأ. فلما وصل إلى عند السلفي أخبر بمثل ذلك، وكان عند السلفي رجل وصل من المدينة المشرفة يعرفه، فقال له: أليس أنت الذي كنت في المدينة المشرفة؟ واسمك هناك إبراهيم، وكنت من أهل السوق هنالك والخدمة بأعمال الشربة والطعام، وأنت الذي كنت تصل إليَّ وأنا في المدينة بالشربة، فكيف قلبت اسمك أحمد بن المتوكل؟ فسكت ولم يدر ما يجيب عليه، فأمر السلفي بحبسه وحُبس بقيد في حبسه، فهذا من العجائب، وأدب السلفي الذين صدقوه في دعواه وكذلك الفقيه الكاتب له.

وبعد عزم حسين بن أحمد بن الحسن من يريم أمر المؤيد مكاتبة يحيى بن محمد[3] أنه ينتقل من رداع إليه بأصحابه، فسار إليه، ومن العجائب أن جميع خلل اليمن الأسفل هذا وهذه الفتن صاحب المنصورة وحسين بن حسن هم الذين أثاروها، وباينوا محمد بن المتوكل، ولم يسيروا في أوامره، ثم لما ضطروا إليه رجعوا إلى طلب معونته، فأعانهم والله يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[4].

مع أنهم فيما يريد منهم[٨٠/ أ] غير منقادين له، فالعجب من هذا التسخير! وما هو إلا لحكمة من الله، وإلا فكان الواجب عليه على مقتضى الطريق الشرعي أن يقول لهم:

---

(١) صاية: جُبَّة واسعة الأكمام غالباً ما يلبسها القضاة والعلماء.

(٢) بغير: أي بدون.

(٣) هو يحيى بن محمد بن الحسين بن القاسم.

(٤) المائدة: ٢.

أنتم ما أجبتموني في أوامري، فلا أعينكم في شيء بل بينكم وبينهم، وهم يدعون عليكم ما يدعونه من الجور في السيرة، إلا أن ترتفعوا عن بلادهم وتزال جميع هذه الزوائد من المطالب، أو جعل واسطة بينهم وبينكم وليقبض ما رسمناه ويصل إليكم أعنَّاكم، وإلا فلا.

وفي شهر رجب وصل الخبر بأن جبل[1] صبر استمكل خلافه مع الحجرية، وبلغ الخلاف إلى قاهرة تعز، فتحرك أحمد بن المؤيد من قدس إلى الزيلعي وبلاد يفرس، وجهز عيال أخيه إبراهيم بن حسين[2] وعلي بن قاسم[3] إلى حدود جبل حبشي، فوقع الحرب بعد أن كان أظهروا المواجهة. فلما اتفقوا حصل ما حصل من الحرب وراح من القبائل كثير ومن أصحاب الدولة نحو العشرة من غير المصاويب. وأصدق في القتال عبد الله بن أحمد أبو طالب، وباشر القتال وقتل منهم ودفعت فيه بنادقهم ومن بحضرته، فراح جماعة ووقعت رصاصة فيما بين حزامه وبطنه وحماه أجله. ووقع بعض الرصاص في بعض الخيل الذي معه فهلكت، وكان قد أخرج أهل جبل صبر واليهم الفقيه على السبارات، وهرب إلى تعز، واستولوا على خزائنه وما جمعه بعد حرب جرى بينهم، وقتل من الجانبين. ولما بلغ أهل جبل صبر نزول حسين بن أحمد بن الحسن من يريم للغارة واجهوا، وبلغ حسين بن أحمد بن الحسن إلى ذي أشرق ثم نزل إلى الزيلعي.

وفي غرة شهر شعبان بلغ الخبر أن حسن بن المتوكل خرج[٨٠/ ب] من اللحية إلى بيت الفقيه ثم إلى زبيد.

وفي ثالث شهر جمادى الأخرى مات القاضي العلامة: مهدي بن عبد الهادي الملقب

---

(١) وردت في الأصل: جبر.

(٢) هو إبراهيم بن حسين بن الإمام المؤيد محمد بن القاسم.

(٣) هو علي بن القاسم بن الإمام المؤيد محمد بن القاسم.

الحسوسة الثلائي، وهو الحاكم بثلا من مدة المؤيد بالله محمد بن القاسم، ثم دولة المتوكل إلى آخرها، ثم دولة أحمد بن الحسن إلى هذا التأريخ، وكان عارفاً بعلم الكلام على رأي المعتزلة، أخذ على والده فيه، وكان معه بثلا في بيته ووطنه، رحمه الله.

وسلطان سمرقند الخارج في البحر لما وصل إلى مرسى المخا أرسل إلى السيد حسن الجرموزي متولي المخا بقدر ألف حرف ذهب، واستأذنه في الدخول إلى البندر، فأذن له، لكن يدخل بقدر مائة نفر، ويبقى أصحابه في المرسى، فدخل المذكور بمائة نفر بقي فيه نحو شهر ثم سافر بحراً إلى بلاده. وكان خروجه للحج براً من بلاد الشام ثم العراق، وحصل بينه وبين قبائل الحجاز حرب قتل منهم نحو الخمسين حال خروجه لما طالبوه في المجبى، فامتنع عن تسليمه، وكان سبب القتال بينه وبينهم.

[٨١/ أ] وفي هذه الأيام بآخر شهر رجب منها أرسل علي بن المتوكل رسولاً إلى بلاد يافع وهو السيد قاسم بن أحمد بن لقمان بكتاب ووصاية، مضمونة استدعاء تمام وعد الشيخ معوضة بن محمد بن معوضة العفيف بالوصول. فلما وصل السيد المذكور إلى الشيخ معوضة اليافعي أجاب بأن حقيقة القول الذي هو باني عليه، وتقديم تقريره قبل النزول إليه ترك بلاد يافع أجمع، وأنها تكون إليه وإلى من فيها من العقال بنظره، والواجبات مسلمة والخطبة والسكة للمؤيد ماضية، ولا سبيل إلى ولاية أحد، وكتب كتاباً إلى علي بن المتوكل بذلك، وأرسل الشيخ عبد الغفور بن شيبان الصوفي بذلك، فدخل علي بن المتوكل في ذلك، وبلغ شيبان إلى حضرة المؤيد بتقريره.

وفي هذه الأيام شهر شعبان وصل كثير من التجار الذين نزلوا من صنعاء أنهم لما بلغوا تعز تحققوا الأخبار من الحجرية والطريق فوافقوها مختلة، وأنهم يخشون على أموالهم وأنفسهم فتحيروا[1] هنالك. وأصحاب أحمد بن المؤيد سار كثير منهم ومرض من مرض

---

(١) تَحَيَّرُوا: أي تأخروا.

منهم لما دخلوا الدمنة، لضعف هواها ووباها، وصادفوا أول أمطار الخريف في أوديتها.

وفي شهر شعبان كان وصل السيد صلاح بن إبراهيم المؤيدي، من السادة آل المؤيد الذي ببلاد صعدة[٨١/ ب] إلى حضرة حسن بن المتوكل صاحب اللحية هو وجماعة معه من طريق حيدان للطلب من الدولة، فلما قضى غرضه حسن بن المتوكل وأعطاه ما سمح به من عطاه عزم من عنده قاصداً للمرور على دولة اليمن الأسفل، ثم يطلع إلى حضرة المؤيد من تلك الجهة، فلما بلغ إلى أسفل العدين صالت عليه القبائل من المعادية، فاستأصلوهم ونهبوهم وقتلوهم عن آخرهم وحزوا بعض رؤوسهم، وأظهروا الخلاف على الدولة، والإمتناع من التسليم للمطالب لما قد نالهم من الجور في المدة الماضية من دولة المتوكل وما بعدها، وعدم إنصافهم في شكواهم على المتوكل من أجلها، فصبروا ذلك الزمان لغلبة الدولة واجتماع الكلمة. فلما كان هذا الوقت ورأوا الدولة تفرقت آراؤها واختلفت أنظارها خالفوا، واتفق ذلك حال إرادتهم للخلاف وحصل خلاف العدين هذه المدة، فقيل: إنهم ظنوهم من أصحاب الدولة، فحصل ما حصل فيهم. فلما وصل الخبر إلى عبد الله بن يحيى الأحول[١] جهز عليهم الفقيه علي العلفي وجماعة عسكر من أصحابه، فقابلوهم بالقتال، فقتلوا الفقيه علي العلفي وجماعة معه من أصحابه نحو عشرة وهرب الباقون، وعبد الله بن يحيى هاب جنابهم، فتركهم ولم يطالبهم، وتغلبوا على بلادهم وهو في رأس العدين يترقب.

وفي النصف[٨٢/ أ] الآخر من شهر شعبان بعد وصول التجار إلى تعز تحيروا فيه وبلغهم ما في الطريق بوادي الغيل ببلاد القَمَاعِرة[٢] من الحجرية من الأمور الذي يتعذر معها المرور. وكان قد استقر أحمد بن المؤيد وحسين بن المهدي بالزيلعي، فخرجت

(١) كذا في الأصل وهو عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن بن القاسم . ولا ندري لماذا لقبه المؤرخ بالأحول.

(٢) القَمَاعِرَة: قبيلة ومركز إداري من مديرية ماوية في شرقي مدينة تعز بمسافة ٥٠كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٩٦).

رسلهم إليهم، فأمروا معهم جماعة من العسكر الذين معهم، وأنهم يصحبوهم إلى المخا، فساروا معهم إلى بلاد شرعب، ولعل وصولهم يصادف حركة الهند بالعود بلادهم؛ لأن الوقت قد تضيق عليهم.

وفي هذه السنة شهر جمادى الأولى خرج من مكة رجل يقول إنه السيد محمد من ذرية السيد عبد القادر الجيلاني، وله في العلم معرفة، قال: إنه أخذ على محمد بن سليمان[1] بمكة، ومذهبه مالكي كمذهب شيخه محمد بن سليمان، وقال: أن أصل بلده من حماة بالشام، وقيل: وهو يريد الخروج إلى الهند، وقيل :بل إلى اليمن. ورجع بلاده ومعه تأريخ في مجلد تتمة لتاريخ ابن خلكان على ما ذكر مصنفه حيث قال في ترجمة كتابه هذا: ولما وقفت على كتاب وفيات الأعيان[2] لقاضي القضاة ابن خلكان وجدته من أحسنها وضعاً، لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة والمحاسن الكبيرة، غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء، ورأيته قد أخل بتراجم بعض فضلاء زمانه، وجماعة ممن تقدم على أوانه، فأحببت أن [٨٢/ ب]أجمع كتاباً يتضمن ذكر من لم يذكره من الأئمة الخلفاء، والسادة الفضلاء، وأذيل من وفاته إلى الآن، وسميته بوفاة الوفيات[3]، ورتبه على الحروف كأصله، غير أنه لم يذكر ضبط الأسماء، كما هو شأن ابن خلكان. وقاعدة الذيل أن يقْفوا طريق الأصل، مع أن ابن خلكان إنما ذكر الأعيان، فلم يترك من أغفله إلا عن قصد منه وعيان، مع أن هذا الكتاب قد يذكر فيه من قد ذكره ابن خلكان مثل إبراهيم بن إسحاق الحربي[4] فإنه

---

(١) محمد بن سليمان. سبق ذكره.

(٢) اسم الكتاب: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل والسماع أو أثبته العيان) احتوى على ٨٤٦ترجمة، وطبع عدة مرات، وترجم إلى اللغة الفارسية والإنجليزية. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٢، ص ٢٧٦).

(٣) كذا في الأصل: الأصح (فوات الوفيات) مجلدان، اشتمل على ٥٧٢ ترجمة. (الزركلي: الأعلام، مج٦، ص١٥٦).

(٤) إبراهيم بن إسحاق الحربي: هو إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله البغدادي الحربي، أبو إسحاق (١٩٨-٢٨٥هـ/ ٨١٥-٨٩٨م) من أعلام المحدثين، أصله من (مرو) واشتهر وتوفي ببغداد، كان حافظاً للحديث عارفاً بالفقه بصيراً بالأحكام، صنف كتباً كثيرة، منها (غريب الحديث) و(سجود القرآن) وغير ذلك. (محمد بن أحمد الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢، ص ٥٨٤؛ الزركلي: الأعلام، ج١، ص٣٢).

مذكور في تأريخ ابن خلكان، ثم الخلفاء والسلاطين لم يغفلهم ابن خلكان كلهم بل ذكر بعضهم دون بعض؛ لأجل شرطه الذي ذكره أنه يذكر الأعيان والملوك الكبار دون غيرهم على أن الخلفاء لهم تواريخ مفردة، لا حاجة إلى ذكرهم، ولذلك لم يذكر ابن خلكان أحداً من الصحابة والتابعين لظهور أحوالهم وتواريخهم. وصاحب هذا التأريخ صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد الشافعي[1] رحمه الله، وذكر فيه ترجمة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وسائر تراجمه في تواريخ الذهبي والطبقات موجودة معروفة، وكذا في طبقات الحفاظ، مع أن المذكور متعصب في تركه لكثير من الأعيان أيضاً ممن تأخر عن ابن خلكان لم يذكروا،[٨٣/ أ] وليس أوفى من تواريخ الذهبي وتواريخ المذيلين عليه كابن حجر العسقلاني في كتابه (الدرر الكامنة في المائة الثامنة) في مجلدين، وكتاب (الضوء اللامع في القرن التاسع) للسخاوي في أربعة مجلدة، وكتابه الآخر (الوجيز) في مجلد، فإنهم الذين استوفوا من بعد التواريخ السابقة من علماء وملوك وخلفاء ما لم يستوف غيرهم. وأما تواريخ السيوطي في الخلفاء فهو مجحف في الإختصار، وإن كان قد استوفى الخلفاء، وكذلك كتابه (حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة) كتاب صغير مجحف اختصره من كتاب ابن أبي حجلة[2] المسمى سكردان[3] في أخبار مصر وملوكه من بني قلاوون الأتراك، الذين قبل الشراكسة وبعد بني أيوب، وتعرض لأطراف أُخر من عجائب مصر فهو يغني عن كتاب السيوطي؛ لأنهما في حجم واحد يأتي

(١) هو محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن الكتبي الداراني الدمشقي، صلاح الدين، (٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م) مؤرخ، باحث، عارف بالأدب، نشأ وتوفي بدمشق. كان فقيراً جداً، واشتغل بتجارة الكتب، فربح منها مالاً طائلاً، ألف كتابين (فوات الوفيات) السابق ذكره، و(عيون التواريخ). (الزركلي: الأعلام، مج٦، ص١٥٦).

(٢) ابن أبي حجلة: هو أحمد بن يحيى بن أبي بكر التلمساني، أبو العباس (٧٢٥-٧٧٦هـ/ ١٣٢٥-١٣٧٥م) عالم بالأدب شاعر، من أهل تلمسان، سكن دمشق، له أكثر من ثمانين مصنفاً. (الزركلي: الأعلام، مج١، ص ٢٦٨-٢٦٩؛ أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي،ج٣، ص٣٩٤).

(٣) سكردان: عنوان الكتاب (سكردان السلطان) تركيب فارسي بمعنى وعاء السكر، وهو من كتب الأدب والطرائف، ألفه ابن أبي حجلة للسلطان حسن السابع من سلاطين المماليك. مطبوع. (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج٣، ص ٣٩٤).

كل منهما في ثمان كراريس.

وفي هذه المدة بنصف شعبان وصل جماعة من مشائخ يافع إلى قعطبة حضرة علي بن المتوكل حسبما راسلهم وواجهوه بعد تقرير الشروط التي شرطوها أن لا أحد يدخل بلادهم على ما كان شرطوه أولاً، فتم ذلك بينهم. وعند ذلك سار علي بن المتوكل إلى إب وتخلص عن قعطبة بذلك. وأما ابن العفيف بنفسه فما وصل[٨٣/ ب]، وكان تقرير الصلح بعناية علي بن المتوكل لما طال عليه البقاء في قعطبة، فبذل بعض شيئ من المال لذلك. ووصل من عند ابن العفيف الشيخ عبد الغفور بن شيبان لتمام الشروط من المؤيد، فوصل إلى ضوران وتمت الشروط بأن البلاد لابن العفيف وهو يسلم من الواجبات ما أمكن فتم ذلك، وعلي بن المتوكل عند ذلك نزل إلى بلاده إب وجبلة بعد أن مَلَّ من البقاء في قعطبة، فلما نزل إلى إب وجبلة وتم صلح بلاد يافع سكنت بلاد الحجرية عن إثارة الفتنة، ووصل من مشائخهم من وصل إلى حضرة أحمد بن المؤيد، وسكنت الأمور.

[٨٤/ أ] ولما اتفق محمد بن أحمد بن الحسن بصنوه حسين في الزيلعي تقسموا البلاد، فجعلوا لإسحاق بن أحمد بن الحسن مدينة زبيد وبلادها، وجعلوا لمحمد صاحب المنصورة الدمنة مع بلاده الأولة، وجعلوا لإبراهيم بن أحمد بن الحسن بلاد أبين وما إليه، وسائر بلاد والدهم لحسين بن أحمد بن الحسن، وتقسموها بينهم هكذا، وكل رضى بما معه.

قال الراوي: والبلاد في حكم المخالفة إنما سكنوا هذه المدة لما بلغهم الصلح بين علي بن المتوكل والمشرق، ورجوعه إلى إب وجبلة. وأحمد بن المؤيد لقد أصلح الحجرية ونَفَّس على محمد بن أحمد بن الحسن، وقبض مشائخ جبل حبشي من قبض، ومن سائر الحجرية فرقهم، فبعضهم أرسل به إلى ضوران وبعضهم إلى المنصورة.

قال الراوي: وما صلح المشرق إلا ببذل من علي بن المتوكل ووسائط في الصلح وتقرير القول وضمانات عليهم في صلاح الطرق وسكون ثائرة الفتنة. وشرطت يافع أنه لا يدخل بلادهم أحد، بل يسلمون من الواجبات، ويرسلون بذلك من غير ولاة عليهم ولا واسطة.

قال الراوي: ثم رجع أحمد بن المؤيد إلى تعز وفي نيته الرجوع والطلوع، وكذلك حسين بن أحمد بن الحسن رجع إلى تعز، ومحمد رجع المنصورة هذا تحقيق خبرهم.

[٨٤/ ب] وفي هذا التأريخ خرج من رداع حسين بن محمد أبو طالب(١) إلى ذمار، وكذلك صاحب كوكبان(٢) بعد تمام الصلح للمشرق.

فانظر أيها الحليم كيف دولة اليمن ما قدروا يحفظوا ويصلحوا ويملكوا ما هو تحت أيديهم من اليمن، وكيف قاموا عليهم وأرادوا التغلب وقد فعلوا، فإن يافع تغلبوا على بلادهم وحاربوا وقاتلوا وهزموا، فكيف يقدر أن يملك صاحب اليمن غيره من الجهات النائية كما كان نوى ذلك المتوكل والمهدي، هذا من المحال على كل حال.

وفي عاشر شهر رمضان وصل الخبر أن إبراهيم بن أحمد بن الحسن طلع بعد الإجتماع في الزيلعي إلى يريم، ومعه جماعة عسكر قدر أربعمائة نفر، وسكن فيه مريداً الإستقرار فيه. وكان قد وضع له المؤيد لما سكنه وأراد التغلب عليه الثلث، ولعله مع استقراره فيه تبسَّط على جميعه. وبلغ الخبر أن اجتماعهم في الزيلعي انطوى مع تقاسمهم البلاد على تحالف بينهم أنهم يد واحدة على من خالفهم، وظهر أنه إن أمكنهم التغلب على اليمن كانوا يداً واحدة وجعلوا رئيسهم صاحب المنصورة. وحسين بن أحمد بن الحسن استقر

---

(١) هو حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم.

(٢) صاحب كوكبان: هو الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب، من آل شرف الدين، وقد سبق.

في تعز وقبض مفاتيح المخازين من ابن راجح[1]، وتصرف في الطعامات وغيرها. والمؤيد عند ذلك عجب من هذا الأمر منهم، وبقي حائراً من عملهم، وكيف تعقب الإحسان؟ منه بالمعاونة بفكه من الحصار إرادة الخلاف والإستقلال؟

واتفق في هذه الأيام بأول رمضان أنه كان وصل من وصاب شكاة يطلبون التخفيف عليهم من المطالب الجائرة، وأنه ما جرى منهم ما جرى من المنع للوالي من التسليم إلا ذلك، فأجاب حسين بن أحمد بن الحسن أنه لا يرفع شيئاً في بلاد أحمد بن الحسن، فلما وصلوا بلادهم امتنعوا من التسليم إلى العامل عندهم، وأهل العدين طردوا المُثَمِّرين[2] وانتهبوهم.

[٨٥/ أ] وفي نصف رمضان لما وصل أحمد بن المؤيد إليه استقر فيه باقي رمضان، وسار من أصحابه أكثرهم ممن بقي بعد، وإلا فكان طلع كثير منهم قبل طلوعه، وفيهم أمراض كثير، ومات من مات بالدمنة، لأنها بلاد وبيئة.

قيل: وربما دفن فيها القبائل السمن بين التراب، وهو يحصل منه ما يحصل وكان صاحب المنصورة قد فرق آداب على بلاد الحجرية، فلما علموا بأن أحمد بن المؤيد قد طلع وعاد وخرج من تعز امتنعوا من تسليم الآداب وأرجعوا الرسل الذين من بلادهم، وقالوا: لا نسلم إلى صاحب المنصورة، وإنما نسلم الواجب إلى من نظره المؤيد، وقالوا قد بعض المشائخ من بعض بلاد الحجرية طلعوا صحبة أحمد بن المؤيد فالجواب معهم. وامتنعت الحجرية أجمع عن الدفع إلى صاحب المنصورة، مع أن أحمد بن المؤيد إنما استطرق بعض تلك البلاد المخالفة، فأما جبالها العالية مثل جبل الزعازيز[3] وغيره فلم يتمكن من دخوله، لعسرة طريقه، وغيره من سائر القلاع التي في جبل حبشي منعوا

(١) هو الشيخ علي بن راجح الوالي على تعز من عهد الإمام المتوكل إسماعيل، وكانت تعز تابعة لعلي بن المتوكل.
(٢) المُثَمِّرين: هم الذين يقدرون الثمار في الأشجار ليُقدر على ضوئها الزكاة.
(٣) الزعازيز: لم أجد في المراجع الموجودة لدي منطقة أو جبل يحملان هذا الاسم.

أنفسهم بها وحاربوا فيها. وابن المؤيد لما طال عليه الأمر واستشق البلاد وعرف أحوال صاحب المنصورة وعدم انقياده واختلاف أنظاره لم يسعه إلا العود، فإنه كان صحبته من المؤيد محمد بن المتوكل كتاباً إلى صاحب المنصورة مضمونه[٨٥/ ب] أنه لا يقدم إلى شيء من الآداب لأهل الحجرية، بل يتوقف حتى يستكشف عملهم، فلم يسعد إلى ذلك وجرى بينه وبين أحمد بن المؤيد كلام في ذلك كان من جملة الموجبات لعوده وتركه، مع أنه ما نَفَّس عليه من الحصار إلا هو. وكان أيضاً اجتماعه في الزيلعي وإخوته بغير حضوره.

وفي خلال ذلك عقب طلوع أحمد بن المؤيد إلى اليمن الأعلى من سمارة غزا أهل العدين وما يتصل به من القبائل إلى وصاب سوق الجَبْجَب[1] في بلاد حبيش وكذلك ظلمة التي غربي إب فوق العدين مما يلي الشمال، وخالفت وصاب لاتصال هذه البلاد به كبني مهدي وغيره.

وحصل أيضاً في هذا التأريخ بنصف رمضان خلاف شرعب وأخرجوا جميع من عندهم من العسكر، وتحالفوا على أنهم لا يسلمون شيئاً، وإن كان كل يمر من أصحاب الدولة في جهتهم فهو هدر. وخرج السيد صلاح الديلمي بجماعة عسكر من قبل حسين بن أحمد بن الحسن إلى بلاد شرعب، فمنعوه عن دخول بلادهم، ثم وقع بينه وبينهم حرب فقتل من الجانبين وأخرجوه من بلادهم مكسوراً، وقتل من أعيان أصحابه من أشراف الجوف.

والتجار الذين نزلوا المخا قالوا كل من كان تاجراً ولم يكن من أصحاب الدولة فلا يعترض، ومن كان من أصحاب الدولة انتهب.

وفي شهر رمضان حصلت زلزلة في بلاد كحلان وما يتصل به، فالقدرة لله تعالى.

---

(١) الجَبْجَب: من مراكز (يريس) بمديرية حزم العدين، وأعمال محافظة إب. أما سوق الجبجب فكان يقام بها سوق كبير موعده يوم الأحد. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٢٧٩).

[٨٦/ أ] **قال الراوي**: وهما زلزلتان أحدهما يوم الأحد ضحوة النهار، والأخرى يوم الثلاثاء نصف رمضان وقت العصر، فتسلخ بعض الجبال في بلاد كحلان وعفار، وخربت بيوت في بلاد قراضة، فالقدرة لله على ما يشاء، وكان حدها إلى بلاد ثلا، ولم يقع شيء منها في بلاد صنعاء ولا غيرها من سائر اليمن.

وفي هذه الأيام انتهب سوق الضامر من مساقط بلاد حراز أطراف الحقار، غزوه جماعة من المعازبة[١]، وحسن بن المتوكل دخل زبيد لتسكين ثائرة الخلاف.

وفي هذه الأيام جاء خبر أن عبيدة[٢] بنواحي بلاد شام صعدة تحاربوا هم وقبائل بلاد الدرب[٣]، ما بين الحرجة وبني ذهبان شهران، فهزمت عبيدة أهل الدرب وخربوا الدرب. وهذه القبائل بين الدولتين دولة صاحب اليمن وصاحب مكة، والسلطان ابن عثمان لا دولة عليهم على مرور الزمان.

وفي شهر شوال وصل الخبر بموت الملك عبد العزيز سلطان سمرقند وبخارى ببندر المخا، وهو الذي حج العام الماضي إلى بيت الله الحرام، كما سبق ذكره، وخرج راجعاً بلاده من طريق البحر، فلما وصل قريب المخا دخله واستقر فيه حتى سبر البحر الشرقي للمراكب، فسبق أجله فيه، وقد كان كبير السن له مدة في السلطنة لبلاد سمرقند وبخارى[٨٦/ ب]، حنفياً له سيرة مليحة في المسلمين، رحمه الله تعالى.

وفي هذه الأيام ما زال المؤيد يسعى في رفع المجاب من الطرق والأسواق، فرفع الأكثر منها، ورفع كثيراً من المطالب الزائدة فما قصر، ودعت له الرعية خصوصاً في بلاده ومن

---

(١) المَعَازبة: قبيلة من الأشاعرة، مساكنهم ما بين بيت الفقيه والمنصورية، من أعمال زبيد. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٥٦٥).

(٢) عبيدة: تسمى عبيدة جنب، شمالي صعدة. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٥٧٥).

(٣) الدرب: يطلق عليه دَرْب الصفاة: قرية في وادي أملح من مديرية (كتاف والبقع) بصعدة. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٦٠٧).

أطاعه من غيرها، وأما صاحب المنصورة فما عذر أهل بلاده.

وفي هذه الأيام ذكر لي الشيخ حسن بن أحمد المصري لما وصل من مكة المشرفة إلى اليمن، فقال المذكور: إنه كان في العام الماضي بمكة فأشار جماعة إلى شريف بأنه المهدي المنتظر قال: فأنكر ذلك الشريف قولهم.

قال الشيخ هذا: فقلت لهم المشهور أن المهدي إنما يكون سنه في أربعين سنة وهذا الذي أشرتم إليه في الستين السنة، قال فانصرفوا وتركوه، ولا شك أن المهدي متأخر زمانه عن هذا الوقت بكثير كما قضت به الملاحم المنسوبة إلى علي كالقطعانية وغيرها. وسألته عن الشريف سعد بن زيد المكي وكيف ترك عقوبته السلطان محمد؟ فقال: السلطان محمد له محبة لأهل البيت كائناً من كان، فإذا صدرت من أحد هفوة صفح عنها بجهده وعفا، وكان السلطان ولاه أطراف البدو بالشام ثم عزله وطلبه، وهو الآن عنده.

وفي غرة شوال غزا معوضة بن محمد[٨٧/ أ] بن معوضة اليافعي البيضاء من بلاد الرصاص، فحاصرهم فيها واحتازوا في البيوت، ثم اصطلحوا.

قال الراوي: وسببه على طلب مجبا على بعض أهل بلاده في سوق البيضاء.

ووصل في نصف شوال جماعة من مشائخ بلاد يافع يذكرون أنهم مُسَلِّمون ما عليهم من الواجبات بغير واسطة ابن العفيف، فأجابهم المؤيد إلى ذلك وكساهم، وكانت طريقهم بلاد يريم، ولم يصلوا إلى حسين بن حسن.

وفي نصف شهر القعدة خرج السيد صالح بن عبد الله حيدرة الغرباني من وصاب، أخرجه أهل البلاد وقالوا ما يسلموا إلا الواجبات حسبما وضع لهم المؤيد، بعد أن حسبت المطالب في وصاب سبعين مطلبة، وإبراهيم بن المهدي وصل إلى ضوران بطلاب[1]

(١) طلاب: أي طلب استدعاء، سبق ذكره.

وصل له من يريم.

وفي هذا الشهر لما تفاقم على صاحب المنصورة الأمر، وعرف ما جرى معه من خلاف الحجرية، وأنه لا ينفعه إلا تأليف الشيخ ابن مغلس صهره ليكون يداً له وعوناً على سائر قبائل الحجرية وغيرها، فطلبه وأحسن إليه بالمال، وأمر بعمارة بيته الذي كان خربه أحمد بن المؤيد، واستجاش به على جبل حبشي فأجاشه فاستفتحوه ونهبوه.

وفي شهر القعدة كتب عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن[٨٧/ ب] إلى صاحب المنصورة وصنوه حسين[١] بالغارة عليه، فإن أهل العدين منعوه من تسليم المطالب، فأرسل حسين بن أحمد بن الحسن من محروس تعز صنوه إسحاق في جماعة عسكر، فلما وصلوا إلى العدين وقع الحرب بينهم وبينهم، فراح قتول وجنايات واهتزمت القبائل.

وفي هذه الأيام لما وصل حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم من رداع وضوران إلى دياره بالروضة تقدم إلى عمران للسكون فيه. وكان قد أرسل لعلف من المَعْمَر[٢] في بلاد همدان، فمنعوه، فأراد تأديبهم فلم يمتثلوه، وشرع يحصل بينهم ما يحصل، فتركهم، وقالوا البلاد لغيره ولا ولاية عليهم له، وقالوا له إما صافيكم فأهلاً وسهلاً دون حمل علف على الجمال.

وفي هذه الأيام وصل إلى المؤيد من زبيد جماعة شكاة من صنوه حسن بن المتوكل أن أصحابه وعساكره ضروهم واستهلكوا أموالهم وسكنوا في بيوتهم، وأن قد شد منها بعضهم وخرجوا عنها بأهلهم.

وفي هذه الأيام وقع في بلاد خولان فتنة عظيمة فيما بينهم، وذلك أنهم افترقوا طائفتين،

(١) المقصود به حسين بن أحمد بن الحسن.

(٢) المَعْمَر: قرية في شمال غرب مدينة صنعاء بمسافة ٢٢كم، من قرى همدان. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٥٨٥).

الأحلاف[1] والجهوز[2]، ودارت بينهم المعارك والحرب يوماً بعد يوم، فتنة عظيمة.

[٨٨/ أ] **قال الراوي**: ممن حضر الفتنة الواقعة بين خولان في بلاد صعدة أنها ثارت ما بين خولان أنفسهم الجهوز والأحلاف، فصالوا على بعضهم البعض واقتتلوا قتالاً قبيحاً، وأبلى كل منهم جهده الواسع وألقوا أنفسهم للتهكلة للهلاك، وصبوا على بعضهم البعض البنادق في المعركة، فراح منهم عالم كثير نحو المائة. وزادهم ذلك القتال غلظة أنهم كانوا يهتكون بيوت بعضهم البعض بالنهب وكشف الحريم والخراب والغيار في الأبنان والأشجار، وفعلوا من الظلم العظيم لبعضهم البعض ما لا مزيد عليه، وظهر على كثير منهم الفقر وذهاب المال، وبقي الدولة الذين غاروا من صعدة متفرجين عليهم من جبل هنالك لا يمكنهم التأثير ولا الكف عن هذه الأفاعيل، بل زاد نالتهم في الليل إلى محلهم المراجيم.

قال: ولا شك أن هذه عقوبة قد استحقوها فيما مضى، وما سكنوا إلا لما مَلُّوا وشبعوا، حتى أن مشائخهم لما رأوا ما جرى ولم يبق لكلامهم عند أصحابهم تأثير في الكف عما قد وقع وجرى، وإن كانوا أولاً من المشاركين في إثارة الفتنة[٨٨/ ب] قبل ما شاهدوه من المحنة ألقوا بأنفسهم بين يدي صاحب صعدة، وقالوا: يدخلهم الزناجير بذنوبهم، وما قد حصل منهم من المشاركة في ابتداء فتنتهم، وعسى يكتف أصحابهم.

قال فعذرهم وقال: الفتنة قد عمتكم، وقد أصابكم من العقوبة بأيديكم ما يغنيكم، إلا أنه قال بعد أن حضر الحاضر من سادة بني المؤيد[3] وغيرهم في الصلح: لا بأس بما ترونه

(١) الأحلاف: من قبائل خولان صعدة، وتنقسم إلى: شعب حي، وبنو ذويب، وزُبيد، وبنو بحر. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٤٧٦).

(٢) الجهوز: هم ايضاً من قبائل خولان صعدة، ومنهم: ولد عياش، وجهوز الشعاف، وبنو مروان. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٤٧٦).

(٣) بني المؤيد: المقصود بهم هنا: بيت المؤيد أهل صعدة، سلالة المؤيد أحمد بن يحيى بن أحمد بن يحيى بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين. وقد تفرعوا إلى بيوت عديدة. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٦٩١-١٦٩٢).

من العسكر يكون بسببهم بعض التسكين وربط جأشكم، لما حاق عليهم الأمر بتبعته.

قال: فانعقد الصلح فيما بينهم ذمة مدة معلومة، وسكنوهم بشرذمة من العسكر قليلة، ثم عاد علي بن أحمد إلى صعدة.

وفي شهر الحجة قبيل العيد ترجح لسيد يقال له: أحمد بن حسين الأخفش ادعى أنه إمام، وهو في كوكبان وشبام، وكان جاروديًا رافضيًا في الإعتقاد، يتحمل على الصحابة رضي الله عنهم، وفي غيرهم من المسلمين يمد لسانه، ويزكي نفسه، ويتخيل أن الحق ليس مع أحد إلا معه، مثل الأعرابي الذي بال في المسجد، فزجره أصحاب النبي ﷺ فقال ﷺ: «دعوه لا تقطعوا درته وصبوا عليه ذنوبًا من ماء» فلما أكمل حاجته قال: اللهم ارحمني[٨٩/ أ] ومحمدًا ولا ترحم معنا أحدًا، فقال له النبي ﷺ: «لقد تحجرت واسعًا»[١].

وخطب خطبة بعد صلاة الجمعة بالجامع وذكر فيها ما ينبي عن اعتقاده الردي، حتى ذكر أنه يوحى إليه بالوحي وأن الله قد أوحى إلى النحل، فبالأولى هو، فلما ظهر للأمير عبد القادر ما تفوَّه به من القول الفظيع وادعاءه للوحي الذي للنبي، أمر بأن يقيد بقيد حديد في بيت والده، فقيد أيامًا ثم فك القيد عنه بشفاعة والده، ولا يخرج عنه إلى غير يده، وأمر بأن حبسه بيته، فانتظم المذكور في الثلاثين الدجال الذي وعد سيدنا رسول الله ﷺ بظهورهم بعده، وبعضهم قد مضى في زمنه ﷺ كمسيلمة[٢] والأسود[٣]: **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾**[٤]، وفي الجامع الكبير للسيوطي من طريق

---

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) مُسَيْلمة: هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي (ت ١٢هـ/ ٦٣٣م) أطلق عليه مسيلمة الكذاب، ولد ونشا باليمامة، ادعى النبوة في عهد النبي ﷺ، غير أنه قُضي عليه في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه على يد خالد بن الوليد. (الزركلي: الأعلام، مج٧، ص٢٢٦).

(٣) هو الأسود العنسي، سبق ذكره.

(٤) الأنعام: ٩٣.

ثوبان[1] قال قال رسول الله ﷺ: «إنه سيكون في أمتي ثلاثون كذاباً كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين»[2]، أخرجه الترمذي، وأحاديث أُخر.

وردَّ هذا السيد المذكور جميع السنة، وقال: أنه لا يحتج إلا بالقرآن كدين الخوارج. واقترن به رجل آخر[٨٩/ ب] في بلاد موزع عمر مسجداً، وقال للناس أنه الكعبة، وأظهر له مخاريق من أعمال السحرة، فقصده صاحب المخا، فرق جمعه ومزقهم، وعجائب اتفقت هذه المدة وسببها ضغف يد هذه الدولة.

وفي هذا الشهر خرج حسن بن المتوكل من زبيد إلى بيت الفقيه وبقي بعده جماعة من أصحابه، ورئيسهم النقيب عثمان زيد.

وفي هذه الأيام بعد أن دخل إسحاق بن أحمد بن الحسن طلع إلى جبل وصاب، واستقر فيه وتصرف في تلك البلاد، وقتل بعض مشائخها، فلا قوة إلا بالله.

وفي هذه الأيام خرج شرح إلى اليمن على الجامع الكبير[3] للسيوطي الذي في الحديث في أربعة مجلدة، صنفه بعض العلماء المتأخرين في تلك الديار، وخرج أيضاً معه شرح على المواهب اللدنية[4] في السيرة النبوية.

---

(١) ثوبان: هو ثوبان بن يجدد، أبو عبد الله: مولى رسول الله ﷺ، أصله من أهل السراة، اشتراه النبي ﷺ ثم أعتقه، فلم يزل يخدمه حتى مات، ثم خرج إلى الشام، فسكن في حمص، وتوفي فيها. له ١٢٨ حديثاً. (الزركلي: الأعلام، مج١، ص١٠٢).

(٢) ورد الحديث في الترمذي: (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان وإنه سيكون في إمتي ثلاثون كذاباً كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي). (سنن الترمذي: ص ٢٢١٩). وورد لدى أحمد بن حنبل، ج٥، ص٢٧٨.

(٣) الجامع الكبير: اسم الكتاب: (جمع الجوامع) للسيوطي، قسمه منؤلفه قسمين: الأول يشتمل على الأحاديث القاولية مرتبة بحسب حروف المعجم، والقسم الثاني في الأحاديث الفعلية. وقد اختصره المؤلف في كتاب سماه (الجامع الصغير). (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج١، ص٦٣٣، ج٣، ص ٦٢٤).

(٤) المواهب اللدنية: هو كتاب: (المواهب اللدنية في الملح المحمدية) كتاب في السيرة النبوية لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني الكتبي المصري. من علماء الحديث، مولده ووفاته بالقاهرة سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م. (محمد بن عبدالقادر بامطرف: الجامع، ج١، ص ١١٤).

وفي هذه الأيام قصد عبد الله بن يحيى صاحب العدين إلى بعض جهات العدين من المخالفين عليه، فالتقوهم بالحرب، فوقعت الهزيمة في أصحاب عبد الله بن يحيى وقتل جماعة منهم.

وفي هذه الأيام بآخر شهر القعدة رفعت الضريبة من عند علي بن المتوكل، بعد أن أرسل صنوه إليه القاضي جباري، فنزل الصرف إلى ستة حروف، ثم عادت بعد شهرين فرجع الصرف إلى سبعة ثم إلى ثمانية، فسار تجار صنعاء إلى حضرة المؤيد يشكون ومعهم خطوط من القضاة وغيرهم من أجلها؛ لأنها ما زالت تصغر كل شهر ضريبة، فحصل التضرر من جهة مسارقتها لم يستقر على حالة واحدة، لكنه حصل لطف للرعايا.

[٩٠/أ]ودخلت سنة خمس وتسعين وألف[(١)]

في رابع شهر محرم وصلت أخبار مكة مع أول الحاج، فقالوا فيها: إن الحج كان صالحاً إلا أن الأسعار مرتفعة، بلغت الكيلة إلى أربعة وعشرين بقشة مصرية، وهي في زمان الخير ما تزيد على ثلاثة كبار أو أربعة كبار، وأن صرف القرش بمكة بثلاثة أحرف ونصف مصرية، زاد الصرف فيها، لكثرة القصر فيها وإن كان صرف القرش بدراهم مصر الأصلية أقل من ذلك، قال الحجاج: وسبب الغلاء القحط ببلاد الحجاز ومكة وغلاء العلف.

قالوا: وخرج أمير الحاج المصري والعراقي والشامي على العادة، وكان أمير المصري الباشا صالح، وخيله قدر سبعمائة من غير العسكر.

---

(١) ١ محرم ١٠٩٥هـ = ١٩ديسمبر ١٦٨٣م.

قال: وكان بين سعيد بن بركات صاحب الولاية بمكة وبين الشريف أحمد بن غالب مراكزة، وأنه مال إلى أحمد بن غالب جماعة من الأشراف، وأنه مريد للمنازعة في المملكة لمكة، وأنه والأشراف الذين مالوا معه كتبوا إلى السلطان بأنه الذي يصلح للولاية، والشريف سعيد بن بركات قد كان أعطاه ومن معه ربع متحصل البلاد تسكيناً لهم، فسكنوا.

وفي هذه الأيام صالت قبائل مشارق الجوف على معين أطرف بلد في الجوف الأسفل، فانتهبوا منه بعض شيء واستعان[٩٠/ ب] الشريف الشيخ الجوفي بقبائل سفيان عليهم، يحدوه، وأغاروا إلى تلك البلاد، واستنصفوا منهم، ثم أن الشيخ الجوفي صال على صافية المهدي أحمد بن الحسن، فنزل عليه محسن بن المهدي[١] من الغراس بمن عنده من العسكر فقبض عليه وأطلعه إلى الغراس تحت الترسيم.

وفي نصف شهر محرم وصل الخبر بأن صاحب المنصورة جهز ولده عبد الله، إلى زبيد وأنه دخلها، فلم يقابله أحد من الرتبة الذين فيها بقتال صوباً ومعقولاً، بل خرج بعضهم قبيل الدخول وبعضهم بقي هنالك واستولى على زبيد، وكتب إلى المؤيد ووالده أن البلاد إلينا بالوضع منكم والإشهاد ولا خلاف بيننا، وعند ذلك أرسل المؤيد من ضوران إبراهيم بن المهدي إلى تلك الجهة، فسار إلى هنالك واستقر في بيت الفقيه ابن عجيل، وقيل: في غيره.

وفي هذه السنة كان خرج في الموسم الماضي خواجا من الهند يقال له: الشيخ محمد بن أحمد الأشتر، وطلع إلى ضوران حضرة المؤيد بعد بيع ما معه من البز بالمخا وما معه من

(١) محسن بن المهدي: هو محسن بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم. كان سيداً كريماً شجاعاً، وهو رابع أولاد المهدي، ووصي أخيه الحسين بن المهدي الوصي عن والده، توفي بلحج، وقبر في عدن سنة ١١١٣هـ/ ١٧٠١م. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٢٨٢؛ زبارة: نشر العرف، ج٢، ص ٣٤٦).

الدراهم من أعواضها ومن الذهب غيرها، واشترى من الخيل ما طابقه، ولكنه لم يثمن كغيره ممن مضى، بل زيادة قليلة على ثمن اليمن بنحو الربع، وعرض عليه من الكتب بعض شيء اشترى ما طابقه مثل: نجم الدين الرضي[1]، وتفسير الشيرازي[2]، والكشاف[3] من صنعاء وغيرها من اليمن الأسفل،[٩١/ أ]وقال: إن سكونه في بندر سرات، وأن سلطان الهند أو قنقريب[4] باقي على السلطنة، وإنما خالف عليه بعض ولده، واستعان بالرازبوت والأمر مستقر لولده. وكان هذا الشيخ الأشتر رافضي العقيدة إمامي إثني عشري، وقال: إن أصله من الجزيرة بالعراق، وأنه من ولد الأشتر[5] الذي كان من أنصار علي، وإنما هو برأسه في سرات والهند للبيع والشراء. ولما وافقني ذكرت له الإشكال على الإمامية في رجوعهم في تقرير بعض المسائل إلى الإجتهاد، مع أن أصولهم تقضي بأن أحكامهم لا تؤخذ إلا من المعصوم عندهم كصاحب التحرير في فقههم، ذكر ذلك في مسائل وغيرهم منهم، وقال: إن من علمائهم من يكون يلقى إلى قلبه الحكم في المسألة ولكن هذا الجنس قليل أعز من الكبريت الأحمر، وتعجب أيها المنصف من هذا! فإن هذا الذي زعمه إن كان من الإلهام فلا يختص به الإمامية على بدعتهم بل غيرهم أحق بالإلهام منهم، وإن كان من الاجتهاد فهو ثابت عند غيرهم لا عندهم.

(١) نجم الدين الرضي: هو محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي: عالم بالعربية، من أهل استراباذ (من أعمال طبرستان) اشتهر بكتابيه (الوافية في شرح الكافية) لابن الحاجب، في النحو، مطبوع. و(شرح مقدمة ابن الحاجب) المسماة: (الشافية) في علم الصرف، مطبوع أيضاً. (الزركلي: الأعلام، مج٢، ص٨٦).

(٢) تفسير الشيرازي: لعل المؤلف قد قصد بتفسير الشيرازي كتاب (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) لمحمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادي الشيرازي، الذي قدم إلى اليمن سنة ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م، واستقر في زبيد إلى أن توفي سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م. (الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص ٢٨٠).

(٣) الكشاف: هو كتاب (الكشاف عن حقائق التنزيل) لمؤلفه العلامة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الشهير بالزمخشري (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) وقد تلقف العلماء والمفسرون كتاب الكشاف باهتمام خاص في اليمن لميول مؤلفه الاعتزالية، وصلتها بالزيدية، فتناوله الكثير من العلماء اليمنيين بالشرح والاختصار. (د. حسين العمري: الشوكاني رائد عصره، ص ٣٥٩-٣٦٠).

(٤) هو السلطان أوزنقريب، وقد سبق أن ذكره المؤلف بهذا اللفظ. وهذه المرة الأولى التي يذكره فيها بلفظ أوقنقريب.

(٥) الأشتر: هو مالك بن حارث بن عبد يغوث النخعي، أمير وشاعر، سكن الكوفة، وكان من أنصار علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، شهد الجمل وصفين، توفي سنة ٣٧هـ/ ٦٥٧م. (الزركلي: الأعلام، مج٥، ص٢٥٩).

[٩١/ ب] وفي هذه الأيام تجدد التغير في أطراف بلاد الحجرية على محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة، وتغلبوا على بلادهم، فجهز إليهم ولده إسماعيل بجماعة من العسكر على جهة المغزى لهم، واستقر بحيس.

وفي سلخ ربيع الآخر منها مات حسين بن أحمد بن الحسن بمدينة تعز.

كان باقياً فيها من حال عوده من المشرق وبعد إجتماعه هو وصنوه محمد كما سبق ذكره، وتعاقد هو وإياه على اجتماع الكلمة فيما بينهم وحفظ بلادهم.

وكان قد لهم نية في المفاتحة للتغلب على بلاد علي بن المتوكل على ما روي وإثارة الفتنة، فلله الأمر، والله ألطف بعباده، فإنها لو ثارت فتنة فيما بينهم كانت مفسدة عظيمة، ودالة على المسلمين وخيمة، والله يصلح العباد والبلاد.

وكان ابن المتوكل شحن حصن جبل حَبّ(١) وشد بعض أهله إليه للتحفظ، فلما حدث هذا طفت تلك الأمور، وكان قبر الحسين بن المهدي جنب الإمام إبراهيم بن تاج الدين(٢)، الذي خارج تعز بالأجناد.

وفي خامس ربيع الثاني كان وقت تحويل سنة العام بدخول الشمس أول درجة برج الحمل والزهرة، والشمس وعطارد والمريخ في برج الحمل، بعد أن وقع قران المريخ والزهرة في آخر الشهر الماضي في برج الحمل، لكن القران قبل دخول الشمس برج الحمل، وزحل في آخر برج الأسد، والمشتري في السنبلة، والقمر في الثور، والذنب في الجدي، والله أعلم.

---

(١) حصن حَبّ: حصن معروف في جبل بعدان من أعمال إبّ. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج٢، ص ٢٢٧).

(٢) هو الإمام إبراهيم بن تاج الدين أحمد بن بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى، الإمام المهدي. دعا لنفسه بالإمامة في ظفار سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م، جرت معركة بينه وبين الملك المظفر الرسولي في قرية أفق، أُسر فيها الإمام إبراهيم بن تاج الدين، وبقي أسيراً في حصن تعز حتى توفي به سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م. (زبارة: أئمة اليمن، ج١، ص١٩٠-١٩٤؛ إسماعيل الأكوع: هجر العلم، ج٣، ص ١٣٠٤-١٣٠٥).

[٩٢/ أ] وفي آخر ربيع الثاني وصل جماعة من مشائخ يافع من أقارب ابن العفيف إلى حضرة محمد بن المهدي صاحب منصورة الدملوة، وكان وصولهم تعزية في صنوه حسين.

وفي هذه الأيام التقى صاحب المنصورة وصاحب جبلة علي بن المتوكل إلى حدود بلاد الدمنة بعد أن أرسل إليه بتعزية في صنوه من الغنم وغير ذلك، وتلاقوا هنالك، وطابت نفوسهما، واعتذر كل منهما فيما قد جرى بينهما من الحرب السابق الذي اتفق في تعز، بحيث قال علي بن المتوكل لمحمد: تعز لك، فلم يقبله منه وعاد كل إلى مستقره.

وأهل يافع ساقوا بعض الزكاة من الحب إلى قعطبة، وتغلبوا على بلادهم وقالوا: لا نريد والياً من غيرنا.

وفي النصف الأول من جمادى الأولى وصلت أخبار من الجهات السلطانية العثمانية الشامية المكية والرومية، فأخبروا أنه حصل بمكة قتال، وراح من الأشراف جماعة ومن غيرهم، وأن العساكر السلطانية كانت قصدت بلاد الفرنج، فلما شارفوا على بعض بلاد الفرنج حازوهم وخاطبوا في الصلح والدخول في الذمة وبذل المال والجزية، فهم في ذلك حتى وقع اختلاف بين الباشتين، فأحدهم قال: ما سلموه من المال وما قبض عليه من ديارهم يكون للسلطان؛ لأن القاعدة ذلك مع السلطان أنما سلم بغير سيف فهو لبيت المال، وما دخل بالسيف فهو للجند، فقال الباشا الآخر: ليس ذلك المال إلا للجند[٩٢/ ب] فأدى الإختلاف والنزاع إلى القتال بينهم. فلما رأتهم الفرنج كذلك صالوا عليهم، فقتلوا منهم كثيراً وهزموهم، وقيل إنهم فعلوا سراديب في البلد وملؤوها من البارود وخرجوا عنها، فدخلها عساكر السلطان، ثم اشعلوها فيهم، فهلك عالم من المسلمين، فأعاد السلطان العساكر إلى جهتهم ولعله قد ظفر بهم؛ لأن هذا الواقع كان آخر العام الماضي، والإستنهاض والرجوع عليهم في شهر الحجة من سنة أربع وتسعين وألف[١]، والله أعلم.

(١) ١٠٩٤هـ = ١٦٨٢م.

والفتنة بالهند مستمرة ما بين الرازبوت ومعهم ولد سلطان الهند؛ لأنـه المخـالف عـلى أبيه، والمعين على الإسـلام، ومـستعين بـالرازبوت مـن طوائـف فـرق النـصارى؛ لأنهـم أخواله، وصار مذهب هذا الولد ابن السلطان إلى مذهب الرافضة، وخـرج عـن مـذهب أهل السنة وعن مذهب والده، فصارت فتنة عظيمة في الهند.

وفي شهر جمادى الأولى صعق السيد العـارف محمـد بـن حـسن الـشرفي وهـو في بيتـه بشهارة من بلاد الأهنوم منتظراً لصلاة المغرب، فمات مـن الـصاعقة في الحـال. وكـان لـه ولاية وعمالة من حي المتوكل، واستمر عليها في نصف بلاد عذر.

وهربت الرهائن من مشائخ بلاد قيفة من حبس رداع على حسين بن حـسن متـوليهم إلى بلادهم.

[٩٣/ أ] وفي شهر جمادى الأخرى طلع علي بن المتوكل إلى عند صـنوه المؤيـد بـالله إلى ضوران، وبقى أكثر أصحابه في اليمن الأسفل، وتقاصرت علـيهم الـسبارات والأعـداد بسبب رفع الضربة التي كانت لعلي، فسار البعض إلى صاحب المنصورة وفتح لهـم العـدد والسبار، وعند ذلك أرسل الذانبي مـن مقادمتـه إلى بـلاد أبـين لإخـراج أصـحاب ابـن العفيف منه، فأخرجوهم بعد أن وقع حرب فيما بينهم. وأولاد أحمد بـن الحـسن المهـدي زلجهم أخوهم من عنده إلى حضرة المؤيد، ولم يجعل لهم شيئاً من البلاد التي تحت يده بعـد أن طالبوه بل قال: الأمر إلى المؤيد، حتى زلجهم ثم حفظ البلاد. وأما محـسن بـن المهـدي فإنه وصل من الغراس إلى ضوران وقُررت له الولاية في الـبلاد التـي كانـت لحـسين بـن المهدي، وهي بلاد بني الحارث وما إليها من بلاد همدان واليمانية[1] ووصابين، ثم عـاد إلى الغراس وذَمَرْمَرْ، ثم إن علي بن المتوكل سار من ضوران إلى جهة بلاد يريم فسكنها.

(١) اليَمانية: هناك أربع مناطق تحمل اسم اليمانية، ولعل الأقرب إلى وصاب هي اليمانية التـي هـي مركـز إداري مـن مديريـة الجعفرية في بلاد ريمة. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٩٢٤).

وفي شهر رجب كتب مسمار أن زوجته التي كانت ببلاد يافع تزوجها ابن العفيف وهي زوجته فتحمل المؤيد، وقال: هذا منكر يجب النهي عنه وكتب في الحال إلى الأمراء وبني عمه بأنه يجب الإرتحال إلى يافع لإزالة هذا، فبلغ يافع، فصاحوا في أسواقهم أن الرصَّاص واليافعي يد واحدة على الزيدي. وكان يافع قد اكتسبوا في هذه السنة من البنادق زيادة إلى ما معهم كثيراً، حتى من مدينة صنعاء وغيرها ما زالوا يشترونها[٩٣/ ب] ويتعاقدون أنهم يحفظون بلادهم. وعمل المؤيد هذا عجيب فإنه لا هو الذي تغافل عنها إلى طرف، ولا هو الذي قصدها وأجد في الإقدام والبذل للخزائن وتحريض الرجال، وعرف الطرق التي يصلح منها المداخل مثل الطرق الغربية ليافع لتكون المواد أقرب إليهم كطريق جبن وجحاف وأبين ولحج.

وفي يوم الخميس رابع وعشرين شهر رجب خرج من ضوران إلى معبر وهو متردد يقدم رجلاً إلى الجهات المشرقية ويؤخر أخرى وبني عمه في طرفي نقيض والناس أقرب إلى الملل من دخول المشرق. أما العسكري فلعدم الوفا، وما قد وقع معهم، وأما المَغَوِّر فالغالب عليه الإعتذار لبعد المسافة، وما يحتاج إليه من الزاد والراحلة. وكان قد كتب اليافعي إلى المؤيد كتاباً فيه المعاهدة، وذكر له في جوابه عليه ما بلغه من الزواجة بزوجة مسمار فيقال: إنه إنما كان بعد طلاق مسمار، مع أن الشافعي مذهبه الفسخ للنكاح، إذا لم تحصل النفقة للزوج بالغيبة بمسافة القصر لكنه للمغيبة، ومسمار غير....[1] فلا فسخ على مقتضى الشافعي الذي هو مذهب اليافعي، ولكنه ادعى الطلاق من زوجها الأول، والله أعلم.

[٩٤/ أ] وفي هذه المدة بالشهر الماضي مات السيد العارف حسين بن صلاح بداره بشهارة، وقبر فيها. وكان هو الحاكم بالشريعة والقاضي بها من مدة الإمام المؤيد بالله

(١) كذا في الأصل، ربما سقطت كلمة سهواً.

محمد بن القاسم إلى هذا التأريخ، وكان لا بأس به في القضاء والحكم على بصيرة. مما اتفق له أن رجلاً كان يدَّعي آخر عليه ديناً في ذمته فينكره ولا يعترف له بشيء، والقاضي يأمر المدعي بإحضار البينة فلا يجدها، وقال للقاضي إن هذا الدين لازم للمذكور، وكان إذا طالبه وحده اعترف به ولا ينكره، وإذا طالبه عند الناس أنكره وما عرف بعلاجه، فاحتال السيد وأمر عدلين من المعتبرين عنده، وقال له: أدخلهما بيتك، واجعلهما في كُمَة[1] دارك، وأدخل الخصم وجابره[2] واصنع له من الطعام ما تراه، ثم طالبه بالدين في المكان الذي يسمع منه العدلين ليأتوا لي بالحقيقة، ففعل ما أمره السيد وطالبه، فاعترف بذلك، وقال له: دينك المطلوب عندي وقدره كذا وكذا ولا مخالفة، فقال له: اجعل لي وضعاً في الدين فقال: أما هذا فلا[٩٤/ ب] والشاهدان يسمعان ذلك كله، ثم أخرجه من داره وخرج الشهود الذين خبأهم للسماع وطالبه عند القاضي، فأنكر وحلفه أيضاً ثم جاء المدعي بذينك الشاهدين، فشهدا بالدين وما سمعاه من الإعتراف والإقرار على الصفة المذكورة، فحكم القاضي عليه بذلك وأمره بالتسليم والحبس حتى يوفي. فهذا من عجائب القضايا. وللسيد المذكور تفسير على القرآن جمع فيه تفاسير بعض الأئمة، فنقل من تفسير الهادي والإمام أبي الفتح الديلمي والحسين بن القاسم في جزئين.

وجاء جواب ابن العفيف صاحب يافع إلى المؤيد يذكر من جهة زوجة مسمار: بأنه صدر إليكم كتاب مسمار بطلاقها يطلعون عليه، ليعلموا أن النكاح إنما كان بعد ذلك، فأطلعه المؤيد على جماعة ممن يعرف خطه فقالوا: نعم هذا خطه وبعضهم توقف فيه، والله أعلم.

وفي هذه السنة بأولها مات الشيخ العارف محمد بن سليمان المغربي المالكي بمكة

---

(١) كُمَة: الكُمَة في اللهجة الصنعانية الغرفة الصغيرة.

(٢) جابره: أي تحدث معه.

المشرفة[٩٥/ أ]، وكان له بعض النظر في مكة لمن بالحرم الشريف بأمر السلطان، فنظمها زيادة على ما كان أولاً فيها بأن صار إلى[1] كل شيء إلى محله، وكان مدرساً بها في كل فن، يغلب عليه المعرفة في علم المعقول. وكان قد جمع من الكتب ما يعسر حصره ويكثر وصفه من الكتب المجلوبة إلى مكة ومن غيرها من كتب مصر والقاهرة، وله من الصّر زائد على غيره من علمائها وقطّانها.

قال الراوي: وكان عارفاً بعلم الحرف[2] وعلم الفلك، وهو من بلاد فاس بالغرب الجوان ارتحل إلى باب السلطان، يريد الحج إلى بيت الله الحرام، فأمره السلطان بالبقاء في مكة، وكان ذلك هو إرادته ومقصده.

وفي ضحى يوم لأحد رابع وعشرين شهر شعبان منها مات القاضي العارف العلامة محمد بن علي قيس في قرية القابل[3] وادي ضهر، كان ذلك بعد خروجه من صنعاء للخريف، فمرض هنالك سبعة أيام بالحمى وقضى الله عليه وقبر هنالك. وكان المذكور له معرفة بفقه الهدوية مدرساً وحاكماً، وله بعض مشاركة في الأصول، وكان حسن الظن بالصحابة رضى الله عنهم وبغيرهم من علماء الإسلام، لا يقول بشيء[٩٥/ ب] من التكفير بالإلزام في مسائل الكلام، ويرى أن الخلاف لفظي بين المعتزلة والأشاعرة، وجمع في ذلك كتاباً نقل فيه أقوال الإمام يحيى بن حمزة وغيره، واستنسخ كتاب (العواصم والقواصم)[4] للسيد البحر محمد بن إبراهيم الوزير رحمه الله في الذب عن سنة أبي القاسم، وقال: ما ذكره السيد محمد بن إبراهيم هو الحق الذي يجب على كل منصف اتباعه.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) علم الحرف: هو العلم الذي يبين أنواع الأقلام والخطوط، ويعتني بطبائع الحروف. (مصطفى بن عبد الله، الحاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: عبدالرحمن محمد قاسم النجدي، ج١، ص٧٠٨؛ محمد الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، ج١، ص٦٥).

(٣) قرية القابل: من قرى بني الحارث، أسفل وادي ضهر. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٤، ص٦٤١).

(٤) هو كتاب: (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) مطبوع. وقد سبق ترجمة محمد بن إبراهيم الوزير.

وفي شهر شعبان حصل مطر فيه بَرد عظيم على معبر بقاع جهران وقبة المؤيد، كان كل بردة كالبيضة بحيث أن منها ما خزق[1] الخيام، ووقعت واحدة في حصان حتى سقط، فالقدرة لله.

ووصل إلى حضرة علي بن المتوكل الشيخ ابن شعفل وهو بيريم يومئذٍ، فأمره بأن يصل إلى حضرة صنوه المؤيد، فوصل إلى معبر، فخلع عليه المؤيد الكسوات وغيرها من الجوخ والدراهم. وأما الرصاص فوصل إلى حسين بن حسن مكاتبات وإلى المؤيد وهدية لا غير، واستقر بأطراف بلاده بالزهراء.

والمؤيد أعد لدخول المشرق بعد الصراب، وتكون الطرق من أبين ولحج محمد بن أحمد صاحب المنصورة، ومن قعطبة علي بن المتوكل، ومن جبن ومن الزهراء، هذا ما تكاتبوا به وتواعدوا، والله أعلم، وكل ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[2].

وفي نصف رمضان وصل إلى المؤيد جواب من ابن العفيف اليافعي في الكتاب الآخر الذي كتبه إليه، وفيه التوعد بالدخول، وفيه أن مسمار أنكر الطلاق وحلف عليه، وذكر[٩٦/ أ] القصد إلى بلاده، فأجاب أما ما نقمتم من النكاح لزوجة مسمار فذلك حلال بعدما رفع إليكم من كتبه بالطلاق ونحوه، وأما قصدكم فالأمر فيه كما قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ﴾[3].

فإن تكن الهزيمة فيكم كانت إلى ضوران، وإن تكن فيه كانت إلى حضرموت، فعند ذلك أمر المؤيد بالتبريز للوطاق من معبر إلى جهة ذمار، وعند ذلك جاء خبر أن الرجبي

---

(١) خَزَق: بمعنى ثَقَب.

(٢) الأنفال: ٤٢.

(٣) آل عمران: ١٦٠.

الذي كان قام بالحجرية عاد إلى الدعاء إلى نفسه، وكان عند صاحب المنصورة جماعة من مشائخ الحجرية فأمر بهم الحبس بحصن الدملوة الذي فوق المنصورة، وقال: إما أتيتم بالرجبي، وإلا كان ما تكرهون، فإن اتفق خلاف الجهتين فيبعد دخول يافع ولا سيما وكل من الأمراء له رأي مستقل به، ما هناك كل الإنخراط في جمع الكلمة معهم.

والأسعار يومئذٍ ارتفعت في بلاد صنعاء وما اتصل بها إلى اليمن الأسفل، بلغ بصنعاء القدح الحنطة إلى خمسة حروف ونصف، والذرة أربعة ونصف والشعير إلى ثلاثة ونصف، وكذلك في بلاد تعز، بحيث زاد السعر فيه بلغ القدح إلى ستة حروف، وعم الغلا في جميع المشارق، وذلك لقلة مطر الخريف، فلله الأمر، والمغارب وتهامة سعرها أمثل، الذرة إلى حرف في تهامة، والجبال في المغرب إلى ستين بقشة.

وفي هذه الأيام لما تحرك الرجبي في الحجرية أمر صاحب المنصورة المشائخ الذي عنده برهائن، بإرساله والوصول إلى حضرته[٩٦/ ب] وتوعدهم إن لم يأتوا به جهز عليه إلى بلده فحصل بين العسكر وبين تلك الجهة قتال، راح فيه نحو أربعة ومن العسكر واحد، وهرب الرجبي، فأخربوا بيته.

قال بعضهم: وربما أن بين أهل الحجرية وبين اليافعي مواطأة على ذلك، وما وقع سابقاً لأجل لا يتم دخول يافع لكنه صار يقع البلاء بأهل الحجرية لتوسط بلادهم في اليمن الأسفل وعسرة يافع بسبب جبلهم. ومع هذا الأمر لا يكاد يتم دخول يافع كما لم يتم أولاً، فإن أحمد بن المؤيد والغواير الذي كان بعثهم المؤيد إلى يافع ووافق اختلال الحجرية في خلاله انصرفوا إلى الحجرية، ولولا هم لما كان حصل التنفيس على صاحب المنصورة، فإنه قد كان في أضيق من حلقة الفاس محاصراً. ووقع انتهاب يومئذٍ في لحج للسوق.

وفي شهر رمضان خرج السيد أحمد بن حسين الأخفش من كوكبان، بعد أن كان حبسه الأمير عبد القادر في بيت والده، ففلت إلى نواحي برط، فلم يقبله أحد منهم،

فدخل نواحي بلاد خولان وأطراف بلاد صعدة كما هو عادة سادة اليمن بالدعاوى العريضة الطويلة، فلا قوة إلا بالله. وتضرر منه علي بن أحمد صاحب صعدة، وأرسل إليه ببغلة، ويسعى في استمالته إلى حضرته.

ولما تحقق المؤيد هذه الأحوال، وما قد أعده أهل يافع من التحريز لجبالهم، والبناء للمتارس في المداخل والطرق وكثرة ما[٩٧/ أ] أعدوه من البنادق، وما رآه من أحوال الناس تقاصرت همته وفترت عزيمته، وقال: يؤخر هذا الأمر إلى بعد عود الحجاج في السنة القابلة، والله أعلم.

ولعله بلغه خبر من جهة بلاد السلطنة.........[1] ولعله كان سبب وصول ما كان ظهر به الخبر العام الأول من يافع بالكتب والأخبار بما جرى من القتال والإدبار، وأنهم يستمدون الغارة قد ذكروا له...[2] وابتعث إلى اليمن من يعينه، وهم ما جانبهم باليمن الأسفل للمعونة. وأن دولة اليمن قد صارت متفرقة، وأحوالهم غير منتظمة،. ولكل شيء سبب، وإذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه. وما ذاك منهم إلا خشية من النهضة عليهم كما قد وقع منهم، وإلا فليس يافع يؤذون الدولة من حيث كانت، ولذلك جرى منهم من الحروب بينهم وبين سنان باشا ما وقع وغيره من بني طاهر ممن مضى.

[٩٧/ ب]ثم إن المؤيد رجع إلى تزليج صنوه زيد، ولا يسير بأحد من أهله، ومنع صنوه القاسم، فقيل: إنه للحج، وقيل :إنه لأجل رفع الأوهام.

ووقع في بلاد صبيا حرب ما بين الأشراف وبين آل حبيب، فقتل الأشراف شيخ بني حبيب وانتصروا عليهم، والله أعلم.

ووقع قبل ذلك أيضاً حرب فيما بين بلاد خيوان والعصيمات، فراح من الجانبين سبعة،

---

(١) هنا كلام مشطوب لم يتضح.

(٢) كلمة غير واضحة بسبب الشطب.

وأعان خيوان بالغارة سفيان، فكلٌ رد من نفسه لما أقبلت عليهم العصيمات، فانتفع أهل خيوان بمعاضدة سفيان؛ لأن خيوان قليل والعصيمات كثير، وكان المقتول من العصيمات ثلاثة ومن خيوان وسفيان أربعة.

وفي ذي القعدة اتفق قران زحل والمريخ في برج السنبلة، وكذا الزهرة والقمر في برج السنبلة جميعاً، وأرسل المؤيد إلى طرف بلاد أبي عريش الفقيه علي بن محمد بن علي جميل في جماعة عسكر.

وبلغ صرف القرش هذه الأيام إلى عشرة حروف، فكان بسببه النفس للرعايا في اليمن الأسفل في المأخوذ من المال عليهم؛ لأن العمل في ذلك على القرش، وكانت دفعة العدين للأثمار الأخرى.............[1] من الضربة المتقدمة، وصرف القرش بحرفين، والآن صار صرف القرش فوق العشرة، فكان في الحقيقة المأخوذ عليهم هو ذاك الأول وأقل؛ لأن جميع الأسعار على القرش فجاء لهم في اللطف لطف رحماني من حيث لا يشعر به.

[٩٨/ أ] وفي شهر القعدة حصل بين خولان صنعاء خراب بيت رجل منهم واختلاف واشتجار، فبلغ المؤيد ذلك وأرسل عليهم أحمد بن محمد بن جميل الحبوري بجماعة، فوصلوا إليهم، فقالوا لهم: الواقع بينهم قد حصل فيه سدوا[2] أنتم، ارجعوا إلى المؤيد وأخبروه أن قد حصل السداد وزاد الكلام بينهم واستحمق أحمد بن محمد جميل عليهم، ثم افترقوا بالمراجيم أولاً، ثم غيرها، وأرسل المؤيد عند ذلك جماعة عسكر، وكتب إلى محسن بن أحمد بن الحسن صاحب الغراس أنه يلقى من تلك الجهة بمن معه، وكان تسكينهم أصلح.

وبلغ أن الذين ساروا للحج بطريق تهامة تحيروا فيها ولم ينفذوا إلى هنالك ، فلما

(١) كلمة غير واضحة بسبب الشطب.

(٢) سُدُّوا: أي اتفقوا.

وصلوا ضبطوا المشائخ الفاعلين سبعة أنفار من المثيرين للفتنة، وساقوهم إلى حضرة المؤيد، وكان سبب الواقع بينهم كما وصف المحقق من بلادهم أن رجلاً ساق امرأة منهم، فقصدوه فهرب، فأخربوا بيته ونهبوا ما فيه واستجار بقبيلة أخرى يقال لها بني شدَّاد[1]، والرجل الذي خرب بيته من بني جبر، وقالوا :إن ذلك حكم القَبْيَلة[2] في بلادهم لمن فعل ذلك وحكموا على الفاعل أن يسلم دية المرأة وهي حية، صفة حكم طاغوت، هذا خبرهم.

[٩٨/ ب] وفي هذه الأيام بآخر شهر القعدة لما تصرف المؤيد وصنوه علي في مطالب جبل صبر باليمن الأسفل، وكان قد جعل دفعته زيادة لصاحب صعدة علي بن أحمد تغير من ذلك وانحرف مزاجه، وطلب أصحابه وبعض مشائخ بلاده، وكتب رسالة يلفق فيها اعتراضات، كل ذلك لبيت القصيد من الدفعة تعود له. وأخبرهم أنه يريد الحركة والخلاف، فأجاب عليه بعض مشائخ البلاد أن هذا الأمر إن كنت تبغي به الغضب لله وكان هناك ما يوجب فهم معه، وإن كان لأجل دنيا يريدها فهم أبرياء من المعونة له، فكان الجواب هذا موافق قاطع له من رجل عامي، فقطعه ولم يجد حجة له.

وفي هذه الأيام ليلة عيد عرفة وصل إلى المؤيد وهو بمعبر جهران رأسان من الخيل أو ثلاثة وبعض دراهم، نحو ثلاثة آلاف من شيخ يافع ابن العفيف، وقال: ذلك عن الفطرة[3] في بلاده. والمؤيد لما بلغه خبر صاحب صعدة بعث إليه بالدواء لجراحته وعلته، وما يزيل مرض قلبه من التأليف بالمال، وقال: عن دفعة جبل صبر.

---

(١) يوجد العديد من المناطق تحمل اسم بني شداد، لم يتضح من المقصودة هنا.

(٢) حكم القَبْيَلة: مجموعة من القواعد العرفية التي تنظم مختلف أوجه الحياة بين أفراد القبيلة أو بينها وبين القبائل الأخرى، وكذلك بينها وبين الدولة في حالة ضعفها.

(٣) الفطرة: أي زكاة الفطر.

وفي خامس عشر من شهر الحجة وصلت كتب من جدة إلى الدولة يذكرون فيها ثبوت خروج عساكر السلطنة إلى مكة، وتجديد ولاية مكة لأحمد بن زيد بن محسن بعد صنوه[٩٩/ أ]، وولاية جدة لأحمد باشا.

ودخلت سنة ست وتسعين وألف[1]

استهلت بالجمعة بالرؤية والحساب اتفقا جميعاً.

وفي رابع شهر محرم وصلت كتب الحاج يذكرون تصحيح الخبر الذي سبق من خروج الشريف أحمد بن زيد بن محسن متولياً لمكة من باب السلطان ومعه جنود كثيرة وأمراء وأعيان، وكان الخارج في الحملة سبعة صناجق، وقيل: ستة، وفي بعض تلك الصناجق أعلام الريشة، وكان سعيد بن بركات لما بلغه خروج أحمد بن زيد هرب عن مكة، ولم يوافق أحمد بن زيد خشية لا يكون عليه من السلطان أمر فيه ما يقتضي المعرة، ونقول: سبقت مما جرى بمكة من ركة الأمر والتسهيل فيها عليه، خصوصاً لما قد سبق بينه وبين أحمد بن غالب من المنافسة العام الماضي، وعدم اليد الوثيقة في الولاية، فلما أقبل أحمد بن زيد إلى مكة ووصل إلى تلك الجهة دخل في زفة عظيمة، وجنود واسعة، والصناجق منصوبة، والنوب تضرب خلفها محفوفة، والخيل الواسعة، وهو في آخر الجند عليه المظلة، فأول أمر جرى منه الشنق للحرامية الذي نقل إليه أهل العهد بمكة أنهم أفسدوا، فشنق منهم ثمانية في المسعى والمعلاة، وأبرز بعد ذلك على صاحب جدة لما وصل إليه مرسوم الولاية وزيادة بندر جدة وتوجيه مطالبها إليه. وكان مع الأشراف الأولين نصف محصولها، فجعل السلطان إليه جميع مرفوعها، وأظهر اليد المعونة، وقام بالأمر فيها على الحالة الملوكية، بعد أن كان ركب أمور سياستها، واستراح بذلك تجارها وأهل الأسباب

(١) ١ محرم ١٠٩٦هـ = ١٨ديسمبر ١٦٨٤م.

فيها، حتى فرشوا بالبضائع في بطون الأسواق. وأحمد بن غالب كان لأحمد بن زيد معاضداً، ورضي به بعد ما جرى[٩٩/ ب] بينه وبين سعيد بن بركات العام الأول ما جرى. ولما استقر بمكة المذكور، وهابه أهل تلك الجهات والثغور وجلبوا إلى مكة المحصول أرسل إلى بلاد بيشة متولياً وإلى بلاد عتود قريب صبيا كذلك نائباً على ما كان عليه أبوه سابقاً وكانت هذه البلاد قد ذهبت عن ولاية صاحب مكة وزالت، فأرجعها على حالها، وقوّاها بالعسكر وولاها.

وكانت أسعار مكة هذه السنة حيَّة، والخصب فيها وجميع بلاد الحجاز، الكيلة المكية سعرها إلى عشرة كبار مصرية، وصرف القرش بثلاثة أحرف من الضربة المصرية.

وكان قد أرسل المؤيد بن المتوكل إلى صبيا رسولاً من أجل ما جرى بين أشرافها من الاختلاف على الأمر فيها، وأمر بإصلاح الطريق والآبار وكان قد انتصب فيها الأمير طالب، ودفع عنها القبائل من بني حبيب صولاتهم وتعديهم حتى قتل بعض مشائخهم، وصبيا أمرها مستقل لهم ولا يمر فيها إلا السكة السلطانية والدراهم المصرية.

ولما تم الحج المبارك بمكة وقرت ولاية أحمد بن زيد، وكان خروج الحاج اليماني عنها ثامن عشر شهر ذي الحجة الحرام ورجوعهم إلى بلادهم، وأخبروا أن حال خروجهم. وأكثر الجنود الخارجة مع أحمد بن زيد باقية فيها، لم يرجع إلا المحامل والحجاج وأمراؤها.

وفي هذا الشهر تفلَّس رجل بانيان من الكفرة المجوس، يقال له: ميداس، وكان قد أمال إليه كثير من الناس بوضع الأمانات عنده والمعاملات، ولا أمانة لكافر قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[1] فأظهره، فبقوا في حيرة عظيمة،

---

(١) هود: ١١٣.

وحال[١٠٠/أ] جسيمة من جهة فوات أموالهم. يقال: أن جملة ما كان عنده ما يقارب أربعين ألفاً فأكثر، مفرقة لتجار وغيرهم، ومثل هذا المال لا يسعه بطنه، فقدر ما كان يرسل به إلى الهند مع أصحابه شيئاً فشيئاً في المواسم، وكان قد تفلّس قبله العام الأول بانيان ففلت من صنعاء إلى بندر اللحية ولبس لبس اليهود، وركب بحراً. ولم يعتبر الآخرون به في أمانة الكفار الملاعين. وأما هذا الآخر فبقى عند المؤيد مستجيراً وزاعماً أنه يسوق ما عليه بقدر حاله مما بقي تحت يده، فأجاره المؤيد على ذلك وأمر غرماه بالكف عنه، وتفريق ما يكسبه على الغرماء في كل عام مما لا يفيدهم ولا ينفعهم، ولكنه بما كسبت أيديهم.

وفي ليلة النصف من شهر محرم وقع خسوف قمري في أول برج السرطان، قيل: كان في الساعة السابعة.

وفي هذه الأيام خرج محسن بن أحمد بن الحسن من وطنه الغراس وذي مرمر إلى اليمانية، فاستقر بسوقها سوق الجمعة، وسبب ذلك أنه بلغه أن صنوه إبراهيم أخذ ولاية من صنوه محمد صاحب المنصورة عليها، فسبقه بالعزم للمحافظة إليها، لئلا يسبقه بالمسير والسكون فيها.

وفي هذا شهر محرم هذا[1] استولى صاحب المنصورة على جبل القماطرة[2] بالحجرية بعد طول محاصرة، ولما استولى على ذلك الجبل أمر أولاده بالتقدم بمن معهم من عساكره لإصلاح طريق عدن ولحج وأبين، والخلاف الذي جرى من قبائل ابن شعفل، فساروا إلي تلك الجهة، وحصل بينهم ما حصل، ثم انهزم ابن شعفل إلى معاقله، ثم غزا سوق بقار وانتهبه. وكان ابن شعفل الأول الذي وصل إلى المؤيد العام الأول قد مات وتعقبه هذا الآخر منهم من بني شعفل.

---

(١) كذا في الأصل: (هذا) مكررة.

(٢) كذا في الأصل، ولعله يقصد المقاطرة، وهو الأقرب إلى ما يريده المؤلف؛ لأن المقاطرة قلعة في الجنوب الشرقي من (تربة ذبحان) اشتهرت بمناعتها وارتفاعها. كما سبق أن ذكرناها.

[١٠٠/ ب] وفي آخر هذا الشهر وصل كتاب من حسين بن حسن بن القاسم إلى المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل بن القاسم، يتضمن العتاب له في ترك الحركة على يافع، وأنه لا ينبغي التغافل عنه بعد ما قد جرى منهم، وأنه إن لم يتحرك كاتب إلى صاحب المنصورة ابن أخيه، وأنهما يكونا يداً واحدة على القصد إلى تلك الجهة، فتغير بتغافل المؤيد عنه، وواعده مواعيد الإختلاف التي يقول الله فيها: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[1].

وكل ذلك من المؤيد لما لم يجد كمال العدة، ورأى الناس أقرب إلى الملل وعدم اجتماع الكلمة، وكون اليافعي لا يمكن إن فرض فتح بلاده إرجاع الولاية إلى حسين بن الحسن إلا بمشقة وكثرة اختلاف منهم وخلاف وانتقاض مما لا يظهر فيه كل الفائدة. واليافعي قد صار يظهر الإنتماء إلى المؤيد ويتبرأ من حسين بن حسن، فلما أيس حسين بن حسن عن أخيه المؤيد له كاتب إلى ابن أخيه، فأجابه بمثل ذلك، وقال يصلح ما طلبه وهو بعد إصلاح بلاد ابن شعفل يكون طريقه من هنالك. فلما بلغ المؤيد قام وقعد، ولم يعجبه ذلك الذي جرى بين الحسين بن الحسن وابن أخيه من هذا العمل والوعد، وأرسل السيد يحيى العباسي في شأن ذلك، فسار إلى حسين بن حسن يستدعيه للوصول، فاعتذر عن الوصول، ثم عاد السيد إليه للتحريض على الوصول لمفاوضته، فوصل إليه.

وفي خلال هذا جاء إلى المؤيد رسالة من صاحب صعدة يلوم عليه في ترك ما كان يعتاده من دُفعة جبل صبر الذي كان شرطه له في البيعة، وأنه جعله لصنوه علي بن المتوكل، وهذا يؤدي إلى النقض واستدرج مطاعن يطعن بها عليه، ويلوم في اختلاف الأقوال والمواضيع لديه، وأن هذا ليس من دأب أهل الوفاء بما عاهدوا ولا ما وضعوا وكتبوا وقالوا فعند ذلك أرسل له المؤيد بمقدار دفعة جبل صبر من حضرته[١٠١/ أ]

(١) الأنفال: ٤٢.

لمداواة جرحه، وإلا فإن مع علي[1] بلاداً واسعة وأقطاراً من جهة الشام كافية، ولكن الدنيا غرارة، ولا يزال طالبها لا يقنع بقليلها ولا كثيرها، بحيث أنه كان أهم وتحدث في بلاد الشام إن لم يعد له ما قد وضعه خالف عليه، واستقل في بلاد الشام بالأمر من دون انتماء إليه، ولله در الشاعر[2] حيث يقول:

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة
بين الرجال وإن[3] كانوا ذوي رحم

وقد قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾[4].

وأما التخلف في القواعد والمواضيع فهو لا شك لا يصلح لأهل الدين، بل ولا لأهل الأمر في اعتبار سياسة الملك والمسلمين؛ لأن كثرة التخلفات وقطع العوائد والمألوفات والموضوعات تنفر الخواطر، وتكسر نفوس أهل المناصب والعساكر، فما الملك إلا بالكرم والجود، وتمام العطاء والنقود.

وفي شهر صفر نزل علي بن المتوكل من إب وجبلة إلى مدينة تعز، باليمن الأسفل.

وكتب المؤيد إلى مشائخ بلاد آنس أنهم لا يسلمون شيئاً من زكاة البن إلى صنوه حسين بن المتوكل، وإنما تكون إليه، فنزل حسين بن المتوكل من ذمار إلى وادي النائجة[5] حتى بلغ إلى مدينة العبيد، وأرسل عليهم عساكره وقبضها منهم على التمام والكمال. ولم يعرج على أمر صنوه لهم ولا له، وتغلب على بلاده، وقال: هي بلاده من

(١) هو علي بن أحمد بن القاسم (صاحب صعدة).

(٢) الشاعر هو: أبو الطيب المتنبي، سبق ذكره.

(٣) وردت في الديوان: (ولو). (عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مج٢، ج٤، ص٢٩٣).

(٤) محمد: ٢٢.

(٥) النائجة: وادٍ في بلاد آنس، اهتم الحسن بن القاسم بزراعة البن في هذا الوادي. (النص، ج١، ق ٢٦أ).

والده، وليست من صنوه. ومحمد هذا المؤيد حاله عجيب[١٠١/ ب] في تسلطه على التنقيص، وعدم الوفا وعدم الجري على قواعد من مضى كائناً من كان من الناس، مع الإمكان لا يرده إلا من خاف جانبه ومنع على ما تحت يده، مع أنه لم يفده القبض؛ لأنه صار ما عنده يذهب بعضه مع المتصرفين، ويلعب به أهل المخازين، أولاً ما كان جمعه والده المتوكل بضوران وصنعاء وشهارة والسودة، فإنه تصرف في بعضه، وراح بعضه بالسرقات وغيرها في أيدي المتصرفين، وما زال ذلك كذلك، فلا قوة إلا بالله، وفي الحديث كما في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «لا توكي فيوكى عليك».

ولم يكن فيه من المحاسن إلا خصلة واحدة وهي التخفيف عن بعض الرعايا في المطالب، والعدل فيهم في المأخوذ، فإنه قد حط عن من أمكن الحط عنه ما حط، والله يصلح الإسلام والمسلمين.

وفي هذه الأيام أحدث أهل الأهجر سوقاً لهم في بلادهم بسبب ما جرى مع بعض قبائلهم في شبام من بعض أصحاب عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب من المضاربة والتعدي وبعض الجناية. ولم ينصف السيد عبد القادر فيما جرى، وقام مع أصحابه بعد مطالبتهم للشريعة أو المناظرة، والسيد المذكور قد عرف حاله في الأوامر والنواهي، فإنه يقوم مع أصحابه، ولا ينصف في الغالب من ليس إلى جنابه، ويختلف في خطوطه ومواضيعه وأوامره في الحال مثل ذلك الشأن، ولكن هو دأب هذا الزمان، فإن أكثر الولاة فيه على هذا المنوال.

وفي شهر ربيع الأول استأصل صاحب المنصورة ابن شعفل وكسره إلى جبل حرير[١٠٢/ أ] وقتل من أصحابه كثير، وانتهب عليهم سلاحهم، وانحاز إلى جبل يافع، فتغير المؤيد من هذا الفعل، وقال: هو ابن شعفل في صلحه الذي عقده له، وأن هذا كله مخالف لأمره. وحسين بن حسن زاد أرسل له المؤيد السيد يحيى العباسي مرة أخرى، بعد

أن كان أرسل له أولاً، وقال: مراده منه المفاوضة، فوصل إليه آخر شهر ربيع الأول، فكان عند وصول المذكور التشديد على المؤيد، والعتاب الطويل العريض في البَرْدَة[1] والتأخير عن التحرك للمشرق، وأن السكوت عن ذلك فيه خلل عليالدين، والمؤيد عند ذلك كتب إلى الرؤساء من أقاربه للمفاوضة، وأنهم يصلون بمن حضر عندهم في هذه الساعة.

وفي هذه المدة جهز صاحب المنصورة أولاده إلى بلاد ابن شعفل.

ووصل هذه المدة جاسوس رومي من حضرة باشا مصر إلى اليمن، ودخل صنعاء، وكان يصلي في جامعها النوافل، ولم يلبث أن عاد بلاده أخبر بذلك درويش وصل إلى صنعاء بعد عزمه.

وفي هذه الأيام وصل كتاب من أحمد بن زيد إلى صاحب اللحية حسن بن المتوكل على جهة الاعتراض عليه في سيرته، وأنه زاد على التجار زيادات ما كان لينبغي لمثله. ومن جملة ذلك ما صار يأخذه على موقع الملح من الدراهم وهو مباح، ولا ينبغي الأخذ عليه، ومن هذا وما شاكله. نعم لما كان آخر شهر ربيع الأول ترجح لمحمد بن أحمد بن الحسن [أن][2] أرسل ولده الحسن وعبد الله إلى بلاد ابن شعفل، وقصده إلى معاقله واعتل عليه بما صار يحصل في الطريق التي في بلاده وكثرة التعويق، وما جرى منه من انتهاب سوق بقار والقتل في سوقه[١٠٢/ ب] وعدم كمال سلوك طريقه. وهو اعتل بقطع جامكيته المعتادة من عدن، فالتقاهم بالمنابذة والحرب، فوقع الحرب، ثم انهزم إلى نواحي جبل يافع، وانتهبت العسكر ما ظفروا به من المواشي والسلاح. فلما وصل يافع وطلب من يافع الغارات والإمداد فأجابته يافع بالغوائر وأرسلوا ابن هرهرة في أصحابه والشيخ الجلاد من جانبه، وبادوا أولاد محمد بالحرب، والرمي بالبنادق والطعن والضرب. فقتل من

---

(١) البَرْدَة: أي الإهمال وعدم الاهتمام.

(٢) أضيفت ليستقيم المعنى.

أصحاب حسن ومن يافع، وأحاطوا به من كل جانب في محل يقال له:(محرقة الراحة)، وعبد الله أحاطوا به في جبل حرير طرف بلاد ابن شعفل ومعقله، فأما عبد الله هذا الذي في جبل حرير فإنه متحصن، كان القتل بالبنادق منهم. وأما حسن ففي محل غير منيع، فحال أن وصلت والدهم الأجناد جهز إليهم الغارات، وكذلك أغار عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن من العدين، وكذلك علي بن المتوكل والمؤيد أرسل غارة من عنده غرة ربيع الثاني حال وصول الخبر بجماعة من رتبة الجبل وغيرهم من العسكر مع صنوه حسين والأمير فرحان. وحسين بن حسن كان حال هذا الواقع في معبر قد وصل في الخوض في أعمال المشرق، وكان المؤيد قد أرسل له من قبل لما كثر عليه الكتب ليفاوضه، وكان يود الترك إن أمكن مع التردد في أمرهم ومع النظر في تلاؤم الجمع للكلام في شأنهم بينه وبين صاحب المنصورة، وأنه لا يكون عمل الحركة إلا بعد اجتماع الرأي والكلمة. فهم في ذلك إذ جاءه خبر هذا الحادث والغوائر من يافع ومحاربتهم[١٠٣/ أ] لأصحاب محمد بن أحمد، والتضييق عليهم وتواطؤ الكلام من غير عزيمة على توجه الحركة إلى المشرق، فحسين بن حسن ذكر أن طريقه تكون الزهراء، وهو منه عين الخطأ.

وفي هذه الأيام بخامس عشر شهر ربيع الثاني كان تحويل سنة العالم بدخول الشمس أول درجة الحمل، ولم يكن فيه شيء من القرانات بل كانت الكواكب متفرقة في البروج، فزحل في برج السنبلة، والمشتري في الميزان، والمريخ في العقرب، والطالع الدلو.

ولما اضطر صاحب المنصورة إلى المعونة على قتال اليافعي لما حاصر ولده عبد الله في جبل حرير بعد أن كان أولاً لا يوده، ولذلك لم يعين في الجاري بيافع من الحادث الأول. والمؤيد لما وقع هذا الواقع وكثرت كتب صاحب المنصورة باستمداد الغارات، فأمر من وصل عنده إليمعبر النفوذ إلى ذمار حتى ينظر فيما يصلح. ووصلت الأخبار بأنه لما كثر أهل يافع على جبل حرير، ووقع ما وقع من القتل من الجانبين، وكان القتل في يافع أكثر

لأجل البنادق من الجبل والبيوت، وكان القتل فيهم مثل القتل الذي وقع منهم في الحرب السابق جاءت رمية من غير رام، وإلا فإن صاحب المنصورة غير قاصدٍ بذلك الإنتقام بالثأر، ثم قل عليهم الماء وتضرروا، فصالح عبد الله ومن معه بالخروج من الجبل، واختلفت الأخبار في جملة القتلى من يافع، فقيل: ثلاثمائة، وقيل أكثر، وقيل :أقل، وقيل: سبعمائة؛ لأنهم كانوا يحملون مع كثرتهم، فتدفع الرصاص فيهم، فقد تأخذ الرصاصة الواحد والإثنين، ومن أصحاب عبد الله الفقيه حسن بن عامر الهبل بمن معه نحو ستين نفراً.

ولما بلغ ابن شعفل التحرك إلى بلاده كاتب إلى علي بن المتوكل: إنَّا في عهدكم وصلحكم، وهذا الحادث الذي جرى نقض للعهد لا يجوز لكم، وكذلك كتب اليافعي بمثل ذلك وكان قد هرب إلى قعطبة وتركوها، فأقره حسين من قصد القبائل لنهبها، ثم إنه كان أرسل إليها القبائل تلك جماعة من أصحابهم، فقصدهم عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن بعد خروجه من جبل حرير، وقتل منهم جماعة وهرب الباقون عنها[١٠٣/ ب]. ثم إن علي بن المتوكل طلع من اليمن الأسفل إلى عند صنوه المؤيد ليحقق له عمل المشرق، وأنهم في صلحه وعهده، وطلع صحبته الشيخ المفلحي من مشائخ بلاد المشرق، وصحبتهم بعض شيء من الدراهم من واجبات بلادهم، وأولاد صاحب المنصورة تميلوا إلى نواحي بلاد الدمنة، ثم قرت الأمور وسكنت. وجاءت كتب يافع أنهم على ما قد بينهم وبين علي بن المتوكل، وإنما وقع منهم ما وقع لأجل الدفع عن............[1]، وصار باطن المؤيد ترك ذلك من أصله مع قل الخزائن معه بسبب تفرق أكثر البلاد ونهضة المشرق.

وحصل بنقيل عجيب مطر عجيب، نزل من البرد كل بردة مثل بيضة النعام، فالقدرة لله تعالى، في مطر الظافر الآخر، أول فصل الصيف.

---

(١) هكذا في الأصل، لم يكمل المؤرخ الجملة.

ووصل كتاب من أحمد بن زيد إلى صاحب اللحية يذكر فيه أنكم لا تأخذوا العشر على التجار الذين يصلون من عندنا؛ لأن العشر صرنا نقبضه بجدة منهم، وأما تجاركم فخذوه ولا نأخذه نحن في بندر جدة؛ لأن العشر الواحد كافي مع قرب المسافة، كما روي. فلما وقع من العزل للشريف طالب صاحب صبيا من قبل حسن بن المتوكل سار إلى أحمد بن زيد وأخذ ولاية منه؛ لأن صبيا قاعدة ولايتها من قديم الزمان وأشرافها في كل دولة، مع أنها الحد فيما بين بلاد صاحب مكة والسلطان ابن عثمان وبين ولاية صاحب اليمن، فقررها المؤيد بعد أن كتب إليه الشريف طالب بذلك، فقال: لا بأس به.

ولما سأل كاتب الأحرف بعض من له بعض علقة بالمؤيد عن بذل نصيحة بما توجه من أجل عمل المشرق كتبت بما حاصله: أن الأولى ترك يافع والإعراض عنه، لأن أعماله تحتاج إلى مصابرة، وخزائن قارونية(1) وعساكر خاقانية(2)، ثم لو فرض القصد لهم ودخوله، فلا مصلحة فيه تعود نفعها عليكم ولا على المسلمين، ولا تقوم بجوامك من يسكنه من العسكر محافظاً؛ لأنه يحتاج إلى قوة[١٠٤/أ] عسكر وإلا خالفوا عليهم وأهلكوهم أو أخرجوهم بأمانهم، كما فعلوه مع السيد شرف الدين ابن مطهر، مع أنه لا يكاد يتم دخوله لو فرض حصوله إلا من الطرق الغربية مثل طريق جحاف وجبن وقعطبة ولحج وأبين؛ لأجل قرب المواد من اليمن ومقابلة قبيلة واحدة من قبل وجوههم. وأما الطريق الشرقية التي جاؤوها من أول وهي طريق الزهراء فإنها بعيدة، وبين قبائل مخالفة، فمن الغرب يافع، والقبلة قيفة، ومن العدن(3) الهيثمي، ومن الشرق الرصاص، فأدنى كسيرة من يافع وحازوهم من قدامهم(4) وخلفهم وأيمانهم وشمائلهم، وقد صاروا

(1) قارونية: نسبة إلى قارون، اسم رجل أعجمي يضرب به المثل في الغنى. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص ٧٧).

(2) خاقانية: خاقان: علم واسم لكل ملك من ملوك الترك خَقَّنوه على أنفسهم: أي رَّأسوه، وليس من العربية في شيء. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص ٨٧٢).

(3) العدن: الجنوب.

(4) قدامهم: أمامهم.

هذا الزمان أهل بنادق كثيرة وهم معروفون بعدم الرغبة إلى الإنقياد للدولة كائنة من كانت، ولذلك حاربوا طاهرهم عامر بن عبد الوهاب وعمه الملك المجاهد[1] قبله وما دخله إلا بعد حروب شديدة طر[يق][2] جحاف. وقد استعد لحربهم قدر عشرين ألفاً وبقي عليهم بجحاف مدة يحاربهم، وكان قد خربوا عليه قصره بجبن وانتهبوه. وكذلك سنان باشا لما قصد إلى يافع وحط عليه قدر ثلاث سنين ونصف، وخرج عليهم بثلاثة مدافع وحط عليهم بمكان يقال له الظهيرة. وكان ذلك الوقت ما قد ملكوا البنادق وإنما حروبهم بالعيدان، وما استفتحه سنان إلا على مشقة وبذل أموال عدة. وكان قد عمر قلعة يَرَاخ[3] وجعل فيها[١٠٤/ ب] رتبة لأجل الطريق بالمواد والقوافل إلى المحطة، ثم كان منهم بعد ذلك الخلاف المشهور، وقتلوا الأمير أحمد متوليهم في الحلقة، وحفظوا بلادهم، وبعد ذلك تركهم سنان ومن بعده من الباشات بالمرة، حتى أن سنان باشا أمر بخراب ما عمره بقلعة يَرَاخ للرتبة. وقال: لا يبقى بيننا وبين يافع اتصال البتة، لعدم المصلحة من بلادهم ولا عائدة، واستمر ذلك الترك لهم إلى مدة الحسن والحسين والمؤيد بالله، تركوها كما تركها السلطنة. وقد خالفوا على المتوكل مرتين، وحصل فيها من الفتن وإنفاق الأموال ما لا يخفى، وكان المتوكل خزائنه متوفرة، وأولاد إخوته كانوا على قلب واحد ورأي متحد، فكيف يتفق دخولها هذه المدة إلا بقوة عظيمة وخزائن وجنود واسعة، وهذا شيء بعيد مع العلم بعدم المصلحة.

وفي هذه الأيام توفي مسمار الذي كان والياً مع حسين بن حسن لبلاد يافع تلك الأيام.

وفي هذه الأيام خرج من البز نحو ثلاثين مركباً أو فوق، ومن جملتها مراكب السلطان

---

(١) الملك المجاهد: هو علي بن طاهر بن تاج الدين. (الملك المجاهد) كان وأخوه عامر (الملك الظافر) أول من استقل بملك اليمن الأسفل بعد بني رسول ودخلا عدن، واستفحل أمرهما سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م، وتولى علي وأخوه عامر حكم البلاد التي وقعت تحت يديهما. (يحيى بن الحسين: أنباء الزمن، ج٢، مخطوط، ق ٣٤٧؛ الموسوعة اليمنية، ج٢، ص ٦٠٩).

(٢) تم إضافتها ليستقيم المعنى.

(٣) يَرَاخ: جبل في منطقة الحيقي الأعلى، من مديرية الحشا وأعمال محافظة تعز. (المقحفي: معجم البدان، ج٢، ص١٩٠٣.

صاحب الهند، فتهون البز عما كان، وكان العام الأول مرتفع. وخرجت هدية للمؤيد من الهند ومن جملتها فيل. وكان قبل خروج هذه المراكب الهندية خرج من عمان براش يتسرقون كما هو عادتهم من قديم الزمان، فلم يظفروا بشيء، حتى جاء وقد تغير الريح عليهم في البحر الشرقي فانصرفوا صرفهم الله، وخرجت مراكب الهند في أمان الله للإبتغاء من فضل الله.

وفي نصف شهر جمادى الأخرى وصل كتب من الشريف أحمد بن زيد صاحب مكة إلى المؤيد بن المتوكل يذكر فيها كما روي من أجل توليته للشريف طالب لمدينة صبيا وما إليها، وأنه لما وجه لعزله عنها فقرره المؤيد على ما قال.

وفي هذه الأيام اشتد الغلاء ببلاد الحجرية، بلغ القدح إلى سبعة حروف، وكذلك في بلاد يافع والرصاص وقيفة. وكتب المؤيد إلى ابن عفيف بأنه يصل إلى حضرته، وزلج صنوه علي وقرر رأيه في تسكين المشرق، فأجاب ابن عفيف بأن الوصول يشق به ويتعذر عليه لكثرة من يتبعه من أصحابه، وأن الطريق يصلح شأنها، وابن شعفل قد دخل في تقريرها وتأمينها، ولا يحصل فيها تعدٍ من قبلهم فيها[1].

[١٠٥/أ] وفي نصف شهر جمادى الأخرى وصل من الشريف أحمد بن زيد صاحب مكة كتب إلى المؤيد قيل أن مضمونها أن بيت الشرف بيننا وبينكم واحد، وأن السلطان وجد[2] علينا أنا نذكركم في الخطبة وأمر أن تكون له وانا كنا نرى لكم ذلك،وقد سبق كتاب إلى صنوكم الحسن صاحب اللحية،فلم يظهر بمسرته، وأنه بلغنا أن التجهيز إلى دياركم،فاشتغل بذلك المؤيد وتغير منه.

وولد مولود في بلاد الرحبة عجيب الخلقة لبقرة نصفه الأعلى صورة آدمي ورأسه

(١) بعد هذه الفقرة شطب لم يتضح البتة.

(٢) وَجَد: أي غضب. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص ٨٨٠).

وصدره ونصفه الأسفل صورة البقر، فالقدرة لله تعالى، ولم يلبث أن مات، وقيل إنه نطق جواباً على المرأة التي رأته لما قالت أعوذ بالله من الشيطان، فقال مجيباً عليها: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وفي هذه الأيام خرجت المراكب الهندية[١٠٥/ ب] بالبضاعة من البز ونحوه قدر خمسة عشر مركباً من جملتها المركب الكبير الذي لسلطان الهند، وهو لم يخرج العام الماضي[١].

وفي هذا الشهر خرج من الهند شريف له معرفة بعلوم العربية، وكان قد سكن بمكة في المدة الأولى، وإنما أرسله سعيد بن بركات بهدية إلى سلطان الهند، فبلغ إلى سرات، وجاءت الأخبار بعزل الشريف سعيد وتولية أحمد بن زيد، فعاد من سرات.

قال الراوي: وكان المذكور له ترجيحات خرج بها عن أصل مذهب الحنفية، منها الجمع بين الصلاتين، وصنف في ذلك كتاباً وذكر ما جاء من الأحاديث في جواز الجمع للصلاة من غير عذر. وهو كما قال، فإن الأدلة قاضية بالجواز وقد رجحه كثير من الشافعية وغيرهم، كما حققه السيوطي في الديباج شرح صحيح مسلم[٢]. ولكنه روى عن هذا الشريف المذكور مسألة ضعيفة، وهو أنه يعتقد أن لا كفر يوجد في الأمم، وهذا خطأ عظيم ورد للكتب المنزلة على جميع الأنبياء. فقلت للراوي هذا: وما شبهته في هذه المقالة الشنيعة؟ فقال: لعله يتابع ابن عربي[٣]، فقلت له: حاشا ابن عربي عن هذه المقالة؛ لأنه وإن قال بوحدة الوجود، وأنه لا معبود إلا الله تعالى، وأن عبادة الكافر للصنم منصرفة إلى

(١) هذا الخبر مكرر سبق للمؤرخ أن ذكره.

(٢) الديباج: اسم الكتاب (الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج) في الحديث لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وقد سبق ذكر السيوطي.

(٣) ابن عربي: هو محمد بن علي بن محمد بن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، صوفي يلقب بالشيخ الكبير (٥٦٠-٦٣٨هـ/ ١١٦٥-١٢٤٠م) فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في الأندلس وانتقل إلى اشبيلية، له مصنفات كثيرة منها: (الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية) و(ترجمان الأشواق) وغير ذلك، استقر بدمشق وتوفي بها. (الزركلي: الأعلام، مج٧، ص ١٧٠-١٧١).

الله تعالى، فمراده أنه لا واحد موجود في الحقيقة إلا الله تعالى، فالعبادة التي وجهها الكافر إلى الصنم منصرفة في الحقيقة إلى الله تعالى؛ لأنه لا موجود حقيقة إلا الله تعالى وكل ما سواه فاني، والرسوم ممحوة من باب محو الرسوم والفناء، فالكافر كافر[١٠٦/ أ] بعبادته للصنم وإشراكه واعتقاده أن شيئاً غير الله يعبد، فهو ضال في الشريعة والحقيقة، أما الشريعة فظاهر، وأما الحقيقة فلكونه اعتقد أن شيئاً سوى الله تعالى يعبد، ولا معبود إلا الله تعالى وما أظن هذا يصح عن الشريف أصلاً، فلعله إنما يقول بمقالة ابن عربي فقط، وإنما حصل التركيب من الرواة لعدم معرفة الحقيقة ما هي عند الصوفية، فتوهم من قوله بمحو الرسوم ووحدة الوجود والفناء، وأنه لا موجود ولا معبود إلا الله، وأن العبادة وإن توجهت إلى الصنم للكافر فليست في الحقيقة إليه مع كفر الكافر باعتقاده بعبادة الصنم، فظن الذي لم يعرف قواعدهم أنه يصوب عبادة الأصنام، كما توهم كثير في ابن عربي بمثل ذلك، والله أعلم.

وفي ليلة ثالث شهر رجب الفرد من هذه السنة اتفق حريق سمسرة بصنعاء في طرف سوق الإسكافيين لرجل يقال له الخولاني، كان من أصحاب أحمد بن الحسن، بسبب بارود وضعه فيها يهود من المتسببين[١] الذين يصلون به. فاتصل بالبارود منهم نار أول الليل، فاحتمل الربع العدني من السمسرة، وسقط الجانب العدني من السمسرة على الحوانيت التي من خارج، هلك في الحوانيت جماعة كانوا في السمسرة، وكذلك اليهود أهل البارود أجمع وهم ستة، فجملة الذي هلك أحد عشر نفراً. وهرب الباقون من الجانب القبلي الذي سلم عن الخراب، والبارود ما ينبغي وضعه في أسفال البيوت وفي السماسر، وإنما يوضع في الأماكن[١٠٦/ ب] المنفصلة البعيدة عن الساكن.

وفي ليلة خامس عشر من شهر رجب قيل وقع خسوف القمر في برج القوس، وقد

(١) المتسببون: التجار، سبق ذكره.

كان حكم المنجمون بذلك قبل حصوله، وأنها تطلع خاسفة[1] ولم يـر الخسوف لاتفـاق سحاب متراكمة كان ذلك الوقت، إلا أنه أخبر برؤيته من جهات أخر.

وفي شهر شعبان مات القاضي علي بن عبـد الهـادي الحسوسة الثلائـي في بلـده بـثلا، وكان قد انتصب حاكماً بعد موت صنوه. وتبعه موت القاضي محمد النهمي بـصنعاء كـان قد نصبه المتوكل قاضياً في البيضاء من بلاد الرصاص، فلما مات المتوكل خرج عن البيضاء مسارعاً، قال: لأن قبائل الرصاص لا ينخرطون إلا بدولة قاهرة، فلما مات المتوكل مع ما كان يكابد المشاق معهم خرج عنها إلى محل سكونه بصنعاء.

وفي هذا الشهر ارتفع السعر بصنعاء بلغ القدح البر سبعة حـروف، والـذرة والـشعير خمسة وذلك بأول فصل الخريف، ثم حصل المطر بأول الخريف في أكثر البلاد، لكنه انقطع المطر في وسط الخريف، فحصل النقص، والسعر ما نزل؛ لأنه كان ظهر من الـدود الـذي يسمى الجرمي، ومنهم من يسميه القاشر الدودة المصوفة، فأكل الـذرات[2] في أكثـر بـلاد اليمن، فنقصت خصوصاً الصفر منها. ثم لما ارتفع آخر الشهر رجع نقصها، واستمر هـذا الغلا بالسعر في هذه المدة بصنعاء، وسائر البلاد أهون، ففي المغارب السعر عـلى النـصف من هنا، وكذلك باليمن الأسفل، وإنما الغلا بصنعاء لقل الواصل إليها مما كان يعتـاد مـن الـيمن الأسـفل[١٠٧/ أ] مـن الحبـوب، لـضعف الـيمن الأسـفل بـالنظر إلى مـا كـان، ولإستغراق ما جلب هنا، ثم لمن هنالك من الدولة. وعلى الجملـة إن الأسـعار مـا زالـت مرتفعة من سنة ست وسبعين وألف[3] إلى هذه المدة، حول إحدى وعشرين سنة، ما يعلم أن اتفق مثله.

وفي هذه الأيام بشهر شعبان وصل زيد بن المتوكل إلى صنعاء، فحبس خلـق الله كثـيراً

(١) كذا في الأصل، الأصح وأنه يطلع خاسفاً.
(٢) الذرات: جمع ذرة.
(٣) ١٠٧٦هـ = ١٦٦٥م.

من الناس ممن نقل إليه بحق أو باطل مما نهي عن التجسس له، وأمر النبي ﷺ بالستر عنه من غير مراعاة مناظره، فأملى حبس قصر صنعاء وغيره.

وفي هذا الشهر بلغ أنه حصل في بيت الشيخ ابن العفيف اليافعي صاعقة أخربت جانباً منه، وأشاع الناس بأن ابن العفيف من جملة من هلك منها، ولم يصح وإنما حصل ذلك.

وفي ثالث شهر رمضان آخر نهار السبت توفي علي بن المتوكل بداره بمحروس مدينة إب باليمن الأسفل، عقب نزوله من يريم بلا فصل، فإنه خرج من يريم يوم السبت سادس وعشرين شهر شعبان، وكان قد أحس بنواخز[1] معه فلما وصل إلى إب دخل الحمام ثم بقي نحو يوم أو يومين وأتبعه الفصادة[2]، ثم تبعه الحِمَام[3]، وقبر بحوطة الكاظمي بإب، رحمه الله تعالى. وقال راوٍ آخر ممن يختص به أنه كان يعهده غم وهو بيريم، ثم يزول عنه ذلك، فلما كان يوم السبت عهده ذلك وقت الظهر في ثالث رمضان، فمات آخر ذلك النهار منه، فكان من يوم نزوله من يريم من السبت إلى السبت. وكان دخوله إلى إب في أبهة ملوكية مع خيل كثيرة نحو أربعمائة عنان، والنوبة تضرب والصناجق تخفق، فالقدرة لله العظيم. وكان الرجل فيه الكرم الذي تميز به عن إخوته، ولكن كان جار اليد على رعيته، ولم يترك شيئاً من مطالبه[١٠٧/ ب] فإن صنوه المؤيد كان أمره بذلك، فاعتذر لشدة الحاجة للجند معه، فالله يغفر له فهو الغفور الرحيم بعباده من المسلمين. ومثله في جرة اليد صاحب المنصورة، لكن أهل الحجرية ليسوا كاليمن الأوسط، فإنهم يمنعون عن أنفسهم بعض المطالب، لا سيما جبل القماطرة[4]. ولا يدخل العسكر بيوتهم أصلاً بل

---

(١) نواخز: آلام عادة تأتي في الجانب الأيمن أو الجانب الأيسر.

(٢) الفصادة: فصد: بمعنى شق العرق حتى يخرج منه الدم. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص ١١٠٠).

(٣) الحِمَام: الموت.

(٤) كذا، ولم أجد القماطرة، ولعلها المقاطرة، سبق ذكرها.

يجعلون له منزلاً منفرداً أو في المساجد، بخلاف اليمن الأوسط، ولا يسلمون إلا ما فرض عليهم، وما انطلبوا فيه من سبارهم.

وقد كان علي بن المتوكل بنى بفتح الضريبة في إب، واستأذن صنوه، وقال إنه صار يحتاج لمن عنده، وكان الصرف يومئذٍ قد نقص عما كان، بلغ القرش إلى سبعة أحرف بعد أن كان في عشرة حروف، ولو تمت الضريبة رجع الصرف على حالته الأولة وأكثر.

وفي هذه الأيام رجح لسيد يقال له السيد علي بن حسين الشامي(١) وهو ساكن ببلاد خولان صنعاء الدعاء لقبائل خولان إلى نفسه، وقال لهم: إن أحوال المؤيد تغيرت، فلم يجبه أحد منهم، فسكن. وهذا من عجائب اليمن لا يزال دأبه هكذا فيهم، مع أن المذكور ليس له إلا الفرائض ومشاركة في الفقه، وفي مذهبه أن الإمامة تحتاج فيها إلى العلم الواسع(٢).

[١٠٨/أ] ولما انقضى أمر وفاة علي بن المتوكل باليمن الأسفل كتب جماعات من الذين كانوا ملازمين معه من رؤسائهم إلى أخيه المؤيد بأن الولاية تكون لولده حسين بن علي بن المتوكل(٣)، وأنه يكون بذلك حفظ الجند والإستمرار، فتغافل المؤيد عن الجواب، حتى ينظر في الصواب ولم يجزم بوضع الولاية، بل أبقاه على تلك الحالة. ووصل في خلاله شكاة من اليمن الأسفل يذكرون ما قد كان نالهم من تلك المطالب الكثيرة والمظالم

(١) هو السيد العلامة المحقق علي بن الحسين بن عز الدين الشامي، ولد في مسور خولان سنة ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م، وتلقى العلم بصنعاء على أبرز شيوخها، وتفرغ للعلم، صنف في أصول الدين كتاب (العدل والتوحيد) توفي في صنعاء سنة ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م. (زبارة: ملحق البدر الطالع، ص ١٦٢-١٦٣).

(٢) بعد هذه الفقرة حوالي نصف الورقة كلام شُطب عليه لم يتضح منه شيئاً البتة.

(٣) حسين بن علي بن المتوكل على الله إسماعيل: شاعر مجيد، كان أمير خيل والده، وقائد عسكره، وشعره يدخل في مجلدات، ولما توفي والده في هذا العام بقي على ما كان عليه والده من الإمارة حتى وفاة عمه الإمام المؤيد محمد بن المتوكل، فبايع عمه يوسف بن المتوكل، وجرت بينه وبين (صاحب المواهب) الإمام الناصر أحداث وحروب ذكرها المؤلف في هذا الجزء من الكتاب، وفي آخر الأمر أطلقه صاحب المواهب من السجن وولاَّه بلاد حاشد وبكيل ثم شهارة والشرفين. توفي سنة ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م. (الحوثي: نفحات العنبر، مخطوط، ق٣٣١).

الواسعة من الإيام السابقة. وكانوا قد شكوها إلى والده المتوكل، فلم يتقدر فيها ارتفاع، على ما هي من الإتساع، فأمر المؤيد برفعها وإزالتها، وأنه لا يريدها ولا يأمر بها. وأرسل الفقيه أحمد بن عبد الحق الحيمي لافتقاد تلك البلاد، ورفع حقائق المطالب الزائدة في تلك الآفاق، فدعا له أهل اليمن، وعادوا ونفوسهم طيبة. وحسين بن علي بقي في إب، وكان قد كتب إلى خاله محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة في شأن تلك البلاد، فأجابه بكتاب أنه يصلح للبقاء على ما هو عليه، وكتب بكتاب إلى المؤيد بمثل ذلك، هذا والله أعلم.

وتوفي عقبه بلا فصل أحد أولاده المسمى محمد بن علي بن المتوكل بالروضة، بألم الحلق، وكان قد بلغ في السن نحو عشرين سنة.

وفي بكرة يوم الأربعاء عشرين من شهر شوال توفي الولد شرف الدين الحسن بن يحيى بن الحسين، ولد كاتب الأحرف بألم الحلق.

كان مرضه رحمه الله من آخر نهار الجمعة خامس عشر الشهر، ومات بصنعاء، فكان له موقع عظيم[١٠٨/ب] عند والده كاتب الأحرف للغفلة[١] الطارئة التي حصلت في هذه المدة، ثم شيعناه رحمه الله من الدار التي لنا قريب الأبهر إلى بير العزب، غربي صنعاء، وقبرناه قريباً من بيتنا ومخرفنا في مكان مناسب لمثله ويقرب من التذكر لنا والتأسي به وللدعاء بأطيان بير طاهر[٢] التي لنا. وكان هذا المحل الذي قبر فيه رحمه الله كثيراً ما يتعود القعود فيه وحده، عند ساقية الماء الجاري من البير لسقي الضيعة التي معنا والأعناب فيها. وكان سنّه يومئذٍ في عشرين سنة ونصف، ومولده سنة خمس وسبعين وألف[٣]،

---

(١) كذا في الأصل، الأصح: العلة: أي المرض.

(٢) بير طاهر: ذكره المؤرخ بأنه غربي بير العزب.

(٣) ١٠٧٥هـ= ١٦٦٤م.

وكان لا يفارقنا رحمه الله في بقانا بصنعاء وفي الخريف في هذا المحل خارجها، إلا هذه السنة، فإنه اختار واسترجح عدم الخروج لنزهة الخريف معنا، وكنا نحب مطابقة غرضه ومسايرته، فسكن هنالك إلى آخر الخريف وكان موته رحمه الله. وكان فيه صفات ما رأيتها في أحد من أمثاله وأبناء جنسه رحمه الله من السكينة التي رزقها وكمال العقل والقناعة، بحيث لم يسألني في حاجة ولا مطلبة، وإنما كنت أعرض عليه ذلك عرضاً، فيأخذه مني. وكان لا يخطر بباله يسأل الدولة ولا القصد إلى أبوابهم ولا الإتصال بهم بالجملة الكافية، فما وصل إلى أحد منهم في جميع مدته ولا عرفهم ولا كاتبهم. وكان قد ولع بالصلاة[١٠٩/ أ] بجامع صنعاء محبة منه للجماعة والتلاوة، فكان لا يتركها للمغرب والعشاء كل ليلة رحمه الله. وكان من جملة المثبطات له في السكون بصنعاء هذا العام وعدم الخروج لنزهة الخريف هو ذلك، وربما زوجته أحبت سكونه بصنعاء، فسكن معها. وكان رحمه الله يشتري من الكتب ويحب مطالعتها، خصوصاً ما فيه من القصص والأخبار والآداب، وكان قد قرأ على كاتب الأحرف في كافية ابن الحاجب[١] شرفاً واحداً، وله الخط الحسن، واللفظ البليغ المحكم. وكان يظهر معه رحمه الله البركة فيما تحت يده، بحيث ذكرت له مرة أني عجبت فيما رأيته معك من الفراش والكتب ونحو ذلك، وما يشتريه من الكسوة له وأهله، من أين هذا؟ فقال: الأمور متيسرة، فعلمت أن ذاك إنما هو بركة القناعة، فإنها رأس الغنى، فرحمه الله رحمة واسعة، وتلقاه بالروح والريحان، والرضى والغفران. ولقد كان رحمه الله في بعض السنين ونحن بالخريف يدخل في رمضان إلى جامع صنعاء من بير العزب للصلاة، ويبقى في الجامع إلى قريب الغروب يصلي فيه ويتلو القرآن هنالك ثم يخرج إلى عندنا هذا دأبه. ووصلت أبيات في تأريخه رحمه الله من سنبل بن سرور[٢] رعاه الله برعايته، وعانه وأحسن إليه في دنياه وآخرته، يقول فيها:

---

(١) سبق ذكره.

(٢) سنبل بن سرور اليماني الكوكباني، كان أديباً ظريفاً عارفاً، فقيهاً لطيفاً، مدح الأمير محمد بن الحسين بن عبد القادر بن الناصر بعد دعوة الحسين بن القاسم بن المؤيد بالله محمد بن القاسم، توفي سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م. (زبارة: نشر العرف، ج١، ص٧٤٣-٧٤٥).

[١٠٩/ ب] جرى حكم المنيَّة في الزمَانِ
بأن المرء مُحترم الأمَاني
الفارس الحسن بن يحيى
يموت وما سوى الرحمن فاني
مضى لم يقض من دنياه سُؤْلاً
ونادى يا خليلي وَدِّعَاني
وأنمو وَوَلَّى غيرُ ملتفت إليها
سريعاً غير ثانٍ للعِنَانِ
فإما رُمْتَ تعرف أين وَلَّى
فأرخه إلى ظل الجَنَانِ
سنة ١٠٩٦[1].

وقال السيد علي بن صلاح السراجي:

يا أيها المولى العماد ومن غدا
بجميل أوصاف المكارم يحمدُ
وأجل من يغني الذرا بعلومه
ويحل أمر المشكلات ويعقد
بك أسوة بمحمد ووصيه
فالشكر أجمل والتصبر أحمد

(١) ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٤م.

ولأن مــــضى رزء حــــل قلوبنـــــا

لكـــن هـــو يـــا خـــير مـــولى يوجـــد

حـــسن العـــز ألمـــاً أتـــى تأريخـــه

حـــسن بعـــزٍ في الجنـــان مخلـــد

١٠٩٦

وللقاضي زيد بن صالح العنسي قوله:

مـــا قـــضى حـــسن نجـــل الهـــدى وطـــراً

عـــن الحيـــاة وســـبل الراشـــدين مـــضى

وحـــاز أجـــراً بحـــسن الـــصبر والـــده

يحيـــى عـــماد الهـــدى والـــدين واتعـــضا

لأقـــــره الله في عَـــــدْن وأســـــكنه

بالخلـــد كـــيما أتـــى التـــأريخ منـــه رضـــا

[١١٠/أ] وللفقيه أحمد بن علي الشارح قوله:

وجـــــزاه الإلـــــه جنـــــان عـــــدن

في مقـــــام نعيمـــــه غـــــير فـــــان

وإذا رمـــــت فيـــــه تحقيـــــق نظمـــــي

فاصـــــغ ســـــمعاً لمـــــا يقـــــول لـــــسان

ألفـــــاً زد بـــــه وقـــــل أرخـــــوه

حـــــسن خالـــــد بـــــدار الجنـــــان

١٠٩٦هـ انتهت.

هذه الترثية للفقيه الأديب صلاح بن صالح الأحمر[1]

ورأى له رحمه الله السيد الفاضل قاسم بن ناصر الغرباني رؤيا، هي من المبشرات، بأنه اتفق به وسلم عليه وسأله عن حاله فقال له في نعيم وأمان وخير جسيم، وأنه رآه على حاله التي يعرف، وأخبره ببعض صفات الجنة والحور العين، ثم أنه حان وقت الصلاة، فقام السيِّد وقال له: قم نصلي، فقال له الآخرة قد ارتفع فيها حكم الصلاة والتكليف، رحمه الله تعالى.

وفي هذه الأيام شهر القعدة الحرام جاء الخبر بأن صالح الرصاص واليافعي التقوا للحرب فيما بينهم، فراح منهم مقتلة، وكان القتل من يافع الكثير ومن أصحاب الرصاص اليسير. وأرسل اليافعي عند ذلك للرتبة الذين كانوا معه بجحاف وأخلاه عن ما كان رامه من الإعتساف، وكتب إلى المؤيد بأنه داخل بالفطرة نحو أربعة آلاف، وقال إنه لا يحصل منه تغيير على تلك الأطراف.

وفي شهر شوال هذا صالت قبائل دهمة من أطراف الجوف على بلدة معين، فانتهبوه، واستلبوا الحلي من حريمها، وأعانهم بعض أشراف الجوف، بل قيل أنه الذي استدعاهم إليها، فلا قوة إلا بالله.

وفي هذه المدة بعد حصول الغلا في الأسعار لقل الأمطار وضعف الثمار ومما حصل من أكل الجرمي من الدود للزرائع حصلت الركة في كثير من الناس، بحيث أنها غلقت بعض حوانيت مدينة صنعاء، وضعف فيها البيع والشراء، وترك جماعة المساني بشعوب لفترة[2] العلف لقراشهم، وأكل الدودي لثمارهم، وصارت أصلاباً[3] أموالها، وخلت بيوتها، وصلب بعض أعناب الجراف، ويبس[١١٠/ ب] الغيل فيه وعدم المساني، وغور

(١) كذا في الأصل، ولم يذكر المؤرخ ترثية صلاح الأحمر.

(٢) الفترة: الضعف. سبق ذكرها.

(٣) أصلاباً: جمع صلب، سبق شرحها.

الآبار، ونزول الماء فيها، وعدم الإستقرار فيها على ما كان أولاً. وكذلك صلبت بعض الآبار التي داخل صنعاء كسَمْرة[1] والعَلَمي وغيرها وبعض المقاشيم[2]، وبطلوا المسنا فيها، ويبس غيل وادي بقلان ببني مطر، ويبست فيه الأبنان. وشعوب صلبت بعضها لعدم قدرتهم على علف قراشها، وأكل الدودي لزراعتهم فيها، وعلى الجملة إنه لا يعلم أن قد اتفق مثل ذلك، فالحكمة لله سبحانه.

وفي ثامن هذا الشهر جاء خبر من اللحية بأن الجلاَّب الذي لحسن بن المتوكل حيّرت بجدة عن رجوعها إلى اللحية، فتحير بسبب ذلك المسافرون في اللحية من التجار وبعض الحاج.

وفيه أرجعت قبائل قيفة والرياشية القباض الذين أرسلهم حسين بن حسن للزكاة من تلك البلاد، فوصل حسين بن حسن من ضوران وهو مستقر فيه هذا الأوان إلى حضرة ابن عمه المؤيد وهو بمعبر جهران، وقال يرسل بعسكر لهذا الشأن ولا يترك المشرق، فبقي المؤيد في الحيران، لما كثر الإختلاف عليه من الأقران. ووصلت رسالة من قاسم صاحب شهارة يذكر له أنه بلغه رفع المطالب من اليمن الأسفل بلاد حي صنوه علي بن المتوكل، وخصوصاً دراهم دكة تعز؛ لأنها قد بلغت هذا الزمان في الشهر ثلاثين ألفاً بعد أن كانت..... [3]، وأنه يحتاج إلى ذلك للعسكر وغيرهم. وقد مر عليه أبوه المتوكل فمن قبله، وكان يومئذٍ هذه المطالب باليمن الأسفل دون ما كان آخر مدة المتوكل، فلو أنه خفف من المطالب الزوائد، وإلا فإن الجور قد حصل عليهم، فالمؤيد مصيب في رفعها والعدل واجب[١١١/ أ] فيها بلا شك، والله يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[4].

---

(١) سَمْرة: من حارات صنعاء القديمة في الجهة الغربية الشمالية من السايلة المعروفة.

(٢) المقاشيم: سبق شرحها.

(٣) كذا في الأصل، لم يكمل المؤلف الجملة.

(٤) المائدة: ٢.

والظلم ظلمات يوم القيامة، وعقباه الحسرة والندامة، فلا وجه لاعتراض صاحب شهارة ولا صاحب المنصورة، ويجب عليهم العدل في الرعية، والسيرة المرضية، واجتماعهم في الكلمة مع أن رفع المطالب الأخر في اليمن أقدم من دراهم دكة تعز؛ لأنها تخص أهلها، ودراهم دكة تعز تعم؛ لأنها للطالع والنازل من التجار من جبلها وسهلها، فرفع المطالب في اليمن على رعيته أقدم وأهم؛ لأنها كثرت عليهم، فإنها نحو عشرين مطلبة، فالمؤيد رجح رفع الزوائد في المطالب في بلاد دكة تعز من الشيخ راجح، وأبقى ما كان قبله.

وفي هذه الأيام أمر صاحب المنصورة أنه لا يخرج أحد من الباب إلا بتذكرة إلى البواب، فتضرر الناس بسبب ذلك. وسبب ذلك أن العسكر الذين يصلون إليه لا يستقرون، بل يستعدون ويخرجون، فعمت القضية فتضرر الناس بسبب ذلك. العسكر وغيرهم، وتقاللوا بحضرته؛ لأن ذلك جرى مجرى الحبس والترسيم عليهم، مع ركة أحوالهم، وغلا الأسعار، ومشقة السبار، فإن الغلا هذه الأيام قد طال، والأسعار باقية على الإرتفاع. فإنه هذا الوقت كان وقت الصراب، ولم ينقص السعر، بل القدح الصنعاني بثمانية حروف والشعير بأربعة ونصف، والذرة بخمسة، وله في الإرتفاع من شهر رجب، فظهر على كثير الركة. ورحل كثير من المشارق وبلاد صنعاء لطلب[١١١/ ب] المعاش، وظهر على الدولة الضعف والركة والحاجة الماسة، خصوصاً أولاد أحمد بن الحسن، وباعوا في الأسواق أثاثهم، وكذلك من ينضاف إليهم ممن كان ملازماً لهم. ورخصت الأسعار في المغارب وبلاد خبان ويريم إلى ذمار؛ لأن الثمرة كانت فيها أحسن من غيرها، فبلغ القدح إلى حرفين وستين بقشة، وأما صنعاء فلم ينزل سعرها بل على حاله، وسببه ضعف مخاليفها، وصار يصل إليها الحب محمول، ويلحقه ملحوق الكرى[1] من هذه

(١) الكرى: الأجرة، وقد سبق شرحها.

البلاد مثل النصف، فلذلك كان في صنعاء على الإرتفاع، القدح البر بسبعة حروف، والشعير بأربعة، والذرة كذلك.

وفي هذه الأيام بهذا الشهر ترجح للسيد محمد بن علي الغرباني الذي كان مدة المتوكل ببلاد برط يدعي الإمامة، كما سبق، وكان هذه المدة بصنعاء أن دخل بلاد يافع متنكراً في لباس أهل المشرق يسير معية مع بعض من سايره.، وكانت طريقه مشرق رداع، حتى دخل إلى تلك الجهة، يريد إذا وافقته يافع على إجابة دعوته ويحملهم على البغي على المسلمين مما يبوء بإثمه، فلا قوة إلا بالله. ولما وصل يافع صار يحسن لهم ما فعلوه مع الدولة.

وفي هذه المدة صالت قبائل دهمة على صوافي أحمد بن حسن التي حول بلاد معين من الجوف، فأرسل ولده محسن من الغراس أحمد بن شمسان بجماعة وقد كان وقع منهم ما وقع في أهل الجوف من الإنتهاب، وقتلوا وكيف ولم يحترموا الأشراف.

[١١٢/ أ] وفي هذه المدة شهر جمادى الأولى سنة ست وتسعين وألف صالت الفرنج الملاعين على أطراف بلاد الجريد، وذلك بسبب أن وزير السلطان لما حصل منه التمثيل بالرسل الذين أرسلوهم إليه بأن قطع آنافهم وآذانهم ومشافرهم، وعلق الكتب في أعناقهم، وأرجعهم إليهم على تلك الكيفية، وهم أربعة أنفار منهم. فقاموا وقعدوا وكاتبوا جميع طوائف الفرنج النصارى والإنجريز، فاجتمع منهم طوائف لا يحصيهم إلا الله، وقاتلوا الوزير للسلطان محمد بن إبراهيم بن عثمان قدر خمسة عشر يوماً. واستشهد من المسلمين كثير، وقتلوا الوزير[1]، واستولوا عليهم الجميع، واستولوا على كثير من بلاد

---

(١) الوزير: هو الصدر الأعظم قرة مصطفى باشا، ولم يُقتل في الحرب لكنه أعدمه السلطان محمد بن إبراهيم بسبب أنه وشى به خصومه لدى السلطان بسبب فشله في الاستيلاء على فيينا، فأعدم سنة ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٣م. وبعد هذه الفترة ضعفت الدولة العثمانية، وخسرت أراضي واسعة. (للمزيد انظر. أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني، ص ١٥٥-١٥٦).

الجريد، ثم ارتحلوا إلى طرابلس الغرب من بلاد السلطان، فأخذوها، وكذلك إشبيلية من بلاد الغرب الجميع في جزيرة الأندلس، وفعلوا في الإسلام أفعالاً قبيحة من الأسر والنهب[١١٢/ ب] والتحريق. ولما بلغ السلطان هذا الخبر العظيم في الإسلام إلى اصطنبول خرج بنفسه، وأخرج لوكاً من الخزانة نيوى، وخرج يصيح الجهاد الجهاد في سبيل الله، وتوجه إلى تلك الجهات، وكتب بمثل ذلك الشريف سعد بن زيد إلى أخيه أحمد بن زيد، وقال: إنه توجه مع السلطان محمد بن إبراهيم بن أحمد خان للجهاد.

قال الراوي: وقد توجهوا إلى قصد بيت المقدس، وأنه لم يبق بينهم وبينه إلا نحو نصف شهر أو أقل، ولذلك خرج السلطان بنفسه، وكانت هذه الأخبار الرافع لها إلى اليمن وزير أحمد بن زيد عثمان بن علي بن حميدان وغيره من الواصلين من مكة وجدة.

ووصل كتاب من أحمد بن زيد إلى بعض أهل اليمن يذكر فيه أنه كان خروجه إلى بلاد نجد وقصد فروح وبني حسين، وذكر الشريف أحمد بن زيد أن خروجه من مكة كان سابع عشر شهر جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وألف[1]، وكان رجوع الشريف من الحجاز كانت حول المدينة، ثم رحل مكة مع الحجاج.

[١١٣/ أ] وفي نصف شهر الحجة قبض المؤيد بلاد تعز، من البلاد التي كانت مع صنوه علي بن المتوكل، فتغير من ذلك حسين بن علي بن المتوكل إذ محصولها بلاد والده. وأرسل رسولاً إلى المؤيد من أجل ذلك، وكاتب إلى صاحب المنصورة وتقوى بجانبه إن احتاج إليه في حفظ بلاد والده. وعند هذا سار[١١٣/ ب] صاحب عمران حسين بن محمد بن أبي طالب إلى حصن مبين بحجة، فتعب من ذلك المؤيد كثيراً وأرسل إليه أنه يعود إلى محله، فاعتذر بأن معه هناك حلة[2] من مدة أحمد بن حسن، وطلب منه المهلة وهو

---

(١) ١٠٩٧هـ = ١٦٨٥م.

(٢) حلة: لعله يقصد زوجة، سبق شرحها.

يعود، فاستمد من البلاد بعض شيء مما كان له منها، معيناً وزاد؛ لأن أحمد بن الحسن هو الذي كان ولىَّ بلاد حجة والده محمد بن أحمد؛ لأجل دخوله تحت طاعته، وجعل له من محصولها جانباً، واستثنى جانباً، فاستمر على ذلك ولده بعده، وكان هذا العزم طمعاً في ثبوت اليد له عليها أجمع. والمؤيد كان قد كتب أنه يقتصر على المعتاد له، ولا يسلم إليه أحد من أهل البلاد.

ودخلت سنة سبع وتسعين وألف(١)

استهلت بالحساب بالثلاثاء وبالرؤية الأربعاء، وحصل في هذا اليوم مطر من أوائل الربيع عم أكثر اليمن الأعلى والأسفل، وتهون السعر الثلث مما كان أولاً، لكن حصل من قبل الدراهم الإنكسار في البيع والشراء؛ لأجل ترك الضريبة، فنقص الصرف للقرش بدون وزنه بمثله من هذه الدراهم، مع كثرة النحاس فيها، فإنه كان الصرف للقرش للتجار بعشرة حروف أولاً وهذا الوقت بلغ إلى ستة أحرف، مع أن الأسعار والأجر بعد ارتفاعها أولاً لأجل فرق الدراهم ما نقصت بنقص الصرف لعدم جري الضربة على مقدار واحد، لا يختلف، فأوقع في هذا الخلل.

وأخبر الحاج أن السعر كان بمكة[١١٤/ أ] الكيلة بستة عشر بقشة مصري، والزوارأخبروا أنه كان بالمدينة المنورة الكيلة بأربعة كبار، وأن تلك البلاد والحجاج صالحة، وأن الغلا في اليمن. وأخبروا بقوة يد أحمد بن زيد وكثرة الخيل والجند معه، يبلغ الخيل معه في هذه المدة بعد عود الزوار إلى قريب ألفين فارساً، وأن يده امتدت على جميع بلاد نجد، إلى قريب نجران والحرجة وإلى صبيا في تهامة.

والسيد صلاح أمير الحاج اليماني لما عاد من الحج إلى الغراس مات فيه، وقد كان متأثراً

(١) ١محرم ١٠٩٧هـ- ٢٧نوفمبر ١٦٨٥م.

من الطريق. وكان قد أهدى المؤيد إلى أحمد بن زيد هدية زيادة على المعتاد من الدراهم التي عودها والده، فأهدى نحو ثلاث خيل من الجياد، وثلاثة سيوف من السيوف الهندية العظيمة، واتفق اشتجار بين الحجاج حال الدخول في بلاد الحرامية على الطريق بين تركي خواجا وبين عسكر السيد صلاح من مرهبة، فقتلوه، فقبض السيد على القاتلين وسلمهم إلى السيد أحمد بن زيد بن محسن، فحبسهم الشريف وقال: يكون النظر للشريعة في أمرهم.

وفي آخر نهار الأربعاء سابع شهر محرم مات الأمير عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين بحصن كوكبان، وأنزلوه إلى شبام، فقبروه جنب والده. وكان إليه جميع ولاية بلاد[١١٤/ب] لاعة من كوكبان إلى منابر تهامة والطور.

وفي ليلة نصف شهر محرم خسفت القمر في برج الجوزاء عقب نصف الليل، ابتدأها بسواد ثم بحمرة وتجلت أول السحر.

وفي هذا الشهر مات الذانبي المتولي لبلاد لحج، فحصل طمع اليافعي في تلك الجهة، فقدم تقدمة إلى نواحي جحاف، وجهز إلى أبين، وقال: هو في ولايته من محمد صاحب المنصورة من تلك الأيام السابقة. فلما حصل هذا الحاصل كتب صاحب المنصورة إلى المؤيد وإلى بني عمه من الولاة وإلى مشائخ البلاد أنهم يمدوه بمعونة، فإن أهل المشرق قد صاروا في حدود بلاده، وتعقب ذلك رتبة أيضاً إلى قعطبة من اليافعي، يقال: إن رئيسهم السيد عبد الرب، وأن الغرباني رئيس الذي بجحاف، قيل: وهذه الحركة من اليافعي بسبب الغرباني، كما قالوا أثار حفائظهم، وحثهم على ذلك. وكان المؤيد قد أحسن إلى الغرباني هذا وأعطاه وشرى له بيتاً وفرشه له بالمفارش الرومية، يتألفه بذلك فما نفعه ذلك، وصار يطعن في سيرته وسيرة إخوته وأهل دولته، كما كان يطعن في دولة الذين

قبله، ففرح يافع بهؤلاء لما طابق هواهم والقدرة لله تعالى.

وكان من جملة كتب محمد صاحب المنصورة إلى المؤيد: إنك إن كنت باني على المعونة، وإلا ترفعنا عن هذه[١١٥/ أ] البلاد، فكان حاله فيها كحال مجير أم عامر(١)، فإنه كان في تلك الفتنة الأولة التي جرت في يافع معيناً ليافع على الدفع والإمداد لهم، كما تواترت به الأخبار عنه معهم، ثم هاهم رجعوا على بلاده ومحاربته.

وفي نصف صفر وصل الزوار فأخبروا أن الخير بالمدينة والحجاز كثير، سعر الكيلة أربعة كبار، وأن عند أحمد بن زيد جمع كثير من الخيل والرجل............(٢) وأن الخيل وجدها تأتي قريب الألفين.

وفي هذه الأيام بشهر ربيع الأول عادت جوابات كتب صاحب المنصورة عليه من القبائل ومن بني أعمامه، فذكر الأهنوم في جوابهم أنهم لما نزلوا المرة الأولى مع أحمد بن المؤيد وأنقذوا محمد بن أحمد صاحب المنصورة من الغرق لم ير لذلك منهم مروة، ولا جازى أحداً منهم من المصروف والكسوة. وهذا المخرج المطلوب إن كان فيه ما يحملهم من المصروف والزاد، ويكون لهم أمير يسير معهم بخزانة كاملة لما احتاجوه فهم يسيرون، وإن كان غير ذلك فهم باقون، فأرسل به القاسم صاحب شهارة إليه بجوابهم. وكان جواب قبائل بني الحارث وهمدان أن قد خرجوا الخرجة الأولة واحتاجوا حاجة شديدة ولهم جوامك مقطوعة، فإذا أرسلوا لهم بالجامكية إلى عندهم ساروا. وكذلك مثله جواب أهل الحيمة. وأما جواب صاحب صعدة فأجاب بأنه مشغول ببلاده والعسكر الذي عنده يحتاجهم للمحافظة عليها، مع أن قد تغلب عليه بلاد نجران ولم يتمكن من أخذ شيء من واجباتهم في هذا الزمان، وأنهم منعوا بلادهم بالرتب[١١٥/ ب] ولم يصل شيء منها.

---

(١) مجير أم عامر: أم عامر: هي الضبع، كأن ولدها عامر، والعرب تضرب بها المثل في الحمق. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٨٨٥).

(٢) كلام غير واضح في الأصل بسبب الشطب.

ومع اشتجار بلاد خولان واختلافهم فيما بينهم وهم العمدة معه وأكثر عسكره منهم، فلم يبق له يد عليهم نافذة، ثم ذكر أشياء من المطاعن في سيرة المؤيد من نحو ما كان يطعن به على والده المتوكل آخر مدته، كما سبق ذكره. ولكنه قدم كتاباً إلى المؤيد يذكر أنه إذا هو باني على الحركة فقد اجتمع له طائفة كثيرة، وشرط أن يعوضه في بلاد اليمن لأجل ما يحتاجه ومن معه، فتغافل عن جوابه للنظر كيف يكون خطابه، وما تمس إليه حاجته.

وبسبب هذه الأحوال واختلاف الأنظار والتنازع حصلت الضعف في هذه الدولة، واستولى اليافعي على سوق بقار بحدود الدمنة وقعطبة، واصطلح هو وابن شعفل، وكانت أيديهما واحدة، وأمنوا طريقهم إلى جهات عدن، وأخذوا المجابي التي كانت بقعطبة على العادة السابقة.

وحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم أبو طالب صاحب عمران لما سار من عمران إلى حجة، كما سبق ذكره، وكانت رسل المؤيد عنده، فلما تم عمله من استقراره المدة التي طلب لحنان[1] أولاده، ذكر الرسل ما يكون الجواب وأنه يأذن لهم في العود، فأجاب بأنه يثقل عليه الإرتحال، ويتعذر عليه الإجابة إلى دخول الحجرية وحدود يافع على كل حال وأنه باقٍ بين أهله ولا يتعرض في شيء، بل العهدة على السادة من بني جحاف في الولاية على العادة. ثم لما بلغه تحرك عمه من صعدة طلع وخرج من مبين وعاد إلى عمران، فعاد الرسل وهو وقف[2] في حصن مبين[١١٦/ أ] وأراد التباعد عن المؤيد وحفظ الحصن لأمل معه يريده من الدنيا والإستيلاء على تلك الجهة عند التمكن منها، كما قال تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾[3]. وصار كالمستجير في الحصن، لما قد أصابه من الهزيمة في البلاد اليافعية، وتلك القضية، وأنه إذا تمكن فهو يطلع من بعد إلى عند المؤيد،

(١) كلمة غير واضحة في الأصل، رسمناها كما وردت.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) آل عمران: ١٥٢.

وتقاعد عن الحركة وحط رجله في العقبة، وظهر من حاله أنه في هذه الساعة راضٍ بما تيسر له، ولا يعرج على ما قطعه المؤيد إن قطع من معتاده من حجة إلى وقت تنزيعه إذا أمكنه آمال معه مبسوطة، والحكم لله العزيز في جميع الأعمال المقدرة.

فلما بلغه تحرك عمه من صعدة بجيوشه فتحرك حينئذٍ واستأنس وقوى جأشه، وقال : أما مع الإجتماع فتتوجه المسارعة إليه من غير نزاع، فطلع من حصن مبين وخرج عنه إلى عمران وبنى على السير مع الطلب، لكنه تثاقل كأنه ينتظر وصول عمه إن تم وصوله، وهو أقرب إلى العجز والملل. وعند أن عرف المؤيد أحواله أمر بقطع نصف دفعة حجة عنه، ولما تأهب الناس وخرج يحيى بن محمد من البستان، وكان قد تقدمه النقيب فرحان إلى جهات ذمار، وبلغ ابن العفيف ذلك ترجح لأن يبعث كتاباً إلى المؤيد، وإرسال دراهم من الواجبات، وقال: هو مطيع ومسلم للواجبات، ويعتذر مما جرى في أطراف الدمنة من قبله، والتعرض في ذلك إنما كان على وجه[١١٦/ ب] أنه وصل جماعة كالمستجيرين إليه وأنه بعث معهم من بعث، وليس قصده بذلك الخلاف مما فيه في الظاهر المخادعة. فحصل الشك مع المؤيد وقال :إذا الأمر هكذا فلا وجه حينئذٍ لقصده، وقال حسين بن حسن وغيره كيف الرجوع وقد تعبت في الكتب إلى كثير من الجهات؟ وقد ارتحل أولهم، هذا لا يصلح. وتقدم حسين بن حسن إلى رداع، ولما تحقق يافع هذا الإجتماع رفعوا رتبهم من سوق بقار وقعطبة، ولم يبق إلا جحاف، وكتب إلى المؤيد أنه قد كان وضع له تلك البلاد وغيرها محمد بن أحمد بن الحسن الأيام السابقة، وأما جحاف فاستبقاه، وقال إنه في الأصل من حدود بلاده. وكان قد أول العسكر وصلوا إلى يريم، فلما بلغ صاحب المنصورة بالإمداد جهز إلى جحاف جماعة من العسكر رئيسهم ولده إسماعيل وابن مغلس الحجري وغيره، فلما قاربوه هربت يافع إلى بلادهم، ودخل أصحاب محمد بن أحمد بن الحسن إلى جحاف، وكان هذا آخر شهر ربيع الأول.

وفي غرة شهر ربيع الثاني اتفق قران الزهرة والمريخ في برج الحوت.

وفي هذا الوقت وصل خبر أنه وصل زيادة من عسكر السلطنة من عند أحمد بن زيد صاحب مكة إلى صبيا مع واليها الشريف طالب بن حسين، وإخراج عنها الفقيه الوالي الذي كان في بعض بلاد صبيا من قبل حسن بن المتوكل من مدة والده، فقال: أصلها لنا وللسلطان.

[١١٧/ أ] ووصل كتاب من اليافعي إلى المؤيد في نصف شهر ربيع الآخر يذكر فيه من جهة محمد بن أحمد بن الحسن أنه ما زال يجهز إلى تلك البلاد التي كان دخلها مثل أبين وغيرها، وأنه رجع في وضعها له، وأنه كان وضعها له، وكذلك جحاف قد دخله أصحابه. وأنه بلغه أن إعانتكم له وتجهيزكم، فمع ذلك قد خلع الأمر الذي كان بينه وبين المؤيد على يد صنوه علي وأنه قد بنى على المخالفة في كلام معناه ومحصوله هذا، وكتبوا يومئذٍ إلى سلطان الإسلام، فاستشار المؤيد الحاضرون، فأشار من أشار منهم أنكم إن كنتم بانون على دخول يافع، فتحتاج إلى قوة عسكر، وبذل خزائن، وصبر على المراكزة كما فعل سنان باشا في المدة السابقة، وإن كنتم بانون حفظ البلاد هذه التي كانت قد دخلها اليافعي فهو الأصلح لكم وأعنتم محمد بن أحمد وظاهرتموه وهو الأمر الأيسر لكم والأقرب في هذه الساعة، فاستحسنه. وجهز زيد صنوه بالمظاهرة ليحيى بن محمد وفرحان الذين قد ساروا إلى[١١٧/ ب] جهات بلاد مريس، وزيد وصل إلى يريم ظهراً لحفظ البلاد التي قد استرجعها محمد بن أحمد، وتقوية له، وأرسل محسن بن أحمد بن الحسن صاحب الغراس إلى بلاد جبن، واستقر الأمر على هذا.

وهذه السنة ما زال السعر فيها مرتفع، البر بلغ إلى سبعة أحرف من حساب قرش واحد، ولكنه دون سنة القحط الكبير الذي في سنة تسعة وسبعين، فإنه بلغ فيها سبعة عن قرشين وكسور؛ لأن الصرف كان ذلك التأريخ من ثلاثة حروف، والقدح كان أصغر،

وإن كان القدح قد فيه زيادة على ما كان زمن حيدر باشا وأول هذه الدولة بقدر النصف، ولكن فيه غلا، والحكمة لله. ولقد أخبرني رجل وصل هذه المدة إلى صنعاء، يقول إنه شريف من مدينة قندهار[1] ما بين بلاد صاحب سمرقند وبخارى والأزبك وبين بلاد الشاه عباس الإمامي[2] قال: نفس مدينة قندهار مذهبهم اثني عشرية على مذهب الشاه عباس، وهم خارجها حنفية لأنها طرف بلاد الشاه وما اتصل بهم بلاد بلخ[3] حنفية تتصل إلى سمرقند وسلطانها وسلطان صاحب سمرقند والأزبك بلاد كاشغر حنفية كلهم، فقال المذكور :بلادهم بلاد خير، والأسعار بالنظر إلى اليمن رخية، وأن قدر عشرين قدحاً بقرش، والخمسين الرطل من السمن بقرش، وبلادهم تزرع الأرز والبر والشعير والعنب والفواكه دون الذرة، فلا تجيء في بلادهم لأنها باردة بردها أشد من جبال اليمن؛ لأنه ينزل فيها الثلج في الربيع والشتاء، والأنهار تفجر من آثاره من الجبال ويزرعون عليها، هذا ما ذكره المذكور.

[١١٨/أ] وفي نصف شهر ربيع الآخر دخل يحيى بن محمد والأغا فرحان قعطبة وسكنوا فيها، وكان اليافعي بعد انهزام أصحابه من جحاف بدخول عسكر محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة، كما سبق، بعث الغوائر في بلاده واجتماع قبائله، وزعم أن جحاف في الأصل من بلاده. فلما اجتمعوا وساروا إلى قربه ذلوا وجبنوا، وذكروا

---

(١) قندهار: مدينة جنوب أفغانستان، كانت عاصمة أفغانستان (١٧٤٧-١٧٧٣م) مركز تجاري، وتشتهر منطقتها بزراعة الفاكهة. (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٤٠٢).

(٢) الشاه عباس: يقصد به هنا الشاه عباس الكبير (٩٩٦-١٠٣٨هـ/ ١٥٨٨-١٦٢٩م) تمكنت الدولة الصفوية في عهده من السيطرة على الأماكن المقدسة الشيعية في العراق، وتميز عصره بالانفتاح على الغرب، وحظى الشاه عباس باهتمام الكثير من المؤرخين الإيرانيين والعالميين، فكتبت عنه العديد من المؤلفات باللغة الفارسية وباللغات الأوروبية المختلفة. (د. بديع محمد جمعة: الشاه عباس الكبير، ص ٥-٦).

أما شاه إيران في هذه الفترة فهو الشاه سليمان بن الشاه عباس الثاني (١٠٧٧-١١٠٥هـ/ ١٦٦٦-١٦٩٣م) للمزيد انظر: (تاريخ إيران بعد الإسلام: نقله عن الفارسية د. محمد علاء الدين منصور، ص ٦٩٤).

(٣) بلخ: مدينة قديمة تقع على نهر ضحل بهذا الاسم في شمال أفغانستان، غزاها العرب عام٣٣هـ/ ٦٥٣م، وفُتحت عام٤٣هـ/ ٦٦٣م. يطلق عليها اليوم (وزير أباد). (أحمد عطية الله: القاموس الإسلامي، ج١، ص ٨٣).

الغوائر منهم التي أغارت على جبل حرير، وما قتل منهم من الجمع الكثير منهم، لا سيما بعد أن بلغهم وصول يحيى بن محمد وفرحان بمن معهم إلى قعطبة، فرجعوا عن قصدهم ذلك إلى بيوتهم، وانكمشوا في معاقلهم ودورهم وتفرقوا شذر مذر[1]. وكان بعضهم قد دخل جبل حرير، وأرادوا التبريد له والتحرير، فطلع إليهم الشيخ هادي بن شعفل، وقال: جبل حرير من بلاده، ولا يصلح أن يكون محلاً لهم، لئلا يحصل بسببهم معرة على قبائله، وكان قد بقي في أبين نحو ثلاثين نفراً من يافع ما تحتهم طائل، وعلى الجملة إن يافع تحيزت إلى بلادها وانقشعت جميع ما كان أقدموا إليه من نواحيها.

وفي سادس وعشرين شهر ربيع الآخر كان تحويل سنة العالم بدخول الشمس أول درجة الحمل، فكان المشتري في العقرب، والمريخ في الثور، وكذا الزهرة وعطارد وزحل آخر السنبلة، والقمر في الحوت، والذنب بالقوس، وكان أيضاً طالع السنة[١١٨/ ب] اختلاف الرأي، حتى إنه كما قيل وقع بينهم فرقة وقتول.

وفي هذه الأيام خرج بعض مشائخ يافع يريد المواجهة إلى قعطبة، فلقيه في الطريق الشيخ عبد الغفار بن شيبان فكأنه أخبره بمرض المؤيد، فكان ذلك سبب عود الشيخ إلى بلاده.

وفي نصف جمادى الأول وصل أحمد بن المؤيد من نواحي بلاد شهارة في أصحابه وبعض مشائخ بلاده قدر أربعمائة، ومر صنعاء، سكن بها قدر ثمانية أيام. وصنوه القاسم بن المؤيد نزل من شهارة واستقر بخمر، وأجاش كثيراً من أهل تلك الجهة، وأظهر أن هذا إجابة للمؤيد في طلابه الأول، فاجتمعوا إلى خمر وأمرهم بسكون بيوت أهل خمر، فقالوا له: ما يصلح دخولهم البيوت إلا ما هو معتاد وما زاد فالخيام، فلم يعذرهم، فاستنكر منه ذلك من لم يعرفه على ما هو عليه من اعتقاد تلك الجهة فيه. ولما استقر أحمد بن المؤيد بصنعاء ضرب الناس فيه وفي صنوه القاسم الظنون والأوهام، وقال

---

(١) شَذَر مَذَر: أي ذهبوا في كل وجه، ولا يقال ذلك في الإقبال. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص ٢٨٦).

من قال: هذا يريد أنه إذا جرى على المؤيد بن المتوكل حال هو الأمير وصاحب الكلام، وأن مراده في الباطن التقرب من صنعاء والبسط عليها، وحسين بن المتوكل داخله الوهم أيضاً فقيل :أنه كتب إلى صنوه المؤيد أنه يرسل لأحمد بن المؤيد إلى حضرته، ثم سار أحمد بن المؤيد إلى معبر.

[١١٩/ أ] ولكن القاسم من بعد ذلك فكر في هذا الأمر، وأن القيام في هذا الوقت كالمتعذر من كل وجه؛ لأن بلاد اليمن أجمع قد استكمل فيها التقسيم والتغلب في بعضها من أولاد المتوكل ومن أولاد أحمد بن الحسن وأولاد محمد بن الحسن وأولاد أحمد بن القاسم وغيرهم. وكان بقي الذي في يد المؤيد من المتوكل، مع أن محصولها كان لا يقوم بحالة، والآن استغرقت. فصنعاء وبلادها مع صنوه الحسين، وتعز والمخا تغلب عليه محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة ، وحراز أرسل إليه حسين[1] بن المتوكل من اللحية بعض أولاده، وريمة وبُرع ونواحيها دخلها زيد بن المتوكل، وضوران وآنس استولى عليه يوسف بن المتوكل، فاستغرقت بلاد المؤيد التي كانت باقية بيده مخرجة عن المقطعات في زمانه، فلم يبق حينئذٍ مادة لمن يقوم في هذا المنصب مع أن أكثر المخاريج والعائدات إليه، فما ذاك يسلم لهم. فلهذا الأمر اقتضى نظر القاسم صاحب شهارة التوقف وعدم المسارعة في الدخول في هذه المنصب مع من ادعى من أهل الإقطاعات هذا المنصب وليس له أهلية، ولكنه قدم المكاتبات إليهم بالنظر فيمن يصلح، يريد عسى يجتمعوا عليه ويضعون الأمر إليه، ويمدونه بما يحتاج إليه وهذا أمر متباعد.

وفي هذا الشهر قصدت برط إلى الجوف لإرادة الإنتهاب للثمرة معهم، ويفعلون كما فعلوا المرة الأولى، وكان أهل الجوف من الأشراف والقبائل قد حذروا منهم واستعدوا لهم إن قصدوهم فدافعوهم عن أنفسهم، وخرج فيهم فرسان الأشراف، فمنحهم الله أكتافهم، وقتلوا كثيراً من كبارهم وأشرارهم، بلغ القتل منهم قدر اثنين وسبعين نفراً،

(١) المعروف أن صاحب اللحية هو حسن وليس حسين.

وهرب الباقون إلى بلادهم، أخذوا بالثأر فيما وقع منهم[١١٩/ ب] سابقاً، كما وصفه رجل منهم.

وفي هذه الأيام شهر جمادى الأولى وصل الشريف طالب صاحب صبيا إلى حضرة المؤيد، فوافق وصوله مرض المؤيد بمعبر جهران، ثم عاد إلى بلاده. ولعل غرضه من جهة صنوه الحسن صاحب اللحية أنه يترك التعرض إلى بلاده، حسبما جرت به عادتهم، وحسبما وضع له الشريف أحمد بن زيد من الولاية.

والمؤيد هذه الأيام لا يقضي لأحد غرضاً ولا يتصل به لا أقصى ولا أدنى، والآلام قيل أولها من قبيل السل الدق، وقيل من قبيل الإستسقاء وأنه طال عليه، ثم ظهر آخره الورم العظيم في وجهه وأيديه واستقوى عليه الألم، ففصد في القيفال[1] عرق الرأس، ثم وصل طبيب من المخا زاد أمره بفصد آخر بين أصابعه، ثم أعطاه شربة وكثر عليه متابعة الإستفراغات، فانحطت قوته بالمرة، والحكماء يمنعون متابعة الإستفراغات، لا سيما مع ضعف قوة المريض، فإنه لا يعارض شيء منها، فكان يحصل معه ما يحصل، ثم آخر أمره تقبض كثيراً بمعبر وأمر بإخراجه منه إلى حمَّام المعرة[2]، ثم يريد طلوعه جبل ضوران، فساروا به في االتختروان في جهران، ثم لما أشرفوا على وادي الخيرة حمله الرجال فوق أعناقهم، وكان قد منع الناس عن السير معه، فلم يسر معه إلا من يحتاج إليه من الخدم، وكان خروجه من معبر يوم الأربعاء آخر يوم من شهر جمادى الأولى، ومات آخر نهار الخميس غرة شهر جمادى الأخرى في الحمَّام.

---

(١) القِيفال: بالكسر عرق في اليد يُفصد، وهنا ذكر أنه في الرأس وهو مُعَرَّب. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص ١٤٠) أما يفصد فقد سبق شرحها،

(٢) حمَّام المعرة: لعله يقصد حمَّام علي، حيث يقع في قلب منطقة آنس القريبة من عاصمة دولة الإمام المؤيد محمد بن المتوكل. ويقال له (حمام العليل) ولم أجد حمام المعرة. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٩٩؛ الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص٢٨).

[١٢٠/ أ]وقضى الله عليه الوفاة بأجله المحتوم، الذي لا يفوته الهارب، ولا ينفعه الدواء من أمر الله الغالب. وكان المذكور قد رفع مظالم كثيرة من البلاد التي نفذت بها يده وحكمه كبلاد صنعاء، وبلاد حراز، وضوران. وأما اليمن الأسفل فلم ينفذ فيها كلامه، ولم يسمع فيها قوله. وكانت البلاد قد تفرقت، فكل له فيها حكمه وإنما له منها مجرد النسبة والخطبة والسكة، ورفع من الأسواق بصنعاء وغيرها المجابي، وكان يحب العدل والرفق، ولا يعاقب في الغالب إلا بمقتضى الشرع، إلا أنه كان قليل الرأي، ومن ولاّه من العمال والخزان لا يحاسبه، ولا يسمع من شكى به ولا يرفعه، فأكلوا وجمعوا من ذلك جمعاً كثيراً من الذهب والقروش والخزائن والفلوس، ونقص على كثير من أهل التقارير تقاريرهم وعاداتهم، وكان قد شرع في ذلك والده آخر مدته، فربما تبع أثره، ولكنه رحمه الله غلب ذلك عدله الذي تفرد به في هذا الزمان عن غيره. واتفق بحكمة الله وتقديره جميع مدته من أول ولايته بصنعاء في وقت والده، عقب وفاة علي بن المؤيد بالله بن القاسم [١٢٠/ ب]إلى آخر مدته غلاء الأسعار وقل الأمطار، والسعر في هذا الشهر، البر بقرش، والذرة بقرش إلا ربع، فالحكمة لله تعالى. واتفق أيضاً وفاته ووفاة والده وأحمد بن الحسن في شهر واحد وهو شهر جمادى الأخرى، فهذا قل أن يتفق مثله.

وقبر بجبل ضوران جنب والده رحمه الله تعالى.

وكان له حالة عظيمة في التواضع، وعدم التكبر والترافع، على ما هو فيه من الملك والرئاسة، ولا يتعرض إلى شيء من جوابات المسائل والفتاوى، بل يردها إلى العلماء والقضاة، ليس كأحمد بن الحسن في بعض المسائل يجيب بحسب الإتفاق، وإذا اعترض قال هو له باجتهاد، وما هلك امرؤ عرف قدره، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وأول نابح في خامس هذا الشهر جاء الخبر بأن يوسف بن المتوكل صنو محمد دعا من عنده إلى إجابته، فأجابه البعض وخالفه الأكثر، وكذلك حسين بن عبد القادر الكوكباني

فإنه كان حاضراً بمعبر ينتظر الولاية هو وصنوه وبعض أعمامه، فترجح له دعا إلى نفسه، فأجابه أصحابه وخالفه سائر الناس، وخرج من معبر ساعياً إلى بيته حصن كوكبان وبلاده، مع أن صنوه حسن مغاير له وغيره من أقاربه، وابن حورية المؤيدي السيد أحمد بن إبراهيم كان بصنعاء عقب وصوله من بلاد صعدة يريد القصد إلى معبر، فلما بلغه مرض المؤيد تحير بصنعاء، ثم لما بلغه موت المؤيد أصبح مسافراً وخرج عازماً إلى بلاده[١٢١/أ]، ثم جاء خبر بادّعاء السيد علي بن حسين الخولاني[(١)] من خولان صنعاءأجابه السادة بنو الشامي وبعض أصحابه، وخالفه جميع القبائل، فلم يجيبوه إلى ما أراد، وكتب حسين بن المتوكل إلى مشائخ بلاد مسور وخولان بأنهم لا يغتروا به. ثم جاء خبر صاحب عمران حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم أجابه أصحابه، وجاء خبر صاحب المنصورة، كل هؤلاء ادعوا الإمارة والإمامة على زعمهم وما هو إلا دعوى ملك وسلطنة، لعدم كمال الشروط في جميعهم، وأكثرهم نيته بذلك إنما هو لحفظ بلاده، فلا قوة إلا بالله، ونية دعوى الملك قد ذكر العلماء أنه يحرم إجابته مع كمال الشروط، فكيف مع الإختلال من الجانبين، فكان هؤلاء إلى الآن من هؤلاء الدعاة ما سطر[(٢)] من الكثرة مع علي بن أحمد صاحب صعدة تفرقوا في هذه الدعوات، وكل من الناس اتبع هواه في إجابته مما له تعلق بهم، وأما سائر العباد ممن ليس له تعلق بهم فبقى حائراً في أمرهم. وخزائنه التي بصنعاء كانت بنظر الفقيه جابر[(٣)]، بادر إلى حمل بعض شيء من الصناديق إلى بيته وفرقها مع أهل عملته وتجارته، لئلا يظهر عليه طلبه، وبقي في بيته بعضها، فلما فطن حسين بن المتوكل ببعض شيء من ذلك قبض منه المفاتيح ليحفظ ما بقي من الخزانة، وأما

---

(١) هو علي بن حسين الشامي، سبق ذكره.

(٢) ما سطر: أي ما كتبه المؤلف هنا.

(٣) جابر: هو الفقيه جابر بن عامر الحمزي، كان المتولي لأعمال الإمام المؤيد ورفيقه. (مذكرات المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، تحقيق: عبد الله الحبشي، ص٨٠).

خزائن ضوران فهي مع يوسف بن المتوكل ومع إبراهيم بن المؤيد[1] تصرف فيها وقبضها أيضاً من يد ولد الفقيه جابر الخازن هناك لها، وانتهبه وحصانه لما بلغه أنه قد حمل إلى بيته منها، فاستدرك أيضاً باقيها.

ووصل إلينا كتاب حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم[١٢١/ ب] يذكر فيه دعواه إلى درجة الإمامة التي صار هذا الزمان يتطفل عليها الناس، فأجبناه بها هذا لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلت إشارة السيد شرف الدين الحسين بن محمد، سلمه الله، وأرشده إلى سبل الخيرات إن شاء الله، والكتاب وصل بالتعزية في المرحوم المؤيد بالله رحمه الله، فالله يخلفه على الجميع بأحسن الخلافة، ويتلقاه بالرحمة والرأفة والرضا والمغفرة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والدنيا حقيرة، وأحوالها خطيرة، وتكاليفها شديدة، أبى من تحمل التكليف فيها السموات والأرض والجبال، وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا، كما ذكر الله في محكم الكتاب بقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[2].

فالله يرحم ضعفنا، ويحسن خاتمتنا، ويبصرنا عيوبنا بفضله وكرمه.

وما ذكرتم من جهة الدعوة فلها شروط كثيرة معروفة في الكتب المسطورة، وصار هذا الزمان تلك الشروط مطرحة، وأما دعوى الملك فالملك لله يؤتيه من يشاء، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾[3].

(١) هو إبراهيم بن الإمام المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل بن القاسم، ذكره صاحب بغية المريد بأنه سادس أولاد المؤيد. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٤١٦).
(٢) الأحزاب: ٧٢.
(٣) آل عمران: ٢٦.

وكان عليكم وعلى غيركم أن تبقوا على ولايتكم الأصلية، المنتسبة إلى التولية الأولة من الآباء والأجداد، وتنهوا عن المنكر وتأمروا بالمعروف في جهتكم، وغيركم من الولاة كذلك يقتصر كل على جهته بتلك الأصالة الأولة، كما هو قول كثير من العلماء، ولا يتعدى أحد على أحد بمحاربة ولا مضاررة، فإن سفك الدماء والمظالم عند الله عظيمة، ومع صلاح النية إصلاح [١٢٢/ أ]المسلمين لا لصلاح الخاصة، فإن الأعمال بالنيات كما في حديث البخاري المتواتر عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى امرأة ينكحها أو دنيا يصيبها فهجرته إلى ما هاجر إليه»(١).

قال جدكم الإمام القاسم رحمه الله في جواب من سأله عن الإمامة، فقال: من كملت فيه شروطها، ومن علم منه أو ظن أنه ما يريد بذلك القيام إلا الملك ولا يريد صلاح الإسلام حرمت معاونته والقيام معه، وكذا ذكره غيره من العلماء، فكيف وسائر الشروط لم تكمل، فإنما هو ملك والملك لله، فالذي أنصحكم به من النصيحة الواجبة أنكم تبصروا في أنفسكم، وتستخيروا الله في أمركم وتعتبروا بالماضين من أسلافكم، فلم تنفعهم الدنيا، وإنما الإنسان مرتهن بعمله مع إحراز دينه، وتركه لاتِّباع الهوى، ولا تعجلوا، هذا الصنو قاسم بن المؤيد بالله محمد بن القاسم عافاه الله بلغنا أنه وهو بذلك المحل اعتذر عنها، فكيف من هو دونه؟ والله يأخذ بنواصيكم إلى الخير ويصلح المسلمين، وإياكم إياكم إياكم عن التناحر على الملك وأنتم أقارب وأرحام، والدنيا أحقر من أن تذكر، وجميع مما لكم عندنا بقلامة ظفر من أظفارنا ودعوة الحق لله تعالى على عباده، كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾(٢)، ولا يغرك أهل نعمتك، فإن المتابعين لك أبناء دنيا، مبايعتهم لما يُنْقد(٣)

---

(١) ورد الحديث في: صحيح البخاري، مج١، ج١، ص٢، ج٨: ص١٧٥، ج٩، ص٢٩؛ الترمذي، ص١٦٤٧.

(٢) الرعد: ١٤.

(٣) يُنْقد: أي يُعطى لهم من النقود.

لهم من الدراهم، فتوقف إن كنت ممن [١٢٢/ ب] يقبل النصيحة انتهى.

وهذا كله مني لكم نصيحة، كانت الدعوة للإمامة لأن لها شروط، وأما دعوى الملك والسلطنة فلها باب آخر، لكن أنتم أهل البيت ما يصلح لكم إلا الإجتماع على من يكمل بها، وإلا اختل النظام، ويؤدي بينكم إلى الفتنة والتنازع والخصام، وهو خلل عليكم وعلى المسلمين، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[1]، أي: قوتكم، فهذا غاية نصحي لكم، إن أريد إلا الإصلاح.

وفي عشية يوم الإثنين وقت العشاء دخل السيد محسن بن أحمد بن الحسن إلى صنعاء واصلاً من ذمار، يريد محله الغراس.

وأساس انحطاط درجة الإمامة والدخول فيها بغير كمال شروطها أحمد بن الحسن، وسببه الحاضرون من السادة الفقهاء ومحمد بن المتوكل لما..............[2] فسهلوا له الوسيلة، فدخلها ورغب مع ذلك إليها وإلا فإن كتابه إليهم إنما هو بالوصول للمراودة في إقامة من يصلح والنظر. فلما حضروا مجلسه تكلم الجهال أولاً بالصلاحية من أبناء نعمته من الملازمين له، وفتحوا له الباب إلى ذلك، فجرى ما جرى، فسن للمتأخرين هذه الدعاوى العريضة الطويلة في درجة الإمامة، ومعلوم بالضرورة اعتبارهم شروطها ومعرفة العلم الذي هو العمدة فيها. وربما لفق من لفق من الجهال إمامة المقلد، وهو خلاف الإجماع، على أن إمامة المقلد لمن يعرف بمسائل الفقه لمن قلده، فكيف فيمن عري من هذا وهذا؟ فلا قوة إلا بالله، [١٢٣/ أ]فلو أنهم جعلوها دعوى الملك والسلطان، وجمعوا عليه بالحسبة مع ما فيه الخطر كان هو القياس، ولكن لا ذا تأتى ولا ذا حصل، فلم يبق معهم إلا التنازع والدعاوى هذه التي قد ادعوها، والله يلطف بالمسلمين ويرد ضرر الأشرار والمعتدين في نحورهم آمين.

---

(١) الأنفال: ٤٦.

(٢) كلام غير واضح في الأصل البتة.

وزيد بن المتوكل لما نزل اليمن بأمر صنوه المؤيد وصل إلى إب وجبلة، وأمر ابن أخيه حسين بالملقى له، وتعمد تقدمة حصان عقور نفور قد أهلك من أهلك، فركبه المذكور فشنع به حتى أسقطه ثم أراد رفسه وركضه، فلولا الأعوان ضربوه لأهلكه في الحال، ولكنه عاقه وصار مريضاً هنالك. ومات صنوه وهو على هذه الحالة، ولم يثمر وصوله شيء مما أمره صنوه، لقوة يد حسين وكثرة جنده وخزانته.

وفي ثامن شهر جمادى الأخرى وصل من القاسم بن محمد بن القاسم هذا الكتاب، يقول فيه بعد الترجمة إلى كاتب الأحرف: وبعد حمد الله حق حمده، وصلواته على محمد وآله من بعده فإنها وردت إلينا كتب من الأصناء الكرام، ومن غيرهم من الأعيان الأهل الفخام، منبهة بما اختاره الله وقضاه، وحكم وارتضاه وفاة الصنو أمير المؤمنين وسيد المسلمين المؤيد بالله رضوان الله عليه وسلامه، ونقل روحه الطاهرة إلى دار الآخرة الباقية، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وإنا إلى ربنا لمنقلبون. والحمد لله الذي لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه الذي خلق الموت والحياة[١٢٣/ ب] ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، وأطول اغتراراً وأملاً، والله يعظم للإسلام والمسلمين فيه الأجر، ويعصم القلوب بعصمة الله الصبر، ويخلفه بأحسن خلافة، ويتلقاه بالرأفة والرحمة، ويلحقه بسلفه الصالحين وآله الطاهرين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. والله يرزق الجميع حسن الإستعداد ليوم المعاد، والتزود من التقوى بأكمل عدة وأكرم إرادة، وبعد شريف السلام ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، تأريخه شهر جمادى الأخرى سنة سبع وتسعين وألف[1].

ثم قال بآخره إلحاق خير إن شاء الله: لا يخفاكم حماكم الله وقوع هذا الحادث الجليل، والخطب المهيل، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فحال صدورها ونحن في محل الإستخارة لله عز وجل، وطلب الإستشارة من الأصناء ومنكم ومن جميع من دار عليه

(١) ١٠٩٧هـ= ١٦٨٥م.

رحى الإسلام، فيما يصلح به أحوال الأنام وحفظ بيضة الإسلام، والله يقضيها بالخير والخيرة وشوركم مستمد ودعاكم، وبعد شريف السلام ورحمة الله انتهى كتابه.

وهذا جوابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الصنو السيد الأكرم العلامة الأعلم علم الإسلام القاسم بن أمير المؤمنين: محمد بن أمير المؤمنين القاسم بن محمد حفظه الله، وأهدي إليه شريف السلام ورحمة الله وبركاته...وبعد..

فإنه وصل كتابكم بما بلغكم من وفاة الصنو الفاضل العادل المؤيد بالله: محمد بن المتوكل على الله، فالله يتلقاه بالمغفرة والرضا والرحمة، وأن يخلفه على المسلمين بأحسن خلافة، وينشر على روحه الروح والريحان فإنه الجواد الكريم. وكان المذكور كما عرفتم نادرة هذا العصر في محبته للعدل، ورفع المظالم واهتمامه بذلك مما يمكنه رفعه ويمر فيه كلامه، إلا إنه رحمه الله كان قد امتحن بأهل عصره من المخالفات، وعدم الإمتثال في المنهيات، إلا اليسير منهم ممن آثر كلامه، وما هو تحت يده وهي الخصلة الرفيعة، والمنقبة له الجسيمة، هذا وما ذكرتم من توقفكم رعاكم الله وأحسن إليكم عن المسارعة إلى الإنتصاب لهذا الأمر العظيم والتكليف الشاق الفخيم الذي هو كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

وإنكم اقتضى نظركم الإستمداد للمشورة من الأصناء والعلماء فلقد اتبعتم عين

(١) الأحزاب: ٧٢.

الصواب، ووافقتم الأمر الذي لا يستعجل لمثله ولا يعاب، فإن المسارعة عن الإجتماع للكلمة هو محل المنازعة التي بسببها يحصل والعياذ بالله المظالم، وعدم الصلاح للمسلمين والمآثم، لا سيما ما يقع فيه من سفك الدماء وانتهاب الأموال، ولا سيما ما يقع فيه من قطيعة الرحم قبل الإتفاق والنظر، فلقد أدركتم بذلك الفضل والرأي الحسن، وإلا فإن هذا الزمان قد ارتكب الناس التطفل على مرتبة الإمامة والدعوى بمحلها والتسمي باسمها، وجهلوا شرطها، وما هو المقدم فيها، مما يحار الإنسان فيه، ويعجب من الذين بغيتهم عليه، فإن الإمام القاسم رحمه الله ذكر في جواب من سأله عن الإمامة، فقال في الجواب: هي لمن تم له شروطها المعروفة عند العلماء ولا بد مع تمام شرطها من العلم إنه بدخوله فيها لم يرد الملك والدنيا وإنما يريد صلاح عامة الإسلام، فإن علم منه أنه يريد الملك حرمت معاونته وإجابته[١٢٤/ب] وذكر مثلما ذكره رحمه الله غيره من العلماء، فإذا كان هذا الشرط مع كمال الشروط، فكيف حال هؤلاء الذين دخلوها وليس لهم من شروطها إلا الدعاوى الباطلة؟ فإنهم ادعوا من جهة تصرفهم في بيت المال لمن يتعلق بهم ، فتعجب أيها العارف هذه الشبهة الظاهر بطلانها؛ لأنهم أظهروا أن مرماهم الإهتمام بالمحبة للدنيا، فأظهرت عليهم نيتهم الفاسدة أنها ليست لصلاح الإسلام وإنما هي لأكل الحطام، ثم إن كيف تصرفهم مع بطلان دعواهم بكمال شروط الإمامة؟ فإذا بطلت الإمامة بطل فرعها من الولاية وصحة التصرف، فكان لو أنهم جعلوها سلطنة كغيرهم من السلاطين، وتحاشوا عن دعوى الإمامة، فإما أن تكون حسبة على قولٍ أو بالغلبة على قول أهل السنة، والإمام شرف الدين في جوابات مسائله ونهج البلاغة وشرحها للإمام يحيى[1] في بعض خطبه، فإنه قال الإمام يحيى في الديباج[2] عند شرح الخطبة المصرحة بتقرير المتغلب للضرورة: سلطان ظلوم، خير من فتنة تدوم، والله يأخذ بنواصينا وإياكم

(١) الإمام يحيى: المقصود به الإمام يحيى بن حمزة. سبق ترجمته.

(٢) الديباج: هو كتاب (الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي) للإمام يحيى بن حمزة. وهو شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، في ثلاثة مجلدات. (عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص١١٢٨).

للخير آمين، لكنه صار تورطهم في ذلك جلساء السوء وأهل نعمتهم لأجل يأكلوا معه مما جمعه لهم، فالله يوفقنا وإياكم لرضائه.

وأنت أيها الصنو مع توقفك، واقتحام من هو دونك لها، وعدم التوقف على شرطها أولى بها وأحق إن شاء الله، وأن صنوكم ليس له خبرة إلا بمجرد الوصف، بيد أنا ننبهكم على أشياء تبلغنا في مثل المسارعة في الآداب لمجرد وصول الشاكي من غير مناظرة وحقيقة، وترك شيء من العوائد المارة للسابقين ومن له رعاية لمن وضعوها من استحقها، فهذا مما ينبغي مراعاته وشرطه، والتخفيف في الآداب بالدراهم بالأموال مع ما في الآداب بالمال من الخلاف بين العلماء كما حققه ابن بهران[1] في (بهجة الجمال)[2] وغيره، فإن المصادقة لمن له هوى وعداوة لا يخفاكم خطرها، وعليكم[١٢٥/ أ] إن شاء الله مع تمام هذا الأمر، إن تم الإفتقاد للعمال ومحاسباتهم كل سنة؛ لأن المؤيد رحمه الله أهمل المحاسبة لهم، وأبقى أهل التقارير بالمكيال الأول، حسبما كان عليه والدكم وإخوته، وعدم الرجوع في الخطوط والمواضيع الأولة واللاحقة، وتنزيل الناس منازلهم، ورعاية أهل المناصب والعلماء والمتعلمين بالكفايات ، وافتقاد الأوقاف والمحاسبة فيه للنُظَّار عليه كل سنة، وافتقاد المكيال الذي صار الصانع له يلعب به كل وقت، وهو الجحدري الحداد، فإنه ما يزال يسارقه في الزيادة شيئاً فشيئاً في كل شهر مما يؤدي إلى الربا المحرم في القرض والمداينة، حيث يأخذ بمكيال ناقص ثم يقضيه، وقد زيد فيه، والرجوع إلى مكيال والدكم المؤيد رحمه الله الذي كان بصنعاء في مدته وآخر دولة السلطنة[3]، فإنه الآن قد صار نصف

---

(١) ابن بهران: هو محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بهران الصعدي، الزيدي، عالم فقيه، محدث، من العلماء المشاهير، مولده ونشأته بصعدة، وأخذ عن علمائها، وبرع في علوم متعددة، وكان في أوائل عمره يتعاطى التجارة، ويرحل إلى بلدان يمنية عديدة وإلى الحبشة، ويطلب العلم في كل بلدة يصل إليها، وهو شاعر مجيد، توفي سنة ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م. (الشوكاني: البدر الطالع، ج٢، ص٢٧٩، عبد السلام الوجيه: معجم المؤلفين الزيدية، ص ١٠١٩).

(٢) بهجة الجمال: هو كتاب (بهجة الجمال ومحجة الكمال في المذموم والممدوح من الخصال في الأئمة والعمال) ليحيى بن بهران. (عبد السلام الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص ١٠١٩).

(٣) السلطنة: الدولة العثمانية.

هذا المكيال، ولأجل صيانة بيت المال بسببه في التقارير؛ لأنه زاد النصف وزادت بسبب الزيادات الأسعار وكذلك الضريبة تغيرت فيكون عملها على قدر معلوم بالميزان لا يختلف، كما لا يختلف قدر القرش.

هذا ما يتوجه التنبيه عليه، وكذلك إن حصلت المكنة في مطالب اليمن الأسفل، التي زادت على ما كان الزمان الأول، وقد كان أراد المؤيد بتخفيفها، لكنه ما تم له ذلك كله لموانع منعته، وكنت ذكرت له من أجلها وكانت نيته مباركة رحمه الله، وخيار الأمور أوساطها، هذا ما يتوجه إليه عليكم إن شاء الله. وقد أجبنا على بعص من ادعى مرتبة الإمامة وليس بأهل لها بأن الأولى له أن يتوقف فيها، كما سبق ذكر جوابه هذا. ولا تتركون المفاوضة كما قد ذكرتم بمثل حسين بن حسن وصاحب المنصورة ومحسن بن أحمد بن الحسن؛ لأنهم إذا وافقوكم فهم الذين نخشى من جنابهم، وأنتم أمثل موجود إن شاء الله وكذلك مفاوضة حسين بن المتوكل، ولعله يجب إلى جنابكم، والله يلهم[١٢٥/ ب] الجميع إلى اجتماع الكلمة فيما بينكم، فإن المطلوب المهم تسكين الدهماء وصلاح المسلمين، «وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» الحديث.

ووصلت كتب عيال المتوكل أجمع إلى صنوهم الحسين بن المتوكل، وهو بصنعاء، وهم: قاسم صاحب ثلا وأخوتهم الذين بضوران أجمع وأنهم مجيزون لما رآه حسين بن المتوكل وتابعون له، وكذلك وصل كتاب حسين بن حسن صاحب رداع بان المقصود النظر فيمن يصلح، وتوقف كما توقف قاسم.

وجاء خبر بأنه ظهر في بلاد الشرف بالمغرب تحت شهارة سيد يقال له :السيد عبد الله بن علي بن خالد، ووالده هذا هو الذي كان متولياً ببلاد عفار، وادعى بالدعاوى للإمارة فلم يجبه أحد. وكذلك السيد علي بن الحسين الشامي الخولاني جعل رسالة إلى الناس

يطلب الدعاء لهم بعد أن ذم آل القاسم وأعوانهم من القضاة والوزراء والأعوان لهم جميعاً، وقال: لا يصلح أحد من آل القاسم، وذكر أن الكمال فيه لهذا الشأن، فارتكب أمرين :التحقير للناس والسب لهم مما باء بوزره، والتزكية لنفسه التي نهى الله عنها بقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾(1). ودخل أيضاً في حديث الأعرابي لما بال في المسجد فنهره أصحابه ﷺ فقال: «دعوه لا تقطعوا درته»، ثم لما أتم أقبل إلى النبي ﷺ وقال له: اللهم ارحمني وارحم محمداً ولا ترحم معنا أحدا، فقال له النبي ﷺ: «لقد تحجرت واسعاً».

فالله يرحمنا ويوفقنا، وأنه ذكر أن مقام الإمام مقام النبي ﷺ، فهذا خطأ عظيم من المذكور، فإن مقام النبوة رفيع، قال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ[126/أ] أَنفُسِهِمۡۖ﴾(3) وغير ذلك من الآيات والأخبار النبوية كحديث الصحيحين: «إنها تنام عيني ولا ينام قلبي»(4)، وسائر خصوصياته التي اختص بها عن غيره، كثيرة فيها مجلدات مصنفة كـ(الخصائص والمعجزات) للسيوطي(5) في مجلدين و(شفاء القاضي عياض)(6) وغير ذلك، ولأن الأنبياء

(1) النجم: ٣٢.
(2) النور: ٦٣.
(3) الأحزاب: ٦.
(4) ورد في حديث طويل إلى أن قال رسول الله ﷺ: «... يا عائشة إن عيني تنام ولا ينام قلبي» (صحيح البخاري، مج١، ج٢، ص ٤٧).
(5) السيوطي وكتابه الخصائص: هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، سبق ترجمته، وكتابه المذكور هنا هو (الخصائص والمعجزات النبوية) مطبوع، وقد اختصره بكتاب آخر هو (إنموذج اللبيب في خصائص الحبيب). (مصطفى بن عبد الله، حاجي خليفة: كشف الظنون،تحقيق: عبدالرحمن محمد قاسم النجدي، ج١، ص ١٨٥).
(6) القاضي عياض وكتابه الشفاء: هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبئي، أبو الفضل. (٤٧٦-٥٤٤هـ/ ١٠٨٣-١١٤٩م): عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، توفي بمراكش مسموماً، أما كتابه المذكور هنا فهو (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى) مطبوع. (الزركلي: الأعلام، مج٥، ص٩٩).

عليهم السلام معصومون وليس كذلك الأئمة إلا عند الإمامية الإثني عشرية في الأئمة الإثني عشر لا غير، وهو ظاهر البطلان.

وأما ما ذكره في العطاء وتحيير الناس في الأبواب، فهو لو ولِّي ما هُمْ فيه لكان فعله كفعلهم أو أعظم منهم، لأن رضاء الناس وكفايتهم جميعهم غاية لا تدرك، ولا يكفي الخلق إلا خالقهم ضرورة. ولذلك لما أراد سليمان عليه السلام وقد ملك الأرض كلها أن تكون الأرزاق على يده وقد جمع جمعاً كثيراً فجاء حيوان واحد وهو التنين من حوت البحر لرزقه، فاستوعب جميع ما قد جمعه من الطعام، فعند ذلك اعتذر سليمان عليه السلام إليه، وعلم أن الرزق لا يقوم به إلا الله تعالى. إلا أن العمال ينبغي منهم الزهد في بيوت الأموال والتوقف على قدر عمالتهم لا غير ذلك. وكذلك يتوجه على السائلين أن لا يستكثروا من السؤال خصوصاً الأغنياء منهم، لكن هذا محال فإنه لا يتم ذلك منهم لما في الحديث الصحيح عنه ﷺ: «لو أعطي أحدكم واديين من ذهب لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»[1].

[١٢٦/ ب] وأنت أيها السيد ادعيت كمالك، فذا شيئ ما علم، فإن قراءتك إنما كانت في الفرائض والمترب وعلم الغبار والقسمة، وهذا إنما هو باب من أبواب الفقه. وأما سائر علوم الإجتهاد مثل أصول الفقه وأصول الدين وعلم المعاني والبيان والتفسير فليس لك في ذلك ما يعتمد عليه أصلاً، ولا الحديث والأسانيد ورجال الحديث والجرح والتعديل وما هو صحيح من السنة وما هو ضعيف أصلاً. ولم تسمع شيئاً من كتب الحديث المسندة المعتمدة إلا مختصر جامع الأصول[2]، وليس ذلك بمفيد؛ لأن الرجال ما عرفتهم ولا ما

(١) ورد الحديث في صحيح البخاري، مج٣، ج٨، ص ١١٥؛ صحيح مسلم، ج٧، ص١٣٨-١٣٩؛ سنن الدارمي، ج٢، ص ٣١٨-٣١٩؛ سنن ابن ماجة، ج٢، ص ١٤١٥.

(٢) جامع الأصول: سبق ذكره.

تكلم فيه بالضعف والصحة والحسن وهو من شرط الأئمة ثم الاجتهاد وهو الاستنباط. وإنما غاية ما عندك التقليد، وإمامة المقلد لا تصح، كما سلمنا، فأين استحضار مسائل الفقه ومعرفة الخلاف ومعرفة أدلة المسائل وكيفية معرفة الترجيح فيها والمراجعة؟ هذا على سبيل المجاراة على فرد دعواه، وأما إن كنت تريد مجرد الدعوى المتعارف بها من غير مراعاة الشروط كما قد فعله غيرك فذا يرجع إلى باب الملك والسلطنة، وهو إنما يكون بالغلبة لا بالإختيار، فلا عند كافة العلماء. وأما قوله أنه لا يصلح أحد من آل القاسم لها فما يغلب إلا الله، فلو بحث السيد لوجد من هو متبحر في العلم، فهذه دعوى نفي والشهادة على ذلك لا تصح كما هو مقرر في كتب الفقه[١٢٧/ أ] لكن منهم من زهد فيها واتبع قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[١].

ومنهم من عنده من العلم مثلك، وهو إنما يريد الإجتماع في الكلمة لئلا يحصل منازعة ومشاققة ومقاطعة أرحام، وصلاح الإسلام بتسكين الدهماء، وهم الآن وإن كان بعضهم من القاصرين فليس له أهلية، ولعله يرجع عن ذلك، أو يكون من الملك والتغلب وله حكم آخر. فإن الملك لله يؤتيه من يشاء، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[٢].

وأما قولك:أنك الكامل والأحق بها، فإن كان للهوى فهو كما قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فوافق قلباً فارغاً فتمكنا

وللعُجْب بالعمل دخل في المحرم، فإن من عجب بعمله هلك، كما في الحديث

(١) الأحزاب: ٧٢.

(٢) آل عمران: ٢٦.

عنه ﷺ أنه قال ﷺ: «لـو لم تـذنبوا لخشيت عليكم مـا هـو أعظـم مـن ذلـك العجـب العجب»، رواه البزار، وذكره صاحب البيان[1] في الفقه أول كتابه، والمهدي في تكملتـه[2] أو لمحبة الملك والدنيا دخل تحت الحسد، وهو محـرم كـما قـال تعـالى: ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾[3].

وفي(المطالـب العاليـة) لابـن حجـر[4] قـال مُـسَدَّد: حـدثنا عبـد الله بـن داواد عـن موسى بن عبيدة عن طلحة بن عبد الله بن كريز قال: قال عمر بن الخطـاب: «إن أخـوف ما أخاف عليكم إعجاب المرء برأيه، ومن قال: أنا عالم فهو جاهل، ومن قال :إني في الجنـة فهو في النار»[5]، وقال عمر: سمعت رسول الله ﷺ [١٢٧/ ب] يقول: «من زعم أنـه في الجنة فهو في النار»[6].

فالسعي بالإصلاح بين المسلمين هو الواجب، كما ذكره الله تعـالى حكايـة عـن النبـي شعيب أنه قال: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ﴾[7]. وقال حاكيـا عـن نـوح عليـه

---

(١) البيان: هو كتاب (البيان الشافي المنتزع من البرهان الكافي) لمؤلفه يحيى بن أحمد بن علي بـن مظفـر، مـن علـماء الزيديـة المبرزين في علم الفقه، عالم مجتهد، ويعد كتابه (البيان) من أشهر كتـب الفقـه الزيـدي، عكـف عليـه الطلبـة في الـديار اليمنية. (عبدالسلام الوجيه: معجم المؤلفين الزيدية، ص ١٠٩٣؛ عبد الله الحبشي: مصادر الفكـر العـربي الإسـلامي، ص ٢٠٣).

(٢) المهدي في تكملته: هو المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، سبق الترجمة له، أما تكلمته فالمقصود بهـا كتابـه (تكملـة الأحكـام والتصفية على بواطن الآثام).

(٣) البقرة: ٢٤٧.

(٤) ابن حجر: هو أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، سبق ذكره. أما كتابه المذكور هنا فهو (المطالب العلية في رواية المسانيد الثمانية). (مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، حاجي خليفة: كـشف الظنون،تحقيـق: عبـدالرحمن محمـد قاسـم النجدي، ج٢، ص١٧١٤).

(٥) ورد الحديث في:محمد الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والـسبع المثـاني، تحقيـق: د. محمـد الـسيد الجلينـد، ج١٩، ص١٧٠، وذكر أنه ضعيف الإسناد، كما ورد في ابن حجر العسقلاني: المطالب العالية في رواية المسانيد الثمانيـة، ص ٤٤٢٣).

(٦) ورد الحديث في: المطالب العالية، ص٢٩٨٥.

(٧) هود: ٨٨.

السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[1] والله أعلم.

وفي عاشر شهر جمادى الأخرى وصلت أخبار اليمن الأسفل بأن محمد صاحب المنصورة قام بالمملكة، واستولى على المخا وتعز ولم يكن له من قبل، كما استولى على زبيد وبيت الفقيه بعد موت أحمد بن الحسن وغلب عليه في دولة المؤيد ودعا الناس إلى إجابته، فأجابته بلاده، فصارت البلاد اليمنية هكذا بعضهم ممن توقف وحفظ بلاده وهم العقال، وبعضهم دعا الناس إلى المملكة العامة والسلطنة كصاحب عمران[2] وكوكبان[3]، وصاحب المنصورة ولم يجبهم إلا بلادهم، ومنهم من لم يجبه إلا أهل حضرته وما قاربه من بلاده.

هذا ما جرى معهم، والله أعلم كيف يكون منتهى عملهم، وبعث بكتبه إلى سائر قبائل اليمن الأعلى، وغالبهم التوقف على من اجتمع عليه العلماء والأعيان والعقلاء.

وجاء خبر صاحب صعدة بأنه أيضاً أظهر دعواه للمملكة.

هذا على ناقوسه وذا على جبل يصيح
كل يصحح دينه ياليت شعري ما الصحيح

ووصل رسول صاحب المنصورة محمد كاني التركي وأصحبه بدراهم إلى حسين بن المتوكل كثيرة، قيل: سبعة آلاف، ويطلب منه الإجابة، واشتغلوا بطلب الملك، وما اعتبروا بمن مضى، وما قد جرى، وأن الملك لا ينفع. ولقد وصف من حَضَرَ موْت المؤيد بالمعرة بوادي النائجة مما فيه عبرة، وهو أنه لما وصل إلى الحمام مات[١٢٨/ أ] فيه وذاق

(١) هود: ٣٤.
(٢) صاحب عمران: هو الحسين بن محمد بن أحمد بن الإمام القاسم.
(٣) صاحب كوكبان: الحسين بن عبد القادر بن الناصر.

الحِمَامَ، وأن مرضه كان هو الورام الشديد في وجهه ويديه ورجليه، حتى صار كالمنتفخ، وأنه لما قضى الله عليه الموت والأجل المحتوم وساقته الحفرة إلى ذلك الموضع باختياره، وما ناله في الطريق والجبال من آلامه، مع الألم الذي مسه طلب له الكفن فلم يوجد في محله، وإنما كفنوه في بقايا ثياب، ثم طلبوا له نعشاً فلم يوجد له، فكأنهم حملوه فوق عيدان إلى قريب قرية هنالك لعلها الحيرة، وطلبوا منهم قعادة[1]. فأعطوهم قعادة بالكرى فلما وضعوه عليها جاءت قصيرة بقت أرجله معلقة عليها، وحملوه كذلك، فاتفق نزول مطر غزير، فنزل سيل في شعبة على الطريق، فوضعوه فيها، وبقي السيل والمطر يمر من تحته وفوقه حتى أضحى، ثم أطلعه الحمالون على مشقة في العقبة إلى الجبل، فكان ذلك عبرة لمن اعتبر، وتذكرة لمن اذَّكر، فأين كان الملك الذي كان؟ ثم لم توجد له الأكفان ولا ما يحمل عليه من العيدان، فسبحان القادر على كل شيء، الذي كتب الموت على العباد والحيوان، وساوى بين الملوك فيه والمساكين والفقراء والغربان، من الماضين واللاحقين إلى آخر الزمان.

وفي هذه الأيام بعاشر شهر جمادى الأخرى التقى السيدان صاحب كوكبان وعمران إلى وادي تَعْوّد[2] للإجتماع منهما في رأيهما، وهما على دعاويهما، كل منهما أمير في بلاده لا يتقيد للأخر في بلاد غيره كلامه، مختلفين ولم ينظروا في مصلحة المسلمين وصلاحهم، بل في رئاستهم ومملكتهم يخبطون فيها خبط عشوى، وقد جاء في جفر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: بعد دولة أحمد بن الحسن ومن تبعه الملك الخراب الممزق للكتائب.

وفي هذه الأيام انحطت الأمطار بحمد الله في جميع اليمن، المشارق والمغارب، وهو مطر الصيف، فصيفت جميع بلاد اليمن، وصار الناس في مذاري الذرات، وأما الأسعار

---

(١) قعادة: سرير.

(٢) تَعْوَّد: قرية خاربة في قاع البون، شمال صنعاء، على بعد نحو ٦٠كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٢٣٤).

فباقية على الإرتفاع؛ لأنه لا يردها إلا الصراب، وقد لحقت الناس الأعسار في جميع مدة محمد بن المتوكل من حال تولي صنعاء وقيامه بعد أحمد بن الحسن، وفي مدة أحمد بن الحسن إلى الآن نحو إحدى وعشرين سنة[1]، فلله الأمر من قبل ومن بعد. ولما تحول حال محمد بن المتوكل، وتقضت أيامه، وكان قد حَصَّل في معبر أبنية وحوانيت خربها أهلها، وحملوا أخشابها وعادت كما كانت أولاً، لم يبق فيه إلا أهله الأصليين عبرة للمعتبرين.

وزيد بن المتوكل لما طلع من اليمن الأسفل كاتب إلى أطراف بلاد سنحان للقيا له، وأن صنعاء في ولايته، فمنعهم صنوه حسين، فخرج عند ذلك إلى بلاد ريمة وما يليها.

[١٢٩/أ] ووصل كتاب من يوسف بن المتوكل يذكر فيه الدعوى من جملة غيره، فقلت في جوابه في ظهر كتابه ما هذه صورته:

وعليكم السلام، وصل مكتوبكم هذا بالتعزية في صنوكم، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والله يخلفه على المسلمين بأحسن الخلافة ويتلقاه بالرّحمة والرأفة، وأن يجمع كلمة المسلمين على الخير. وذكرتم دخولكم بعده للإمرة، وجعلتم ذلك مشروطاً برضى غيركم، فقد شارككم في ذلك كثير مثل صاحب المنصورة وصاحب صعدة وغيرهما من الرؤساء. وذلك محل التنازع المنهي عنه، وفيه عدم السعي في صلاح الإسلام؛ لأن كل واحد شرط ذلك، والشرط يتوقف على المشروط، ولم يتم المشروط؛ لأنهم منازعون لبعضهم البعض في دعوى المملكة، وكل أجابه أصحابه وأهل نعمته ميلاً إلى الدنيا، فكان القياس أنكم تجمعون كلمتكم بهؤلاء الذين يريدونها، كما توقف القاسم بن محمد المؤيد رعاه الله وحسين بن حسن. وأما هذه الانتصابات في كل جهة فهي خلل على المسلمين، ولا ينظر أحد منكم إلى صلاح الخاصة، بل صلاح العامة وتحرير النية؛ لأن النية إذا كانت مشوبة بها

---

(١) كذا في الأصل: إحدى وعشرين سنة، ولعله خطأ غير مقصود، والأصح إحدى عشر سنة منذ تولي أحمد بن الحسن الإمامة إلى هذه السنة (١٠٨٧-١٠٩٧هـ/ ١٦٧٦- ١٦٨٥م).

يفسدها من طلب الملك فسدت وبطلت، وأما شروط الإمامة الكاملة فنعلم ويعلم غيرنا تعذرها، وعدم الأهلية لها فيمن قد طلبها. فالأولى التوقف صيانة للمسلمين من الإشتجار والإختلاف فيما بينكم، وأنتم أرحام، وقطيعة الرحم فيه الوعيد الشديد في القرآن والسنة.

ولأن إذا بلغ الأروام(١) اختلافكم خرجوا عليكم، وأزالوا هذه الدولة عنكم بأشر حال، كما فعلوه لأولاد مطهر بن شرف الدين لما اختلفوا. وقد كان بلغنا أنكم قد رجعتم عن ذلك، وقلدتم صنوكم الحسين بن المتوكل، ثم جاء كتابكم هذا بخلافه[١٢٩/ ب]، وليس في هذه الدعاوى سكون الدهماء، بل هي عين المحركة للإختلاف والإشتجار، إنما السكون لو توقفتم جميعاً، وبقي كل منكم فيما إليه من البلاد التي قد ولاها المتقدمون على قول الجمهور: أن الولاية لا تبطل، ولا يشاجر أحد منكم الآخر في الزائد على ما تحت يده ومن ناب ولكل ولاء أمام فعله بلا نصب على الأصح فيما تحت يده. هذا هو تسكين الدهماء إن أردتموه، وإلا فهي سترجع بعد لمن غلب من القهر والغلبة -على قول أهل السنة والإمام يحيى(٢) والإمام شرف الدين(٣)- بعد مظالم وسفك دماء وانتهاك حرم وأموال ومآثم كبيرة. فلا حول ولا قوة إلا بالله. فإن تحب السعادة فلا تدخل في هذه الشبكة العظيمة، هذه نصيحة، ولا تغتر لمن يلفق لك الأقوال، واعتبر بمن مضى، فلم ينفعهم لا ملك ولا مال والسلام.

وأرسل حسين بن المتوكل إلى عند السلفي والي حراز يعينه ومعهم الأمير عبده الداعي، وأمره بالسكون[١٣٠/ أ] في مناخة عند السلفي. وأما صنوه حسن فوصل

---

(١) المقصود: العثمانيون.

(٢) المقصود الإمام يحيى بن حمزة.

(٣) المقصود الإمام يحيى شرف الدين يحيى بن شمس الدين.

أصحابه إلى الجانب الغربي من حراز من بلاد حَصُبان[1]، منعته القبائل ومنعت القبائل هذه الوالي من طلوعه. وحسين بن علي بن المتوكل أمر بخراب بيت لابن راجح؛ لأجل أنه سلم تعز لصاحب المنصورة، وفتح الباب لعسكره، فأشرف عليه صاحب العدين عبد الله بن يحيى بن محمد بن حسن الأحول من مغربة سد مَشْوَرة[2] وإسحاق من الجبل الذي فوق جبلة للإرعاد عليه والإبراق؛ لأنهم إلى جانب صاحب المنصورة.

ووصل أصحاب صاحب المنصورة إلى مَيْتَم[3] قريب جبلة، وعلى الجملة إن حسين بن علي صار في إب كالمحاصر. واستولى المذكور على جميع اليمن الأسفل بأجمعه، وأرسل على حسين بن علي خيله ورجله، وحسين بن علي قيل: إنه إذا اضطر واجه وسلم الأمر.

قال الراوي: ولعله يبلغ إلى اليمن الأعلى يريد أخذه بالسيف من غير مراعاة رضى، فصار الناس في حيرة مما يخشى من المعرة؛ لأنه ينضاف معه إذا طلع إلى ذمار القبائل فيحصل على البلاد المعرة مع ضعف البلاد وغلا الأسعار، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم. وأما مشائخ الحجرية الذين كانوا بالحبس عنده فإنه شدد عليهم وأطلعهم حصن الدملوة، لئلا يخالفوا عليه، واستمال من استمال من المشائخ الآخرين كالشيخ ابن مغلس صهره، وهو من كبار مشائخ الحجرية.

ووصل كتاب من محمد بن أحمد بن الحسن يذكر دعوته وتلقب بالناصر، وأنه أجابه قضاة تعز والقضاة بحضرته وأهل بلاده، وقال الرسول: لعله تهيأ للخروج من المنصورة، واستخلف ولده عبد الله فيها، وأن قد ألزم بالضيافة في الجَنَد، وهذا لفظ جوابه:

---

(١) حَصبان: مركز إداري في جبل مناخة من حراز، من أعمال محافظة صنعاء. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٤٦٩).

(٢) مَشْوَرة: جبل على بعد٨كم من مدينة إبّ غرباً. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٥٤٢).

(٣) مَيْتَم: عزلة من بعدان وأعمال إبّ. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٤، ص٧٢٦).

بسم الله الرحمن الرحيم

الصنو الجليل النبيل سليل الآباء الأكرمين، عز الإسلام والمسلمين[١٣٠/ ب] محمد بن أمير المؤمنين حفظه الله وأهدى إليه شريف السلام ورحمة الله وبركاته. وأنه وصل كتابكم لما بلغكم من وفاة المؤيد بالله محمد بن أمير المؤمنين، وإنا لله وإنا إليه راجعون، والله يتلقاه بالرحمة والغفران، ويحسن خلافته على جميع أهل الإسلام. وذكرتم انتصابكم بعد بلوغ خبره وبث رسائلكم إلى الجهات، والله تعالى يصلح الاحوال، ويجمع الكلمة على الخير في الحال والمال، ولكن الأمور قد انتثرت في هذا البلاد العليا، وادعى هذا المنصب جماعات مما صرنا وغيرنا في حيرة عظيمة منها؛ لأنه يحصل بسبب الإختلاف شجارات تفضي إلى القتال، وعدم سكون الدهماء فيما بين هؤلاء الجماعات مما بسببه الخلل على المسلمين وانتهاك الحرمات، ولا سيما وأكثر هؤلاء الدعاة أرحام وعصاب، ولا يخفاكم ما في قطيعة الرحم من الآيات البينات، والأحاديث النبويات، وأما والدكم الحسين بن الحسن والقاسم بن محمد فإنهم لما رأوا هذا الأمر وما يؤول إليه توقفوا فيه، ولم يقدموا عليه، وأشدهم وأصلبهم في طلبه صاحب صعدة، وإن كان غيره أهون شوكة، وبقي معكم والدكم الحسين بن الحسن والقاسم بن محمد، وكذلك حسين صاحب صنعاء إذا رأيتم تقديم اجتماع كلمتهم قبل حصول حادث فيما بينكم وبينهم فالأمر إن شاء الله متماثل ومتقارب، وإذا قد اجتمعتم على كلام واحد، فسائر الناس أجمع أتباع ، ولا يخشى منهم ضرر ولا نزاع، وأنتم أعرف بالصواب إن شاء الله، وممن يسعى في المسلمين بالصلاح والاجتماع. وأما صنوكم[1] فلا يخفاكم حاله، وأنه تخلص عن جميع علق تكاليف الخلق للأولين والآخرين، وعرف منا ذلك المتوكل فيما مضى، فعذر

(١) يعني المؤلف نفسه.

وارتضى، وكذلك والدكم، وكذلك محمد بن المتوكل، كلهم سايرونا على ما نحبه من عدم تعلـق أمـر، ولا تكليـف ولا محـاضر ولا مجـامع، وإعـذارانا ممـا لا يخفـاكم اتباعـاً لقوله تعـالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(1) والسلام.

وانتهت النصائح للمذكورين في الإجتماع في جميع هذا الشهر، فلم يجد، فكان الأمر كما قال المتنبي:

وإذا كانـــــت النفـــــوس كبــــاراً

تعبــــت في مرادهــــا الأجــــسام(2)

[131/أ] وكان حسين بن المتوكل وأحمد بن المؤيد قد جمعوا القضاة والسادة وغيرهم يوم الأربعاء آخر يوم بشهر جمادى الأخرى، وقال: الأولى قيام القاسم بـن المؤيـد وأمـر الحاضرين بكتابة شهادتهم، فكتبوهـا وشـاع في النـاس أن قـد بـايعوا القاسـم ولم يحـضر محسن بن المهدي معهم، بل قد كان بنى بالخطبة بالغراس لصنوه محمد صاحب المنصورة، ولكن غلبه القبائل من بني الحارث وهمدان والقاضي عبد الواسع(3)، فامتنعوا عن الخطبة لمحمد، ودخل القاضي عبد الواسع صنعاء.

وكان من جملة من شهد لقاسم، وكان في خلال ذلك بيوم الخميس غـرة شـهر رجـب وصل كتاب من حسين بن علي بن المتوكل من بلاد إب وجبلة يذكر فيه إلى عمـه حـسين بالمبادرة بالغارة عليه، وأنه قد صار بإب محاصراً، لم يبق بينه وبين إسحاق بـن المهـدي إلا مقدار ساعة: فالغارة الغارة والبدار البدار، فلم يتمكن صنوه بهادة من صـنعاء، بـل كـان

---

(1) الأحزاب: 72.

(2) ورد البيت في: عبد الرحمن البرقوقي: شرح ديوان المتنبي، مج2، ج4، ص64.

(3) هو القاضي عبد الواسع بن عبد الرحمن العلفي، سبقت الترجمة له.

أرسل بكتب إلى محمد بن المهدي من السادة والأعيان والقضاة بالنصيحة في جمع الكلمة وترك الفرقة، وأن هذه المفاتحة بالحرب لا تصلح، وأن على المسلمين مشقة لا سيما هذه المدة بسبب غلا الأسعار وضعف الناس وترك الحركة إلى البلاد العليا، فالله أعلم ما يتم من ذلك.

وفي شهر رجب وصل الخبر إلى صنعاء أن صاحب المنصورة جهز بعض خزائنه إلى تعز، وأنه متجه في الأثر يريد التجهيز إلى اليمن الأعلى[١٣١/ ب]. ولما وصل هذا الخبر تغير حسين من ذلك، وأمر أهل الحيمة باللقيا إلى ذمار، فاعتذروا عن ذلك، وقالوا: لهم جوامك مقطوعة ولا يتركزوا في وجه جنود صاحب المنصورة وامتنعوا ، فأراد إرسال عبد الله بن أحمد بن القاسم وتوليته لذمار؛ لأنه له من زمان أخيه محمد بن المتوكل، فاعتذر أيضاً، وعلم أن التولية له فيه إنما هو إغراء ومحرك للفتنة والحرب مما ليس فيه جدوى، لعدم القوة الناهضة والخزائن الواسعة، فلما لم يحصل ذلك تحدث وربما كتب إلى صنوه القاسم صاحب ثلا، وأنه يجتمع هو وإياه وصاحب عمران وكوكبان على كلمة واحدة، ويبايعون لقاسم، ويجمعوا جندهم على صاحب المنصورة، ثم فسد ذلك الحديث ولم يتم، وكلما أهموا بشيء لم يتم مما يتعجب منه.

ربما تكره النفوس من الأمر
له فرجة كحل العقال(١)

ووصل خبر بأن ظفار حضرموت دخله طائفة من البحر استولوا عليه، وأنه حصل حرب فيما بين الفضلي ويافع، والله أعلم.

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت، وقد ورد صدر البيت:
ربما تجزع النفوس من الأمر
(محمد بن جابر الطبري: تاريخ الطبري، ج١، ص ١٤٢).

وكتبت يافع إلى حسين بن علي بن المتوكل: إنك إذا احتجت إلينا أعنَّاك ، فأشار عليه من أشار من أصحابه: لا تركن عليهم فإنهم لا يؤمنوا على الجميع.

وفي خامس جمادى هذا وصل الخبر بأن صاحب المنصورة مريض، وأنه كان أراد الخروج، فاعتقل بسبب المرض، فسكن الحال مع الناس هذه الأيام، وأحاط إسحاق وإبراهيم ابني أحمد بن الحسن بحسين بن علي بن المتوكل، فإبراهيم سكن ظَلْمَة[1] وإسحاق صُهْبان[2].

[١٣٢/ أ] وفي ثالث عشر شهر رجب وصل الخبر بأنه حصل فيما بين إبراهيم بن أحمد بن الحسن وبين حسين بن علي بن المتوكل حرب، فكان ذلك أول فتح بين المذكورين. وذلك أن إبراهيم بن أحمد بن الحسن تحرك من ظلمة إلى سد مشورة المطل على العدين، فترجح لحسين بن علي بن المتوكل اللقيا له إلى ذلك المحل واحتربوا، فوقع القتل بين الطائفتين، ثم انهزم أصحاب إبراهيم واحتاز إبراهيم في بعض البيوت هنالك. وكان المباشر للحرب الأمير فرج، ثم أغار قاسم بن علي بن المتوكل[3] والشيخ حسين بن محمد الوادعي من عند حسين بن علي بن المتوكل، فأحاطوا به في الدار، وما زالوا يرمون من داخل أصتاب من ذلك جماعة، ومنهم الشيخ حسين بن محمد الوادعي برصاصتين، وكان ذلك يوم الأحد حادي عشر رجب الفرد في شهر الله الحرام. وكان القتل من أصحاب حسين بن علي كثير، وكذلك من أصحاب إبراهيم، أولاً كان القتل في أصحاب إبراهيم وآخره كان في أصحاب حسين بن علي. فمن أصحاب إبراهيم نحو خمسة وعشرين نفراً ومثلهم مصاويب في حرب اليوم الأول، وفي اليوم الثاني كثير، وأكثر القتل

---

(١) ظَلْمَة: عزلة وقرية من ناحية حبيش وأعمال إبّ، فيها مركز الناحية. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٥٦٨).

(٢) صُهْبان: مخلاف مشهور من أعمال ذي السفال. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٣، ص٥٤٨).

(٣) قاسم بن علي بن الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم يذكره صاحب بغية المريد بأنه خامس أولاد علي بن المتوكل. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٤٢٦).

في اليوم الثاني في أصحاب حسين، لما أقبلت الغواير من الجانبين من إسحاق وغيره، ثم اهتزم أصحاب حسين بن علي إلى إبّ وجبلة وتفرقوا وتمزقوا إلى كل جهة. وحينئذٍ خطب محسن بن المهدي بالغراس لصنوه في يوم الجمعة ثالث وعشرين شهر رجب، فلم يعجب القاضي عبد الواسع خطيب الغراس ودخل صنعاء فخطب غيره. ويوسف بن المتوكل حال أن بلغه هذا الحادث أرسل بقدر مائتين رئيسهم القاضي يحيى جباري مأموراً من عنده بالإصلاح إن حصل، وإلا كان يداً مع حسين بن علي بن المتوكل.

ولما ثُلَّ[1] عرش الخلافة وهوى نجمها، ووهى ركن الإمامة وطمس رسمها، وصارت الإمامة دعوى[١٣٢/ ب] وعادت العافية بلوى، والخزائن التي حفظوها تزول وتهوى، حتى عطلوها وتحاربوا بها، فلا قوة إلا بالله، ويخشى عليهم مع هذا الإختلاف، والتحارب فيما بينهم وعدم الإئتلاف، زوال دولتهم أجمع، فيزول عنهم الطمع:

لما دنى الوقت لم تخلف عدة
وكل شيء لميقات وميعاد
إن يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا
وقد خلت من قبلهم أرض بغداد

وكان حسين بن علي بن المتوكل قد بعث رسولاً السيد قاسم بن لقمان[2] إلى حضرة محمد صاحب المنصورة، فكان جوابه أنه يبقى لحسين ما بقي تحت يده جبلة وإب وما حولها دون تعز فلا سبيل إليه، فقال حسين: هذا لا يسمح به، وبنى على القتال، فحصل ما جرى وترك النصيحة بأنه يتوقف وأن ترك المفسدة أولى من جلب المصلحة، كما ذكره

(١) ثُلَّ عرش الخلافة: هُدِم وزال أمره. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص ٣٧١).
(٢) السيد قاسم بن محمد لقمان: كان عالماً جليلاً، كثير الفوائد، وكان الإمام المتوكل إسماعيل يجلّه ويعظمه، ولازم الإمام المهدي أحمد بن الحسن في السفر والحضر، وأصاب من الغنائم شيئاً واسعاً، مات باللحية. (زبارة: نشر العرف، ج٣، ص ٢٠٧).

العلماء، فلم يحصل لذلك جدوى، فأصبح حيث أمسى، وانقلب الأمر عليه، وزال ما في يديه، وكان كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[(١)] لحكمة علمها تعالى.

ووصل خبر أن بعد هذه الواقعة والهزيمة لأصحاب حسين بن علي بن المتوكل وما جرى فيه وأصحابه من الكسيرة، وعاد سيفه مغلولاً، وجنده ما بين مقتول ومنهوب، انصبت تلك الجنود الصائلة إلى وادي جبلة، من تلك الجبال التي فوقها زاكية، وعليها عارية، لاتصالها بسد مشورة حيث وقع الحرب أول مرة فانحدروا إليها كالسيل، [١٣٣/ أ] وأظلمت على أهلها الآفاق كما يظلم الليل، وأرادوا أن يدخلوها بالسيف الضارب وانتهبوها، وفر من فر وانكسر من انكسر من أصحاب حسين بن علي وغيرهم من ساكنيها، وكان حسين بن علي يومئذٍ بجبلة وعادت رجال الجالبين لميرة الطعام من الطريق، وانقطع المسافرون من التجار خوف التعويق. وكان بعض الواصلين إلى جبلة بدراهم لشياطة[(٢)] الحب انتهبت عليه حال الحرب، ورجع عطلاً آسفاً حتى أمسى تلك الليلة بجَرْف[(٣)] وهو خائف يترقب، وإذا برجل يحفر تحته حفرة ودفن فيها شيئاً يقرب من ذلك المحل الذي هو فيه وهو لا يشعر به مما انتهب يوم الحرب حال الكسيرة، فلما أصبح الصباح، وظهر أوائل الفجر ولاح، سار إلى ذلك الموضع ينظر ما دفنه فيه ذلك الرجل، فإذا هو بجنبيه مُحْلِيَّه[(٤)] وسيف وغدارة أيضاً محلية ، فحملها وسار الطريق، وقال: قد هذا من العوض فيما راح من الدراهم والتعويق، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم إن حسين بن علي بن المتوكل لما علم القهر له والغلبة، والجنود التي ليس له بها طاقة وعاين ما جرى خضع ودخل فيما كان رسم عليه، وجرى أهل المدينة ومن لديه، ومن بقى له من بلاد إب وما إليه، وبايع ودخل في مبايعة صاحب المنصورة [١٣٣/ ب]

(١) هود: ٣٤.

(٢) لشياطة الحب: أي لشرائه.

(٣) الجَرْف: جمعه جروف، وتعني الكهوف في بطون الجبال.

(٤) مُحْلِيَّة: أي مطعمهة بالذهب أو الفضة.

لما لم يجد له منقذاً ولا ناصراً إليه، ونَصَّرت جميع بلاده لصاحب المنصورة المسمى بالناصر.

واكتف ذلك الأمر الذي جرى، بعدما وقع ومضى. وكان جملة القتلى من الجانبين كما قيل: ستين قتيلاً.

قال الراوي: وسبب حصول الحرب في سد مشورة أن إبراهيم لما جاء له الرأي من صاحب المنصورة بالمناجزة نزل من ظلمة أطراف بلاد حبيش التي إليه إلى سد مشورة، وبرز فيها خيامه، يريد النزول على قصد جبلة لفتحها، وكان حسين بن علي فيها، فتلقاه عسكره إلى سد مشورة وفيهم من الرؤساء معه أخوه قاسم والشيخ حسين وفرج العبد فكان الحرب هنالك، ثم احتاز إبراهيم إلى بيت من أطراف بلاد حبيش، فخاطبوه في الذمة، وأنه يخرج من الدار ويرجع إلى ظلمة، فساعد في الظاهر وهو مضمر خلافه، ولعله باختياره إنما يريد به الخديعة، فتقرب الشيخ حسين بغروره إلى جنابه، هو وجماعة من أصحابه ينتظرون خروجه، فرموه من الدار فقتل واحتزوا رأسه وقتلوا الذين معه. ثم انكسر أصحاب حسين بن علي، فحين رأى حسين بن علي هذا الواقع واجتماع الغارات دخل في الصلح لصاحب المنصورة، ووضعوا الأمان لأهل جبلة وسائر البلاد إلى رأس سمارة[١٣٤/ أ]. والشيخ حسين المقتول وقع معه عدم النظر في العواقب، وأن الأمان ليس وضعه في الحروب من الخارج حيث قد انحصر إحدى الطائفتين، وإن حصل ذلك كان على جهة التباعد والإحتراس وعدم التساهل، لأن قلوب المتحاربين تكون محترقة، وكل منهم يتربص بصاحبه الفرصة سيما من له رئاسة في الحروب؛ لأن نكايته وهلاكه انكسار قومه، قال صاحب(الغرر الواضحة والمساوئ الفاضحة)(١) في باب ذم التصدي للهلكة ممن لا يطيق بها ملكه قال تعالى:﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(٢).

---

(١) صاحب الغرر الواضحة والمساوئ الفاضحة: هو محمد بن إبراهيم بن يحيى الأنصاري الكتبي (ت٧١٨هـ/ ١٣١٨م) أما عنوان كتابه كاملاً فهو: (غُرر الخصائص الواضحة وغُرر النقائص الفاضحة) (مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون،تحقيق: عبدالرحمن محمد قاسم النجدي، ج٢، ص١٢٠١).

(٢) البقرة: ١٩٥.

وقال تعالى: ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[1].

وقالوا: الشجاعة تغرير والتغرير مفتاح الهلكة، وقال يزيد بن المهلب[2]: الإقدام على الهلكة تغرير، والإحجام عن الفرصة جبن. وأنشد لجمال الدين بن الحسين[3]:

ركوبك الأمر ما لم تبد فرصته
جهل ورأيك في الإقحام تغرير
فاعمل صواباً وخذ بالحزم مأثرة
فلن يدوم لأهل الحزم تدبير[4]

ويقال: أهوت إلى يزيد بن المهلب حية فلم يتَوقَّها، فقال له أبوه: ضيعت الحزم من حيث حفظت الشجاعة، وقال الشريف الرضي[5]:

العزم في غير وقت العزم معجزةٌ
والإدبار[6] بغير العقل نقصان

(١) النساء: ٧١.

(٢) يزيد بن المهلب: هو يزيد بن محمد بن المهلب بن المغيرة، من بني المهلب بن أبي صفرة، أبو خالد، المعروف بالمهلبي، شاعر محسن راجز، من الندماء والرواة، من أهل البصرة، اشتهر ومات ببغداد، كان فيه اعتزاز وترفع. اتصل بالمتوكل العباسي ونادمه ومدحه، ورثاه بقصيدة من عيون الشعر، توفي سنة ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م. (الزركلي: الأعلام، مج٨، ص ١٨٧).

(٣) هو جمال الدين طاهر بن الحسين، لم أجد له ترجمة مفصلة.

(٤) ورد البيتان كالتالي:

ركوبك الهول ما لم تلق فرصته — جهل رمى بك بالإقحام تغرير
فازرع صواباً وخذ بالحزم حيطته — فلن يذم لأهل الحزم تدبير

(أحمد قبش: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، ص ١٤٣).

(٥) الشريف الرضي: هو محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني الموسوي، أشعر الطالبيين، على كثرة المجيدين فيهم. مولده ووفاته في بغداد، انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده، له ديوان شعر مطبوع في مجلدين، ومؤلفات أخرى. توفي سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م. (الزركلي: الأعلام، مج٦، ص٩٩).

(٦) وردت في الديوان: (والازدياد). (ديوان الشريف الرضي، ج٢، ص٤٥٠).

ويقال: من قاتل بغير نجدة، وخاصم بغير حجة، وصارع بغير قوة، فقد أعظم الخطر، وأكثر الغرر، وقال بعض الحكماء: من أعرض عن الحذر والإحتراس، وبنى أمره على غير أساس أزال عنه العز، واستولى عليه العجز، فصار من يومه في نحس، ومن غده في لبس.

وفي كتاب الهند الحازم(١) يحذر عدوه على كل حال[١٣٤/ب]، ويحذر مواثبته إن قرب وغارته إن بعد، وكمينه إن تبع، ومكره إن انفرد، واستطراده إذا ولي. وقال أبو بكر الصديق لخالد بن الوليد: إذا دخلت أرض العدو فكن بعيداً عن الجملة، فإني لا آمن عليك الجولة، وقول الشاعر(٢):

ومن يأمن الأعداء لا بد أنه
سيلقي بهم في موقف الموت مصرعا(٣)

وقيل لعنترة العبسي(٤) المشهور بالشجاعة: أنت أشجع العرب وأشدها قال: لا كنت أقدم إذا كان الإقدام عزماً، وأحجم إذا كان الإحجام حزماً، ولا دخلت موضعاً إلا أرى لي منه مخرجاً. ويقال: تفكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم، فإنه من لم ينظر في العواقب، فقد تعرض لحادثات النوائب، إلى آخر ما ذكره.

فالشيخ حسين عرض نفسه للهلاك وهم في الدار متحصنين وتقرب لهم كالنصح

---

(١) كتاب الهند الحازم: لم أتوصل إلى من هو مؤلفه.

(٢) الشاعر: هو تأبط شراً: ثابت بن جابر بن سفيان، أبو زهير الفهمي، من مضر، شاعر من فتاك العرب في الجاهلية، كان من أهل تهامة، توفي نحو ٨٠ ق هـ/ ٥٤٠م. (الزركلي: الأعلام، مج٢، ص٩٧).

(٣) ورد البيت كالتالي:

ومن يضر بالأعداء لابد أنه   سيلقى بهم في مصرع الموت مصرعا

(أبو تمام: ديوان الحماسة، ج١، ص ١٩٦).

(٤) عنترة العبسي: هو عنترة بن شداد بن عمر بن معاوية بن قراد العبسي: أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى، من أهل نجد، أمه حبشية، يوصف بالحلم على شدة بطشه، شهد حرب داحس والغبراء، وتوفي نحو سنة ٢٢ق هـ/ ٦٠٠م. (الزركلي: الأعلام، مج٥، ص ٩١).

ينتظر خروجهم إلى يده، وهذا أعظم شيء عليهم، كيف وهم مقاتلون على خلاف ذلك، فوقع فيما وقع، ولما قد كتب عليه وسبق به علم الله تعالى مات بأجله المحتوم، مع أن هذا القتال من المشتبهات، ظاهره القتال على الملك من الطائفتين، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولما بلغ هذا الحادث حسين بن المتوكل صاحب صنعاء تغير من ذلك كثيراً، وأمر بعض القضاة إلى القاسم بن المؤيد بتمام الدعوة، وإنه مجيب له، يستظهر به على صاحب المنصورة، ثم جاء الخبر من جبلة بأنه وقع فيها الحرب العظيم والإستيلاء عليها وعلى حسين بن علي بن المتوكل، وانتهبت جبلة وقتل فيها كثير من جبن من اليهود والنساء[١٣٥/ أ].، وكان الحرب ودخول جبلة يوم الخميس تاسع وعشرين شهر رجب منها. وبعد بلوغ الخبر إلى صنعاء حصل مع حسين بن المتوكل وغيره الوشا[١]، وعقد الخبر هو ويحيى بن محمد بن الحسين صاحب البستان على بعث كتاب إلى صاحب المنصورة بأنهم يسلمون الأمر إليه ويواجهون، وزجلوا[٢] الرسول يوم الإثنين ثالث شهر شعبان. والقاسم بن المتوكل يسلم الأمر ببلاد ثلا لصاحب المنصورة. وأراد به قمع صاحب عمران وكوكبان لقربهم منه؛ لأنهم صاروا يرجعون عليه. فأراد التقوِّي بذلك عليهم، والإرجاف عليهم وواحدة بواحدة جزاء، فالدنيا عبر. ولما بلغهم هذا الحادث فشلوا وخضعوا لا سيما صاحب عمران، فإنه قد كان سارت كتبه بالدعوى للإمامة إلى كثير من الجهات البعيدة، وكتبه متربة بالحمرة، معلومة رأسها العلامة وعمم بذلك جميع الرؤساء مما يدل على قلة الحياء ممن هو أكبر منه سناً. فكانت علامته وتربته الحمرة إلى صاحب المنصورة، وإليقاسم بن المؤيد وإلى غيره من العلماء والأعيان والقضاة والسادة مما فيه طغيان، وليت وأثرت أحد كتبه في واحد ممن كتب إليه وزوره لكن جميعهم لم

---

(١) الوشا: أي العلم بالحادث، وأوشى الشيء: عَلِمه. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص ٩٣٤).

(٢) زجلوا: أرسلوا. سبق ذكرها.

يلتفت إلى زخرفة، لمعرفتهم بعدم علمه وغلبته بالمرة، وإنما صار كثير من الناس من يستهزئ به، فلا قوة إلا بالله.

وكان قد طغى أيضاً وضرب الضربة وجعل رسمها بلقبه الذي تلقب به وهو المتوكل، ضربته ضعيفة، وحاله ركيكة، والدنيا أحوالها عجب، وزمانها قلب.

[١٣٥/ب] ولما بلغه حادث جبلة وما وقع فيه من القتلة ارتجف ارتجافاً عجيباً، وأمر بالحراس في نُوب دائر عمران، خشية من جهة محسن[١] لا يقصده لما قد بلغه هذه القضية، فتحريه على أمر يفعله ورفع الضربة في الحال، وانكسر عما كان من دعوى المحال، فسبحان المعز المذل لمن يشاء، واستيقظ من نومته وانتبه من غفلته. قيل: وجملة جنود عبد الله[٢] التي طلع بها من عند والده خمسة آلاف أو ستة، مجموعة من قبائل الحجرية ومن العسكر، فوقع أول الحرب والقتل في أول القوم، وهم الحجرية بالبنادق من البيوت، ثم اختلطوا لما خرجوا فيهم، وكان فيه الإستيلاء على حسين بن علي[٣].

وفي رابع شعبان وصل جواب قاسم بن المؤيد على حسين في شأن ما كان كتب به من الوصول إلى صنعاء وإظهار الدعوة مضمونه الوعد بذلك إلى نصف شهر شعبان، وقيل وعد مطلق، فظهر بسبب ذلك عدم القيام من قبله لما طلبوه منه مع قرب الجيوش المحمدية لصاحب المنصورة، فإنه الآن بلغ أن قد بلغت أوائل جيوشه إلى يريم وذمار، وأن قد واجهت بلاد ذمار عن بكرتهم وولى فيها إسماعيل بن عبد الله بن القاسم[٤]، وأن حسين بن حسن صاحب رداع أجاب إلى ابن أخيه، وأنه لم يبق إلا يوسف بن المتوكل صاحب ضوران.

---

(١) المقصود به محسن بن أحمد بن الحسن.

(٢) المقصود به عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن.

(٣) المقصود به حسين بن علي بن الإمام المتوكل إسماعيل.

(٤) إسماعيل بن عبد الله بن القاسم بن الإمام القاسم، هو الثالث من أولاد عبد الله، كان سيداً عارفاً جليلاً، لا يأكل إلاَّ من غلته، ليس له معول على بيت المال، توفي سنة ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م في ذمار، وقبر هنالك في تربة له قد أعدها جنوب داره، وأوصى أن يجعل عليه مشهداً ومنهلاً. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٤٦٢-٤٦٣).

[١٣٦/ أ] وفي هذه المدة بنصف شهر شعبانها واجهت بلاد ذمار لصاحب المنصورة وجميع بلاد عنس وزبيد، وجعلت الولاية فيها لإسماعيل بن عبد الله بن القاسم، وكانت في ولاية حسين بن المتوكل، ثم واجهت صنعاء، واضطروا حسين بن المتوكل إلى ذلك. وكذلك صاحب كوكبان حسين بن عبد القادر، وعند ذلك أيس أحمد بن المؤيد وصنوه القاسم عما كان كاتبوه من اجتماع الكلمة وتقرير القول. وسار أحمد من الروضة إلى بلاده وادعة وجهاتها وقاسم إلى شهارة.

وفي هذه الأيام طلع حسن بن المتوكل من اللحية إلى ضوران بجميع خزائنه، فتلقاه صنوه يوسف بالرحب والسعة وكل منهم أمير نفسه، ثم لما تقاربت جيوش صاحب المنصورة إلى ذمار واجه الحسن وسلم الأمر.

وفي هذا الشهر لما قصد اليافعي المحاربة للرصاص، واستولى على البيضاء خلفه الرصاص بالمغزى إلى جبل العُرّ، فدخله وخرب فيه مرفد[1] والمتارس التي في الطريق التي كان بناها في الحرب الأول، وهرب ابن العفيف وانتهبها، ثم عاد الرصاص إلى بلاده، فكان ذلك أعظم واقع عليه، لتعاظم نفسه.

وفي هذه الأيام مات السيد إسماعيل بن إبراهيم بن جحاف بحبور وكان المذكور قاضياً فيها وحاكماً، لكنه كان شططاً في أحكامه، يميل عن تنفيذ ما اتضح وجهه لمن وصله بره واستخف بمن لم يهاديه ويحكم بالحكم له.

والأسعار ارتفعت[١٣٦/ ب] بصنعاء، بلغ القدح البر عشرة، والذرة ثمانية وتسعة.

وفي أول هذه السنة سارع الناس إلى قطع أشجار جبل ضِيْن[2]، بعد أن كانت من أول مُخَدَّمة، فلم يبق فيه شيء، ولكنه حصل في ثمار بلادهم الضعف، ونزل في أكثرها البرَدَ في المطر فأزالها.

---

(١) مَرْفَد: قرية مشهورة من مناطق يافع العليا (حمزة علي لقمان: تاريخ القبائل اليمنية، ص ٢٠٩).

(٢) جبل ضِيْن: جبل من بلاد عيال سِريَح شمالي صنعاء. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج١، ص ٥٥٥).

وفي هذه الأيام بآخر شهر شعبان تحرك إبراهيم[1] وتبعه عبد الله بن يحيى الذي كان بالعدين بالتقدم من يريم، فدخلوا إلى ذمار، وأرسل إبراهيم إلى زراجة بأدب وأهم بخراب القرية؛ لأجل ما وقع منهم من عدم ضيافة صنوهم القاسم بن المهدي ورجم أصحابه.

وإسحاق كاتب إلى يوسف من أجل أنه يسلم الأمر ويتوعده إن لم يدخل في ذلك من جانب صنوه محمد، فبقي يوسف حائراً في أمره عاضاً على يده لعلمه أنه لا يقدر على مقابلته وحده، وقد قيل إنه سلم الأمر اضطراراً.

وفي خامس رمضان وصل جماعة عسكر وقائد معهم نحو ستة أنفار من صاحب المنصورة إلى بلاد حجة ليتسلموها ويقبضوها. ولم يمروا على صاحب عمران حسين بن محمد الذي كان بسط عليها، فلحق لهم جماعة للرجوع إلى عنده وأنه مسلم للأمر، فلما وصلوا إليه خلع نفسه من دعواه، وأنه داخل تحت[١٣٧/ أ] أوامر صاحب المنصورة، وأمر خطيبه بتحويل الخطبة لصاحب المنصورة محمد بن أحمد بن الحسن في يوم الجمعة خامس رمضان، ومحى رسمه الأول عن الخطبة. وقال لهم: ابقوا حتى يعود جواب صاحب المنصورة من جهة بلاد حجة، فإنه يريد إبقاه على إمرتها، فسخر كثير برأيه هذا. وقال العاقل: حيث كان يأتي على هذا لو تقدم رسوله وكتابه مع الأولين بالمواجهة والتسليم وإبقاه على هذه البلاد من غير ترسيم لكان أقرب إلى الإنطلاق، لكنه كان في سكرته حتى أفاق. وانظر وتعجب من التفرق كيف مآله، وما يرجع إليه أحواله، فإن صاحب المنصورة سهل عليه أمرهم، والتقط الأول فالأول منهم وهلم جرا وضعفت شوكتهم، وإلا فلو كانوا جميعاً يداً واحدة ما كان يقدر عليهم. وما أشبه هذا بعمل سنان باشا مع عيال مطهر، فإنه لما جمع عصيه وقال لبعض خاصته: من يقدر على كسر هذه؟ فقالوا: لا يقدر أحد عليه ثم فرقها واحدة واحدة ، فقال: فهكذا نقدر على كسرها.

---

(١) المقصود به إبراهيم بن أحمد بن الحسن.

فقالوا: نعم، فلو أنهم أغاروا جميعاً بعساكرهم على حسين بن علي صاحب إب وجبلة كانوا الغالبين[١٣٧/ ب]، فلما أفردوه هنالك بعد أن كان طلب منهم الغارات فلم تحصل، حصل ما حصل ووقع ما وقع من المقتلة العظيمة والحالة المستنكرة، والحال أن صاحب المنصورة وإن كان واحداً، لكنه قد اجتحف[1] بلاد اليمن الأسفل والبنادر، فليس حسين وحده بكفء له وإنما كفؤه جميع اليمن الأعلى.

هذا بالنظر إلى العادات لا خوارقها، فالله تعالى يخرق العادة بالنصر لمن يشاء.

وفي هذه الأيام سابع رمضان والى يوسف صاحب ضوران إلى صاحب المنصورة بالإضطرار، بعد أن كان متصلباً في رسائله وكتبه بأن يجب على الناس الإنكار على دولة محمد بن أحمد بن الحسن. وأنه قد بقي على حسين بن علي، وما زال يستغيث بالغارة فلم يجبه أحد، إلا هو بعث بغارة في آخر أمره وما نفعته؛ لأنها وصلت إلى المخادر وقد انقضى عمل جبلة. وكان في بعض رسائله يدعي التبريز في العلم والكمال، ومرة اتفقت به في سنة حجه[2] أيام زمان أحمد بن الحسن أو صنوه محمد فذكر لي سائلاً في بعض الأحاديث أجبته، ثم قال: الذهب محرم على الرجال والنساء جميعاً، فقلت له: أما الرجال فلا شك وأما النساء فلا لحديث: «هذان محرمان على ذكور أمتي حِلٌ لإناثها»[3]، قال: لكن حديث التسوير من النار قاضٍ بالتحريم وهو يعارض[١٣٨/ أ] هذا، فقلت له: الإجماع على الحل للنساء وحديث السوار حمله العلماء على منع الزكاة منهن، والوعيد لأجل الزكاة، فهذا وجه تمشية الأحاديث المذكورة في هذا الباب.

وقد سلَّم الدعاة جميعاً لصاحب المنصورة، وخلعوا أنفسهم اضطراراً من غير قتال، خشية من الوقوع فيما وقع لصاحب جبلة.

---

(١) اجتحف: جَحَفَ: جَمَعَ كل شيء، وهنا بمعنى استولى على اليمن الأسفل جميعه.

(٢) سنة حجه: أي السنة التي ذهب فيها للحج.

(٣) ورد الحديث في سنن ابن ماجة، باب لبس الحرير والذهب للنساء.

وفي هذه الأيام رأيت كتاباً لصاحب المنصورة يذكر فيه أنه بلغه طلوع حسن بن المتوكل بخزائنه إلى ضوران، وأنه إذا هو يريد الفتنة عرف ذلك، وتوهم أنه سيقاتل أصحابه وأصناه الذين بعثهم إلى ذمار وحسن بن المتوكل قد كان أولاً ربما بنى على هذا. فلما بلغه الحادث مع ابن أخيه حسين بن علي الاستيلاء عليه ترك ما كان أهم به. وحسين بن علي بن المتوكل قد كان صالح وأجاب إلى جناب صاحب المنصورة على يد إسحاق بن المهدي بجبلة، وجعل له بعض تلك الجهة، ثم لما بلغه غارة يوسف رجع عما كان فعله أولاً إلى القتال، فجرى ما جرى. وكتب صاحب المنصورة بخطه في شهر شعبان أنه[١٣٨/ ب] يريد الطلوع والإتفاق بالأصناء والأولاد إلى معبر أو ذمار، فلو كان هذا قبل ما قد جرى من الفتنة الكائنة بجبلة كان ذلك هو الذي أراده القاسم بن المؤيد صاحب شهارة وكافة الأعيان من السادة والقضاة، وأنه لا يقدم ولا يحجم في شيء حتى يكون على اجتماع كلمة، فلم يسعد إليه المذكور، وجزم بالقتال من غير تردد في الأمور، وصده عن تمام الطلوع فتنة يافع. وصدقت التجربة في اختلاع كل سادس من الخلفاء، فكان كل من قام من هؤلاء هو في طبقة السادس من قيام الإمام القاسم، فخلعوا أنفسهم، هذا حسن بن المتوكل وصنوه يوسف وحسين بن محمد صاحب عمران، وحسين بن عبد القادر صاحب كوكبان، خلعوا أنفسهم جميعاً وبقي صاحب المنصورة، وصاحب صعدة أيضاً خلع نفسه وأجاب محمد. وأما صاحب شهارة فإنه بعد وصوله شهارة وما جرى في اليمن الأسفل بجبلة وأيس من الإجتماع بقي على توقفه بشهارة، ولكنه مع ذلك لم ينفذ بلاده الأصلية للضعف معه ومع الناس من هذا الغلا والشدة.

[١٣٩/ أ] وجاء سبب تضاعف أمر صاحب المنصورة بانصرافه إلى مفاتحة المشرق.

وفي شهر رمضان بعث صاحب المنصورة محمد بن المهدي رسلاً إلى رؤساء اليمن الأعلى بأنهم يرسلون من أصحابهم عسكراً لقصد المشرق، وأرسل المقدمات من أصحابه إلى تلك الجهة، فأرسل إلى بلاد أبين ولحج ولده يحيى وإلى الجهة التي يقرب إليها آخرون.

وأما ولده إسماعيل فباقي في قعطبة، فكان ذلك على رؤساء أهل اليمن الأعلى، وعلى من معهم أشق شيء للغلا في الأسعار والشدة، وأنه لا يحملهم إلى تلك الجهة إلا بما لا بد منه مما لا يقدرون عليه، فوعدوه بذلك وعرفوا ضعف رأيه وتثاقلوا. وقالوا إذا كان ولا بد فبعد رفع الثمرة من بعد عيد عرفة، وإلا فالأولى ترك تلك الجهة، وعدم التشاغل بها لعدم المصلحة للمسلمين وللدولة فيها. وكان قد أرسل ولده إبراهيم إلى ذمار، وكذلك إسحاق إلى يريم، فاستقروا فيها وتصرفوا في ولايتها، ولم يبق لإسماعيل بن عبدالله الذي كان ولاه ذمار بحضور إبراهيم تصرف ولا كلام.

وفي نصف رمضان فما بعده إلى نصف شوال تناهى[1] السعر بصنعاء، بلغ القدح البر إلى أربعة عشر حرفاً، والذرة إلى اثني عشر، والشعير إلى ثمانية،و قريب أوائل الثمار، فتهون السعر في شهر القعدة.

وفي هذه الأيام أرجعت المجابي[2] في أسواق صنعاء والأبواب[3] على ما كانت سابقاً، بعد أن كان أزالها المؤيد في زمانه.

وحسن[١٣٩/ ب] بن المتوكل لم يلبث بضوران، بل عاد بسرعة إلى بلاده جهة تهامة واللحية، وكان الموجب لطلوعه كثرة مكاتبات حسين بن علي بن المتوكل بالغارة عليه، فوصل ضوران وقد انقضى الأمر، فعاد راجعاً، وأجاب إلى محمد بن المهدي مضطراً.

وفي حادي عشر شهر رمضان ظهر نجم الذنب وقت السحر بالمشرق، وكان ميله إلى جهة الجنوب يميل إلى المغرب، فالقدرة لله تعالى، وبقي كذلك نحو نصف شهر، ثم غرب من المشرق واضمحل، وهو كما ورد في الأثر علامة الغلا في الأسعار. واتفق عند طلوعه هذا الغلا العظيم، فلله الحكمة في ذلك، ولكن قد فرج الله بصلاح الثمار وكمال حصادها

---

(١) تناهى: أي ارتفع.

(٢) المجابي: المقصود بها جباية أي نوع من الضرائب المقررة، وقد يقال أيضاً: جباية الزكاة.

(٣) الأبواب: هي أبواب صنعاء، حيث كانت صنعاء محاطة بسور وأبواب كثيرة، ولم يبق منها حالياً إلا باب اليمن.

يكون لعيد عرفة بشهر الحجة إن شاء الله تعالى.

وكان الغلا الكبير بصنعاء وبلادها وبلاد القبلة إلى صعدة وبلاد ذمار، فأما المغارب فأهون وكذلك تهامة، لكن لعسرة الطرق إلى صنعاء لا تطلع إليها حبوبها ولا ميرتها[1]، وإلا فإنها في أسفال المغارب بثلاثة حروف ونصف، كل قدح من الذرة إلى أربعة لا زيادة، وأما البر فمعدوم فيها؛ لأنها لا تزرعه والله يهون الأسعار، ويصلح البلاد.

واستقرت الدولة والمملكة لمحمد بن أحمد بن الحسن، وخربت القراديع[2] التي كان نصبها الدعاة، وبقت اليد لواحد، وكان الأمر كما قال الشاعر[3]:

حنانيك بعض الشر أهون من بعض

[١٤٠/أ] وفي شهر رمضان يوم الإثنين آخر يوم فيه توفي الشريف عبد الله الوشلي بمحله شبام كوكبان، كان السيد هو الخطيب بجامع شبام، وكان له معرفة في الفقه، زاهداً يتعلق بالسبب والبيع والشراء في حانوت بسوق شبام رحمه الله. ولما مات المؤيد محمد بن المتوكل ودعى الدعاة من كل مكان اعتذر عن الخطبة وصلاة الجمعة، فعذره صاحب كوكبان، وخطب مكانه القاضي يحيى بن حسن الحيمي، وكان مرضه قدر يومين لا زيادة.

وفي ليلة العيد وصل حسن بن عبد القادر بن الناصر بن عبدالرب من صنعاء وقت العشاء ليلة الثلاثاء، بعد أن كان نزل إلى المنصورة وجعل له بعض ولاية لاعة، فتغير منه صنوه حسين، وقال: ولايته قد سبقت من صاحب المنصورة. وحسن هذا هو الكبير في السن، وكان من وقت موت والدهم بحضرة المؤيد، ثم لما مات دخل صنعاء وسكنها إلى

---

(١) الميرة: جلب الطعام.

(٢) القَرادِيع: عبارة عن معالم تتكون من العديد من الحجارة التي توضع فوق بعضها البعض، ويُسهل إزالتها.

(٣) الشاعر: هو طرفة بن العبد، وقد ورد صدر البيت في الديوان كما يلي:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا

(ديوان طرفة بن العبد، ص ٩٦).

هذا التأريخ، ونزل إلى المنصورة ثم عاد.

وجاء الخبر من حضرموت بأن الغلا في الأسعار والقحط كان أعظم من سائر اليمن، فإنه بلغ السعر عندهم كل قدح يفوق ثلاثين حرفاً، ثم هون الله ذلك، وأقبلت الثمرة فنزل عن ذلك إلى مائة بقشة، ولعله ينزل السعر عند تناهي الصراب في جميع اليمن إن شاء الله.

وفي خامس عشر شهر شوال يوم الجمعة خطب القاسم بن المؤيد بشهارة لمحمد بن المهدي صاحب المنصورة، ولم يبق معارض لمحمد بن المهدي أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم، وتلقب بالناصر. وسبب موالاة القاسم صاحب شهارة بذله له بالتولية له في[١٤٠/ ب] جهة القبلة، مما كان إلى حسين بن محمد بن أحمد أبو طالب وبلاد عفار، وجعل له ربع المخا وغير ذلك، فانخرط في الإجابة. وكان قد بعث والياً إلى الشحر يقال له: الفقيه أحمد القهادي، فوصل إليه، فأخرجه صاحب حضرموت والشحر علي بن بدر، وقال: البلاد بلادنا، وزلجه بالمصروف طريق الجوف، فخرج وعاد خائباً مما ولاه، ولم يحصل له ما كان يهواه، إلا أنه خطب للناصر وأرسل له بهدية قدر أربع من الخيل.

وقوّى رؤوسهم خلاف يافع هذه المرة، وإلا فهم أقرب للإنقياد للدولة، ليسوا كيافع.

والمشرق قد تغلق بابه من مدة والده، فتوليته لا تحصل إلا بعمل آخر، والوقت لا يحتمل، فإنه كان عليه أولاً أن يقرر أمور اليمن الذي بين يديه، ثم إذا تمكن من بعد واجتمعت الكلمة معه وإليه كان على صفة أخرى. وهذا الوقت لما فاتح بلاد يافع خرج منهم طائفة إلى أطراف بلاد الشعيب يريدون حفظ أطراف بلادهم والتقدم إلى غزو قعطبة إن أمكنهم، فأمر بالزيادات إلى قعطبة.

ووصل في العشر الآخرة من شهر شوال إلى صنعاء حسين بن علي بن المتوكل الذي كان بجبلة، بعد أن فسح له من المنصورة إلى بيته ببلاد صنعاء والروضة، وهو فريداً ليس

معه إلا من يخدمه. ودخل معه أيضاً زيد بن المتوكل إلى صنعاء من حضرة صاحب المنصورة، وكان حال دخولهم وحسين بن المتوكل قد خرج عن صنعاء قبلهم بيومين إلى جهة بلاد زراجة طريق ذمار، قيل: لحديث بينه وبين إبراهيم بن أحمد بن الحسن، وترك أكثر أصحابه بصنعاء. وكان دخول زيد إليها في غفلته.

[١٤١/ أ] وفي هذه المدة حكى لنا بعض أهل المدينة المباركة أنهم وجدوا داخل القبة رجلاً دريوشاً[١]، فسأله الطواشية[٢]، فأخفى نفسه، وما زال يدخل ويخرج والأبواب مغلقة، فقال بعضهم: لعله ولي، وبعضهم لعله ساحر، ولم يقدروا لدفعه.

وفي آخر شوال بيوم السبت سادس وعشرين سار محسن بن المهدي من الغراس إجابة لصنوه لما طلبه الغارة إلى بلاد قعطبة، فخرج بمن حضر معه وعزمه وقد كان بلغ الخبر أنه اتفق بين يافع وبين إسماعيل بن الناصر محمد بن المهدي وقعة بقعطبة، وذلك أن يافع قصدت قعطبة فثبت لهم إسماعيل ومن معه في البيوت ورموهم بالبنادق، وطالت المحاصرة قدر اثني عشر يوماً والحرب عمال، فراح منهم كثير ولم يفت من أصحاب إسماعيل إلا نحو عشرة لتحصنهم في البيوت. وكان وصول عبد الله من جبلة غارة، فوصل إلى مسخيره[٣] ولم يتمكن من النفوذ لكثرة يافع وإحاطتهم بقعطبة، ثم لما كان ذلك وقع المصالحة على أن كلاً منهم يرتفع عن قعطبة، فخرج إسماعيل إلى عند صنوه عبد الله، ويافع ارتفعت إلى بلادهم، وسكنوا منهم طائفة في أطراف بلادهم. ثم إن يافع لما رأوا قعطبة فرغت عن العسكر، قصدوا تلك البيوت التي وقع الحرب منها فأضربوا بعضها. ثم حصل من يافع المغزى على يحيى بن الناصر[٤] وهو بلحج، فوقع الحرب

(١) كذا في الأصل، لعل صوابها: درويشاً.

(٢) الطواشية: الطواشي: لقب عام للخصيان من الغلمان. (د. حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ، ص ٣٨٢).

(٣) لم نعثر على اسم هذه المنطقة، ورسمناها كما وردت.

(٤) الناصر: هو محمد بن أحمد بن الحسن (صاحب المنصورة) وهذه المرة الأولى التي أطلق فيها المؤلف عليه بالناصر.

وثبت لهم وقتل منهم الكثير نحو ما وقع في قعطبة. فلما وقعت هذه الحوادث كرس الناصر الكتب إلى البلاد العليا بالمدد، فسار من صاحب ثلا القاسم بن المتوكل نحو أربعمائة ومن صاحب كوكبان مثلهم ومن صاحب البستان، وكان عزمهم في عشرين من شهر القعدة.

وتجرم صاحب المنصورة من حسين بن المتوكل صاحب صنعاء، وقال: إنه أرسل بدراهم إلى يافع، فأشار عليه السيد الحسن بن المطهر الجرموزي صاحب المخا وكان عنده أنه لا ينبغي هذا الوقت إلا الإحتمال، وأنه ربما ذهب[١٤١/ ب] عليه بعض بلاده، فما ينبغي إلا التسكين والإجتماع ليكون الأمر واحداً، مع أن حسين قد أجاب الناصر من جملة غيره، إلا أنه يريد الهَنْجَمَة لأجل ما نقص عليه من بلاده، والله يصلح أحوال المسلمين كافة.

وسار حجاج تهامة بغير أمير، وقال الناصر: في حسن بن المتوكل كفاية في تزليجه للحاج إلى حلي على ما كان في الزمان الأول، قبل دولة المتوكل، وفي أول دولته، فإن العهدة كانت على صاحب جازان في تزليج الحاج إلى حلي.

وفي آخر القعدة كان الصراب للزرائع، فتهونت الأسعار، بلغ القدح البر إلى خمسة حروف، والذرة إلى مائة بقشة، وكذلك الشعير، وما زال السعر ينزل، فتراجع الناس بعدما لحقهم من الشدة الطويلة، فلله الحمد والمنة، وهذا مع كبر القدح، وصغر البقش في الضربة، فيكون على حساب الدولة الأولة دولة محمد بن القاسم نصف قدح والدراهم زائدة النصف يصح السعر بعشرين بقشة.

ولما لم يجهز أمير حاج مع حجاج طريق تهامة وصل الحجاج إلى أبي عريش وصبيا، ثم إنه ترجح لهم العود فعادوا، وأما حجاج السراة من بني عضيَّة فساروا على عادتهم، وكذلك سار من جاء طريق البحر. وحسن بن المتوكل ما تم منه تزليج عسكر إلى حلي، وقال: العادة الأولة قد تغيرت، وتلك الجهة قد دخلت في أطراف بلاد أحمد بن زيد،

فالأولى الترك مع ما قد تجدد في زمان المتوكل من انقلاب العادة الأولة.

وجاء خبر بأن بعض المراكب لما رجعوا من المخا ووصلوا إلى البحر صادفهم الفرنج فنهبوهم[١٤٢/ أ] أموالهم، ولا قوة إلا بالله.

وفي هذه الأيام شهر الحجة، أول العشر دخل عبد الله وغيره من أجناد الناصر إلى بلاد قعطبة، ثم إن يافع تحركت وتكاتبت واجتمعت، وتواعدوا لقصدهم إليها. ولما تشاغل الناصر هنالك بالمشرق هان الأمر على المعارضين، وتثاقلوا عن الإمداد مع ضعف المواد معهم، وحملوا السهل وربما ظهر من يوسف صاحب ضوران أنه باق على دعوته، وكذلك صاحب صعدة، وظهر ميل إبراهيم بن المهدي عن صنوه وأظهر التجرم منه بتخلفه عليه في الذي كان وضعه له من البلاد، ولم يخرج من ذمار. وأما إسحاق فخرج من يريم إلى العثارب وصار يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، وطلب الناصر ولده إسماعيل إلى عنده.

وفي ثالث عيد عرفة المباركة وصلت كتب من الشريف أحمد بن زيد صاحب مكة المشرفة مضمونها أنه وصل كتاب من سلطان الإسلام يذكر فيه أنه وصل إليه كتب من الشيخ معوضة بن محمد بن معوضة العفيف[1] وغيره من مشائخ يافع يذكرون فيها أن المؤيد باليمن وأقاربه قد ضعفت دولتهم. وأنه حصل بينهم وبينه حروب وهزموهم المرة بعد المرة واستولوا على ما يليهم من بلادهم، وأن السلطان يبعث طائفة من قبله إلى اليمن وهم عون لهم عليهم، وأن الشريف يبعث بطائفة من قبله إلى اليمن،[١٤٢/ ب] وأنه يتحقق أمور اليمن، فإن كان على ما قالت يافع فلا بأس، والله أعلم ما يخرج بعده. وكان في علم الله ترك الصَّر هذه السنة إلى مكة، فربما يتقوى عند الشريف صحة الخبر بالركة. وكان وصول الكتب إلى حضرة السلطان في شهر ربيع من هذه السنة، والله أعلم.

وجاء خبر أن صاحب المنصورة الناصر صالح يافع لما رأى أن النهضة تحتاج إلى قوة

(١) معوضة العفيف: سبق ذكره.

والعسكر الذين قد كان اجتمعوا مع إخوته تفرق بعضهم ولم يصل إلى قعطبة إلا البعض نحو خمسة عشر مائة مع عبد الله ومحسن، وتفالت منهم كثير حال عزمهم من ذمار، وضاعوا واختلف عليه إخوته لا سيما إبراهيم، فإنه بذمار متغير الخاطر، وصنوه إسحاق لما تخلف عليهم فيما كان وضع لهم، وتثاقل من طلبه من أولاد المتوكل وعدم سرعة نفوذهم مع هذه الأخبار أيضاً من مكة أحمد بن زيد. ولما ذكر له من أجل كثرة رجوعه في أوضاعه وولايته المرة بعد المرة وأن فتح يافع لا مصلحة فيه، فكان جوابه مغالطة، فقال: إن ولايته وعطاه إنما هو لمن ناصحه وأجابه ووصل للقتال والمراكزة ليافع، فأما من لم يكن كذلك فلا حظ له في ولاية ولا غيرها، وأن رجوعه فيما رجع لأجل ذلك وبذل العطاء لمشائخ الحجرية وأسقط عنهم بعض المطالب قصداً لتأليفهم ومعونتهم.

ووصل خبر نصف شهر الحجة أن محمد بن أحمد بن الحسن الناصر ترجح له مصالحة المشرق، كما سبق ذكره. ولما بلغه تثاقل من طلب من البلاد العليا وميل صنوه إبراهيم أمر ولده إسماعيل بالعزم ومعه من قوم الحجرية بتنفيذ الأوامر[١٤٣/ أ] في البلاد العليا. وكتب إلى صنوه الحمزة بالغرا س أنه يدخل صنعاء لتنفيذ الأوامر فيها، فجمع مشائخ بني الحارث، فامتنعوا عن الدخول، وقالوا نحصل من القبائل ما تحصل ولكن على وجه آخر، فأصابوا. وكان حسين بن المتوكل قد رتب القصر وغيره تلك الليلة، وأرسل يومئذٍ الشيخ ابن مذيور الحيمي إلى الحيمة بولايتها ومنع مطالبها أن لا تصير إلى حسين بن المتوكل. وحسين بن المتوكل أرسل الفقيه أحمد بن جميل إليها. وكان حسين بن المتوكل قبل العيد بأول الشهر قد أرسل ابن أخيه حسين بن علي بن المتوكل إلى عتمة، فوصل إلى هنالك، ثم رجع إلى ضوران ولم يتم له الدخول إليها؛ لأنها بلاد حسين بن حسن، وهو مأمور من أخيه الحسين بالتقدم إلى إجابة الناصر صاحب المنصورة، وجمع عسكراً من عتمة، هذا في الظاهر. وإسماعيل خرج من المنصورة متوجهاً حيث كان أمره والده حتى

وصل الدمنة. وخرج زيد بن المتوكل من صنعاء آخر نهار الأربعاء سادس وعشرين شهر الحجة، قيل: إلى الجهة التي كان جعلها له الناصر بلاد كُسْمِة في ريمة، لما بلغه أن الناصر يريد توليتها وقبضها.

وفي ليلة الأحد أول يوم لسنة ثمان وتسعين وألف[1] مات القاضي العارف محمد بن علي العنسي ثم العياني ثم الصنعاني[١٤٣/ ب] بداره غربي صنعاء ببير العزب.

كان المذكور عارفاً بعلوم العربية وأصول الفقه، مدرساً فيهما. وله أيضاً في علم الفقه على مذهب الهدوية آخر مدته، واشتغل بالفقه من بعد مدرساً أيضاً فيه ويتولى القضاء في بعض الحالات بولاية المتوكل على الله ومن بعده كذلك أشرف على نيابة القضاء لكن من غير انبساط كثير، فقد يعتذر من البعض، وقد يتولى القضا للبعض على حسب المقتضى. وكان لا يترك التدريس مستمراً في المسجد الذي بالبستان[2] بباب السبحة، ومن حضر إلى هنالك للفتوى أفتاه، هذا ما كان عليه مدته مقرراً للقواعد فيما درسه من النحو والأصول والفقه، لم يقبل على شيء غير ذلك من المطالعات، والتوسع في المصنفات. وكان قراءته في النحو على القاضي محمد النهمي، وعلى الفقيه عبد الرحمن الحيمي، وعلى الفقيه أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وفي الفقه شرح البحر[3] على السيد أحمد بن علي الشامي. وقبر بخزيمة غربي صنعاء، رحمه الله تعالى.

وكتب صاحب المنصورة إلى صاحب كوكبان برد الولاية له ورد العمل عليه، ولا يكون لحسن صنوه عمل، وأنه يتقدم إلى حدة لمحاصرة حسين بن المتوكل بصنعاء، وكان أراد ذلك حين وصله خبر مخالفة ولده عبد الله.

---

(١) ١٠٩٨هـ= ١٦٨٦م.

(٢) مسجد البستان: عُرف فيما بعد بمسجد حَجَر، في باب السبحة وهو من أبواب صنعاء في الجهة الغربية منها، وهذا المسجد عمره الحسين بن القاسم، والد المؤلف، ثم زاد فيه ووسعه ابنه محمد بن الحسين، الذي قبر بجواره. (الحجري: مساجد صنعاء، ص ٤٣-٤٤).

(٣) هو البحر الزخار، سبق ذكره.

ودخلت سنة ثمان وتسعين وألف[1]

استهلت بالأحد، وجاء التحقيق أن يوسف بن المتوكل يريد الرجوع عن الموالاة بعد أن كان والى الناصر صاحب المنصورة، وسبب ذلك أن يافع كاتبت إليه. وكان قد استنكر على الناصر التخلفات في أموره والمناقضات فقال: هذا لا يركن عليه في شيء من الأمور، وأن يافع كاتبت بأنهم مطيعون ومُسَلِّمون فلم يقبل منهم الناصر.

[١٤٤/أ] وعلي بن أحمد صاحب صعدة جاء خبره أنه يريد مثل ذلك أظهر دعوته أيضاً، ورجع عن موالاته للناصر، وكاتب إلى قاسم صاحب شهارة بالإتفاق على المشاورة، وأن سبب ذلك اضطراب أمور الناصر وتناقض أعماله، كما قدح به يوسف.

والناصر صار مشتغلاً بمفاتحة يافع، وكان هذه المدة منه مجرد حفظ أطراف البلاد بالرتب لا غير ذلك، وصار يكاتب إلى البلاد العليا بالإمداد، ولم يحصل له المراد، بل يواعدونه المواعيد مع كثرة الترداد، ولم يظهروا إلى الآن التحول. ويافع تضرروا بالمحاصرة وعدم دخولهم إلى البلاد للأسباب[2]. ومنعهم من دخول عدن، وأجاب الناصر على يافع أنه لا يقبل منهم إلا من وصل مواجهاً إلى بين يديه.

وفي هذه المدة لما كثرت الضرائب للدراهم وصغرت السكة بلغ صرف القرش إلى اثني عشر حرفاً ونصف وإلى ثلاثة عشر حرفاً وإلى أربعة عشر وخمسة عشر، ثم ما زال يزداد الصرف إلى أن بلغ إلى خمسة وعشرين حرفاً، فحصل مع التجار تضرر من جهة ما باعوه، والصرف كان بعشرة وبتسعة وثمانية، وكان فيه مهلة في المُخْلَص[3]، فانتقص البائع والمشتري، فالمشتري باع البضاعة المشتراه بربحها بعددي على أصل صرف القرش الأول، مثلاً بحرف في العشرة الحروف، وكان المقضى على أصل صرف[١٤٤/ ب] القرش، مثلاً

(١) ١محرم ١٠٩٨هـ= ١٦نوفمبر ١٦٨٦م.

(٢) الأسباب: العمل والكسب، والسبب: كل ما يتوصل به إلى الرزق. وقد سبق ذكره.

(٣) المُخْلَص: تعني الفضة.

بثلاثة عشر حرفاً، فخسر المشتري حينئذٍ حرفين اثنين. والبائع حيث قبض عشرة حروف يوم باع أو تسعة من العددي صرف القرش تأريخ البيع، وأراد أن يصطرف القرش للموسم الآخر انتقص ثلاثة حروف فتحصل الخسارة عليهم من الجانبين وربح آخرون، وهو من كان في يده القروش وصرفها عند ارتفاع الصرف قدر حاجته في مصاريفه. ومما كان بيعه بالقرش مثل تجار الهند إلى بلادهم، وأهل البُن لأن بيعهم بالقرش، ومن باع بالقرش من التجار وقبضه حال البيع أو أمهل فيه ولم يقبض العددي فهؤلاء[1] لا ينقص عليهم، لكن هم القليل؛ لأن القبض والبيع أكثره بالعددي فلا يحصل العدل إلا لو كانت الضربة بالميزان للدراهم لا يزيد ولا ينقص كما توزن القروش، فهذا لا يحصل للجميع الخسران، وتكون الضربة واحدة مستقرة إما صغيرة أو كبيرة.

وفي هذه الأيام أول شهر محرم الحرام تم حصاد الثمار، وكان أكثر ذلك الذرة، فتهونت الأسعار، واستقر السعر للقدح الذرة مائة بقشة على كبر القدح وصغر الدراهم، فكان على الزمان الأول نصف قدح، والبقشة على النصف زيادة على هذا يأتي بالقدح الأول، والدرهم الأول كل قدح بعشرين، فللّه الحمد.

[١٤٥/أ] وصاروا يضربون مع القروش كل بقشة كبيرة من الأولة، والضرائب بلغت إلى نحو أربعة عشر ضربة: في صنعاء ضربتين، وفي الغراس واحدة، وفي كوكبان وفي عمران ، وفي ذمار، وفي يريم، وفي رداع، وفي المنصورة، ومع زيد بن المتوكل في بلاد ريمة، وفي اللحية. وصار قبال كل ضربة للدولة في كل يوم قدر ثمانمائة حرف وألف حرف، وأحقرها كل يوم خمسمائة حرف للدولة غير الملاحيق والآخر للضرابين محصول كبير معهم في ذلك. وصار القروش يأتي بها التجار والبانيان يضرب لهم عند المتقبل لدار الضرب مع ما يحصل معها من القروش من الدولة. وأكثر من صار يبدل القروش ويجعلها بيع وشراء البانيان. والسبب في ذلك أنهم صاروا يضربون البقشة أولاً نحاساً

(١) وردت في الأصل: فهلا.

ويغطسونها بالفضة غطساً من أعلا الدارس[1] يدخل البقشة نحو السدس فضة فقط، ومتى استعملت البقشة ظهر داخلها نحاساً على حاله؛ لأنها إنما تحلى بالفضة، فالقرش يخرج منها في التحقيق بخمسين حرفاً.

وأهل الحيمة لما رأوا الإشتجار حاصل في بلادهم، وإرسال حسين بن المتوكل ابن أخيه إبراهيم بن المؤيد بعسكر ما وسعهم إلا التسليم إلى حسين بن المتوكل.

ووصل أمر للشيخ ابن خليل بأنه يسوق محصول بلاد همدان من الطعام إلى مخزان صنعاء، فبلغ صنوه محسن وهو في بلاد العثارب، فقال: هذا محال، فإن البلاد بلاده، ولا يساق إلا على جاري العادة إلى الغراس. وكتب إلى صنوه الحمزة أنه يمنع ابن خليل عن ذلك، فمنعه، وقد كان أهم محسن بالطلوع لولا بعض العقال، قال: لا يصلح له، وصار مع هذا الارتباش إخوته يغيروا على الناصر الذين هم محسن وإبراهيم مع أولاد المتوكل وغيرهم، فمنعوا جميعاً على كل أمر يأتي مخالف لجاري عادتهم.

وإسماعيل طلع إلى جبلة وسكن بها لما بلغه سكون حسين بن علي[١٤٥/ ب] في عتمة ثم نزول زيد[2] إلى ريمة، وصده ذلك عن الطلوع، حيث كان أمر أولاً إلى اليمن الأعلى لأن إبراهيم في ذمار في نفسه من جهة ما تغير عليه، ويخشى حيث طلع من جانب حسين بن علي من عتمة، وزيد بن المتوكل لا يدخلون جبلة، فصار صاحب المنصورة الناصر في حيرة من جانب عيال المتوكل ومن جانب صنوه إبراهيم ومن جانب يافع، فاستقر كل مكانه، والله يصلح أحوال المسلمين.

وفي ليلة رابع عشر محرم خسفت القمر في برج الجوزاء وجاء الحجاج من بني عضيَّة الذين طريقهم السراة، فأخبروا بعموم صلاح الثمار اتصلت من اليمن إلى الشام، وأن

---

(١) دارس: متخدد أي يَغْمُض أحياناً فلا يُرى، ويروى متجدد، بالجيم: أي ما ظهر منه جديداً، وما لم يظهر دارس. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص ٩٦٩).

(٢) هو زيد بن الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم.

الكيلة بمكة ستة كبار، وأن الشريف أحمد بن زيد كان بالحجاز بعد أن دخل بلاد نجد كما سبق عاد خرج بنفسه إلى بلاد عنزة؛ لأجل تعديهم في الطريق، فأمنها وانتهب عليهم كثيراً من مواشيهم، وأدخلها مكة، وقبض على جماعة من مشائخ تلك الجهة إلى مكة. وكان دخوله قبيل الموسم، وأن حاج اليماني ضعيف إلى العام لم يحج إلا بنو عضيَّة الذين جاؤا السراة وهم قليل. والشامي كان حجه قوياً زائداً على العادة، أميرهم الباشا صالح في قوة خيل فوق ألف عنان، وبضائع الشام كثيرة، ولم يكن لها طالب من اليمن لعدم دخول التجار هذا العام. وحاج المصري كان دون العادة؛ لأنه حصل بمصر ما حصل من الموت والطاعون، نعوذ بالله منه، فهلك كثير بمصر، بحيث غلقت بعض بيوته، فالقدرة لله سبحانه، والخيرات شاملة ورخص الأسعار ورخص البضائع.

[١٤٦/أ] وجاء الخبر أن علي بن أحمد خطب بصعدة لنفسه، وخلع صاحب المنصورة، وكذلك يوسف صاحب ضوران حذف خطبة الناصر صاحب المنصورة، وصاحب صنعاء حسين بن المتوكل بنى على مثل ذلك، فتغير الناس من هذا الأمر، لا يكون سبب الفتنة ورد الأمر الأول الذي كان استقر وسكن بعض السكون جذعة. وأما قاسم صاحب شهارة، فأجاب على علي بن أحمد صاحب صعدة بعدم الإتفاق، وأنه لا يثق بأحد على الإطلاق.

ووصل رسول من حسين بن عبد القادر بأن الولاية له، وأن صنوه حسن معزول عن المشاركة، وأنه ينزل من كوكبان إلى حدة لمحاصرة حسين بن المتوكل، فكان أهم بذلك، ثم بلغه خلاف ولده عبد الله وصنوه إسحاق على الناصر، فترك ذلك وسكن. وسبب هذا الأمر اضطراب أوامر صاحب المنصورة وتناقضها، بحيث لم يبرم أمراً من الأمور، بل يناقضه من عزل وتولية، ثم له فزَّات[1] كثيرة للرؤساء والسادة، والتوعدات المتواترة على

---

(١) فزات: أي أنه كان يَسْتَخِّف بالرؤساء والسادة وقد ورد لدى ابن منظور أن يَسْتَفِزُّونك: أي يَسْتَخِفُّونك. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص ١٠٩٣).

أشياء غير موجبة، ووضع الزناجير في الرقاب والمعاقبات المجلدة، والتشديدات الغليظة، فنفرت نفوس كثيرٌ من الأعيان والرؤساء والقادات الكبار من المشائخ والنقباء والعقال، ولم تصبر على حاله إلا القليل لما يبذله من المال والبرطيل[1]، وهم على حذر منه في الأفاعيل، لكن غلبهم حب المال، مع أن بذله ليس بعام، بل لمن شاء واختار. ومنهم من يصل إليه من الوافدين والمساكين فلا يصلهم بشيء، ومنهم من يحول له على الولاة فلا يجدي خطه في شيء.[١٤٦/ ب] وحرك هذه الأيام صاحب المخا السيد حسن بن مطهر الجرموزي وصادره فيما عنده وتوعده وتهدده وحبسه وطلب العذر فلم يعذره، وبذل له عشرة آلاف قرش حسبما طلبه فلم يقبله. ولما ظهر ليوسف هذه الأحوال وهو بضوران استنكره منه، وكثر الشكا عليه. وكان قد كتب إليه أهل يافع أنهم منقادون لما يجب من الشريعة وأنهم مُسَلِّمون للواجبات، حافظون للطرقات، فما الوجه لغزوهم من صاحب المنصورة، فوقع هذا عند يوسف وبعث برسالة إلى القضاة وإلى إخوته، وقال: هذا لا يجوز لصاحب المنصورة فعله، فأجابوا عليه بأن ذلك كما قال، وإنما غلب هذا الرجل للأمر المحال، وتكليف الناس ما لا يطاق ولا يكاد ينال. ووافق هذا أيضاً بعض أولاده وإخوته الذين هم: عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن، وعمه إسحاق بن أحمد بن الحسن، وعبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن، وعلي بن حسين بن أحمد بن الحسن مع ما جرى أيضاً من التوعد لهم من صنوهم والمناقضات في الولايات. وكان من المقدور أن عبد الله ولده تراخى عليه سبار العسكر الذين عنده بقعطبة فكاتب والده بحاجة الناس إلى المصروف. وأن منهم[١٤٧/ أ] من قد هرب من حضرته، فلما وصل الرسول إليه تهدده، وقال: المصروف قد صرنا في جمعه، ولكن عبد الله لا بد من مؤاخذته، وسأصنع به وأصنع، وأفعل من النكال ما يراه أفظع، وهذا الزنجير الكبير -وأشار إليه- قد أهبته له، وأنت -

---

(١) البرطيل: الرشوة،

يشير إلى الرسول- لك الزنجير الصغير. فلما بلغ ولده عبد الله هذا الكلام، وما هو بان عليه من النكال والخصام، مع ما قد رأوه مما جرى مع صنوهم حسن[1] من الحبس الطويل قال: هذا من تكليف ما لا يطاق، وكيف وهو يريد استفتاح جبال يافع، فما مراده إلا إلقاؤهم إلى التهلكة، مع عدم الرعاية والوفاء. وزاد اتفق أنه جهز ولده إسماعيل إلى جبلة وجعل أمرها إليه، وعبد الله هو الذي فتحها واستولى عليها، فقال لسان حاله وإسراره: أصبح قيامه معه لا دين ولا دنيا، وأظهر الندم والاستغفار عما وقع منه في جبلة وما جرى. وكاتب يوسف وقال هو الأولى بالاتباع، وأجابه. وكذلك إسحاق وعبد الله بن يحيى، وعلي بن حسين، وأما إبراهيم بن أحمد بن حسن فهو قد باينه من قبلهم، فاجتمعوا على هذا، وارتفع عبد الله من قعطبة إلى إب. فلما وصلت كتبهم إلى يوسف أظهر الدعوة، وكاتب إلى صنوه الحسين بن المتوكل صاحب صنعاء وجزموا بالخلع للمذكور، فخلعوه وخطبوا ليوسف بصنعاء وذمار وضوران وإب. وجاءت كتب يافع بالإجابة ليوسف، فكان هو[2] السادس من الإمام القاسم، وكل سادس مخلوع في الغالب. ووافقهم يحيى بن محمد بن الحسين أيضاً. واختلف أهل صنعاء فيما بينهم وتخوفوا من جانب صاحب المنصورة، وقالوا: لا يحصل عليهم منه انتصار، فيحصل ما يحصل من الخلل، وقد يحصل من أولاده وإخوته انتقاض فيما فعلوه من الإجابة ليوسف، فصاروا في حالة عجيبة. وقد كان شد أهل جبلة بحللهم من جبلة خشية لا يقع فيها مثل العملة الأولة، وكذلك بعض أهل ذمار رحلوا عنها، فعند أن بلغه هذا الحادث بقي في حالة عجيبة وتغير مزاجه وتحدث بالخروج من المنصورة، وجعل للعسكر الذين عنده زيادات في الجوامك ومن دخل معهم، وصار المذكور يقدم رجلاً ويؤخر أخرى خشية من

---

(١) لم نعثر على ذكر الحسن بن محمد بن أحمد بن الحسن فيما بين أيدينا من مصادر.

(٢) الضمير عائد على الناصر محمد بن أحمد بن الحسين.

خلاف يافع وابن شعفل وأطراف الحجرية. وعند ذلك أرسل ولداً له صغيراً يسمى محسن[1] بجماعة إلى ذي أشرق، وهو في ولاية صنوه إسحاق، فتلقاه بالحرب والمنع عن دخول بلاده، فوقعت الهزيمة في أصحاب الناصر وانتهبوا السلاح وأسروا جماعة ومن جملتهم ولده محسن، ثم أرجع محسن إلى عند والده. فأطبقت البلاد إلى تعز [١٤٨/أ] ليوسف، وازدادت الحيرة مع الناصر في منصورته، وعند ذلك تابع حسين بن المتوكل الإمداد بالعسكر إلى ذمار وإلى عند عبد الله بن الناصر وإسحاق، فتقوَّت أيديهم. وكان قد أرسل الناصر والياً إلى حراز ووالياً إلى الحيمة، فمنع عن ذلك حسين بن المتوكل وجهز جماعة عسكر، فأخرجوهم عنها. ولما حدث هذا الأمر كان حسين بن حسن ومحسن بن أحمد بن الحسن باقين على إجابة صاحب المنصورة. بعثوا بطائفة من عسكرهم إلى بعدان[2]، فخرج عليهم عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن فاحتربوا فيه وهزموهم وقتلوا منهم واستولوا عليهم. وكان من جملة القتلى ولد مسمار من أصحاب حسين بن حسن، ثم إن حسين بن حسن عوض بطائفة من عسكره رئيسهم ولده قاسم بن حسين، فوصلوا إلى إرياب ما بين بعدان وسمارة ويريم وسكنوا فيها، لَمَّا لم يجدوا مدخلاً إلى بعدان، فتلقاهم في إرياب علي بن حسين بن أحمد بن الحسن، وعبد الله بن يحيى وعبد الله بن الناصر ووقع الحرب الشديد، فاستولوا عليهم أجمع وأسروهم وقتلوا منهم وانتهبوا جميع محطتهم، وقبضوا ولد حسين بن حسن القاسم بن حسين[3]، وعند هذا ذكر رجل مجنون: هذا صاحب المنصورة قد كان سبرت[4] له، لكنه ما أحسن لنفسه. [١٤٨/ب].

---

(١) محسن بن محمد بن أحمد بن الحسن: يذكر ابن عامر بأنه الثاني عشر من أبناء الناصر، وكان رجلاً جليلاً. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٢٧٥).

(٢) بَعْدَان: مخلاف مشهور من بلاد إبَّ، متصل بمدينة إبّ من ناحية الشرق. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص٤٥-٤٦).

(٣) القاسم بن الحسين بن الحسن بن القاسم، ذكر ابن عامر بأنه ثالث أبناء الحسين. ولم يزد شيئاً آخر. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق٣١٧).

(٤) سَبَرَتْ له: أي صلحت له كل الأمور.

والحمزة بن أحمد بن الحسن صاحب الغراس كرر الطلب لقبائل بني الحارث وهمدان على أنه يدخل بهم صنعاء، فمنعوا أنفسهم وقالوا: ما ندخل، ويحصل بسبب قبائلنا فيها الظلم للمسلمين، ولا ندخل بينكم أيضاً إلا من استقر عليه أحد واتفق الناس عليه من السادة والقضاة والعقال، فنحن مع الجماعة، فأصابوا وأحسنوا وما قصروا ووافقوا الشرع الشريف.

وفي هذه الأيام ظهر حيوان منكر قال الناس: إنه السبسب، فيه ضراوة فضر كثيراً من الناس، وأكلهم في النهار والليل من صدفه منفرداً، إلا أن يكونوا جماعة، في بني مطر وضوران وسنحان وقاع صنعاء، وقد قتل منها بنو مطر وسنحان اثنين، وفي طريق الغراس قتل واحد منها وبقي واحد منها في شعوب يدور أكل صعباً بشعوب، وآخر بقاع صنعاء العدني، وظهر في بلاد حضور.

قال من رآه من الناس: وصفته أنه عريض الصدر، عريض الجبهة، دقيق الخرطوم، له أنياب ظاهرة، عريض الذنب، مسلوب من مؤخره، وكبره ما بين الضبع والكلب، إلا أنه أطول منها. وصار يثب لمن ظفر به إلى النحر ولا يأكل إلا بني آدم سلطه فالله يدفع ضرره وخوف كثيراً من الناس، وأكلت جماعة من الناس. وقد خرج هذا الحيوان في مدة محمد باشا في سنحان، وقتلوه تلك المدة، ثم لم يظهر إلى هذا التأريخ[1].

وفي ليلة سابع شهر صفر وقت العشاء خَرَّ[2] نجم من المغرب إلى المشرق، فسمع له حركة من شدة خريرة، سمعه كل الجهات، ورأوه كل يقول هو في جهته.

---

(١) كتب في الحاشية بخط مختلف عن خط المؤلف ما يلي: [وقد اتفق مثل هذا في سنة اثنتي عش ومائة وألف أو نحو ذلك، وهلك جماعة في حضور وبلاد همدان وبلاد سنحان وعلمان وغير ذلك، وأخاف الناس، لا سيما الأطفال، وقد ذكره في حياة الحيوان بالزبزب، من حرف الزاي، وذكر ظهوره ببغداد وظهوره على أسطحتهم واهتمامهم به، وتحارسهم، وضربهم الطسوت ونحوها لإفزاعه].

(٢) خَرَّ: الخرير هو الجريان بسرعة، وخَرَّ بمعنى سقط. (مرتضى الزوبيدي: تاج تالعروس، مج٣، ص ١٧٢).

وفي نصف شهر صفر وصل الزوار من المدينة المشرفة فأخبروا أن حال دخولهم مكة جهز الشريف أحمد بن زيد ولده بعسكر كثير وخيل طريق تهامة التي إلى جهة القنفذة وحلى، ولا يعلموا أين قصدهم[١٤٩/ أ].

وفي العشر الأخرى من صفر وصل الخبر أنه اتفق حرب في الجند ما بين إسحاق بن المهدي وحسن ولد صاحب المنصورة وصنوه محسن الذي كان أسره إسحاق، ثم أرجعه عند والده في الحرب الأول. وكان هذا الحرب الآخر في الجند، فانكشف عن قتل كثير من الجانبين، ثم كاد أن يغلب إسحاق ومن معه، فجاءت الغارة من حسين بن علي بن المتوكل ومن عبد الله بن محمد بن الحسن، فوقعت الهزيمة في أصحاب صاحب المنصورة، واستولوا على المحطة وأسروا الحسن وصنوه محسن مرة ثانية. وحضر أيضاً في الحرب علي بن حسين بن أحمد بن الحسن في جانب يوسف، ثم رجع كل إلى مكانه، وعند ذلك أذعن إسماعيل بن محمد بن أحمد بن الحسن بالمواجهة وهو في جبلة، لما رأى أن قد صار في حكم المحتاز في جبلة من جميع الجوانب من أعلى ومن أسفل إلى يد صنوه عبدالله، وشرط رجوعه إلى والده.

ووصلت كتب حسين بن حسن إلى يوسف بأنه يلتقي هو وإياه إلى بعض الطريق، ولعل يوسف لا يساعد، لئلا تكون خديعة. ومحسن بن المهدي كتب إلى يوسف أنه مجيب له بشرط ولاية حراز، فولاه حراز، وقال: يسكن برداع حتى يتم المشروط. وأرسل السيد صالح حيدرة لولاية حراز الذي رجع متسابقاً، فلما وصل إلى صنعاء وكان حسين بن المتوكل قد ضمن ليحيى بن محمد بأنه تكون حراز إليه، ويحيى بن محمد اضطرب عليه الحال، وقال يريد العزم إلى حراز ليحفظه، وكان إبراهيم بن المؤيد أيضاً قد دخل أطراف حراز فكتب حسين بن المتوكل إلى إبراهيم أنه يخرج من حراز ويهب له ولاية ثلث الحيمة، وسار يحيى بن محمد إلى حراز. وقال: إنه إذا دخله حفظه من جانب حسن بن المتوكل لا يستولي عليه، وقيل: إن حسن بن المتوكل يريد القصد إلى ملحان أيضاً، وهو في ولاية يحيى بن محمد.

[١٤٩/ ب] وعلى الجملة إن الأمور في اضطراب، وقتال على الملك بلا شك، فالله يدافع بدفاعه ويسكِّن ثائرة هذه الفتنة التي عقباها عليهم وعلى المسلمين وخيمة.

وحال كتب الأحرف وصلت كتب إلى حسين بن المتوكل أن حسين بن حسن واجه[1] إلى يوسف، واستكملت المواجهة والقبض على بني المهدي أحمد بن الحسن، وبقي صاحب المنصورة في منصورته وإخوته وأولاده قد خالفوا عليه وقبض على من قاتل معه ووقع في حرب الجَنَد القتل الكثير، قيل: نحو مائتين من الجانبين، وقيل: أكثر، فلا قوة إلا بالله. وكان أكثر من أجاش به صاحب المنصورة من الحجرية؛ لأن العسكر كانوا قليلاً عنده. ووصل محسن بن أحمد بن الحسن من رداع إلى ضوران مواجهاً، غير أنه قال: يتوقف حتى تستقر الأمور، ثم افتسح من يوسف إلى محله الغراس لافتقاد بيوت والده، فسار من ضوران ومر صنعاء تلقاه حسين بن المتوكل وأكرمه، ثم خرج إلى محله الغراس، وأرسل بعض عسكره إلى الجوف، لتغير حصل فيه.

ولقد غيرت هذه الدولة حالها، وسعت في خراب ملكها وأعزَّت عليها غيرها، وحصل خفضهم لما كان يرفعهم، وضرهم ما كان ينفعهم، وغاب عنهم من السعد والإقبال ما كان يحضرهم، وخذلهم من الكل ما كان ينصرهم، وانفتحت عليهم الأيام، وقلبت لهم وجوهها، وكشفت لهم مكرها، وأبرزت لهم مكروهها، وأغارت عليهم الغير، فسبتهم وسلبتهم، وغالبتهم فغلبتهم، وأذلت أنفسهم العزيزة، وهدمت معاقلهم الحريزة، وطمست على أموالهم المكنوزة، وصارت الدنيا عليهم بعد أن كانت لهم، وجعلت ظلهم هجيرهم[2] بعد أن كان هجيرهم ظلهم، وانطفئ الملك وعفى السلطان، ومشى عليهم الدهر وجرى عليهم [١٥٠/ أ]الزمان، وجاهرهم من استحالات الناس

(١) واجه: بمعنى أجاب.

(٢) الهجير: الهجيرة والهجر والهاجرة: نصف النهار عند زوال الشمس إلى العصر، وقيل: في كل ذلك أنه شدة الحر. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص ٧٧٣).

حالات، ومن بلو بهم ألوان وتخلفات، شعراً:

والناس أعوان من والته دولته
وهم عليه إذا عادته أعوان(1)

والجرموزي السيد حسن الذي كان بالمخا سلم ما سلم من المال لصاحب المنصورة، وحمل باقي ما معه من المحصول وشد بخزانته وأثاثه من المخا طريق تهامة، وخرجت من بيت الفقيه طريق الحيمة حوائجه وجواريه إلى صنعاء، وهو بقي برأسه مرسماً به في المنصورة.

وجاء الخبر بثامن ربيع الأول أن مدينة تعز دخلها أصحاب يوسف وملكوها. وكان فيها من قبل صاحب المنصورة، المتولي لها الشيخ ابن راجح الآنسي، وكا[ن](2) دخولها ولم يجر فيها قتال ولا انتهاب، وإنما حصل طرف قتال، خارجها ما بين أصحاب يوسف وأصحاب صاحب المنصورة، وهو أن ولده إسماعيل كان بعد خروجه من جبلة سكن خارج المدينة، فقصده حسين بن علي بن المتوكل، وعبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن ومن معهم من العسكر، فاتفق طرف حرب قتل من أصحاب إسماعيل ثلاثة، ثم انهزم إلى الدمنة، فعند ذلك واجه أهل تعز وتبع حسين بن علي ومن معه حتى بلغوا الدمنة. وإسماعيل ترفع إلى حصن هناك. وواجهت تلك الجهة أيضاً إلى حسين بن علي، وبعض الحجرية واجهوا إلى يوسف. وعند هذه الأخبار تحرك[150/ ب] القاسم بن المؤيد صاحب شهارة، وقال: أما إذا كان الأمر هكذا وقد انتصب يوسف وهو حدث صغير السن فالأمر مشكل. وكان قد كاتبه صاحب صعدة علي بن أحمد وكان علي بن أحمد، قد انتصب للأمر في جهاته، وأنه لا بأس بالتراود هو إياه على ما يصلح، ويريد أن يحصل

(1) البيت لأبي الفتح البستي: (أحمد قبش: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، ص 505).
(2) سقط حرف النون سهواً، وأضيف ليستقيم المعنى.

الإجتماع بقاسم، وأنه يسلم له الأمر ويكونوا يداً واحدة، وقيل: أنه كاتبهم حسين بن حسن صاحب رداع، فالله أعلم ما يكون منهم.

ووصل إلى ضوران رسول من عبد الله بن الناصر أنه يحتاج من يوسف دراهم للعسكر، فقال للرسول: لم يكن معه خزانة ولا مادة، البلاد قد تقسمت.

وعند ذلك في عشرين شهر ربيع الأول سلم قاسم بن المتوكل صاحب ثلا لصنوه يوسف. وزيد بن المتوكل سار من بلاد ريمة إلى تهامة، فاستولى على زبيد وواجه إليه. وكاتب صاحب المخا إلى يوسف.

وخرج الفرنج ببضاعة أدخلوا بعضها المخا ثم ركزوا في باب المندب لتلقي العماني وتجار عمان، فتحير النعمان[1] عنهم[١٥١/ أ]. وزيد بن المتوكل بعد دخوله إلى زبيد سار إلى المخا، فدخله من غير قتال وقد كان الشيخ نعمة الله اللاهوري الذي ولاه الناصر في المخا فخرج منه. وجاء الخبر بأن حسين بن علي وإسحاق وعبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن قصدوا إلى جهة المنصورة. وكان إسماعيل بن الناصر بعد رجوعه استقر بحدود جبل المنصورة مما يلي الدمنة، فلم يشعر إلا بوصول الثلاثة بمن معهم من العسكر، فحصل الحرب فيما بينهم، وجاءت غارة والده من المنصورة، فوقعت الهزيمة في أصحاب يوسف. وكان الحرب في سوق السبت تحت المنصورة بأطراف الدمنة، فوقع القتل الكثير في المنهزمين من أصحاب يوسف. وانهزم حسين بن علي وإسحاق وعبد الله بن يحيى إلى الزيلعي وذي أشرق، واختلفت الأخبار في حسين بن علي وإسحاق فقيل: أنه وقع فيهم صوائب، وقيل: أنه استولى عليهما. وأما عبد الله بن يحيى فهرب، وكان هذا في آخر شهر ربيع الأول.

---

(١) لعله يقصد العمانيين.

ومن العجائب أنه جاء خبر هذا الحادث قبل حصوله بنحو نصف شهر، ثم وقع كما قالوا.

وجاء خبر أنه خرج باشا إلى جهة جدة، وأن أحمد باشا الذي في جدة المتولي عليها معزول.

[١٥١/ ب] ووصلت كتب صاحب صعدة علي بن أحمد إلى قضاة صنعاء وغيرهم بأنهم يجيبونه في دعوته، وأن النية معه إلى الخروج إلى جهة اليمن[١] من صعدة لتكون اليد له، وأن الناصر ليس بأهل، وأنه أراد أن يأخذ ذلك بالسيف، وحصل ما حصل بسببه وأمره بجبلة من المقتلة المنكرة. وأن يوسف دعا إلى الرضا وأنه لا يصلح وأنه قد دعا إلى نفسه راضٍ لنفسه بما دعا غير مشروط بالرضا من غيره، فحصل الأمر العجيب من هذا الإختلاف، كلما أشرف السكون من جانب انتقض من جانب.

وجاءنا كتاب من علي بن أحمد هذا بمثل ذلك، وأنه استمد الرأي في ذلك بعد إبرامه، فكان كما قال الأول في المثل" ذرينا شعير مات شير"، فأجبت عليه بما معناه أن الأولى أن تكون أموركم مبنية على التسكين، وحفظ ما تحت يده من بلاده الأولة انتساباً إلى الأولين، وليكن الأمر من الجميع على طريق الإحتساب لعدم كمال الشروط التامة، ولأجل يكون في ذلك الصلاح بتسكين ثائرة الفتنة، فإنه قد ذكر العلماء كالنجري من الهدوية في معياره، وعبد السلام من الشافعية في قواعده[٢] أن درء المفسدة أولى من جلب المصلحة، وذكر الزمخشري[٣] في تفسير سورة الكهف أن الشرائع مصالح، وأن هذه المسألة كلها ظنية، وارتكاب المقطوع بالمظنون لا يجوز من القتل والقتال، وغصوب الأموال[١٥٢/ أ] وأذية المسلمين. والمحافظة على بلادكم أولى من خروجكم. مع أن أحمد بن زيد صاحب مكة بلغ أنه جهز إلى بيشة ويخشى إذا خرجتم من اختلال بلادكم. وكان قد ساعد محسن بن

(١) جهة اليمن: المقصود بها المناطق الجنوبية، سبق ذكرها.

(٢) سبق ذكر النجري وابن عبد السلام وكتابيهما.

(٣) التفسير للزمخشري هو: (الكشاف عن حقائق التنزيل) لأبي القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، وقد سبق ذكره.

المهدي صاحب الغراس بالولاء إلى جانب يوسف والخطبة، ثم لما بلغه هزيمة الجماعة في الدمنة رجع عن ذلك، وقال: هو متوقف في هذه الساعة حتى تقرر الأمور.

وقاسم بن المتوكل صاحب ثلا خرج إلى طيبة[1] وكاتب صنوه حسين بن المتوكل أنه يلقاه إلى هنالك لمفاوضة قواعده، فلما تراخى ترجح له عاد إلى ثلا، ولأجل أنه بلغه خلاله ما حصل من الحادث في الدمنة من هزيمة أصحاب يوسف، وكذلك صاحب كوكبان قد كان تقارب إلى إجابة يوسف، فلما بلغهم ذلك توقفوا على الأصل.

وجاء بعض الكتب إلى بعضهم فذكر تحقيق الواقعة، قال: إن حسين بن علي بن المتوكل وعبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن وإسحاق صالوا على إسماعيل بن محمد الناصر بن المهدي أحمد بن الحسن وهو في موضع في الدمنة يقال له: (أم قُريش)[2] جبل فيه قرى قريب من وادي الدمنة لم يكن بالمرتفع ديار بني السلمي. وأنه رتب أصحابه على الطريق في بيوت ومكامن، فلما طلع أول القوم بخيلهم صبت عليه البنادق من كل جانب والطريق في الوسط[١٥٢/ ب]، فراح كثير من الخيالة، منهم الأمير فرج الذي كان مع علي بن المتوكل، ومنهم أحمد بن الفقيه ومحمد بن جميل الظليمي ومنهم ولد من أولاد الشيخ عامر الصايدي وسيد من بني الديلمي من أهل السر وكثير من أهل الخيل والعسكر، وكانت مقتلة، قيل: جملتهم نحو ثلاثين نفراً، وقيل: أكثر وأكثرهم من أهل الخيل؛ لأنهم أول القوم. وبقي إسماعيل في تلك الليلة في حكم المحاصر قدر أربعة أيام، ثم جاءت غارة عبد الله بن الناصر من قبل يوسف وهو كان في إب، فلما وصل اشتد الحصار على صنوه إسماعيل، فخاطب بالمواجهة وواجه لما قل عليه وعلى من معه الماء

---

(١) طَيْبَة: بلدة مطلة على قرية القابل من الجهة الغربية، وهي منطقة حصينة، وفيها قلاع وحصون. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٩٦٨).

(٢) ورد لدى المقحفي: قُرَيْش: حصن بالقرب من مدينة دمنة خدير، جنوب شرق مدينة تعز بمسافة ٢٨كم، ولعله المقصود هنا. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٢٦٩).

والطعام، وأن عبد الله بن يحيى وقع فيه صائبة، وقيل: أنه هرب، وقيل: أن هذا حرب آخر غير الأول، وأن القتل الكثير كان في الأول في سوق السبت، وهذا بعده، ولما وصل عبد الله بن محمد مغيراً ترفع صنوه إسماعيل إلى الجبل وحاصره وواجه إليه، والله أعلم.

ولم يبق إلا صاحب المنصورة في أضيق من حلقة الفاس في منصورته، لم يخرج منها، فالله أعلم ما ينتهي الحال بينه وبينهم، فلا قوة إلا بالله.

[١٥٣/ أ]وكان الناصر قد استعان بأهل الحجرية في هذا الحرب الحاصل فأجاشه صهره ابن مغلس بقومه من أهل الحجرية، فلما كثروا حصل ما حصل من هزيمة أصحاب يوسف. وكان قبل ذلك قد طلب منهم مهلة قدر شهر، فلم يحصل إسعاد، وصاروا هنالك متراكزين الآن، وقل المدد من عند يوسف ومن صنوه الحسين لما نفدت الخزائن وقلَّ المدخول معهم وضعفت الضربة معهم التي كان يمدون بها، حتى بلغ الحال معهم العجب في قل المدد؛ لأجل تفرق البلاد بينهم واختلاف آراءهم، لكن أهل اليمن قد استمدوا من البلاد اليمنية فيما احتاجوا له ما يكفيه عن الغارة.

وجزم محسن صاحب الغراس بالخطبة ليوسف، فخطب له الجمعة أول شهر ربيع الثاني، وظهر سبب ذلك أنه وصل كتاب من المنصورة إلى الحمزة صنوه بأن الولاية له، وأنه لم يبق لمحسن أمر، فحصل التغير مع محسن. وكتب الناصر إلى قبائل بني حشيش وبني الحارث وهَمْدان بأن الولاية للحمزة، والحمزة لما وصلت الولاية له توعد القاضي عبد الواسع الخطيب وخوفه، فهرب القاضي وصار إلى صنعاء، ثم إن محسن دخل صنعاء يوم السبت عاشر شهر ربيع الآخر. ولم يتم لحمزة مراده. والضربة غيَّرها صاحب المنصورة، وجعل إلى ما كانت عليه في زمن والده أحمد بن الحسن. واستقر الضرب للقرش عنده منها للخمسة الأحرف، وصعدة كذلك غيروها، ولم تسلك فيها ضربة غيرهم أصلاً، ولأجل هذا وقل الضروب[١٥٣/ ب]، والضربة في بلاد يوسف كسدت وفترت، ولم يبق فيها محصول كما كانت، ولم تبق ضربته إلا الشيء الحقير في بعض

الأوقات، وصارت تضمحل وتصغر، حتى صارت البقشة الخمس بقشة صغيرة، بلغ صرف القرش إلى سبعة وعشرين حرفاً منها.

وحسن بن المتوكل استولى على الضامر من بلاد حراز وتصرف فيه، لاتصاله ببلاده بمساقط حراز من جهة الغرب مما يلي الحقار وبلاد لعسان. وسبب عزل الناصر لصنوه محسن من بلاد الغراس وتولية الحمزة عزمه من رداع وموالاته ليوسف ووصوله إليه إلى ضوران حال مروره، فلما بلغه ذلك عزله عن البلاد.

وفي هذه الأيام تقرر زيد بن المتوكل في المخا بعد أن قرر عمله واستولى عليه وخطب فيه لأخيه يوسف، واستولى في المخا على علي بن يحيى بن حسين بن المؤيد[1]، وأرسل به إلى ضوران تحت الأسر، فوصل ضوران.

وظهر خبر من رجل خصيص أن صاحب المنصورة الناصر كتب إلى أحمد بن زيد أنه يمده بغارة، أو أنه إذا غلبوه فإنه ربما يرحل إلى بلاده مكة ويستعين به في المخرج، هكذا أخبرني به من له اتصال واختصاص بجناب صاحب المنصورة. وأنه يريد الخروج من المنصورة هذه الأيام إلى السهل، فإن جاء وله مطمع في الإستيلاء على بلاد تعز ثم النفوذ إلى غيره فذاك، وإن لم يحصل عرج إلى تهامة وسار جهة الشريف ولو إلى صبيا ويستمد من هناك من رئيسهم، أو إلى اللحية؛ لأن صاحبها حسن بن المتوكل من أعوانه وأتباعه، فهذا من العجب. وصاحب كوكبان سلم الأمر ليوسف وخطب له، وعلي بن أحمد صاحب صعدة كتب إلى صاحب[١٥٤/أ] المنصورة بإجابة دعوته وأنه صار مشغولاً بنفسه.

وفي نصف شهر ربيع الآخر واجه حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم أبو طالب صاحب عمران إلى يوسف بن المتوكل. وصاحب شهارة فتح المخازين حق المتوكل

---

(١) علي بن يحيى بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، قتل في إحدى معارك الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ١٦٤).

والمؤيد والده التي بشهارة، وتصرف فيها وقضى ما عليه من الدين من المدة السابقة منها. وسلم الأمر في سادس عشر شهر ربيع هذا حسن بن المتوكل لصنوه يوسف، وكذلك حسين بن حسن صاحب رداع جاءت كتبهم في يوم واحد بالتسليم ليوسف.

وفي عشرين شهر ربيع الآخر عاد حسين بن علي وإسحاق ومن معهم لقصد صاحب المنصورة، فتلقاهم محسن بن محمد صاحب المنصورة وارتكز الحرب ، وخرج صاحب المنصورة في الأثر لمظاهرة[1] ولده محسن وحصل الحرب. فراح من الجانبين قدر عشرين نفراً، وقيل: أكثر من ذلك، ثم عاد صاحب المنصورة إلى محله واكتفَّ الحرب وواجه كثير من أهل الحجرية إلى أصحاب يوسف، وصار حسين بن علي بن المتوكل وإسحاق يضايقون صاحب المنصورة ويزحفون عليه[١٥٤/ ب]، فخرب صاحب المنصورة المحمولة؛ لأجل لا يطلعون حصن الدملوة. وقبائل المشرق استولوا على بلاد لحج، وحصل في اليمن الأسفل من الربش ما لم يحصل مثله، فلا قوة إلا بالله.

واستقر أصحاب يوسف حسين بن علي بن المتوكل ومن إليه خارج المنصورة في المطرح الذي طرح فيه الرجبي أيام خلافه عليه، فكان عقب ذلك وقربوا من المنصورة، فحصل حرب بينهم قتل فيه جماعة من أصحاب حسين بن علي وإسحاق كثير نحو خمسين نفراً من الجانبين، وأكثرهم من أصحاب صاحب المنصورة، ثم هزموا إليها، وهتفوا بالكتب للغارة عليهم والزيادات من يوسف. وصاحب المنصورة كاتب إلى يافع بأنهم يعينوه على عيال الإمام المتوكل ومن انضاف إليهم وبذل لهم ولاية عدن وبلاد لحج، فلم يسعدوه، وقالوا: المراد حفظ بلادنا.

وحصلت الحوزة على المنصورة من جميع الجوانب وطرح بعض القوم في محل يقال له: قدس. وخرج السيد حسن الجرموزي رسولاً بالخوض بالصلح، فكان خروجه من

---

(١) لمظاهرة: لمساعدته ويكون له ظهيراً، أي عوناً. (ابن منظور: لسان العرب، مج٢، ص٦٥٨).

الفرج له، فلم يكن همه إلا النجاة من حبال صاحب المنصورة، بعد ما حصل معه ما حصل من الترسيم[1] والضيقة. ولم يبق لصاحب المنصورة من البلاد التي حوله مادة بل ينفق مما جمعه من الدُّخن[2] على من عنده ممن بقي من الخاصة. وعلى الجملة أن أكثر اليمن قد صار مجيباً ليوسف والتهائم والجبل، ولم يبق إلا صاحب صعدة، ويوسف أصغر أولاد المتوكل سِنُّه في نحو خمس وعشرين سنة ، والملك لله يؤتيه من يشاء، والله يصلح البلاد والعباد.

[١٥٥/أ] وفي ثامن شهر جمادى الأولى كان تحويل سنة العالم لدخول الشمس أول درجة الحمل، وزحل قد خرج من السنبلة، والمشتري في برج القوس، وكذا المريخ والجوزهر في العقرب، والقمر في الجوزاء، والزهرة وعطارد في الثور.

وجاء الخبر هذه الأيام أن صاحب المنصورة غزا بعض المحاط عليه وهي محطة رئيسهم فيها السيد محمد الديلمي، كان قد حفظ بعض الطرق فمنع الداخل والخارج إلى المنصورة، فاستولى عليه، وكان بعض المحاط قد حطوا على الماء خارج المنصورة، فشرع التضرر مع أهل المنصورة من الماء، فاتفق أن وقع مطر أملى البرك داخل المنصورة ومصاب المواجل في المنصورة فيها شجر البنج[3]، فيكون الماء فيه تغير وركة، ولا يزال في جبل المنصورة السخمة[4] والسحاب[١٥٥/ب]. ولما ضايق صاحب المنصورة تلك الجنود صار محتازاً ولم يحصل له الخروج منها، فبقي فيها حائراً والمحاط في قدس وغيره ليس بينهم وبينه إلا بلغ المدفع، ولم يقربوا إلى المنصورة خشية من المدافع. وعند ذلك كتب قاسم صاحب شهارة وهو باق على الأصل الأول من موالاة صاحب المنصورة يذكر له

(١) الترسيم: أي تحت التحفظ والحجز.
(٢) الدُّخن: نوع من الحبوب الزراعية، يزرع في المناطق الحارة.
(٣) شجر البنج: البنج ضرب من النبات، وهو مما يقوى به النبيذ. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص ٢٦٧).
(٤) السُّخْمة: هو الضباب، ويقال له أيضاً: السُّخَيماني.

التأسي بمن مضى، وأنه يصبر وأنه لا يصلح إلا الإحتمال، وأنه يتوجه النظر فيما يسكن ثائرة الفتنة، فأجاب عليه أنه طالب للشريعة، وأنهم يجتمعون إلى مكان متوسط للنظر فيما فيه صلاح الإسلام، وأن الأمر الذي نقم عليه قابل للحق فيه، فعرض القاسم مضمون جوابه هذا على أولاد المتوكل وغيرهم، وهذه أمور متباعدة، فلو كان هذا من أول الأمر، والأمر كما قال الأول:

أمـــور يـــضحك الجهـــال منهـــا

ويبكـــي مـــن عواقبهـــا الحلـــيم

وهذه الفتنة الثائرة بهم زادت على فتنة أولاد المطهر بن شرف الدين؛ لأن تلك الفتنة لم يبلغ حروبها إلى هذا، إنما وقع منها حرب واحد بين لطف الله بن مطهر وعلي بن يحيى لا غير.

وفي نصف شهر جمادى الأولى وصل إسماعيل بن محمد الناصر ولد صاحب المنصورة إلى ضوران، أرسله صنوه عبد الله ومن معه من الحاضرين هناك[١٥٦/أ]. ولما وصل كتاب القاسم صاحب شهارة إلى حسين بن المتوكل والقضاة بصنعاء وأجابوا جميعاً أن طلب الإجتماع قد كان حاولنا فيه وأردناه فلم يحصل من صاحب المنصورة إليه التفات وأعرض عنه وطلب غزو المشرق والتجهيز عليهم من غير نظر إلى اجتماع ولا استشارة في القصد لهم. فلما كان ذلك منه سكنوا، وقال بعضهم: القصد ليافع يحتاج إلى تروي أولاً ويجمع ما يحتاج إليه من الخزانة مع ضعف السنة وغلاء الأسعار، وليس في هذا عجلة، وكان المطلوب الآن غيره، وأما الآن فلم يبق للإجتماع فائدة بعد إجابة أكثر اليمن ليوسف.

وفي ثامن عشر شهر جمادى الأولى وصل الخبر من أصحاب يوسف المحاصرين على المنصورة أنهم لم يشعروا ثاني عشر يوم في شهر جمادى الأولى إلا بمغزى من صاحب المنصورة إلى محطة حسين بن المتوكل، فوقع الحرب بينهم، وكادوا يستولون على

حسين بن علي، لولا غارة عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن من محطته فوقع الحرب. قتل من أصحاب صاحب المنصورة جماعة نحو اثني عشر نفراً منهم: إسماعيل الذانبي، وكان قد خرج صاحب المنصورة عقبهم، فانكسروا إلى وجهه. وراح من أصحاب حسين بن علي جماعة نحو ذلك القدر. ثم لما دخل أصحاب صاحب المنصورة أغلقوا الباب وأمروا برمي المدافع وقد كان شحنوها بشيء من المسامير والسلاسل، فطفت عليهم المدفع ولم يصبهم ورموا بآخر فتكسر المدفع، ثم رجعوا إلى محلهم سالمين ولم يرح منهم إلا من راح حال الحرب، والله أعلم.

[١٥٦/ ب] وطالت الفتنة هذه فيما بين المذكورين، فهذا إلى هذا التأريخ سلخ جمادى الأولى منها سنة كاملة، وجرى ذلك بينهم كما جرى مع ملوك الطوائف[١].

قال الصفدي[٢] في شرح اللامية[٣] عند أول بيت منها في قوله:

أصالة الرأي أغنتني عن الخطلِ[٤]

ما لفظه: لما استولى اسكندر[٥] على ملك فارس كتب إلى أرسطو[٦] يأخذ رأيه في ذلك،

---

(١) ملوك الطوائف: عرَّفهم المؤلف فيما سيأتي.

(٢) الصفدي: هو خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين، أديب مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة، ولد بصفد بفلسطين، وإليها نسبته، تولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م. له زهاء مائتي مصنف. (الزركلي: الأعلام، مج٢، ص٣١٥).

(٣) شرح اللامية: هو كتاب (الغيث المسجم في شرح لامية العجم) مطبوع في مجلدين.

(٤) ورد البيت كالتالي:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل ... لا الصبر ساعد قلبي في السلو ولا

(ديوان ابن نباتة المصري، ص ٣٨٢).

(٥) اسكندر: هو الاسكندر الأكبر (٣٥٦-٣٢٣ ق.م) ملك مقدونيا، ابن فيليب الثاني، تتلمذ على أرسطو وأخضع الثورات التي قامت بعد موت أبيه، وفي سنة ٣٣٤ق م بدأ تنفيذ مشروع محاربة وغزو الفرس، وهو مؤسس مدينة الاسكندرية، ومات وعمره ٣٣ سنة. (أحمد الهاشمي: جواهر الأدب، ج١، ص ٩٢؛ الموسوعة العربية الميسرة، ص ١٥١).

(٦) أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ق.م) فيلسوف يوناني، تتلمذ على أفلاطون، وعلم الاسكندر الأكبر (السابق ذكره) كان يحاضر ماشياً فسُمي هو وأتباعه بالمشائين، صنف العديد من المؤلفات، وكان له أثر في الفلاسفة الإسلاميين فلقبوه بالمعلم الأول وشرحوا فلسفته (الموسوعة العربية الميسرة، ص ١١٧).

فكتب إليه الرأي أن توزع ممالكهم بينهم وكل من وليته ناحية سمه بالملك، وأفرده في ملك ناحية، وأعقد له التاج على رأسه وإن صغر ملكه، فإن المسمى بالملك لا يخضع لغيره ولا ينتسب أن يقع بينهم تغالب على الملك، فيعود حرَبهم لك حرباً بينهم، فإن دنوت منهم دانوا لك، وإن نأيت تعززوا بك، وفي ذلك شاغل لهم عنك وأمان لإحداثهم بعدك شيئاً. فلما بلغ الإسكندر ذلك علم أنه الصواب، وفرق القوم في الممالك، فسمَّوا مُلوك الطوائف، فيقال: إنهم لم يزالوا برأي أرسطو مختلفين أربعمائة سنة، ولم ينتظم لهم أمر، انتهى كلامه.

وجاء خبر آخر شهر جمادى الأولى أنه كان بعد الحرب الأول تعقب ذلك أرسل صاحب المنصورة عسكراً من المنصورة على سعيد قاضي، وهو في محل قريب من عبد الله بن يحيى، فاحتربوا هنالك، ثم انكسر أصحاب صاحب المنصورة إلى الدملوة ثم اصطلحوا ثلاثة أيام.

وطلع جماعة من الهنود الواصلين بالبز من المخا إلى صنعاء خشية منهم على ما معهم لما رأوا أعمال المخا بسبب زيد بن المتوكل مجعوثة[1].

[١٥٧/أ] وجاء خبر أن الزريقة من الحجرية والوا إلى صاحب المنصورة، ووعدوه بالقيام معه والإعانة بدفع المحطة التي عليه من ولده وغيره، فعند ذلك كتب حسين بن علي وعبد الله بن يحيى إلى يوسف بالإمداد بالعسكر، لئلا يحصل ما يحصل باجتماع القبائل. فكتب يوسف إلى صنوه حسين صاحب صنعاء ويحيى بن محمد، فأرسل حسين بجماعة عسكر نحو أربعمائة رئيسهم شيخهم الشيخ صلاح بن خليل الهمداني. وفي خلاله هرب من أصحاب حسين بن علي بن المتوكل النقيب البرطي الملقب الفرحة بجماعة من أصحابه إلى المنصورة، وصارت المنصورة يدخلها يومئذٍ من طريق القماطرة والزريقة ما يحتاج إليه مما يجلب، فاسترجع بسبب ذلك وركدت المراكزة حينئذٍ.

---

(١) مجعوثة: غير منظمة.

قيـل: وسبب هرب النقيب الفرحة أنه كان أرسله إلى المنصورة على صفة أنه يـستخرج له بعض شيئ من المال، فسار إلى هنالك، ووصف لصاحب المنصورة أنه إذا بذل لـه مـن المال وصل مواجهاً أو انتقل من محطته وتنحى إلى الدمنة فأعطاه ألف دينـار مـن الـذهب وألف حرف عددي من الفضة وخرج بها إلى حسين بن المتوكل، فرجع حسين عـن ذلـك القول وأراد أن يأخذها منه ولا يتم منه ما قال، فأبى النقيب، وقـال: هـذه أمانـة لا يعـذر فيها إلا بتمام قوله الأول، فانسل هارباً وأعادها جميعاً، فسمح صاحب المنـصورة للنقيـب بالعددي وقبض الذهب. ثم إن النقيـب لازمـه ومـا زال يخـرج إلى الغـزو إلى المحطـة في الليل[١٥٧/ ب].

ووصل الخبر بأنه خرج عسكر صاحب المنصورة إلى أطراف المحطـة، فجـرى حـرب وقتل من قتل من الجانبين.

وحصل قران بين الزهرة وعطارد في برج الثور شوهد قرانهما وقت المغرب في المغـرب عقب غروب الشمس.

وفي هذه الأيام وصل خبر أن الشريف أحمد بن غالب(١) خرج من بيشة بأمر الـشريف أحمد بن زيد إلى نواحي ذهبان وأطراف بلاد قَحْطَان(٢)، رأس بلاد الحرامية.

وفي يوم الإثنين ثاني شهر جمادى الأخرى اتفق حرب عظـيم يـوم الإثنـين عـلى محطـة حسين بن علي وعبد الله بن يحيى بن محمد بن حسن، وكل عاد إلى محله.

وفي هذه الأيام السيد حسين بن زيد بن علي بن جحاف الذي كان متولياً ببنـدر عـدن من قبل صاحب المنصورة طلبه الناصر إلى المنصورة، فصادره بجميع ما معه، وخرج منها

---

(١) أحمد بن غالب: سبق ذكره.

(٢) قَحْطَان: من قرى الأجلج، من بني شهر في الشعف، في الجنوب الغربي من الخضراء، في السراة، في إمارة بلاد عسير. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ج٢، ص ٩٥٩).

لا يملك مما جمعه شيئاً حتى مماليكه. وهو الذي اختار هذا، فإنه لما عزل من زبيد وبيت الفقيه أيام أحمد بن الحسن تاقت نفسه إلى الولاية، فقصد باب صاحب المنصورة، فولاه عدن، ثم خرج منه عطل. وولايات صاحب المنصورة ليس لها أمل لأنه سريع الإنقلاب فيها، والمصادرة فيما جمع منها.

[١٥٨/ أ] ثم خرج الناصر يوم ثاني إلى محطة ولده عبد الله وصنوه إسحاق، فوقع حرب أعظم من الأول واستمر ذلك اليوم الذي خرجوا فيه عليهم إلى الليل من ضحوة النهار إلى يوم ثاني، ثم عاد إلى المنصورة. وقد راح من الجانبين كثير ومصاويب وصل جماعات منهم إلى صنعاء وإلى البلاد العليا سايرين بلادهم وضايقوا المنصورة، ورموا بالبنادق إلى داخلها، فأصابوا جارية في حجرة الدار حاملة لشيء من الطعام، فسقطت في حجرة الدار ميتة، لا قوة إلا بالله.

وحصل في هذا الحرب الإعانة من أصحاب ابن مغلس من قبائل الحجرية، فكثروا قلهم فوقع ما وقع، وصار أصحاب يوسف يستمدون بالكتب بالغارة، وقد تعذرت؛ لأن ذلك الحادث زاد الناس عدم الرغبة إلى العزم وقل المدد، لضعف الدراهم وعدم الإنتفاع بها، ولأنه لم يكن مصدقاً مع يوسف غير صنوه حسين صاحب صنعاء، فأما غيره وإن قد والوافي الظاهر فهم غير منجدين ولا واصلين ولا ناهضين، بل صاروا محافظين لبلادهم، ويقول لسان حالهم إنه إن حصل نصرة ليوسف فقد والوه، وإن حصل خلافه فهم لم يجر منهم محاربة لصاحب المنصورة.

وجاءت أخبار من الواصلين عقب الحربين المذكورين أنه غزا محمد بن أحمد بن الحسن الناصر إليهم، فاحتربوا.

وفي هذه الأيام بنصف شهر جمادى الأخرى ضعفت الضريبة مع حسين بن المتوكل وغيره، وتعذرت القروش والدراهم الأولة، وامتنع التجار عن تسليم القروش؛ لأجل قلتها معهم، ومن معه بقية منها يريد إذا حصل له عوض من الموسم الهندي، ولعدم

المصلحة فيها وصغر بقشها[١٥٨/ب] وارتفاع الصرف فيها، بلغ القرش خمسة وثلاثين حرفاً وأكثر، فلم يبق معهم خراج[١] فيها. فأمر حسين بن المتوكل البانيان على تسليم قروش، فامتنعوا، فأمر بجماعة منهم الحبوس والحصون، وقال: لا بد لهم من التسليم، فقالوا: لا خراج لهم، فلم يعذرهم، وغلقوا حوانيتهم، وهم الذين كانوا يبذلون الشفعاء في قبول القروش للضربة، ولكنهم لما عرفوا بضعفها بعد وصغرها امتنعوا.

وفي هذه الأيام ظهر خبر بأن السلطان محمد بن إبراهيم خان قُتِل في حرب النصارى من الفرنج[٢]، فكان رزءاً عظيماً في الإسلام، رحمه الله وأنه انتصب بعده صنوه سليم بن إبراهيم بن أحمد خان[٣]. وأخبرني الشيخ إبراهيم المدني الذي خرج من حضرة أحمد بن زيد بكتب في الأيام الأولة في شهر القعدة الماضية وهو إلى الآن باقي باليمن، فقال: إن التقاويم في تلك الجهة من أهل الفلك أن السلطان محمد يموت في هذه السنة، وأنه يقوم بعده صنوه سليم، وسيفتح فتوحات كثيرة، والله أعلم بالغيب.

ورأيت في القصيدة التي ذكرها حسين بن سامي الهتاري المدني[٤] في كتابه الذي صنفه المسمى (النور الساطع بلوامع الجفر الجامع) في ذكر طريق معرفة الحرفي قوله:

وسابعة بالروم مع أرض طيبة

حوادث أجناد بكل أذيتي

---

(١) خراج: هنا تعني مصلحة أو فائدة.

(٢) من المعروف أن السلطان العثماني محمد بن إبراهيم (محمد الرابع) قد استمر على عرش السلطنة حتى تم عزله وتولية أخيه (سليمان الثاني مكانه في ٢ محرم ١٠٩٩هـ/ ٨نوفمبر ١٦٨٧م). ولم يقتل في حربه مع الأوربيين أو الروس. (سعيد أحمد برجاوي: الامبراطورية العثمانية تاريخها السياسي والعسكري، ص ١٦٠).

(٣) الأصح أنه سليمان بن إبراهيم بن أحمد خان (سليمان الثاني) تولى السلطنة في الفترة من ١٠٩٩-١١٠٣هـ/ ١٦٨٧-١٦٩١م.

(٤) لم أعثر له على ترجمة فيما بين يدي من مصادر.

وثامنــــة بـــالروم دامـــت مكائـــد

لهــم وبهنــد الــسند أيــضاً وكــوفتي

وتاســعة التـــسعون حـــال مكيـــدة

بمكـــــة في الأشراف شراً بفتنتـــــي

وخـــتم رأس القـــرن للـــسيل شـــدة

وللحـــرب إيقـــاد وكـــل بمكـــةِ

والذي اتفق من الفتنة في اليمن بين الأشراف في سنة ثمان وتسعين وألف. وأما الـروم فوقع فيه فتنة الفرنج، وانتصر عليهم السلطان.

وفي المنظومة المكية لابن بسطام قوله في سياق مكة المشرفة، بعد أن ذكر سعد بن زيـد وما يقع معه فيها:

يردهـا مـن الغـرب جـيش العـريم	وزرق العيـــون وحمـــر الـــشعر
وهـــذا يكـــون إلى عـــام قـــاف	ومـــن بعـــد قـــاف يكـــون الفخـــر
وفي بعـــد مـــن زمـــرى بهـــا	يكـــون مليـــك بأقـــصى هجـــر
يبـــيد الأئمـــة وأوطـــانهم	ويخـــرجهم مـــن حـــصون شـــذر

وهذا قد تقدم في الثمانين والألف خروج الباشا حسين إلى مكة وإخراج سعد وصنوه أحمد عنها كما سبق، إن كان هو المراد، ثم صفح عـنهم[١٥٩/ أ] الـسلطان وعفـا عـنهم. وأما بعد إلى رأس المائة المشار إليه بالقاف فما قد اتفق شيء منه، والله أعلم بذلك.

وفي يوم الخميس تاسع عشر شهر جمادى الأخرى اتفق مغزى من صـاحب المنـصورة على ولده عبد الله فاستولى عليه وأدخله المنصورة وحبسه فيها، وسبب ذلك أنهـم تفرقـوا

بمحاطهم، كل منهم حط بجهة متباينة، فكان ينال منهم بالغزوات، ويوثب عليهم جوار المنصورة. وظهر الوباء في فصل الصيف، فمرض كثير ومات من مات من العساكر. وجاء التحقيق واستفاضت الأخبار بأن صاحب المنصورة الناصر لما ضاق به الحال لم يجد بداً من الإستنصار بقبائل الحجرية، وبذل المال لمشائخهم، فأرسل بعض النقباء معه إليهم، فأجابوه، وهذا الرجل يسمى رباح، فاستمالهم واجتمعوا له وجمعهم إلى قريب المنصورة من ناحية بين الجبال لا يشعر بهم أهل المحطة. وكتب إلى الناصر صاحب المنصورة بذلك، فخرج صاحب المنصورة منها لمفاتحة الحرب إلى محطة ولده عبد الله وصنوه إسحاق، فشرع الحرب، فانكسر لهم والذي معه القليل من عسكره، ثم تبعوهم إلى قريب المنصورة، فلما حصل ذلك وهم في آخر الحرب والرمي إذ أقبلت عليهم القبائل من كل فج عميق وأحاطوا بهم من خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم وحالوا ما بينهم وبين محطتهم ووقع الحرب والضرب، فقتل كثير من أصحابهم، ولم يفلت منهم إلا من هرب أو واجه وأسروا ولده عبد الله وصنوه إسحاق وأسروا منهم وأقبلوا على محطتهم انتهبوها، فلما شعر بذلك أهل المحطة الأخرى وهم حسين بن علي بن المتوكل وعبدالله بن يحيى بن محمد بن الحسن لم يكن همهم إلا الإرتحال، وحمل ما خف من الأثقال، حتى بلغوا إلى بلاد الأحمدي وجبل سامع[1] على مسافة يوم، وأرادوا العزم إلى تعز[١٥٩/ ب] فتدرك الأحمدي بأنهم يستقرون ولا عليهم بأس، فسكنوا ثم لم يشعروا إلا بإحاطة القبائل عليهم فحاربوهم هنالك. وعند ذلك واجه جميع اليمن الأسفل للناصر، ونوروا النيران حتى بلغت إلى سمارة، ولم يبق إلا المدن؛ لأجل الرتب فيها. فلما حدث هذا الحادث شلت قبائل اليمن الأعلى رؤوسها وهابوا الناصر، ونفدت الخزائن مع الدولة اليوسفية[2]. وظهرت فترتهم وقل ما بأيديهم من المال والرجال، فالملك لله

(١) جبل سَامِع: جبل في شرقي المواسط من بلاد الحجرية، يبتعد عن مدينة تعز جنوباً بنحو ٤٠كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٧٦٢).

(٢) اليوسفية: نسبة إلى يوسف بن الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم.

تعالى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وجاء الخبر بوصول الجنود العثمانية إلى مكة وخروجهم عنها طريق اليمن في هذه الأيام بأول رجب، وأن أحمد بن غالب الشريف الأمير المكي قد بلغ إلى بلاد قحطان ووادي ذهبان رأس بلاد الحجاز. فمن الناس كثير قال: في ذلك فرج على المسلمين من هذه الفتنة التي طالت باليمن من غير مصلحة للمسلمين، ولأن الظاهر أنها لا تنقطع فيما بينهم؛ لأنهم قد اشتجروا على البلاد، وكل منهم يريد بلاد الآخر.

وجاء خبر آخر أن أهل الحجرية بعد تمام الواقع من الحرب والإستيلاء على المذكورين صالوا على المنصورة، فانتهبوها وحوزوا صاحبها.

وجاء خبر أن حسين بن علي وعبد الله بن يحيى واجهوا، وطلب لهم الأمان الشيخ الأحمدي ودخلوا إلى المنصورة. وكتب صاحب المنصورة إلى صاحب شهارة وودعه القاسم وأحمد أبناء المؤيد بن القاسم؛ لأنهما على الولاء المتقدم لصاحب المنصورة، والخطبة بالإخبار بالحادث والإستيلا على المذكورين. وأحمد بن المؤيد كتب إلى حسين بن محمد بن أحمد أبو طالب صاحب عمران بأنه يدخل في إجابة الناصر، وإلا فهو متقدم إليه، فبقي المذكور في حيرة من أجل ذلك بين إقدام وإحجام، وعند ذلك أمر يوسف جماعة من عسكر جبل ضوران وبلاد آنس بالغارة ورئيسهم العبد فرحان، فساروا إلى ذمار. وبلغهم أن قد دخل حسين بن علي بن المتوكل وعبد الله بن يحيى المنصورة تحت الأسر، فسكنوا بذمار، وقالوا: إلى عند من نصل[١٦٠/ أ] بعد ارتفاعهم والإستيلاء عليهم ومواجهة اليمن الأسفل؟ فاستقروا هنالك، وبقي يوسف في حيرة وسقط في يده، ولا سيما وصنوه زيد بالمخا قد واجه إلى صاحب المنصورة الناصر فتغلق اليمن الأسفل جميعه إلى سمارة.

وصاحب شهارة باقي على الأصل، فلم يبق إلا حوزته بلاد ضوران وصنعاء، ولعلهم يواجهوا، والله أعلم.

واستفاضت الأخبار بصنعاء وغيرها بخروج أحمد بن زيد وأحمد بن غالب شريف مكة ومعهم جيوش وأمراء من العرب والترك كثير. وأن أولهم دخل صبيا، ثم جاء الخبر قدموا صبيا إلى صنعاء.

وفي يوم الجمعة ثاني عشر شهر رجب أمر الدولة بأن البقشة التي كان حسابها خمسة كبار تكون بقشتين، فضعفها وصغرها، ففرح البعض وتغير البعض من الناس، الفقراء استراحوا بذلك والأغنياء تضرروا؛ لأن عليهم كسر فيها وارتبشت أحوالهم. وغلق كثير من أهل البيع والشراء حوانيتهم، واضطرب الحال في التعامل بذلك، وضربوا ضربة أخرى تكون أكثر من الأولة قليلاً، وقالوا نتعامل بهذه وهذه كل شيء بحسابه، فلذلك حصل الإضطراب في التعامل. وهذا من الضرابين حيلة لما تناهت الأولى في الصغر الذي لم يمكن ضربتها، ولم يبق لهم مصلحة لعدم تمكن تصغيرها، فلما ضربوا الضربة الجديدة صاروا يصغرونها قليلاً قليلاً لأجل تثبيت المصحلة وهي مفسدة في الحقيقة وبخس، فلا قوة إلا بالله، وجعلوا الوقية يدخلها ثلث نحاس وثلث جسد[1] وثلث فضة، وقد يزيد على ذلك في الغش.

وبلغت الأخبار أن صاحب المنصورة يريد التجهيز على يوسف إلى ضوران وصنعاء، وقال: نقصدهم ونحوزهم كما حازونا وضاررونا، فجاء أخبار أن الخارج من عساكر السلطنة وفيهم الشريف أحمد بن زيد وأحمد بن غالب وغيرهما، ففرح الناس به، فلعله يحصل التفريج عن المسلمين من طول هذه الفتنة، ويكون على أيديهم فك هذه المحنة، وتكون كدولة عيال مطهر بن شرف الدين لما اختلفوا اختل ملكهم وانتقل إلى غيرهم، فسكنت الأمور. والظاهر أنه لا يسكنن هذه الفتنة التي قد قامت فيهم إلا يد أخرى، وإلا فقريب المحال اجتماعهم.

---

(١) الجَسَد: من المعادن.

[١٦٠/ ب] وفي يوم الجمعة عشرين شهر رجب خطب في الغراس للناصر، ولم يبق إلا ضوران وصنعاء وذمار لا غير.

وبعض العسكر الذين كانوا حاطين على المنصورة لازموا مع الناصر، وبعثهم بآداب إلى اليمن الأسفل، بسبب إجابتهم ليوسف. وبعضهم أذن له في العزم إلى بلادهم، وأما أخوه وولده وحسين بن علي وعبد الله بن يحيى فشدد في الترسيم عليهم داخل المنصورة تحت الحفظ.

ووصل الخبر ثاني وعشرين شهر رجب إلى صنعاء بأن أحمد بن غالب قد بلغ إلى برارة ما بين جبل رازح وبين أبي عريش، وهذه البلاد إلى جهة صاحب اليمن قد دخلها نزل إليها من بلاد قحطان، ولعله يريد طريق تهامة يخرج إلى درب ملوح ثم إلى تهامة البدوي ثم إلى غرابي الشرف والواعظات[١] طريق بطن تهامة في بلاد مور يخرج إلى مدينة مور، ثم إلى بلاد الضحي وبلاد اللحية ثم إلى بيت الفقيه، والله أعلم.

ووصل الخبر هذه الأيام بآخر شهر رجب إلى اليمن أن السلطان محمد بن عثمان نصره الله على الفرنج من النصارى[٢] عبدة الصليب، وأنه بعد خروجه عليهم العام الماضي لما وقع منهم ما وقع من الصولة على المسلمين في جزيرة الأندلس، وتجهز السلطان عليهم بنفسه، وحث المسلمين على الجهاد في سبيل الله، فاستولى عليهم، وقتل منهم قتلاً ذريعاً، وسباهم واسترد البلاد التي كان استولوا عليها، وزاد معها غيرها، ثم عاد إلى استنبول وقد دوخ بلادهم وقمع رؤوسهم.

وفي هذه الأيام بعد [أن][٣] استولى محمد بن أحمد صاحب المنصورة على أصحاب يوسف كما سبق، وتكاثرت كتب يوسف إلى صنوه حسين وإلى صاحب عمران وكوكبان

(١) الواعظات: بطن من قبائل عك يسكنون في وادي مور. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١٨٤٩).
(٢) سبق وأن ذكر المؤلف أنه قتل في الحرب مع النصارى.
(٣) ناقصة في الأصل أضفناها ليستقيم المعنى.

يوقفوا وواعدوه بالتجهيز من غير جزم منهم، وأما صنوه حسين فجمع من أمكنه جمعه من بني حشيش وغيرهم، وجهز معهم رئيساً ابن أخيه قاسم بن أحمد بن المتوكل[1]، وساروا ومرادهم المحافظة على حدود اليمن الأعلى من نواحي يريم وسمارة، مع أن العسكر الذي أرسلهم صاحب المنصورة إلى جبلة مع ولده يحيى متماكرين وتواطئهم مع صاحبهم يوسف.

ويحيى بن حسين السحولي الذي كان يخطب بصنعاء لما بلغه حادث المنصورة هرب يوم وصله الخبر إلى بلاده عمران، واستقر فيها خائفاً مترقباً[١٦١/ أ] إذا حصل من صاحب المنصورة قوة يد؛ لأجل ما جرى منه من الخطب والإستحداد فيها، وكان قد سبقه هارباً ابن أخيه محمد بن إبراهيم السحولي وهو الخطيب في الأصل بصنعاء، لما أمر بالخلع لصاحب المنصورة، فامتنع وسار بلاده هارباً.

وفي آخر يوم بشهر رجب ترجح لقبائل بني الحارث وهمدان أن نوَّروا في بلادهم النار ونصَّروا لصاحب المنصورة محمد بن أحمد بن الحسن.

قيل: إنها جاءتهم كتب منه، فأجابوها لما رأوا ضعف صاحب ضوران وصنوه، وكان صنوه حسين وهو يبالغون في تجهيز عسكر من عندهم ويبذلون لهم الجوامك مع قلة ما في أيديهم فيحصلون ذلك بالجهد الجهيد من معادن وما يجدون من دور الضرب معهم على تقالل محصولها بعد أن تغيرت الضربة فيها، والإنكسار حصل معهم لما حولوها وجعلوا الخمس الأولة على النصف من الضربة الآخرة، فانكسروا فيها، والكسر كثير من أهل البيع والشراء، وتقالل الداخل والخارج بالأسباب، واضطربت الأحوال، وكلما تكلفوا على إصلاح شيء انتقض من الجانب الآخر، فإن بالأمس كان جمعوا عسكراً من بلاد آنس ومن بني الحارث وصلوا إلى بعض الطريق وتفالتوا ورجعوا أرسالاً من غير

(١) قاسم بن أحمد بن المتوكل: يذكر ابن عامر بأنه ثاني أبناء أحمد بن المتوكل. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٤٤٥).

مبالاة وراحت الدراهم التي بذلوها لهم ضائعة. وكذلك مع الأولين تخاذلوا فيما بينهم وتماكروا، وعلى الجملة إنما التأم لهم أمر يريدونه بعد أن كان جرى ذلك قبل الإستيلاء من صاحب المنصورة، فإنه بلغ صاحب المنصورة الحالة الركيكة التي أيس منه أكثر الناس، ثم كان الإستيلاء منه بسبب أنه بذل أكثر ما تبقى معه في خزائنه لقبائل الحجرية ومشائخها، وأباح لهم ما انتهبوه على المحطة التي كانت عليه فيها، والسبب الثاني تخاذل العسكرين فيما بينهم، فإنهم لما رأوا القبائل كثرت عليهم دخلوا في بعضهم البعض أنهم مع صاحب المنصورة[١٦١/ ب] كون أكثر العسكر الذين معهم من قبائل بني الحارث وهمدان وهي بلاد أحمد بن الحسن، فمالوا إليه. ثم إن البلاد أكثرها مع غير أولاد المتوكل وهم صاروا مع أنفسهم في بلادهم، وإنما غاية الأمر مرامهم في الإجابة تارة لهذا وتارة لهذا، لأجل لا يحصل عليهم الخلل من الجانبين، بل من قوي منهم فهم معه، فلذلك لم يرفعوا رأساً في معونة يوسف بعسكر مع كثرة مطالبته لهم، وإنما صاروا يواعدونه مواعيد عرقوب. وهم في خلال ذلك مكاتبون إلى صاحب المنصورة، وأنهم معه ولا يتأتى منهم إلى جنابه ما يخشى ولا ما يدفعه. وصاروا يأكلون محصول البلاد، ويجمعون الخزائن منها والزاد. ويوسف صاحب ضوران وصنوه لم يبق معهم ما يخزن ولا ما يجمع بل بلغوا في نفقاتهم إلى العدم والنفاد مثلما بلغ إليه محمد صاحب المنصورة وأبلغ، والله يتدارك المسلمين بسكون ثائرة الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

وفي يوم الإثنين سادس شهر شعبان خرج الأمير حسين بن عبدالقادر صاحب كوكبان من شبام طريق المحويت، وباب الأهجر بعساكره وأتباعه ولم يعرف أحد ما سببه، ثم نزل من المحويت طريق الطور في شدة الحر وجمرة القيض وأول مبادي مطر الخريف وطلع جبل أذرع، سكن فيه بقية شعبان ثم عاد إلى كوكبان.

وفي هذه الأيام وقعت المراكزة على المخا من القبائل مع عينة يسيرة من العسكر، فخاف أهل البندر من النهب إذا دخل؛ لأنه غير حريز، وفيه يومئذٍ زيد بن المتوكل

والسيد حسن الجرموزي. وأكثر مراكب الهند توقفت خارج البندر ، وامتنعوا عن الدخول من البحر لَمَّا عرفوا بذلك، والبعض قد كان دخل ولم ينزل أحد من التجار من اليمن الأعلى خشية على أموالهم. ووصلت[١٦٢/ أ] الرتب والعينات إلى سد مشورة رأس العدين فيها ابن فرحان من الذين كانوا أولاً من أصحاب يوسف ، ثم لما أسروا والوا الناصر واختاروا الخدمة معه، وهم مراكزون لزيد بن محمد بن الحسن بن القاسم الذي في العدين، والله أعلم.

وفي رأس سمارة رتبة من قبل صاحب المنصورة، وفي يريم علي بن حسين والأغا فرحان وجماعة عسكر معه من أصحاب يوسف، وكل يراعي منهم الفتنة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ووصل خبر بأن عبد الله بن محمد بن الناصر لما رَسَّم به والده ومنع الداخل والخارج عنده غير خدَّام واحد يخدمه، وأمر في بعض الليالي أن يحرق مخزان البارود الذي تحت بيت والده ومن فيه، ففعل ذلك، فحرق نصف الدار وسلم والده؛ لأنه كان في النصف الآخر الذي سلم من الحريق، أراد بمكيدة لوالده، ففطن به قبل حصول ما أراده، فلما حصل منه ذلك أمر به والده إلى حصن الدملوة وشدد عليه بزنجير لما اطلعوه وقيده في الحصن المذكور.

ووصل خبر بأن ابن فرحان قبض عليه زيد بن محمد بن الحسن أسيراً من غير حرب، وأن جماعة عسكر من غربان كان أرسلهم صاحب المنصورة إلى بلاد يريم وهم ثمانية أنفار بأدب على سبب مواجهتم للمنصور يوسف، فقبض عليهم علي بن حسين بن أحمد بن الحسن وفرحان وحبسهم، ثم أطلقهم وساروا بيوتهم. وجملة الرتبة في رأس سمارة نحو ستين نفراً أيضاً من غربان، كان أراد فرحان وعلي بن حسين يقصدوهم، فكتبوا إليهم أنكم لا تعجلوا، والأولى التوقف منكم حتى ننظر ما يكون وأنه لا يحصل منهم تعدي.

وبعث الناصر على الشيخ الأحمد واليوسفي أطراف الحجرية بآداب بسبب مواجهتم وإدخالهم أصحاب يوسف المنصور بلادهم، فتغيروا من ذلك وقيل: أن بيت الأحمدي أمر بخرابه. ووصل جماعات من العسكر من أهل الشام وغيرهم الذين كانوا مع صاحب المنصورة بالطماعات معهم ومروا صنعاء، وكذلك جماعة ممن اختلط بهم من عسكر أصحاب يوسف نهبوا أيضاً وساروا بلادهم بطماعات من النقد والسلاح، فلا قوة إلا بالله.

وفي ثالث عشر شهر شعبانها وصلت الأخبار أن عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن هرب من المنصورة هو وجماعة من أصحابه، فنجى وخرج من حبال محمد الناصر، فضربت الطبلخانات في ضوران وصنعاء والطلاعات. وأما عبد الله ولد الناصر فشدد عليه في حصن الدملوة، قيل: بذلك السبب، وقيل: بغيره. وقد كان هذا محمد بن أحمد الملقب الناصر المذكور أمر بعض القبائل أن يقصدوا إلى المخا لأخذه ونهبه، فاجتمعوا طمعاً منهم في أخذ أموال المسلمين، فثبت لهم زيد بن المتوكل وعنده من العسكر نحو سبعمائة، وضربت المدافع وخرجوا فيهم، فانهزموا وقتلوا منهم جماعة وولوا الأدبار وحمى الله البندر. وواجهت يومئذٍ رتبة سمارة إلى علي بن حسين بن أحمد بن الحسن وفرحان، ودخلوا في طاعة يوسف وواجه ولد حسين بن حسن إلى يوسف، وعند اتفاق هذه الأمور الثلاثة سكن رجيف الناس وزال عنهم ما كانوا يظنونه من تسليط الناصر عليهم. ومنع بعض أهل اليمن الأسفل عند ذلك الآداب التي كان جعلها عليهم.

وفي هذه الأيام استفتح صاحب المنصورة بيت الفقيه بتهامة[١٦٣/ أ]، ثم إن زيد بن المتوكل خرج لقصد من في موزع فاحتربوا وقتل منهم، وانهزم أصحاب صاحب المنصورة من موزع، وأسر منهم جماعة، وكان القتل أكثره في قبائل الحجرية الذي أجاش بهم.

ووصل كتاب هذه الأيام من الشريف أحمد بن زيد بن محسن صاحب مكة إلى الناصر

والمنصور[1] بأن صر العام الماضي وصر هذه السنة يسلموه وأنه لا يعذرهم عنه.

وفي هذه الشهر مرت جراد، جاءت من جهة الشام.

وفي عشرين شهر شعبان وصل الخبر أن حسين بن علي بن المتوكل خرج من حبس صاحب المنصورة.

ووصل الخبر أن فرحان لما نزل بمن معه من العسكر المنصوري بسمارة والمخادر قصد إلى إب، ودخله عنوة، ووقع حرب وانتهبت بعض المدينة. وكان أراد التقدم إلى جبلة، لولا وصول غارة من المنصورة قد كان ركب لها يحيى بن الناصر.

وفي أول شهر رمضان الكريم من هذا العام مضى علينا رجل صوفي على قدم ....[2] قال: إنه سائح في أرض اليمن وأنه قد دار زوايا الصوفية بتهامة وما يليها من الجبال، وأن أصله من البلاد التي تقرب بلاد حَلِي ومكة وتبالة، وأنه وأهل بلاده على مذهب الزيدية، وقد ذكر لي أنه اتفق بالمَراوِعَة ببعض بني الأهدل[3] الصوفية وبقي هنالك عندهم بعض المدة، ثم بالبلاد التي تقارب بلاد الصلبة بشيخ هناك يقال له: أبو طلحة له مكاشفات عدة، وأنه اتفق بالعوبلي ببلاد ريمة وما له من المقام بجهته والنذور والإنبساط بما حصل له من الفتوحات في هذه المدة. وذكر أنه حضر على مجلس طعامه، فاجتمع كثير على طعامه، فلم ينقص السمن من أصله ولم يزد عليه. وذكر أنه اتفق بالرجل الذي يقال له: عبد الله بجبل جبع مساقط بلاد لاعة، وأنه قد تقرر هنالك وابتنى بيتاً ومسجداً يسكنه، وأنه لا يتفق به إلا من أراد هو لوقفته أو طالب ملازمته، وأنه ينسل من حضرتهم فلا يدري بجهته ويسمع صوته من بعد فيه ذكر الله تعالى، وأنه يسكن في

---

(١) المنصور: المقصود به يوسف بن الإمام المتوكل إسماعيل.

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٣) بنو الأَهْدَل: ينسبون لجدهم السيد علي بن عمر الأهدل، المتوفى بقرية المراوعة سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج١، ج١، ص٩٤).

بلاد الهيجة[1] [١٦٣/ ب] هناك ولا يضره الأسد مع قربه منه، ثم يعود داره، وأنه أحيا في جبع مالاً يزرعه وجعل له أُجراء يزرعونه ولا يأكل إلا منه، والنذور التي تفد إليه لا يأكلها إلا أصحابه، فهذا دأبه. وذكر أنه مر إلى بلاد آنس فوجد فيها ناصر الدين الذي سبق الإشارة إليه في دولة المتوكل، وأنه ابتدع أشياء من التحريمات بما هو حلال، كما سبق، فذكر لي: أنه زاد مع ذلك مما يقوله تحريمه للخل؛ لأن أصله الخمر والخمر نجس فيلزمه أن كل تلبس النجاسات في الأصل نجس وجميع الحيوانات تلبس بالدم في الرحم فيلزمه نجاسة بني آدم والأنعام وهذا لا قائل به، وتحريمه لما يفعله الفلاحون من تكريم المال بالأرواث[2]. وقال: هو نجس فيحرم الحب لأجل ذلك، وحرم القهوة وحرم أشياء كثيرة مما أحله الله تعالى من المباحات، فهذا من البدع الكاذبة في الإسلام والتحريم لما أحل الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾[3].

وقال: إنه يعتمد في مذهبه بكتاب أحكام الهادي لا غيره، فضاع عليه أكثر الفقه لأن أحكام الهادي لمسائل يسيرة، وقال المذكور: إنه دار كثيراً من المساجد والربط باليمن الأعلى، وأنه بات في مسجد ببني مطر ومسجد الشمس بوَقَش[4]، فوجد في أحدهما جماعة يصلون في الليل بعمائم خضر أحداث يأتمون برجل شائب وهو في زاوية المسجد، وأنه ظهر عند ذلك نور وضوء أدرك أشخاصهم وهو يراهم فأردا القيام للسلام على إمامهم فلم يتمكن من القيام أصلاً وكأن شيئاً جذب رجله للقعود. وقال: إنه زار النبي شعيب بن مهدم[5] برأس جبل القاهر بحضور وبقي فيه برهة، وسألته

(١) الهيجة: قرية في بني مديخة من مديرية الشاهل الشرفين. وأعمال محافظة حجة. (المقحفي: معجم البدان، ج٢، ص ٨٣٧).

(٢) الأرواث: مخلفات الحيوانات.

(٣) النحل: ١١٦.

(٤) وَقَش: بلدة أثرية في منطقة بني قيس من مديرية بني مطر وأعمال محافظة صنعاء. وهو محل محفوف بالأشجار والأنهار والآثار القديمة. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص١٨٨٤).

(٥) النبي شعيب: ينسب إليه جبل حضور، الذي قيل أنه قُبر فيه. وقد سبق تعريف حضور.

عن التسريج[1] الذي يظهر في بعض دعائم المسجد، فأخبرني أن الأمر كذلك، وأنه يحدث عند شدة السخم[2] والسحاب، وإذا وضع الإنسان أنامله قريب اللهبة[3] تلك وهي خضراء ظهرت اللهبة تلك في جميع أصابعه، ولا يحس لها حريق بل باردة وإن هذا من عجائب قدرة الله، فهو القادر على كل شيء[١٦٤/ أ]. وذكر لي المذكور أنه ذكر له بعض صوفية تهامة فقال: عجيباً لكم يا زيدية كيف لا تزورون الأحياء ممن يستحق الزيارة ويستمد منه الدعاء؟ وصرتم تزورونه إذا مات، وعجيباً لكم فإنكم تزورون وتطلبون ولا تبذلون شيئاً من الفتوحات ولا شيئاً من النذور، والأمر كما قاله فإن هذا حالهم ودأبهم.

والقاضي جباري لما أرسله يوسف إلى صاحب شهارة أجاب عليه أنه يخوض في المصالحة والإجتماع إن شاء الله من بعد انسلاخ شهر رمضان، إذا حصل من صاحب المنصورة ويوسف وهو سيسعى في صلاح السيدين، ويبعد خروج السيد محمد من منصورته، ويبعد أيضاً من السيد يوسف مساعدته والدخول في إجابته بعد ما جرى بينهما من هذه الفتنة والحروب، وكذلك يبعد من السيد علي بن أحمد صاحب صعدة الخروج منها ومعونته.

ووصل يحيى بن محمد بن أحمد بن حسن الذي كان بجبلة من قبل والده صاحب المنصورة إلى ضوران تحت الحفظ ومعه زيد بن محمد بن الحسن بن القاسم؛ لأنه واجه على يديه. كان وصوله برمضان منها.

وأهل الهند لما تكاملت مراكبهم رسوا في المرسى في باب المخا، ولم يخرجوا إلى البندر أصلاً، وصاروا يبيعوا ممن وصل إليهم والمشترين القليل لانقطاع طريق المخا، وإنما صار

(١) التسريج: الضوء.

(٢) السخم: الضباب (سبق ذكره).

(٣) اللهبة: الشُعلة.

يصل من يصل من البحر من اللحية أو من طريق الساحل من تجار تهامة والبانيان، فأما تجار البلاد العليا فلم يسافروا، ثم أخرجوا باقي مراكبهم بعد واقعة موزع وهزيمتهم، وتحولت الطريق إلى المخا من تهامة يومئذٍ.

وفي هذه السنة توفي القاضي العارف علي بن محمد الخولاني الشافعي، قاضي مدينة تعز باليمن الأسفل رحمه الله، وكان هو القاضي الحاكم بالشريعة ببلاد تعز، المرفوع إليه بتلك الديار وكان مشاركاً مع فقه الشافعي بالأصول والفقه هو الغالب عليه.

اتفقت به مرة بصنعاء لما طلع إليها في[١٦٤/ ب] ابتداء أيام أحمد بن الحسن لتقرير ما هو له من السبارات في تلك الجهة، رحمه الله.

وفي شهر رمضان خرج صاحب المنصورة إلى قدس وأظهر الإعداد والبذل لمن يخرج معه من الصفراء والبيضاء، فاجتمع كثير من أهل الأطماع، وأهم بالتقدم إلى تعز، ثم إنه عاقه ألم في رأسه أوجب عوده إلى المنصورة، فسكنت الأمور بعض السكون، وأما تعز فإنه قوى رتبته. وعبد الله بن يحيى بن محمد استقر بجبلة.

وفي هذه الأيام ازدادت الضربة إلى الضعف والركة، فجعلوا في الوقية[١] قفلة[٢] فضة والباقي نحاس وجسد مخلوط، بحيث أن بعضها يظهر فيها النحاس والحمرة حال الضربة فأما إذا بقت بعض أيام لم يبق بها انتفاع، وبلغ صرف القرش بها إلى ثلاثين حرفاً. واستوت ضريبة صاحب المنصورة وضريبة يوسف في الضعف، وظهرت للدولة الركة المفرطة خصوصاً حسين بن المتوكل؛ لأن معظم الدورة عليه، ومبالغ الجهد في إمداد العسكر الذين باليمن ومعاونة صنوه يوسف. كل ذلك لتحمل صاحبه وزيره زيد الجملولي[٣] في حمله على ذلك لأجل أنه يسلم من صاحب المنصورة؛ لأنه كان حاول في

(١) الوقية: الأوقية زنة سبعة مثاقيل وزنه أربعين درهماً. (ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٩٧٢).

(٢) قفلة: يقال درهم قفلة: أي وازن، وهاء التأنيث له لازمه، لا يقال درهم قفل. (جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، ج٢، ص١٨٤).

(٣) زيد بن علي الجملولي: ذكر المؤرخ مقتلة على يد الناصر محمد بن أحمد بن الحسن فيما سيأتي.

طلبه إلى حضرته وحبسه وإزالته عن يوسف، وظهر ظلمه في صنعاء في طلب المعاون من أهل البيع والشراء والتجار ومشاطرة أموالهم بالقرض الذي لا يقضى، والمعونات، والتعجيل في الزكوات، وطلبهم للقروش منهم للضربة كرهاً وغصباً، وصاروا يجأرون[1] بالدعاء بسبب ذلك لما لم يجدوا من ينصفهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وفي يوم الثلاثاء[١٦٥/ أ] ثامن عشر شهر شوال اتفق قران بين الزهرة وزحل في برج الميزان.

وحصل في هذا اليوم وهو الثلاثاء ثامن عشر شوال دخول الناصر جبلة، واستولى على عبد الله بن يحيى وفرحان بعد حرب جرى هنالك، وجاء عليهم بجمع لا طاقة لهم بهم، أكثرهم من الحجرية، فسقط في يد صاحب ضوران وصاحب صنعاء لضعف ما عندهم من المال والرجال، وعدم نفوذ الأوامر والكلام، وبقوا في حالة عجيبة من هذا الجاري، وعرفوا أنه بعد ذلك إليهم آتٍ. وكان الأمر كما في الحديث الذي رواه ....[2] عن أبي ذر عنه ﷺ قال: «وكانت صحف إبراهيم وموسى عبراً كلها منها: عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب، وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف لا يعمل»[3].

وجاءت كتب الناصر إلى أولاد المتوكل أنه لا سبيل إلى الإختيار والإجتماع بعدما قد جرى من النزاع فيما بينهم والحروب، وليس معه إلا السيف لمن لم يسلم الأمر. وأنه قد خرج من بلاد تعز إلى جهة جبلة، وكان ما ذكر من الحادث بجبلة. وكان قد أرسل حسين بن المتوكل بالجامكية لأصحابه الذين في جهة اليمن، فلما بلغهم في خلاله رجع

---

(١) يجأرون: جأر: رفع صوته مع تضرع واستغاثة، وجأر الرجل إلى الله عز وجل إذا تضرع بالدعاء. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص ٣٩٠).

(٢) بياض في الأصل.

(٣) هو جزء من حديث طويل ورد في تفسير ابن كثير، ج١، ص٥٨٧-٥٨٨.

الرسول من الطريق بما معه واسترجعوا الدراهم التي كان قد جمعوها إلى مكة، لما حصل حادث جبلة. ولم يتم تجهيز أمير حاج من قبلهم كالعام الماضي وربما أنهم يراسلون إليه في المصالحة والتسليم قهراً عليهم، فإن لم يفعلوا ذلك اجتحفهم. وكان خروجه من المنصورة في عيد الفطر بأول شهر شوال إلى قدس ثم إلى الجند ثم إلى القاعدة والحوض الأشرف(١) خارج مدينة تعز، وبنى على الإرتحال بنفسه إلى البلاد العليا بجموع كثيرة من قبائل الحجرية أكثرهم ومن غيرهم[١٦٥/ ب]، وسار بعض قبائل الحجرية لمحاصرة بندر المخا، فحاصروه حتى بلغ بعد الوقعة التي وقعت والهزيمة فيهم في موزع، فانعطفوا ثانياً بزيادة جمع جمعوه، حتى أن السعر بلغ في المخا المبلغ العظيم، وصاروا في حالة ضعيفة. وقد كان خرج من عسكر زيد البعض عقب وقعة موزع والحال عجيب! وظهر عن زيد بن علي الجملولي أنه كان أرسل في رمضان رجلاً بشيء من أرصاد السحر أن يوضع بأرباع(٢) المنصورة وأرباع قصره ففطن به صاحب المنصورة وطلبها من المذكور، وتعقب ذلك خروجه منها. واستولى حال وصوله جهات تعز على أموال ابن راجح وقبضها وانتهب ما هنالك من المنقولات للشيخ ابن راجح.

ومن ضعف رأي زيد بن علي الجملولي أنه حمل حسين على دراهم وكتاب إلى يافع ليكون عوناً لهم على صاحب المنصورة، فقبضوا الدراهم وواعدوهم وليس مرادهم إلا حفظ بلادهم، وكان يوسف قد جهز زيد بن محمد بن حسن في عسكر للزيادة إلى جبلة، فلما وصلوا إلى ذمار بلغهم دخول الناصر إليها وهرب عبد الله وفرحان عنها فعند ذلك سكنوا بذمار وكاتبوا إلى الناصر بالتسليم. وواجه صنوه إبراهيم صاحب ذمار وزيد بن علي الجملولي لما بلغه دخول جبلة. وهرب عبد الله بن يحيى، شد بعض حوائجه إلى بيته

(١) الحوض الأشرف: يُطلق عليها اليوم حوض الأشراف: وهي منطقة في مدينة تعز، تُنسب إلى رؤساء الدولة الرسولية. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٥٣٣).

(٢) أرباع: الرَّبْع: المنزل والدار، والوطن متى كان وبأي مكان، وجمعه رباع وأرباع. (ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص ١١١٠).

بالأهنوم في البيت الآخر في القصر، وراح عليه سرقة من الدراهم وبعضها راح في الخراب عقب ذلك، وتتابع عليه الأدبار وأراد الهرب إلى شهارة، فمنعه حسين بن المتوكل، فأرد العزم للحج ولم يتم له[١٦٦/ أ] ثم إنه ترجح له وسار إلى ضوران عند يوسف بن المتوكل.

وفي يوم الجمعة ثامن وعشرين بشهر شوال دخل محسن بن أحمد بن الحسن من الغراس إلى صنعاء. وذكر لحسين بن المتوكل أنه في نية الخروج للقيا صنوه الناصر محمد بن أحمد بن الحسن صاحب المنصورة، وأنه ما يسعه إلا الخطبة والتسليم للأمر والموالاة لصنوه وإلا فهو أول من يحاصر صنعاء، وأن القبائل التي حول صنعاء قد والوا جميعاً إلى جناب الناصر، فيخشى منهم عن المدينة الضرر إن لم يوالي. والأمر كما ذكره فإن الليلة الأولة ليلة الجمعة نورت جميع بلاد سنحان والرحبة حين ظهرت النار في جبل نقم، فما وسعه إلا الإنخراط في سلك الإجابة للناصر، وخطبوا هذه الجمعة المذكورة آخر جمعة في شوال للناصر.

وكان حال الخطبة وركز في الجامع سبعة بنادقية من العبيد بفتائلهم عالقة مقابل الخطيب، فلما ذكر الخطيب الناصر وضعوا بنادقهم وصلوا مع الناس. واتصلت الإجابة إلى شهارة، فأما شهارة وبلادها فالخطبة فيها للناصر مستمرة؛ لأنها إلى قاسم بن المؤيد وهو إلى جناب الناصر، فزال بسبب ذلك عن الناس الحرج، واطمأنت قلوبهم من الحادث وحصل لهم الفرج، والله يصلح ما فيه الصلاح.

وكل هذه الفتنة هذه المدة سببها ولده عبد الله بن الناصر، فإنه الذي بعثها، وإلا فكانت هادئة ساكنة، وقد وقع في عمله، والله يصلح أحوال المسلمين.

ولما بلغ يوسف صاحب ضوران هذا الأمر لم يرتضه لنفسه، وقال: لا يسمح بترك دعوته، وكان المحمل له على ذلك القاضي جباري الذّماري، فأمر أهل بلاد آنس

أنهم[١٦٦/ ب] يعينونه، فأجابوه في الظاهر. وأخرج بعض رتبة ضوران خشية لا يحصل منهم الميل إلى الناصر، فسار بعضهم إلى الناصر، وتفاقم الأمر بينهم. وحصل مع حسين صنوه التردد بعد هذا يريد الرجوع إلى صنوه، لكنه لم يكن في يده مال ولا رجال فبقى في حيرة وتغير من تنصير المدينة وغيرها. ولعن المحارب للناصر ومبغضه كما هو عادة المنصرين، وأنه كاره للناصر وإنما دخل في ذلك مضطراً إليه.

ولما وصل الناصر إلى نواحي بني سرح[١] وآل عَمَّار[٢] شرقي المخادر تحير فيه. وبنو الجرموزي شدوا حوائجهم وخزائنهم من دار صنعاء الذي كان وصل إليه من المخا خشية على ذلك من الناصر إذا تمكن من الطلوع إليها. ولما وصل الناصر إلى يريم قبض على ابن أخيه علي بن حسين وأرسل به إلى المنصورة تحت الحفظ. وصاحب عمران حسين بن محمد بن أحمد بن القاسم لما بلغه طلوع الناصر جدد دعوته لنفسه للإمارة والملك كالمرة الأولة، وكل ذلك خشية على ما قد بسط عليه من بلاد حجة؛ لأن الناصر قد أظهر أنه معزول عنها وهي الغبطة معه، مع أن خمر قد كان الناصر جعله إلى صنوه إسماعيل[٣] بن محمد بن أحمد، إلا أنه وصل إليه صنوه منعه عن التصرف بالقهر. وإبراهيم بن حسين خرج من ظفير حجة إلى حوره، ثم نزل تهامة واستقر بحيس لتأمين طريق المخا من قاسم صاحب شهارة والناصر. ويحيى بن الناصر[٤] دخل زبيد واستقر فيه بأمر والده، قيل: إنه مأمور إلى المخا زيادة على من أرسل الناصر إليه للإستيلاء عليه وعلى تلك الجهة. واتفق بطريقه بالقاضي أحمد بن ناصر بن عبد الحق الحيمي الذي أرسله يوسف إلى المخا، فقبض عليه وأرسله إلى الناصر. وقد كان خالف على الرتبة التي من

(١) بنو سرح: ويطلق عليهم أيضاً بنو سرحة: مركز إداري من مديرية المخادر واعمال إبّ. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٧٨٥).
(٢) آل عَمَّار: مركز إداري من مديرية الرضمة وأعمال محافظة إب. (المقحفي: معجم البلدان، ج٢، ص ١١١٥).
(٣) هو إسماعيل بن محمد بن أحمد بن القاسم.
(٤) يحيى بن الناصر محمد بن أحمد بن الحسن: عينه والده الناصر على زبيد وما حولها من تهامة، فلما وصل إلى زبيد توفي بها في أوائل هذه السنة ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٦م. (انظر هذا الجزء من الكتاب، ق ١٧٣أ-١٧٣ب).

أصحاب يوسف خارج المخا القبائل فاستولوا عليهم.

وجاء خبر من صعدة[١٦٧/ أ] أن علي بن أحمد المتولي فيها كان قد أهـم بـالخروج إلى الجهات اليمانية يدعو إلى نفسه، فعاقه المرض هناك وحصل عند مرضه قتل بسوق صعدة فيما بين سحار، فقتل نحو خمسة أو ستة أنفار منهم فيما بينهم بقتول سابقة لهم. وعلي بن أحمد مريضاً لم يخرج أحد يفك فيما بينهم، وسلمت المدينة من النهب، فلم يحصل فيها ولا أسواقها شيء من السلب. ووصل واصل من ضوران يحقق أمر يوسف فقال: قد بلغ في الركة والضغف الحد الذي لا مزيد عليه وتقالل الناس حوله، لم يبق لـه متابع ولم يبق في يده شيء من المال ولا الرجال وأنه لما فتح على من عنده المشورة أجمعوا على أنه لا مصلحة له في مقاومة الناصر، بل التسليم أولى له إلا القاضي جباري فحمسه، فصار المذكور في الحيره، وقد قرب الناصر منه، وشد من ضوران بعض حلله[1] خشية لا يحصل فيه حرب يكــون بسببه الإنتهاب.

وحال بلغ يوسف قضية جبلة وهرب عبد الله بن يحيى وفرحان ووصولهم إلى ضوران فسح لأولاد الناصر الذين كانوا لديه، منهم: حسن وصل إلى الغراس وصنعاء، ومنهم يحيى وإسماعيل نزلوا للقيا والدهم، ولقد كان مشدداً عليهم في الترسيم التشديد العظيم بالحرس في الطرق حولي الحصين، على كل طريق جماعة، حتى حصل لهم الفرج والنفس. وكذلك فسح لجميع من كان من أصحاب الناصر، ومنهم من سار فلم يعترضه، ولم يبق عنده إلا جماعة[١٦٧/ ب] يسيرة من خاصة أصحابه، مع أن منهم من أهل العهد هربوا مثل الخطيب وهو السيد أحمد بن محمد الجلال، فإنه هرب وامتنع عن الخطبة بالمرة، وسار بيته بالجراف مخراف[2] صنعاء.

---

(١) حلله: جمع حلة: سبق ذكرها.

(٢) مخراف: هي المناطق التي يقضى فيها معظم أهالي صنعاء فصل الخريف، وهي أيام موسم العنب في بداية المصيف، ومنها الجراف المذكورة هنا والتي أصبحت اليوم جزءاً من أحياء صنعاء. وقد سبق ذكرها.

وفي سادس شهر القعدة وصل زيد بن محمد بن حسن إلى داره بصنعاء على صفة الهارب من ذمار، لما أيس عما كان أمره يوسف به من ملاقاة الناصر إلى ذلك المقام.

وسبب خروج الناصر من المنصورة أن قبائل الحجرية وصلوا إليه يشكون ما قد نالهم من المغاز[1] في بلادهم بسبب الحروب، وأنه ربما يحصل مثل الذي قد كان أولاً فيها، وأنه يتوجه عليه صيانتهم والخروج من المنصورة وحدود الحجرية والتقدم إلى غيرها، وأنهم بين يديه، فأخذ عليهم المواثيق، وكان سبب خروجه واستقر الآن في بلاد بعدان، وتوقف فيها هذه الأيام وعاد كثير من أهل الحجرية إلى بلادهم، ولم يبق معه إلا العسكر ومن انضاف إليهم من سائر البلاد وبعض أعيان الحجرية من المشائخ ومن يتعلق بهم، وطلع إلى جبل حَبّ وتزوج هنالك من بنات الشيخ الجماعي[2].

ووصل رسول من مكة وهو الشريف أحمد بن هزاع بكتب مضمونها من جهة أنها بلغت الأخبار إلى حضرة السلطان، وأن أشراف اليمن يفردون الأمر لواحد منهم، ويتركون الفتنة التي طالت بينهم. وأنه بلغ رجوع الحاج العام الماضي وأنه إذا كان لخوف في الطريق فيسير معهم الشريف أحمد بن هزاع إلى مكة، واستمد الصرّ. فكان يوسف قد جمع بعض شيء من محصول المخا وغيره[١٦٨/ أ]، ثم حصل طلوع الناصر واستيلائه على جبلة والهزيمة لأصحاب يوسف، فلم يتم مما كان أراده ورجعت الدراهم.

ولما تفاقم الأمر على السيد حسن بن مطهر الجرموزي والي المخا وعرف معاملة الناصر له خاف، فهرب من المخا وحمل ما معه من بقية المال وبقية أهله في البحر وتوجه مكة بحراً. ولما استولى الناصر على اليمن الأسفل ولاّه الولاة من تحت يده، فجعل ولاية العدين للسيد حسن بن محمد بن أحمد بن الإمام الحسن المؤيدي، الذي كان والده في زمن

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كان للمشائخ آل الجماعي الزعامة على بلاد (الكَلاَع) و(بعدان) وكان أشهرهم الأمير أحمد بن عامر الجماعي، الذي يُنسب إليه نجد الجماعي، وقد عينه محمد بن الحسن بن القاسم والياً هناك. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص ٣٤٨-٣٤٩).

جده الحسن بن القاسم متولياً له. وكان السيد حسن المذكور ساكناً بالعدين على ما معه من المال، وإب وجبلة جعل عليها العمال، لتكون اليد عليهم من غير مخالفة ولا قتال.

وفي يوم السبت ثالث عشر شهر القعدة سار محسن بن المهدي أحمد بن الحسن صاحب الغراس والرحبة إلى حضرة صنوه، لأجل خلل حصل في بلاده عليه ولاقياً لصنوه، وسار صنوه الحمزة معه. وكان الحمزة هذا عند الناصر حال طلوعه من اليمن، ثم إنه حصل منه تعدٍ على بعض الناس، فشكوه إلى الناصر، فأرسل له فهرب إلى الغراس الشهر الماضي، فأرسل له من الغراس فأخرجوه من الغراس على حمار وساقوه معهم إلى عند الناصر، وكذلك محسن لعله مطلوب.

ووصلت آداب على جماعات من قبل الناصر، وكذلك على اليهود والبانيان بسبب الضربة المغشوشة.

وفي نصف شهر القعدة وصل الفقيه محمد بن عبد الله بن عزالدين الأكوع الذي كان سار من صنعاء، يخبر بأن الناصر سكن هذه المدة بجهة بعدان لتقرير الأمور.

وزيد بن المتوكل خرج من المخا يريد إلى بلاد ريمة، فلم يتم له.

وفي ثامن عشر شهر القعدة وصل الخبر إلى صنعاء بأن الناصر طلع من اليمن الأسفل إلى يريم.

وفي عشرين شهر القعدة وصل عبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن إلى صنعاء في حالة منكوسة ضعيفة في ثلاثة أنفار لا غير[١٦٨/ ب] بعد أن كان مخارجة وحركاته[١] في الجنود بين يديه، والبلاد العدينية تنساق إليه، والكلمة العالية معه في تلك البلاد اليمنية، فالقدرة لله تعالى والحكمة، ومن رأى حاله وما عليه وجميع من خالف على الناصر من

(١) الكلمة لم يتضح معناها بسبب عدم الإعجام، ورسمناها كما وردت.

الذلة اعتبر بهذه الدنيا وعرف أنها كسراب بقيعة.

وفي يوم الجمعة عشرين شهر القعدة دخل الناصر ذمار وجهز على يوسف إلى ضوران عساكره، فوصلوا إلى رُصَابة[1]. وكان أصحاب يوسف من بلاد آنس قد جعلهم رتبة في المَنْشِيَّة[2] ونحوها، فلما قرب منهم جنود الناصر ورأوا جهران قد أشعلوا النيران ونصروا للناصر هربوا إلى بيوتهم في آنس، فسُقط في يد يوسف ولم يبق في يده أحد كتب إلى الناصر بالمواجهة والإجابة. وكان الناصر قد كتب إلى قبائل بني حشيش بالوصول إلى حضرته لمحاصرة يوسف قبل هذه المواجهة وانحسم الإختلاف بالأمر الغالب ليوسف ومن معه، فالله يسكن الأمور، ويصلح أحوال الجمهور.

وزيد الجملولي سار إلى حضرة الناصر بذمار قيل: بطلاب منه له، وقيل: بل ابتداءً من قبل نفسه، فلما وصل إلى هنالك أمر الناصر بقطع رأسه، وحسين بن علي باقٍ بالمخا ما روي أنه قد خطب للناصر فيه.

وفي عشية الثلاثاء ثالث وعشرين شهر القعدة خرج حسين بن المتوكل من صنعاء إلى جهة القبلة، لما بلغه قتل صاحبه وصهره زيد الجملولي بذمار، فإنه لما وصل إلى الناصر أمر بضرب عنقه بعد أن طيف به في سكك ذمار والمرفع[3] خلفه، وقال الناصر: أنه السبب في هذا الحروب والفتن التي جرت والخلاف عليه، وهذه الضرائب، وأن كافة الناس شكوا ظلمه[١٦٩/ أ] فيهم.

ويوسف بعد التسليم للناصر خرج من ضوران إلى حضرة الناصر بطلاب له. والناصر كان سكونه بدار الأمير سهيل رأس ذمار من جهة الغرب.

وجاء طلاب ليحيى بن محمد، وصل به محمد بن محمد كاني التركي، فسار إلى حضرته.

---

(١) رُصَابَة: قرية كبيرة في قاع جهران، شمال ذمار بمسافة ١٨كم. (المقحفي: معجم البلدان، ج١، ص٦٩٠).

(٢) سبق ذكرها.

(٣) المرفع: آلة تشبه الطبل، سبق تعريفها.

وفي يوم الثلاثاء بعد العصر ثالث وعشرين شهر القعدة خرج حسين بن المتوكل من صنعاء لما بلغه قتل صهره زيد بن علي الجملولي وما وقع معه. وزاد حسين بن المتوكل نفوراً ما بلغه مع ذلك أن الناصر يريد تولية ولده إسماعيل بصنعاء وبلادها، فخرج من صنعاء إلى جهة القبلة وحال خروجه ولم يبق في يده من المال شيء؛ لأنه قد كان نفد ما معه فيما كان ينفقه على العسكر الذين يجهزهم إلى اليمن لأجل الناصر. وعند خروجه من صنعاء انتهب دار الضرب الذي كان معه بالقصر وكذلك بواقي ما كان في بيت للجمولي[1] في القصر ولم يبق في القصر أحد من أصحاب حسين بن المتوكل.

ووصل سعيد شاوش إلى صنعاء بأنه يقبض السلاح الذي ابتاع من خزانة القصر وبطلاب جماعة وآداب عليهم، فساروا ومنهم من كان قد هرب. ومن جملة المطلوبين جعفر بن مطهر الجرموزي، فسار وهو خائف، وكان قد طالت ولايته في العدين في زمان المتوكل، وشكا أهل العدين به في الزيادات التي زادها عليهم، فلم يشكهم.

ووصل طلاب لعبد الله بن يحيى بن محمد بن الحسن فهرب ولحق بحسين بن المتوكل؛ لأنه عرف أن ما بعد الطلب إلا السجن لما قد جرى منه من الحروب المرة الأولى والثانية. وكان هربه إلى ذيبين عند أصهارهم بني زبيبة. وكذلك هرب أحمد شمسان إلى قبائله بني جبر، وطلب الفقيه يحيى حسين السحولي الناظر على الوقف، فهرب أيضاً من بعض الطريق بعد خروجه من صنعاء، قيل إنه سار طريق اللحية؛ لأنه أقرب وبلغه شدة غضب الناصر عليه لأجل الخطبة التي خطبها في الخلع له وإقامة يوسف. والقاضي جباري هرب من ضوران إلى قبة المهدي أحمد بن الحسن بالغراس يريد الجُوْرَة[2]، ثم إنه أمنه الناصر[١٦٩/ ب] وبلغ أن الناصر برز بالوطاق في الديلمي شرقي ذمار يريد بلاد يافع،

---

(١) كذا في الأصل، ولعله يقصد الجملولي، وهو خطأ غير مقصود.

(٢) الجُوْرَة: بمعنى يستجير بالإمام المهدي أحمد بن الحسن حتى يأمِّنه الناصر.

لما حصل منه من التعدي في أطراف البلاد وقد كان برز به أولاً في منقذة جهة صنعاء والقبلة حتى رفعه إلى هنالك. ويوسف بن المتوكل وصل إلى صنعاء وكان صحبه إسماعيل إلا أنه تقدم قبيله، وسبب ذلك أنه أمره الناصر بأنه لا يعود إلى ضوران.

وفي يوم الإثنين تاسع وعشرين شهر القعدة وصل إسماعيل بن الناصر إلى صنعاء متولياً لها وحاكماً. وتمزق محصول المخا هذه السنة بعضه مع الجرموزي وبعضه مع زيد بن المتوكل وبعضه مما بقي مع حسين بن علي.

وجهز الناصر إبراهيم صنوه إلى بلاد ريمة وكسمة للإستيلاء على زيد بن المتوكل؛ لأنه بعد طلوع حسين من المخا تغلب فيها، ولم يسلم الأمر.

وخرج الأمير حسين بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين صاحب كوكبان إلى الطويلة متخوفاً.

وجاء خبر تسليم الأمر للناصر من حسن بن المتوكل صاحب اللحية، وأنه قبض على السيد حسن الجرموزي في البحر بما معه من المال والبز والحوائج، ولم يتم له الهرب إلى مكة.

ورجع عامة الجند وأصحابه إلى كوكبان وشبام بعد أن ذكر له السادة والأعيان أنه ما كان يصلح منه العزم على ذلك الوجه، وخرج من الطويلة جهة تهامة متوجهاً إلى جهة صعدة. وهرب حسين بن الناصر طريق باب الأهجر وطريق تهامة حتى طلع جبل رازح ودخل صعدة، وانتهب بعض حزائنه التي سار فيها.

وتثاقل حسين بن محمد بن أحمد أبو طالب عن الوصول إلى الناصر من بلاد خمر؛ لأنه يومئذٍ فيها وقد طلبه الناصر ووعد بالوصول، والسبب أنه حصل معهم ومع غيرهم التشوش مما وقع مع زيد الجملولي والتحرك مع الناصر إلى جهة المشرق، فاستشقوا ذلك؛ لأنه أظهر الأمر لهم بأنهم يتقدمون إليه ومن لم يمتثل عزله عن البلاد[١٧٠/ أ]، واستولى

إبراهيم بن المهدي على بيت السيد حسن الجرموزي ببلاد آنس، وقبض ما فيه من المال.

ووصل حسين بن علي إلى الروضة هارباً من المخا، وجاء طريق بيت الفقيه، ثم خرج إلى مفحق[1] بالحيمة ونزل من حضور[إلى][2] قاع صنعاء الغربي، ولم يدخل صنعاء ومعه نحو عشرة أنفار وهو متأثر بمرض.

وتمزق أولاد المتوكل ومن كان معهم في الجهات كل على وجهه متفرقين، ليس همهم إلا النجاة، والناصر استقر بذمار وصرف همته إلى الجهات اليافعية ، فأول من أرسل السيد صلاح بن محمد في جماعة من العسكر طريق بلاد لحج، ويحيى بن محمد[3] بعد وصوله ذمار آخر شهر القعدة أرسله طريق رداع أو قعطبة.

وكان حركة أهل المشرق إلى أطراف بلاد اليمن الأسفل سبباً لكسر همة الناصر إلى النفوذ من ذمار إلى صنعاء وغيرها وسبباً أيضاً في كسر الخوف الذي كان قد حصل مع بني المتوكل ومن مال إليهم من الناس في البلاد العليا. وسبب هذه الحركة إلى جهة حدود يافع ما جرى من قصدهم إلى لحج وما وقع منهم من الحرب لرتبة لحج. قيل: وسبب تحركهم أنه قد كان حصل من يوسف مصالحتهم بترك بلادهم لهم، والناصر قال: لا يمكن ذلك، فحصل ما حصل، واستأصلوا رتبة لحج وقتلوهم، لم يسلم منهم إلا دون العشرة وجملتهم فوق المائة. وقد كان قتلوا منهم جماعة بالبنادق من داخل البيوت لما كثروا عليهم، ولما بلغ يافع تحرك الناصر إليهم هربوا من لحج إلى بلادهم.

وفي أول شهر الحجة وصل الخبر بأن صالح الرصاص مات في جهاته، وعند ذلك بعث الناصر رسله إلى العسكر، فسار بعضهم قبل عيد النحر وبعضهم وعد لبعد العيد.

---

(١) مَفْحَقْ: بلد وحصن في ناحية الحيمة الخارجية، من أعمال حراز. (الحجري: مجموع بلدان اليمن، مج٢، ج٤، ص ٧١٥).

(٢) تم إضافة [إلى] ليستقيم المعنى.

(٣) يقصد به يحيى بن محمد بن الحسين بن الإمام القاسم، سبق ذكره.

والـضربة التـي مـن أولاد المتوكـل كـسرها وأرجـع الـضربة إلى الخمـس الأولـة الكبيرة[١٧٠/ ب] وضرب دراهم صغار عن بقشة صـغيرة، فكـان الحـرف ثمانيـة كبـار بالخمس الجديدة وبالصغيرة الحـرف قـدر أربعـين بقـشة، وكـان صرف القـرش بأربعـة حروف من الكبيرة بعد أن قد بلغ صرف القرش بالـصغيرة قـدر خمـسة وثلاثـين حرفـاً. وكان ذلك هو الضرائب الأولة، فإذا استمروا عليها ولم ينقصوها انتفـع النـاس بهـا، وإن نقصوها كانت مثل الأولة.

وفي هذه الأيام بشهر الحجة جعل الناصر ولاية بلاد كوكبان إلى أحمد بـن النـاصر بـن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين[١]، وقد كان معه ولاية سـابقة من والده المهدي أحمد بن الحسن، لكنه تركها أحمد بن الناصر رعاية لابن أخيه حسين بن عبد القادر بن الناصر، لما كان والده عبد القادر قـد جعـل الأعـمال عليـه في مدتـه، فلـم يستحسن أن يخرجه من تلك المرتبة التي كان دخلها. فلـما رأى أن كوكبـان قـد خـلي عـن الأمير بخروج حسين وعزمه منه وفزع أعيان كوكبان إليه أرسل إلى الناصر صنوه مهـدي لتقرير ذلك، فقرره وولاه.

[١٧١/ أ] وفي يوم الأحد ثاني عشر شهر الحجة توفي القاضي العلامـة عـلي بـن جـابر الهبل بصنعاء وكان قاضياً فيها وحاكماً من زمان المتوكل مـن بعـد مـوت القـاضي حـسن حابس إلى هذا التاريخ. وكانت أحكامه محروسة، مقررة مأنوسة، صاحب قـرار في أعـمال الشريعة وصبر. وكان معرفته في علم الفقه فقيهاً محققاً وليس له في سائر الفنون ما يعتمـد عليه لإشتغاله بالفقه. وقبر بمقبرة باب اليمن، قريب مسجد وهب بـن منبـه[٢] رحمـه الله تعالى، وقد بلغ في السن قريب المائة ممتعاً بسمعه وبصره.

---

(١) أحمد بن الناصر بن عبد الرب: لم اجد له ترجمة في ما بين يدي من مصادر.

(٢) مسجد وهب بن منبه: من المساجد العامرة، في الجهة الجنوبية، داخل العرضي الشرقي، عمره وهب بن منبه من مشاهير التابعين، وقبره بجوار المسجد. (الحجري: مساجد صنعاء، ص ١٢٩).

وفي تاسع عشر شهر الحجة وصل نقيب من عند الناصر إلى صنعاء بالقبض على وطاق حيدر، وقد كان في بيت زيد بن المتوكل، فقبضوا الخيام وحملوها وغير ذلك، وحصل مع الساكنين في بيته ما حصل وذلك بسبب أنه لم يسلم الأمر للناصر.

وجاء خبر أنه لما قرب منه إبراهيم بن المهدي خرج من كسمة بريمة طريق تهامة.

ووصل الخبر بأن العسكر الذين اجتمعوا برداع نحو خمسمائة لا غير.

وجاء خبر أن قبائل بني جبر وغيرهم بنواحي ذيبين منعوا عن وصول إسماعيل بن زبيبة وعن وصول أحمد شمسان، وقالوا: أنهم في جيرتهم ، ثم إنهم وصلوا بعد ذلك لما وضع الأمان لأحمد شمسان.

[١٧١/ ب] وفي عشرين شهر الحجة وصل خبر بأنه اتفق مراكزة بين إبراهيم بن المهدي وبين زيد بن المتوكل بكسمة بريمة بني الصياع، فقتل جماعة من أصحابهم، وثبت زيد بن المتوكل بجبل كسمة لهم، وقيل لم يحدث شيء من ذلك، وأنه كان أراد الفتنة فمنع أهل البلاد، ثم سلم لما وصل إبراهيم بن المهدي وخرج إلى حضرة الناصر، ووصل إلى ذمار بجماعة قليلة بعد أن تفرق أصحابه، وحكم إبراهيم على بلاد ريمة.

وحكم المنجمون بأن الشمس تكسف بآخر شهر الحجة يوم الأربعاء تاسع وعشرين في برج العقرب بالجوزهر الذي هو الذنب، وحصل قران يومئذٍ بين الزهرة وزحل في برج الميزان، وسيحصل قران الزهرة والمشتري في برج القوس في أول السنة الآتية بآخر محرم.

وسلم حسن بن المتوكل صاحب اللحية الأمر للناصر، وقبض على السيد حسن الجرموزي صاحب المخا ولم يتركه.

وجاء خبر أن صاحب صعدة علي بن أحمد لما وصل حسين بن المتوكل وعبد الله بن يحيى أجاب عليهم فيما ذكروه من الإستعانة به في تحريك الفتنة، فقال: لا يسعنا هذا ولا

مصلحة للمسلمين، ولا لنا يا أهل هذا البيت فيها، وقد كفى بما وقع، والدنيا عند الله حقيرة والمقصود فيها السعي في الصلاح ودرء المفاسد أولى من جلب المصالح، فَسقُط في أيديهم، وتحسروا في أنفسهم، وخابت آمالهم فيما كانوا يظنوه من مطابقة هواهم، والتحقق عما نقموه وشكوه.

وخرج هذه المدة من يافع رجل بكتب إلى أحمد بن زيد يذكرون فيها أن عيال الإمام قد اختلفوا واشتجروا[١٧١/ أ] وأن قد سبقت منهم كتب أولة مثل ذلك وأن المبادرة مطلوبة، وأنكم إذا جهزتم من جهتكم عينة يدخلون من تهامة ونحن نفتح من جهة المشرق إلى حدود البنادر وإلى حيس فعلتم ذلك، فظفر بها أصحاب الناصر، وأتوا بالكتب إلى حضرته، فطوق الزنجير في رقبته واعتقله في بعض معاقله، قيل: وهذا الرجل سيد.

ومن هذه الأيام وصل الخبرأن الناصر خرج الديلمي طرف قاع القبتين لاستدعاء حسين بن حسن صاحب رداع باللقيا للمفاوضة من أجل المشرق، فخرج الناصر من ذمار إلى ذلك المكان والتقوا هناك ورجع كل إلى محله. وكان جملة الحديث من حسين بن حسن أن المشرق يحتاج في مخرجه إلى النصاب الكامل، ولم يكن عندهم ما يغني مما اجتمع مع يحيى بن محمد ومحسن.

وفي آخر شهر الحجة أبطلت السكة من الدراهم الصغيرة وأعيدت الضربة الأولة التي كانت زمان المتوكل، كل بقشة خمس من الضربة الكبيرة، فرجع صرف القرش إلى أربعة حروف.

وفي هذه الأيام كان سعر القدح الصنعاني بصنعاء مع كبر القدح من عشرين بقشة أربع خماسيات والبر من حرف، بعد أن كان القدح في هذا التأريخ أيام صراب الثمار من أربعة حروف، والبر من ثمانية، فنزل بسبب هذه الضربة النصف، وكذلك سائر البضائع، إلا أن أهل الأسباب الذي كان اجتمع معهم من الضربة الأولة حصل عليهم الكسر خصوصاً التُجار، فإن استمرت هذه الضربة على حالة واحد فالمصلحة ظاهرة مع الناس، والله يصلح الأمور.

وأرسل قاسم صاحب شهارة إلى بيت الجملولي بسَيْرَان[1] فوجدوا أشياء كثيرة من الذهب والقروش، فطبع عليها وسار إلى السودة استقر فيها.

وكسفت الشمس في يوم الأربعاء تاسع وعشرين شهر الحجة في برج العقرب طلعت كاسفة، وكان الكسوف فيها من أسفلها قدر نصفها بالذنب، فالقدرة لله تعالى.

ودخلت سنة تسع وتسعين وألف[2]

استهلت بالجمعة بالرؤية وبالخميس على الحساب.

وفي رابع هذا الشهر وصلت أخبار الحجاج من مكة المشرفة أنه خرج باشا وجند كثير معه، فتخوف الشريف أحمد بن زيد منهم، وخرج من مكة إلى الطائف ،وأخبروا أن الحج كان مباركاً تاماً، والشامي والمصري فيهما قوة وعساكر كثيرة، وأن السلطان استفتح العام الماضي من بلاد النصارى جهات زائدة على ما كان أولاً، واسترد ما قد كان فعل الفرنج، كما سبق ذكره، وأن الباشا الجديد إلى جدة وصل متولياً وسار الأول معزولاً.

وأمور مكة ساكنة والخيرات عامة، ورخص الأسعار متصلة، إلا أنه كان حصل قبل الحج في ذهبان شهران حرب من القبائل حولي بيشة وبين أصحاب الشريف الذي خرجهم إلى جهاتهم، فراح من أصحاب الشريف جماعة وفيهم الشريف عبد الله بن بشر، فجهز الشريف عساكره عليهم، فقتلوا منهم طائفة وانتهبوهم، وبلغت يد الشريف إلى ذهبان وحدود عبيدة[3] زيادة على بلاد بيشة.

والناصر بلغت جنوده إلى حدود (جبل حرير)، وحدود بلاد يافع استقر فيه السيد

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) ١ محرم ١٠٩٩هـ = ٦ نوفمبر ١٦٥٨٦م.

(٣) عَبِيْدَة: يطلق عليها أيضاً: سراة عبيدة، بمنطقة إمارة بلاد عسير. (حمد الجاسر: المعجم الجغرافي، ج٢، ص ٧٨٧).

صلاح الديلمي بمن معه من العسكر، وأهل الحيمة ومن إليهم من جهة أخرى.

وكان الشيخ الشريف عبد الغفارمن آل باعلوي هذه الأيام بصنعاء، وهو يسكن بحضرموت وبالجوف، ولهم فيه معتقد وكثير ما يختلف من حضرموت إلى صنعاء طريق الجوف. رأيته ظاهره الصلاح والتسليم، ويحب الإصلاح فيما بين المسلمين. ذكر قرب الطريق الشرقية من حضرموت إلى الجوف، إلا أنها في بعض المراحل مقاطع، وقال: إن من حضرموت إلى أطراف الجوف نحو عشرة أيام وأقل من ذلك وإلى نجد كذلك. ومن العجائب أنه يسير بغير نعل، حافي، وهو شافعي في المذهب، قد وخطه الشيب[١٧٣/أ] وله قدرة على الأسفار فيما بين هذه الجهات، وفيه أخلاق طيبة، ولا يسأل أحداً بل إن أُعطي شيئاً قبله من غير سؤال.

وجعل الناصر ولاية بلاد السودة إلى قاسم بن المؤيد صاحب شهارة، فوصل إليها وأمره بالتجهيز، وجعل إليه محصول بلاد عفار وأخرجها عن يد قاسم بن المتوكل. وجعل أمر بلاد ثلا إلى واليها الأول الفقيه حسين بن يحيى الثلائي، فذكر الفقيه حسين الثلائي أنه لا يمكن التصرف فيها ما دام قاسم بن المتوكل بثلا؛ لأنه يخشى من المعارضة فيها. وبلاد كحلان ولاها بعض أولاد الهادي بن الحسن بن شرف الدين الذي كان قد تولاها في المدة الماضية آخر دولة المتوكل. وخرجت عن يد حسين بن محمد بن أحمد أبو طالب لأجل تثاقله عن التجهيز، وعند ذلك عاد حسين بن محمد المذكور من خمر إلى عمران، وأجاب على الناصر أن التجهيز لا يمكنه إلا لو كانت البلاد بنظره، فأما والحال أن قد صارت بلاد خمر إلى صنوه إسماعيل[1]، وكحلان خرج من يده، وبلاد حجة قد صار محصولها إلى حضرته وبعضها إلى قاسم بن المؤيد فلا يجد ما يقوم بالعسكر.

وصار الرؤساء والمطلوبين من أصحابهم يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى، ومنهم من يعتذر

---

(١) هو إسماعيل بن محمد بن أحمد بن الإمام القاسم. سبق ذكره.

بجمع الثمرة. وأما الذين قد ساروا أولاً مثل أهل الحيمة وبعض العسكر من غيرهم فوقفوا منهم في رداع، ومنهم في حدود جبل حرير، وكلما كتب إليهم الناصر قالوا: يلحق جميع العسكر والرؤساء، وهم يتقدمون جميعاً، والله يصلح للمسلمين ما فيه الصلاح.

وفي أول الشهر مات يحيى بن الناصر بزبيد[١٧٣/ ب]، وكان قد جعل والده نظره وما حوله من تهامة إليه.

ومات ولد حسين بن المتوكل بصعدة بحضرة والده، وكان سار صحبته.

وجهز قاسم بن المتوكل عسكراً من عنده إلى المشرق إجابة للناصر، لما عرف أن الناصر قد بنى على عزله إن لم يجهز، فأرسل بنحو أربعمائة، فما قصر في رأيه، وتدارك أمر بقية بلاده.

وحسن بن المتوكل قد كان خرج من اللحية يريد الوصول إلى حضرة الناصر لإجابته، فكتب إليه الناصر بأنه يتوقف هذه الساعة في جهاته، والمطلوب إنما هو المعونة بعسكر أو مال.

وسار المطلوبين من العسكر وغيرهم من خولان صنعاء وسنحان وغيرها بعد تمام الثمرة معهم ما وسعهم إلا العزم لإجابة الناصر، فساروا في نصف شهر محرم. وكذلك صاحب كوكبان جهز محطة من عنده نحو سبعمائة ورئيسهم مهدي بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين. وصاحب عمران كذلك أرسل عسكره، وتتابع الناس إلى حضرة الناصر.

وكان قد رتب قبائل الرصاص طرف بلادهم بالزهراء؛ لأنهم أظهروا الخلاف مع يافع، فخرج الذين قد كان اجتمعوا برداع إلى الخريص ببلاد قيفة وتقربوا منهم وهم قدر ألف نفر مع يحيى بن محمد ومحسن بن المهدي أحمد بن الحسن، فهربوا منها، وتقرب العسكر إلى المعسال. وجاءت كتب يافع بالمواجهة، فلم يجب عليهم الناصر بجواب،

وقال: لا بد من دخول البلاد، وأخذ ما قد أخذوه على الناس وما جرى منهم سابقاً من العناد.

ووصل كتاب من الناصر إلى يوسف وهو بصنعاء أنه يمتنع من التقدم في المحراب[1] يوم الجمعة للصلاة، فإن في ذمته ما قد جرى عليه من الخروج والحروب والديون اللازمة، وليتقدم غيره وهو يعزم شهارة، فترك المذكور التقدم وامتثل وتأخر للصلاة في المؤخر. ورجع إلى الناصر من جهة العزم إلى شهارة، وأنه لا يعرفها لأنه ولد بضوران، وتلك الديار وقد صنعاء أوفق في البقاء، والحركة تعسر عليه في هذه المدة، ويلزمه لوازم شاقة، وأن ينظر وصايا من صنوه يريد افتقادها وتنفيذها[١٧٤/ أ].

وأخبرني بعض الحجاج الذين جاؤا طريق تهامة قال: لما وصلوا إلى أبي عريش -طرف بلاد صاحب اليمن- بقوا منتظرين لوصول أمير حاج على ما قد كان بنى عليه يوسف بن المتوكل بتجهيزه، فلما أزف الوقت ولم يصل في وقته اجتمع أحمد بن مهيا وجمع قبائل من الحرامية بصبيا، وأفاض عليهم شأن الحجاج، فقالت الحرامية وأهل البلاد: إن كان مع الحجاج أحد أمير من صاحب اليمن فلا بد من تسليم المعتاد ثلاثين كورجة[2] وقدر مائتين قرش ويسلم حق العام الماضي مع هذا العام دخلوا وساروا آمنين إلى بيت الله الحرام. وإن لم يكن أحد أمير دخل الناس والبلاد بلاد الشريف، ولو لم يصر إليهم شيء من الأصل، ويدخل مع الناس الشريف أحمد بن مهيا الذي من قبل أحمد بن زيد فإنه يكفي الحجاج، وإلا فلا حرج عليهم. فدخل كثير من الحجاج مع أحمد بن مهيا إلى بيت الله الحرام، ورجع من رجع وهم القليل، مع أن الحجاج من أصلهم لم يكونوا كما كانوا، وحجوا وعادوا طريق الحرامية بلاد الحجر، ومعهم في العودة شريف الخلا أخذ منهم المعتاد من المجبا لا غيره.

---

(١) المقصود به محراب الجامع الكبير بصنعاء، وقد سبق ذكر الجامع.

(٢) الكورجة: في غير الموزون وتساوي عشرين وحدة (قانون صنعاء: تحقيق: القاضي حسين السياغي، هامش ص ١٩).

ووصل إلى حضرة الناصر بعض شعراء صنعاء، فقال: لا حظ لكم عندنا؛ لأن ألسنتكم طالت علينا فرجعوا بغير شيء، والسنة حرمانهم، كما جاء في الحديث النبوي: «احثوا في وجوه المداحين التراب» [1] أي: احرموهم.

وفي هذه الأيام بآخر شهر محرم وصل إلى حضرة الناصر أصحاب يحيى بن محمد يشكون منه في عدم الوفاء بالجوامك، وأنه أعطاهم من الدراهم الأولة، وقد كسدت لا تنفعهم. وقد كان شكوه مرة أولة وأمر له بدراهم من عنده، وأنه يريد أن لا يسلم لهم من الجديدة بقدر حساب الأولة، وينقص، فيجعل الثلاثة الأولة بحرف من الجديدة، فعند ذلك عزله وجعل صنوه عبد الله بن محمد[2] الصغير في السن مكانه وولاه بلاده.

قيل: وكذلك عزل صنوه محسن بن المهدي.

وفي أول شهر صفر تكامل إرسال العسكر إلى حضرة الناصر المشرق، آخرهم أصحاب قاسم بن المؤيد وأصحاب حراز، ولم يبق إلا صاحب عمران فإنه ما زال يتثاقل.

وأمر الناصر إلى ولده إسماعيل بالخروج على صاحب عمران، فقدم إسماعيل مراجعته والأعذار له والتلويم بأنه ما ينبغي منه ذلك، فأجاب أن قد تفرقت بلاده، بلاد خمر مع صنوه إسماعيل وغيرها، فلأجل ذلك اعتذر وكان ما عنده لا يقوم بالعسكر مع عدم انخراطهم وشروطهم بالمحاسبة. لهم فتثاقل عنه إسماعيل، وظهر أن والده لما تحقق أعذاره رأى الأمر فقبض دفعته فلم يعذر ولا قبل منه قوله فلم يسعه إلا الإرسال بعينة من القبائل، وبعث معهم ابن أخيه القاسم[3]، وعزموا إلى حضرة الناصر، وانتهى يومئذٍ جميع

(١) ورد الحديث في: صحيح البخاري، ج٢، ص١٠٤؛ مسند الإمام أحمد.

(٢) هو عبد الله بن محمد بن الحسن بن القاسم. ذكره ابن عامر بأنه أصغر أبناء محمد بن الحسين بن القاسم. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٣٤٦).

(٣) لعله يقصد به ا القاسم بن أحمد بن محمد بن أحمد بن القاسم، وهو ابن أخي الحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم صاحب عمران. (ابن عامر: بغية المريد، مخطوط، ق ٣٦٨).

المطلوبين من القبائل والعساكر، وما زالوا إلى الجهات الشرقية بالأمر القاهر.

وحصل هذه السنة في بندر المخا كساد البز الخارج من البحر؛ لأجل قلة نزول التجار إلى هنالك............[1] في البحر وتحريقها بما فيها بالنار عداوة للإسلام، ولكن لما كان البز كثيراً من العام الماضي والذي قبله؛ لأنه كان باليمن العالي اكتفى التجار والناس به، ولعله يحصل لهم رأس مالهم فيه في الذي بقي معهم منه بعد أن كان بعضه قد باعوه برأس المال ديناً إلى هذا العام.

وجاءت كتب صاحب صعدة علي بن أحمد بالتسليم للأمر إلى جناب الناصر، وخطب له بصعدة، واطلق الناصر صنوه إسحاق من حبس المنصورة، ووصل إلى صنعاء. وكذلك ولده عبد الله أخرجه من حصن الدملوة وطلع إلى حصن ذمرمر محلهم، ولكنه تحت الحفظ، وأمر بالترسيم عليه بذمرمر. ولم يبق للناصر معارض يومئذٍ ولم تبق الشغلة معه إلا لبلاد يافع، وأنه لا بد من دخول بيارقه وأعلامه إليه، ولم يسعدهم إلى عدم دخوله، وإلا فقد كان جاءت كتبهم بالتسليم للأمر لما قد وقع منهم من القضية في لحج، فلم يقبل منهم، والله يصلح كل شأن.

---

(١) هنا قدر نصف سطر لم يتضح منه شيئاً بسبب الشطب.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المخطوطات

- إبراهيم بن عبد الله بن إسماعيل الحوثي:

١- نفحات العنبر بفضلاء اليمن الذين في القرن الثاني عشر، محفوظة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم ٢٦٣٦.

- إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد:

٢- طبقات الزيدية الكبرى، محفوظة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم ٢٦٧٢.

- أحمد بن صالح بن ابي الرجال:

٣- مطلع البدور ومجمع البحور، محفوظة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم ١٧١.

- أحمد بن عبد الله الجنداري:

٤- الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز، محفوظة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم ٢٥٢٤.

- أحمد محمد الشرفي:

٥- اللآلئ المضيئة الملتقطة من اللواحق الندية في أخبار الأئمة الزيدية، مكتبة الأستاذ عبد الوهاب عسلان.

- الحسن بن عبد الرحمن بن أحمد:

٦- كتاب المواهب السنية مما مَنَّ الله من الفواكه الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية، محفوظة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم ٢٦٢٦.

- الحسين بن ناصر بن عبد الحفيظ المهلا:

٧- حسنة الزمان في ذكر محاسن الأعيان، محفوظة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم ٢٥٣٦.

- عامر بن محمد بن عبد الله الرشيد:

٨- بغية المريد وأنس الفريد إلى معرفة أنساب الأئمة الأعلام السادة الكرام ذرية السيد الجليل علي بن محمد بن الرشيد، مكتبة الأستاذ عبد السلام الوجيه.

- عيسى بن لطف الله:

٩- روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، (ج٣) محفوظة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم ٢٥١٩.

- محسن بن الحسن بن القاسم بن أحمد، أبو طالب:

١٠-السحر المبين وفتور ألحاظ العين فيما سنح من أخبار اليمن وأهله الميامين من اثنتين وتسعين بعد ألف من السنين إلى وفاء الخمسين، محفوظة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم ٢٥٥٣.

١١-طسيب أهل الكساء الذي على جودي النجاة رسا، محفوظة بمكتبة الأوقاف، (المكتبة الشرقية)، صنعاء، رقم ٢١٤٥.

- محمد بن إبراهيم المفضل:

١٢-السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية اليحيوية، محفوظة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم ٢٥٦٤.

- محمد بن علي العمراني:

١٣-خبر النبيه بخبر افتتاح المنصور وبنيه، محفوظة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم ٢٥٣٨.

- مطهر بن محمد الجرموزي:

١٤-الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة، محفوظة بدا رالمخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء.

١٥- النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة، مكتبة اليمن الكبرى (مخطوط منشور).

- يحيى بن الحسين بن القاسم:

١٦-أصول فرق الإسلام، مخطوط ضمن مجموع رقم٦١، مكتبة الأوقاف (المكتبة الشرقية).

١٧- أنباء الزمن في تاريخ اليمن، مكتبة الوالد العلامة محمد بن محمد المنصور.

١٨- الزهر، في أعيان العصر، ضمن مجموع رقم ٦٦/ محفوظة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء.

١٩- الزهر الناعم في اتباع سنة أبي القاسم، ضمن مجموع رقم ٤٦، مكتبة الأوقاف (المكتبة الشرقية).

٢٠-كتاب في الذين تركو الملك واتبعوا طريق الزهادة، ضمن مجموع رقم ٦١، مكتبة الأوقاف (المكتبة الشرقية.

٢١-المستطاب في تاريخ علماء الزيدية الأطياب (مكتبة الوالد العلامة أحمد بن محمد زبارة).

- يحيى بن علي الحبسي:

٢٢-تتمة الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، محفوظة بدار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء، رقم ٣٥.

ثانياً: المصادر والمراجع المطبوعة

- إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد:

٢٣-طبقات الزيدية الكبرى، ويسمى: بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد، تحقيق: عبد السلام الوجيه، عمّان، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط:١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

- إبراهيم بن محمد الصبحي

٢٤-بلاد الحجاز في القرن السابع عشر الميلادي، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، جامعة عين شمس.

- أحمد بن محمد الشجري:

٢٥-طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، مصر، المطبعة الميمنية، على نفقة الحاج عبادي حسن الكتبي بعدن، د. ت.

- أحمد بن أحمد النعمي

٢٦-حوليات النعمي التهامية، تحقيق ودراسة: د. حسين العمري، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- أحمد بن الحسين بن علي البيهقي:

٢٧-السنن الكبرى، حيدر أباد، مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية، ١٣٥٥هـ.

- أحمد زين دحلان

٢٨-خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتمام، مصر، المطبعة الخيرية، ١٣٠٥هـ.

- أحمد عبد الرحيم مصطفى

٢٩-في أصول التاريخ العثماني، القاهرة، دار الشروق، ط:٢،١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

- أحمد بن عبد الله الرازي

٣٠-تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق ودراسة: د. حسين العمري، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، ط:٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

- أحمد بن عبد الوهاب النويري

٣١-نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت.

- أحمد علي دخيل

٣٢-مائة وصية للإمام علي عليه السلام، بيروت، دار المرتضى، ط:٢، ٢٠٠١م.

- أحمد بن علي القلقشندي

٣٣-صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دت.

-أحمد بن علي بن محمد، ابن حجر العسقلاني:

٣٤-لسان الميزان، دار الكتب العلمية، د. ت

٣٥-المطالب العلية في رواية المسانيد الثمانية، دار الكتب العلمية، د.ت.

- أحمد قبش:

٣٦- مجمع الحكم والأمثال في الشعر، دمشق، دار العروبة، ١٩٧٩م.

- أحمد بن محمد الأبشيهي:

٣٧- المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:٢، ١٩٨٦م.

- أحمد بن محمد بن الحسن الحيمي:

٣٨- طيب السمر في أوقات السحر، تحقيق: عبد الله الحبشي، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- أحمد بن محمد الشامي:

٣٩- تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

- أحمد بن محمد الشرفي:

٤٠- عدة الأكياس في شرح معاني الأساس، صنعاء، دار الحكمة اليمانية، ط:١، ١٩٩٥م.

- أحمد بن محمد الخفاجي:

٤١- ريحانة الألبَّاء وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م

- أحمد بن محمد القمري التلمساني:

٤٢- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط:١، ١٩٦٨م.

- أحمد بن محمد الميداني:

٤٣- مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ط:٣ ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٢م.

- أحمد الهاشمي:

٤٤- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط:٣، د.ت.

- أحمد بن محمد بن جابر البلاذري:

٤٥- فتوح البلدان، نشره ووضع ملاحقه وفهارسه: د. صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، د.ت.

- أحمد بن يحيى المرتضى، الإمام المهدي:

٤٦- المنية والأمل في شرح الملل والنحل، تحقيق: د. محمد جواد مشكور، بيروت، دار الندر للطباعة والنشر والتوزيع، ط:٢، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- د. إسماعيل عبد الله محرم:

٤٧- دودة الجيش الأفريقية (الجدمي) أهميتها وسلوكها، ذمار، الهيئة العامة للبحوث والإرشاد الزراعي، عدن، قسم الإعلام الزراعي، ١٩٩١م.

- إسماعيل بن علي الأكوع

٤٨- البلدان اليمنية عند ياقوت الحموي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط:٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٤٩- المدارس الإسلامية في اليمن، دمشق، دار الفكر، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

- إسماعيل بن محمد أمين البغدادي

٥٠-هدية العارفين. أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، استانبول، ١٩٥١م.

- إسماعيل بن محمد العجلوني:

٥١-كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط:٢، ١٣٥٢هـ.

- أكرم حسن العُلَبي:

٥٢-التقويم، دراسة للتقويم والتوقيت والتاريخ مع جداول مفصلة لمقابلة التاريخ الهجري بالملادي، بيروت، المصادر، ط:١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

- أكمل الدين إحسان أوغلو وآخرون:

٥٣-الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، ١٩٩٩م.

- د. أيمن فؤاد السيد:

٥٤-مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٧٤م.

- د. بديع محمد جمعة، د. أحمد الخولي:

٥٥-الشاه عباس الكبير، بيروت، النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٠م.

- بروس بالوك، ريا الصكار:

٥٦-جامع الحسن بن القاسم في ضوران، دراسة تاريخية ومعمارية لجامع يمني من القرن السابع عشر الميلادي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٢م.

- ج. ج. لور يمر:

٥٧-دليل الخليج، القسم الجغرافي، ترجمة: المكتب الثقافي لحاكم قطر، بيروت، دار العربية، ١٩٦٩م.

- جمال الدين الشيال:

٥٨-تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، الإسكندرية، مطبعة التقدم، ١٩٦٨م.

- جمال الدين، ابن نباتة المصري:

٥٩-ديوان ابن نباتة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

- الحارث بن سعيد، أبو فراس الحمداني:

٦٠-ديوان أبي فراس، رواية أبي عبد الله الحسين بن خالويه، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٧٩م.

- حبيب بن أوس الطائي، أبو تمام:

٦١-ديوان الحماسة، القاهرة، مكتبة محمد علي صبيح الكتبي، ط:٢، د.ت.

٦٢-ديوان أبي تمام، شرح وتعليق: د. شاهين عطية، بيروت، دار صعب، د.ت.

- الحسن بن أحمد الهمداني:

٦٣-الإكليل، حققه وعلق عليه: محمد بن علي الأكوع، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

٦٤-صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- حسن محمود الشافعي:

٦٥-العملة وتاريخها، دراسة تحليلية عن نشاة العملة وتطورها وهواية جمعها، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

- حسين بن أحمد السياغي:

٦٦-قانون صنعاء في القرن الثاني عشر الهجري، طبع على نفقة القاضي حسين بن أحمد السياغي، د.ت.

- د. حسين الباشا:

٦٧-الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.

- د. حسين بن عبد الله العمري:

٦٨-الإمام الشوكاني رائد عصره، دراسة في فقهه وفكره، دمشق، دار الفكر، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

٦٩-الأمراء العبيد والمماليك في اليمن، بحث تاريخي مقارن بين الشرق والغرب حتى القرن العشرين، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٧٠-تاريخ اليمن الحديث والمعاصر، من المتوكل إسماعيل إلى المتوكل يحيى حميد الدين، دمشق، دار الفكر، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط:١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

- د. حسين بن عبد الله العمري، القاضي محمد بن أحمد الجرافي:

٧١-العلامة والمجتهد المطلق الحسن بن أحمد الجلال، حياته وآثاره، دراسة ونصوص محققة، دمشق، ط:١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

- د. حسين بن عبد الله العمري وآخرون:

٧٢-في صفة بلاد اليمن عبر العصور من القرن السابع قبل الميلاد إلى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

- د. حسين بن عبد العمري:

٧٣-مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، دمشق، دار الفكر، ط:٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٧٤-مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، دمشق، دار المختار للتأليف والطباعة والنشر ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٧٥-المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث، دمشق، دار الفكر، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

- حسين بن عبد الله الويسي:

٧٦-اليمن الكبرى، كتاب جغرافي جيولوجي تاريخي، ج١، صنعاء، مكتبة الإرشاد، ط:٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

- حسين بن محمد الحضرمي:

٧٧-الآداب المحققة في معتبرات البندقة، تحقيق ودراسة: عبد الله أحمد محيرز، عدن، وزارة الثقافة والإعلام، د.ت.

- حمزة علي لقمان:

٧٨-تاريخ القبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

- رشيد يوسف عطاء الله:

٧٩-تاريخ الآداب العربية، تحقيق: د. علي نجيب عطوي، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط:١، ١٩٨٥م.

- زهير بن محمد بن علي، البهاء:

٨٠-ديوان البهاء زهير، تحقيق: محمد طاهر الجبلاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف، د.ت.

- زين رشيد علي الشافعي:

٨١-الروض الزاهر في سيرة التاريخ والنسب الظاهر للأسر القرشية العدنانية بمنطقة جازان، الرياض، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٠م.

- ساطع الحصري:

٨٢-البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، دار العلم للملايين، ط:٣، ١٩٦٥م.

- سعيد أحمد برجاوي:

٨٣-الإمبراطورية العثمانية، تريخها السياسي والعسكري، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٣م.

- سعيد عوض باوزير:

٨٤-صفحات من التاريخ الحضرمي، مصر، مطابع دار الكتاب العربي، ط:١، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

- سليمان بن الأشعث، أبو داود:

٨٥-سنن أبي داود، مصر، مبطعة البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.

- أ. د. سيد مصطفى سالم:

٨٦-الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨-١٦٣٥م)، معهد البحوث والدراسات العربية، ط:٣، ١٩٧٧م.

٨٧-المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول، القاهرة، المطبعة العالمية، ١٩٧١م.

٨٨-وثائق يمنية (دراسة وثائقية تاريخية) القاهرة، دار الكتب المصرية، المطبعة الفنية، ١٩٨٢م.

- صلاح البكري

٨٩-حضرموت وعدن وإمارات الجنوب العربي، القاهرة، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

- طرفة بن العبد:

٩٠-ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: فوزي عطية، بيروت، دار سعب، ١٩٨٠م.

- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي:

٩١-الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣م.

٩٢-- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:١، ١٩٩٨م.

- عبد الرحمن البرقوقي:

٩٣-شرح ديوان المتنبي، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت.

- عبد الرحمن بن خلدون:

٩٤-مقدمة ابن خلدون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط:٤، د.ت.

- عبد العزيز بن سرايا، صفي الدين الحلّي:

٩٥-ديوان صفي الدين الحلّي، دار صادر، بيروت، ١٩٦٢م.

- عبد الكريم العزير:

٩٦-التشكيلات المركزية العثمانية والإدارة المحلية في اليمن، صنعاء، دار الكتب الوطنية، ٢٠٠٣م.

- عبد الله بن علي الوزير:

٩٧-تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، تحقيق: محمد عبد الرحيم جازم، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- عبد الله بن محمد الحبشي:

٩٨-مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، صنعاء، مركز الدراسات اليمنية، د.ت.

- عبد الله بن محمد العبد لكاني:

٩٩-حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، تحقيق: محمد جبار المعيبد، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٣م.

- عبد الواسع بن يحيى الواسعي:

١٠٠-تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، صنعاء، مكتبة اليمن الكبرى للطباعة والنشر والتوزيع، ط:٢، ١٩٩١م.

- ابن عذارى المراكشي:

١٠١-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج. س، كولان، إ. ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط:٣، ١٩٨٣م.

- عز الدين بن الأثير:

١٠٢-اللباب في تهذيب الأنساب، بيروت، دار صادر، د. ت.

-علي بن الحسين، أبو الفرج الأصفهاني:

١٠٣-كتاب الأغاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الشعب، ١٩٦٩-١٩٧١م.

-علي بن الحسين بن علي المسعودي:

١٠٤-مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، ط:٥، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

- علي بن أبي طالب:

١٠٥-كتاب الجفر الجامع والنور اللامع، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، د.ت.

١٠٦-ديوان الإمام علي بن أبي طالب، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، بيروت، دار ابن زيدون، د.ت.

- علي بن عبد العزيز الخضيري:

١٠٧-علي بن المقرب العيوني حياته وشعره، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

-عمرو بن بحر الجاحظ:

١٠٨-كتاب الحيوان، تحقيق: فوزي عطوي، بيروت، دار صعب، ط:٣، ١٩٨٢م.

- القاسم بن محمد:

١٠٩-الاعتصام بحبل الله المتين، صنعاء، مكتبة اليمن الكبرى، د.ت.

- المبارك بن محمد بن محمد، ابن الأثير الجزري:

١١٠-أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار المعرفة، ١٩٩٧م.

١١١-النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمد أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:٢، ١٩٧٩م.

- مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي:

١١٢-التحف شرح الزلف، صنعاء، مكتبة مركز بدر العلمي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

- محسن بن الحسن أبو طالب:

١١٣-الشذور العسجدية في الخلافة المهدوية الأحمدية (ضمن كتاب تاريخ اليمن عصر الاستقلال عن الحكم العثماني الأول) تحقيق: عبد الله محمد الحبشي، صنعاء، مطابع المفضل للأوفست، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

- محمد بن أحمد الحجري:

١١٤-مساجد صنعاء عامرها وموفيها، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط:٢، ١٣٩٨هـ.

- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي:

١١٥-تذكرة الحفاظ، دار الصميعي، د.ت.

١١٦-سير أعلام النبلاء، دار الفكر، د.ت.

- محمد بن أحمد العقيلي:

١١٧-تاريخ المخلاف السليماني، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ط:٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٢م.

- محمد بن إسماعيل البخاري:

١١٨-صحيح البخاري، دار مطابع الشعب، د.ت.

- محمد بن إسماعيل بن القاسم، المؤيد بالله:

١١٩-مذكرات المؤيد بالله محمد بن إسماعيل، حققها واستخرجها من مسودة المؤلف: عبد الله الحبشي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، د. ت.

- محمد بن إسماعيل الكبسي:

١٢٠-جواهر الدر المكنون وعجائب السر، تحقيق: زيد بن علي الوزير، منشورات العصر الحديث، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- محمد أمين بن فضل الله المحبي:

١٢١-خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، بيروت، دار صادر، د.ت.

١٢٢-نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي ١٩٧١م.

- محمد بن جرير الطبري:

١٢٣-تاريخ الطبري (تاريخ الأُمم والملوك) بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.

- محمد بن الحسين بن موسى، الشريف الرضي:

١٢٤-ديوان الشريف الرضي، بيروت، دار صادر، د.ت.

- محمد بن سعيد بن منيع:

١٢٥-الطبقات الكبرى (طبقات ابن سعد) بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

- محمد بن عبد الرحمن السخاوي:

١٢٦-الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت.

- محمد عبد العال:

١٢٧-البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني (بامخرمة) كما سجلها في مخطوط (قلادة النحر) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م.

- محمد عبد القادر بامطرف:

١٢٨-الجامع، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٠م.

- محمد بن عبد الكريم الشهرستاني:

١٢٩-الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار صعب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

- محمد علاء الدين منصور:

١٣٠-تاريخ إيران بعد الإسلام، د.ت.

- محمد بن علي الشوكاني:

١٣١-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت (يتبعه ملحق محمد بن محمد زبارة).

- محمد بن عمر الرازي:

١٣٢-اعتقاد فرق المسلمين والمشركين، ومعه كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، مصطفى الهواري، القاهرة، شركة الطباعة الفنية المتحدة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

- محمد بن عيسى الترمذي:

١٣٣-الجامع الصحيح، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوه عوض، مصر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.

- د. محمد محمد الحاج الكمالي:

١٣٤-الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأثره في الفكر الإسلامي سياسياً وعقائدياً، صنعاء، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

- محمد بن محمد بن يحيى زبارة:

١٣٥-أئمة اليمن، ج١، تعز، مطبعة الناصرية، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.

١٣٦- أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر للهجرة ووفيات أعلام أعوامهم إلى سنة ١٣٧٥هـ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.

١٣٧-نزهة النظر في رجال القرن الرابع عشر، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والبحوث اليمنية، شارك في التحقيق: عبد الله بن عبد الكريم الجرافي، ١٩٧٩م.

١٣٨- نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف، مج١، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، د.ت. مج ٢-٣، صنعاء، مركز الدراسات والبحوث اليمني، بيروت، دار الآداب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- محمد بن هاشم:

١٣٩-تاريخ الدولة الكثيرية، قام بالإشراف على طبعه محمد بن علي الجفري على نفقة الخاصة السلطانية، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

- محمد بن يزيد بن ماجة:

١٤٠- سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

- محمود شوكت:

١٤١-التشكيلات والأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني حتى سنة ١٨٢٥هـ، ترجمة عن التركية: يوسف نعيسة، د. محمود عامر، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٨م

- محمود بن عبد الله الألوس:

١٤٢-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: د. محمد السيد الجليند، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط:٢، ١٤٠٤هـ.

- محمود علي السالمي:

١٤٣-محاولات توحيد اليمن بعد خروج العثمانيين، الشارقة، دار الثقافة العربية للنشر، ٢٠٠١م.

محي الدين عبد القادر بن شيخ:

١٤٤-تاريخ النور السافر عن أخبار القرن العاشر، د. ج١، د.ت.

- مصطفى بن عبد الله، حاجي خليفة:

١٤٥-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم النجدي، بيروت، دار المكتبة العلمية، ط:٢، ١٩٩٢م.

- مطهر بن علي الإرياني:

١٤٦-ديوان فوق الجبل، القاهرة، دار الهنا، ١٩٧٣م.

- مطهر بن محمد الجرموزي:

١٤٧- تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، تحقيق: عبد الحكيم الهجري، عمّان، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

- ممتاز العارف:

١٤٨-الأحباش بين مأرب وأكسوم (لمحات تأريخية من العلاقات العربية الحبشية ونشوء أثيوبيا الحديثة(بيروت، صيدا، المكتبة العصرية، ١٩٧٥م.

- نشوان بن سعيد الحميري:

١٤٩-الحور العين، تحقيق: كمال مصطفى، صنعاء، المكتبة اليمنية، بيروت، دار آزال للطباعة والنشر، ١٩٨٥م.

- هاشم معروف الحسيني:

١٥٠-بين التصوف والتشيع، بيروت، دار القلم، ١٩٧٩م.

-وزارة الإعلام، سلطنة عُمان:

١٥١-عُمان في التاريخ (ندوة عُمان في التاريخ المنعقدة خلال الفترة من ٢٤-٢٧/ ٩/ ١٩٧٤)، لندن، دار اميل للنشر المحدودة، ١٩٩٥م.

١٥٢- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تحقيق: د. سعيد عاشور، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

- يحيى بن يحيى العنسي:

١٥٣-المعالم الزراعية في اليمن، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، ١٩٩٨م.

- يوسف بن عبد الله بن محمد، الحافظ بن عبد البر:

١٥٤-الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الكتب العلمية، د.ت.

ثالثاً: الدوريات

١٥٥- **مجلة الإكليل:** عدد خاص بصنعاء، مجلة دورية، تصدرها وزارة الإعلام والثقافة،صنعاء، العددان ٣،٢، السنة الثانية،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٥٦- **مجلة العرب:** الجزء التاسع، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٥٧- **مجلة كلية الآداب:** جامعة الملك سعود، العدد الأول، المجلد الخامس عشر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

رابعاً: المراجع الأجنبية:

١٥٨- A. S. TRTTTON: THE RTSE OF THE TMAMS OF SANAA, HYPERION PRESS, TNC.WESTPORT,CONNECTCUT

١٥٩- PLAFATR, R. L: AHISTORY OF ARAbia Felix Or yemen, Bombay, Edcation Society Press ١٨٥٩. U.S.A. North Carolina, ١٩٧٨.

١٦٠- R.B. Serjeant and Ronald Lewcock: Sana'a AN ARABIAN ISLAMIC CITY, Landon ١٩٨٣.

خامساً: المعاجم والموسوعات

١٦١- **أطلس العالم الصحيح:** جماعة من أساتذة الجغرافيا والتاريخ، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت.

١٦٢- **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين):** خير الدين الزركلي، بيروت، ط:٣، ١٩٧٠م، أخرى: بيروت، دار العلم للملايين، ط: ٥، ١٩٨٠م.

١٦٣ -**أعلام المؤلفين الزيدية**: عبد السلام بن عباس الوجيه، عمّان، مؤسسة الإمام زيدي بن علي الثقافية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٦٤ -**تاج العروس من جواهر القاموس**: مرتضى الزبيدي، القاهرة، المطبعة الخيرية، ١٣٠٦هـ.

١٦٥ -**التعداد العام للمساكن والسكان لعام ١٩٨٦م**: الجمهورية العربية اليمنية، رئاسة مجلس الوزراء، الجهاز المركزي للتخطيط.

١٦٦ -**تقويم البلدان**: أبو الفداء، إسماعيل بن محمد، اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود، البارون ماك، كوكين ديسلان، باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٩٤٠م.

١٦٧ -**دائرة المعارف الإسلامية**: أصدرها بالإنكليزية والفرنسية والألمانية أئمة المستشرقين في العالم، إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خور رشيد وآخرون، القاهرة، دار الشعب، د.ت.

١٦٨ -**دائرة المعارف الإسلامية الشيعية**: حسن الأمين، بيروت، ط:٢، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

١٦٩ -**دائرة المعارف**: بطرس البستاني، بيروت، دائرة المعرفة، د.ت.

١٧٠ -**الرائد**: جبران مسعود، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٨م.

١٧١ -**القاموس الإسلامي**: أحمد عطية الله، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

١٧٢ -**القاموس المحيط**: محمد بن يعقوب الفيروزابادي، المطبعة المصرية، ط:٣، ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م.

١٧٣ -**لسان العرب المحيط**: ابن منظور، قدم له: الشيخ عبد الله العلايلي، إعداد وتصحيح: يوسف خياط، بيروت، دار لسان العرب، د.ت.

١٧٤ -**مجموع بلدان اليمن وقبائلها**: محمد بن أحمد الحجري، تحقيق: إسماعيل بن علي الأكوع، بيروت، دار النفائس، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

١٧٥ -**مختار الصحاح:** محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الـرازي، بـيروت، دار الكتـب العلمية، د.ت.

١٧٦ -**المعجم الأدبي:** جبور عبد النور، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.

١٧٧ -**معجم البلدان:** ياقوت الحموي، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، دار بـيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م.

١٧٨ -**معجم البلدان والقبائل اليمنية:** إبـراهيم أحمـد المقحفـي، صـنعاء، دار الكلمـة، ط:٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، أخـرى: صـنعاء، دار الكلمـة، بـيروت، المؤسـسة الجامعيـة، ط:٣، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

١٧٩ -**المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية:** حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة للبحـث والترجمـة والنـشر، ١٣٩٧هــ/ ١٩٧٧م.

١٨٠ -**معجم الدولة العثمانية:** د. حسين مجيب المصري، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ت.

١٨١ -**المعجم الذهبي فارسي- عربي:** د. محمد التونجي، بيروت، دار العلـم للملايـين، ١٩٦٩م.

١٨٢ -**المعجم السبئي:** ا.ف.ل بيستون وآخرون، بيروت، دار نشر بيترز لوفان الجديـدة، مكتبة لبنان، ١٩٨٢م.

١٨٣ -**المعجم الفلكي:** أمـين فهـد المعلـوف، القـاهرة، مبطعـة دار الكتـب المـصرية، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

١٨٤ -**معجم قبائل العرب القديمة والحديثة:** عمـر رضـا كحالـة، بـيروت، مؤسـسة الرسالة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

١٨٥ -**المنجد في اللغة والأدب والعلوم:** بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ط:١٩، د.ت.

١٨٦ -**موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية**: د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط: ٦، ١٩٧٤م.

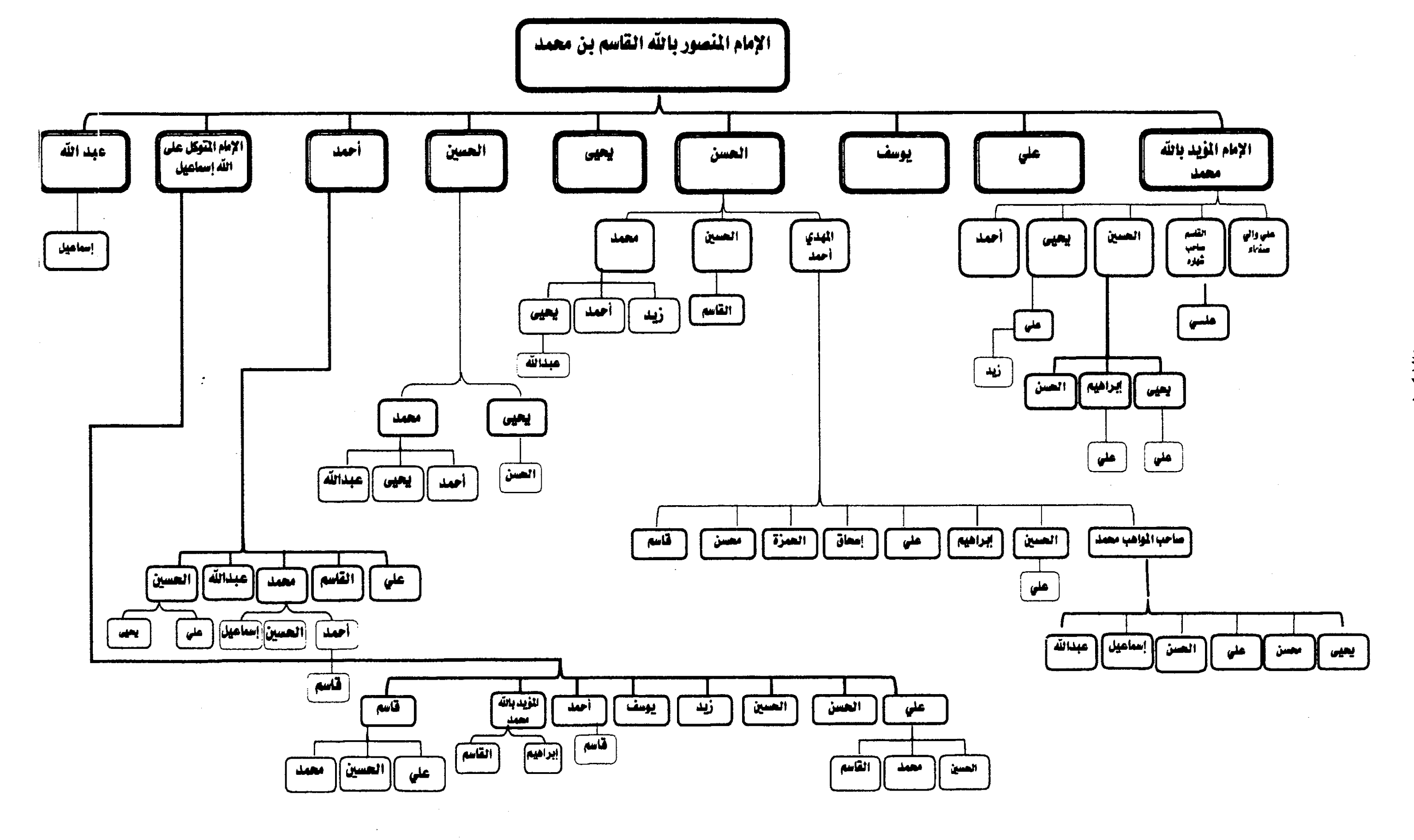
١٨٧ -**الموسوعة العربية الميسرة**: إشراف: د. محمد شفيق غربال، دار الشعب ومؤسسة فرانللين للطباعة والنشر، ١٩٥٩م.

١٨٨ -**الموسوعة اليمنية**: **إعداد وإشراف وتحرير**: أحمد جابر عفيف وآخرون، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

١٨٩ -**هجر العلم ومعاقله في اليمن**: إسماعيل بن علي الأكوع، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق، دار الفكر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

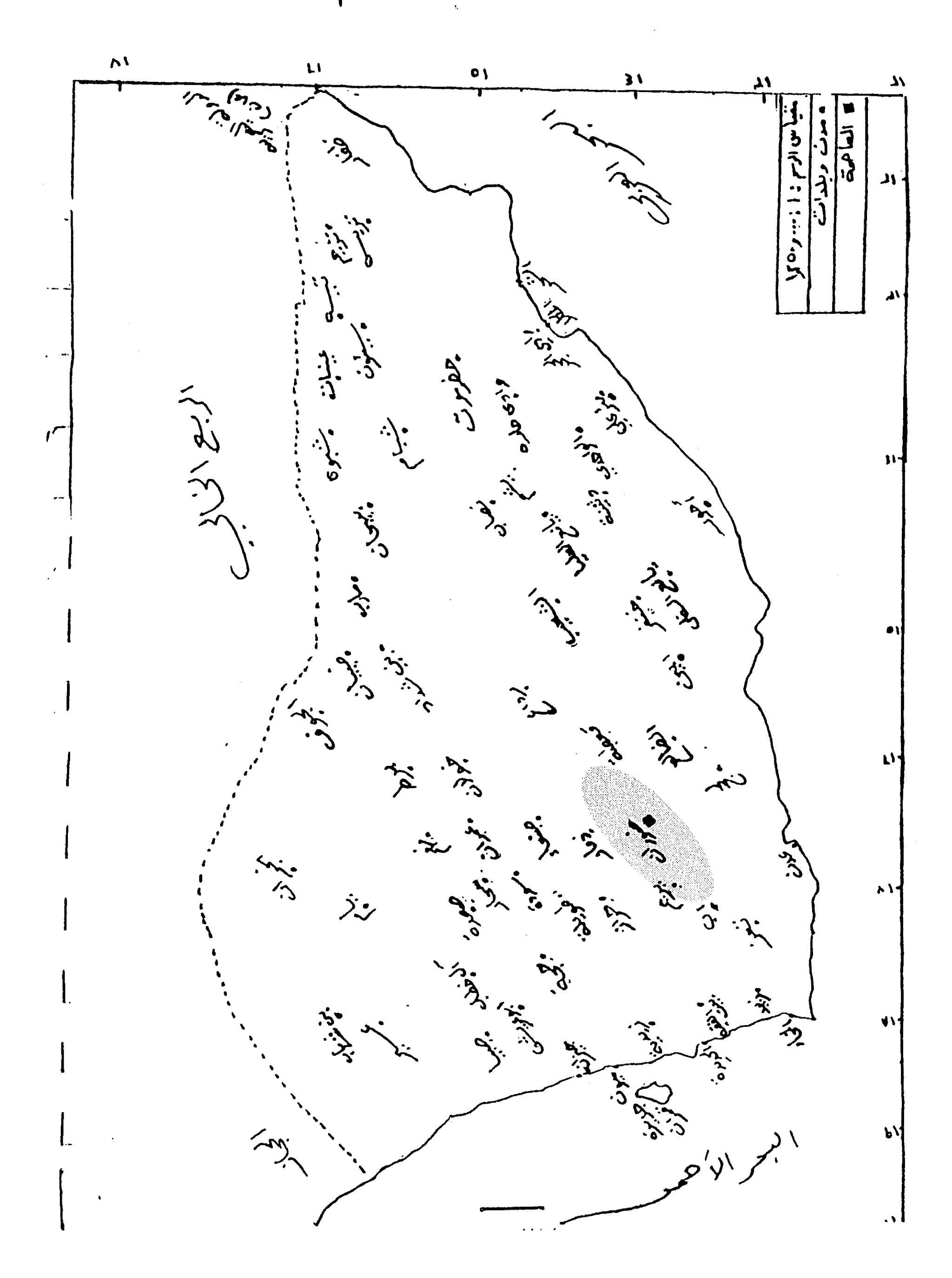
الملاحق

أولاد الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد وأحفاده الذين ذكروا في مخطوطة بهجة الزمن في تاريخ اليمن

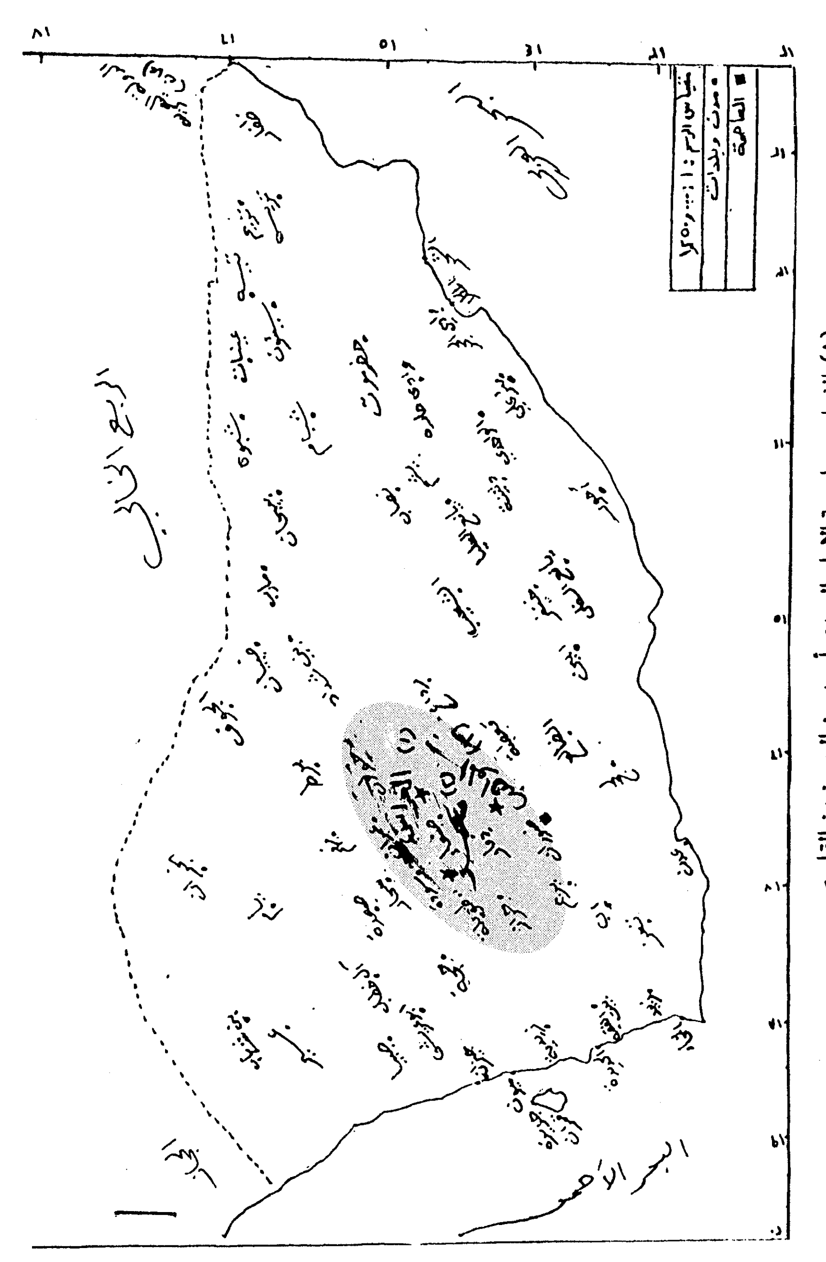


خريطة توضيحية لليمن في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم

١٠٥٤-١٠٨٧هـ/١٦٤٤-١٦٧٦م.



خريطة توضيحية لليمن في عهد أبناء الجيل الثاني (أحفاد الإمام القاسم) ١٠٨٧هـ-١٠٩٩هـ/١٦٧٦-١٦٨٨م تبين عاصمة كل واحد منهم



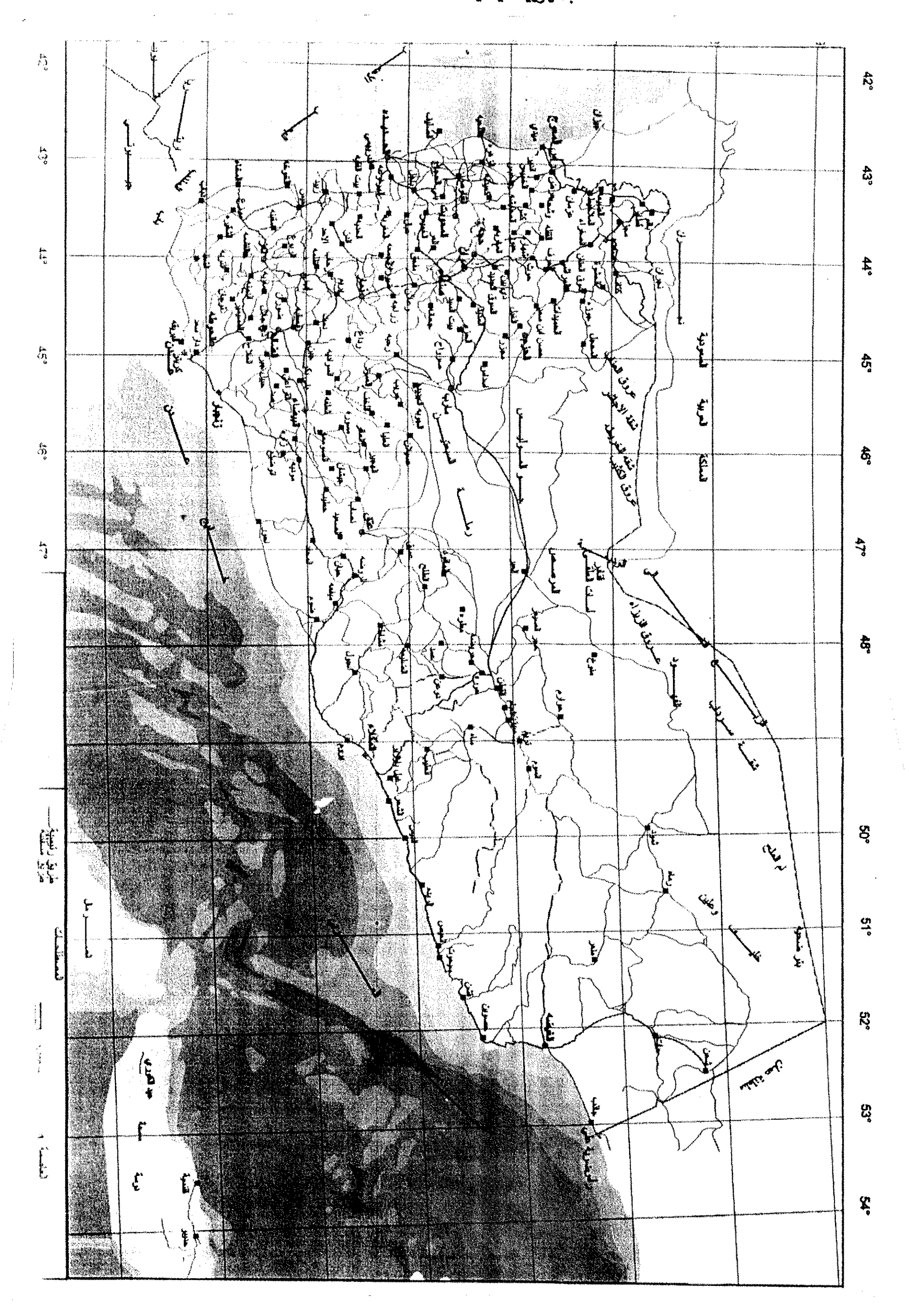
(١) الغراس: عاصمة الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم.

(٢) معبر: عاصمة الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل على الله إسماعيل.

(٣) المواهب: عاصمة الإمام الناصر محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم.

خريطة توضيحية للمناطق اليمنية

الجمهورية اليمنية -مصلحة المساحة



الفهارس العامة للكتاب

أولاً: فهرس المجلد الأول

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
البقرة		
هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا	٢٩	٤٢٧
وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ	٢٧٢	٣٧٨
ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ	٢٧	٤١٧
وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ	١٩٣	٣٩٣
وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ	١٩٣	٣٨٤
آل عمران		
إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ	١٦٠	٣٠٨
قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى	٣١	٤١٦
إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ	٦٨	٣٣٢
قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ	٢٦	٣٧٣
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ	١٤٥	٣٩٧
قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ	٧٥	٣٣٢
وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ	٢٤	٣٣٢
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ	١٠٢-١٠٤	٣٨٢

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الميم

فهرس البلدان

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الجماعات والقبائل

حرف الألف

حرف الباء

حرف الخاء

حرف الراء

حرف الشين

حرف الصاد

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الياء

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس الكتب

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف الهاء

حرف الواو

فهرس المكاتبات

فهرس الدول

فهرس الجبال

فهرس الآثار

فهرس الأشعار

فهرس الغزوات

ثانياً: فهرس المجلد الثاني

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
النساء		
إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا	١٤٠	٥٩٦
وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا	٢٩	٧٢٠
إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ	١٦٣	٥٧٠
يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ	١٧١	٧٢١
المائدة		
مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ	٥٤	٦٩٩
أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ	٧٤	٧٢١
فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ	٥٤	٦٩٩
وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ	٤٥	٥٩٥
الأنعام		
لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ	١٠٣	٦٢٦
وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ	٦٩	٥٩٦
فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ	٩٠	٥٧٠
الأعراف		
وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا	٥٦	٧٧٠
وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ	١٨٨	٤٨٨
الأنفال		
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ	٧٢	٥٩٥
يونس		
أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ	٩٩	٤٩٢
هود		
وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً	١٧	٥٧٠
الرعد		
فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً	١٧	٥٥٩

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس البلدان

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٨، ٦٧٠، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦،
٦٨٧، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٤، ٦٩٩، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٦،
٧١٨، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٣٠، ٧٣٧، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤،
٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٣، ٧٥٨، ٧٦١، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٧١، ٧٧٣، ٧٧٥، ٧٧٦،
٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٣، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩١، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٦، ٧٩٧،
٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨١٠، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦،
٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢٢، ٨٢٥، ٨٢٧، ٨٣١، ٨٣٣، ٨٣٨، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٤، ٨٤٦،
٨٤٧، ٨٥٠، ٨٥٣، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٨، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٧، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢،
٨٧٣، ٨٧٦، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٩، ٨٩١، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٨، ٩٠٣، ٩٠٥،
٩٠٧، ٩٠٨، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٩،
٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٤، ٦٤٦، ٦٤٩، ٦٥١، ٦٥٣، ٦٥٧،
٦٥٨، ٦٦٢، ٦٦٤، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٤، ٦٨٧، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٤، ٧٠٦،
٧٠٩، ٧١٠، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٦، ٧١٨، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٨، ٧٣٧، ٧٤١،
٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٣، ٧٥٨، ٧٦١، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٧١،
٧٧٣، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٣، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩١، ٧٩٣،
٧٩٤، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨١٠، ٨١٢، ٨١٣،
٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢٢، ٨٢٥، ٨٢٧، ٨٣١، ٨٣٣، ٨٣٨، ٨٤٠،
٨٤١، ٨٤٤، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٥٠، ٨٥٣، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٨، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٧،
٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٦، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٩، ٨٩١، ٨٩٤، ٨٩٥،
٨٩٨، ٩٠٣، ٩٠٥، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣

يَنْبُع --٥٧٨، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٨٢، ٦٨٩، ٧٧٩

الينبعية--٥٥٢، ٦٨٩

فهرس الجماعات والقبائل

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الدلال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الميم

حرف الهاء

فهرس الفرق والمذاهب

حرف الألف

حرف الباء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الظاء

حرف الفاء

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

فهرس الكتب

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الذال

حرف الراء

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

فهرس المكاتبات

فهرس الدول

فهرس الجبال

فهرس الآثار

فهرس الأشعار

فهرس الغزوات

ثالثاً: فهرس المجلد الثالث

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

حرف الألف

حرف الدال

حرف السين

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس البلدان

حرف الألف

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

فهرس الجماعات والقبائل

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الراء

حرف العين

حرف الهاء

فهرس الفرق والمذاهب

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء

فهرس الكتب

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف القاف

حرف الكاف

حرف الميم

حرف النهج

حرف الهاء

حرف الواو

فهرس المكاتبات

فهرس الدول

فهرس الجبال

فهرس الآثار

فهرس الأشعار

فهرس الغزوات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات


المكتبة التاريخية اليمنية
مختار محمد الضبيبي